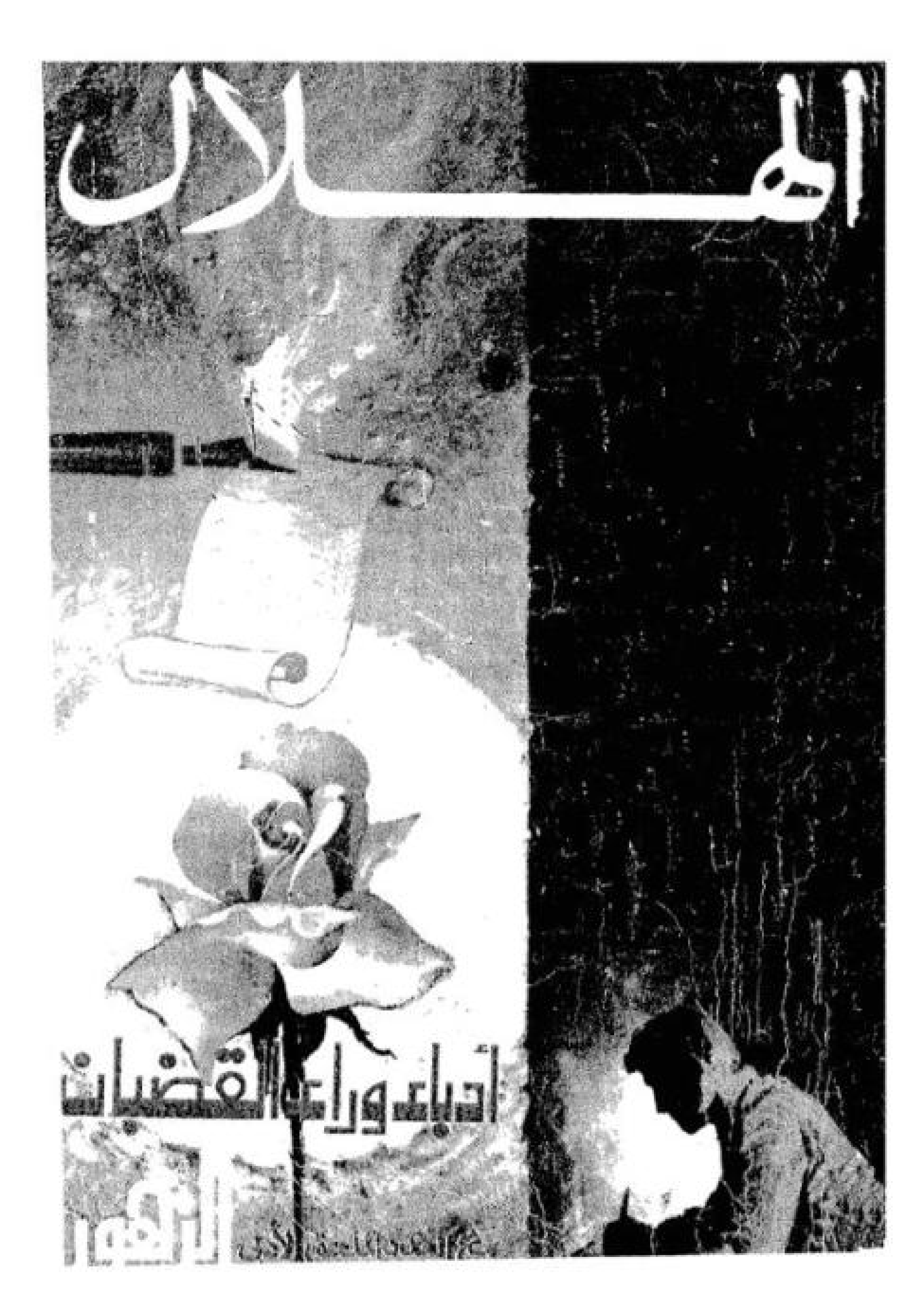

الهلال
أدباء وراء القضبان

الهلال

يناير ١٩٧٢

مجلة شهرية تصدر عن
دار الهلال - العدد
الاول - السنة الحادية
والثمانون اول
يناير ١٩٧٢ - ١٧
ذو القعدة ١٣٩٢

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٢٠ مليما - من الشمهات الم... ...ملة
بالطائرة - فى سوريا ولبنان ١٫٥٠ قرشا - فى الاردن ١٥٠ فلسا - فى الع...
فلس - فى الكويت ٢٢٥ فلسا - فى السعودية ٢ ١/٢ ريال سعودى .

قيمة الاشتراك السنوى : ١٢٥ عددا فى جمهورية مصر الع...
العادى البريد العربى والافريقى ١٢٠ قرشا صاغا . فى سائر انحاء العالم
او ٢٫٥٠ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهور...
العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار
بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار
الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

في هذا العدد

٤ . كلمة الهلال

٥ . د . سيد نوفل ــ المتنبي في سجنه

١٢ . علي ادهم : العقاد في عالم السدود والقيود

٢١ . الشاعر القروي : الارض العانس « قصيدة »

٢٢ . حسن كامل الصيرفي : محمود سامي البارودي ، سجين المنفى البعيد

٣٢ . محمد عبد الغني حسن : ابو نواس وراء القضبان

٤٢ . د . يوسف عز الدين : احمد الصافي النجفي ، في السجن

٥١ . عبد اللطيف عبد الحليم : انت والعيون « قصيدة »

٥٢ . د . بدوي طبانه : ابن زيدون سجينا

٦٠ . د. احمد هيكل : المعتمد ابن عباد الملك الشاعر السجين

٦٦ . عبد العزيز الدسوقي : المازني السجين ــ نظرة جديدة على عالمي الخطيئة الشعري والنفسي

٧٤ . د . عبد العزيز عتيق : ابو فراس الحمداني الامير الشاعر الاسير

٨٤ . د . محمد ابو الانوار : المنفلوطي سجين قصيدة الهجاء

٩٤ . د . عبده بدوي : من الذكريات البعيدة « قصيدة »

٩٦ . عبد الرحمن صدقي : ابو نواس الفرنسي ــ الشاعر فرانسوا فيللون نزيل السجون

١٠٤ رحلة الشهر

١١٤ لماذا يختار السائح العربي مصر بالذات ؟

١٢٤ في ذمة الله الشاعر عادل الغضبان

١٢٦ محمود البدوي : المفتاح « قصة »

١٣٢ حافظ جميل : ميلاد السيد المسيح « قصيدة »

١٣٦ معارك ادبية : جورج صيدح : هل توفيق صعون كاذب وصيدح الذب ؟

١٣٩ احمد يوسف احمد : بعد مرور مائة سنة على مولد شاعر النيل

١٤٢ حارثطه الراوي : شوقي في ميزان الكرملي

١٤٥ محمود العقاد : بين العقاد وخادمه


المنفلوطي


النجفي


العقاد


ابو نواس



كلمة الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

● بسم الله نستقبل اليوم عاما ميلاديا جديدا ،
● يذكر البشرية بمولد المسيح نبي السلام ، عليه السلام .

نستقبل مطلع العام هذه المرة ، لا كما استقبلناه في الاعوام الخمسة الماضية ، وفي قلوبنا غصة ، وفي اعماقنا حداد على السلام الموءود ، الذى اغتالته قوى الشر والعدوان ، وصبغته بدماء الشـهداء ، وكفنته بآهات اليتامى والايامى والثكالى ، وسودته بصرخات المجاهدين القابعين وراء القضبان في ارضنا المحتلة .

بل نستقبل مطلع العام هذه المرة ، وقد قررنا ان ننزع الغصة من قلوبنـا ، ونقتلع الحداد من اعماقنا ، ونقبل على المعركة الضارية ونتحمل تضحياتها ولو هلك منـا نصف تعدادنا ، ليعيش النصف الآخر مرفوع الراس موفور الكرامة ، على ارض حرة ، وتحت راية خفاقة بالنصر .

نستقبل مطلع هذا العام وملء قلوبنا الامل ، وملء اعماقنا الاصرار على ان تكون سنة ١٩٧٣ هي السنة الفاصلة في تاريخ الامة العربية ، فاما ان نكون ابدا ، او لا نكون ابدا ... وسنكون باذن الله

ولعل صدور « الزهور » مع الهلال ابتداء من مطلع العام ، بكل ما تحتـويه من آمال الشباب واحلامه وتطلعاته نحو المستقبل ، هو الفأل الحسن الذى ينشر عبيره على ايام هذه السنة ، سنة الفصل ، سنة النصر ، سنة الخير باذن الله ، وان ينصركم الله فلا غالب لكم .

● صالح جودت ●

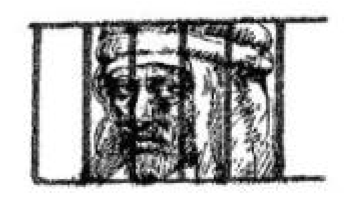
• د. سيد نوفل •

المتنبي في سجنه

يروى عن نهرو ، الزعيم الهندي المعاصر ومؤسس الهند المستقلة ، أنه كان يتحرى ، ما وسعه الجهد، اختيار وزرائه وكبار مستشاريه من الذين عانوا السجن السياسي، او قاسوا الاضطهاد في سبيل الرأي والنضال الوطني ..

وكان تأويل ذلك يسيرا ، ذلك ان رسالة الحكم الصالح هي اشق الرسالات ، واعظمها اقتضاء للمقدرة الذاتية على مغالبة النفس ونوازع الشر ، والاعتصام بالحق في سبيل الحق وحده ، مهما لاقى المؤمن بالرأي من عنت وارهاق وتضحية ...







القوة البشرية الغلابة، تزداد الحاجة اليها فى مواجهة المسئولية الكبيرة لبناء الاوطان التى تحررت من العبودية والاستنزاف بعد التضحيات الجسام ، وعزمت تعويض ما فاتها ومواكبة الامم المتقدمة ... وكذلك تزداد الحاجة اليها فى مقاومة اخطار الانحلال الداخلى للدول أو الاخطار الخارجية المهددة لها..

فبناة الحرية الوطنية ، وحراس الاستقلال القومى ، والصامدون للعدوان والخطر الخارجيين ، هم الذين يرون الحياة وطنية وعقيدة وجهادا ويستهينون بكل تضحية وفداء فى سبيل الرأى المخلص ، ولا يثنيهم عن مذهبهم المستقيم وعد ولا وعيد ، بل يرون فى العذاب من اجله نعيما يزرى بكل نعيم .

ولهذا لم يكن عجبا أن أبطال الحركات والحضارات التاريخية الكبرى ، ورسل الديانات السماوية التى قادت البشرية فى مسيرتها من الظلمات الى النور ، هم أصحاب العزم والبأس والجلد فى مواجهة الاخطار والخطوب والتضحيات ...

وهل كان من الممكن أن ترتفع الاعلام لدين سماوى ، أو لحركة تحرير وطنى ، أو لنهضة فكرية أو علمية بغير الرواد أصحاب العزم لمختلف العصور ؟ أولئك الذين آمنوا بأن الحياة لعب ولهو ، ما لم تقد الاحياء دلائل الحرية والعدل والتقدم ، وبأن الوسيلة عديمة الجدوى والغناء اذا أعوزها الهدف السامى والغاية المنشودة ...

● الحياة هى القوة .. ●

وكان المتنبى ، فى سجنه وفى الطريق اليه ومن بعده ، من أهل العزم الذين علت همتهم ، فجشموا أنفسهم أشد المصاعب ، ورأوا فى العذاب سعياً الى الهدف سموا رفيعا وتضحية ممتعة ، **لا ينالهما القاعدون من الناس، القانعون بمتاع الحياة الزائف، ويبهرجها الرخيص العابر .. ولعله قد ذهب ضحية لهمته الكبيرة وآفاقه الواسعة ، دون بلوغ ما ينشد .. ولكنه لا ريب قد خلف للبشرية من نضاله ابلغ الآيات وأروع الامثال .**

فالمتنبى الشاعر العربى الاصيل كانت الحياة عنده هى القوة وحدها.. ورثها من آبائه الاولين فى الجاهلية ، وأبائه التالين فى فجر الاسلام ،وطورها تطويرا بينا .. لقد رفع قواعد هيكلها ، وفنى فيها أتم الفناء ، وامتزجت هالتها برغائب نفسه ومطامحه فى الحياة ، حتى أصبح من المستحيل عليه التخلص من سلطانها .

وهو فى الهيام بالقوة وتعظيمها يسخر من الضعفاء الجبناء .. ويبدو ذلك على أتمه حين يمجد قوة سيف الدولة ويرى فيها كل الجمال وأقصى غاية الحسن ، ويرى وجوه الروم المذعورين الخائفين قبيحة ، تزيد وجوه الاقوياء

جمالا .. ان قوته تزاحم النجوم فى علوها ، وتقدر على منازلة الجبـــال وازالتها .. أما الجبناء الروم خصومه فانهم يطلبون الطعن والنزال وحدهم ، وبمعزل عن القوة الغالبة لهم ، ويظنون انهم ملاقون سيف الدولة بجنان ثابت . فاذا ما برزت قـوته لهم غلبتهم على أمرهم ، وأظهرت هوان الضعف وعزة القوة :

شرف ينطح النجوم بروقيـــه وعز يقلقل الأجبـــالا (١)
ووجوها اخافها منك وجـــه تركت حسنها له والجمـــالا
واذا ما خلا الجبـــان بأرض طلب الطعن وحـــده والنزالا
اقسموا لا رأوك الا بقلـــب طالما غرت العيون الرجـــالا

وعزم المتنبى وتمجيده القوة ، هما اللذان سلكا به ســبيل الحياة التى اختارها لنفسه ، ولم يقعدا به بعد أول اخفاق أو ثانيه أو ثالثه ..

فزاده الاخفـــاق عزمـــا على مواصلة العمل فى سبيل الهدف ، وأبى أن يعترف بالهزيمة أو الاخفاق . بل أنه يرى فى ذلك الاخفاق الذى يراه الناس ألما مبرحا :

سبحان خالق نفسي كيف لذتهـــا فيما النفوس تراه غاية الألـــم

واذا ما ساورت نفسه هــواجس الضعف والخور زجرها ونهاها :

تريدين لقيان المعالي رخيصـــة ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وهكذا ، فان كل انسان ميسر لما خلق له ، والذين يرضون بالذلة والهوان هم فى حقيقة أمرهم أموات ، وان اكلوا وشربوا ومشوا ، لا يحسون بألم الجروح التى تملأ أجســامهم ، وتستشرى فى وطنهم :

من يهن يسهل الهوان عليـــه مالجـــــرح بميت ايلام .

وكان مذهبه فى القوة وتمجيدها نتاج تفكير وتدبر ، واقتناع تام . فما دامت الحياة غايتها الموت ، وما دام الجبن معرة والشجاعة فخارا ، فمن الهـوان والعجز أن يؤثر الانسان موت الجبان على موت الشجاع

واذا لم يكـــن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبـــانا

والطبع اللئيم هو الذى يصور العجز حكمة ، وتوقى ما يسميه الناس خطـرا رشادا ، فالخطر الحق هو خطر الضعف والهوان :

يرى الجبناء أن العجز عقـــل وتلك خديعة الطبـــع اللئيم

وهكذا بنى المتنبى تصوره للحياة على دعائم القوة والعزة ، وعاش حياة قادته الى السجن فى مطلع شبابه ، وحملته أشد المتاعب طوال حياته ..

● أسباب التطلع والطموح ●

والمتنبى الذى قادته فلســفته الى الســـجن ، وجشمته أشـــد المتاعب ، كان نتاجا مختارا لعصره .. لقد ولد بالكوفة فى مطلع القرن الرابع الهجرى ، أو العاشر الميلادى . ونشأ فى أحد مواطن الحضارة العباســية ولم يكد يبلغ العاشرة ، وقد ظهرت حدة ذكائه ومخايل نبوغه ، حتى استولى القرامطة بنذرهم المدمرة على الكـوفة موطنه ، ففر الى بادية السماوة حيال الشام ..

ولم تمض سنوات قـلائل حتى مات أبوه ، فأخذ يطوف بين الشام والعراق. ويتنقل بين أهل الحضر والبادية فيهما، ويأسى لما يشهد من شرور الفتن والدعوات

---

(١) الروق = القرن . يقلقل = يحرك . الاجبال = الجبال

المتصارعة وضيق ذات اليد وقصور الحيلة .. فالقرامطة والاسماعيليون وغيرهما من الباطنيين يدعون الى تخليص العالم الاسلامي من شرور الحكم العباسي والى حكم آل علي، ويبشرون بما يبشر به المستضعفون في كل عصر من ظهور مخلص أو مهدي يحمل عنهم عبء النضال للحرية والعدل ، بعد أن يظلوا في ضعفهم يعانون ويحلمون ! .. والخوارج على السلطان يوقدون نار الثورات ويؤججون أوار الفتن في مختلف الارجاء ، ويستولون على الامصار عنوة، وينمون بذور الانفصال في الدولة الاسلامية الموحدة ...

وكان الاعاجم يسعون جاهدين للسيطرة على الدولة الاسلامية، وتطويع القيادات العربية لامرهم ، متخذين في ذلك من معارفهم ودرايتهم سندا ، ومحاولين بجميع الوسائل الادبية والسياسية تحقيق أهدافهم ، ومساعدين على انتشار المعارك بين دعاة الشعوبية ودعاة القومية العربية ، ومكلفين الدولة في جميع الاحوال أشد العنت وأثقل الارهاق .

واخذت الجماهير تتطلع الى منقذ يحفظ للدولة الاسلامية وحدتها ، ويعيد اليها قوتها ومكانتها ، ويرد عنها مغبات الفتن والاضطرابات ، وأخطار الاعداء وفي هذا الجو نشأ المتنبي ، ويسر له ذكاؤه الخارق وبلاغته المطاوعة أسباب التطلع والطموح ...

● في الطريق الى السجن ●

وشق المتنبي ، وسط هذا الجو المكاثر المليء بألوان العداوة والبغضاء ، طريقة الى طموحه والى سجنه معا ...

واستخدم الشعر في أول الامر وسيلة الى طلب السيادة والحكم . وقدم الى بغداد وهو لا يزال في الرابعة عشرة من عمره مادحا أصحاب الشأن ..

لكنه ، شأن الشباب الطموحين المتعجلين المفتقرين الى التخطيط والصبر .. رحل الى الشام متنقلا بين باديتها وحاضرتها ومتعرفا الى هؤلاء وأولئك، ومحاولا أن يكمل أسباب فصاحته وبلاغته تطلعا الى دعم الاسباب لبلوغ مقصده .

وظهر مع ذلك في شعره المبكر لهذه الفترة التشاؤم والسخط على الناس والحياة ، والشكوى من سوء الحظ والتبرم الثائر والاستعلاء المتكبر ...

ومن شعره المبكر تلك القصيدة الميمية التي يستفتحها متسائلا : الى متى يظل عريان شقيا بالحياة والاحياء ؟ .. ثم يدل على خلقه وابائه ، فيفضل الموت تحت السيوف مكرما على الموت في الفراش ذليلا ، ويطالب نفسه بالمبادرة الى الثورة والحرب مبادرة كريم وأثر شريف النفس

لكنه بعد ممارسة الشعر والمدائح ومحاولة كسب الشهرة سبيلا الى السلطان ، انتقل في عجل الى طريق الكفاح والحرب . وعبر عن ذلك في قصيدته :

ضيف ألم برأسي غير محتشم والسيف أحسن فعلا منه باللمم (١)

فهو يشكو من شيب شعره ونزوله عليه مبكرا في صباه . ثم يقول ان نزول السيف على الرأس وتخضيبه الشعر بالدم أفضل من هذا البياض الخائر . ويسترسل لاعنا بياض الشيب الذي يفضله سواد الظلام . ويؤكد أنه لايتعلل بالآمال الكاذبة ولا يقنع بالقليل،بل يحمل النفس بقهر الشدائد . ويشكو الناس الذين يراهم فاذا ما اختبرهم ظهروا غناما وليسوا ناسا . ويذكر الجرد

---

(١) اللمم جمع لمة وهي الشعر النازل على المنكبين .

والعون الذى يسمعه فاذا ما حاول تحصيله لم يجد جودا بل كلاما دون فعال ..

ومن بعد ذلك يؤكد أنه سيدخل مرحلة جديدة من حياته ، يصحب فيها السيف وهو مثله حدة ومضاء ، ويؤكد انه أشجع الشجعان ... فلم يعد هنالك بعد الصبر وطول المعاناة سوى الحرب والهيجاء ، وتكليف الخيل اشد الاهوال حتى تبدو وكأن بها ضربا من الجنون :

أبعد بعدت بياضا لا بياض له ... لأنت أسود في عيني من الظلم
ليس التعلل بالآمال من اربى ... ولا القناعة بالإقلال من شيمي
وما أظن بنات الدهر تتركني ... حتى تسد عليها طرقها هممي
أرى أناسا ومحصولي على غنم ... وذكر جود ومحصولي على الكلم
سيصحب النصل مني مثل مضربه ... وينجلي خبري عن صمة الصمم(١)
لقد تصبرت حتى لات مصطبر ... فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخيل ساهمة ... والحرب أقوم من ساق على قدم
والطعن يحرقها والزجر يقلقها ... حتى كأن بها ضربا من اللمم(٢)

● ثورة المتنبى وسجنه ●

وهكذا انتقل المتنبى من مرحلة الشعر الى مرحلة الثورة سبيلا الى غايته .. ويروى المؤرخون انه بلغ اللاذقية فى خريف عام ٩٢٣ م ، ثائر النفس مغيظا محنقا ، وهو لا يزال فى الثامنة عشرة من عمره .. وهنالك بث دعوته الثورية على الحكم القائم ، كما انتقل الى بدو السماوة ودعاهم الى اتباعه فى ثورته ، ووجد منهم تقبلا واستجابة ..

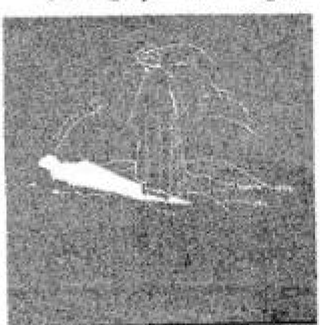
وتختلف أقوال المؤرخين فى ثورة المتنبى : هل هى ثورة أو ثورتان ؟ وهل هى دينية أو سياسية ؟

فقيل أنه ثار مرة واحدة فى بادية السماوة . وقيل انه ثار مرتين : الاولى فى الكوفة وقد اصطبغت ثورته فيها بالصبغة العلوية، فتعرض له والى البلدة وسجنه فترة ثم أطلق سراحه . والاخرى فى بادية السماوة ، وقد خرج الى بنى كلب وادعى أنه علوى أيضا فتبعه قوم من الاعراب قاد بهم ثورة مسلحة ..

ومن المؤرخين من يذهب الى أن ثورة المتنبى كانت دينية وأنه أدعى النبوة وخدع بنى كلاب بذلاقة لسانه وروعة بيانه . ولا يستبعدون أنه ادعى الوحى اليه بما قال وأنهم اتبعوا دعوته ... لكن البعض الآخر يرى أن دعوته كانت

---

(١) الصمة : الحية الشجاع، والجمع صمم أى شجعان .
(٢) اللمم : الجنون . والزجر : الصياح عند الاقتحام فى الحرب .



سياسية لا شأن لها بالدين ، وأن شعر المتنبي يؤكد ذلك اذ لا نجد فيه ذكرا للاديان أو تعرضا لامورها على عكس تلميذه أبي العلاء المعري ٠٠ والمتنبئون، أو مدعو النبوة ، تظهر في المأثور عنهم شئون الدين ظهورا بينا ٠٠٠

ومهما يكن من أمر ، فان أبا العلاء المعري ، الذي تفانى في متابعة أدب المتنبي وأخباره ، يشك في أمر حبسه بالكوفة ، ويقول في رسالة الغفران : ان المتنبي قد حبس بالشام ، ولم يعرف أنه قد حبس بالكوفة ٠٠ كما يذكر ان المتنبي ، حسبما روى لأبي العلاء ، كان اذا سئل عن سبب تلقيبه بالمتنبي قال انه من النبوة بفتح النون المضعفة وسكون الباء ، وليس بضمها ٠٠٠

ويبدو من تتبع الروايات وأحوال العصر ان المتنبي قاد حملة سياسية ضد نظام الحكم ، وانه كان من العسير لذلك الوقت التفريق بين شئون الدين والدنيا أو الدين والسياسة اذ أن الحكم الاسلامي ٠٠ لذلك العهد ، كان دينا ودولة معا ٠ ومهما يكن من أمر ، فقد عظمت دعوة المتنبي وتفاقم أمره وأمر أتباعه ٠ وحينئذ تصدى له أبو لؤلؤ ، أمير حمص من قبل الدولة الاخشيدية ، فخرج اليه في قوة عسكرية ، وحاربه حتى شرد أصحابه ، وأسره وحبسه ٠

● الخيل تعرف شجاعتي ●

وأشهر الروايات أن المتنبي قد أمضى سنتين في سجنه أو أسره ، وانه كان في أول أمره عنيدا ، ماضيا في سبيل الاعتزاز بالرأي وعدم التنازل عنه ، والاستهانة بالعذاب في سبيله ٠٠

والقليل من مأثور شعره لهذه الفترة يدل على ذلك ٠٠ فالمتنبي يهجو معاذ ابن اسماعيل اللاذقي حين يعذله في الاقدام على الحرب ويقول له : يا معاذ انك معذور حين تلومني ، لان مقامي بين الابطال وبعدك عن مقامهم لا يمكنك من رؤيتي ٠٠ ومثلي لا تنال منه الشدائد، ولو برز الى الزمان لحاربته وقتلته ٠ وحاشا أن يبلغ الزمان ما يريد مني وان تغير حالي وتبدل مكاني ٠ وان الخيل لتعرف شجاعتي وبأسي ولهذا تزرقها رؤيتي :

أبا عبد الاله معاذ اني — خفي عنك في الهيجا مقامي
ذكرت جسيم ما طلبي وانا — نخاطر فيه بالمهج الجسام
أمثلي تأخذ النكبات منه — ويجزع من ملاقاة الحمام ؟
ولو برز الزمان الى شخصا — لخضب شعر مفرقه حسامي ٠
وما بلغت مشيئتها الليالي — ولا سارت وفي يدها زمامي
اذا امتلأت عيون الخيل مني — فويل في التيقظ والمنام

وحين يتوعده أبو دلف السجان بالبقاء في الحبس ، يجيب المتنبي ساخرا من توعده وقائلا له : « ما أهون مقامي في السجن ، لقد هيأت نفسي لعذابه ٠ ولقد قبلت من يديك الطعام اضطرارا كما يرضى الاسد بتناول الجيفة اذا لم يجد سواها ٠ ولتكن أيها السجن كيف تكون من الشدة والقسوة، فقد وطنت نفسي عليك ٠ ولو كان نزولي السجن يلحق بي نقصا ، لما سكن الدر الصدف مع شرف قدره ٠٠٠ »

لكن السجن حين يمتد به نحو العامين يشعر بأن الامر يحتاج الى مراجعته ، وانه لا مناص له من الاستعطاف كي يخرج من الهوة التي تردى فيها٠ وحينئذ يكتب الى السلطان ملتمسا الافراج عنه في قصيدته الشهيرة التي يفتتحها داعيا ، من قبيل التعجب والاستحسان، على ورد الخدود أن يشفقه الله ويذهب حسنه وان يقطع القدود الحسان التي تيمته وأسرت فؤاده :

أيا خدد الله ورد الخـــدود وقد قدود الحسان القـــدود (١)

وهو في هذه القصيدة يأسى لهواه ماشاء له الأسى، ويمدح السلطان ما واتاه المدح ، ثم ينتقل الى الاستعطاف والرجاء في فك أسره • فيخاطب السلطان قائلا : أدعوك مســــتعطفا . يا مالك نفسي وواهب العطاء للعاني والحرية للرقيق ، وقد دنـــا الموت مني ، وأنحلني البلى وأعجزني ثقل القيد عن القيام ، وقـــد أصبحت أمشي في القيود بعد النعال ، وكنت أجالس أهل الفضـــل ، فصرت أجالس أوباش الناس • وقد جاءتني الحد قبل أوانه ، وأنا لا أزال صبيا لا تجب عليه الصلاة • وقيل : اني ظلمت الخلق مع أني لا أزال طفلا صغيرا ، فلا تقبل زور الحاقدين وسعاية اليهود الكاذبين ، ومع ذلك فقد ادعوا أنني أردت فعلا لم أفعله •• وليس على الارادة دون العمل من حد •• ومع ذلك فإن كرمك جدير بأن يفك أساري ولو كنت • قدارا وشقيا مثل ثمود الذي عقر الناقة متحديا أمر الله :

أمالك رقي ومن شـــــأنه هبات اللجين وعتق العبيـــد
دعوتك عند انقطاع الرجـــا ء والموت مني كحبـــل الوريد
دعوتك لـــــما براني البلى وأوهن رجلي ثقل الحـــديد
وقد كان مشيهما في النعـــال فأصبح مشيهما في القيـــود
وكنت من الناس في محفـــل وها أنا في محـــفل من قرود (١)
تعجل في وجوب الحـــدود وحدي قبيل وجوب السجـــود
وقيل عدوت على العـــا لمين بين ولادي وبين القعـــود (٢)
فمالك تقبل زور الكـــلام وقدر الشهادة قدر الشـــهود
فلا تسمعن من الكاشـــحين ولا تعبأن بمحك اليهـــود (٣)
وكن فارقا بين دعـــوى أردت ودعوى فعلت بشأو بعيـــد
وفي جود كفيك ما جـــدت لي بنفسي ولو كنت أشقى ثمـــود

ومن بعد ذلك أفرج الســـلطان عن المتنبي ، وأطلق سراحه •• ولم يهدأ الشاعر الطموح ولم ييأس ، بل ظل يتردد على أهل الحكم وأصحاب الشأن يمدحهم ويطلب عطاءهم ، وينشد عونهم في سبيل ما يرجوه من ولاية يتميز بها عن الناس تحقيقا لهدفه • وظل على رغبته ومبادئه ، وان تغـــيرت مواقعه ، وتبدلت مواقع الناس منه ••

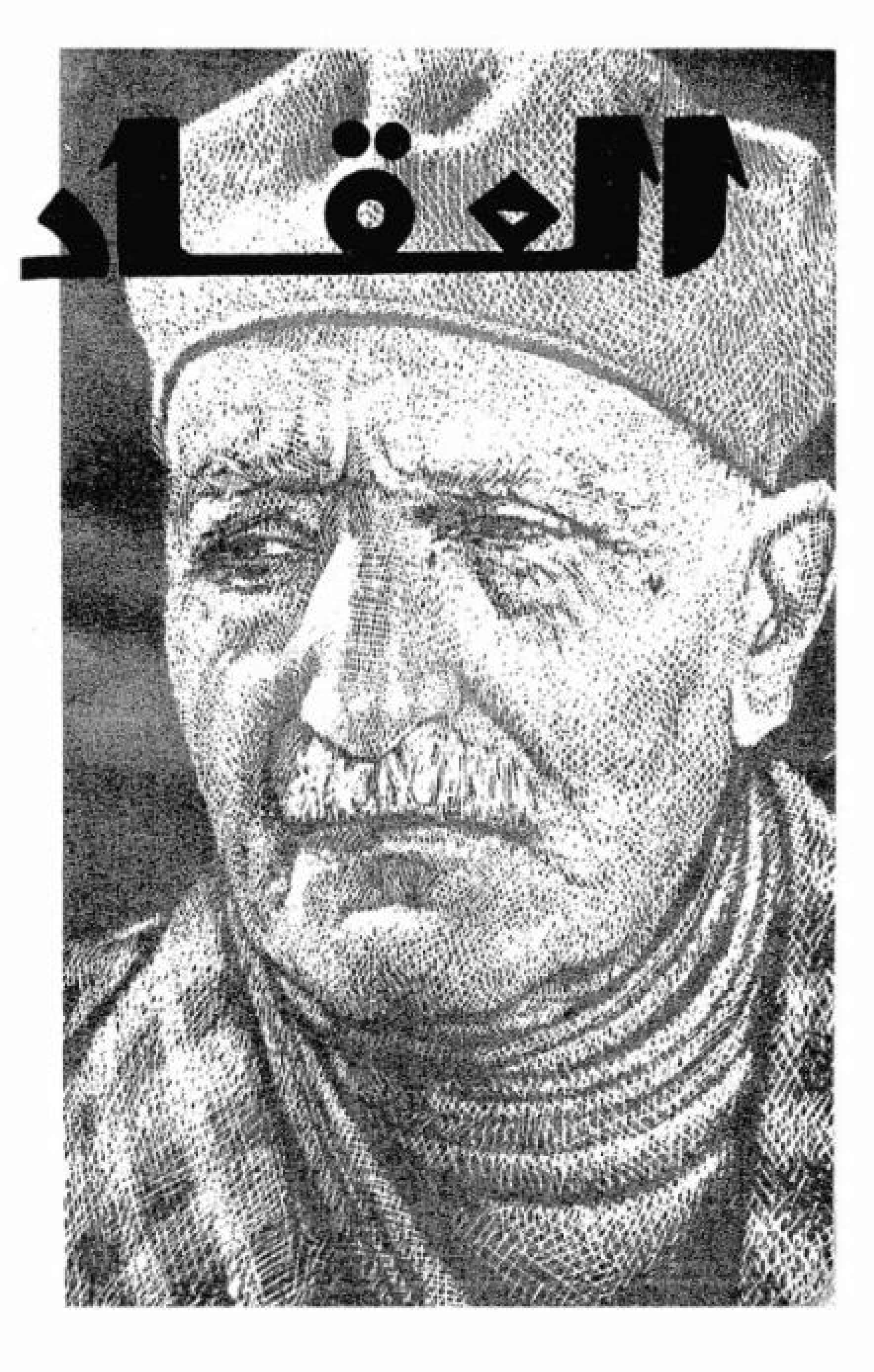
وفي أخريات حياته تظهر في شعره نغمة الخيبة في تحقيق الرجاء ، وبلوغ الغاية ، والالتفات الى الطبيعة ووصفها ، والى ديوان شعره يجمعه ويشرحه على علماء اللغة والأدب لعصره ••

وفي أثناء عودته من فارس ومسيرته في العراق نحو بغداد ، سقط ضحية شعره اذ تربص له فاتك بن جهل الأسدي في رهط، وقتله انتقاما عن هجاء المتنبي لأخته •

ومات المتنبي ، وفكت الحياة أساره بعد أن أغناها بألوان الفن ، وأخلد الشعر ، وروائع الحكمة •••

---

(١) خدد : شقق – قد : قطع – القدود : القامات •
(٢) المحفل : الجماعة •
(٣) الولاد : الولادة •
(٤) الكاشح : العدو المحك : العداء •


العقاد



في عالم السدود والقيود

تجربة

الأستاذ العقاد في خوضه معترك السياسة وجولاته بين الاحزاب المتنافرة . توضح لنا ما قد يتعرض له المفكر الحر ، والكاتب المخلص لرسالته ، والمؤمن بعقيدته حينما يخالف الاحزاب ، ويندمج في صفوفها ...

ولقد كان العقاد منذ نشأته نزاعا الى الحرية واستقلال الرأى ، يرفض فى اباء ان تفرض عليه خطة يتبعها ، او مذهبا يدين به ، وكان يتناول كل شيء بالبحث والدراسة ويسلط عليه نظره الثاقب ، وفكره النقاد ، ولا يقبل شيئا يرفضه ضميره ، ولا ترتاح اليه نفسه ، وكان يعرف قدر نفسه ، ويعتز بكرامته ، واستقلال شخصيته ، ومن كلماته فى كتابه الوجيز « خلاصة اليومية » وهو من بواكير كتبه ومؤلفاته ، « ان الذى يكل الى الناس تقدير قيمته يجعلونه سلعة يتراوح سعرها بتراوحهم بين الحاجة اليها أو الاستغناء عنها ، والطريقة المثلى ان يقوم كل انسان لنفسه قيمتها ، فان المرء كما يقول بعضهم يساوى القيمة التى يضعها لنفسه ، ذلك خير من ان يطرحها فى المزاد على السنة الناس »

وقد التزم العقاد هذه الخطة طوال حياته سواء فى العسر أو اليسر وفى ادبار الدهر أو اقباله ، وقبل أن يقر له الناس بالفضل ، وتعرف مكانته ، وبعد أن علت مكانته وذاعت شهرته ...

وحينما نشأ العقاد كان يشغل ميادين السياسة المصرية ثلاثة أحزاب ، الحزب الوطنى وزعيمه مصطفى كامل ، وكان يحمل على المستعمرين الانجليز حملات شعواء ، وكان أغلب شباب الأمة فى ذلك العهد من أتباعه ومريديه ... وحزب الأمة وكان يرفض سيادة العثمانيين على البلاد ، فى حين أن مصطفى كامل كان يؤيدها ، وكانت « الجريدة » لسان حال حزب الأمة ... أما الحزب الثالث فكان حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية وكان يتزعم هذا الحزب الشيخ على يوسف صاحب صحيفة « المؤيد »

فالى أى حزب من الأحزاب ينضم هذا الفتى الناشىء ؟ ...

لم يسترح هذا الفتى المطبوع على استقلال الفكر لخطة اللواء ومبادىء الحزب الوطنى لأنه كان لا يرى التعلق بفكرة الخلافة العثمانية التى كان يقول بها مصطفى كامل ، ولم ترقه غلبة العاطفة على خطبه واقواله وجوه الاصلاح الاخرى مثل النهوض بالتعليم والعمل على تحرير المرأة ، وما الى ذلك من محاولة للاصلاح الاجتماعى ...

ولم يقبل الاقتراب من حزب الأمة لغلبة النزعة الارستقراطية على اعضائه اذ كان أكثرهم من الاقطاعيين المصريين ... وبطبيعة الحال لم يفكر فى الاقتراب من أسرة المؤيد لأن صاحبها كان مكروها من شباب ذلك العصر



عبد القادر حمزة : انشا صحيفتي الاهالي والبلاغ .

وظهرت جريدة الدستور التي كان يحررها محمد فريد وجدى ، وكان من الرجال المشهود لهم باستقامة الاخلاق ونزاهة النفس وسعة الثقافة الاسلامية ، واشترك معه العقاد في تحرير الجريدة ، وكان العقاد يخالف الاستاذ وجدى في بعض ارائه ولا يحجم عن اظهار ذلك على صفحات الجريدة فلا يجد الاستاذ وجدى غضاضة في ذلك ...

ولما عطلت جريدة الدستور شارك العقاد في كتابة بعض الفصول في مجلة البيان التي كان يصدرها الأديب الشيخ عبدالرحمن البرقوقي،وعين في وظيفةبديوان الاوقاف وأتاح ذلك لهالفرصة لمعرفة بعض الوسائل التي كان يتخذها الخديو عباس لاختلاس جانب من أموال الصدقات فيذلك الديوان،فكتب بعض مقالات فيالصحفبدون توقيع أبدى فيها ما جال بفكره من مقترحات لاصلاح الفساد،ومنع انتهاب أموالالوقف، فاتفق رجال الحاشية في العمل على ابعاده عن ديوان الاوقاف ، واستعانوا بالاستاذ أحمد حافظ عوض الذى أصبح المشرف على تحرير صحيفة المؤيد بعد وفاة الشيخ عليوسف، فزين حافظ عوض للعقاد الاستقالة من وظيفته بديوان الاوقاف ليعمل معه محررا في جريدة المؤيد مشرفا على الصفحة الادبية .

واستجاب العقاد لهذا العرض لميله الى العمل بالصحافة ، ولكن العقاد لم يلبث أن استقال من المشاركة في تحرير المؤيد غضبا لكرامته وحفاظا على حريته ، ولم يعاود العمل الصحفي بعد ذلك الا حينما عرض عليه الاستاذ عبد القادر حمزة أن يشترك معه في تحرير صحيفة الأهالي التي أنشأها بالاسكندرية ، ولما وضعت الحرب أوزارها في سنة ١٩١٨ وظهرت الدعوة الوطنية التي حمل لواءها الزعيم سعد زغلول ، واندلعت الثورة في مارس سنة ١٩١٩ ، وبدات تتجلى قدرة العقاد على الحملات الصحفية ،وقوة دفاعه عن موقف الجريدة التي يحرر بها ، ولكنه لم يلبث أن استقال من جريدة الاهالي التي كانت تعبر عن سياسة محمد سعيد باشا ، وفتحت له جريدة الاهرام صدرها ، فكتب فيها مقالات سياسية وفصولا أدبية .

واشترك مع عبد القادر حمزة في تحرير صحيفة الافكار التي كانت تؤيد موقف الوفد ، وتحمل على خصومه السياسيين ، ولما أصدر عبد القادر حمزة صحيفة البلاغ في يناير سنة ١٩٢٣ اشترك معه العقاد في تحريرها ، وكانت الجريدة تدافع عن وجهة نظر الوفد ، وتناصر سياسته ، وترد هجمات خصومه من الاحرار الدستوريين وغيرهم

وكان قلم العقاد امضى اسلحة الدفاع عن سياسة الوفد بقوة حجته وتماسك منطقه وبلاغة ادائه وافتنانه في تسفيه آراء خصوم الوفد والسخرية بهم .. وظفرت مقالات العقاد باعجاب الزعيم سعد زغلول ، وقدر سعد ميل العقاد الى حرية التفكير وشدة حرصه على كرامته ، وكان العقاد يتخذ في لقاء بعض الأحداث موقفا يخالف موقف الوفد، مثل موقفه من قضية كتاب « في الشعر الجاهلي » للدكتور طه حسين في سنة ١٩٢٦، وقد اغتنم بعض النواب الوفديين فرصة وجود بعض عبارات في الكتاب يمكن تفسيرها تفسيرا ينطوى على مخالفة ما ورد في القرآن للنيل من الدكتور طه ، والعمل على ابعاده من الجامعة ، وكانسعد يشايعهم في هذا الرأى لأن الدكتور طه حسين كان من أعلى المدافعين عن سياسة الاحرار الدستوريين بيانا واقواهم حجة ، ولكن العقاد لم يقم وزنا لكل هذه الاعتبارات لانه راى في دفاعه عن موقف الدكتور طه حسين دفاعا عن حرية الفكر التي يؤمن بها ، وتاييدا للثقافة التي ينتسب اليها ، ويراها اسمى من

المناورات الحزبية ، والخلافات المذهبية ...

ولما أقيم مهرجان برياسة سعد لتكريم شوقي في سنة ١٩٢٧ ومبايعته بإمارة الشعر لم يمنع ذلك العقاد من نقده اللاذع لشوقي وأدبه ، وحدثت في أعقاب ذلك مناقشة ودية بين العقاد وسعد أصر فيها العقاد على موقفه ...

ولما زار المندوب السامي في ذلك العهد « جورج لويد » مدينة المنيا في عهد وزارة زيور ، واحتفلت الادارة باستقباله ، لم يطق العقاد السكوت على ذلك ، وهاجم المندوب السامي هجوما عنيفا ...

ووجهت الى سعد الذي كان يقف موقف المعارضة من حكومة زيور تهمة تحريض العقاد على القيام بهذه الحملة ، فقال سعد لمن زجهوها اليه : **« انها تهمة لا أدفعها وشرف لا أدعيه »**

ومعنى ذلك كله ان العقاد برغم عمله في الصحافة وانتمـــائه الى حزب الوفد ظل حريصا على الاحتفاظ بحرية رأيه ، واستقلال تفكيره ، شأنه طوال حياته سواء في الأدب أو السياسة أو الاجتماع ، وقدم بذلك مثلا شرودا صالحا لكرامة الأديب،وحرية الصحافة ، وان خالف في ذلك المناهج الحزبية المأثورة من ضرورة مطابقة اراء أعضاء الحزب لسياسته العامة ، وتجانس موقفهم تلقاء الأزمات العارضة ، والخلافات الناجمة

وفي سنة ١٩٣٠، ترامت الاشاعات بأن الملك فؤاد سيحاول الاعتداء على الدستور ويعطله ويحل مجلس النواب ، فكبر ذلك على العقاد الذي يقدس الديمقراطية التي تقوم على أن الأمة مصدر السلطات ، وان الحكم الديمقراطي الصحيح يجب أن يرتكز على ارادة الشعب ، ولا يقوم الا على حرية أفراد الشعب وجماعاته في ابداء آرائهم ..

ولما عقد مجلس النواب اجتماعا خاصا للنظر فيما يدبر للحياة النيابية وقف العقاد خطيبا وانحى باللائمة على خصوم الأمة واعداء الدستور ، وقال كلمته المدوية الخالدة « ان الأمة على استعداد لأن تسحق أكبر رأس يخون الدستور او يعتدى عليه» وراحت بعض الصحف التابعة للوفد تنشر هذه الكلمة بالخط العريض،وتردد صداها في أنحاء مصر وفي خارجها ، وادرك الملك فؤاد انه المقصود بهذه الكلمة ... ولما مثل رئيس المجلس بين يدى الملك فؤاد في احدى المناسبات قال له الملك في خلال حديثه معه « عباس العقاد يريد ان يحطم رأسي » ... تحاول رئيس المجلس أن يهون وقع الكلمة في نفس الملك .

ولم تستطع السراى محاسبة العقاد لتمتعه حينذاك بالحصانة البرلمانية ، واخذ رجالها يتتبعون مقالات العقاد الشديدة اللهجة ليجسروا منهـــا الأدلة على العيب في « الذات الملكية » . وكتب العقاد في هذه الفترة سلسلة من المقالات تحمل على الرجعية وأعمالها ضد مصلحة مصر ، وعلم العقاد بما كان يدبر له فلم يصـــده ذلك عن الاسترسال في المصارحة بآرائه وجعل الأمة على بينة مما يكاد لها ، ولم يلبث أن قدم للمحاكمة بعد أن جمعت النيابة من الأدلة ما رأته كافيا للادانة ، وقضت المحكمة بحبسه تسعة أشهر ، وتلقى العقاد الحكم صابرا متجلدا .



ويصف لنا العقاد في كتابه القيم « عالم السدود والقيود » دخوله السجن قائلا :



سعد زغلول : موقف مشرف تجاه العقاد . .

« فتحت الكوة الصغيرة ، ثم فتح باب الرتاج الكبير ، ثم احتوانا البناء المقفور الذى يعرف فى مصلحة السجون باسم « سجن مصر العمومى » ويعرف على السنة الناس باسم « قره ميدان » اى الميدان الاسود باللغة التركية ، وخطر لى – وانا اخطو الخطوة الاولى فى ارض السجن – قول الفيلسوف ابن سينا وهو يخطو مثل هذه الخطوة :

دخول باليقين بلا امتراء
وكل الشك فى امر الخروج

فهو تقرير فلسفى صحيح للواقع !

اما الدخول فها هو ذا يقين لا شك فيه ، واما الشك كل الشك فهو فى امر الخروج متى يكون والى اين يكون ؟.. الى رجعة قريبة من السجن واليه ؟.. أم الى عالم الحياة مرة أخرى ؟ أم الى عالم الاموات ؟ ..

فى تلك اللحظة عاهدت نفسى لئن خرجت الى عالم الحياة لتكونن زيارتى الأولى الى عالم الأموات ، أو الى ساحة الخلود كما سميتها بعد ذلك – أى ضريح سعد زغلول ، ولم تقع منى هذه المرحلة بين الدار والسجن موقع المفاجأة لاننى كنت انتظرها منذ زمن طويل ولو على سبيل الحجز الذى ينتهى بافراج سريع ، ولكنى كنت لا ارى فرقا بين ايام او أسابيع اقضيها على ذمة التحقيق وبين مدة أقضيها فى الحبس بحكم القضاء ، لاننى كنت أقدر أن حبس التحقيق – وان قصر – كاف لان يصيبنى بأكبر الضرر الذى يخشاه الناس من السجن ، وهو ضرر العلة التى لا تزول »

ووفى العقاد بوعده ، فانه بعد أن أمضى فى السجن تسعة أشهر ، وأفرج عنه فى اوائل شهر يوليو سنة ١٩٣١ توجه الى ضريح سعد زغلول « وكأنه يلقاه فى بيت الأمة عقب معركة سياسية خرج منها خروج الظافرين » كما يقول الأستاذ طاهر الجبلاوى فى كتابه « من ذكرياتى فى صحبة العقاد »

والقى على القبر قصيدته التى أشار فيها الى استمساكه بمبدئه ، وعقده العزم على الاستمرار فى مقاومة اعداء الدستور وخصوم الأمة والعاملين على هدم الوفد ، وقد استهلها بقوله :

الى الذاهب الباقى ذهاب مجدد ... وعند ثرى سعد مثاب ومسجد
الى مرجع الاحرار فى الشرق كله ... الى قبلة فيها الامام موسد
نحيى من الدنيا التى نستعيدها ... مكانا من الدنيا له العود احمد
خرجت له اسعى وفى كل خطوة ... دعاء يؤدى او ولاء يؤكد
لأول من فك الخطا عن قيودها ... اوائل خطوى يوم لا يتقيد

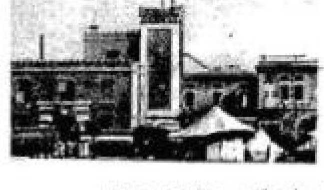
ويشير الى اقامته فى السجن قائلا :

وكنت جنين السجن تسعة أشهر ... فهاأنذا فى ساحة الخلد أولد
ففى كل يوم يولد المرء ذو الحجى ... وفى كل يوم ذو الجهالة يلحد
وما اقعدت لى ظلمة السجن عزمة ... فما كل ليل حين يغشاك مرقد
وما غيبتنى ظلمة السجن عن سنى ... من الرأى يتلو فرقدا منه فرقد
عداتى وصحبى لا اختلاف عليهم ... سيعهدنى كل كما كان يعهد

وصدق العقاد فى قوله .. واذكر انى قمت بزيارته بمناسبة خروجه من السجن فوجدته كعهدى به فى رباطة الجاش ، وصلابة العزم ، وتألق الفكر ، وكما عرفته لا يستكين للشدائد ، ولا يهن للأحداث ، ولا يدفعه الظلم والطغيان الى اتيان مايثلم مروءته ، أو ما يسىء الى رأيه وعقيدته ...

وبذلت جهود شتى لاجتذابه الى جانب القصر ، ولكنه لم يغير موقفه ، لان السجن لم يفل عزيمته ، ولانه لم يكن يفكر فى اجتلاب منفعة ، أو دفع مضرة ، وانما كان هدفه على الدوام استجلاء الحقيقة ، والوقوف الى جانب المبدأ الذى يدين به ، ويرى فيه مصلحة وطنه ، والخير للانسانية برمتها

وقد وصف لنا العقاد تجربته القاسية وخواطره وهو سجين وما الم بنفســـه من احاسيس فى كتابه « عالم السدود والقيود » وفى هذا الكتاب الموجز لمحات تذكرنى بكتاب الكاتب الروائى الروسى الكبير فيدور ديستويفسكى الذى سماه « بيت الميت ، أو حياة السجن فى سيبيريا » وهو من خير ما كتب فى تحليل نفسية المجرمين وتتبع بواعث الاجرام ودوافع الشر فى النفس الانسانية ، ويقول العقاد فى كتابه « من السهل على من يراقب أحوال هؤلاء السجناء أن يقسمهم قسمة عاجلة الى طائفتين من المجرمين مختلفتين فى البواعث والأخلاق وضروب الاجرام .



« فهناك مجرم الاعتداء الذى لا يبـــالى ايلام غيره .

« وهناك مجرم الغفلة الذى لا يبـــالى ما يجلبه على نفسه من العار والمهانة .

« واظهر ما يبدو من خلائق المجرم الاول — مجرم الاعتداء — أنه جامد الحس من ناحية الشعور بالألم على اطلاقه ، فهو يتحدث عن افجع المصائب ، واشنع حوادث القتل والتعذيب ، كأنه يتحدث عن فكاهة لا ازعاج فيها للسامع ولا للمتكلم ، وقلما يدرك استغرابك اذا انت استغربت هذه اللهجة منه فى وصف الفظائع والموجعـــات دون التفات منه الى وقعها ، أو مبالاة غرائبها أو المستمعين لقصصها ، وقد كان فى الدور السادس — وهو الدور الذى فوق دورنا الخامس فى عنابر السجن — فتى من قرى الصعيد قتل أخته لأنها هربت من أهلها ولاذت بدور البغاء ، فتعقبها حتى عثر بها فى الدار التى تسكنها ، وراوغها أياما وهو يخفى عنها قصده حتى اطمأنت اليه وسالمته ، ومهدت له صنوف المتعة بصواحبها وجاراتها ، وهو يتحين الفرصة لقتلها فى غفلة عمن حولها ، الى أن سنحت له ذات يوم فغافلها بطعنة سكين ، وانقض عليها بالطعنات دراكا حتى فارقت الحياة ...

ففى ليلة من ليالى السجن طاب له السمر ، واستدرجه زملاؤه فى الحجرات المجاورة له الى شرح قصته ، فما راعنى الا أن اسمع هذا الفتى يصف قتل أخته ، وكيف غرر بها ، وكيف تناول الطعام معها وهو يخفى السكين فى ثيابه ، ثم كيف طعنها بعد ذلك ، وكيف صاحت به تناديه باسم الاخوة ، وكناشدة حرمة المشاركة فى الامومة ، ثم كيف قضى عليها ، واحتز رأسها ، وسافر به الى بلده ليريه أنداده وقرناءه الذين عيروه من قبل واستطالوا عليه ، فلو أنه كان يتكلم عن ذبيحشاه أو دجاجة لما اختلفالامرولا تباينت اللهجة ، ولا كان أقل من ذلك مبالاة بما يقول واسترسالا فى النكات والمزاح كلما عبث به أصحابه ، وقصدوا احراجه ، واستفزاز طبعه ، وليس هذا كله من الغيرة على العرض والنخوة للكرامة ، فان الغيرة على العرض تثير الغضب والنقمة ولكنها لاتخلق البلادة ، ولا تنسى الانسان عما صنع بعد فوات الثورة ، وسكون الهياج ، ويقظة النفس للذكرى والاستعبار والأسف على ما كان من سبب القتل ، والاضطرار اليه



أحمد شوقي : لم يسلم من نقد العقاد .

ومع هذا فربما كان لهذا الفتى القروي الجاهل الخشن عذره من عادات قومه وشدة الغيرة في نفسه ، وربما كان يبالغ في الاستخفاف بفعلته لتخدير شعوره والأنفة من الندم على شيء هو من واجبه في شرع فتوته وفي شرع أبناء بلده ...

ولكني سمعت فتى متعلما يباهي بقليل ما تعلم من الدروس الابتدائية والثانوية ويكلم سجناء الحماية باللغة الانجليزية ليدلهم على حظه من الدراسة ، ويريهم أنه سليل طبقة غير طبقة المسجونين معه في مثل جرمه ، وكان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات لاشتراكه في جماعة مؤلفة للسطو على الأغنياء ، فلما استدرجوه ذات ليلة للكلام عن سبب سجنه لم يتردد في ذكر السبب الصحيح ، ولم تبد على كلامه مسحة من الندم والخجل ، وانما كان يبدو عليه الزهو بانتمائه الى جماعة لها فروع وقرارات ورؤساء أقسام واجتماعات ومداولات ، وكان يتحدث عن قتل من تقرر عندهم قتله كأنه يتحدث عن عقبة يفخر بالمهارة في ازالتها ، ولا يفرض لها حياة تصان وتتعلق بها الآلام والأحزان .

ويقول العقاد في تعليل هذه البلادة الحسية عند هذا النوع من المجرمين : « كنت أسمي هذه البلادة في هؤلاء المتكوبين « أنانية » أو امعانا في الأثرة العمياء لو كانوا يشعرون بالألم في نفوسهم ولا يشعرون بالألم في نفوس غيرهم ، ولكنهم على ما علمت من أطوارهم الكثيرة محجوبون عن شعور الألم حيث كان ، فلا يحسونه في أبدانهم ولا في ضمائرهم كما يحسه الآخرون فيما يعتريهم من الآلام الجسدية والفكرية ، وربما ضرب أحدهم رأسه بالحائط ضربا عنيفا داميا ليتهم غيره بضربه ، أو ربما وخز نفسه وعرض أعضاءه للتلف من أجل أيام قليلة يطمع في قضائها بالمستشفى أو تحت الرقابة الطبية ، وقد قطع أحدهم بضعة من جسمه بحديدة كليلة يكتبون عليها في السجن رقم السجين ، ولا تصلح للقطع الا بجهد شديد ، لأنه قدر أن هذه الفعلة قد توقع مأمور السجن في عقوبة أو شبهة اهمال ! »

واستخلص العقاد من ذلك أن « الآفة عند سجين الاعتداء انما هي آفة نقص في وظائف الشعور ، وليست آفة « الأنانية » على معناها الشائع المفهوم ، وليس ببعيد أن يجرم الانسان لفرط الشعور بالألم كما يجرم لقلة الشعور به في نفسه وفي غيره ، ولكن هذا الصنف من المجرمين نادر جد الندرة بين من شهدت في سجناء « قره ميدان » .

ويحلل العقاد نفسية مجرم الخسة قائلا : « أما مجرم الخسة الذي لا يبالي العار والمهانة فهو حقير بين ضراة المجرمين المعتدين ، يقولون عنه انه يدخل السجن في غير طائل ، ويصبر على الاهانة وسوء المعاملة من السجانين ولا يستثار ، ومعظم مايقترفه هؤلاء المجرمون « الأخساء » مقصور على صغائر السرقات ، والاحتيال على الصغار والأغرار وما الى ذلك من جرائم النذالة والطمع الوضيع ، وشعورهم بالعار ضعيف ، وشعورهم بالزهو أضعف ، ويعترفون على اخوانهم بأقبح الرذائل في غير حياء ولا احساس بفقدان الحياء ، ومع هذا تأبى الطبيعة الانسانية أن تحرم أحدا نصيبه من الزهو والمباهاة ، ولو كانوا أدنى الأدنياء ، فحتى هؤلاء يزهون فيما بينهم ببعض الخلال ، ويأخذون على أنفسهم بعض العيوب ، وبماذا يزهون ؟... يزهون بالافتنان في أساليب النذالة والاحتيال الشائن المرذول .. وعلى من يعيبون ؟... يعيبون على الجهلاء بتلك الأساليب ، وعلى المحدثين في الاجرام لأنهم بلهاء لا يفهمون الخدع و « المصطلحات » التي يفطن لها ذوو الدراية بالسجون ، وهم على كل حال لا يعدون الزهو الرخيص الذي لا يكلفهم جهدا من الجهود »

ويلحظ العقاد نقص حاسة الفكاهة والميل الى الغناء في المساجين فيقول « ولم أر الا

عددا يسيرا جدا يحسن الفكاهة ، وان كنت رأيت سجناء كثيرين هم موضوع فكاهة، ومثار ضحك ودعابة ، ولا اذكر أنني سمعت كلمات كثيرة تدل على فطنة للمواقف المضحكة والمساجلات النفسية اللطيفة ، وان كنت قد سمعت كثيرا من النكات المحفوظة والفكاهات المكررة التي يفوهون بها كما تفوه الببغاء بما يلقى اليها من الاصوات

ولم أسمع قط غناء حسنا من سجناء الجرائم العنيفة أو سجناء الجرائم الخسيسة ولكنني سمعت الغناء الحسن من بعض الفتيان المحكوم عليهم بالحبس في قضايا تهريب المخدرات وتعاطيها ، وهم في أغلب الاحايين مسخرون ينقادون لكبرائهم المسيطرين عليهم ، ولم تتفرس فيهم بعد نذالة الجريمة العامدة المدبرة التي تطلب الكسب من وراء الاضرار بالناس ، ومن كان منهم يتعاطى المخدرات فهو ضعيف يعتدي على نفسه وليس بمجرم من أولئك الجناة الأشرار الذين يعتدون على غيرهم عدوان المكيدة أو عدوان الضراوة »

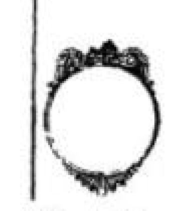
ويخرج العقاد من هذا التحليل بهذه النتيجة « فاذا اتخذنا الفكاهة والغناء مقياسا للخير والمحبة الانسانية في نفوس السجناء،فاهل الخير فيهم قليل ، وهذا القليل الوجود يشف - في اغلبه واعمه - عن معدن وضيع او معدن مشوب ، وان لم يجز لنا ان نقول ان الخير فيهم معدوم ، وان صلاحهم ميئوس منه ، ولا سيما حينما يعالجون بما يناسبهم ، وحين يقترن حسن النية في علاجهم بالفكرة الرشيدة ، والعزم الصبور»

ويعلل ميل السجناء الى الغناء، كما يغني الطلقاء والأبرياء بقوله « ربما كانوا اشد كلفا بالشدو والهتاف من الطليق المرسل على ارساله ، لان رفع الصوت وسيلة من وسائل الشعور عندهم بالحرية ، وارسال النفس على السجية ، فهو مطلوب لهذا الغرض ، ولو لم يكن فيه طرب او سلوى ..


مصطفى كامل . زعيم الحزب الوطني

ولا حاجة بالانسان الى دخول السجن لعرفان هذه الحقيقة بل لاستماع هذه الحقيقة الصارخة من مسافة بعيدة ، فان العبور على مقربة من السجن بين العشاء والساعة التاسعة كاف لاستماع ما يسمعه السجناء في الداخل من الغناء والهتاف ، وقلما تمر ليلة دون أن يدوي السجن باناشيد اهل الصعيد ومواويل أبناء البلد على اختلاط لا تمييز فيه بين السامع والمسموع »

ويتوه العقاد بنوازع الخير التي وجدها في نفوس بعض السجناء فيقول « ومنهم - وهم القليل - من كان ينطوي على كرم مأثور ، ويلوح لنا من بعض بوادره وتصرفاته انه يقبل على نفسه حالة السجن ومشاكله وآلامه ولا يقبل أن يعانيها رجل من ذوي الصناعة الفكرية ، كأنه يحس في قرارة ضميره بفارق بين عمله وعملنا ، وسائقه الى السجن وسائقنا ، ولا يأنف أن يعترف بهذا الفارق ثم يرجح كفتنا على كفته عند الموازنة »



العقاد

وعنى العقاد بملاحظة تأثير الواعظين فى السجناء وهل يؤثر الوعظ فى اصـــلاح نفوسهم وتقويم اعوجاجهم وجعلهم يندمون على ما فرط منهم وما تورطوا فيـــه من الاثم والخطيئة ، فيقول « وكان يعنينى أن أراقب السجناء حين يحضرون الى العظات وحين ينصرفون ، لأرى كيف يقبلون عليها وكيف ينصرفون عنها وكيف — فيما أعلم بين ذلك — يستمعون اليها ، فبدا لى أن أناسا منهم يحضرون بروح الهازىء المستخف الذى يتحدى الواعظ بشقاوته واستعصاء أمره ...

وأناس منهم يرحبون بساعة الوعظ كما يرحب التلميذ بساعة لعب يستريح فيها من حصة الدراسة ، ويأنس فيها بالجلوس بين اخوانه فى شىء من الطلاقة والسماحة

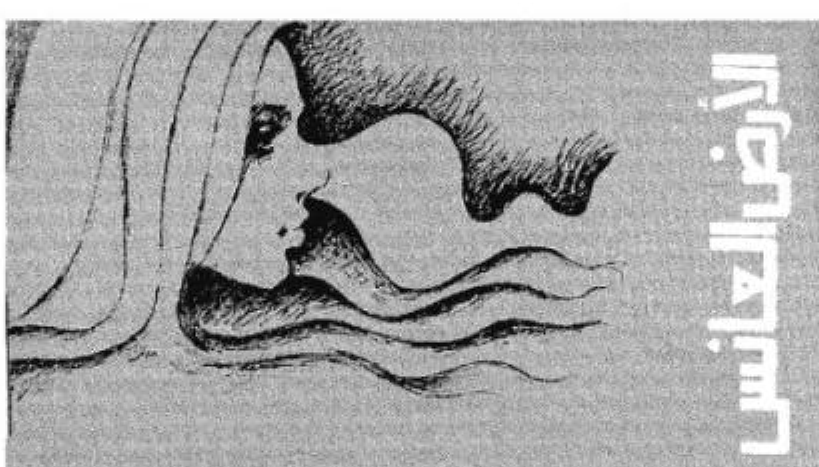
وأناس اخرون يرحبون بساعة الوعظ لانهم يغتنمون فيها الفرصة حتى يزجرهم الواعظ ويصب عليهم اللوم والتبكيت ليبثوه الشكوى من قســـوة الحراس وجور الأحكام ، ويلقوا شيئا من اللوم على الايام ، ولا تخلو جموعهم من أفراد تلمحهم عند انصرافهم منكسى الرءوس كاســـفى البـــال من أثر الوعظ أو من تداعى الخواطر واسترسال الخيال ، وربما سمعتهم يرثون لانفسهم ويندمون على ما فرط منهم ، ويودون لو عصمهم الله وردهم أناسا كسائر خلقه لا يعرفون المحاكم والســـجون ، ولا يبتغون العيش الا من الرزق الحلال ، ناعمين وادعين بين الامهات والآباء والازواج والأبناء ... »

ومن المسائل النفسية التى لفتت نظر العقاد فى نزلاء السجون مسألة شدة الشعور بالزمن وهو يقول « الوقت أعدى أعـــداء السجين ، فلو اهتدى الى طريقة يخلص بها من وقته لاهتدى الى طريقة يخلص بها من سجنه ، والوقت فى كل مكان من ذهب كما يقولون الا فى السجن وما شابه السجن فهو من رصاص ان أردت ثقله وبشاعة اسمه ، وهو من تراب ان أردت رخصه ومضايقته ، والرغبة فى كنسه ، الوقت أثقل شىء على وجدان السجين وأخف شىء على لسانه ، كلّ دقيقة فيه محسوسة محسوبة وكل دقيقة فيه حسبة يراد اسقاطها من الحساب ، وما هكذا يكون الوقت فى غير السجون »

ويؤكد العقاد ملاحظته النفسية بما قاله فى هذا الصدد ديستويفسكى يصف منفاه وسجنه فى سيبريا « من اليوم الاول بدأت أحلم بيوم الخلاص ، وأحصى الوفا والوفا من المرات على الوف والوف من الطرائق والانماط مقدار أيامى التى سأقضيهـــا فى المعتقل ، وكنت افكر فى ذلك دون غيره ، وكلٌ من حرم الحرية فترة محدودة من الزمن فانما يفكر على هذه الوتيرة ، وانى من ذلك لعلى اتم يقين »

ويحسب الناس ان يوم خروج السجين من السجن من اسعد ايامه او اسعدها على الاطلاق ، ولكن الشعور كما يقول العقاد « يجرى على منطق غير هذا المنطق ، وينقاد لاحكام غير هذه الاحكام ، فيوم الافراج يوم لا تهتز له نفس السجين بسرور عظيم ولا تقبل فيه على موعد جديد »

ولكن ما سبب ذلك ؟ « سببه كما يقول العقاد » هو بعينه السبب الذى يحسبونه جالبا للفرح واللهفة والتهلل والاغتباط ، وهو ان السجين قد انتظره مئات الايام او الوف الايام »



أذرتِ النائباتُ زهري وعشبي
وكستني بلاءَها الأحداثُ

مذ توالى على كراسيَّ في السنِّ
شيوخٌ وفي الحجى أحداثُ

فحقولي بعد الشبابِ مواتٌ
والقرى بعد هجرِهم أجداثُ

انا حرثٌ مقدسٌ بَيدَ أني
أعرضتْ عن بناتيَ الحُرّاثُ

كم وكم عانسٍ بسفحيَ بكرٍ
تشتهي ان يمسَّها المِحراثُ

أينَ من أولدوا صخوري كروما
أفحولٌ أبناؤهم أم إناثُ

جنةَ الخلدِ كنتُ بالأمس حتى
طلقتني وفرّتِ الورّاثُ

● البربارة ـ لبنان ● الشاعر القروي ●

محمود سامي البارودي

سجين المنفى البعيد

● حسن كامل الصيرفي ●

كانت الثورة العرابية صيحة أذان للروح المصرى ـ فى حياته الاجتماعية والسياسية ـ بأن ينبعث بعد همود ، وأن يلتهب بعد خمود ، وأن يتحرك بعد جمود ، لينفض عن وجهه سواد تلك الملامح الكريهة التى تميز سيما من مسود .

وكانت تلك الثورة أيضا صيحة أذان للفكر المصرى ـ فى حياته الثقافية فى الاسلوب النثرى بعامة والاسلوب الشعرى بخاصة ـ بأن يستيقظ بعد رقود ، وأن ينهض بعد ركود ، وأن يتخلص من بعض قيود ، ليقترب من عوالم جديدة يكشف آفاقها أو يرود .

لقد حمل لواء الثورة السياسية والاجتماعية احمد عرابى وحده محمود سامى البارودى وعدد من رجال الجيش المصرى .. أما فى الثورة الفكرية فقد حمل لواء الشعر فيها وحده محمود سامى البارودى ، كما حمل لواء النثر فيها عبد الله النديم خطيب الثورة ، ثم انضم اليهما الشيخ محمد عبده وغيره من الكتاب .



على ان بذور الثورتين ـ الفكرية ثم السياسية والاجتماعية ـ كانت تنمو في نفس الفتى الجركسي الاصل، المصري المنبت « محمود سامي البارودي » في وقت واحد ، لكن واحدة منهما ـ وهي الثورة الفكرية ـ كانت أسبق الى الظهور والنمو والازدهار قبل اختها السياسية والاجتماعية ، لانها لم تجد في طريقها من العوائق ما يصدها ويقيدها ، أو يقف في وجهها يكتم انفاسها ويخمدها ، في حين وقفت قوى داخلية وخارجيـــة أمام الثورة الاخرى تضربها وتشردها ·

ذلك ان « البارودي » كان يعمل على الثورة الاولى وتحـــريكها بنفسه منذ

صباه معدا لها كل وسائل الظفر والنصر من عزيمة موحدة ومواهب متفـردة معتمدا على سجيته وطبعه باطلاع لا حد له على المتخير من فصيح الكلم ورائع الشعر ، حتى استطاع أن يحتل مكان الصدارة فى الشعر لا ينازعه أحد وأن يدفع بهذا الفن ـ بعد نكسـته ـ الى نهضة امتدت فيما أعقبه من أجيـال الشعراء • وعاد بديباجته الى عصوره الزاهية المشرقة ، بحيث لو دست قصيدة من شعره بين أشعار المتقدمين من فحول الشعراء لتعذر على الكثيرين تمييزها من بين شعر أولئك القدامى •

واستطاع « البارودى » بهذه القـدرة على محاكاة الفحول فى صـياغته وديباجته ، وبتلك الفصاحة التى ملك ناصيتها وشد أعنتها أن يمحو عن وجهه الادبى ـ ان لم يكن كذلك عن وجهه الخلقى ـ جركسيته ، ويقيم لنفسه ولشعره عروبة قوية الجذور ضـاربة فى أرض البيان العربى الى أبعد الاعماق •• وبالغة بأغصانها عنان السماء ، ومتخطية بثمارها وراء الآفاق •

وخرج « البارودى » على الناس ، وعلى ناسجى بردة النظم فى عصره ، بشىء اسمه « الشعر » روحاً وجسدا • فهو يرى أن الشعر ، كما يقول : « لمعة خيالية يتألق وميضها فى سماوة الفكر، فتنبعث أشعتها الى صحيفة القلب ، فيفيض بلألائها نورا يتصل خيطه بأسلة اللسان ، فينفث بالوان من الحكمة ينبلج بها الحالك ، ويهتدى بدليلها السالك • وخير الكلام ما ائتلفت ألفاظه ، وائتلفت معانيه ، وكان قريب المأخذ ، بعيد المرمى سليما من وصمة التكلف ، بريئا من عشوة التعسف ، غنيـا عن مراجعة الفكرة • فهذه صفة الشعر الجيد » •

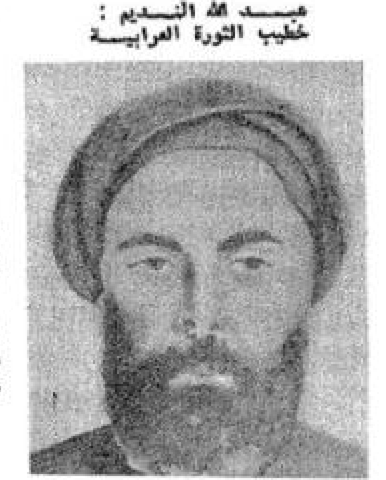
واسترعى شعر البارودى اسـماع الناس فى العالم العربى قاطبة ، وتنبه الناس الى يقظة تفتح أجفان الشعر بعد طول خمول ، وحيـاة تدب فى أزهار رياضه بعد نصول وذبول ••

يقول الدكتور محمد حسين هيكل ، وهو يسائل نفسه : « ما الجديد الذى استرعى الاسماع فى شعر البارودى ؟

اهو الاسلوب الجزل والديبـاجة البدوية اللذان تجليا فى كثير منه ؟ »

ثم يرد على سؤاله فيقول : « لكن أسلوب الساعاتى (محمود صفوت الساعاتى) وديباجته كانا لا يخلوان من جـزالة وبداوة ، وقد نزع جميع الشعراء ابان **هذه النهضة الاولى ذلك المنزع ، فان فاقهم البارودى وسما عليهم فلا جـديد فى تفوقه • انما الجديد الذى استرعى الاسماع لشعره ودعا الى الاعجاب به هو نزوعه الى تصوير الواقع كما هو فى بساطة وسلاسة وقوة ، ودون اعتماد على محسنات اللفظ البديعية من جناس**

عبـد الله النـديم : خطيب الثورة العرابيـة



وطباق ونحوهما ، وبدون اغراب في الخيال،ان اثار العجب لم يثر الاعجاب".
وانطلقت قيثارة « البارودى » صافية الشدو ، عذبة اللحن ، صادقة التعبير عن خلجات النفس ومكنونات الفؤاد . ولقد صدق بحق حين قال :

اقول بطبع لست احتاج بعـــده   الى المنهل المطروق والمنهج الوعـر

واستوى هذا الشـاعر على عرش الشعر عربيا أصيلا لاتبدو على ملامح شعره اثارة من عجمة ، أو غبارة من غربة .

● هذا الطموح البعيد ●

لقد كان طموحه فى هذه الناحيـــة الفكرية املا راود ذهنه صبيا وشـابا حتى استطاع أن يحققه قبل أن يطأ اعتاب الكهولة ، واستطاع أن يقيم له ملكا ادبيا لا ينافسه فيه معاصروه ولم يستطيعوا فيه أن يثوروا عليه أو يزحزحوه عنه أو يعزلوه .

أما فى الناحية السياسية فقد كان يطمح الى ان يحقق أملا فى أعماق نفسه يساوره وامنية تجيش فى صـــدره وتخامره ، وغرضا أبعد من ان يقف عند



حد ضـــابط فى الجيش كبير أو عند منصب وزير فى وزارة تستقيل أو تقال ولقد كشف بيت شعر له من قصيدة عن هذا الطموح البعيد حيث قال :

وانى امرؤ لولا العــوائق اذعنت   لسلطانه البدو المغيرة والحضر .

وكأنى بهذا الرجل وقد طوى كشحيه على حقد يخفيه لهذه الأسرة الحاكمـة التى قضى عاهلها الاول على حكم اجداده المماليك ، وذلك على الرغم من دفـع اسماعيل له فى سلم الترقى واصبح امين سره ، وولى الوزارة ورئاستها فى عهد توفيق ، وكان يتحين الفرص لتنفيـذ غرضه ، ولكنه كان يخشى مغبة هــذا الامر . ولم يخف ذلك على « احمـد عرابى » فقد ذكر فى مذكراته فى أوائل شــهر يناير سنة ١٨٨٢ انه خــلا بالبارودى ، وكان الحديث يدور حـول

نشر الحرية فى مصر وملحقاتها بعد مضى خمسة آلاف سنة على المصريين وهم يرسفون فى قيود الاستبداد ، وراح البارودى يغريه بالمناداة باسمه خديويا لمصر اذا رغب ذلك ، وأن عرابى ذكر له أنه لا يريد انتقال الاريكة الخديوية الى عائلة اخرى لما فى ذلك من الضرر· وأضاف عرابى قوله له : « مع علمى بأنك تنتسب الى الملك الاشرف برسباى » .

ويذكر الدكتور محمد صبرى فى كتابه « ادب وتاريخ » ان صاحب « الهلال » روى ان البارودى كان شديد الحرص على معرفة نسبه ، وانه بذل نحو ثلاثة آلاف جنيه فى سبيل البحث عنه فى انحاء القطر ومراجعة النصوص وغير ذلك ·

فهل كان يريد من وراء ذلك شيئاغير تحقيق الغرض الذى كان يرنو اليه ؟ لا · · · لولا العوائق ·

● دعائم الحكم النيابى ●

ولد « محمود سامى البارودى » سنة ١٨٣٨ اى قبل أن تنحدر شمس « محمد على » الى المغيب باحدى عشرة سنة . وذلك بسراى البارودى بباب الخلق بالقاهرة من ابوين جركسيين ، فأبوه هو حسن بك حسنى الذى كان من أمراء الدفعية ثم صار مديرا لدنقلة وبربر فى عهد محمد على · وجده هو عبد الله بك الجركسى أحد الكشاف فى ذلك العهد أيضا · وكان نسبه ينتهى ـ كما يقول الاستاذ الدكتور محمد صبرى ـ الى المقام السيفى نوروز الاتابكى أخى برسباى قرا المحمدى ·

أما لقب « البارودى » فيرجع الى هذا اللقب الذى لحق باسم احد اجداده الامير مراد البارودى بن يوسف شاهين الذى كان ملتزما لناحية « ايتاى البارود » فى محافظة البحيرة ، وكان كل ملتزم ينسب الى ناحية التزامه ·

ومات ابوه فى دنقلة حين كان ابنه « محمود فى السابعة من عمره · وفى داره تلقى الطفل علومه على أيدى بعض الاساتذة ، حتى اذا بلغ الثانية عشرة التحق بالمدرسة الحربية ليتخرج فيها بعد اربع سنوات اى سنة ١٨٥٤ فى عهد سعيد ، والجيش المصرى مسرح لا وجود له ، فذهب الى الاستانة ، وتقلد بها احدى الوظائف · وكما انكب هو فى مصر على الادب العربى يعب من ينابيعه الصافية ، فقد انكب وهو فى الاستانة على الادبين التركى والفارسى ينهل من جداولهما ·

ثم عاد الى مصر فى عهد اسماعيل ، وكان قد اعيد تكوين جيش لمصر فالتحق بهذا الجيش ورقى الى رتبة « بكباشى » ، ثم الى رتبة « قائمقام » فرتبة « اميرالاى » وخاض غمار الحروب فى ثورة كريد سنة ١٨٦٦ اذ كان من ضباط الجيش الذى انفذته مصر لاخماد تلك الثورة ، وانتصر على الثوار ، كما ذكر الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه « الثورة العرابية » ·

واشترك سنة ١٨٧٧ فى الجيش الذى امدت به مصر تركيا فى حربها مع روسيا · وعاد من هذه الحرب ليرقى الى رتبة « اللواء » ، ثم عين مديرا للشرقية ، فمحافظا للعاصمة فى أواخر أيام اسماعيل · وفى هذه الفترة بالذات كان

البارودى يتقرب الى شعب مصر المحكوم يحس بآلامه وآماله ، حتى أن عرابى قال عنه فى مذكراته حين التقى به وهو محافظ العاصمة انه آنس « فيه تأففا من الظلم وميلا الى العدل » . وصحيح أن البارودى لم يكن يكتم هذا التأفف فى نفسه ، بل ظهر فى شعره ثائرا منذرا حين قال :

اصبرا على مس الهوان ، وانتم عديد الحصى ؟ . انى الى الله راجع
وكيف ترون الذل دار اقامة وذلك فضل الله فى الارض واسع
ارى ارؤسا قد اينعت لحصادها فاين ـ ولا اين ـ السيوف القواطع
فكونوا حصيدا خامدين أو افزعوا الى الحرب حتى يدفع الضيم دافع

ويتولى الخديو « توفيق » أمر البلاد فى يونيه ١٨٧٩ ـ وكان قبل توليه على اتصال بالداعين الى الاصلاح والى اقامة أسس الشورى قوية راسخة . وفى مقدمتهم جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وغيرهما ـ فيختار « البارودى » وزيرا للمعارف والاوقاف . وحين ثار العسكريون المصريون على ناظر الحربية الجركسى عثمان رفقي أسند اليه هذه الوزارة . وكان البارودى قد نجح فى محو جركسيته فى السياسة ، كما محاها فى الادب ، وكسب حب المصريين وثقتهم وبخاصة رجال الجيش . وكان لنجاحه الادبى وما فاض به شعره من حب مصر والتغنى بجمالها أثر كبير فى التمهيد لنجاحه السياسى .

وانا لنجده يخاطب توفيقا بعد توليه بهذه الابيات التي يدعوه فيها الى تثبيت دعائم الحكم النيابى فى البلاد فيقول :

هيهات يحيا الملك دون مشورة
ويعز ركن المجد ما لم يعمد
فالسيف لا يمضى بدون روية
والراى لا يمضى بغير مهند
فاعكف على الشورى تجد فى طيها
من بينات الحكم ما لم يوجد
لا غرو ان ابصرت فى صفحاتها
صور الحوادث ، فهى مرآة الغد
فالعقل كالمنظار يبصر ما نأى
عنه قريبا ، دون لمس باليد
وكفاك علمك بالامور ، وليس من
سلك السبيل كحائر لم يهتد



د. محمد حسين هيكل : رأى فى شعر البارودى .

ولكن هذا الحاكم الجديد لم يلبث الا قليلا ثم تغير فى شهر أغسطس من تلك السنة التي تولى فيها الامر ، فالف بعد استقالة شريف باشا وزارة تولى هو رياستها ، كان من بينها البارودى وزيرا للاوقاف ، ثم الغى مجلس النظار ،

وأعاد الرقابة الثنائية التي تقضي بتعيين رقيبين أحدهما انجليزي للايرادات وآخر فرنسي للمصروفات وكان هذا من نتائج الديون التي أبهظ بها أبوه اسماعيل كاهل البلاد ، ثم أصدرت الوزارة قرارا بنفي جمال الدين الافغاني . ثم عاد فأسند في شهر سبتمبر من تلك السنة أيضا رياسة الوزارة الى رياض باشا الذي كان يميل الى الحكم المطلق والى القضاء على الحكم النيابي ـ مع انه كان مصري الاصل كما أثبت الاستاذ الرافعي ـ وضمت هذه الوزارة البارودي أيضا ناظرا للأوقاف .

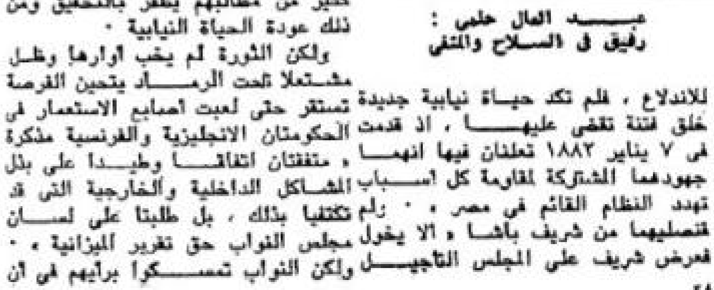
● صوت يتخطى الحدود ●

وبدأت نذر الثورة تلوح في الجو، فقد أنشأ جماعة من الناقمين على سياسة رياض حزبا سموه : « الحزب الوطني » وكانوا يجتمعون في منزل سلطان باشا ، ومن بينهم أحمد عرابي والبارودي نفسه ، فقد كان رياض باشا المصري الاصل يرى ايثار البارودي الجركسي الاصل لشعب مصر جريمة ، فدس عليه عند توفيق ، فاضطره الى الاستقالة .



عبد العال حلمي :
رفيق في السلاح والمنفى

وتأزمت الامور بعد اعتقال عرابي وعلي فهمي وعبد العال حلمي الضباط المصريين في أول فبراير سنة ١٨٨١ وهم الذين ثاروا على تصرفات عثمان رفقي وزير الحربية الجركسي وتمييزه أبناء جنسه على أبناء البلد الذي يعيشون فيه ، فاقتحم فريق من رجال الجيش المصريين قصر النيل وأطلقوا سراح الضباط الثلاثة فرأى توفيق أن يسند وزارة الحربية الى البارودي ، ولكن رياض استقال ، وشكلت وزارة برياسة شريف باشا ، دخلها البارودي وزيرا للحربية استجابة لمطالب العرابيين ، كما بدا كثير من مطالبهم يظفر بالتحقيق ومن ذلك عودة الحياة النيابية .



ولكن الثورة لم يخب أوارها وظل مشتعلا تحت الرماد يتحين الفرصة للاندلاع ، فلم تكد حياة نيابية جديدة تستقر حتى لعبت أصابع الاستعمار في خلق فتنة تقضي عليها ، اذ قدمت الحكومتان الانجليزية والفرنسية مذكرة في ٧ يناير ١٨٨٢ تعلنان فيها انهما « متفقتان اتفاقا وطيدا على بذل جهودهما المشتركة لمقاومة كل أسباب المشاكل الداخلية والخارجية التي قد تهدد النظام القائم في مصر » . ولم تكتفيا بذلك ، بل طلبتا على لسان قنصليهما من شريف باشا « الا يخول مجلس النواب حق تقرير الميزانية » . فعرض شريف على المجلس التأجيل ولكن النواب تمسكوا برأيهم في أن

يقروا الميزانية فورا وطلبوا اسـقاط الوزارة ٠

والف البارودى وزارة جديدة دخلها عرابي وزيرا للحـربية والبحـرية ، واستقبلها الشـعب بالابتهاج ، ولكن الفتنة النائمة بدات تستيقظ ، فقد تآمر بعض الضباط الجراكسة لاغتيال عرابي، وقدموا لمجلس عسكرى حكم على عدد كبير ، منهم عثمان رفقى ، بالنفى المؤبد الى اقاصى السـودان مع تجريدهم من الرتب العسكرية ٠ ولكن الخديو رفض التصديق عليه ، ودب بشأنه خلاف بينه وبين الوزارة ، وكان موقف البـارودى رائعا فى تمسكه وفى لومه للخديو على استشارته قنصلى انجلترا وفرنسا فى هذا الأمر ٠

وبدا لانجلترا وفرنسا أن الفرصة قد سنحت لتحقيق مطامعهما الاستعمارية فقـاما بمظاهرة بحرية فى ميـناء الاسكندرية ، ثم قدم قنصلاهما مذكرة يطلبان فيها استقالة الوزارة ، وابعاد عرابى عن مصر مؤقتا ، وتحديد اقامة عبد العال حلمى وعلى فهمى الديب فى الأرياف ٠ واسـتقالت وزارة البارودى احتجاجا على هذه المطالب فى ٢٦ مايو ١٨٨٢ ٠

وهنا سـاءت الأمور ، وظل منصب الوزارة شاغرا ثلاثة أسابيع ، وبدأت الأحداث تتوالى كالظلمات يأخذ بعضها بتلابيب بعض ، وافتعلت الدولتـان الاستعماريتان احداثا تبرر ما يقدمان عليـه من طيش ، فا فتعلـوا مذبحة الاسـكندرية ، ثم ضرباها بالقنابل ٠ وبدات احداث خطيرة تجتاح البلاد ، وانحاز الخديو الى المستعمرين يحمونه من غضب الشعب ٠ وقامت الحرب بين قوتين غير متكافئتين فى العدة والعدد وفى التجهيز والمدد ، وفى خطط رسم لها العدو من قبل ، وتتحـالف قوى الطغيـان والبغى فى الداخل مع قوى الطمع والاستعمار من الخارج ، لتضرب الثورة التى انتفضت ، وتخمد الشعلة التى اتقدت ٠

ويقدم زعماء الثورة للمحاكمة فتقضى على السبعة الكبار منهم بالاعدام ، ثم يعدل بالنفى الى « سـيلان » وتقلهم الباخرة ، ليقضى البارودى فى منفـاه سبعة عشر عاما يتخطف الموت خلالها زوجه وأحباءه ، ويتحول زئير الأسـد الى أهازيج بلبل فى قفص ، ونسـتمع الى صدى صوته يتخطى الحدود يردد قوله :

ولما وقفنا للوداع ، وأسـبلت	مدامعنـا فوق الترائب كالمزن
أهبت بصـبرى أن يعود فعزنى	وناديت حلمى أن يثوب فلم يغن
وما هى الا خطـرة ثم اقلعـت	بنا عن شطوط الحى اجنحة السفن
فكم مهجة من زفرة الوجد فى لظى	وكم مقلة من غزرة الدمع فى دجن

ونسمعه يقول ، وهو فى سجنه :



احمـــد عرابى · حمل لواء الثورة السياسية والاجتماعيـــــه · · ·

شفنى وجدى ، وابلانى السهر … وتغشتنى سمادير الكدر
فسواد الليل ما ان ينقضى … وبياض الصبح ما ان ينتظر
لا انيس يسمع الشكوى ، ولا … خبر يأتى ، ولا طيف يمر

بين حيطان وباب موصد … كلما حركه السجان صر
يتمشى دونه ، حتى اذا … لحقته نبأة منى استقر
كلما درت لاقضى حاجتى … قالت الظلمة : مهلا ، لا تدر

ويفيض به الحنين الجارف والشوق المضطرم الى اهله وجيرانه فيقول :

أحن الى اهلي ، وانكر جيرتى … واشتاق خلانى ، واصبو لالفى
فلا انا أسلو عن هواى فانتهى … ولا انا الفى من أحب فاشتفى

وانى على ما كان من سرف النوى … لباق على ودى‌لمن كنت اصطفى
سجية نفس لا تميل مع الهوى … وذمة عهد بين سيف ومصحف

ويتشوق الى وطنه فى أسى وحرقه فيقول:

لا فى « سرنديب » لى خل الوذ به … ولا انيس سوى همى واطراقى

ابيت أرعى نجوم الليل مرتفقا … فى قنة عز مرقاها على الراقى
تقلدت من جمان الشهب منطقة … معقودة بوشاح غير مقلاق

ويسرع خياله الى جمال وطنه فيهتف هتاف البار الحنون : ؟

يا روضة النيل ، لامستك بائقة … ولا عدتك سماء ذات اغداق
ولا برحت من الأوراق فى حلل … من سندس عبقرى الوشى براق

يا حبذا نسم من جوها عبـــق ... يسرى على جدول بالمـــاء دفاق
بل حبذا دوحة تدعو الهديل بهـا ... عند الصـــباح قمارى باطواق
مرعى جيادى،ومأوى جيرتى،وحمى ... قومى، ومنبت ادابى واعــراقى
اصبو اليها على بعد ، ويعجبنى ... انى اعيش بهـــا فى ثوب املاق

ويقول فى اباء جريح وعزة مكلومة ، ولكنها ترتفع عن الضعة :

ولولا تكاليف الســيادة لم يخب ... جبان ، ولم يمحو الفضيلة ثائر
تقل دواعى النفس وهى ضــعيفة ... وتقوى هموم القلب وهو مغــامر
وكيف يبين الفضل والنقص فى الورى ... اذا لم تكن سوم الرجال المـــاثر

وهذه الابيات من قصيدة قالها ، وقد طاف به فى المنام خيال ابنته الوسطى بعد وصوله الى سرنديب فقال :

فيا بعـــد ما بينى وبين احبتى ... ويا قرب ما التفت عليه الضــمائر
ولولا امانى النفس وهى حياتهـــا ... لما طار لى فوق البسيطة طـــائر

ويرد اليه وهو فى سرنديب نعى زوجه فيرثيها بقصيدة تقطر حسرة ، كل بيت منها فيه لذع جمرة . نسمعه يقول فيها :

لا لوعتى تدع الفؤاد ، ولا يدى ... تقوى على رد الحبيب الغــادى
يا دهـــر فيم فجعتنى بحليلة ... كانت خلاصة عدتى وعتـــادى
ان كنت لم ترحم ضناى لبعـدها ... افـــلا رحمت من الاسى اولادى

ثم يقول :

ولهى عليك مصاحب لمســيرتى ... والدمع فيك ملازم لو ســـادى
فاذا انتبهت فانت اول ذكــرتى ... واذا أويت فانت اخـــر زادى

**

ويبدأ النظر الثاقب ، الذى كان يصور لنا مفاتن الطبيعة فى مصر وفى سرنديب وكندى ، ومشاهد الوقائع التى خاضها فى اليونان والقرم ، يضعف وهو فى منفاه ، فنسمعه فى اسى يقول :

لا ارى الشىء حين يســنح الا ... كخيال ، كاننى فى ضــــباب
واذا ما دعيت حـــرت ، كانى ... اسمع الصوت من وراء حجـــاب
كلما رمت نهضة اقعـــدتنى ... ونية لا تقلها اعصــــابى
لم تدع صولة الحـــوادث منى ... غير اشلاء همة فى ثيـــاب

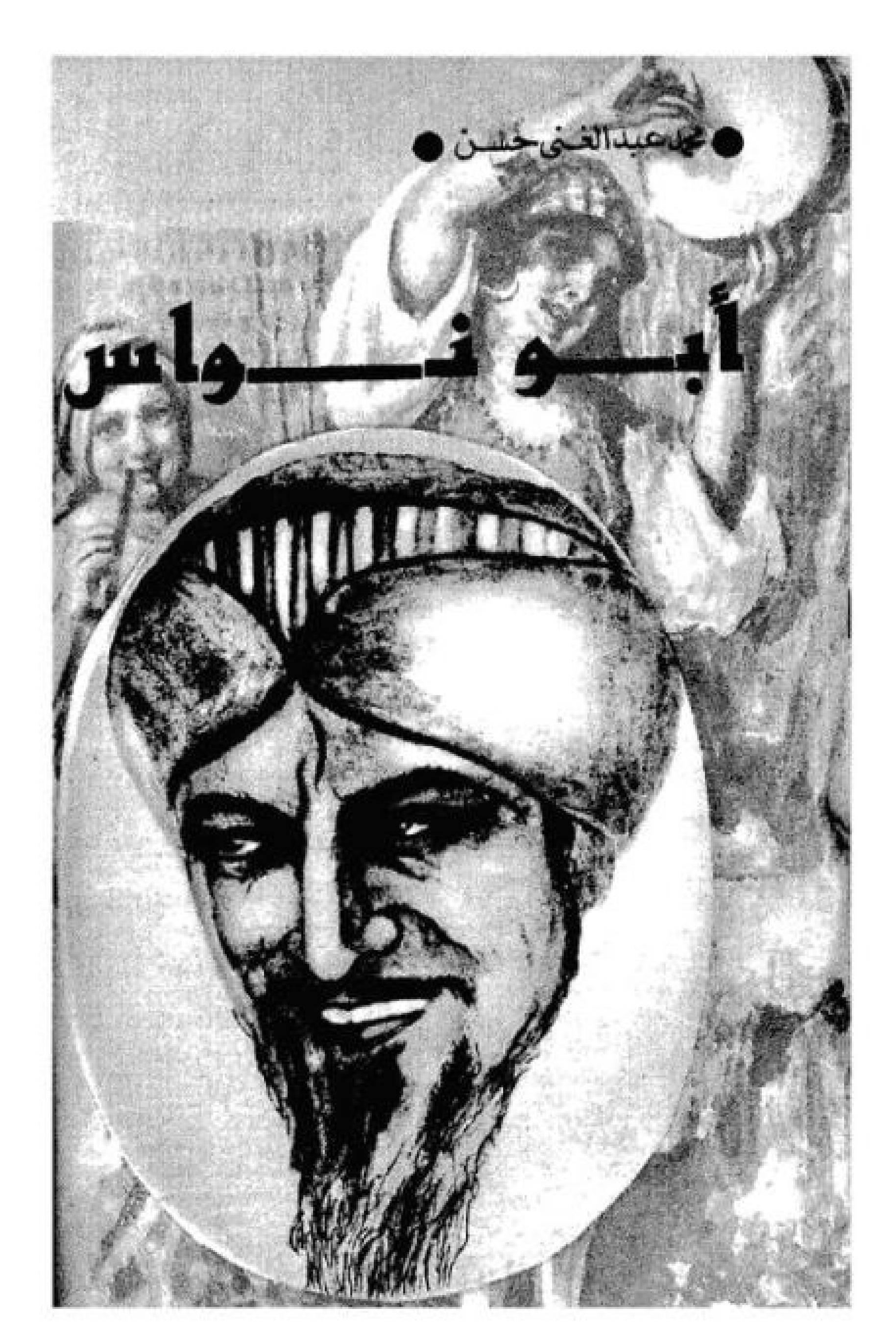
ويعود البارودى الى وطنه بعد السبعة عشر عاما ، وهو بين شك ويقين :

اســـمع فى قلبى دبيب المنى ... والمح الشبهة فى خاطـــرى

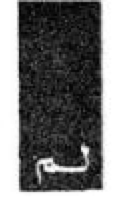
ويصافح هواء وطنه وجهه ، وتمس قدماه أرض هذا الوطن ، ويتأمل ماحوله بهذا البصيص الضعيف الذى بقى فى ناظريه ، فيهتف :

ابابل مرأى العين ام هـــذه مصر ... فانى أرى فيها عيونا هى السحر

وترد اليه حقوقه . ويستمتع فى وطنه بسنوات أربع ، ولكن بصره الذى كان قد ضــعف بدأ نوره يغرب قبل أن تغرب شمس رب السيف والقلم الذى أسلم أنفاســه مع الايام الاخيرة من عام ١٩٠٤ ليبقى شعره واثره فى انتشال الشعر من وهدته خـــالدين لايغربـــان ...


محمد عبدالغني حسن
أبو نواس

....وراء القضبان



لم يكن « سجن المطبق » المشهير في أوائل العصر العباسي أول سجن شيد في الاسلام، فقد قامت من قبله سجون في العصر الاموى وعصر الخلفاء الراشدين ما دامت الحدود في الاسلام تقتضى الحبس وغيره من العقوبات التي يجد ها القارىء الكريم في كتب الحدود·· فالسدود ، والقيود ، والقضبان ، والاغلال ، والسجون ، ليست جديدة في الادب العربي ، بل هي قديمة قدم العقوبة في التشريع الاسلامي · ولكن « سجن المطبق » الذي نزل به الشاعر أبو نواس غير مرة كان شيئا جديدا في حياة المجتمع الاسلامي · اقامه الخليفة أبو جعفر المنصور فيما اقامه من المنشآت والدور والقصور عندما استقدم المهندسين من كل مكان لتخطيط « بغداد » ··

فقد اقام « قصر الذهب » بما اشتمل عليه من مقاصير مرقشة بخطوط ذهبية وأصباغ زاهية ، وعمر بجانب القصر مسجدا جميلا سمي مسجد المنصور ،

حين بنى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور « سجن المطبق » في الحاضرة الجديدة : بغداد ، التي انشاها لتكون مقرا للخلافة العباسية في سنة ١٤٦ هـ ـ لم يكن يدرى ان أحد نزلاء هذا السجن الضخم سيكون الشاعر «أبو نواس» أمام الشعراء المحدثين ، كما كان الشاعر « الملك الضليل » امام الشعراء في العصر الجاهلي ...

ولقد أودع الشاعر أبو نواس « سجن المطبق » اكثر من مرة ، ونزل ضيفا عليه في غير واحدة من تلك المناسبات المتكررة التي كان يغضب عليه فيها الخليفة العظيم هارون الرشيد ، أو ابنه من بعده محمد الامين ابن السيدة زبيدة بنت جعفر بن المنصور

أو مسجد السلام - وكان من ابدع ما شيد المسلمون من المساجد حسنا وزينة ، ورأى أن تمام التخطيط لحاضرة جديدة لا يكون الا ببناء سجن كبير حديث بين السورين سماه « المطبق » واعده لخصومه السياسين والمغضوب عليهم من خاصته وكبار رجال دولته . فكان « المطبق » بذلك أول سجن حديث متحضر في الاسلام.

والحق أن الحاجة الى سجن جديد متين قوى الاركان والجدران قامت في ذهن الخليفة المنصور من تجربة شهدها بنفسه في أوائل حكمه وقبل تشييد سجن « المطبق » .. فقد كان في « الهاشمية » التى بناها أبو العباس السفاح سجن استطاعت جماعة (الراوندية) - أتباع أبى مسلم الخراسانى - ضعف بنائه فهاجموه وأخرجوا المسجونين منه، واتجهوا جميعا نحو قصر أبى جعفر يريدون قتله .. ومن هنا وضع أبو جعفر في تخطيطه لبغداد التى بناها للدولة الجديدة أن يكون السجن العتيد الشديد أحد المعالم المهمة في بنائها .

ولم تكد جدران « المطبق » تقوم ، وقوائمه تشتد ، حتى عمره الخلفاء منذ أيام المنصور بالنزلاء الوافدين عليه ، بين حبس قصير ، وسجن طويل .. فهذا الخليفة « المهدى » بن المنصور يسجن فيه القائد الكبير « عبد الكبير » من ولد زيد أخى عمر بن الخطاب ، لهزيمته أمام الروم ، فيظل صاحبنا في «المطبق» حتى الموت ، وهو مصير تأخر به عن اعدامه عقب الهزيمة والمحاكمة .

وهذا أبو جعفر المنصور نفسه يودع في سجن « المطبق » وزيره « يعقوب بن داود » بتهمة ميله الى العلويين ، ويجيء المهدى بن المنصور خليفة بعد والده ، فيخرجه من « المطبق » ويستوزره، ولكنه يتأكد من انحرافه الى العلويين فيزجه في السجن ثانية .

ولقد تعاقب على ادارة سجن «المطبق» رجال أشداء ، كانوا يختارون لصفات معينة فيهم ، وكان من أشهر مديريه في عهد شاعرنا أبى نواس صلامة الابرش، الذى ترقى من سجان قديم عمل للمهدى والهادى والرشيد ، الى مكلف بالسجن وضامن له ومقيم عليه . وقد عمل من داره الخاصة سجنا آخر في بعض الحالات ، فقد سجن الرشيد نفسه في بيته حين اختلف مع أخيه موسى الهادى حول ولاية العهد .

وكان « المطبق » يعج دائما برواده ونزلائه من كل لون من رجال الدولة والحاشية الذين يغضب الخليفة عليهم. أما المجرمون العاديون من الشطار واللصوص وقطاع الطرق فكانت لهم سجون أخرى غير « المطبق » . وكان نزلاء « المطبق » ما بين قواد وامراء وعلماء وشعراء ، فليس غريبا ان يكون أبو نواس واحدا من هؤلاء ...

وما أكثر ما كانت تنطلق الصرخات والصيحات ، وأصوات الاستعطاف والاعتذار من فم الشاعر أبى نواس وهو في أعماق سجنه . وكثيرا ما كانت تنصرف هذه الصرخات والدعوات الى أصحابها فتصيب مواطن الرحمة من قلوبهم .

ونجد في ديوان شاعرنا النواسى قصيدة نونية فيها طلب للعفو والاخراج من السجن . ولا يذكر لنا جامع ديوان أبى نواس سبب نظم هذه القصيدة ، ولكنا نجد في « أخبار أبى نواس » « لابى هفان » رواية عن يوسف بن

الداية ، أن أبا نواس كتب الى الحسين الخادم وهو محبوس أن يوصل له هذه الابيات الى الرشيد • واذا كنا عرفنا من نص ، أبي هفان ، الخليفة المستعطف فاننا ما زلنا على جهل بسبب محبسه هذه المرة ، وفي هذه القصيدة يقـول أبو نواس :

بعفوك بل بجـودك عذت ، لا بل ... بفضلك يا امير المؤمنينـــا
فلا يتعذرن على عفـــــو ... وسعت به جميع العالمينـــا
فاني لم أخنــــك بظهر غيب ... ولا حدثت نفسي أن أخـــونا
يراك الله للاســــلام عزا ... وحصنا دون بيضته حصـــينا
لقــد أرهبت أهـل الشرك حتى ... تركتهم وما يتــــذمرونا ••
تزورهم بنفســـــك كل عام ... زيارة واصـــل للقاطعينـــا
ولو شئت اكتفيــت الى نعيم ... وقاس الامر دونك آخـــرونا
فشفع حسن وجهك في أســـير ... يدين بحبك الرحمن دينـــا
اذا ما الهون حل بدار قـــوم ... فليس لجار مثلك أن يهـــونا

ونلاحظ على هذه الابيات المنظومة من وراء القضبان أن أبا نواس يغالي فيها يمدح الخليفة المستعطف ، ويكشف عن مكانته من أهل الشرك ، ودوام حـربه عليهم ، ويستشفع اليه بحسن وجهه ، وحبه للرحمن ، ويعتز بأنه في جوار من لا يهون جاره •

وتردد جدران ، سجن المطبـــق ،أصداء صرخة أخرى للشاعر أبي نواس وهنا يصرخ الشاعر بظلمه ، وبأن اتهامه بالتعطيل باطل ، ويكاد يعلن يأسه من عطف الخليفة محمـــــد الامين عليه ، واستنقاذه اياه من السجن ، فيتمنى لو جاء المأمون ــ منافس الامين ــ ليخلصه مما هو فيه قائلا :

يا رب أن الناس قد غلطـــوني ... وبلا اقتراف معطل حبســـوني
والى الجحود بما عليـــه طويتي ... ربي اليك بكذبهم نســـبوني
ما كان الا الجرء في ميـــدانهم
في كل خزي ، والمجـــانة ديني
لا العذر يقبل لي ، ويفرق شاهدي
منهم ، ولا يرضون حلف يميني
ماكان(١) ــ لو يدرون ــ أول مخبأ
في دار منقصـــة ، ومنزل هون
اما الامين فلست أرجو دفعـــه
عني ، فمن لي اليوم بالمأمون ؟ !


هارون الرشيد

ويلاحظ أن هذه الابيات هي صرخة يائس أطلقهـــا أبو نواس من وراء القضبان في عهد ابتداء الخـــلاف بين الامين والمأمون ، ذلك الخلاف الذي كاد يصيب الخلافة العباسية بصدع شـــديد لولا أنه انتهى ــ بعد أحداث شنيعة وفتن جسيمة ــ الى قتل الامين وتولية أخيه المأمون • وكأنمـــا كان أبو نواس في أبياته تلك يحس من وراء الغيب بمـــا

(١) الضــمير في كان يعود على السجن •

ستئول اليه الامور • ومن عجائب المقدور أن المأمون حين بلغته أبيات أبي نواس قال : « والله لئن لحقته لاغنينه غنى لا يؤمله » •• ولكن شاعرنا مات سنة ١٩٨ هـ قبيل دخول المأمون بغداد بقليل وصيرورة الخلافة العباسية اليه •

ولا شك أن القيود والسدود التي عاناها أبو نواس في سجنه قد أحالت حاله ، وأضعفت منته ، وضعضعت قوته وغيرت حالته ، حتى بات ينكره رائيه ويجهله عارفه •• والى هذا يشير أبو نواس في صرخة أخرى له من السجن يقول فيها :

على مركبي مني السلام ، وبزتي ... وغدوات لهو قد فقدن مكاني
فلو أن خدني القريبين ابصرا ... خضوعي للسجان ما عرفاني !
ولو ابصراني والقيود تلفني ... ومشيي الى البواب بالنجشان ••

***

ولم تستطع قيود السجن واغلاله واصفاده ـ على ثقلها ـ أن تسكت صوت أبي نواس ولا أن تلجم لسان شاعريته• وكأنما كان يتخذ من الشعر ونظمه ترويحا للنفس من ناحية ، وسبيلا الى الخلاص من ناحية أخرى • فتارة يلجأ الى بعض الشخصيات المقربة من الخليفة وولاة الامور فيستعطفها ويلتمس الخير عندها بأبيات ينظمها ، وتارة يصف حالته في السجن ويصور نفسه في المحبس ، وثالثة يصف سجانا ثقيلا لا يقاس ثقل الحديد بثقله •• حتى غدا حديد السجن ريشا بالنسبة الى ثقله ! وحتى ملأت الكراهية قلب شاعرنا عليه بأثقل من الحديد •••

ومن غرائب الحظ أن ينال هذا السجان الثقيل : سعيد ، شهرة في الادب العربي بما قدم الى شاعرنا النواسي من مساءات ، وبما دمغه شاعرنا من الثقل ، حتى بات يفضل عليه الشيطان المريد •• وما آيأس أبا نواس وأرقه معا وهو يخاطب الخليفة قائلا :

وقيت بي الردى •• زدتني قيودا ... وثن على سوطنا أو عمودا
ووكل بي وبالابواب دوني ... من الرقباء شيطانا مريدا





واعف مسامعي من صوت رجس ثقيل شخصه يدعى « سعيدا »
فقد ترك الحديد على ريشا وأوقر بغضه قلبي حديدا
وليس بعد هذا كراهة لسجان ، ولا بغض لانسان ...

***

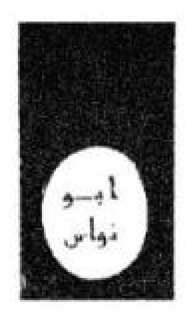
ومن أرق استعطافات أبي نواس وهو وراء القضبان قوله يستعطف الحسين ابن عيسى بن أبي جعفر المنصور ويتشفع به الى ابن عمه الامين ليضمن له التوبة عنده وينقذه من السجن :

رفع الصوت فنادى : يا أبا عيسى الجوادا!
كن عمادا يا ابن من كان غياثا وعمادا!
وتدارك جسدا قد مات أو قد قبل كادا! ..
قل له ان قال : هل تاب ؟ ... نعم تاب وزادا
واضمن التوبة عمن كلما أطراك عادا!

ولو أن قصائد ديوان أبي نواس كانت مؤرخة لعرفنا الى من رفعت الابيات السابقة للاستعطاف على وجه اليقين . فقد ذكر جامع ديوان شاعرنا انها رفعت الى الامين ، ولا ندرى على أى مصدر عول ، ولا على أى كتاب استند ، فان « أبا هفان » في كتابه « أخبار أبي نواس » يذكر أن الابيات رفعت ليشهد المستعطف له بالتوبة عند الخليفة هارون الرشيد .

ومن استعطاف أبي نواس وهو في سجنه ما ذكره صاحب كتاب « أخبار أبي نواس » من أن شاعرنا كتب الى الفضل بن الربيع من سجن المطبق أبياتا يتشفع بها وبه الى الامين العباسي ، ويصف تغير حاله في السجن الى أحسن ما يكون عليه المتقون التائبون .. فقد ارعوى باطله ، واقصر حبل غوايته ، وانقلب الى حالة الزهاد ، وصارت المسابح بين أصابعه ، والمصحف في لبته مكان القلادة ، وبالجملة انقلب خلقا آخر ، فأدركته السعادة بفضل عناية الفضل بن الربيع به ورعايته له ، وفيها يقول :

انت يا ابن الربيع ألزمتني النسك وعودتنيه ، والخير عاده
فارعوى باطلي ، واقصر حبلي وتبدلت عفة وزهاده



لو تراني ذكرت للحسـن البصري — في حسن سمته ، او قتاده (١)
المسابيح في ذراعي والمصحف — في لبتي مكان القـلاده
واذا شئت ان ترى طرفه تعجب — منهـا مليحة مسـتفاده
فادع بي لا عدمت تقويم مثـلي — وتفطن لموضع السـجاده
تر آثرا من الصـلاة بوجهي — توقن النفس آنهـا من عبـاده
لو رآها بعض المرائين يومـا — لاشـتراها يعدها للشـهاده
ولقد طال ماشقيت ، ولكـن — ادركتني على يديك السـعاده ؟

ولقد حفظ ابونواس للفضل بن الربيع ـ وزير الامين ـ أياديه عنده ، ونعمه لديه بالشفاعة له عند الرشيد والامين لتخليصه من حلق الاصـفاد ، وأسر القضبان ، وثقل السجان ، فخصـه بمقطعات في مناسبات مختلفات فتارة يقول له :

ما من يد في الناس واحدة — كيد ابو العباس مولاهـا
نام الثقات على مضاجعهم — وسرى الى نفسي فاحياها
قد كنت خفتـك ثم امنني — من ان اخافك خـوفك الله
فعفوت عني عفو مقتـدر — حلت له نقم فالغـاها

وثانية يقول له :

اصبحت ـ غير مدافع ـ مولاكـا — والحظ لي في ان اكون كذاكـا
لله درك ، اي رهن منيـة — بالامس كنت ، وهـالك لولاكا
اصبحت معتدا على بنعمـة — ما كان ينعمها على سـواكا

وثالثة يقـول في معرض النسيب مشيدا بيد الفضل بن الربيع :

الله خلصـني ورا — ى الفضل من حلق الكبـول
واقال من عنت الزمـا — ن ، وقد يئست من المقيل ..

وكثيرا ما كان ابو نواس يلجأ الى والد ، الفضل بن الربيع ، او واحد من قرابته ، فيستنجد بهم عند الفضـل ، ويستشفع بمودته لهم ، ومحسوبيته عليهم عشرين عاما ، كقوله ـ من سجنه ـ مخاطبا ابا الفضل ، والد الفضل بن الربيع :

اسلمتني ياجعفر بن ابي الفضل؟ — فمن لي اذا اسلمتني يا اباالفضل ؟
واي فتى في الناس ارجـو مقامه — اذا انت لم تفعل وانت اخوالفضل ؟

---

(١) الحسن البصري : كان امام اهل البصرة واحد العلماء النساك وتربى في حجر الامام علي بن ابي طالب ، وقتـادة صحابي جليل شهد كثيرا من الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقل لابى العباس ان كنت مذنبـا   فانت احق الناس بالاخذ بالفضـل
ولا تجحدوا بى ود عشرين حجة   ولا تفسدوا ما كان منكم من الفضل

***

ويقضى نظام عالم السدود والقيود في القديم والحديث الا تنقطع عن السجين زيارات منظمة من أهله وأقاربه وأصحابه . وقد صحت هذه القاعدة على شاعرنا أبي نواس . ولكن « حذيفة » صاحب الشرطة على عهد الرشيد والامين لاحظ أن أكثر زوار أبي نواس في سجن « المطبق » كانوا من طبقة معينة هم الصعاليك بهذا ! الشاعر المتهتك الخليع والليق بمزاجه .. وندع « حذيفة » صاحب الشرطة يروى هذا الخبر بنص عبارته قائلا : (لما حبس أبو نواس كان أكثر من يزوره في حبسه : المرد ، والشبان ، والخمارون ، وأصحاب الريبة .. فعرفت منهم من لم أكن أعرفه من قبل ذلك . فجعلت عليهم الضرائب فلما أطلق فقدت ذلك وتفرقوا ..) .

ويكشف لنا هذا الخبر الطريف الذى استله صاحب الشرطة على عهد الرشيد والامين من دفتر يومياته ، وكناشة مذكراته ، عن الفرك الذى ارتكس فيه الشاعر ابو نواس في حياته العابثة الماجنة الصاخبة بقرع الكئوس كما يكشف لنا هذا الخبر ـ من ناحية تاريخية أخرى ـ عن رسوم الزيارة التى كان يدفعها زوار السجون للموكلين بها من أصحاب الشرطة . فلم تكن أبواب السجون لتفتح لكل زائر ، أو تطلق لكل قاصد ، ولكن الزيارة كانت مقيدة بضريبة يحصلها المشرفون على السدود والقيود.

**

وبعد ! . فلقد كان الشاعر أبو نواس يودع السجن ومعه دائما أسباب ايداعه ولم يكن ذلك لظلم من الحكام وأولى الامر أو تجن منهم على الرجل . وانما كان لامور نسبت اليه واستوجبت سجنه ..

فقد حبسه الخليفة هارون الرشيد لابيات سمع بها ووصلت اليه عن طريق وزيره الفضل بن الربيع ، واشتم منها رائحة الزندقة فامر به أن يسجن . والحق أن أبا نواس كان جريئا لا يبالى أن يروى عنه شعر فيه رائحة الكفر . وكان لا يطوى ذلك الشعر بل يحاول أن ينشره بكل وسيلة ممكنة . فقد روى « أبو هفان » عن يوسف بن الداية قال :

كنت عند أبي نواس، فقال لى : اسمع أبياتا حضرتنى . وأنشد أبياتا منها :

وملحة بالعـذل تحسب اننى   بالجهل أوثر صحبة الشطار
بكرت على تلومنى ، فاجبتهـا   انى لاعـرف مذهب الابرار



فدعى الملام ، فقد اطعت غـوايتى	وصرفت معرفتى الى الانكـــار
ورأيت ايثارى اللذاذة والهــوى	وتعجلى من طيب هــذى الدار
احرى واحزم من تنظر اجـــل	علمى به رجم من الاخبـــار
ما جاءنى احد يخبـــر انه	فى جنة مذ مات او فى نار...

فلما بلغ هذا قلت له : يا هذا ! .. ان أعداء ينتظرون منك الســقطات فينتهزونها ليجدوا السبيل بهـا الى الطعن عليك والقدح فيك الى السلطان . فاتق الله فى نفسك ودع الافراط والمجون فانه مؤديك الى خسارة الدنيا والاخرة ، الا ان يقبل الله بك الى الطريقة المثلى . فان كنت لم تظهر هذه الابيات فتناسها واطوها . فقال لى : والله لا أكتمهـا خوفا .

وقد احاطت تهمة الزندقة والكفر بابى نواس من كل جـانب ، حتى لم ينقطع الاتهام عنه لحظة طول حياته . وهـو ملوم فى ذلك كل اللوم . فما كان اغناه - لو عقل - عن ركوب هـذه المزالق الخطرة .

وكثيرا ما كان يلجأ الى الخلاص من تهمة الزندقة بحركات وافعـال واقوال تدل على ايمانه . وقد أجدت عليه هذه الوسيلة مرة ، وخذلته غير مرة .. فقد حدث عاصم بن حميد بن تميم الوراق ،وعنه روى ابن منظور المصرى صاحب لسان العرب ، قال : رأيت أبا نواس وهو فى سراويل ، والنـاس يجرونه ويضربونه فى قفاه بالنعال ، ويقولون :زنديق ! .. ويرمونه بالحجارة ، حتى أدخلوه الى محمــد بن زبيدة - يعنى الخليفةالعباسى الامين - فقال : ما هذا ؟ قالوا : زنديق . فقال : على بالسيف والنطع ! .. فقال ابو نواس : دعونى أصلى ركعتين ، فافرجوا عنه . فتهيأ للصلاة ، ثم رفع رأسه الى السماء وكبر وصلى ركعتين ، وقال :

سبحان من خلق الخلـــق	من ضــــعيف مهين
فساقه من قـــــرار	الى قــــرار مكين
فى الحجب شيئا فشـيئا	تحار دون العيـــون
حتى بدت حركـــات	مخلوقة من ســكون

فقال الامين : ما هذا زنديق ، اعطوه الف درهم ، واخلعوا عليه . فخرج تحت الخلع ، وطردوا الناس عنه .



ويعترف لنا « النظام » المتكلم المعتزلي المشهور بأن هذه الابيات ــ وخاصة الاخير منها ــ نبهته الى شيء كان غافلاً عنه ، حتى وضع كتاباً في « الحركة والسكون » . وكان الموحى له به شعر ابي نواس ..

ولم تكن الزندقة وحدها هي سبب ايداع الشاعر ابي نواس في قعر مظلمة وراء القضبان ، فقد كانت معاقرته للخمر سبباً في سجنه غير مرة . ويروى لنا ابن منظور المصري أن صاحبنا شرب الخمر مرة ، فانتهى علم ذلك الى الخليفة محمد الامين ، فأمر به فحبس ثلاثة اشهر ، ثم دعا به وحوله بنو هاشم وغيرهم ، ودعا بالنطع والسيف وأراد قتله ، فانشأ يقول من قصيدة :

تذكر امين الله ، والعهد يذكر   مقامي وانشاديك والناس حضر
ونثرى عليك الدر يادر هاشم   فيامن رأى دراً على الدر ينثر ؟
أبوك الذي لم يملك الارض مثله   وعمك « موسى » الصفوة المتخير
وجدك « مهدى » الهدى ، وشقيقه   أبو أمك الادنى «ابو الفضل جعفر»

الى أن يقول :

أيا خير مأمول يرجى ، انا امرؤ   اسير ، رهين في سجونك مقبر
مضت لي شهور مذ حبست ثلاثة   كأني قد اذنبت ماليس يغفر
فان كنت لم اذنب ففيم حبستني ؟   وان كنت ذا ذنب فعفوك اكبر

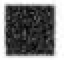
***

على أن هناك غير الزندقة والخمر سبباً اخر لكي يودع ابو نواس في السجون . فقد أطال لسانه مرة في هجاء « سليمان بن أبي جعفر المنصور »، وكان الخليفة الامين يجله ويوقره لمكانته في البيت العباسي ، فشكاه سليمان الى الامين ، فقال له يا عم وما يرضيك ؟ قال : حبسه في « المطبق » . ولم تنفع مدائح ابي نواس في الامين التي كان يحفظها عن ظهر قلب ، والتي كان يظن انها تشفع له عند الخليفة . فما زال سليمان بالامين يثيره على ابي نواس حتى أمر بحبسه في سجن « المطبق » .

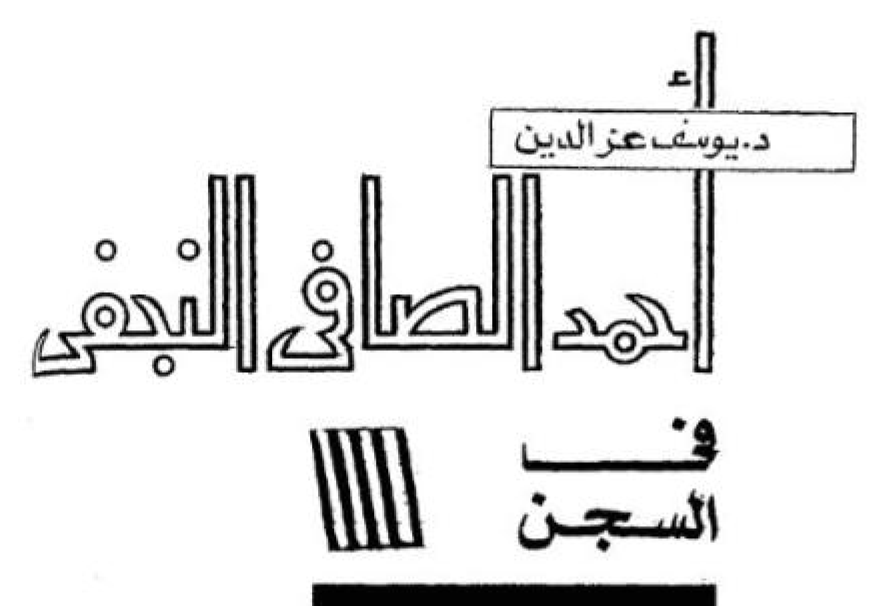
وقد تولى « الامين » الخلافة والشاعر ابو نواس سجين وراء قضبان سجن « المطبق » ، وكان يعرفه كل المعرفة وهو امير ، فلما سأل عنه قيل له : « محبوس لم يزل في المطبق » ، فقال : « ليس عليه بأس » ، ومضى « اسحاق بن فراشة » ، و « سعيد بن جابر » ــ أخو الامين من الرضاع ــ الى ابي نواس في سجنه يطمئنانه ويقولان له : ان امير المؤمنين ذكرك البارحة ، فقال : ليس عليه بأس فنظم الشاعر وهو رهين القيود ابياتاً رقيقة يمدح بها الامين ويستعطفه ، قائلاً :

ارقت وطار عن عيني النعاس   ونام السامرون ، ولم يواسوا
امين الله قد ملكت ملكاً   عليك من التقى فيه لباس
تساس من السماء بكل صنع   وانت به تسوس كما تساس
ووجهك يستهل ندى ، فيحيا   به في كل ناحية الناس
كأن الخلق في تمثال روح   له جسد ، وانت عليه راس
فديتك ان ليل السجن باس   وقد أرسلت : « ليس عليك باس »

فلما بلغت الابيات الامين وأنشدت للخليفة في مجلسه بالعشية ،



قال : صدق ! .. علي به ، فجيء به في الليل فكسرت قيوده ، وعفي عنه وودع القضبان الى عالم حر طليق ..



ارق الاحاسيس واعذب الالحان نجدها عند الاديب المضطهد ، ففي ادبه صدق العاطفة وعمق الاحاسيس . ومما يؤلم الاديب حبسه ، واخراس صوته . وفي ادب السجون اشجى التلاحين التي تهز الافئدة الحرة والنفوس الابية .

العراق

البلد الثائر المضطرب ، الموار بالاحداث – طوال عهوده – كثرت فيه السجون والمنافي والقتل والتشريد ، لأن شعب صعب الشكيمة، لا يلين بسهولة . ولكنه رقيق العواطف لين العريكة لمن يداريه . وقد كثر المسجونون من الادباء . طوال عصوره ، ففي الكوفة وبغداد وواسط والبصرة وسامراء . عدد كبير من ادباء ذاقوا مرارة السجن وعذاب النفي .

وعلى راس قائمة الادباء الفرزدق وابو العتاهية وابو نواس وابن المعتز وعلي بن الجهم وابن المدبر والحسن بن وهب .



وبقي العراق ثائر الروح مضطرب العاطفة قلق الاحساس • لذلك قلما تجد اسرة مفكرة الا وفي سجلها سجين أو منفي أو قتيل • فقد ولدت وكان المرحوم والدي في السجن البريطاني • وفي سن المراهقة اخذت الى المجلس العرفي العسكري في معسكر الرشيد • وقد كان يحلو لنا ونحن طلاب أن ننشد بحزن غريب وألم عجيب عميق :

يا ظلام السجن خيم
اننا نهوى الظلاما
ليس بعد الليل الا
فجر مجد يتسامى

لهذا كان أهل العراق يرددون (السجن للرجال) لكثرة من سجن • ولان السجن شرف وعزة واباء ومحك للرجولة • وأن الشدائد والمنافي والحبوس ادوات الدهر في جلاء النفوس وصقل الرجولة والبطولة ، واشتهر بيننا قول علي بن الجهم في سجن المتوكل :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري
حبس واي مهند لا يغمد
والحبس ما لم تغشه لدنية
في الدهر نعم المنزل المتورد
بيت يجدد الكريم كرامة
ويزار فيه ولا يزور ويقصد

وبهذا المحيط نشأ الشاعر أحمد الصافي النجفي ورأى الاستعمار البريطاني يسيطر على العراق • فبث العزم في النفوس للثورة • والقى شعره الحماسي يحرض على جلاء المحتلين عن دياره ، ومعه نخبة اخوانه وابناء وطنه ، وسرعان ما يهجم الثوار على حاكم النجف الانكليزي ويقتلونه مع جماعة من الجند • وتدخل السلطات الاستعمارية البلدة بعد حصار دام مرفق ، ولم ينفع الايمان العميق والوطنية الجارفة امام الرشاشات والمدافع والقنابل• فيهرب الشاعر وفي قلبه البغض الشديد للاحتلال • نحو

البصرة ثم الى المحمرة فطهران ، للاقامة التى طالت ، وسمع بأن أخاه قد سجن وقدم الى ساحة المشنقة ٠
ثم تنفرج عنه الكروب ، وعن أخيه بعد ذلك ٠ ويعود الى العراق وسرعان ما يرى العراق يملكه غير أهله ويهيمن عليه الاحتلال باسم الحكومة العراقية ، وزاد فى الالم تعاقب الامراض عليه ٠ حتى قال مؤرخ حياته الاديب تركى كاظم جودة يصف كثرة الاوجاع بأنها (صيرته جسما ممددا لا حراك فيه ، ولم يجده دخوله المستشفى ومراجعة الاطباء نفعا وكاد يكون اليوم فى عداد الاموات) لولا ان قيض الله له طبيبا نصحه بالسفر الى سورية للاستشفاء ، وهناك تعود على الحياة وارتاح الى جمال الطبيعة ٠ ونجا من المرض والموت ٠
وأراد أن يعيش هادىء البال منصرفا الى الحانه وأغاريده ولم يطلب من الحياة غير الكفاف مع الحرية الفكرية فقال :

وليس مرادى غير كوخ وقاهم   وعيش كفاف فيه لاارتجى الخلقا

وعاش الصافى وحيدا بين دمشق وبيروت وغيرهما من مدن (الشام) ٠ وحدثت الحرب العظمى الثانية ٠ ودخل الحلفاء فى كل مكان فى الشرق العربى ماديا ومعنويا ٠ وكان الصافى فى دمشق وذهب الى بيروت فسارعت السلطات الانكليزية الى اعتقاله وحبسه فى دائرة الامن الفرنسية ٠ وكأنها تأخذ ثأرا قديما لها ٠ متهمة الشاعر بالنازية ٠ وهى التهمة التى راجت خلال الحرب العظمى الثانية من كل اعداء الحلفاء ٠
ولا بد أن الاستعمار البريطانى اعتبر الشاعر نازيا لانه كان يفرح بانكسارهم عندما كان يسمع صوت برلين ويأمل بيوم الخلاص منهم ومن اذنابهم
انها تجربة جديدة فى عمر الشاعر كانت قاسية ٠ فهو قد ألف التنقل بين المدن كالعندليب الذى يطير من فنن الى فنن ٠ فوجد نفسه فى قفص لايريم عنه ٠ فكان رد الفعل عميقا فى نفسه لانه انسان وشاعر حساس ٠ ولا اظن الشاعر أوذى فى السجن لانه لم يحكم عليه ، انما هو ما نسميه (توقيف) أو (اعتقال) وقد وضع فى غرفة مهملة ٠ ولكن تقييد حريته ومنعه من الخروج وابقاءه فى غرفة صغيرة حقيرة دون أن يعرف مصيره ولا متى ينتهى حبسه ــ أثارت فى نفسه كل الشجون والآلام ، وعادت على الادب بـ (حصاد السجن) ٠٠
عرف الشاعر أن السبب الاول فى حبسه هم الانكليز لهذا وجدناه يصب حممه عليهم فى أشكال متنوعة فهو مرة يقول :

ان يسجنونى فجرمى بالله شرفا   انى احارب قوما اهل اجرام
محمد كسر الاصنام شامخة   من لى بتكسير (الوردات) كاصنام

ويرى امة الانكليز اجبن الامم ٠ فهى التى خدعت الامم بادعائها العدل بشعارات براقة فى العدل والحرية والانتصار للشعوب الضعيفة ٠ لكنها تفتك بالضعفاء وتخشى الاقوياء ٠ والقوى هو الذى يصاول الاقوياء ويرحم الضعفاء ويعطف عليهم ٠ فقال :

ولقد سجنت بكف اجبن امة   بالرجل تركض للمات وباليد

وقال :



احمد الصافي النجفي : شعره الحماسي ضد الانجليز كان سببا رئيسيا في سجنه .

غرنا بالسراب شر دعاة   حين قالوا : الانكليز عدول

وقال :

يصول الانكليز على ضعيف   ولا يبدون للخصم العنيف

ويخرج الشاعر عن طوره وتهيج في نفسه الالام . وتثور في نفسه الحماسة فيهاجم انكلترا هجوما عنيفا لانها سجنته دون ان يذنب ودون ان يسيء اليها . وفات الشاعر ان الايمان بحرية الوطن العربي والمطالبة بحقوق امته مما لا ترضاه الامم المستعمرة . فهذا امر خلاف مصالحها ورغباتها . فقال :

خسئت انكلترا ،   والله أعمى مقلتيها
قبرها في كل ارض   حفرته بيديها
سجنتني دون ذنب   غير لعني أبويها
امنت حربي ، وسجني   يعلن الحرب عليها

ويقف الشاعر بكل اباء وتحد في السجن ، ما دام السجن من اجل أمته وقومه ، والسجن هو موطن الحر العزيز الذي لا يريد ان يرى امته وشعبه في السجن . ومن اجل الوطن وحريته واستقلاله يهون الموت والشنق وستكون المشنقة منبرا يلعن الاستعمار .

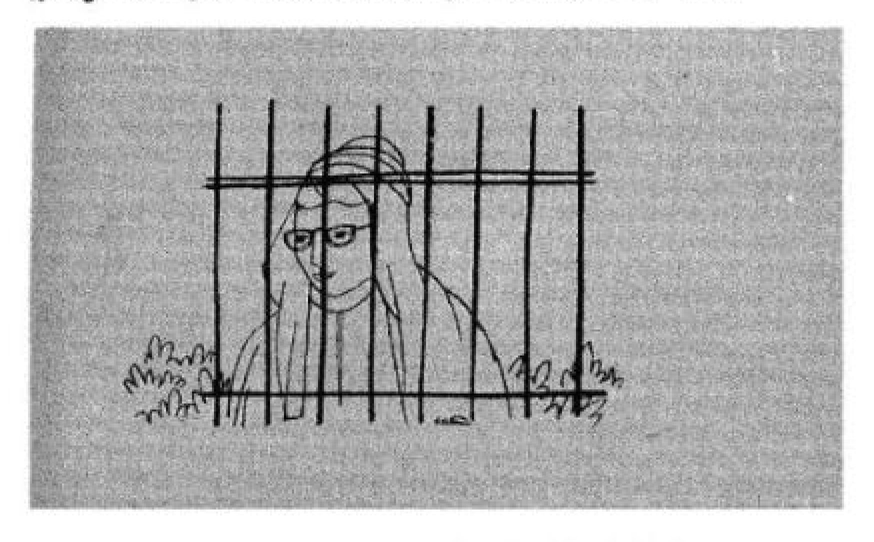
سجنوني دونما ذنب سوى   انني سامي المنى حر عزيز
لا يضير السجن مثلي ان يكن   موطني يصبح في حرز حريز
ولئن اشنق تكن مشنقتي   منبرا يعلن رجم الانكليز

وفي قلب الشاعر بغض عميق للاستعمار الانكليزي ، لان الاستعمار هو الرذيلة تصب على الشعوب والشيطان الذي يفتك بالامم . ولعن الانكليز من فرائض المسلم الحر فينبغي ان يحاربهم بكل ما يملك .

بيده وبلسانه وبروحه . وبعد موته سـوف يلعنهم دمه الذى سيسفحونه . قال :

أحـارب جنس الانكليز لانني — وقفت على نصر الحقيقة مغنمي
احـاربهم حـربي لكل رذيلة — الى كل شيطان الى كل ارقـم
اخاف اذا ماتوا . تموت ابالس — فابقى بلا لعن لهم ، نصف مسلم
تحاربهم روحي وكفي ومنطقي — وان هم نووا قتلي يحاربهم دمي

وفي شعر الصافي صـور متعددة ومتنوعة . ولعلنا لا نظفر بمثل هذه الصور في شعر الشعراء المعاصرين فقد التفت الى امور قد لا يكترث بها الشاعر ، فهو وصف الغرفة التي سجن بها . وليس فيها غير الاتربة السابقة وبقايا الاصـواف من نسيج مهلهل سموه فراشاً . وفي الصـبح تتقرر



صورة الانسان الذي نام فيها ويغدو شكله وحشاً غريباً .. انه يرسـم صورة كريكاتورية حلوة :

سجنوني في غرفـة قد تعرت — فكأني سجنت وسط القفـار
جاعـلا من ترابهـا لي فراشي — وغطـاء يلفني من غبـار
ثم زادوا على الغبار غطاء — من نسيج مضعضع منهـار
فاذا نمت يكتسي منـه وجهي — بغريب الاصـواف والاوبار
فتراني في الصبح امضغ شعراً — وترابا برغـم حلقي سـار
فكأني اكلت نصـف فـراشي — وكأني شربت نصـف دثـاري
وكأني والصـوف كلل وجهي — نوع وحش ما مـر بالافكار

وكان الشـاعر دقيق المعنى فاخبرنا بأنه سجن في غرفة في الدور العـالي من (الامن) وليست حجرة ارضـية . ورسم لنا المتناقضات في هذه الغرفة.

فهى قفص ، وهى قبرة ، فكيف حفر القبر فى السماء :

سجنونى فى غرفة قد تعالت — واطلت على فسيح الفضاء
هى سجن وان تعالت فسجنى — قفص لى معلق فى الهواء
قبرى السجن صار والقبر قبر — حفروه فى الارض او فى السماء

وقال عن هذه الغرفة :

فى غرفة واطئة — تحب فى الضيق القصر
يسير فيها راكعا — كل امرىء فيها خطر
فهى لاقزام بنى — الحيوان لا بنى البشر
يمشى على اربعة — اذا بها الطويل مر

وتطول ايام السجين فى هذا الحبس · وكان السجناء يخرجون منه ، ويأتيه مسجون جديد ويبقى الصافى هو المسجون المزمن · وكأنه صاحب البيت يستقبل ضيفا ويودع راحلا واحس بمرارة السجن وعذابه · فكان يكرم وفادة القادم الجديد ويسليه ويحدثه كى ينسى مصابه وألمه· واصبحت ايام السجن تسلية له وعزاء حتى اعتاده واصبح مسرورا به ونسى الحياة وما فيها من حرية · فأشفق عليه السجان لطول اقامته فرق لحاله وبكى لسجنه ، فقال الصافى من قصيدة :

سجنت وطال بى سجنى وكم من
سجين جاءنى يوما وولى
كانى رب نزل صرت فيه
من السجناء اصحابا واهلا

ومنها قوله :

ويوم كنت مسرورا بسجنى
ارى السجان فيه اخا وخلا
اتانى مشفقا فبكى بى لما بى — فابكانى فرحت اقول مهلا
بربك لا تذكرنى جروحى — فتذكر الداء ينكس من ابلا
الفت السجن حتى صار بيتى — وصارت بالخطوب النفس جذلى
كطير عاش فى الاقفاص رغدا — فلا تذكر له روضا وظلا

ومن جميل الصور التى رسمها الصافى انه اصبح سجانا ·لانهم الفوه وعرفوه ـ فقال :

وجاء وقت فاولونى مقالده — اذا السجين بأمرى كان ما كانا
فقلت لله دهرى فى تصرفه — فطال سجنى حتى صرت سجانا

ويخلو السجن من المسجونين ويبقى الشاعر وحده ويتساءلون متى يفك أسر العاني ويسأل غلام السجن لم بقى الشاعر وحده ؟ فكان الجواب أنه أبو السجناء والسجانين :

فقال له السجان هذا الذى ترى ... ابونا فأورى شعلة بدمائى
فقلت على رغم المروءة والعلا ... اكون ابا السجان والسجناء

والصافي مريض عليل الجسم طوال حياته وزاد السجن فى آلامه واضطرت السلطات الى نقله الى المستشفى أو المصح وهناك وجد البناية غير غرفته الحقيرة المتربة • وجدها تحاكى القصر بجميل مناظرها وتناسق كيانها وسمو هندستها • ولكنه يأبى السكن فيها لانها سجن :

سجنت بقصر يشبه الخلد ، دونه ... مناظر جلت حسبما يشتهى الفن
فأكل وشرب وارتخاء وكل ذا ... جميل على الا يقال له سجن

ومن الصور التى شاهدها فى المصح • وجه الحارس الكالح الذى كان ينظر اليه شزرا :

لحاظه كلها سباب ... ووجهه كله خصام

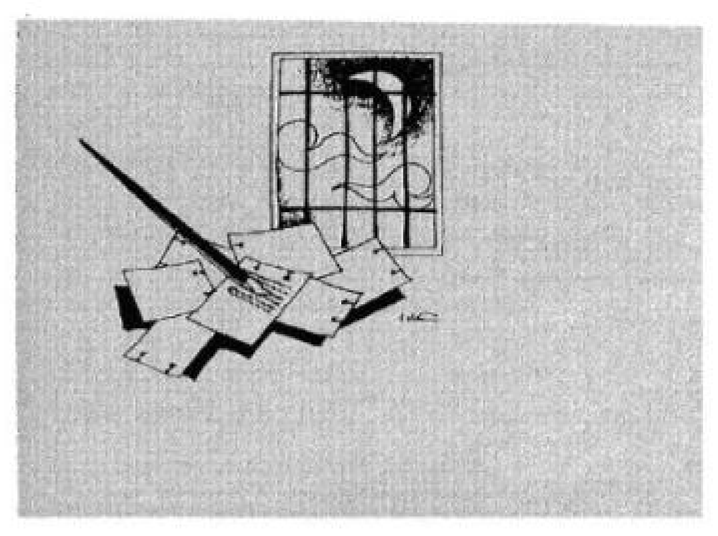
أما الناس الذين يرون الشاعر وقد وقف على بابه الشرطي كيلا يهرب فكانت نظراتهم اشد ايلاما فى نفسه لانهم يظنونه احد المجرمين فيهربون منه فزعا ورعبا :

واصبحت نظرات الناس تشهد لى ... انى سجين فتلجيني على ما بى
يرنون لى بعيون ملؤها هلع ... كأننى رب اجرام وارهاب
وان نظرت اليهم هرولوا فزعا ... كأنما انا ليث ، محبس غابى

طال سجن الشاعر وهو يتقلب على جمر الصبر ويتعلل بساعة الافراج • والحلفاء يوهمونه بأن حكومة العراق هى التى طلبت سجنه • وثبت لديه انها هى التى كانت تبذل جهدها فى اطلاق سراحه •

فقال ساخرا من اربع دول لا تقدر على اطلاق سراحه :

حكومة لبنان قد راجعت ... فرنسا لفكي فلم تسطع
وراحت فرنسا الى الانكليز ... تراجعهم جل من مرجع



وقد راجع الانكليز العـــــراق ... ولليوم بالامر لم يصـــدع
فقلت اعجبوا ايها السامعون ... ويا ايها الخلق قولوا معي
امن قوتي صرت ام ضعفهم ... خطير عـــلى دول اربع ؟!

وقد رسم الشـــاعر عدة صـــور فكاهية ، فيها التهكم وفيهـــا الزراية وفيها السخرية عندما جاءوا به السجن ورموه به رميا كانه بضاعة :

رمونا كالبضائع فى سجون ... وعافونا ولم يبدوا اكتراثا
رمونا فى السجون بلا اثاث ... فاصبحنا بسجنهم اثـــاثا

وقوله فى حركة بارعة جميلة :

رمت صوالح القدر ... بنـــا كاننـــا اكر
فهل تعيد قذفنــــا ... الى اماكن اخـــر
تجـــدد اللعب فتر ... مينا ولو الى ســـقر

وفى لبنان اخذ الشـــاعر ورمى به فى السجن كبضاعة فى المخزن دون ان يقام لانســـــانيته قيمة ولآدميته قدر او لفضله الفكرى اهمية ..

فلا عجب ان وجدنا الشـــاعر يكثر فى شعره من ذكرى الحرية والتغنى بها . منذ صـــــدور ديوانه الاول « الامواج » سنة ١٩٣٢ .

هذا الشاعر الحساس الذى نقـــل من السجن الى المصح الجميل في بنائه الظريف في موقعــــه ، يحس بأنه في سجن يحرسه فيه الشرطي ويمنعه من الخروج والدخول . فما تجديه زخرفة البناء . وهل ينفعه جمـــال الازاهير وعطرها الفواح وشجارها الباســـقة النضرة وهو فى سجن منع حـــريته وهو الذى ترك وطنه الخصيب واهـــله وأحبته عندمــــا احس بـــأنه عاش فى سجن كبير . ففضل ترك الاهل والوطن فى سبيل حريته وكرامته والدفـــاع عن وطنه وشـــعبه . . فهل يرضى اليوم بمصح اصبح فيه مسجوناً .

كرهت القبر بعد الموت ســـجنا ... وعفت اللبث فى الوطن الخصيب
فما ارضى ولو فى الخلد حبســـا ... ولو ما بين ازهــــــار وطيب
ايحبس شـــاعر حــــر رقيق ... تضـــايقه النســـائم بالهبوب
يرى فى جسمه ســـجنا عليـــه ... يكاد يهم منــــــه بالوثوب
وكيف يطيق ضيق السجن حـــر ... يضيق به فضا الكون الرحيب ؟.

ولا يستغرب الشاعر من ســــجنه لانه مفكر امتاز عمن سواه ، وله ميزة من المزايا الكبيرة على اترابه . فهو كالطائر الفرد السجون لجمـــال صوته وحلو انشاده ، الذى يغنى فى قفصه حزنا وآلما اشجى التلاحين وهو كالاسد فى القفص الحديد . خافوا ســـطوته وقوة بأســـه التى تحاكى صولة القلم وسطوة الشعر . قال :

لئن اسجن فما الاقفـــــاص الا ... لليث الغـــاب او للعنـــدليب
الا يا بلبلا ســـجنوك ظلمـــا ... فنحت لفرقة الغصـــــن الرطيب
كـــلانا من تألـــــه يغنى ... فلنعش صاحب القلب الطـــروب
ولو اصـــغى لنغمتنا مليــــــا ... لذاب بذلك النغـــــم المذيب
ويا ليث الشرى ســـجنوك مثلى ... لمن خــــافوا وثوبك او وثوبى
لئن كثرت للهيجــــــــاء نابا ... فاقـــلامى تكثر للحــــروب

ومما لفت النظر وصف الشــــاعر ليله فى سجنه . فاذا كان نهـــاره ليلا ممــــــا يعانيه من كروب النفس ، ففى، صباح رجاء وأمل .

ولكن الليل بظلامه وسكونه مدعاة للتفكير والانصراف الى النفس والتعليق فى الخيال • ومدعاة لليأس والالام • ولهذا قال :

الا يا ليل ليتك لم تسارع ... وليتك ضعت فى اقصى الدروب
وليتك قد عثرت بلا مقيل ... وليتك قد دعوت بلا مجيب
وليتك اذا عثرت عراك كسر ... برجلك لم يصادف من طبيب
تسارع فى خطاك الى شوقا ... مسارعة المحب الى الحبيب
وتلقى كل رحلك فوق صدرى ... وتجثم فوق قلبى كالخطوب

ووصف الشاعر الليل بأوصاف كثيرة فهو ذو لونين • وهو الحية الرقطاء التي تبدل ثيابها لان الليل مثابة الهموم وموئل الاحزان :

فكم وسعت ثيابك من افاعي ... هموم مقلقات كالدبيب
وكم ضمت عقارب من وشاة ... بالسنة لواذع للقلوب

هذا الليل الجبار يحوى كل الهموم والاحزان ويحوى كل المتناقضات من حقد وحب وحزن وبغض وطيبة واجرام ودموع نوى ولقاء فيخاطبه قائلا :

اجبار الظلام لا نت عبد ... وان اوتيت سلطان الشعوب
ارى حر النهار يخاف من ان ... يراك لذاك يسرع بالهروب
تنام على سواعدك البرايا ... فترضعهم بمسموم الحليب
وتغمرهم باحلام كذاب ... وتسقيهم من الرنق المشوب
وتطبق جفنهم رعبا ليغفوا ... متى قابلت بالوجه الغضوب
الا يا ليل حسبك ليل سجنى ... وحسبك عن كروبك لى • كروبى

وتتدخل الحكومة العراقية • وتضغط على حلفائها الانكليز لتطلق الشاعر الفرد من سجنه او اعتقاله • فيخرج منه ويذوق طعم الحرية وجمالها مرة أخرى فيقول :

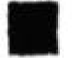
من بعد سجن اربعين يوما ... كانهن سجن الف عام
اصبحت ان اكلت خبزى حافا ... جعلت من حريتى ادامى

ولابد ان العشرة مع السجانين والمسئولين عن السجن وطدت الصداقة والوداد معهم لانهم كانوا يعرفون الشاعر ويعرفون مكانته وقدره الادبي • وأنه عومل معاملة كريمة • وبخاصة ان المسئولين عن السجن لابد ان يكون منهم العربى • لذلك عاد الى السجن وفاء لايامه فيه رغم كراهيته له • غير أن الوفاء غلبه :

رجعت الى سجنى رجوعي الى قبرى ... وفاء لذكرى البؤس فيه مدى شهر
وقلت لعل الميت اذ يحشرونه ... يعود وفاء بالعهود الى القبر

وقال :

شكرت ولاة سجن اطلقونى ... وقلت هم ذوو خير ودين
وعدت احسب فوق العقل غيظى ... لان العقل اصبح كالجنون
اطلاق السجين يعد خيرا ... وينسى شر امساك السجين



هذا هو الصافى النجفى الذى دام سجنه ثلاثة وأربعين يوما • وليت شعرى كم كان شعره لودام سجنه اكثر من هذه الفترة ! ••

عبد اللطيف
عبد الحليم



اصدقى نفسك ماذا تضمرين
عن حديث الناس ، عن لمح العيون
حدثى ما شئت ، لا تكترثى
فهنا حصن يقى الضعف حصين
حدثى عن اعين جائعة
اشتهت لحمك يوما ان يهون
واضحكى ، ان دغدغت هاجسة
بين جنبيك عساها ان تلين

***

لا تظنى لمحة العين هوى
يتولاك بعطف وحنين
انها من عطش الطين ، ومن
صرخة القيد ، ومن اسر الظنون
لا ترى فيك سوى ظل ، وقد
فاتها منك ضياء مستبين
قيدتها رغبة هاوية
فهى لا تنفك فى ليل مهين
انت ان صدقت ماقد زعموا
هدموا من قدسك العالى المصون

***

هاهنا عينان ترنو منهما
دفقة الاشواق ، لامثل العيون
صاغتا منك كيانا نابضا
اورقت فيه على الجدب الغصون
وهنا قلب يرى فيك سنى
تتخطاه عيون الناظرين

***

رفرفى فى الروح طيرا صاعدا
فى فجاج النور ، فى الغيب الدفين
واسالى الافلاك فى هالاتها
كيف ضمت شوقنا منذ قرون
وارحلى عن هذه الارض معى
نشهد الآباد دون العالمين
واتركى الاعين فى عميائها
لست مثل الناس من ماء وطين



ابن زيدون سجينا

● د. بدوي طبانة ●



ايها المؤذنى بظلم الليـالى ليس يومى بواحد من ظلوم
قمر الارض ان تاملت والشمـ ـس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو بالمصاب العظيم نحو العظيم

« .. وكنت اول حبسى قد وضعت من السجن فى موضع جرت العادة بوضع مستورى الناس وذوى الهيئات فيـه ، وفى الشر خيار ، وبعضه أهون من بعض . فمنيت من مطالبة بعض من يأتمر الناظرون فى السجون له ، ويسمعون منه بما اقتضى نقلى الى حيث الجناة المفسدون واللصوص المقيدون ومنع منى عوادى .. »



ابن زيدون الأبيـات الثلاثة الاولى من قصيدة باكية ختم بهـا رسالته التى أرسلها من سجنه الى ابى الحزم بن جهور أمير قرطبة يستعطفه ليفك قيده ، ويطلقه من سجنه الذى رمى به فى غياهبه .. والسطور المنثورة من رسالة طويلة كتبهـا ابن زيدون بعد فراره من السجن الى أستاذه وصديقه ابى بكر مسلم بن أحمد بن افلح ، يسوغ فيها فراره ، ويعاتبه على ما بلغه من لومه اياه ، وتسفيهه رأيه فى فراره من السجن ، مع ما كان يظن من قدرة ابى بكر على تهوين خطبه ، وتذليل صعبه ، ومعاونته على الخروج من المحنة التى ابتلى بها ، بالشفاعة له عند ابن جهور ..

قضى ابن زيدون فى ظلمات السجن فى قرطبة سبعة عشر شهرا اتصلت ايامهـا بضروب الأذى والعذاب ، ومن أعاجيب الزمان ومن صروفها الكبار أن يكون الامر بحبسه أبو الحزم بن جهور ، مع ما كان لابن زيدون من اليد الطولى فى امارته بما بسط الله له من المنزلة والجاه ، وبما وهبه من قوة النطق وسحر البيان ، ليصبح ابن جهور أمير قرطبة ، ويكون لبنى جهور فيها دولة وملك كبير ، حتى قال فيه الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان انه :

« زعيم الفئة القرطبية ، ونشأة الدولة الجهورية ، الذى بهر فى نظامه ، وظهر كالبدر ليلة تمامه ، فجاء من القول بسحر ، وقلده أبهى نحر ... وكلفت به تلك الدولة حتى صار منهج لسانها ، وحل من عينها مكان انسانها . وكان له مع أبى الوليد بن جهور – ابن أبى الحزم – تالف احرما بكعبته وطافا ، وسقياه من تصافيهما نطافا . وكان يعتد ذلك حساما مسلولا ، ويظن انه يرد به صعب الخطوب ذلولا ، الى ان وقع له طلب اصاره الى الاعتقال ، وقصره عن الوخد والارقال ، فاستشفع بأبى الوليد وتوسل ، واستدفع به تلك الأسنة المشرعة والأسل ، فما ثنى اليه عنان عطفه ، ولا كف عنه فنون صرفه » ...

وربما كان أعجب من هذا ما خلده التاريخ من صفات أبى الحزم بن جهور الذى زج بصاحبه ووزيره الاثير أبى الوليد احمد بن زيدون فى غياهب السجن ...

لقد اجمع المؤرخون على وصفه بالعدالة والكياسة وحسن السياسة ، كما وصفوه بالعلم والوقار والعفة والدين والورع ، وبالزهد فى مظاهر الحكم والسلطان ، وكان يقول انه يحكم حتى يجتمع الناس على أمام عادل ، يتخيرونه بارادتهم ، ولم يغير شيئا من أسلوب حياته ، فلم يبرح داره الى قصر الخلافة ، وظل يؤذن للصلاة

على باب مسجده ، ويشهد الجنائز ، ويصلى التراويح ، ويعلن الشورى في الحكم ...

نقل صاحب « المغرب في حلى المغرب » أن أبا الحزم كان من وزراء الدولة العامرية ، قديم الرياسة ، موصوفا بالدهاء والسياسة ، ولم يغير أمرا توجيه المملكة ، حتى أنه بقى يؤذن على باب مسجده ، ولم يتحول عن داره ، وأحسن ترتيب الجند ، فتمشت دولته ، وكان حرما يلجأ اليه كل خائف ومخلوع من ملكه ، الى أن مات في صفر سنة ٤٣٥ هـ .

فما تلك الجريرة التى اقترفها ابن زيدون ، وحلت عرا المودة والصداقة ، وقطعت بها الأسباب بين أبى الحزم الأمير العادل الورع ووزيره الوفى الأثير ، وأدت الى تلك القطيعة القاسية ، والى تلك المحنة الأليمة ، أو كما يقول ابن زيدون نفسه فيما كتب الى أبى الحزم من سجنه الرهيب « **ما هذا الذنب الذى لم يسعه عفوك ؟ والجهل الذى لم يأت من ورائه حلمك ، والتطاول الذى لم يستغرقه تطولك ، والتحامل الذى لم يف به احتمالك ؟**

ولا أخلو من أن أكون بريئا ، فأين العدل ؟ أو مسيئا فأين الفضل ؟ » ..

ولا يفوت ابن زيدون أن يستشهد في هذا المقام ببيت لأبى عبادة البحترى ، وهو قوله في عتاب الخليفة المتوكل :

الا يكن ذنب فعـدلك واسع   أو كان لى ذنب ففضلك أوسع

لقد كان ابن زيدون يعلم تمام العلم السبب الظاهر الذى اقتلعه من منصبه الخطير ، وقذف به في أعماق السجون .

ولم يكن أبو الحزم بن جهور في ظاهر الأمر هو الذى سجنه ..

ولكنه حكم القضاء الذى وقف أو أوقف في ساحته متهما باغتصاب عقار !

وأيا ما كانت حقيقةهذه التهمة ، ومهما يكن القول في فقه أو عدالة القاضى الذى أوقف ابن زيدون بين يديه ، أو مدى خضوعه في حكمه على ابن زيدون لأحكام الشريعة الاسلامية ، وفقه الامام مالك على وجه الخصوص ، فقد كان ذلك ظاهر الأمر الذى يعرفه ابن زيدون تمام المعرفة.

وكان ذلك القاضىالذى اختاره أبوالحزم اختيارا لمحاكمة ابن زيدون هو عبد الله ابن أحمد بن المكوى الذى وصفه مؤرخو الاندلس بأنه « لم يكن في نصاب القضاة » أى أنه لم يكن معدودا فيهم ، وبأنه « لم يكن من القضاء في ورد ولا صدر ، لقلة علمه ومعرفته » وبأنه « رجل قليل العلم ، نكد الخلق » !

وكانت نتيجة المحاكمة أنه قضى بحبس ابن زيدون حبسا مطلقا ، أى لا أمد لنهايته ، ولذلك طال أمد حبسه حتى زاد على خمسمائة يوم ، ولم يخلصه من السجن والتعذيب سوى الفرار « فتحيل لنفسه ، حتى تسلل من حبسه ، ففر منه فرار الخائف ، وسرى الى اشبيلية سرى الخيال الطائف ، فوافاها قلبا قبل الاسراج والالجام ، ونجا اليها برأس طمر ولجام » . كما يقول صاحب « قلائد العقيان » .

ولم يشهد عليه سوى شاهد واحد هو ابن العطار « العارى من الثقة والأمانة ، البعيد من الرعاية والصيانة ، الناشر لأذنيه طمعا ، الآكل بيديه جشعا » كما وصفه ابن زيدون .

وكانت الفتوى أن يعذر ابن زيدون ، أى يعطى فرصة للدفاع عن نفسه ، فاذا لم يأت بما يدفع عن نفسه التهمة بالحجة المقنعة قضى بسجنه ، ولم يعذره القاضى ، ولم يقبل الوثيقة التى قدمها في تبرئة ذمته ، فحكم بإيداعه السجن ...

ويبدو من هذا أن محاكمة ابن زيدون كانت محاكمة صورية ، فقد تخير له

ابو الحزم بن جهور قاضيا لم يعرف بالقضاء ، ولم يحكم فى القضية مراعيا أصول التقاضى والفصل فى الخصومات ولم يمنح المتهم فرصة الدفاع عن نفسه ، ورفض الاخذ ببينته ، وحكم بسجنه سجنا مطلقا لا نهاية له ، وهذه كلها مظاهر عنت واجحاف بحقوق المتقاضين من العامة ، فكيف بابن زيدون فى علمه وأدبه وفى يده المعروفة فى اقامة دولة بنى جهور ، وفى منصب الوزارة الذى كان يتولاه مخلصا لأميره ، موثقا لعلاقته بمن يجاوره من الامراء وملوك الطوائف الذين كان يخشى مؤامراتهم وانقضاضهم على امارته فى قرطبة ؟

ان ذلك كله يحتاج الى تفسير لم يذكر التاريخ منه الا لمحات ، فقد كان ابو الحزم كما قدمنا رجلا صالحا جادا مستقيما ، وكان ابن زيدون الذى شغل من المناصب ارقاها ، ووزر للخلفاء والامراء ، وزاول من الاعمال اكثرها خطورة ، اشبه بأبناء المترفين من ذوى النعمة واليسار . فقد كان من الذين اسرفوا على انفسهم فى اللهو والشراب ، واستهتروا بأسباب الانس والانغماس فى غمار الشهوات ، ولم يكن ما يكبح جماحه عن الاسترسال فى ضروب الملذات التى كان ينتهبها انتهابا غير عابىء بمنصبه الخطير ، وجاهه العريض ، وبيته الكبير .

وينبغى أن يدخل فى الحساب قبل كل اعتبار ان ابن زيدون كان اديبا كبيرا ، وشاعرا مرموقا ذا حس مرهف وعاطفة مشبوبة ، وان أكثر أرباب الفنون لايعترفون بالقيود التى تحد من حريتهم فى التعبير عن احاسيسهم وتجاربهم ، ويذهب فريق كبير منهم الى ان عبقريتهم لا تجود بمكنونها الا اذا انطلقت من عقالها ، والى أن سبل الابداع لا تتهيأ لهم الا بمقدار ما يحسون به من طلاقة ، وما يشعرون به من تحرر من سائر القيود التى تحول بينهم وبين التعبير الصادق عما عانوه من التجارب ، وما ماج بين جوانحهم من العواطف والانفعالات ...

واذا كان ابن زيدون لم يستطع ان يكبح جماح هذه الطبيعة المتوغلة فى اعماقه ، واذا كان قد عجز عن اخضاع هواه امام مسئولياته ومقتضيات جاهه ومنصبه ، فانه لم يستطع أن يخفى معالم هذه الطبيعة ولا آثارها فى شعره ، فقد وقع أسيرا فى شراك الحب ، وفرته ولادة بنت المستكفى بالله بجمالها وحسبها وشاعريتها ، فقال فيها وقالت فيه أعذب ما يشتهى من الغزل فى ايام الوصال والرضا ، وافحش ما يقال فى ايام السخط والقلى !

استمع اليه فى ذكرياته السعيدة ، وصبواته التى لا تزايله ، يقول لها :

اذكرتنى سالف العيش الذى طابا ... ياليت غائب ذاك العهد قد آبا
اذ نحن فى روضة للوصل نعمتها ... من السرور غمام فوقها صابا
انى لأعجب من شوق يطاولنى ... فكلما قيل فيه: «قد فنى» ، ثابا
كم نظرة لك فى عينى علمت بها ... يوم الزيارة أن القلب قد ذابا
قلب يطيل معاصاتى لطاعتكم ... فان أطعه عنكم سلوة يابى
ما توبتى بنصوح من محبتكم ... لا عذب الله الا عاشقا تابا

ثم نقرأ له كثيرا من الشعر الباكى الحزين فى أيام القطيعة والهجر يدل على حبه العميق وعاطفته المشبوبة ، ومحاولته التجلد والصبر معللا نفسه بالأمل فى الوصال واستعادة ما سلف من العهود المشرقة الباسمة ، حتى اذا غلبه اليأس ساءت به الظنون ، وزعم أنها استبدلت بهواه هوى غيره ، وذهب الى تشبيهها بقوم موسى الذين قالوا له « لن نصبر على طعام واحد » ! ولذلك فهو يثأر لنفسه ، ويستبدل بها غيرها ، ويعلن ـ غير صادق ـ أن الجديد خير من القديم ، ويمنح هذا الجديد من نعوت الفتنة ما كان يقدمه قربانا لحبه القديم ، فى مثل قوله :

من مبلغ عنى البدر الذى كملا ... فى مطلع الحسن ، والغصن الذى اعتدلا
ان الزمان الذى أهدى مودته ... الى مرتهن شكرى بما فعلا
اما الحبيب الذى ابدى الجفاء لنا ... فما رأينا قلاه حادثا جللا
ولم نزد أن غفرنا ملء اعيننا ... بالمشترى فتجنبنا له زحلا

وذلك ـ من غير شك ـ كان سببا من أسباب المباعدة بين ابن زيدون وابى الحزم ابن جهور مهما يكن من اخلاص ابن زيدون وأثره فى اقامة دولته ، وتفانيه فى خدمته .



فهنا وزير ذو خفة واستهتار ، وهناك أمير ذو عقل وعفة وورع !

وتلك صورة من صور الاختلاف بين الشخصيتين توجب التنافر بينهما ، والقضاء على دوح الألفة وأواصر المحبة التي أبرمتها الاحداث بينهما ، وأكدتها خدمات ابن زيدون للدولة ، وسفارته المخلصة بين أميرها ومن جاوره من الملوك الامراء ..

يضاف الى ذلك الاختلاف الواضح بين الشخصيتين والتباين بين المزاجين أن **حساد ابن زيدون على منصبه ومنزلته من اميره انتهزوا هذه الفرصة السانحة للكيد له ، والوقيعة بينه وبين مولاه وايهام أبي الحزم أن صلة ابن زيدون بولادة ليست تلك الصلة العاطفية التي دفعته لزيارتها والتردد على مجالسها ، والتي صور أثرها الحار في شعره ، ولكنها صلة تآمر على الدولة الجهورية ، ومحاولة لاستعادة حكم بني أمية الذين تنتسب ولادة اليهم ...**

وذلك سبب سياسي يوجب على الحاكم اليقظة لمن حوله من الاتباع والاعوان ، ولو كانوا من الوزراء الأثيرين عنده ، ممن لا يشك في نصيحتهم .

أما استهتار ابن زيدون بالشراب ، وولوعه بالخمر ، ووصف مجالسها ، فلم يكن أقل من هيامه بولادة وشغفه بها . بل ان شعره يفيض بذلك الوصف الذي يدل على معاقرتها ، واستجلاب أسباب الأنس والمسرة باحتسائها ، في كثير من أمثال قوله :

أدرها فقد حسن المجلس ... وقد آن أن تترع الأكؤس
ولا بأس ان كان ولى الربيع ... اذا لم تجد فقده الأنفس

ولا شك أن ولوع ابن زيدون بالخمر ، وهيامه بالف النساء ، كانا من جملة الأسباب التي أدت الى القطيعة وباعدت بين الرجلين اللذين يختلفان كل الاختلاف من حيث المنزع والسلوك ... ثم كان الحاسدون — وما أكثرهم في بلاط الحاكمين وفي المتطلعين الى صحبة الحكام — وهم دائما لا يرون سبيلا الى بلوغ مآربهم ، وتحقيق آمالهم الا طريق الزلفى ، والوشاية بين المتحابين ، واستخدام سلاح الدس والوقيعة بين أهل الثقة ، والوصول الى أهدافهم على أشلاء الناس وحطامهم .

وكان لا بد لتلك العوامل مجتمعة أن تجد طريقها الى قلب أبي الحزم وعقله ، بعد أن تراءت أشباحها أمام ناظريه ، وتوارت أصداؤها على سمعه ، فأدت الى فقدان الثقة بابن زيدون ، وعدم الرفق في اتهامه وفي مقاضاته ، ثم في الحكم عليه ، وزجه في ظلمات السجون .

وعلى كل حال ، فقد قضى ابن زيدون في سجنه الرهيب سبعة عشر شهرا أو أكثر من خمسمائة يوم كما سجل ذلك في شعره ونثره حيث يقول :

ما عسى أن يألف السابق المر ... بط في العتق منه والتطهيم
وبقاء الحسام في الجفن يثني ... منه بعد المضاء والتصميم
أقصير مئين خمسا من الأيام ؟ ناهيك من عذاب أليم !
ومعنى من المضنى بهنات ... نكأت بالكلوم قرح الكلوم
سقم لا أعاد فيه العدا ... ثم أنسى بلى ببرء السقيم
تاق بلي سرى الى جنة الأمن لقاها ، فأصبحت كالصريم

فهو بعدها خمسمائة من الأيام قضاها في سجن قرطبة يقاسي ضروب الهوان والاذلال ، ويحرم من عواده .

ولقد شكا ابن زيدون قسوة السجن وسوء ما يلقى من المعاملة في كثير من

قصائده الباكية التي بعث بها من سجنه الى أبي الحزم يستعطفه لعله يفك وثاقه ، ويذكره في بعضها بما أسلف في خدمته ، وما نظم في تمجيده ، ويمني نفسه بأن يكون بعض ذلك شفيعا له ، استمع الى هذه الأبيات في قوله :

الم يأن ان يبكي الغمام على مثلي … ويطلب ثأري البرق منصلت النصل؟
وهلا اقامت انجم الليل مأتما … لتندب في الآفاق ما ضاع من ثكلي؟
ولو انصفتني ـ وهي أشكال همتي ـ … لألقت بأيدي الذل لما رأت ذلي
ولافترقت سبع الثريا وغاضها … بمطلعها ما فرق الدهر من شملي
لعمر الليالي أن يكن طال نزعها … لقد قرطست بالنبل في موضع النبل

وفي مناجاته أمه ، وتصوره لحالها ، ودعوته اياها الى التسلي والتصبر ، حيث يقول في هذه القصيدة :

أمقتولة الأجفان ! مالك والها … ألم ترك الأيام نجما هوى قبلي ؟
أقلي بكاء ، لست أول حرة … طوت بالأسى كشحا على مضض الثكل
وفي أم موسى عبرة اذ رمت به … الى اليم في التابوت ، فاعتبري واسلي
ولله فينا علم غيب ، وحسبنا … به ـ عند جور الدهر ـ من حكم عدل

ثم ينقل شكاته وعتابه الى أبي الحزم فيقول مستثيرا عاطفته وعدالته :

أبا الحزم اني في عتابك مائل … على جانب ـ تأوي اليه العلا ـ سهل
حمائم شكوى صبحتك هوادلا … تناديك من أفنان آدابي الهدل
جواد اذا استن الجياد الى مدى … تمطر فاستولى على أمد الخصل(1)
ثوى صافنا في مربط الهون يشتكي … بتصهاله ما ناله من أذى الشكل
أفي العدل ان وافتك تترى رسائلي … فلم تترك وضعا لها في يدي عدل
أعدك للجلي ، وآمل أن أرى … بنعماك موسوما ، وما انا بالغفل

وقد رأينا ابن زيدون يتساءل في رسالته الجدية التي بعث بها من سجنه الى أبي الحزم بن جهور عن الجريمة التي استحق بها ذلك العذاب الوبيل ، والسجن الطويل ، والتي لم تقس فيها العقوبة بمقياس السيئة أو الذنب ، ويقول فيها انه لو كان قد ارتكب أكبر الكبائر ، واقترف أعظم الجرائم ، لما استحق هذا العقاب ، فكيف ولا جريمة الا سعاية السعاة الذين قطعوا حبال المودة بين الرجلين ، وذلك في قوله في تلك الرسالة « .. حنانيك ! قد بلغ السيل الزبى ، ونالني ما حسبي به وكفى ! وما أراني الا لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت ، وقال لي نوح « اركب معنا » فقلت « سآوي الى جبل يعصمني من الماء » وأمرت ببناء الصرح لعلي اطلع الى اله موسى ، وعكفت على العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت فعقرت ... ورجمت الكعبة ، وصلبت العائذ بها على الثنية ، لكان فيما جرى علي ما يحتمل أن يسمى نكالا ، ويدعى ولو على المجاز عقابا ..



« فكيف ولا ذنب الا نميمة أهداها كاشح ، ونبأ جاء به فاسق ، وهم الهماززون المشاءون بنميم ، والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا «3» ، والغواة الذين لا يتركون اديما صحيحا ، والسعاة الذين ذكرهم الأحنف بن قيس ، فقال : «ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم ! »

هذه المعاني يكررها ابن زيدون بمرارة في هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ أبياتها خمسين بيتا ، في قوله :

---

(1) الخصل بلوغ الهدف
(2) الشكل القيد
(3) يصدعون العصا : يفرقون الجماعة



ولو أنني واقعت عمداً خطيئـة ... لما كان بدعاً من سجاياك أن تملي
فلم استتر حرب «الفجار» ولم اطع ... «مسيلمة» اذ قال أني من الرسل
ومثلي قد تهفو به نشوة الصبا ... ومثلك من يعفو ، ومالك من مثل
وانى لتنهانى نهاى عن التى ... اشاد بها الواشى ويعقلنى عقلى
ألكت فيك المدح من بعـد قوة ... ولا اقتدى الا بناقضة الغزل ؟

ولم يقف ابن زيدون عند أمثال تلك القصائد الشاكية الباكية التى كتبها الى ابن جهور ، بل أنه كتب كثيراً من أمثالها الى بعض أصدقائه من ذوى الشأن بثا لنار الجوى وعذاب السجن ، وأملا فى أن يعملوا ما وسعهم العمل لاستنقاذه مما هوى اليه ، والشفاعة عند أميره ، حتى يغفر ذنبه ، ويفك قيده ، ويزيل عنه حسد الحساد ، وشماتة الشامتين الذين ابتلى بهم ، وقد كانت هذه الشماتة تصل اليه أنباؤها فى سجنه ، فتؤرقه ، وتقض عليه مضجعه . وقد كان أولئك الشامتون من الذين لا خلاق لهم ، فامعنوا فى الكيد له ، وهو يبدى التجلد ، ويتكلف الصبر ، ليريهم أنه لا يتضعضع لريب الدهر ، وأن مع اليوم غدا ، وأن لكل أجل كتابا ، وأن هذه المحنة سحابة صيف عن قليل تقشع ، وأنه سيعود الى حيث كان موفور الكرامة ... من ذلك قوله من قصيدة طويلة :

ها انها لوعة فى الصدر قادحـة ... نار الأسى ، ومشيبى طائر الشرر
لا يهنىء الشامت المرتاح خاطره ... انى معنى الامانى ضائع الخطـر
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة ... ام الكسوف لغير الشمس والقمر ؟
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب ... قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط ابا الحزم الرضا قدر ... عن كشف ضرى فلا عتب على القدر
ما للذنوب التى جانى كبائرها ... غيرى ، يحملنى اوزارها وزرى ؟
من لم ازل من تأنيه على ثقة ... ولم ابت من تجنيه على حـذر !

وقوله فى هذه الشماتة ، وأمله فى قرب الخلاص ، فى قصيدته الرائعة التى أرسلها من سجنه الى صديقه أبى حفص بن برد الأصغر :

أنا حـيران ، وللأمر وضوح والتبـاس
ما ترى فى معشر حالوا عن العهد وخاسوا
ورأونى سامريا يتقى منـه المسـاس
اذؤب هامت بلحمى فانتهـاش وانتهـاس
كلهم يسأل عن حالى ، وللذئب اعتسـاس
ان قسا الدهر فللماء من الصخر انبجاس

ولئن أمسيت محبوسا فللغيث احتباس
يلبد الورد السبنتى (١) وله بعد افتراس
فتأمل كيف يغشى مقلة المجد النعاس
ويفت المسك في الترب فيوطا ويداس

واذا كان ابن زيدون قد كتب الى ابن جهور تلك الروائع المنظومة والمنثورة يندب فيها حظه ، ويستعطفه بما يكيل له من ضروب الثناء ، وبما ينمق له من عبارات الزلفى ، فانه لم يجد معتبا لعتابه ، ولا سامعا لشكواه ، ولم تجده شفاعة الشافعين !

حتى لقد يبدو أن أبا الحزم كان يستعذب هذا العذاب ، أو أنه كان يلذ ذلك الأدب الرفيع الذى أملته قريحة شاعر عبقرى ، ودبجه قلم أديب أو فنان صناع ، وكأنه يطيل سجن ابن زيدون وتعذيبه ليستزيد من متعته بتلك النفحات العبقرية ، ولا تنقطع بخروجه من سجنه الرهيب .

ويبدو أن ابن زيدون قد فطن الى مثل ذلك في قوله :

بنى جهور أحرقتم بجفائكم جنانى ، فما بال المدائح تعبق
يظنونتى كالند الرطب انما تطيب لكم أنفاسه وهو يحرق

ولعل أبا الحزم لم يكن يتصور أن ابن زيدون قد يفكر في الفرار من سجنه الرهيب ، أولعله كان يظن أنه لا يستطيع اذا أراد ، مع أن في سطور الرسالة الجدية ما يشعر بهدء العزم عند القدرة عليه ...

ولو أن أبا الحزم كان قد أنعم النظر في تلك الرسالة لقرأ في سطورها قول ابن زيدون : « ولعمرك ما جهلت أن صريح الرأى أن أتحول اذا بلغتنى الشمس ، ونبا بى المنزل ، وأصفح عن المطامع التى تقطع أعناق الرجال ، فلا أستوطىء العجز ، ولا أطمئن الى الغرور ... وانى مع المعرفة أن الجلاء سباء ، والنقلة مثلة (٢) ... لعارف أن الأدب الوطن الذى لا يخشى فراقه ، والخليط الذى لا يتوقع زياله ، والنسب الذى لا يخفى ، والجمال الذى لا يجفى ، ثم ما قران السعد للكواكب ابهى أثرا ، ولا أسنى خطرا من القران غنى النفس به ، وانتظامها نسقا معه ، فان الحائز لهما الضارب بسهم فيهما ... أينما توجه ورد أعذب منهل ، وحط في جناب قبول ، وضوحك قبل انزال رحله ، وأعطى حكم الصبى على أهله :

وقيل له :

أهلا وسهلا ومرحبا فهذا مبيت صالح وصديق

ولكن قلم ابن زيدون الصناع استطاع أن يخدع أبا الحزم عما يبيت من العزم ، بابداء حرصه الشديد على البقاء في قرطبة مسقط رأسه ، ومقر أميره الذى يطمع في عفوه ، ولا يريد أن يستبدل به سواه وذلك في قوله بعدما تقدم « غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف . واللبيب يحن الى وطنه ، حنين النجيب الى عطنه ، والكريم لا يجفو أرضا بها قوابله ، ولا ينسى بلدا فيه مراضعه .. هذا الى مغالاتى بعقد جوارك ، ومنافستى في الحظ من قربك ، واعتقادى أن الطمع في غيرك طبع(٣) ، والغنى من سواك عناء » .

وهكذا استطاع ابن زيدون أن يخدع أبا الحزم ، ويعد عدته للفرار ، حتى اذا سنحت الفرصة لم يضيعها ، ولعل أبا الوليد بن أبى الحزم وولى عهده كان هو الذى يسر له سبيل الفرار الى حيث قيل له : أهلا وسهلا ومرحبا ، وضوحك قبل انزال رحله ، وأعطى حكم الصبى على أهله ، كما كان قد قال ! [redacted]

(١) الورد من أسماء الأسد ، والسبنتى مثله ، أو هو الجرىء
(٢) الجلاء الرحيل والسباء والسبى الأسر ، والمثلة التنكيل .
(٣) الطبع — بفتحتين — الدنس .

• د. أحمد هيكل •

المعتمد بن عباد

الملك الشاعر السجين



كانت حياة هذا الشاعر صورة حية لتقلب الزمن ، ومثالا مجسما لتناقض الايام . بل كانت حياته هي الحياة نفسها بنهارها المشرق وليلها المظلم ، بربيعها الضاحك وخريفها العبوس بقممها التي تصافح السحاب وسفوحها التي تعايش التراب .. هذه هي النظرة العابرة او الشاعرة ، التي لا تحلل ولا تعلل ، وانما تنفصل بالنتائج دون غوص في المقدمات ، وتنظر الى الامور بعين العاطفة وتتحسسها بنبض القلب ، من غير ارهاق لعين العقل في تلمس ما وراء هذا التقلب والتناقض من مسوغات أو مسببات ..

على انه اذا كانت النظرة الانسانية المتعقلة تنفى التناقض في الحياة ، وترجع كل ظاهرة الى سببها وترد كل نتيجة الى مقدمتها ، فكذلك حياة شاعرنا الملك السجين ، الذى انتقلت به الحياة من قاعة العرش الوضاءة الى زاوية السجن المظلمة وانتزعت من يده صولجان الملك لتضع حول هذه اليد قيد السجين .. ان لهذا التقلب الذى أخذ شكل التناقض اسبابه ومسوغاته من حياة الشاعر ، كما يأتى الظلام بعد الضياء ويعبس الخريف بعد ابتسام الربيع !



المعتمد في بيت ملك ، فأبوه المعتضد بن عباد ملك اشبيلية في عهد ملوك الطوائف بالاندلس ، وجده القاضى بن عباد من قبل أبيه مؤسس ملك بنى عباد في هذا الاقليم الاندلسى الكبير منذ أواخر العهد الاموى وضعف الخلفاء الامويين بقرطبة من ضبط أطراف الدولة ، مما جعل بعض حكام الاقاليم يستقلون بها عن الحكومة المركزية الاموية . وقد كان استقلال ابن عباد جد المعتمد باشبيلية سنة ٤١٤ هـ .

أما المعتضد والد الشاعر ، فقد تولى ملك اشبيلية بعد موت أبيه سنة ٤٣٣ ، وكان جبارا مهيبا ، كما كان شاعرا أيضا . وقد دعم مملكة اشبيلية وأحرز انتصارات كبيرة على خصومه .

وقد ولد له ابنه محمد قبيل أن يلى الملك بقليل ، سنة ٤٣١ هـ . وكان مولده في مدينة باجة غربى الاندلس . وقد عرف من هذا الوليد الأمير الذكاء . فلما شب - وكان أبوه المعتضد قد صار ملك اشبيلية - نشأ على الثقافة الرفيعة والادب العالى فأحب الادب وكلف بالشعر ، وقال نماذج جيدة منه منذ حداثته .

ولكن الوالد الملك حمل الابن الفتى الأمير الشاعر مسئوليات سياسية وعسكرية قد لا تتفق مع طبيعته الفنية وتكوينه الادبى . فقد ولاه قيادة الجيش مرة وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة ، كما عينه حاكما على مدينة شلب وعمره نحو اربعة عشر عاما سنة ٤٤٥ هـ . ولكن الامير الشاب الفنان غلب عليه الانطلاق وعدم اخذ الامور مأخذ الجد . وقد ساعد على ذلك التفلت في تلك المرحلة المبكرة من عمره بالشاعر المتحرر المغامر ابن عمار . فقد توثقت بينهما الصداقة ، وتقاربت المشارب ، فكانت لهما صولات وجولات في مجالى اللهو تتجاوب فيها رنات الكئوس مع انغام العيدان ، وتمتزج خلالها الحان الاوتار بسبحات الاشعار ...

ثم دخلت شخصية ثانية حياة الامير ، جرفته اكثر الى حياة الرفاهية والمتعة

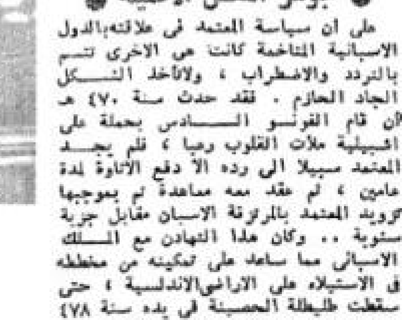
والاسراف في الملذات التي قد تنفع زادا لفنان منطلق ولكنها تضر أميرا مسئولا ، وملكا مستقبلا . هذه الشخصية هي « اعتمـاد » الرميكية ، التي كانت جارية تاجر من مياسير اشبيلية يسمى « رميك » . وقد رآها الامير في احدى نزهاته مع صاحبه ابن عمار فأعجب بها وزاد من اعجابه معرفتها بالشعر وقدرتها على قرض على البديهة . فاشتراها من مالكها ثم تزوجها ، وظل مفتتنا بها محققا كل تطلعاتها حتى ماكان يصـل الى درجة الحماقة . فقد حكوا انها رأت مرة بعض الفتيـات يمشين في الطين ، فطلبت من المعتمد أن تفعل مثلهن ، فجعل لها في حديقة القصر طينا مشابها مناسبا من الكافور والطيوب وماء الورد ، ثم خاضت اعتماد في هذا العجين مع جواريها . بل قيل ان المعتمد قد اختار لنفسه هذا اللقب بعد أن صار ملكا لكي تتشابه حروف لقبه مع حروف اسم حبيبته . وكان قد خلف أباه المعتضد على الملك بعد وفاة الاب سنة ٤٦١ هـ . وقيل انه اتخذ أولا لقب المؤيد ثم الظافر ..

● من وسوسات الخبثاء ●

ومنذ تولى المعتمد الملك مال الى سياسة المسالمة والبعد عن المتاعب حتى ولو كانت مما يحتمه الواجب ، كل ذلك لكي يفرغ الى حياته ، حياة الفنان المنطلق الذى يريد من الحياة أن تكون كما يريد ... وقد جنى الشـعب الاندلسي في اشبيلية **بعض الخير العاجل من وراء تلك السياسة ، حيث خفت عنهم وطأة الحاكم التي قاسوا منها أيام ابيه المعتضد ، وحل محلها تسامح ورخاء وتعاطف وامن .. وكان الادباء والشعراء اسعد الناس بالملك الفنان ، فقد قربهم وكرمهم وجعل وزراءه وكبار رجال دولته منهم . وكان في مقدمتهم ابن زيدون وابن عمار . ولكن طبيعة المعتمد وطريقته في الحياة ، وسياسته في الحكم المتأثرة بطبيعته وطريقة حياته ، قد جرت عليه وعلى شعبه بعد ذلك كثيرا من الشر ...**

حقيقة قد حاول المعتمد ان يقوم ببعض الاعمال البطولية من وجهة نظره أو من وجهة نظر بعض مستشاريه ، ولكن تلك الاعمال كانت في جملتها أذى للشـعب الاندلسي ووبالا عليه هو خاصة . فمثلا قد استهل حكمه بتنفيذ ما خطط له والده من الاستيلاء على قرطبة عاصمة بني جهور . فلما حاصر يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة هذه العاصمة الاندلسية سنة ٤٦٢ هـ ، واستعان حاكمها عبد الملك ابن جهور بالمعتمد ، سير نحوه جيشا ضخما حمل الذنونيـين على التراجع والانسحاب ، ثم انتهز العباديون الفرصة فزحفوا نحو قصر ابن جهور ، واجبروه على التسليم ، ثم نفى هو وأهله ، واستتب الامر لبني عباد بهذه الطـريقة الغادرة ، التي يغلب على الظن أنها من وسوسات بعض أعوانه الخبثاء .. وقد كان الجزاء من نفس العمل تقريبا ، فقد انتهز ابن ذى النون الفرصة وعاد الى مهاجمة قرطبة سنة ٤٦٧ وقتل سراج الدولة بن المعتمد الذى كان يحكمها من قبل والده .. **حقيقة قد تمكن ابن عباد بعد ثلاث سنوات من استعادة قرطبة بجيش ضخم وبعد معركة ضارية ، وعين ابنه المأمون حاكمها ، ولكن المدينة كان مصيرها السقوط بعد ذلك في أيدى المرابطين سنة ٤٨٤ ، كما كان مصير ابنه المأمون القتل . وهكذا فقد المعتمد اثنين من أبنائه ثمنا لهذه المغامرة .**

كذلك قام ابن عباد بمغامرة أخرى كلفته الكثير ، ففي عام ٤٧١ هـ جهز جيشا لفتح مرسية بالحاح وزيره وصديقه الشاعر المغامر ابن عمار ، وتعاقد مع أمير برشلونة على امداده بالجنود المرتزقة لقاء مبلغ من المال . ولكن الحملة فشلت أول الامر ، فعاد ابن عمار الى مرسية ثانية مستعينا هذه المرة بمؤازرة عبـد الرحمن بن رشيق قائد حصن بلج ، فاستسلمت المدينة ، وتولى ابن عمار ادارتها من قبل المعتمد ، ولكنه كمغامر طامع اراد بعد حين أن يستقل بها ، وظهرت منه بوادر تدل على نواياه ، فما زال به ابن عباد حتى قبض عليه وسجنه في اشبيلية ، ثم قتله بيده سنة ٤٧٧ هـ .



● جوهر النفس الاصيلة ●

على أن سياسة المعتمد في علاقته بالدول الاسبانية المتاخمة كانت هي الاخرى تتسم بالتردد والاضطراب ، ولاتأخذ الشكل الجاد الحازم . لقد حدث سنة ٤٧٠ هـ أن قام الفونسو السادس بحملة على اشبيلية ملأت القلوب رعبا ، فلم يجد المعتمد سبيلا الى رده الا دفع الاتاوة لمدة عامين ، ثم عقد معه معاهدة تم بموجبها تزويد المعتمد بالمرتزقة الاسبان مقابل جزية سنوية .. وكان هذا التهادن مع الملك الاسباني مما ساعد على تمكينه من مخططه في الاستيلاء على الاراضي الاندلسية ، حتى سقطت طليطلة الحصينة في يده سنة ٤٧٨ بعد أن ظلت قرونا تحت راية العروبة ..

وبعد سقوط طليطلة بدأ المعتمد ــ كغيره من ملوك الطوائف ــ يستشعر الخطر الاسباني ويدرك الخطأ الذى وقع فيه بالانهماك في اللهو ، وتبديد الجهد في التناحر ، وغض الطرف عن العدو الخارجي . وهنا التفت الى الشمال الافريقي فرأى دولة اسلامية قوية ، هى دولة المرابطين التى على رأسها القائد القوى يوسف ابن تاشفين . فرأى ــ مع بقية ملوك الطوائف ــ أن يستنجد بهذه القوة الافريقية الفتية . فجاء ابن تاشفين الى الاندلس بجيش قوى ، ونازل مع الاندلسيين جيش الفونسو في موقعة « الزلاقة » وهزمه . ثم غادر الاندلس بعد أن منحها قوة كان من المفروض أن يستغلها ابن عباد وغيره من ملوك الطوائف ..

ولكن سلوك ابن عباد ــ وغيره من هؤلاء الملوك الصغار ــ لم يتغير ، حيث ظل بعيدا عن الجدية ومواجهة الخطر الاسباني الذى يحاول التهام الاراضي الاندلسية العربية جميعا ... وهنا وجد ابن تاشفين الفرصة قد حانت لانتزاع الاندلس من يد ملوك الطوائف الذين على شاكلة المعتمد ، وضمها الى دولته في افريقيا ، فهذا في نظره أولى من سيطرة الاسبان عليها وضمها الى دولتهم .

وهكذا عبر يوسف بن تاشفين الى الاندلس من جديد سنة ٤٨٤ هـ ، وكان قد عبر بعد سنة « الزلاقة » مرة ثانية سنة ٤٨١ هـ ولكنه لم يحسم الموقف كما حسمه في هذه المرة الاخيرة . فقد سار الى غرناطة واستولى عليها ، ثم وزع قوات الى اقاليم مختلفة من الاندلس للاستيلاء عليها ، وجعل قوته الرئيسية مركزة للاستيلاء على اشبيلية ...

وقد فقد المعتمد ابنين من أبنائه أثناء استيلاء المرابطين على اقاليم الاندلس ، فقد ابنه المأمون في قرطبة كما سبقت الاشارة الى ذلك ، وفقد ابنه الراضي في رندة . أما هو فقد تأهب للدفاع عن اشبيلية واستنجد بحليفه الفونسو الذى امده بجيش لم يستطع الوصول الى عاصمة ابن عباد ، بل أدركه المرابطون قرب قرطبة فهزموه . واضطر ابن عباد الى النزول بقواته كلها للدفاع عن نفسه وعن بلده ، ولكن المرابطين كانوا أكثر عددا وعتادا فهزموه ، وقتلوا ابنه مالكا بين يديه ، فاضطر الى التسليم بعد ان قاوم قدر طاقته ، وبعد أن استبان عاقبة كل أخطائه ، فاغمد سيفه ، ونزل من القصر الى الأسر ، ووضع في يده القيد ، وسيق هو وبقية أهله ، فحملوا في سفائن سارت في الوادى الكبير ، ومنه توجهت الى طنجة في افريقيا ، ثم استقر المقام بابن عباد في سجن اغمات بمراكش ، وظل به بقية حياته الى أن توفي سنة ٤٨٨ هـ .

واذا كانت هذه النهاية المؤلمة نتيجة لمقدمات من سلوك الملك الشاعر واعماله ، فهى لا تخلو مع ذلك مما يثير الاشفاق ويبعث على الاسى ، وخاصة اذا عرفنا ان

الرجل لم يكن سيئا ولا شريرا ، وانما كان انسانا حمل ما ليس من طبيعته أن يحمله ، ووجه الى مسار كان من الخير له ان يسير في غيره . فهو رجل فنان يميل الى التحرر والانطلاق ، واذا أخذ نفسه بأمر جاد مجهد فلا يمكن أن يكون أعباء الملك وشئون السياسة وقيادة الجيوش . وبرغم مواقفه التي لا تتلاءم مع قوة الحاكم وصلابة القائد في كثير من الاحيان ، قد سجل التاريخ له بعض المواقف التي تشرفه كانسان عربي وتكشف عن جوهر نفسه الاصيلة .

ومما يضاعف الاشفاق على المعتمد ويثير مزيدا من الأسى لاجله ، تلك المبالغة في الاذى الذى لقيه على يد ابن تاشفين وهو سجين . فقد جرد أولا من كل ما يملك ، وحمل الى سجنه بمراكش فقيرا معدما ، تاركا وراءه الثراء الضخم والملك العريض، بقصوره العديدة وبساتينه اليانعة وكنوزه الغنية . ثم وضع في القيد في كثير من الاحيان وكأنه احد اللصوص أو السفاحين او قطاع الطرق . واخيرا لم يمنح في سجنه هو واسرته ـ او ما بقى منها ـ ما يكاد يسد حاجتهم الضرورية ، حتى لبست بناته الثياب الممزقة ، وسرن امامه حافيات ، واضطر بعضهن الى غزل الصوف بالأجر لنيل ما يستعان به على قسوة الحياة . هذا بالاضافة الى فقد عدد من أبنائه في حملة المرابطين على الاندلس ، ووقوع احدى بناته أسيرة اثناء تلك الحرب ، ثم ابتياع تاجر اشبيلي لها ، وتزويجها لابنه بعد استئذان المعتمد اجلالا لذكراه ...

كل هذا يشعرنا بأن المعتمد الانسان قد جنى عليه المعتمد الملك ؛ فقد كان ـ في الحق ـ انسانا فنانا لا يستحق كل تلك الألوان من العذاب الذى بلغ بحياته درجة المأساة ...

ومما يجعل مأساة المعتمد تمس القلب أكثر ، تعبيره بالشعر الجيد عن جوانبها المفعمة بالعبرة الجياشة بما يثير الرحمة .

لقد ألازته دعوة بعض أعوانه اياه أن يستسلم اول مقدم المرابطين ، فثارت فيه النخوة الكامنة وانتفض يستل سيفه ويدافع عن بلده ويقول :

قالوا : الخضوع سياسة ... فليبد منك لهم خضوع
والذ من طعم الخضو ... ع على فمي السم النقيع
ان يسلب القوم العدا ... ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه ... لم تسلم القلب الضلوع
لم استلب شرف الطبا ... ع ، أيسلب الشرف الرفيع

وحين انتهى به الامر الى الاسر ، ونقل الى الشمال الافريقي ، وصل الى موضع كان الاهالي فيه يستسقون السماء بعد جفاف أصابهم ، فقال في هذا الموقف :

خرجوا ليستسقوا فقلت لهم
دمعي ينوب لكم عن الانواء
قالوا حقيق في دموعك مقنع
لكنها ممزوجة بدماء

ولما عانى من قسوة الاغلال في سجنه ، قال معبرا عن الامه المبرحة من عض قيده :

تعطف في ساقي تعطف ارقم
يساورها عضا بانياب ضيغم
مخافة من كان الرجال بسيبه
ومن سيفه في جنة وجهنم

وكان في محبسه وقيده يستثيره الانطلاق ويهيج شجونه طيف الحرية ، فاذا رأى طائرا طليقا غبطه على تلك الطلاقة وراح يقول :

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بى   سوارح ، لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تك ـ والله المعيد ـ حسادة ـ   ولكن حنينا ، ان شكلى لها شكل
فاسرح، لا شملى صديع ولا الحشا   وجيع ، ولا عيناى يبكيهما ثكل
هنيئا لهـا ان لم يفرق جميعها   ولا ذاق منها البعد عن اهلها اهل
وان لم تبت مثلى تطير قلوبهـا   اذا اهتز باب السجن او صلصل القفل
لنفسى الى لقيا الحمـام تشوف   سواى يحب العيش فى ساقه حجل
الا عصم الله القطا فى فراخهـا   فان فراخى خانها المـاء والظل

وسمع قمرية تنوح فهاجه نواحها وتذكر نجيبته وراح يقول مقارنا بين حالها وحاله :

بكت ان رات الفين ضمهما وكر   مساء ، وقد اخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت ، واستراحت بسرها   وما نطقت حرفا يبـوح به سر
فمالى لا ابكى ؟ ام القلب صخرة   وكم صخرة فى الارض يجرى بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقـده   وابكى لآلاف عـديدهم كثـر
بنى صغير ، او خليـل موافق   يمزق ذا فقر ويغـرق ذا بحـر
ونجمان زين للزمان احتواهمـا   «بقرطبة» النكداء ، أو «رندة» القبر
غدرت اذن ان ضن جفنى بقطـرة   وان لؤمت نفسى فصاحبها الصبر
فقل للنجوم الزهر تبكيهمـا معى   لمثلهمـا فلتحزن الانجم الزهـر

وحين أقبل عليه العيد فى سجنه ، ودخلت عليه بناته يلبسن ممزق الثياب وفى أيديهن المغزل يغزلن به للناس بالأجر ، ثارت فى نفسه ذكريات العز السالف وراح يقول لنفسه :

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا   فساءك العيـد فى اغمات ماسورا
ترى بناتك فى الاطمار جائعـة   يغزلن للناس ، ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسـليم خاشعة   ابصارهن ، حسـيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين والاقدام حافيـة   كأنها لم تطأ مسـكا وكافورا !
قد كان دهرك ان تأمره ممتثـلا   فردك الدهر منهيـا ومامورا

ومن امارات الوفاء الذى يتسم به الشعراء الاصلاء ، تلك الرابطة التى ظلت تشد طائفة من اصدقاء الشاعر اليه وتشده اليهم ، برغم سجنه وقسوة الظروف عليه . ومن هؤلاء الشعراء : ابوبكر الدانى ، وابن حمديس الصقلى ، وابن عبد الصمد .

اما الدانى فقد حيا المعتمد بأشعاره وبكى مأساته بكاء مرا ، وأبى كرم المعتمد الا ان يرسل اليه بالقليل الذى كان يملكه ، ولكن الشاعر الوفى رفض أن يأخذ ثمنا لوفائه .

وكانت قمة احزان المعتمد قد تبلورت فى رثائه لنفسه قبل وفاته ، وابداعه هذا الرثاء ابياتا باكية أوصى بأن توضع على قبره ... وفى هذه الابيات يقول وهو لم يزل حيا :

قبر الغريب سـقاك الرائح الغادى   حقـا ظفرت باشلاء ابن عباد
بالحلم، بالعلم، بالنعمى اذا اتصلت   بالخصب ان اجدبوا بالرى للصادى
بالطاعن الضارب الرامى اذا اقتتلوا   بالموت أحمـر ، بالضرغامة العادى
بالدهر فى نقم ، بالبحـر فى نعم   بالبدر فى ظلم ، بالصدر فى النادى
نعم هو الحـق حابانى به قدر   من السماء فوافانى لميعـاد ...
ولم اكن قبل ذاك النعش اعلمـه   ان الجبال تهادى فوق اعـواد
كفاك ، فارفق بما استودعت من كرم   رواك كل قطـوب البرق رعاد
يبـكى اخاه الذى غيبت وابله   تحت الصـفيح بدمع رائح غاد
حتى يجودك دمع الطل منهمـرا   من اعين الزهر ، لم تبخل باسعاد
ولا تزال صـلاة الله دائمـة   على دفينك ، لا تحصى بتعـداد

رحم الله ابن عبـاد وغفر له ، فقـد كان فنه الشـعرى من أبدع الحسـنات ، التى يرجى ان يذهبن ما كان له كمـلك من سيئات

الإمام السجين

نظرة جديدة على

عبد العزيز
الدسوقي



احسست وانا الج عالم (الحطيئة) مرة اخرى انني في أشد الحاجة الى نظرة جديدة ، أطل من خلالها على هذا العالم المليء بالمتناقضات ، المحتدم بالتيارات ...

عالمي "الحطيئة" الشعري والنفسي

والحطيئة

من اشهر شعراء العرب ، ولكن لا يزال عالم نفسه ملفوفا بالغموض مسربلا بالظلمات الكثيفة ، على الرغم من كثرة ما كتب عنه ، وروى من حكايات . وعلى الرغم من كثرة المعلومات التى تروى عن تاريخ حياته وعلاقاته الاجتماعية ، فلم يعد يكفى أن تقول : ان الرجل أصيب بمركب النقص لظروفه النفسية ولتدافع نسبه في القبائل ، ولا ان تقول : أنه كان مزدوج الشخصية ، او اصيب بشذوذ نفسي نتيجة حياته الاولى . على الرغم من ان كل هذه الاشياء صحيحة . فهو بالفعل غير سوى نتيجة لاحداث حياته وظروف نفسه . ولكن هنالك أناسا تحيط بهم كل تلك الظروف ولا يصبحون مثل « الحطيئة » . هذا المثال المتفرد من العبقرية والانحطاط ، والنبوغ والنذالة ، والعظمة الفنية ، والحقارة النفسية . فلماذا كانت شخصية « الحطيئة » على هذا النحو من التناقض الحاد ، بين طرفي الخير والشر ؟ ذلك هو الذى يحتاج الى جهد لنصل الى الباعث الكامن خلف كل تلك التناقضات . وقد عدت الى ديوان « الحطيئة » وعشت مع شعره فترة من الزمان ، ثم تتبعت أخباره في كتب الادب والتاريخ ، فخرجت بانطباع عام ، هو ان هذا الرجل احس طوال عمره أنه سجين :

● سجين اصله الدنيء .

● وسجين شكله القميء .

● وسجين حياته الاجتماعية المنهارة ، فهو محروم من الحب ، كاره لكل شيء .

● وسجين التقاليد العربية الراسخة ، التى ظلت تطارده طوال حياته .

ومع هذا الاحساس العارم بكل هذه السجون ، تولد عنده نوع من المقاومة الحادة تمثلت في احساس اخر انبعث الى جوار الاحساس الاول . وهو الاحساس بالمروق ، والخروج على كل شيء ، الخروج على التقاليد والعادات والعرف والاخلاق . الخروج على الشرف والفضيلة والدين .

وامتزج هذا الاحساس ، بالاحساس الاول ، وتلاطم الاحساسان في نفسه ، واصبح « الحطيئة » : «المارق السجين»

... ومن أجل ذلك حرم من أشياء كثيرة ... حرم من الحب . وحرم من الاستقرار النفسي . وحرم من الايمان .

ولعل هذا الوصف ، هو المفتاح السحرى الذى يفتح لنا كل المغاليق في شخصية « الحطيئة » ، ويقودنا الى تفسير حياته وشعره ، الى جانب العناصر الاخرى التى أشرنا اليها . بل لعل تلك العناصر الاخرى ، هي التى كانت السبب في هذا الاحساس العاتي بالسجن والمروق .

الحارث السجين

ملامحه النفسية والجسدية

ونعود الى الشاعر لنتعرف عليه ونحدد ملامحه ونرسم له صورة محددة ...

اسمه « جرول بن اوس بن مالك بن جوية بن مخزوم بن غالب بن عبس بن بغيض بن غطفان بن قيس ... الخ ... »

وكنيته «ابو مليكة» ، ولقبه «الحطيئة» وامه « الضراء » وكانت جارية لابيه « اوس بن مالك » ، وهي سر متاعبه كما سنرى فيما بعد ...

وقد اسهبت الروايات في وصفه وتناقضت ولكنها مجمعة على انه :

فهو دميم ضيق العينين مضغوط اللحيين ، حاد اللسان ، سيء الخلق ، رث الهيئة ، مغموز الاصل متدافع النسب في القبائل .

ويحدثنا الاصمعي ان « الحطيئة » كان « جشعا سؤولا ملحفا ، دنيء النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلا ، قبيح المنظر ، رث الهيئة مغموز النسب ، فاسد الدين ، وما تشاء ان تقول في شعر شاعر من عيب الا وجدته . وقلما تجد ذلك في شعره »(1) فهو شاعر عظيم ، ولكنه انسان حقير دنيء سيء الخلق

ويحدثنا صاحب الاغاني ان الحطيئة « كان مغمور النسب وكان من اولاد الزنا الذين شرفوا »

وتلك هي عقدة حياته ، فأمه كانت جارية من الجواري يقال لها « الضراء » وكانت أمة لابيه « أوس بن مالك » وقد تزوج والده سيدة يقال لها «بنت رياح» ابن عمرو بن عوف بن الحارث بن شيبان ابن عمرو بن عوف بن الحارث بن شيبان بن ذهل وكان نحيلا طويلا صغير العينين مضغوط «اللحيين» وقد حملت « الضراء » الجارية من اوس ثم ولدت ولدا شبيها بالافقم وإذ سألتها مولاتها من ابن هذا الصبي؟.. قالت لها : من اخيك ... والحق انها علقت

به من زوجها « اوس » ، وهكذا ولد « الحطيئة » ... ثم مات « أوس » والد « الحطيئة » وترك ولدين من زوجته « بنت رياح » واعتقت بنت « رياح » جاريتها « الضراء » ام « الحطيئة » ، فتزوجت رجلا من بني عبس يقال له «الكلب ابن كنيس » فولدت له رجلين اصبحا اخوي « الحطيئة »

ومن هنا جاء اختلاط نسبه «الحطيئة» فهو تارة « ابن اوس بن مالك » وتارة ابن « الافقم بن عمرو بن ذهل بن ثعلبة »

ومن اجل هذا كان « الحطيئة » ينتمي الى بني عبس فاذا غضب منهم انتمى الى بني « ذهل بن ثعلبة »

ومن اجل هذا أحس بالهوان وراح يسأل امه « الضراء » عن ابيه فخلطت عليه وترددت ، وتأكد انه ابن زنا ، ومن هنا كره امه وخرج عليها وقال يهجوها :

تقول لي « الضراء » لست لواحد ولا اثنين فانظر كيف شرك اولئكا
وانت امرؤ تبغي ابا قد ضللته هبلت : الما تستفق من ضلالكا

وعلى الرغم مما في هذين البيتين من حدة وتطاول على أمه ، الا انهما يصوران شقاءه وتمزقه النفسي ... وقد حاول ان يتمرد على هذا الضياع فراح ينتمي الى بني عبس . وينتسب الى أوس بن مالك ، ويسأل اخويه ان يفردا له من مالهما ويمنحاه شيئا . فأبيا عليه ذلك وقالا له انت معنا ونحن نواسيك فغضب منهما ، وراح يبحث عن اخوته من ابيه الاخر « الافقم » وقدم الى الكوفة

---

(1) الاغاني ج ٢ ص ١٩٤ وما بعدها. ١٩٤ وما بعدها .

ونزل في بني عوف ، وسأل اخوته من « الاقم » ميراثه فأعطوه نخلات من نخل أبيهم ، وقد أقام معهم زمانا وقال فيهم :

ان اليمامة شر ساكنها
اهل القرية من بني ذهل
الضامنون لمال جارهم
حتى يتم نواهض البقل

ثم ضاق بعد ذلك ولم يقتنع بما اعطوه وطالبهم بميراثه كاملا فضربوه ولم يعطوه شيئا ، فغضب عليهم وهجاهم قائلا :

ان اليمامة شر ساكنها
اهل القرية من بني ذهل

وعاد الى الضياع من جديد ، وبدأت رحلته الشعرية في هذا الجو النفسي

والاجتماعي المظلم ، وقد صب نقمته على أمه وهجاها هجاء مقذعا مريرا ورماها بكل

نقيصة ، فهي تارة عجوز عاقة خرقاء لاتأتي بخير :

جزاك الله شرا من عجوز
ولقاك العقوق من البنين
فقد ملكت أمر بنيك حتى
تركتهم أدق من الطحين
فان تخلى وأمرك لا تصولي
بمشتد قواه ولا متين
لسانك مبرد لا خير فيه
ودرك در جاذبة دهين



وهي تارة زلزلة ثقيلة على النفس غليظة :

تنحي فاجلسي مني بعيدا
أراح الله منك العالمينا
أغربالا اذا استودعت سرا
وكانونا على المتحدثينا
حياتك ماعلمت حياة سوء
وموتك قد يسر الصالحينا

وهذا الهجاء لأنه نوع من الزوق حاول ان يحدث به توازنا نفسيا ، ويسكت به تلك الهواتف العاتية التي تصطدم في نفسه — ولكن هيهات !

وقد بلغ هذا الزوق مداه عندما هجا نفسه وزوجته وأولاده .

والرواة يتندرون بتلك الحكايات التي تروى عن هذا الفارق الذي يهجو كل الناس ، فاذا لم يجد أحدا هجا نفسه ، ويعتبرونها ضربا من سوء الخلق ولؤم الطبع ، ولكن الذين ينفذون الى أعماق حياة «الحطيئة» يدركون في يسر وسهولة ان كل هذا الزوق تربطه احساسه القسر بالسجن النفسي والاجتماعي كرد فعل عنيف للخروج من كل سجونه التي حملها في اعماقه ، ومع ذلك لم يفلح في الخروج على هذه السجون لتحول مرونته وتمرده الى لون من الحرمان القاسي طبع حياته وفنه ، ودمر كثيرا من عواطفه الانسانية

● فحرم من الحب بكل الوانه .

● وحرم من الشعور الفطرى العميق بالايمان .

● وحرم من الاستقرار الاجتماعي .

وتحولت حياته الى جحيم عاشها بهذا الاسلوب الذي تحدثنا به الروايات ، محروما من الحب وعاطفة احترام الذات والهيبة النابعة من تكامل الشخصية فلا عجب ان يهجو نفسه ويقول :

ارى لي وجها شوه الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله

ويقول الرواة : ان « الحطيئة » كان بذيئا هجاء فالتمس يوما انسانا يهجوه فلم يجده وضاق عليه ذلك فأنشد :

ابت شفتاى اليوم الا تكلما
بشر . فما أدرى لمن أنا قائله

وراح ينظر يمينا وشمالا فلم يجد أحدا، ثم رأى وجهه في بئر فقال :

أرى لي وجها شوه الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حــــاملـه

ومهما قيل حول هذه الرواية ، وأمثالها من الروايات التي تدور حول حياة «الحطيئة» فانني اعتقد أن « الحطيئة » كان بالفعل مجردا من عاطفة الحب لكل شيء ، فهو كاره لشكله كاره للناس كاره لأسرته كاره للمجتمع الذي يعيش فيه ، ولعل بيته الذي يهجو به زوجته أدق تصوير لكل هذه الصور من الكراهية الشاذة . يقول :

اطوف ما اطوف ثم اوي
الى بيت قعيــدته لكاع

ولا أظن ان « الحطيئة » كان يريد ان يذيع بين الناس ـ فقط ـ ان امرأته «أمام» لئيمة ذليلة النفس ، ولكنه كان يصور حالته النفسية بعد عودته من رحلاته ، التي كان يفتش فيهـــا عن الاستقرار الاجتماعي والنفسي مخفقا حزينا كارها لكل شيء . فهو بعد كل هذا الطواف في البلاد يعود صفر اليدين ، ويعود أيضا خاوي النفس والوجدان ، يعود الى هذا البيت الجديب وتلك الزوجة اللئيمة

عالمه الشعري

على ان موهبة «الحطيئة» العالية مكنته من ان يخلق لنفسه عالما شعريا مجيدا ، عوضه بعض الشيء من هوان حياته وحقارة نسبه، وعندما كان يفيء الى هذا العالم، ويهرب من واقعه المادي ، كان يغرد أطيب الالحان وارق الاشعار ، فلم يكن شعره هجاء كله ، بل كان في بعض الاحيان مواعظ تهز النفس الانسانية ، حتى لقد ترك رجل وصـــية لولده ببعض اشعار الحطيئة التي يقول فيها :

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكــن التقي هـو الســعيد
وتقــوى الله خير الزاد ذخــرا
وعنــــــــــد الله للأتقى مزيد
وما لا بد ان يأتي ... قريب
ولــكن الذي يمضي بعيــــد

وبيته الذي يتردد عبر الاجيال والذي يقول فيه :

من يفعــل الخيــر لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والنــاس

يؤكد أن النفس الشاعرة تصل الى ذروة الابداع الشعري على الرغم مما يحيط بصاحبها من ظروف واحداث

وتحول «الحطيئة» الى شاعر كبير وذاع اسمه وطار في الآفاق ، ولكنه لم يشعر بالرضا والامان ، ولم تعطه تلك المنزلة الشعرية الرفيعة اية مكانة اجتماعية ، فحول شعره الى سلاح صارم يستخدمه لارهاب الناس وهجائهم وترويعهم ، حتى صاروا يخشونه ويفرون منه ويعملون له حسابا ، ومن هنا اخذ مكانته الاجتماعية كشاعر من أكبر شعراء الهجاء والمدح يرفع الجماعة ببيت ويخفضها بآخر. فعندما قال يمدح « أنف الناقة » :

قوم هــم الانف والاذناب غيرهــم
ومن يســوى بأنف الناقة الذنبــا

صار ذلك فخرا لهم . وعنـــدما كان يهجو قبيلة . كان العار يلحق بها . ولذلك كانت القبائل تخشى لسانه ، تمنحه المنح وتغدق عليه العطايا . وكان يعيش بهـذا الاسلوب ، يطوف في البلاد باحثا عن رفد القبائل وعطاياهم وبهذا الاسلوب صار اكبر

المارق السجين

شعراء العرب في الجاهلية والاسلام ولكنه لم يجد لنفسه الامان فظل مارقا سجينا، وظل متمردا على حياته

صور التمرد والتمزق

ولعل أكبر صور تمرده ومروقه وتمزقه النفسي تلك الصورة التي ترسمها لناحياته في مطلع الدعوة الاسلامية ، لقد اسلم

وحاول ان يتخذ من الاسلام نسبا يرفعه، ولكن يبدو أن جشعه وحاجته الى المال حالتا بينه وبين الاندماج في الدين الجديد،

فظل مسلما بالاسم ، يمارس حياته كما كان يمارسها في الجاهلية ، ولذلك عندما انتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه

الى الرفيق الاعلى ، ارتد من الاسلام ، وقال :

أطعنا رسول الله اذ كان بيننا
فيا لعباد الله ما لابي بكر
أيورثها بكرا — اذا مات — بعده
وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

ولكنه ما لبث أن عاد الى الاسلام مرة ثانية ، وما اظن ان قلبه اطمأن بالايمان في يوم من الايام ، فهو كما قلت مارق متمرد خارج على كل شيء كاره لكل شيء،

وتمة سجنه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تعد أكبر احداث حياته، لان حياته كلها كانت بمثابة سجن كبير

عاش في ظلاله حزينا ممزقا شاعرا بالاذلال والهوان ، ولكنها على كل حال كانت من

الاحداث التي أثرت في نفسه تأثيرا شديدا، على الرغم من انه لم يسجن طويلا .

وسبب سجنه كما يحدثنا صاحب الاغاني وغيره من الرواة ، هو هجاؤه « للزبرقان ابن بدر » وهو أحد الولاة الذين ولاهم

رسول الله عملا ، ثم بقي كذلك في عهد أبي بكر وعهد عمر . وقد اتصل به « الحطيئة » ومدحه وتروي كتب التراجم



حكايات طريفة حول اتصال « الحطيئة » بالزبرقان بن بدر منها ان الزبرقان اقبل في سنة مجدبة الى عمر ليؤدي صدقات

قومه فقابل قرب اليمامة « الحطيئة » ومعه ابناه أوس وسواده وبناته وامرأته (1) فقال له الزبرقان وقد عرفه ولم يعرفه

« الحطيئة » : اين تريد ؟ قال : العراق. فقد حطمتنا هذه السنة . قال : فماذا تصنع ؟ .. قال : وددت ان أصادف بها

رجلا يكفيني مؤونة عيالي واصفيه مدحي ابدا . فقال له الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يوسعك لبنا وتمرا ويجاورك

احسن جوار واكرمه ؟ قال « الحطيئة » : هذا وابيك العيش ، وما كنت ارجو هذا كله . قال : قد اصبته . قال : عند

من ؟ قال : عندي .. قال : ومن انت ؟ .. قال : الزبرقان بن بدر »

وركب « الحطيئة » ابله وقصد دياره وعاش بين قومه واكرموه ، ويقال ان بني أنف الناقة اتصلوا به وجعلوا يغرونه

بالهروب من عند الزبرقان ليعيش بينهم ، وكان أكثر الملحين عليه في هذا « بغيض ابن شماس » ولكن « الحطيئة » ظل مترددا حتى أحس بفتور أهل الزبرقان فتركهم ولحق بآل بغيض ، ويقال انهم

---

(1) الاغاني الجزء الثاني ص ١٢٦ وما بعدها



المارق السجين

دسوا الى هنيدة زوجة الزبرقان ، أن الزبرقان انما يريد أن يتزوج ابنة الحطيئة مليكه . وكانت جميلة كاملة ، فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة (١)

ويقال : انه لم يجد فى كنف «الزبرقان» ما يحقق احلامه ، فلم يعطه شيئا مما وعده به . ولم يلق من حسن الرعاية ما

كان يرجو فانصرف عنه هاربا الى آل بغيض ، ثم هجا الزبرقان بقصيدته السينية الرائعة اللاذعة والتى يقول فيها :

والله ما معشر لاموا امرا جنبا
فى آل لأى بن شماس ، باكياس
ما كان ذنب بغيض لا ابالكم
فى بائس جاء يحدو اخر الناس
لقد مريتكم لو ان درتكم
يوما تجيء بها مسحى وابساسى
وقد مدحتكم عمدا لارشدكم
كيما يكون لكم متحى وامراسى
لما بدا لى منكم عيب انفسكم
ولم يكن لجراحى فيكم آسى
ازمعت ياسا مبينا من نوالكم
ولن يرى طاردا للحر كالياس
جار لقوم اطالوا هون منزله
وغادروه مقيما بين ارماس
ملوا قراه وهرته كلابهم
وجرحوه بانياب واضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك انت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

مع عمر بن الخطاب

ولقد ثار « الزبرقان بن بدر » واقبل على عمر وشكا « الحطيئة » وقال انه هجانى وكان معه « الحطيئة » فقال له : ما قال لك ؟ ... قال : لقد قال لى :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك انت الطاعم الكاسى

فقال عمر : ما اسمع هجاء ولكنها معاتبة ، فقال الزبرقان : او ما تبلغ مروءتى الا ان آكل والبس !!

فطلب عمر حسان بن ثابت وساله : اتراه هجاه ؟ .. قال : نعم وسلح عليه، فامر عمر بان يحبس « الحطيئة » ..

وظل فترة فى السجن حتى اطلق عمر سراحه .

وسلوك عمر « الفاروق » العظيم مع « الحطيئة » له دلالات كثيرة ، لا مجال هنا لسردها ، ولكنه يدل على حرية الفكر التى كانت تعيش فى ظلالها الدولة الاسلامية

لقد بعث « الحطيئة » بابيات الى امير المؤمنين ــ من السجن ، يقول فيها :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ
زغب الحواصل ، لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر
انت الامام الذى من بعد صاحبه
القى اليك مقاليد النهى البشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها
لكن لانفسهم كانت بك الاثر
فامنن على صبية بالرمل مسكنهم
بين الاباطح تغشاهم بها القرر
اهلى فداؤك كم بينى وبينهم
من عرض داوية تعمى بها الخبر

(١) الاغانى ج ٢ ص ١٨١

ويقال ان عمر بكى ، وأمر بأن يحضروا « الحطيئة » من سجنه وقال له « اياك وهجاء الناس قال أذن يموت عيالي جوعا. هذا مكسبي، ومنه معاشي.. قال: فاياك والمقذع من القول .. قال : وما المقذع ؟ .. قال : ان تخاير بين الناس

فتقول فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان .. قال : فانت والله اهجى مني ! .. فقال عمر : والله لولا ان تكون

سنة لقطعت لسانك ، ولكن اذهب (١) »
وهكذا خرج « الحطيئة » من سجن عمر ليعود الى اولاده . ويمارس حياته من جديد في مدح الناس وهجائهم وترويعهم..

السجين ابدا

ولكن هل خرج « الحطيئة » — بعد ذلك — من سجونه — المتعددة ؟ التي حملها طوال حياته ؟ .. ابدا

لقد ظل سجين أصله الدنيء .

وظل سجين شكله القميء .



وظل سجين حياته الاجتماعية المنهارة

وظل سجين التقاليد الراسخة .

شيء واحد أخرجه من سجنه هو الموت، وحتى موته كان مسرحا للطرائف والروايات، فيقال انه لما حضرته الوفاة طلب اليه أهله

ان « يوصي » فظل يحاورهم ويقول كلاما عجيبا لا يمكن ان يكون وصية ، حتى قالوا له : « يا ابا مليكة الك حاجة ؟ ..

قال : والله . ولكن اجزع على المديح الجيد ، يمدح به من ليس له اهلا .. قالوا : فمن أشعر الناس ؟ .. قال : هذا اذا طمع في خير ، واشار الى فيه » ..

« قالوا : فأوص للفقراء، قال أوصيهم بالالحاح في المسألة ، فانها تجارة لا تبور .. قالوا : فما تقول في مالك ؟ .. قال:

للانثى من ولدي مثل حظ الذكر ، قالوا: ليس هكذا قضى الله عز وجل ... قال: لكني هكذا قضيت . ثم طلبوا اليه ان يعهد اليهم بشيء غير هذا فرجاهم ان يحملوه على ظهر حمار حتى يموت ، وقال لهم : « والاتان مركب لم يمت عليه كريم قط »

وحملوه على ظهر حمار ظل يطوف به حتى مات وهو يردد :

لا أحد الأم من حطيه
هجا بنيه وهجا المريه
من لؤمه مات على فريه

وسواء أصحت هذه الرواية أم لم تصح، فان موت « الحطيئة » انهى حياة اعظم شاعر واحقر انسان .

ولكن هل انهى الموت سجونه ، او انه قذف به الى حفرة مظلمة يستقر فيها ...

يبدو ان جسده هو الذي حظي بسجن جديد ، هو سجن القبر

ولكن شعره انطلق من كل القيود . وانفلت من طوفان الزمان . ولايزال يتردد بين الناس وشر اللذة العقلية والمتاع النفسي ...

(١) الاغاني ج ٢ ص ١٨٧

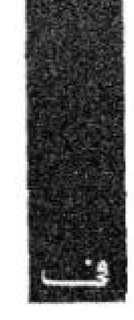
د. عبد العزيز عتيق

أبو فراس الحمداني

الأمير الشاعر الأسير



هو فارس الحمدانيين وشاعرهم . والحمدانيون هم من بقايا عرب نزار ، استوطنوا الجزيرة وما بين النهرين قبل الاسلام ، وانتشروا في حواضرها . وقد اخذ شانهم يعلو في القرن الثالث الهجرى ، وخاصة عندما اخذ خلفاء العباسيين يستعينون بهم ضد الخوارج والعصاة ، وفي اخماد الثورات التى تهب عليهم .



سنة ٣٢٠ هـ ولد الشاعر في مدينة الموصل فسماه والده « الحارث » وكناه « بأبى فراس » وهى كنية الاسد ! ..

وكانت ام أبى فراس جارية رومية ، نفهم ذلك من قول الشاعر فيما بعد في احدى رومياته :

اذا خفت من اخوالي الروم خطة
تخوفت من أعمامى العرب اربعا

ولكن أبا فراس لم ينعم بحنان الابوة اكثر من ثلاث سنوات ، فقد قتل والده « سعيد » غدرا سنة ٣٢٣ هـ ، قتله عميد الحمدانيين وقتذاك « ناصر الدولة » ابن عم الصبى ! .. وهكذا بدأت طفولته بمأساة اثرت في نفسه منذ الصبا ، وأورثته حقدا على « ناصر الدولة » قاتل أبيه ، حتى اذا فر هذا بابنائه من وجه معز الدولة بن بويه الى حلب محتميا بأخيه سيف الدولة ، نرى أبا فراس ينفس عن حقده بقصيدة يخاطب فيها أبناء « ناصر الدولة » بقوله :

لا تنكروا يا بنيه ما اقول فلن
تنس التراث ولا الاحال شيخكم
كادت مخازيه ترديه فانقذه
منها بحسن دفاع عنه عمكم

وقد أخذت الام تتنقل بابنها أبى فراس في مواطن الحمدانيين ، من آمد الى ميافارقين ، الى ماردين ، الى الرقة ، الى الموصل . وتوسم فيه ابن عمه وزوج اخته « على » سيف الدولة امارات النجابة ، فرعاه منذ صباه ، وأحاطه بعطفه ، وأسلمه الى اكابر عصره من العلماء يأخذ عنهم العلم واللغة والادب

وكان « على » هذا يعمل تحت امرة أخيه « ناصر الدولة » ، ثم دخل في خدمة الخليفة ، واظهر كثيرا من الشجاعة والتفانى في نصرته ، فأعجب به الخليفة، وسماه « سيف الدولة » وقربه منه .

ولما اشتد بأس سيف الدولة ، وعلا شانه ، سار الى حلب وقنسرين والثغور الشامية وحمص وانطاكية، وأقام الدعوة فيها للمستكفى ولاخيه ونفسه ، ثم استقل عن اخيه « ناصر الدولة » سنة ٣٣٣ هـ ، وانتقل بأسرته الى « حلب » ومعه أبناء عمه « سعيد » وفيهم هذا الصبى الذى توسم فيه النجابة ، أبو فراس ، وله من العمر ثلاث عشرة سنة .

وهكذا قوى نفوذ الحمدانيين ، واستطاعوا أن يؤسسوا في القرن الرابع دولة عربية حمدانية ، يتقاسم الحكم فيها ناصر الدولة وأخوه سيف الدولة . وقد قامت هذه الدولة على ثلاث عصبيات : العصبية العنصرية

أبو فراس الحمداني

ضد الفرس والاتراك ، والعصبية الدينية ضد الروم ، والعصبية القبلية ، وخاصة ضد بني كلاب ، وبني كعب ، وبني عقيل .

في هذه المرحلة من حياة الحارث ابي فراس اشتغل اكثر ما اشتغل بتثقيف نفسه ، فهو يتقن علوم اللغة والادب ، ويطالع كتب التاريخ ، ويستوعب الشعر ويتفهمه ، ويتمرن على اساليب الفروسية وفنونها ، ويدخل الى مجلس سيف الدولة ويفيد مما يثار فيه من احاديث الفن والغناء والادب والتاريخ والسياسة والفلسفة ، ويشترك في المناظرات .

في هذه المرحلة بدأ يقرض الشعر ويتقدم فيه ، فيعجب به سيف الدولة ، ويصطفيه لنفسه ، ويستصحبه في غزواته ، ويستخلفه على اعماله في غيابه .

***

وفي المرحلة الثالثة من عمره التي امتدت خمس عشرة سنة من ٣٣٦ – ٣٥١ هـ نرى سيف الدولة يقلده وهو في السادسة عشرة من عمره « منبج » و « حران » واعمالهما .

وهنا يبدأ أبو فراس حياة جديدة جادة ، فيدخل الحياة العامة ، ويتحمل المسئولية ، فمنبج حصن حصين لحلب ، ولها مكانها الهام بين عواصم الشام وثغوره ، والذي يتولى امرها عليه ان يدرأ عنها غارات القبائل وغزوات الروم .

وكانت هذه المرحلة ابهج مراحل حياة الشاعر واحفلها بالنشاط ، ففيها ميز نفسه بالفروسية والمقدرة الحربية ، اما مشاركا لسيف الدولة واما قائدا لجيوشه في حروبه مع القبائل والروم ، وفيها نظم الشعر الذي يدور اكثره على الاشادة بانتصارات سيف الدولة الحربية ، او على افتخاره بنفسه في حرب بني كعب وبني كلاب .

***

ثم جاءت المرحلة الرابعة من حياة الشاعر ، مرحلة الاسر الذي دام اربع سنوات من سنة ٣٥١ – ٣٥٥ هـ . حقا لقد لقي الكثير من البؤس والشقاء في هذه الفترة ، ولكنه فيها ايضا نظم اروع واشجى قصائده المعروفة « بالروميات » والتي تبلغ ربع ديوانه . وتعد من عيون الشعر العربي .

والمؤرخون متفقون على أنه بقي في الاسر حتى سنة ٣٥٥ هـ ، ولكنهم مختلفون على عدد مرات أسره ، فمن قائل : انه اسر مرتين ، الاولى بمغارة الكحل سنة ٣٤٨ هـ ، وما تعدى الروم به « خرشنة » ، وهي قلعة ببلاد الروم ، والفرات يجري من تحتها . وفيها يقال : أنه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن الى الفرات . والمرة الثانية أسره الروم على « منبج » في شوال سنة ٣٥١ هـ وحملوه الى القسطنطينية واقام في الاسر أربع سنين .

ووقائع الاسر في هذه المرة ان « بودرس » قائد جيش الروم خرج في ألف فارس من رجاله الى نواحي «منبج» فصادف الامير أبا فراس يتصيد في سبعين فارسا فباغته ، وأراده أصحابه على الهزيمة فأبى وثبت حتى اثخن بالجراح ، وأصابه سهم بقي نصله في فخذه ، فوقع اسيرا .

واغلب الظن ان اسره كان مرة واحدة لان القصة القائلة بانه ركب الفرس ، وركضه برجله ، فأهوى به من أعلى الحصن الى الفرات بعيدة التصديق ، اذ لو كان هذا الحادث وقع فعلا ، لكان



الشاعر ، وهو الشديد الفخر بنفسه ، أشار اليه فى شعره ٠

والنقطة المهمة هنا أن الشاعر قد أسر ونقل الى بلاد الروم ، وأن الاسر قد أثر فى نفسه تأثيرا عميقـــا ، وأطلق على لسانه « الروميات » التى تعـد أروع شعره ٠

وهذه « الروميـات » متنـوعة الموضوعات ، ففيها عتاب واستعطاف للامير ، وفيها مدح وفخر ورثاء ، وفيها شكوى من الاقارب والاصـدقاء الذين تخلوا عنه فى محنته ، وفيها شـعر عن الاسر والمفاداة ، ثم فيهـا تأملات حكمية يخرج الكثير منها مخـرج الامثال ...

وعنـدما وقع أبو فراس فى يد « بودرس » قائد الجيش وابن أخت ملك الروم سامه اخراج أخيه الذى كان أسيرا عند سيف الدولة أو دفع فدائه ٠ وظن أبو فراس أن هذا مطلب سهل على ابن عمه سيف الدولة ، فكتب اليه أول قصيدة قالها فى الاسر يسأله فيها أن يفاديه بأخى « بودرس » ٠ ومن هذه القصيدة قوله :

دعوتك للجفن القريح المسـهد
لدى ، وللنوم القليـل المشرد
وما ذاك بخلا بالحياة ، وانهـا
لاول مبذول لاول مجتـد

وما الاسر مما ضقت ذرعا بحمله
وما الخطب مما أن أقول له : قد
ولكننى اختـار موت بنى أبى
على صهوات الخيل غير موسـد
وتأبى وأبى أن أموت موسـدا
بأيدى النصارى موت أكمد اكبد
أناديك لا انى أخـاف من الردى
ولا أرتجى تأخير يوم الى غـد
ولكن أنفت الموت فى دار غـربة
بأيد النصارى الغلف ميتة أكمـد
فلا تقعدن على سوقد سيم فديتى
فلست عن الفعل الكريم بمقعـد
فلا كان كلب الروم أراف منـكم
وأرغب فى كسب الثناء المخلـد

❁❁❁

متى تخلف الايام مثـلى لكم فتى
طويل نجاد السيف رحب المقلـد ؟
فان تفقدونى تفقدوا شرف العلا
وأسرع عواد اليها معـود
وان تفقدونى تفقدوا لعـلاكم
فتى غير مردود اللسان ولا اليد
يطاعن عن أعراضكم بلسـانه
ويضرب عنكم بالحسام المهنـد
ولو لم تنل نفسى ولاءك ، لم اكن
لاوردها فى نصره كل مـورد
ولا كنت ألقى الالف زرقا عيونها
بسبعين ، فيهم كل الشام النكـد

يقولون : مجنب عادة ما عرفتها
شديد على الانسان ما لم يعود
فقلت : أما والله لا قال قائل :
شهدت له في الحرب الام مشهد
ولكن سالقاها ، فاما منية
هي الظن ، او بنيان عز موطد
ولم ادر أن الدهر في عدد العدا
وأن المنايا السود يرمين عن يد !

ومن هذه الابيات نرى مقدار اعتزاز الشاعر بنفسه ، وكيف أنه وهو الفارس العربي الابي ، قد رفض مشورة رجاله بالاستسلام ، وظل يحارب الالف بسبعين فيهم – كما يقول – : « كل اشأم انكد » حتى أسر وهو يقاتل حتى اللحظة الاخيرة ! .. ولكن سيف الدولة ، ولاسباب غير معروفة، لم يصغ الى نداء ابن عمه المؤثر ، ولم يستجب له !

وقد بدأت روح الجفاء تدب وتشتد بين الشاعر وابن عمه سيف الدولة بسبب المفاداة . فعندما امتنع سيف الدولة من اخراج ابن اخت ملك الروم من أسره مقابل خروج أبي فراس من أسر الروم ، عظم الامر على الشاعر من هذا الموقف ، وبعث الى ابن عمه بقصيدة عتاب تفيض بالالم والمرارة ، ومنها :

صبور ولو لم تبق مني بقية
قؤول ولو أن السيوف جواب
وقور وأحداث الزمان تنوشني
وللموت حولي جيئة وذهاب
والحظ احوال الزمان بمقلة
بها الصدق صدق والكذاب كذاب
بمن يثق الانسان فيما ينوبه
ومن أين للحر الكريم صحاب ؟
بني عمنا لا تنكروا الود اننا
شداد على غير الهوان صلاب
وان رجالا ما ابنهم كابن اختهم
حريون ان يقضى لهم ويهابوا
فعن اي عذر ان دعوا ودعيتم
ابيتم بني اعمامنا واجابوا ؟

ثم يوجه العتاب صريحا الى سيف الدولة فيقول :

امن بعد بذل النفس فيما تريده
اثاب بمر العتب حين اثاب ؟
فليتك تحلو والحياة مريرة ..
وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب
اذا نلت منك الود فالكل هين
وكل الذي فوق التراب تراب !

ويرى الشاعر تباطؤ سيف الدولة عن مفاداته ومفاداة أسرى المسلمين ، فيتشفع اليه با بنيه أبي المعالي وأبي المكارم ، ولكنه لا يجد صدى لهذه المحاولة فيزداد ألمه لخيبة أمله فيهما أيضا !

ولما طال الامر بوالدته خرجت من « منبج » الى « حلب » وراسلت سيف الدولة ، ووافق ذلك أن البطارقة قيدوا بحلب فقيد أبو فراس بخرشنة ، ورأت الامر قد عظم فاعتلت من الحسرة ، وبلغ ذلك أبا فراس فلم يطق ما تلقاه أمه بسببه ، فبعث الى سيف الدولة بقصيدة رائعة ، استهلها بوصف حال أمه ومواساته لها ، ثم ختمها بعتاب عنيف الى ابن عمه وزوج أخته :

يا حسرة ما أكاد احملها
آخرها مزعج واولها
عليلة بالشام مفردة
بات بأيدي العدى معللها
تمسك أحشاءها على حرق
تطفئها والهموم تشعلها
اذا اطمأنت – وأين – او هدأت
عنت لها ذكرى تقلقلها
تسأل عنا الركبان جاهدة
بادمع ما تكاد تمهلها
« يا من رأى لي بحصن خرشنة
اسد شرى في القيود ارجلها » ؟
« يامن رأى لي الدروب شامخة
دون لقاء الحبيب اطولها » ؟
« يا من رأى لي القيود موثقة
على حبيب الفؤاد اثقلها » ؟
يأيها الراكبان ، هل لكما

في حمل نجوى يخف محملها ؟
قولا لها ، ان وعت مقالكما ،
وان ذكرى لها لبذهلها :
« يا امنا ، هذه منازلنا
نتركها تارة وتنزلها »
« يا امنا ، هذه مواردنا
نعلها تارة وننهلها »
« اسلمنا قومنا الى نوب
ايسرها في القلوب اقتلها
« واستبدلوا بنا رجال وغى
يود ادنى علاى امثلها

***

يا سيدا ما تعد مكرمة
الا وفي راحتيك امثلها
ليست تنال القيود من قدمي
وفي اتباعي رضاك احملها
لا تتيمم والماء تدركه
غيرك يرضى الصغرى ويقبلها
ان بني العم لست تخلفهم
ان عادت الاسد عاد اشبلها
جانلك تمتاح رد واحدها
ينتظر الناس كيف تقفلها
سمحت مني بمهجة كرمت



أنت على يأسها مؤملها
ان كنت لم تبذل الفداء لها
فلم ازل في رضاك ابذلها
تلك المودات كيف تهملها ؟
تلك المواعيد كيف تغفلها ؟
ارحامنا منك لم تقطعها :
ولم تزل دائبا توصلها ؟
اين المعالي التي عرفت بها

تقولها دائما وتفعلها ؟
يا واسع الدار كيف توسعها
ونحن في صخرة نزلزلها ؟
يا ناعم الثوب ! كيف تبدله ؟

ثيابنا الصوف ما نبدلها !
يا راكب الخيل ! لو بصرت بنا
نحمل اقيادنا وننقلها !
رأيت في الضر اوجها كرمت

فارق فيك الجمال اجملها !
قد اثر الدهر في محاسنها
تعرفها تارة وتجهلها !
فان سألنا سواك عارفة
فبعد قطع الرجاء نسألها !

وفي اعماق اعماق يأسه وظلام سجنه ، وخيبة أمله فيمن أنفق عمره ، كما يقول، بغير حساب في خدمته يحرمه القدر من آخر شعاع أمل يعيش به وله، من أمه ، فيروح يرثيها بقصيدة ، كأنما صيغت كل كلمة فيها من عصارة الالم :

أيا أم الاسير سقاك غيث
بكره منك ما لقي الاسير
اذا ابنك سار في بر وبحر
فمن يدعو له او يستجير ؟

حرام ان يبيت قرير عين
ولؤم ان يلم به السرور !
وقد ذقت المنايا والرزايا
ولا ولد لديك ولا عشير

وغاب حبيب قلبك عن مكان
ملائكة السماء به حضور
أيا اماه كم هم طويل
مضى بك لم يكن منه نصير

أيا أماه كم سر مصـــــون
بقلبك مات ليس له ظهـــور
أيا أماه كم بشرى بقـــربي
أتتك ودونها الأجـــل القصير
الى من أشـــتكي ولمن أناجي
اذا ضاقت بما فيها الصـــدور ؟
بأي دعاء داعيـــة أوقى ؟
بأي ضياء وجه أســـتنير ؟
بمن يستدفع القـــدر الموفى ؟
بمن يستفتح الامر العســـير ؟
نسلى عنك أنا عن قليـــــل
الى ما صرت في الاخرى نصير !

ويعرف وهو أسير في أيدي الروم بخروج الدمستق بجيوشه الى الشام ، فينسى كل شيء ، ولا يذكر الا سلامة وطنه وغيرته عليه ، ولهذا نراه يبادر فيبعث الى سيف الدولة بقصيدة طويلة ينبئه فيها بخروج الدمستق الى الشام ، ويحرضه على الاستعداد للاقاته . من هذه القصيدة قوله :

سيف الهدى من حد سيفك يرتجي
يوم يذل الكفر للايمـــــان
هذي الجيوش تجيش نحو بلادكم
محفوفة بالكفر والصلبـــان
البغي اكثر ما تقل خيـــولهم
والبغي شر مصاحب الانسـان
ليسوا ينون فلا تنوا في امركـــم
لا ينهض الواني لغيـــر الواني
قد أغضبوكم فاغضبوا وتأهبـــوا
للحرب أهبة ثائر غضـــبان !

ويحدث أبو فراس أستاذه ابن خالويه عن معاملة ملك الروم له وهو في الاسر فيقول : « لما حصلت بالقســطنطينية أكرمني ملك الروم أكراما لم يكـرمه أسيرا قبلي ، وذلك أن من رسومهم : ألا يركب أســير في مدينة مثلهم دابة قبل لقاء الملك ، وأن يمشي في ملعب لهم يعرف « بالبطوم » مكشــوف الراس ويسجد فيه ثلاث سجدات أو نحوها ، ويدوس الملك رقبته في مجمع يعـرف « بالنوري » . فاعفاني من جميع ذلك ، ونقلني لوقتي الى دار ، وجعـل لي « برطسانا » يخدمني ، وأمر باكرامي ، ونقل الى من أردته من اسارى المسلمين ، وبذل لي المفاداة مفردا ، وأبيت بعد ما وهبه الله لي من العافية ، ورزقنيه من الكرامة والحياء ، أن أختار نفسي على المســلمين ، وشرعت مع ملك الروم بالفداء . ولم يكن الامير سيف الدولة يستبقي اسارى الروم ، فكان في أيديهم فضل ثلاثة آلاف أسير ممن أخــذ من الاعمال والعساكر ، فابتعتهم بمائتي الف دينار رومية ، على أن يوقع الفداء ، وتشترى هذه الفضيلة ، وضمنت المال والمســلمين ، وخــرجت بهم من القسطنطينية وتقدمت بوجـوههم الى « خرشنة » ، ولم يعقد قبلها قط فداء مع أسير ولا هدنة »

ويبدو أن هذا التصرف من قبل أبي فراس قد أغضب سيف الدولة ، وخاصة



عندما بلغه أن بعض الاسرى قال : « ان ثقل هذا المال على الامير كاتبنـا فيه صاحب خراسان وغيـره من الملوك . وخفف علينا الاسر » · وقد اتهم سيف الدولة أبا فراس بهذا القول لضمانه المال للروم ، وقال : « من أين يعرفه أهل خراسان » ؟ وهنا لم يسع أبا فراس الا ان يبعث اليه بقصيدة تمتزج فيها نبرة العتاب بنبرة التقريع :

اسيف الهدى وقريع العـرب
علام الجفـاء ؟ وفيم الغضب ؟
وما بال كتبك قد اصـبحت
تنكبني مع هـذا النكب ؟
وماغض مني هذا الاسـار
ولكن خلصت خلوص الذهـب
ففيم يعرضني بالخمـو
ل مولى به نلت اعلى الـرتب
وكان عتيدا على الجـواب
ولكن لحضرته لم اجـب
اتنكر اني شكوت الزمـان
واني عتبتـك فيمن عتب ؟
فلا تنسبن الى الخمـول
اقمت عليك فلم اغتـرب
واصبحت منك فضـل يكون
وان كان نقص فانت السـبب
وان « خراسان » ان انكـرت
علاى فقد عرفتهـا « حلب »
ومن اين ينكرني الابعـدون ؟
امن نقص جد ؟ امن نقص اب ؟
الـست واياك من اسرة
وبيني وبينك قرب النسـب ؟
وكنت الحبيب وكنت القـريب
ليالي ادعوك من عن كثـب
فلما بعدت بدت جفـوة
وبان من الامـر مالا يحب
فلو لم اكن بك ذا خبـرة
لقلت حبيبك من لم يغـب !

***

وفي الوقت الذي كان يعاني فيه من الاسر ، ومن تقاعس سيف الدولة عن مفاداته، كان الروم ـ على اكرامهم له ـ يتخذون من أسره أحيانا فرصة للنيـل من دينه ، أو من شجاعة قومه · ولكنه كان يقف لهم كالطود الشامخ الراسخ ، ويرد عليهم في اباء العربي الحـر الشجاع !

واحفظ ابو فراس « الدمستق » في مناظرة جرت بينهما، فقال له الدمستق : « انما أنتم كتاب أصحاب اقلام ، ولستم بأصحاب سـيوف ، ومن اين تعرفون الحرب » ؟ فقال له ابو فراس : « نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالاقلام ؟ ! ثم رد عليه بقصيدة منها :

اتزعم يا ضخم اللغاديد اننـا
ونحن أسود الحرب لانعرف الحربا ؟
فويلك من للحرب ان لم نكن لهـا
ومن ذا الذي يمسي ويضحي لها قربا
ومن ذا يلف الجيش من جنباته ؟
ومن ذا يقود الشم أو يصدم القلبا
اتوعدنا بالحرب حتى كاننـا
واياك لم يعصب بها قلبنا عصبا
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه
فكنا بها اسدا وكنت بها كلبـا !
بالاقلام احجرت ام بسـيوفنا ؟
واسد الشرى قدنا اليك ام الكتبا؟

***

واخيرا وبعـد طول انتظـار طلب سيف الدولة من نقفور ملك الروم المفاداة من اسرى المسلمين بمن عنده من أسرى الروم فأجابه الى ذلك وتمت المفاداة على شاطىء نهر الفرات في مسـتهل رجب سنة ٣٥٥ هـ · وكان ممن افتداهم سيف الدولة محمـد ابن أخيه ناصر الدولة وابو فراس وغيـرهما من بني حمدان · وقد احتفل سيف الدولة لقدوم ابن أخيه ، وعمل الاسمطة الهائلة ، وقدم له الخيل والمماليك والعـدد التـامة فمن ذلك مائة مملوك بمناطقهم وسيوفهم وخيولهم · أما ابو فراس فلم يحظ من الامير بمثل هذه الحفاوة الاس

الذى يشير الى أن الجفاء بينهما ـ على الرغم من المفاداة ـ كان لا يزال قائما، وقد ادى هذا الجفاء بالشاعر فى فترة ما بعد الاسر الى شعور بالغربة والوحدة والبعد عن الاقارب :

ارانى وقومى فرقتنـــا مذاهب
وان جمعتنا فى الاصول المناسب
فاقصاهم اقصاهم عن مســاءتى
واقربهم مما كـــرهت الاقارب
غريب واهلى حيث ماكـــر ناظرى
وحيد وحولى من رجالى عصائب

***

ثم تأتى المرحلة الخامسة والأخيرة من حياة أبى فراس ، وهى مرحلة ما بعـد الاسر التى دامت من ٣٥٥ ـ ٣٥٧ هـ . فى هذه المرحلة يعود الشاعر الى وطنه الذى طال حنينه واشتياقه اليه ، فيرى الامور فيه قد تغيرت كثيرا عما كانت عليه من قبل .

فالدولة الحمـــــدانية قد أنهكتها واستنزفت مواردها الحروب الكثيـــرة التى وقعت بينها وبين الروم ، وبينهـا وبين القبائل المناوئة لها ، وســـيف الدولة قد نال منه المرض ، وأحبـابه وأصدقاؤه منهم من فارقوا الحياة ، ومنهم من فارقهم هو بعد أن جربهم فى محنة أسره ورأى ضعف مودتهم ..

وقد اقام الشاعر عقب خـروجه من الاسر بمدينة « حمص » ، وفيها تزوج للمرة الثانية بابنة عمه ابى العشائر التى يقول فيها من قصيدة :

وادبية اخترتها عربيـــــــة
تعزى الى الجد الكـريم وتنتمى
محجوبة لم تبتـــذل ، امارة
لم تأتمر ، مخدومة لم تخـــدم

ولم يمر على اقامته فى « حمص » سبعة أشهر ، حتى بلغه نبأ وفاة ابن عمه وزوج أخته الامير سيف الدولة وهنا يذكر الشاعر سابق أفضاله عليه وينسى ما كان بينهما أخيرا من جفاء فيحزن عليه وعلى مصير الحمدانيين من بعده غاية الحزن .

ثم تنتقل امور الدولة بعد الامير سيف الدولة الى « قرغويه » حاجبه التركى ، والوصى على ابنه « أبى المعالى » . وقد ترتب على هذا الوضع الجديد قيـــام صراع خفى بين الشاعر و « قرغويه ».

فأبو فراس ، وهو الامير الفـارس العربى ، يأنف من الخضوع لحــاجب تركى ، و « قرغويه » لايشعر بالاستقرار فى مركزه الجديد وبجانبه أمير عـربى قوى كأبى فراس .

ولهذا اخذ « قرغويه » يوغر صدر « ابى المعالى » ، ويوهمه أن خاله ابا فراس يريد أن ينحيه عن ملكه ويستأثر هو به لنفسه ، وهنا يتحول الصراع الخفى الى صراع سافر ، بل الى حـرب بين الطرفين انتهت بمقتل ابى فراس على يد « جوشن » أحد عبيد «قرغويه» وبأمر منه . وكان مقتـــله عند قرية « صـــدد » قرب مدينة « حمص » لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ٣٥٧ هـ ، وله من العمـر سبع وثلاثون ســنة ...




كتاب الهلال يقدم
قصة
الأزهر
رحاب العلم والإيمان
بأقلام
نخبة من أعلام
الأدب والفكر والدين
يصدر ٥ يناير ١٩٧٣ • الثمن ١٠ قروش

● د. محمد أبو الأنوار ●

المنفلوطي.. سجين قصيدة



الهجاء

في صعيد مصر ، على الضفة الغربية للنيل في المدينة ذات التاريخ المسماه «منفلوط» ، وفي بيت يتوارث مرتبة القضاء ، ونقابة الاشراف .. ولد الاديب العربي الشهير مصطفى لطفي المنفلوطي عام ١٨٧٦! ، وما ان بلغ الحادية عشرة من عمره حتى كان قد حفظ القرآن الكريم ، فبعث به الى الازهر ، لينهج نهج آبائه، فمكث عشر سنوات يدرس علوم اللغة والدين .

ولكن الفتى اليافع وجد نفسه خلال المدة التي قضاها بالازهر عزوفا عن طريقة الدراسة به ، شديد الشغف بكتب الادب فكان شيوخه اذا ظفروا بكتاب من هذه الكتب في يده عنفوه ، ولكنه ماكان يرده عن هوايته تعنيف

يقول المنفلوطي واصفا هذه الفترة من حياته . « ولم يكن حولي لذلك العهد ممن يستعين بمثلهم مثلي على الادب أحد ... ولم اكن اذ ذاك زاهيت الثالثة عشرة بين أشياخ أزهريين من الطراز القديم كانوا يرون أن التوفر على الادب او الالمام به عمل من أعمال البطالة والعبث ، وفتنة من فتن الشيطان ... وكثيرا ما كانوا يهجمون مني على ما لا يحبون فاجد من البلاء بهم والتعصص بمكانهم ما لا يحتمل مثله مثلي »

واصبح الفتى الشيخ شاعرا ●

أدمن المنفلوطي قراءة الادب في أمهات الكتب العربية كالاغاني ، والعقد الفريد، والبيان والتبيين ، ودواوين المتنبي ، والبحتري ، وأبي تمام ، وغيرهم . ومن ثم تكون حسه الادبي ، وتفتحت نفسه للقول ، واخذ يقرض الشعر بين رفاقه واحبابه ، واول قصيدة اكتملت له ، وعرضها على من يرجى برأيهم وتوجيههم كانت غزلة ، وقالها في سن السادسة عشرة تقريبا ، ومطلعها :

اردنا سؤال الدار عمن تحملوا
فلم ندر من فرط البكا كيف نسأل
وهاج لنا الذكرى معاهد اصبحت
تعيث صبا فيها وتعبث شمال

واستمع الى هذه القصيدة « محمد سلطان بك» الاستاذ بدار العلوم العليا» فاخذ يشجعه على نظم الشعر وعدم كتمانه » واخذ الفتى يزاول قرض الشعر في كل ما يحسه وينفعل به ، ويعيش قضية مصر قضية الوطن الذي يدنس ارضه مستعمر غاصب ، يمكن له من امره حكام غرباء ضعاف مهازيل، اصحاب هوى شخصي ، ومصالح ذاتية

وكانت في مصر مدارس واتجاهات وطنية كلها تعمل وتبذل من اجل مصر، وكانت مدرسة جمال الدين قد تخرج فيها رجال كثيرون ، يزحمون الساحة بجهاد غزير واصرار لا يعرف الكلل .

وكانت الكلمة الادبية من اكبر عوامل تدفق النهضة في عروق مصر ، اذ كانت بما لها من مقدرة عظيمة تستوعب الحياة برمتها ، وكانت عزم الامة المحرك ، وعقلها المفكر ، وحسها المستوفز ، وسلاحها المتقدم للقتال في كل ميدان ، وكانت روح الوطنية تملأ جوانح الشباب الغيور على وطنه وامته ومقدساته . وكانت قضية الوطن هي مشغلة الحياة الاولى في اروقة البحث والدرس ، وفي منتديات اللقاء في البيوت والمقاهي والمحافل ، برغم القهر والاستبداد والسطو من المستعمر واعوانه .

وظهر المنفلوطي في سن العشرين أو قبلها ممتشقا قلمه الشاب بحمسه في دمه الحار فينسج قصائده السياسية الثائرة ؛ تلك التي فتحت له باب السجن على مصراعيه ، وهو لما يزل طالبا بأروقة الازهر لم يشغل وظيفة ولم يباشر عملا غير هواية الادب ، ونشر بعض القصائد في الجرائد والمجلات .

ونظم المنفلوطي أولى قصائده الوطنية على وجه التقريب في اوائل سنة ١٨٩٧ ، تحت عنوان « تحرير مصر » بتوقيع « عدو الاحتلال » وفيها يقول :

ألا راية للعدل في مصر تخفق ... لعل مساعي دولة الظلم تخفق
ألا صدمة للجور توقف سيره ... فيجبر ذاك الكسر والفتق يرتق

**

ذهلنا فما ندري أوالي امورنا ... بلندن أم في مصر كيف نفرق
اليك خديوي مصر منك شكاية ... ومثلك أدرى بالامور واحذق
كسرت قلوبا كنت قبل جبرتها ... فصرنا وكل للمذلة مطرق

**

فوالله ان لم تدرك الامر واسعا ... لأرغمت عن ادراكه وهو ضيق
ويا وزراء الصفر والبيض يا لقلة ... لما بكم من اشنع العار يلصق

وانتشرت القصيدة في شوارع القطر ، وليس في القاهرة وحدها ، كما تحكي الصحافة المعاصرة ذلك ؛ وعرف الناس كاتبها وتحدثوا به في المحافل الخاصة والعامة لا سيما في أروقة الأزهر ، وصارت له بها شهرة وطنية لدرجة أنه عندما ظهرت قصيدته الثانية « قدوم » عرف الناس قائلها ووسموه بأنه « عدو الاحتلال » واستدلوا على ذلك بوحدة الروح الوطنية وتشابه النغم الفني بين القصيدتين .

وبالرغم من افلات المنفلوطي من يد العقاب هذه المرة فانه لم يكف .. علما بانه كان يعرف أن الحكومة ترخي له ، لانها تريد أن تعرف الدوافع والمحركات ، اذ كان أهم ما يعنيها هو الكشف من جهة التحريض وتحديد هويتها ؛ هل هي جمعية سرية ، أو جماعة من الجماعات الوطنية المعروفة ... وهل قائلها ضد الخديو وحده ، أو ضد الانجليز وحدهم ، أو ضدهما معا ... فهذا السكوت عنه كان مبعثه حرص الحكومة والمستعمر على معرفة المزيد من المحرك ودوافعه واعوانه .

ومع علم المنفلوطي بثقل التبعة التي يقوم بحملها ، وخطورة الحركة التي يمارسها ، فانه لم ينقض عام ١٨٩٧ حتى اهتبل فرصة اخرى ليهاجم بعنف الخديو الذي مكن للمستعمر ، ويمكن له كل يوم ، والذي لا يعنى بغير نفسه ومصالحه ، والامة من حوله تغلي وتتحرق شوقا الى تحرير وطنها والحفاظ على حقوقها .

كان الخديو يقوم برحلة داخل البلاد بالوجه البحري ، وتجرى له الاحتفالات هناك في دسوق ، وشبراخيت ، وكفر الزيات ، والاسكندرية ، وغيرها ، وفي صباح الرابع من نوفمبر ١٨٩٧ كانت تفاصيل مطولة من رحلة الخديو تغطي صفحات الجرائد لا سيما « المؤيد » ، وكان قد عاد الى القاهرة في اليوم السابق مباشرة . واذا بقصيدة للمنفلوطي تجوب القاهرة في الشوارع والطرقات ، ودواوين الحكومة تستقبل هي الاخرى الخديو ، وتغلظ له البلاغ وتصخه صخا عنيفا بخمسة وعشرين بيتا .

ورقة حمراء محاطة بخطوط سوداء تحمل اسم « الصاعقة » لصاحبها ومحررها أحمـــد فؤاد ، ومؤرخة في (الخميس) من نوفمبر سنة ١٨٩٧) ومصدرة بقول الشاعر :

متى وعسى يثنى الزمان عنانه وتحدث من بعد الامور امور

وتحت هذا البيت ، هذه الكلمات : « تهنئة مرفوعة لسمو خديو مصر لمناسبة عودته من ثغر الاسكندرية الى العاصمة » ثم يوجد بين خطين شديدى السواد هذا التاريخ [١٨٠٥ – ١٨٨٢] ، وبعد ذلك قصيدة المنفلوطى الشهيرة التى يقول فيها :

قدوم ولكن لا اقول ســـعيد وملك وان طال المدى سيبيد
بعدت وثغر الناس بالبشر باسم وعدت وحزن في الفؤاد شـديد
تمر بنا لا طرف نحـــوك ناظر ولا قلب من تلك القلوب ودود
علام التهانى ؟ هل هناك مآثر فنفرح ؟ أو سعى لديك حميد ؟!
اذا لم يكن امر فثيم مواكب ؟! وان لم يكن نهى فثيم جنود ؟!
تذكـــرنا رؤياك أيام أنزلت علينا خطوب من جدودك سود !
رمتنا بكم (مقدونيـا) فاصابنا مصوب سهم بالبلاء سـديد ؛
فلما توليتم طغيتم وهـــكذا اذا أصبح التركى وهو عميد !

الى أن يقول له :

فما قام منكم بالعدالة طارف ولا سار منكم بالســـداد تليد
كأنى بقصر الملك اصبح بائدا من الظلم والظلم المبين مبيـــد
ويندب في اطلاله اليوم ناعيـا له عند ترديد الرثاء نشـيد
اعباس ترجو أن تكون خليفـة كما ود آباء ورام جـــدود
فياليت دنيانا تزول وليتنـــا نكون ببطن الارض حين تسود
اعباس لا تحزن على الملك انه تنفس فهذا الحزن ليس يفيد

كانت القصيدة توزع على الناس مجانا في الشوارع على مرأى من رجال البوليس، وفي دواوين الحكومة على مرأى ومسمع من كبار الموظفين ، ورؤساء الدواوين ، وظلت تنتشر لمدة ثلاثة أيام دون أن يرد للحادثة ذكر رسمى أو حتى في الصحافة ، وهذا يعكس لنا الشعور الوطنى السائد الذى كان يملأ الجوانح والصدور . بل ان رجال المعية كانوا على علم بها قبل طبعها ؛ حيث عرض المنفلوطى واحمد فؤاد على صاحب جريدة الاخلاص أن يطبعها فتخوف وحذرهما النتيجة الخطيرة لفعلهما، ثم كتب – تحوطا لنفســـه – يخبرها الى « محمود باشا شكرى » أحـــد رجال الحاشية ، وقد وصفته المقطم بانه من أكابر المقربين الى الخديو ، وأدلى محمود

أحمـــد فؤاد :
في قفص الاتهام

باشا لم يستطع أن يواجه الخديو المتفخ بهذه اللطمة القاسية التى يصفعه بها الشعب . وكان حضرات النظار على علم بها فى ثالث يوم من توزيعها كما تؤكد (المؤيد) ذلك .

ولكن تدخل السلطات لم يتم الا بعد ظهر الخميس الحادى عشر من نوفمبر ، وهنا وجدت القصيدة سوقا رائجة ، واصبحت تجارة رابحة ، عظم الاهتمام بها ، تقول المقطم : « ان الاهتمام المتعاظم بأمر هذه القصيدة قد جعلها من الاهمية بمكان لم يكن أحد يتصور امكانه . فان القصيدة التى لم يكن احد يشتريها باربع بارات قبلا ، تطلب الان باربعة فرنكات ؛ وخمسة ، ولا توجد ، والنساخ يشتغلون الان بنسخها عشرات ان لم نقل مئات » .



وقد بلغ ثمن النسخة الواحدة منها خمسة فرنكات ، وهو ثمن ديوان المتنبي آنذاك ، وقد نشرتها جريدة " التيمس " مترجمة ، وتقول « لسان العرب » فى هذا الصدد : « ترجمت شركة " روتر " القصيدة الهجائية الى اللغة الانجليزية ، ونشرتها اكبر جرائد انكلترا الشهيرة ، وقد جاءت الترجمة صحيحة مضبوطة ، ولكن القصيدة لم تترجم كلها بل ترجم منها بعض ابيات من اوائلها واخرها ، وقد قرا هذه القصيدة وعلم بها من الغرب عدد لا يبلغ المليون ، اما شركة « روتر » فقد اطلعت عليها من العالم الانكليزى والامريكى نحو مائة مليون نفس » .

وقالت المقطم كاشفة عن مدى الاهتمام الشعبى بالقصيدة واخبارها : " لم يكد يبقى للناس حديث اليوم الا حديث القصيدة التى هجيت بها الحضرة الفخيمة الخديوية ، والغريب أن الاهتمام بها لا يزال يزيد يوما فيوما ، واغرب من ذلك أن اهتمام الناس بمعرفة ماظهر من تحقيق هذه القضية كاهتمامهم بمعرفة الانباء العظيمة المتعلقة باكبر المسائل العمومية " .

● مجلس النظار يطلب المحاكمة ●

ظلت الجهات المسئولة لا تتحرك حتى يوم ١١/١٠ فتنبت نظارة الحقانية الى

النيابة العمومية تنبهها الى قصيدة الهجاء ، وتطلب منها التحقيق ، وتم القبض في اليوم التالي على « أحمد فؤاد » صاحب الصاعقة ، لان القصيدة طبعت في منشور يحمل اسم « الصاعقة » ، وكان « البرنس محمد على باشا » قد اطلع الخديو على القصيدة ، ثم اجتمع مجلس النظار ، واعلن رغبته للخديو في محاكمة الجناة ، وقال لهم الخديو : حيث ان الحكومة رغبت في ذلك فلا بد من احترام القانون ، وفي اجتماع لاحق في ١١/١٩ قال الخديو لمجلس النظار : « ان كانت المحاكمة ستقف عند من طبعت باسمه القصيدة (يعنى : أحمد فؤاد) مع علم الناس اجمعين بانه ممن لا يقولون شعرا ، ولا يملكون قوت يومهم فلا لزوم لذلك ، وأما اذا كانت المحاكمة ستكشف الحقيقة المجهولة ، ويعاقب منشىء القصيدة وكل من له اشتراك في ظهورها ونشرها فلا بأس من الاستمرار في طريق التحقيق » .

والخديو في الحق كان يتطلع الى صيد ثمين من وراء القصيدة ، فقد كان ينافسه الحظوة عند السلطان التركي ، وعند الانجليز ، وفي الاوساط الشعبية والرسمية — السيد / محمد توفيق البكري ، وكما يقول الاستاذ العقاد : « كانت عوامل الحذر في نفس الخديو عباس تدفعه الى أن ينحي عن البيوتات ذوات الرئاسة الدينية الاقوياء من أبنائها ذوى الشخصيات الملحوظة في الدوائر العليا ، واحذر ما كان يحذره اولئك الذين تتصل العلاقات بينهم وبين كبار الاجانب من السفراء ، ووكلاء الدول ، ولم يكن اقرب الى هذه الاوساط من السيد توفيق البكري لمعرفته باللغات الاجنبية ونشوئه نشأة الامراء في المعاهد الاوربية » .

وكان اللورد « كرومر » نفسه يرى أن السيد توفيق البكري ورقة رابحة يمكن ان يلعب بها ضد الخديو ، وهذا ما كان يفزع منه الخديو ، لان البكري كان يحظى بتأييد كل الهيئات الدينية الرسمية والشعبية ، وله بدار الخلافة في تركيا صلة ومنزلة ، وصداقة خاصة بأبي الهدى الصيادى الذى يكره خديو مصر . والذى يتمتع في الوقت ذاته بنفوذ كبير في حاشية السلطان بتركيا .

وفي هذه الاونة التي ظهرت فيها القصيدة كانت العلاقات بين البكري والخديو سيئة بسبب وقوف البكري وهو رئيس لجنة الميزانية في مجلس شورى القوانين الى جانب علماء الازهر حيث رتب لهم — ضد رغبة الخديو — ألفين من الجنيهات ، وفسر هذا العمل من البكري بانه لهدف سياسي بعيد .

كانت لدى الخديو أسباب كثيرة وخطيرة من وجهة نظره تجعله يتهم البكري بتحريك الشاب الازهري المعروف بنظم القصائد الوطنية ضده ، وكان حرصه على ادخال البكري في المحاكمة اكيدا وعميقا ، تدفعه اليه أهواؤه ومصالحه السياسية .

● وجاء دور البكري في التحقيق ●

كان قاضي التحقيق هو « محمد بك صالح » وقد اثنت عليه « المؤيد » ووصفته بالدقة والذكاء وشدة اليقظة في كشف دخائل القضايا ، واستجوب اولا (احمد فؤاد) واعترف الرجل بانه ناشر القصيدة ، وانه يأسف اشد الأسف لانه تأخر يوما في نشرها وكان يود ان ينشرها ويذيعها في الثالث من نوفمبر قبيل وصول الخديو الى القاهرة لتكون في استقباله ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، الا في اليوم التالي ، وقال انه طبعها في مطبعة الشيخ محمد الخياس فاستدعى هذا الاخير واستدعى شريكه في العمل وهو الشيخ محمد الشربتلي ، واعترف ثانيهما بانه حضر الى المطبعة كل من احمد فؤاد والشيخ المنفلوطي ، واخرج المنفلوطي من جيبه جنيها دفع منه اجرة الطبع وثمن الورق لالف نسخة وقدره خمسة وثلاثون قرشا . ثم حضر مع زميله وقت العشاء وصحح البروفة ، وعادا معا في الرابعة فجرا ، واستلما القصيدة مطبوعة ، وشهد في القضية صاحب مطبعة الاخلاص الذى رفض طبع القصيدة ، وابلغ عنها قبل طبعها .

وفي ١٤ نوفمبر سئل المنفلوطي ، واعترف بانه ناظم القصيدة ، واودع السجن ، وجاء في التحقيق ان السيد البكري هو الذى نظم المصراع الاول من البيت الاول

وطلب الى أحمد فؤاد أن يذهب به الى صاحب قصيدة « عدو الاحتلال » ويطلب اليه ان ينظم قصيدة على هذا المنوال لما له من « الاقتدار على نظم الشعر وقوة التأثير به على النفوس » .

وبالطبع ليس ما يهم الخديو هو شأن المنفلوطي وأحمد فؤاد ، فانه يستطيع بعيدا من الحكومة والقانون أن يتخلص منهما ، وهو على ثقة من عقوبتهما حتى لو لم يشر بذلك ، والحكومة لن تفرط في هذا ، لكن الذي يهمه هو ادخال البكري الى قفص الاتهام ، ومحاكمته والنيل منه في ظل القانون ، وها قد ألقت به الاحداث بين يديه ، ولكن البكري لم يكن سهل المنال .

توجهت النيابة الى منزل البكري لسؤاله في ١١/١٤ ثم حضر البكري بنفسه في اليوم التالي بناء على استدعاء حكمدار العاصمة ، ولما حضر أدخل الى قاعة التحقيق الجنائي حيث كانا في انتظاره المحقق « وجبران بك سكان رئيس قلم التحقيق الجنائي للبوليس . وأنكر سماحة السيد البكري علاقته بالقصيدة، وأضاف الى ذلك عدم معرفته بأصحابها، وكانت « المؤيد » تروج للشبهات التي أحاطت بالبكري بينما كانت « المقطم » تستنكر سؤاله .



الشيخ علي يوسف : لماذا لم يسأل ؟

● الانجليز يسرقون السلطة القضائية ●

اذا كان الخديو قد استغل مناسبة القصيدة للانتقام من السيد البكري فان الانجليز استغلوا مناسبة التحقيق مع البكري ، واغتصبوا جهارا نهارا من المصريين السلطة القضائية التي كانت بأيديهم ، وتطورت بذلك قضية الهجاء الى قضية وطنية عامة .

وفي (١٨ نوفمبر) توجه السيد البكري الى المستشار الانجليزي لنظارة الحقانية وهو « السير سكوت » وكشفت الحوادث بعد ذلك أن السيد البكري اشتكى اليه ان التحقيق الذي جرى بمنزله بخصوص مسألة القصيدة تعدى حدوده حيث أخذت منه النيابة أوراقا أخرى لا ترتبط بهذه القصيدة ، وانما ترتبط بقضية أخرى شخصية .

ويلاحظ من يتتبع سير الحوادث ان الانجليز حرصوا على ترضية السيد البكري ،

والذهاب اليه فى بيته أكثر من مرة ، فقد زاره السير سكوت المستشار القضائى ، بعد ظهر الجمعة (١١/١٩) واعتذر له عما فرط فيه رجال القضاء . وقصد الانجليز من ذلك الاعلان العام بأن « النيابة المصرية » أخطأت دورها فى التحقيق ، ولكن « المؤيد » تصدت للدفاع عن النيابة فى هذه الملابسة وقالت : ان الحكم فى أمر هذه الاوراق من اختصاص المحقق وحده ، وقد يكون وجه المعرفة بطبيعة العلاقة بين هذه الاوراق وبين قصيدة الهجاء سرا لا يجب المحقق أن يذيعه حتى يتم عمله، على ان الفصل فى أمر هذه الاوراق انما هو من عمل المحكمة ، وهاجمت الانجليز بجرأة وصراحة ، ونعتتهم بقولها : « ان سلطة الانجليز فى ادارة مصر انتصابية » وذهبت تشرح ذلك وتدلل عليه .

ولكن الانجليز كعادتهم لا يضيعون المناسبة اذا لاحت لهم سواء أكانت من صنعهم أم من صنع الظروف والملابسات ، وعلى الفور سارع المستشار القضائى وطلب الى النائب العام « حمدالله بك » استبدال المحقق ، فعارض النائب العام المستشار الانجليزى ودافع عن المحقق وأشاد بعدالته ونزاهته . وكان الثمن هو عزل النائب العام نفسه ، وعين فى منصبه رجل انجليزى هو « المستر كوربيت » ولمجلس النظار والخديو فى هذه المناسبة موقف شديد التخاذل ، فقد راعهم ان المستشار القضائى يهدد بالاستقالة اذا لم يفصل « النائب العام المصرى » أولا ، ويبعد المحقق ثانيا .

وتلت « المؤيد » تهاجم الانجليز وتستنكر عليهم انتصاب السلطة القضائية الى هذا المدى المؤسف ، وتستنكر أن يكون فرد واحد من ابناء الوطن فوق القانون ، بينما كانت « المقطم » تهاجم سؤال البكرى — مجرد سؤاله — وتقول ان أحمد فؤاد ذكر أن الشيخ على يوسف هو الذى حرضه على هذا الفعل فلماذا لم يسأل الشيخ على يوسف هو الآخر ما دام القانون هو القانون ؟! وكان أحمد فؤاد صاحب براعة فى الانتقام من الصحف التى تهاجمه وفى مقدمتها « المؤيد » فكان فى التحقيق يلجأ الى اتهامهم بتحريضه ليجر عليهم بعضا مما يحاولونه ضده ...

● كأنها مقالة سياسية ساخنة ●

لم يعد فى قفص الاتهام — بعد أن وضع النائب العام الانجليزى الامور فى النصاب الذى يراه — الا أحمد فؤاد بوصفه الناشر ، والمنفلوطى بوصفه الشاعر والاديب صاحب الجرم ، وأصحاب المطبعة بوصفهم مشاركين فى اذاعة القصيدة .

وفى صباح السبت ١٨٩٧/١٢/٤ أى بعد مضى شهر على بداية الاحداث انعقدت جلسة المحاكمة فى محكمة السيدة زينب ، وكان القاضى هو « أحمد بك ذو الفقار » والمدعى « يوسف بك سليمان رئيس النيابة » وكاتب الجلسة « محمود أفندى فهمى » . واعترف أحمد فؤاد بأنه ناشر القصيدة ، واعترف المنفلوطى بأنه مؤلفها، واعتمد الاثنان فى الدفاع عن نفسيهما بأن القصيدة لا هجو فيها انها كأية مقالة سياسية ساخنة مما تنشره الجرائد كل يوم .

وصدر الحكم ضد أحمد فؤاد بالحبس عشرين شهرا ، وغرامة قدرها ثلاثون جنيها ، وضد المنفلوطى بالحبس اثنى عشر شهرا ، وغرامة قدرها عشرون جنيها ، وبراءة أصحاب المطبعة .

استأنف المتهمان الحكم ، وكانت جلسة الاستئناف الاهلية برئاسة « محمد مجدى بك » وعضوية « قاسم بك أمين » والمستر « كوغلين » وكان ممثل الادعاء «عبد المجيد بك رضوان » وكان رفيقا بالمتهمين حيث لم يطلب تأييد الحكم الابتدائى بل فوض الامر للمحكمة ، وعلقت المقطم على هذا الموقف بقولها : « فاستدل الحضور من ذلك أن النيابة وجدت الحكم الابتدائى بالغا الغاية فى الصرامة » .

وطلبت المحكمة الى النيابة فى الجلسة : أن تبين وجه العيب فى القصيدة الذى يعاقب عليه القانون ، وأن تعين الابيات المتضمنة ذلك ، فأجابت النيابة بأن القصيدة



الإمام محمد عبده : سعى لاستصدار العفو عن المنفلوطى . . .

كلها عيب ، وهى تكتفى بنظر الحكمة . وعندما طلب الى المنفلوطى ان يدافع عن نفسه استغل بذكاء موقف النيابة ، وقال : ان القصيدة خالية من العيب ، والنيابة نفسها لم تظهر اوجه العيب فى القصيدة حتى ارد عليهـــا ، وطلب براءته قائلا : « اننى لو لم انظمها لنظمها سواى »

وقد وقفت بعض الصحف موقفا قويا فى الدفاع عن المتهمين ، وهاجم الشيخ نجيب حداد بسخرية وذكاء موقف الحكومة والخـديو قائلا : « ان القصيدة لو حلت ... نثرا لكانت مقالة سياسية من احدى الجرائد المتطرفة او مقالة متطرفة من احدى الجرائد المعتدلة ، والذى صيرها فى هذه الدرجة انها شعر ، والشعر اشرف من النثر ، واذا كان الامر كذلك فقد وجب على الحكومة اذن احترام الشعر بالمدح ، فهل أثابت مداحا لاميرها ، انها لم تفعل من ذلك شـيئا ولا فعل الامير أيضا ، فاذا كان الشعر لا يهمها ولا الهجــاء بخالد فى مذهبها فما هذا الحنق والغضب وكثرة الاهتمام ؟ .. » ، وانتهى الامر وصدر الحكم بسجن كل منهما ستة اشهر وبتأييد الحكم الابتدائى بالغرامة ، وذهب الرجلان الى ســجن « الحوض المرصود بالسيدة زينب »

● أى سجن واى بلاء ●

سجن الحوض المرصود ، لا يزال باقيا الى اليوم بشارع قدرى بالســيدة ، حيث يستخدم مبناه على قدمه مستشفى للأمراض الجلدية ، وما زال الشارع المجاور له من الجهة الغربية يسمى بشارع الحوض المرصود ، وتستطيع وانت مار بهذا الشارع أن ترى بابا خلفيا من الحديد من داخله باب خشبى ما زالت به الكوى الحديدية التى تستخدم فى ابواب السجون ، وما زال التاريخ جاثما على جدرانه مفعما بالحكايا والاقاصيص ، وقد وصفه صحفى نابه ســجن به وكان يكتب منه « يوميات محرر بالسجن » ذلك الرجل هو سليم سركيس ، وحسبك أن تعرف من كتاباته الحياة السيئة التى عاشها المنفلوطى وكل اصحاب الاقلام الذين زج بهم فى هذا السجن الرهيب بسبب اقلامهم : عنابر أرضها من التراب العفن وأن صلح الحال فمن البلاط الاسود اللزج ، متعدمة التهوية تماما الا من كوى يحقر النور نفسه ان يلج منها ، وأعداد متراكمة من البشر السكارى واللصوص على اختلاف فئاتهم والحطاط بينالهم ، وطعامهم رءوس الفجل التى تخشبت ، واوراق الكرنب التى تدوسها المواشى والسابلة فى الطرقات والمزارع ، والخبز العفن الذى يشترى بعد أن يعافه فى السوق كل مشتر ، ويكون قد مضى عليه أسبوع على الاقل . كل هذا طعامهم ، دع عنك توالد الرمم فى هذا المكان البغيض الذى اصطنع لينال آبار العذاب فى غياهب الجحيم ..

فى هذا البلاء المطبق من كل جانب ، والمطرد فى كل شىء والذى يضاعف آلامه خشونة السجان وبأس الجاويش — عاش المنفلوطى ، واحمد فؤاد مع الهمل والدهماء

فى هذا السجن المطبق عليهم ، وتعمدت السلطات اغراقهما فى النسيان واهمالهما فى اعماق الجحيم .

وقبل ذلك بقليل كان بهذا السجن سليم سركيس ، ولعل ظروفه داخل السجن فيما يبدو كانت خيرا منهما ، ولكنه بالفعل قد أرسى لكل اديب مناهل الثبات والصمود على جدران هذا السجن ، حيث أذاع منه قصيدته على الجماهير وهو يحاكم فى قضية سياسية اخرى :

انى عزمت على البقا ... م وما البقاء بمستحيل
ان يحكموا بغرامة ... فالمال يجرى كالسيول
او يحكموا بالسجن كنـ ... ـت بسجنهم أسمى نزيل
انى افضل أن اقيـ ... ـم به ويا نعم المقيل
فالسجن أشرف من سرا ... ى ملؤها لؤم الاصول
والسجن فيه للحسا ... م وانه غمد جميل
هل فيه الا حبس جسـ ... ـم وهو حبس لا يطول
فاكون كالبدر الذى ... يغشاه من ظلم الافول
ويعود ثمة مشرقا ... يهدى الضلول الى السبيل

قبل ان يصبح المنفلوطى الكاتب الشهير فى دنيا المقالة الأدبية ، كان ينتهز الفرصة ليغمز ويلمز وينال ثأره ، وحسبه كما يقول الاستاذ العقاد انه سجل « أعنف قصيدة من قصائد الهجاء للخديو عباس ولجميع الافراد فى اسرة محمد على من قبله ومن بعده » .

لقد عاش المنفلوطى مضطهدا من أواخر عام ١٨٩٧ الى أوائل عام ١٩٠١ حيث سعى له كل من الامام محمد عبده وابراهيم الويلحى لاستصدار العفو عنه حتى يستطيع أن يشق طريقه وأن يمارس حياته ، لكن المنفلوطى قبل هذا العفو وبعده كان ينتهز بعض المناسبات للغمز واللمز ، وكان المنفلوطى رغم ضيقه الشديد بالاضطهاد يأخذ نفسه بالصبر والثبات فهو يقول فى قصيدة طويلة انشدها فى تكريم الامام محمد عبده فى أواخر عام ١٩٠٠ قبل صدور العفو عنه :

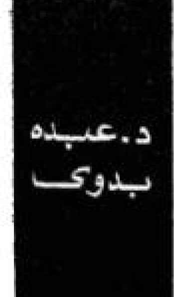
حنانيك رفقا أيها الدهر واتئد ... فحسبى ما القى وما اتجرع
ورحماك بى فالسيل قد بلغ الزبى ... ولم يبق فى قوس التصبر منزع
على اننى اصبحت لا متخوفا ... ملما ولا ان نالنى الرزء اجزع
فقد اعتصمت بالصبر نفسى وفوضت ... الى الله ما يعطى الزمان ويمنع
وامسيت لا أخشى الخطوب ووقعها ... ولو انها سم الاساود منقع

ويقول عام ١٩٠٥ منتصرا للامام محمد عبده ومعرضا بالخديو :

لك العزة القعساء والسؤدد الذى ... تخر لديه هامة الانجم الزهر
وما صاحب العرش الذى بتاجه ... باعظم مجدا منك فى موقف الفخر
وكم بين مجد الدين والعلم والتقى ... ومجد القصور الشم والعسكر المجر

وساعة واحدة من عمر المنفلوطى لا تجد وطنيته قد ضعفت أو توارت ، وكان يسلك اليها الحق الذى يراه ، على أن السنوات التى قضاها المنفلوطى فى الكفاح الوطنى والتكوين الادبى حتى عام ١٩٠٧ كانت تشكل البداية الصلبة لميلاد المنفلوطى الكاتب الوطنى الكبير ، والمصلح الاجتماعى الغيور معلم الاخلاق ، وداعية الفضيلة .

وعلى مؤرخ الادب ان يقف طويلا عند كتاباته النثرية المنشور منها والمبثوث فى تضاعيف الجرائد والمجلات ، وحبذا لو كان على علم بمناسبات كتابتها وتواريخ ظهورها ليرى أبعاد الصفحة المجيدة ، وضروب الجهاد الصادق ، وفنون الاذى التى تعرض لها من أجل وطنه وامته ودينه ، حتى لقى ربه وهو يجاهد الى جوار سعد زغلول من اجل مصر ، وكان قد اصدر مقالاته السرية فى القضية المصرية ، وحديثها بين الخاصة غير مشاع ، ونصوصها الصادرة تمثل قمة الوطنية المصرية تسفح دمها هادرا وساخنا من اجل مصر ..



من الذكريات البعيدة

احسست انى مت حين رأيتهـــا
والصمت ينقر فى الفراغ الاسمر
والدهــر محنى يدب بأرضـــها
بعصـــا من الاوهام خلف المئـزر
والافق اقفــر من خيـــوط طفلة
كانت تطل من الصـــباح الاشقر
والشمس صـارت لوحــة مرسومة
من فوق جدران المســاء المضجر
.. ياكم عبرت هنـــا بخطـو واثق
وعلى جبينى ليلــة لــم تثمــر
فيصيح شـباك .. وتطلع زهــرة
عبقت بــكل حــديقة فى الاعصر
وتظـــل تســـهر فى وجودى كله
وتضىء اعمـــاقى بفجـــر اخضر
وتمـد لى الاهـداب ، ثم تشـــدنى
للجنـــة العـــذراء بين المحجـــر
.. وتقول : خذنى ، ثم ترخى شوقها
وتدور فى حب وفى ضــوء ثرى !!

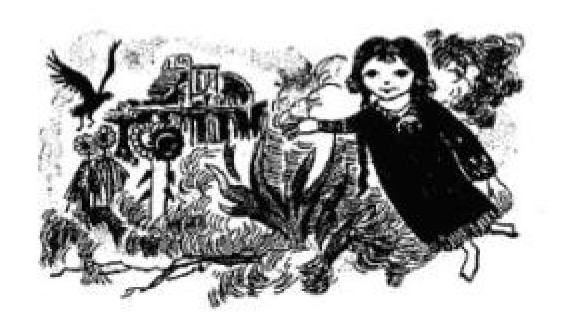
***

وهنا حملت الكتب .. ثم صـحبتها
فى رحلــة النـــار التى لم تثمر
ونشرت صدرى والرصاص ينوشنى
من اجـل يوم باســـم متحـــرر

وكتبت أبياتا ، .وقيل بانها
قطع ولكن من فتات « السكر »
وجدلت أروع غيمة بضفيرة
وشددتها ، فتقاطرت بالجوهر
وضحكت فى وجه الحياة بغبطة
وصحبتها تحت السماء الممطر
وجذبت قرص الشمس حتى لا أرى
وجها لحزنى فى السماء النذر !

***

.. واليوم ارجع ياسماء شبيبتى
وكأننى من فرحتى لم أكبر
فأراك ارضا من بكاء صامت
وسكينة بكماء ذات تحجر
وأراك فى ذهنى فما عادت هنا
حتى بقايا لفتة لم تكسر
هدمتك ايام شداد فارتمت
نفسى عليك كطائر متحسر
.. ورأيتنى قد مت الا دمعة
وعشت فلم تسقط ولم تتحدر
ووجدتنى والنار تأكل أولى
امشى اليك بموتى المتأخر



عبد الرحمن صدقي

أبو نواس الفرنسي

الشاعر « فرانسوا فيللون »

نزيل السجون

ما نقدمه فى هـذا المقال ، هوالخطوط العريضة لقصة حياة هذا الشاعر الفرنسى القديم المجدد ،« فرانسوافيللون » وهى حيـاة مضطربة لا نعرف مثلهـا فى الاضطراب حياة . ولقد ذاق فيها عذاب السـجن اكثر من مرة ، وعرف فيها اكثر من سجن ، وخرج من هذه السجون الواحـد تلو الاخر ، وحبه للحياة على حاله لم يقل مقـدار ذرة

واول مايلحظه الناقد ، فى جميع ما كتبه هذا الشاعر الفرنسى نزيل السجون ، ان شعره يقوم جميعه على موضوع واحـد ، هو حياة الشاعر نفسه ، ومن ورائها ــ كما يشهد التاريخ ــ حيـاة السواد الاعظم من المجتمع فى فرنسا ، الذى دمرته فى العصـور الوسطى ماديا ومعنويا « حرب المائة عام » ضـد العدو الانجليزى ، الغاصب المحتل فى المدة الواقعة بين (١٣٣٧-١٤٥٢)

كان ميلاد الشاعر سنة ١٤٣١ فى باريس اثناء الاحتلال الانجليزى لها منذ سـنة ١٤١٩ وكانت جامعة باريس مناصرة للحكم الاجنبى . وقد اعلنت كلية علوم الدين فيها ــ وهى المعروفة بكلية السوربون ــ قرارها بأن « جان دارك » ــ التى كانت تقـود جيش التحرير الفرنسى المنصر بعد النصر ــ مارقة عن الدين مرتدة ، منقـادة للشيطان ، قاتلة ، عاصية ، ومن ثمة تستحق حرقها حية جزاء لها . اما الشعب ، فكان منحـازا الى الملك الفرنسى ، شديد الحب للبطلة العذراء ، التى انتصرت فى رفع الحصار عن مدينة « اورليـان » وبنات الزحف لاسترداد باريس . وكان شـاعرنا وقتذاك جنينا او رضيعا ، ومع ذلك فانه ــ بعد ثلاثين سنة ــ ذكرها حين ذرف فى احدى قصائده العبرة على : « ابنة اقليم « لورين » الاصيلة ، التى احرقها الانجليز فى مدينة روان » .

وكان عزاؤه ان تضحيتها لم تذهب هدرا ، فقد خرج الانجليز من باريس مرغمين بعد حرقها بخمس سنوات .

ولم تكن الاستاذية فى الفنون التى حصل عليها « فرانسوا فيللون » من الجامعة الا درجة اوليه فى السلم الذى كان عليه ان يرتقيه ، فهى ليست غاية فى ذاتها ، بل مجازا الى ما فوقها مثل كلية علوم الدين (اللاهوت) التى كان الواجب أن تكون مقصده للسير فى الطريق التى سلكها عمه ، تطلعـا الى بلوغ الدرجة العليا والحصول على الدكتوراه من كلية العلوم الدينية . ولكن الشرط كان هذه المرة طويلا مملا فلم يلبث الفتى أن تشاغل باللهو عن الدراسة ، وبدأ يتعود عدم المواظبة ، ويتكرر منه الهرب من المدرسة ، فأفسد على نفسه المستقبل الذى يحقق ــ مع المنزلة العالية ــ الحياة الرغـدة الراضية . وهذا هو بعد فوات الاوان ، يندم على ذلك ، ولات ساعة مندم :

آه يا رب ! لو انى عكفـت على

(١) يكتب اسم الشاعر فى الفرنسية « فيللون » كما فعلنا ، وينطق « فييون »

الدرس
في ايام شبابي المجنون
واخلدت الى حسن السيرة والسلوك القويم
لكان لي بيت وفراش وثير
ولكن ـ يا للعجب ـ هـربت من المدرسة
كما يفعل الولد الفاسد
ولكن « فرانسوا فيللون » الاستاذ في الفنون ، كان حريصا على أن يبقى مقيدا طالبا في الجامعة ، حتى يكون مستمتعا بامتيازات طلابها ·
ومن الثابت من أخبار « فرانسوا

فرانسوا فيللون : شاعر العصور الوسطى كما تخيله الرسام ...



فيللون الاستاذ في الفنون » الواردة في سجلات المحاكم ، انه قد قبض عليه في اكثر من سرقة مع بعض الرفاق ، واودع سجن « محكمة الشـاتليه » بباريس ، وقد أشار الى ذلك ـ على الطريقة غير المباشرة نفسها ، وفي المنظومة الصغرى نفسها ، في احدى مقطوعاتها (رقم ٢٩) في وصـفه للاخوان المسجونين « انهم كالحمـام في القفص ، تتراءى وراء القضـبان وجوههم ، حيث يقضون على هـذه الحال بقية حياتهم » · ثم يخاطبهم من خارج السجن خطاب الهـازل الداعب « لقد اوصـيت لكم بمرآتي الصافية التي لاتشوب صفحاتها شائبة، وبعض الهدايا والالطاف مما اهدتنيه زوجة السجان » ·

دواعي السقوط

اذا كانت سنة ١٤٥٢ تؤرخ لحصول الشاعر الشاب « فرانسوا فيللون » على الاستاذية في الفنون ، فانها ـ فيما اتفق عليه المترجمون له ـ تؤرخ ايضا لبدء انفجار ما كانت تظهر لديه في السنين الاخيرة بوادره ، دالة على استعداد غريزي فيه لا يمكن مقاليته، للاندفاع كالمجنون في كل ما في الحياة الدنيا من اكل وشرب ولهو وشهوات ومجون · ومثل هذه الرغبات لا يمكن اشباع بعضها ، فكيف كلها ، بغير مال وفير ·· فمن اين للشاعر هذا المال الوفير كله أو بعضه ، وهو فقير من نسل فقير جيلا بعد جيل ، كما يقول هو نفسه في المنظومة الكبرى (مقطوعة رقم ٢٧) :

التقيت والفقر منذ صباي ···
فقد ولدت فقيرا ، ومن أصل فقير ·
ولم يكن لابي أدنى ثروة ·
وكذلك جدي ، وان كنت اجهل اسمه
ان الفقر لاحـق من سبقوا منا ،
ولا يزال يجد في اثرنا ·
وهذه قبور اجدادي من قديم الزمان
لا يلتمع فوقها تاج ولا صولجان

هذا الفقر الذى كان يعتقد الشاعر انه القدر اللازم لاسرته من قديم ... هذا الفقر صار فكرة مسيطرة عليه وهى التى صرفته عن المثابرة على العمل ايمانا بعدم جدواه على الرغم من طول مداه ، فاثر فى يأسه الا يحفل بأى شىء ، وأن يتحدى قوانين السلطات كلها ، ليحصل فى عجل على المال فى جشع لا يقنع ، لكى ينعم بما يحلم به من رغد العيش ورفاهته ووفرته ، ولكى ينعم كذلك بما يشره اليه من النساء بوجه عام ، لا يعنيه منهن الا ان يقضى حاجة الجسد ، ويسد من جوع شهوة لا تشبع ..

وننبأ بنزوعه الى رغد العيش وحسبنا شاهدا على ذلك مناقضته الشعرية لقصيدة شاعر من شعراء القرن السابق ، عرض فيها شخصية حطاب يغبط نفسه على سعادته بالحياة الريفية ، مقارنا بين خلاصها من المضايقات والمنغصات ، على العكس من كثرة الشواغل ، والحركة المزعجة والصخب الدائم فى المدينة . فتصدى شاعرنا لزميله عارضا شخصية الرجل نفسه وزوجته من وجهة اخرى ، فهو يزرى على خشونة عيش ابناء الريف بخبزهم الاسود يحكون به فصوص الثوم برائحته القوية الخبيثة ليغنى ذلك عن الادام، بدلا من الخبز الحوارى الابيض والوان الطعام من لحم الخنزير والبقر وانواع الطير . ويشربون الماء الذى تمطره على الارض السماء ، بدلا من الخمور الجيدة المعتقة ، المطيبة بصنوف العطور والافاويه ، أما عن تجاوب الشجر فى الريف بتغاريد العصافير ، فيقول شاعرنا انها لو غردت له طول الطريق من باريس فى الغرب الى بابل فى الشرق لما طاب له مع طعام الريف وشرابه، سماعها يوما واحدا ، اما التشدق بطيب النوم وسط الطبيعة فى العراء تحت ظلال الشجر الوارفة ، فان شاعرنا يفضل عليه بكثير ، النوم فى البيت النظيف ، على الفراش الوثير والى جانبه المقعد المريح الكبير .

وتتالف معارضة «فرانسوا فيللون» من ثلاث مقطوعات تنتهى كل واحدة بترديدة لاتتغير ثم قفلة قصيرة تختمها الترديدة نفسها ، وترجمته :

خير كنز للسعيد

ضعة العيش الرغيد

اما شهوة شاعرنا للنساء ، مطلق النساء ، وعدم صبره عنهن من أى الفئات كن ، وأيا كان طرازهن ودرجة جمالهن ، فيشهد عليها كثرة ذكرهن فى اشعاره سيان كانت فى صورة القصائدالطوال أم الموشحات القصار فى حشود كالمواكب كل واحدة، باسمها واوصافها ما ظهر منها وما استتر ، دون فحش فى القول لمجرد الاثارة الجنسية للغير ، بل فى حسية واقعية تصور شعوره الشخصى .

ولما كان شاعرنا يحسن المنادمة ، فقد كان له اصدقاء فى مختلف الطبقات ومنهم العلية ومن فى حكمهم . ولما كان ذلك المجتمع لا يخلو من الكثير من المنحرفين والخلعاء المستهترين ، فقد تم التقارب بينه وبينهم ، ولابسهم ولابسوه وجمعت الرذيلة شملهم وان لم يكن من مجتمعهم . وقد كانت مجالسهم بطبيعة الحال لا تخلو من نساء من طبقتهم . وكان اول من وقع فى حبها من هؤلاء ، كاترين دى فوسيل ، وكانت من اسرة محترمة الا انها كانت لعوبا من الطراز الاول .

ولا نعرف فى حياة شاعرنا كلها من احبها حبا صادقا واقرب الى العفة ، ولكنه كان حبا من جانب واحد . كما قال هو نفسه فى شعره . بيد انها كانت لكى تبتز منه المال الذى كان يخاطر للحصول عليه تتصنع التودد اليه وتسمح له ان يقبلها فى الحين بعد الحين ، لما تجده من المتعة فى اللهو بعواطفه نحوها ثم السخرية . وقد بلغ

من عذابه ان صاح وهو فى قمة هـذا العذاب « انى اموت شـهيد الحب ، وفى عداد شهدائه سيندرج اسمى » ٠

ولا يستغرب ان يبلغ اليـأس من شاعرنا هذا المبلغ ، وقـد بلغ من قسوة « كاترين » فى معـاملته ، ان ضربت لهموعدا ، واعدت لعقبه كمينا من بعض المـاجورين ، فضربوه فى حضورها هيوشخص ثالث هو «نوح» الجميل ، وكان اصغر منه سنا واكثر اموالا ٠ ومما قاله شاعرنا فى وصف ضرب الكمين له ، انهم بما فى ايديهم من العصى ، تناولوه بالضرب المبرح كما تفعل الغسالة بالثوب القذر ٠

وقد كان الشاعر المحـروم ، الى جانب هذا الحب اليئوس منه الكبير، على صلة باصناف أخرى من نـوع الحب الخفيف اللاهى ٠

ولكنه وسط هذه الصلات الكثيرة من وضيعة ومحترمة ، كان ـ بالرغم من انقطاع صلته بالمحبوبة القاسية « كاترين » ـ يحتفظ فى صميم قلبه بذكراها ، وان كان يتظـاهر بانه نساها ٠ فعاد اخيرا الى نظم الشعر فيذكر الساعات الحلوة القصار التى قضاها فى صحبتها مـع الحنين الى عودتها ، غير ذاكر لها ، انها المسئولة الاولى عن سلوكه السـيرة المحفوفة بالمخاطر التى سلكها ، سيان فى ذلك ما اقترفه اثناء علاقته بها وما جاء بعدها ٠ فقد كانت البداية على يديها

من اجل كاترين

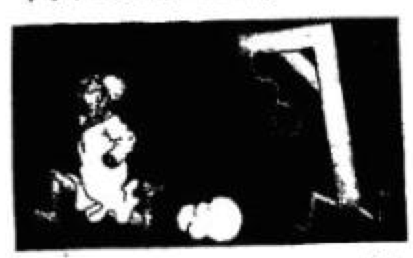
كان من شان هذا الحب فى حيـاة « فرانسوا فيللون » ، لعديد من النساء غير المثاليات ومن ذلك حبه الكبيـر « لكاترين » ، انه تورط وهو استاذ الفنون ـ فى السرقة والقتل ، وتعرض من جراء ذلك الى الحكم عليه بالاعدام بحبل المشنقة ، والزج به فعلا اكثـر من مرة الى العذاب فى غيابات السجون

فى الخامس من شهر يونيه ١٤٥٥ وهو عيد الهى عند المسيحيين ، كان « فرانسوا فيللون » جالسا على دكة من الحجر تحت برج الاجراس التابع لكنيسة « سان بنوا » ، التى كان يسكن غرفة فى رواقها المعروف بالباب الاحمـــر ٠ وكانت تجلس معه امراة ممن يعرفهن من بنات الهوى ، وكانا قد تناولا العشاء معا ، ثم خرجا فى نحـــو الساعة التاسعة ، وجلسا يتنســــمان نسيم الليل ويتجاذبان اطراف الحـديث ٠ واذا باحد القساوسة مقبل ناحيتهما ٠ فلما رأى الشاعر توقف على الفور كانه كان يبحث عنه ٠ انه واحـــد من العاشقين الهائمين فى حب « كاترين » مثل شاعرنا ٠ وكانت على وجهـه المكفهر الغاضب امارات الشر ٠ وهذا هو يتقدم الى « فرانســوا فيللون » ملوحا بقبضة يده يصيح : هاأنذا ، وجدتك آخر الامر ٠

فقام « فيللون » فى أدب ، وافسـح له مكانا على الدكة ، ودعاه للجلوس متلطفا معه ، مســـميا اياه « فيليب شرموای » ٠

فما كان من القس « شرموای » ، الا أن دفعه دفعة شديدة فى صدره ، ردته قاعدا فى مجلســه ، ثم اسرع فاستل من تحت ثوبه الدينى خنجـرا

صورة رمزية تمثل الشاعر يهرب من المشنقة وهى تلاحقه . . .



طويلا ، وأشهره فى وجهه ، فأصاب شفته السفلى بقطع عمودى ، وتدفق الدم غزيرا ، وماكادت ترى الدم صديقة الشاعر حتى هرولت من المكان هاربة خشية التورط فى الامر اذا هى بقيت فى مسرح الحادثة ٠

اما الشاعر فقد جن جنونه من ألم الجرح ومن رؤية الدم الذى تضرجت به ثيابه ، فأستل خنجرا غير طويل كان فى جيب عباءته ، وطعن وهو فى غير وعيه ، فأصاب خصمه فى جنبه اصابة غير قاتلة ٠ فلما جاء من خلفه صديق للخصم من القساوسة فنزع الخنجر من يده ، فى الوقت الذى كان الخصم يكيل له السباب ويتأهب للقضاء عليه بضربة قاضية ، أسرع الشاعر الى حجر كبير كان عند قدميه ، فتناوله وقذف به بكل قوته وجه المعتدى فترنح وهوى على الارض مهشما فاقد الوعى ٠ فانصرف « فرانسوا فيللون » على عجل ، وبقى المصاب على الارض ينزف دمه ٠ وكان من تأخر اسعافه وتضميد جراحه ان مات بعد أن طلب الصفح عن « فرانسوا فيللون » للاسباب الخاصة التى لولاها لما وقع ما وقع فأصدرت محكمة شاتليه الجنائية الحكم بنفيه من باريس وكان قد سبق الى مغادرتها هربا من المحاكمة فالسجن طول الحياة ، وان كان قد فعل ما فعل دفاعا عن النفس ٠

ولم يفت « فيللون » وهو استاذ فى الجامعة له الالمام بالقانون ، أن يقدم التماسا الى دار القضاء بباريس فلما عاد الملك شارل السابع الى باريس وعرضت عليه الالتماسات كالعادة ، صدر القرار الملكى بالعفو عنه ٠

وعاد الشاعر الى باريس التى لا يحب مكانا غيرها ، كما عاد الى « كاترين » التى لم يحب امرأة مثل حبه لها ٠ وبالاضافة الى هذا وذاك عاد فانتظم فى جامعة باريس على نية الانتظام فى الدراسة العليا للدكتوراه

ولكن الحاجة الى الكثير من المال ، عادت تلح عليه لاشباع جشع « كاترين »، التى كانت ــ وهى لا تكاد تجود عليه عند الرضا بأكثر من ابتسامة ــ تجدد أمله فى وصلها وتطمعه فى نفسها ، اذا هو برهن على عظم حبه لها ، بما يقدمه تحت اقدامها من كنوز المال ٠

هنا نرى العاشق المسكين ــ بحكم حياته الدراسية الطويلة فى جامعة باريس ، وما طبع عليه من حب الاختلاط بالناس من سائر المهن والوظائف والطبقات مدفوعا بما عنده من فيض الحيوية ، فضلا عن غريزة الاستطلاع وقوة الملاحظة والنزوع الى المعرفة ــ نراه يذكر أن جامعة باريس قد اودعت فيها كلية علوم الدين منذ سنين ، أموالا خاصة بكلية نافار فى خزانة خاصة ٠ وهذه الخزانة صندوق كبير من خشب الجوز يطوقه أكثر من حزام حديدى ، وله أربعة مغاليق من الحديد أيضا ، كما يذكر أن ما فيه من الاموال مقادير كبيرة أودعت على مرات عديدة ، وان فى داخل هذا الصندوق الحديدى الذى يحوى كل هذا الرصيد من الذهب ، صندوق صغير به الدفتر الذى تقيد فيه الحسابات أولا بأول ٠

وهذا هو شاعرنا قد احتلت صورة هذه الخزانة كل ركن من ذهنه ، كما كانت تحتل سويداء قلبه صورة « كاترين » ، فكان يقضى الايام يحلم بالاستيلاء على هذه الكنوز ٠

واتفق فى ديسمبر ١٤٥٦ قبيل عيد الميلاد أن زاره اثنان من زملائه خريجى الجامعة ، ممن يعرف عنهما الجرأة على ارتكاب كل خطير من جرائم السرقة ، للانفاق على حياة القصف واللهو والعربدة ٠ فلم يتردد فى مفاتحتهما فى أمر هذه الصفقة الكبيرة ٠ فلم يجد بطبيعة الحال منهما



غير القبول والطرب لهذا العرض ..
وكان كل مانبهما اليه وجوب اصطحاب ميكانيكى متخصص فى فتح الخزائن الحديدية . فاتفقوا على واحد بالذات، والحوا فى طلبه ، فصادفوا أحد زملائهم « تابارى » من أساتذة الفنون وقد عضه الجوع من فرط العوز والفاقة فاشركوه معهم ، وانطلق بهم شاعرنا الى حانة « البغلة » على حسب الصورة المنقوشة على واجهتها وهنا وقعوا على الميكانيكى الذى يطلبونه فجلسوا معا يسكرون . ولما انتصف الليل مضوا تحت جنح الظلام وارتكبوا جريمتهم بفضل توجيهات وارشاد استاذ الفنون العاشق الذى احتفظ لنفسه من السرقة بالنصيب الاوفر .

ولم تكتشف السرقة الا بعد ثلاثة اشهر فى مارس ١٤٥٧ . ولما اهتدوا الى معرفة اسماء الجناة لم تتوصل العدالة الى القبض عليهم لاختفائهم . واخيرا قبض على احدهم من جراء زلة من لسانه فى احدى الحانات وهو فى حالة سكر . فاودع فى صيف ١٤٥٨ سجن « الشاتليه » بباريس ، ثم اودعوه المحابس الخاصة بالاسقف .. واستمر تعذيب السجين فضلا عن الجلد ، حتى باح بالحقيقة وذكر اسماء المشتركين فى السرقة معلنا ان راسهم المدبر هو « فرانسوا فيللون » .

وقد امكن القبض على الشاعر ، واستعمل فى استجوابه التعذيب حتى اعترف والثابت انه بعد اعترافه صدر عليه حكم الاعدام شنقا اسوة بزملائه.
بدليل الرباعية التى نظمها متهكما ساخرا ، فى اللحظة الاولى من صدور الحكم ، اى لحظة التحدى ، لتكون اللوحة التى توضع على قبره ، وفى هذه الاونة نظم انشودته المشهورة ، انشودة « المشنوقين » وهى تمثل المنظر الشائه الاليم الذى ستكون عليه جثثهم بعد ايام متدلية من خشبة المشنقة ، معرضة لعصف الرياح ولفحات الشمس ونقر جوارح الطير وتعتبر هذه الانشودة أنجع ما نظمه الشاعر على الاطلاق .

ولو علم شاعرنا الغيب ، لفضل هذا الواقع الفاجع وهو الاعدام ، على ما ينتظره عن قريب فى سجن « اورليان » على يد الاسقف السجان .

تعذيب الاختناق بالماء

لم يتسرب اليأس الى نفس الشاعر على الرغم من الحكم عليه بالاعدام ، لما كان له من ثقة فى نفوذ اصدقائه وعلى راسهم عمه القس عالم الشريعة « غليوم دى فيللون » .

لهذا سارع شاعرنا الى استئناف الحكم لدى دار القضاء ، فاستبدلت بالاعدام . نفى « فرانسوا فيللون » من العاصمة الفرنسية نفيا مؤبدا له صفة الدوام . وخرج الشاعر من باريس ، وهو يحس مثل الحسرة التى أحس بها آدم فى خروجه من جنة عدن .

وجعل المسكين يطوف فى أرجاء فرنسا ، يكسب قوت يومه ببعض الأعمال وضيعة كانت أو غير وضيعة وأحيانا ينزل ضيفا على الشخصيات الكبيرة التى له معرفة بها أولها معرفة به ، وكان أولها – بعد مسيرة أيام طوال حتى مدينة « بلوا » على نهر اللوار » – بلاط زميله فى الشعر ،

الامير الشاعر « شارل دى أورليان » الذى يعتبره الادب الفرنسى اول شاعر فى زمانه بعد « فرانسوا فيللون » ٠

ولكن شاعرنا الطريد كان اكثـــر الوقت هائما على وجهه ، لا يضمن قوت يومه ، حتى اذا اصبح قريبا من مدينة « روان » الكبرى ، اضطره الجوع الى سرقة مصباح من الفضة الخالصة من احدى الكنائس فى تلك الناحية ، فقبض عليه رجال الضبط التابعون لاسقف اورليــــــان « جاك تيبولت داسينيى » فالقى به فى سجن من سجون الاسقفية وجعل من نفسه السجان ، وكان بينه وبين سـجينه الد العداوة واشد الخصام ، كمــا يصفه الشاعر فى مستهل « الوصـيــة الكبرى » وهى — غير منازع — اثره الادبى العظيم ٠

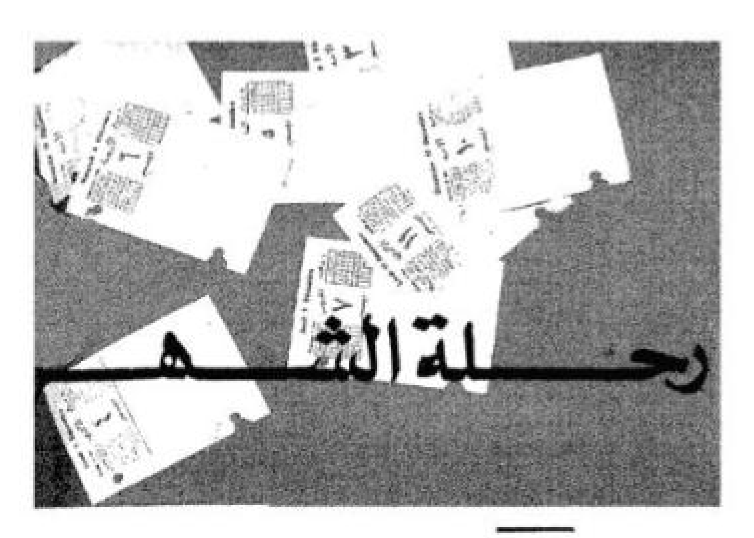
ظل الشاعر طوال صيف عام ١٤٦١ رهين ما ســماه « حفرة » فى « حصن مونج على نهر اللوار » وهو اسم صار علما على كهـــوف فظيعة تحت الارض لصق خندق الحصن ٠ وكان نصيبه منها كهفا مثل الجب لا درج له يهبطون به الى قاعه ، بل كان السبيل الى ذلك تدليته بالحبال الطوال ٠٠ والجب لا نور فيه ولا هواء ، يرشح ماء من الرطوبة ويعج بالجرذان والضفادع والحيات ٠ وهو — وسط هذه — مقيد فى سلاسل الحديد ، وحيد بين جدران سميكة يبلغ من كثافتها انها تحرمه حتى من سماع زمجـــرة الرياح الهوج وقصف الرعود ٠ اما طعامه فلم يكن يزيد — وهو الذواقة الاكول — على الخبز والماء وبالقــدر النزر القليل ، وكان احيانا يعيش على الطوى اياما عديدة ٠ ثم هــو على الدوام — آناء الليل واطراف النهار — عرضة للتعذيب بالاختناق بالماء حتى تبلغ الروح التراقى وتوشـــك على الزهوق ، فضلا عن الجلد الشــــديد بالسوط الغليظ ذى الشعوب ، مع حشو فمه بما يسمونه « كمثرى الالام » لمنعه من ان يصيح ٠

والذى لا شك فيه ، انه هنا — فى سجن « مونج على اللوار » الشهير ، نظم الشاعر « فرانسوا فيللون » وهو فى سن الثلاثين ، ما نقــــرؤه فى « الوصية الكبرى » من الشعر العظيم الذى يتحدث فيه عن سجنه ، وعن شبابه المضيع ، وسرعة كر الزمن ، والموت الذى لا يبقى ولا يذر فضلا عن انشودات «اين غوانى السنين الخوالى» و « اين الســادة العظام فى قديم الزمان » و « حسرات الحسناء على فوات الشباب » ثم موشحه « القلب والجسد » والكثير غيرها من اشعاره التى تتخللها لواذع لسانه التى لايخلو قط منها كلامه ٠٠ واخيرا مقطوعات المواعظ والتذكير بالموت ، ومنها نختار هذه المقطوعة للختام :

لا ، هيهات كما يكون الاخرون ، اكون

ابنا من ابناء الملائكة
على راسه اكليل من النجوم
او على الاقل نجمة ٠
ان ابى مات ، وهو يرقد هناك
تحت أشجار فناء الكنيسة
طيب الله ثراه ، وانزل على روحه السكينة
وانا اعلم أن سوف تموت كذلك
أى المسكين العجوز (وهى نفسها تعلم ذلك)
وبعدها ، ابنها سوف يلحق بها ٠
بل هنالك ، ما هو اكثر من ذلك
باريس قد ماتت ، وماتت هيلين :
« فيلجسد المراة الذى كان حيا
ناعما ، بضا ، املس سويا
وانفس من كل نفيس
هل من الحتم ان يفسد منك اللحم والعظم ؟

نعم من الحتم
الا اذا ارتفع حيا الى السموات العليا



يكتب

لنا القراء الواعون ، عقب صدور كل عدد خاص من الهلال ، متناولا موضوعا معينا ، قائلين ان العدد لم يستوعب الموضوع برمته · وهذا صحيح فهذا العـــدد الذى بين يدى القراء عن « ادباء وراء القضبان » لم يستوعب جميع الادباء الذين دخلوا السجون فى الادب العربى القديم والوسيط والمعاصر ، ولا فى الاداب العالمية الاخرى · وعذرنا فى هذا اننا نكتفى فى كل عدد خاص بالاسماء البارزة ، التى تتميز سيرتها بشىء طريف ، أو تقترن بحدث جليل ، أو عمل كبير ·

شاعر فى "تقفيصة فراخ"

اما استيعاب الاسماء جميعا ، فهذا يتطلب الوف الصفحات ولو اتسعت صفحات هذا العدد ــ مثلا ــ لاحببت ان احدث القراء عن الشاعر الفرنسى الكبير « فرلين » الذى يسميه النقاد « فرلين الفاخر » ويقولون عنه أنه الاب الحقيقى لجميع شعراء الشباب فى عصره ·

مرت على « فرلين » فى أول شبابه سنوات من الضياع بين الحانات وبيوت البغاء · واراد ان ينجو بنفسه من هذا الضياع فتزوج ، وعاش عامين كاملين يبذل قصارى جهده لكى يكون زوجا صالحا ، فكان لا يذوق الكأس الا غرارا

وكانت النتيجة ان هذين العامين كانا الفترة الوحيدة فى حياته ، التى لم يكتب فيها قصيدة واحدة !

فتمرد على الزواج ، وعاد الى بوهيميته وانحرافه

واحبه الاديب الكبير « رامبو » حبا آثما ، فالتصقا وافترقا، وتعانقا وتشاجرا ، واستقرا وسافرا ، وانتهت مأساتهما بأن أطلق « فرلين » على عاشقه الرصاص ، وانتهى الى غيـــابة السجن ·



فرلين ، وشعراء الشباب ...

ولو اتسعت صفحات هذا العدد أيضا ، لاحببت ان أحدث القراء عن كثير من الشعراء الظرفاء الذين دخلوا السجن بسبب مجونهم ، كأبي دلامة مثلا ، الذي استهدى الخليفة ساجا - أى ثوبا من الديباج الفاخر - فأهداه ، وسأله أن يمتنع عن شرب الخمر ، فوعده .

وما لبث أن أخلف ، فأمر الخليفة بخرق ساجه ، وحبسه مع الدجاج

وفي ذلك قال أبو دلامة :

أميـــــــر المؤمنين ، فدتك نفسي
علام حبستني وخرقت ســـــاجي ؟
أمن صفراء صافية المـــــــزاج
كأن شـــــــعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنـــــار الله حتى
لقد صارت من النطف النضـــاج
تهش لها القلوب وتشـــــتهيها
اذا برزت ترقرق في الزجـــــاج
أقاد الى السجون بغير جـــــرم
كأني بعض عمال الخـــــراج
ولو معهم حبست لكان ســـــهلا
ولكني حبست مع الدجـــــاج
وقد كانت تخبـــــــرني ذنوبي
بأني من عقابك غيــــــر ناج
على اني وان لاقيـــــــت شرا
لخيرك بعـــــــد ذاك الشر راج

★★★



البائسون .... لا البؤساء

قارئ عزيز ، يشير الى ما جاء بمقالي عن شاعر النيل ، حافظ ابراهيم . في عدد « أصحاب السيف والقلم » من الهلال ، من أن شاعر النيل قد ترجم رواية البؤساء » لفيكتور هوجو ، ويتساءل : كيف نقلها الى العربية عن الفرنسية ، مع أنه لم يكن يحسن هذه اللغة ؟

واحسب انني ذكرت في مقالي ذاك ، ان حافظا كان على شيء من الالمام باللغة الفرنسية ، وان لم يكن يحسنها الى الحد الذى يمكنه من الترجمة . وقيل ان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده - وهو من المحسنين للفرنسية - قد مد له يد العون في هذا العمل ، وان يكن قد ترك لحافظ حسن السبك وتأنق الاسلوب

وقد نقل الرواية نفسها الى العربية – بعد حافظ – الكاتبان اللبنانيان جورجى وحسوبيل بنى ، فكانا أكثر من حافظ دقة فى الترجمة ، وان لم يرق أسلوبهما العربى الى أسلوبه ·

بيد انهما لم يقعا فى الخطأ الكبير الذى وقع فيه حافظ حين جعل اسم الرواية « البؤساء » · وهو خطأ لغوى ، فالبؤساء جمع « بئيس » ومعناها « شجاع » ·

أما الكاتبان اللبنانيان ، فقد سمياها « البائسون » ·· وهى الكلمة الصحيحة فى اللغة ، اذ هى جمع « بائس »

***

بمناسبة عدد « السيف والقلم » ·· اقول انه لو اتسع المقام فى ذلك العدد ، لحدثت القراء عن شاعرين مصريين اكتفى اليوم بهذه الاشارة الموجزة اليهما :

من أصحاب السيف والقلم

● محمد فاضل – كان ضابطا بالجيش المصرى ، وخدم فى السودان · وله فى مجلة « الزهور » التى كان يصدرها المرحوم انطون الجميل (١٩١٠ – ١٩١٢) أكثر من مقال يدل على التشاؤم والسخط على الناس ·

يقول فى نهاية مقال له :

« أحبس نفسك فى بيتك وبين أولادك وكتبك · واذا مررت بقوم ، فمر بهم مر الكرام ، ولا تختلط بهم ، تعش سعيدا ، أو فجهز وصيتك اذا أردت الاختلاط بالناس لانك ستجن حتما وتساق الى السراية الصفراء » .

ويقول فى نهاية مقال آخر :

« نظرت ذلك وسمعته (أى من أمور الناس) وقارنته بما نظرت وسمعت من الطير والحيوان ، بل من الاشجار والجبال ، فوددت لو مسخ الله ابن آدم فصار حجرا ، ولو انطق تلك الحيوانات وبث الروح فى تلك الجبال والاشجار ، لكى يتبدل العالم الفاسد بآخر نقى الذيل نقى القلب لا فجور فيه ولا فحش ·· واستغفر الله وأتوب اليه واليه المرجع والمآب » .

ويقول فى قصيدة له عنوانها « حقائق » :

سألتك يارب بالانبيـــاء
وبالمصطفين وبالاتقيـــاء
وبالمنزلات وبالمعجـــزات
وبالارض والبحر ثم الســماء



تدن على بصبر جميـــــــــل
اذا المرء ضاق عليه القضـــــاء
فكم قد صـــــبرت على ما الاقي
فلم يجدني الصبر غير العنـــــاء

تمنيت لو لم تلدني الولـــــود
جزاها المهيمن خير الجـــــزاء
تمنيت لو تكلتني رضـــــيعا
فلم اتغذ بهذا الهـــــواء
ارى انفسا ، كان خيـــرا لها الا
قتل ، تعلو علو رفيع البنـــــاء

واخرى لها شـــــيم المرسلين
تضام وقد نال منها العيـــــاء
ارى جاهلا يتخطى الرقـــــاب
ارى عالما نال منه الشـــــقاء

ارى الصدق في النزع والصـــادقين
تولى عذابهمو الادعيـــــاء
ارى الناس بعضا لبعض عـــدوا
نسوا انهم خلقوا للفنـــــاء
تراه تظن الصـــــديق الحميم
وان رحت فهو شديد العـــداء

وتلقاه يقسم بابن البتـــول
وتسل النبيح وحق الـــولاء
بان عرى الود حبـــــل متين
غدا المرء من خيوط الاخـــــاء
ادر شطر وجهك عنه قليـــــلا
يقطع حبال الاخا والرجـــــاء

تباركت يا رب ، هذى الذئـــاب
اضر على النـــاس من كل داء
عقارب تلدغ من يلتقيهـــــا
افاع تعض فكيف الشـــفاء

اذا كان يرضيك هذا فـــزدنا
والا فعجل بمنح الـــدواء

فانى وحقك اقسم صـــدقا
بان الفساد سرى في الـــدماء
وانا نرى اللؤم رأى العيـــان
ونلمس بالكف جسم الـــرياء



● محمد توفيق علي ـ وكان هو الاخر ضـابطا بالجيش المصرى ، وكذلك خدم بالسودان ٠ وله شـعر كثير ، وطني



محمد فاضـل :
التشاؤم والسخط
في كتاباته ...

وقومي وأخلاقي ، ومنه هذه القصيدة بعنوان « مجد العرب » :

كفاك يا طير شدوا ، هجت بي طـــربا
اما تراني حزين القلب مكتئبـــا ؟
لو كنت مثلي مقصوص الجناح لمــا

شدوت ، بل كنت تلقى الويل والحـــربا
لم ينصف الدهر جيديـــا ، فطوقني
من الحديد ، وحلى جيده ذهبـــا

هب لي جناحيك ماجورا ، اطر بهمـــا
بنفس الجو على هذه الكـــربا
أعرهما لي ، أطر في الجو مرتفعـــا

حتى اعانق في أبراجها الشـــهبا
نفس تتوق الي العليـــاء مذ علمت
اني امرؤ ورثت اخلاقه العـــربا
اني لاعجب ممن يستخف بنـــا

الا يرى خطة استخفافه عجبـــا
سلوا القرون الخوالي عن مفاخــرنا
سلوا الرماح ، سلوا الهندية القضـــبا
سلوا الزمان الذي كانت تتيه بنـــا

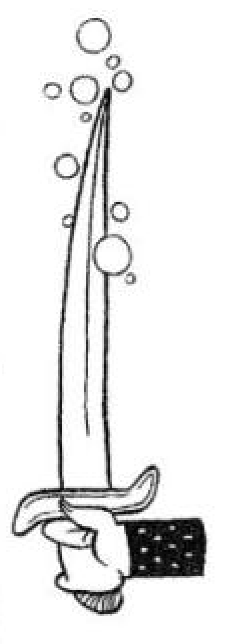
فيه المعالي وكنا السادة النجبـــا
وكان فارسنا ان جال جولتـــه
في نصرة المجد رد الجحفل اللجبـــا
ان صاح ، رددت الآفاق صـــيحته

واهتزت الارض والافـــلاك ان ضربا
كتائب تترامى في حميتهـــا
الى الردى ، لا ترى جبنا ولا هـــربا
من كل لا حق روح ، راح يطلبهـــا

بسيفه ، غير ملحوق اذا طلبـــا
كالسيف منصلتا والليث مفترســـا
والسيل منحدرا والبحر مضطـــربا
فجاءنا زمن صرنا به خـــدما

لغيرنا وغدت ارواحنا سلبـــا
أرى الممالك داستنا بارجلهـــا
كما ركبنا على اعناقها حقبـــا
ما لي أرى الشرق لا تصـــفو موارده

لاهله ، ويراها غيـــرنا ضربا
لو ان للشرق روحا اوله كبـــدا
ترق ، بث لنا شكواه وانتحبـــا



يا ويح للدهر يلهــــو بي ويلعب بي
أبعد ما شاب يهوى اللهو واللعبـــا ؟

ويبدو أن محمد توفيق علي كان من أصدقاء الكأس والحان حتى اتلف ماله ، كما يعترف في هذه القصيدة بعنوان « شيخ يعاقر الخمر » :

لولا الهوى وبواعث الاشــجان
لجفوت بعد الشيب بنت الحــان
لكنني دنف الفؤاد معـــذب
بلحاظ ساق فاتر الاجفـــان
لولا المدام بكفه ، لارقتهـــا
وسقيته من أدمعي وســـقاني
فلقد ضنيت من الدماء وشربهـــا
وحكيت ناحل جسمها وحكـــاني
في الكاس بعد الكاس ضـاعت ليلتي
والليل بعد الليل ضـــاع زماني
القت على الخمر في شرخ الصـبا
من شيبتي كفتامن الكتـــان
كم تحسبون سني حياة عشـــتها ؟
كم في فمي باق من الاســنان ؟
انا ما بلغت الاربعين ، وانمـــا
ادمانها لم يبق غير لســـاني
اتلفت فيها ضيعتي واضعت منــزل
... اسرتي ورضيت سكنى الحـان
وصرفت ايامي على ندمانهـــا
والعمر خير ذخيرة الانســـان

★★★

السربوني ومختارات الزهاوي

لعل الاديب العراقي البحاثة ، الاســتاذ عبد الرزاق الهلالي ، من أكثر المفتونين بشعر شاعر العراق الراحــل جميل صدقي الزهاوي ، العاكفين على دراسته ، الباحثين لذكراه .

وللزهاوي صلة عريقة بمجلة « الهلال » . فطالما آثر صفحاته بقصائده ومقالاته وبحوثه البعيدة عن مجال الشعر ، منذ عهد قديم ..

ذلك ان الزهاوي هام منذ صباه ـ الى جانب فنون الادب والشعر وعلوم الدين واللغة ـ بالعلوم الطبيعية والفلسفية والاجتماعية وكان لقراءاته في هذه الاخيرة بعض الاثر على عقيدته ، وعلى شعره ايضا ، كما يبدو لنا من ملحمته « ثورة في الجحيم »

ولهذا لقبوه بالشاعر الفيلسوف ، وان كان الاستاذ العقاد ـ رحمه الله ـ قد جرده من هذا اللقب بشطريه !



محمد صبري
السوربوني

وقد أصدر الاستاذ الهلالي أخيراً كتاباً عنوانه « مختارات الزهاوي من عيون الشعر » تضمن نحو خمسمائة بيت اختارها الزهاوي مما راق له من الشعر الجاهلي والاسلامي ، وخلفها وراءه باسم « عيون الشعر » متناثرة في بعض الصحف أو الصحائف ، فجمعها الاستاذ الهلالي وحققها وأضاف لها بعض الهوامش في الشرح أو التعريف بالشعراء المختار لهم

ولهذه المختارات قصة قديمة ·· هي ان الزهاوي استكمل مختاراته سنة ١٩١١ وسماها « عيون الشعر » وبعث بها الى استاذنا الدكتور محمد صبري (السوربوني) لينشرها · ولكن الدكتور صبري ـ على حد قوله ـ عرضها يومئذ على الشاعرين اسماعيل صبري وحافظ ابراهيم ، اللذين أفتيا بعدم توفيق الزهاوي في الاختيار !



الزهاوي

وأحسب انهما ان كانا قد أفتيا بهذا ، قد أوقعا بالزهاوي بعض الظلم ، لا كله · فمن المعروف عن الزهاوي انه كان في اختياره للشعر ـ حتى لشعره هو نفسه ـ لا يحفل بالموسيقى قدر ما يحفل بالمعنى · ولهذا جاء اكثر شعره خشن الجرس

وكذلك جاء بعد مختاراته هذه ، ولا أقول كلها ، ففيهـــا الكثير مما يسيل رقة ويذوب عذوبة ، كقول على بن الجهم :

يا رحمتا للغريب بالبلد النــــــازح
··· ماذا بنفسه صـــــــنعا
فارق أحبابه فما انتفعـــــــــوا
بالعيش من بعده ولا انتفعـــــــا

وكقول العباس بن الاحنف :

تعالي نجدد دارس الحب بيننـــــــا
كلانا على طول الجفاء ملـــــوم

وغير ذلك كثير

على ان مختارات الزهاوي القديمة ، التي بعث بها للدكتور صبري ، قد ضاعت في حينها · والمختارات التي بين ايدينا الان ـ في كتاب الهلالي ـ هي مما أعاد الزهاوي اختياره بعد ضياع الاولى · وأكبر الظن أن فيها من الاولى الكثير

ومهما يكن من أمر ، فان جهد الاستاذ الهلالي في هذا العمل التراثي ، وفي غيره من أعماله الادبية الوافرة ، يعد اضافة جليلة للمكتبة العربية في هذا الجيل ·

لمن هذان البيتان ؟

اسماعيل صبرى



سألنى قارىء كريم عن حقيقة صاحب هذين البيتين ، أهو اسماعيل صبرى أم حفنى ناصف ، بعد أن اختلف الرواة فى نسبتهما الى هذا أو ذاك :

أقول لهم فى ساعة الدفن خففوا
على ، ولا تلقوا الصخور على قبرى
ألم يكف هم فى الحياة حملته
فأحمل بعد الموت صخرا على صخر ؟

وأقول للقارىء الكريم : الحقيقة انهما ليسا لصبرى ولا لناصف ، ولكنهما لأمير الشعراء أحمد شوقى ، على سبيل القطع .

والدليل على هذا أنهما نشرا بمجلة « الزهور » سنة ١٩١١ (صفحة ١٤٠ — المجلد الثانى) بامضاء أحمد شوقى ، وكان اسماعيل صبرى وحفنى ناصف يومئذ على قيد الحياة ، ولم يكذبا هما ولا أحد من معاصريهما نسبة البيتين الى أمير الشعراء .

★★★



كنت أتمنى أن تقف المعركة بين الاديبين الكبيرين الياس فرحات وجورج صيدح ، خلف الاطار الذى وضعتها فيه فى « رحلة الشهر » بالعدد الماضى ، وأن يصحو تيار الذكريات الحلوة القديمة بين مدينة النور ، حيث يقيم صيدح ، والافق الجميل ، حيث يقيم فرحات ، فيهدهد هذين القلبين الشاعرين ، ويرد اليهما ما كان بينهما من الود والصفاء ...

ولكن يبدو ان عبارة فرحات التى قال فيها « إن شعون كذاب ، وصيدح أكذب منه » كانت بالغة الجرح فى أعماق صيدح الذى أصر على مواصلة المعركة ، فبعث الينا برسالة أخرى ، يفصل فيها ما أجمل فى رسالته السابقة ، ويطالبنا بنشرها كاملة ، حفاظا على كرامة قلمه .

وسيجد القارىء هذه الرسالة لصيدح ، مع معارك ادبية في هذا العدد • وانبه الى انني لم ارفع منها الا بضع كلمات معدودة لا يمس رفعها جوهر الرسالة ، ابقاء على باب المهادنة مفتوحا ولو الى حد بين الاديبين الكبيرين •

ومهما يكن من أمر ، فان مثل هذه المعارك الادبية هى دليل صحى على حيوية أدبائنا المخضرمين • وقد أفاد القراء من معركة « صيدح ـ فرحات » أنهم عرفوا أديبا مهجريا مصريا لم يكن يعرفه الا القليلون ، وهو المرحوم سعد الدين الرحال ، الذى قال عنه أمير البيان ، المرحوم الامير شكيب ارسلان « انه قدر من هناك على التصحيح والتنقيح ، انه علامة فى القواعد ، وأنه ذو القلم الساحر ، والبرهان الباهر ، وانه السيف القاطع الناحر ، ولا أجد أعلم منه فى الجالية العربية الارجنتينية ، بل الامريكية على الاطلاق » •

ويقول عنه الاستاذ صيدح « أنه المصرى الوحيد الذى عرفته فى ذلك العهد ، عدا أعضاء البعثة الدبلوماسية المصرية • ولد فى بولاق عام ١٨٦٣ من اسرة السيوفي فى القاهرة ، وتوفى فى عاصمة الارجنتين عام ١٩٦٧ معمرا أربع سنوات بعد المائة ، وكان بارعا فى فنون الكيمياء ، متضلعا بأصول الضاد والدين ، يرأس الجمعيات ويحرر الصحف ويخطب فى الحفلات • وآيته الباقية هى ترجمته القرآن الكريم الى الاسبانية فى جزءين طبع منهما الاول فقط •

● وبعد رسالة الاستاذ صيدح ، سيقع القارىء على ثلاث رسائل أخرى ، تثير كل منها معركة أدبية أخرى :

● أولاها ، من الفنان التشكيلى الاديب ، الاستاذ أحمد يوسف أحمد ، وهو من دارسى التصوير فى الشعر • وهو يحمل فى رسالته هذه المرحوم الدكتور أحمد أمين مسئولية التخطىء فى يوم ميلاد شاعر النيل حافظ ابراهيم ، مما فوت على الناس الاحتفال بمناسبة مرور مائة سنة على مولده •

● والثانية ، من الشاعر العراقى الاستاذ حارث الراوى ، الذى يتهم اللغوى الكبير الراحل الاب انستاس الكرملى بالتجنى المقصود على أمير الشعراء •

● والثالثة ، من الاستاذ محمود العقاد ، تعقيبا على ما نشرناه من قبل ، لحفيد خادم عملاق الادب عباس محمود العقاد من أنه ـ أى العملاق ـ تجنى على خادمه فيما اتهمه به من الجهل والغباء •

والذى لا نشك فيه ان العقاد ـ رحمه الله ـ بكل ما عرف عنه من الوفاء ، لم يكن يقصد الاساءة الى خادمه الامين ، ولعل روح الفكاهة التى نعرفها عنه ، نحن أصدقاءه ، هى التى جعلته يرسم هذه الصورة المرحة لخادمه وسط قتامة الحديث عن عالم السدود والقيود •••

■

● ص • ج ●


لماذا يختار
السائح العربى
مصر بالذات ؟
بقلم : محمد سعيد



الصوت والضوء بالهرم



مشاهير لاعبي التنس الدوليون ومعهم البطل المصري اسماعيل الشافعي



رياضة التجديف في النيل

لماذا يختار السائح العربي مصر بالذات؟



احد عروض فرقة رضا الاستعراضية

كم هى جميلة ! عبارة سمعناها فى مرات يصعب حصر عددها كانت تخرج بكل حب من فم الزائر ، الضيف العربى أو السائح الاجنبى ، مصر تجمع عديدا من المزايا ترغب محبى السياحة والاستجمام فى المجئ اليها ، شمس مشرقة ،طقس جميل معتدل اماكن لطيفة للاستشفاء والعلاج ، آثار وفنون تمثل مختلف العصور ، مزارات دينية تعيد للاذهان حضارة الاسلام الزاهرة ،مجالات الرياضة والترويح ، سهرات الليل الممتعة ... الإقامة الطيبة فى الفنادق والشقق المفروشة مزايا قد لا تتوفر فى مكان آخر ، غير مصر التى خصتها الكتب السماوية بالتكريم ، مصر التى تغنى بها فكر الفلاسفة ومنهم « هيرودوت » الذى قال : « ان العجائب التى فى مصر قد انعشت روحى والشمس قد اذابت الصلابة فى عضلاتى . »

اين تقيم ؟

وهناك تساؤل مبدئى عن امكانيات الاقامة فى مصر ، عن حالة الفنادق من الشقق المفروشة ورغم أن الطاقة الفندقية الحالية تتعدى رقم ۲۲۰۰۰ سرير تضم فنادق الدرجة الاولى الممتازة ، والأولى ، والثانية . فان الخطة المقبلة تركز على زيادة طاقة الاقامة فى الفنادق السياحية التى يقبل عليها غالبية الشباب وذوى الدخل المحدود بجانب زيادة الطاقة الفندقية فى الاماكن الممتازة فى العام المقبل ستتولى شركة «اوبيروى» وهى شركة فنادق هندية عالمية مسئولية فندق «ميناهاوس» وتشرف نفس الشركة على العام فندق القاهرة وادارته عند اكتماله وفى اسوان ستشرف ايضا على ادارة فندق « اليفانتين » وفى شهر يونيه حزيران سيفتح فندق ميريديان على النيل فى القاهرة فسياسة الوزارة الحالية تهدف الى زيادة الطاقة الفندقية الى ۱۰۰,۰۰۰ سرير فى الخطة العشرية الحالية . ويفضل بعض الاشقاء العرب

الإقامة فى الشقق المفروشة لهذا يتجه الاهتمام الى زيادة هذه الشقق وتمتلك الشركات التابعة للوزارة «٥١» شقة» فى القاهرة فى ارقى واجمل المناطق و « ٦٧ شقة » فى جنة المعمورة بالاسكندرية هذا بالإضافة الى الاف الشقق المفروشة فى الأحياء السياحية المختلفة والتى يملكها المواطنون فى القاهرة والاسكندرية وغيرها وهى فى تزايد مستمر وفى تحسن واهتمام واضحين .

لماذا يختار السائح العربي مصر بالذات؟



في رحاب الإيمان

وتعتبر الجمع في ارضها لشرائع السماوات ، والارض يكون من الافتتان امثال معبودها التاريخية المختلفة والتي تضم العديد من الآثار ذات الطابع الديني الاسلامي والمسيحي ... والى جانب المعالم الأثرية الدينية هناك بيوت الله من مساجد وكنائس ، وفي المساجد يرفع الاذان من فوق مآذن المساجد المشهورة وفي الشهرة ومآذن الانشدون حول قبة الله في تحضرا دينيا او استماع لآيات مباركة من القرآن الكريم من اشهر الاصوات الرائعة لقراء القرآن وفي القاهرة الآلاف المساجد في الأزهر والحسين والسيدة زينب والامام الشافعي والسيدة نفيسة وابو العلا واليها يأتي اليها المسلمون من كل مكان ، وايضا في الاسكندرية هناك سيدي المرسي ابو العباس وسيدي جابر وسيدي بشر وابو الدرداء والامام البوصيري وغيرهم من الاقطاب الاخرى وفي طنطا السيد البدوي وفي دسوق سيدي ابراهيم الدسوقي وفي قنا سيدي عبد الرحيم القنائي وفي كل مصر مساجد وبيوت الله ترتفع ساحة ازلية الصالحين الذي يتوافد في كل وجود وفرحة للقلب على الجميع

وإذا كانت الآثار العربية من اهم المزارات التي تجذب اليها السائح ... وقد ... الآثار ... للسياحة العربية ... السيد الدكتور ذكي هاشم وزير السياحة ... وكيل وزارة السياحة للشئون الفنية ... المناطق الاثرية في مصر ...

لماذا يختار السائح العربي مصر بالذات؟

فهناك المياه الملحية وتستغل في علاج امراض الجهاز الهضمي وامراض القلب والمياه المعدنيه الحديديه تستغل في الشرب والاستحمام ولها اثر كبير في علاج امراض لين العظام والاعصاب اما المياه الكبريتيه فهي تستغل بطريق الاستنشاق ... والعلاج في حلوان يرتبط بمصاحبة الاستجمام والاستشفاء للخدمات الطبية المتخصصه

اما في مدينة اسوان فتشتهر بوجود الحمامات الرملية التي تستخدم لعلاج امراض الروماتيزم والمفاصل وغيرها وهناك ايضا منطقة هامة من مراكز العلاج الطبيعي تعرف باسم منطقة الجربى السياحية وهي من ابرز مناطق العلاج في الصيف وهي قريبة من مصيف راس البر التابع لمحافظة دمياط وبها اول مركز عالمي للعلاج الطبيعي من الروماتيزم والانزلاق الغضروفي والاعصاب والشلل وحالات السمنة .

ومن راس البر الجميلة الواقعة الى جوار النيل عند فرع دمياط الى مصيف رشيد الممتع عند مصب النيل على البحر المتوسط حيث توجد مدينة رشيد برمالها السوداء التي تحتوي على العناصر المشعة التي تشفي امراض الروماتيزم ، وغير بعيد عن الاسكندرية

توجد منطقة جميلة تجمع دفء الشتاء ونسمات البحر المنعشة صيفا منطقة كينج مريوط وهي تتميز بالمناخ الصحو

الجاف صيفا وشتاء وهي واحة خضراء جميلة وسط رمال الصحراء الذهبية ترتفع فيها اشجار الصنوبر العالية وبها مساحات خضراء كبيرة وبحيرات

مياه صافية وفندق سياحي ممتاز يرحب بطالبي الراحة والاستشفاء في جو صحي يندر ان تجد ما يماثله بسهولة ... اكثر من مكان اكدت ظروف من

حضروا أن صحتهم تحسنت بدرجة كبيرة واصبح في امكان المتعبين منهم السير والحركة وممارسة الرياضة بعد مرور أسابيع قليلة على العلاج

في هذه المناطق . ومن اكثر اماكن العلاج المصرية في مصر مستشفى المعادي « القوات المسلحة » وهو من افضل

المستشفيات استعدادا في منطقة الشرق الاوسط وهو يهتم بالزوار من الاشقاء العرب ويعطيهم اهتماما خاصا في العلاج

العلاج الطبيعي في الرمال بالجربى





مهرجان الحصان العربي

والنابعة الثورية ايمانا منه بأهمية رسالته في خدمة المرضى والباحثين عن الصحة .

الرياضة والشباب

تهتم اجهزة السياحة المختلفة بالانشطة والمسابقات الرياضية وهي كثيرة ومتنوعة فهناك مهرجان الحصان العربي . ويقام له مهرجان سنوي في شهر مايو في القاهرة والمطس بالاسكندرية ويشترك فيه هواة الخيول العربية من كل انحاء العالم ويشمل مسابقات القفز على السدود وعروض في ادب الخيول ويقام ايضا مزاد عالمي سنويا للحصان العربي مشهور الانساب وتنظم كذلك مسابقات في الرقص بين الخيول ، والزائر الذي تفوته فرصة المشاركة في مهرجانات الخيل المختلفة يحرص على مشاهدة مفاجآت الخيول في ضواحي القاهرة فيمزرعة الزهراء لتربية الخيول وتحسين سلالتها ومساحتها ٦٠ فدانا ويوجد بها ١٢٠ جوادا عربيا اصيلا وهي مفتوحة بترحيب لزوار القاهرة .

وتشتهر الاسكندرية والقاهرة ببطولات التنس الدولية التي تقام سنويا على ملاعب الجزيرة وسبورتنج ويشترك فيها مجموعة من اشهر ابطال وبطلات العالم في لعبة التنس في شهر مارس من كل عام

وعشاق الرماية يجدون فرصة التمتع بهواياتهم في عدد من الاندية في القاهرة والاسكندرية **ويشاركهم عشاق رياضة التجديف** المهرجان السنوي لرياضة التجديف التي تشترك فيها فرق الجامعات الامريكية والانجليزية مع الفرق المصرية والعربية وتقام المسابقات في الاقصر والقاهرة في ديسمبر من كل عام .. **وكرة القدم لها ايضا الكثير من المعجبين ومبارياتها** اسبوعية بل ايضا يومية بين الفرق المصرية او بينها وبين الفرق العربية والاجنبية بخلاف مباريات مسابقة الدوري العام وكأس مصر وهي متعة اخرى بجانب رياضات السباحة

لماذا يختار السائح العربي مصر بالذات؟

والكرة الطائرة وكرة السلة وغيرها من الالعاب التى يحرص على متابعتها الاشقاء العرب وتفتح الاندية أبوابها لهم باشتراكات رمزية من يوم الى ثلاثة شهور لالتقاء الاخوة العرب بمشاهير الرياضيين وكبار الكتاب والفنانين .

بلد الحضارة والفنون

ومصر غنية بآثار الحضارات المختلفة آثار الفراعنة فى الكرنك بالاقصر وابو سمبل بأسوان والهرم بالجيزة وغيرها من المناطق التى تجمع مشاهدة التاريخ بالصوت والصورة يمزج الماضى بالواقع والحقيقة بالخيال فى عروض الصوت والضوء وفى القاهرة المتحف المصرى القديم والمتحف الاسلامى وفى الاسكندرية الآثار الرومانية اليونانية القديمة والمتحف الرومانى ومتحف الفنون الجميلة حيث يلتقى هواة الفن التشكيلى فى المعرض العالمى « بينالى الاسكندرية لدول البحر المتوسط » والموسيقى الشرقية الاصيلة

الشواطىء والمصايف

والساحل المصرى طويل يمتد على طول البحر المتوسط شمالا وعلى امتداد البحر الاحمر شرقا وفى مصر عدد كبير من الشواطىء الجميلة تجمع المتعة والراحة والصحة والسعادة فى مكان واحد قد يكون فى المعمورة او المنتزه او العجمى او لعله فى شواطىء كورنيش الاسكندرية الطويل او فى مرسى مطروح وسيدى كرير او فى راس البر او فى جمصة او لعله فى بلطيم . شواطىء جميلة يلتقى فيها الطقس الممتع والرمال الناعمة والمياه الصافية والمبانى الانيقة والتسهيلات المريحة فى الفيللات والكبائن والشاليهات والقرى السياحية والفنادق المتعددة

وتفكير فى العودة

وتتنوع مزارات النهار ويأتى الليل ومتعة السهر فى مصر كبيرة ، هناك ليل القاهرة الساحر الممتد على شواطىء النيل فى مسارحها العامرة بألوان الفنون فى الملاهى الليلية التى تحرص على تقديم الوان متنوعة من الفنون المصرية والعربية والعالمية ، هناك دور السينما وصالات الرقص والغناء تمتد فى اكثر اماكن القاهرة جمالا فى ليل النيل الممتع وفى كورنيش الاسكندرية وسواد الليل يتحلى بعقد الضوء المبهر على طول الساحل الساحر الجميل لتعيش لحظات مرحة منطلقة وتختتم اليوم بابتسامة راضية لا يكدرها سوى احساسك بأن الوقت قد انتهى وحان موعد رحيلك وسط ترحيب ووداع الاصدقاء

وتفكير يأتى منك بأهمية العودة لاستكمال الثقافة والمتعة فى احلى البلاد وغناء الاصوات المصرية الشهيرة يصدح فى اذنيك مغنيا لك ولمصر ولكل العرب .

ولانك تحب مصر وتحرص على الحضور اليها فالعمل الآن يتم بالفكر العلمى بأسلوب يهتم بالتخطيط وصولا الى تحقيق انسب وافضل الظروف لاستقبالك فى بلادك ،وخطة وزارة السياحة والتشريعات والقوانين والتعاون الصادق بين الوزراء المعنيين لرفع مستوى الخدمات والعمل على الترحيب باخوة لنا من الخليج الى المحيط التى اعلنها السيد وزير السياحة لمواجهة الاعداد المتزايدة من السياح تستهدف قيام السياحة بدور اساسى وفعال فى بناء الوطن وعناصر الخطة تتحصر اساسا فى استكمال جميع الفنادق والاصلاح الشامل والتجديد للفنادق لتصل الى المستويات التى تستجيب لنوعيات السياح وتحسين مستوى الخدمة .. تجميل المناطق السياحية حتى تظهر بالمظهر اللائق امام السياح واعادة تخطيطها وايضا تشجيع استثمار الاموال العربية والاجنبية فى المشروعات السياحية .

فاهلا وسهلا

محمد سعيد


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم : الانتاج العربي المشرف للصناعة العربية
أحدث إنتاج على أسس علمية
مصنوع من الصاج المطلي بالمينا
شوايات
للحوم والدواجن
مقاسات وأحجام مختلفة
جذابة
اقتصادية
تعمل :
بالكهرباء
بأنابيب البوتاجاز
بالفحم
لا تقل الشوايات قبالا في الدول العربية الشقيقة
والشركة على استعداد للتصدير لمختلف بلاد العالم خصوصا الدول العربية الشقيقة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي / العصافرة - الاسكندرية
معرض البيع : ٤٥ شارع صفية زغلول بالاسكندرية



فى ذمة الله الشاعر عادل الغضبان

مع مغيب العام المنصرم ، ودع الدنيا شاعر من المع شعراء العربية في هذا العصر ، هو المرحوم عادل الغضبان ، مستشار « دار المعارف » الغراء وعضو لجنة الشعر بمجلس الفنون والاداب ٠

والشاعر الراحل ، لبناني سوري مصري ، التقت فيه هذه العناصر العربية الثلاثة فى الطف مزاج فقد ولد وشب والده في المدينـة التاريخية اللبنـانية الجميلة « بعلبك » ـ نفس المدينة التى ولد وشب فيها شاعر الاقطار العربية الراحل خليل مطران

وفي شبابه ، نزح الى مدينة حلب السورية الشهباء ، حيث التقى هناك بشابة من كرائم البيوتات ، وكانت من اجمل جميلات حلب ، فبنى بها ، وانجب منها شاعرنا عادل ، الذى نزح هو الاخر فى اول صباه الى مصر ، يطلب العلم فى معاهد الجزويت ، وينكب على قراءة الادب العربى ، قديمه وحديثه ، وقد اوتى موهبة الشعر منذ نعومة اظفاره ، فجاء شعره عربيا متميزا بفصاحته وجزالته ، الى حد ان استاذنا عباس محمود العقاد ـ رحمه الله ـ كان يقول لنا فى لجنة الشعر ، كلما سمع قصيدة لعادل الغضبان : انى لاعجب لهذا الشاعر خريج الجزويت ، الذى يملك ديبـاجة عربية قل ان يملكها خريج الازهر !

وكان حلو السمت ، خفيض الصوت ، رقيق الخلق • وقد قضى زهرة عمره خادما للثقافة بدار المعارف الغراء ، واشرف حينـا على اصدار مجلة « الكتاب » ثم السلسلة الثقافية الاثيرة « اقرأ » الى ان احيل الى المعاش منذ عامين ، وبقى مستشارا للدار ، تقديرا لادبه وخبرته وفضله

ومن عجائب الاتفاق ، ان يكون آخر بيت فى آخر قصيدة ارسلها الى « الهلال » وهي التى ننشرها بعد هذه الكلمة ، وداعا للحياة ، واستقبالا للتراب !

« صاد »

مررت بالبحر

لفقيد الشعر عادل الغضبان

مررتُ بالبحر فاهتاجت لرؤيته
عواطفي وبكتْ عيني على الأثرِ
فقلتُ للبحر : أرجعْ من ذهبت بها
وخلّفتني أليفَ الهمّ والسهرِ
فلم يُجبني بغير الموج ملتطماً
وبالنسيم يُسلّيني من الفجرِ
ذكرتُ يوماً به ودّعتُ منتجباً
حسناءَ ، طلعتها أبهى من القمرِ
فودّعتني وقالتْ في ملاطفةٍ
إن السفينة قد همّتْ على السفرِ
أتبعتها نظري والفلك سائرةٌ
حتّى توارت عن الأحداق والنّظرِ
سارت فسار فؤادي في حراستها
وعدتُ أشكو الأسى حتّى إلى الحجرِ
أمرُّ بالناس لا ألوي على أحدٍ
ولا أرى غير أشباح من الصورِ

***

يا ناصحي بجميل الصبر في شجني
صبرتُ يا صاحِ حتّى عزّ مصطبري
إما رجوع حبيبٍ بعد غيبته
عن الديار وإما ظلمة الحُفَرِ

عادل الغضبان



المفتاح

قصة قصيرة

محمود البدوي

■ ضغط على الجرس في رفق .. وانفتح الباب ، فدخل متأنيا ، متوقعا صوت قطة ، بعد أن طالعه السكون التام من داخل الشقة .. إذ لم يسمع صوتا على الإطلاق .

وجلس على أول مقعد وقع عليه بصره في البهو ، وهو يحس عينيه فيهما حوائجه ، بالمنشف في قلق عن القلق الذي جاء من أجله .

وسأل ، الشغالة في لهفة :

– أين الست يا سعدية ؟

– نائمة ... ومن الصبح لم تقابل أحدا .

– هذا أحسن ...

وجهها تستريح ، والدامس لانهيارها يقسو لا بعد أن تحسر ...

– حاضر ...

ورأته على وجهه الإرهاق الشديد ، والمسافرة الى النوم ، فسألته هامسة ...

– أعمل لك قهوة .. يا بي فاضل ؟

– طيب ...

وانصرفت ، الشغالة ، في سكون الى آخر الممر الى المطبخ ، وأصبح هشام وحده في السكن يسمع دقات الساعة المعلقة على الحائط في مواجهته ...

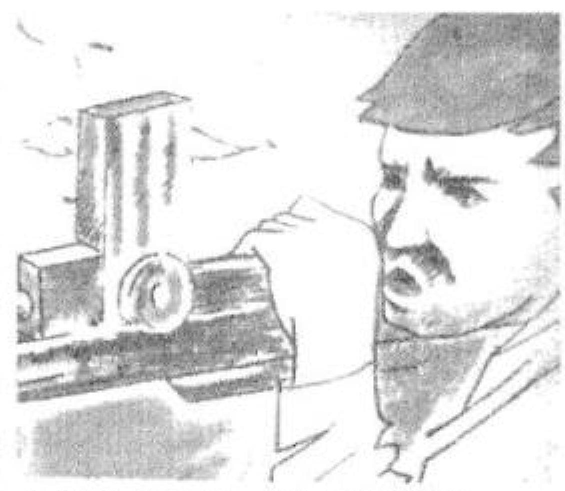
واستراح في المقعد الأسطمبولي الذي وجده بالمدخل البيت كله ، فالعمارة كانت خفيفة ، وجميع الشقق الخارجية كانت مغلقة ، والسكون مطبق ...

استراح الى كل ما فصله عن العالم الخارجي ، الذي انعدم منه منذ لحظات ...

وأحس بالنشوة بعد الهروب الشخصية التي حوله .. كأنه ينظر هذا البيت لأول مرة ... أحس بالكراسي والقطعة الصغيرة .. والصور على الجدران ، والساعة على الحائط ...

كانت كل هذه الأشياء ثابتة ومتينة كأنهما تحس بقوة صاحبها ، بقوة من كان يحتلها شكلها ولونها ...

والرجال طرفه فيهما يحيط به رونق متألق



وبدا كل شيء حزينا قاتما يثير الشجن عند لمسه ، وبمجرد رؤيته .. وغاب في تيه من الفراغ . جلس واجما مطرقا . وقد اجتمع عليه بؤس الحياة وشرها في لحظة ...

ثم رفع رأسه عندما احس بحركة خفيفة في غرفة « سهير » وأدرك انها نهضت من الفراش ...

احس بها وهي رائحة وغادية في الغرفة ، في ثوبها الأسود ، محلولة الشعر ، مهدلة الثوب ، غير عابئة بزينتها كأنثى في رونق شبابها ...

ثم رآها تجلس منحنية على الكرسي الوحيد في الغرفة ، وهي تنشج ، وسمع بكاءها ونشيجها ، وشاهد وهو جالس تقلصات جسمها وتشنجه . ولكنه لم يستطع ان يدخل عليها الغرفة ، ويفعل شيئا لاسكاتها ..

وأدرك أن « الشغالة » أخبرتها بحضوره ، فأثار هذا ذكرياتها وشجنها .. اثار عواطفها ، واطلق احاسيس قوية كانت محبوسة ..

كان الباب الموارب يسمح له بأن يراها بكل جسمها ، وهي منثنية بجانب على الكرسي ، طاوية جذعها ، ودائرة راسها نصف دورة حتى لاتراه ...

ولكنها في غفلة وضعت على راسها شالها فعرف انها نهضت ، وتناولت الشال ، ثم رجعت الى مكانها دون أن يشعر بها ...

ورغم الجلسة المنثنية ، والتى تبدو غير مريحة على الاطلاق ، فقد بدت قامتها الطويلة وبدت رشاقة جسمها ، وبدى دوران كتفيها ، وامتلاء صدرها ، الذى كان الثوب الصوفي يغطيه بقوة ويضمه ، ولكنه لا يخفى تقاطيعه ومفاتنه ...

وظهر الجيد أبيض ناعما ، فقد انحسر الشال الأسود عن شعرها الفاحم ، وعن عنقها ، في لحظة غير واعية من لحظات الانفجار الحسي ...

وأبصر انها تلفتت تجاهه وراءه ثم حولت رأسها على عجل بحركة انثوية عفوية تفعلها الأنثى بالغريزة في ساعات الحزن العصيبة .

وانتصبت تتمشى في الغرفة جيئة وذهابا .

وفي اثناء هذه الحركة الرتيبة ، التي كررتها دون ملل عشرات المرات ، غطت بالشال شعر رأسها الاسمر المتموج كله ، وأذنيها الصغيرتين ، وجيدها ونصف خديها ..

ولمح في ساقيها جوربا أسود طويل العنق ، يصل الى الفخذين ، وينثنى هناك طيتين ، ثم يترك لون المرمر ونعومته في نصف دائرة كاملة ويتيه بعدها البصر في

سواد الحرير التحتى ونسجه ·

ووضعت فى القدمين حذاء اسود مطفى اللمعان · وكانت قد خلعت فردة من الحذاء اثناء مشيها فى داخل الغرفة · ثم جلست لتلبسها · وواجهته هذه المرة بوجهها الشاحب وعينيها المخضلتين بالدمع ···

ومسحت عينيها بمنديل صغير ، طوته كثيرا ، حتى تكرمش ·· وخطفت نظرة فى المرآة ثم خرجت اليه متثاقلة تمسك راسها وعبراتها ·

ومد اليها يده ، فتناولتها فى استرخاء وأحس بيدها باردة رخصة ··· وواجهته بعينين واسعتين ، فيهما من التساؤل ، اكثر مما فيهما من الحزن · وسالته بصوت حزين :

ـ اجئت من مدة ؟

ـ من ربع ساعة ··

ـ لم احس بك ··· الا منذ قليل

ـ اعرف هذا ·

وصمتت ·· ثم سمع صوتا واهيا يختلف فى جرسه ونبراته

ـ وهل وصل ؟

ـ وصل بعد الظهر الى الاسماعيلية ·· ونقلناه الى القاهرة منذ ساعة ·

ـ احملوه الى فى الصباح · ليبق اليوم معى بطوله

ـ حاضر ···

وخشى أن يقول لها انهم دفنوه ، وانه جاء اليها بعد الدفن مباشرة خشى أن يقول لها هذا ، فيمزق قلبها ، ويذبح صوتها من النحيب

وكان قد حمل متاعه · قلمه ومحفظته وساعته وملابسه · وابقاها فى بيته بعيدا عنها فى هذه الايام الحزينة ·· وعندما تتماسك وتملك زمام نفسها سيقدم لها هذه الأشياء التذكارية ···

وسالته :

ـ شربت قهوة ؟

ـ شربت ···

ـ وتشرب معى ··· احس براسى ينفلق نصفين ·

وغابت عنه ، ولاحظ انها ، وهى ذاهبة الى المطبخ ، تمشى بنفس الخطوة الدقيقة السريعة وتتحرك بمثل نشاطها الذى جبلت عليه · فلم يغير الحزن من حركتها ···

وحملت « الكنكة » على الصينية كعادتها معه · وصبت فى فنجانه ونظر الى عينيها ، والى قرحهما البكاء ، والى اهدابها ، ولون خديها وشفتيها ·· وادرك كيف يظل الجمال الاسر باهرا حتى فى اشد حالات الحزن ··

وسمعها تقول بعد ان وضعت الفنجان :

ـ وما الذى ستفعله انت ؟

فأجاب مرتبكا :

ـ أنـا ··· أى شيء ··· ؟ !

وارتفع صوتها :

ـ ما الذى ستفعله لتثار لصديقك الاوحد ؟

ـ ما الذى أفعله أنا ؟

ـ أجل ···

واحتد صوتها ، وحدقت فى وجهه بعينين فيهما من الغضب ، اكثر مما فيهما من الوداعة التى الفها منها ·

ـ انا ··· لاشيء ··

لقد عبر ليقاتل فقتل ·· وهذا يحدث لكل انسان

ـ وانت تفعل مثله ·· تعبر من نفس الموضع

ـ أنا اكون قاتلا ؟! لا ···

ـ وان لم تكن قاتلا ·· ستكون مقتولا

ـ انا ؟ !

ـ انا ··· وانت ·· والذى قتل « مصطفى » سيقتلنى ويقتلك ··· وقتل النساء والاطفال فى بيوتهم ومدارسهم ،

ـ لا أحب ان اكون قاتلا

ـ انت جبان

ـ ابدا ··· وانت تعرفين

ـ انك مازلت تشعر بالمرارة لانهم تركوك فى البعثة ·· واخذوا غيرك

ـ وغير هذا كثير

– انس كل شيء ...
انس هذه الصغائر لاننا في محنة ... والثأر لصديقك .. لا احد يفعل هذا غيرك . فقد لازمته ملازمة الظل خمسة عشر عاما

– يفعل هذا غيري

– بل تفعله انت ...
لانك مدرب على القتال وجاهز .. وستحمل نفس مدفعه ونفس خنجره ... وستضربهم نفس الضربة التي اصابت صديقك .. ستضرب في القلب

– لا احب ان اكون قاتلا

– ستكون ... والا ... لن ترى وجهي

فارتجف ، وارتعدت اوصاله ، وامسك بيدها ...

– اترك يدي ...
انك جبان ... وتحشو راسك بالسفاسف .. اننا في محنة ...

– وهل انا مسئول عنها ؟

– انه وطنك .. ارضك .. وترابك وعرضك

– انا طبيب ...

– وما الذي ستفعله بطبك عندما يضمنا التراب

– كثير على ان اكون قاتلا ...

– اذا لن اجعلك ترى وجهي بعد اليوم ، سأرحل .. واعرضت عنه ، واخذ فمها يرتعش فاصفر لونه ، وتمشت في اوصاله رعدة شديدة . وتركته واستدارت ، ودخلت وعادت تحمل شيئا في يدها وحدق فيها مستغربا

– من اين جئت بهذا ؟

– كان عندنا ، ولم يستعمله « مصطفى » وستستعمله انت ..

– ومدت يدها . فتناول منها « الرشاش » صامتا ولم ينبس ... وقالت بهدوء وقد ظهر الارتياح على وجهها :

– ساجيء لك بحقيبة تضعه فيه ...

وحمل الحقيبة ومشى الى الباب ... وتذكر شيئا كان قد وضعه في جيبه وكاد ينساه ، فاخرجه بسلسلته الصغيرة وقدمه لها وهو يهمس بحزن :

– المفتاح ... وجدته في جيبه .

– ابقه معك ...

ونظرت اليه ففهم غرضها ... ، وشعر بانتفاضة وقوة ووضعتيدها على عاتقه .. واستدار وخرج ..

***

وفي الصباح شعرت بالقلق . انتابها قلق قاتل ... وندمت على انها دفعته الى القتال .

وخشيت ان تكون السبب في فقده ... كما فقدت زوجها .

هشام . هشام . ظلت الايام والليالي تردد اسمه وتطالع الصحف في لهفة ، علها تسمع عنه خبرا ولكنها لم تعثر على شيء .

وعاشت حزينة ملتاعة ، ولم تكن وهي الوحيدة في بيتها تحاول الاتصال باحد من الناس في هذه المدينة الضخمة ... القاهرة .

ومن البداية صدت كل الذين حاولوا ان يجعلوا من مقتل زوجها صورة رخيصة للدعاية ... فالوطنية في نظرها عمل سام ومقدس ويجب الا يلوث قط .

***

وذات صباح وصلتها رسالة من « هشام » .. سرت بها وبكت في وقت واحد . فقد اخبرها

بدفن زوجها فى اليوم التالى لمصرعه فى مدافن أهله فى « البساتين » · وأبدى أسفه لانه كتم عنها الخبر فى وقتها حتى لا يروعها ·· وهو يرجو أن تغفر له ما فعله بعد أن رأى فيه عين الصواب، وعند عودته سيزور معها القبر ···

وبكت « سهير » لأن الرسالة أثارت أشجانها ، وسرت لأن « هشام » لايزال حيا · وان لم تعرف مكانه ··

وكفكفت من عبراتها ·· وأصبح تفكيرها كله فى « هشام » ··· شغلت به ، وأصبح يتحرك معها فى حجرات البيت واركانه ··· ويدور ويسمع همسها

وكانت تستيقظ فى الليل على أحلام مروعة، وأحلام ذهبية ·

ذات مرة تراه عابرا القنال وحده فى كيس من المطاط ، وعلى وجهه ابتسامه المنتصر ·· ومرة أخرى ترى معه ثلاثة من الرفاق مجهزين بمثل عدته من السلاح والخناجر · واجهزة اللاسلكى ·· والرصاص يتطاير من حولهم ···

ثم تراه يعس وحده فى صحراء سيناء · يبحث عن الطريدة · يبحث عن قاتل « مصطفى » وتراه قد أصيب برصاصة ولفظ – وهو يجود بانفاسه اسمها ·· مرتين · « سهير ·· سهير » من يسهر عليك من بعدى · وانت اليتيمة الوحيدة ؟

***

استيقظت فى الصباح مذعورة · ووجدت نفسها تندفع الى تنفيذ فكرة سيطرت عليها تماما ·· منذ سفره · وبعد الحلم قررت تنفيذها ···

وعلى عجل ارتدت معطفها الأسمر ،وخرجت فى الصباح المبكر ، تبحث عن سيارة تنقلها الى السويس ·

ووجدت سيارة بعد ساعة من البحث ، حملتها مع ثلاثة آخرين من الركاب ···

وعجبت بعد أن تحركت السيارة كيف تركب مع غرباء لا تعرفهم ·ولكن اللهفة على لقاء « هشام » وتسقط أخباره · انستها كل ما تعودت عليه من حيطة فى مثل هذه الأحوال ···

ولم تبلغ الرحلة غايتها · فقد أعيدت السيارة بركابها فى ثلث الطريق · اذ كانت فى السويس معركة بالمدفعية والطائرات منذ الفجر

ورجعت حزينة كسيرة القلب · وسيطر عليها احساس مدمر بالقلق جعلها تعيش كالشبح ·· وادركت انها كانت السبب فى فقد صديقها الوحيد فى هذه الحياة والرجل الذى كانت تجد فيه العوض عن زوجها والبديل ···

ومر شهر، وشهر آخر ··· وهى فى قلق وتعاسة ··· لاتسمع عن « هشام » خبرا · ولا تقرا كلمة ·· فانتابها المرض واصبحت حبيسة البيت وهى اشبه بالمشلولة ·

***

فى ليلة من ليالى الشتاء الباردة وكانت « سهير » ساهرة قلقة كعادتها وهى فى أشد حالات المرض ··· أحست بحركة المفتاح ·

واضاء « هشام » مصباح الردهة وبدا أمامها عملاقا رغم شحوبه وهزاله · وعانقته بحرارة الأنثى وهى تجد امامها بطلها قد عاد اليها فجاة بعد طول عذاب ويأس ···

ولما اخذ يهمس بما فعله ليثأر لها ، مرغت شفتيها فى فمه الملطخ بالتراب والعرق لتسكته ··

فلم تكن تريد من الحياة أكثر من ضمه الى صدرها ·

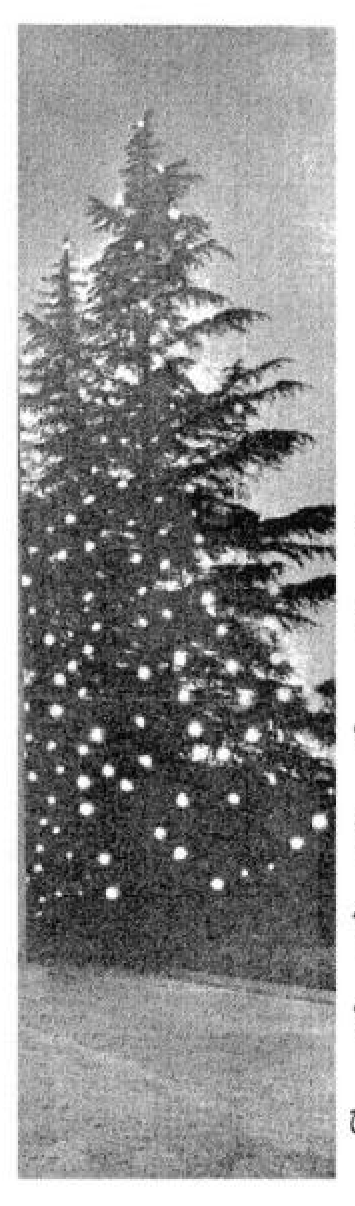
حافظ جميل

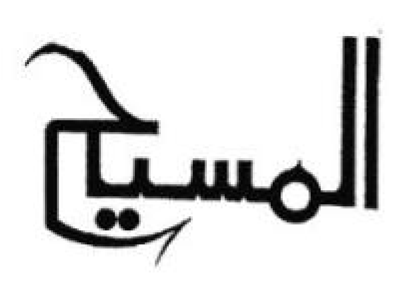
ميلاد السيد

أما تنفكُّ من ألمٍ تنوحُ
وقد أوفى على الدنيا المسيحُ،
يُبرِّئ من جراحك ما تلظّى
ويمسح من دموعك ما يسيحُ!
لقد نعِمتْ بمولده البرايا
فلا جرحٌ يسيل ولا جريحُ
كأنَّ الأرض قد نفضت حلاها
فأشرقت الأباطح والسفوحُ
ولو باحت بنعماها عيونٌ
سمعتَ العين بالنعمى تبوحُ!

••

حنانكَ يابن مريمَ، لا تؤاخذْ
رجالاً همُّهم جفنٌ قريحُ
أمِن أجل الفتوح جرت دماءٌ
تروّت من مجاريها الفتوحُ!
ألا شجانٌ زينت الصبايا
وللنيرانِ مردّت الصروحُ!





فما ساغت بشرعتك الرزايا
تطيح من البرية ما تطيح
فما فيها على الجُلّى طليح
ولا فيها من الهيجا كسيحُ
فكل الخلق فى دنياك أهل
وكل الأهل جثمان وروحُ

**

فديتَ العالم المحزون سمحاً
وهل يَفدى الورى إلا المسيحُ ؟
فقاسيتَ الشدائد من أناس
كأنك بينهم حمل ذبيحُ
فما كنتَ الشحيح على حياة
وما من أهلها إلا الشحيحُ
فهلْ تنسى الأوْدامُ مَنْ فداهم
وأعماهم هوًى عنه جموحُ
وذمّ الدين فى الأقوام حتى
كأن عبادة الدنيا مديح

فهـذا ليس يُرْويه غَبـوق
وهـذا ليس ينقعه صبوحُ
وما كالشـك متعبـة لقلبٍ
ضَنٍ ، لا يستريح ولا يُريح
أخوكَ محمـد وأخـوك موسى
وهل بعـد الاخاء دم سفيحُ ؟
اذا ائتلفت مـرامى الدين يوماً
رأيتَ الدينَ ريحـانا يفوحُ
فلا ذئبٌ بشيخ على سـخالٍ
ولا سـخلٌ يروعها المشيح
فأين الأنبيـاء وأين فيهـم
نذير أو بشير أو نصـيح ؟
ألا هبَّت علينـا الريح منهـم
عسى أن تنعش الأرواحَ ريحُ ؟

**

على يدك الكريمـة كلُّ خـير
لـه فى الأرض آثار تـلوحُ
نسجتَ الحبَّ محبوك الحواشى
وأفق الحب ميـدان فسيح
وغنَّيت السـلامَ ديار قـوم
عليهـا الحقـد يغدو أو يروحُ
فأين الحبُّ والبغضـاء دين
تَوغَّل فى القلوب فما يزيح ؟

وأين السلم والآفاق نار
تؤججها ضغائن ما تطوحُ ؟
فما الانجيل عنوان التعادى
بكل يدٍ مهفهفة يليحُ
على آياته روح التآخى
ومن آياته الحبُّ الصريحُ
ولو سمع الأنام نداء عيسى
لما فاضت على الدنيا الجروح
فهذا من فظائعها سليب
وهذا من دواهيها طليحُ
أكلُّ الدهرِ فى الدنيا صراع
أما للسلم مصباحٌ صبيحٌ ؟
تنافست الخليقةُ فى التفانى
مباحٌ للسيوف ومستبيحُ
ترى الأقوامَ فيها كالأفاعى
لها فى كل مدرجة فحيحُ
لقد طرحوا السلام ولم يبالوا
فناءَ الخلق إن فَنِيَ الطريحُ
اذا صرخت صواريخ المنايا
سمعت الأرض من ذعرٍ تصيح
فلا شبح تضىء به الليالى
ولا ليل تضىء به الشبوح
كأنَّ الأرض فى طوفان نوح
يغطيها العباب ، فأين نوح

● بغداد ● ● حافظ جميل ●





يعيش الادب المهجرى فى البرازيل فى حالة حرب باردة ، تكمن طويلا تحت الرماد فتخالها خمدت وهمدت ، واذا بشرارة تنطلق من قلم شارد فتشتعل نارها ويشتد اوارها ، ثم تتدخل عقلاء الجالية العربية بين المتحاربين فيحسم الصلح ما اشتهته الاعادى ، ولكن الى حين ، فحيث الاهواء تتضارب بين الجنوب ، والحزازات تتأكل فى القلوب ، لا يحوم جو الصفاء بين الادباء المتناظرين .. فهناك الفردية طبع والتعاون تطبع . وهناك الاريحية طريقة بينما المنهجية خليقة . وهناك التحاسد يتململ تحت ستار من الرياء ويتلمس فرص الايقاع بمن نبه من الشعراء ، تأييدا لشهرة شاعر فات زمانها وباخت الوانها ، فيهب المتنبى الى تجديد لمعانها بشكوى يجهر بها او بدعوى يختلقها طمعا بفرقعة تلفت الانظار اليه .

القنبلة الاولى

تلقيت القنبلة الاولى من يد السيدة الفاضلة صاحبة مجلة « المراحل » عام ١٩٦٦ . فوجدت حشوها هواء صرفا ، يزعج ولا يؤذى . فاكتفيت الشد بنشر دراسة مطولة عنوانها « ادب المهجر فى ميلاده » فى مجلة المرحلة الدمشقية . وقبل ان اعمم نشرها فى المهاجر توسط الاستاذ ميخائيل نعيمه بين الطرفين ، وتبعه فى المسعى المرحوم فؤاد الشايب ، فجرت المصالحة وعادت المياه الى مجاريها

أما الذى احفظ صاحبة المراحل على فهو ظنها بانى غبنتها واهنتها فى كتابى المهجرى لانى نشرت عنها فصلا لا يتجاوز النصف صفحة بينما كتبت من معاصريها « كمعلوف والقروى وكريم » فصولا تتراوح صفحاتها بين العشر والعشرين ، فضلا





من فصل فرحات اطول الفصول فهو يقع في ثلاثين صفحة من الدراسة والشواهد.

القنبلة الثانية

القاها على الشاعر القروي عام ١٩٧١ مهذبة مطيبة في ظاهرها ملغومة في باطنها بمواد ملتهبة من النوع الفاسد المزور الذي متى تفجر لا يحرق سوى اصابع راميه .. لقد قلب كلمات الفصل المنشور عنه في كتابي طوال خمسة عشر عاما فاكتشف ان هناك تحريفا في كلمتين وخطا مطبعيا في ثلاث كلمات فاطلق النبأ العظيم في بيروت وطيره الى الاقطار العربية والمهاجر الامريكية، وتوقع ان تزلزل الارض زلزالها وتتساقط الكواكب من ابراجها، وتنعقد المؤتمرات للبحث في عواقب اكتشافه ، فضل سعيه وخاب امله . لم يروع كلامه هرة او فارة . ولم يستوقف احدا من اولاد الحارة حتى في البربارة ..

القنبلة الثالثة

وجهها الى الصديق اللدود فرحات من طريق مجلة « الهلال » . فعرفت فيه موهبة جديدة تضاف الى مواهبه العديدة، وهي المهارة في القفز السريع من المودة الى العدوان ، ومن التقدير الى الامتهان، كانت قنبلته صغيرة في حجمها خطيرة في سمها ، تنم على نوايا ملقيها وقداحة مراميها . كتبت عنها كلمة سطحية في البيان السابق واعود اليوم لتحليل نواياها واسبابها بكلمة اخيرة .

ثارت ثائرة فرحات لكلمات وردت عنه في الطبعة الاولى من كتابي المهجري عام ١٩٥٦ . وللاسف انا لا املك نسخة من تلك الطبعة لاراجع النص المحرف الذي ساءه « على زعمه » بعد مرور ستة عشر عاما على نشره . المفهوم من صرخته المسعورة في اذن محرر « الهلال » انه يأنف من أن يقال انه حمل الكشة « صندوق الرزقة » بينما يباهي في قصائده بحمل صناديق الساطر في مركبة يجرها حصانان « هزيل واشهب » :

فنشرب مما تشرب الخيل تارة
وطورا تعاف الخيل ما نحن نشرب
الدرب خلف الرزق وهو مشرق
والسم لو شرقت راح يغرب !

فما الفرق يا ترى بين صندوق الرزقة وصناديق الساطر !

غيره من وجهاء القوم واصحاب الملايين حملوا « الكشة » ولم يستحوا بماضيهم كما يستحي هو فيقول عني انني لفقت منه اسطورة .. ومن يقرأ في كتابي فصل « المراحل في حياة المهاجرين » يجد اعترافات مدهشة من عمداء الجوالي في فنزويلا والبرازيل والارجنتين وامركا الشمالية ، تبدأ كلها بتذكارات ايام « الكشة » فماذا يضير من حمل « الكشة » وبيع المأكولات الشرقية وتربية الخنازير ان كانت تفتح امامه الابواب الموصدة وتقيه عار السؤال والاحتيال للحصول على الرزق الحلال !

عجيب أن ينسى فرحات اليوم المشقات التي قاساها وشكاها في مطلع هجرته بين ١٩١٠ و ١٩٢٠ . اما رفيقه الامين وخله الوفي توفيق ضعون فلم ينسها . نرجع الى فقرة من كتاب « ذكرى الهجرة » فنجد وضع فرحات مرسوما بريشة اصدق الرسامين . نقرا ما يأتي :

« لقد اصبح في منزلي الحقير غرفة معروفة باسم « غرفة فرحات » واصبح اصدقائي اصدقاءه ولكن كنا جميعا فقراء تعجزنا من ان نقيه غائلة الفقر.



فكان يجوع ويعرى (١) . فتشاورت مع شريكي . جورج حسون في امره وقررنا بان لا مخرج له من مأزقه الا بالعمل. ولكنه لم يكن يصلح لاى عمل تجارى(٢) فاخترنا له عملا ادبيا ليكون مختلاًلجلتنا « الدليل » ومراسلا لها في داخلية البلاد .. ولكن كيف يقوم بهذه المهمة السامية دون رداء لائق يلبسه ؟ .. فلذلك اول ما فعلناه اننا استحصلنا على بدلة بالف وخمسمائة قرش برتديها معجلا وندفع نحن ثمنها مؤجلا على عشرة اقساط شهرية .. وسافر فرحات على بركات الله وبتنا نتوقع اخباره السارة لكن اولى رسالة كانت تنعى الينا ثوبه الجديد الذي احترق بشرارة اصابته من مدخنة القطار»

حكاية الخنازير

لننتقل من كلام شمعون الابوى الحنون، الى غضبة الشاعر وتمرد الابن الشاطر على ابيه وراميه ، الذى شهد بما رأى بأم العين فقال ان فرحات كان يربى الخنازير ! .. وردت هذه الكلمة في كتاب شمعون وانتقلت منه الى كتاب صيدح في طبعته القاهرية .. ولكنها حذفت من الطبعة الثانية والطبعة الثالثة بايعاز من شمعون نفسه اكراما لخاطر مخلصه وعدله وشريكه فرحات ، فجاءت العبارة هكذا .

« قد الفنا الى مراحل جهاده القاتل في تربية الماشية والدواجن. ثم في تنضيد الحروف ثم بالتجول في اطراف البلاد لعرض مساطر المحال التجارية او لجباية اشتراكات الصحف . » هنا لا اثر لرائحة الخنازير .. لعلام اسرار فرحات على العتب والغضب ! .. اننا لم نطمس الخبر لكونه كاذبا بل لكونه محرجا لموقف فرحات من اخوانه المسلمين .. اما انه خبر صحيح ايده التواتر والذيوع فامر لا شك فيه . لقد انتشر من البرازيل الى الارجنتين ومنها الى الاقطار المجاورة قبل ان يذكره شمعون وصيدح بسنوات عديدة . والدليل القاطع على ذلك هو ما رواه فرحات نفسه عام ١٩٣٣ .

قال في مذكراته المنشورة تباعا في مجلة الشرق المنيولية انه عام ١٩٣٣ باع عددا من حملاته استعدادا للسفر الى الارجنتين حيث تقام حفلة الذكرى للملك فيصل وهو مع الشاعر القروى مدعوان للكلام فيها. ثم قال فلما وصلنا الى بوينس ايرس استقبلتنا الجماهير بالهتاف ورحبت بنا الصحف . وكان اجمل ترحيب مقال الجريدة السورية اللبنانية . ولكنها نشرت في الصفحة المقابلة للمقال بيانا بتوقيع سيف الدين الرحال هذا نصه:

« انذار وتحذير للمسلمين بالايستقبلوا الشاعر فرحات ولا يصافحوه لانه يربى الخنازير ويتاجر بها في البرازيل .. »

اكرر هنا ان تاريخ هذا البيان هو ١٩٣٣ ، اى قبل ان يصدر كتاب شمعون بثلاثة عشر عاما وقبل ان يصدر كتاب صيدح بثلاثة وعشرين عاما . وذلك يعنى ان حكاية الخنازير لم تكن من اختراع شمعون ولا من اكاذيب صيدح . ويعنى ايضا ان اكذب الكاذبين هو ذاك الذى يكذب من يعرفهم صادقين ، ويرميهم بدائه الدفين ..

● باريس ●

● جورج صيدح ●

«١» ويتمنى طبعا لو حصل على الشغلة بمحلها .
«٢» في لبنان كان يحتك ببعض الاعمال اليدوية فقط

● أحمد يوسف أحمد ●



مضى على ذكرى مولد شاعر النيل ، المرحوم ((محمد حافظ ابراهيم)) ، مائة عام قبل أن ينتهي عام ١٩٦٩ وفات الشعراء ، والكتاب ، والنقاد ، أن يحتفلوا بتلك الذكرى .. وكان السبب في هذا ، مقدمة ديوان ((حافظ)) ، الذى صدر عن مطبعة دار الكتب ، ونشرته وزارة المعارف (التربية والتعليم الآن) على نفقتها في عام ١٩٣٧ ، بعد وفاة الشاعر بخمس سنوات

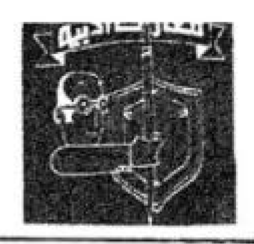
الذين سببوا هذا السهو أو الاهمال في الاحتفال بهذه الذكرى هم المغفور لهم « أحمد أمين » و « أحمد الزين » والاستاذ « ابراهيم الابيارى » أطال الله في عمره ... وكانت قد انتدبتهم الوزارة ودار الكتب ، لضبط الديوان ، وتصحيحه ، وشرحه ، وترتيبه .

وقام بكتابة مقدمة الديوان المرحوم « أحمد أمين » . وجاءت في المقدمة عبارات متناقضة ، جعلت الفرصة للاحتفال بذكرى مرور مائة عام على مولد الشاعر حافظ تفوت ، دون أن يلتفت اليها أحد .

يقول « أحمد أمين » : ان حافظا عرض على القومسيون الطبى عندما أريد تعيينه في دار الكتب ، فقدرت سنه في عام ١٩١١ بتسع وثلاثين سنة . وكان الكشف الطبى عليه يوم ٤ فبراير ١٩١١ ، برئاسة الدكتور (الانجليزى) بتنى . وأن هذا هو السبب الذى أعتمد عليه من قال انه ولد يوم ٤ فبراير سنة ١٨٧٢ ، ويعقب « أحمد أمين » على ذلك بأنه « سبب واه كما ترى » .

((ذهبية)) على النيل

وأنت ترى بهذا التعليل ، كيف تعالج الامور الهامة . فلمجرد رأى الطبيب الذى وقع الكشف الطبى على الشاعر ، يحدد عام ميلاده .. ولمجرد أن يوقع الطبيب بتاريخ توقيع



الكشف ، الذى أجراه باليوم والشهر ، يصبح هذا اليوم وهذا الشهر هو تحديد الزمن الرسمى لولد الشخص !

ويقول « أحمد أمين » ، بعد ذلك انه كتب الى ديروط (وهى المدينة التى ولد فيها حافظ ابراهيم) ، للبحث فى الدفاتر عن تاريخ ميلاد حافظ ، فاجابت بانها بحثت من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٨٠ فلم تعثر عليه فى مواليدها ،

ويبدو من ذلك أن المرحوم الاستاذ احمد أمين كان قد حدد لديروط البحث بين المواليد من عام ١٨٧٠ دون الرجوع الى ماقبل ذلك العام ،

ومع أن اجابة ديروط عن عدم وجود اسم محمد حافظ ابراهيم بين مواليدها ، فيما بين ١٨٧٠ – ١٨٨٠ ، الا أن نفس الكاتب يعود ويدون ، فى مقدمة الديوان ، هذا العبارة !

« **حوالى سنة ١٨٧٢ ميلادية كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطىء النيل ، امام بلدة (ديروط) فى أعلى الصعيد .. وفى يوم من هذه السنة ، أو قريب منها ، ولد لاسرة ابراهيم افندى فهمى (والد حافظ) وهو أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط ، وزوجته الست هانم ، مولود سموه « محمد حافظ » ، وهو شاعرنا فيما بعد ..**

والتناقض واضح بين رد المديرية ، وبين كاتب مقدمة الديوان ،

على أن الاستاذ « احمد أمين » يستمر ، بعد ذلك ايضا ، مترددا بين أن يكون مولد حافظ فى عام ١٨٧١ أو ١٨٧٢ ،

وجاء فى المقدمة .. وكانها ، أو لعلها ، عبارات رويت على لسان حافظ نفسه :

« **لم يعيش ابو حافظ طويلا بعد ولادته ، ولم يرزق ولدا غيره »**

وان اباه ادخله مدرسة تسمى المدرسة الخيرية فى القلعة ،

ثم دخل مدرسة القربية الابتدائية ،

ثم تحول الى مدرسة المبتديان ،

ثم الى المدرسة الخديوية ،

« **لم يعش ابو حافظ طويلا بعد** طنطا ، وفى طنطا تعرف عليه الاستاذ (المرحوم) الشيخ عبد الوهاب النجار ، وكان ذلك فى ابريل ١٨٨٨ ، حين كان عمر حافظ – كما قدروا له – ١٦ سنة ، وهذا ايضا تقدير ... وهذا التقدير يجعل المرحلة التى اجتازها « حافظ » من الكتاب ، الى الابتدائى ، الى الثانوى ، الى وجوده بطنطا .. كل ذلك .. مع تنقله بين عدد من المدارس فى القاهرة وطنطا ... كل ذلك يتم فى سن لاتتعدى السادسة عشرة ... مع أن المدارس الابتدائية فى زمن حياة « حافظ ابراهيم » كانت لا تقبل التلاميذ الا بعد سن الثامنة على اقل تقدير ... وكانت السنة الاولى تبدأ فى أغلب الاحيان فى سن العاشرة ، الا للتلامذة القلائل الذين كانوا يتقدمون اذ ذاك للمدارس الابتدائية فيما بعد الثامنة ،



حافظ ابراهيم

عبارة تثير الشك

ويقول (المرحوم) الشيخ النجار (كما ذكر في مقدمة الديوان) انه عندما التقى بحافظ ، وكان هو طالبا بالمعهد الاحمدي ، قدمه اخوانه اليه باسم الأديب الشاعر محمد حافظ ابراهيم • وأنه لم تمر الا عشية وضحاها حتى أحس الشيخ النجار في نفسه ميلا الى حافظ ، بجاذب من الأدب حتى آل ذلك الى غرام بأدبه . وما يشتمل عليه من ظرف ولطف، محاضرة ، وبديهة مطاوعة ، وسرعة خاطر ، وحضور نادرة •

ويلاحظ من هذه العبارة انها قد تثير الشك في أن يتاهل الى ذلك فتى في سن السادسة عشرة ! هذا • بالاضافة الى ان التحولات في سير حياة حافظ الأولى ، لا تساعد ، هي الأخرى ، على تحديد السن التى بلغها حافظ اذ ذاك بالسادسة عشرة •

ومقدمة الديوان تقول أيضا ان حافظا التحق بمكتب المحامى الشيخ محمد الشيمي بطنطا • واشتغل عنده • وكان يسافر الى المحاكم الجزئية القريبة من طنطا • ويترافع في القضايا ، ويكسبها • ثم اختلف مع الأستاذ الشيمى وتركه •

وأنه انتقل بعد ذلك الى مكتب محمد أبى شادى بطنطا أيضا • فمكث عنده مدة • وأن الأستاذ محمد أبو شادى كان يتنادر معه الأدب والشعر •

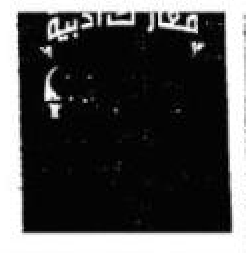
وهذه رحلة طويلة أيضا ، بعد سني الدراسة ، لا تكفي لها الأعوام التى حددتها مقدمة الديوان • التى جعلته يدخل الحربية بعد تلك الارتحالات ، ليتخرج ملازما ثانيا فى سن العشرين ، كما تقول المقدمة •

والأمر واضح كل الوضوح،في الخطأ الذى سبب الأشكال •

كل ذلك • وهو مازال فى سن العشرين •• اذ تذكر المقدمة انه تخرج فى المدرسة الحربية سنة ١٨٩١ ، وأنه كان اذ ذاك فى العشرين من عمره !

د. احمد امين





حارث طه الراوي

شوقي... في ميزان الكرملي

اتضح

لي ، بعد الاطلاع التام على مجلدات مجلة « لغة العرب» لصاحبها العلامة اللغوي المرحوم الاب انستاس ماري الكرملي — ان الاب المحترم لم يكن موضوعيا في بعض نقده وانما كان عاطفيا ومتحاملا بشكل واضح .. وعلى سبيل المثال « لا الحصر » ، فان موقفه من شاعر العصر احمد شوقي — رحمه الله — ان دل على شيء فانما يدل على حقد شخصي لاسباب يعلمها الله سبحانه وتعالى والراسخون في علم الاهواء والاغراض الشخصية ..

بيت في الجزء الاول

أما الحقيقة ، فهي ما قاله حافظ نفسه أنه يحدد لنا عمره ، ببيت قاله من الشعر ... والعجيب أن هذا البيت مسجل في ديوانه المطبوع ، الذي كتب مقدمته المرحوم الاستاذ احمد أمين . والبيت يحدد فيه « حافظ ابراهيم » أنه بلغ الستين من عمره في عام ١٩٢٩ .

أي أنه ولد في عام ١٨٦٩ ، وليس في عام ١٨٧٢ — كما تقول المقدمة — وهو بلا شك تحديد قاطع :

جاء هذا البيت في الجزء الاول من ديوان حافظ ، حيث سجلت في الديوان قصيدة بعنوان « تحية الشام » . وذكر تحت عنوانها أن حافظا أنشدها بنفسه في الحفل الذي اقيم بالجامعة الأمريكية ببيروت في ٢ يونيه سنة ١٩٢٩ ميلادية والقصيدة من ٧٩ بيتا .. وجاء البيت المشار اليه في صفحة ١٤٠ .

يقول « حافظ » :

ولى الشباب . وجازتني فتوته
وهدم السقم بعد السقم اركاني
وقد وقفت على الستين اسالها
أسوفت . أم أعدت حر اكفاني؟

وهذه القصيدة من روائع اشعار شاعر النيل حافظ ابراهيم .

هكذا مرت بنا ذكرى مضى مائة عام على مولد شاعر النيل محمد حافظ ابراهيم ، في عام ١٩٦٩ ، دون أن ننتهز المناسبة لتكريم هذا الشاعر الكبير .. نتيجة لخطأ شاع بين الجميع ، بسبب مقدمة الديوان .

على أن تكريم رجال المجد لا يتقيد بزمن . ومن خلد مصر على التاريخ في اشعاره الرائعة جدير كل الجدارة بأن تخلد مصر ذكراه مع الخالدين ..



احمد شوقي



زكي أبو شادي



الاب انستاس

فانا افهم لماذا يهاجم ميخائيل نعيمة شوقيا في كتابه « الغربال » (١) عام ١٩٢٣، وذلك لان نعيمة لم يكن مطلعا اطلاعا كافيا على شعر شوقي ، بل لم يكن مطلعا اطلاعا كافيا على الشعر العربي القديم والادب العربي في عصوره المختلفة نظراً لانهماكه في البيئة الاجنبية بدرس الاداب الاجنبية بلغاتها الاصلية وتأثره الشديد بتلك الاداب ومقاييسها ، فضلاً من انه لم ينظر الى شعر شوقي الا من خلال قصيدة واحدة ، والذين يعرفون وضع ميخائيل نعيمة آنذاك كاديب ناشيء لا يستغربون من اصطدامه بشاعر عملاق من عيار احمد شوقي ..

وافهم لماذا يهاجم « انطون غطاس كرم » في مقاله « في الادب العربي الحديث » المدرج ضمن كتاب « الفكر العربي في مائة سنة » الذي نشرته الجامعة الامريكية في بيروت ، ذلك لان الرجل كشف لنا في مقاله بانه من المبشرين والمروجين لما يسمى بالشعر الحديث او الشعر الحر .. فكيف نطالبه بان ينظر الى شوقي بمنظار التجرد !!

ولكني لا افهم لماذا يهاجم رجل محافظ واسع الاطلاع على لغة العرب وادابها كالاب الكرملي شوقيا بحجة ان شوقي ليس من « المجددين » ... واذا فهم عقلي ذلك باعجوبة ، فكيف يهضم بل كيف تهضم العقول السليمة رأي الاب الكرملي الذي يفضل فيه « احمد زكي ابو شادي على « شوقي » بحجة ان ابا شادي من المجددين الحلقين المبدعين اما شوقي فمن المحافظين المقلدين المتعثرين !

قال « الكرملي » في مقال نشره في ج ٨ من السنة ٥ لمجلته « لغة العرب » ص ٩٠٤ — ٩٣) في « باب المكاتبة والمذاكرة » تحت عنوان « الشعر في مصر » بتوقيعه المستعار « جهينة » بعد ان ذكر زعيم مصر الراحل « سعد زغلول » وقصائد الشعراء في رثائه — مانصه :

« فلم يجيء شوقي بك بمعنى يبرز (كذا في الاصل والمقصود يبز والخطأ مطبعي) به معاني ابي شادي في منظوماته بل لم يتمكن كما لم يتعفف امثاله عن الاقتباس الكثير من معانيها ومراميها ، ورغم هذا لم تخجل صحيفة « الاهرام » — أحد السنة شوقي بك المعروفة — من

(١) راجع مقال « ميخائيل نعيمة الناقد » — بقلم : حارث طه الراوي — مجلة « الاقلام » البغدادية — العدد ٤/ كانون الاول ١٩٦٨



تصديرها بكلمة كلها شعوذة وتهريج ولا شك أن شوقي بك – في أقصى ضميره – يعلم عجزه هذا لأنه أولا لم يرث سعدا بإخلاص، وثانيا قد حاول أنه يستر ضعفه هذا بستار من اللغة، الخ ... »

ويستضعف « الكرملي » المطلع الرائع لقصيدة شوقي في سعد.

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها
وانحنى الشرق عليها فبكاها

ويرى أنه لا يناسب مقام سعد زغلول، بل يناسب احدى « النساء العظيمات » أو احدى « الملكات المحسنات ». ويقول مهاجما شوقي:

« ولكن ذهنه الكليل أدركه الكبر كما أسده جنون الشهرة فعثر في أول النظم ... وخير مثال مقدمة قصيدته بعد ذلك المطلع الخجل منظور فيه الى قول أبي شادي:

صبغت به حمر الورود وضرجت
بدم بذلت مدامع الأقداح
وتشبث بجميل حبك غصة
فتجاذبت بأريجها الفياح »

وبعد ذلك لا يكتفي الكرملي بتفضيل قصيدة « حافظ ابراهيم » وقصيدة « العقاد » عليها بل يفضل عليها، بجرة قلم، قصيدة « محمود عماد » ... والاشارة، هنا، تغني عن التعليق

ولكن الذي يوجب التعليق هو الأبيات التي أشار اليها في قصيدة شوقي الغنية بالاشراق والفحولة وبين بيتي أبي شادي اللذين لا يرتقيان الى مستوى أي بيت من أبيات رائعة شوقي في سعد، وقال عنها: « منظور فيها الى قول أبي شادي » الآنف الذكر. والأبيات التي يعنيها الكرملي هي:

ليتني في الركب لما أقلت
(يوشع) همت فنادى فثناها
جلل الصبح سوادا يومها
فكأن الأرض لم تخلع دجاها
انظروا تلقوا عليها شفقا
من جراحات الضحايا ودماها
وتروا بين يديها عبرة
من شهيد يقطر الورد شذاها
آذن الحق ضحاياها بها
ويحبه حتى الى الموتى نعاها

فما هي العلاقة بين هذه القمم الشامخة وبين تلى أبي شادي ؟!

●●●

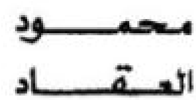
والذي يتصفح مختلف الأعداد من مجلة « لغة العرب » يجدها مشحونة بغمز الأب الصريح والضمني لشوقي ويجدها مشحونة بتمجيد شخص وشاعر المرحوم احمد زكي أبي شادي حتى دعاه بـ« شاعر العصر » متخطيا حافظ ابراهيم، وخليل مطران، ومعروف الرصافي، وجميل الزهاوي، والأخطل الصغير، وغيرهم من الفحول اللذين عاصروا شوقي ..

والذين وهبهم الله ملكة التمييز بين طبقات الشعراء والهمهم القدرة على تقلية الشعر وغربلته، يعرفون جيدا أن أبا شادي – رحمه الله – لا يسمو الى طبقة شوقي فكيف يقارن بشوقي ويفضل عليه؟!

نحن لا ننكر أن أبا شادي كان من أحرار الفكر اللذين حاربهم العهد الملكي البائد في مصر، حتى آثر الهجرة الى نيويورك. ونحن لا ننكر أن أبا شادي كان من شعرائنا المجددين المجلين في بعض قصائدهم، ولئن سجلنا له ذلك بمداد الفخر فان ذلك لا يمنعنا من القول أن التكافؤ بينه وبين شاعر ضخم كشوقي معدوم، وان بعض رديء شوقي خير من بعض جيد شعر أبي شادي .. فاذا كانت مدائح شوقي لآل محمد علي محل أخذ ورد، واذا كانت امارته للشعر بل امارة الشعر نفسها محل جذب ودفع، فان فنه الشعري يبقى في الأوج، ويبقى هو شاعر العصر الأكبر مهما تفنن المغرضون والمزيفون في الظهار بمظهر الهاوي الى الحضيض.

وبعد، فليس غريبا أن يندفع عالم فاضل من عيار الكرملي مع هواه، اذ لا يفترض فيه أن يسمو فوق الضعف البشري في كل الأحيان، أما أن يندفع مع الهوى الى هذا الحد فأمر يدعو الى الغرابة حقا

● بغداد ● حارث طه الراوي






الشيخ حمزة عباس العقاد



طالعت بمجلة « الهلال » فى باب « رحلة الشهر » بعددها الصادر – نوفمبر سنة ١٩٧٢ رسالة أسائية من السيد / عبد المجيد حسن خليل حليف خادم استاذنا الراحل العقاد ، يدافع فيها عن تهم يقول ان العقاد قد الحقها به فى كتابه « عالم السدود والقيود » وهو الكتاب الذى ضمنه عملاق الفكر ذكرياته عن الفترة التى قضاها فى سجن مصر بتهمة العيب فى ذات الملك احمد فؤاد سنة ١٩٣٠ .

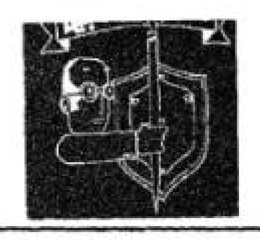
يقول صاحب الرسالة انه كتبها بعد ان فرغ من قراءة الكتاب ، وانه وجد بكتاب العقاد افتراءات كبيرة ومبالغات زائدة من العملاق على رفيق عمره « وتلميذه البليد » طباخه الشيخ أحمد حمزة .. ثم قال انه عندما أعاد قراءة الكتاب كعادته مع كتب العقاد تأكد له انه كان جاداً فى كتابته وفيما يقوله عن طباخه ، وان العقاد قد صور طباخه الشيخ أحمد حمزة – وهو جد كاتب الرسالة لامه – فى صورة الامى الجاهل الغبى الشديد الغباء .

ثم ختم صاحب الرسالة رسالته بان ما جاء بالكتاب وصف فيه افتراء ومبالغة وشىء جديد لم يكن يتصوره قراءه للعقاد . ثم قال : ان فى الكتاب الكثير من الامثلة التى ساقها العقاد لتدل على جهل « تلميذه البليد » .

وعقب صاحب الرسالة واصفا نفسه بأنه اقرب الى معرفة الحقائق عن جده من عملاق الادب وانه يرى ان هناك مبالغة وافتراء على رجل دين يجيد القراءة والكتابة ومتفتح الذهن وهو من حاملى كتاب الله ودائم لقراءته .

وزعم صاحب الرسالة ان العقاد نفسه يؤكد بطريقة غير مباشرة عدم صدق ماقال ، اذ كيف يطيق اديب كبير مثله أن يسهر على خدمته طباخ بهذا العقل ، والاديب يتوخى من يريحه ويفهمه ويعمل على توفير الراحة له ، فضلا على أنه لم يكن هناك





سوء تفاهم قط بينهما طيلة خمسين سنة قضاها جده في خدمته .

والحقيقة والتاريخ تراثا مضطرين الى مناقشة تلك المزاعم ألتى أوردها صاحب تلك الرسالة ، لابقصد الدفاع عن العقاد

ذلك لان كتاب العقاد الذى أشار اليه صاحب الرسالة موجود متداول بين أيدى القراء منذ عام ١٩٣٧ وحسبهم الرجوع اليه ثم الحكم له أو عليه ?

اولا : القطع بان كاتب تلك الرسالة لم يقرأ كتاب العقاد ، ناهيك انه اعاد قراءته حسبما يزعم فى رسالته ، ذلك

لان قارىء كتاب العقاد لايجد فيه اثرا لحديث عن صورة « الجيوكندا » أو ليوناردو دافنشى الذى خلدها بريشته

وانما يجد ان العقاد يقول ان الشيخ احمد حمزة حينما طلب منه ان يعلق

صورة لعمر انس الوجود - والتى لا تزال معلقة حتى اليوم فى صالون العقاد - وذلك بعد طلاء جدران الحجرة - فوجىء العقاد بان طاهيه قد علق الصورة مقلوبة

فزادت دهشته من ذكاء خادمه لانه من مواليد شلال اسوان حيث يوجد ذلك المعبد الخالد .

ثانيا : ان العقاد حينما ساق نوادر خادمه معه فى كتابه ختمها بقوله انهما محتملة مغفورة لامانة عزيزة تشفع له

واخلاص وثيق يزكيه وطول خدمة تكافىء هذه النسيات . فكيف نسيغ ذلك التطاول

من حفيد الشيخ احمد حمزة وكيف نغفره له ونحتمله ممن يدافع عن جده المغفور

له والمغفور بمقعده هو بكلية التجارة ويكون من مدعاة ذلك الفخر انه يقرأ

كتب العقاد المرة تلو المرة ويخرج منها بالنسبة لكتاب « عالم السدود والقيود » بحصيلة من فهمه تجعل من صورة لعمر أنس الوجـود صورة « للجيوكندا » الشهيرة . وان قول العقاد بان خادمه قد

قام بقياس الحائطين المتقابلين لبيان أيهما اطول فى حجرة غير مربعة يفهمه على ان العقاد قال ان خادمه قاس الجدران الاربعة .

ثالثا : يقول صاحب الرسالة ان جده رجل دين يجيد القراءة والكتابة ومتفتح الذهن وهو من حاملى كتاب الله ودائم

لتلاوته ، وكان العقاد رمى جده فى كتابه بالفسق والكفر . وهذا مالم يحدث على الاطلاق ومن ثم فلا رد عليه منا .

رابعا : ان صاحب الرسالة حاول ان يسوق أدلته بطريقة غير مباشرة عن عدم صدق ما قاله العقاد عن جده فيتعجب هو

نفسه ويطالب القراء بالتعجب معه : الا كيف يكون أديب كبير مثـل العقاد ويصبر على خدمته طباخ بهذا العقل ..

وردنا على تلك الدهشة ان العقاد لم يقل أن الشيخ أحمد حمزة طاهيه قد قدم له البامية على انها ملوخية . او قدم له طبق الخرشوف على أنه فجل ..

خامسا : بقى ان نقول للقـراء ان الشيخ احمد حمزة حينما قرأت عليه ما جاء برسالة حفيده قال انه لا ينتمى الى أية جامعة ولكنه يعمل « ميكانيكيا » باحد جراحات « حى النيرة » وانه لم يزره بمنزل العقاد طوال فترة عمله فى خدمة العملاق .

● أسوان ● **محمود العقاد**



أخطاؤنا منذ ٢٠٠٠ سنة

منذ اكثر من الفي سنة ، وضع الخطيب الروماني الشهير شيشرون قائمة بما يعتقد انه الاخطاء الخمسة الخطيرة المشتركة بين الناس

ولا تزال قائمة شيشرون تثبت وجودها حتى اليوم ، وكأن واحدا من حكماء عصرنا هو الذي وضعها

وهذه هي القائمة كما سجلها شيشرون :

١ ـ الاعتقاد السائد بأن تقدم الفرد لا يتحقق الا بسحق الاخرين

٢ ـ طول المعاناة من امور لا يمكن تغييرها او تصحيحها

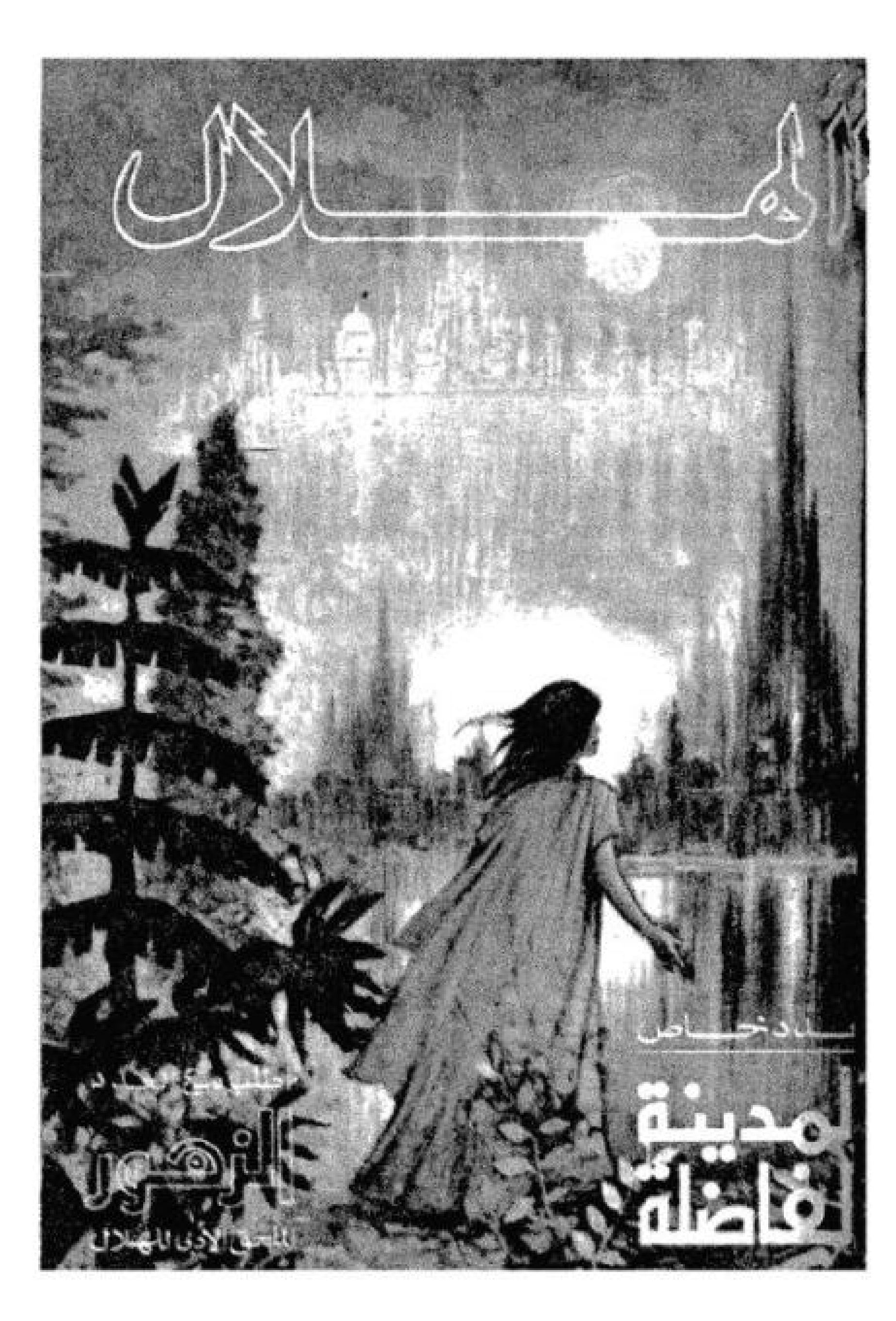
٣ ـ الاصرار على ان تقول ان هذا الشيء مستحيل ، لانك عاجز عن انجازه

٤ ـ رفضك ان تتنازل عن مبدأ المفاضلة، حتى في الاشياء التافهة

٥ ـ عدم حرصك على صقل عقليتك ورفع مستواها ، كنتيجة لعدم تعويد نفسك على القراءة والدراسة






الهلال
المدينة الفاضلة
الزهور
الملحق الأدبي للهلال

الهلال

فبراير ١٩٧٣

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال ـ العدد الثاني ـ السنة الحادية والثمانون ـ أول فبراير ١٩٧٣ ـ ٢٨ ذو الحجة ١٣٩٢

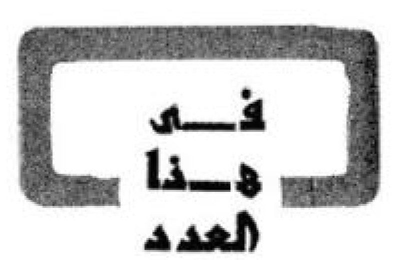
الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٠ ملیما ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة في سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا ، في الأردن ١٥٠ فلسا ـ في العراق ٢٠٠ فلس في الكويت ٢٢٥ فلسا ـ في السعودية ٢ر٥ ريال سعودي .

قيمة الاشتراك السنوي : « ١٢ عددا »

في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٢٠ قرشا سلفا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٥٠ر٢ جك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادي ـ وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



٤.. كلمة الهلال
٥.. د. سيد نوفل : الفارابي في مدينته الفاضلة
١٢. د. محمد احمد خلف‌الله : الدولة المثالية في الاسلام
١٨. تاريخ حياة كلمة
٢٠. د. احمد سويلم العمري: جمهورية افلاطون
٢٩. زهير فرعون : مركبة الفضاء « قصيدة »
٣٠. د. محمود خيري عيسى : مدينة السلام والحرية والالتزام عند توماس هوبز
٣٦. محمد عبد الغني حسن : اقبال يحلم بمدينة فاضلة
٤٤. د. حامد ربيع : كامبانيلا ومدينة الشمس
٥٠. محمود الفتريس : الهجرة والجرح « قصيدة »
٥٢. د. محمد حلمي مراد : نحو عالم الوفرة والطمأنينة والسلام
٦١. يوسف رحال : قصتي معه « قصيدة »
٦٢. د. بطرس بطرس غالي : مدينة عربية فاضلة على شاطىء البحر المتوسط عاصمة للولايات المتحدة العربية
٦٨. رحلة الشهر
٧٦. هاشم عثمان : مع شواعر سورية المعاصرات
٨٢. شفيق جبري : العندليب على البحيرة « قصيدة »
٨٦. ميشيل تكلا : غدا.. عالم بلا خامات
٩٢. د. يوسف عز الدين : الادب النسوي في العراق
١٠٤. د. احمد محمد عوف : خفايا الماسونية العالمية وبروتوكولات حكماء صهيون
١١٢ رستم كيلاني : ظلام وظلام « قصة »
١١٦ عبد العليم القباني : ايليا ابو ماضي في شبابه
١٢٢ صبري أبو المجد : رغم موجات القلق والشك والفساد والافساد عاد الشباب بقوة الى الدين
١٣١ د. عبد المنعم الرفاعي : المسافر « قصيدة »
١٤١ رمسيس لبيب : لوحة لفنان الفتيات الصغيرات « قصة »


د. بطرس غالي


د. سيد نوفل


د. يوسف عز الدين


د. عبد المنعم الرفاعي

كلمة الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

من ألمع اللمحات التى يحتويها هذا العدد ، اللمحة التي يقدمها الدكتور بطرس غالى ، والتى يقترح فيها أن تكون المدينة العربية الفاضلة ـ عاصمة الأمة العربية المتحدة بإذن الله ـ فى موقع على البحر المتوسط ، بين الحدود المصرية الليبية ، بعيداً عن جميع العواصم العربية بمؤثراتها السياسية والتاريخية التقليدية.

وأسرح بعد الدكتور بطرس غالى فى خيالاته ، وأتصور ان يكون هذا الموقع الذى اختاره للعاصمة العربية المثالية دولة مستقلة ، وأرضا حرا أما غير خاضعة للسلطات الاقليمية المصرية الليبية ، وأن تقوم فيها مدينة العلماء التى يحلم بها الرئيس معمر القذافى ، وأن يكون رئيسها أو عمدتها فيلسوفا بعيداً عن السياسة ، كتوفيق الحكيم ، تحقيقاً لحلم افلاطون فى جمهوريته المثالية التى جعل حكامها من الفلاسفة ، وأن يختار لها المواطنون الصالحون الذين لايؤمنون بغير الدعوة العربية ، وأن يقصى عنها من يدينون بالولاء لغير العروبة الخالصة البريئة من الدعوات الشعوبية والاقليمية والحزبية ، وأن يحدد عدد سكانها بحدود امكاناتها ، فلا تطرأ عليها أزمات مواصلات ولا اسكان ولا تموين ولا غيرها

وأعود فأتساءل : هل كل ذلك مجرد أحلام؟

لماذا لانبدأ ـ مثلا ـ بمدينة العلماء فى هذا الموقع ... لعل اشعاعها يبهر أنظار الأمة العربية ، فيجتذب القلوب الى فكرة الأمة العربية الواحدة ، التى تستطيع أن تكون ـ كما وعد الله فى كتابه العزيز ـ خير أمة أخرجت للناس ؟

● صالح جودت ●

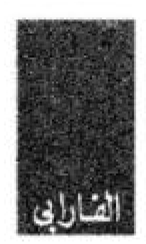
حين يمعن الباحث النظر فى الحياة العربية لفجر الاسلام وضحاه ، يستولى عليه الاعجاب بهذه القدرات الخلاقة التى تهيأت للفكر العربى الاسلامى فى العلم والحكمة ، والفن والصناعة ، والسياسة والادب . فاكتملت بها الحضارة الاسلامية التليدة ، ونشرت اعلامها فى ارجاء المعمورة ؛ وتحققت للثقافة العربية سيرورة عالمية قل ان ظفرت بمثلها ثقافة فى اى عصر من العصور واستهوت لغة القرآن المثقفين والحكام المستنيرين فى اوربا مثلما فرضت نفسها فى افريقيا وآسيا . وكذلك كانت الفتوحات العربية حضارية فكرية ، قبل ان تكون عسكرية مادية ...

ويقف محمد ابو نصر الفارابى فى طليعة الاعلام الشوامخ للفكر العربى والفلسفة الاسلامية لتلك الحقبة الخالدة على الزمان ...

د . سيد نوفل



الفارابى
فى مدينته الفاضلة



ولد الفارابي في أواخر العقد السادس من القرن الثالث الهجري ، وتوفي بعد ثمانين عاماً ، في نهاية العقد الرابع من القرن الرابع (٨٧٠ ــ ٩٥٠ م) . وظل خمسين عاماً بوطنه الأول : تركيا، يحصل المعارف والفنون العربية والحكمة واللغات الاجنبية ، حتى ظهر تفوقه فيها جميعاً .

وفي الخمسين من عمره خرج من بلاده الى العراق والشام ومصر ، يتصل بأئمة العلم والحكمة ، ويفيد منهم ويفيدهم ... ففي بغداد قرأ النحو على النحوي الشهير ابي بكر ابن السراج ، كما قرأ ابن السراج على الفارابي صناعة المنطق .. ولم يذكر المؤرخون أساتذة للفارابي سوى أبي بشر متى بن يونس رئيس المنطقيين في عصره والمبرز بين تراجمة الكتب اليونانية ، والطبيب المنطقي يوحنا ابن حيلان .

على أن مواهبه شملت الوان المعرفة لعصره جميعا . فقد كان رياضيا بارعا ، كما كان موسيقيا مبدعا . وروى ابن خلكان ان الآلة الموسيقية المسماة بالقانون من اختراعه ، وأنه اول من ركبها هذا التركيب المعروف . كما روى أنه كان يغني في صباه . وكتاب الموسيقى الكبير للفارابي اعظم مؤلف عربي في الموسيقى . وكان له صدى كبير في الموسيقى الغربية حين ترجمه الى الفرنسية عام ١٩٣٠ المستشرق الفرنسي « كارا دي فو » .

والى جانب الفلسفة والمنطق ، والادب والنحو والرياضيات والموسيقى

ـ كانت للفارابي معرفة بالطب ، بل روى أنه مارس الطب عملا . وكان يتقن لغتيه الاوليين : التركية والعربية، كما تدل كتاباته على معرفته بالفارسية واليونانية . بل روى أنه كان يعرف لغات كثيرة عند قدومه الى بغداد في الخمسين، وأنه كان يفاخر العلماء البغداديين بهذه المعرفة. وبالغت بعض الروايات فذكرت انه كان يعرف سبعين لغة ...

في طليعة العلماء والحكماء

عرف الفارابي في حياته بانه كان خير اسوة للفلاسفة والعلماء . عاش زاهدا أبيا طوال حياته ، ولم يقتن مالا، ولم يتزوج . ولم يكن هذا المسلك عجزا بل عفة وصرامة . فقد كان ذا مكانة عند سيف الدولة لاتعدلها مكانة . ومع ذلك ابى ان يتناول منه سوى اربعة دراهم في اليوم تحفظ عليه حياته وعقله .

على أن الفارابي لم يكن ضجرا بالحياة ، ولا برما بتكاليفها . فقد كان يتمتع بالطبيعة والحياة .. روى ابن خلكان أن الفارابي كان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالبا الا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ، يؤلف هناك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه » .

ولابن خلكان روايات طويلة تدل على تفوق الفارابي في المعارف والموسيقى ، وعلى ابائه وامتيازه الخلقي ، وتقدمه في طليعة العلماء والحكماء المعاصرين له .. ومنها : أن أبا نصر الفارابي ، دخل على سيف الدولة لاول مرة في مجتمع الامير الحافل بالعلماء والحكماء والفضلاء . فقال له سيف الدولة : اجلس ! فقال الفارابي : حيث انا أو حيث أنت ؟ فقال : حيث أنت ! فتخطى الفارابي رقاب الناس ، حتى انتهى الى مسند سيف الدولة، وزاحمه

فيه ... ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن . فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل ، حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده وهم يكتبون ما يقول ..

ثم صرفهم سيف الدولة وخلا به . وقال له : هل تأكل ؟.. قال لا . فقال : هل تشرب ؟ قال : لا ! فقال : هل تسمع ؟ قال : نعم !

فحضر كل ماهر في هذه الصناعة ، وقدم احسن ما لديه ، فعابهم جميعا الفارابي ... فقال له سيف الدولة : **وهل تحسن في هذه الصناعة شيئا ؟ فقال : نعم ! .. ثم اخرج من وسطه خريطة ، ففتحها واخرج منها عيدانا وركبها . ثم لعب بها فضحك كل من في المجلس .. ثم فكها وركبها تركيبا آخر ، ثم ضرب بها فبكى كل من كان في المجلس .. ثم فكها وغير تركيبها ، وضرب بها ضربا آخر ، فنام كل من كان في المجلس حتى البواب فتركهم الفارابي نياما ، ثم خرج لا يطلب شيئا ..**

جهد الفيلسوف المؤمن

على أن فلسفة الفارابي هي التي أحلته المكانة الرفيعة ، وجعلته أبا



أرسطو ؛ فسر الفارابي فلسفته ونقلها

الفلسفة العربية ، وجعلت مؤرخي الفلسفة يطلقون عليه : « المعلم الثاني » . ويقولون : الحكماء أربعة : أثنان قبل الاسلام وهما أرسطو المعلم الاول ، وأفلاطون الالهي ، واثنان بعد الاسلام وهما الفارابي المعلم الثاني ، وابن سينا الشيخ الرئيس ..

والفارابي يعتبر خير المفسرين لفلسفة أرسطو ومنطقه ، والحكيم المبرز في التوفيق بين فلسفة أرسطو وفلسفة افلاطون من ناحية ، وبين الفلسفة والدين من ناحية أخرى .

وهذه المكانة هي التي أهلته لان يطلق عليه اسم « المعلم الثاني » بعد أرسطو المعلم الاول .

وهذا الجهد الكبير للفيلسوف المؤمن الفارابي ، قد ظهر على اتمه في تصوره لنظام الكون ، تصورا علميا دقيقا ، يربط الفلسفة بالشريعة . ويحتج للايمان احتجاجا راسخا ، ويتصدى للملحدين ويسفه أحلامهم ..

فالله ، سبحانه ، هو خالق الكون وواجب الوجود بذاته . وعنه ، تعالى ، انبثق العقل الاول ونشأت كرة السماء الاولى أو العليا . وعن العقل الاول انبثق العقل الثاني ونشأت كرة الكواكب الثابتة .. وهكذا تتوالى العقول حتى التاسع ، وتتوالى الكواكب من زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد حتى القمر .. وفلك القمر هو مركز العقل العاشر الفعال الذي فاض عنه عالمنا : عالم الكون والفساد .. وعن هذا العقل العاشر تنبثق الصورة والهيولي أو المادة . ومنهما تتكون العناصر الاربعة : النار والهواء والماء والتراب ، وكذلك المخلوقات الارضية السفلى : الانسان فالحيوان ، فالنبات ، فالجماد .

والانسان الرفيع هو الذي يستطيع التسامي الى الله عن طريق العلم بالفلسفة والمبادىء ، وعن طريق الفضائل بالشريعة والعقائد . وبهذا



يعلو صعدا الى مرتبة الاشراق ، فالاتصال ٠

وهكذا يبدو نظام الكون عند الفارابي في هذا التسلسل الرائع :

آراء أهل المدينة الفاضلة

والفارابي ، الفيلسوف الصادق في أقواله وأعماله وسلوكه ، المؤمن بالله وبالعقل معا ، المخلص للفلسفة والدين جميعا – هذا الاب الكبير للفلسفة العربية ، والحكيم المعلم بعد أرسطو – كان صاحب رسالة اجتماعية ، دعامتها أن الدين والفلسفة هما المصدر القويم للحياة الروحية ، وأن هذه الحياة هي الاساس لكي يكون المجتمع البشري فاضلا ٠

وهكذا يرتفع مذهبه الفلسفي على قواعد النفس والعقل والايمان ، ويستهدف الاخلاق والسياسة والاجتماع ٠

، وهكذا كان الفارابي فيلسوف عصره امتثل تعاليم الدين الاسلامي القويمة ومبادىء الفلسفة القديمة ، وهاله الواقع السياسي والاجتماعي ، وقد اخذت عوامل الضعف والانقسام تظهر آثارها، وأسباب الزيغ والانحراف تعمل عملها ٠٠ فكتب ، بعد سبعين عاما من التحصيل الجامع والسلوك الصارم والتجربة الواعية ، اعظم

آثاره ، وهو : « آراء أهل المدينة الفاضلة »

الفضيلة سبيل السعادة

والفضيلة عند الفارابي ، هي سبيل السعادة ، ودعامتها التعاون ٠ ولهذا يعرف المدينة الفاضلة فيقول انها « التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الاشياء التي تنال بها السعادة الحقيقية » ٠ والتعاون له ميدانان ٠

الاول ، ميدان فكري قوامه الحكمة والعلم ، يؤدي بالفاضلين في مدينتهم المنشودة الى معرفة الله والعقل والوجود والوحي، أو المزاوجة الفكرية بين الفلسفة والدين

والميدان الاخر ، عملي يتضامن فيه أهل المدينة ويلتزمون بممارسة الفضيلة وعمل الخير ٠٠ وهذا التعاون الرفيع في سبيل المنافع والمقاصد العادلة المشتركة ، هو قاعدة البناء الاجتماعي عند الفارابي ، وأمر لا مناص منه لبقاء الانسان ٠ ولهذا يقول : **« ان الانسان مفطور على الاجتماع ، لانه لا بقاء للافراد الا اذا تعاونوا على ما يحتاجون اليه » ، ويتبع هذا بشرح مفصل لالوان المجتمعات ، يؤكد فيه أن المجتمع الباقي النامي هو المجتمع الفاضل السعيد »**

واذا كان « الفارابي » يرى أن الفضيلة سبيل السعادة ، وأنهما لا ينالهما نائل الا بالدين والفلسفة ، فقد قدم لحديث المدينة الفاضلة بحديث الله ، سبحانه وتعالى ، وحديث الفلسفة بوصفهما قاعدتين أساسيتين لا مناص من اقامة المجتمع المنشود عليهما ٠

فتحدث في مطلع كتابه عن الله الموجود الاول ، واجب الوجود بذاته، الذي لا شريك ولا حد ولا ضد له كما تحدث عن عظمته وجلاله ومجده

وجميع أسمائه ، وعن الموجـودات وأنواعها وكيفية صدوره عن الخالق البارىء ، وعن المادة والصـورة ، ومراتب الاجسام والصـور ، ونظام الكون علويه وسفليه ، واتصـال الانسان السفلي بالكائنات العلوية ، واستشراقه حين يسمو واتصاله بالله واجب الوجود ٠

رسالة البشرية جمعاء

والفارابي في حـديثه عن المدينة الفاضلة ، أي المجتمع المثالي ، يعنى بالرئيس وصفاته ، ومحله من المجتمع محل القلب من الجسم ٠ فهو الذى يرأس غيره ولا يرأسه انسان ، وهو الذى يأمر ولا يؤمر ٠

والفارابي في تقدم فكره يتصـور المدينة الفاضلة قد تمت عددا ، حتى شملت الامة كلها ، والمعمورة بأسرها ٠ فيتصور الفلسفة تاج الانسان السامي والاسلام رسالة البشرية جمعـاء ، ويقول عن رئيس مجتمعه الأمثل :

« انه الإمام ، وهو الرئيس الاول للمدينة الفاضلة ، وهو رئيس الامة الفاضلة ، وهو رئيس المعمورة من الارض كلها ٠ »

ويشترط الفارابي شروط الكمال في الرئيس ويوردها على الوجه الاتى :

١ ـ أن يكون تام الاعضاء ، يؤدى كل عضو من أعضائه وظيفته على خير وجه وأيسره ٠

٢ ـ أن يكون بطبعه جيـد الفهم والتصور ٠ يفهم ما يقال له حسبما يقصد القائل ، ويتصور الامور تصورا سليما ٠

٣ ـ أن يكون جيد الحفظ لما يفهم ويرى ويسـمع ويدرك ، ولا يكاد ينساه ٠

٤ ـ أن يكون جيد الفطنة والذكاء ، يفطن الى الاشياء ويتمثلها بأقل دليل عليها ٠



ماسينيون مدح الفارابي واعتبره من أفهم فلاسـفة الاسـلام

٥ ـ أن يكون مبينا حسن العبارة ، يواتيه لسانه على ابانة ما يضمره في أتم بيان ٠

٦ ـ أن يكون محبا للعلم والاستفادة من الغير ، سهل التقبل لهما ، لا يؤلمه تعب التعليم ولا يؤذيه كد التحصيل ٠

٧ ـ أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح ، متجنبا بطبعـه للعبث ، مبغضا للمتاع المادى ٠

٨ ـ أن يكون محبا للصـدق والصادقين ، مبغضا للكذب والكاذبين

٩ ـ أن يكون عظيم النفس ذا كرامة ٠٠ تكبر نفسه عما يشين ، وتسمو الى كل رفيع ٠

١٠ ـ أن يهون عليه المال وجميع اعراض الدنيا ٠

١١ ـ أن يكون محبا بطبعه للعدل والعادلين ، مبغضا للظلم والظالمين ٠ فينتصف للمظلوم ويحث على الانصاف ، ويتحرى كل ما يراه حسنا جميلا ٠٠ يسهل قياده الى العـدل والحسن والجمال ، ويصعب قياده الى الظلم والجور والقبح ٠

١٢ ـ أن يكون قوى العزيمة جسورا مقداما على ما يراه لازم الاداء ٠

مطلب نادر الحدوث

ومن الاراء التقدمية عند الفارابى دعوته الى القيادة الجماعية ، ما دام اجتماع هذه الشرائط السابق ايرادها أمرا عسير المنال فى شخص واحد • فهو يقرر أن تكامل هذه الفضائل فى شخص واحد مطلب نادر الحدوث ، لا يتحقق الا فى الواحد والاقل من الناس

ولذلك فانه يدعو الى تدوين الشرائع والسنن التى سنها الرؤساء الفاضلون متصورا عهد الرسالة والخلافة الرشيدة الاولى وحين لا يوجد من تكتمل له شرائط الفلسفة والاتصال بالله والتصوف الايجابى التى صاغها، يشترط فى الحاكم أو الرئيس ستة شروط :

١ ـ أن يكون حكيما •

٢ ـ أن يكون حافظا للشرائع. والسنن والسير المثلى السابقة ملتزما باتباعها •

٣ ـ أن يكون جيد الاستنباط فى الحكم على ما يستجد من الأمور ، محتذيا بأفعاله كلها حذو الائمة الفاضلين السابقين •

٤ ـ أن يكون ذا رؤية جيدة ، وتجربة صالحة لسياسة الشئون العامة •

٥ ـ أن يكون قادرا على الارشاد الى ما اتبع فيه سبيل الاولين ، والى ما احتذى فيه بالاستنباط حذوهم مما استجد من امور بعدهم •

٦ ـ أن يكون جيد الثبات ببدنه فى مباشرة أعمال الحرب ، مقتنعاً بالصناعات الحربية الرئيسية والخادمة ••

فاذا لم تجتمع فى واحد هذه الشرائط للقوة البدنية والفكرية والروحية وللاخذ بأسلوب التقدم الصناعى والقوة المشروعين ، وانما اجتمعت فى اثنين بشرط أن يكون



أحدهما فيلسوفا ـ كان الاثنان الرئيسين معا •

واذا تفرقت هذه الشروط فى ستة مثلا ، بشرط أن يكون أحدهم فيلسوفا أيضا ، كانوا هم جميعا وما داموا متلائمين الرؤساء الافاضل •

فاذا خلت المدينة من أصحاب هذه الشرائط فردا أو مثنى أو جماعة بقيت المدينة بلا رئيس أو ملك صالح •• واذا أستمر حالها كذلك طويلا كان ذلك نذير الهلاك والدمار •

وغنى عن البيان ان الفارابى قد استبعد النظام الملكى الوراثى فى نظام الحكم الذى اختاره ، وان سمى رئيس المدينة او الامة الفاضلة ملكا فى بعض الاحيان • فالعبرة بالمسميات لا بالاسماء كما يقولون •

صفات الشعب ونظامه

والفارابى يرى نظام الشعب وعلمه وسلوكه أمورا أساسية فى تكوين المدينة أو الامة الفضلى • فالرئيس الفضل مهما أوتى من العزم لا يستطيع

تكوين المجتمع الفاضل وحده. والتعاون الجماعى اهم القواعد التى يقوم عليها التنظيم وينجيه من أسباب الزيغ والاضطراب .. فالقرية ، والمحلة ، والسكة (أو الشارع أو الحى) ، والمنزل كلها مجتمعات ناقصة ، لايمكن أن ينهض أى منها بشئونها ومصالحها .. بل المدينة نفسها مجتمع صغير ، وليس اقل من الامة وهو المجتمع الاوسط . أما المجتمع الكامل فهو المعمورة تتعاون فيه أمم الارض جميعا .

والامة فى تعاونها اشبه ما تكون بالبدن الصحيح ، تتعاون أعضاؤه على القيام بوظائف الحياة للانسان . وفيها القلب فى مكان الرئيس ، واعضاء تقرب مراتبها منه أهمية وخطرا ، وأخرى ليس لها سوى العمل والحركة وتنفيذ ما يصدر اليها من أوامر . واذا لم يؤد كل من الرئيس والقادة ووسائل الاتصال والعمال وظيفته اختل نظام الامة ووهنت وهددتها عوامل الفساد والفناء .

ولذلك يشترط فى شعب المدينة أو ابناء الامة أربعة شروط : العلم والعمل والطاعة والنظام ، بحيث يؤدى كل منهم وظيفته حسب مقدرته الطبيعية وحاجات الافراد والامة ومصالحها .

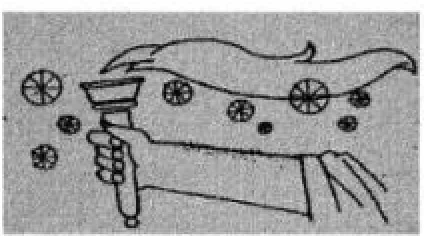
وهذا التنسيق أمر لا مناص منه . وهو من وحى الدين والطبيعة والحكمة معا . فالمخلوقات ومظاهر الطبيعة جميعا تخضع للتنظيم والتنسيق ومقتضيات الدقة والشمول. والفلسفة قوامها هذه القواعد الثلاث جميعا . والترابط اثر الهى فى جميع الموجودات .

ومن هنا اشترط الفارابى فى أهل المدينة أو الامة الفاضلة المعرفة بمقتضيات الفضل ومستلزماته ، أو أن يكونوا فلاسفة بقدر ، حتى يؤدوا واجبهم على خير وجه. فالعلم والدين هما أساس الفضيلة والسعادة ...

المدن غير الفاضلة

ومن وحى التاريخ الاسلامى القريب ، وثقافة الفيلسوف المحيط بالمعارف والسير القديمة ، والتخيل لتطورات المستقبل على سنن الحياة الحاضرة والماضية ، وحرصا على اكتمال التعريف للمدينة الفاضلة بأضدادها ، بذلك كله عرف الفارابى المدن غير الفاضلة ، وقسمها الى اقسام :

١ ــ **المدينة الجاهلة** : وهى التى ضل اصحابها سبيل السعادة الحقيقية ، واستبدلوا بها ملذات الجسد وشهوات النفس الدنيا . وهى أنواع . فمنها « المدينة الضرورية » التى يكتفى أهلها بضرورى العيش الحيوانى و « المدينة البدالة » التى يعنى أهلها بجمع المال متخيلين السعادة فيه ، ومبدلين بذلك وجهها الجميل الى وجه قبيح . و« مدينة الكرامة » التى نسميها كذلك سخرية بأهلها ، الذين خالوا الحياة مجدا وشهرة زائلين ، لا يستندان الى المعايير والمقومات الصحيحة للفضل التى بينها الفارابى تبيينا .« ومدينة الخسة والشهوة » التى يتوفر أهلها على اللذاذات المادية ، واللعب واللهو



.. « ومدينة التغلب » التى يكرس أهلها جهودهم وطاقتهم للبطش والطغيان والغلبة ، ويرون فيها كل سعادتهم و « المدينة الجماعية » التى

الفارابي

يسلم أهلها لأهوائهم العنان ، ويستبيحون كل شيء ، ولا يقفون عند حد ولا نظام ·

٢ ـ **المدينة الفاسقة** : وهي التي عرف أهلها مبادئ الخير والفضل والسعادة ولكنهم لم يلتزموا بها في سلوكهم بل ضلوا سبيلها ، وجافت أعمالهم معارفهم ·

٣ ـ **المدينة المتبدلة** : وهي التي كانت فاضلة علما وعملا ، ثم بدلتهما تبديلا ، وانغمست في الفاسد الذميم·

٤ ـ **المدينة الضالة** : وهي التي فسد اعتقادها في الله والعقل · وخضعت لرئيس فاسد يوهم الناس أنه من أصحاب الوحي والنبوة ·

وهذه المدن الاربع يمكن ان تسمى جميعا جاهلة ، تسود أهلها عوامل القهر وتنازع البقاء · وهم أشبه ما يكونون بجماعة الوحش الذي يبطش قويهم بضعيفهم · فالبقاء فيهم للقوى بطشا والفناء للضعيف ، والعادل في نظرهم هو القاهر الغالب ·

الجديد في فكر الفارابي

والحق ان فكر الفارابي قد أحاط بأنماط الحكم لعصره ،وتخيلها في صدق العصور التي تلته · ولست أبالغ اذا قلت انه من اليسير ان نسمى الوان الحكم في العالم لعصرنا بالأسماء التي سماها الفارابي · والحق كذلك ان هنالك شبها بين جمهورية افلاطون ومدينة الفارابي الفاضلة ، وكذلك بين صفات حكيم الرواقيين الحائز لجميع الفضائل وصفات رئيس المدينة الفاضلة ولا عجب في هذا فالفيلسوف والأديب والفنان لا يخلقون من العدم ، وانما يتمثلون ما سبقهم ، ويضيفون اليه ، ويخلقونه خلقا جديدا حسب التجارب والتطورات ·

والفارابي مبتكر بشهادة رجال الفكر والفلسفة في الشرق والغرب ·

والمستشرقون يقولون فيه انه ليس شيء من فلسفة ابن سينا وابن رشد لا توجد أصوله عند الفارابي ···

والمستشرق الفرنسي ماسينيون يقول فيه ما قاله ابن سبعين الفيلسوف الاندلسي من أنه « أفهم فلاسفة الاسلام ، وأذكرهم للعلوم القديمة ، وهو الفيلسوف فيهم لاغير وهو المدرك المحقق ·

وابرز مبتكرات الفارابي أنه كان رجل فلسفة ودين معا وكان افلاطون والرواقيون وسبينوزا فلاسفة فقط ·

وقال افلاطون بشيوعية الممتلكات والاولاد والنساء ولم يقل بذلك الفارابي · وحصر افلاطون رئيس جمهوريته في طبقة الحكام ، أما الفارابي فلم يحصره في طبقة وانما جعل الفضائل وحدها مناط أهليته ·

وبعد ، فقد كانت مدينة الفارابي مدينة الخير والصلاح والسعادة للبشرية جمعاء ، وكانت أفكاره قائمة على دعائم العقل والدين والتجربة الواعية ، وكانت أمثاله خير القواعد للحكم الصالح في كل زمان ومكان ·

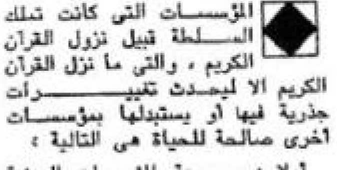
د. محمد أحمد خلف الله

الدولة المثالية في الإسلام

الدولة في القرآن الكريم انما تعني السلطة ... السلطة التي تحقق السيادة ، وتمكن من السيطرة والنفوذ .

والسلطة في القرآن الكريم لا تثبت أبد الدهر ولا تستقر على حال ، فانما تجيء وتذهب وتقوى وتضعف ، وهكذا دواليك

والمعنى اللغوي للمادة يجعل عدم الثبوت والاستقرار للسلطة هو الاصل في الدولة ، فالدولة تدول اي تذهب ، ودالت دولة فلان اي سقطت .



المؤسسات التى كانت تملك السلطة قبيل نزول القرآن الكريم ، والتى ما نزل القرآن الكريم الا ليحدث تغييرات جذرية فيها او يستبدلها بمؤسسات اخرى صالحة للحياة هى التالية :

أولا : مجموعة المؤسسات الدينية الوثنية

وتضم أتباع الالهة المختلفة من ود، وسواع ، ويغوث ، ومناه ، ... الخ . واللات ، والعزى ،ومناه ، ... الخ .

ولذا لم تكن هناك وحدة فكرية ، ولم يكن هناك تماسك اجتماعي ، وانما كانت الفرقة والانقسام ، وكانت العداوة والبغضاء .

وهذه المجموعات الدينية انما كانت تستمد سلطتها من الالهة باعتبارين :

الاعتبار الاول : انها التى تتصل بالالهة ، وتسترضيها وتستشفعها ، ثم هى التي تخبر الناس بمقاصد ومطالب الالهة .

الاعتبار الثاني : انها التى تملك حق التشريع . حق التحليل والتحريم ، وهى بذلك التى ترسم للناس سبل الحياة، وتبين لهم الكيفية التي يمارسون بها الحياة ، والا اصابهم من غضب الالهة ما يعكس



عليهم صفو الحياة ، وما يوقع بهم الاذى والبلاء •

ثانيا : مجموعة المؤسسات المدنية •

وهذه ايضا انواع • فهناك المؤسسات الراسمالية وهناك المؤسسات القبلية •

والمؤسسات الراسمالية فيها أصحاب الثروات الطائلة ، وقد كان معظمهم من التجار •

والمؤسسات القبلية ، وتقوم على الكثرة العددية لافراد القبيلة وعلى التعصب الاعمى للقبيلة •

وهذه المؤسسات المدنية هي التى يحكي القرآن الكريم عن اصحابها انهم كانوا يقولون : من اشد منا قوة ؟

وكانوا يقولون : نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين •

هذه المجموعات من المؤسسات هى التى نزل القرآن الكريم ليحدث تغييرات جذرية فيها ، ويستبدلها بغيرها •

والقرآن الكريم يذهب الى أن استبدال سلطة بسلطة أخرى لا يكون جزافا ، وانما يمضى على نظم ثابتة مستقرة هى التي يسميها القرآن الكريم بسنن الله فى خلقه ، ويسميها العلماء المحدثون بالظواهر الاجتماعية •

وقد فطن المفسرون الى هذه القواعد أو النواميس الاجتماعية عند تفسيرهم للاية القرانية الكريمة « وتلك الايام نداولها بين الناس ، قالوا فى تفسيرهم للاية : الايام جمع يوم وهو فى أصل اللغة بمعنى الزمن والوقت • فالمراد بالايام هنا ازمنة الظفر والفوز • ونداولها بينهم نصرفها ، فنديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء •

والمعنى : ان مداولة الايام سنة من سنن الله فى الاجتماع البشرى • والمداولة فى الواقع تكون مبنية على اعمال الناس ، فلا تكون الدولة لفريق دون اخر جزافا ، وانما تكون لمن عرف أسبابها ورعاها حق رعايتها ، كانه قال تعالى : اذا كانت المداولة منوطة بالاعمال التى تفضى اليها كالاجتماع ، والثبات ، وصحة النظر ، وقوة العزيمة ، وأخذ الاهبة ، واعداد ما يستطاع من القوة فعليكم ان تقوموا بهذه الاعمال وتحكموها اتم الاحكام•

فتلك الايام نداولها بين الناس ليقوم بذلك العدل ، ويستقر النظام ، ويعلم الناظر فى السنن العامة ، والباحث فى الحكمة الالهية البالغة ، أنه لا محاباة فى هذه المداولة •

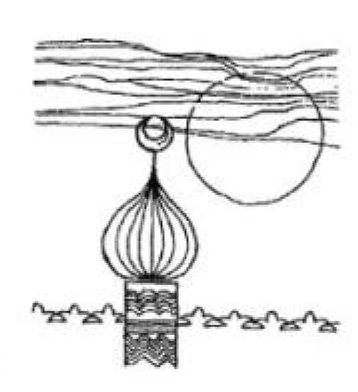
الدعوة الى الخير

والمؤسسات التى تتكون منها الدولة فى القرآن الكريم هى :

أولا : التنظيم السياسى • أى التنظيم الذى يؤمن بالدعوة الاسلامية ويقوم بالدعوة لها بضم الانصار والاعوان اليها ، وبالتزام أعضاء التنظيم بمبادئها وممارسة الحياة على أساس

الشيخ محمد عبده .. آراء سديدة للدولة المثالية فى الاسلام • •





منها . والاية القرآنية الكريمة التي تشير الى هذه الحقيقـــة هي قوله تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

ويقول المفسرون : الدعوة الى الخير لهـــا مراتب . **المرتبة الاولى** : هي دعوة هذه الامة سائر الامم الى الخير وأن يشاركوهم فيما هم عليه من النور والهدى .

المرتبة الثانية : هي دعوة المسلمين بعضهم بعضا الى الخير . والمسلمون مكلفون بأن يختاروا أمة منهم تقوم بهذا العمل لاجل أن تتقنه ، وتقدر على تنفيذه .

ونستطيع نحن أن نقول أن هـــذه الامة ، أو الجماعة ، هي التي تسمى في العصر الحديث ، وفي الدول ذات التنظيمات الســياسية بأمانة الدعوة والفكر .

ويرى الاستاذ الامام أن هذه الامة هي الاصل في قيام السلطة المنبثقة عنها وهي السلطة التشريعية . قال رحمه الله : ومن اعمال هذه الامة الاخذ على أيدى الظالمين فان الظلم أقبح المنكر ، والظالم لا يكون الا قويا، ولذلك اشترط في الناهين عن المنكر أن يكونوا أمة لأن الامة لا تخاف ولا تغلب ، فهي التي تقوم عوج الحكومة.

ثم قال : والمعروف أن الحكومة الاسلامية مبنية على أصل الشورى ، وهذا صحيح . والاية أدل دليل عليه، ودلالتها أقوى من قوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » ، لان هذا وصف خبرى لحال طائفة مخصوصة أكثر ما يدل عليه أن هذا الشيء ممدوح في نفسه محمود عند الله .

وأقوى منه دلالة قوله تعـــالى «وشاورهم في الامر» فان أمر الرئيس بالمشاورة يقتضي وجوبه عليه ـ ولكن اذا لم يكن هناك ضامن يضمن امتثاله للامر ، فماذا يكون اذا هو تركه ؟

وأما هذه الاية فانها تفرض ان يكون في الناس جماعة متحـــدون أقوياء يتولون الدعوة الى الخيـــر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو عام في الحكام والمحكومين ، ولا معروف أعرف من العدل ، ولا منكر أنكر من الظلم .

ثم قال أيضا : ان كون القائمين بالامر والنهي أمة يستلزم أن يكون لها رياسة تديرها لان أمر الجماعة بغير رياسة يكون مختلا معتلا . ويكون رئيس هذه الامة مصدر النظام وتوزيع الاعمـــال على العاملين ، فمنهم من يوجهون الى دعوة غير المسلمين الى الاسلام، ومنهم من يوجهون الى ارشاد المسلمين في بلادهم .

حسب مقتضى الحال

ومقام الرياسة يختار بالمشاورة لكل عمل ولكل بلاد ، من يكونون أكفاء


رشيد رضا صاحب المنار

للقيام بالواجب فيها لتكون أعمالهم مؤدية الى مقصد الامة العام . فان من معنى الامة أن يكون للافراد الذين تتكون منهم وحدة فى القصد من أعمالهم ومسيرهم .

فالمؤسسة الاولى صاحبة السلطة الحقيقية فى الدولة الاسلامية هى التنظيم السياسى ، أو أمانة الدعوة والفكر .

ثانيا : السلطة التشريعية .
وأساسها الآيات التى سبق ذكرها ، وهى آيات الشورى .

ومجال عمل هذه السلطة ليست المسائل الدينية البحتة والا كان الدين من عمل البشر . ان مجال عملها هى المسائل الدنيوية . مسائل الحرب والسلم ، مسائل الاقتصاد والتجارة ، مسائل الاجتماع ، وهكذا .. وعلى الرغم من أن النبى عليه السلام قد أمر بمشاورة أصحابه فى مثل هذه الامور الا انه لم يضع لذلك نظاما ، وترك الامر فى ذلك لجماعة المسلمين يضعون من ذلك فى كل عصر ما يلائم ظروف الحياة فيه .

لقد أقام النبى عليه السلام الشورى فى زمنه بحسب مقتضى الحال من حيث قلة عدد المسلمين، ومن حيث اجتماعهم معه فى مسجد واحد فى زمن وجوب الهجرة التى انتهت بفتح مكة .

وكان عليه السلام يستشير فى كل أمر من أمور الامة الا ما ينزل عليه الوحى بيانه فينفذه حتماً .

ويقول الاستاذ الامام : كان الاحكم أن يترك عليه السلام وضع قواعد الشورى للامة تضع منها فى كل حال ما يليق بها ..

وان النبى عليه السلام لو وضع قواعد مؤقتة بحسب حاجة ذلك الزمن لاتخذها المسلمون دينا وحاولوا العمل بها فى كل زمان ومكان ، وما هى من أمر الدين .

وانه عليه السلام لو وضعها من عند نفسه لكان غير عامل بالشورى ، ولو وضعها بمشاورة من معه لحكم الذين معه فى شكل الحكومة الاسلامية .. أليس تركها للامة تقرر فى كل زمان ما يؤهله لها استعدادها هو الاحكم ؟

ثالثا : السلطة التنفيذية

وهذه لم يرد فى شأنها نص قرآنى أو حديث نبوى شريف وذلك لحكمة أرادها الله وهى : أن يترك أمر رياسة الدولة فى الاسلام للمسلمين أنفسهم ، يضعون فى ذلك من القواعد ما يلائم الزمن الذى يعيشون فيه .

الشعب القوى الحر

ورئيس الدولة فى الاسلام هو الذى يختار الوزراء ، وأمراء الاقاليم . وهؤلاء هم الذين يختارون معاونيهم من بين الصالحين للعمل من المواطنين .

وجرى العمل فى اختيار رؤساء الدولة العربية الاولى التى اتخذت من الاسلام عقيدة ونظاما ـ عقيدة تدين بها ، ونظاما تمارس الحياة على أساس منه على الوجه التالى .

كان اختيار محمد عليه السلام رئيسا للدولة قائما على اعتبارين :

انه رسول الله الى الناس ، وأن

الله سبحانه وتعالى هو الذى اختاره

انه الذى بويع من أهل المدينة ليكون رئيس الدولة التى نشأت فى المدينة وهى الدولة العربية الاولى .

والاعتبار الثانى اهم من الاعتبار الاول ـ ذلك لان النبى عليه السلام مكث فى مكة اكثر من ثلاث عشرة سنة بعد ان وقع عليه الاختيار ليكون رسول الله الى الناس ، ولم يستطع ان ينشىء الدولة .

لقد كان المسلمون من حوله قلة قليلة . قلة مستضعفة لم تستطع الدفاع عن نفسها . ومن هنا هاجرت الى الحبشة او الى المدينة .

ان الاعتبار الثانى هو الذى اوجد الدولة . فالعنصر البشرى فيها هو القوة التى اقامت الدولة ، وفرضت حمايتها للاسلام وللنبى عليه السلام .

لقد وجد الشعب القوى الحر الذى يملك ارادته ، ووجدت الارض التى يعيش عليها ، ووجد النظام الذى يجرى عليه العمل وتمارس به الحياة ، ومن هنا وجدت الدولة .

أما اختيار أبى بكر وعمر وبقية الخلفاء الراشدين فقد جرى على أساس من اجتهادات المسلمين ، ولم يكن هناك نص والا كان الاساس فى الاختيار من حيث انه لا اجتهاد مع النص .

وجرى اختيار كل واحد منهم على أساس يخالف اختيار الاخرين . ان امر السلطة التنفيذية متروك لجماعة المسلمين .

حقيقة السلطة الرابعة

رابعا : وتبقى بعد ذلك سلطة رابعة هى التى يسميها الناس فى العصر الحديث بالمحكمة الدستورية العليا .

وفطن المفسرون فى العصر الحديث الى حقيقة هذه السلطة الرابعة ، وذلك عند تفسيرهم لقوله تعالى « فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول » فعندهم ان الاسلام يجب أن تكون فيه جماعة مهمتها عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد والاحكام العامة .

وهل يكون هؤلاء من اولى الامر ، او ممن يختارهم اولو الامر من علماء هذا الشأن ، امر متروك لجماعة المسلمين . واولو الامر عند هؤلاء المفسرين هم أصحاب السلطة التشريعية ـ أى الذين يلون أمور الناس .

وننهى هذا المقال بهذه العبارة من تفسير المنار « ويجب على الحكام الحكم بما يقرره اولو الامر وتنفيذه . وبذلك تكون الدولة الاسلامية مؤلفة من جماعتين او ثلاث .

الاولى : جماعة المبينين للاحكام الذين يعبر عنهم أهل هذا العصر بالهيئة التشريعية .

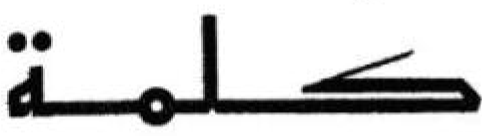
الثانية : جماعة الحاكمين والمنفذين وهم الذين يطلق عليهم اسم الهيئة التنفيذية .

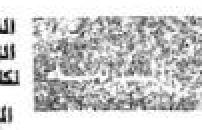
والثالثة : جماعة المحكمين فى التنازع .

ويجب على الامة قبول هذه الاحكام والخضوع لها سرا وجهرا ، وهى لا تكون بذلك خاضعة خانعة لاحد من البشر ، ولا خارجة عن دائرة توحيد الربوبية .

انها لم تعمل الا بحكم الله تعالى ، او حكم رسوله . بالذات ، أو حكم نفسه الذى استنبطه لها جماعة اهل الحل والعقد والعلم والخبرة من افرادها الذين وثقت بهم ، واطمأنت باخلاصهم وعدم اتفاقهم الا على ما هو الاصلح لها فهى بذلك تكون خاضعة لوجدانها لا تشعر باستبداد احد فيها » .

تاريخ حياة





الفاضلة .. هي الترجمة العربية لكلمة « يوتوبيا » اليونانية القديمة التي معناها « لا مكان »

ولعلها تناظر كلمة « طوبى » التي جاءت في القرآن الكريم مرة واحدة فى قوله تعالى فى سورة الرعد : (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب) . ومن هنا نجد بعض الثقاة والمترجمين المعاصرين يضعون لفظة « الطوباوية » فى مقابل لفظ « يوتوبيا » التي جعلها الكاتب السياسي الانجليزى - السير توماس مور - من رجال القرن السادس عشر الميلادى - عنوانا لكتابه الذى صور فيه للناس مدينة مثالية تحقق للناس أكبر قدر من السعادة يحلم بها البشر ، وتستأصل من نفوس الناس نوازع الشرور ، وتجبلهم على الخير ...

ومنذ ذلك الحين أصبح اسم « يوتوبيا » أو « المدينة الفاضلة » علما على كل كتاب يبحث في تحقيق السعادة والخير للناس ، فى عالم أو دولة ، أو حكومة ، أو مدينة قديمة أو حديثة ، شرقية أو غربية حتى لقد عدوا كتاب « جمهورية أفلاطون » أول كتاب ألف فى المدينة الفاضلة .

ومن خلال استعراض العناوين التي اختارها الحكماء والشعراء والمفكرون لمدنهم الفاضلة ، نجد أن أفلاطون اختار لكتابه اسم « الجمهورية » وأوضح أنه قصد بذلك أن يبرز نوع نظام الحكم الذى يتخذه أساسا لمدينته الفاضلة ، وإن كانت الدولة المثلى فى نظره يجب أن تكون أرستقراطية تحكمها طبقة من الحكام الحكماء ، يتلقون علوما عالية وافية تؤهلهم للحكم ، ثم يختارون لمناصبهم على أساس مقدرتهم على إدراك المبادىء التى تقوم عليها الدولة ومدى قدرتهم على تطبيقها .

أما القديس اوغسطين - وهو من رجال الدين فى القرن الخامس

الميلادى ـ فقد سمى مدينته الفاضلة « مدينة الله » • ويبدو انه اخذ تلك التسمية من صميم فلسفته التى كانت تقول ان المعارف لاتاتى عن طريق الحواس التى تخطىء وتصيب، ولكن مصدرها هو الله • فكل كمال او فضيلة ترجىمن مدينة للبشر فانما نسبته الى الله الذى هو الكمال كله •

ويصادفنا فى القرن السابع عشر وفى أوائل العقد الثالث منه فيلسوف ايطالى جمع بين الشعر والفلسفة ، هو الراهب الدومينيكى « تومازو كامبانيلا » الذى الف فى المدينة الفاضلة التى تخيلها وتوسمها لعالم يراه كتابا سماه « مدينة الشمس » وهى تسمية غريبةفى تسمية غريبة• ولعله أراد لهذه المدينةالمرجوة المتخيلة أن تكون طرفا للمدن الأرضية ، فوضع الشمس هنا فى مقابل الارض ، أو لعله نسبها الى الشمس التى هى أصل الحياة أو أصل الأرض التى كانت قطعة منها، فانسلخت عنها ، وبردت على مرور الآباد والاحقاب •

وقد تمنى « كامبانيلا » أن ينظم المجتمع فى مدينته الفاضلة (وفقا لاصول العلم ـ أى العلم الطبيعى والفلسفة ـ فيتولى فيه الحكم خير الذين مهروا فى العلم النظرى والعملى معا ، وتزول سلطة رجال الدين والاشراف ، وتحظر الملكية الخاصة والمعيشة المنعزلة فى دائرة الاسرة ، ـ لأن هذا الانعزال الأسرى ـ ينمى الأثرة ويضعف الوطنية ـ وتنظم العلاقات الجنسية على اعتبارات فسيولوجية لكى تحصل الدولة على مواطنين أصحاء موهوبين •••)

والسير « فرنسيس بيكون » الفيلسوف والاديب الانجليزى وصاحب المنهج التجريبى الجديد ، والمعاصر للفيلسوف « كامبانيلا » قد سمى مدينته الفاضلة « اطلنطس الجديدة » وقد كان يحلم فيها بدولة مثلى يحكمها العلماء لا الفلاسفة ، أما المفكر الانجليزى « ولز » فقد سمى مدينته الفاضلة باسم « يوتوبيا حديثة »



● د. أحمد سويلم العمرى ●



افلاطون هو الذى غرس اول دراسة للفلسفة السياسية ، وقد استقت جل المدارس الفلسفية من مناهله ، وضمن مؤلفاته جمهوريته ، وهى فى قمة ماكتب فى علم السياسة ، ستخلد على مدى الزمن ، وهى مرشد للباحث فى هذا الحقل ،ويصعب ان يضيف المفكر على اسسها شيئا مذكورا الا اذا كان ذلك عن طريق الشرح والاستفاضة،وهو يعتبر بلامنازع بنظرياته القائمة على دراسات فى المنطق والعقل والحكمة والمعرفة والخلق والسلام والاتحاد ابا الفلسفة الغربية ، ومرشدا فى دراسات المعتزلة و « اخوان الصفاء » ..

جمهورية أفلاطون



يعرف تاريخ ميلاد افلاطون ومسقط رأسه بدقة ولكنه حوالى سنة ٤٢٩ قبل الميلاد، ويرجح انه ولد فى جزيرة ايجين او فى اثينا ، وهو تلميذ سقراط ومن اشد المعجبين بعقله الراجح وحواره وان كان يختلف عنه فى السحنة والمولد ...

... كان سقراط قصيرا بعيدا عن الوسامة يبعث منظره على الضحك بانفه المفرطح وشفتيه المتورمتين وعينيه البارزتين ، وكان فقيرا متقشفا من الطبقة المتوسطة .. اما افلاطون فكان ارستقراطى المولد حسن الطلعة فارع القوام ممشوقه . محاطا بالهيبة . طلق اللسان فصيحه يصغى بدقة الى المتحدثين اليه رغم سباحته فى الخيالات والاحلام وكانه بعيد عن الاقربين اليه فى تطلعه الى السراب المثالى .

وقد افسح له المجال تبعا لنشاته فى أسرة ارستقراطية غنية الى تنمية مواهبه ومواصلة اطلاعه ، وفضلا عن ذلك فكان يحكم على مواهب البطل الرياضى بقوته التى تفوق المستوى العادى مما جعله يحوز بطولات رياضية ، وبذلك برهن على ان العقل السليم فى الجسم السليم .. ومال منذ صغره الى الحوار الادبى والى قرض الشعر وكتابة قصص البطولة والملاحم وأن لم يصلنا منها الا النذر اليسير ، ثم ما لبث ان تميز وقد عركته الحياة وماسيها بدراسة الفلسفة والحكمة وأوقدت فى عقله نبراس العبقرية والتصور بافكاره السياسية الخالدة فى جمهوريته التى حاول فيها ان يبرز قدرته وذكاءه فى نشر الحق والسلام والمساواة والعدالة بين الناس على اساس توزيع الاختصاصات والاعمال وانصراف كل الى العمل الذى تخصص فيه بكل قدراته فى سبيل انشاء جماعة سياسية مثالية متماسكة تخلد الى الامن والسلام وتتعاون فى الانشاء والبناء .

وتتميز معظم اعمال افلاطون الادبية والفلسفية على نسق ما كان يتبع فى اليونان القديمة بأنها مجموعات حوار ومناقشات ، وقد وجد التلميذ فى استاذه سقراط ما حفزه الى البحث فى سعادة الانسان ومحاولة اقامة مجتمع افضل . وكان شديد الثقة بذكائه النفاذ وبنجاحه فى صعود سلم المجد الفكرى وارشاد الجماعات ، وقد بلغ غاية الشهرة وتبوأ عرش الفلسفة السياسية ، وشجعه على ذلك سعة اطلاعه وعراقة محتده على نقيض استاذه سقراط الذى قادته افكاره الى حقد ذوى النفوذ عليه ورميه بعبادة آلهة مزيفين وافساد الشباب والحكم عليه بالاعدام بالسم .

وقد تأثر افلاطون فى تفكيره وكتاباته كذلك بمحيط الحياة السياسية لعصره وما اصاب سقراط من الحكومة الديموقراطية التى قادته الى الموت فعزف عن مناصرة الديموقراطية المحضة ، وانشأ اكاديمية اثينا لاصلاح الحياة السياسية اليونانية ، ثم بدأ بعد ذلك فى كتابة مدينته المثالية سنة ٣٨٠ قبل الميلاد بعنوان « **الجمهورية** » يصف فيها ما يراه فى حكومة مثالية تعمل لصالح الشعب ويديرها حكماء وصفوة وتنظم حياة الجماعات وفق أسس اشتراكية تخططها الدولة .

وقام افلاطون برحلات فى البلدان القريبة من اثينا وعرج على سيراقوس وتدخل فى السياسة هناك محاولا انشاء حكومة تستمد اسسها من فلسفته ، ولكنه لم يحقق غايته ، مما حدا به فيما بعد الى كتابة دراسة



بعنوان « القوانين » يفسح فيها المجال للواقع وينحى عن الحياة السياسية واحلام « اليوتوبيا » في جمهوريته ، وبهذا جمع افلاطون بين المثالية والواقعية وكانت نهاية المطاف الواقعية بعد ان فشلت محاولاته في اقامة سياسة حكيمة لسيراقوس .

وابدى افلاطون سخطه على المساوىء التي شاهدها في مباشرة الوظائف العامة ورعاية مصالح الافراد والجماعة فقال في احدى رسالاته : « كلما امعنت النظر في القوانين والخصال والعادات والاخلاق وكلما تقدمت أيضا في السن زاد اعتقادي في صعوبة ادارة دفة الدولة



وذلك علاوة على ما اراه في فساد التشريع والعادات الى حد انني كنت في مبدأ الامر ممتلئا حماسا للعمل الصالح ، وبعد موازنتي الامور وما شاهدته من أن كل شيء يحيد عن طريقه عجزت عن العمل وتخبطت في دراستي الاوضاع . وانتهى بي الامر الى تقرير أن كل الدول اليوم تحكم حكما سيئا لان تشريعاتها على وجه التقريب لاصلاح لها بلا اعداد حكيم لها على أساس الظروف المواتية .. »

ويختم رسالته بقوله « على ذلك فان المساوىء لن تقف عند حد ولن تمتنع ان تصيب البشر حتى يستوى الفلاسفة ذوو الاعراق والاصول النقية على عروش السلطة او يباشر رؤساء مدن اليونان القديمة بقدرة الهية حكمهم بحكمة الفلاسفة » .

وقد عمر افلاطون طويلا فكانت له فسحة طويلة للتأمل وقضى سنة ٣٤٧ على اثر اصابته بتخمة في نهاية حفلة عرس .

خلاصة مذهبه السياسي

افلاطون هو أول الكتاب القدماء الذي اشار في صراحة الى وحدانية الاله الخالق للكون ومنشىء الانسانية، وابتدع نظريته في الافكار التي لا تتغير ، وهي اصيلة في الحق والخير والجمال ، ولا يستطيع الانسان ان يستخرجها من احساساته ومشاعره ، بل الذي يودعها هو الخالق الخالد في روحه ، كما ان هناك في رأيه توازنا بين الصرح الاجتماعي والانسان ويجد فيهما الفيلسوف الذكاء البناء والنشاط الارادى والقابلية الحسية ، وخرج من هذا في جدله ومناقشاته التي افتعلها وكان يشير فيها دائما الى استاذه سقراط والى بحث ثلاث مسائل سياسية وهي السياسة ذاتها والجمهورية التي يصبو اليها ، والقوانين ، وهذا ما حدا فيما بعد بأرسطو ــ وهو تلميذ افلاطون ــ الى القول بأن الانسان كائن سياسي اجتماعي ويتحين عليه في رأيه وفي رأى غيره من مفكرى اليونان القديمة التعاون والاتحاد بين الناس لتحقيق سعادتهم ، وفي هذه الفكرة البذور الاولى للاتحاد والوحدة .

وذكر افلاطون في جمهوريته ما يراه في حياة اسعد للانسانية والجماعة السياسية التي لا مندوحة عنها للفرد فهو اجتماعي ، ويتطلب هذا تبادل

المنافع ومواجهة مصاعب الحياة وعراقيل الطبيعة وصد الاعداء مع التضافر وتكوين المدينة على اساس من النظام والقانون وتقسيم الاعمال ·

واثبت فى اهم مؤلفاته «الجمهورية» بمثاليتها اسباب اضمحلال الجماعات وافول نجم الدول وقد انحدرت نحو الظلم والاستبداد ، ويترتب على ذلك قيام اسوأ اشكال الحكومات ·

وفى جمهوريته وهى مديجتفى اثنتى عشرة رسالة فى فلسفة السياسة ، يضع فيها ما يراه فى تحقيق سعادة البشرية ، ويبحث فيها ايضا بناء الشعب وتحقيق التوازن والتكامل الاجتماعى فى نفس قالب توازن الفرد ·· ويزعم ان الانسان مكون من عناصر ثلاثة هى الرغبة الطبيعية والقلب او مركز الاحاسيس والنشاط الذهنى ، وتتحقق الحكمة بتوازن هذه العناصر ·

كما يرى ان الجماعة تحقق توازنها فى حالة تحقيق تكافل فى التجارة وتسخير الاقتصاد لخدمة الرغبات الانسانية والجيش وهو عنصر الاحساس فى الشعب والادارة السياسية وهى نظير عنصر العقل والمنطق فى الانسان ·· ويتعين ان يتم التنسيق بينها وان يتدرج تعاونها فى نظام مرسوم ، يرى مثلا ان جماعة تعتمد على الاقتصاد فحسب قد تموت كنظام وقد افتقدت المثل نتيجة زيادة الانتاج او تبعا لافتقارها وقد انصرفت الى التجارة فحسب الى جيش يزود عن حوضها ، كما ان المبالغة فى اعداد التجارة فحسب الى جيش يذود عن الدكتاتورية وتقتل الجمهورية ·

ويخلص من هذا الى وجوب اقامة سلطان سياسى قائم بذاته ، وتعرف الجمهورية بأنها النظام الضرورى للجماعة ويقوم على الفصل بين الاختصاصات والاعمال والسلطات وتحقيق التوازن بين الوظائف الثلاث المذكورة ·

وفى رسالته عن شرح القوانين يواصل بيان هذه الفلسفة ، ويرى ان صحة جسد الدولة المكون من العناصر الثلاثة المذكورة وهى الاقتصاد والجيش وادارة المدينة بطريق علمى سليم تظل حافظة لكيانها فى حالة التوفيق بين مصالح الشعب بتعاونها ·

وتتمثل الادارة فى رأى افلاطون فى ذكاء طبقة الحكماء الذين عليهم ادارة الدولة ، وتتمثل الشجاعة دفاعا عن الوطن فى المحاربين الذين يصدون عنه الهجمات والغزو ، ويتمثل الانتاج الزراعى والصناعى فى الطبقة الثالثة من الشعب ، ولا تصبح لهم حقوق سياسية نظرا لوجوب انصرافهم الى الانتاج وابعادهم عن مغريات الجشع وجمع الاموال على حساب الشعب وضرورة مد الطبقتين من الحكام والمحاربين بحاجتهم الضرورية لكيانهم ولازدهار الدولة · ويختار الحكام والحكماء الذين يديرون شئون الدولة من المحاربين الذين تجاوزوا سن الاربعين عاما ·

واقترح افلاطون فى جمهوريته تنظيم المدينة على اساس القضاء على المنازعات بين المصالح الخاصة والمصالح العامة او الدولة ، ويرى ان هذا يتحقق بالقضاء على الملكية الفردية التى تسبب الصدام بين الاغنياء والفقراء ، ولو انه مال فى كتاباته المتأخرة الى الاخذ بالامتلاك الخاص فى اطار نظام معين وبحدود ·· كما انه لا يتقبل نظام الاسرة الا فى اعتباره ان حب الاباء وتعاطف

جمهورية أفلاطون



أعضاء الاسرة يطغى على حب الوطن وضرورة الانصراف للدفاع عن المصلحة العامة ، وعلى هذا يرى ان صلات الرجل بالمرأة يجب أن تكون مؤقتة تنظمها السلطات العامة ، ولكنه مال فى النهاية الى نظام الاسرة فى حدود ضيقة .

ورأى ان تضطلع الدولة بتعليم الابناء على الا يهتم الاباء بذلك ، وان يكون التعليم والتهذيب على أساس تنمية الاحاسيس الراقية فى الانسان وخاصة ان ينتزع من المواطن الجشع وان يربى على التضحية فى سبيل خير الدولة .

وكان يرى الا تتعدى الدولة عددا معينا من المواطنين كاسرة كبرى لها حدودها المعينة ، والا تبنى مدينة الدولة الاساسية على شاطىء البحر لتحاشى اتصالها بالخارج فقد يكون الاجانب خطرا على الدولة فى حالة ادخالهم عادات وطباع جديدة ، وقد يفسدون الوحدة المعنوية للمواطنين .

واتضح خلال جدل افلاطون انه هدف الى الاهتمام بتوزيع الاختصاصات على اهل المدينة وقصر مهام الطبقة الثالثة على الاعمال الاقتصادية حتى يمكنها توفير حاجات الطبقتين الاخريين وبهما وحدهما يمكن الدفاع عن المدينة والمحافظة على كيانها .

العالم الذهبى الزاهر

ومما يلفت النظر فى مثالية افلاطون اعترافه بأن تحقيق مدينته لن يتم الا بعد مضى وقت طويل ، غير أن ذلك فى الامكان مستقبلا فى العالم الذهبى الزاهر حسب تسميته ، واذا تجاوز العالم العهد الذهبى حل فى اعتباره العهد الفضى وفيه يصل رجال الحرب الى مراكز أعلى من مراكز الحكماء والحكام ، ويزيد نهم المحاربين الى الغنى وبذا تصل الانسانية الى العهد النحاسى او نظام الاوليجارشية Obigarchie اى حكم زمرة من أعضاء الاسر المرموقة ، وكلمة اوليجوس Oligos معناها اقلية أى عدد قليل ، وأورشيه Arche أمر أو سلطة الاقلية ، ويرى فى ظل هذا النظام عدد الفقراء أكثر بمراحل من الاغنياء ، ويترتب على تطور الانسانية انتقال الاوليجارشية الى العهد الحديدى وقيام النظام الديموقراطى ، ومعنى الديموقراطية Democratie سلطة الشعب ، فالشعب ديموس Demos والسلطان كراتين kratein أى سلطان الشعب ، ومن المحتم فى رأيه أن الديموقراطية تتحول بضعفها الى الانارشية Anarchie وهى مكونة من انا An أى الانعدام وارشيه Arche أى سلطة كما سبق أن ذكرنا أى انعدام السلطة ويصبح الوضع « لا سلطة » ، وهذا التحول يؤدى الى الاستبداد ، والانارشية أى الفوضى فى نظر افلاطون هى أم المظالم وافسد انواع الحكم وعدو كل تقدم ، اذ ان المستبد هو العدو الطبيعى لكل ازدهار مترتب على الذكاء والفضيلة .

واهتم افلاطون في سياسته في الجمهورية والقوانين بتنظيم المدينة المثالية وضرورة المحافظة على التوازن بين مختلف السكان لضمان نموها

وحتم الابقاء على نسبة معينة من السكان لكل طبقة مع تحديد العدد ، ويرى ان يكون عدد المواطنين أي الاحرار في المدينة ٥٠٤٠ نسمة

·· واتبع في ذلك معادلات حسابية افترض أنها المثالية ، وهذا العدد يمثل في المجموع نحو ٢٠ الفا من السكان الاحرار مع مراعاة النساء

والاطفال وبالاضافة الى الارقاء ، مما يجعل المجموع نحو ٥٠ الف نسمة الى ١٠٠ الف نسمة ، وهذا العدد في اعتباره هو المثالي للمدينة ويتعين

عدم تخطيه حتى لا يترتب على الانفجار السكاني ضيق أسباب العيش وصراع بين الناس وانحطاط مستوى المعيشة وتفشي البطالة ، ويرى للمصلحة العامة ضرورة الالتجاء الى الهجرة

ابن سينا ودوره في استمرار
شعلة الفكر وتطور الحضارة

الجبرية لمكافحة تزايد عدد السكان ، وهو عموما يخضع مشكلة السكن لصالح المدينة ، فلا يزيد العدد زيادة

بالغة او ينقص نقصا كبيرا يدعو الى القلق ويمكن للدولة ان تلجأ في حالة اطراد تناقص العدد الى نظام التجنس بحكم القانون والى منح المكافآت لتحقيق نسل قوي ·

وكان يرى ان المدينة التي يتناقص سكانها هي في حكم مدينة ميتة كما ان تزايد السكان بما يفوق الوضع الملائم هو مصدر اضطرابات اجتماعية

بما يجلبه من منافسات وتزاحم على العيش حيث يقوم الصراع على الوظيفة او العمل او الارض ، وفي رأيه أن يظل عدد السكان مستقرا ، ولم يحدد افلاطون عدد الارقاء الواجب الاحتفاظ

بهم في المدينة ، وكان المجتمع يبيح الرق وجارى الفيلسوف المجتمع في مثاليته واهتم بتحديد عدد القاطنين في المدينة من المواطنين والاحرار بما لا يزيد على عشر المجموع ·

ولم تخرج المشكلة في عرف الفيلسوف عن وضعها السياسي الى الوضع الاقتصادي كما هي الحال اليوم نتيجة الانفجار السكاني ومشكلة توفير الغذاء للافواه الجديدة ، فكان

يرى ان يتحقق للمدينة عدد من المواطنين لسد حاجات ادارتها وحتى لا يترتب على زيادة العدد اضطراب الادارة ، وذكر في جمهوريته ، انه يمكن للدولة ان تتسع وتنمو كما تشاء ولكن بشرط الا تحيد عن ان تكون دولة واحدة فحسب ·

غير أنه أوصى بتفضيل تنظيم الدولة سياسيا على أساس ثلاث مجموعات يتكون كل منها من خمسة الاف مواطن على ان تتكون من جماعة واحدة مكونة من خمسة عشر الف مواطن ، وبذا

ينحو نحوا لا مركزيا ، وهو يرجح فى جمهوريته فى الانتاج البشرى النوع على العدد ، ويرى أن تعمل الدولة على انشاء رجال اشداء صحيحى البنية اذكياء ويتعين عليها أيضا خلق جيل من الصفوة ، وهكذا أيد الفكرة الارستقراطية من الحكماء فى الحكم٠

ويجب فى اعتباره ، ان تكون أجمل النساء للقضاة والمحاربين وأن تكون افضلهن لاكثر الفئتين المذكورتين ذكاء ، وذلك لانتاج ذرية قوية ممتازة

ويقول فى جمهوريته « وتلد النساء فى الدولة من سن العشرين الى الاربعين ، وينجب الرجال من سن الشباب حتى الخامسة والخمسين » واذا تصادف رغم الحيطة التى تتخذ فى هذا الشأن وتجاوز النساء والرجال الحدود المذكورة ، فيجب تعريض الطفل للموت او تركه لمصيره ليهلك اذ يجب الا تتكفل الدولة باطعامه ٠

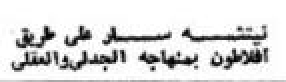
وأخيرا يجب أن نحدد موقف افلاطون من المرأة وهو الذى ينادى بعلاقاتها الزوجية مع الرجل فهو يطالب أيضا بمساواتها بالرجل ، وقد كانت محرومة من الحقوق السياسية ولم ينظر اليها العالم القديم الا انها اداة انجاب ، وذكر فى جمهوريته « اذا أردنا ان نستخدم النساء فى نفس الاعمال التى يباشرها الرجال فيتعين علينا ان نعطيهن نفس التعليم الذى نعطيه للرجال » ٠

وهذه خلاصة جمهورية افلاطون فى رسمها العدالة والمساواة واشتراك الجميع فى بناء صرح الدولة وتوفير الحاجات للناس دون تكالب على الكسب والتجارة وجمع المال ، وكان يقول دائما ما خلاصته : ان السياسة الفاسدة تؤدى الى الاضطراب والفوضى ولا تتوفر العدالة الا فى ظل اشتراكية حكيمة ٠

وقد طالب بتسليم مقاليد الامور الى الحكماء ورجال الفلسفة والسياسة لتتحقق الديمقراطية القائمة على الصفوة ، وكان يرى ان التخطيط ورسم الدولة سياسة لصالح الافراد وتنظيم المأكل والمسكن ووسائل



هيجل من الذين تأثروا بافلاطون





العيش واستهلاك الحاجات بطريقة جماعية هي أساليب السياسة المثالية التي تبعد بالبشر عن التطاحن والاقتتال وهو في اشتراكيته يختلف مثلا عن ادام سميث وهو من اقطاب المدرسة الاقتصادية الحرة الذى جاء لقرون عديدة بعده (١٧٢٣ ـ ١٧٩٠) ونادى بأن الصالح العام يتحقق بالتنافس الحر بين الافراد بلا عائق، وتمسك بشدة بتحقيق المصالح الخاصة وحمايتها .

جمهورية افلاطون والفكر العربي

تلهف الفكر العربي في ازدهاره الى معرفة ما احتوته الحضارات التي سبقته او عاصرته من العلوم والمعارف والحكمة والفلسفة ، وضمن ما عنى به نقل فلسفة اليونان القديمة

وفي مقدمتها فكر افلاطون ورسائله، ولا غرو في عناية العرب بالفلسفات القديمة لحضارتهم واسعة الافق لتقبل الجيد وما يقوم على المنطق والعقل والجدل ونظريتهم السياسية تأخذ بحرية الفكر واحترام حقوق

الانسان . ولقد استقبلت جامعات الاندلس العربية القساوسة بل واحد البابوات لتلقى المعرفة فيها ، وعقدت في عواصم الامارات العربية بالاندلس وغيرها المؤتمرات الدينية المسيحية للمناقشة في الروحانيات والاديان .

وكان للعرب دورهم في استمرار شعلة الفكر وتطور الحضارة ومهدوا السبيل لعصر الانبعاث في اوربا

بترجمة كتب اليونان القديمة وبما قدموه من جديد في الانتاج الفكرى لابن سينا والفارابي والكندى والغزالي وابن رشد وابن خلدون .

ورأينا المثالية والجدل والحوار وتفسير الكون والوجود واقامة دولة صالحة صحيحة الجسد والعقل في « **الشفاء** » و « **القانون** » لابن سينا ، وكتاب « **تهافت التهافت** » لابن رشد

يرد على الغزالي ، وفي « رسائل **اخوان الصفاء** » ببغداد وهم من المعتزلة ، وفي « **المدينة الفاضلة** » للفارابي وقد جمع في كتاباته بين الشريعة والفلسفة وبين افلاطون

وارسطو . كما رأينا مناقشات في الوجود وصفاء الروح وما يحويه العالم من قوة لا يدرك كنهها في رسائل الغزالي بكتابه « **مقاصد الفلاسفة** »

« **وتهافت الفلاسفة** » وبآرائه في الكون وبحثه في السبيل المؤدى الى طريق الحق وبايثار التصوف والسمو النفسى وبدروسه في المدرسة النظامية ببغداد .

ونقل المفكرون الاوربيون عن العرب فلسفة افلاطون وواصلوا تحليلها وعدوه رائد الفكر الغربي ومرشد الفلاسفة ومنار التفكير الاشتراكي والاتحادى بما جاء به من

تخطيط سياسى واجتماعى في جمهوريته المثالية ، وهو الذى رسم الطريق بمنهاجه الجدلى والعقلى للفلاسفة الحديثين امثال « دي كارت »

و « سبينوزا » و « نيتشة » و « هيجيل » و « بنتهام » و «ماركس» و « سان سيمون » . وقد جمع الى الجدل والحوار ومناقشة ما يحويه العقل والكون التخطيط . فرسم



ارسطو تلميذ نجيب لافلاطون

السبيل لبنتهام ومدرسته في سياسة اللذة والالم ، وفي مكافحة الفاقة ونشر التعليم واصلاح القانون وجعل العقوبة

لا للردع بل لاصلاح المجتمع وتحسين حال السجون والمسجونين ، وكان هدفه توفير الضمانات للمواطنين وبث

الطمأنينة في النفوس على أساس تحقيق الرفاهة للجماعات ، كما رأى افلاطون في مدينته الفاضلة ان تتولى السلطة الصفوة المختارة ..

وكانت جمهورية افلاطون المرشد لقرون عديدة فيما بعد الى « سان سيمون » وهو يعد المخطط لسياسة اقتصادية للدولة تقوم على اساس

الاختصاص والكفاية العلمية ، ونسج على منوالها « ماركس » بما حوته من تنظيم اشتراكي وخاصة في الغاء الملكية الفردية والمساواة بين الناس

على أساس توزيع الاعمال ، وأخيرا كانت المرشد للمفكرين في مجال السياسة لباريتو و « ميشيلز » و « موسكا » الذين نهجوا سياسة حكم الصفوة بكفايتها وتخصصها باعتبار ان الحكم فعلا لا تباشره اغلبية بل يقوم به عدد من الصفوة الممتازة .

وساعدت « جمهورية » افلاطون العلامة « ديجي » ورجل القانون الضليع « سيل » وغيرهما من الفقهاء والمشترعين في دراسة توزيع الاختصاصات والاعمال كأساس لتكوين الدولة وفي تكوين الفكرة الاتحادية بين الدول التي ترسي مراسي السلام .

وهكذا ابتدع افلاطون في دراساته وخاصة في « الجمهورية » نظريته في العالم ويصعد فيها الى القمة ليبدأ منها البحث عن الحقيقة وسعادة البشرية ويسبح بعقله وخياله في افق المعرفة الواسع ليكشف عن الحقائق

والمترادفات ويرسل باضوائه الوضاحة الى ابسط التفاصيل ويبرز في كتاباته اصل المادة وفلسفة الطبيعة والدين والخلق والسياسة وتناسق وجمال الاشياء والروح ، وكل ما يصل اليه الفكر عند افلاطون يتحول الى شعاع وينبعث في صورة بناءة لا يمكن

ملاحقتها ، وهو يهدف كما يتضح في « جمهوريته » وفي حواره وتعشقه حرية الانسان المنظمة الى السعي في بناء عالم ينعم فيه البشر بوسائل راحة مادية ونفسية نتيجة توزيع الاعمال ، والقضاء ما أمكن على الفوارق بين الناس وعلى ان تسود المعرفة والفلسفة والحكمة والتخصص حكم المدينة اليونانية ، وبذا يقوم عالم مثالي يسوده السلام ، وستظل فلسفة افلاطون ومدينته المثالية في « الجمهورية » المحرك الاساسي للمعرفة والتطور الفكري ..



● زهـير فـرعون ●

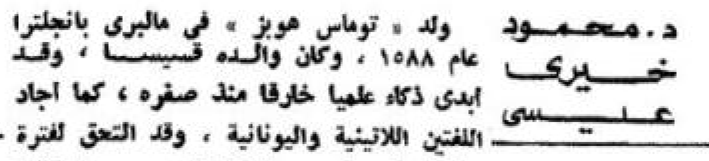
مركبة الفضاء

اى صوت مجلجل الاصداء　　اى ذعر يموج فى الانحاء
اتراه النذير ينفخ فى الصو　　ر بصوت يرن فى الاجواء
كتلة من عجيب ما صنع الفو　　لاذ راحت تشق متن الفضاء
مثل نسر مصفق بجناحيـ　　ـه صعودا فى قبة الجوزاء
رافعا جبهة له باعتداد　　مشمخرا بانفه للعلاء
ذاهبا فى انطلاقه لا يبالى　　ما يلاقى من غائلات الفناء
ينفث النار مغضبا، محنق الصد　　ر ولكن بعزة الكبرياء !
اترى مارد من الجن يسعى　　بين رحب الفضاء والغبراء ؟
انه العقل ، بدعة الله فى الا　　نسان ماض فى سلم الارتقاء
خالق المعجزات ، رب الاعاجيـ　　ـب ، قوى الحجى، عظيم الذكاء
الف دنيا تفتحت بيديه　　بهما ذلك معقل الظلماء
راض بالعلم كل صعب فامسى　　طيعا تحت قبضة العلماء
فتت الصخر ، حطم الذرة العصـ　　ماء بالعقل وحده والدهاء
ضاق بالارض وهى افق رحيب　　فمضى فى شموخه للسماء
وكذاك الطموح يدفع نفس الـ　　حر دوما لغاية شماء !
فانثنى يعجن الحديد ويسقيـ　　ـه بنيران فكره المعطاء
فاذا ما استوى واكمل صاروخا　　متين العرى ، قوى البناء
امتطاه وراح يسبح فى الجـ　　ـو كفلك يدور فى الارجاء
ما الذى قد اثاره فتخطى　　لجج الهول ضاربا فى العراء ؟
من دعاه فى الانجم الزهر حتى　　شمر العزم مصغيا للنداء ؟
فى ارتياد المجهول ، فى العلم يرضى　　ان يضحى ، وان يكون الفدائى !

●●●

يا لهذا الانسان ، بالعقل يسمو　　بالغ القدر ، سيد العظماء
الهذا خرت الملائك يوما　　ساجدات لنوره الوضاء ؟
غير ان الاهواء ان عصفت فيـ　　ـه هوى ، يا لخسة الاهواء
تستحث النهى الحصيف ليأتى　　باداة الدمار والافناء
فهو آنا من فلقة النور انقى　　وهو آنا من طينة العجماء !
فليقلم اظافر الشر فيه　　وليخفف من حدة الغلواء
وليكن همه السعادة والحـ　　ـب ، وملء العلوم من نعماء

دمشق　　زهير فرعون



د. محمود خيرى عيسى

ولد « توماس هوبز » في مالبرى بانجلترا عام ١٥٨٨ ، وكان والده قسيسا ، وقد ابدى ذكاء علميا خارقا منذ صغره ، كما اجاد اللغتين اللاتينية واليونانية ، وقد التحق لفترة بجامعة اكسفورد ، الا انه لم يسعد كثيرا بالدراسة هناك ، وقام برحلات طويلة للقارة الاوربية ، وامضى وقتا طويلا فى فرنسا ، وفيها تعرف على امير ويلز الذى كان منفيا واصبح مدرسا خاصا له ، وهو الذى جلس على عرش انجلترا فيما بعد باسم الملك تشارلز الثانى .



مدينة السلام والحرية والالتزام عند توماس هوبز

اذ أرسى دعائم حكمهم على أسس طبيعية نفعية لا صلة لها بالاخلاق او العدالة ، بينما ارتكاز حكمهم على الحق الالهى كان يضفى عليهم صفة دينية ذات صبغة أخلاقية ممتازة كما سنفصل فيما بعد .

بالرغم من ان « هوبز » كان يعطف على القضية الملكية فى الحرب الاهلية الانجليزية ، الا ان كتاباته لم تعجب الملكيين كثيرا . والواقع ان كتاباته لم يكن لها تأثير يذكر على السياسة الانجليزية الا بعد ان بعثتها المدرسة النفعية من جديد فى أوائل القرن التاسع عشر . وكان للفقيه القانونى « أوستن » فضل كبير فى احياء هذه الكتابات ، وقد ألف « هوبز » عدة مؤلفات هامة الا ان مؤلفه « اللفياثن » كان أهمها دون نزاع وهو يخصص هذا المؤلف لشرح نظريته السياسية . وهو من أوائل الكتاب الذين يؤمنون بالفلسفة الطبيعية ومن ثم بنى نظريته عن الانسان وعن الدولة على افتراضات طبيعية محضة فهو يقول فى مقدمة « اللفياثن » : « الطبيعة هى الفن الذى بوساطته خلق الله الارض وحكمها ، وقد قلدها الانسان بمهارته ليصنع حيوانا صناعيا وتمتد مهارة الانسان ليصنع شبيها للانسان نفسه أكمل وأرشد المخلوقات ، اذ أنشأ الانسان « اللفياثن » أى الملكية العامة أو الدولة ، فما الدولة الا انسان صناعى وان تفوقت على الانسان حجما وقوة ، فما ذلك الا لانها أنشئت لحمايته والدفاع عنه » .

وقد اعتمد « هوبز » على القوانين الطبيعية للدفاع عن الحكم المطلق لعائلة « ستيوارت » الذى كان يستند أصلا على نظرية « الحق الالهى » ، ولعل ذلك هو الذى جعل آل « ستيوارت » لا يرتاحون لدفاعه عنهم

نشأة الدولة :

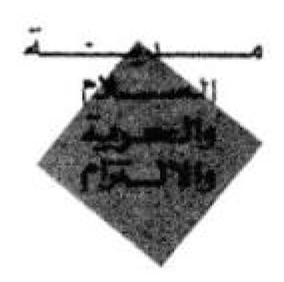
يبدأ « هوبز » تحليله عن نشأة الدولة بشرح مفهومى الخير والشر ، فيقرر ان المفهومين يرجعان الى الفرد ، فيقول أن الانسان لا ينجذب الى الشىء لانه خير ، بل العكس هو الصحيح ، أن الخير هو ما نطلقه على كل شىء ننجذب اليه ، والانسان بطبيعته انانى ، اذ هو ينجذب الى الشىء الذى يشتهيه ، فاذا ما تعارضت شهوات الافراد بعضهم مع البعض ، نشأت حالة الحرب بينهم ، وعليه فان الحرب هى الحالة الطبيعية التى يعيش فيها الافراد .

وهو يفسر ذلك بقوله ان قدرات الافراد الجسمانية والذهنية تكاد تتناسب ، حيث يصعب فى هذه الحالة أن يختص أحدهم بجميع المنافع بمفرده ، بل لابد أن يواجه مقاومة فعالة من الاخرين المتساوين معه .

وتنشأ عن المساواة فى القدرات ، مساوات فى أمل الحصول على الرغبات . وهذه المساواة فى الامل تجعل الرجال أعداء لبعضهم البعض خاصة عندما يشتهون شيئا لا يكفى لاشباعهم جميعا .

وقد وجد « هوبز » أن الانسان يتميز بثلاث صفات طبيعية تدفعه للصراع ، وهى ميله للمنافسه ورغبته فى الدفاع عن النفس ، وفى تحقيق المجد .

والصفة الاولى تدفع الانسان للغزو فى سبيل تحقيق الكسب .. والثانية لتحقيق الطمأنينة ، والثالثة لكسب



الشهرة ، والانسان يستعمل العنف لتحقيق الكسب الذى يجعل منه سيدا على الاخرين ، وعلى النساء والاولاد والحيوانات ثم هو يستعمل العنف لحماية هؤلاء جميعا ، وحماية نفسه من الاخرين واخيرا فهو يستعمل العنف ارضاء لنزوة المجد . فالعنف اذن هو طابع حياة العبادة الاولى ، فهى حالة حرب دائمة ، حرب كل رجل ضد كل رجل آخر .

فالمجتمع الطبيعى الذى يسبق المجتمع السياسى هو مجتمع وحشى لا توجد فيه سلطة عليا يخضع لها الجميع . ولا شيء يحد من رغبات الانسان واستعماله العنف لتحقيقها ، والانسان فى هذا المجتمع يعيش فى حالة خوف دائم ، ومعرض لموت عنيف فى أية لحظة ، وحياة الانسان فى هذا المجتمع حياة منفردة فقيرة ، ومقفرة ووحشية وقصيرة على حد تعبير « هوبز » .

وفى هذه الحرب ، حرب كل انسان ضد كل انسان آخر ، لا يوجد عدل أو ظلم ، أو خطأ أو صواب ولكن تسودها القوة الغاشمة والخداع فلا يمكن تحقيق العدالة الا عندما يعيش الانسان فى المجتمع السياسى اذ حيث تغيب السلطة العامة يغيب القانون ، وحيث لايوجد القانون تختفى العدالة ، ماذا يفعل الانسان حيال تلك الحالة ؟ وفى مواجهة أخطار المعيشة فى المجتمع البدائى ؟

ان الطبيعة حبت الانسان بصفتين وجهتاه للبحث عن مخرج ، وهما العاطفة والعقل ، فالعاطفة دفعت الانسان الى طلب السلام ليتجنب الحرب ، ويعيش مطمئنا ، أما العقل فقد هداه الى وضع شروط ملائمة للسلام حتى تتلاقى عليها ارادات الافراد جميعا ، وهذه الشروط اطلق عليها « هوبز » اسم « القوانين الطبيعية » ولكن يظهر أن مفهوم « هوبز » عن القوانين الطبيعية يختلف تماما عن المفهوم التقليدى للقانون الطبيعى ويظهر هذا الاختلاف واضحا عندما يفرق « هوبز » بين الحق الطبيعى والقانون الطبيعى ، اذ يعرف الحق الطبيعى بأنه لا يعدو ان يكون حق البقاء أو حق المحافظة على الحياة ، ولا يحمل هذا الحق الطبيعى أى مضمون اخلاقى لدى « هوبز » اذ هو لا يعدو أن يكون مجرد وصف لحالة الانسان فى حياة البداوة الاولى أو بتعبير آخر هو مجرد وصف لما كانت عليه حياة الانسان ، ذلك لما يجب أن تكون عليه .

و « هوبز » لا يعتبر القانون الطبيعى قانونا اخلاقيا ، بل هو قانون الحكمة ، اذ يقول « قانون الطبيعة هو قاعدة عامة استنبطها العقل البشرى » لتمنع الانسان من القيام بالاعمال التى تقضى على حياته أو تقضى على الوسائل التى تحافظ عليها » .

وقد وجد « هوبز » ثلاثة قوانين طبيعية أساسية :

١ ـ أن كل انسان يسعى لتحقيق السلام كلما وجد الى ذلك سبيلا ، أما فى حالة عجزه عن ذلك فهو يلجأ للحرب مستعينا بجميع المساعدات والامتيازات التى يمكنه الحصول عليها .

٢ ـ ان الانسان مستعد للتنازل عن حقه فى امتلاك جميع الاشياء التى يرغبها اذا أبدى الآخرون نفس

الاستعداد ، ويقنع بهذا القدر المحدود من الحرية في مواجهة الاخرين ، طالما لا يسمح للاخرين الا بهذا القدر ·

٣ ـ ان الرجال يتقيدون بتعهداتهم التي التزموا بها ·

وقد علق الاستاذ « سابين » على مفهوم « هوبز » لقوانين الطبيعة بقوله « لقد أصر هوبز على تفسير تلك القوانين لتلائم مبادئه ، فيما ظل محتفظا بحقه في بعض الاحيان باستعمالها في معناها التقليدي المصطلح عليه ، وفي الواقع فان هوبز استعملها لتعني شيئا مختلفا تماما ، اذ هي تعني بالنسبة له مجموعة من القواعد التي يهتدى بها الانسان الراشد لتحقيق مصالحه ، وفقا للظروف التي يعيش فيها ·· فطالما أن « هوبز » يؤمن بقدرة الانسان البدائي مع هذا التصرف الراشد ، فالانسان قادر على انشاء المجتمع السياسي بقيادة حكومة مستقرة ·

فالمنفعة اذن وليست العدالة هي أساس نظرية « هوبز » اذ لم تنحصر المشكلة فيما يجدر أن يقوم به الانسان ·· بل في عمل الاشياء التي تحقق اكبر قدر ممكن من المنفعة له وهذا

شارل الثاني درس له توماس هوبز اثناء نفيه بفرنسا



تسلسل منطقي لنظرية « هوبز » فالانسان البدائي أو انسان عصر البداوة الاولى ، في غياب القوانين العامة ، لا يعنيه شيء سوى المحافظة على الذات ، وحتى اذا ما سعى الانسان لتحقيق السلام ، فانه انما يفعل ذلك لا تحقيقا لقدر اكبر من العدالة ، انما لان استتباب السلام هو الوسيلة الوحيدة لتجنب مخاطر وفوضى المجتمع الطبيعي (مجتمع البداوة) الذي يهدد حياته على الدوام ·

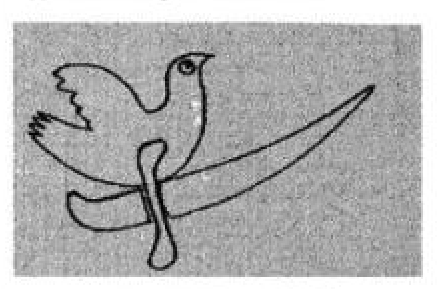
فليس الحب أو العدالة التي تدفعنا لطريق السلام ، انما الخوف من الموت والحكمة المتئدة هي التي تقودنا لهذا الطريق فالواجب في نظرية « هوبز » يتطابق مع المصلحة الذاتية، فالمشكلة الاخلاقية لا وجود لها في نظريته اذ هو ينفي أى تعارض بين ما يكون وبين ما يجب أن يكون ، فالانسان يسعى لتحقيق السلام ، لانه يدرك أن ذلك مصلحة خاصة له ، فليست القوانين الطبيعية بالنسبة لهوبز التزامات أخلاقية عرفتها الطبيعة أو الاله في الانسان بل هي مجموعة تصرفات الانسان الراشد الناجمة من خوفه من الموت ، وبالرغم من ذلك يدرك « هوبز » أنه ما لم يحافظ الناس على تعهداتهم ، سيظلون في حالة حرب دائمة ، الا أن هناك قانونا طبيعيا ، يعتبر ينبوعا للعدالة وهو القانون الذي يفرض احترام العهود ، وفي ذلك يقول « هوبز » :

« عندما يتم اتفاق ، فان خرقه يعد عملا ظالما ، وتعريف الظلم لا يكون سوى عدم التقيد بالعهود » ويبدو من ذلك أن « هوبز » قد حاد عن رأيه الاول ، اذ هو يوحي بوجود التزام أخلاقي يقترن باحترام العهود ، ومن الواضح أن الدافع لهذا الالتزام ليس المصلحة الذاتية كما كان يصر دائما، وواضح كذلك أن وجود الالتزام الاخلاقي يتعارض تماما مع نظريته

ومع معتقداته عن الطبيعة البشرية الا انه وجد نفسه ملزما باقتراض هذا المفهوم التقليدى للقانون الطبيعى ليبرر قيام المجتمع السياسى ، الا أن هذا التضارب لا ينقص ولا يضعف من نظريته عن الدولة .

نظرية الدولة

تنشأ الدولة فى رأى « هوبز » نتيجة عقد أو اتفاق يتعهد فيه كل شخص تجاه كل شخص آخر بالتنازل عن حقه لحكم نفسه لسيد معين أو لمجلس من الافراد ، وهو يشرح العقد بالصورة



التالية : « انا اتنازل عن حقى لحكم نفسى وأصرح لهذا الرجل ، بأن يحكمنى بشرط أن تتنازل انت كذلك عن حقك وتصرح له بنفس الشىء ...

وينتج عن اتمام العقد اتحاد جميع الافراد فى شخص واحد يطلق عليه اسم « الملكية العامة » (١) .

فالدولة فى مفهومه هى شخص واحد أعطاه الجميع حقوقهم فى حكم أنفسهم حتى يتسنى اقرار السلام والدفاع عنهم وهذا الشخص أو مجلس الافراد أطلق عليه « هوبز » اسم الحاكم

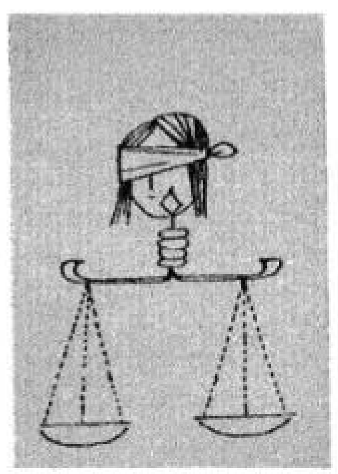
ونلاحظ هنا أن الحاكم لم يكن طرفا فى العقد وعلى ذلك فان لاحد لسلطانه .. اذ هو لم يتقيد بأية شروط مسبقة ولم يلتزم بأية حدود ، وبمجرد أن يتم تحويل حقوقهم لحكم انفسهم الى الحاكم ، فانهم يصبحون رعايا ، ويفقدون القدرة على ابرام أية عقود أخرى فيما بينهم لاى سبب كان الا بعد الحصول على موافقته . لقد أصبحت سلطة الحاكم مطلقة وبلا حدود ولا يستطيع أى من رعاياه أن يحرر نفسه من التبعية له متعللا بخرق الحاكم لشروط الاتفاق ، حيث أن الحاكم كما رأينا لم يكن طرفا فى العقد ومن ثم لم يتقيد بأية شروط ، فاذا ما حاول أحد الانسحاب من الاتفاق ، فانه ينتقل فورا الى حالة الحرب التى تميز مجتمع البداوة الاولى ، وعندئذ يحل لاى مواطن اعدامه فورا دون ارتكاب ظلم ، اذ لا ظلم ولا عدل فى مجتمع البداوة الاول كما بين « هوبز » ، كما لا يجوز لاى مواطن اتهام الحاكم بالظلم ، اذ أن العدالة فى المجتمع السياسى ما هى الا ارادة الحاكم ، فالاستبداد لا وجود له فى المجتمع السياسى ، انما هو لفظ يطلقه الناس على الملك فى حالة عدم رضائهم عنه ، تماما مثلما يكونون غير راضين عن نظام الحكم الارستقراطى فانهم يسمونه اوليجاركيا (٢) وكذلك الامر بالنسبة لنظام الحكم الديمقراطى ، فيطلقون عليه اسم النظام الفوضوى.

ويرى « هوبز » انه لا يمكن اقرار أية حريات فى الدولتين سوى حرية واحدة لا تتعارض مع السلطة المطلقة للحاكم ، وهذه هى الحرية التى يحتفظ بها الفرد منذ عهد البداوة الاولى أى حرية الدفاع عن الذات وعدم الحاق الضرر بالنفس ، فليس من سلطة الحاكم أن يأمر الفرد بقتل نفسه ؛ ولكن هذه الحرية أو هذا الحق يبدو لا معنى له اذ هو لا يعدو

---

(١) يقصد بها « هوبز » Commonwealth أى الدولة

(٢) الاصطلاح باللغة الانجليزية ليس له مرادف باللغة العربية .



كونه أمرا طبيعيا .

أما بخصوص الحريات الاخرى فان «هوبز» يترك أمرها للحاكم وقوانينه، فاذا غفلت القوانين عن حق ما فمعنى ذلك انه مباح فما سكت عنه الحاكم اباحه

ولا يفرق « هوبز » بين الدولة والمجتمع أو بين الدولة والحكومة أو بين القانون والاخلاق . ففى الحاكم تكمن جميع السلطات والقوى ، وهو يطلق على الحاكم اسم «الاله الفانى»، فهو المشرع الاعلى ولا يخضع للقانون حيث أنه منشئه وواضعه . فالقانون ليس اتفاقا ، بل هو أمر يصدر من سيد أعلى على من دونه مرتبة ، ولان القوانين الطبيعية ليست قوانين بالمعنى المفهوم ، اذ لا تعدو كونهما صفات تدفع الانسان نحو اقرار السلام والطاعة ، فلا يمكن تصور أى تضارب كان بين القوانين الوضعية والقوانين الطبيعية ، واستنادا الى هذا التفسير لا يمكن أن نتصور أية حدود لسلطة الحاكم وبذلك يختفى الفرق بين مفهوم الطاغية ومفهوم الحاكم لدى « هوبز » .

فالناس يطلقون على الحاكم اسم الطاغية اذا كانوا غير راضين عنه ولا يجب أن يترك للأفراد حرية الغضب من الحاكم لأن معنى ذلك اباحة الغضب على السلطة واباحة الغضب على الدولة ، ومن ثم انهيارها وتفككها والرجوع الى مجتمع البداوة الاولى

والافراد فى رأى « هوبز » ليس لهم الا اختيار أحد أمرين : الحكم المطلق، أو الفوضى الكاملة ، لان المجتمع لا يعيش الا اذا وكل سلطة الحكم لشخص أو لعدة اشخاص ولا يمكن نزع السلطة منه ، وهو لا يملك التنازل عنها ، فاما أن يعترف للحاكم بسلطة كاملة فتنشأ الدولة وتستمر ، واما لا يعترف بهذه السلطة فتزول الدولة وتعم الفوضى .

« وهوبز » يؤمن بالقوة ويرى أنها الوسيلة الوحيدة لاقرار السلام فى المجتمع السياسى لانها كانت الوسيلة الوحيدة لاشباع الغايات فى المجتمع البدائى ، اذ أن الانسان الاول كان انسانا غير اجتماعى ولا يعرف غير استعمال القوة لتحقيق رغباته ، وعلى ذلك فهو لن يحترم حقوق الاخرين فى المجتمع السياسى الا اذا ضمن أنهم يحترمون حقوقه ولن يحترم الاخرون هذه الحقوق الا اذا وجدت حكومة قوية تكفل هذا الاحترام .

وفى هذا يقول : « ان العهود بدون السيف ليست الا كلمات لا قدرة لها قط على المحافظة على حياة الانسان، والكلمات أضعف من أن تستطيع ردع طموح الافراد أو طمعهم أو غضبهم ، أو انفعالاتهم الاخرى الا اذا اقترنت بقوة تؤيدها ، أو سلطة تبث الخوف فى نفوسهم »

ولذلك أطلق « هوبز » اسم «لفياثان» (وحش هائل) على مدينته الفاضلة .

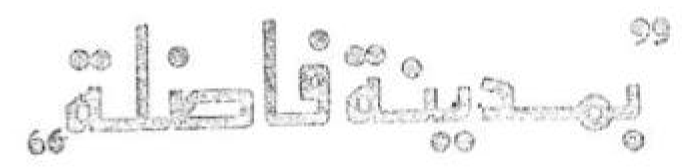
و « هوبز » لا ينظر الى صالح المجتمع جملة ، بل الى صالح افراده ، والمجتمع فى نظره تكوين غير طبيعى أوجده الافراد لانهم وجدوا فيه نفعا أكبر من نفع حالة البداوة الاولى.

هذه الفلسفة الفردية هى التى جعلت « هوبز » من أئمة الفلاسفة فى عهده ..

محمد عبد الغني حسن

لعلنا نكلف النفس محالا اذا التمسنا عند الشاعر المسلم محمد اقبال كتابا قائما بذاته يبحث فيه عن « المدينة الفاضلة » ، كما بحث من قبله جماعة من الشعراء والحكماء والكتاب ورجال الدين ، من امثال افلاطون ، والقديس اوغسطين، وكامبانلا ، وفرنسيس بيكون ، والسير توماس مور ، والفارابي ، وويلز وغيرهم مما نعلم وممن لا نعلم ... فان كتب الشاعر محمد اقبال وكواوين شعره ورسائله ، وخطبه تكاد تكون معروفة محددة بما ترجم منها الى العربية واشتملت عليه المكتبة العربية وعدته من مكاسبها وبما سجله الذين ترجموا لحياة الشاعر محمد اقبال ودونوه من آثاره التي تركها بالفارسية او الاوردية او الانجليزية .

إقبـــال .. يحـــلم



لم يترك لنا الشاعر محمد اقبال كتابا مستقلا قائما بذاته فى « المدينة الفاضلة » كما صنع بعض المفكرين من الغرب ، وكما صنع الفيلسوف المسلم الفارابى فى كتابه «أهل المدينة الفاضلة» .. ولكن فكرة المجتمع المثالى الكامل ، وفكرة الانسان الكامل قد كانتا موضع التفكير دائما من الشاعر محمد اقبال فى دواوينه العشرة التى ترجم منها الى العربية اثنان : « ضرب الكليم » ، و « بيام مشرق (١) » بقلم المغفور له الدكتور عبد الوهاب عزام ، الذى أحب الشاعر « اقبال » ، وقرأ دواوينه ، والقى كلمة فى التعريف به فى منتدى من منتديات القاهرة حيث كان الشاعر الفيلسوف مارا بالقاهرة فى طريقه الى المؤتمر الاسلامى بالقدس أزال الله محنتها ، وفرج كربتها .

ويتصور شاعرنا القوى المسلم « مدينته الفاضلة » مدينة مملوءة بالمحبة ، بل مملوءة « بالعشق » الذى هو مرحلة زائدة من مراحل الحب والعشق هنا ليس العشق بمعناه الجنسى المعروف المتداول ، ولكنه « عشق الامل » ، « وعشق المثل الاعلى » . وهذا العشق يبرز « الذاتية » التى يجب أن تظهر فى الانسان بوضوح ، وهو فى الوقت نفسه يعينها على ابراز القوى الكامنة فيها ، وما لم يظهر هذا العشق فان القوى الكامنة فى النفس تظل مطمورة مقبورة .

واذا كان «العشق» وسيلة الى تحقيق الامل ، فان العقبات مهما كانت لا تقوى أن تقف فى طريق صاحبه . وبهذه القوة يستطيع الانسان أن يسخر كل قوة فى العالم فتعنو له الرياح ، وتنقاد له الطبيعة . ويقول اقبال فى هذا :

زائد بالحب فى الذات رواء
وحياة ، واشتعال ، وبقاء

مشعل بالحب منها الجوهر
يتجلى من قواها المضمر

لا يهاب العشق فى السيف المضاء
ليس من ماء ، وترب ، وهواء

هو فى العالم حرب وسلام
وهو ماء لحياة وحسام

ويرفع الشاعر محمد اقبال الحب الى مرتبة التقديس ، لانه القوة التى تقهر ولا تقهر ، ويصم المسلم الذى لا حب عنده بالكفر حيث يقول :

انما المسلم بالحب قهر
مسلم لا حب فيه قد كفر

---

(١) بيام مشرق ، اى رسالة المشرق، وقد طبعت فى باكستان طبعة جميلة .



إقبال يحلم

والعشق في رأى اقبال هو الذى يجعل العقل نورا يضيء ، لا نارا تحرق، فيقول في ديوانه (بيام مشرق) :

العشق يحرق عالما
في جلوة منه تغير
لكنه بالعشق يعمر
كيف في الدنيا يثير

والعشق يساعد على «تربية الذات»، وتربية الذات هدف من أهداف الفلسفة عند اقبال . ولقد جعل شاعرنا «الذات» مركز حياة الانسان الفاضل في المدينة الفاضلة . وتربية الذات الانسانية هي محاولة لتقريبها الى الذات الالهية . ومن هنا كان الحديث الشريف : (تخلقوا بأخلاق الله) . فكلما شابه الانسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فردا بغير مثيل . وكلما كان الانسان كاملا كان أقرب الى الله ..

واثبات الذات في رأى اقبال هو دليل القوة والغلبة والصراع في الحياة، كما أن « نفى الذات » هو دليل الضعف والمسكنة ؛ بل هو الحجة التى اتخذتها الامم المغلوبة لتخدع بها الغالبين عن أنفسهم .

والقوة في رأى اقبال لا تأتي من الخارج ، ولكنها تأتي من الذات نفسها، ومن داخل النفس . وما نفع الحديد والسلاح اذا كان صاحبهما جبانا ضعيف النفس ؟ خوار العزم ؟

وقد الحت هذه الفكرة على شاعرنا في غير موضع من أشعاره ، ويظهر أنه أسعفته بالرد على « موسوليني » - وقد كان كل شيء في ايطاليا - حين تلاقيا مرة ، فقال الزعيم موسوليني لاقبال : من ملك الحديد ملك كل شيء ، فأجابه اقبال على الفور : من كان هو في ذاته حديدا فهو كل شيء .. وضمن هذا المعنى البيت الاول من مقطوعة له بعنوان « أسرار ظاهرة » حيث يقول :

ما بهم حاجة الى السيف قوم
من حديد يصاغ فيهم شباب

واذا كان « عشق الامل » هو أهم خصائص المدينة الفاضلة عند الشاعر اقبال فان الامل نفسه في شعر اقبال هو الحياة ، على أن يكون ذلك الامل مقرونا بالعمل ، والا كان مجرد أمنيات، وتعلات . ويقول من مقطوعة له في كتاب « أسرار خودى » عن الحياة :

انما يبقى الحياة المقصد
جرس في ركبها ما تقصد

أصلها في أمل مستتر
سرها في السعي منها يضمر

أحى في قلبك هذا الاملا
أو يحل طينك تربا مهملا

بل يذهب أكثر من هذا ، فيرى أن العقل هو في أصل نشأته من الامل ، حيث يقول :

رأس مال في الحياة الامل
وكذاك العقل منه ينسل

و « المدينة الفاضلة » عند اقبــال تتأبى على النظرة القومية أو الوطنية ، وتتسع للنظرة الانسانية الشاملة · وقد فطن الى هذا المعنى عند اقبال ، الزعيم المسلم مولانا محمد على الذى قال معلقا على ديوان (أسرار خــودى) عقب نشره :

(ان الحياة فى نظر اقبال صحراء جرداء · وادراك أمره ذاته هو ادراك مقاصد الحياة ··· لقد بين اقبــال رسالة الاسلام وسننه الاخلاقية ، وانحى على نظرية القومية والوطنية عنــد الغربيين ، التى تحد تعاون الناس ، وترمى الامم فى الفرقة والاختلاف) ·

ولا بد أن تتــوافر فى أهل المدينة الفاضــلة ، أى فى كل فرد منها بلا استثناء ، حالة « الصحو » التى هى من مميزات الاسلام ، والتى تعد موافقة تمام الموافقة لقوانين الحياة · ويغمز الشاعر اقبال بهذا حالة « السكر » – فى اصطلاح الصوفية – التى تجافى روح الاسلام ، وتتنافى قوانين الحيــاة · ويعارض اقبال بما يملك من قوة حركة التصوف الذى أخــذه المسلمون عن الفرس ، والذى استعار له بعض المظاهر النسكية من رهبانية أمم أخرى · ولقد كان اقبال صوفيا فى أول أمره ، وورث التصوف عن أبيه التقى الناســك : محمد نور ، وعن أمه التقية الصالحة ، التى كانت – وهى فى عصمة زوجها – تأبى أن تدخل فمها لقمة من مال غير حلال ··

ومال اقبال مع فلاسفة أوربا المحدثين الى مذهب « وحدة الوجود » ، وهو أثر من آثار المتصوفة ، ولكنــه عدل عن مذهبه وأفكاره القديمة ، وترك طريقة آبائه ، ومال الى « التوحيد » لا الى « وحدة الوجود » ·· ويرى اقبال أن

شعر التصوف الاسلامى – سواء أكان عربيا أم أعجميا – هو شعر ظهر فى أزمان الضعف السياسى عند المسلمين وخاصة بعد غارات التتار وحمــلاتهم القاسية ، وقد تغيرت نظرة المسلمين الى الحياة على أثر ما نكبوا به من أسباب الضعف ، فوجدوا فى التصوف والركون الى الانصراف عن الدنيا والاعراض عنها تعويضا عما منوا به من هزائم ···

ومن هنا لا يسمح اقبال فى « مدينته الفاضلة » بتصوف ولا متصوفة على الاطلاق، لان المدينة التى تنشد القوة لابد أن تعمل وتعمل ، ولا تسمح للتــواكل الصوفى فيها بالظهور من جديد ·

وانكار الشاعر اقبال لعالم الخيــال وعالم المثل غير الواقعة ولا المتحققة فى


فرنسيس بيكون وكتابات
عن المدينــة الفاضــلة



المدينة الفاضلة التى يتمثلها ، هو انكار واضح، ومخالفة صريحة لنظرية «المثل» وعالم الخيـــال عند أفلاطون فى « جمهوريته » أو مدينته الفاضلة ٠

فمذهب أفلاطون فى جمهوريته يساعد الناس على الهروب من الحياة والفرار من الواقع ، والالتجاء الى عالم الخيال ٠٠٠ ولكن مذهب الشاعر اقبال يرى أن

عالم المادة ، ودنيا الحس والواقع كائن لا ريب فيه ، وعلى الانسان الذى يريد أن يحيا حياة صالحة أن يقهر هــذا العالم المادى ، ويذلله ، ويسخره لنيل مآربه ٠

ويلح الشاعر محمد اقبال على هذا المعنى فى فلسفته الجديدة ، فيفر من الغيبيات الى عالم الواقع ، ويحاول أن يحمل الناس فى عاله على العمل والجهاد والحركة فى سبيل الحياة الافضل ، فان

حياة التواكل والتقاعد لا جدوى منها ولا فضيلة فيها ٠ ويحكى لنا فى سبيل ذلك حكاية ذلك الناسك الهندى الذى شكا الى شيخ مسلم انه أطال التفكير فى آفاق الارض وأقطار السماء ، ولم يخرج من تفكيره الدائم المرهق هــذا بنتيجة يطمأن اليها ، فنصحه الشيخ بأن يترك السماء وينزل الى الارض مفكراً فى نفسه وعيشه ٠٠

وليس معنى ترك السماء والنزول الى الارض عند الشاعر محمد اقبال انه يريد أن يصرف أهل « مدينته الفاضلة » عن الدين ، وأن يبعدهم عن التدين ٠ فانه حريص دائما على أن يكـــون الدين

بجانب العلم ليهذبه ويحد من سلطانه ٠٠ فأن العلم وحده عاجز ، ومفض الى الضلال الى أن يتصل به القلب ، ويهديه الايمان ، ويصاحبه « العشق » الذى ذكرناه فى أول المقال

والدين فى هذه المدينة الفاضلة ليس طقوسا تقام ، وحركات تؤدى ، ومناسك تمارس دون فهم للحياة ولقيمة العمل

والكفاح فيها ، ودون حرية مكفولة : حرية فى القول وحرية فى العمل ، ولقد لفت نظر الشاعر اقبال يوما أن



إقبال
يحلم

وفدا اسلاميا من أعضاء « الهـــلال الاحمر » التركى جـــاء الى مدينة « لاهـــور » زائرا ، وكان من نصيب اقبال أن يصحبهم فى صلاة بالمسجد الجامع بالمدينة • وقد أطال امام المسجد فى القيام والركوع والسجود اطالة غير مألوفة ، فسأل أحد رجـــال الوفد مستغربا : لماذا يطيل امامكم هـــذه الاطالة ؟ فكان جواب الشاعر اقبـــال أبياتا يقول فيها :

قال بعد الصلاة حلف جهـــاد :
كم يطيل الصلاة فيكم امـــام

ما درى ذاكم المجاهد الغـــر
صلاة العبيد كيف تقـــام

كم لدى الحر فى الحياة كفـــاح
غيرة الحر للشعوب قـــوام

حرم العبد حرقة الكد عجـــزا
فعلى وقته المضى حـــرام

لا تعجب اذا اطال سـجودا
ما لديه سوى السجود مـــرام

رب وفق ائمة الهند يومـــا
لسجود تحيا به الاقـــوام !

وهذا التدين الواعى غير المتنطع ولا المتزمت شرط أساسى لحياة فاضلة فى « مدينة فاضلة » • ولا بد من الدين ليكون عصمة لسلوك جيد مستقيم • أما « اللادين » فهو نزغة من نزغات الضمير الميت ، وافتراءة من افتراءات الشيطان .

وما أصدق شاعرنا الحكيم وهـــو يقول فى ديوانه (اسرار خودى) :

خير الحـــرب اذا رمت الاله
شر الحرب اذا رمت ســـواه
فاذا لم يعل حقا ســـيفنا
اكتسى بالحرب عارا جنـــدنا

والمجتمع فى مدينة اقبال الفاضلة يجب أن تحدد فيه العلاقة بين الفـرد وبين الجماعة ، والفرد مرآة الجماعة ، والجماعة مرآة الفرد • وهمـــا فى الترابط واللزوم كالجواهر والسلك ، وكالنجوم والمجرة ، لا يقوم واحد من الشيئين بدون صاحبه • فالجمـــاعة تنتظم بالافراد ، والفـــرد يقوم فى الجماعة •

والفرد قد يغفل عن المقاصد ، وقد يضل بانتشار قوته ، ولكن الجمـــاعة حينئذ تعلمه ضبط النفس ، وتقييـــده بالقانون • وهو تقييـــد لا يرمى الى العبودية مطلقا ، ولكنه يهـــدف الى التحرير •

ولابد أن يكون التحـــرير دائما ، والتخلص دائما هما هدف المواطنين فى هذه المدينة الفاضلة : التحرير التحرير من عبودية القوة والطغيان ، والتخلص من رق الشهوات والتملك والطمع • وقد بالغ اقبـــال فى ديوانه (ضرب الكليم) فى هذا « التخلص » وسماه فقرا ، وأشـــاد به فى مواطن كثيرة • وليس يعنى بهذا الفقر الحرمان الذى تتعطل معه الحياة ، والذى يتعطل به المبدأ الذى ينادى به شـاعرنا دائما من تذليل الحياة وتسخيرها لمصـــالح الانسان •

الحر يتصرف بحرية

ومدينة اقبال الفاضلة ليست بحاجة الى ساعات كبيرة تنصب فى الميادين وتقام على مفارق الطرق ليعلم بهـــا مرور الوقت ، وتتابع الزمن ، كمـــا نفعل اليوم فى مدنتـــا الحاضرة • فالحاجة الى الســاعات هو نوع من العبودية ••• وما الفـــرق بين الحر والعبد الا أن الحر يحتوى على الزمن ،



أما العبد فان الزمن يحتوى عليه ... أن الحر وعاء أو ظرف كبير يشتمل على الزمن ويطويه فى مطاويه · أما العبد فانه تائه فى فراغ الزمن ، يحتويه ويطويه ·

الحر يتصرف بحرية وانطلاق لا يحد عمله يوم أو غد ، أو نهار أو ليل ، ولايعتل بحكم الزمان ، لان الزمان ملك يده ، وطوع ارادته ... أما العبد فله اسباب وتعلات من حدود الزمان ، واحكام الوقت · ونستمع الى شاعرنا محمد اقبال وهو يقول فى هذا الصدد من ديوانه (أسرار خودى) :

نسج العبد عليه كفنا
من صباح ومساء مذعنا
وترى الحر على الترب علا
ناسجا همته فوق الملا
فطرة العبد حصول الحاصل
ليس فى افكاره من طائل
فى مقام من هموم راكد
نوحه ليلا وصبحا واحد
ومن الحر جديد الخلقة
كل حين ، و جديد النغمة
قيد العبد صباح ومساء
وثوى فى قبضة لغلا القضاء
وارى الحر مشيرا للقدر
سورت كفاه احداث الدهر

ولم يجيء الوهم الى الانسان فى مفهوم الزمن والوقت الا انه تصور الوقت خطا ممدودا ، وقاسه بالليل والنهار ، فوقع فى شباك الوقت ، وسقط فى خيوط الحدود والقيود · والحق أن الوقت هو الحياة ، هو الامل والعمل ، والسير والدأب ·

شاعر القوة فى الاسلام

ولا تحسبن أن الشاعر محمد اقبال يريد لمدينته الفاضلة او يتوقع لها أن تكون مدينة رخية خالية من الهموم والالام · فذلك مطلب يكاد يقع فى حدود المحال · لان الحياة لابد أن تكون متبلة بالشدائد والمحن التى تقوى « الذاتية » · ونحن نعلم حرص اقبال دائما على تربية الذات ، وما ديوانه (أسرار خودى) الا محاولة شعرية فلسفية لتربية الذات · ولابد من تلازم اللذة والالم فى الحياة لانهما يكمل بعضهما بعضا · ولو كانت الجنة لذة كاملة · لنقص من لذتها فقد الهم والالم فيها · وليس من الحكمة أن يطيل المرء النواح اذا أصابته شوكة ، أو دميت أصبعه أو ناله هم ، أو أصابه جرح ، بل الحكمة أن يمرن نفسه على أصابة الشوك · والحكمة الاعلى أن يحيل جرحه الى بلسم ، فيفوز بنعمة الرضا ·

ويعبر اقبال عن هذا المعنى بقوله فى ديوانه (بيام مشرق) الذى نظمه ردا على الديوان الغربى للفيلسوف جوته الألمانى الذى قال فى مقدمته : (هذه باقة من القصائد يرسلها المغرب الى المشرق ، ويتبين من هذا الديوان أن المغرب ضاق بروحانيته

الضعيفة الباردة ، فتطلع الى الاقتباس من صدر الشرق ..) !

طار من عشه يسير بروض
فاصابته شوكة من زهور
لعن الروض والزمان ، ونادى
بثبور لنفسه والطيور
ورأى وسعة الشقائق جورا
وطلسم (١) البرعوم خدع خبير
قال : ذى الدار شيدت باعوجاج
كل صبح بها الى ديجور
ناح حتى تقاطرت نغمات
من دماء بدمع عين غزير
وشجا الهدهد النواح ... فوافى
ينزع الشوك من جناح الكسير
قال : اخرج من كل خسرك ربحا
مزق الورد صدره للعبير
واجعل الجرح بلسما فسترضى
والف الشوك تغد كلك روضا .

وفرق فى هذه المدينة الفاضلة بين رضا النفس وبين رضا الخضوع والاستسلام ، فالرضا هو حالة نفسية تشيع فى الانسان الطمانينة وراحة البال . والخضوع وهو حالة مرضية تحمل النفس على قبول الذلة والهوان ويريد اقبال لشعراء مدينته الفاضلة أن يكونوا اقوياء صلاب المكاسر ، ولا يريدهم أن يكونوا شعراء الرخاوة والذلة . ولا بد للشعر أن يكون فى حدة السيف ، ملائما مع طبيعة النضال فى الحياة ، مهما كانت صورته .

ويحذرنا اقبال من (الحان العجم) التى تدعو الى الرقة والترف . وينادى باحثا عن ذلك الشاعر القوى ، فيقول فى ديوانه (ضرب الكليم) :

فى غاية الشرق ناى يبتغى نفسا
يا شاعر الشرق هل فى صدرك النفس ؟
من كان فى ذاته من رقة خور
فقل له من لحون العجم يحترس
اناؤها من زجاج كان او خزف
اجعل بخمرك سيفا لمعه قبس
لم تبصر الشمس من دنيا يخال بها
مجد بغير الجلاد المر يلتمس

رحم الله شاعرنا العظيم محمد اقبال لقد رسم خطوطا واضحة لمدينة فاضلة تجللها السعادة ، وتشدها القوة . فكان بحق شاعر القوة فى الاسلام ، وكان كما قلنا فى ذكراه التاسعة والعشرين ينادى خريجى الجامعة سنة ١٩٦٦ :

ايها المسلم القوى النضال
ايها المسلم الرفيع المثال
يا اخا الفضل ! يا ابا الاقبال
لك منا تحية الاسلام

***

لك صوفية القوى العامل
هل رأيت الحياة يوما لغافل
او لدرويش قومه المتواكل
لم تسخر حياتنا للنيام

***

انما العيش قوة واراده
لم يمكن رب العباد عباده
من حياة مملوءة بالبلاده
لذة العيش فى التحام الزحام

---

(١) الطلسم ، بكسر الطاء المشددة ، و تخفيف اللام - وقد تشدد - شىء يتخذ لجلب نفع ، أو دفع ضر .

● د. حامد ربيع ●



كامبانيلا .. ومدينة الشمس

عاصر القرن السادس عشر ميلاد أكثر من محاولة يسعى من خلالها واضعها لان يعود بنا الى تقاليد افلاطون ومؤلفه « الجمهورية » .

المحاولة الاولى تنسب الى توماس مور بعنوان « يتوبيا » والثانية للمفكر الايطالى كامبانيلا وتحمل عنوان « مدينة الشمس » .

أول ما يخطر ببالنـــا ونحن بصدد تحليل الدلالة الحقيقية التى نستطيع أن نتلمسها من ثنايا مؤلف « كامبانيلا » أن نتساءل : لماذا بالذات القرن السادس عشر هو الذى عاصر وشهد هاتين المحاولتين فى العودة الى الاصول البعيدة للفكر اليونانى وبالذات لمؤلف افلاطون عن الجمهورية ؟ ..

ان القرن السادس عشر هو بداية عصر النهضة ، وهذا يعنى حقـــائق اربع لابد أن تتعانق كل منهـــا مع الاخرى لتقدم لهذه الفترة مذاقهـــا الخاص بها وتحدد أهميتها فى تاريخ التحليل السياسى :

اولا ـ العودة الى الروح القـديمة الكلاسيكية ·

بمعنى تخطى تراث العصـــــور الوسطى وما يرتبط به من تقـاليد كاثوليكية والعمل على الربط المباشر بالفكر السياسى فى تفاعلاته الحقيقية المستقلة عن العامل الدينى والمتابعة للحقيقة المنزلة ·

ثانيا ـ عملية التجديد فى التقاليد الدينية ·

ويتجلى ذلك بشـــكل واضح لدى أولئك الذين يرون فى التراث الكنسى



جاليليو والرغبة فى تقصى الحقيقة فى المنطق المجرد

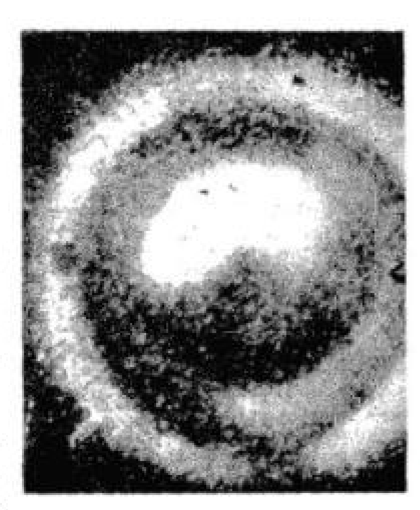
استمرارية للحضـــــارة اليونانية الرومانية · فحتى رغم التسليم بفكرة الاستمرارية فان مدلول حضارة عصر النهضة يصير لديهم مرادفا لعمليـة تجـديد كامل فى التقاليد والمفاهيم الدينية · يبرز هذا واضحا ليس فقط لدى البروتســــتانت بل وكذلك فى المدرسة التقليدية الكاثوليكية ·

ثالثا ـ سطوة الرغبة فى البحث والاكتشاف ·

ان هذا القرن هو قرن جاليليـــو الذى يعكس حقيقة عامة تبعد عن ان

تتحدد بأنها مجرد اسم يفرض وجوده خلال هذه الفترة : انها الرغبة فى تقصى الحقيقة فى المنطق المجرد والثبات على فكرة أن الانسان بعقله وحده يستطيع أن يصل الى اكتشاف الحقيقة دون أية مساندة اخرى خارج منطقه الذاتى ٠

رابعا ـ حب الحرية ٠٠ الحرية ليست كمفهوم مجرد أو كفكرة فلسفية وانما كتنظيم للعلاقة بين المواطن والحاكم ٠ الحرية تصير وقد أضحت مسيطرة على أصل السلطة فضلا عن ممارستها ٠ وهكذا نسمع لاول مرة فى تاريخ الفكر الانسانى عما يسمى بحق مقاومة الطغيان : حق المواطن فى أن يواجه السلطة وحيدا باسم الحرية معلنا عن ارادته فى أن يغامر بوجوده طالما كانت هذه المغامرة تأكيدا لجوهر حقه فى الحياة ٠



هذه الخصائص العامة هى التى تفسر حقيقة أفكار كامبانيلا وهى التى تسمح لنا بفهم المدلول الذى أراد أن يعبر به عن مؤلفه « مدينة الشمس »

من هو كامبا نيلا ؟

هو ايطالى ولد فى كالابريا فى ٥ سبتمبر ١٥٦٨ ٠ وفى عام ١٥٨٢ انتسب الى النظام الدومينيكانى ٠ بدأ حياته كاتبا ومؤلفا ولكن سرعان ما اصطدم بمحاكمات انتهت بأكثر من عقوبة واحدة ، فى عام ١٥٩١ حكم عليه بالحبس فى نابولى بسبب مؤلف له مشهور عن الاثبات الفلسفى ، وبعد ذلك التاريخ تعاقبت المحاكمات على المفكر الايطالى ٠٠٠

فى عام ١٥٩٧ قدم للمحاكمة مرة أخرى بسبب أفكاره حول مثاليته الدينية وبسبب دفاعه عن فكرة الجمهورية التيوقراطية وما تضمنه ذلك من مهاجمة للكنيسة ٠٠٠

وحوكم مرة ثانية فى عام ١٥٩٩ حيث تظاهر بالجنون ، ورغم تعذيبه تعذيبا طويلا فقد ظل على موقفه حتى صدر الحكم عليه بالسجن المؤبد فى

عام ١٦٠٢ ، وظل فى السجن طوال ٢٧ عاما دون أن يتغير موقفه ودون أن يتساهل فى ارائه وأفكاره ، جاعلا من فلسفة الوحدة السياسية فى الجنس البشرى مبدأ مطلقا يفسر فلسفته فى الحركة ٠

وخلال وجوده فى السجن لم تنقطع كتاباته ومراسلاته مع العالم الخارجى ٠٠ وأخيرا فى عام ١٦٢٦ استطاعت الحكومة الاسبانية أن تحرره من السجن ، وفعلا انتقل الى روما حيث سمح له البابا أوروبانو الثامن بالاقامة ومزاولة نشاطه الفكرى من جديد ٠ فعاد يدافع عن فكرة الوحدة جاعلا من فرنسا محور تصوره للعالم السياسى الجديد ٠

وعندما اكتشفت بعض الحركات السرية وكان بعض أقطابها من حوارييه وتابعيه ، فان سفير فرنسا ساعد كامبانيلا على أن يغادر الاراضى الايطالية حيث قضى بقية حياته فى باريس تحت حماية ملك فرنسا لويس السادس عشر ٠ وقد توفى فى ٢١ مايو عام ١٦٣٩ وترك مجموعة ضخمة من المؤلفات الفلسفية والسياسية تصل الى حوالى ثلاثين كتابا ٠

كتب كامبانيلا مدينة الشمس عام ١٦٠٢ ولكنه أعاد تعديل بعض جزئياتها لينشرها فى صورتها النهائية باللغة اللاتينية فى عام ١٦١٣ ، وهى تدور حول مبادىء ثلاثة :

أولا — الفلسفة هى اداة التحديد للضمير الدينى للانسان ٠

ثانيا — الوجود السياسى يتمركز حول ثلاثية فلسفية : السلطة ، الحب والحكمة ٠

ثالثا — الدولة المثلية هى تلك المدينة التى يمكن أن توصف بأنها الجمهورية التيوقراطية حيث يسيطر مبدأ الشيوعية على جميع عناصر الوجود الاجتماعى ٠

وفهم مدينة الشمس المدينة المثالية كما تصورها كامبانيلا لا يمكن أن يتم الا فى اطار عام من التحليل الفلسفى لتصورات كامبانيلا حول الوجود السياسى ٠ والواقع أن كامبانيلا يمثل بداية العودة الى تقاليد الحضارة اليونانية ، وهو يذكرنا بأن الفكر السياسى فى مدارسه الكبرى ليس الا امتدادا للفلسفة وللتأملات الميتافيزيقية

وكامبانيلا يحدد مبدأ تحليله الميتافيزيقى بفكرة الضمير الذاتى ٠ وبغض النظر عن تحليل هذا المفهوم فالذى يعنينا هو أنه يحدد الصور الثلاث الاتية كمظاهر للتعبير عن ذلك الضمير الذاتى : القدرة ، المعرفة ، الحب ٠

حول هذه العناصر يتركز البناء الفكرى لفلسفة كامبانيلا ٠ وهو ابتداء

منها يحاول اقامة نموذجه المثالى مع ابراز الادوات التى تسمح بالوصول الى تحقيقه . واذا وقفنا قليلا ازاء ادوات التحقيق نجد انه تطور خلال مراحله المتعاقبة بين الملكية الاسبانية والامراء الايطاليين والنظام السياسى الفـــرنسى .. ولذلك فانه يتجه الى أسبانيا ، ورغم أنها هى التى أسهمت فى الافراج عنه فعندما يشعر بخيبة أمله نتيجة للفساد الذى يســـيطر على نظامها السياسى ، يغير اتجاهه نحو فرنسا ويعلن بأن تلك الملكية الفرنسية هى التى سوف تسمح بتحقيق الوحدة الدينية للمجتمع الانســــانى والتى كانت تمثل محــــور اهتماماته الفكرية .

... وحدة دينية من خلال الاصلاح الدينى : هذا هو الهدف الذى يسعى الى تحقيقه .. ورغم هجومه ومطالبته بخلق المدينة المثالية فهو يؤمن بأن الكاثوليكية هى الديانة الحقيقية ، هى « الديانة الطبيعية الوحيدة التى تتطابق مع المنطق والعقل ، والتى تستطيع لذلك أن تصير عامة وعالمية » . وهكذا لا يكون الاصلاح سوى اداة تسمح للكاثوليكية بأن تحقق وظيفتها الحقيقية وهى تجميع الجنس البشرى من خلال عودته الى الديانة الطبيعية .

مدينة الشمس ، تلك المدينة الجديدة .. سوف يحكمها الكاهن الاكبر ، الذى يضعه كامبــــانيلا بالشمس ، وسوف يســـاعده فى ادارته للمدينة أمراء ثلاثة ، أحدهم يمثل القـــدرة والسلطة ، وثانيهم يمثل المعـــرفة ، ثم ثالثهم يمثل الحب ...

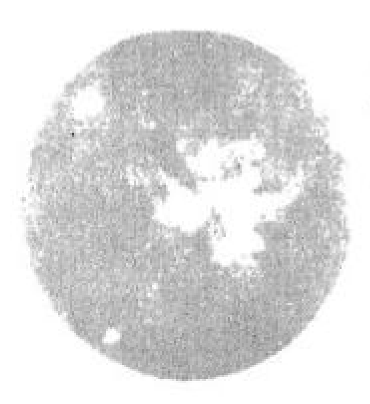
اما عن تنظيم الحياة فى داخـــل المدينة فيخضع لقواعد عديدة صريحة وقاطعة أساسها التنظيم المطلق لجميع العلاقات : فالملكية ملغـــاة ، وكذلك الاسرة لا وجود لها ، لانها هى التى تؤدى الى نظام الملكية . والشيوعية لا تقتصر على ملكية المال بل تتعـــداه الى النساء والاطفال ، ويعهـــد الى

لويس السادس عشر عاش
كمبانيلا تحت حمايته بباريس



مجموعة من القضاة الاشراف على جميع العلاقات بين الجنس البشرى بما فى ذلك أكثر الاحاسيس والمشاعر ذاتية ٠

وهو لذلك يرفض الاعتراف بحق العاطفة أو بفكرة التعلق ، ومن ثم يخضع العلاقات الجنسية الى تنظيم دقيق يشرف عليه النظام الحكومى ويتابعه فى جميع مراحله ٠ فالزواج لا يعدو أن يكون صورة من صور العلاقات الجنسية التى يخضعها كأى صورة أخرى من التبادل لقواعد مطلقة وصارمة ٠



ان كامبانيلا يسعى الى الرجل الجديد الذى يرتفع عن مستوى الضعف ليلقى بوجوده فى دلالات الطبيعة ليس بمعنى الانكباب على الملذات وانما بمعنى التجرد فى انطلاقات الوحدة المعنوية ٠

وقد حاول كامبانيلا ، فى الواقع بأسلوب أو بآخر ، أن يجمع بين مفاهيم افلاطون والتقاليد الكاثولكية ٠ فهو يؤمن بالديانة الطبيعية التى تجد تأسيسها فى المنطق البشرى ويصل اليها من خلال التجرد الفلسفى ، ولكنه يجعل من الديانة الكاثوليكية تلك الديانة الطبيعية ٠ وهو يسعى الى تحقيق الوحدة السياسية ولكن من خلال التجانس الدينى والوحدة العقائدية ٠ فالديانة العالمية وهى تلك الديانة المنطقية ليست الا مجموعة من المفاهيم التى استطاع الاله أن يبثها فى الذات البشرية ويتولى الانبياء الكشف عنها واعلانها ٠ والديانة الكاثوليكية هى وحدها التى تحقق الكمال وتتفق مع الطبيعة ٠ ومن ثم فمن الطبيعى أن يتجه كامبانيلا الى دعوة الشعوب للعودة الى أصولها ٠

وفى مؤلف له ، لاحق على مدينة الشمس بعنوان « من هنا نأتى » ، يعلن كامبانيلا ان عودة الشعوب الى الارض اى الى حقيقتها الطبيعية قد اضحت وشيكة الوقوع ، وانه قد ان للكاثوليكيين وغير الكاثوليكيين أن يفهموا حقيقة التطور ٠٠٠

● محمود العتريس ●

الهجرة ... والجرح

عندما يفتقد العدل ضياه ويلج البغى فى بحر دجاه
وتضيق الارض حتى لا يرى فى فضاها الرحب درب للنجاه
غلق القلب سراديب المنى وكوى الاحلام غطتها البزاه
فتنة لا تنتهى آفاقها ومدى فى الشر لا يدرى مداه
ويود المرء من حيرته لو طواه الموت فيما قد طواه
عندها يصرخ وجدان الورى فيلبى جحفل الحق نداه
فاذا بالنور مجلو الخطا والنجى خلف الدجى غابت خطاه
واذا الكون صباح مشرق تتملى اعين الخلق سناه

***

ياحداة الحب فى ركب التقى ياسقاة العدل فى روض الحياه
جاءكم من رحمة الرحمن ما تسجد الشمس على ارض علاه
والذى يبدا منه المرتقى صاعدا بالخير حتى منتهاه
تنهل الالباب من حكمته ويعل القلب من فيض هداه
انه الاسلام ، رب الناس قد شاءه للناس دينا وارتضاه
وهو الحق الذى جاء به وادع تعنو له اعتى الجباه
ورسول هو من انفسكم صادق الوعد رحيم بالتقاه
فاقتلوا البغى وثلوا عرشه واعبدوا الله فلا رب سواه

***

فى حديث الهجرة الكبرى هدى للذى ضل عن الدرب وتاه

قصة رجعها الدهر فما   سئم الدهر ولا كلت شفاه
ورؤى لو حفل العرب بها   لمضى ركبهمو فى مرتقاه
ولما كان الذى ادمى المدى   واشاع القهر فى حر الجباه
كانت الهجرة زحفا للعلا   وانطلاقا صوب آفاق البناه
خطة فيها من الوحى ومن   حكمة الانسان فى اوج نهاه
ودهاء الشر سهم خائب   عندما يدرؤه خير الدهاه

***

يا رسول الله طرفى خاشع   ولسانى عاجز فيما رواه
وبحلقى غصة لا تنثنى   وبقلبى الجمر لا يخبو لظاه
غير انى لست اشكو فانا   واحد من معشر القوم الجناه
هجروا تاريخهم واعتصموا   بحمى جنح الليالى كالشياه
وهمو ابناء من دانت لهم   فى شباب الدهر آساد الفلاه
وبنوا فى الارض ما لما يزل   يملأ الارض بذكرى من بناه
عندما كان الفدا رائدهم   والهدى والسيف والرأى الدعاه
عندما هاجرت من ام القرى   كى تعيد البيت حرا للصلاه
بكتاب هو نبراس الالى   آمنوا بالحق مرفوعا لواه
وبشورى من صحاب صدقوا   عهدهم فاستوجبوا نصر الاله
وبسيف كان لابد من   ان يريح الناس من سيف الطغاه
ثم تمضى فوق انقاض الردى   تبتنى التوحيد فى كل اتجاه
فلقد جئت بما فاق المنى   لشعوب الارض مذ كانت حياه

***

قد تضيق الارض حتى لا يرى   فى فضاها الرحب درب للنجاه
غير انا معشر لا نرتضى   ان نظل العمر محنيى الجباه
يصرخ الذئب على ابوابنا   وعلى آفاقنا تعوى البزاه
ولنا فى صاحب الهجرة ما   يعجز الطاغوت عن فصم عراه
ان تكن ياعيد منا خجلا   ولك الحق فعفوا للخطاه
قد سمعنا صوتك الحر ولن   ينقضى من سمعنا رجع صداه
« تشترى حرية الشعب بما   يبذل الشعب ويعطى من دماه»
عهدنا يا عيد عام قادم   سترانا فيه اهليك الاباه
وترى العدل طليقا ضوءه   وترى البغى اسيرا فى دجاه
وترى الارض كما كانت بنا   كعبة الحب ومحراب الصلاه

• الإسكندرية •   • محمود العتريس •

● د . محمد حلمي مراد ●



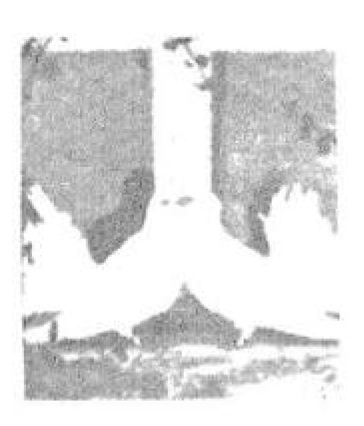
تسيطر على عالمنا المعاصر روح من الكراهية والحقد والعداء تتجلى « داخل الدول » فيما يقع من ثورات وانقلابات ، ومظاهرات واعتصامات ، واعتداءات وحوادث عنف ، وتتمخض « بين الدول » عن حروب باردة واخرى ساخنة ، وقطع للعلاقات الدبلوماسية ، ومقاطعات اقتصادية ومعارك اعلامية .

ولن يهدأ للبشرية بال ، ويستقر لها قرار الا اذا سادت العالم المحبة ، وشجبت الدول قاطبة كل أنواع العنف ، وحل التسامح محل التعصب ، والصفح محل الرغبة فى الايذاء .

ولكن من أين يحقق العالم هذه الصورة المنشودة مع استمرار الدول فى سباق التسلح ، ومواصلة الدول الكبرى منها فى تخزين الكميات الضخمة من الاسلحة الذرية وأدوات التخريب والقتل والدمار ؟ !

على أن العالم المثالى لا يتوفر بمجرد دفع الاخطار التى تهدد البشرية بل عليه ان يحقق لها فوق ذلك الهدف الذى يعمل من أجله كل كائن حى الا وهو أن يجد رزقه موفورا ومستقبله مأمونا .

ولن يتمكن العالم من التوصل الى تحقيق هذه الامنية الا بالتعاون على استثمار كافة الموارد والطاقات والامكانيات المبعثرة دون استغلال فى شتى انحاء المعمورة ، وبالقضاء على التخلف الذى تعانى منه الدول الفقيرة حتى يرتفع مستوى معيشة أهلها الى المستوى الذى يعيش فيه أقرانهم فى الدول المتقدمة



والسلام

وبدعم حقوق الانسان السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تكفل له الحرية والرخاء ، والأمن والكرامه.

ضرورة وقف الانفاق الجنوني على التسلح

ان ما تخلفه الحروب من ويلات، وما تسببه من دمار وخراب ، وما تزهقه من أرواح العديد من البشر ينبغي ان يكون حجة كافية للاقتناع بوجوب نزع السلاح حتى يرفرف على العالم السلام الذي ينعم في ظله بنو الانسان ويتفرغون

بجهودهم وأموالهم جميعا للتعمير والبناء وزيادة الانتاج وتحقيق الرخاء .

غير أن العالم – بدلا من أن يتجه الى نزع السلاح – نراه يقترف حماقة التسابق الجنوني على تطوير أسلحة التدمير والافناء حتى استطاع ان يصنع القنابل الذرية والهيدروجينية التي يظل أثرها باقيا يحدث الكثير من الاثار الضارة لعدد لاحصر له من السنوات ، وتتعدى نتائجها الوخيمة الاجيال الحاضرة الى المقبلة

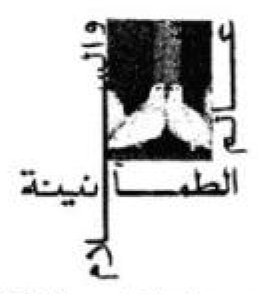
وقد أصبح العالم مهددا بخطر الفناء والدمار ليس نتيجة قرار يصدر من السلطات المسئولة في الدول التي تملك الاسلحة الذرية ، بل ان تعرض البشرية لاخطار حرب ذرية قد يحدث نتيجة خطأ يقع فيه أفراد القوات المعهود اليهم باستخدام تلك الاسلحة .

ويبلغ حجم الانفاق على صناعة أدوات الفتك بالبشرية وتقويض أركان الحضارة التي بناها الانسان بجهاده عبر العصور – حدا يثير السخط والاستنكار . فقد جاء في بيانات صادرة عن لجنة نزع السلاح بالامم المتحدة أن ما تنفقه الدول الصناعية على التسليح لا يقل على ١٢٠ بليون دولار ، وهو مبلغ ضخم يمكن أن يحقق الكثير من الرخاء والخير للعالم أجمع اذا وجه للنهوض باقتصاديات البلاد المتخلفة .

كما ورد في تقرير للجنة نزع السلاح ان تكاليف قاذفة قنابل واحدة من القاذفات المتطورة كاملة المعدات تعادل :

- **راتب عام كامل لربع مليون معلم .**
- **انشاء ٣٠ كلية علوم تتسع كل منها لالف طالب .**
- **اقامة ٧٥ مستشفى كاملة المعدات تضم كل منها مائة سرير .**
- **ثمن خمسين الف جرار أو ١٥ الف الة حصاد .**

ولست أعتقد ان خلافا يمكن ان يقوم حول وجوب وضع حد لانتاج



وســائل الخراب ، والافضلية توجيه الاموال والجهود التى تنفق عليها الى ما يعود على البشرية بالتقدم والسعادة والرخاء .

وعلى ذلك فلابد ـ ابعادا لخطر قيام حرب عالمية مدمرة تكون فيها نهاية الحضارة الانسانية ـ من نزع كافة انواع الأسلحة نزعا كاملا وشاملا ـ ذرية كانت أم غير ذرية ـ من بين أيدى الدول المحرزة لها ، وتدميرها من الوجود ، واتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحيلولة دون امكان صنع مثلها من جديد ، وتوجيه الطاقة النووية الى الأغراض السـلمية وخدمة الانسان .

الفجوة ما بين الدول المتقـدمة والمتخلفة

واذا كان سباق التسلح يخلق شبح الحرب ويجعل شعوب العـالم تعيش فى جو من القلق وعـدم الاستقرار ، فان الفجوة الضخمة التى تفصل ما بين مستويات الحياة فى كل من الدول المتقـدمة والدول المتخلفة من شانها أن تثير مشاعر الحقد والنقمة مما يهدد السـلام والأمن .

واذا كان هذا التفاوت موجودا منذ زمن طويل الا أن وسائل الاتصال وأدوات المعرفة ونقل المعلومات لم تكن قد تقدمت على النحو الذى وصلت اليه حاليا بحيث أن الشعوب المتخلفة لم يكن لديها العلم الكافى والادراك الواعى بمدى هذا التفاوت وامكانية تقريب شقته .

فبينما نجد التخمة والافراط فى التغذية فى بعض المناطق المتقدمة ، نرى شعوبا فى بعض المناطق تعيش على مسـتوى الكفاف ، وتعانى شعوب فى مناطق أخرى من المجاعات فى أوقات الجفاف ، ومن الأمراض الناتجة عن سـوء التغذية كالانيميا والأمراض العقلية والصـدرية والبلاجرا .

وفى حين نشاهد وسائل العـلاج والوقاية الصـحية متوفرة وعدد الأطبـاء كافيا فى البلاد المتقدمة ، نلاحظ النقص الخطير فى تلك الوسائل وندرة الاطباء فى البـلاد المتخلفة التى تنتشر فيها الأمراض ويحصد الموت فيها الأطفال .

وبينما نجد أن الانتاج فى البلاد المتقـدمة متعدد الأنواع ، وفير الثمرات بسـبب ما تستخدمه من أساليب فنية متطورة ، نرى البـلاد المتخلفة تعتمد على انتاج محصـول واحد أو عدد قليل من المحاصيل ، تصدره فى الغالب كمـادة خام ، وتستعين بأدوات بدائية مما ينعكس أثره على الدخل القومى للبـلاد وبالتالى على متوسط الدخل الفـردى للانسان .

فان سكان امريكا الشمالية البالغ عددهم نحو ٧و٦٪ من سكان العالم يحصـلون على نحو ٤٠٪ من دخل العالم باكمله فى حين أن سـكان

الشرق الأقصى البالغ عددهم نحو ٥٢٪ من سكان العالم لا يحصلون على اكثر من ٥ و١٢٪ من هذا الدخل ، وان سكان افريقيا الذين يبلغون نحو ٧٪ من سكان العالم لا يحصلون الا على ما يقرب من ٢٪ من هذا الدخل (كتاب الامة الانسانية للأستاذ احمد حسين) .

كما ان متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي لسنة ١٩٦٨ عن كتاب الاحصاء السنوى للأمم المتحدة الصادر سنة ١٩٧٠ بلغ ٣٥٦٩ دولارا فى امريكا و ١٩٤٠ فى فرنسا و ١٧٣٦ فى المانيا الغربية و١١٢٢ فى اليابان فى حين انه فى البلاد المتخلفة ينقص عن ذلك كثيرا : فبلغ على سبيل المثال ٧٣ دولارا فى الهند و٢٥٢ فى ايران و٢٤٢ فى العراق و ٤٢٧ فى لبنان و ٢١٥ فى سوريا و ١٦٢ فى مصر و ٩٧ فى السودان و ١٧٢ فى تونس .

وبالرغم من الجهود المبذولة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد المتخلفة فان الفجوة بينها وبين الدول المتقدمة تزداد اتساعا نتيجة القفزات الواسعة المدى التى تتحقق فى الدول المتقدمة كنتيجة للثورة العلمية وتطبيقاتها فى ميادين الانتاج مما اصطلح على تسميته بالثورة التكنولوجية .

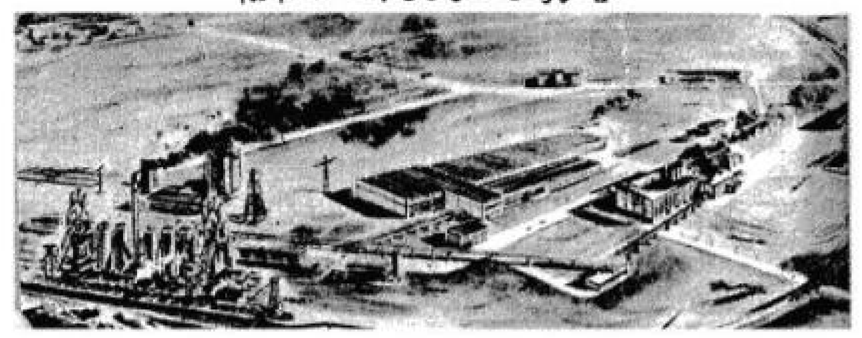
تضافر الجهود لتحقيق الرخاء العالمى ...

ولا علاج لهذا الوضع الا بتضافر جهود الدول المتقدمة والدول المتخلفة للافادة من منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية للارتفاع بمستوى الانتاج وكفايته فى كافة أرجاء العالم بحيث ينظر اليه باعتباره وحدة انتاجية واحدة تعود ثمراتها على كل افراد الجنس البشرى .

وان هذا التعاون على المستوى العالمى من شأنه أن يحقق الوفرة فى الانتاج نتيجة الارتفاع بمعدل الانتاج فى الدول المتخلفة واستغلال ما لم يستثمر بعد من موارد وامكانيات العالم مما يقضى على التخوف من نتائج الانفجار السكانى العالمى ، ويحقق الرخاء لكافة شعوب الأرض ، ويزيل روح الحقد والبغضاء من نفوس البشر .

فالانسان لا يستغل اكثر من ١٠٪ من سطح اليابسة فى حين أن القدر الباقى منها عبارة عن جبال وصحار

المصانع والمنشآت الصناعية من دعائم السلام والوصول الى الوفرة فى الانتاج فى كل المجتمعات فى عالم اليوم



وغابات استوائية ومناطق جليدية يمكن بإرادة الانسان ووسائل العلم الحديثة تحويل الكثير منها الى اراض زراعية بل ان من الاراضي الزراعية ـ ما لايزال يزرع بطريقة بدائية بحيث يمكن الارتفاع بمستوى انتاجها ، هذا فضلا عما في البحار وباطن الارض الكثير من الخيرات والمعادن والمواد التي يمكن الاستفادة منها في شتى جوانب الحياة .

فاذا اضفنا الى ذلك قدرات الصناعة التحويلية ، والكشف عن الجديد من مصادر الطاقة من طاقة ذرية وشمسية ، وتحويل الطاقة الذرية لخدمة الاغراض السلمية ، وما توصلت اليه بحوث غزو الفضاء من فتح آفاق جديدة امام الانسان ـ يمكننا ان ندرك ان مستقبل الانسانية غير مسدود واننا نستطيع ان نزيل من انفسنا الخوف من تزايد السكان على المستوى العالمي وان نأمل في مستقبل افضل شريطة أن يتعاون بنو الانسان جميعا على اختلاف اجناسهم والوانهم ولغاتهم ومعتقداتهم على ايقاف الحروب ونزع السلاح، وتحويل الطاقات والاموال التي تضيع هباء في هذا السبيل الى الانشاء والتعمير وحسن استغلال الموارد والثروات الطبيعية مما يعود بالخير ليس على شعب واحد بل على المجتمع الانساني بأسره .

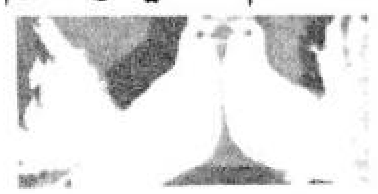
فالوفرة المنشودة لا يمكن أن تتحقق من خلال العزلة والاحجام عن الاتصال بالعالم الخارجي ، فانه من الثابت أن اى شعب مهما كان عدده وكانت موارده وقدراته لا يمكنه أن يهييء لنفسه حياة رغدة الا بالاتصال بغيره من شعوب العالم ويرتبط بها استيرادا وتصديرا ، فالولايات المتحدةالامريكية والاتحاد السوفييتي على اتساع رقعتهما وكثرة مواردهما وارتفاع مستوى انتاجهما لا يستطيعان الاكتفاء ذاتيا ولابد لهما من ايجاد روابط تجارية تربطهما بدول العالم الاخرى للحصول منها على ما ينقصهما ، وتصرفان في اسواقها منتجاتهما .

كما اصبح من المسلم به انه لم يعد من مصلحة الدول الغنية ان تبقى الشعوبالفقيرة في حالة عوز واحتياج بل اثبتت التجربة وضرورات العصر أن من مصلحة تلك الشعوب الغنية ان تأخذ بيد الشعوب الفقيرة .

فقد دل التطبيق العملي أن الاستعمار لم يكن نقمة على شعوب الدول المغلوبة على أمرها وحدها بل ان مضاره تمتد الى الدول الاستعمارية نفسها بما تضطر الى انفاقه على جيوش القمع والاحتلال ، وما تجنيه من كراهية وعداء الشعوب المستعمرة، وماتفقده من مزايا اقتصادية نتيجة تعاملها مع طرف فقير عاجز . وكان لتحرر المستعمرات وشعوبها ، وانطلاقها في تطوير اقتصادها للخروج من دنيا التخلف التى فرضها عليها الاستعمار ، اثره الطيب الملموس ليس فقط على الشعوب المستضعفة بل على الطرفين جميعا . واصبح من الشعارات التى تتردد في الوقت الحاضر أن الجار الغني هو عميل مربح اكثر من الجار الفقير ، وأن الجار الشبعان اكثر مدعاة للأمن والطمانينة من الجار الجائع .

بل ادركت الدول الغنية المتقدمة أن عملية النهوض بسائر افراد الجنس البشرى هي عملية تجارية مربحة تعود بالخير على شعوب الدول المعطية

عالم الطمأنينة والسلام



بقدر ما تعود على شـعوب الدول الآخذة . وهو ما حدا بأمريكا للتقدم بمشروع مارشال للنهوض بأوربا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

ومن الاحصائيات الطـريفة التى نشرتها الامم المتحدة بمناسـبة عقد التنمية (١٩٦٠ ـ ١٩٧٠) ان مساعدة الدول المتقدمة بما يمكن الدول المتخلفة من زيادة دخلها القومى السـنوى بنسبة ٢٥٪ كفيل بزيادة طلبها على منتجات من الدول المتقدمة بما يقـدر بضعف حجم التجارة الدولية لتـلك الدول، وان هذه الزيارة تعنى بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية زيادة سنوية فى صادراتها بنحو ٨ بلايين ونصـف دولار ، وزيادة فى حجم العمـالة داخلها بنحو مليون فرصة عمل جديدة للمواطنين الامريكيين .

وهكذا يتبين أن مصـلحة المجتمع البشرى بأسره تقوم على اعتبار العالم كله وحدة انتاجية واحدة يتعاون أفراده لخير الجميـع ، وأن زيادة قدرة الانســان الانتاجية فى كل بقعة من العالم تعود ثمرتهـا على كل افراد النوع الانسانى ، شأنه فى ذلك شأن المجتمع الانسانى الصغير داخل كل دولة على حدة حيث يعود الارتقـاء بمستوى كل فرد فيه ، وانتشـار العدالة الاجتماعية بين فئاته المختلفة، بالخير العميم على الجميع .

حماية حقوق الانسان وحرياته

على أن العالم المثالى الذى تتوق اليه الانسانية لا يتحقق بمجرد وقف الحروب ، ونزع السلاح ، والوصول الى الوفرة فى الانتاج ـ كما سبق أن ذكرنا ـ ولكن يتعين لكى يتصف العالم بهذا الوصـف من أن يحافظ للانســان على حرياته ، ويصون له كرامته ،ويؤمنه على مستقبله ومستقبل


عالم الطمانينة والسلام بلا قنـابل نووية



عالم الطمأنينة والسلام

أسرته ، ويكفل له الضمان ضد المخاطر الاجتماعية ، وأن يشعره بقيمته كعضو مشارك فى تسيير أمور المجتمع الذى يعيش فيه .

والواقع أن اهدار حقوق الانسان يعتبر سببا أصيلا من أسباب القلق الذى يسود المجتمعات البشرية ، فى عالمنا المعاصر ، ومن ثم فان كل تأكيد لحقوق الانسان وحرياته وحمايتها من كل عسف ينبغى أن يكون هدفا من الأهداف التى تسعى البشرية لتحقيقها .

وادراكا لهذه الحقيقة تضمن ميثاق الأمم المتحدة فى مادته الأولى ضمن أهدافها النص على تعزيز احترام حقوق الانسان والحريات الأساسية للناس جميعا والتشجيع على ذلك دون تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ، ودون تفرقة بين الرجال والنساء .

ويعد « الاعلان العالمى لحقوق الانسان » الذى وافقت عليه الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ نقطة تحول لها أهميتها فى تاريخ البشرية لما ينطوى عليه من اجماع العالم على اختلاف نحله وأجناسه وأديانه ومعتقداته ومذاهبه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على الحقوق الواجب توفيرها للانسان الحر ، والتى أفضى تناسيها — على حد تعبير ديباجة الاعلان — الى اعمال همجية آذت الضمير الانسانى ، وجعلت غاية ما ترنو اليه البشرية انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة ، وأوجبت ضرورة حماية القانون لهذه الحقوق حتى لا يدفع اليأس المرء فى نهاية الأمر الى الثورة على الظلم والطغيان .

وفى مقدمة حقوق الانسان التى نص هذا الاعلان على وجوب احترامها :

- **حق الانسان فى الحياة والحرية وسلامة شخصه وعدم التعرض تعسفا بمسكنه أو مراسلاته .**
- **عدم تعرض أى انسان للتعذيب او المعاملة الوحشية او الحاطة من كرامته .**
- **عدم جواز القبض على اى انسان او حجزه او نفيه تعسفا .**
- **حق كل انسان فى نظر دعواه امام محكمة مستقلة نزيهة بطريقة عادلة وعلنية للفصل فى حقوقه او التزاماته او اية تهمة جنائية توجه اليه .**
- **كل متهم يعتبر بريئا الى ان تثبت ادانته قانونا بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه .**
- **حرية الفرد فى التنقل واختيار محل اقامته ومغادرة بلده والعودة**



الطفولة البريئة من الضرورى ان نحافظ عليها ونرعاها بعيدا عن ويلات الحروب وشرورها

اليه .

● حق الانسان فى عدم التعرض لحملات تمس شرفه او سمعته .

● حق كل شخص فى حرية التفكير والرأى والتعبير .

● حق كل شخص فى الاشتراك فى ادارة الشئون العامة لبلاده .

● حق كل شخص فى التعليم على ان يكون مجانيا فى مراحله الاساسية على الاقل وميسرا على اساس الكفاءة والمساواة فى المراحل العليا

● حق كل شخص فى العمل وفى الراحة وفى عطلات دورية بأجر .

● حق كل شخص فى مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولاسرته .

● حق كل شخص فى تامين معيشته فى حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة .

● حق كل شخص فى الالتجاء الى القضاء لانصافه من الاعتداء على حقوقه الاساسية المقررة .

واذا كانت الامم المتحدة حققت نجاحا ملحوظا فى تسجيل حقوق الانسان بما أصدرته من اتفاقيات وقراراتدولية ، وقامت لجنة حقوق الانسان بالامم المتحدة بدور هام فى تقصى الحقائق والكشف عن انتهاك حقوق الانسان الذى تمارسه الحكومات العنصرية ، فان هنــاك فارقا بين تقرير الحق وبين حمايته . فلا زالت حقوق الانسان فى حاجة الى مزيد من الحماية سواء داخــل الدول أو فى علاقتها بعضها بالبعض الاخر .

على ان الازمة التى تشوب التقرير الفعلى لحقــوق الانسان تعتبــر فى واقع الامر جــزءا من أزمة الامم المتحدة ومدى فاعلية قراراتها بصفة عامة .

الحاجة الى حكومة عالمية

ويعتبر قيام « حــكومة عالمية » تنســـق جهود مختلف الجماعات البشرية ، وتحول دون وقوع الاصطدام بينها ، وتقر الأمن والســـلام فى ربوعها ــ وهو الســبيل الذى يكفل لكل فرد من افرادها الرخاء والطمأنينة والأمان ، ويقى البشرية شرور الدمار والمخاطر التى تهددها بالفناء .

ولعل اولى الخطــوات نحو هذه الحكومة العــالمية تتحقق بايجاد تنظيم يضم كافة الدول يوقف سباق التسلح ، ويفرض نظاما لأمن جماعى فى ظل قانون دولى واجب الاحترام :

وقد عقــدت البشرية آمالا كبارا على « عصبة الامم » عند نشأتها ، غير انه لم تلبث أن تحطمت هــذه الآمال عندما فشلت العصــبة فى مهمتها باعتبارها منظمة دولية منوط بها صيانة الســلام العالمى ومنع الحروب . واذا حللنا اسباب هــذا الفشل نجد انه يرجع بصفة خاصــة الى اشتراط الاجماع لصــدور قراراتها ، وأن قراراتها لا تعدو أن تكون مجرد توصيات اذ انها لا تملك سلطة قادرة على وضعها موضــع التنفيذ . وان كان هناك سبب أعمق من ذلك وهو الروح التى تملى على الدول الكبرى تصرفاتها المجــافية لميثاق عصبة الأمم والمنافية لأبسط مبادىء العدل والانصاف .

وادى فشل عصبة الامم الى وقوع العالم فى كارثة الحرب العــالمية الثانية ولم يكن قد مضى على الحرب العــالمية الاولى عشرون عاما . وقد دفعت ويلات هــذه الحــرب الى المسارعة بانشــاء « الامم المتحدة » للحيلولة دون نشوب حــرب عالمية جديدة .



وقد استطاعت الأمم المتحدة أن تنشىء بوليسا دوليا يضطلع ببعض المهام اللازمة لحفظ السلام باسم المجتمع الدولي ، وأن تنظم جيشا دوليا أكثر من مرة ليحارب تحت علم الامم المتحدة . كما أنها حققت نجاحا غير منكور في ميدان التعاون الاقتصادي والاجتماعي بين الشعوب عن طريق الوكالات العالمية المتخصصة والتي أصبح نشاطها يشمل جميع ميادين النشاط الانساني من تنمية اقتصادية ومشروعات عمرانية وطيران الى شئون علمية وثقافية وتطوير اجتماعي ، وصحة عامة .

غير أن الحروب الاقليمية لم تنقطع خلال الفترة التي عاشتها الأمم المتحدة والتي تزيد على الربع قرن ، كما انها عجزت عن حل الكثير من المشاكل الدولية وفي مقدمتها مشكلة الشرق الأوسط ، وفشلت في نزع السلاح الذي يشكل الخطر الأكبر المسلط على رقبة البشرية ، والذي يتفاقم خطره يوما بعد يوم نتيجة التطور العلمي والتكنولوجي الموجه لتطوير الأسلحة المدمرة للحضارة والبشرية .

ولعل من اهم أسباب عجز « الامم المتحدة » عن اتخاذ المواقف الحاسمة هو حق « الفيتو » أو الاعتراض المقرر للدول الخمس الكبرى (الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفييتي ، وانجلترا ، وفرنسا ، والصين) . واذا كانت النظرة المحايدة المنصفة لا تعارض في أن يكون للدول الكبرى صوت مؤثر في تسيير دفة شئون العالم ليس باعتبارها الاقوى ولكن باعتبارها الاكثر سكانا وانتاجا وبالتالي الاكبر مسئولية ، فان تحقيق هذا الوضع لا يصح أن يكون باعطائها حق الفيتو الذي يجعل منها سلطة تعلو على سلطة المجتمع الدولي بأسره وانما يكون بزيادة عدد الاصوات التي تعطى لها في تسيير شئون العالم بالنظر الى عدد سكانها وقدراتها بحيث لا تتساوى الدول الكثيفة السكان والدول ذات الاعداد المحدودة من السكان .

وان البشرية لتتطلع الآن ـ أمام الضعف البادي من جانب الامم المتحدة ، والخطر الذي يتهددها من جانب الدول التي تتسابق في التسلح رغبة في التوسع وفرض سيطرتها ـ الى تطوير هذه المنظمة الدولية بحيث تصبح سلطة عليا تعلو سيادتها فوق سيادة بقية الدول ، ويكون لها وحدها حق الاحتفاظ بقوة مسلحة تقوم بوظيفة البوليس الدولي لمنع الاعتداء واقرار السلام بين مختلف دول العالم وشعوبه ، وتنفذ بالقوة الجبرية ـ اذا لزم الامر ـ ما تقضي به محكمة العدل الدولية فيما يقع بينها من منازعات





قصتي معه

من اين تبدأ قصتي معه ؟ … وباى حق صرت أتبعه
وباى شيء صار يهمس لي … حتى غدت انى ترجعه
« أحبيبتي » .. كم قالها املا … في قبلة ، فاروح أدفعه
وافر من عينيه شاردة … خجلي .. وأحلى الحب امنعه

•••

هو عالمي في اللا حدود ، وعمـ … ـق البحر ، والافلاك مرتعه
خطـواته لحـن أميزه … عن الف لحن حين اسمعه
واذا اطل ، رأيت لي نظرا … ينهل بالقبلات يشبعه
واذا تصافحنا ، لمست يدا … في كفها التحنان اجمعه
خفقات قلبي ، كنت أسمعها … اذ رفرفت واهي تودعه

•••

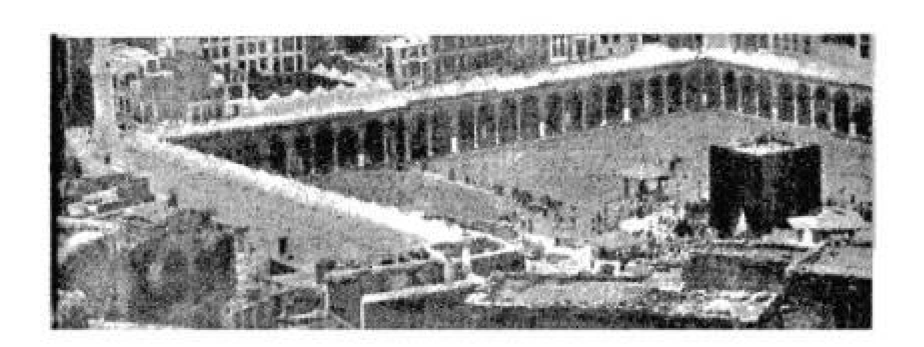
اقسمت لو للنار يأخذني … ما قلت انى لست أتبعه
حب ربيعي المنى ألق … متجدد كالفجر مطلعه
حب هو الدنيا ، يضيعني … طول الحياة ، ولا اضيعه

● د. بطرس بطرس غالى ●

مدينة عربية فاضلة

التاريخ المعاصر يفرض على الدول الصغرى ان تتحد لتكون فيما بينها كائنات كبرى تستطيع أن تواجه مقتضيات العصر ، وهناك دول فرضت عليها ظروف ماضية ان تتجزأ ، فالظروف الحاضرة تفرض عليها ان تتقارب ثم تتآلف ثم تتحد لتعود الى ما كانت عليه ... والوطن العربى كان وحدة واحدة فى فترة من تاريخه الطويل ، ثم قضت عليه ظروف التطور والاستعمار ان يتجزأ ، وقد آن الاوان لكى يتخلص من هذه التجزئة ويعمل على الوحدة .

على شاطئ البحر المتوسط





عاصمة للولايات المتحدة العربية

في مقدمة القضايا التي تعترض طريق الوحدة اختيار عاصمة لها ، لان عواصم الاقطار العربية التي ستتحد تتنازع هذا الشرف، وتتنافس في سبيله . فالقاهرة مثلا ستقول انها اكبر عاصمة في الوطن العربي وانها القلب النابض لكل حركات تقدمية قامت فيه

ومكة المكرمة ستقول : انها الحرم الذى يؤمه جميع المسلمين فهى جديرة بهذا الشرف .

وستقول القدس : انها عاصمة الديانات السماوية الثلاث .

ودمشق ستقول : انها عاصمة الامويين ، كما تقول بغداد انها عاصمة العباسيين .

ومدينة الجزائر ستقول انها عاصمة المليون شهيد ، وهكذا وهكذا ...

تستطيع كل عاصمة لدولة عربية أن تتقدم حين تقوم الوحدة بعشرات من الحجج القوية لتبرر كونها أصلح من غيرها لتكون عاصمة للوطن العربى فى تكتله الجديد

●●●

واذا استقصينا تاريخ الفكر الوحدوى على مر العصور وجدنا أن اهتمام الدعاة الأكبر كان موجها الى اختيار البلد الذى يكون عاصمة للوحدة المنشودة . فامريك كروشويه ذلك المفكر الفرنسى الذى نادى بوحدة أوروبا ، بل ونادى بوحدة العالم فى

القرن السابع عشر اقترح ان تكون مدينة البندقية بايطاليا عاصمة لوحدته المبتغاة .

اما « سوللى » وزير خارجية هنرى الرابع ملك فرنسا ، فانه فى مشروعه الاعظم نادى بوحدة أوربا واقترح لها ثلاث عواصم : فمدينة كراكوفيا فى بولندا تكون عاصمة للوحدة التى تتالف من بولندا والسويد



عبد الرحمن الكواكبى
نادى بالوحدة الاسلامية

والدانمرك والمانيا . ومدينة ترانت بايطاليا عاصمة للوحدة المكونة من سويسرا والتيرول والمجر ونابلى وسيسليا . اما مدينة باريس فتكون عاصمة المجموعة المؤلفة من فرنسا واسبانيا وبريطانيا وهولندا .

اما القس « سان بيير » فتقدم بمشروعه المشهور لاقامة سلام دائم فى أوربا وصاغه فى كتابين يقعان فى ١٢٠٠ صفحة ، وقد نشرا فى بداية القرن الثامن عشر ، وكانت المادة الاولى من دستور الدولة الاتحادية التى يقترحها تنص على أن تكون مدينة أوترخت بهولندا عاصمة للاتحاد الاوربى المقترح ، ويبرر اختياره لها بأن الهولنديين شعب تجارى يتميز بطبيعة الهدوء ، وهذه الصفة تجعله يعنى باستتباب السلام والأمن ، ثم ان هذه المدينة — فى رأيه — ستكفل لممثلى الدول اقامة طيبة تهدأ فيها أعصابهم لما تمتاز به



من طيب الهـواء ، وعذوبة الماء ، وحسن الموقع مما يجعـل حسن التفاهم مكفولا بين ممثلى الاقاليم .

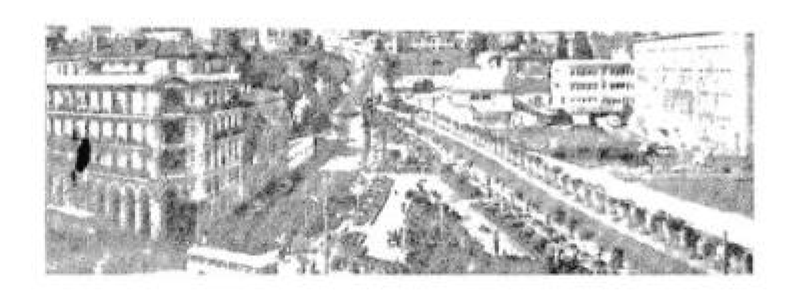
●●●

وفى العالم العربى نجد أن دعاة الوحدة قد اهتموا كذلك باختيار العاصـمة ، فعبد الرحمن الكواكبى الذى نادى بالوحدة الاسـلامية فى كتابه « أم القرى » جعل مكة المكرمة هى العاصـمة المختارة لانها ملتقى كافة المسلمين فى موسـم الحج كل عام .

واذا تجاوزنا الماضى وانتقلنا الى التجارب الوحدوية الحديثة نجد أن اختيار العاصمة كان دائما موضع خلاف وصراع بين الدول الراغبة فى الاتحاد حتى ان كثيرا من الحركات الاتحادية انشات لنفسـها عاصمة جديدة بعيدة عن العواصـم القطرية لتامن بذلك عادية الصراع والتنافس فانشئت واشـنطن فى الولايات المتحدة الأمريكية لتكون عاصـمة للاتحاد ، وكذلك انشئت برازيليـا لتكون عاصـمة للولايات المتحدة البرازيلية ، وكان مبعث اختيـارها وقوعها فى وسط الولايات .

والدول الاتحـادية التى لم تستطع ان تنشىء لنفسـها عاصمة جديدة قبل ان تتحد أو بعد اتحادها تعرضت لكثير من المنازعات والمتاعب بسبب العاصمة ، لذلك ظلت لها اكثر من عاصمة فهولندا حتى اليوم لهـا عاصمتان هما لاهاى وامسـتردام ، وبعض البلاد الاتحادية توزع الهيئات الحكومية على اكثر من عاصـمة لتكسر حدة التنافس فسويسرا جعلت مقر السلطة التنفيذية والسـلطة التشريعية فى مدينة برن ، وجعلت مقر المحكمة الاتحادية العليا فى لوزان .

تلك الامثلة تبين اهمية حسـن اختيار عاصـمة للوطن العربى منذ الآن ، حتى اذا ما اتيح للجهـود المبذولة أن تنجح فى تحقيق الوحدة الشاملة للوطن العربى تكون العاصمة



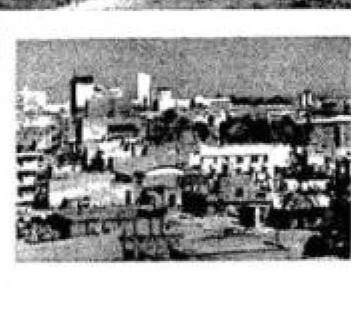
معدة ومهيأة للقيام بدورها القيادى.

ومنــــذ البداية نســـتبعد فكرة أن تكون أية عاصمة من العواصم القطرية هى العاصمة المختارة مستقبلا للوطن العربى المتحـــد ، لأن التجـــارب التاريخية يستفاد منها ان اختيـــار عاصمة قطرية لتكون عاصمة للوحدة المنشـــودة تمنح القطر الذى وقع الاختيار على عاصـــــته نوعا من الســيطرة على الوحدة ممـــا يخل بتوازن القوى المنشودة ، وبســـبب بعض الاحتكاكات وبعض المنازعات

ويضاف الى ذلك ان الوحدة العربية المرادة ستكون تجربة جـــديدة وفى حاجة الى أجهزة جديدة ، ومن هـــذه الاجهزة مدينة جديدة تنشأ خصيصا لتكون عاصمة للوحدة .

فاذا كان الاتفاق قـــائما على أن عواصم مثل القاهرة ، أو الرباط ، أو تونس ، أو مكة ، أو دمشـــق وغيرها لا تصلح لان تكون العاصمة المثالية للوحدة العربية الجديدة فالســـؤال يكون الآن : أين تقام هـــذه المدينة المثالية لتكون العاصمة ؟







سلان كيب وسلام حالم فى أوربا

نحن نرى أن المدينة المثالية يجب أن تتوافر فيها صفات لا بد منها وفى مقدمتها :

اولا ـ أن يكون موقع هذه المدينة فى وسط العالم العربى ، وليس فى طرف من أطرافه النائية • وذلك لتتساوى مسافات السفر تقريبا بالنسبة لجميع الاقطار العربية •

ثانيا ـ أن تكون فى موقع يسهل الوصول اليه برا وبحرا وجوا ، وأن تكون ذات جو معتدل طوال العام لتكون ملائمة لمن سيقيمون فيها ممن يمثلون القيادة العربية الفكرية والسياسية •

ثالثا ـ أن تكون فى موقع يسمح بتلاقى التيارات الفكرية والتجارية العالمية •

وتلك الصفات يمكن أن تتوافر فى بلد يقع على شاطىء البحر المتوسط ، واذا كان من صفة هذه المدينة أن تقع فى وسط العالم العربى، واذا تأملنا مليا ،نجد أن المكان الصالح لهذه المدينة الفاضلة يقع فيما بين السلوم وطبرق • فاما أن ينعقد الاتفاق منذ الآن على اعداد احدى هاتين المدينتين لتقوم بالدور الذى سيفرض عليها ، واما أن يختار مكان صالح بين هاتين المدينتين على شاطىء البحر المتوسط ، ويعد ليكون المقر المختار ، ويمنح استقلالا تاما استعدادا لان تكون تلك المدينة هى عاصمة الوحدة ، وهى مقر كافة المنظمات الوحدوية القادمة •

ان كلا من ليبيا ومصر تستطيع أن تجعل ـ منذ اليوم ـ احد أهداف الوحدة الاندماجية التى قامت بينهما ، العمل على انشاء مدينة مثلى لتكون العاصمة الجديدة للوحدة العربية الشاملة الجديدة ■







سألني الكثيرون ، وفي طليعتهم أخي الشاعر الكبير أحمد رامي : هل سماحك بنشر الشعر الجديد في « الزهور » معناه أنك بدلت ايمانا بايمان ، وأصبحت تسيغ هذا اللون من الشعر ؟

واحب ان اقول انني لم ابدل ايمانا بايمان ، فما زال ايماني كله بالشعر المرتكز على الوزن والقافية ، ولكني مع هذا احرص على قراءة الشعر الجديد منذ ظهوره ، واحاول ان استشف ما قد يكون فيه من ناحية جمالية ، ولعل لم ابلغ هذه الغاية حتى الآن ، ولا احسب ان البقية الباقية من العمر كفيلة ببلوغي اياها

ومع هذا ، لا اجد غضاضة في قراءة هذا الشعر الجديد ، كما لا يجد المسلم ـ صاحب القرآن ـ غضاضة في قراءة كتب البوذية والكونفوشيوسية بحثا عن شجرة الحكمة

وليس هناك شك في ان الشعر الجديد لون من الانتاج الادبي ، والخلاف كله يدور حول تسميته ، كما قال الاستاذ مهدي السامرائي في مقاله المنشور بالعدد الاول من « الزهور »

ولو ان اصحاب هذا الشعر ابتكروا له تسمية خاصة ، لكانوا هم الكاسبين ، ولتجنبوا اية معارضة من جانب الحريصين على الشعر بقوامه المعروف ، ولظفروا منا ومن سائر النقاد باستقبال حسن ودراسة واعية لما يكتبون

على أننا قد أصدرنا « الزهور » وهدفنا الاول والاخير ان نفتح صفحاتها لكل الالوان التي يكتبها الشباب في هذا الجيل ، ففيها الشعر ذو القوام ، وفيها الشعر الجديد ، ولعل اجتماع التجربتين أمام عيون الشباب تسهل عليهم عملية المقارنة ، كما يضع المرء صورتين لامرأتين مختلفتين ، جنبا الى جنب ، ويتساءل أيتهما اجمل ؟

ففي العدد الاول من « الزهور » ، من الشعر ذي القوام ، قصيدة


احمد رامي



لمحسانى عبد الله ، وأخرى لعصام الغزالى ، وثالثة لفؤاد الخشن

وفيه من اللون الجديد قصيدة لفوزى العنتيل ، وأخرى لعصار عبد الله ، وثالثة لحسن توفيق

فليقرأ الشباب هذه وتلك ، وليحكم فى النهاية بما يشاء

أما الذين تجاوزوا طور الشباب - مثلنا - فلهم مجلة « الهلال » التى انفردت بالشعر فى قوالبه المعروف ، وتركت اللون الجديد لابنتها « الزهور »

زهــور أم أزاهــيــر ؟

رسالة رقيقة ، من الشاعر الاديب الاستاذ أحمد عبد اللطيف بدر ، يهنئنا فيها بالعدد الاول من « الزهور » ، ويشفع التهنئة بفائدة لغوية طريفة .. يقول :

« وقد أثير قديما أن التسمية العربية هى « الازاهير » .. فالزهور مما أدخله اخواننا اللبنانيون فى صدر النهضة الادبية من ألفاظ لم ترد سماعا عن اللغة العربية

« وعلى أية حال ، فالامر لكم ، وجاء فى القاموس المحيط « ج ۲ ص ٤٣ » : الزهرة - ويحرك - النبات ، ونوره أو الاصفر منه ، جمع « زهر وأزهار ، وجمع الجمع أزاهير - ثم قال : زهر السراج ، والقمر ، والوجه ، زهورا .. أى تلألأ ، كازدهر

« ويؤخذ من هذا أن الازاهير متفقة مع ما يراد من الشباب ، فاذا أريد تلألؤ أذهان الشباب ، كانت « الزهور » أدل على هذا المعنى »

ومع أجمل شكرنا للاستاذ بدر على هذه الفائدة اللغوية ، التى انتهى منها الى أن تسمية « الزهور » ليست خاطئة ، كمصدر ، نقول اننا قصدنا بهذه التسمية أولا ، احياء مجلة « الزهور » القديمة التى كان يصدرها المرحوم أنطون الجميل فى مصر بين سنتى ۱۹۱۰ و ۱۹۲۲ ، وتألق على صفحاتها اعلام الشباب فى الشعر والادب يومئذ ، ومنهم شوقى ، وحافظ ، واسماعيل صبرى ، ومن وغيرهم ، كما ذكرنا من قبل

يضاف الى هذا أن بعض القواميس الاخرى قد أورد أن جمع الزهرة الزهر والازهار وزهور ، وجمع الجمع أزاهير .. ثم أورد قوله « الزهرة (بضم الزاى) الحسن والرونق والبياض الجميل - وزهرة الدنيا (بفتح الزاى) وجمعها زهر وازهار وزهور وأزاهير ، بهجتها ونضارتها »

وحتى ان كانت كلمة « الزهور » بالمعنى الشائع خطأ شائعا ، فقد قيل ان خطأ شائعا خير من صواب مهجور . ولا شك ان كلمة « الزهور » اخف فى النطق من « الأزاهير » على السنة باعة « الزهور » على الاقل

دعاء من السعودية

وهذه رسالة كريمة من السيد عبد الله الصالح الرشيد ، بالرس « بالسعودية » يقرىء فيها « الزهور » السلام :

« كان صدور مجلة « الزهور » بشرى للشباب العربي قاطبة بتحقيق الامال المعلقة عليها ، وهي جمع الشباب وتوجيهه الوجهة الادبية الصحيحة عن طريق رعاية الناجحه وتقويمه حتى يزكو الغرس ويعطي أطيب الثمرات ، فهذا الشباب هو الذي سوف يسد الفراغ الهائل الذي تشكو منه حياتنا الادبية ، والذي نرجو ان يكون خير خلف لخير سلف

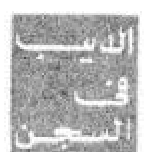
« انني هنا ، من مهبط الوحي وارض القداسات ، اتوجه الى الله عز وجل ان يوفق « الزهور » الى ما تنشده من غايات نبيلة ، وما ننشده لها من توفيق في أداء الرسالة »



وهذه تحية عزيزة من الجنوب العزيز ، من الاستاذ حسين ابوزيد المحامي بالخرطوم ، يشير فيها الى احد أعدادنا الخاصة :

« عندما تصفحت عدد مارس من « الهلال » عن أصحاب السيف والقلم ، وجدت وأنا في جنوب الوادي أن أضع هذا العدد بين محفوظاتي التي أعتز بها مدى الحياة .

« أتمنى للهلال دوام الازدهار ، وللكنانة العز والنصر »



تعقيبا على عددنا الماضي « أدباء وراء القضبان » يذكرنا الزميل محمد محمود رضوان بشاعر البؤس عبد الحميد الديب ، الذي دخل السجن أكثر من مرة ، بتهم مختلفة ، منها التشرد والصعلكة والسكر البين وعدم أداء الدين وغيرها . وله في كل ذلك قصائد كثيرة ، نذكر منها هذه الابيات :

لقد شمتت في الاعادي شماتة
وبت وما لي في الوجود حبيب
واصبحت مسجونا بدار بعيدة
تجافى بها خل وبان قريب
ااصبح مسجونا وما كنت مجرما
ولا حزبتني في الحياة ذنوب ؟
واخوان سجن ، قبحت من وجوههم
هموم توالى دائما وخطوب
فمنظرهم اضحوكة كلبائس
ومخبرهم في الحادثات رهيب
لقد كنت فيهم يوسف السجن صالحا
اسر احلاما لهم واصيب



عبد الحميد الديب

خناقة بين ديكين عتيقين


ايليا ابو ماضي


الياس فرحات

وهذا العنوان ليس من عندى ، بل من عند الصديق الكبير جورج صيدح ، الذى بعث لى من باريس برسالة اخرى تنم عن ان غضبته على صديقه القديم ، الشاعر المهجرى الياس فرحات ، لم تهـدأ ، ولن تهدأ

وقد استهل رسالته ببيت لشوقى ، معدلا على هذه الصورة :

وانما الشاعر الاخلاق ما بقيت
يبقى ، وان ذهبت اخلاقه ذهبا

ثم يعود الى حديث تلك المعركة بينه وبين صاحبه ، التى اثارت اهتمام قراء « الهلال » .. ويرفق برسالته شهادة من للاديب المعروف الاستاذ عيسى الناعورى ينفى فيها عن صيدح شبهة الكذب، ويؤكد فيها ما نقاه فرحات من أنه اشتغل فى بعض زمانه بصف الحروف وطهو الاطعمة الشرقية وتربية الخنازير

ويضيف صيدح ، انه قد أعد فصلا فى عشر صفحات عن هـذه المعركة القائمة بينه وبين فرحات ، عنوانه « خنـاقة بين ديكين عتيقين » وسينشره كملحق فى مجموعة شـعرية له تطبع الان فى بيروت

ودون أن اخوض فى هـذه المعركة ، احب ان اقول بكل سماحة انه اذا كان فرحات قد مارس هذه المهن حقا ، فان شـيئا منها لا يعيبه ، لان العمل الشريف – مهما كانت زاويته – لا يعيب المرء ، وحسبه شرفا ان يكسب قوته بعرق جبينه ، وحسب فرحات شرفا بعد ذلك أن يصبح شاعرا عربيا مرموقا

ولقد اعترف صيدح على نفسه بانه كان فى شبابه يملك متجرا بشارع السكة الجديدة بالقاهرة ، يبيع فيه أشياء مختلفة ، منها **الاقمشة والاحذية ، كما كان ايليا ابو ماضى صبيا – لا مالكا – فى متجر لبيع السجاير بالاسكندرية ، وكما كان مصطفى صـادق الرافعى كاتبا متواضعا بمحكمة طنطا ، وكما كنا ولا زلنا جميعـا كادحين فى سبيل رغيفنا اليومى بكل سبيل شريف**

حول المعارك الأدبية

ويرجو السيد « ممدوح المغربى – ببلقاس » أن يكون فى «الهلال» رواق دائم للمعارك الادبية ، ثم يقول :

« طالعتنا « الهلال » بمعارك أدبية شيقة ، وكم أتمنى أن تكون أشد قسوة ، وذلك ليس لمجرد شغفى بالمعارك فقط ، وانما لتخرج هذه المعارك رحابات«النفس من مقالها» ممزوجة بعبيرالعلم» محفوفة بأشواك الخلف ، فنأخذ منها ما يروق لنا ونترك ما دون ذلك .
« وقد ذكرتنى المعركة التى تدور حول عملاق الفكر العربى عباس

محمود العقاد بأشياء وأشياء ، ذكرتني كيف قال الدكتور طه حسين كلمة الرثاء في العقاد مقدما ، وكأنما كان يقرأ الغيب ؟

قال للعقاد في حياته : « لقد ملأت الدنيا «١» وشغلت الناس في حياتك وسوف تشغلهم بعد وفاتك »

أجل شغل الناس ، وشغل الفكر ، ويجب أن يشغل الناس أكثر حتى يستفيد الناس أكثر .

وكان الدكتور زكي مبارك اماما من أئمة المعارك حتى لقب بلقب « الملاكم الادبي » ودارت بينه وبين جميع أدباء عصره تقريبا مساجلات أدبية ومعارك كبيرة ، منهم على سبيل المثال لا الحصر : الدكتور طه حسين ، أحمد أمين ، مصطفى صادق الرافعي ، وعباس محمود العقاد . وهذا الاخير كانت المعركة بينه وبين زكي مبارك ممزوجة بالوقار الى حد ما ، **فنجده يتهم العقاد بأنه ليس المقصود بلقب الكاتب الجبار الذي خلعه عليه زعيم مصر آنذاك سعد زغلول ، وفي موضع آخر يقول في الرسالة سنة ١٩٤٢ : ان العقاد يحكم على الاموات بصدق أما الاحياء فيختلف ادبهم بالعلاقات الشخصية ، والعقاد نفسه من خيرة الكتاب**



د . طه حسين

● والدكتور زكي مبارك هاجم بشدة بالغة وخرج عن أصول النقد في مهاجمة الدكتور ـ طه حسين رغم أنه كان تلميذا له ، وبلغ بينهما الخلاف مدى لم يصل اليه زكي مبارك في معاركه ، حتى فصل زكي مبارك من الجامعة ، وشخصت الابصار ناحية الدكتور طه حسين ، وذلك لانه كان مديرا للجامعة وقتها .

● أما مصطفى صادق الرافعي فقد هاجم العقاد في مقالات تحت عنوان « على السفود » وجمعت في كتاب تحت هذا الاسم ، وقدم لهذا الكتاب الاستاذ اسماعيل مظهر ، ولم يذكر الرافعي اسمه على الكتاب واكتفى بقوله « بقلم امام من أئمة الادب العربي » وقال بيتين هما :

وللسفود نار لو تلقت
بجاحمها حديدا ظن شحما
يشوى الصخر تتركه رمادا
فكيف وانت رميتك فيه لحما





● وناقش الاستاذ الشاعر صالح جودت في سبب الخلاف بين العقاد والرافعي على صفحات « الهلال »

● أما المازني والعقاد فقد قاما بمهاجمة شوقي والمنفلوطي والرافعي وعبد الرحمن شكري في كتاب الديوان سنة ١٩٢١ . والعجب في هذا ان شكري من أعمدة مدرسة الديوان رغم ان المدرسة هاجمته (٢) بالرغم من أفكاره الجديدة ، وفي أخريات أيام شكري تصافى مع العقاد بدليل انه أرسل للعقاد رسالة بيده اليسرى لان يده اليمنى قد شلت .

● وكذلك قامت معركة جبارة بين المازني وطه حسين وحذف أكثر ما كتب فيها من كتاب حصاد الهشيم في طبعته الاخيرة .

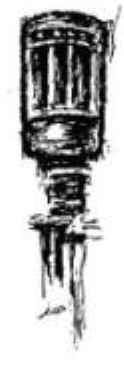
---

(١) أرسلت هذه الكلمة على لسان ابن رشيق في المتنبي .

(٢) هاجم رمزي مفتاح العقاد على صفحات أبوللو فظن العقاد ان ذلك بايعاز من شكري . لان مفتاح اتهم العقاد بسرقة شعر شكري ـ أنظر كتاب « رسائل النقد » للدكتور رمزي مفتاح

المستشرق نيفل باربر

فقد الاستشراق فى نهاية العام المنصرم علما من اعظم اعلامه المعاصرين ، كما فقد العرب صديقا وفيا متحمسا لقضاياهم القومية ، وفى طليعتها قضية فلسطين ، هو المستر نيفل باربر الذى يعد من اعظم المستعربين الانجليز فى هذا القرن ، عن سبعة وسبعين سنة ..



اشترك نيفل باربر فى الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ثم عاش بعدها سنوات طويلة فى الدول العربية ، عاكفا على دراسة لغاتها وادبها وثقافتها ، حتى اتقن العربية الفصحى ، وكثيرا من اللهجات العامية ، كما أحسن العبرية .

وقد بدأ رحلة العلم العربى فى حياته بالفترة التى عاشها فى المغرب ومن ثم ذهب الى اسبانيا لدراسة الحضارة العربية فى الاندلس .

ثم انتقل الى القاهرة سنة ١٩٣٠ ، وسكن ضاحية المعادى وأقام بها سبع سنوات ، ثم ذهب الى فلسطين سنة ١٩٣٧ . واقام بجوار بيت لحم .

وكان بيته طوال هذه الفترات كلها ملتقى لاصدقائه من العرب ومن المهتمين بالشئون الثقافية والسياسية العربية .

وكان فى الوقت ذاته حريصا على الاتصال بالفلسطينيين انفسهم ، وتفهم مشاكلهم ، ووضع كتابا قيما سماه Nisi Dominvs طرح فيه القضية العربية على صورة منصفة اكسبته صداقة العرب كنصير لقضيتهم ..

وفى بداية الحرب العالمية الثانية ، عمل نيفل باربر فترة من الزمن بوزارة الاستعلامات البريطانية بلندن .

وفى سنة ١٩٤٠ ، التحق بالاذاعة البريطانية ، حيث تولى الاشراف على الاذاعات الموجهة للدول العربية ، مستغلا معرفته وثقافته فى هذا المجال على خير الوجوه .

وكان مقررا ان يسند اليه منصب مدير القسم الشرقى بالاذاعة البريطانية ، لولا ان قفز الى هذا المنصب رجل من خارج الحقل الاذاعى ، فتقبل باربر هذه الصدمة بكل سماحة ، ولم يحقد

على الرجل الجديد ، وقبل ان يكون مساعدا له ، عاملا بنفس الحماس فى حقول الاذاعات الموجهة للدول العربية وايران والهند وباكستان • وبقى فى هذا المنصب حتى بلغ سن المعاش قبيل العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ •

على انه لم يتقاعد بعد احالته الى المعاش ، بل ازداد نشاطه فى مجال الدراسات العربية ، وشهود المؤتمرات الخاصة بالثقافة العربية فى مختلف انحاء العالم •

ولا شك ان وفاة نيفل باربر قد استقبلت بشعور عميق من الاسى عند عارفى علمه وفضله من اصدقائه العرب الذين يقدرون عمق تقديره لعدالة القضية العربية واحسانه فى الدفاع عنها •

السنة الكوبرنيكانية



كوبر نيكاس

ظل الناس يعتقدون ان كوكبنا الارضى هو قلب الكون ، حتى القرن السادس عشر ، حينما طالع الفلكى البولندى « نيكولاس كوبرنيكاس » الدنيا بنظرية جديدة تقول ان الارض تدور حول الشمس ، فكانت نظريته ثورة فى تاريخ الفكر البشرى ، يطلقون عليها اسم : الثورة الكوبرنيكانية

ويتأهب كثير من العلماء والمؤرخين فى اوربا وامريكا فى هذه الايام للاحتفال بذكرى مرور خمسمائة عام على ميلاد هذا الفلكى، صاحب هذه الثورة، الذى قضى جل حياته ــ التى بلغت سبعين عاماً ــ فى بلدة صغيرة اسمها « توران » يخيم عليها جو العصور الوسطى ، كان هو نفسه يصفها بانها تقع فى اقصى اركان الارض !

وستتخذ هذه الاحتفالات صورة سلسلة من المؤتمرات والمعارض العلمية فى عدة عواصم عالمية ، تنتهى الى مهرجان علمى كبير يقام فى بولندا ، موطن كوبرنيكاس

وفى الوقت ذاته ، يترقب العلماء بفارغ الصبر صدور الكتاب الذى يطبع الآن فى لندن ، وهو اول ترجمة للانجليزية للدراسة التى وضعها كوبرنيكاس شارحا فيها نظريته • واسم الكتاب « حول ثورة الدارات السماوية » ، وفيه نماذج من كتابات كوبرنيكاس بخط يده باللغة اللاتينية ، مع تعليقات

بقلم الدكتور ادوارد روزين ، الاستاذ بجامعة نيويورك ، وهو حجة فى الدراسات الكوبرنيكانية

ويقول الدكتور روزين انه لولا ثورة كوبرنيكاس ، التى اثبتت ان الارض ليست كتلة ثابتة ، بل متحركة ، ما استطاع العلماء الذين جاءوا بعده ، مثل جاليليو الذى تحدث عن كروية الارض ، ونيوتن الذى تحدث عن قانون الجاذبية ، ان يهتدوا الى نظرياتهم

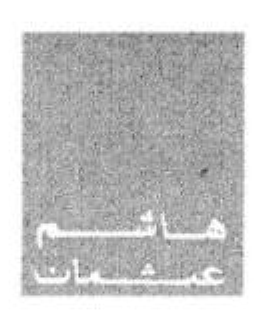
ويبدو ان كوبرنيكاس لم يكن مجرد عالم ، بل انه لم يخل من روح الشاعر · واليكم لقطة من حديثه عن نور الشمس :
« فى مستقر يقع وسط كل شىء ، تقف الشمس ، وكأنها مصباح ارسى فى افضل وضع من اجمل معبد فى الكون ، بحيث يستحيل ان يكون هناك وضع آخر يتيح لهذا المصباح ان يضفى اضواءه على كل ما حوله فى وقت واحد ... وكأنما الشمس مستقرة على عرش ملكى ، تحكم الكواكب الدائرة فى فلكها »

وقد كانت شجاعة علمية بالغة من كوبرنيكاس فى ذلك الزمان السحيق ان يفضى بمثل هذه النظرية فى عصر سيطرت فيه الكنيسة على الفكر ، آخذة بالنظرية القديمة الراسخة منذ عهد الفلكى اليونانى بطليموس ، التى تزعم ان الارض هى البؤرة الثابتة فى قلب الكون ·

وهكذا كان للثورة الكوبرنيكانية اثرها ، لا على العلم وحده ، بل على الدين والفلسفة ايضا

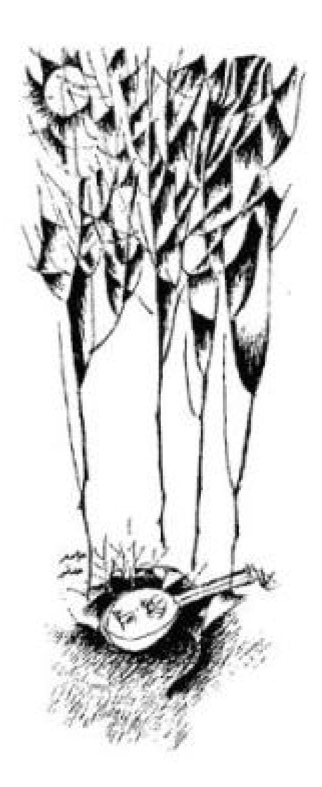
● ص · ج ●

يؤسفنا ان يحدث خطأ مطبعى فى العدد الماضى من « الهلال » ترتب عليه وضع اسم الشاعر العراقى الكبير حافظ جميل ، على قصيدة « ميلاد السيد المسيح » ، والحقيقة ان القصيدة للشاعر السورى الكبير شفيق جبرى ، نعتذر للشاعرين الكبيرين ·



مع شواعر

كانت زينب الغزلية «١٥٠٤ـ ١٥٧٢م» اول شمعة اضاءت في سماء الشعر النسائي السوري . ثم انطفأت ، انتقل اللهب المقدس الى مريانا مراش «١٨٤٨ ـ ١٩١٩» ومن بعدها الى ماري عجمي «١٨٨٨ ـ ١٩٦٥» . ثم انتشرت النار المقدسة . حملتها اديبات بارعات لكل واحدة منهن نسيجها الخاص ولونها المحبب وفي هذه المقالة سنتناول بالذكر شواعر جئن بعد ماري عجمي ، منهن من عاصرتها ، ومن جئن بعدها بكثير ..



سورية المعاصرات

فتاة غسان

ـ فاطمة سليمان الاحمد ـ (١٩٠٨) وهى أخت الشاعر الكبير بدوي الجبـــل ، وابنة العلامة المرحوم الشيخ سليمان الاحمد ، نشأت في بيت علم وأدب ، فكان لنشـــأتها أثر في نفســـها وفي شـــاعريتها كما أن للزمن الذى نشأت فيه أثره فى نفســـها وفي شاعريتها أيضا .. اذ هى عـــاصرت الانتـــداب الفـــرنسي على سورية ، والفرنسيون كما هو معلوم ، جزءوا جســـد سورية العربية الى دويلات : فى كل دويلة تلظت ثورة تنادى بالوحدة السورية وبالاســـتقلال الناجز ، وهناك تم سعي من الاجنبي للفرقة بين صفوف الشعب الواحـــد سلاحه فى ذلك التعصب المذهبى .

ثم هنـــاك الصراع على الزعامات وما جر ذلك من شحناء وبغضاء بين الاطراف المتنازعة .

جميع هذه الاحـــداث انعكست فى شعر فتاة غسان :

يا بلادا عدت عليها العـــــوادي ... والمت بجـــــوها الارزاء
سلبتها الهنـــاء والامل البـــاسم ... غارات أهلها الشعـــواء
لا اقول الدخيل قد فرق الشـــــا ... م ، بنوها والغاصبون ســـواء
يترامون والكتائب صـــحف ... أسكرتها شتائم وادعـــــاء
فسهام نوافذ من ســـــباب ... سددتهن حملة رعنــــاء
وسيوف من الكـــلام مواض ... ارهفتها الغايات والاهـــواء

ومنها :

اخجلوا أيها الرجـــال لطيش ... خجلت فى الخدور منه النســـاء
ما الزعامات واللـــواء خفيض ... الزعامات حين يعلو اللـــواء

ومنها أيضا :

لا تقولوا مذاهب فرقتنـــا ... مذهب الحق وحدة واخـــاء
ما دعا الدين للشقاق ولكـــن ... خلقته السياسة النكـــراء

ولفتاة غسان شعر وجدانى جميـــل نحت فيه منحى السلفيين منه هـــذا المقطع :

رعى الله اياما قضيت بقـــربكم وشمل الهوى بالرقمتين جميــــع
تذكرتها وهنا فهاجت صــبابتي وقلبي الى داعي الغرام سـميع
وغرد في قلبي حمام الفتـــــه ففاضـــــت له من مقلتي دموع
سقى البانةالخضراء مستعذبالحيا وزان مغاني الرقمتين ربيــــع
لعل لياليتا تجود برجعــــــــة فتلتام اكباد بهن صــــــدوع

وقد انطفأ صوت هذه الشاعرة منذ مدة طويلة ٠ وبقيت اشـــعارها على الصحف والمجلات لم تجمعها في ديوان

● عزيزة هارون ●

(١٩١٧) في طليعة شاعرات سورية اليوم وانبههن ذكرا ، وهي ايضا أول واحدة خرجت على منهج الخليل ٠

الطابع المميز لشعرها كونه رومانسي النزعة ، وجدانيا حزينا ٠ تفرغ فيه أحزان فؤادها الملتاع :

بالشعري بظله التقيـــا من همـومي وتنتشي أحزاني
سله عني أفجر اللحن من حبي واعطى الحياة من حـرماني
اتلقاه بالضلوع واهــــواه بقلبي ولهفتي وحنـــاني
شدت منه قصور وهمي وأبد عت ولونت في حماه المعـاني

وسبب أحزان الشاعرة فشلها في الز واج « زواجي الفاشل سبب لي شقاء كبيرا ٠٠ فهربت منه الى اشعاري » (١) ولهذا تفوح من أشعارها رائحة الوحشــة ويتكرر فيه ذكر الوحدة والجـــراح

وشعر عزيزة ، في الاعم الاغلب ، يتراوح بين الذاتي والقومي ، والذاتي اكثر ٠ ومن شعرها القومي هذه الابيات من قصيدة (جـــــراح) المهداة الى شهدائنا :

يالثارات الجراح كيف تحيا
في غد تشرق من هذي الجراح الف دنيا
كل جرح ثورة تشعل نارا
ثورة تغسل عارا
ولألحان الجروح الف نعمى وحياة
وحنين عابق بالذكريات
رف كالروح على كل موات

وكانت عزيزة في مطالع حياتهـــا الشعرية ، خليلية الطريقة ٠ ثم مالبثت أن خرجت على هذا النهج ٠ وأرسلت شعرها ، كما أنها لم تجمعه بعد في ديوان ٠

---

(١) من مقابلة أجرتها معها مجلة الحسناء اللبنانية ، السنة (١) العدد (١٤)

● هند هارون ●

(١٩٣٠) وهي شاعرة مجيدة · يلاحظ بالنسبة لشعرها ما يلي

١ ـ انها سارت على منهج الخليل ·· وفي قصائدها طول وبعضها طويل جدا

٢ ـ انها شديدة الارتباط ببلاد العرب وبالقومية العربية ·

قومية في ظلها يحلو الحديث عن الجدود
كانتحلهم قبس الرجاء يشع في فجر جديد
عرب بسحر بيانهم بالنبل بالمجد التليد

حملوا الى الدنيا الحضارة في اطار من ورود
غنوا مكارم قومهم في الفتح · في عهد الوليد
رفعوا اللواء وخلدوا بغداد في عصر الرشيد
فتحوا الفتوح وسجلوا بدمائهم يوم الشهيد
في غرة التاريخ سفرا من اغاريد الخلود

٣ ـ متأثرة بأحداث الوطن العربي ، وبالاحداث العالمية ·

ولهند قصائد كلاسيكية تحدثت فيها عن القمر وبحر اللاذقية وغيرهما ، في غاية من الاناقة والتـرف · وهي حتى اليوم لم تجمع شعرها في ديوان

● طلعة الرفاعي ●

(١٩٢٢) هي حقا شاعرة العشق الوطني · لم اجد مثيلة لها تغنت بالعرب والعروبة وحب الاوطان · فمعظم شعرها يدور في هذا الفلك ·



عزيزة هارون من طليعة شاعرات سورية المعاصرات

كانت قصائدها طويلة النفس، لكنها اليوم أخذت تجنح الى المقطوعات الغنائية ذات النفس القصير ومن جهة ثانية فانها سقطت في التكرار • فهي تكثر من ذكر العطر (انظر قصائدها : شعلة العطر، غضبة العطر ، همس العطر) ٠٠الخ٠٠

لست ادري • ربما انت يهمس العطر ادرى
او ما ابصرت يوما كيف يغدو البحر عطرا
كيف تنساب بحار العطر في الاسحار خمرا
كيف يغدو العطر في اعماقنا نورا وجمرا
هل سألت العطر يوما ان في الحب لسحرا

وحب الوطن هو شغلها الشاغل ، نظمته أشعارا مشحونة بالعواطف الصادقة • واليوم يتردد في شعرها ذكر الكفاح والفداء :

تلماى الى الثار الكبير فشوقها بجناح عمره
اختاه جرح الكبر يضرم في دمائي الف ثورة
ستظل حتى ينقل العصف الهدير الى المجره
اختاه ماأحلى السلاح فقد عشقت اليوم سحره
هيا الى حوض الفداء نعب منه خير خمره
ما اروع الحصن المنيع بصوته حر ٠٠ وحره

● نبيهة حداد ●

(١٩٢٩) تمثل المدرسة الملتزمة في الادب • فهي قد آمنت بالنضال في سبيل غد أمثل ، والسير قدما لبلوغ أمل انبثاق فجر اليوم الجديد ٠٠

أيها اليوم الحبيب
انا في دربك نشوى
مع شعبي انتظر



د . طلعت الرفاعي شاعرة العشق الوطني حب الوطن هو شغلها الشاغل

فى فمى انشودة مشرقة
وبنفسى امل

وبمى منفعل
بيدى حطمت قيدى ومشيت
ومعى تمشى الملايين اليك
وبوعى مستفيق
وبايمان عميق
اننا سوف نراك
حاملا بين يديك

حصد اجيال طوال
قد غرسناه وما زلنا نواريه ونسقى
وسيؤتى اكله
حينذاك · سوف تحيا امتى
فى سلام
حرة من كل قيد
ايها اليوم الحبيب

وعند نبيهة أيضا قصائد وجـــدانية المنحى توشيها رومانسية لطيفة · ومن ناحية اخرى فانها ترخى أحيانا لسجيتها العنان ، فتجىء قصـــائدها اقرب الى النثرية :

حتى سمعت يوما صوتا يسرى
فافاقت وانتبهت : من اين اتى ، ما ذلك ؟ لا تدرى
فاحبت ان تتكشف ما يجرى
فاطلت ، وانبثقت من مكمنها السرى
أصدرت عام ١٩٧٠ مجموعة شعرية بعنوان (ازهار ليلك) ·

● مها غريب ●

(١٩٣٢) ورقاء غنتنـــا على فرع حزنها الياد · كانت لفترة مضت تغلو فى الحجب والتضييق على شعرها ، لكنها الان اخذت طريقها الى النشر ، فطالعتنا بقصائد جميلة ، عذبة فيهـــا الجزالة والمتانة · من سمات شـــعرها انه سلفى · ونفسها الشعرى وسيع المدى · كما ان ثروتها اللفظية وفيرة ولكنها فى بعض الاحيان تورد مفردات عفا عليها الزمن مثل : هراس ، ورس وغيرهما · ومما يسجل عليها ايضا انهاتكرر مفرداتوتعابير واحدة فى القصيدة الواحدة مثال ذلك قولها :

مخضب الكف يا من جدت فى لهف   بالروح حتى تعالى أن يســـاويكا

وفى نفس القصيدة قالت :

ساومت بالروح اعداء الحمى فمضوا   يساومونك ، لكن من يساويكـــا

وقولها أيضا :

فكيف ابكيك حيا فى الخلود وقد   حللت اهلا على الرحمن باريكـــا

وقالت بنفس القصيدة :

طلبت موتا فاعطيت الحيـــاة به فلم قريرا تعالى الله راعيكـــا

والطابع التعليمي واضح اشد وضوح في شعرها ، تبدو من خلاله مرشـــدة ناصحة تصب في قوافيها رحيق الفضيلة والاخلاق :

يا طفلتي لا تبيعي الياسمين سدى ان الزهور تلوم العطر ان وثبـــا
خلي اليواقيت في ثغر العفاف غدا فائمن الجوهر المكنون ماحجبـــا
وحاذري ان يمس البرعمين اذى كم ارخص المس ماسا، وازدرى ذهبا
اياك أن تشربي من راكد آســن فالموت ارحم من ان ترتوى نصبا
لا تزرعي ارضك الولهى رغاب دم فتحصدي حسرة الايام والتعبـــا

● سنية صالح ●

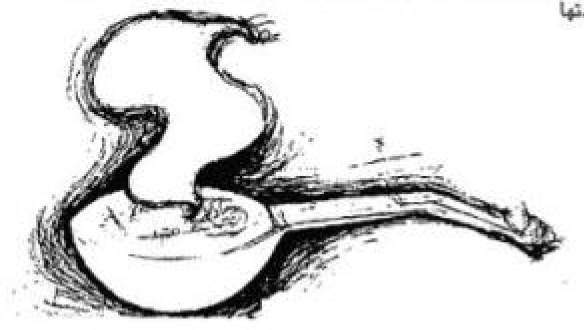
(١٩٣٤) ثمة اختلاف كبير بينها وبين بقية شواعر سورية المعـــاصرات لكونها جمعت بين الشعر والقصة ونجحت في كلا الفنين · فازت بجـــائزة مجلة حوار، عام ١٩٦٤ للقصة القصيرة عن قصتها حمروش · وكذلك فازت بجائزة ، النهار ، لاحسن قصيدة حديثة عـــام ١٩٦١ · في قصصها يطالعنا وضوح الرؤية الى جانب اللغة البارعة واللغـــة الشاعرية أما شعرها فمن نسيج خاص القصـــــيدة عنـــدها نثر منمنم يغلفه رمز وايحاء · ثم هوموشى بحزن شفاف !

لان الحزن مشاع ، والفرح مشاع
اخترت الجواد الاول
لاجوب العالم كما يحلو لي

وسنية تختار لقصـــــائدها عناوين ايحائية تبدو غريبة الى حد ما (انظر قصائد : عندما أوقف لموت جيادى ـ دماء الطفولة ـ فرس من النسيم ـ صليل الازمنة) والرمز يسم قصائدها جميعا، لذا فعلى القارىء ان يتمهل في قراءته حتى يستطيع فهم ابعاد القصـــــائد ومراميها ·

● ناديا نصار ●

(١٩٣٤) رغم كونها نظمت بعض القصائد الجيدة ، فشعرها للآن ، لم يأخذ طابعه المميـــز وهو في مجمله يعتاش على الذات · تتكلم فيه عن احزانها ووحدتها



همد الليـــل ، غير قلب شرود / يسال الليل عن ضياع العهـود
وحنيني يضج يبحث في عينيـك / عبر المدى ··· وراء الحـدود

انا يا كوكبي جنحت لدنيــاك / ولحنى يئن في صمت عـودى
وحنيني يا شاعر الطيب مرسوم / بعيني مائــــل في شرودى

ليلى الليل ·· انه لهفتى الحـرى / وتوق ليومنا الموعـــــود

وارتحال على جناح الامــانى / وانعتاق من جائرات القيــود
انت ليلى وانت ضوء صـباحي / وفنائي انت ، وانت وجودى (١)

● امل جراح ●

(١٩٤٣) نظمت الشـعر وكتبت القصة · تحدثت فى شـعرها عن الفدائيين · وديوانها الوحيـد الذى أصدرته عنوانه (رسائل امرأة دمشقية الى فتح) ·

لى امل وحيد
وصلاتى الى الرب ان تحققه انت
اذا ما غدر بى قلبى التعب واوقعنى (٢)
وتحقق حلمنا فى العودة
خذ رمادى وذره هناك

على روابى الجليل ، وفى سهول يافا
ازرع بعضه مع شجرة زيتون
وانثرنى فى الحقول والانهر

● سلافة العامرى ●

شعرها مقطوعات وجدانية حزينة · تتصاعد منها رائحة الصد والهجران واللهفة الى الحبيب المفارق :

اخشى الملامة فى هواك فارجـع / ويهزنى شوقى اليك فاهـــرع
واغالب الدمع الهتـــون وانزوى / فى ركن مظلمة ترد وتمنـــع
واسير فى دربى ملعثمة الخطـى / واهيم لا ادرى الام المرجـــع
سحب تكـاثف فى مدارج مرتعى / فالطرف مغضى والضلوع تطلـع

وعلى الرغم من أنها تقرض الشعر منذ سنوات طويلة ، فانها لم تجمعــه بعد فى ديوان ·

***

وهناك غير من ذكرت : عائشـــة ارناءوط، وحميدة نعنع، وهيام نويلاتى، ومنور قوال ، وهناء طيبى ، وتيماء الناصر ، وسحر كيلانى ، وغادة سلهب

● اللاذقية ● ● هاشم عثمان ●

---

(١) ل . ناديا ، ديوان شعر بعنوان « وجد تعرى » صدر عام ١٩٦٩
(٢) الشاعرة مريضة بداء القلب ، لذلك كثيراً ما تذكر قلبها فى قصائدها

العنادل على البحيرة

شفيق جبري

في سنة ١٩٦٤ كان الشاعر بدوي الجبل في جنيف بسويسرا ، فأوحت اليه غربته قصيدة حن فيها الى دمشق نشرت في احدى جرائد بيروت ومطلعها :

لا الغوطتان ولا الشباب
ادعو هواى فلا أجاب

فاجابه عنها الشاعر شفيق جبري ، في السنة نفسها ، بهذه القصيدة التي لم تنشر من قبل :

***

يا نائحا خلف العباب … أدموع عينك ام لهاب ؟
رفقا بقلبك ان يذوب … وقلب ربعك ان يذاب
ضني الصخاب من الحنين … اما حنوت على الصحاب ؟
لو يكتب الدمع اللهيف لكان … من دمع كتاب
ما بال جلق ما تجيب … اما لجلق من جواب ؟
« العنادليب » على البحيرة … ، والجوانح في اضطراب
مل المقام ــ وما يمل مقامه ــ … فمتى الإياب . . .
ما العاصفات على السماء … وما الثلوج وما الرباب
ملء العيون الغوطتان … عليهما .. لين الجناب
ايشوقه من آل جفنة … فيهما ظل مهاب
فمتى يطوف « العنادليب » … عليهما « طال الغياب
هون عليك ان استطعت ، … فما الملام ، وما العتاب
لابد من اشراقة … تجلو عن الافق الضباب

***

لو تستطيع هوت اليك … شيوخ ربعك والشباب
حبس الخطا عن زحفهم … قيد ينوء به الصعاب
ضجت شعاب الغوطتين ، … فما الضجيج على الشعاب
من كل غل للبيان وكل … ذل للرقاب
ياويح جلق ما تعاني الغو … طتان من العذاب
الفجر مضطرب الضحى … والليل مسود الخضاب
نمسي ونصبح لا ابتسام على … الثغور ولا دعاب
لا العين تهدا في المجيء … ولا الجوانح في الذهاب
فهل الذئاب على الصفاح ، … ومن يغيث من الذئاب
فكانما شبح الخراب يلو … ح من افق قراب

وخلت بلايا الدهر ربع   امية من كل باب
طفل يذوب من الشجون   وطفلة تشكو المذاب
سقط الحجاب عن العيون   فما يغشيها حجاب
أيعود عهود القرمطي   وما يجر من الخراب ؟

***

بنت الخلائف والملوك   على الارائك والقباب
أين القصور ومن تبختربينها   اين السكعاب ؟
اين الذين اذا مشوا   مشت الجبال مع الركاب ؟
دوت بك الدنيا فماج   دوى صوتك كالعباب
طال المصاب وطال صبرك   يا دمشق على المصاب
ما كان صوتك في النداء   اذا تعالى لا يجاب
اسئمت من طول الوثاب   وقد نشأت على الوثاب
غالبت حتى مل منك جهاد   قومك والغلاب
ماذل راسك للاسنة   والصوارم والحراب
ما غرهم الا الخفوت ،   متى الجماح ، متى الهباب
لم تبق منك معالم الا انطو   ت طي العباب
فكانما للقوم هم في حنا   رك ، التباب
هذا عقاب من استنام الى   الاذى ، هذا العقاب

***

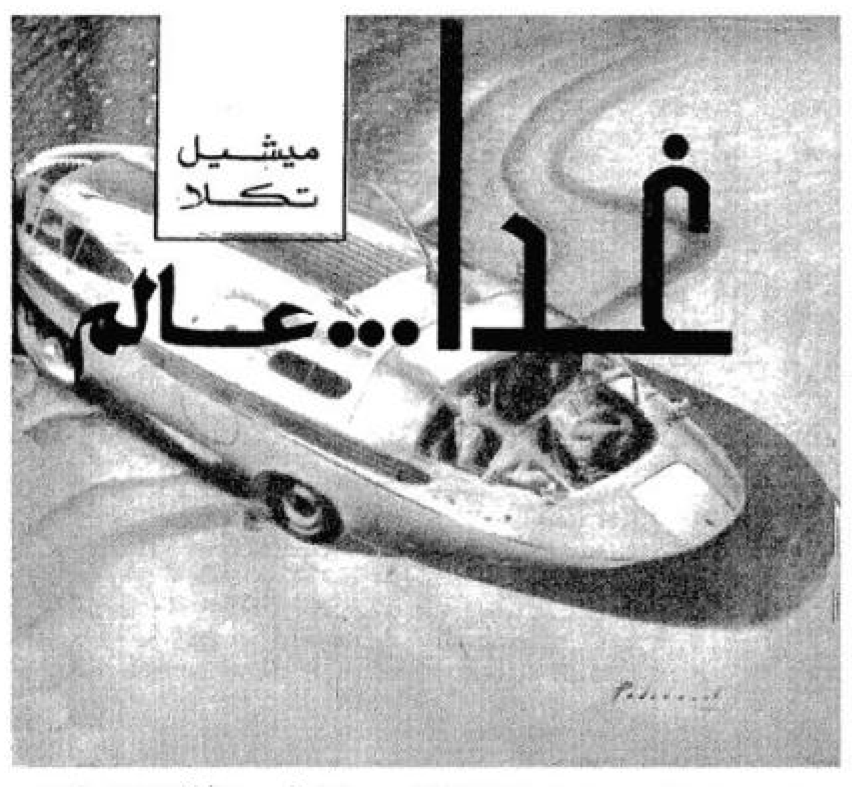
تلك الاضاحي يا دمشق   كانها اضحت معاب
اثواب اهلك ان تبيد   ديارهم ؟ بئس الثواب
ماذا جنيت وانت من كرم   الشمائل في اللباب ؟
ما شاب ودك شائب ،   حاشا لودك ان يشاب
هذي الضغائن في الصد   ور كانها لهب الشهاب
هل يطفئون لهيبها ام   دعوة ما تستجاب
طاش الصواب ، وكيف تهد   ى القوم ان طاش الصواب

***

لهفي عليك وكيف تنقع لهفة   جهد اللؤاب
لا جنح ليلك بالقصير ولا   لشمسك من لعاب
اطرح كئوسك والشراب ،   فما يطيب بها الشراب
تلك الليالي البيض مرت في   الحمى مر السحاب
حلم كاحلام العطاش   يغرهم لمع السراب
اين العنادل بين وهدان   الخمائل والهضاب ؟
نعق الغراب فليس   تسمع غير تنعاق الغراب

***

ليست دموعا ، ما سكبت   شغاف قلبي في انسكاب !



ف نهاية هذا القرن ، وفى بداية القرن الحادى والعشرين .

سوف تتغير الحياة تغييرا جذريا .. لن يسمح لاية عائلة ان تقتنى اكثر من سيارة واحدة مصنوعة من الالومنيوم الذى اعيد صهره اكثر من مرة .

والسبب أن الصلب سوف يختفى تماما ، ومن ثم يصنع جسم السيارة من الفير الزجاجى وبعض المركبات الكيميائية الاخرى . كما سيعدل مبخر السيارة ــ الكربوراتور ــ بحيث يتحكم فى سرعتها فلا تزيد على خمسين ميلا فى الساعة باى حال من الاحوال ، ويغلق او يبرشم من الداخل بحيث لا يستطيع الانسان أن يضاعف من دخول الوقود اليه والا اباده وفجره تماما .

ولن يقتصر الامر على ذلك بل سوف يشمل الرحلات الجوية فلا يسمح لاى انسان بركوب الطائرة اكثر من مرة واحدة فى العام ، لأن وقود الطائرات سوف يصبح نادرا ... اما البيوت فسوف تبنى من المواد والمعادن التى سبق استخدامها

بـلاخـامـات

اكثـــر من مرة ، ومن منتجـــات البلاستيك والمركبات الكيميائية الاخرى المستحدثة ، وكذلك كل ما في داخل هذه البيوت من اثاثات ...

ان الخامات الطبيعية سوف تنضب فى السنوات الأولى من القرن الحادى والعشرين الذى اصبحنا على ابوابه، لأن الانفجار الســكانى الذى يهدد معظم بلاد العالم ، والمجتمعـــات الانســانية التى اصبحت مجتمعات صــناعية فى هذا القرن الذى نعيش فيه ، من الاســـباب التى جعلـــت الانسان يعجل باســـتنفاد الثروات الارضية التى ظلت مختبئة فى باطن الأرض ملايين السنين ...

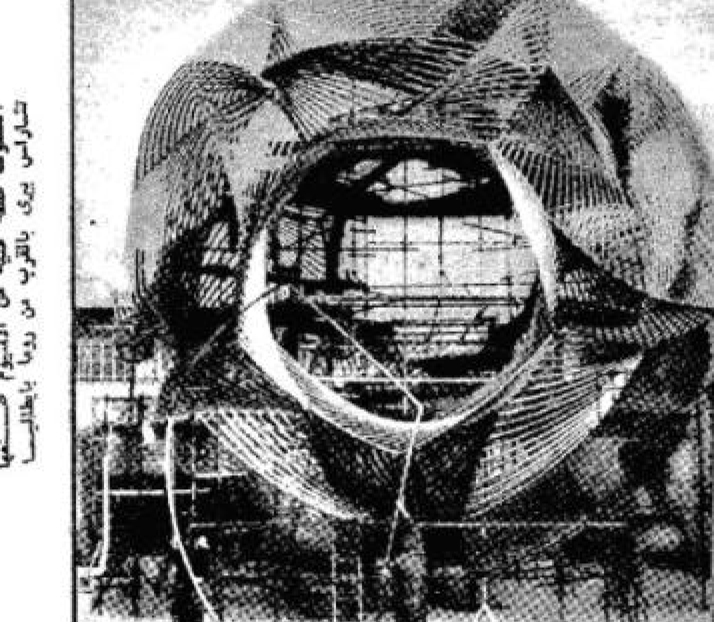
ففى بحث اجرته اكاديمية العلوم جاءت هذه الفقرة :

« فى رأينا ان عالمـــا به اقل من تعداد العالم الذى نعيش فيه والذى يبلغ قرابة ثلاثة مليـــارات ونصف مليار نسمة ، ســوف يقدم لســكانه حياة فاضــلة مريحة ، وعمرا طويلا للانواع ووقـــاية تامة للبيئـــة وجودتها ... »

ويحذر العالمان « جوزيف فيشر » و « نيل بوتر » فى كتابهما « حاجة العالم الى المصادر الطبيعية » انه اذا استمر النمو السكانى على حاله ، واذا زاد على اثنين فى المـــائة فان مشكلات كثيرة تنتظر ســـكان هـذا الكوكب الأرضى ، لن يجد لها العلماء حلولا مرضية . فنسبة زيادة السكان حتى نهاية هذا القرن لايجب أن تزيد على صفر فى المائة .وان كانت فى الوقت الحاضر وحتى عـــام ٢٠٠٠ تبلغ ٦ر١٪ وترتفع الى ٣ فى المـــائة فى بعض البلاد الصناعية ، وعلى الأخص فى بعض الدول غير النامية . وعليه فان معدل الزيادة يشير حاليا الى ٢٪ حتى نهاية هذا القرن ، وســـوف يتضاعف فى مدى ٣٥ عاما .

ومن المتوقع أن تنضب المصـــادر الطبيعية للخامات عند حلول عام ٢٠٠٠ ومن ثم يتغيرنظام الحياة . فمصادر الزئبق والزنك والنحاس والصفيح والطنفستان ــ وهو عنصر معدنى تصنع منه خيوط المصابيح الكهربائية ــ الهليوم ، ســـوف تنتهى تماما بنهاية القرن العشرين .

ويعتمد الانسان حاليا على الطاقة



الكسوف قطعة فنية من الالمنيوم صنعها تشارلس بيرى بالقرب من روما بايطاليا

النووية لامداد سكان القارات بالقوى الكهربائية حتى عام ٢٠٠٠ وذلك للنقص الظاهر فى الزيت الخام والغاز الطبيعى ٠ وفى القرن الحادى والعشرين سوف يعتمد الناس كلية على الطاقة النووية لتصبح المنتجة الوحيدة للقوى الكهربائية فى العالم كله ٠

اما الطريقة الثانية التى سوف يعتمد عليها الانسان لتغطية النقص الحاد فى المعادن فهى اعادة صهرها ولكن هل يمكن تطبيق هذه الطريقة على المستوى العام ؟

ان العالم « ادوارد ملانو » يجيب عن هذا السؤال بقوله : ان استبدال المعادن بأخرى يخلق مشكلات لا يمكن حلها لانها تفقد خواصها الاصلية ، فاذا كانت ركبت كيميائيا فانها تصبح ذات درجات منخفضة من الجودة ٠

ويقول دكتور « كنج هربرت » ان الزيادة المطردة فى السكان فى العالم ، والتوسع الصناعى ، سوف يحولان الكوكب الارضى الى كوكب محدود المصادر الطبيعية ٠

المؤشرات الاحصائية

ان الدول الصناعية الكبرى تعتمد حاليا على وارداتها من الخامات من الدول غير النامية فى افريقيا وامريكا الجنوبية لتغطية ما تصاب

مواردها من عجز ظاهر . ففى عام ١٩٣٠ مثلا تحولت الولايات المتحدة من دولة مصدرة للخامات الطبيعية الى دولة تستورد هذه الخامات بصفة دائمة . ولكن الدول التى تصدر خاماتها لابد أن تتوقف عن ذلك فى يوم قريب .

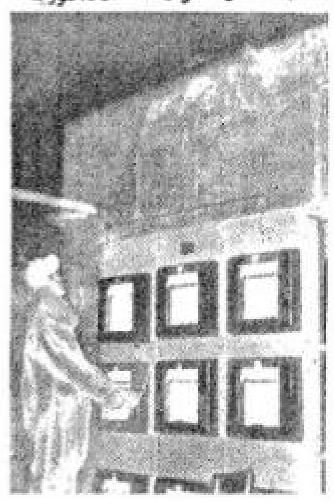
ونظرا للجهود التى بذلتها الولايات المتحدة فى الحصول على الخامات والمعادن منذ الثلاثينات من هذا القرن فانها لن تعانى نقصا كبيرا فى الموارد الطبيعية حتى نهاية هذا القرن ، واعتمادها على استمرار البحوث التكنولوجية وعدم توقفها واستمرار حصولها على الواردات الاجنبية ، وتقدير القطاعات العامة والخاصة لاهمية الخامات والحرص على استخدامها بحكمة وعدم الاسراف فى استعمالها واستبدالها بالمركبات الكيميائية .

وتدخل المعادن فى قائمة المصادر الطبيعية التى تنضب بسرعة . فالاحصائيات الدقيقة تشير الى ان رقم الاستهلاك السنوى للمعادن يرتفع ارتفاعا خطيرا ، وان العالم خلال السنوات الثلاثين القادمة سوف يستخدم قدرا كبيرا منها يعادل ما استهلكه فى تاريخه الطويل ...

ومع ذلك فان حجم المخزون من الموارد الطبيعية لا يزيد على واحد فى المائة من قشرة الارض ، وان كانت تكاليف البحث عن هذه الثروات يزداد بصورة رهيبة ، وتستخرج عادة خامات منخفضة الجودة .

ويرى العلماء أن اعادة صهر واستخدام المعادن مرة وراء مرة قد يكون الحل المناسب للتغلب على النقص الظاهر فى الموارد الطبيعية ، ولكن صعوبات كبيرة تقف حائلا دون تحقيق هذا الهدف .. ويرى علماء البيئة ان الحل الانسب هو رفع أسعار المعادن عند استعمالها لاول مرة وتشجيع استخدام المعادن التى اعيد تشكيلها مرة وراء مرة ويقول العالم « توماس لوفرنج » : « عندما يأتى الوقت الذى يعيش فيه الانسان فى مجتمع يعتمد على « الخردة » ليستخرج منها معادن ذات درجات قوية ، وعلى الصخور

يرتدى العلماء زى رجال الفضاء ، وهم يفحصون حرارة المفاعلات النووية

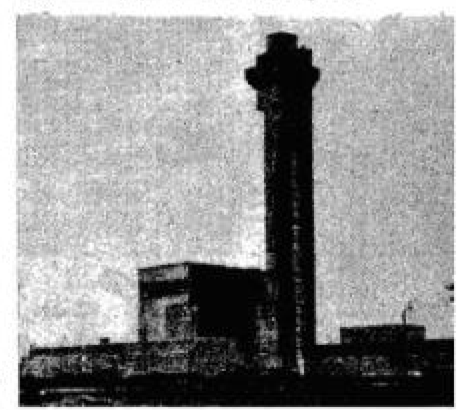


العادية ليحصل منها على الخامات التجارية ـ فان مثل هذا المجتمع سيبذل جهدا كبيرا فى الحفاظ على مستوى معيشى يعادل نفس المستوى المعيشى لمجتمع سبقه من مائة عام .

نوع الحياة فى المستقبل

ان مستقبل الانسان فى ظل مابقى فى الارض من خامات قد يصبح مظلما اذا فشل فى المحافظة على مصادر الخامات التى لا تتجدد بطبيعتها . واذافشل كذلك فى التحكم فى زيادة السكان . ويرى العلماء انه حتى لو اتخذ الانسان لنفسه كافة الاحتياطات فانه لابد ان يغير فى يوم من الايام من نظام حياته نظرا للصعوبات الشديدة التى سوف يواجهها بسبب اختفاء المصادر

مخزن اكوام المواد الخام المشعة ، ويرى المفاعل الذى يكرر فيه الوقود وتنتج فيه المواد التى تحدث الانفجار النووى



الطبيعية للخامات ويرى دكتور « برستون كلاود » استاذ علم الاحياء بجامعة كاليفورنيا ان نقص الموارد الطبيعية سوف يؤثر على المجتمع الامريكى بأسره فى اوائل القرن القادم ، وذلك فى النواحى البيولوجية والسيكلوجية وبسبب البيئة ذاتها .

وفى تقرير علمى رفع الى الكونجرس الامريكى من هيئة المناجم جاء مايلى :

« يوجد فى القشرة الارضية خامات معدنية تكفى البشرية جمعاء . ومع ذلك فان هناك كميات محدودة يمكن الحصول عليها وقبولها كمعادن ، وذلك بالوسائل العلمية المعروفة رغم تقدم التكنولوجيا فى هذا العصر ، وعليه يجب ان تتضاعف الجهود لتفادى هبوط مستوى البشرية فى اى مكان فى العالم »

ونظرا لبعض اوجه النقص الظاهرة فى المواد الخام فأن هناك تغيرات معينة يتوقعها الخبراء فى الانتاج العام عند حلول عام ٢٠٠٠ ، منها ان يحل الالومنيوم محل الصلب فى صناعة السيارات ، وفى بناء المنازل وناطحات السحب ...

ويقول الدكتور « بروار » مدير معهد البحوث الخاصة بالمستقبل فى الولايات المتحدة : ان التركيب البدنى والسيكلوجى للانسان فى قدرتهما ان يجعلاه يتكيف لاى نقص فى الموارد الطبيعية التى ستواجهه حتما فى يوم من الايام ، ولكن هل

يؤثر ذلك على انسانيته وبقائه ونوع الحياة التى سيحياها فى المستقبل ؟

ابناء القرن القادم

وهناك مدرسة من العلماء الذين يرون ان انسان المستقبل قد لايتأثر بنقص الموارد الطبيعية مادام البحث التكنولوجى يسير على قواعد علمية راسخة خلال القرون القادمة · وانه يمكن التغلب على هذه الظاهرة بالارادة الحازمة · ومادامت الحكومات والمؤسسات قد وضعت خططا طويلة المدى لمواجهة المشكلة ·

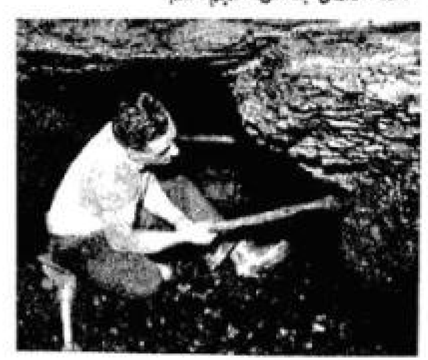
وقد نشطت فعلا بعض الحكومات فطلبت رصد مبالغ معينة لبحوث تجرى فى مدى قصير من الزمن لاستخراج المعادن والطاقة من الاشياء والمواد العادية وتحويل النفاية الزراعية الى بترول ·

كما ان بعض الصناعات التى تواجه قصورا فى المواد الخام بدرجاتها المختلفة بدأت من ناحيتها محاولة تغيير برامجها بدخولها فى حقول لايهددها نقص الموارد الطبيعية· وفى الآونة الاخيرة تكونت هيئات خاصة لبحث مشكلات البيئة والانفجار السكانى فى بعض الدول الكبرى كالولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتى وذلك لدراسة العوامل الرئيسية التى تسبب نقصان الموارد الطبيعية ، والعمل على تخفيض نسب الاستهلاك فى استخدام المعادن ، وتحديد استخدامها ، ونظرا لما يتوقعه العلماء من نقص او انعدام تام فى استخراج الخامات خلال السنوات الثلاثين القادمة · وعلى ذلك سوف تحد الحكومات من استخدام السيارات والطائرات واجهزة التكييف ،

واخيرا ·· يتساءل العلماء ماذا سيحدث لو اضطرت الحكومات الى تخفيض استخدام العقاقير الطبية ، والاجهزة الكهربائية بما فى ذلك المصابيح الكهربائية ، وهل يمكن ان يكون لها بديل ؟

ان سوء استخدام الانسان لمثل هذه الاشياء قد يعجل بوقوع الكارثة قبل نهاية هذا القرن ··· وعلى ابناء القرن القادم ان يواجهوا المشكلة وحدهم ليجدوا لها حلا مناسبا فى ظل التقدم الملحوظ فى البحوث التكنولوجية الراهنة والمستقبلة ■

احد العمال بداخل منجم فحم



● د. يوسف عز الدين ●

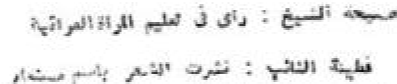
الأدب النسوي في العراق





نازك الملائكة : التزام بأصالة الشعر الجميل

سألت مرة احدى الزميلات هل تفضلين ان تكوني أديبة كبيرة أو انثى وأما ؟ فضحكت وقالت : اريد ان اكون أديبة كبيرة قبل الزواج ، وانثى بعد الزواج .. وكانت صادقة كل الصدق ، فقد ابرزت انوثتها في صدق العاطفة ورقة الاحساس وجمال الوجدان واستجابة للطبيعة


صبيحة الشيخ : راى في تعليم المرأة العراقية

فطينة النائب : نشرت الشعر باسم مستعار





المرأة

في العراق ، في اوائل القرن ، حجبت من الانظار ، وعاشت بعيدا من عالم الرجل . فكانت لا ترى الشارع الا مرتين عند الزواج وعند الموت ، خوف العار الكثرة ما كان يشن من الغارات وثأر من حروب تكون المرأة في كل غارة الغنيمة الاولى في المجتمع المضطرب بين قيم البداوة وبين اذيال الحضارة . فلا نعجب ان وجدنا امثال العراق تقول وظليمة ألظليمة . الناس جابت طليان واحنه جبنا لطيمه) . (1)

وتمنى العراقي ان يكون له الف ولد مجنون ولا بنت عاقلة مهذبة . فرسخ في الذهن (الف ولد مجنون ولا بنت خاتون) لانه راى البنت تجلب العار والخزي . وبذلك عادت الجاهلية التي وصفها الله تعالى بقوله : (واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون) .

فلا نعجب ان تصدر فتوى (الاصابة في منع النساء الكتابة) لان تعليم المرأة يجرها الى المراسلة والكتابة والخداع والمكر ، وعدم تعليمها يدرأ عنها المفاسد . ولعل المرحوم نعمان خير الدين الالوسي قرأ شعر الشاعرة المعروفة عائشة تيمور فاصدر حكمه حينما قالت :

ولكم بعثت مع البريد رسائلا … ومنعت حتى الطيف من احلامي
ولطالما ضحكت بروق رسائلي … لما بكت بصريرها اقلامي
قلبي بحبك يا غزال متيم … يشكو ظماه لثغرك البسام

وكيف كانت تكون فتواه لو قرأ شعرها الرقيق الذي يعبر عن أرق احاسيس الانثى وتمردها على الحجاب بقولها :

جاء الطبيب يداويني فقلت له … دع عنك طبي ولا تتعب بلا طائل
تغلو الطب والاحشاء في حرق … والجفن من فرط وجدي دمعه هاطل

فالتركيب الاجتماعي في العراق . ما كان يرى للمرأة فضلا ، ويجب حجبها وسترها وراء الحيطان . وهي باية حال خير من بنات أوربا الذين كانوا يناقشون فيها : هل المرأة انسان او حيوان ؟

---

(1) معناه نحن اصبنا بغبن كبير فقد ولدت لنا بنت عوضا عن الولد .

وجاء القرن العشرون . ولم نجد في أوله شيئا يبشر بظهور المرأة على المسرح الفكري . وأعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ . ومع ذلك بقيت المرأة في حريمها . واندلعت الحرب العظمى ودخل العراق تحت الاستعمار البريطاني . وما بين هذين العشرين وجدنا بوادر لتعليم المرأة وانشاء مدارس للاناث أو باسم مدارس الاناث الموظفين .

لكن المجتمع قاوم تعليم البنات . واعتبره مضيعة للاخلاق ودعوة لانتهاك الحرم ، عندما افتتحت مدرسة سنة ١٩٢٠ فوبلت الاسر التي ارسلت بناتها للدراسة فيها بالنقد اللاذع وسمعت المعلمات والطالبات مختلف الشتائم . فقالت الاستاذة صبيحة الشيخ داود :

(وبلغ الغيظ منتهاه عندما تعرضت المعلمات والطالبات لعداء طائفة من الفتيان بالقاء الحجارة عليهن) . وما نامل في مجتمع رئيس الوزراء فيه يحلر نسوته من الظهور (...) داره دون ارتداء العباءة خوفا أن تقع عليهن اعين الطيار من طائرته .

وكان تعليم المرأة عند المسيحيين أسبق من تعليمها عند المسلمين . لهذا ظهرت بعض الاسماء المسيحية في عالم الادب قبل أن تظهر عند المسلمين من خارج العراق وقد اختفت هذه الاسماء ولم تستمر .

ومن أبرز هذه الاسماء . بولينا حسون التي أصدرت أول مجلة نسائية في العراق سنة ١٩٢٣ . واصدار مثل هذه المجلة حدث كبير . والواقع أصبح فريدا . فان صحافة المرأة قليلة ومحدودة ، فلما ظهرت المجلة جاءت في خوف ووجل . وارادت أن توحي للقراء بأنها تخدم الرجل وأسرته ومنزله . فشرحت أهدافها من اصدارها بأنها (تبحث في كل مفيد وجديد فيما يتعلق بالعلم والفن والادب والاجتماع ، ولا سيما تهذيب الفتاة وتربية الاولاد وصحة الاسرة وسائر ما يختص بتدبير المنزل) لتؤكد بأنها في خدمة البيت . وكان أكثر كتابها بل اكاد اقول كلهم من الرجال المعروفين كالرصافي والزهاوي وغيرهما .

وكتبت فيها الآنسة صبيحة الشيخ داود الطالبة في المركزية مقالا من حياة المدرسة ، وكان بعض الرجال يتوجسون مساعدتها علنا . لذلك كانوا يشجعونها سرا ويمدحون ظهورها بأسماء مستعارة . حتى الاستاذ سليم حسون الذي كان يكتب بابا دائما هو (بوق الحق) لم يوقعه . ولولا أن الصحافي القدير مجيب حسون أخبرني به لبقي الامر سرا . ووجدت بعض المقالات بتواقيع (مثالة) و (سائحة) و (عارفة) ولا أدري ان كان الكتاب رجالا كتبوا بهذه الاسماء المستعارة أم أنهم نسوة حقيقة .

وقوبلت المجلة بعاصفة من المعارضة . وكانت التهمة الموجهة لها بأنها تنادي بالسفور . وسرعان ما انكرت المجلة هذه الدعوى وقالت بانها : (لا تطالب برفع الحجاب . انما تريد التهذيب الجدي وتحسين الاخلاق والاحوال العائلية) .

وقد وجدت فيها قصيدة بتيمة باسم فيروزة توما أقرب الى المواعظ والحكمة منها للشعر الاصيل تدعو المرأة للنهوض ولعل ناظمها من الرجال اذ جاء فيها :

يا فتاة العرب ما هذا الرقاد ... طال ليل الجهل ــ يا مي ــ وساد
ان نهضت بأن صبح للبلاد ... او قعدت فالهنا عنا رحل

●●●

بين أيديك غدا الطفل الصغير ... طينة في يد خزاف قدير
فاصنعي منها رجالا للعصور ... ونساء لا يخيبن الامل

وهذه البادرة الصحفية لا يمكن اعتبارها عراقية لان صاحبة المجلة كما اخبرني الصديق الاستاذ مجيب حسون تعلمت في فلسطين وعادت الى العراق . ثم كرت راجعة الى فلسطين رغم ان تربابها في العراق وانها درست فترة في مدارسها .

وفي أواخر العشرينات بدأ الرأي العام يتقبل تعليم المرأة ، بعد الثورة الجامحة التي أججها الكتاب ضد الحجاب متأثرين بحركة قاسم أمين في مصر وتطور المجتمع النسبي بالقياس الى الجيل السابق .

وفي هذه الفترة كان عالم ببغداد الشيخ عبد الوهاب النائب يجلس الى حفيدته

يعلمها الشعر ويطارحها الابيات ، كما حدثني اخي الاستاذ عبد الرزاق بستانه (١) ويفخر الشيخ بهذه الطفلة الصغيرة التي تردد الشعر دون وعي وتطارحه دون ان تفهم معاني ما تقول . انها فطينة النائب . ولكنه مات دون أن يرى النبتة الغضة التي غرسها ، ثم حالت التقاليد دون نشر شعرها ، فكتبت باسمها المستعار (صدوف) اذ أبى والدها عليها أن تكتب أو تنشر ، كانت فطينة في مجلتنا ملء عين المجلة . وكانت معروفة مشهورة .

وفي هذا الجيل نفسه ولدت سليمة الملائكة ورباب الكاظمي وهن جيل الوعي الأدبي والبعث الشعري في العراق . على تفاوت في الشاعرية وبعد المسافة . فهل افصح هذا الجيل الرائد عن رغباته . وهل تمكن ان يعبر عما تجيش خلجات نفسه .. الغالب أنهن كن يعشن حياةمزدوجة بين الواقع وبين الأحاسيس لان التركيب الاجتماعي منعهن عن الافصاح عن صدق المشاعر وتبيان صادق السرائر ولا سيما في الغزل . انه مجتمع كبت الرغبات لا للمرأة فحسب . وانما للرجل ، فكيف يجيز لها ان تتغزل . ومتى انطلقت من اسارها فقد انطلقت معها الاشاعات والاباطيل ..

ثلاث شواعر تفاوتن في الثقافة والمحيط والحضارة . كن في مطلع الأدب النسوي ، فان فطينة درست على جدها في الدار وأكملت دراستها في اللغة الانكليزية . وسليمة التي نالت قسطا محدودا من التعليم الرسمي ، نماه زوجها المرحوم صادق الملائكة مدرس اللغة العربية في المدارس الثانوية .

نظمت فطينة وهي طفلة . ونظمت رباب وهي صغيرة . ونظمت سليمة عندما بلغت الثامنة والعشرين . فالوعي الادبي كان متفاوتا وان سار في مسارب مختلفة أدت الى نتائج طيبة توحدت في الهدف والنتيجة .

ان قواعد شعرهن الاصالة العربية التي سميت تقليدا او كلاسيكية كما يسميها (المستغربون) مع ان الشعر الأصيل المقلد او المحتذى في هذه الفترة هو انصع ديباجة واكثر اصالة من كثير من الشعر الذي ينظم بلا هدف وبلا معنى وبلا موسيقى .

ولئن سبقت سليمة زميلتيها في السن . فهن من جيل فكري وادبي واحد . وعشن في ظلال مجتمع يكاد يكون متشابها . رغم أن رباب كانت تعيش في القاهرة . الا انها كانت تعيش في ظل والد يعيش على ثقافة جيل سابق . فلا نعجب ان كن خائفات وجلات . لا يقدرن على التعبير بصدق ووضوح من مشاعرهن وذلك طبع

---

(١) وهي الطالبة الوحيدة بين تلاميذه (عبد الرزاق بستانة) .



عاتكة الخزرجي : شعر يذوب رقة وينساب عفوية



ام نزار : الشعر في خدمة قضية فلسطين



ابتهاج عطا امين : شاعرة رقيقة النغم



حياة جاسم : نشرت بتوقيع « الزهرة البيضاء »

المرأة متى منعها المجتمع .

والحرية أولى درجات الافصاح . ولما كبل المجتمع المرأة لم تعد قادرة على التعبير الصادق وغدت متعددة الشخصيات . وبدأ التناقض والغموض والالتواء على تصرفات المرأة . فاصبح الشعر القومى والوطنى والوصف والتغنى بالشجن الحالم المبهم . والطيف الشبابى الحالم ، مسارب للشاعرة تتحدث بها عن مكنونات روحها وعميق مشاعرها الرقيقة ونجد حنانها الدافق العذب فى ثنايا الشعر النسوى عند الشواعر الثلاث . لان الوجدانية او الرومانسية أشد وضوحا فى شعر المرأة . لتثبت فرديتها المكبوتة وذاتيتها المظلومة ، تريد أن تفرض شخصيتها بالثورة على التقاليد وتبرمها .

وفى شعر صدوف وام نزار وضوح فى الهواجس الداخلية ، سمة الانسان المكبوت الذى يريد المثالية . غير أن خوف المجتمع جعل هذه الذاتية منغلقة ، فنرى الحزن فى الاسلوب ووضع الشجن والملال فى طيات الشعر . وما نشر بتوقيع مستعار اكثر وضوحا لانه يعطى شيئا من الحرية فى الافصاح ، وتبدو أحلام اليقظة واضحة فى هذا الشعر . ولهذا وجدنا الشاعرتين قد نظمتا بقليل من الحرية . وان شابها التردد والرمز والاختفاء تحت براقع مستعارة خوفا من قساوة المجتمع .

وصدوف من اللائى كن صريحات فى التعبير عن رقيق المشاعر . وبالرغم من الحجاب الشديد الذى ضرب عليها فقد كانت تمتع نفسها واخواتها بجمال الطبيعة فى سطح الدار وتتمتع بجمال السماء الصافية الاديم ، تحت أضواء القمر الرائعة . وقد فهمت الحياة وأسرارها الجميلة لذلك قالت : (ان الحياة لا تساوى أن تذرف دمعة بها أو عليها) ويبدو اثر الخيام فى هذا الخيال الشاعرى عندما قالت :

اهدى ورودك يا ربيع وعطرها يتضوع
عذراء يلثمها الندى والفجر حلم أروع
اهوى النسيم محوما ، نشوان لا يتورع
تأود الازهار حيث دنا ولا تتمنع
تعانق الاغصان بالقبل العذاب تمتع
وتسابق الغدران للنهر الحبيب فتسرع
والبلبل الجذلان ما بين الغصون يرجع
فيهدهد النشوات لحنا بالسلافة مترع
ونقول قد حل الربيع وما نريد ونطمع
هذى الفتان بين أحضان الطبيعة ترتع
واليوم لو يمضى فلا عود له أو مرجع
فتبسموا مستبشرين وهللوا وتمتعوا

وربات لم تعثر لها فيما جمعه لها الاخ « عبد الرحيم محمد على » على شعر غير ان ام نزار هي الوتر الجريح الحزين في عالم المرأة ، عندما تحدثت عن مكبوتة في اعماقها كانت صدى عميقا لكبت طويل تغنى بكل عذوبة وحنان وصفة عن السر الغالب الذي تاه عنها في خضم الخيال الجنح .

وفي شعرها كما قالت الزميلة الفضلى الدكتورة الاستاذة بنت الشاطئ« الظمأ العاطفي الذي طال عليه الامد وهو مختنق بالوأد والكبت) .

وبالرغم من ان أم نزار من صميم جيل الحريم الا أنها كانت زوجة رجل وعاشت في جيل متفتح ومع أسرة متنعمة . ولا أظن عناصر الكبت التي ذكرتها الزميلة الفاضلة واضحة . فهي صريحة في شعرها وطرحها وثورتها على التي كان المجتمع النسوي يئن منها ، فهي تقول تخاطب قلبها الحزين باعتداد ووضوح قصد :

تتوق الى الهمـوم فتصطليها وترقص في الشجون الوازنات
فليتـك لم تكن يا قلب نورا يرفرف في سـماء الذكريات
وليتك لم تكن حسا رقيقـا فقدت به الالف الآسـيات
فحسبك الغنيـات ليس تألو توالي من جروحك داميـات

وقد كثرت الفاظ اليأس والموت والحيرة والاهوال والالام والسقم والشجن في شعرها .. وشعرها مغرق في وجدانية عميقة تبعث في النفس الاسى وفي احاسيسها رغبة عارمة وثورة دفينة .

وشعرها حاجة طبيعية لمثلها ومثل لاضرابها ، ويختلف هذا الشعور عندما تنظم الشعر القومي . فنجد الامل والتفاؤل والدعوة الى الثورة على الاستعمار . ولعل فترة البعث القومي واليقظة الفكرية التي كانت تعم الدنيا العربية وروح الشباب العارم هو الذي كسا هذا الشعر بهذه الروح الوثابة فقد تسرب الـوعي القـومي الى النفوس بعنف وقوة ، فوجد في وجدان الادباء تجاوبا عميقا فمثلت الشاعرة آمال الامة العربية والرغبات التي طال عليها الامد . فاصبح الشعر حاجة ضرورية للتنفس والتعبير عن مكنونات لاشعورية عانى منها الجيل من التفرقة وذل المستعمر واختلاف ابناء العرب .

وأم نزار شاعرة الفكرة القومية ومن الدعاة المخلصين لها فقد وجدنا في شعرها نبض الاماني وصدق الاحساس مع ان شعرها غير مشهور ومعروف ، فهو يمثل فترة من أهم فترات المد القومي ما بين ١٩٢٠ ـ ١٩٥٠ في العراق ، وكانت أولى المشكلات التي تنحت الاعين على مصائب الاستعمار قضية فلسطين التي غذى أبطالها العزة القومية في نضالهم ضد العدو الغادر . وخلق في الشباب الامل بأن العرب لم تمت فيهم روح التحدي والنضال .

وشعرها شأن كل قومي أصيل فيه من العاطفة العميقة وصدق اللهجة والايمان بالفكرة العربية والتراث الاسلامي :

فلسطين دنا النصـر ولاح الـامل النضـر
دلائل للمنى للسـعد في افقـك تنتشـر
الا فليعـلم الغـدر واحـلاف له كثـر
بانا العـرب ، لا الدهر يروعنـا ولا الشـر

وهي مؤمنة بأن الوحدة العربية هي الحل الوحيد لانقاذ فلسطين . لهذا نراها تقول :

ان للحق وثبة وثبـاتا هكذا الحق لم يزل غـلابا
نفد الصبر يا اباة فهبـوا واملاوها مدافعـا وحرابا
اظهروا صولة العروبة فيها قبل ان تلبس الهوان ثيابا
ان يعود الفخار والمجد للعرب اذا لم تهيىء الاسـبابا
فالبدار البدار للوحدة الكبرى سراعا لتصبحوا غلابا

والشاعرة أسهمت مخلصة في القضـايا العراقية في ثورة ١٩٤١ واعدام الشهداء ووثبة ١٩٤٨ ويوم الجسر وغيرها من ثورات العراق التي عاصرتها وعبرت عن امانيها في تحرر العراق من الظلم والفساد .

وقبل أم نزار كانت رباب حدى للحركة القومية في الوطن العربي. وبالرغم من ان ميلادها ١٩٠٩ وميلاد رباب ١٩١٧ الا أن (رباب) كانت ابعد صيتا وأكثر معرفة في الدنيا العربية . فهي بنت شاعر القومية العربية الكبير . التي ربلت على انغام العصا وترعرعت على سنا روحه العالية . انها صورة للكاظمي . ولكنها بصورة مختلفة لاختلاف الشكل والتقاطيع واختلاف الرجل عن الانثى فلا عجب ان قال الشاعر الكبير الحبيب صالح جودت عنها (تاثرت بروح ابيهـا لولا تلك الانوثة الرقيقة التي تبدو على شعرها ، ولكن ديباجتها العربية هي من النمالج العالية للشعراء لا للشاعرات فحسب) .

ويصف لنا مؤرخ حياتها الأخ عبد الرحيم محمد علي (وهي تنظم كلما سنحت لها مناسبة ، وعرتها خاطرة . وقد نظمت في أغلب فنون الشعر) غير أن ابرز شعرها واصيله وأقواه ديباجة هو الشعر الوطني .

وأكبر دليل على أثر والدها في شعرها ونفسها أن انتاجها اتسم بسمات بعيدة كل البعد عن مصر وحضارتها . فقد وجدنا فيها الروح البدوية وحياة الخيام . وامتلأ شعرها بحياة العرب البدوية ومثاليتها فقد قالت :

لست بنت الشاعر الفذ الذا   لم احاك الشاعر الفذ شعورا
واساجله جـلالا وعلا   واماثله تعليمـا وتشـويا

ويعجبني من شعرها وصفها لوالدها المريض المقعد عندما وصفته بأنه كالاسد في عزمه وهو مثل المؤمن العميق الايمان في صبره :

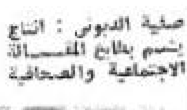
لم اجد مثل ابي في عزمه   اسدا، تعنو له الاسد، عصورا
واذا ما كاهل الدهر وهي   خف بالعبء حمولا وصبورا
كلما زاد اختبارا علمـه   زاده العلم من الناس نفورا
لا يرى يمشي عليهـا مرحا   لا ولا يختال في المشي غرورا
واذا اشتد به الكرب يرى   راجعا لله حمـادا شكورا

انها صورة المؤمن المتدين والرجل الطود القوي الارادة والعميق العقيـدة واصدق شعرها ما نظم في مصر وحالتها وكفاحها من اجل التحرر والاستقلال والجلاء . لقد شاركت مصر بكل عواطفها وحاربت الظلم الذي ران على صدرها من الاستعمار . ووصفت سيطرة الأجنبي وما ساد البلاد من الظلم والفساد .

وكانت تدعو ابناء مصر الى الجهاد والثورة والقتال في سبيل استخلاص حقها المهضوم ، وتتمنى أن يعيش أبناؤها في حرية في القول والرأي . وتهدد الظالمين بأن مصر مقبرة الغزاة :

الاخوات الاديبـات بهجة فتوح ، والى يسارها مري ، والى يمينها زكيـة





صفية الدبوني : انتاج يتسم بطابع المقالة الاجتماعية والصحافية



د. سالحة امين زكي : طبية يتسم اسلوبها بالروح الادبية ...

ليت ما كان بمصر ظالم ... ظالما مصر ولا جان جني
حبذا لو كنت في حرية ... ورفعت القول حرا علنا
لا رعى الله الذين احتفروا ... قبر مصر واعدوا الكفنا
فات من يحتفر القبر لها ... حافر الحفرة فيها دفنا

ولم تكن دعوة الشاعرة محدودة بالنيل انما ترى أن تكون دعوتها تشمل جميع الوطن العربي لان المصاب واحد :

اذا ما النيل لا يرويك حرا ... فلا يردى رونك ولا الفرات
كلانا في بليته سواء ... وان جروحنا متشابهات
فلا حرية يحمى حماها ... ولا دستور يرحمه القساة

وظاهرة الحب الخالص لمصر واضحة كل الوضوح في شعرها . ومن لم يزد مصر ويعش فيها لا يعرف مقدار حب الزائر لها . فكيف يكون حب من شب فيها وترعرع في اكنافها وعاش في جنباتها . وتفيأ ظلالها والف شعبها الودود المضياف ، فهي تقول في جميل لحونها :

الشرق ليس ببالغ املا ... حتى يعود الشرق والمجد
او ينتهي والنفس راضية ... حقد النفوس ويبتدى الود
فاذا دعا في مصر ذو الم ... فالصين في الساعين والهند
والشام مصر والعراق دنا ... يمن به وتهامة نجد

● ● ●

وجاء جيل آخر من الشواعر هز الاحاسيس بالمه العميق وحزنه الدفين وعاطفته المؤارة ، جيل تطلع الى الحياة بعد أن حصل على حرية الدراسة في الكليات واختلط بالرجال أكثر من الجيل الماضي ، ولكنه كان مشدود الاواصر بعالم الحريم الذى شب عليه . فدخل الحياة الجديدة بظمئه الروحى وكبت عواطفه ووأد أحاسيسه ، فقلقت روحه واضطربت مفاهيمه القديمة . فكان حذرا في الانتاج متوجسا في الكتابة خوف التأويل والتجريح . وتمثل هذا الجيل نازك صادق الملائكة، والدكتورة عاتكة وهبى الخزرجي . ومقبولة الحلى ، واميرة نور الدين ، وابتهاج عطا أمين ، وصبيحة المدرس ، وباكزة أمين خاكى .

ثم هنالك مجموعة اخرى من الشواعر هن لميعة عباس عمارة ، وصبرية الحسو ، وآمال الزهاوى ، وحياة جاسم ، وعالية ممدوح ..

ورغم مرور فترة طويلة على حرية المرأة ومحاكاتها للمظهر الغربي واسهامها في الحياة العامة ، نجد في شعرها الالم الدفين الم الانثى الشرقية التى طال اسرها فانطلقت من قيودها دون أن تدرى ما تخطط أو تعمل ، اذ ورثت الظمأ الروحى الذى خلفته لها أمها وجدتها فتراكم في اللاشعور عبر السنين والاجيال فكان خيرا على الادب وبركة على الفكر ، ففى شعرهن نجد أحلى الاحاسيس وأجمل الاغاريد وأروع الانغام ، وصفت الشاعر برقة تنساب جمالا ، وحنين الى المجهول سرت

فيه المعاناة الروحية .

ومنهن من بالغت في هذا الكبت وتصورت أن الادب هو اظهار الغريزة الجنسية بعرى تام وابتذال مذموم . وهو أمر طبيعي لمن لم تكن حضارتها الاجتماعية تقيها من مزالق الحياة وتقف حاجزا دون الافاضة ودون المبالغة في الامور . وهو شعر قد يرضى فنيا ولكنه لا يرضى اخلاقيا . مثل شعر ابن سكرة وابن حجاج وبعض شعر أبي نواس الذي لم يكتب له الذيوع والنشر . ولن تنشر في العراق لواحدة منهن .

والمرأة في العراق وصلت اعلى درجات التعليم والتوجيه ، فمنهن الاساتذة في الجامعة والهندسة والطبية والصيدلانية ، لكنها لا تزال تتوجس — الا القليل — في حياتها خوف المجتمع الذي يمنع المرأة من الابتذال . ويريدها محافظة على كرامتها وتوقير انوثتها لان المجتمع العراقي منحها من التقدير والاحترام ما لم تجده الانثى في كثير من الاقطار الاخرى .

ولعل أبرز الظواهر الادبية على شعر الشواعر المشاركة الجادة مع الرجل في القضايا القومية وشئون الوطن العربي . لان القضايا القومية والوطن العربي شغلت العرب وهددت حياتهم وكيانهم أكثر من القضايا الاجتماعية والفكرية .

وتغلب الذاتية على شعر نازك في مراحلها الاولى والميل الى الرمز ، فهي خصبة الخيال جميلة المعاني كثيرة التوليد متأثرة بالشعر المهجري والغربي ومعجبة به . وكانت موسيقاها في أوائل شعرها عذبة حلوة ، ولكنها أخيرا بدأت تحكم العقل فأثر في الموسيقى وفي جميل معانيها . وأبرز مثل (مأساة الحياة وأغنية الانسان) الذي نظمته ثلاث مرات . لقد حكمت عقلها في المعاني والجو العام لشعرها ، وعللت الشاعرة الكبيرة ذلك بقولها : (فأصبحت موائدي الادبية اقرب واسلوبي أكثر صورا وثقافتي أغنى) . ثم بدأت الحياة تستقر أمامها وهذا كثير من المشكلات النفسية . وسرت عندها روح التفاؤل ، وعادت الى الايمان والاطمئنان الى الحياة . وبرمت بقيودها واخذت تفكر في الفناء والموت ، قالت :

عبثا تحلمين شاعرتي ما ... من صباح لليل هذا الوجود
عبثا تسألين لن يكشف السر ... ولن تنعمي بفك القيود
في ظلال الصفصاف قضيت ساعاتك حيرى تمضك الاسرار
تسألين الظلال والظل لا يعلم شيئا وتعلم الاقدار

وعندما تتحدث عن السعادة تجول جولة جميلة بين السعداء ومظاهر السعادة فتجد السعادة أسطورة صعبة التحقيق وتودع الحياة فترضى بالدموع والاحزان لان السفينة ستصل الى شاطىء الاحزان :

هكذا تبلغ السفينة يا شاعرة الحزن شطها الابديا
شاطىء الموت شاطىء الوحي والاسرار ذاك المحجب المخفيا

●●●

وعاتكة هي الاسلوب العباسي الجزل السهل الممتنع الذي يذوب رقة وينساب عذوبة ثم تراه مصقولا فاضيا فهي بين رقة تشرب وغضب متجنب .

والشاعرة رقيقة الشاعر عفافة النسيم تستثيرها الكلمة الحلوة وتحس بكل لمحة . فعندما تهدى باقة ورد ، وعندما يطالعها وجه المحب ، وعندما تهدى كتابا ، وعندما [illegible] بمريض ، وعندما يتحدث اليها عزيز — تجدها تنظم الشعر بسرعة وبراعة.

وفي [illegible] بلك الهدى) الكثير مما ذكرت ، ففيه النفس الهادىء العذب . اما [illegible] في مصرع الشيطان وفي القضايا القومية . ومن رقيق شعرها :

[illegible] روحي أيا من لا اصطبار له ... عنا وليس لنا عن ذاك مصطبر
[illegible] والايام دائرة ... بنا كذاك علينا يحكم القدر

[illegible] الشاعرة الكبيرة في طيبتها وصفاء قلبها ورقة مشاعرها — يلومها . [illegible] وصدق الاحاسيس تغلب على سوء تجاربها مع الناس ومعاناة الحياة [illegible] التجارب . ومع ذلك تذوب حنانا ، وتتدفق رقة عندما تحس بالصدق . [illegible] والحنين الوافر الاصيل لينعكس كل ذلك بيسر وسهولة في شعرها فهي

تقول في عتاب محب جميل :

أهكذا قضت النـــــوى ... وقضى الجميل بأن يصدا ؟
أذوب في طي الكتـــــاب هوى وأعيق وجـــدا
فيقول : عطـــر ما بعثت ... يشيع في الأنسام ندا
فأظل أســكر في السطور ... كأنني أســتاف وردا
يامن سلوت ومن غدرت ... ومن قطعت العيش رغــدا
وتركتها وهي تشـــاق ... فيستحيل الشـوق بردا
وتظل ترقب الجــواب ... تعيش تأمـــل أن تردا
أفما يطوف بك الحنــين ... أما صلاك الشوق وقدا ؟
أغدرت لكن كيف تغـــدر يا وفي وكيف تهـــدا ؟

هذا التساؤل الكثير دليل القلق والحيرة فهل غدر المحب ؟ ألم يرد على الرسائل ؟ انها المتناقضات التي يراها الناس وهي طبيعة أصحاب الأحاسيس المرهفة والعواطف الجياشة الصادقة .

وفي دواوينها وفي مسرحيتها مجنون ليلى من المظاهر الفنية ما لا يمكن ذكرها في مقال سريع ، لأني لا أستقصي وانما هي ملامح عامة يمكن أن تفصل في كتاب من الأدب النسوي .

وسأكتفي بنماذج من أميرة نور الدين وحياة جاسم وابتهاج عطا أمين ، وأميرة من الشواعر الداعيات الى الوحدة ومشكلة فلسطين ، فمن شعرها في الوحدة العربية :

هذه أرضنا تصـــان وتفدى ... كرمت تربة ســهولا ونجدا
هي ترضى بالموت حلوا وشهدا ... وهي ترضى بالعز بالصاب وردا
هي تمتــد كامتداد مثـانا ... هي تبني الغداة مجدا فمجدا
هي نار على الدخيـــل المعادي ... وهي أمن لــكل من رام ودا
هي تأبى على الطغاة قيــودا ... أفرضى الإباة حــدا وقيــدا

ومقبولة الحلي تقول وهي تدعو الى الثأر ولا تكل من الانتقام لفلسطين :

فلسطين . وداعي الثأر لا يبرح مثـــوانا
وقد يخفي ظلام الليل أحداثا وأشــجانا
فلن نغفي ـ ما مر علينـــا الدهر ـ أجفانا

ومن لطيف شعر مقبولة الحلي وصدق عواطفها :

أخلفت وعـــدك بالزيارة ... والقلب قد سئم انتظـــاره

د. أمنة صبري مراد :
أسهمت في الحركة الفكرية



د. باكزه رفيق حلمي : اول من دخلت المجمع العلمي الكردي . . .

وتلفت عهدك باللقا ورضيت من قربي اختصاره
واطلت سهدي يوم ان ابعدت عن ليلي نهاره
ان كان وعدك هكذا فلبئس وعدك والزيارة

وابتهاج عطا امين شاعرة رقيقة النغم، حلوة اللفظ ، دقيقة الالم ، ففي شعرها يحس الانسان بالوتر الجريح يردد اعذب الالحان في متاهها الحزين :

اين ذنبي ؟
اهو في اشراقة القلب بطهر النزعات ؟
اهو في الاغراق من فيض ندى العبرات ؟
اهو في لمع الرؤى ام في اختلاج البسمات ؟
اين ذنبي ؟ حار بين الحق والبهتان قلبي
احرام يسمع الليل اناشيدي وحبي ؟
وحلال يومض النجم وفي الومض تصبي

وحياة جاسم التي تسترت بتوقيع (الزهرة البيضاء) تحسن الالم الدفين والضياع الحزين ، باسلوب جميل ، عاطفي عميق الوقع ، حلو الاحاسيس ومن قصيدة لها :

ايها الزورق يا حلم الليالي الغابرات
فيك شوقي وحنيني والاماني الضائعات
فيك دمعي وانيني ورقيق الاغنيات
فيك يأسي وجراحي وحطام الذكريات
وعلى حصنك تغفو اسياني الغافيات

● النثر النسوي ●

تأخر النثر كثيرا من الشعر في الادب النسوي ، اذ تأخرت الثقافة ولم ينتشر التعليم مثل انتشاره بين الرجال ، ولم نجد كاتبات مبرزات يمكن ان نضعهن في صف الكاتبات اللامعات في مصر ، لهن اسلوبهن الخاص وطريقة تفكيرهن المشار بطابع بارز . ومع ان قائمة الكاتبات ليست قصيرة الا ان اكثرهن مررن بالكتابة مرور الكرام . ولم تستمر منهن في النثر واحدة فترة زمنية تثبت اقدامها في عالم النثر الفني .

ولعل اهتمام المرأة بحياتها كانت تصرفها عن الاستمرار . فهي تفضل حياة الاسرة عن كل شيء الا اذا اضطرت في حياتها ان تنصرف عنها لظرف خارج عن ارادتها ورغبتها

ومن الكواتب صبيحة الشيخ داود ، وامينة الرحال ، وفكتوريا نعمان ، وماهرة

النقشبندي ، وسافرة جميل حافظ ، وعقيفة رءوف مخلص ، وبهيجة نوحي ، وصفية الدبوني ، وعدوية الشواف ، ولطيفة الدليمي ، وبلقيس نعمة ... ويبدو على انتاجهن طابع المقالة الاجتماعية والصحافية ، لان الصحافة هي المجال الارحب امامهن ، وقضايا المجتمع الساذجة خير مجال لمعالجتهن ، ... عالجت الموضوعات بالقصة .

ويمكن أن تكون الاستاذة صبيحة الشيخ داود من الرواد في الادب النسوي ... اول حقوقية ، واول فتاة تحررت من تقاليد المجتمع القديمة ، واول ... حياة المرأة في كتابها (اول الطريق) .

ومن اللاتي مررن في حياة العراق النسوية السيدة بهيجة نوحي ... كتبت عدة مقالات اجتماعية . ثم تحولت الى الكتابة باللغة الانجليزية ... سافرت الى امريكا وتزوجت . فقد كتبت من بغداد وحياتها الاجتماعية و... وقفت جانبا من حياتها في الاسكندرية مع زوجها .

ومن كاتبات القصة اللاتي وصلن مرحلة متفوقة بالنسبة للادب النسوي ... النقشبندي ، وديزي الامير ، وصفية الدبوني ، وفي أدبهن القصصي نجد ... مسارب الحياة الاجتماعية وبعض اللمحات الفنية . ويمكن ان يأخذ الدارس نموذجا لفترة خاصة . وفي أدبهن رغبات المرأة التي تخرج من عالم الحريم الى عالم الحرية بالقلق الروحي والاضطراب النفسي والحيرة وبروز الاحاسيس المكبوتة والثورة على كثير من مفاهيم الرجل ، وابراز مكانة المرأة في الحياة العامة .

وأسلوبهن سهل واضح . فيه اثر من الادب الغربي بوساطة الترجمة او بالمباشرة من اللغة نفسها . ولكنه لا يخلق تجديدا او رأيا فكريا واضحا له حدوده ومقوماته ، وليس في ذلك من ضير . فهن قد خطون خطوة مشكورة في عالم القصة التي اظن الكتابة فيها امن للمرأة واسهل من الشعر الجيد . وخير دليل الكثرة التي ظهرت بعد ذلك من الكواتب بالقياس الى الشواعر اللامعات .

ومن اللاتي اسهمن في الحياة الادبية كاتبات يختلفن اجادة وابداعا حسب الدرجات الثقافية والمركز الاجتماعي . فيهن الضبابية الوجلة والواضحة الجريئة ، ومن الاسماء التي تتردد في الصحف والمجلات . سلام خياط ، ورسالة صالح ، ونوال يوسف ، ومي المظفر ، واحسان الملائكة ، وامل عبود عباس ، ونجية حمدي ، وامل الشرقي .

ويمكن أن اميز ناهرة باسلوب واضح رغم قلة ما كتبت فهي مثل اختها صدوف كتبت باسم مستعار (سراب) في قصصها ثورة واضحة على الرجل وحب صادق للامومة . واصالة في الاسلوب والمعاني لانها نشأت على توجيه اختها وأسرتها فكانت قاعدة أسلوبها (البيان والتبيين) وفلسفة الغزالي ومقامات الهمذاني .

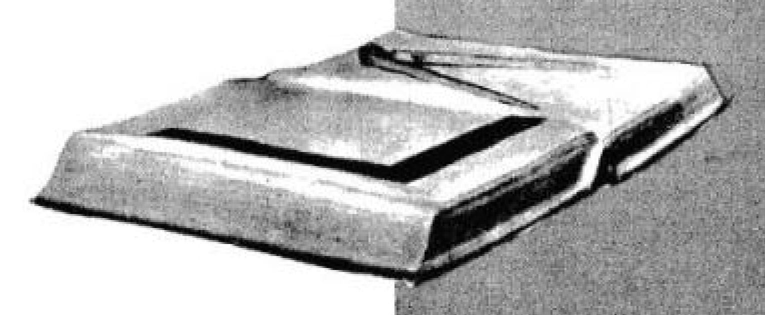
ولا بد لمن يتحدث عن ادب النسوة الا يغفل ظاهرة بارزة في الوسط الجامعي عندما يجد بعض الاسماء النشطة في حقل المعرفة والدراسات الادبية والعلمية ، فيجد الدكتورة سعاد خليل اسماعيل ، والدكتورة سانحة أمين زكي . فهي رغم كونها طبيبة ورئيسة قسم ، تجد في أسلوبها الروح الادبية .

والدكتورة سعاد القصاب والدكتورة نوال خورشيد بما ترجمت من الالمانية .

والدكتورة بهيجة الحسني تجد الثقافية والاسلوب اللطيف في كتبها البلاغية ، وفي قسم الصحافة حميدة سميسم ، وفي الوسط الجامعي رفية ابو قلام وسلوى زكو وهما من خريجات موسكو . ومثلهما الكاتبة البارعة سعاد محمد خضر الاسكندرية المولد العراقية الجنسية ، والسيدة عربية توفيق التي تقدمت برسالة من الشعر العراقي .

وفي الكويت سيدتان فاضلتان هما الدكتورة خديجة الحديثي والدكتورة وديعة طه النجم ، ولا بد ان يقف الدارس عند الدكتورة باكزة رفيق حلمي فهي تكتب باللغة الكردية والعربية على حد سواء . وهي اول امرأة تدخل المجمع العلمي الكردي . ومن اللاتي اسهمن في الحركة الفكرية الدكتورة آمنة صبري مراد بكتابها عن الطب . وقد افردت فيه جانبا كبيرا عن الطب العربي ان الاحاطة بالبحث تحتاج الى دراسة طويلة ، وما هذه غير جولة سريعة ترسم الصورة كلها .

د. أحمد محمد عوف



خفايا الماسونية العالمية

وبروتوكولات حكماء صهيون

يطلق على الماسونية بمعنى أعم (الاخوة الماسونية) وهذه الطائفة لها هياكلها التى تسمى المحافل . ويبلغ عدد الماسون حوالى خمسة ملايين ، معظمهم فى الولايات المتحدة الامريكية ...

وللماسونية العالميـة رئيس أعلى

كـــــان (البـــــرت بويك) ، ثم خلفه (لى) وهو من غلاة الصهيونية العالمية ٠

والماســــونية تبدو غير معروفة الاصل لان أصلها غامض وسرى ، حتى ليقال ان البداية الحقيقيــــة للماسونية كانت أبان العصـــور الوسطى ، حيث ظهرت وسط جماعة البنائين الرومان الذين كانوا يعملون فى بناء القصور فى روما ٠ واستغل اليهود فى هؤلاء روح السخرة التى كانوا يعانون منها عند بنائهم للمعابد والهيـــاكل والكنائس وكان هؤلاء البنـــاءون يجمعون فيمـــا بينهم اشتراكات لتكوين جماعة أطلقوا عليها جماعة (البنائين الاحرار) ٠ واستغل رؤساء هذه الجماعة روح الشـــعور بالسخط على الحكام وقتها ٠

ويقال أيضا أن أصل الماســـونية هو جماعة (فرسان الصليب الوردى) اشارة الى أن « الاستاذ المحترم » فى طبقة الماسونية الرمزية يتوشــح (بالصليب الوردى) ٠ أو جماعة بناء (هيكل ســـليمان) حيث نجد أن الماسونية تضع مثلها الاعلى (حيرام) عريف البنائين الذين قاموا ببناء هيكل سليمان ٠

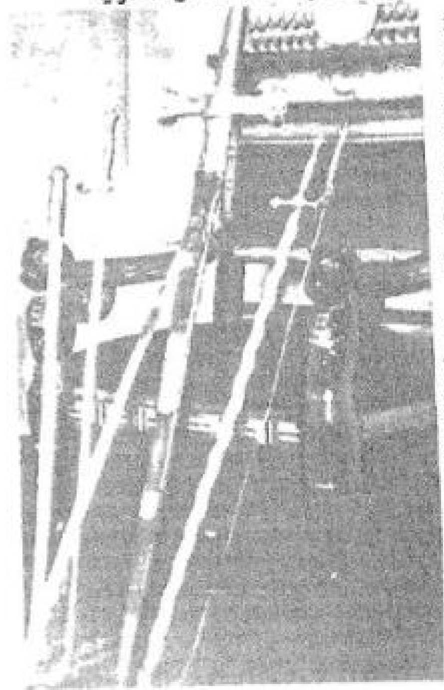
ويقال ايضا أن أول داعية للماسونية هو (أوليفر كرومبل) ٠

كما يقال أن أصول البناية الحــرة (الماسونية) لا ترجع الى مصــدر واحد ، ولكن اشتقت مصـــادرها من آراء ونظـــريات بعينها : فيقال أن تعاليمها استمدت من تعاليم البطارقة وأسرار الوثنيين وأن اشـــاراتها ودرجـــاتها مصرية فرعونية انتقلت اليها عن طريق الشـــعب الاسرائيلى وان البادىء الفلسفية استمدت من تعاليم البطارقة ٠

لكن المصدر الثابت الذى لا ريب فيه هو (الكابالا) (Kabbala) اليهودية ٠ وهى مزيج من الفلســـفة والتعاليم والشعوذة ، التى اتخـــذت أساسا لانشاء المحفل الاكبر الماسونى بلنـــدن عام (١٧١٧ م) ووضعت رسومه ورموزه حسب ما جاء فيها وما جاء فى التوراة ، كما مثلت فيها بعض التعـــاليم الفرعونية ونظريات فيثاغورث ٠

ومن أهم المبادىء الماســـونية ، السرية التامة ٠ أو على حد قـــول (النشرة الماسونية الايطالية) : أن كل أحوال ونشاط الماسونية ، حتى افعالها وحركاتها الخاصة ، لابد أن يسدل عليها ستار من الكتمان والغموض والسرية ، وبهذا يكفل للماسونية أن


سيوف لارهاب اعضاء المحافل الماسونية



تشق طريقها وتنتصر بمبادئها حتى لا تبطش بها السلطات .

وعلى هذا نجد للماسونية العالمية جهازا للرقابة الدولية على النشر يراقب كل ما يكتب او يقال أو ينشر عن « المحافل الاشراقية الكبرى » فى عواصم العالم . وهذه الرقابة تتمثل فى جهاز سرى ضخم للرقابة يتبع مباشرة الرئاسة العليا للمنظمات الماسونية التى يجهل الماسونيون عنها الكثير . لكن هذه الرقابة الماسونية من أهم العناصر الموجودة فى المحافل الماسونية لان عليها مهمة حفظ امن وسلامة النظام الماسونى الدولى .

والهدف الاول والاساسى للماسونية العالمية تحقيق الهدف الذى نادت به (بروتوكولات حكماء صهيون) وهو الدستور الاساسى لدى الماسونية الكونية ... والهدف ايضا من التنظيم الماسونى هو ايجاد (جمهورية ثيوقراطية عالمية) . وعلى حد قول مجلة (اكاسيا) كبرى المجلات الماسونية فى ايطاليا :ان « الماسونية هى الطاقة الوحيدة فى العالم التى تعمل ضد الاديان وتناهض بحرارة الدعوات التحررية او التطلعات القومية او التقاليد التى تتمسك بها الشعوب)

كما انها حسب ما جاء بنشرة



(المشرق الاعظم الفرنسى) تريد أن تحقق (الجمهورية الماسونية) بالتسلط على كل الاحزاب السياسية فى العالم .

المحافل والمنظمات الماسونية

يعتبر المحفل الماسونى وحدة التنظيم الماسونى ويضم ما بين ١٢ عضوا الى مئات الاعضاء . وكل بضعة محافل تنتمى الى محفل اكبر يختص باقليم معين يمثل اقليما جغرافيا على سطح الكرة الارضية . وهذه المحافل الاقليمية يندر الاتصال ببعضها البعض لانها تتلقى التعليمات منفصلة وفى تكتم وحسب طبيعة عملها وظروفها السياسية والاجتماعية .

والماسونية قد تعدد ظهورها فى عدة صور واشكال حتى لا يسهل ضربها او القضاء عليها .. وعلى هذا ظهرت بعدة وجوه ليسهل ظهورها وتطورها وانتشارها ، كما يصعب تحديدها او تجميد حركاتها .

وأول ظهور للماسونية كان بانشاء المحفل الماسونى الاعظم بلندن عام ١٧١٧ . ثم انشىء بعده محفل اخر بانجلترا . ولم يلبث هذان المحفلان أن اتحدا معا فى محفل واحد عام ١٨١٢ . وسمى هذا المحفل (المحفل المتحد الاعظم) ، وكان يراسه دوق سوسكس . وكان الماسونيون يطلقون عليه (الاستاذ الاعظم) وفى عام ١٧٧٠ انشئت ايضا عدة محافل فى باريس ، ومدريد ، وفلورنسا ، وجبل طارق ، ولشبونه ، وستوكهولم ، وهمبورج ، وفيينا ، وكوبنهاجن ، وموسكو ، والبنجال ، وفى معظم مدن شمال أمريكا .

وفى عام ١٧٣٤ تعين (فرانكلين) الاستاذ الاعظم للمحفل الاقليمى فى بنسلفانيا ، ولقد وضع كتابا سماه (الدستور الاساسى للماسونية) ٠

وفى عام ١٧٧٦ انشىء محفل كبير للولايات المتحدة الامريكية وكان برأسه (جورج واشنطن) وكان استاذا لمحفل (الاسكندرية) ٠ كما انشئت فى عام ١٨٨٥ (منظمة النجدة الماسونية) وهذه المنظمة تغطى بنشاطها معظم بلدان أمريكا وكندا ومهمتها اعمال البر وجمع المعونات التى تقدمها الى اسرائيل ٠

وفى عام ١٩١٨ انشىء اتحاد يضم حوالى ٣٧ محفلا ماسونيا فى أمريكا اطلق عليه (منظمة الخدمة الماسونية)

وفى الواقع توجد عدة مؤسسات ماسونية فى أمريكا وانجلترا كالمؤسسة الماسونية الملكية بلندن ٠٠ و (المؤسسة الماسونية للبحوث الطبية بامريكا ـ كما يوجد بها أيضا (المحفل الامريكى للبحث) علاوة على بعض مراكز البحوث العلمية والمستشفيات الماسونية التى تدر الاموال لتمويل النشاط الماسونى وتقديم المعونة الى اسرائيل

وفى ايرلندا ، انشىء المحفل الماسونى الاعظم بها عام ١٧٢٣ ٠ كما انشىء باسكتلندا محفلها عام ١٧٣٦ ٠

اما فى فرنسا فيوجد محفل (نانس) ويعتبر من أهم المحافل الفرنسية لان له نشاطا بارزا فى عدة مجالات ويعقد عدة مؤتمرات ماسونية لها اثرها فى الفكر الماسونى ٠ ففى عام ١٨٨٢ عقد فيه (المؤتمر الماسونى العام) حيث نادى الماسونيون بالتسلط الماسونى على العالم والتحكم فى مؤسساته ٠ ليلتف حول الماسونية الدهماء والسوقة ، ومحاضرات هذا المؤتمر هى الاساس الذى بنيت عليه



جورج واشنطن : كان رئيسا لمحافل الولايات المتحدة الامريكية

محاضرات حكماء صهيون التى يطلق عليها (بروتوكولات حكماء صهيون)٠

وفى فرنسا يوجد أيضا محفل المشرق الاعظم الفرنسى ولقد عقد عدة مؤتمرات منها مؤتمر المشرق الاعظم والمؤتمر الماسونى العالمى عام ١٩٠٠ ٠ويوجد أيضا فى فرنسا المحفل الفرنسى الاكبر ويصدر (نشرة المحفل الفرنسى الاكبر) ومجلة (المشرق الاكبر) ومحفل السلامة الماسونى ، والمجلس الماسونى الفرنسى ويصدر نشرة (الماسونية) ٠

وفى فرنسا ما يقرب من ١٤٠ محفلا ماسونيا كلها تتبع (المشرق الاعظم الفرنسى) وتعتبر هذه المعابد للماسونيين بمثابة (النور) ٠٠٠ وهذه المحافل العديدة يتردد عليها الفرنسيون بهدف الثقافة العامة ويطرحون فيها مسائل ثقافية وفكرية٠ وتغذى الصحافة الفرنسية بايعاز من الماسونية هؤلاء بالافكار التى تطرحها



على صفحاتها بايعاز من اقطاب الماسونية فى فرنسا لشغل الرأى العام الفرنسى بمسائل تهمه وتهيىء اذهانه الى ايجاد رأى عام يسيطر على الحياة النيابية الفرنسية • وهذا ما نجده فى (الثورة الفرنسية) عندما رفعت شعار الماسونية (الاخاء والحرية والمساواة) • وهذا ايضا ما رأيناه ابان حكم (ديجول) فى سحب الثقة منه عن طريق تكتل هذه المحافل ونشاطها الدعائى والفكرى ضد (الديجولية) • ولقد سبق أن واجه نابليون نفس المصير كما جاء فى كتاب (الحرب الشاملة) للجنرال (لوندروف) حيث قال (أن اليهود والماسونيين كانوا متعاونين مع بعضهم البعض لهدم سلطان اليسوعيين فى فرنسا وتحطيم كيان نابليون) •

وفى ايطاليا يوجد (المشرق الاعظم الايطالى الماسونى) وتصدر عنه مجلة (اكاسيا) •

وفى تركيا تأصلت الماسونية فى منطقة (أدرنه) ابان تبعيتها للحكم العثمانى وكان يشرف عليها بعض اليهود الايطاليين الذين اظهروا جماعة (الدونمة) وجمعية (الاتحاد والترقى) •

وفى مصر ظهرت الماسونية اثناء (الحملة الفرنسية) لان (نابليون) كان ماسونيا ولما حضر الى مصر احضر معه بعض العلماء الماسونيين وكان منهم الجنرال (كليبر) وهؤلاء قاموا بتاسيس محفل (ايزيس) بالقاهرة ثم بعده تأسست بعض المحافل الماسونية فى القاهرة والاسكندرية واسيوط وكلها كانت تتبع (المشرق الاعظم الوطنى الماسونى المصرى) ثم حلت هذه الجمعيات اخيرا •

ديجول : تكتلت ضده المحافل الماسونية



التعاليم الماسونية واشاراتها

هناك ثلاث درجات لانضمام العضو وترقيه في المحافل الماسونية ·

فالدرجة الاولى : يكون العضو تحت التمرين قبل اندماجه بالطائفة الماسونية فيدخل المحفل مجردا من ملابسه سائرا معصوب العينين يرشده المرشد ليدخله الى القاعة الداخلية بالمحفل الماسوني · ولما يصل الى باب القاعة يطرق بمطرقة صغيرة ثلاث طرقات · قائلا : (هذا طالب في الظلام يطلب النور) فيدوى صوت بالقاعة يرجها قائلا : (ان دعوتنا سر لا يباح به واذابحت سوف تقتل وعليك بالكتمان حتى لو قتلت في سبيل تكتمها) ·

وبعدها يقدم الطالب لرئيس المحفل الماسوني الذي يطلق عليه (الأستاذ المحترم) حيث يجلس على كرسي يسمى (كرسي الملك سليمان) · وبعدها يقول للجميع (التزموا النظام) فيضع كل حاضر يده اليمنى على قلبه ثم يخرجون سيوفهم من اغمادها لتحدث صليلا مدويا في القاعة · وهذا يبعث الرعب في قلب الطالب الجديد ··· ثم بعدها يأمره (الأستاذ) المحترم بعمل بعض الاشياء الوهمية المرعبة · ثم بعدها يؤخذ الى (الهيكل المقدس) حيث وضع القرآن والانجيل والتوراة · ثم يجثو الطالب على قدميه ويقسم على كتابه المقدس امام الجميع · ثم يقسم (القسم المقدس) · وبعدها يسأله (الأستاذ) ماذا تريد ؟ · فيجيب عليه الطالب كما لقن من قبل : (أريد النور) · وبعدها تزال الغمامة من على عينيه ليرى الماسونيين جالسين على كراسيهم في قاعة الهيكل ·

والدرجة الثانية : حيث يكون فيها الماسوني زميلا في الطائفة الماسونية لأن أى ماسوني له الحق في أن يتأهل ليرتقي في المناصب الماسونية ·

والدرجة الثالثة : يكون فيها الماسوني معلما · ويطلق عليه لقب (الأستاذ) أي المعلم ·

وللماسونية اشارات خاصة للتفاهم بها بين الاعضاء الماسونيين منها أن يضع الماسوني يده اليمنى على قلبه أو يمرر يده اليمنى حول رقبته · ولهم كلمة السر (بوعز) التي ينقها الماسوني بالحروف وبعد كل حرف يكمل زميله الحرف الذي يليه ···

فيقول الأول : (باء)
ويقول الثاني : (واو)
ويقول الأول : (عين)
ويقول الثاني : (زين)

من شعارات الماسونية



والماســونية الرمزية • يطلق على أماكن اجتماعتهـــا (الهيكل) ومن رموزها (النور) ويرمز به الى نور العقل الانساني •

والسيوف التى يحملها الماسون فى هيكلهم هى اشارة الى الجهاد من أجل الحـــق والحرية والعدل واسترداد ملك سليمان الذى سلب ابان البابليين •

والأنوار السبعة يقصد بهـــا الاعضـــاء الذين بدونهم لا تصح جلســة المحفل ولا تعقد الا بهم وفى هـــذا لون من ألوان الرقـــابة على النشاط الماسونى •

وكوكب الشرق المعلق فوق الهيكل، عبـــارة عن نجمة بداخلها حرف (G) ويرمز به للكوكب الساطع الذى يستمد منه الشرق نور المعرفة

والمبادىء الماسونية عشرة مبادىء – هى :

(١) الايمان بالكائن الاسمى •
(٢) الايمان بخلود الروح •
(٣) يتداول فى كل المحافل كتاب (القانون المقدس) مع الكتب المقدسة كالتوراة والانجيل والقرآن •
(٤) التنظيم المحفلى •
(٥) العضوية لكل انســـان حر حسب السن القانونى •
(٦) توجد بعض النظم التدرجية أو الترتيب للعضوية •
(٧) السرية •
(٨) للعضو أن يرتاد اى محفل ماسونى ما عدا الزنوج فلهم محافلهم الخاصة بهم

ولا يرتادون المحافل الماســـونية الخاصة بالبيض فى الولايات المتحدة الامريكية •

(٩) الماسون ينتمون الى قصة او رمز مرتبط بهيكل ســــــليمان وهذه دعوة صهيونية •



نابليـــــــون : أحضر بعض العلماء الماســـونيين الى مصر



(١٠) لا يمكن لمعظم المحافل الماسونية او اعضائها ان يتعرفوا على ما لا يزيد على خمسة أو ستة من هذه الحدود العشرة السالف ذكرها ٠

طبقات الماسونية

تنقسم الماسونية فى نظامها المحفلى الى ثلاث طبقات ، فالطبقة الاولى : (المحافل الرمزية) فى الواقع تبدو هذه الطبقة فى مظهرها انها جماعة انسانية تدعو الى عدم الاعتداء بأى صورة من الصور العدوانية ٠

وهذه الجماعة سميت بالجماعة (الرمزية) لانها تضم فى مراسمها رموزا كلها تشير الى أحداث تاريخية جاء ذكرها فى التوراة ٠

والنظام المحفلى لهذه الجماعة نظام اقليمى - فالمحفل الاعظم بفرنسا كان يتبعه محفل الشرق الاعظم الوطنى المصرى ٠٠ وهذا المحفل كان يتبعه عدة محافل فى المحافظات المصرية ٠ والمحفل الاعظم بتركيا كان يتبعه بمصر المحفل الثالث الماسونى ٠ والمحفل الاعظم بانجلترا كان يتبعه المحفل الأكبر الوطنى المصرى الذى كان يشرف على عدة محافل ماسونية فى المحافظات ، وهذه المحافل فى تركيا وفرنسا وانجلترا لا تتصل ببعضها البعض ٠

وفى الماسونية الرمزية ٠ يبدأ العضو بان يكون « مبتدئا » ثم يتحول بعدها الى « شغال » ، ثم الى درجة « الاستاذ » ، ثم الى درجة « الاستاذ المحترم » ثم يتوشح بالصليب الوردى ٠ ثم بعدها يصعد الى درجة « الاستاذ المحترم الاعظم » ٠

الطبقة الثانية : (الماسونية الملوكية)

هناك محافل يطلق عليها (محافل العقد الملوكى) لان اعضاءها يكونون فى جملتهم (العقد الملوكى) الذى يرمز الى أبطال السبى اليهودى فى (بابل) كنحميا ، وعزرا ، ويوشع ، وغيرهم ٠ وعلى هذا نجد ان هذه الطبقة تقدس كل ما جاء فى التوراة لان معظم اعضائها من اليهود علاوة على بعض « الاساتذة المحترمين العظماء » من المحافل الرمزية الذين أخلصوا للماسونية وقاموا بتقديم العون والمال اليها ٠ ويرأس (المحفل الملوكى) الرفيق الاعظم الذى يتوشح بالعقد الملوكى المقدس لأورشليم ٠ وهذا العقد عبارة عن قلادة عليها عشائر الأسباط الاسرائيليين الذين أسروا ببابل واعليها ايضا صورة لخيمة الاجتماع المقدسة لدى اليهود ٠

ومن التعاليم السائدة لدى الماسونية الملوكية أن الهيكل فى المحفل الملوكى هو هيكل سليمان « والنور » هو النور الذى كان يتجلى الله فيه لموسى « والبناية الحرة » هى بناء هيكل سليمان « والانوار السبعة » هى السنوات السبع التى اتم فيها سليمان هيكله ٠

الطبقة الثالثة : (الماسونية الكونية)

أعضاؤها هم « الرفقاء العظام » فى المحافل الملوكية وهؤلاء الاعضاء يتوشحون فى المحفل الكونى بالوشاح الصهيونى ٠ وهم الصهاينة الخلص ولا يعرف عن هذه الطبقة أى شىء ولا من هو رئيسها ولا أماكن اجتماعها ٠

واخيرا ٠٠

هذا عرض موجز للماسونية العالمية التى تعتبر من أخطر التنظيمات السرية ضد الأديان السماوية ،وهى صدى فكرى ووجدانى للصهيونية العالمية٠

• رستم كيلاف •

ظلام وظلام

قصة قصيرة

مضت السنون الطوال حتى يئست منها ومن عدها، فاستسلمت لها واخذ حالها ينحدر من سيء الى أسوأ. الم تعد تخرج للطوف بالمنازل لتغسل، بسبب ساقها التي ارغمتها اخيرا على الرقاد...

ولما تماثلت لبعض الشفاء، اضطرتها لقمة العيش للخروج، متوكئة على عصاة لتطوف بالمدينة وعلى رأسها «مقطف» صغير مملوء باللب والحمص والسوداني من الصباح حتى المساء، ثم تعود منهكة القوى في الليل الى حجرتها الضيقة التي اتخذتها سكنا لها منذ حين في ذلك المبنى المتهدم، وتشعل عود ثقاب بيد مرتعشة فتفر الهوام والحشرات لرأى النور، وتبدأ تبحث عن الشمعة التى تضيء بها طريقها الى حصيرتها البالية، ثم



تخرج من « مقطفها » بعض الطعام وتبدأ تأكل على مهل ...

وعندما تفرغ من طعامها ، تتجرع جرعة ماء ، وتقبل يدها ظهرا لبطن ، وتحمد الله على نعمائه ، ثم تعد موضعا

لنومها ، وتسحب لحافها القديم الممزق ، وتستلقى متوسدة ذراعها ...

واستمر الحال على هذا المنوال فترة طويلة من الزمن ، المرأة العجوز صابرة ، قانعة ، راضية

بما قسم الله لها ، فقد عودتها السنون أن

لا شيء فى الدنيا يعادل الرضا بالمقسوم ...

●●●

فى ليلة ، عند عودتها فى المساء الى دارها بعد مطافها فى شوارع العاصمة ، برقت فى رأسها خاطرة ، فغيرت

مسيرتها اليومية الدائبة ... وراحت تجر رجليها فى حذائها المنبسط المفتوق الذى يحكى صورة حية من فقرها المزمن ، وكانت

رياح ديسمبر القاسية تلفحها ، وتنفذ الى عظامها ، وجسدها المنهوك يرتعد ، وأسنانها تضطرب وتصطك فى حركات متتالية ... حتى اقتادتها خطاها الى عمارة عالية ، وقفت امامها ... وراودتها فكرة الصعود لتمتع النظر بها بعد أن تاقت نفسها حنينا اليها ، وشغفا لرؤياها ، وظلت برهة مفكرة ثم سألت نفسها :

ـ هل ستقابلنى مقابلة حسنة؟ أو تشيعنى بصرخاتها المعتادة ؟ .

فى لحظة .. أحست بقوة غامضة تدفعها للصعود ، ولم تكد تصل الى الشقة وتضغط على الجرس ، حتى تقدم منها شرطى قائلا لها :

ـ لايوجد احد بالداخل ، الشقة مغلقة بالخاتم الاحمر منذ يومين ... فقربت المرأة العجوز صدرها ، وهى تقول وقد كسا وجهها ذبول وشحوب :

ـ يا للنكبة .. لماذا يا ولدى ؟

فاجابها الشرطى على الفور :

ـ لانه بيت مشبوه .. وتم القبض على من بداخله بمعرفة شرطة الآداب ...

واستبدت بها الدهشة بغتة ، ولاذت بالصمت وكان صاعقة هوت على رأسها ، ثم نزلت الدرج وقد سقطت دمعة على خدها مسحتها بطرف شالها الاسود القديم

الذى بليت أطرافه ، ثم ابتسمت فى سخرية مرة من الحياة ، وطفقت تردد فى صوت مختنق:

ـ مسكينة يا ابنتى . لقد انجرفت مع التيار .. والآن تدفعين الثمن غاليا ..

●●●

وخرجت من بـاب العمارة والدمع يغشى بصرها ، واختلطت بالسائرين فى الطريق

وهى فى شغل عن كل شيء حولها ، بينما كان حديث الشرطى يرن فى اذنيها :

« ... بيت مشبوه ، وتم القبض على من بداخله بمعرفة شرطة الآداب ... »

وتزاحمت الصور فى مخيلتها ، صور الماضى بمشاهده وحقائقه ـ

بينما كانت تتحامل على ساقيها ، متخاذلة



الخطر ، ناكسة الرأس منقبضة الصدر ، تسابقها عصاها التي تتوكأ عليها ... آخذة الطريق الى دارها – منذ مات زوجها ووالد ابنتها الوحيدة – التي داهمت الشرطة شقتها ، بعد مرض عضال ظل يقاسي منه الامرين ، وانفق في سبيل علاجه كل ما لديهم من المال ، وفي سكرات الموت أوصاها بأن تكون لابنتها أما وأبا ..

واضطرتها ظروف الحياة أن تطوف بالمنازل لتغسل الملابس وتقوم بمسح الشقق لتربي وحيدتها كما أوصاها زوجها .. كانت تتفانى في اسعادها ، وتبذل بسخاء في تعليمها حتى أصبحت ابنتها شابة تدرس في احدى المدارس الثانوية ، لها جمال رائع ، وأنوثة فياضة.

ورغم علم الفتاة بما تقاسيه أمها في سبيل شظف العيش ، ودخلها المحدود الذي يكاد يكفي حاجاتهما الاساسية لقد كانت تتمادى في طلباتها ، وكانت الام تحقق لها كل ما تطلبه دون أدنى معارضة .. حتى انتهت من دراستها الثانوية ، وعملت موظفة باحدى الشركات براتب معقول ، وطلبت من أمها أن تمتنع عن العمل في المنازل لتكفل لها الراحة من العناء الذي تكبدته في سبيل تربيتها وتعليمها ...

ولأول مرة في حياة الام منذ وفاة زوجها تحس بالراحة ، وتظن أن الحياة قد بدأت تبتسم لها بعد أن كشرت لها عن أنيابها سنوات طوالا ...

●●●

وبمرور الايام أحست الام التي طحنتها السنون أن ابنتها تغيرت : خروج في مختلف الاوقات وخاصة في المساء المتأخر ، ومبالغة في اهتمامها بمظهرها . وعندما تسألها عن سبب تأخرها تتعلل بحجج لا تجوز عليها ...

ويوما ما ، لم تطق الأم صبرا ، ففاتحتها في شأن سهرها .. ماذا يقول الناس عنها وهي المتعلمة المثقفة ؟.

وكان وقع هذا الحديث مفاجأة لابنتها ، فقالت وصوتها يقطع سكون الليل :

– هذا هراء كفي عنه .. أنا حرة في جميع تصرفاتي ، وليس أحد علي بحسيب.. ماشأنك بي ؟ .

كانت الام تتطلع اليها مشدوهة ، ثم قالت في مرارة وهي تغالب دموعها :

– شأني .. انني أمك أمك التي كافحت في سبيل اسعادك ، مضحية

بسعادتي وراحتي لاوفر لك الامن والحياة الكريمة .. عملت غســـالة لاطعمـــك حتى صرت هكذا ...

وقاطعت حديث امهـا صارخة ، وعينـــاها تقدحان بالشرر :

ـ كفى .. كفى .. غسالة ، غســالة ... اذا كانت تعرفـــاني لا تعجبك فانت حرة .. اتركي البيت .. اتركيه ودعيني لشـــاني

وقـــابلت الام هذا الحديثبذهولكاد يفقدها الصواب ، ثم استدارت الابنـــة تخطـــو الى حجرتها ، واغلقت بابها فى وجه امهـا بعنف . ولم تنم الام ، وصممت على شىء ... جمعـــت حوائجها وخرجت فى ظلام الليل متســـللة ، مغلقة وراءهـــا باب الشـــقة ببطء ، تاركة ابنتها ، غاضبة عليها غضب الام ...

●●●

وعـــادت سيرتها الاولى عـــادت الى الخدمة فى البيوت من الصباح الى المساء حتى اخذ حالهـــا ينحدر من سيىء الى اسوأ ، ولم تعد تخرج لتطوف المنازل لتغسل بسبب ساقها التى ارغمتهـــا اخيرا على الرقاد ..

ولما تماثلت للشفاء جاءت بتلك العصا التى تتوكا عليهـــا ، لتطوف المدينة حاملة على راسها مقطفاء صغيرا مملوءا باللب ، ، والحمص ، والسوداني ..

وظلت هكذا تحيـــا حيـــاة قانعة بان يتيسر لها قرش تبتاع به رغيفا يسد جوعتهـــا ، وتجد ماء تشرب منه جرعتها، وتشكر الله ...

●●●

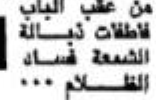
وافـــاقت العجوز من ذكرياتها الماضية لتجد نفسهـا امام حجرتها ، واشعلت عود ثقـــاب بيدها الراعشة ، وبحثت عن الشمعة التى تضىء الحجرة حتى وجدتها .

والقت جسمها يتثاقل فجلست . على حصيرتها البالية ، وسحبت اللحاف القديم ، واســـتلقت متوسدة ذراعها ، وبدا لسانها يلهج بدعاء فيه ضراعة :

ـ يارب اعـــف عن ابنتى ... سامحها .. واغفر لها ، وارحمهـــا يا ارحم الراحمين ... لقد ســـامحتها انـــا وتغاضيت عن كل شىء ، رغم العذاب الذى سببته لى ... استجب يارب لدعائى .. دعـــاء ام رءوم ..

وغالبتهـــا الدموع فانحدرت رغما عنها على وجههـــا المكســـو بالتجـــاعيد ، وعلى ذراعها التى تتوسده راسها ...

ثم دخلت ريح قاسية من عقب الباب فاطفات ذبـــالة الشمعة فســـاد الظـــلام ...











بعث الاستاذ « عيسى الناعورى » بخطاب الى الشاعر « ايليا أبو ماضى » يسأله فيه ان يعطيه صورة من حياته بالاسكندرية ، ليضمنها كتابه « ايليا أبو ماضى ـ رسول الشعر العربى » وكان رد الشاعر عليه ، « ليس فى سيرة حياتى ما يستحق النشر . او هكذا اعتقد أنا الا ليس فيها ما يرضى فضول احد ..

وقد أثار هذا الرد عاطفة الاستاذ « الناعورى » فكتب يقول :

« ان الذين يعانقون الثرى فى شقاء طويل . ثم يرتفعون عنه بجهادهم الشخصى حتى يعانقوا السحاب . هم الصفوة الممتازة من البشر . الذين لم يعرفوا ملاعق الذهب عند مولدهم . بل أحالت أيديهم التراب الى تبر . بمواهبهم الفردية الفنية . انهم هم الذين يكتبون تاريخ الحياة الناصع الجميل . لا سواهم . فكيف لا يرى « أبو ماضى فى حياته مايستحق النشر ؟ »

ولم يجد الاستاذ « الناعورى » أمامه غير بضع كلمات كان « أبو ماضى » قد ألقى بها الى الاستاذ « محمد قره على » عندما زار الشاعر لبنان سنة ١٩٤٨ وكان الاستاذ « قره على » قد سأله عن فترة اقامته بالاسكندرية . ضمن حديث ، استقاه لمجلة « الحياة » اللبنانية ، فأجابه « ايليا » بهذه الكلمات :

« .. فى الاسكندرية تعاطيت بيع السجاير فى النهار فى متجر عمى ، وفى الليل كنت ادرس النحو والصرف ، تارة على نفسى ، وتارة فى بعض الكتاتيب ، وقد اقمت فى الديار المصرية .. أحد عشر عاما . نظمت خلالها ديوانا من الشعر .. »

ثم لم يقل شيئا غير ذلك فقد كان ضنينا .

واغراني هذا الغموض الذي يكتنف اقامة « ايليا ابو ماضي » بالاسكندرية ، ان احاول السير في هذه الدروب المغلقة لعلي أجد فيها ، ما يمكن ان يضيف الى معلوماتنا جديدا ، عن حياة شاعر العرب في المهاجر الامريكية ، أيام كان يعيش بمدينة الاسكندر الاكبر .

❊❊❊

واذا كان « ايليا أبو ماضي » قد ضن على العالم العربي بكشف الستار عن هذه الفترة من حياته ، واذا كان كذلك لا يرى فيها موضعا للفخر ، فانى أرى — وأنا أدين للاسكندرية بالكثير — أن أحاول فأسهم في تاريخ المدينة الادبي ، بقليل من الصفحات التي يمكن أن تكشف غموض هذه القصة ، التي تدور حول حياة « ايليا أبو ماضي في الاسكندرية

❊❊❊

وكان أول ما قرأت كتاب الأستاذ « نجدت صفوت » : « ايليا أبو ماضي والحركة الادبية في المهجر » وفيه يقول :

« . . ان ايليا ابو ماضي رحل الى مصر ليتعاطى التجارة . وقد اتخذ لنفسه محلا لبيع السجاير والدخان ، واخذ يستغل اوقات فراغه في المطالعة والدرس . ونظم الشعر الذي اظهر فيه قابلية ، تنبئ بمستقبله ، ووقع عليه الاستاذ انطون الجميل ، فرآه يكتب شعرا في الدكان ، فقرأه واعجب به ونشره في مجلة « الزهور » التي كان يصدرها . . » اي ان القصة هنا زادت باكتشاف « انطون الجميل » للشاعر ، ونقل هذه القصة الاستاذ « زهير ميرزا » في كتابه « ايليا ابو ماضي : شاعر العربية الاكبر » مع هذه الزيادة التي عاد الاستاذ « ميرزا » فأكدها حين أشاد بصنيع الاستاذ « انطون » في هذا الاكتشاف العظيم .

عبد العليم القباني

وتابعه في ذلك الاستاذ « كاتب مقالة ايليا أبو ماضي » في « دائرة معارف الشعب » بغير أن يشير الى المصدر الذي نقل عنه ، ومعنى هذا أن هذه المعلومات حقيقة مقررة ومعروفة لدى الخاصة على الاقل ، فلا تحتاج الى اثبات اسناد .

واستلمتني هذه الروايات المتضافرة — أولا — الى مجلة « الزهور » التي كان يصدرها الاستاذ « أنطون الجميل » لعلي أجد فيها رعاية في العرض ، يمكن أن أفيد بها فيما أهدف اليه من توضيح لهذه القصة .

وكان أن قرأت هذه المجلة من أول عدد صدر منها في مارس ١٩١٠ حتى عدد فبراير سنة ١٩١٢ أي بعد أن غادر « ايليا أبو ماضي » الديار المصرية ، فلم أجد لقصة اكتشاف الاستاذ « أنطون » للشاعر أثرا ! . . بل ولم أجد قصيدة واحدة « لايليا » في هذه الاعداد جميعا ، ويزيد في تأكيد ذلك ، ما كتبه الاستاذ « أنطون » نفسه تقريظا ونقدا لديوان « تذكار الماضي » الذي كان « أبو ماضي » قد أصدره بالاسكندرية في مايو سنة ١٩١١ اذ قال الاستاذ « الجميل » في الصفحة ٢٦٤ من الجزء الرابع من مجلة « الزهور » الصادرة في يونيو ١٩١١

« . . اذا قرأت هذا الديوان ، لم تذكر انك قرأت شيئا منه في الصحف والمجلات ولا عرفت صاحبه « ايليا افندي ظاهر ابا ماضي » لولا ابيات نشرتها له جريدة « العلم » منذ عهد غير بعيد » .

ولم يشر الاستاذ « أنطون الجميل » في هذا المقال الى سابق معرفته بالشاعر . ولا



الى حرفته ، ولا الى شعره الذى اكتشفه ·· بل انه يقول « ان الشاعر لم ينشر له شعر من قبل ، وقد حدد جريدة « العلم » بالذات ولو كان هناك شعر نشر بالزهور لكان أشار اليه من باب أولى ·· فاذا قدرنا ان الاستاذ « الجميل » كتب مقاله هذا قبل مغادرة « ايليا » الى دكان آخر بحى « العطارين » ، نظرا لبعد هذا الحى عن مسكنه اذ كان

الادبية فى عصره ، الماما يكاد يكون كاملا . واذا أضفنا الى هذا عدم اهتمام الصحف والمجلات الاخرى ، حتى ذات الاصل الشامى منها ، فى التنويه بهذا الديوان ، عند ظهوره ، أو التعليق عليه ، بل لم تشر اليه مجلة « المقتطف » بسطر واحد تشكر فيه المؤلف على اهدائه ديوانه لها ، وكذلك صنعت مجلة « الهلال » (١)

اذا قدرنا هذا ، تبين لنا ضعف المعلومات التى وردت فى الروايات السابقة ،وانها لا تحمل فى جملتها ، الا ظلالا من الحقيقة التائهة فى دوامة من الاقاويل ذات الطابع القصصى أحيانا ، بل وتؤيد الرأى القائل ، بأن الرجل لم يكن معروفا لا عند القليلين من أدباء الاسكندرية ، وربما كان ذلك هو الذى دعاه أن يقول ، وهو فى هذه الفترة ،

بعيشك هل جزيت عن القوافى بغير ، أجدت ، أو لافض فوكا
كلام ، ليس يغنى عنك شيئا اذا لم يقتــــل الامال فيــكا

●●●

ورأيت أن أعود الى معاصريه من أبناء الاسكندرية ، أستجل ذكرياتهم عنه ، ان كانت ذكريات ، وكان من حديث الصديق « عبد المتعال حلمى » صــــاحب مكتبة « الاستنارة » انه كان وقتئذ صبيا يتعشق الادب . ويتقرب الى أهله ، عندما تعرف على « ايليا أبو ماضى » الذى كان يكبره ببضعة أعوام ، وكان ايليا فى ذلك الوقت،

يعمل صبيا بائعا فى دكان لبيع الدخان يملكه لبنانى اسمه « أبو الياس » ويقع هذا الدكان أمام مبنى بورصة « مينا البصل » ثم انتقل منه الى دكان آخر بحى القبارى - لنسى اسم صاحبه - وكان الدكان الثانى ، ضمن مجموعة دكاكين ، هدمت الآن ،وقامت مكانها عمارة مستشفى أمين يحيى ، « المؤسسة الصحية الاجتماعية الآن » وانه كان يذهب اليه فى الدكان الاخير ليستمع الى أشعاره ولكن صلته به ضعفت حين انتقل « ايليا أبو ماضى » للاسكندرية بأشهر قليلة ، وأنه معاصر للشاعر ، وملم بالحركة يقيم « بكوم الشقافة » ·

---

(١) ص ١٣٧ من الهلال عدد نوفمبر ١٩١١

ويقول المؤرخ السكندرى الاديب الاستاذ « يوسف فهمى الجزايرلى » انه كان يشاهده يوميا خلال سنتى ١٩٠٨ – ١٩٠٩ بشواربه الكثة ، وهو يعمل مع اخيه فى دكان لبيع الدخان ، كان موقعه ، على ناصية التقاء شارع «العطارين» بشارع «المحافظة» ولا يزال هذا المحل موجودا ، وانه استمع منه – فى هذه الفترة – الى بعض اشعاره .

ونحن نعرف أن هذا الاخ ، كان اسمه « طانيوس » وانه توفى سنة ١٩٠٩ وقد رثاه « ايليا » بقصيدة جاء فيها :

ابعدك يعرف الصبر الحزين ؟ وقد طاحت ببهجته المنون
ذهبت بزينة الدنيا جميعـــا فما فى الدهر بعدك ما يزين

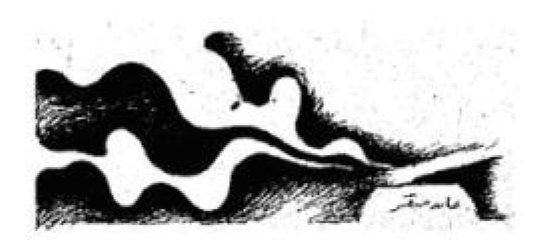
وكان الاديب السكندرى المرحوم « صديق شيبوب » ١٨٩٤ – ١٩٦٥ قد اخبرنى أن اخاه المرحوم الشاعر « خليل شيبوب » ١٨٩٢ – ١٩٥١ أدرك « ايليا » قبل أن يهاجر ، وهو يعمل « تاجر دخان صغير » بحى « باب عمر باشا » وأرانى – رحمه الله – هذا الدكان ويقع على ناصية التقاء شارع « راغب باشا » بشارع « الخديو الاول » شريف الآن » وبذلك حدثنى أيضا السيد محمد عثمان ، أحد أدباء التجار ، وكان يسكن وقتئذ فى الحى المذكور ، وقال بأن « ايليا » انتقل من هذا الدكان ، الى«مهجره» اذ انه بقى فيه حتى أواخر سنة ١٩١١

●●●

عاش « ايليا أبو ماضى » فى هذه الاحياء الشعبية ، عيشة أبناء البلد من الاسكندريين يشعر بشعورهم ، ويحس باحساسهم ، فبينما كانت ميول الغالبية من مواطنيه الشوام وقتئذ ، تتجه الى التآلف وتعمل على تنمية الروابط الاجتماعية الخاصة بهم ، كان هو أكثر اندماجا فى أبناء البلد ، يتحدث عنهم فى شعره ، ويدفع عنهم سهام خصومهم ، وقد نظم قصيدة ذات طابع قصصى ، فى اســـتقبال مشروع اقامة « مدارس الشعب بالاسكندرية » ، الذى دعا اليه الحزب الوطنى بزعامة « محمد فريد » سنة ١٩١٠ويصف فيها أبناء أحد العمال وقد سقط صريعا فى حادث بقوله :

باتـوا من الارزاء بين مخـــالب من دونهن مخالب الرئبال
خطران من جهل وفقر • ما الردى غير اجتماع الجهل والاقلال

وبينما كان اغلب الشعراء الشوام بالاسكندرية ، يتتبعون اغنياءهم مدحا ، فى كل مناسبة دينية كانت او اجتماعية ، حتى أنه وجد بينهم من كان شعره كله مدحا ، بل اننا احصينا فى الجزء الاول من ديوان « خليل مطران » القديم ١٩٠٨ وهو شاعر





تزعم المجددين في عصره ـ ٣٦ قصيدة ومقطوعة في مدح الشوام فقط ، كما أحصينا له ١٦ قصيدة في رثاء من مات منهم ، بينما كانت تلك القاعدة سائدة عندهم ، فاننا لم نجد في ديوان « ايليا أبو ماضي » الذي نظمه بالاسكندرية قصيدة واحدة في المدح، بل ان كلمة الاهداء فيه كانت موجهة الى الامة المصرية .

ومن المواقف التي انضم فيها « ايليا » الى الجماهير العريضة من المواطنين ولم يشايع فيها وجهة نظر طائفته موقفه لما حكمت المحكمة بسجن الشيخ « عبد العزيز جاويش » بسبب مقاله عن « ذكرى دنشواي » اذ نشر في جريدة اللواء قصيدة تفيض بتقدير الشيخ ، وجعل عنوانها « الى بطل الوطنية » جاء فيها قوله :

لئن حجبوك عن مقل البرايا ... فما حجبوا هواك عن الصدور
لقد أعليت قدر السجن حتى ... احب السجن سكان القصور
ولا عجب اذا اسكنت فيه ... فكم في الليل من قمر منير
تعددت الطيور فلا حبيس ... سوى الغرد الجميل من الطيور
يقول الشامتون السجن يزرى ... لئن صدقوا فبالجاني الكفور
وما في صحبة الاشرار عيب ... على الداعي الى ترك الشرور
فصبرا يا نزيل السجن صبرا ... فما عرف الهناء سوى الصبور
وحسبك عطف هذا الشعب فخرا ... وحسب عداك توبيخ الضمير (١)

***

وبينما كان رجال الدين من الشوام ، يفرضون سلطانهم على أبناء طوائفهم بحيث أصبح نفوذهم بينهم عظيما ، فان « ايليا » قد أعلن نفوره منهم ورسم لهم صورا تفيض سخرية بهم ، بل انه ليعلن رفضه لهم في صراحة مريرة اذ يقول :

ان كان لي ذنب وهم غفرانه ... الزمت ان أبقى بلا غفران
او كنت في النيران حيث لديهم ... منها النجاة رضيت بالنيران
ان الابالس حين اعيا امركم ... جاءتكمو في صورة الرهبان
وتفننوا بالمكر حتى اصبحوا ... ولديهم أدهى من الشيطان

وليس معنى ذلك ان « ايليا » كان رافضا للدين في حد ذاته ، فلقد كان للدين في نفسه مكانة جليلة يعبر عنها في مثل قوله :

اذا ارتدى المرء ما في الارض من برد ... وعاف للدين بردا عاد عريانا

---

(١) اللواء عدد ٤ سبتمبر ١٩٠٩ وهذه القصيدة لم ترد في ديوانه « تذكار الماضي » ولا في أي ديوان آخر

هو الحياة التي ما غادرت .. جسدا الا اغتدى الميت أحيا منه وجدانا
وهو الضياء الذي يمحو الظلام لمن لا يهتدى بسناه ظل حيرانا
والمنهل الرائق العذب الورود لمن لا يستقي منه دام الدهر عطشانا
ليس البلد من يقتل دراهمه ان البلد من للدين يا صانا
ليس الكفيف الذي امسى بلا بصر اني أرى من ذوى الابصار عميانا

ومن الجدير بالذكر انه في هذه الفترة كتب قصيدة في رثاء امام مسلم هو الشيخ محمد عبده نجاء من بين أبياتها :

حامت حواليك الجموع كأنما تبغي وقاء الشرق مما يحذر
ورأوا جلالك في الضريح فكلهم يهوى ويرجو لو مكانك يقبر
ابوا وما آب العزاء اليهم فالحزن ينظم والمدامع تنثر

●●●

ولقد نال من الشباب قومه كذلك ، وقد كانت بأيديهم مقاليد التجارة والصحافة ، بل ومقاليد الوظائف أيضا ، كما هاجم شبانهم من الخارجين على التقاليد الكريمة أو على العروبة ولغتها ولنستمع اليه وهو يقول في الفريق الاول :

جني على طلاب العلم في فتية لا تعرف المرء الا بالغنى وجلا
وكان للحر ان يشرى لراءهم لو كان يرضى به من عرضه بدلا

اما الفريق الثاني فيقول فيه :

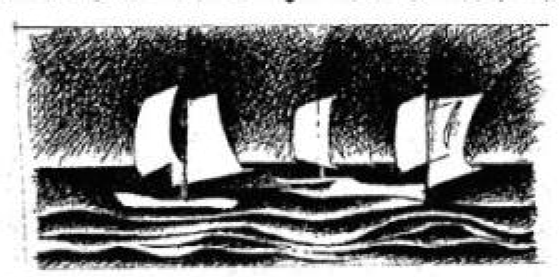
الهتهم الدنيا فهذا بالغزل صب ، وهذا بالعيسان متيم
فليقلعوا عن غيهم اني ارى خور الشيوخ بهم وكلا يهرموا
فلتنتهم لغة الاعاجم انما لغة الاعاجم منهم تتبرم

فاذا مات « مصطفى كامل » وكان يعده مثالا للشباب الناضج راح يبكيه أحر البكاء ويرثيه بما تفيض به نفسه من لوعة :

فطرت الاكباد حزنا فانما نباك سهم حل في كل مهجة
وما حزنت أم لفقد وليدها باعظم من حزني عليك ولوعتي

●●●

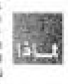
وبعد .. فلقد كان الصحفيون من أبناء قومه كثر بالمدينة ، وكانت مجلاتهم وصحفهم فيها وافرة العدد ، ولو أنه حلى هامته ، ولم يتخير الوقفة الصلبة في ميدانه ، ولو انه تقرب – مثل غيره – الى أهل الحل والعقد في قومه ، ولو لم يغضب الآباء بتصرفاته وشعره – لكان وجد العيش بالاسكندرية سهلا رغيا .. لكنه اثر ان يعيش حرا ومن أجل ذلك ، شد الرحال وغادر المدينة في أواخر سنة ١٩١١ الى امريكا حيث أثمرت جهوده ، وجاءت بأطيب الثمرات وحيث أصبح شاعر العربية الأكبر في المهاجر الامريكية .



● صبري أبو المجد ●

رغم موجات القلق والشك والفساد والإفساد

عاد الشباب بقوة إلى الدين

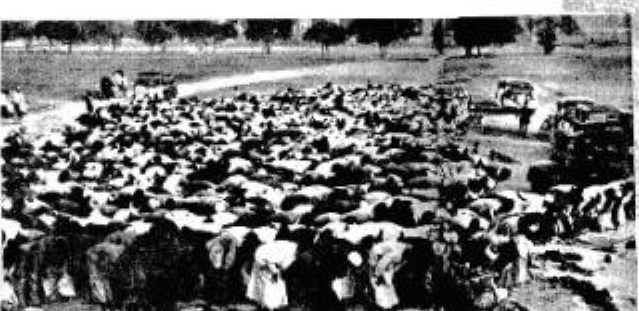


نحن دائما نسأل عن الشباب ... الذين تخطوا مرحلة الشباب يتحسرون عليها ، والذين لم يصلوا بعد يتساءلون بكل الوسائل والطرق ، الوصول بسرعة إليها .

[illegible]

والحسن البالغ يحاول [illegible] كل يوم مرات ومرات حتى يصل بسرعة .. شعر [illegible] والشارب [illegible] قبل الأوان ..

ولذا ـ [illegible] ـ من الذين يتحدثون إلى الشباب [illegible] ـ كلما أمكن ـ أن يتحدثوا دائما عن الشباب [illegible] .. [illegible]



كان البعض منا يتصور ـ لسبب أو لآخر ـ أن العلم بانتصاراته العظيمة سيباعد بين الناس وبين الدين ، ثم أثبتت الأيام بما لا يدع مجالا لأي شك أن العلم لا يتناقض أبدا مع الدين بل إن العلم وخاصة إذا ما أحسن استخدامه ـ يمكن بل يجب أن يكون ـ في خدمة الدين وقد كان من أبرز سمات هذا العصر وخاصة في السبعينات وبداية الثمانينات أن [illegible] الشباب موجات جارفة من الشك والقلق كادت تحول بين الشباب وبين الدين ، وقد انحسرت هذه الموجات إلى حد كبير . فهل عاد الشباب حقا إلى الدين ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذا المقال بصراحة وموضوعية وإيجاز ...



وقد كان من الموضوعات التى اوليتها قدرا كبيرا من اهتماماتى وخلال رحلاتى الى بلدان الشرق والغرب موضوع الايمان عند الشباب ثقة منى بأن ايمان الشباب وتمسكه بالقيم والمثل العليا هو دائما وابدا السور العظيم الذى يقف بصلابة وقوة ضد أى فساد ·

وعندما يعود الواحد منا الى ماضى الشباب لا يستهدف الا الاستفادة مما كان فى هذا الماضى من خير فيدعو الى اتباعه ، وما كان فيه من شر فيحرص على اجتنابه ·· والذين جاءوا من القرية المصرية ـ أيا كان مكان تلك القرية على الخريطة ـ يحسون ، اكثر من غيرهم بأثر الدين ، فى كل تصرفاتهم حتى بعد ان اجتازوا مرحلة الشباب ووصلوا الى عتبات الكهولة أو الشيخوخة ·

لقد كانت قريتنا المصرية فى الغالب والى فترة قريبة جدا ، تمثل المجتمع المثالى ، فى أجمل صوره ، كان الدين بمبادئه القويمة السليمة مسيطرا على كل شخص وحكما لكل تصرف : جميع أبناء القرية ، يتمسكون ـ حبا لا خوفا ـ بشعائره فى فجر كل يوم فى زمهرير الشتاء وفى قيظ الصيف يذهب الجميع صغارا وكبارا الى المسجد الصغير الذى يوجد فى قريتهم لاداء صلاة الفجر ، وفى الظهر والعصر والمغرب يترك الجميع اعمالهم جانبا ـ حتى ما كان منها هاما لا يحتمل التأجيل ـ لاداء الصلوات فى اوقاتها المعلومة ، فان جاء موعد صلاة العشاء ، انتقل الجميع وفى مقدمتهم الاطفال والكهول الى المسجد لاداء الصلاة لا يتخلف عن الذهاب الى المسجد فجرا أو عشاء الا المريض المقعد ·· وفى يوم الجمعة من كل أسبوع يكون اهل القرية جميعا وكأنهم على موعد حبيب الى قلوبهم عزيز الى نفوسهم يستحمون ، ويتزينون ويتعطرون ، ويرتدون اجمل ما لديهم من ملابس ، ثم يتوجهون الى المسجد ، قبل موعد الصلاة بساعات فاذا ما قضيت الصلاة انتشروا فى القرية يزورون المرضى أو يقومون ـ فرحين ـ ببعض الالتزامات الاجتماعية التى فرضها العرف والتقاليد ·

وفى رمضان من كل عام لا اجد فى القرية من جاوز العاشرة من عمره يفكر فى الافطار فى رمضان حتى اولئك الذين على سفر أو مرض لا يقبلون على انفسهم المجاهرة بالافطار ·· وفى موسم الحج لم تكن الفرحة أو البهجة

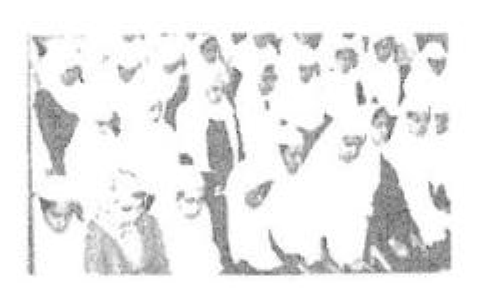
مقصورة على أولئك الذين يتـأهبون لزيارة بيت الله الحـرام ، او اهلهم وذويهم وانما الفرحة والبهجة تشمل أبناء القرية بلا استثناء ..

وفى عيدى الفطر ، والاضـحى وغيرهما من الاعياد لا يحس احد من الفقراء والمعوزين فى اية قرية بالكآبة، او الحزن فلديهم من الطعام والشراب واللباس ما يزيد على حاجتهم لان كل من يملك فضلا من مال يحرص على ان يدفع به الى هؤلاء ، اما فى صورة زكاة واما فى صورة معونة ..

والقرية المصرية تطبق بصدق وايمان مبدأ التكافل الاجتماعى بصورة تدعو حقا الى الاعجاب فعنـدما تنفق ماشية لأحد الفـلاحين يتعاون القادرون من ابنـاء القرية على ان يدفعوا الى صاحبها ثمنها،وعندما تذبح ماشية أخرى بسبب حادث مـا يوزع لحمها على القـادرين الذين يتكفلون بدفع ثمن الماشية مهمـا كان ذلك الثمن مرتفعا وغير منـاسب لثمن اللحم كل ذلك حتى يتمكن صاحب الماشية التى نفقت او ذبحت من شراء اخرى غيرها حتى لا تتعطل اعمـاله

ولم تكن القرية المصرية بسبب ذلك كله تعـرف الجريمة الا نادرا ، اذكر أن قريتنا الصـغيرة التى لم يكن تعدادها يزيد على خمسة ألاف نسمة ظلت تذكر لمدة عشرين عاما متواليـة جريمتين وقعتا فيها الجـريمة الاولى تتعلق بمقتل واحد من أبناء القـرية اتهم احد الشباب بقتله لانه كان على علاقة بزوجته الجميلة ، والجريمـة الثانية تتعلق بشاب اخراستطاع باسم الحب والزواج أن يغرر باحدى فتيات القرية .. ورغم ان تهمة القتـل لم تثبت على الشاب الاول ورغم ان الشاب الثانى قد حاول أصـلاح ما ارتكبه بزواجه من الفتاة المجنى عليها الا أن القرية كلهـا قد خاصمت من اتهم بالقتل ، ومن اعتدى على الفتاة بل والفتاة ذاتها ، كما ان أهـل القرية ظلوا لعشرين عاما متتـالية يتذكرون هاتين الجريمتين، كمايتذكرون أخطر الاحداث التى مرت بالبلاد ،وفى مقدمتها ثورة احمد عرابى أو «هوجة» عرابى كما كانوا يطلقون عليها .

لقد كانت قرانا المصرية فى الغالب تعيش فى مجتمع مثالى للغاية يرى فى شرب السجائر ـ مثلا ـ خطـأ فاحشا ، وفى الكلمة النابية خطيئة كبيرة ، كما يرى فيمن يسير ـ مثلاً ـ حاسر الراس فى الطريق العام غير أهل لأداء الشهادة، وفيمن يقضى الطريق



العلم يعاكس الغانيات والرائحات غير صالح للزواج ..

واختلفت المدينة عن القرية

كان ذلك المجتمع المثالي الى أمد غير قريب هو مجتمع القرية المصرية التي يسيطر الايمان على كل فرد فيها، ولم تكن البنادر أو عواصم الاقاليم تختلف عن القرية في كثير أو قليل مما يجرى العمل به ، اللهم الا اشياء كان البعض يراها - في البندر أو العاصمة الصغيرة - خطأ ، ويراها البعض اثما ، ولا يرى البعض الاخر فيها شيئا على الاطلاق ، مثل وجود شاب وشابة معا في دار من دور السينما أو ارتداء بعض الفتياتملابس تكشف بعض أجزاء الجسم ،ولا نقول مفاتنه ، ولذلك فان كثيرين من شباب القرى لم يكونوايتغيرون - الا فيما ندر بالطبع - عندما يتركون قراهم بعثا وراء العلم في البندر أو عاصمة لاقليم غير ان التغيير الكبير كان يطرأ على هؤلاء الشباب عندما ينتقلون الى القاهرة - العاصمة الكبرى - وعندما جئنا الى القاهرة بعد الحرب العالمية الثانية كقرويين خيل الينا أننا في دنيا اخرى ، فالمساجد ليست غاصة بالمصلين كمساجد القرى، والصيام ليس عاما وشاملا للجميع ، كما كان الامر في الريف والايمان الثابت الراسخ ليس دائما من السمات البارزة للشباب كما كان في القرية كما ان ما كنا نقرؤه في الريف او البندر او العاصمة الصغيرة قد اختلف الى حد كبير عما توافر لدينا للقراءة في القاهرة .

واحسسنا نحن الذين جئنا من الريف الى العاصمة - كما أحس الذين جاءوا من قبلنا ، بأننا غرباء تماما عن هذا المجتمع الجديد .. ولاحظنا - كما لاحظ الذين جاءوا من قبلنا ، والذين جاءوا أيضا بعدنا - أن هناك صراعا قويا وحادا وعنيفا يدور في ضراوة من أجل السيطرة على الشباب أطراف هذا الصراع قوى سياسية واجتماعية واقتصادية تريد استغلال الشباب

وكانت أساليب ذلك الصراع ، كثيرة ومتنوعة بعضها ذكى للغاية استخدم





في مكر ودهاء المال والجنس والشعارات المبهرة كما استغل ميل الشباب للانطلاق والتحرر فحاول ،

دفعه الى الشك ، والالحاد ، وبعض هذه المحاولات كان ساذجا للغاية اذ حمل اصحاب هذه المحاولات بين أيديهم وفي جيوبهم وفي السنتهم ، معاول قوية ، وعنيفة يهدمون بها - مرة واحدة - كل ما لدى الشباب من مقدسات ، وتركزت في بعض الظروف والاوقات كل المحاولات على الشباب القادم من الريف والذي يعاني

- في الغالب - ظروفا اقتصادية صعبة ، ولقد كان تأثر هؤلاء الشباب بكل هذه المحاولات وغيرها مختلفا تماما · البعض انحرف بسرعة وانتقل من جانب الايمان الراسخ الى جانب الكفر بكل شيء ،

والبعض تذبذب وأصيب بذهول جعله أسيرا للشك والقلق ، والبعض الاخر ظل يقاوم ويقاوم مستمدا القوة مما في داخله من حب للمثل العليا واتجاه لفعل الخير ، الى أن انتصر في النهاية فاصبح في تلك الحالة كالقابض على الجمر يحافظ على دينه بالابتعاد عن كل المغريات والموبقات وهو في الوقت ذاته يجد الطعنات تلو الطعنات توجه الى صدره من كل جانب وهو واقف وحده في الميدان وكانت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،

التي تمر بها البلاد تؤثر في مجريات الامور بالنسبة للفئات الثلاث المؤمنة وغير المؤمنة والتي اتسمت بالشك والقلق فمرة يزداد عدد الفئة الاولى ومرة يقوى نفوذ الفئة الثانية ومرة يضعف ، وفي بعض الاحيان يقل عدد المتشككين القلقين ، وفي البعض الاخر يزداد ، ولقد كان من العوامل التي اثرت في الموقف سلبيا أن البعض حاول أن يستغل الدين لتحقيق بعض الاهداف السياسية الضعيفة فأساء الى الدين كما اساء الى السياسة ، كما أن بعض العوامل ، التي أثرت في الموقف ،

ايجابا حاول بكل ما لديه من قوة الاساءة الى الدين فدفع بعض المتشككين القلقين الى العودة بسرعة - اما من قبيل التحدي ، وأما من قبيل العودة عن الخطأ - الى حظيرة الدين

وقد أعجبت بتقرير قدمه الدكتور محمد خلف الله احمد الى مؤتمر علماء المسلمين - مارس ١٩٧٠ - قال فيه وهو يعدد أسباب الانحراف الفكري عند الشباب :

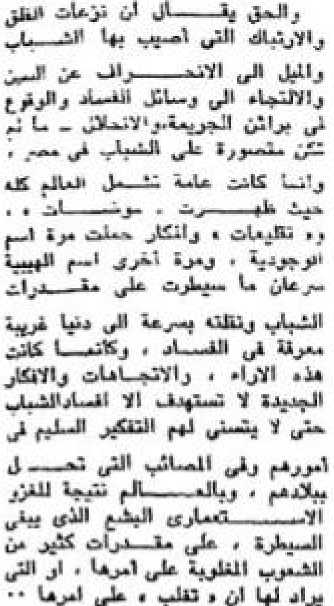
« هناك نواح تسبب عند بعض الشباب المسلم المثقف حيرة قد تؤدي احيانا الى الانحراف الفكري ، منها عدم استقرار العلماء المختصين على رأي واضح في امر بعض نظم الحياة الحديثة المختلفة من الوجهة الدينية ، واكثر ما يظهر هذا في ميادين الحياة



د . محمد خلف الله احمد يعدد اسباب الانحراف الفكرى عند الشباب

الاقتصادية ، وما تقوم عليه فى العصر الحديث من انظمة ومنشئات ، ومن تلك النواحى ما احرزه بعض الامم من تقدم فى العلم والاختراع والتكنولوجيا وما حققته ، من بسطة فى القوة والسلطان برغم عدم عناية بعضها بالدين وتوجيهها الشباب توجيها ماديا خالصا ، فقد وجد بالتجربة ان بعض شبابنا المسلم الذى قدر له ان يدرس فى تلك البلاد ويعيش فيها زمنا ، قد اضطربت موازين تفكيره والحت عليه الشكوك ..

ومن تلك النواحى كذلك بعض المذاهب والاتجاهات والاعمال الفلسفية والفنية والادبية التى تفد الينا من الخارج حاملة فى طياتها بذور الاستهتار بالقيم وبالمقررات التى يقوم عليها الايمان والتدين ، والشباب بحكم طبيعته الميالة الى الجديد المنجذبة الى كل ما يثير يقبل على هذه الاعمال فى شغف ، ويتأثر بايحاءاتها الضارة . ما لم يكن محصنا من قبل بدروع الاعتقاد والمعرفة الدينية الراسخة ..



فساد فى العالم كله

والحق يقال ان نزعات القلق والارتباك التى اصيب بها الشباب والميل الى الانحراف عن الدين والاتجاه الى وسائل الفساد والوقوع فى براثن الجريمة والانحلال — ما لم تكن مقصورة على الشباب فى مصر ، وانما كانت عامة تشمل العالم كله حيث ظهرت « موضات » و« تقليعات » وافكار حملت مرة اسم الوجودية ، ومرة أخرى اسم الهيبية سرعان ما سيطرت على مقدرات الشباب ونقلته بسرعة الى دنيا غريبة معرقة فى الفساد ، وكأنما كانت هذه الاراء ، والاتجاهات والافكار الجديدة لا تستهدف الا افساد الشباب حتى لا يتسنى لهم التفكير السليم فى امورهم وفى المصائب التى تحل ببلادهم ، وبالعالم نتيجة للغزو الاستعمارى البشع الذى يبغى السيطرة ، على مقدرات كثير من الشعوب المغلوبة على امرها ، او التى يراد لها ان « تغلب » على امرها ..

واعتقادى أن من نافلة القول الحديث عن الاحوال السيئة بل والمخزية ، التى وصل اليها كثير من شباب هذا العصر ، وخاصة فى السنوات الاخيرة من العقد الماضى حيث استشرى الداء ، وعم الفساد .

واندفع الشباب الى هاوية سحيقة من الانحلال الخلقى ، لم يصل اليها احد قبلهم ، ويكفينا ان نشير فقط فى هذا المجال الى دعوة الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون لمجلس النواب الامريكى فى ابريل ١٩٧٠ لكى يبحث معهم ماسماه بالخطر الشديد ، الذى

يتهدد مستقبل الشعب الامريكي وسلامته ، وقد قدم الرئيس الامريكي للكونجرس الامريكي تقريرا خطيرا مؤداه – وبالارقام – ان عدد الذين اعتقلوا بسبب الادمان على المخدرات فى الولايات المتحدة الامريكية قد زاد فى السنوات السبع الاخيرة الى ٨٠٠٪

وحسبنا – فى هذا المجال ايضا – ان نشير الى ان كثيرا من برلمانات العالم وهيئاته الخاصة برعاية الشباب قد ظلت طويلا تبحث الحالة المؤسفة التى وصل اليها الشباب والتى اعتبرت فى كثير من الحالات بمثابة وباء خطير ٠

وحسبنا ايضا ان نشير – فى هذا المجال ايضا – الى ان الصحافة المتخصصة فى امور الشبابلم تجمع على موضوع ما قدر اجماعها على ان ما يهدد شباب العصر ، من انحلال وانحرافات يوشك ان يكون بمثابة حريق هائل يمكن ان يدمر حاضر الانسانية ومستقبلها ٠٠

واخيرا كانت العودة

واذا كان القول بأن الشيء اذا زاد عن حده انقلب الى ضده سليما وصحيحا ، فانه فى مثل هذا المجال – مجال الحديث عن الشباب – اكثر صحة وسلامة منه فى اى مجال اخر فبعد ان وصل الشباب فى العالم كله – فى الغالب الى قمة هاوية الانحلال، والانحراف والفساد والبعد عن سلطان الايمان ٠ وبعد ان اصبح الاصل هو الشباب الفاسد والاستثناء هو العكس ٠٠وبعد ان كانت الامال فى اصلاح الشباب ،وتقويم اموره المعوجة تضيع فى الهواء ٠٠ وبعد ، وبعد بدات موازين الامور تتغير ، والظروف المواتية للاصلاح تتحسن ، لقد عاد الشباب – بسرعة من الاندفاع نحو الاراء المتطرفة كاراء « الهبيز » وغيرهم ، الى جادة الصواب ٠٠ ابتعد الشباب عن الانغماس فى حماة المخدرات والشذوذ واللامبالاة الى حظيرة الايمان ٠٠

واذا كان اندفاع الشباب نحو الفساد بطيئا الى حد ما ، الا ان عودة الشباب الى الله كانت سريعة للغاية، وقد كان فى مقدمة هؤلاء العائدين بعض اولئك الذين كانوا يدعون الى الكفر بكل ايمان ، وبعض اولئك الذين كانوا يرون الدين « موضة قديمة » انتشرت منذ زمن ويجب الا يكون لها مكان الا فى المتاحف ٠٠ ولم يكن ابدا احد يتوقع مثل هذا الانقلاب الذى حدث فى صفوف الشباب ٠

ويكفى للتدليل على خطورة هذا الانقلاب ان اكثر من ٤٠٠٠ شاب من غلاة المنحرفين فى كاليفورنيا قد عادوا الى الله من تلقاء انفسهم وبموعظة من زميل لهم ٠٠ ويكفى ان مئات من الشبان الاوربيين قد نجحوا فى تحويل علب الليل والبارات الى مقاه نظيفة تقدم القهوة والشاى والمرطبات والموسيقى المرحة ، الخفيفة ٠

وفى البلدان الاشتراكية نجد نزعات دينية جديدة عند فئات كثيرة من الشباب والاقبال على الكنائس والمساجد – عندما يوجد مسلمون ، يزداد يوما بعد يوم ، وقد رايت بعينى عشرات الالوف من الشباب يقفون فى طوابير منظمة امام بعض الكنائس فى يوم الاحد ، وقد كان الذى يحدث فى

الماضى ان الكنائس لا يدخلهـــا الا الشيوخ والكهول · وفى رومانيا وفى منطقة كونستانترا على البحر الاسود وجدت مئات من الشباب المسلم يهرعون الى المساجد وخاصة المسجد الكبير فى كونستانترا فى اوقات الصلاة فى سعادة بالغة وشوق حار لاداء الفريضة ؟

والذى لا شك فيه ولاجدال ان البناء الدينى قد قوى الى حد كبير فى نفوس الشباب لاسباب عديدة لا محل لذكرها الآن فبعد الشك يجىء الايمان، وبعد الظلام ، يحل النور ، بعد القلق النفسى القاتل يجىء الصفاء الروحى ·

ولعل من حسن حظ مصر ان شبابها لم يكن قد ابتعد عن الله ، وان كان قد ابتعد عن الدين ، فحتى غـــلاة المتحلين من الشباب المصرى نجدهم يعمدون الى الصلاة فى ايام الامتحانات وفى اوقات الازمات والمحن ، وحتى غلاة المتشككين والقلقين لم يتصوروا ابدا ان شكهم وقلقهم يمكن ان يصل بهم الى حد الالحاد وانكار وجود الله ·· ولذلك فعندما توافرت فى مصر ظروف موضوعية خاصـــــة ترحب بالاتجـاه الروحى ، وتشـــجع عليه · وعندما اخذت اجهزة الاعلام تتســـم بسمات دينية خالصة ــ عادت الطرابيز التى كانت قد تخلفت عن ســـاحة الايمان ، بسرعة ، وشوق ··

لقد اجريت احصاءات رسمية عديدة جاءت مؤكدة ان الشباب يقبل اليوم على الكتب الدينية اكثر من اقباله على غيرها ، حتى ولو كانت جنسية ، وان البرامج الدينية فى الاذاعة والتليفزيون تجد اقبالا اكثر من غيرها من البرامج بل ان احصائيات الصحف المصرية والعـــربية تؤكد ازدياد التوزيع فى بعض الصحف التى تصدر ملاحـــق دينية ، ولعل فى مقدمة الاسباب التى ادت الى عودة شبابنا الى الدين كون قيادة الشعب فى يد رئيس مؤمن هو الرئيس محمد انور الســـادات الذى يعمل دون تعصـــب على تدعيم القيم الروحيـــة والخلقيـــة عند الشعب وخاصة الشـــــباب ولذلك كله فنحـــــن متفائلون بالمســـتقبل ···



انطلاق

إيه يا طـاوي الرُّبى والبيـدِ
هل لمسراكَ في الدُّجى مِنْ مُعيدِ
الطريقُ الطـويلُ هدَّم جنبيكَ
وعدْوُ الهوى وشدْوُ القصـيد

سَفرٌ شاسعٌ كأنّ مداهُ
رحلةُ الفكرِ في الفضاءِ البعيد
كلّما سِرتُ في نواحيه شأواً
كشفَ الشوقُ عن خيالٍ جديد
فكتبتُ الهوى سطوراً سطوراً
هائماتٍ شجيةَ الترديد
وحملتُ الشقاء جُرحاً فجُرحاً
فقوافيكَ دامياتُ النشيد

تفتّح الزهر

هل تذكرتَ والزمانُ غريرٌ
وحواشيكَ يانعاتُ البُرود
والشباب الندىُّ فتّح عينيه
على النور وابتسام الورود
والصبا يذْرَعُ المُنى بين نهدٍ
مُشرئبٍّ وناعمٍ أُملود
طارَحتْني الهوى فسرنا وئيداً
وانطلاق الشباب غيرُ وئيدِ
بُرْعمٌ هزّهُ برعمٌ وتلاقى
غزَلُ الطلّ واخضرارُ العود
ما قطفنا الجنَى ولكن رشفنا
من رحيق الحياة خَمْرَ الوجود

تجدد

رُبَّ ذكرى تعـــودُ حتى نراها
خلقَتْ شبهَها من التجـــديد
شادنٌ مرّ في حيـــاى وحيّـــا
ســـائلا عن غرامى المفقـــود
قلتُ ولىّ وفاحَ فيكَ شـَـذاهُ
يا نجىَّ المتوّه المعمـــــود
فانثنى يلثمُ الجـــراح ويأسُـــو
والهـــوى بين طيّعٍ وعنيـــد
وانطلقنا ، وباعدَ الوصــــل عنّـــا
حذرُ الناس وافتراءُ الحســـود

ايحاء

فى سكونٍ من الصدى وخفوتٍ
أيقظتنى تهزُّ أوتار عـــــودى
تسألُ الشعرَ ما به ليس يشـــدو
والصـــبا ماله حبيس الجمـــود
واحتســـــينا الطلا رويداً رويداً
وشربنـــا على انســـياب القصيد
وتلاقتْ شـــــــفاهنا وتلظّى
شَغفُ الشوق عند صدرٍ وجيد
ومضتْ دربَهـــا وسرتُ بدربى
والنـــوى ينتشى على التـــرديد

جموح

ثورة ما لها ختام ووجد
عارم في فؤادي المكدود
هل يلام الهزار حلق في الشدو
على كل ربوة وصعيد ؟
أم يلام العبير يحلم في الليل
ويسرى مع الصباح الجديد
في الذرى فوق شاهق من هوانا
وقفت بين مطمحي وحدودي
تستبيني المنى فالثم فاها
ثم أرتد رهن زجر شديد
يا جنون الشباب حسبي جموحاً
لم يعد في جوانحي من مزيد

هداة

وقفة شدت الشجون عراها
في ركوع من الهدى وسجود
لا حفيف الغصون مال مع الريح
ولا الطير حن للتغريد
وانمحى ، غير بارق من سناه ،
زمن اللهو والهوى والنشيد

نداء الوطن

وكأني بهاتف علوي
قد دوي في مسامعي ووجودي

المسافر

أغــرامٌ ؟ ومــوطني يتنزّى
عن شـهيد مضرّجٍ وشريد
وعذاراهُ في الإســار سَبايا
بين حُمرٍ من الدموعِ وسُودِ
دميَتْ جبهـةُ الإباءِ ومالتْ
خلفَ أعلامِها سرايا الجنـود
فانتفضْنا على أنينِ الضـحايا
وحطمْنا ممنّعاتِ القيـودِ
وبذلنا الفِـداءَ من كل عِرقٍ
عربيّ الدماءِ صـافي الوريد
كيف أنسى وفي يميني المُعَنّى
أثرُ النارِ وانطـلاقُ الحديد ؟

***

ثمّ هُنا ... طالَ مدابٌ ومثارٌ
هذهِ رقدةُ الجـريح الطـريد
وحـواليكَ عُوّدٌ وأُسـاةٌ
وهـديلُ الدعاءِ والتجـويد
مـن أبٍ طيّبَ الإلـه ثراهُ
وأخٍ مشـفقٍ وأمٍّ ودُودِ

نهاية المطاف

أقبلتْ بين ذلّهـا وأسـاها
والخطـا في تثـاقلٍ وجمـود

وانحنت فوق أضلعي هاويات
خاويات وساعد ممدود
ضمخت مبسمي العليل بطيب
من رحيق المفلج المنضود
وكأنا على اختلاج الأماني
قد زففنا ليومنا الموعود
تضحك الأمسيات حين ترانا
ثم تبكي على القديم الجديد

عمر

ياهوى النفس حين يغمرني الشوق
الى الملتقى البهيج السعيد
وهدى الفكر حين أبحث في الكون
عن الله في مقام الخلود
وبقائي اذا فنيت مع العمر
واودعت بين تلك اللحود
يا سنا النور حين أدلج في الليل
واصبو الى الصباح الجديد
وانطلاقي الغداة في الفلك الرحب
اذا ضقت في الورى بقيودي
ليتني ، إذ بكيت ، أمنحك الدمع
وأعطيك مقلتي وخدودي



أو تأوهتَ أسكبُ الحبَّ آها

لك مِنْ ذَوْب قلبي المفـؤود

يا نعيمي وهـدأتي وحنيني

وادكاري الهوى وأنسي وعيدي

جئتنا والحياةُ تظمأُ للخصبِ

فأحييتَ ذابـلاتِ الورود

فالعبيرُ الذي تضوّع في الدار

شذى طلعكَ النقيِّ النَّديدِ

جنوح

ما غفا جفننا كأنّ خيـالاً

راعَ أحلامنا بهَوْلٍ شـديد

تتمطى عليه أجنحةُ الجنِّ

وتلتقي من الظلال السود

تحسَبُ القبلةَ الرضيّة تهمي

بالمآسي على الزمان الفقيد

وترى النظـرة الغضـوبَ سرابا
ذاب فيه الهـوى بلَفحِ الصدود
فترنحتُ بين يقظةِ ملهـوفٍ
ورؤيا أذىً ودُنيـا جحـود
هارب من يدىً منتثرِ الزهـرِ
وقلّدته الشـذى من ورودىَ
شاردٌ من حِماى مُنطلقُ الظبىِ
غوىٌ النوى عصىٌ الشـرود
آه يا ظبيتى سَرَحتِ الى الغيبِ
الى مَهمهِ الضـلال الأكيـد
حيثما النـاس ثعلبٌ عند أفعى
عنـد ذئب بزِىٍّ خِـلٍ ودود
ما ظلمت الورى ولكنّ سَهمْاً
منكِ أدمى الرضا بجرحٍ حقود
لا أرى حولىَ الغداةَ سوى الاثمِ
وشكّى بمعدنِى ووجـودىَ
والتحـامى مع التقى فى عِراكٍ
يهزأ الكفرُ فيـهِ بالتوحيـد

•••

أين يمضىِ والطـريقُ مخوفٌ
ولياليكِ فيه سـودٌ بسـود
تستبيكِ البروقُ مؤتلقـاتٍ
خُلّبٍ الوسمِ كاذباتِ الوعـود

تهف نفسي عليك جرحك الشوك
وأدمى الهجير وطب الخدود
كنت أرخصتك الحنان قديما
ما على القلب لو حنا من جديد ؟
هل تجنيت ؟ علني ، غير أني
كنت أولى لديك بالتضميد
لم لم تسقيني حنانك صرفا
وتشدني من عزمي المكدود ؟
فهبيني أفرغت أقداح ذنبي
لم أترعت كأسها بالمزيد ؟

●●●

أين يممت ما سألت هوانا
فهو مازال عند عهد عهيد
ما سألت الوفاء والحب والعطف
وطبع الندى وفيض الجود
ما سألت السنين مؤتلقات
بالمصابيح من علا وسعود
لا ولا جؤذرا ترعرع بالنعمى
زكي الشذى حفي المهود
كنت عودته الجناح فألفى
سائلا عن جناحك المفقود
فأداري شكواه أصطنع اللهو
فيرنو بطرفه المعمود

في غدٍ تورقُ الغصونُ فأروي
عنْ شبابي وقصتي لوحيدي

***

في غدٍ تسمعُ الملائكُ همسَينا
وحيدينِ : والدٍ ووليد
تتدلى النجومُ حولَ ليالينا
ويشدو الزمانُ لحنَ الخلود
وتطلّينَ من كوىً نائياتٍ
تتمنّينَ دونها أنْ تعودي

مع النفس

آهِ يا ساكن الهواجسِ والهمِّ
وحيداً مع الخيالِ المديدِ
ينعمُ الشعرُ في رحابكَ والمجدُ
ورهجُ المنى وخفقُ النشيد
ويمرُّ النسيمُ حولكَ خلْوا
من حديثِ الورى وهمسِ الحسود
ويغشى الضبابُ أمسكَ حتى
لا ترى غيرَ يومِكَ المنشود
ربَّ حريةٍ يعانقها القيدُ
فتحيا على عناقِ القيود
فسلامٌ عليكَ وقفك الشجوُ
فأصغى إليكَ سمعُ الوجود

رمسيس لبيب

حلوة ، ندية كزهرة تفتحت منذ لحظات ، عيناها تزغرد فيهما ضحكة الصبا اللامعة الصافية ، شفتاها نوارة صغيرة ترتجف في نداء ظامئ ، صدرها يندفع الى الأمام ، يتحدى كل ما يعربد في نفسي !

قصة قصيرة

لوحة لفنان الفتيات الصغيرات



خصرها النحيف ينساب الى ساقين مصبوبتين مخروطتين ، فيها ذلك الشيء الخفى الآسر الذى لا يوجد الا فى العذارى ولا سيما الصغيرات منهن ، الشيء الذى كنت احسه فى زوجتى ويجذبنى اليها أيام خطبتنا والذى اختفى بعد زواجنا بشهور .

ما أعذب صوتها الذى يرف صافيا ناعما لم تثقله الهموم ، لايعيبه غير كلمة « عمى » تقولها فى حب واعزاز، أرد أن احتويها ، أن أحيى شفتيها النديتين،

تنظر فى حياء باسم، تتصرف ببساطة تثير الغيظ كأنها لاتشعر بأنها وحيدة فى صحبة رجل بمسكن خال ، كأنها لا تستشعر نظراتى وهى تنهش عليها ، تتلمس وتغوص فى كل جزء منها تلمس الشيء السحرى غير الملموس .

منذ تلك الليلة قفز الى عينيها شيء حذر خجول ، شيء يقرب منى ويبتعد فى خجول . الشيء الخفى يحريد فى كيانها وهى ترتدى المنامة البرتقالية وتجلس الى مكتبها تستذكر ، رأيتها من خلال الضباب المسكر الذى غلف عقلى بعد ليلة مترعة بالشراب ، كنت جالسا فى الفراش بالقرب منها ، ووالدها الى جوارى يغط فى النوم ، وزوجتى وأمها نائمتان فى الغرفة الأخرى .

مر عام كامل على تلك الليلة .

المنامة البرتقالية ونهداها ، انسيابية خصرها وردفيها ، والضباب يغلف عقلى ، أحسست بشيء ذائب فيها يخاطبنى بالحاح .

والتقت عيوننا فاطلت النظر ، ومددت يدى الى كتفها أعانقه بكفى ، التهبت وجنتاها ، واختلج شعاع فى عينيها ، ورف على شفتيها طيف بسمة خجول ، وسحبت يدها ا مددت يدى الى ركبتها .

فابعدت ساقها وهى تنظر الى ابيها .

وفى الصباح خجلت من نفسى ، لم أستطع أن انظر الى ابيها وامها بالثقة كما كنت انظر من قبل ، كانت كلماتى ثقيلة مرتبكة ، قلت لها عندما انفردت بها

ـ انا آسف . انت فى موضع الابنة

خفضت عينيها وفى نظراتها شيء من الضيق، لم تتوقع منى هذا الاعتذار، كانت قد قابلت تصرفى فى الليل، بالرضا والرفض ، بالدهشة والسعادة، ومنذ ذلك اليوم اصبح بيننا شيء ناطق واخرس ، شيء يشد كلا منا الى الآخر ويبعده فى آن واحد .

ومن يومها احسست أن الغدير الصافى بينى وبين والدها وامها قد تعكر

وظللت اياما كثيرة لا أصعد أمام نظرات امها وابيها ، ولكنى اصبحت اشعر بالضيق اذا حضرت اليهم ولم اجدها ، كثيرا ما كنت اتمنى لو انا فى طريقى الى بيتهم أن أجدها بمفردها ، كنت استنكر هذه الرغبة ولكنها تولد فى نفسى برغم ارادتى . ويوم كنت اعلمها السباحة واضمها على يدى كانت يداى تقربان جسدها الى كانت تجفل وكانت تقبل

ى سعادة . كانت قبل رحيلى الى المنصورة صبيةحلوة عزيزةاجلسها على ساقى واداعبها . كانت تتعلق بعنقى وتقبلنى ، وعندما كانت تسال عن احب الناس اليها كانت تقول .. بابا وماما ، وعم كمال .. كان فى كل ذلك شىء نقى ، عذب ، نادر ..

عندما عدت الى القاهرة بعد غيبة الاعوام الخمسة رايتها فتاة مكتملة ، لم ار الصبية الصغيرة ، لم تقدم لى خدها كما تعودت . بدا عليها الارتباك ولم اقبلها انا الاخر . احسست بانه لم يعد لى هذا الحق ، وشيئا فشيئا خاصة عندما كنت انفرد بها ، بدأت استشعر شيئا ذائبا فيها ، شيئا يهمس لى ، وسرعان ما علا صوته يستفزنى الى ضمها ، الى احتواء النضارة والعذرية ،

خاطبنى ذلك الشىء بالحاح فى تلك الليلة البعيدة ، وعربد بين يدى فى البحر .

– عم .. اعمل لك شايا ؟

– شكرا .. لا اريد الآن

لا داعى لكلفة عم هذه ، اجلسى ، الى جوارى ، لا استطيع ان انتقل من مكانى . شىء لا ادريه يسمرنى فى مكانى ، ابدا ليس الوفاء لزوجتى ، كثيرا ما كنت اتبادل الحديث مع زوجتى وشىء منى يتسرب اليك .

ابوك يقول اننى كثيرا ما اصور الفتيات الصغيرات فى لوحاتى واضع فيهن شيئا خبيثا آثما ، ابوك لايعرف عمق المرارة التى ترسبت فى النفس برغم انه استاذى ، ابوك لا يعرف ما يولد فى النفس عندما يقدم الانسان روحه الى العالم فيمط العالم شفتيه فى سخرية ويشيح بوجهه ..

عشرة اعوامِ انا احاول ان اصور النبض ، نبض الاشياء والكائنات ، والعيون المضناة والعيون التىتريد التهامها فى شراهة والعيون التى تستشرف الافاق فى فرح وبسالة ، عشرة اعوام وانا اذوب اعصابى ومعاناتى واذوب قلبىفى الخطوط والالوان وفى الروح التى تشيع فى لوحاتى ؟ لم اجد معرضا يعرض لىلوحة ، لم ابع فى حياتى غير لوحة واحدة ، كانت



لامرأة عارية صورتها فى لحظة سام ولم يكن فيها شىء من الفن .

كان العالم كلهبداخلى كانملكى ، كنت لا اقطف الزهور ، واذا شممتها لم اكن اقربها من انفى حتى لا تذبل ، تركت فى المنصورة شيئا كان يزدهر ويشرق فىنفسى تركت اكبر واغلى الاشياء ، حاولت ان اهجر الرسم ، يبدو ان الرغبة فى التشكيل جزء من طبيعتى لا يمكن التخلص منه .

فى العامين الاخيرين اخذت اصور الفتيات الصغيرات ، السابعة عشرة والثامنة عشرة حاولت ان اجسد ذلك الشىء الخفى الذى

يستفزنى ، لم تعـد عيناى تبحثـان عن الصفاء والبراءة ، ما عدت احس بالقرب من الوجـوه المضـناة ، السيقان والنسيابية الجسـد تشد عينى ، تفتش عينـاى عنهـا تتعلقان بهـا طويلا .. طويلا فى كل مكان ..

ـ عم .. هلشاهدت صورتنا على البلاج ؟.

ـ شهية وانت شبه متجردة !

ـ ابى كـان يعترض على ارتدائى المايوه .

ابوك رجـل طيب ، احبه كثيرا ، وامك ما اقربها الى قلبى كانت وصـديقة ، تبدو فى الصـورة حانية ودودا كما هى دائما ، كثيرا ما احس بالسعادةلاننى انعم بدفء اسرة تحبنى نادرا ما وجدت دفئـا حقيقيـا ، كثيرا ما احسست بالذنب وانـا انظر اليهما .

هذا المايوه خبيث ، ياه .. تجلسـين الى جوارى ، بيننا مسـافة لاتزيد على شبر ، يدى ترتعش فى رغبـة للامتداد ، لتطويقك ، وشفتاك ماأعذبهما .

تبتسمين ابتسامة تذوب فيها بسمةطفل ، لاداعى لكلمة عمالآن ، لاداعى لنداداتى ، ياه .. الضوء يفـر من الغرفة فتهجم الظلمة .

ـ عم ... انطفـأ النور !

ـ لاتخافى ..اقتربى منى .

يـدى على ظهـرك ترتجف . الثلاثون التى احملهـا اعرض واعمق من ثلاثين عاما ، اعرف كيفتتحدث اللمسات ، انفاسـك تلفح وجهى الملتهب ، لاتخافى .

ـ اننى اكره الظلام .. يا عم ... يبدو انها غارة !

وانا ايضـا اكره الظـلام ، فى مسـتهل شبابى كنت اكرهه اكثر كنت اراه ستارا يخفى الاشـيـاء الشريرة والمقيته ، خدك يلامس خدى ، شعرك يدغدغ بين خدينا ، الظـلام يمحـو كل الاشـياء ولايبقى الا انا وانـت ، الظلمـة تقربنى منك وتبعدنى عنك ، لاداعى لكلمـة عـم ، لاداعى

للصـــــفاء الندى فى صوتك ، هذا الصـــوت

يخمد الشياء فى نفسى ، تبدين كقطـــة البقة فى

صدرى ، تحتمين بى من الظلام ، انفاسى تتلاحق، اعجز عن كتمها

ماذا يشل يدى ؟ •• لماذا تجبـن عن الهمس بلغتها الخاصــة ؟ ••

لماذا كلمـا حـاولت أن اقتـــرب اكثر ابتعـدت اكثر ؟

ـ عم •• اريـــد أن ارى لوحـــاتك • أبى يقول انك فنان موهوب!

موهوب ! أبوك رجل طيب ، يعطينى دائمـــا

اكثر مما اســـتحق ، يتصورنى فنانا عبقريا،

أبوك يحب الأشياء بود وســـماحة ، يرى كل شىء طيبــــا ويثق بكل

شىء ، تشدد معى فى الكـــلام ، طلب منى أن

أصـــور شـــيئا آخـر غيـــر ذلك الشىء الذى

يشـــدنى ويخاطبنى بالحاح فى الأجســـاد

البكر الفـــائرة ، أبوك لايرى البركة الآسنة ، لايرى الزهـــور الذابلة

الجـــافة ، لابد ـ أن مايجذبنى الى الصغيرات

يشدنى بقوة الى ابنته، شىء سخيف أن يحدث هذا ••

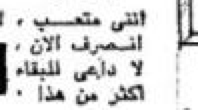
ياه •• لا تقتـــربى كثيرا هكذا بل اقتربى

صوتك عـــذب أريده ، ماذا يرجف يدى ويخيفها

قوة خفية تصد خـــدى عن خدك، كنت فى الزمن

البعيد تجلســـــين على ساقى وتتشــبثين بعنقى وتضحكين ، كنت اداعبك

واقبلك ، بابا وماما وعم كمال، كنت شقيةوخفيفة الدم، كثيرا ماتمنيت أن تكون لى ابنة مثلك، الان



لا يمكن أن تجلسى على ساقى وتتصرفى فى بساطة

كما كنت تفعلين ، فى أعماقى أشياء تغلى ،

صوتك عذب كما كان فى تلك الايام ، كان مابيننا

غديرا عذبا ، كنت أسعد بالـــدفء والحب •• لا

تقتربى هكذا ، أبعـــدى انفاسك الحارة عن خدى، عن انفاسى !

ـ ايه ••• الغـــرور رجع !

ياه ••• الضـــوء يسطع ، يضىء كل شىء،

تقفزين ، تبتعـــدين ، ندية كزهرة ، زهـــرة

بكر تقتـــرب من الأنف ولم تذبل ، هاهى ذى

الصـــورة ، أبوك يبدو فيهـــا طيبا ودودا ، يبتسم ابتســـامته التى

لايقـــوى شىء على تكديرها ، ويضع يده

فى حنـــان أبوى على كتفك ، وامك ابتسامتها

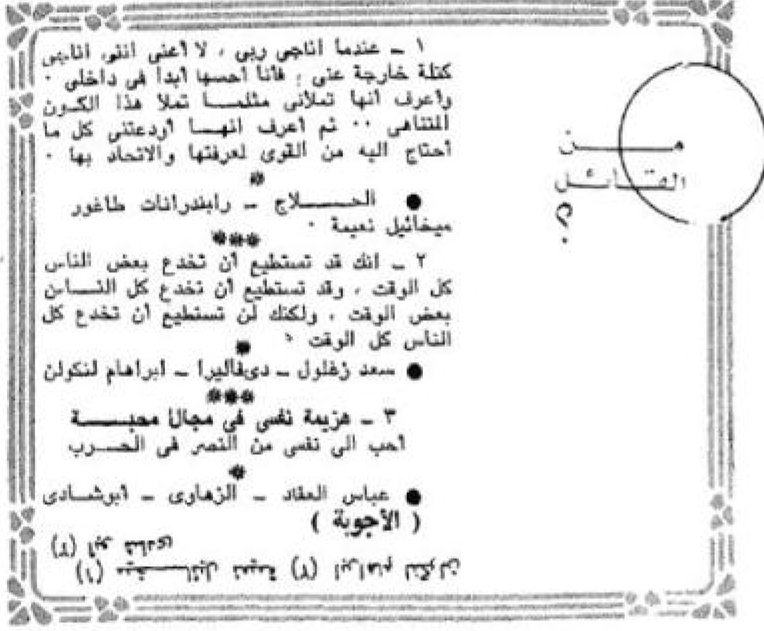
حالمة ، تســـتطيع أن تحنو على كـــل شىء •

على كل الكائنـــــات ، وانت تقفين بينهـــما ،

أحس بشىء من الرضا ، أحس بالراحـــة برغم

انتى متعـــب ، لابد أن انصرف الآن ، لا داعى للبقاء اكثر من هذا •


شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
تقدم : الانتاج العربي المشرف للصناعة العربية
أحدث إنتاج على أسس علمية
مصنوع من الصاج المطلي بالمينا
شوايات
للحوم والدواجن
مقاسات وأحجام مختلفة
جذابة
اقتصادية
تعمل :
بالكهرباء
بأنابيب البوتاجاز
بالفحم
لاقت الشوايات اقبالا في الدول العربية الشقيقة
والشركة على استعداد للتصدير لمختلف بلاد العالم خصوصا الدول العربية الشقيقة
شركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية
٧٢ شارع الشهيد جلال الدسوقي / الحضرة - الاسكندرية
معرض البيع : ٤٥ شارع صفية زغلول بالاسكندرية



من القائل ؟

١ ـ عندما اناجى ربى ، لا اعنى انى اناجى كتلة خارجة عنى ؛ فأنا احسها ابداً فى داخلى . واعرف انها تملأنى مثلمـا تملأ هذا الكـون المتناهى .. ثم اعرف انهـا أودعتنى كل ما احتاج اليه من القوى لمعرفتها والاتحاد بها .

*

● الحـلاج ـ رابندرانات طاغور ميخائيل نعيمة .

***

٢ ـ انك قد تستطيع أن تخدع بعض الناس كل الوقت ، وقد تستطيع أن تخدع كل النـاس بعض الوقت ، ولكنك لن تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت .

*

● سعد زغلول ـ دى فاليرا ـ ابراهام لنكولن

***

٣ ـ هزيمة نفس فى مجالا محببـة
أحب الى نفسى من النصر فى الحـرب

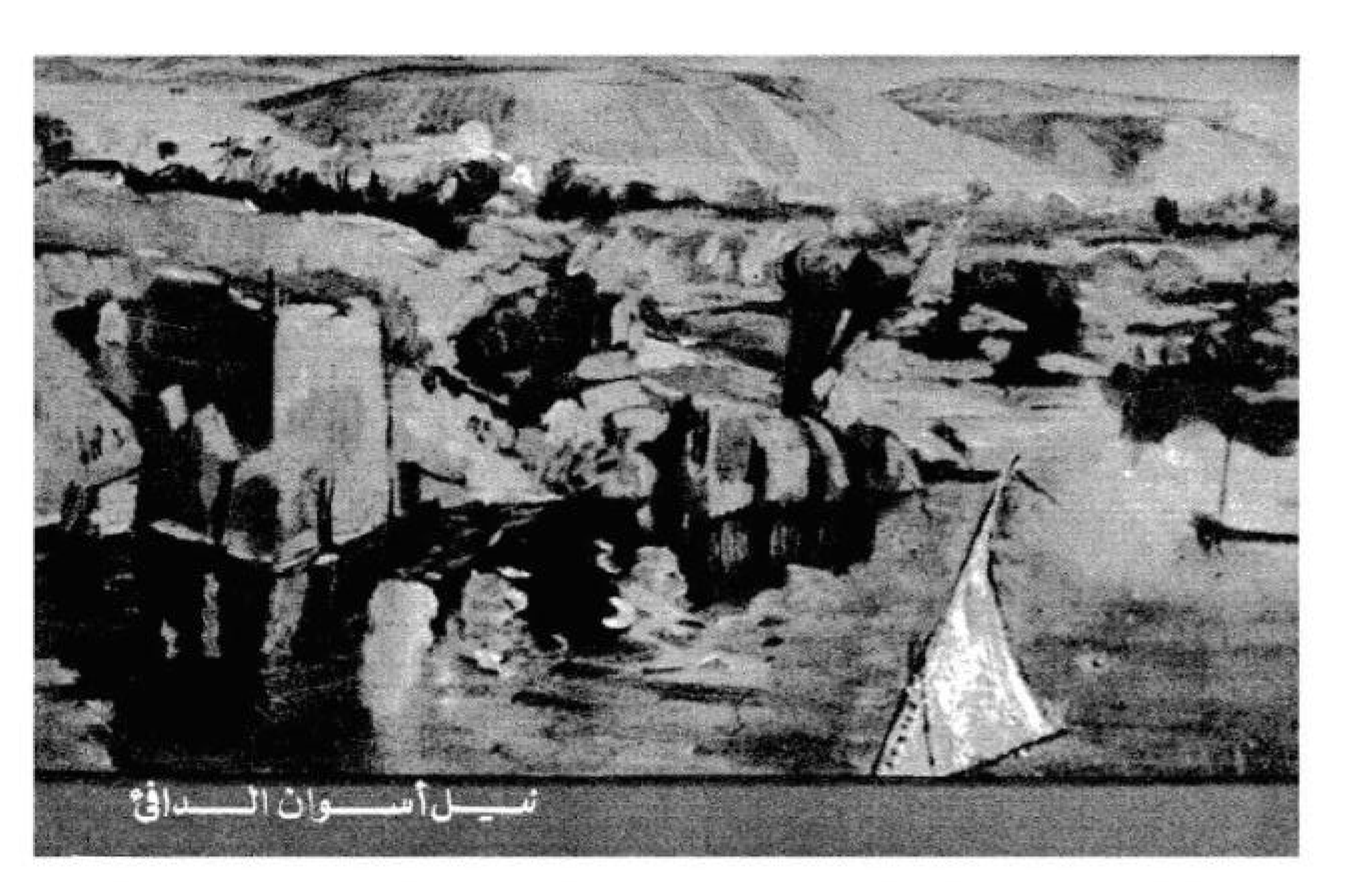
*

● عباس العقاد ـ الزهاوى ـ ابوشـادى

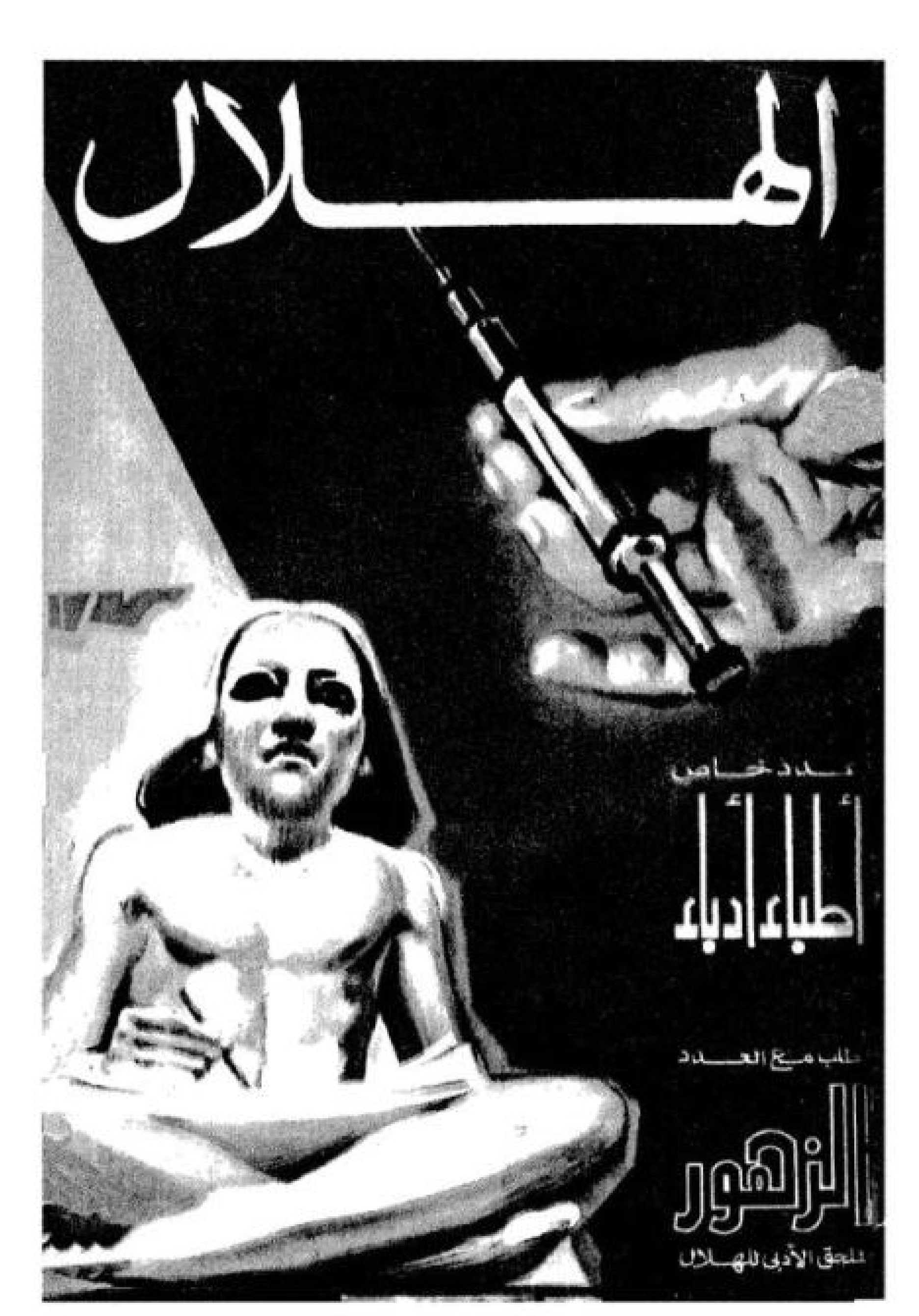
(الأجوبة)

(١) ميخـائيل نعيمة (٢) ابراهام لنكولن
(٣) ابو شادى





نيل أسوان الدافق


الهلال
عدد خاص
أطباء أدباء
طلب مع العدد
الزهور
الملحق الأدبي للهلال

الهلال

مارس ١٩٧٣

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال ـ العدد الثالث ـ السنة الحادية والثمانون ـ اول مارس ١٩٧٣ ـ ٢٦ محرم ١٣٩٣ ...

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٢٠ مليماً ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة ـ في سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا ـ في الاردن ١٥٠ فلسا ـ في العراق ٢٠٠ فلس ـ في الكويت ٢٢٥ فلسا ـ في السعودية ٢٫٥ ريال سعودي .

قيمة الاشتراك السنوي : ١٫٢٠٠ عددا في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٢٠ قرشا صاغا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة علاه بالبريد العادي ـ وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

فى هذا العدد

٠٠٤ كلمة الهلال

٠٠٥ د. ابراهيم مدكور : الطبيب كامل حسين اديبا

٠٠٩ د. سيد نوفل : ابن سينا الطبيب الاديب

٠١٦ د. مهدى علام : احمد عمار – الطبيب اللغوى الاديب

٠٢٢ محمد الجبار : ذكرى فى الشاطئ الآخر «قصيدة»

٠٢٤ د. احمد هيكل : من اطباء الاندلس الادباء

٠٣٢ د. محمد احمد خلف الله : الدكتور محمد شرف ومعجمه

٠٣٨ نور الدين صمود : باريس « قصيدة »

٠٤٠ محمد عبد الغنى حسن : اطباء ادباء شعراء من العراق

٠٥١ حافظ جميل : آمال « قصيدة »

٠٥٢ حسن كامل الصيرفى : الدكتور احمد زكى ابو شادى طبيب وشاعر متعدد المواهب

٠٦٢ د. عبد الحليم منتصر : الدكتور احمد عيسى طبيب بارع وعالم كبير

٠٦٨ د. سامية اسعد : اطباء لمعوا فى سماء الادب الفرنسى المعاصر

٠٧٧ عبد المنعم الانصارى : الطريق الى قرطبة « قصيدة »

٠٧٨ انور الجندى : ابراهيم ناجى ، مأساة الطبيب الاديب

٠٨٦ د. انجيل بطرس : اطباء ادباء فى الادب الانجليزى

٠٩٤ مصطفى محمد الغمارى : ابتسام حزين « قصيدة »

٠٩٦ رحلة الشهر

١٠٤ اربع معارك ادبية

١١٤ فيريال وهبه : عود الحطب « قصة »

١٢٢ د. نعيم عطية : من الادب اليونانى المعاصر .. الاوديسية الجديدة لكازانتزاكى

١٣٠ د. صلاح عدس : اثر الهرمونات فى الشعر العاطفى

١٣٥ ميشيل تلا : اول رحلة الى النجوم

١٤٠ عبد الوهاب الاسوانى : الكبير « قصة »







ابراهيم مدكور — د. مهدى علام — د. عبد الحليم منتصر — حافظ جميل



بسم الله الرحمن الرحيم

ينعقد مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر هذا العام ، فى تونس الخضراء ، فى النصف الثانى من هذا الشهر

وهذه اول مرة ينعقد فيها المؤتمر والمهرجان فى شقيقه من شقيقاتنا فى المغرب العربى ، بعد أن كانا فى السنوات السابقة لاينعقدان الا فى عواصم المشرق

ولعل هذه اول مرة يشهد فيها اكثر اعضاء الوفد المصرى أرض تونس الخضراء ، رغم الوشائج الاصيلة التى تشد الشعبين المصرى والتونسى ، بعضهما الى بعض ، منذ أقدم العصور

فمن الناحية التاريخية ، لايزال الازهر العامر ـ حصن العلم والايمان فى مصر ـ يذكر انه ليس الا يدا من أيادى المعز لدين الله الفاطمى ، ولايزال كل مصرى يذكر أن القاهرة الحبيبة ، هى من صنع جوهر الصقلى ، قائد حملة المعز لدين الله .

ومن الناحية الجغرافية ، اصبحت تونس هى حدودنا الغربية مباشرة ، بعد أن انخرطنا نحن ومواطنونا الليبيون فى دولة واحدة

ومن الناحية الثقافية ، تروى الاسفار صفحات مشرقة عن العلماء والشعراء والادباء والقضاة والمتصوفين الذين هاجروا من تونس الى مصر ، وتولوا فيها مناصب مشيخة الازهر والقضاء والافتاء والتدريس فى عصور مختلفة

قبلة من ثغر القاهرة السمراء ، على جبين تونس الخضراء .

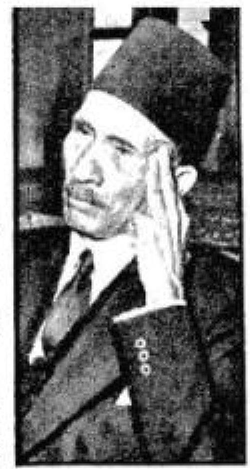
● صالح جودت ●

■ د. إبراهيم مدكور ■

الطبيب كامل حسين أديبًا



عرفته منذ نصف قرن تقريبا من خلال صحيفة احدثت ما احدثت من حركة فى حياتنا الادبية والفكرية ، واعنى بهما « السياسة الاسبوعية » . وكان يسهم فيها مع قادة النهضة الادبية المعاصرة : امثال هيكل ، وطه حسين . واختار لنفسه اسما مستعارا هو « ابن سينا» وسالت عن « ابن سينا » القرن العشرين هذا . فقيل لى انه طبيب شاب حصل على بكالوريوس الطب ولما يجاوز الثانية والعشرين وما ان امضى سنتى الامتياز بطب القاهرة حتى اوفد فى بعثة الى انجلترا ، ومن هناك كان يراسل « السياسة الاسبوعية » وينشر فيها بواكير انتاجه الادبى ولم تقف مقالاته عند الطب والصحة العامة ، بل امتدت الى « اللغة العربية » ، « والبحوث العلمية » ، ولو سمى نفسه « ابن المقفع » ، او « عبدالحميد» ما عز عليه ذلك ..



أحمد لطفي السيد : الوجه الآخر

... وجمعتني وإياه مجالس لطفي السيد ، وكم كانت ملأى بالادب والحكمـــة ، والعلم والفلسفة ، والترجيه والاصلاح ، وتمر بنا امور لها شأنها ، وقل أن نفكر فى تسجيلها مع انها من ذخائر الماضى ومن عدد المستقبل • وما اشبه مجالس لطفي السيد بمجالس « الامتــاع والمؤانسة » ، الا انها لم تجد ابا حيان معاصرا يعنى بتدوينها • وكان صوت كامل حسين فيها مسموعا ، وكلامه عذبا ـ وتعليقه واضحا ، ونقـــده سمحا •

وكلنا يعرف منزلته بين العلمـــاء والاطباء ، ومع هذا كان حديثه فى هذه المجالس يدور غالبا حول الادب واللغة ، والاصلاح والتجـديد • وما ازال اذكر مجلسا منها عقد بقاعة لطفي السيد فى نادى محمد على ـ نادى التحرير اليوم ـ على اثر ظهور قصة اديبنا الخالدة : « قرية ظالمة » ، وكان من بين من شهده عبد الحميد بدوى ، وبهى الدين بركات • وما كان اشبه هذا المجلس بحفل تكريم منه بمحاكمة ادبية ، وان لم يخل من نقد لطيف ، وايحاء بتوجس أن تثير القصة بعض رجال الدين ، وكان الجميع قد قرأوها وقدروها قدرها •

وتوثقت صلتى به يوم أن اختير عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٥٢ وسعدت باستقباله ، وقلت فيه حين ذلك : قل أن نجد من يقبل على الثقافة اقباله ، ومن يحب القراءة حبه • فلا تكاد تذهب الى محاضرة عامة فى علم او ادب او فلسفة ، الا وتراه فى مقدمة المستمعين • ولا يكاد يظهر كتاب قيم فى العربية او الانجليزية او الفرنسية الا ويسارع الى قراءته • وكم ساءلت نفسى كيف يوفق صاحبنا بين هذا وبين اعبائه المتعددة ، فى درسه ، وفى عيادته الخاصة ، وفى سهره على مرضاه فى منازلهم او فى المستشفيات

ولم تقف قراءته عند الحـــديث والمعاصر ، بل ابى الا ان يجمع بين الماضى والحاضر • ودون أن اعرض لالمامه الواسع بالثقافات العالميـــة الكبرى ، احب أن اشير الى تمكنه من الثقافة العربية • عرف اصولها ، واحاط بشتى جوانبها ، درسها فى عمق وسعة ، وكون فيها رأيه الخاص • وهل من بين اقرانه من يعنى بقراءة « المغنى » و « التصريح » فى النحو ، أو من يفتش كثيرا فى « القاموس » و « اللســان » من كتب اللغة ؟ اما الادب فله فيه درس وبحث ، ونقــد وتعليق ، وحكم ورأى ، وقد وقف طويلا عند المتنبى وأبى العلاء ، وكشف فى مجمع الخالدين عن حسه اللغوى وذوقه الادبى

فى ضوء التقدم العلمى

والواقع أن كامل حسين يؤمن ايمانا جازما بأن العربية لغة حية ، كفيلة بأن تؤدى رسالة العلم والحضارة اليوم كما ادتها بالامس • وحياة كل لغة بحياة اهلها ، فهم الذين يستطيعون أن يغذوها وينموها ، أن يلائمـــوا بينها وبين حاجات العصر ومقتضياته • وهى اداة اساسية من ادوات التفاهم والتبادل ، يملكها اصحابها ومن العبث أن تملكهم وتتحكم فيهم • وهى ملكية عامة شائعة

بين الجميع ولا يقبل اليوم بحال أن تقصر على الخاصة أو على طبقة بعينها وانظروا أمنيته الحارة التي استقبل بها عام ١٩٤٢ « دعاء الكروان » إذ يقول : « أمل أن أرى يوما هذه اللغة الشعرية تتمدد دون ابتذال ، ودون أن تفقد من رونقها شيئا، الى أن تصبح أداة فعالة لمجرد رواية حادثة وشرح موقف » .

يلمس أديبنا الصراع بين العربية والعامية، ويراه دورا من أدوار التطور في حياة اللغة . وعلينا أن نواجهه ، ولا سبيل الى ذلك الا بتيسير العربية على الناس كتابة ، وقراءة ، وتعلما . وبهذا تحيا وتنتشر ، ويقبل عليها النشء ، والا عز عليه أمرها ، واستبدل بها وسائل تعبير أخرى .

ويسهم كامل حسين في هذا التيسير اسهاما جادا ، فيعرض للاملاء ورسم الحروف مقترحا طريقة سهلة لكتابة الهمزة ، وأخرى لرسم الكلمات الاجنبية ولفت نظره ما في بعض قواعد النحو من غموض أو تعقيد ، واستوقفه بوجه خاص جنس العدد ، ولا يستلزمه من تذكير أو تأنيث للفظ العدد نفسه . ويرى أن ييسر ذلك بابقاء اسم العدد على حاله دائما ، مع الفصل بينه وبين المعدود بحرف « من » ، فيقال دون تفرقة خمسة من الرجال وخمسة من

د. محمد حسين هيكل : السهم في حياتنا الادبية والفكرية ..



النساء . ويذهب بوجه عام الى أن في النحو توسعا وفلسفة ، ان لاءمت الخاصة فانها لا تلائم العامة ، ولا بد أن نيسر تعليمه على الناشئين . وهذا أمر فكرت فيه وزارة المعارف ـ وزارة التربية والتعليم اليوم ـ منذ أربعين سنة أو يزيد ، واقترحت نحوا مدرسيا ميسرا ، وتركت للمتخصصين أن يدرسوا فلسفة النحو ما وسعهم . وعرض هذا الاقتراح على مجمع اللغة العربية ، واقره في تعديل يسير . ولم يفت أديبنا أن يدلي بدلوه في هذا التيسير ، واقترح ما سماه « النحو المعقول » ، وبسط قواعده بالقدر الذي ارتضاه .

وكتب اللغة في رأيه تحتاج الى تعديل وتنقيح ، فتكتب بروح العصر وفي ضوء التقدم العلمي الحديث ، وتستبعد منها المماحكات اللفظية ، والتعديلات السطحية . ونحن باختصار في حاجة ماسة الى معجم حديث مصفى ، حديث في اختيار ألفاظه ، وحديث في تحديد معانيه . لا يذكر فيه اختلاف اللهجات ، ولا استعمال الأضداد للفظ الواحد . ولا يقبل فيه الا صيغة واحدة للكلمة ، والا مصدر واحد للفعل ، والا جمع واحد للاسم. وتشرح الالفاظ شرحا دقيقا واضحا يتمشى مع ما انتهى اليه العلم الحديث.

مع اللغات العالمية الكبرى

يقدر كامل حسين العربية قدرها ويعتز بها ، ويريد لها أن تستعيد مجدها ، وأن تصبح لغة العلم والفن ، وأن تؤدي رسالتها على أكمل وجه ، وأن تأخذ مكانتها بين اللغات العالمية الكبرى . ينقد بعض جوانبها ، ولكنه نقد بناء يرمي الى الاصلاح والتجديد .. وليس ثمة لغة لا مأخذ عليها .

وحسه الأدبي لا يقل عن حسه اللغوي درس الأدب العربي درسا عميقا وحاول أن يطبق عليه المنهج المقارن فيقارن أدباء العربية بعضهم ببعض

ويقارنهم ببعض الادباء العالميين ٠ وفى المقارنة تشويق وفتح لابواب مغلقة ٠ ولعله لا يسلم بنظرية التحليل النفسى سيكلوجيا ، ولكنه لا يرفض أن يطبقها فى دراساته الادبية ٠

فهو يرى مثلا أن ما فى شعر المتنبى من غموض وتعقيد أحيانا انما يرجع الى ما صادفه من خيبة وفشل، ذلك لان هذا الشاعر الكبير الذى شغل الدنيا وملأ الاسماع لم يحقق شيئا من أهدافه السياسية والاجتماعية ، فشاء ان يتخيل فى شعره مشاكل وصعوبات يحاول تذليلها ، فينجح هنا بعد أن فشل هناك ٠ ونقائض الفرزدق، وقوله الفاحش ، وهجاؤه المقذع حتى لنفسه واهله ربما كان وليد ضعف وقصور فى الشخصية ٠

وبعكس هذا سما أدب أبى العلاء خاصة بسمو شخصيته ، وهو فى رأيه أقوى رجال الادب العربى شخصية ، وأعمقهم تفكيرا ، وأصدقهم عاطفة ، وأحدهم ذكاء ٠ لم يخل نثره وشعره من مآخذ ، ففى سجعه ضعف وتكلف أحيانا ، وفى شعره تشبيهات غامضة، فى معانيه تكرار ، وفى تعبيراته اسراف فى بيان ثروته اللغوية ٠ ومع ذلك يعد انتاجه من الادب الرفيع ، لصدقه وقوة تعبيره ، وادبه فى الواقع هو كل حياته ، عاش فيه وله ، وعن طريق اللغة عرف الحياة كلها ، ولا غرابة اذن أن تطغى على نثره وشعره

نعمة الفكر المستقيم

وكامل حسين أديب موضوعى يعنى بالحقائق والمعانى ، يجمعها ويتخير أرثقها ، يهذبها وينسقها بحيث تبدو جلية واضحة ٠ وقد مكنه اطلاعه الواسع من أن يعرض منها الوانا شتى : فى الادب والتاريخ ، فى العلم والفلسفة ٠

وهو ممن يؤمنون بوحدة المعرفة وارتباط جوانبها بعضها ببعض علم النفس ما يوضح بعض المشاكل الادبية ، والتاريخ وثيق الصلة بعلم الاجتماع والسياسة ، وكثيرا ما تقود الدراسات الطبيعية الى ضرب من الميتافيزيقيا ٠

ويترجم لبعض الشخصيات المعاصرة ، فيقف عند أبرز المعالم وأوضح السمات ٠ فلطفى السيد فى رأيه أرسطى صادق فى أرسطيته ، ولا غرابة فوجوه الشبه بينه وبين أرسطو كثيرة : « كلاهما معلم ، وكلاهما شديد العناية بالكليات عناية فائقة ٠ وكلاهما مرهف الحس من ناحية المنطق البحت، يدرك الخطأ فى التفكير بطبيعته الصافية » ٠

والدكتور على ابراهيم بناء،، شيد كثيرا ، وكأنما عاهد على الا يترك شيئا مما تفخر به البلاد الحديثة الا أنشأ له شبيها فى مصر ٠ وكان يرى أن ينشىء أولا ، وأن يترك للتطور الطبيعى أن يتم ما أنشأ ٠ وقد عيب عليه ذلك، ولكنه لم يكن يؤمن بالطفرة ٠٠ وكان يرى أن الامور يجب أن تبدأ صغيرة ، وأن علينا أن نبدأ وعلى الزمن أن يستكمل النقص ٠ »

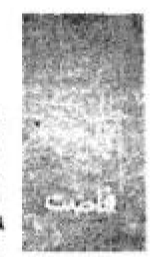
وكامل حسين ناثر ، ولم أر له الا قصيدة واحدة تحت عنوان : « لقمان والريض » ، وهى من شعر الشباب وأرجح انها لم ترقه وترك الشعر جانبا ٠٠ ونثره نثر رقة وحضارة ، سهل واضح ، فلا يرتضى اللفظ الغامض ولا التعبير المعقد ٠ أسلوب مطرد لا علو فيه ولا انخفاض ، حلو عذب يستسيغه القارىء، يقرب الافكار البعيدة ، ويبسر البرهنة المحكمة الحلقات ٠ يمقت الصناعة اللفظية والجمل الطنانة ، ويكره السجع والتكرار ٠ كان معجبا بالفكر المستقيم ، ويعده أكبر نعمة وأكبر لذة فى الحياة ٠٠ والفكر المستقيم عادة يؤدى الى تعبير مستقيم

ابن سينا
الطبيب الأديب

د. سيد نوفل



الشيخ الرئيس كما لقب ، أو أستاذ العصر، كما يمكن أن يلقب ، صفة طابقت أصدق المطابقة علم ابن سينا وإيمانه وحكمته ، وتوجيهه لبني زمانه ، وآثاره البادية فى الفكر الاسلامى والمسيحى أجيالا وعصوراً من بعده .. فقد امتثل قائد الفكر المبرز فلسفة المصريين واليونان والرومان لمختلف أدوارها ، وامتزجت فى نفسه تأملات الصوفيين ومجادلات المتكلمين فى العصر الاسلامى ، وأحاط بمعارف السابقين فى الدين والأدب ، والطب والفلك ، والهندسة والجغرافيا ، والموسيقى والجمال ، وأشرب فى قلبه الايمان والحكمة معا ..



نفس ابن سينا ايضها الذاتى على الحكماء والمفكرين والساسة اينما كانوا ، فساروا فى دربه ونهجوا منهجه لعدة قرون ..

ومن هنا ارجع اليه الباحثون العرب والغربيون تطور الحركات الفكرية التى اعقبته .. فاذا نجمت حركة رجعية تهاجم الفلسفة ومبادئها والفلاسفة ومذاهبهم ، حملوا ابن سينا وزرها وتبعتها .. واذا اخذت الفلسفة فى المغرب العربى تزدهر ، والمناهج الفكرية تنمو ، والاساليب العلمية تبين ، قالوا ان ابا العلوم كلها ، الشيخ الرئيس ، هو نبع الاصلاح ومصدر التقدم .. واذا تطور البحث فى علوم الطب والمنطق والفلك وحقق انجازات مذكورة ، ارجعوا التطورات والانجازات الى الدعائم التى ارساها ابن سينا .. واذا تعقدت مصطلحات العلوم اللغوية وتباينت مدلولات الفلسفة ، ذهبوا الى أن ابن سينا هو الذى سن السنة الاولى ، ووجه التوجيه المبكر .

البيئة والفكر

ومع أن ابن سينا كان متفوقا فى استعداده الذاتى ، هذا فى نضجه العقلى ، فانه شأن القادة فى كل زمان ومكان ، كان نتاجا صادقا لبيئته التى استجاب لوحيها ، وتطلع الى استكمال مطالبها ومصالحها . فقد ولد عام ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) فى ظل الدولة السامانية بفارس ، وبعد مائة عام من نشاتها وتبعيتها للخليفة العباسى اسما ، واستقلالها عنه واقعا وعملا كسائر الدويلات الاسلامية لذلك العصر .

وكان المفكرون حينذاك يتطلعون الى الخلاص من النظام العباسى الواهن المتداعى ، الذى افقد الدولة العربية الاسلامية وحدتها وقوتها ، يدينون بالطاعة والتشيع للعلويين ، املا فى استعادة المجد الذاهب والقوة الغالبة . ولهذا لم يكن عجبا ان يدين الكندى وابن سينا والفارابى جميعا بالتشيع الى آل بيت الرسول .

وكان أبوه واليا للدولة السامانية على بعض بلاد بخارى ، وكان من أسرته الولاة والوزراء وذوو الرأى ..

وفى بخارى تلقى ابو على بن سينا العلم ودرس الادب وحفظ القرآن قبل أن يبلغ العاشرة من عمره ، حسبما أملى ابن سينا ذاته على تلميذه ابى عبيد الجوزجانى كاتب سيرته . ومن بعد ذلك درس الفقه ، كما تتلمذ فى المنطق والهندسة وعلم النجوم على ابى عبد الله الناتلى الشهير لعصره . ولكن التلميذ الصبى بذ استاذه ، ودرس وحده الطبيعيات والالهيات والطب ، ونبغ فى الطب خاصة فى سن مبكرة ، واخذ يمارسه عملا . واكتمل نضجه العقلى فى سن الحادية والعشرين فاخذ يؤلف الكتب فى اسلوب واضح مبين ، يدل على الفهم السليم ، وينجو من التعقيد والابهام اللذين عرف بهما الكثير من كتاب الحكمة والعلم فى عصره .

وتوفى ابوه وهو فى الثانية والعشرين من عمره ، فاضطربت حياته ، واخفق فى بعض مقاصده . لكنه ولى الوزارة فى بعض الاوقات ، وظل وفيا على كل حال للعلم ، متوفرا على التاليف . فظهر كتابه « الشفاء » الذى يعد دائرة معارف فلسفية ، كما ظهر كتابه القيم : « القانون فى الطب » . كما كتب رسائل كثيرة فى نواحى الحكمة والعلم والمعرفة . واستمر يشتغل بالسياسة حينا ، وبالعلم فى اكثر الاحيان . وعانى فى سبيل الرأى والسياسة فاضطهد وسجن .. وتوفى بهمذان غربى ايران ، فى الحادية والخمسين أو الثالثة والخمسين من عمره . وكانت وفاته اثر مرافقته الامير علاء الدين فى حملة منتصرة على المدينة هزم الامير فيها الثائرين على سلطانه .

وهكذا انتهت حياة ابن سينا التى عاشها كما ارادها واحبها .. فقد روى انه كان يصرف اعمال الدولة بالنهار ، ويجلس للتدريس والتاليف بالليل ، ثم يسمر للغناء والطرب من بعـد ذلك . فعجب البعض من أمره ، واكتمال قدراته العقلية والجسمية جميعا ، وسالوه عن مسلكه المرهق ، فقال : انى أحب الحياة عريضة قصيرة ، ولا احبها ضيقة طويلة ..

من ابرز مواهبه

ومن أبرز المواهب التى خلدت ابن سينا فى تاريخ التطور العلمى ، وأحلته أرفع المنازل فى المجال العالمى ، موهبة الطب . وهى ذاتها الموهبة التى عادت عليه بالحظوة فى الحياة الدنيا ، وجعلته من الوزراء المرموقين ...

ومهما يكن من أمر ، فقد برز الشيخ فى الطب وهو لا يزال صبيا كما اشرنا قبلا . وتختلف الروايات فى مصدر علمه بالطب . فيقول البعض انه علم نفسه بنظره وملاحظته وتجربته . ويقول البعض انه تلقاه عن عيسى بن يحيى ، وأبى سهل المسيحى وأبى منصور القمرى .. ويتفق الجميع على انه بذ الجميع فى هذا العلم ، وبلغ فيه ما لم يبلغه أى من الاطباء المعاصرين له .



وحين الم بامير بخارى منصور بن نوح داء عضال ، لم يهتد الاطباء الى علاجه ، وحار فى أمره ، استدعى ابن سينا ، فعالجه حتى ابل من مرضه . وحينئذ اغدق الامير على الفيلسوف الطبيب ، وقربه منه ، وفتح له مكتبة القصر العامرة بذخائر العلم والحكمة ، فنهل منها ابن سينا ما شاء أن ينهل ، وافاد منها اعظم الفائدة ..

واستدعى شمس الدولة امير همذان ابن سينا لعلاجه ، وتم للامير الشفاء على يديه . فأدنى الامير الفيلسوف الطبيب منه ، وعينه وزيرا له . ولكن ابن سينا كان معتـزا مغرورا بعلمه ومواهبه ، فتعاظم على خاصة الامير ، واشتد فى معاملة الجنود . مما دفعهم الى الثورة عليه ونهب أمواله والمطالبة بقتله . وحينئذ اضطر شمس الدولة الى اقصاء ابن سينا عنه ونفيه .. وبعد وقت عاودت الامير علته ، فلم يجد بدا من استدعاء ابن سينا لعلاجه ، وتسليمه مقاليد الوزارة من جديد .. وكانت لابن سينا موعظة من الماضى ، فغير مسلكه وظل فى الوزارة الى أن مات شمس الدولة وخلفه ابنه تاج الدولة ، وحينئذ نجمت الاحن القديمة ضده ، فغضب عليه تاج الدولة وسجنه .

واستطاع ابن سينا الفرار من السجن متنكرا فى زى الصوفية ، والذهاب الى اصبهان ، حيث اكرمه اميرها علاء الدين لنبوغه فى الطب خاصة والفلسفة عامة وظل معه حتى مات .

مكانته العالمية

على أن مكانة ابن سينا فى الطب لم تكن مقصورة على العالم العربى الاسلامى فى افريقية وآسيا ، وانما تخطته الى أوربا وأرجاء المعمورة .

ويعدد المستشرق « دى بور » مآثر ابن سينا على الطب فى الغرب ، ويقول : أن سلطانه عليه امتد من نهاية القرن الثانى عشر حتى القرن السابع عشر ،



ابن سينا

وان اثاره امتدت الى القرن التاسع عشر ٠٠ اما اثاره فى طب الشرق فقد ظلت الى هذه الايام ٠

وقد ترجم « جيرار دى كريمون » فى سنة ١١٨٧ موسوعة ابن سينا فى الطب (القانون) الى اللاتينية ٠ لكنها لم تكن ترجمة دقيقة ، ولهذا اعاد العلماء الغربيون النظر فى الترجمة ، وبذلوا فيها أعظم الجهد حتى تمت لها الدقة والمطابقة ٠

ومنذئذ اصبح مرجعا اساسيا للاساتذة والطلاب فى دراسة الطب بالجامعات الاوربية ٠ وطبع باللاتينية كاملا ست عشرة طبعة فى السنوات الثلاثين الاخيرة من القرن السادس عشر ٠ اما الطبعات التى تتناول اقساما معينة من الكتاب ، فان طبعاتها قد تجاوزت الحصر ٠ وفى عام ١٥٩٣ نشر النص العربى فى روما ٠

ويقول « ليبون » فى كتابه : « حضارة العرب » ان كتاب القانون لابن سينا كان من أهم مراجع جامعة مونتبلييه حتى العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، كما ظل يدرس فى جميع الجامعات الاوروبية الى عهد قريب ٠ وكذلك عنى بدراسة طب ابن سينا طائفة من علماء الغرب فى هذا القرن العشرين ٠

بالمعنى العلمى الحديث

ومنهاج ابن سينا الطبى يمكن أن يسمى منهاجا علميا بالمعنى الحديث ٠ فهو يقوم على الترتيب والتنسيق فى وقت عز وجودهما فيه ٠ وهو يأخذ بالاسلوب الذى سار من بعده فى التشخيص أو شرح الاعراض فوصف العلاج ٠ كما أنه يورد أسماء العقاقير والادوية ، ومواطن الجراحات وادوات الجراحة ٠

وقد افاض « نيوبرجر » فى كتابه : « تاريخ الطب » ، فى الحديث عن اسلوب ابن سينا الطبى ، وطريقته العلمية الفريدة لعصره ٠ وكان مما قاله ان الاطباء كانوا ينظرون الى كتاب القانون كانه تنزيل سماوى ٠ ويزيدهم اعجابا بآرائه التنسيق المنطقى ، والقضايا التى لا تنقض ٠

ومع انتشار السحر والشعوذة والخرافة فى العلاج لعهد ابن سينا فقد برىء كتابه منها جميعا ، ولم يستثر فى الوقت ذاته غضب الجامدين المتخلفين ٠٠ ومن ذلك ما اورده فى شرح اعراض « المالنخوليا » ٠ فقد قال ان بعض الاطباء ينسبونها الى الجن ، ولكن ذلك لا يدخل فى اختصاص الطب ، وانما يدخل فى اختصاصه معالجة حالة السوداء القائمة فى المريض ، من حيث انها حالة جسدية ونفسية معا ٠ ويصف العلاج فيذكر انه الغذاء الصالح ، والعوامل النفسية ، والمنومات التى لا ضرر منها ٠ ويفصل كل ذلك تفصيلا ٠

ويذكر مؤرخو الطب فى الغرب ان الطب قد انتقل من جالينوس الى ابن سينا ، بل انهم يفضلون ابن سينا على جالينوس ، اذ الاول واضح منتظم والثانى غامض مضطرب ٠ كما اكدوا انه لم يظهر من قبل ابن سينا ولا من بعده مثل نضجه المبكر وسهولته الممتنعة ، وفطنته ودأبه ٠٠

فى عالم الشعر والادب

يعد الشيخ الرئيس ، علم الفلسفة والطب ، من الادباء المرموقين لعصره ٠ وقد نشأ نشأة ادبية ، اذ حفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره ٠ كما اتم دراسة اللغة والادب ، حسبما يروى ، وهو فى العاشرة ٠ ويذكر أنه كان فى

هذه السن المبكرة أنجب تلاميذ أبي بكر أحمد بن محمد البرقي الخـوارزمي الاديب اللغوي المعروف ، كما يذكر أن الشيخ الرئيس عرف منذ طفولته بقـوة حافظته ودقة وعيه ٠

وموهبته الادبية ليست مقصورة على العربية ، اذ يروى انه كان من المبرزين بين شعراء الفارسية ، وأنه كان من الرواد الاوائل في نظم الرباعيـات الفارسية التي عرف بها من بعده بنحو قرن أبو الفتح عمر الخيام ٠

ويدل على تفوق ابن سينا في اللغة العربية ما روى من انه الف كتابا جامعا في اللغة سماه « لسان العـرب » لم يؤلف حينذاك في اللغة مثله ٠ » لكن الزمن لم يمهل ابن سينا حتى يبيضه ، فبقي في مسودته لا يهتدى اليه أحد ٠٠ واذا صحت هذه الرواية ، صحة سائر الروايات المنسوبة للجوزجاني راويها ، فان ابن سينا يكون قد سبق بفكـره اللغوي ابن منظور صاحب معجم « لسان العرب » الشهير بنحـو قرنين من الزمان ٠٠

ولابن سينا شعر سـائر باق على الزمان ٠ ومكانته الشـعرية رفيعة بالقياس الى معاصريه في المشرق العربي وتمتاز كتابته الفلسـفية بأسلوبه الادبي ، مثلما يمتاز شعره بفكـره الفلسفي ٠

ويظهر ذلك في مثل قوله :

شربنا على الصوت القديم قديمـة
لكل قـديم اول ، وهي اول
ولو لم تكن في حيز قلت انهـا
هي العلة الاولى التي لا تعـلل

فهو هنا متأثر بالفكر الكلامي في الحديث عن واجب الوجود بذاته ، الذي ليس له مكان ، وهو علة الموجـودات جميعا ٠ كما أنه متأثر بفكرة القـديم الازلي ، ومراتب القدم الفلسفية ٠

لكن لابن سينا شعرا رقيقا في باب طريف من أبواب الشعر العربي ، وهو باب الحب والخمر ٠

ومن ذلك وصفه الخمر ، وبريقهـا



الشفاف المضيء في الكأس اكثر مما يضيء السراج ، وأن السـاقي خالها نارا فطفأها بصب الماء عليها :

صببها في الكأس صرفـا
غلبت ضـوء السراج
ظنها في الكأس نـارا
فطفاها بالمـزاج

والمشاكلة بين الحب والخمر تبدو في أروع ماتكون حين يقول الفيلسوف الاديب :

أساجية الجفون ! ٠٠ اكل خـود
سجاياها استعرن من الرحيـق
هي الصهباء مخبرها عـدو
وان كانت تناغي عن صـديق !

وقد عالج ابن سينا الفخر في شعره ، كما شكا الزمان وصروفه والنـاس ومساوئهم ، ولكن في غير تشاؤم ولابرم بالحياة ٠ فقد كان ابن سينا متفائلا يؤصل الخير في الانسان، ويهيم بالحياة ومتاعها ويستغرق في جمالها ٠

ولعل أشهر شعره الصوفي الفلسفي قصيدته العينية التي تحـدث فيها عن النفس الانسانية مثل حـديث افلاطون ، وشبهها بالحمامة التي تهبط كارهة على الجسد من عالم الافلاك الى الارض ثم تفارقه على كره كذلك بعـد ان ألفت متاعها ولذاذاتها الوضيعة ٠ ومطلعها :

هبطت عليك من المحـل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنـع

ويصفها بأن العـارفين الذين كشف عنهم الغطاء يحسون بوجـودها ، ولا

يرونها مع أنها سافرة لم تتعمد اخفاء نفسها ، وأنها جاءت الى الدنيا مجبرة يقودها الاثم والشوق الى عالم الشر والنقص ، وأنها تترك الجسد والدنيا باكية بعد ابلائها باطل الحياة ومتاعها الزائف :

محجوبة عن كل مقلة عـــارف
وهى التى سفرت ولم تتبرقـــع
وصلت على كره اليك وربمـــا
كرهت فراقك وهى ذات تفجـــع
تبكى وقد ذكرت عهـودا بالحمى
بمدامع تهمى ولما تقلـــــع

ويصف بكاءها على خرائب الدنيا ، وتعلقها بشرك الحياة الســفلى الذى حبست فيه ، وحجب عنها بهاء الحياة العليا ·· ثم يقول أنها لا تلبث بعـد تحررها من وزر الطبيعة ، أن تبصر الحق الذى لا تدركه العيون المحجوب عنهـا

ابن سينا



ضياؤه ، وأن تغدو تغرد فى طرب بعد أن سمت بها المعرفة ، وأعلى شـــأنها العلم :

هجعت وقد كشف الغطاء فابصرت
ما ليس يبصر بالعيون الهجـــع
وغدت تغرد فوق ذروة شـــاهق
والعلم يرفع كل من لم يرفـــع

على أن أروع الادب للرئيس الشيخ نثره الذى يمتاز بالافكار الفلســفية وبالنزعة الاخلاقية التأديبية ·

وهو يصطنع الرسائل القصصية تارة، والمقالة الاخلاقية تارة أخرى ···

ومن أروع رسائله رسالة الطير · ويتحدث فيها عن الصداقة والاخلاص والتعاون بين الاخوان ، الذين جمعتهم القرابة الالهية ، والفت بينهم المجاورة العلوية ، فلاحظوا الحقـــائق بعين البصيرة ، وجلوا أدران الشـك عن السريرة ، فلن يجمعهم الا منادى الله ،

ثم يناشد اخوان الحقيقة أن يدعموا روابطهم فى صدق ، قائلا مثل قوله :

« ويلكم اخوان الحقيقـــة ! باثوا وتضاموا (١) ، وليكشف كل واحـد منكم لاخيه الحجب عن خالصة لبه ، ليطالع بعضكم بعضا ، ويســتكمل بعضكم ببعض ··· »

ويهيب بالاخـــوان كى يتجردوا من الشرور والموبقات ، فانهم بالخير يعلون الملائكة ، وبالشر يقصرون عن الحيوانات ·· ثم يقص قصته ، فيصور نفســه وبعض الناس بجماعة من الطيـــر ، اصطادتهم مغريات الحياة الدنيـــا ، فوقعوا فى الشرك والحبائل · واخذوا يحاولون الخلاص فى البداية لكنهم لم يلبثوا أن ألفوا الشباك واستأنسوا الى الاقفاص ·

ولكنه لم يلبث أن رأى جمــاعة من الطير تخلصت من الشرك وطارت وفى أرجلها بقايا الحبائل ، فالتمس منهـا النصح والعون ، فأعانوه على الخلاص من الشباك ، ومكنوه من الطير مثلهم وفى أرجله وأرجلهم ما يثقلها من بقايا الحبائل ·· وظل معهم فى رحلة طويلة تخطوا فيها سبعة جبال عالية بعــد معاناة واعياء ، ويأس من بلوغ القام الاعلى ·· وعند الثـــامن بلغوا قصر الملك ببهـــائه وجناته · ومثلوا فى حضرته ، فتقلبهم الدهش بجـــلاله عن مطلبهم وهو الرفع لبقايا الحبائل من أرجلهم ، لكنه يؤنسهم ويزيل دهشهم ، فيبثونه شكواهم ، ويجيبهم بأن سيرسل اليهم رسولا يضع عنهم أصرهم ويفــك أغلالهم ·

وينهى الرسالة بالعجب ممن يشكون

---

١) باثوا : ليبث بعضكم بعضا ما فى قلوبكم· تضاموا : لينضم بعضكم الى بعض

في قصته ، ويخالونها بجهالتهم وهما ..
وهو هنا يرمز الى الله سبحانه وعزته الالهية بالملك ، ويشير الى ان العلم ، وان كان الزم اللوازم للبشر ، فانه لا يقوى وحده على تحرير الانسان ، وانه لا مناص معه من الشريعة والايمان. فهما اللذان يقربان الانسان من الله القادر على أن يهبه الحرية والخلاص والنجاة ...

ومن خير مقالات ابن سينا الادبية ، ما تضمنه مؤلفه القيم : كتاب السياسة ... فهو مثل رائع للأدب الساعي الى خدمة المجتمع ، وتنمية امكانيات افراده ومصادر قواه .

وحديثه عن تربية الناشيء يرقى الى مراتب الاحاديث التربوية فى ادق ملاحظاتها ، وأحكم آرائهـا ، وأوفى تجاربها . ومثله سائر الموضوعات التي عالجها ..

انه يتحدث عن أفضل الطرق لتربية الناشئة ، ويرى أن التربية تبدأ من الساعات الاولى للحياة مثلما تؤكد أحدث النظريات التربوية .. ويقرر أن اللبن يعدى ، ولهذا ينبغى أن تختار المرضعة سليمة الجسم والعقل معا . فاذا فطم الرضيع بدأ تعويده على مكارم الاخلاق ، وابعاده عن مساوئها ، والحرص على الا تقع عينه ولا يطرق سمعه سوى المهذب الحسن الجميل .

وحين يستقيم لسانه يؤخذ فى تعليمه القرآن والكتابة والادب ، ويتحدث فى دقة ، عن التدرج والاختيار والمحاكاة والاستقلال والتخصص ، حديث العالم المجرب الواعي ومن أقواله المستفيضة :

« وينبغي أن يروى الصبي الرجز ثم القصيد ، فان رواية الرجز أسهل ... ويبدأ من الشعر بما قيل فى فضل الادب ومدح العلم . واصطناع المعروف وقرى الضيف وغير ذلك من مكارم الاخلاق ..

« وينبغى أن يكون مؤدب الصبي عاقلا ، ذا دين ، بصيرا برياضة الاخلاق حاذقا بتخريج الصبيان . قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي . وينبغى أن يكون مع الصبي فى مكتبه صبية حسنة آدابهم فان الصبي عن الصبي القن . وهو عنه آخذ وبه آنس . وانفراد الصبي الواحد بالمؤدب أجلب الاشياء بضجرهما .

« واذا فرغ الصبي من تعلم القرآن وأصول اللغة ، نظر بعد ذلك الى ما يراد أن تكون صناعته فيوجه لطريقه » ..

وبعد أن يتحدث عن التخصصات فى الحساب أو الهندسة أو الطب أو غيرها يقول :

« ولهذه الاختيارات أسباب غامضة وعلل خفية . فلذلك ينبغى لمدبر الصبي اذا رام اختيار الصناعة ، أن يزن أولا طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك .. فاذا اختار له احدى الصناعات تعرف قدر ميله اليها ورغبته فيها . ونظر هل جرت منه على عرفان أو لا ؟ وهل أدواته وآلاته مساعدة له عليها أو خاذلة ؟ ثم يبت العزم . فان ذلك أحزم فى التدبير ، وأبعد من أن تذهب أيام الصبي فى مالا يؤاتيه ضياعا .. فاذا وغل الصبي فى صناعته بعض الوغول ، فمن التدبير أن يعرض للكسب ، ويحمل على التعيش منها . فاذا كسب الصبي بصناعته ، فمن التدبير أن يزوج ويفرد رحله » .

وهكذا يؤكد الشيخ الرئيس على الاختيار الملائم فى التخصص ، ويدل على أن التربية العربية لعصره كانت أقوم من التربية العربية لعصرنا ، اذ نفرض على الطلاب تخصصات طبقا لمجموع من الدرجات فى مواد عامة شاملة ، ودون نظر لرغباتهم واستعداداتهم الذاتية مما يكلفنا ويكلف الوطن الكثير .

وهكذا كان ابن سينا اديبا مؤدبا ، بقدر ما كان فيلسوفا طبيبا . وهكذا كان جديرا بان يكون الشيخ الرئيس الموجه لعصره وللعصور التي جاءت من بعده

د . مهدى علام

احمد عمار



يسعدنى أن اكتب بعض ما أعرف عن زميل كريم تمتد معرفتى به نحو ربع قرن ، فى عضوية مجلس جامعة عين شمس ، وعضوية مجمع اللغة العربية • واذا كان اجتماعنا فى مجلس الجامعة كان يحدث مرة كل شهر ، فان مجمع اللغة العربية يجمعنى به ثلاث مرات كل اسبوع ، مرة فى الجلسة العامة لمجلس المجمع ، ومرتين فى لجنة المصطلحات الطبية ..

ولنا فى كل هذه الجلسات ـ فى الجامعة والمجمع ـ مساجلات شعرية لتصوير بعض المناقشات او وصف بعض الاحداث ، يملأ بها الدكتور عمار ظرفا كبيرا يحتفظ به و « يهددنى » ، بنشره أحيانا !

ولكن الصورة الجادة التى يجدر بى أن أصور بها صديقى الكريم فى ما أسطره هنا ...

وأبدأ بما قاله عنه المرحوم الدكتور منصور فهمى ، الامين العام السابق لمجمع اللغة العربية ، فى يوم استقباله

الطبيب اللغوى الأديب

بالمجمع ، فى الرابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٥٦ ٠

« انى اجتزىء بالاشارة الى تلك الكراسات التي كان يوافينا بها الدكتور عمار قبيل اختياره لعضوية المجمع ، مشحونة بدراساته وبحوثه لمصطلحات طبية دقيقة يكتشف لها كلمات عربية ٠٠ صحيحة تؤدى مدلولها فى دقة وضبط ٠٠ سأترك هذا كله ، منصرفا الى ناحية من نواحي شخصية الدكتور عمار ٠ وهو يتميز بها كل التميز ٠ تلك هي ناحية العصبية للغة ، وليست عصبيته هذه من ذلك النوع الذى يستطبعه كل انسان ، وانما هى عصبية كريمة قادرة ٠٠ أساسها نوع من الحب أو الشغف بما يتجلى فى اللغة من خصائص القوة والحياة ، ومن ميزات يتذوقها عشاق الجمال فى موسيقى الحروف والصيغ والاصوات ٠ وقد تتصل هذه العصبية كذلك بلون من الوان الوطنية الكريمة، والقومية الرشيدة ، يدعو الى الاعتزاز بتلك اللغة التى تكمن فيها عناصر أصلية من ذاتية الامة وشخصيتها » ٠

ثم يحلل الدكتور منصور فهمى نشأة هذه العصبية بالمراحل التى مر بها الدكتور عمار منذ طفولته : فقد ولد فى سنة ١٩٠٤ فى قرية « منشاوهلة » بمحافظة المنوفية ، ودخل مكتب القرية صبيا ، فحفظ القرآن وجوده وهو فى سن الثامنة ، ثم انتقل الى المدرسة الابتدائية فى شبين الكوم الع تلميذ فيها منذ كان فى سنتها الاولى ٠ وقد ظهر ميله الى اللغة والادب حين كان يلتقى بلداته واخوانه من أبناء قريته الذين كانوا يدرسون فى معاهد الازهر، فكان يساجلهم فى دراساتهم الادبية ؛ سمع منهم عن المعلقات والمفضليات وغيرها من روائع الادب القديم ، فحفظها، وراض القول وهو فى الدراسة الثانوية ، نثرا وشعرا ٠

وظل على وفائه للغة والادب فى اثناء دراسته للطب ، وان كان ذلك لم يحل بينه وبين تخرجه أول دفعته واصغرها سنا ٠ وقد بعثته الدولة الى انجلترا للتخصص فى أمراض النساء والولادة ٠ وهناك أظهر من نبوغه بين أقرانه البريطانيين ما أظهره بين أقرانه المصريين ٠ ولكنه ـ وهو هناك ـ وجد



د. منصور فهمي : اشاد بجهد الدكتور عمار في المجمع اللغوي

الى جانب الدراسات الطبية ، منهلا عذبا من الادب الانجليزي ، فتزود منه بما جعله من المالكين لناصيتي اللغتين

وقد اثمرت هذه الدراسات اعظم الثمار في الميدان الذي اخصص له هذه المقالة . فقد شمل نشاط الدكتور عمار في مجمع اللغة العربية نواحي متعددة ، ان يكن الطب اهمها ، فانه لا ينفرد دونها . ومحاضر جلسات المجمع شاهدة باقتراحاته وآرائه في تعريب المصطلحات وترجمتها . وله في ذلك منهج يمثل ارشد ما يسير عليه المجمع . فقد القى في مؤتمر المجمع سنة ١٩٥١ بحثا قيما جاء فيه :

« ان لكل لغة أوضاعا مأثورة ، ومطالب يقتضيها منها العصر . وعلى قدر توفيقها في المزاوجة بين الحفاظ على تراثها ومسايرة زمانها ، يكون حظها من قوة الحياة . فان هي اشتطت في المحافظة الى حد الجمود ، او نبذت قديمها تهافتا على الجديد ، دب اليها دبيب الوهن ، وتناوشتها عوامل الفناء » .

ثم انتقل الى حديثه عن اللغة العربية فقال :

« ولغة هذا شأن تراثها ــ بل شأوه من التقديس ــ لا عجب اذا هي انقادت ببديهتها ، فغلت في المحافظة حذر التجديد ، ولكنها ان أعملت رويتها ، ادركت انها ان تغل في الحذر ، فمن مأمنه قد يؤتى الحذر ، وانها ان تجمد على القديم تصبح على الايام لغة تقصارها الدين ، بعد أن كانت في عنفوانها لغة الدنيا والدين ، وتتنكر بذلك لتراثها ذاته ، بل لسنة الحياة لا تبديل لها ، وهي أن ما ينفع الناس يمكث في الارض ، فتلك سنة لا تند عنها اللغات. فهي انما تمكث في الارض بما توفره من منافع للناس في شتى ضروب تواصلهم في امور معاشهم . وانا لنعاصرنا لغات موفورة الحياة ، لا تكف عن التجديد ليل نهار ، لتلاحق فيوض القرائح ، وافانين الابتكار ــ فلا يلحقها من هذا التجديد ضير ، بل لا يزيدها التجدد الا قوة ونماء .

« ولقد وسعت لغتنا في ريعانها من مطالب الحضارة أعلى مرتقى ، واصعبها شعابا ، ومن بينها الطب ، اذ بلغ شأوها فيه أن تلقاه عليها الغرب ، وتدارسه في كتبها حقبا طوالا .. **وما كان ذلك الا لان اسلافنا لم يبتلوا بذلك الداء الدوى ، وهو فرط الحذر ، ولم يخشوا في النقل عمن سبقهم من الامم لومة لائم ، بل اقبلوا عليه اقبالا لعلهم كانوا فيه الى العجلة والاندفاع اقرب منهم الى التؤدة والاناة فما اضر بهم ولا بلغتهم قليل الاندفاع ولو انهم اسرفوا في الحذر لما خلد لهم في التاريخ ذكر ولا بقى لهم في العلم اثر** . »

وقد ختم الدكتور عمار بحثه بقوله :

« لنضع نصب اعيننا في اصطلاحنا

بما نحمل من أمانة اللغة الى الا ثلاثة ·

أولها قول الجاحظ : ما على الناس شيء أضر من قولهم : ما ترك الاول للآخر شيئا ·

وثانيها قول أبي عثمان المازني : اذا قال العالم قولا متقدما فللمتعلم الاقتداء به والانتصار له، والاحتجاج بخلافه اذا وجد الى ذلك سبيلا ·

وثالثها ماجاء في كتاب نقد النثر : كل من استخرج علما أو استنبط شيئا، وأراد أن يضع له اسما من عنده ، ويواطيء عليه من يخرجه اليه فله أن يفعل ذلك » ·

وحسبنا في تقدير البحوث التي يكتبها الدكتور عمار أن نذكر ما علق به المرحوم الاستاذ عباس العقاد عقب استماعه الى بحث من هذه البحوث :

« اظن اننا بعد سماع هذه المحاضرة القيمة أمكننا أن نثبت من جديد حقيقة محبوبة لدينا نحن المتكلمين بالعربية· وليست هي في الواقع حقيقة جديدة ، ولكنها تحتاج في عصرنا الحاضر الى اعادة اثبات ، وهي أن الباحث في العربية يستطيع أن يكون علميا محققا ، وبليغا مبينا غاية البلاغة والفهم · وهكذا كانت محاضرة الدكتور الاديب الذي سمحنا لانفسنا بأن تسمية الدكتور الشيخ احمد عمار ، وذلك لبلاغته واجادته في التعبير اللغوي مع التحقيق العلمي · ومما يروق للمجمع ان يسجله ان صفة الجمال التي أطلقت على العربية لا تحرمها من صفة الدقة العلمية كما سمعناها بليغة دقيقة محققة · والشيء الوحيد الذي اخالف الدكتور احمد عمار فيه هو انه وصف محاضرته بأنها جافة · والواقع انها ممتعة ندية لطيفة مشوقة نتمنى أن نستزيد منها · وقد وعدنا بالاستزادة ، ونرجو ان يكون ذلك قريبا » ·

والدكتور أحمد عمار صاحب « مجموعات » علمية لغوية ينسقها في جذاذات تضم كل جذاذة منها مجموعة الفاظ متقاربة في المعاني ، تعرض لنا في المصطلحات العلمية عامة ، والطبية خاصة ، وبعد البحث يخصص لكل لفظ انجليزي منها لفظ عربي يقابله · ويحدث أن يغيب عنا أحيانا بعض هذه الالفاظ ، ولكن معنا دائما ذاكرة الدكتور عمار لا يغيب عنها اسم من هذه الاسماء وفي « أرشيفه » (وهو غالبا في حيوية هذه الجذاذات يقدمها لنا لنسترشد بها عند الحاجة اليها ·

فمن ذلك مثلا مجموعة الاعمار :

New-born	وليد
Infant	رضيع
Child	طفل
Pubescent	بالغ
Adolescent	مراهق
Adult	راشد
Youth	شاب

وهذه المجموعة :

Abrasion	سحج
Bruise	كدم
Contusion	رض
Escoriation	خدش

Scratch	خدش
Scraping	كشط

وهذه المجموعة التي تمثل قمة الدقة :

Disease	مرض
Illness	داء
Sickness	سقم
Ailment	علة
Evil	بلاء
Trauma (Injury).	اصابة
Lesion	آفة
Infirmity	عاهة
Coma	غيبوبة
Fainting	اغماء
Stupor (Lethergy)	سبات
Syncope	غشية

ولن أحول هذه المقالة الى ما يشبه قاموسا علميا .

واذا لم يكن بد من أن اشير الى بعض الانتاج الادبي واللغوي في اطار العلوم الطبية للدكتور عمار — وهو لا يمثل الا قدرا محدودا من نشاطه المودع في أعمال المجمع — فهذه أهم مؤلفاته في هذا المجال :

ثلاث مجموعات في المصطلحات الطبية المعربة ، وكتاب « في صحة المرأة » ، والاشتراك أو الاشراف اللغوي والعلمي على هذه الاعمال الضخمة :

١ — الموسوعة الطبية الحديثة .

٢ — المعجم العلمي المصور .

٣ — المعجم العسكري الموحد .

٤ — الموسوعة العربية الميسرة .

٥ — معجم دودن (Duden).

على انني أود أن اقتبس فقرة من كتابه « في صحة المرأة » ، فهي تبين كيف يتناول هذا الطبيب موضوعا علميا بقلم الاديب المشرق : يقول تحت عنوان « المرأة بعد الاربعين » :

« ان القراء قد الفوا من الكتاب حينما يعرضون للمرأة في القصص والوصف والشعر والغزل ، أن يعرضوا لها في صباها وشبابها حيث لا تزال في ربيع الحياة ، رطبة العود ، غضة الاهاب ، واهية الخصر ، مصقولة النحر ، هيفاء القد ، ملساء الخد . وتراهم يذهبون في وصفها كل مذهب ، ويشبهونها بكل جميل في الطبيعة من الطير والزهر وغير ذلك .

« ولقلما انصرف الكتاب او العلماء الى هذا الجانب من حياة المرأة في دور كهولتها بعد الاربعين . بل لعلهم ان عرضوا له قانما ليصوروا فيه الارض القاحلة لا تزكو بثمر أو شجر، والصحراء المقفرة لا خضرة فيها ولا ماء ، والليل المظلم البارد لا ضوء فيه

أحمد عمار

العقاد : لقب احمد
عمار بالدكتور الشيخ

ولا نغم ، والدار الموحشة لا انيس بها ولاسامر . ثم نراهم يتحدثون عن سن اليأس في المرأة حين تسرع بها الخطا نحو الخامسة والاربعين أو الخمسين، فيبدر الى الذهن ان هذه هي سن الذبول والخمول واليأس من سرور الحياة وبهجتها . والحقيقة الا يأس هناك ولا قنوط الا من وظيفة واحدة من وظائف المرأة ، وهي في الواقع عبء كانت تحمله في فترة حياتها الخصبة ، فتخففت منه بعد هذه السن ، وتعني به عبء التناسل ، وما يقترن به من وعكة الحيض ، وتعب الحمل ، وألم الولادة ، ومشغلة الرضاعة ، وحسبك هذه السلسلة الطويلة وما يلازمها من الضيق والهم والقلق والانزعاج . وهذه الحلقة المفرغة التي لا تكاد المرأة تنتهي من أحد أدوارها حتى تدخل في دور آخر .

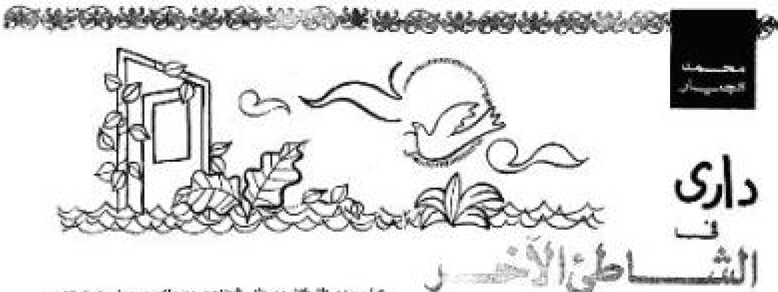
« ومن الحق ان نقول ان المرأة بعد الاربعين تكون قد قاربت الانتهاء من اداء رسالتها من انتاج النسل ، فتستطيع بعد ذلك ان تفرغ لنفسها ولزوجها ، وان تقوم بقسط اوفر من الحياة العامة ، وبنصيب اوفى من الشئون الانسانية » .

ان كتابة هذا الطبيب بقلم الاديب يذكرني بكتاب كان علينا ان ندرسه في أيام الدراسة في انجلترة ، كتبه طبيب اديب شاعر اسمه
Ronald Campbell Macfie
ويدل عنوان الكتاب على أسلوب المؤلف فيه ، فمع انه كتاب في علم وظائف الاعضاء ، سماه
The Romance
of the Human Body
« رومنسية الجسم البشرى » .

وبعد فان لى في وصف الدكتور عمار عبارتين : احداهما ارددها في لجنة الطب بالمجمع ، عندما تجتمع قبل بدء العمل ، فاذا هو يبادرنا بقوله : قرأت بالامس كذا فصلا من كتاب « الاغاني » طلبا لاستيفاء موضوع كذا ، او راجعت في تفسير « القرطبي » معنى كلمة كذا ، او قضيت مساء امس بين صفحات « القاموس المحيط » تحقيقا لبعض الالفاظ ـ فاداعبه بقولي : يبدو انك احرص على تعقب كلمة تعلن ميلادها في اللغة ، منك على فحص سيدة تريد ان تعلن ميلاد طفلها على يديك .

اما العبارة الاخرى فليس فيها دعابة ، انها حقيقة اعلنها لتصور مقدرته الطبية واللغوية :

ان الدكتور عمار يتعامل على قدم المساواة مع كتاب
William's Obstetrics
وكتاب « لسان العرب » .



محمد الجهيار

داري في الشاطئ الآخر

كان نسيم المساء يزحم نفسي كيفما من ذكريات قلبي
وبكائي ... عشاع بيت قديم لم يحجب بابه ... على راحتيه
رحلت نظرتي وراء الشرفات لداري ... في الضفة الغربية
غربت ... كيما بتنها به الشمس ذراعها الأرض يوم أتيه
وعنها القنديل ... لوطن فيه القمرات من الصفاء السرية
كروائي هناك حام صحونا وللأنى ، في صمته ... بسكيه
وارتعاش الهمسة في ماء القمح ... وتلك الجامعة الأدبية
وتلك السكون يطل منها نسمات البلور تنعم القلبية
نظرها ... سيرة ... الزهر بقلبي .. علم الشيخ اللغة بابيه
فوق بابي ، البلابل ... مابشتي وعلى الركن ... كم بكت فزهرية
وأنا ما الربيع خاف خجبولا ... وسيدته أورثه الذهبية
قرابي ... كأنه بوح طير ... قلبت أسرابه الليلية

***

أيها النهر كيف تجري سريعا ولن أرسل المياه الأبية ..
كيف لا تحترق المياه لهيبا أو يدوي الطوفان حوله البريه
كنت ملاح ذلك النهر .. يوما ، وشراعي ... أنشودة عربية ..
وعدنا ... عبد الشيخ دم الأرض ... وغرت سفينة الحريه

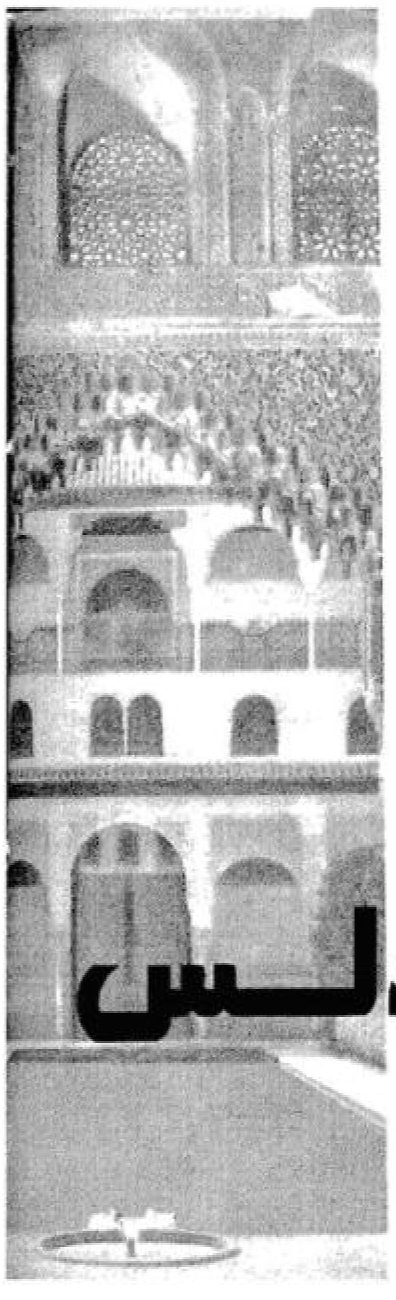
كيف يبدو الشطآن .. مثل الجناحين .. ولكن ... في غربة أزليه
يا رداء الشيخ ... تطفو في الموج غريقا ... كمشكاة [illegible]

***

كلما مر في المساء قطار طرت في صوته لأرض القضيه
ثم إن القطار ... يمضي كحلمي فيعود الدخان ، يبكي عليه
وأنا شاخص ... أمد خيالي جسر نار على القرى الطيبه
صفعتني يدي ، فطالت لوجهي : أبق أنا ... لأرض الوفيه ؟
إيه يا دار ... حين ذاك قلبي حمل تحت السيورة الترابيه ؟
من ترى يطعم الحمام بيتنا ؟ .. شباب فوق الزيتونة الطفلية
سكتت الأصفاء ... الترى الثلاثي مسرفا حطت كل لونه ..
زغردت الوداع ... فسوق جنداي لم تزل من جراحها مرويه
ما زرعت الزيتون يوما ليسكر فوق نعش السلام .. يبكي عليه
على الثمر فوق كرمة داري بابة العندو شاحت بنيه
كقميص ممزق ... لبسوا ، كأن الأحسان ظلة مجدلية !

***

وكما تصبر البلور طويلا لتعيش الأشجار دهرا قويه
يصبر الثار في عروقي حتى يتحدى السفن ريحها عتيه
فسرن الأطفال ... الآن جريمة البربريه



د. أحمد هيكل

بين كل طوائف الاندلسيين يبرز عدد غير قليل من الادباء الموهوبين . وقد برز بين اطباء الاندلس بخاصة ادباء مرموقون ، يمكن ان يلفت النظر من بينهم اناس بلغ بهم النبوغ فى الطب والادب مبلغا محيرا ، حتى لايكاد يعرف الدارس لآثارهم وحياتهم اين يضعهم ، أفى الاطباء الادباء؟ ام مع الادباء الاطباء؟ وذلك لاتضاح النبوغ وعظمة النتاج فى الطب والادب على السواء .

من أطباء الأندلس الأدباء

يمكن أن نأخذ مثـــالا لهؤلاء الاطباء الادباء المحيرين من أبنـــــاء الاندلس « أمية بن عبد العـــــزيز الداني » الذى يطلق عليه كذلك « أمية بن أبى الصـــلت الاندلسي » ، وهو ـ كما يرى ـ مشتبه الاسم مع الشاعر المشرقى القديم « أمية ابن أبى الصلت » غير أنه يفـــرق بينهمـــــا بالحاق لقب « الدانى » بصاحبنا الطبيب ، أو الحـــاق لقب « الثقفى » بالاخر المشرقى ، فصاحبنـــا الطبيب الاندلسى من بلدة « دانيـــة » الاندلسية ، على حين ينتسب الاخـــر الشرقى الى قبيلة « ثقيف » احـــدى الاصول العربية المشرقية ..

وقد عاش أديبنا الاندلسى الشـــاعر حياة حافلة بالنضال والارتحـــال ، موزعة بين اليسر والعسر ، فكانت حياة غنية خصبة ، مفعمة بالحـــركة ثرية ـ لهذا كله ـ بالنتاج !

لقد ولد سنة ٤٦٠ هـ ببلدة دانية فى شرقى الاندلس ، ونشأ بها فى عهـــد ملوك الطوائف . ومعروف أن « دانية » كانت تحت حكم العامريين فى تلك الفترة ، ثم تحت حكم بنى هود ، الى أن انتزعها المرابطون . ومعروف أيضا أن « دانية » فى ذاك العهد كانت احدى العواصـــم العلمية بالاندلس ، أى أنها كانت بيئة ثقافية صالحة لينشأ بها هذا الوليـــد الواعد « أمية بن عبد العزيز » . وقد تلقى بالفعل على شـــيوخ « دانية » أصول العلوم العربية والإسلامية ، كما تلقى قدرا لابأس به من العلوم العقلية

ولأمر ما ترك أمية « دانية » ورحل الى اشبيلية فى عهد المعتمد بن عباد . ومعروف أنها كانت من أعظم العواصم الاندلسية ازدهارا بالفن ، وبخاصـــة الادب والموسيقى . ومعروف أيضا أنها كانت مركزا من مراكز دراسة العلوم ، وبخاصة الطب .. ومن هنا يمكن أن نتصور ما كان لتلك المدينة المزدهرة علما وفنا من تأثير فى تكوين أمية وانضاج ثقافته وتنويعها .. غيـــر أن اشبيلية والاندلس كلها كانت فى عهد قلق وضعف فى أواخر سنوات الطوائف ، كما كانت مهددة بالاسبان من الشمال ، وبالمرابطين من الجنوب . لهذا لم يقنع صـــاحبنا باشبيلية ولا بالاندلس جميعا ، بل يمم وجهه نحو مصر ، حوالى سنة ٤٨٠ هـ ، وزاول فيها نشاطا فكريا وأدبيا كبيرا .

غير أن الحظ خانه أثناء مقـــامه بمصر ، فحدث ما أدى الى سجنه نحو ثلاث سنوات بالقاهرة . ذلك أن السلطان الفعلى بمصر حينذاك كان للوزير الافضل ابن بدر الجمـــالى ، وكان رجله فى الاسكندرية القاضى ابن حديد ، وحدث أن جاءت الى مياه الاسكندرية سفينة محملة بالنحاس ، وقد أصيبت السفينة بعطب وغاصت فى المياه . ولما كان أمية فى الاسكندرية حينـــذاك ، ولما كان عارفا بالهندسة ـ ضمن معـــارفه العلمية المتنوعة ـ فقد تكفل بتعويم السفينة من جديد وانقاذ حمـــولتها ، وتعهد بذلك

من أطباء الأندلس الأدباء

للقاضي ابن حديد الذي تعهد بدوره للوزير الافضل بالقاهرة ..

واعد أمية آلات هندسية معينة ، وربط السفينة بحبال خاصة ، واستخدم نحو مائة وخمسين من الرجال الاشداء في جذب الحبال ، فطفت السفينة وأوشكت المحاولة أن تنجح ، لولا أن تكاثر الناس على الشاطيء ، واشتركوا في عملية الجذب دون نظام ، مما أدى الى انقطاع الحبال وغرق السفينة ثانية ، واصابة كثير من الناس باصابات مختلفة نتيجة لوقوع بعضهم على بعض .. وغضب القاضي ابن حديد ووبخ أمية فلم يقبل الاهانة ، وابلغ الامر للوزير الافضل — مع ما يوغر صدره بطبيعة الحال — فأمر بالقبض على العالم الاندلسي الاديب ، وارساله الى القاهرة حيث سجن .

غير ان هذا الحادث وما اعقبه من سجن لا يشوه الوجود المشرف لامية على ارض النيل ، فقد تفاعل مع البيئة العلمية والادبية بمصر تفاعلا خصبا ، فناظر العلماء ، وعلم التلاميذ ، وعمل في ديوان الانشاء ، وشارك في شتى الوان النشاط العلمي والفني . وخاصة الطب والفلك ، والكتابة والشعر . كما الف اعمالا ممتازة من بينها « الرسالة المصرية » التي تحدث فيها عن كثير من عادات المصريين وتقاليدهم ، كما عرض للبيئة المصرية وكثير من علمائها وادبائها .. كذلك من بين مؤلفاته في مصر « الوجيز » في علم الهيئة ، و « رسالة العمل بالاسطرلاب » ، وكتاب الادوية المفردة في الطب ، وكتاب « تقويم الذهن » في المنطق ، الى غير ذلك من الكتب ..

وفي سنة ٥٠٠ هـ أو بعد ذلك بسنوات قليلة ترك أمية مصر الى تونس ، حيث نزل بالمهدية . وكانت تونس حينذاك تحت حكم بني باديس من قبائل صنهاجة ، وكانت ككثير من بلاد الشمال الافريقي مسرحا لصراعات شتى بعضها بين القبائل الافريقية من أبناء البلاد ، وبعضها الاخر بين الوجود العربي الاسلامي على تلك الارض ، وبين العدوان « النورماندي » والصليبي عليها ..

ومع ذلك يبدو أن أمية رأى أن الشمال الافريقي أنسب لاقامته من مصر ، وبخاصة اذا كانت مصر — في تلك الاونة — هي الاخرى لم تمنحه السلام الذي كان يحلم به . وهكذا اتخذ أمية « تونس » مستقرا ، وعاش في ظل ثلاثة من حكامها الصنهاجيين ، وهم : يحيى ابن تميم ، وعلي بن يحيى ، والحسن ابن علي .

وفي هذا المستقر الافريقي ، اكمل أمية ما كتب له من عمر ، ثم مات سنة ٥٢٩ هـ أو نحو هذا التاريخ . كما اكمل مسيرته العلمية والفنية والادبية ، وانجز بقية مؤلفاته ، وأعطى هذا العطاء الفني المتنوع المحير ، لاننا امامه لا نتساءل فقط : اكان أمية أديبا يهوى الطب ، أم كان طبيبا يهوى الادب ؟ بل نتساءل — ونحن في دهشة بالغة — اكان مهندسا أم فلكيا أم فيلسوفا أم مؤرخا أم موسيقيا أم طبيبا أم أديبا ؟؟ فقد اثر عنه نشاط موفور ونتاج خصب في كل ميدان من تلك الميادين . حتى أوقع في الدهشة

البالغة من عبقريته الفذة ، وموهبته النادرة المتعددة الجوانب ..

ان اجتماع الموهبة الادبية مع فرع واحد من فروع المعرفة ـ كان يكون الرجل مهندسا واديبا ، او طبيبا وكاتبا ـ مما يدعو الى الاعجاب . فماذا يمكن ان يقال فى هذه الشخصية العربية العجيبة التى مارست كل تلك العلوم والفنون ، على ما بين بعضها وبعض من تناقض او ما يشبه التناقض فى اقل تقدير ؟ !

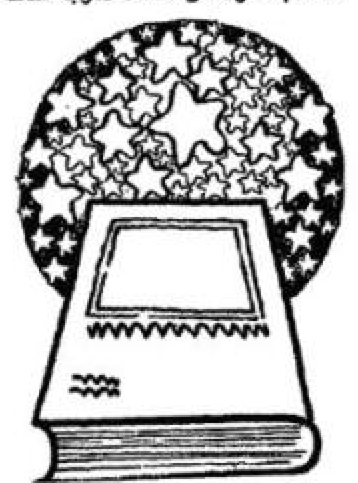
ففى مجال الهندسة أثر عنه كتاب يسمى « الوجيز » واخر يسمى « الاختصار » ، يقال انه اختصار لكتاب « اقليدس » .. ولا يمكن أن ننسى فى هذا المجال ، تلك المحاولة التى سجلها له التاريخ ، وهى محاولة تعويم سفينة غارقة فى مياه الاسكندرية ، فهى محاولة ـ رغم انتهائها بالفشل ـ قد نجحت أول الامر واستطاع بها أن يجعل السفينة تطفو بفضل ما استخدم هذا المهندس العربى من علمه وأدواته . ولولا ما أحاط بالمحاولة من أخطاء خارجة ساعة التنفيذ ، لنجحت وسجلت سبقا كبيرا لهذه الشخصية العربية العبقرية !

وفى مجال الفلك خلف لنا أمية رسالة فى « العمل بالاصطرلاب » ، منها نسخة مخطوطة فى برلين وأخرى فى ليدن وثالثة فى باريس . كما خلف أيضا صحيفة جامعة تقوم بها جميع الكواكب، كما نص على ذلك « بروكلمان » فى ملحق تاريخه المشهور . كل هذا بالاضافة الى نص جل من أرخوا لحياة أمية على أنه كان من كبار العلماء فى الفلك ، هكذا يقرر الثقاة من المؤرخين بعبارات مختلفة ، كالسيوطى والذهبى وغيرهما .

وفى مجال الفلسفة قد خلف لنا أمية كتابه « تقويم الذهن » وهو فى المنطق ، وقد نشره المستشرق الاسبانى « جونثالث بالنثيا » سنة ١٩١٥ . وقد تكون له كتب أخرى تتجاوز المنطق الى فروع أخرى من فروع الفلسفة ، فقد سجل جل من كتبوا عنه من القدماء ما يؤكد اشتغاله بالفلسفة ، حتى اصبحت هى أو الحكمة من بين ما يخلع عليه من ألقاب ، فقد وصفه ابن سعيد فى كتابه « المغرب » بصفة فيلسوف ، ومثله فعل ابن العماد فى كتابه « شذرات الذهب » .. أما ابن خلكان فيقول عنه فى كتابه « وفيات الاعيان » : انه كان عارفا بفن الحكمة ..

وأما فى مجال التاريخ فقد أثر عنه كتاب اسمه « الديباجة فى مفاخر صنهاجة » وعن كتابات أمية التاريخية ينقل عدد من المؤرخين التالين له مثل : ابن الابار ، وابن عذارى،وابن الخطيب

وأما فى مجال الموسيقى فقد ألف رسالة لعلى بن يحيى بن تميم بن باديس،



وهى رسالة تقول دائرة المعارف الاسلامية عنها ان أصلها العربى قد فقد ، وبقيت لها ترجمة عبرية محفوظة فى باريس ٠

وبالاضافة الى هذه الرسالة يذكر المؤرخون أن أمية كان من اعلام الموسيقى علما وعملا ، بل يذكر ابن سعيد أن اهل افريقية قد أخذوا عن أمية الألحان التى هى الان (أى فى القرن السابع الهجرى) بأيديهم ٠٠

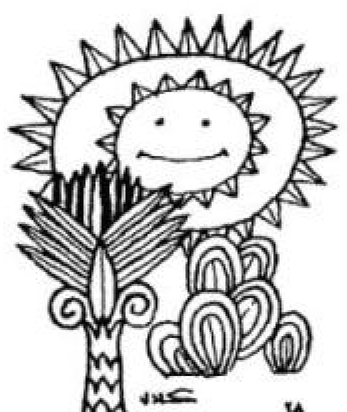
واما فى مجال الطب فقد برز أمية ربما أكثر من تبريزه فى أى علم آخر ٠ ويبدو أنه نبغ فيه نبوغا ملحوظا جعل ابن سعيد يقولا عنه : « قد بلغ فى صناعة الطب مبلغا لم يصل اليه غيره من الاطباء » ٠ وقد الف أمية فى الطب عددا من الكتب منها : « الادوية المفردة » ، ومنها أيضا كتاب « الانتصار لحنين ابن اسحاق » ، وهو كتاب دافع فيه أمية عن حنين وانتصر له من عالم آخر ، هو على بن رضوان ٠٠ وفى « الرسالة المصرية » اشارات طبية بارعة تدل على تمكن أمية من مهنة الطب فى صورة متطورة ، فهو مثلا يوجب على الطبيب الالمام بثقافات أخرى تعينه على عمله الانسانى ، ويجعل فى مقدمة هذه الثقافات العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية والموسيقى ٠ كما يدعو الاطباء الى الاهتمام بالروح المعنوية للمريض ، حتى ليدعو الى الحاق بعض رجال الفكاهة بالمستشفيات ليرفهوا عن المرضى وينشطوا نفوسهم ويساعدوا بذلك فى عملية العلاج ٠٠

واما فى مجال الادب فقد تألق أمية كما يتألق أى أديب موهوب محترف ، بل عمل فى جل فروع الادب والمعرفة فى عصره ، فكتب وشعر ، وتنوعت كتاباته كما تفرعت فنون شعره ، بل انه عمل كاتبا رسميا فى ديوان الانشاء بمصر ، وخلف ديوانا شعريا كبيرا ٠٠

ومن أهم ما بقى من آثاره الادبية نثرا « الرسالة المصرية » ٠ ومن أهم ما بقى من آثاره الشعرية ، مجموعة ضخمة حفظها العماد الاصفهانى فى كتابه المعروف « خريدة القصر » ٠ أما ديوانه الشعرى نفسه فلا يزال غير معروف المصير ٠

ومن خلال ما بين أيدينا من نثر أمية نستطيع أن نقرر أنه كان ناثرا متمكنا مجودا ، ونثره يميل الى الجزالة مع اليسر ، والى التجويد مع الابتعاد عن التعقيد ، وهو نثر توشيه بعض الزينة البلاغية المتقنة غير النابية ولا المفتعلة ، كما تتخلله اقتباسات واستشهادات تدل على سعة الالمام بالتراث ، وقوة المنشىء على استغلال محفوظه العظيم ٠ ولعل النموذج التالى يوضح سمات نثر أمية ، وهو سطور من رسالته المصرية ، يقول فيه موضحا سبب ارتحاله عن الاندلس :

« كنت ـ ابان عصر فيه الشباب مونق ، وعش الصبا مورق »



اذ لقى مســــــــــــودة
ولـــــــــاه وجهى رونق

ممن سامحه الدهر بغفلة من غفلاته ، وتجافى له عن غفوة من غفواته ، فعاش آمن السرب ، سائغ الشرب ، لا يفرغ من ادب برود رياضه ، ويرد حياضه ، الا الى طرب يعمر ميدانه ، ويسحب ذيوله وارادنه · ثم تلون فقلب لي ظهر مجنه ، وسقاني دردى دنه ، فتدارك ما اغفله ، واسترد ما بذله · واضطر الى مفارقة الوطن ، والخــــــروج عن العطن · فتماسكت اشفاقا من مفارقة اول ارض مس جلدى ترابها ، وشدت على التمائم بها · وجاءت أمور لا تطاق كبار ، فلما لم يمكن القرار ، ولم يبق الا الفرار ، قلت : ليس لى الا ان ارمى بنفسى كل مرمى ، واطرحها كلا مطرح ·

لابلغ عذرا او انال رغيبــــــة
ومبلغ نفس عذرها مثل منجــح

وسكنت الى البيت المشهور :

تلقى بكل بلاد ان حللت بهـــــا
اهلا بأهــــــل واوطانا بأوطان

ومن خلال ما بين ايدينا من شعر أمية نستطيع ان نقول : انه كان شــــاعرا موهوبا متفقا متمرسا بقول الشـــعر مفتنا فيه · وقد قاله فى جل الاغراض المعروفة ، وكان يؤثر الاتجاه المحافظ الجديد ، الذى سبق اليه من الاندلسيين ابن دراج ، ومن المشارقة البحترى ، والذى يمثل المتنبى قمته الفنية فى الشعر العربى القديم كله ·

على ان أمية كان يسير بشعره احيانا فى اتجاه المحدث ، الذى راد اليه فى الشرق الشاعر العباسى أبو نواس ، ثم انتقل الى الاندلس ، فكان من أعلامه قبل أمية الشاعر يحيى الغزال ··

وكان أمية – كاكثر الشعراء – يميل الى الاخذ بالاتجاه المحافظ الجديد ، حين يكون الموضوع الشعرى اقرب الى المحافظة او الجدية ، أو حين يكـــون الموقف يحتم الوقار · أما حين يكـــون الموضوع من تلك الموضوعات التى الف المحدثون الخوض فيها كالغزل والدعابة والزهد ، أو حين يكون الموقف بعيدا عن اعتبارات الوقار ودواعى الجد ، فان أمية كان يجنح الى الاتجاه المحدث ··

وهكذا نجد اسلوبه يميل الى الجـزالة وعلو الرنين وفخامة الاداء ، حين يأخذ بالاتجاه المحافظ ، على حين نجد أسلوبه يميل الى السلاسة ، وهمس الموسيقى وبســــاطة الاداء ، حين يتجه وجهة الشعراء المحدثين ··

على ان شعره عموما يتسم بالوضوح والبساطة والغنائية ، كما تنعكس عليه احيانا ثقافته المنوعة ، فتتناثر هنـــا او هناك كلمات او معان طبية او فلسفية او نحو ذلك مما مرده الى الميدان العلمى الذى كان امية فارسا من فرسانه الكبار

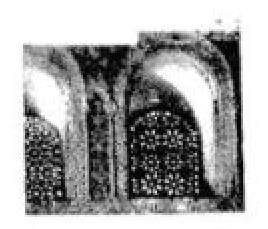
ولعل من أعذب شعر أمية ما قاله فى الحكمة معبرا عن تجــــارب السنين واستشعار حقيقة الزمان والحيــــــاة والناس ، وما تمتلىء به تلك الحقيقة من أسى ومرارة ولوعة ·· ومن ذلك الشعر الحكمى قول أمية فى الدنيا :

تضايقنا الدنيا ونحن لهـــا نهب
وتوسعنا حربا ونحن لها حــــرب
وما وهبت الا استردت هبـــاتها
وجدوى الليالى ـ ان تحققتها ـ سلب
تؤمل ان يصفو بها العيش ضلة

وهيهات ان يصفو لساكنها شرب
الا ان ايام الحيـــــاة باسرها
مراحل نطويها ونحن بهـــا ركب

ومن شعره الحكمي أيضا قوله في الناس :

ولم يبق في الباقين حافظ خلة
فعش واحدا ما عشت تنج وتسلم
فلست ترى الا صـــديقا لوسر
حسودا لمجدود عدوا لمعـــدم
وكنت اذا استبدلت خلا بغيـره
كمستبدل سرحان قفـــــر بارقم
فجانبهم ما اسطعت واقبل نصحيتي
ومن لم يطع يوما اخا النصح يندم
فان لم يكن بد من الناس فالقهم
ببشر وصن عنهم حديثـــك واكتم



ومن شعره في الصمود أمام متاعب الناس والزمان قوله :

يارب ذي حسد قدزيته كمـــدا
اذ رام ينقص من قدري فما نقصا
فان رخصـــت ولم انفق فلا عجب
للفضل في زمن النقصان ان رخصا
وان حبست فخير الطيـــر محتبس
متى رأيت حداة أودعت قفصـــا

ومن هذا اللون المنبيء عن خبـــرة ومعرفة بالدنيا والناس ، وصمود برغم كل شيء قوله :

متى صفت الدنيا لحـــر فابتغي
بها طيب عيش أو خلوى من الحزن
وهل هي الا دار كل ملمـــة
أمض لاحشاء اللبيب من الطعـــن
وان هي لانت بعد ذلك فاخشـــها ،
فان اشد الطعن طعن القنا اللدن

وواضح ما في شعر أمية من عاطفة حزينة وتشاؤم جـــريح .. وليس من الصعب تفسير ذلك ، فأمية قد عاني كثيرا في حياته ، ولقي مصاعب جمة في مسيرته الطويلة، حتى لقد قسم عمره بين أقطار ثلاثة : الاندلس ومصر وتونس بل قد قاده حظه العاثر الى الســجن كما عرفنا ، ولم ينل كل ما يستحق من تكريم لقاء علمه الغزير وفنه الرفيع ، بل لم ينل بعض حقه . ومن هنا لا نعجب لهذه النبرة الحزينة في شعره ، لانها تعبير صادق عن الام حقيقية ، وتصوير دقيق لتجارب فعلية ..

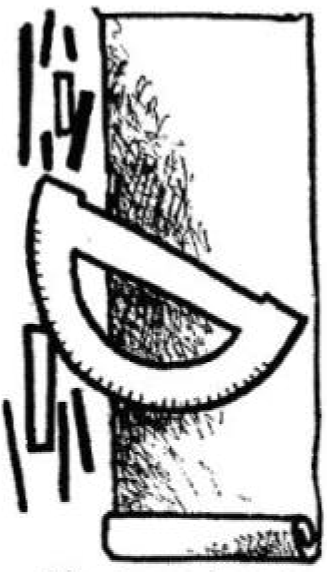
ولان عاطفة أمية أقرب الى الحزن ، وأدنى الى الاسى ، فقد كان أقدر على التعبير عن التجارب الحزينة . ومن هنا برع في غرض شعري كالرثاء . ولذا نراه يقول في أمه هذا الشعر الصادق الذي ينفذ الى أعماق القلوب :

وارسل طرفا لا يراك فانثـــرى
على كبد حســـــرى وقلب مكلم
وما أشتكي فقد الصــــباح لانني
لفقدك في ليل مدى الدهر مظلم
وما ليل من وارى التراب حبيبـــه
باقصر من ليل المحـــــب المقيم
فكـــــم بين راج للاياب وأيس
وأين جميـــــل في الاسى من متمم

وواضح في هذا البيت الاخير أثر ثقافة الشاعر الادبية والتاريخية ، فهو يضرب مثلا لفاقد من يحب ولكن مع رجاء اللقـــــاء ، بجميل بثينة ، الذي افتقد صاحبته لكن على أمل اللقاء ، كما يضرب مثلا لفاقـــــد من يحب لكن مع

اليأس الكامل من أي لقاء في الدنيـــا بمتمم بن نويرة الذي فقد أخاه مالك ابن نويرة ، وكان لفقده اشـــد الوقع على نفسه وأقساه .

وفي أبيات أخرى نرى أمية يقول راثيا صديقا :



سوابق عبرتي سحي وفيضي
وان تفض الدموع فلا تغيضي
رمى حد الردى من كان مني
بمنزلة الشفاء من المريض
وكم لاقى الردى بطعان سمر
وشد سوابق وقراع بيض

وليس يخفى تأثر الشاعر بحرفته كطبيب ، حيث ذكر « الشفاء » و « المريض » وجعل احساس المريض بالشفاء هو ذروة الاحساس الحبيب ..

ومما يعكس ثقافة أمية – أو جانبا منها – قوله في الاصطرلاب :

جرم اذا ما التمست قيمته
جل عن التبر وهو من صفر
مختصر وهو اذ تفتشه
عن ملح العلم غير مختصر
تحمله وهو حامل فلكا
لو لم يدر بالبنان لم يدر
مسكنه الارض وهو منبئها
عن جل ما في السماء من خبر

ومن بديع شعر أمية وصفه لمظاهر الطبيعة ، من مثل قوله في روضة :

خضر خمائلها ، زرق جداولها
فالحسن مؤتلف فيها ومختلف
دوح وظل يلذ العيش بينهما
هذا يرف كما تهوى وذا يرف
يجري النسيم على ارجائها دنفا
وملؤه أرج يشفى به الدنف
غريرة من بنات الروض ناعمة
يثني معاطفها في السندس الترف

وقد سجل أمية في بعض أشعاره جانبا من العادات المصرية في الاحتفال بالنيل كقوله في مهرجان توقد فيه الشموع على صفحة النهر الخالد :

كأنما النيل والشموع به
افق سماء تألقت شهبا
قد كان من فضة فصيره
توقد النار فوقه ذهبا

وحتى هنا يمكن أن نستشف انعكاس ثقافة الشاعر الفلكية ، والطبيعية والكيماوية ، تلك الثقافة التي أثرت الصورة الشعرية ومنحتها حيوية لا تخفى .

وبعد ، فهل عرف تاريخ الفكر الانساني كثيرا من أمثال أمية بن عبد العزيز الداني الاندلسي ، في تنوع معارفه وتشعب مواهبه ؟ لا أظن ، فهو واحد من تلك الفلتات العبقرية التي تصنعها السماء الشبه بالمعجزات ، وهيهات أن تتكرر كثيرا هيهات !

أهم مراجع المقال : الاعلام للزركلي ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ، والمغرب لابن سعيد ، وخريدة القصر للعماد الاصفهاني ، والرسالة المصرية لابي الصلت أمية بن عبد العزيز ، وطبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي . والبحث الجامعي الممتاز الذي أنجزه الباحث الليبي الشاب الاستاذ عبد الله الهوني ، وهو بحث نال به صاحبه درجة الماجستير من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة .





الدكتور محمد

كان من اصحاب الرؤى ، من الذين يدركون واقع امتهم ويتصورون المستقبل من حياتها ، ومن الذين يدركون ايضا متطلبات الحضارة في العصر الذى يعيشون فيه ، واحتياجات الحياة فى المجتمع الذى ينتمون اليه .

وكان من اصحاب الهمم العالية . من الذين يلمون الماما واعيا بما فيهم من طاقات ، وبما لديهم من قدرات ، وبما عندهم من امكانات ، ومن الذين يستثمرون ذلك كله فى تحقيق متطلبات الحضارة وفى تلبية احتياجات المجتمع ...

كان الدكتور محمد شرف يعرف في دقة ان اللغة القومية ـ باعتبارها الوعاء الثقافي للفكر والفن ، وباعتبارها الاداة التي يعبر بها المجتمع عن نفسه وتمارس بها الحياة اليومية ـ غنية من جانب ، وفقيرة من الجانب الاخر .

هي غنية من حيث كثرة عدد الفاظها في الميادين الأدبية والدينية والتشريعية وما أشبه . وهي فقيرة من حيث قلة عدد الفاظها أو عدم وجود هذه الالفاظ على الاطلاق في ميادين المصطلحات العلمية ـ وبخاصة ميادين الطبيعة والكيمياء وميادين الصناعة ، وميادين علوم الاحياء من انسان وحيوان ونبات .

فأخذ على نفسه وهو الطبيب المداوي ، وهو المدرس لعلوم الاحياء في المدارس الثانوية ، أن يعالج ما في اللغة القومية من فقر ، ويكمل ما فيها من نقص ، ويسد ما فيها من فراغ .

وكان من الذين يحسنون التصور لما يريدون القيام به من عمل . من الذين يحددون الاهداف ، ويحددون الوسائل ، ويتصورون في دقة ما يمكن أن يقوم في سبيل العمل من عقبات يعملون على تخطيها بعد تذليلها أو الانصراف عنها لوجود بدائل لها هي أولى منها بالتنفيذ .

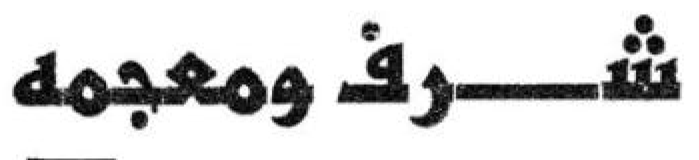
لقد كان هدفه اثراء اللغة العربية بالمصطلحات العلمية الحديثة . اثراؤها باعتبارها اللغة القومية ، وباعتبارها الاداة التي تمارس بها فئات من الناس حياتهم اليومية والعلمية . ولقد حدد هو هذه الفئات بالاطباء والمعلمين والصحفيين وطلاب المدارس العصرية .

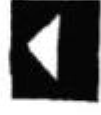
وكانت وسيلته وضع معجم عصري تثبت فيه المصطلحات العلمية الحديثة، وتبرز فيه مزايا اللغة العربية ، ويتخلص فيه من كثير من الاوهام ، والابهامات التي تمتلىء بها المعاجم العربية القديمة .

المعرب والمولد والفصيح

ولقد عرف منذ اللحظات الاولى أن هذا المعجم سيكون على نسق المعاجم الاوربية الحديثة ـ المعاجم المثبتة للمصطلحات العلمية في لغتها التي أقرها العلماء المحدثون ، وهي اللغة اللاتينية . ومن هنا كان ادراكه للفروق التي تكون بين عمله في اللغة العربية وعمل زملائه من أصحاب المعاجم في اللغات الاوربية أو الفرنجية كما يقول هو .

انه يقول : المطلوب من واضعي المعاجم الفرنجية في هذا الزمن اثبات وجوه استعمال الالفاظ بحسب





الدكتور محمد شرف



ما تعرفها الخاصة والعامة حالا ـ لاظهار آرائهم الفردية فيما يجب ان تكون عليه معانيها . وليس من شانهم خلق معان او الفاظ جديدة .

ان مهمتنا في وضعه ـ يقصد معجم شرف ـ تفوق ما يجب على زميلنا الفرنجي ـ : نقل اوضاع لا مقابل لها في العربية .

ايراد اوضاع عربية تؤدي المعاني الجديدة .

تعريب الفاظ فرنجية او ترجمتها .

اصلاح قصور معاجمنا القديمة وابهامها واوهامها واثبات الفاظ مالوفة لعامة الكتاب ويابى البعض أن يعدها من الفصيح لانها لم تثبت في تلك المعاجم .

وكما يصور لنا المجهودات التي يبذلها وتفوق عمل زميله الفرنجي .

يصور لنا أيضا القصور الذي يقع فيه بسبب اللغة العربية ذلك القصور الذي يجعله مقصرا عن زميله الفرنجي ويقول : ولم يكن من غرضنا ان نحذو حذو معجم اكسفورد الانجليزي الواقع في عدة مجلدات ضخمة ، ونشرح معاني الالفاظ ونستشهد بأمثلة من الكلام المأثور ونذكر أصولها الراجحة والمرجوحة ، وتاريخ التقلبات التي طرأت عليها وما آل عليها من التجديد اذ لم يكن في الامكان متابعة التحول الذي حدث في أصول كل كلمة عربية من الوجهة التاريخية ، ولا يمكن الرجوع بأكثر الكلمات الى أصولها لأن تاريخها غير معلوم ، وليس في طاقة مؤلف واحد أن يفهم جميع الالفاظ التي استعملت قديما في العربية وما طرأ عليها من قبل ...

وجرى الدكتور شرف في معجمه ـ حسب ما يقول ـ على الوجه التالي :

« جمعنا في معجمنا بين المعرب والمولد والفصيح ، وبذلك تأهلت العربية لمجاراة اللغات الحية ، وبما انخلناه فيها من المفردات العلمية المعربة .

ولم نستعمل في اغلب الاحيان من الكلمات المترادفة القديمة الا ما كان مؤتلفا مع الاستعمالات الحديثة او كان لازما للانتفاع بالمؤلفات القديمة الشهيرة .

بين الاصيل والدخيل

« واذا كان عملي شبيها ببناء بيت من انقاض قديمة فانا ملزم باستعمال كثير من هذه الانقاض ، ولم أجد سبيلا لاهمالها بتاتا ولها حق في الوجود ...

وقد يكون من هذه الالفاظ الفصيح وغيره ، والمشهور والضعيف والراجح والمرجوح ، ولكنا لانعدل عن المشهور الا لسبب قوي . ولم نشأ أن نقطع بقول في أصول كلمات كثيرة يتصادف توافق لفظها وكلمات فرنجية ، لأن ذلك محوج الى نصب آخر ، ومؤد الى غرض ثانوي غير مطلوب منا ..

« لقد وضعت المعجم لفائدة الاطباء والمعلمين والصحفيين وطلاب المدارس المصرية فكان لابد أن يشتمل على اكثر الالفاظ التي يسمعونها يوميا في مختلف العلوم الطبيعية والطبية ، ولا بد من استعمال كثير من الالفاظ المسموعة .

هذا الدستور الذي وضعه الدكتور محمد شرف لنفسه في عمل معجمه قد اغضب علماء اللغة الذين يلتزمون

فى عمل المعاجم بالفصيح الذى ورد فى المعاجم القديمة فلم يكن منه الا أن رد عليهم فى كلمة وجهها الى العالم اللغوى الشهير الأب انستاس الكرملي قال فيهـا : لم ألتزم ايراد الجانب الفصيح من هذه الالفاظ واهمال الآخر مداجاة لأنصار القديم أئمة اللغة الذين يأبون الاعتراف بفصاحة المولد أو المحدث من الكلمات غير القاموسية التى لم تثبتها المعاجم.

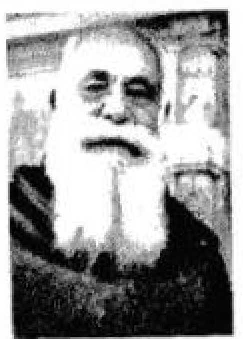
والتقدم العصرى لا يطيق الصبر على هؤلاء المتحكمين الذين يريدون أن يجعلوا عربيتهم الفصيحة لغة تعبدية يجب الاذعان لما ورد فيها من ألفاظ وصيغ قديمه · ويجب أن يعرفوا أن لا حياة للعربية اذا اكتفوا بالميراث القديم لا غير وأنزلوه منزلة الآلهة··· فان شـايعتهم الاغلبية فبشرهم بأن ابناءها المتعلمين سيطلقونها ، وسيكون مآلها الزوال حتما ···

• ان الغرض الاول الذى وضعناه نصب أعيننا هو التوفيق العلمى واثبات المصطلحات وما يقابلها بالعربية · ورأيت الاجدر بى افراغ جهدى فى التمحيص العلمى · ورأيت من الفضول اشتغالى باللغويات وأنا غير لغوى ، وبخاصة حين تبين لنا كثرة اختلاف فقهاء اللغة فى معرفة أصول الكلمات والتمييز بين الاصيل والدخيل، وحين تبين لنا أيضا الخلاف الواقع فى اعتبار زيادة الحروف فى الالفاظ العربية والدخيلة ، واختلافهم فى معرفة المولد ·

• فدفعا للتشويش على طالب العلم فضلنا عدم التعرض لهذا المسلك الوعر ، ورأينا الا نتهافت على شرح أصول الالفاظ وتمييز طبقاتها من جهة الافصح والفصيح والمولد خشية الخطأ، واهمال الجانب العلمى · ان دواوين اللغة محشوة بالاوهام من أوصاف الحيوان والنبات ، وكثيرا مايذكرون خرافات لا يقبلها العقل فى عصر العلوم الحالى وفيها من التشويش ما يجعل المعتمد عليهـا وحدها حائرا فى تخصيص المدلول منها ·

• لذا اثبتنا من الالفاظ المولده ماورد فى كلام مشاهير الكتاب أوعلى ألسنة المتعلمين أو ما شاع استعماله على ألسنة العامة والخاصة – وان لم يرد فى المعاجم القديمة ·

ولماذا لا يعتبر هذا فصيحا ؟ انه يفصح عن المعانى المطلوبة ، ويوافق الذوق العصرى ولا يشين على العربية فى استعماله بعد أن صار جزءا ضروريا فيها •



الأب انستاس الكرملي

الحقيقة العلمية أولا

ولم يفت الدكتور محمد شرف أن يحدد لنا الاسلوب الذى جرى عليه العمل فى المصطلح العلمى من حيث ترتيب الاسماء أو الالفاظ الدالة عليه فيقول : وبما أن الاغريقية واللاتينية هما أساس الالفاظ العلمية المشتركة بين كل أقطار العالم المتمدن ، وجرت العادة بتسمية الذوات الطبيعية بأسماء مأخوذة منها ، وحتمرا على جميع المعاهد العلمية الاخذ بهـا استحسانا ، أن نذكر أولا الاسم الفرنجى المعرب ، ثم نشرحه بأسمائه

العربية المعروفة ·
وأسماء الاجناس لا توجد غالبا في العربية الاصيلة ، واذا وردت في تآليف قدماء العرب تكون في الغالب معربة عن الفارسية او اليونانية ·

ومن النباتات ما لم تعرفه العرب قديما ابدا فتؤخذ اسماؤها من اللغات الفرنجية ولم نحسب حسابا ان ينتفع بهذا المعجم وليست له دراية بلسان فرنجي ·
وهكذا يمضي الدكتور محمد شرف في اثارة المشكلات اللغوية واحدة بعد الاخرى ، وهي مشكلات لا تزال قائمة حتى اليوم ، ويواجه بها الذين يقومون بعمل المعاجم اللغوية ·

والامر الذي نريد أن نؤكده في هذا المقام هو أن الدكتور محمد شرف كان يحرص فيمعجمه هذا على امرين :

الاول منهما : ان الحقيقة العلمية اولى بالرعاية من القيمة اللغوية ، وانه لا يمكن التضحية بالاولى في سبيل الثانية مهما يكن الامر ·
الثاني : ان المصطلحات العلمية يجب أن تذكر في لغتها الدولية اولا ، تلك اللغة التي ارتضاها العلماء · وانه لا يمكن اهدار اللغة القومية للمصطلح في سبيل الحرص على الفاظ اللغة القومية ، حتى ولو كانت هذه اللغة لغة ميتة ·

من اخلاق العلماء

وللدكتور محمد شرف الى جانب هذا المعجم كتب لغوية اخرى · كتب في من النقود اللغوية · فله كتاب اسمه « اسماء الحيوان » يرد فيه على الدكتور امين المعلوف وينقد فيه ما جاء في معجم الحيوان ، وملحقه · وله كتاب آخر اسمه « مصطلحات النبات » ينقد فيه معجم الدكتور احمد عيسى الخاص بالنبات · وله كتاب ثالث اسمه « المصطلحات العلمية والطبية ونقد معجم شرف » يرد فيه على النقد الذى وجهه الى معجمه العلامة اللغوى الاب انستاس الكرملي ·

وهذه الكتب الثلاثة تكشف عن صفات هامة من الصفات التي يتحلى بها العلماء تكشف اولا عن رصيد هائل من المعرفة كونته قراءة كتب عديدة في لغات مختلفة قرأها بوعى وتفهم ·

والملاحظة الجديرة بالاعتبار في هذا المقام أن من هذه الكتب عددا لا بأس به يعتبر من الغريب النادر الذى لا يقع عليه العلماء المتخصصون في سهولة ويسر ·
وتكشف ثانيا عن لقاء مع الصيادين والرحالة والاخذ عنهم مباشرة · ونراه يقول في بعض المواضع من كتبه : انى اخذت بعض اسماء الصقور من المغفور له الامير كمال الدين حسين ، ومن المرحوم الطحاوى بك ، وعالجت هذا العربي الصقار من مرضه اعواما ، وطالما الح في دعوتي مرارا لصيد الغزال بالصقر معه في صحراء الشرقية ، ولكن كثرة اعمالي لم تسمح لي باجابة دعوته ·

واذكر ايضا انى اخذت بعض اسماء الطيور من حسين سويلم البدوى الصياد المعروف من قبيلة العبايده ـ وقد صاد في الشام ·

وتكشف ثالثا عن تحليه باخلاق العلماء تلك الاخلاق التي تجعل هدف



العالم الكشف عن الحقيقة وتحريها ، والرجوع احيانا عما اهتدى اليه من قبل اذا تبه الى خطأ وقع فيه ٠

ولعل الفقرة التالية التى تختم بها هذا المقال تكشف لنا عن الكثير من اخلاق العلماء :

« ولم يكن معجمي هذا قرانا خلا من التصحيف والاغلاط فلم يؤذن باصلاحه صيانة له عن كل مس ٠ ورجوت في مقدمته ممن يقف على سهو او خطأ فيه ان ينبهني اليه لاصلاحه ٠ وعند اخراج الطبعة الثانية حاولت اصلاح ما اكون قد قصرت في ضبطه او اخطات فيه من الالفاظ العربية أو الافرنجية ، ولم آل جهدا في التثبت والتحقيق بالرجوع الى مراجع الطبعة الاولى ، والى ما استجد عندى منذ نشرها ٠

« وفى اثناء مراجعة تجارب الطبعة الثانية ارسل الى حضرة سمو الامير يوسف كمال بعضا من النسخ المكررة من انفس الكتب التى عنى بجمعها لتاليف كتابه الجغرافى الشهير فكان من بينها تقويم سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٢٨ عن جنوب أفريقية ومشرقها وقد قرأتها بامعان لاننا قررنا السفر سويا الى أواسط افريقية ٠

« ذكر هذا التقويم كلب السمع ص ٨٥٩ ، ٨٦٠ كما يرى من الصورة المنقولة عنه بالطريقة الزنكوغرافية ٠ ولما رأيت هذا الرسم مخالفا للرسم الذى اقتبسته عن رويل ، وأن كتاب الافرنج يفرنجون الاعلام العربية الى لغاتهم باستهتار شديد ، رجعت ثانيا الى كتاب رويل فوجدته يقول « سمر أو سمير »

« وبينما كنت أبحث فى معجم لين فى مادة سمع لاستخراج المشتقات المتعلقة بالسمع وهى كثيرة فى الطب وجدته يقول : السمع والانثى السمعة ٠ ذكر ذلك عن الصحاح ، والمصباح، والقاموس ، والمغرب ٠

« رجعت الى كتاب الدميرى فوجدته يقول : السمع ولد الذئب من الضبع ، وهو سبع مركب فيه شدة الضبع وقوتها وجراءة الذئب وخفته ٠

« كما رجعت الى كتاب الجاحظ فوجدته اجاد فى وصفه وصفا دقيقا٠ ينفى كل لبس ، فتأكدت ان صواب اللفظ السمع ، وأن السمر أما أن يكون لغة محلية فى شرق السودان سمعها رويل فاثبتها ، وإما أن يكون لغة من يقلب العين راء ، أو رسما مفرنجا ٠

« وقدمت السمع الذى ورد فى المعاجم والدواوين العربية وأرجعته الى الجاحظ أحسن من عرف هذا الاسم ٠ لذلك جاء فى طبعتى الثانية السمع كلب صيد تسميه العرب سمراً » ٠

***

وللدكتور محمد شرف كتب اخرى غير لغوية ٠ كتب للمدارس الثانوية وكتب فى طب الاطفال ، وتاريخ الطب فى مصر وعند العرب لم نتعرض لها لانها خارجة عن نطاق هذا المقال



عانق النجم وابتسم
بينها عاشق القمم

فمها العذب فرحة
تتهادى متى ابتسم

تلمس الافق كفها
والثرى يلثم القدم

ترمق البدر في الدجى
وترى الدر في الخضم

كلل النجم راسها
وبدت منه وسط يم

نقط النور في الفضا
وعلى الارض تنتظم

نور الدين صمود

فهي في الافق تزدهي
وهي في « السين » تستحم

حلوة النور والسنا
رفرقي النور في الظلم

ايه باريس علمي
وامنحي الشعر والنغم ...

لفتى ضاع عمره
في هوى الطرس والقلم

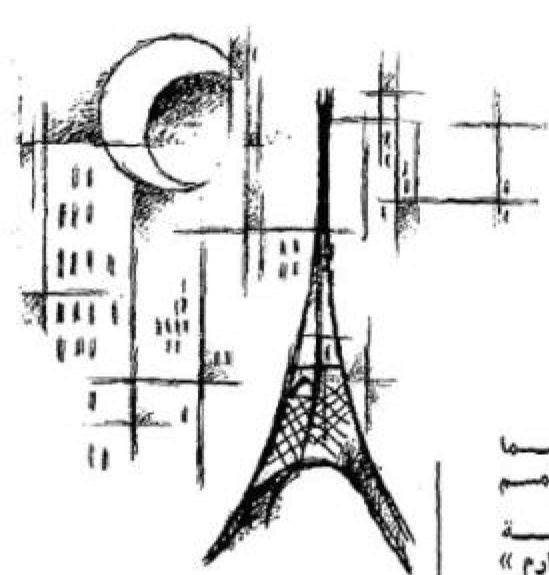
واسكبي الشعر في دمي
انه بلسم الألم

وافخري جنة الورى
بالحضارات والنظم

وتعالي على الذرى
واذكري مجدلا الأشم







أنت في الأرض كالسما
قمم فوقها قمم

وصروح عظيمة
ابن من سحرها « ارم »

الأساطير حدثت
عن أعاجيبها .. فلم ...

يبلغ الوهم بعض ما
تشهد العين من امم

ودروب ترى بها
صنما اثره صنم

التماثيل صففت
مثلما الشهب تنتظم



فاري الصمت ناطقا
واري الصخر يبتسم

واذا بي اخاله
مثلنا ينقل القدم

واري الغابر الذي
ضاع وانحل وانعدم ...

يتهادى كانه
راقص هزه النغم

فامسحي مقلة الدجى
بيد العاج والعنم

واجعلي بيتك السما
والبس السحب والسدم

● نور الدين صمود ●
● تونس ●

■ محمد عبد الغني حسن ■



حفلت أرض العراق ، « ومدينة السلام » في القرنين الخامس والسادس بطائفة من الاطباء الذين جمعوا بين الطب والادب ، وغلب في ادبهم الشعر الجميل يقولونه في شتى المناسبات والاغراض ، ولا يقصرون شعرهم على الحكمة والفلسفة والغيبيات ، بل يتعدون ذلك المجال الى افسح المجالات التي كان ينظم فيها الشعراء من وصف ، ومدح ، وتهنئة ، وهجاء ورثاء وغزل وخمريات ...



أولهن نلقاه من هؤلاء الاطباء الادباء الشعراء الطبيب الحكيم الفيلسوف الشاعر « ابن الشبل البغدادي » الذي اشتهر في كتب الادب والتاريخ والتراجم والطبقات بقصيدته الفلسفية الرائعة التي مطلعها :

بربك ايها الفلك المدار
أقصد ذا المسير ام اضطرار ؟

وابن الشبل بغدادي المولد والنشأة ، وقد لقيه « أبو الحسن الباخرزي » صاحب « دمية القصر » وسمع منه ، وأخذ عنه ، وأشار اليه اكرم اشارة في مقدمة « الدمية » وهو يتحدث عن الادباء الذين لقيهم بمختلف الاقطار ، ثم عاد فترجم له في القسم الثالث من الكتاب ، الذي عقده لفضلاء العراق . وافتتح ترجمته له بقوله : (رأيته ببغداد سنة خمس وخمسين واربعمائة ، فوجدته وقد شد على الادب الجزل ازرار ثيابه ، وجمع اقسام الفضل ملء اهابه . وذكرته في خطبة الكتاب ، عند ذكر السادات الارباب ، وفرغت ثم مما يليق بهذا الباب ، وقد كان اعارني صدراً صالحا من فوائده ، واهدى الى قدرا كافيا من فرائدة ..)

ومن الطريف أن « ابن الشبل البغدادي » كان من شعراء المشيب الذين زينوه وحسنوه في أعين الرائين . فجعل بياض الشيب في الشعر الاسود صبحا يتنفس في غياهب الظلام .. وهو معنى سبق اليه هذا الطبيب الشاعر ، ولكنه اجاد صوغه على كل حال حيث يقول :

قالوا المشيب ، فقلت صبـ
ـح قد تنفس في غياهب
ان كان كافور الدجـا
ربّ ذر في مسك الذوائب
فالليل احسن ما يكو
ن اذا ترصع بالكواكب

ولا نعدم عند « ابن الشبل البغدادي » لمسة الغزل الرقيق فيما كان يعرض له ولقلبه من أمور العشق . وله في هذا الباب بعض المعاني الجياد . فحين مات محبوبه أراد صحبه أن يسلوه عنه بأن ثانيه في الحسن موجود ، فأجابهم : اذا كان الحب الجديد موجودا فأين لي به وقد ذهب شبابي ، وولى صباي . وهو يعبر عن هذا بقوله :

قالوا وقد مات محبوب فجعت به
وبالصبا ، وارادوا عنه سلواني :
ثانيه في الحسن موجود . فقلت لهم :
من أين لي في الهوى الثاني صبا ثاني؟!

واذا عدف الطبيب الشاعر « ابن الشبل البغدادي » الى الحكمة والمثل فانه يوردهما اجمل الموارد ، في أسلوبة

أطباء أدباء شعراء من العراق

يصيب الهدف ، ويبلغ القصد ، في غير تصنع ولا تكلف . أسمعه وهو يرسل هذا البيت الحكيم :

اذا اخلى الزمان على كـــــريم
اعار صديقه قلب العـــــدو

واسمعه وهو يدعو الى الحرص على صون النفس ، بعكس المال الذى اذا ضاع فاته يعـــوض ، واذا اتلف فانه يكتسب من جديد :

تسل عن كل شيء بالحياة ، فقـد
يهون بعد بقاء الجوهر العـــرض
يعوض الله مالا انت متلفـــــه
وماعن النفس ان اتلفتهـا عوض

واسمعه وهو يقول في القناعة :

قالوا القناعة عز ، والكفاف غنى
والذل والعار حرص النفس والطمع
صدقتم .. من رضاه سد جوعتـه
ان لم يصبه ، بماذا عنه يقتنع ؟

وعلى ما كان عند « ابن الشـــبل البغدادى » من مذاهب الفلاسفة ، فانه كان شديد الايمان بالقضاء والقدر ، وكان على يقين بأن الارزاق فينا مقدرة ، فلا يخطئنا ما هو من نصيبنا ، ولا يصيبنا من الرزق ما ليس لنا . وهذا الايمان المطمئن للنفس فيه العزاء كل العزاء لمن تحير الباءهم اسباب الارزاق . وفى هذا يقول « ابن الشبل » وهو مما انشده صاحب « الدمية » :

وحتم قسمة الارزاق فينـــــا
وان ضـــعف اليقين من القلوب
وكم من طالب رزقا بعيـــــدا
اتاه الرزق من امد قــــــريب

ولا ادرى لماذا كان يستكثر النـاس على « ابن الشبل البغدادى » هذا الشعر الجيد العالى النفس ، مع أن مستـــواه لا ينحط عن اقدار كثير من الشعراء

الكبار ؟ لقد استكثروا عليه القصيدة الرائية الفلسفية التى يخاطب بها « الفلك الدار » ، فنسبها بعض الناس الى الحكيم الشاعر الفيلسوف قبله : ابن سينا . ولكن الثقة الخبير : «ابن ابى أصيبعة» يؤكد انها لابن الشبل البغدادى ، وينكر نسبتها الى ابن سينا .

ولم يكتف المستكثرون عليه بهذا بل نسبوا مرثيته الجيدة فى رثاء اخيه « أحمد » الى ابى العلاء المعرى . ولكن اديبنا المصرى الكبير صلاح الدين خليل ابن ايبك الصفدى يؤكد فى كتابه العظيم : (الوافى بالوفيات) أنها لابن الشبل لا للمعرى . ويقول اديبنا الصفدى فى ذلك بنص عبارته : (كثير من الناس ينسب هذه القصيدة لأبى العلاء المعرى وهو معذور . لانها من نفسه .. وانما هذه لابن الشبل يرثى بها اخاه احمد)

والحق اننـــا نقصر فى حق الطبيب الشاعر الاديب « ابن الشبل البغدادى » حين يفوتنا فى هذا المقام الاستشهاد ببعض قصيدته فى الفلك الدار ، وبعض مرثيته لاخيه .. فمن الاولى قوله :

بربك ايها الفلك المــــــدار
أقصد ذا المسير ام اضطـــرار ؟
مدارك قل لنــــا فى اى شىء
ففى افهامنا منك انبهـــــار
وفيك نرى الفضاء ، وهل فضـاء
سوى هذا الفضـــاء به تدار
وعندك ترفع الارواح ام هـــل
مع الاجساد يدركها البـــوار ؟
وموج ذا المجـــرة ام فرند
على لجـــج الدروع له أوار ؟
وفيك الشمس رافعة شـــعاعا
بأجنحة قوادمها قصــــار
وطوق فى النجوم من الليـــالي
هلالك ام يد فيها ســـوار ؟

وهي طويلة مملوءة بالتساؤلات عما وراء الستار من أسرار ، وهي تذكرنا بقصيدة الشاعر ايليا أبي ماضي في المعاصرين التي عنوانها : « الطلاسم » ، وقد شهد صاحب « عيون الانباء » في طبقات الاطباء » لقصيدة ابن الشبل الحكمية هذه ، فقال فيها : (وهذه القصيدة من جيد شعره • وهي تدل على قوة اطلاع في العلوم الحكمية ، والاسرار الالهية ••)

أما مرثية ابن الشبل لاخيه أحمد ، فقيها يقول :

غاية الحزن والسرور انقضاء
ما لحي من بعد ميت بقاء
لا « لبيد » بأربد مات حزنا
وسلت عن شقيقها « الخنساء »
مثل ما في التراب يبلى الفتى فالحز
ن يبلى من بعده والبكاء

غير أن الأموات مروا ، وبقوا
غصصا لا تسيغها الأحياء
انما نحن بين ظفر وناب
من خطوب أسودهن ضراء
نتمنى ، وفي المنى قصر العمـ
ـر ، فنغدو كما نسر نساء

لقد كان ابن الشبل البغدادي شاعرا مطبوعا • واذا كان قد نهج في قصيدة (الفلك المدار) منهج الفلاسفة المتحيرين المتسائلين ، فانه في سائر أشعاره سلك مسلك الشعراء المطبوعين ، فهو يحتال على المعاني الدقيقة اللطيفة ، ويبتكر أبكارها بما لم يسبقه اليه سابق ولا يلحقه لاحق ، كقوله الذي أبدع فيه :

لا تظهرن لعاذل ، أو عاذر
حاليك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حزازة
في القلب ، مثل شماتة الاعداء

ويظهر أن هذين البيتين قد نزلا من نفس الاديب المؤرخ الصفدي أكرم منزل ، وأطيب موقع فرواهما أول ما روى في ترجمته لابن الشبل البغدادي في (الوافي بالوفيات) ، ثم أتى بعدهما بطائفة من أشعاره ، ومنها رائيته « الفلك المدار » ، ومرثيته الشقيق • كما أن صاحب (النجوم الزاهرة) رواهما أول ما روى من شعره في ترجمته له في وفيات سنة ٤٧٣ هـ ، على حين أن صاحب (عيون الانباء في طبقات الاطباء) لم يشر اليهما على الاطلاق ، وكذلك فعل صاحب (دمية القصر) •

روح بغداد والبغاددة

وثاني الاطباء الادباء الشعراء في العراق : البديع الاسطرلابي ، وهو بغدادي أصيل • وقد جمع بين الطب والفلسفة وعلم الكلام والفلك والادب



والشعر • ويشهد له ابن خلكان صاحب « وفيات الاعيان » بانه كان وحيد زمانه في عمل الآلات الفلكية ، متقنا لهذه الصناعة ، وحصل له من جهة عملها مال جزيل في خلافة « المسترشد » العباسي • كما يشهد له بانه لما مات لم يخلفه في عمل الاسطرلاب والالات الفلكية مثله • ويشهد له ياقوت الحموي في « معجم الادباء » بانه كان اديبا فاضلا شاعرا بارعا ، حكيما عارفا بالطب والرياضة والهيئة والنجوم والرصد ، والزيج ، متقنا علم الالات الفلكية ، ولاسيما الاسطرلاب ، فنسب اليه •

وتجمع كتب الطبقات والتراجم والتاريخ على فضل « البديع الاسطرلابي » ، وعلمه ، وتعدد نواحي ثقافته ، كما تجمع على الثناء عليه والاشادة بذكره • كما نجده عند « الخطيري » في كتابه (زينة الدهور) ، وعند العماد الاصفهاني في « الخريدة » •

ومن عجائب المقدور ان هذا الطبيب الشاعر العالم الفاضل قد ظلم في شعره فلم يصل الينا من اشعاره الكثيرة الا ترجمته لابن الشبل البغدادي في نتف قليلة تقع في البيتين او الثلاثة ، على الرغم من ان له ديوان شعر دونه وجمعه بنفسه ، فضاع ديوانه فيما ضاع من تراثنا العظيم •

ونلاحظ على شعر البديع الاسطرلابي ابتكار المعاني واللطف في استخراجها ، والدقة في التعبير عنها • فلا تجد هبوطا في عبارته ، ولا ابتذالا في معانيه •• كما انه يمتاز في اسلوبه بالتأنق في اختيار الالفاظ البغدادية المحلية التي لا تستعمل في قطر عربي آخر • فهو اذا عبر لجأ الى الفاظ « البغاددة » وعباراتهم فاستعملها في شعره • ومن هنا كانت روح بغداد واضحة في شعره •• ويذكرون له في هذا المجال قوله في الغزل على طريقتهم يومئذ :

اذاقني حمرة الثنايا
لما اكلني خضرة العذار

وقد تبدى السواد فيه
وكارتي بعد في العيار

فعبارة : (كارتي بعد في العيار) هي بغدادية محض ، وهي ـ كما يقول ابن خلكان صاحب وفيات الاعيان : (من اصطلاح البغاددة ، فانهم يقولون : وكارتي بعد في العيار • بمعنى انه ناشب معه لم يتخلص منه • و « الكارة » عندهم في الدقيق ، بمثابة « الحملة » في ديار مصر ••)

واذا كان اهل بغداد ـ نضر الله وجهها يعبرون عن « الحملة » بالكارة فان اهل العراق ـ عامة ـ في عصر الاسطرلابي كانوا يعبرون عن « الثلج » بكلمة « الوفر » • فالوفر هو الثلج بلغة اهل العراق • وهنا نجد طبيبنا وشاعرنا وفلكينا « البديع الاسطرلابي » يستعمل لفظة « الوفر » حين نزل ببغداد في عصره ثلج كثير ، فقال موجها كلامه الى « صدور الزمان » ورؤساء الاوان في العراق :



يا صدور الزمان ليس بوفر
ما رأيناه في نواحي العراق
انما عم ظلمكم سائر الار
ض ، فشابت ذوائب الآفاق !

فبياض الثلوج هنا ليس بياض الثلج المعروف بأسبابه الطبيعية ، ولكنه بياض الشيب في ذوائب الآفاق من كثرة ظلم الصدور والرؤساء . وهذا التعليل البديعي في هذين البيتين هو من النكت البديعية المعروفة في علم البديع وليست بغريبة على شاعرنا وطبيبنا « البديع » .

واذا كان ذانك البيتان يحملان نكتة بديعية ، فانهما – من ناحية أخرى – يعبران عن احساس شاعر عراقي بما كان يعانيه العراق من ظلم اجتماعي في تلك الزمان .. واذا كان الطبيب الشاعر « البديع الاسطرلابي » يتظرف

بعض الحين ، و « يتبغدد » باستعماله الفاظا بغدادية محلية في شعره ، فانه – بعض الحين – كان يتظرف أيضا باستعمال الفاظ اعجمية في شعره ، كقوله في الغزل :

قال قوم : عشقته امرد الخد
وقد قيل انه « تكريش »
قلت : فرخ الطاووس احسن ما كا
ن اذا ما علا عليه الريش !

فكلمة (تكريش) لفظة اعجمية ، ومعناها – كما يقول ابن خلكان – لحية جيدة .

ويبدو أن تظرف الطبيب الشاعر « البديع الاسطرلابي » قد بلغ عند بعض مؤرخي الادب حد (الخلاعة) و (المجون) . فهذا صاحب « وفيات الاعيان » يقول عنه : (كان كثير الخلاعة يستعمل المجون في اشعاره ، حتى يفضي

به الى الفحش في اللفظ) ويظهر أن مجون « البديع الاسطرلابي » لم يبد فقط في شعره هو ، بل بدا في اختياراته من شعر الشاعر الماجن (ابن حجاج) من شعراء « اليتيمة » المشهورين .

ومن المعاني الجيدة المبتكرة « للبديع الاسطرلابي » قوله وقد أهدى هدية الى أحد الرؤساء :

أهدى لمجلسك الشريف ، وانما
أهدى له ما حزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب ، وماله
فضل عليه لانه من مائه

ولا يفوتنا هنا في معرض الحديث السريع عن الطبيب الشاعر « البديع الاسطرلابي » أن نصحح بعض الاوهام ،

التي وردت في اكثر من مقام . فقد وردت كلمة (الاصطرلابي) في عيون الابناء « لابن أبي اصيبعة ، بالصاد

المهملة وبعدها طاء ، وكررها المؤلف – أو الناسخ – اكثر من مرة على هذا النحو . ولكنها في (مرآة الزمان) وفي

(معجم الادباء) لياقوت ، وفي (وفيات الاعيان) وردت بالسين والطاء ، وهو الهجاء الاكثر دورانا في الكتب والمصادر القديمة .

وينطق كثير من الناس لفظة (الاسطرلاب) بكسر الطاء . وقد سمعت باذني الشاعر اللبناني الكبير شبلي الملاط ينطقها هكذا في قصيدته البائية التي قالها في حفل تكريم الشاعر أحمد شوقي ومطلعها :

رنت على مطامحي وشبابي
ذكرى الصبا ، وملاعب الاحباب

والصواب – على ما ذكره أهل التحقيق – أنها بضم الطاء لا بكسرها ، وأن الهمزة في أول الكلمة مفتوحة لا مكسورة كما هو الشائع ..

وهناك وهم ثالث لابد من تصحيحه في هذا المعرض ، فقد جاء في طبعة (معجم الادباء) لياقوت ، بتحقيق

الدكتور أحمد فريد رفاعي ونشره ، جـ ١٩ ص ٢٧٤ أن البديع (مات ببغداد بعلة الفالج سنة اربع وثلاثين ومائة) وهو خطأ واضح كما ترى ، وصوابه

(سنة اربع وثلاثين وخمسمائة) ، وضبطها بالارقام ٥٣٤ هـ ٠

ناثرا اجود منه شاعرا

ويجيء معاصرا «للبديع الاسطرلابي» طبيب بغدادي اشتهر بالادب والشعر والخط الجميل ٠ وهو هبة الله بن صاعد البغدادي المعروف : « بابن التلميذ » ٠ ويصفه ياقوت الحموي في معجمه بانه (كان واحد عصره في صناعة الطب ، متفننا في علوم كثيرة ، حكيما اديبا ، شاعرا مجيدا ، وكان عارفا بالفارسية واليونانية والسريانية، متضلعا بالعربية ·· وله النظم الرائق ، والنثر الفائق ، ونثره اجود من شعره) ٠ اما صاحب « عيون الانباء » فيصفه بقوله : (اوحد زمانه في صناعة الطب ، وفي مباشرة اعمالها ·· ويدل على ذلك ماهو مشهور من تصانيفه وحواشيه على الكتب الطبية، وكثرة من رايناه ممن قد شاهده ·· وكان جيد الكتابة ، يكتب خطا منسوبا ، وقد رايت كثيرا من خطه ، وهو في نهاية الحسن والصحة ٠ وكان خبيرا باللسان السرياني والفارسي ، متبحرا في اللغة العربية ٠وله شعر مستظرف حسن المعاني : الا ان اكثر مايوجد له البيتان او الثلاثة ٠ واما القصائد فلم اجد له منها الا القليل ، وكان ايضا يترسل ، وله ترسل كثير جيد ··)

والحق انه ما مدح رئيس مقدم عالم من النصارى بمثل ما مدح به « ابن التلميذ » الطبيب الشاعر ٠ فقد كان جوادا سباقا الى المكارم ، هماما ذا نجدة ومروءة، وقورا ، وصولا للاخلاء، فمن قول احد الاشراف النقباء في مدحه :

امين الدولة اسـلم للايادي
على رغم المناويء والمعـادي
وللمعـروف تنشره اذا ما
طواه تناوب النوب الشداد
فانت المـرء تلفى حين تدعى
جوادا بالطريف وبالتـلاد

كما مدحه الشريف ابو يعلى محمد بن الهبارية بقصيدة محكمة النسج يقول فيها :

يابني التلميـذ ! لو والفيتكم
لم تكن نفسي باهلي شـغفه
وتسـليت بكم عن صبيتي
وغدا وسطي ثقيل النصـفه
انمـا طالت (كرمان) بكم
انكـم لي عوض ما اشرفه !

كما مدحه ابو اسـماعيل الطغرائي حين جاءه مستشفيا من الم في ظهره بقوله :

يا سـيدي والذي مودته
عندي روح يحيا بها الجسـد
من الم الظهر اسـتغيث وهل
بالم ظهر اليك يسـتند ؟

والحق انه كان في مجمل سيرته عماد الظهر وسناده للمعوزين واللاجئين ··

ولقد كان « ابن التلميذ » يكثر من المقطعات الشعرية القصـيرة التي لا تزيد على ثلاثة ابيات ٠ ولعل قصر النفس في القصيدة الواحدة قد متخطول التفنن في الكثير من المقطعات ٠ فله في كل مناسبة دائرة مقطوعة او اكثر ٠ وما ترك غرضا من اغراض الشعر الا نظم فيه على البيتين والثلاثة فتغزل وقال في الخمر ، والتهنئة والرثاء كما نظم في الحكمة والفلسفة ٠ ولكن يلفت نظرنا كثرة شـعره الذي يقوله في جواب الرسائل او في صدور الكتب ، فهو في هذا الميدان فارس لا يلحق ٠

فمن صدور رسائله الشعرية ماكتبه الى الوزير « سعد الملك نصير الدين »:

أطبـاء
أدبـاء
شـعراء
من العراق



لا زال جدك بالاقبال موصولا
وجد شانئك بالاذلال مغلولا
ولا عدمت من الرحمن موهبة
تعيد ربعك بالعافين مأهولا
لتفعم منطلق الكفين انت اذا
اضحى اللئيم عن المعروف مغلولا

ومنها أجاب على رسالة « لجمال الملك على بن أفلح » :

واني وحبسك مذ بنت عنـ
ـك قلبي حزين ، وتمعي هتون
واخلف ظني صبر معين
وشاهد شكواى دمع معين
فلله أيامنا الخاليا
ت لو رد سالف دهر حنين !

على أن طبيبنا الشاعر المترسل « ابن التلميذ » قد شغل نفسه في مقطعاته الشعرية بالالغاز . فهو يلغز في « السحاب » قائلا :

وهاجم ليس له من عدوى
مستبدل بكل مثوى مثوى
بكاؤه وضحكه في معنى
اذا بكى اضحك أهل الدنيا (١)

وهو يلغز في « الظل » قائلا :

وشيء من الأجسام غير مجسم
له حركات تارة وسكون
يتم اواني كونه وفساده
وفي وقت محياه المحاق يكون
اذا بانت الانوار بان لناظر
واما اذا بانت فليس يبين

وهو يلغز في « الميزان » فيقول :

ما واحد مختلف الأهواء
يعدل في الارض وفي السماء ؟
يحكم بالقسط بلا رياء
أعمى يرى الرشاد كل رائي
اخرس لا من علة وداء
يغني عن التصريح بالايماء
يجيب أن ناداه ذو امتراء
بالرفع والخفض عد النداء

ولم يشتهر الطبيب الشاعر الناثر « ابن التلميذ » بعمل الالغاز الشعرية وحدها ، ولكنه اشتهر فوق هذا بنظم الشعر الذى يكتب أو يطرز أو ينقش أو يسطر على الأشياء والآلات كالسيوف ، والحصير والمبخرة ، ومغسل الشرب ، والأبواب والدور وغيرها . فمن نظمه الذى صنعه ليكتب على حصير :

افرشت خدى للضيوف ولم يزل
خلقي التواضع للبيب الأكيس
فتواضعي اعلى مكاني بينهم
طورا ، فصرت احل صدر المجلس

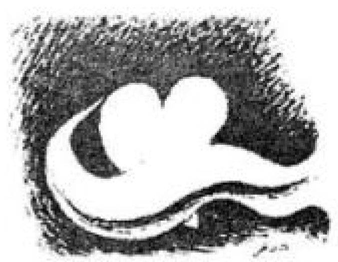
ومن نظمه الذى صنعه ليكتب على مدخنة البخور :

اذا الهجر اضرم نار الهوى
فقلبي يضرم للهجر نارا
أبوح بأسرارى المضمرات
فتبدو سرارا وتبدو جهارا
اذا ما طوى خبرى صاحب
ابى طيب عرفى الا انتشارا

ونلاحظ على الشعر المتناثر الذى نظمه « ابن التلميذ » هنا وهناك أنه كان مولعا بتأييد القضية التى يعالجها بالمثال المادى أو الصورة الحسية . نوع من البديع نسميه « التأكيد با

---

(١) يعنى ان السحاب اذا بكى بدموع المطر ، أضحك أهل الارض بـ وازدهار الثمر .



ويعتمد أكثر ما يعتمد على التشبيه الحسي ، كقوله في « العلم » :

العلم للرجل اللبيب زيادة
ونقيصة للأحمق الطياش
مثل النهار يزيد أبصار الورى
نورا ، ويعشي أعين الخفاش

وقوله في « التواضع » للرفيع ، والتسامي الوضيع :

تواضع كالبدر استنار النظر
على صفحات الماء وهو رفيع
ومن دونه يسمو الى المجد صاعدا
سمو دخان النار وهو وضيع

فالقضية لم تكتمل وتتوكد الا بالمثال المحسوس ، وهو سمو الدخان مع ضعته وصغر شأنه وهوانه ، وتواضع البدر على صفحة الماء مع رفعته وجلال قدره

وكقوله في النهي عن احتقار الصغير، فقد يكون منه الامر الخطير :

لا تحقرن عدوا لان جانبه
ولو يكون قليل البطش والجلد
فللذبابة في الجرح المد (١) يد
تنال ما قصرت عنه يد الاسد

وكقوله في رؤية عيوب « الغير » وعدم رؤية عيوب النفس :

وأرى عيوب العالمين ، ولا أرى
عيبا لنفسي وهو مني أقرب
كالطرف (٢) يستجلي الوجوه، ووجهه
منه قريب ، وهو عنه مغيب

وقد جمع الطبيب الشاعر المترسل « ابن التلميذ البغدادي » الى خلال الخير التي كانت فيه صفة البراعة في معاملة الناس ، والكياسة في التعامل مع الاصدقاء والرؤساء · فقد ذكروا أن أبا القاسم بن الفضل قد عتب على أمين الدولة ابن التلميذ عتبا مريبا ، فأجابه أمين الدولة بأن خلع عليه قميصا مصمتا أسود ، وكتب اليه مع الخلعة .

أحبك في السوداء تسحب ذيلها
خطيبا ، ولكن لا يذكر مثالبي

كما اشتهر طبيبنا الشاعر « أمين الدولة ابن التلميذ » بأدبه الفائق في الشكوى ، فهو في هذا الباب يلمح ولا يصرح · فلقد حدثنا « ياقوت الحموي » في معجمه أن « دار القوارير » ببغداد كانت من اقطاعات ابن التلميذ ، فلما ولي الوزارة يحيى بن هبيرة حل اقطاع هذه الدار ، وأخذها من طبيبنا الشاعر· فحضر ابن التلميذ يوما عند الخليفة العباسي « المقتفي » على عادته · فلما أراد الانصراف عجز عن القيام ، وكان قد أصابه الضعف من الكبر فقال له الخليفة المقتفي : كبرت يا حكيم ·· قال : نعم ! كبرت يا مولاي وتكسرت قواريري ·· (وهذا مثل يتماجن به أهل بغداد في أحاديثهم) ·

فقال الخليفة : رجل عمر في خدمتنا وماتماجن قط بحضرتنا·· فلهذا التماجن سر ! ·· ثم فكر ساعة وسأل عن دار القوارير فقيل له : قد حل الوزير ابن هبيرة اقطاعها وأخذها من ابن التلميذ·

فأنكر « المقتفي » على وزيره أخذ دار طبيبنا الشاعر الاديب انكارا شديدا ، وردها على ابن التلميذ ثانية ، وزاده اقطاعا آخر ·

(١) أمد الجرح : أي صارت فيه المدة (بكسر الميم) · وهي المادة التي تفرزها الجروح والقروح ·

(٢) الطرف : اللحظ والعين ·

طبيب شاعر خبيث اللسان

ونخرج من طوافنا القصير مع الطبيب الشاعر ابن التلميذ ، الى طبيب شاعر اخر ، ولكنه اشتهر فى ميدان الهجاء ، فاوفى فيه على الغاية ، حتى لم يكد يسلم من لسانه أحد .. وهو الطبيب « ابو القاسم » هبة الله بن الفضل » . وكانت بغداد عاصمة العباسيين له دار مولد ونشاة . وكانيعانى صناعة الطب ويباشر اعمالها فى منتصف القـــرن السادس الهجرى . وله ديوان شعر ، كما كان للبديع الاسطرلابى ديوان شعر، ولكننا لا نعلم شيئا عن مصـــير هذين الديوانين .

واذا كان العصر الاموى قـــد منى بمهاجاة شديدة بين الشاعرين : جرير والفرزدق ، فان النصف الاول من القرن السادس من العصر العبـــاسى قد منى بالمهاترةوالشنآن بينالشاعرين : الطبيب ابى القاسم هبة الله بن الفضل ،والامير أبى الفوارس سعد بن محمد الصيفى المشهور فى كتب الادب والتاريخ باسم : « حيص بيص » !

وشاعرنا الطبيب هبة الله بن الفضل هو الذى أطلق لقب : « حيص بيص » على الشاعر الامير ابى الفوارس . فقد ذكروا أن العســكر ببغـــداد قد هم بالخروج الى السلطان السلجوقى وذلك فى عهد الخليفة العباسى « المقتفى لامر الله » ، فبات الناس من ذلك فى هـرج ومرج ، وحديث كثير ، وحركة زائدة . فقال الامير ابو الفوارس فى ذلك : مالى أرى الناس فى حيص بيص ؟! فأطلقها عليه طبيبنا الشاعر هبة الله بن الفضل فلصقت به ولم يستطع ان يتخلص منها فى حياته وبعد مماته ، وصار « الحيص بيص » لقبا لهذا الامير الشاعر .

ولقد خلع الطبيب الشاعر « هبة الله ابن الفضل » ثياب الوقار ، وطرح ازار الجد ، ولبس رداء المجانة والخـــلاعة والمعابثة ، والنكتة المكشوفة ، والمهاجاة الفحشة ، فلم يسلم من لسانه صغير ولا كبير ، ولا سوقة ولا أميـــر ، حتى الطبيب الشاعر «أمين الدولة ابن التلميذ» الذى سبق الحديث عنه لم يسلم من خبث لسانه ولذع هجائه ، حيث قال فيه :

هذا تواضعك المشهور عن ضـعة
قد صرت فيه بفضل اللـــؤم تتهم
قعدت عن أمل الراجى ، وقمت له
هذا وثوب على القصاد ، لا لهم

وما أقذع الطبيب الشاعر « هبة الله ابن الفضل » وهو يهجو الجالس على سرير الحكم :

يا معشر الناس ! النفير النفيـــر
قد جلس الهـــربذ فوق السرير
وصار فينا امرا ناهيـــــــــا
وكنت ارجو انه لا يصــــــير
فكلمـــــا قلت : فذى ينجلى
وظلمة عما قليل تنـــــــير
فتحت عينى فاذا الدولة الــــدو
لة والشــــيخ الوزير الوزير

وما اشد خبث لسان هـــذا الطبيب الشاعر وهو يهجو (ابن المرخم) حين صار اليه القضاء والحكم فى اداة الحكم العباسى :

يا ابن المرخم صرت فينا حـــاكما
خرف الزمان تراه أم جن الفلك ؟
ان كنت تحكم بالنجوم فربـــــما
اما شريعة « أحمد » من أين لك ؟

ويبدو أن ابن المرخم هذا هو بعينه (ابن المرجم) الذى ورد اســـمه فى (مراة الزمان) لسبط بن الجوزى هكذا بالجيم لا بالخـــاء ، والذى كتب فيه شاعرنا الطبيب « هبة الله بن الفضل » رقاعا والصقها فى المساجد والجوامع والشوارع يقول فيها :

يا حـــــزينة الطمى الطمى !
قد ولى ابن المجــــــرم ..
وى على الشرع والقضـــــا



أطباء أدباء شعراء من العراق

وعلى كل مســـــــلم

وما اصـــدق حكم ابن خلكان على الطبيب الشاعر ، هبة الله بن الفضل ، وهو يقـــول عنه : (وكان غاية فى الخلاعة والمجون ، كثير المـــزاح والمداعبات ، مغرى بالولوع بالمتعجرفين والهجاء لهم. وله فى ذلك نوادر ووقائع وحكايات ظريفة) اما ابو سعد السمعانى فقد كتب عنه فى كتابه « الذيل » قائلا : (شاعر مجود مليح الشعر ، رقيـــق الطبع ، الا ان الغالب عليه الهجاء ، وهو ممن يتقى لسانه) أما العماد الاصفهانى فقد ذكره فى الخريدة قائلا : (وله شعر كثير لم يدون ، والغالب عليـــه الهجاء والمجون . وما خلا من ذلك لا يكون له طلاوة . هجا الاكابر ، ولم يغادر احدا من أهل زمانه) ـ خريدة القصر ، قسم العراق جـ ٢ ص ٢٧٠

احب عنترة فاشتهر بالعنترى

بقى من هذه الحفنـــة الكريمة من الشعراء الاطباء الادباء فى العـــراق فى القرن السادس الهجرى طبيب شاعر اشتهر بالطب كما اشتهر بالشعر ، وهو «ابو المؤيد محمد بن المجلى بن الصائغ» المعروف « بالعنترى » . وذكروا فى سبب هذه النسبة انه كان فى اول امره يكتب اخبار عنترة العبسى واشـــعاره وقصص بطولاته ، فصـــار مشهورا بنسبته اليه ، وصار معروفا فى كتب الطبقات بالعنترى ، لا ينصرف هـــذا النعت الى غيره. ولقد اشتهر «العنترى» بالنثر كما اشتهر بالشعر ، ولكنهما لم يطغيا على شهرته طبيبا مذكورا حسن المعالجة . ولقد وصفه ابن ابى أصيبعة بانه كان (جيد التعبير ، وافر الفضل ، فيلسوفا متميزا فى علم الادب ، وله شعر كثير فى الحكمة وغيرها)

وللطبيب الاديب الشاعر العنتـــرى لفتات ذكية فى الفلسفة والحكمة واكتناه أسرار الحياة . فمن شـــعره النفس الفلسفى قوله :

نفسى تطالبنى بما فى طبعهـــا
والعقل يزجرها عن الشـــهوات
والنفس تعلم ان ذلك واجـــب
والطبع يجذبها الى العـــادات
والطبع يقصر عن مراد كليهمـــا
فكلاهمـــا وقف على الحسرات
والنفس منخمر الحيـــاة وسكرها
ستفيق بين عســـاكر الاموات

وقوله :

لو كنت تعلم كل ما علم الـــورى
جمعا لكنت صديق كل العـــالم
لكن جهلت فصرت تحســـب كل من
يهوى خلاف هواك ليس بعـــالم
استحى ان العقل اصبح ضـــاحكا
مما تقول ، وانت مثل النـــائم
لو كنت تسمع ما سمعت ، وعالما
ما قد علمت خجلت خجـــلة نادم
وضع الاله الخلف فى كل الـــورى
بالطبع حتى صـــار ضربة لازم

وحين يسبح طبيبنا الشاعر «العنترى» سبحاته فى آفاق الفكر الرفيع ، فلا« لا يلبث أن يهبط معنـــا بعض الحين ببشريته الى الارض ليصف لنا ثمار النارنج ، والرمان الحامض ، وليصور لنا غلمانا يسبحون فى نهر دجلة وكأنهم وسط لج الماء « در تجرد فى بحر من الصدف » ، وليهجو الشاعر « على بن مسهر » افحش هجاء ، وليخوض معنا فى معارك الناس من اجل البقاء ، وهو تنقل بين الارض والسماء ، وبين الثرى والثريا ، ليرينا باجلى بيان أن فى الانســـــــان وفى فطرته المتقلبة شيئا من الملك وشيئا من الشـــــيطان .. ■

ماذا ارد على اكتئابك　　ان كان مابي فوق مابك
الله يشهد ما جزعت　　لغربة مثل اغترابك
حسبي من العبرات ما　　اهرقتها لك في غيابك
يا ساعة امضيتها　　بين التياعي واضطرابك
لم ادر ما ابكي بها　　اعلى مصابي ام مصابك ؟
اتراك هالتك النوى　　فكشفت عن هول ارتعابك
عبثا احاول ان اعيد　　اليك شيئا من صوابك
كيف التفت بسمت لي　　عن هش وخز من عتابك
حتى لغلت الدمع في　　عينيك لونا من عقابك

***

(آمال) هل انا لو علمت سوى المتيم من صحابك
واعيذ قلبي ان يكابر　　في النزول على طلابك
اذا بكيت بغير دمع　　كنت مدعاة ارتيابك ؟
ولم الدموع ولوعتي　　اضعاف دمعك وانتحابك
يا ما وقفت مولها　　طول النهار امام بابك
على اغازل ان خطرت　　رفيف شعرك او ثيابك
اعيا فاترع بالهوى　　كاسي واشرب من حبابك
ولكم اخذت عليك بخلك　　حين اطمع في رضابك
وانا الذي لو شئت　　عاقرت المنون على حسابك
وجعلت من عيني طعامك والمفضل من شرابك
ولطالما عريت نافذتي لتنشق من ملابك
ولحت مقدمك الاغر　　وكنت في جمر ارتقابك
ارنو اليك وانت في　　طول انشغالك وانكبابك

***

(آمال) لا جاد الزمان　　بصحبة بعد اصطحابك
مثلت لي طهر العذارى　　في شذاك وفي اهابك
ما كان اسعدني بقربك　　اجتدي عطف اقترابك
كم مجلس عطرت ، روعه　　المفاجيء من ذهابك
ان كان من امل يرد　　له السرور ففي ايابك
(آمال) يا حلمي ولم　　اكذب عليك ولم احابك
ما كان غير دعاك لي　　بالصبر خفف من عذابك
قبلت صوتك في دعاك　　وحلو ثغرك في خطابك
وشممت مسكي الهوى　　في كل حرف من كتابك
ما همني عمري اذا　　ولي وكان فدى شبابك
ففي دموع رسالتي　　وتبسمي لي في جوابك

● حافظ جميل ●　　● بغداد ●

حسن كامل الصيرفي



أحمد زكي أبو شادي

في بيت من بيوتات القاهرة الكريمة لرجل اجتمعت له الزعامة في نواح شتى : خطيب مصقع يهز المنابر صوته الجهير ويستولي على الألباب ويلهب الأكف تصفيقا له واعجابا ، ومحام ضليع جاب صيته آفاق البلاد - بحريها وقبليها - تشرئب الاعناق وتنصت الآذان لتستمع الى براهينه وحججه في حرمات العدالة ، متعلقة بما يقول ارواح لوه خافقة قلوبهم ، ليرد عليهم حياتهم لئلا ان ترهقها حبال المشانق او تبتلعها اعماق السجون .

ثم هو اديب متمكن من لغته التي تلقى علومها في الأزهر . وشاعر نسج على منوال عصره برود النظم ، وصحاز

طبيب وشاعر متعدد المواهب

انشأ جريدة تتلاقى على صفحاتها الاقلام مشرقة . وصـاحب ندوة ادبية يجتمع فيها صفوة رجال الفكر في ذلك العصر .

ثم هو بعد ذلك كله سياسي وطني مناضل بقلمه ولسانه ، شارك فيما بعد حركات القومية الوطنية منـــاصرا «مصطفى كامل» ومحمد فريد ثم سعد زغلول» . وانتهت اليه نقابة المحاماة .

وفي احد شـوارع هذا الحي الذي شهد وقفة « احمد عرابي » ورفاقه من الضباط المصريين امام الحاكم الذي يتسنم عرش بلد لا تجري في عروقه قطرة من دم ابنائه ـ « حي عابدين » ، كان يقوم هذا البيت الذي سكنه هذا الرجل الخطيب ، المحامي ، الشاعر ، الصحفي، صـاحب الندوة الادبية « محمد ابو شادي » مع زوجته الشاعرة « أمينة نجيب » ، اخت الشاعر الناثر « مصطفى نجيب » ، رفيق مصطفى كامل في جهاده وعمة الفنان « سليمان نجيب » .
من هذا البيت الهادىء الهانىء ، في هذا الحي الذي دوى فيه صوت « عرابي » مطالبا بحق ابناء وطنه في حياة حرة كريمة ، انطلق ـ بعد سنوات عشر ـ صوت ضعيف في ليلة من ليالي الشتاء القارس يخرج من عالم الأجنة لينشد حقه في حياة حرة كريمة ...

كانت هذه ليلة اليوم التاسع من شهر فبراير عام ١٨٩٢ . وتهلل وجه هذا الرجل الذي جاوز الخمسين بعامين وهو يستقبل وليدا ذكرا انعم الله به عليه ، بعد أن رزق من زوجتين سابقتين بابنتين .
وكأن هذا الرجل ذا النظرة الثاقبة والفكر اللماح قد استشف من ملامح هذا الوليد ما سوف تكشف عنه السنون من مواهب ونبوغ ، فأطلق عليه اسم « احمد زكي » .

على ضوء المشاعل الفكرية

وبدأ الطفل يستقبل نسمات الحياة كل يوم هينة لينة مع طفولة ناعمة باسمة هانئة . يسمع عن صيت ابيه فتمتلىء نفسه حبورا وفخرا وسعادة ، وهو لايعلم ما سوف يستقبله بعد سنوات من زوابع واعاصير ، وما خط له القدر في لوحة من نهاية ومصير .

عاش « احمد زكي ابو شادي » في كنف أبيه يرعاه وينمي مواهبه، ويتعهدها بالصقل . يخلو الى نفسه في وقت فراغه في مكتبة أبيه يعب في نهم ونشوة كل ما تحوى من ذخائر ، ثم يجلس الى جوار ابيه في كل امسية تنعقد فيهـا ندوته فيستمع الى الكوكبة من رجال السياسة والعلماء والادباء والشعراء الذين تحفل بهم هذه الندوة ، وكل منهم له مكانة وصيت ، فتعي ذاكرته معـا يقولون الكثير من الافكار ، ويستضيء ذهنه بما يرى ويسمع ، فيثب خياله الى عوالم رحاب .
وفي ظل هذه التنمية وهذا الصقل وعلى ضوء المشاعل الفكرية التي كان

يعيش عليها استطاعت مواهبه أن تتفتح مبكرة . فلم يكد يبلغ السادسة عشرة حتى نراه قد فكر فى اصـــدار مجلة قصصية هى « حدائق الظاهر » مستمدا اسمها من اسم جريدة أبيه « الظاهر » وذلك سنة ١٩٠٨ ونجد فى تصديره لها ما يكشف عن نبوغ مبكر ، وعن رغبة فى احتضان لون جديد فى الادب العربى بنفس الروح التى تجلت بعد أربع وعشرين سنة من ذلك التاريخ حين فكر فى اصدار مجلة تحتضن مواهب الشعراء هى مجلة « ابوللو » التى ظهرت سنة ١٩٣٢ .

فهو يذكر فى تصديره لمجلة « حدائق الظاهر » انه كان « مقسما بين فكرتين : الاولى : تشجيع القصص المصرى بمعناه الصحيح تصـــويرا لبيئاتنا الوطنية المختلفة كوسيلة من وســـائل التاريخ للمجتمع المصرى وتشخيص امراضـــه ووصف علاجها على نمط فنى راق كما هو المعهـــود فى القصص الغربية ، والثانية : تشجيع النقـــل عن روائع الادب القصصى فى الغرب مؤثرا النقل الامين على التمصير والاقتباس . ففى هذا القصص الاوربى كثير من المسائل الانسانية ومن الحقائق العليا لابسة ثوب القصة بدل أن تلبس ثوب المقالة أو الحكم النثرية المرسلة أو الحكم النظمية كمـــا كانت عادة العرب » ... ثم يقول : « واخيرا استقر رأيى على الجمع بين الفكرتين ، وعززنى من اختـــرتهم من اصدقائى الكتاب للقيام بهذا العمل الذى يفتقر الى كثير منه أدبنا العربى » .

ان هـــذا الاسلوب من هذا الفتى ليكشف كذلك فى وضوح عن أثر الوراثة الادبية التى تجرى فى عروقه : فابوه « محمد ابو شادى » شاعر وناثر ، وجده الشيخ « ابو شادى الدحدوح » الذى ينتهى نسبه الى الشيخ ابراهيم الدسوقى ومن ثم الى الحسين بن على رضى الله عنهما والذى توفى عام ١٨٨٠ — كان عالما اديبا ، وأمه « أمينة نجيب » شاعرة ، وخاله « مصطفى نجيب » له باع فى النثر والشعر ، كما ذكرنا .. بل امتد أثر هذه الوراثة — فيما بعد — الى ابنته « صفية ابو شادى » صاحبة الشعر المنثور الرقيق الذى ضمه ديوانها « الاغنية الخالدة » .

العمل من اجل المجموع

وفى تلك الفترة أيضا بدأت شاعريته تتفتح لتتفتح عالم الادب الى جنب موهبته النثرية بالزكى من الشذا . وكان اطلاعه قد بدأ يخرج عن حدود ما فى مكتبة ابيه من عيون الادب العربى ، الى ما تفيض به جداول الادب الغربى ، فامتدت يده الى ما ينشر فى الخارج يعب منه فى شغف موسعا دائرة ثقافته .

وتندلع فى قلبه شرارة حب تضفى على شاعريته وهجا يؤجج مشاعره ، ويلهب كلماته ، ويلون تعبيراته . ولقد كان لهذا الحب أثر كبير فى تغيير مجرى حياته على غير ما كان فى حسبانه .

كان ابوه قد طلق والدته ، وتزوج سيدة أخرى ، وأقام الفتى مع والدته فى منزل بسراى القبة غير بعيد عن منزل أبيه الذى اقام فيه مع زوجته الجديدة . وكان لهذه الزوجة شقيقة متزوجة من أحد أعيان القاهرة وهو صديق عزيز لابيه قامت بينهما الصـــداقة منذ زمن طويل . وكان هذا الصديق يقيم فى سراى له بضاحية الزيتون ، وكان ابو شادى الكبير يصحب ولده « أحمد زكى » فى زياراته لهذا الصديق الذى كان يرى فيه مكان العم ، فتعلق قلب الفتى بالابنة الكبرى لهذا الصديق ، وكان يتردد على منزل عديل ابيه يساعد الفتاة وشقيقتها الاخرى فى مراجعة دروسهما ، فوطد الحب دعائمه فى هذين القلبين الصغيرين كانت هذه الفتاة ابنة لشقيقة الزوجة

الجديدة ، ولم تكن تقيم معها ومع شاعرنا تحت سقف واحد ، كما ذكر بعض الاساتذة الشعراء والنقاد ، بل كانت تقيم فى بيت والدها بالزيتون ولم تقم مع خالتها قط · كما لم يقم شاعرنا مع زوجة ابيه بل ظل مقيماً مع أمه بعد طلاقها ينفق عليه أبوه ·

ولم يمض على تعلق هذين القلبين الصغيرين سنتان حتى تقدم احد اصدقاء ابيها خاطبا لها ، وتم زواجه بها · ولم يحتمل الفتى الطرى العود هذه الصدمة - وكان قد التحق بمدرسة الطب - وبدأت صحته تتدهور ثم تزداد سوءا ، ففكر ابوه فى ان يبعث به الى الخارج عسى ان يسلو غرامه ويشفى من مرضه خلال دراسته بعيدا عن وطنه ، فسافر الى انجلترا فى ابريل عام ١٩١٢ ·

***

وكان هذا الفتى الجريح الحزين قد اراد أن يداوى جراحه ويغرق أحزانه فى محيط من العمل الدائب فى مجـــالات متعددة · فنراه بعد عام قد بدأ يسهم فى « انشاء النـــادى المصرى » بلندن ويتولى سكرتيريته ، ونراه ينشىء هناك « جمعية آداب اللغة العربية » ويتـولى سـكرتيريتها أيضا ويكل الى المستشرق الانجليزى دكتور مرجليوث رياستها ، ثم نراه يتجه صوب خدمة قضية وطنهفيجمع الشباب المصرى وينظم حفل اســتقبال للزعيم محمد فريد · ومن ثم بدأ نضاله الوطنى ضد عدو وطنه داخل بلاده ·

وفى هذه الفترة تبدأ ناحية فنية كامنة فى نفس هذا الشاب الطموح فى الظهور اذ يتجه الى فن الرسم يدرس أصوله · وهو مع هذا كله لم يقصر فى دراسته للطب حتى ظفر عام ١٩١٥ باجازته العلمية من جامعة لندن ، ثم تخصص فى « البكتريولوجيا » وحصل على مرتبة الشرف فيها من هذه الجامعة ســنة ١٩١٧ ·

فى هذه السنة فجع الشاعر - وهو بعيد عن وطنه والحرب العالمية الاولى مشتعل أوارها وأحرار الوطن مشردون عن هذا الوطن أو مكبلة أقلامهم مبيضة صحفهم بما يحذف الرقيب - بوفاة أمه ، واشتد حزنه عليها ، فعاد مرة أخـرى يغرق أحزانه فى شىء جديد ، فاتجه صوب عالم اهله يشبهونه فى كثير من صفاته : الدأب على العمل المضنى من أجل الآخرين، ذلك هو عالم النحل يدرسه دراسة علم



سعد زغلول : تاصره أبو شادى فى وقفته الوطنية المشـــهورة

وتطبيق حتى اصبح عالما متخصصا فيه ، له مكانته المقدرة عند الاعلام من علمائه، واسس هناك سنة ١٩١٩ ناديا دوليا ، واصدر مجلة متخصصة ظلت تصدر حتى بعد عودته الى الوطن لسنوات عدة وهى تحمل اسم مؤسسها ·

وفى خلال ذلك تزوج بفتاة انجليزية مثقفة كانت عونه فى عمله ، ورحلت عن وطنها معه الى وطنه لتهيىء المنزل الهادىء الذى يأوى اليه كل مساء هذا الرجل الذى يقضى نهاره موزع النشاط والجهد فى جوانب متعددة متغايرة العالم تبدو وكأن لا تآلف بينها ، فيوحدها هذا الرجل ويؤلف بينها عند غاية واحـدة



مجدي فريد : موقف وطني يشرف من ابي شـــــادي ...

هي العمل من اجل المجموع الذي يفني هو نفسه فيه :

اعيش لنوعي لا لنفسي وحـــدها
وانشر روح الحب غير مبـــدد

حدث فكري عظيم

ويعود ابو شادي الى وطنه عام ١٩٢٢ بعد غيبة عشر ســـنوات حيث يحمـــل ما في روحه من امال ، ويبث ما في ذهنه من مشاريع بهذه الروح الانسانية والمثل العليا والمبادىء التعاونية · فتراه بعد أن عين سنة ١٩٢٣ في معامل الصحة بالقاهرة قد نقـــل مديرا للمعمـــل البكتريولوجي في السويس ، وتراه هناك قد خلق حركة أدبية نشطة شاركه فيها الاستاذ حسن الجداوي المحامي ، ثم نقل الى بور سعيد فدبت مع خطاه حركة أدبية ، ثم الى الاسكندرية فسعت معه الحركة وشـــاركه فيها طائفة من ادباء الثغر ومعهم الاستاذ احمد الشايب وكان مدرسا هناك · وتراه ينشيء في هـــذا الثغر « جماعة الادب المصري » · وفي تلك الفترة دعا الى ضرورة أن تنشأ في هذا الثغر جامعة كجامعة القاهرة ، وقد تحققت دعوته بعد ذلك بسنوات ·

ثم ينقل الى القاهـــرة سنة ١٩٢٨ ليؤسس فيها « رابطة الأدب الجديد » ثم يتسع نشاطه الثقافي فيفكر في اوائل سنة ١٩٣٢ في تكوين « جمعية أبوللو » ولم يكد يحل الثلث الاخير من ذلك العام حتى كانت هذه الجمعية قد برزت الى الوجود وظهرت معها « مجلة ابوللو » لسانها ومنبرها · ومن اجل ذلك يؤسس « ندوة الثقافة » التي احتضنت « جماعة الادب المصري » و « رابطة الادب الجديد » و « جمعية ابوللو » ثم « رابطة مملكة النحل » و « الاتحاد المصري لتربية الدجاج » و « جمعية الصناعات الزراعية » ولكل منها مجلة خاصة ·

وبالروح التعاونية التي يمجدها ويدعو اليها انشأ لهذه الاعمال مطبعة خاصة أسبغ عليها اسم « مطبعة التعاون » ، وبنفس الهواية المحببة اليه وهي انشاء المناحل ، استطاع أن يجعل من هـــذه الندوة منحلا للفكر تتوافد عليه من كل مكان طوائف تقدم للناس في تضحيات كريمة شهدها المصفى

وفي الحق أن « مجلة ابوللو » بصفة خاصة ، كانت حدثا فكريا عظيما ، ولقد اجتمعت فيها اقلام كانت الحزبية العمياء تفرقهـــا ، فائتلفت وتوحدت تحت راية « ابوللو » ·

ولكن العنت الذي كان يجابه ابا شادي فيثبت امامه كل مرة ، كان قد القى بكل اثقاله على هذا الرجل الناضل فأوقف نشاطه في القاهرة وانتقـــل الى عمله الجديد في الاسكندرية ثانية ·

قد يغيب اللفظ الرشيق

وبعد ، فلعل احدا من الشعراء لم يلج عوالم شتى قد تتهيبها اجنحة الشعر كما ولج الدكتور « احمد زكي ابو شادي » ، ولعل احدا من الشـــعراء في العصر

الحديث لم يلق من الجحود ما لقى أبو شادي . ومرد هذا الجحود هو هذا الولوج الجرىء ، ولا أتهيب أو أغالي حين أقول : هذا الفتح أو هذا الارتياد .

ولقد قال عنه أستاذه «خليل مطران» في تصديره ديوان «أطياف الربيع» : «فاجأ هذا الطبيب الشاعر الاديب السليقة العربية مفاجأة جاوز بها جراة المجترئين على التجديد من قبل ولم يرع أن تلك السليقة بطيئة في تحولها ، حريصة على مألوف يسرها ويرضيها ، ومازالت متشبعة باقتناعها أن فيها الكفاية والغناء عن كل ما سواه» !

ولقد كان النقد – منذ ظهر أبو شادي بتياره الادبي الجديد والى حقبة طويلة – قائما على أسس من ماضينا النقدي الذي لم يحفل باستكناه النفس واعتبار أثر الكاتب أو الشاعر – بصفة خاصة – جزءا من نفسه لا يتجزأ ، يجب عند نقده أن تصل الى نفس صاحبه لتعرف البواعث على هذا الاثر وما فيه من سمات صاحبه ، وما تنفضه نفسيته المتأثرة بمختلف التيارات من ألوان على هذا الاثر . فكان النقد المتأثر بالماضي

مصطفى كامل . أحبه أبو شادي وشاركه في معاركه القومية الوطنية .

وسيلة الناقدين يومذاك . وكان التجريح والغض من كل جديد غير مألوف هدف أولئك النقاد ، فلم تكن نفوسهم تحتمل الكد الذهني أو الخروج بالشعر الى ميادين يعرفها الاقدمون .

لذلك وجد أمثال هؤلاء هدفهم في الشاعر «احمد زكي أبو شادي» يفرغون ما في جعابهم من سهام مسمومة الى شعره ، وتبعهم في الاخذ بآرائهم الخاطئة جيل من الناس يقنعون بأن يدلي لهم غيرهم بالرأي فيكون هو القول الفصل دون أن يبحثوا بأنفسهم عن الحقيقة .

فذهب شعر هذا الرجل ضحية النقد المغرض الذي لم ينهض على قوائم من الحق ، ولا على أسس من علم النفس . وكم جنى مثل ذلك النقد على مواهب كثيرين لم تكن لهم قوة أبي شادي وصلابته وحيويته .

وليس معنى قولي هذا أن شعر أبي شادي خال من النقص ، مبرأ عن النقد ، ولكن معناه أن الناقد يجب الا يلتمس جانب الضعف في شيء فيضخمه حيث لا حاجة الى التضخيم ، ثم يطمس المحاسن فلا يشير اليها ، ثم لا يتوخى دراسة نفس المنقود الى جانب دراسة أثره ، كما ذكرت ذلك في ديسمبر ١٩٥٠ حين نقدت ديوان أبي شادي «من السماء» .

فلقد يؤخذ على أبي شادي كثرة ما نظم ، فهو بلا شك أوسع شعراء العربية جمعاء ملكا لابيات القريض – وقد بلغ عدد دواوينه ٢٥ ديوانا – وهو يتناول في شعره أشياء لا يرى كثير من الشعراء

بله النقاد ضرورة في أن تهبط عرائس الشعر اليها ، ولا يفرط في شيء مما ينظم ، وقد تضعف موسيقى الشعر أمام هذا الموكب الزاخر من ألوان لا حصر لها أو تبعا للموضوع الذي يتناوله مما لايمت الى الروح الفني بسبب .



أحمد زكي أبوشادي

كما يؤخذ عليه سرعة النظم ، ولو عرف أن الرجل سريع التأثر في فرحه ، سريع التأثر في حزنه لالتمس له العذر ، وانى لاذكر انه يوم مات « شوقي » ، ويوم مات شيخ العروبة « أحمد زكي باشا » ، كنا نمشي في الجنازتين وقصيدتا رثائه فيهما منشورتان بجريدة « البلاغ » في حينهما ...

وأبو شادي ـ كما قلت ـ رجل متعدد الجوانب متباينها ، ولكن هناك وحدة في نفسه تؤلف بين هذه الجوانب ، ذلك هو الروح الغالب على كل مواهبه المسيطر عليها . فهو في حياته بين الناس شاعر ، وهو في معمله شاعر ينظر في مجهره كما ينظر في عالم النجوم في مرقبه فلا يرى الا عوالم يحيلها روحه الفني الى مصادر شعرية تستحق التسجيل ، وهو يخاطب هذا المجهر فيقول :

المجهر الكاشف لا ينثني
يشوقني وهما ولا يمترى
أستنبط الأحياء في نوره
كانني مستنبط عنصري

وهو في حياته الخاصة شاعر يحيل متاعبه في عمله ومتاعبه من همومه ومن جحود الناس الى مزج بين الزهر والنحل فتستحيل مرارة الدنيا شهدا في كأسه .

من أجل ذلك حول أبو شادي كل ما وقعت عليه عيناه من أحياء أو جمادات شعرا ولم يتهيب شيئا غير القائل :

كن أنت نفسي واقترن بعواطفي
تجد المعيب لدى غير معيب

وهو بين هاتين العمليتين : عملية تلقي الاشياء التي تمر به في مواكب شتى وبين عملية احالتها الى مشاهد شعرية قد يغيب عنه اللفظ الرشيق الذي يعني به شاعر آخر أو النغم المنسجم الذي تنصت اليه اذن شاعر غيره ، ولكن المعنى الذي أراد من ورائه تسجيل تجربة قد يراها غيره تافهة هو الهدف الذي يحسب له كل حساب . وهو لا يفرط في شيء مما ينظم الان له غاية أخرى يضعها نصب عينيه ـ وقد يكون مصيبا فيها ولكن الى حد ما ـ هذه الغاية هي أن يضع للمؤرخ الادبي الخيوط البيانية لشعره ، فهو يسجل له كل شيء .

وثمة شيء آخر هو حيوية هذا الشاعر ونشاطه وسعة أفقه سبب من أسباب التدفق النظمي الذي عرف به ، وأخذه عليه بعضهم ، وهو يعمل بوحي طبيعته ، وتبعا لهذه الكثرة والتنوع تؤخذ عليه بعض المآخذ . (١)

وحسبه ردا على ذلك قوله :

وما كان شعري في نظيم أصوغه
ولكن شعري أن اكون أنا الشعرا

فهذا الرجل منذ عرفته في أول لقاء عند الاستاذ « اسماعيل مظهر » في مجلة « العصور » سنة ١٩٢٨ حتى

(١) انظر مقالي عن ديوان « من السماء » في عدد ديسمبر سنة ١٩٥٠ من مجلة « الكتاب » .



العقاد : رحب بلقاء أبي شادي

انتقل الى جوار ربه لم يكن الا شاعرا في أفراحه وأحزانه . وفي صداقته وخصومته . وما رأيته على كثرة ما أوذي به من بعض أصدقائه وغير أصدقائه بالحاقد على أحد منهم يريد بهم سوءا بل كنت أراه معلنا حزنه اذا ألمت بواحد من هؤلاء الخصوم مصيبة .

وكان يتناسى الخصومات السابقة مرحبا بالصفاء والوفاق ، كما حدث له مع « أحمد شوقي » فقد رحب بالوفاق بينه وبين هذا الشاعر الكبير حتى اختاره رئيسا لجمعية أبوللو . واني لأذكر هنا انني خلال المعركة الأدبية التي دارت بين « أبوللو » والاستاذ العقاد ، فكرت في أن أجمع بين الرجلين أبي شادي والعقاد ، وطلبت من شاعر من أصدقاء الاستاذ العقاد هو الاستاذ عبد السلام رستم — رحمه الله — وكانت تربطني به صداقة وثيقة ، أن يهييء لي لقاء في منزل العقاد ، وعلمت منه أن الاستاذ العقاد يرحب بهذا اللقاء ، ولكن جاء الى الدكتور أبي شادي من يبلغه أنه سب في ندوة العقاد ، فاعتذر لي في أسف عن قبول ما عرضت حتى لا يساء اليه .

وكان أبو شادي متلافا للمال يعين به كثيرا من أصدقائه ، وان كان في أشد الحاجة اليه في بعض الظروف ، واني اذكر — للحق والتاريخ — أن بعض من تحولوا من أصدقاء الى أعداء يكيدون له ، ويطلقون ألسنتهم الحداد في حقه — بل يحرضون غيرهم لينتقدوه في غير تورع — انما كان الدافع الى خصومتهم امتناعه تحت وطأة أزمة مالية تلم به عن تقديم ما يطلبون ، ناسين ما دبجوه في الاشادة به ، مذيعين أنه يتلقى معونات من مصادر شتى والا ما كان في طاقته أن يصدر مجلاته المتعددة . متناسين قوله :

حسدوني لحبهم ، وأنا الحا
نى عليهم ، والمستعين بنفسي

ويعلم الله أن أبا شادي انما كان ينفق على مجلاته مما يقتطعه من مرتبه ومن المبلغ الذي تدفعه له وزارة الزراعة لقاء اشتراكها في عدد من النسخ من « مجلة مملكة النحل » اعترافا بفضله وجهوده في هذا الجانب الزراعي الاقتصادي ، فقد كان هو الداعية الى انشاء النحالة المصرية في مصر اثر عودته الى الوطن ، وعلى اثر دعوته هذه انشأت تلك الوزارة فرعا للنحل أسندت أمره الى من تلقوا عنه الخبرة فيه . ولكن هؤلاء المسئولين استنسروا ، بل استأسدوا عليه . وكانوا يعرقلون صرف قيمة الاشتراك ، وبلغ بهم الامر في محاربته الى الحيلولة بين اشتراك هذه الوزارة في المجلات الاخرى التي تتصل برسالتها .

وصدرت « مجلة أبوللو » ولم تشترك وزارة المعارف في نسخة واحدة منها لمكتبات مدارسها أسوة بالمجلات الاخرى حتى أوقف صدورها على حين اشتركت وزارة المعارف في العراق في هذه المجلة لمدارسها ومعاهدها .

وانتقل أبو شادي الى الاسكندرية يعاود فيها نشاطه الثقافي ، ولكن بجراح مثخنه ، وتعرف اليه هناك « اسماعيل أحمد أدهم » . وبدأت الحركة الادبية تنشط وتنهض في الثغر ،

على حين ران عليهـــا النعاس فى العاصمة .

واشتملت « جامعة الاسكندرية » التى نادى بها ، واختير استاذا فى كلية الطب بها ، ثم اختير وكيلا لهذه الكلية ، غير أن آراء ابى شادى الجريئة فى محاربة الديكتاتورية الحاكمة والفساد السياسى والثورة على الاقطاع ، لا يخشى بطش الملك ولا ســطوة الحاكمين . دفعت هؤلاء الى محاربة الرجل الحـــر حين جاء دور اختيار العميد ، فعين استاذ من طب القاهرة عميدا لطب الاسكندرية . ليتخطوا ابا شادى .

وكان صدر الرجل قد بدأ يضـــيق والازمات المالية تأخـــذ بخناقه ومرض زوجه يســـتفحل ، وبدأت غيوم الأسى وظلمات اليأس تخيم على داره وتلقى بظلالها على نفسه ، ففكر فى أن يرحل مرغما عن وطنه يعالج زوجه مما ألم بها ، ويعالج روحه مما يكدر صفوها . وشاء القدر أن يسبق رحيل زوجه معه الى العالم الجديد الذى سيتجهان اليه ، رحيلهـــا الى عالم ليس فيه ألم وسقم ، فأودعهـــا ثرى هذا الوطن ، وحمل أولاده كما حمل أحزانه فى ١٤ أبريل سنة ١٩٤٦ واتجه صوب أمريكا

وعاد للمرة الاخيـــرة يغرق فى الغربة فى هذا العـــالم الجديد أحزانه بنشاط لا تحتمله ســـنه وجهد تنوء تحته صحته ، فى كفاح مرير من أجـل حياة كريمه . يعمل حينا مســتشارا للوفد السعودى وللوفد الاريترى فى هيئة الامم المتحدة ، ويدرس حينا الادب العربى فى معهد آســـيا بنيويورك ، ويلقى أحاديث فى الاذاعة فى الادب والنقد والتاريخ وغير ذلك ، ويحرر فى بعض الصحف ، ويكتب ويؤلف فى قضـايا فكرية متعددة وينظم دواوين شـــعر جديدة بالعربية والانجليزية . ويؤسس جمعيـــة أدبية هى « رابطة مينرفا » ، ويختار عضوا فى لجنة حقوق الانسان الدولية . وقد لقى هناك من الحفاوة والتكريم فوق ما كان يتصور .

ولكن أصـــابع الرجعية الحاكمة فى مصر ، ودسائس الفحر وأذنابه راحت تحاربه فى مهجـــره وتؤلب عليه بعض الجهات حتى يحـــرم من الموارد التى تعينـــه على العيش فى غربته ، وفى تحاربه فى مصر بعرقلة وصـــول مرتب المعاش اليه

ولم يفت ذلك فى عضده فهو يجار ويجهر بآرائه الجـــريئة حول ما كان يحاربه وهو فى بلده ويطالب بضرورة القضاء على نظام الحكم الفاســـد فى وطنه واعلان الجمهورية .

وهو بين هذا النشاط الذهنى الكبير والجسمانى العنيف لا يشعر أن جسده بعد السنوات الستين قد بدأ ينهـار ، وهو يرد على من يسأله عن سبب رحيله ولكن فى مرارة :

ســـألونى لم ارتحلت ؟ كأنى
لم أجبهم بســـيرتى نصف قرن
شاديا بالطليق من شعرى البا
كى أغنى لجـــــدهم ما أغنى
وحياتى لعزهم فى كفـــاح
ككفاح الشعاع فى وســـط دجن

ثم يقول :

ما كفـــاهم انى اضحى بروحى
حينــــا عز من يضحى ويفدى
ما كفاهم انى تناســـيت نفسى
فوق نســـيانهم حقوقى وامنى
ما كفـــاهم انى لهم ذلك الرا
ئد يشـــقى كالراح فى اسر دن
ما كفاهم هذا وهـــذا فنادوا
بعقوقى ، وما رعوا حق ســـنى
ثم حالـــوا بين المثـــالية العل
يا لفكرى وبين شـــعبى وبينى
فترحلت حيث يحترم الأحـــرار
وحيث الهـــــواء طلق لذهنى
واظل الوفى رغم اغتـــرابى
لبـــــلادى ، ما غبت قط عنى

شوقى: كانت له خصومات مع ابى‌شادى



خليل مطران : رأى فى شعر أبى شادى

ويرحل الملك الطائش عن مصر ، ويختفى الكابوس الذى كان جاثما على صدر الوطن ، فابعث الى الرجل الحر اطالبه بالعودة الى وطنه ، ويبعث اليه غيرى بهذه الرغبة ، فتكون اجابته على وعلى من كتبوا له : لن اعود الا اذا اصبحت مصر جمهورية ·

وتصبح مصر جمهورية ، ولكن الرجل الذى هتف من أعماق قلبه :

وددت قبل مماتى
اراك « يا مصر » مرة

وان اكن فى جلـــان
فريدة الحسن حـــره

كان قد أحس فى أعماق نفسه دبيب اليأس من حيـــاة جديدة فى ســـن لا يستطيع معها بدء كفاح جديد حيث لم تبق فيه بقية العراك ، لقد باع كل ما يملك الا كرامته وانسانيته وقلمه ، ولم يبق بين يديه ما يستردبه ما باع من مقومات حياة تأبى الراحة والسكون

وفى المنزل الهادىء البسيط الذى أوى اليه فى واشـــنطن بعد أن ترك نيويورك فى سبتمبر عام ١٩٥٤ صعدت روح هذا الشاعر الكبير فى اليوم الثانى عشر من شهر ابريل عام ١٩٥٥ ـ شهر ابريل‌الذى شـــهد اول رحلة له الى انجلترا عام ١٩١٢ ، وشهد اخر رحلة له عن وطنه فى عام ١٩٤٦ ، ثم شهد اخر رحلة من الحياة عام ١٩٥٥ ·

صعدت روحه وصدى صوته يتردد فى سمع الزمن بقوله :

اســـفا أعود الى السما
ء كما اتيت بتبـــع فنى
لم الق فى دنيـــا الأنا
م ســـوى المهازل والتجنى
دنيا تقـــوم على الدما
ء ، وبالدمـــاء هوى تغنى
ويسوســـها البلهاء من
غبن تعـــاتبه لغبن
فالى الســـماء أعود لم
يفـــن التأنى والتمنى
فحروبهـــا أجدى وأو
فى للحيـــاة وكل فن
وســـلامها ابقى وأتـ
ـقى للوجـــود المطمئن
ولعل أمى الأرض فى الحـ
ـالين فى ذهنى وعينى

وخبا الذهن المتقد الذى كان يعى حقائق الاكوان ويشع بباهر الاضـواء واغمضت العينان اللتان كانتا تكشفان دقائق‌الاحياء، وسكن الجسد الذى كان لا يعرف الكلال والاعياء ···



أحمد عيسى طبيب بارع وعالم كبير ١٨٧٦ ١٩٤٦

طبيب عالم ، ولغوى ضليع ، ونباتى بارع ، ذلك هو الاستاذ الدكتور احمد عيسى .. انه واحد من فروع تلك الشجرة الباسقة التي ضمت نخبة من الاطباء العظام ، وهم في الوقت نفسه من الادباء الكبار او الشعراء او اللغويين الممتازين ، من امثال الدكتور على ابراهيم ، والدكتور على ابراهيم رامز والدكتور محمد شرف ، والدكتور ابراهيم ناجى وغيرهم كثير ممن طوعوا القلم ، كما طوعوا المشرط فى ايديهم

انها العبقرية النادرة ، وأنهم العباقرة تتعدد مواهبهم فتتسع للاحاطة بكثير من العلوم والفنون ، كذلك كان الاستاذ مصطفى نظيف والدكتور على مشرفه وكذلك هم الدكاترة كامل حسين ، وأحمد عمار ، وأحمد زكي مد الله في أعمارهم ·
وكذلك عرف عن جان جاك روسو انه كان يحاضر سيدات الطبقة الراقية في باريس في علم النبات ، لأنه كما يقول يلائم اذواقهن الرقيقة ، وكذلك فعل « جوته » شاعر ألمانيا الاشهر حين الف وحاضر في علم النبات ·

لقد وضع الدكتور على ابراهيم رامز وهو الجراح الكبير مؤلفا في الفلورة المصرية ، يعتبر أحد مراجعها الممتازة · كما وضع الدكتور محمد شرف معجما طبيا ، أنه موسوعة ضخمة لا للعلوم الطبية فحسب ، بل وايضا للعلوم الطبيعية من نبات وحيوان وغيرهما · فما أن يعرض لجنس من النبات أو الحيوان حتى يتابع ذكر انواعه وسلالاته متابعة العليم الخبير

وها وهو عالمنا الكبير ، وطبيبنا البارع الدكتور أحمد عيسى ، يضع معجما بأسماء النبات يقول في مقدمته أنه قد عنى من زمن بوضع معجم بالعربية وبعض اللغات الاعجمية ، يشمل المصطلحات التي انتجتها قرائح العلماء والمفكرين والمبدعين في شتى العلوم والفنون ، وكان مما عنى به عناية خاصة ، اسماء النبات ، فجمع من مصادره ومراجعه الشيء الكثير ، فاجتمع لديه الكثير من اسماء النبات ومرادفاتها في جميع العصور ، ومن مختلف البلدان العربية اللغة ، كمصر والسودان وبلاد العرب واليمن والعراق وسوريا وفلسطين وبلاد المغرب · ويضيف أن لغويي العرب ، قد عنوا بالنبات واسمائه ، كما عنوا بغيره من مواد اللغة ، وصنفوا في ذلك الكتب والتصانيف المتعة ، ثم تبعهم النباتيون والعشابون ، فأوضحوا من ذلك الشيء الكثير في تصانيفهم وزادوا

عليه ما اقتبسوا من نبات الهند وفارس واليونان وغيرها من البلدان، فامتلأت اسفارهم بالعربي الفصيح والمعرب والمولد

لقد جمع الدكتور عيسى ذلك ، على ما في جمعه من جهد ومشقة ، حيث التحريف والتصحيف ··· ولا

يقدر الجهد الذي بذله الدكتور عيسى في هذا المقام ، الا من مارس العمل في مثل هذه المراجع مثل الجامع لمفردات الادوية لابن البيطار ، أو تذكرة داود ، أو بغية الفلاحين في الاشجار المثمرة والرياحين للغساني وتحفة الاحباب في ماهية النبات والاعشاب ، وتذكرة الوزير أبي العلاء زهر بن عبد الملك ، وحسن البراعة



روسو : كان يحاضر سيدات الطبقة الراقية في علم النبات

فى علم الزراعة لفيجرى بك ١٠ او حسن الصناعة فى علم الزراعة لأحمد ندا ، وكتاب الفلاحة لابن العوام ، وكتاب النبات والشجر للاصمعى ، وكتاب ديسقوريدوس فى النبات والنبات للدينورى وثمة مراجع اجنبية كثيرة رجع اليها الدكتور عيسى من امثال شفينفورث ، وبوستد وديليل ، وبواسيه ، وبيلى ، ودوزيه، ودرا جندورف وغيرهم كثير

لقد قصد الدكتور عيسى أن يكون معجمه شاملا كل ما عرف من اسماء النبات فى المصنفات العربية مهما اختلفت جنسية الكلمة ، وأن يكون مرجعا لتحقيق الكلمات التى اتت بها المصنفات العربية ولم تكن معروفة الأصل ، فيرجع اليه الباحث عن الكلمات الغريبة وأصولها ، فيقل الوقوع فى الحيرة ، لنقص مثل تلك المراجع فى العربية مع وجود أمثالها فى اللغات الأجنبية ولا مراء فى ان

مؤلف هذا المعجم قد عانى الكثير من النساخ من مثل الاشتباه بين الهمزة والعين ، وبين الحاء والهاء ، وبين الجيم والقاف والكاف . وأنه ليدعو الى ايفاد بعثات علمية متخصصة ترتاد البلاد العربية وتحقق بنفسها ما يمكن تحقيقه . ويعترف انه لا يدعى العصمة ولا الكمال ، فهما لله وحده .

ومع ذلك فانى ــ كمختص فى علم النبات ــ أحنى الهام اجلالا واكبارا لهذا الجهد الخارق الذى بذله الدكتور عيسى فى وضع معجمه فى أسماء النبات حيث ذكر الوف الانواع النباتية مع ذكر فصائلها واسمائها باللاتينية والعربية والاسماء المحلية فى البلاد العربية وغيرها من البلاد ، ثم بالانجليزية والفرنسية ...

يقول عن الرمان بعد أن يذكر اسمه



د. مصطفى نظيف : طبيب وعالم متعدد المواهب

العلمى وفصيلته ، وما يعرف به فى الانجليزية والفرنسية ، يذكر انه : نار (فارسية) والمز ــ واللفان (الشام) ، المظ (رمان البر ، بنور ولا يعقد والامليس (لا عجم له) .. نوره يسمى جلنار ، وتأويله زهر الرمان ، وعتم (فارسية) ، والجنبذ (سريانية) .. والرغث ــ وثمره يسمى نارمشك ، وقشوره الجشب ، وجذوره عقار ادم

ويتحدث عن الكمثرى بعد ذكر الاسم العلمى والفصيلة والاسم باللغتين الانجليزية والفرنسية ، يقول : (وهى الاجاص عند عامة الشوام) وشاه أمرود ،أمرود ، شاهلوك ، وشاهلوج (فارسية) وانجاص (سوريا واليمن)

وعن القيصوم ، قيصوم انثى قيسون انثى ، بابونى (بالقاهرة عند العطارين) بوى ماران (فارسية، بوى : رائحة وماران : الحيات ، لان الحيات

تهرب من رائحته وماران ج . مار) ــ قيسوم ــ علك الغزال . علجم ، بعيثران (سوريا) ــ قيصوم جبلى وعن اللبخ (هذا هو الاسم الحالى

للبخ ، الا انه غير اللبخ المذكور فى كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادى ، وفى مفردات ابن البيطار ·· ذقن الباشا (زهرة) بمصر

وعن الهليون (يونانية) – اقلام الذهب – براسع (ج · براسيع) – شفبوس (ج شفابيس) قال ابو حنيفة الشفبوس نبات الهليون سواء)

– اذن الخلوف (مراكش) – سكوم (بربرية) اسفراغ – اسفرغس – مارجوبه – مارنشوبه (فارسية) – همد (لبنان) – كشك الماس ·

وعن الشهدانج شهدانه (فارسية معناها سلطان الحب – دانه بمعنى الحب) شاهدانج – شاهدانق – شاهدانق – قنب – بنج – قنب هندى حشيشة – الزكرة (رومية) تنوم – الابق وبذره يسمى بذر القنب (مصر)

وعن العصفر (هو النبات بالعربية) – قرطم ، قرطم (قرطم هندية هو البذر) – شوران ، ومريق بهرم – بهرمان ·· وبهرن ··· بهران – جاد جيله – كاجيله – كاجيره – زردق – زردج – زردك (كلها فارسية) ·· زرد (سنسكريتية ومعناها اصفر ، وزهره يسمى عصفر ، وحبه يسمى احريض – احريضه) خريع – الشيخ – شجرة الشيوخ – نقد – نقد – نقد ·



جوته الف وعالم فى علم الحيوان

ليس من اليسير استقصاء اكثر من الفى نوع نباتي ذكرها عيسى في معجمه على هذه الصورة الدقيقة من أسماء علمية وأسماء انجليزية وفرنسية وعربية محلية في بلدان مختلفه أما كتابه المحكم فى أصول الكلمات العامية ، فانه هو الاخر تحفة قل أن نعرف لها نظيرا فى هذا الفن · يقول الدكتور أحمد عيسى فى مقدمة كتابه المحكم ، ان التحريف فى اللغة العربية قديم ، وله أسباب بعضها فى اللغة والبعض الاخر خارج عن اللغة ، الاولى مثل تعدد اللهجات بتعدد القبائل واختلافها وخصائص اللغة نفسها ، واتساع اللغة ، والثانية مخالطة العرب لغيرهم من الاعاجم ·

ويتحدث عن الردىء والمذموم من لغات العرب ، ويعد من ذلك الكشكشة فى ربيعة والعنعنة فى لغة قيس وتميم ، والفقفقة فى لغة هذيل ، والشنشنة فى لغة اليمن ·

ويتحدث عن اختلاف لغات العرب كالاختلاف فى الهمز والتليين ، والحذف والاثبات والامالة والتفخيم وفى صورة الجمع نحو أسرى وأسارى ·

ويقول ان للغة العربية خصائص

وسننا مشى عليها العرب في كلامهم ، وكان لها اثر في نشوء اللغة العامية ، فان الاتســـاع في الجرى عليهـــا والتسامح في الشطط فيها ادبا الى التحريف والتغيير في كثير من حروف اللغة . ويضيف أن من خصائصها القلب ، نحو جبذ ، وجذب والابدال مثل مدحه ومدهه ، وفلق وفـــرق ، وسراط وصراط وسغبه ومصغبه .

ويضيف الدكتور احمد عيسى انه قد تيسر له جمع الكثير من مفردات العامة وعمل على تحقيق أصـــولها وردها اليها ، ورتبها حسب حروف الهجاء ، فذكـــر اللفظ العامي اولا ، وبجانبه تفسيره عند العوام ، ثم يأتي بالاصل الصــــحيح ، ويذكر تفسيره في معجمات اللغة كاللسان والتاج ، مبينا الحقيقة فيه والمجاز . واورد على هذا النحو ما يزيد على الالفين من الكلمات العامية الشائعة الاســـــتعمال في مصر ، من مثل اتمطس ، واتمهمـــز ، وادحدح ، واتسلطح بمعنى استلقى ، وتمدد ، واسمنه بمعنى اسم انه وســــكع أصلها سـقع وصقع ، وهو الضرب بباطن الكف

ويقول ان سليط اصـــلها اسـبط بمعنى انبســـط على وجه الارض . وتقول فلان دائما يسأل ويطقس نريد انه يدقق في السؤال استقصى فلان في المســــالة وتقصى بمعنى ، وعزا ، اصــــلها عزق . وهكذا يتابع اصـــول الكلمات العامية ، ويرجعها الى أصولها العربية الفصـــيحة ، ويشرح كيف اعتراها التحـريف حتى وصلت الى ما وصلت اليه . ولامراء في انه بحثمستمع بذل فيه الدكتـور عيسى جهدا خارقا .

وفيما يلي قائمة باسماء مؤلفاته . يكفي تصفح بعضـــــها لتقدر عبقريته الفذة واحاطته الشـــاملة بمختلف العلوم .


د. علي ابراهيم : اديب ولغوى ممتاز

مؤلفاته

١ ـ كتاب صحة المرأة في ادوار حياتها

٢ ـ امراض النساء ومعالجتها وصفا وجراحة (جزءان) ـ ترجمة

٣ ـ التهذيب في أصول التعريب

٤ ـ التفسرة ، اى الاســـتدلال بأحوال البول على المرض

٥ ـ الات الطب والجراحة والكحالة عند العرب

٦ ـ معجم اســـماء النبات ـ باللاتينية والفرنســـية والانجليزية والعربية

٧ ـ الترقيص أو الغناء للاطفال عند العرب

٨ ـ تاريخ البيمارســـتانات في العهد الاسلامي (بالفرنسية)



د. مشرفة : عبقرية نادرة

٩ ـ تاريخ البيمارسـتانات فى الاسلام (بالعربية)

١٠ ـ العاب الصبيان عند العرب

١١ ـ المحكم فى أصول الكلمات العامية

١٢ ـ الجامع لأشتات النبات ـ معجم شامل لجميع أسماء النبات فى اللغة العربية

١٣ ـ تاريخ علم النبات عند العرب

١٤ ـ الدعاء للانسان وعليه

١٥ ـ المأثور من كلام الأطباء

١٦ ـ تاريخ الأطباء من القرن السابع الهجرى الى وقتنا هذا أو ذيل لعيون الانباء فى طبقات الأطبـاء لابن أبى أصيبعة •

١٧ ـ تاريخ حيـاة الرئيس ابن سينا ومؤلفاته ومظان وجودها

١٨ ـ تاريخ حياة الرئيس موسى ابن ميمون ومؤلفاته ومظـان وجودها

١٩ ـ معجم لمصـطلحات العلوم الطبية بالفرنسـية والانجليزية والعربية

٢٠ ـ رسـالة مختصرة فى علم التشريح (مخطوطه)

***

وبعد : فلم نقصد أن نقدم فى هذه العجالة دراسة شاملة لأعمال عالمنا الكبير ، فهذا ما تنوء به عصبة من أولى العزم من الدارسين ، وما أشك فى أن كل مؤلف من هذه المؤلفات يحتاج الى دراسـة واعية من عالم مختص يتوافر على الدراسة والبحث والاستقصاء ، ليدل الأجيال الصاعدة على الجهد العظيم الذى بذله هـذا الجيل من العلمـاء الذين يعتبرون بحق رواد النهضة العلمية فى مصر فى العصر الحديث • الذين توافروا فى دأب منقطع النظير على الانتاج العلمى الرفيع •

وكم أتمنى أن يضطـلع نفر من شباب العلماء على تجلية أعمـال هؤلاء الأفذاذ ، لعلها تكون هادية للشباب على سلوك الطريق الصحيح للريادة العلمية من صبر وجلد وثبات وجد صـارم مما جعلهم يقرنون الى أعاظم العلماء فى كل عصر ، وأنهم لمثل تحتـذى على مر الزمان وانى لأرجو أن تتاح لى فرصـة أرحب للتعريف بأعمال الدكتور أحمد عيسى وغيره من أعلام النهضـة العلمية الحديثة الذين أعلوا بنيانها ورفعوا من شأنها ومكنوا لها لتعلو على الأحداث وتسمو مع الأيام •• وعلى الله قصـد السبيل 



أطباء لمعوا في سماء الأدب الفرنسي المعاصر

اذا نظـــرنا الى أدب القرن العشرين فى فرنسا لفت نظرنا توا اسمان لمعا فى عالم الأدب وان لـم يلمعا فى عالـم الطب الذى ينتميان اليه : أولهمـــا « جورج دوهاميـــل » ، وثانيهما » « لوى فرديناند سيلين »

ولد جـــورج دوهاميل فى باريس فى ٣٠ يونيو ١٨٨٤ ٠ واشترك ـ وهو ما زال طالبا فى كلية الطب ـ عام ١٩٠٦ فى تأسيس جماعة ، Labbaye ، ٠ وصادق كلا من « شارل فيلدراك » و « جول رومان » ٠ لكن حبه للعزلة والدراسة النفسية الفردية جعلاه يقف بمنأى عن الحركة « الاونانيمية » التى انحاز لها زملاؤه ٠ وفى قصائده : « زملاء » (١٩١٢) و « رثاء » (١٩٢٠) دليل على ذلك ٠

استدعى « دوهاميل » عام ١٩١٤ كجراح ، واثارته مآسى الحرب ٠ يشهد على ذلك نصان رئيسيان « حيـــاة الشهداء » و « حضارة » (١٩١٤ ـ ١٩١٧) ٠ وفاز « دوهاميل » بجائزة جونكور ، ونادى ، ازاء عذاب العالم وآلامه ، بالأخوة ، ومعرفة الاخـرين معرفة عميقة ، وكتب « امتلاك العالم » (١٩١٩) ، وبدأ مجموعته الروائية الأولى « مغامرات سالافان » وفيما عدا هذه المجموعة الأولى ، نشر دوهاميل « حجر حوريب » (١٩٣٦) ، حيث روى قصة شباب أحد الطلاب ٠ وقام ، فى الوقت نفسه ، برحلات كثيرة ، وأسفرت رحلاته عن « رحلة الى موســكو » (١٩٢٧) ، و « مشـاهد من حياة المستقبل » (١٩٣٠) ٠٠

ودافع دوهاميل عن « الحضـــارة الاخلاقية » ، وندد بأخطار النزعة المادية ، والعقلانية ، والميل الى الآلية، وكان قد شاهد كل هذا فى أمريكا ٠ ومجد النزعة الفردية فى « خطاب الى السحب » (١٩٣٤) ، والثقـــافة الانســـانية فى « دفاع عن الاداب » (١٩٣٧) ٠ وفى هذه الاثناء كان يكتب مجموعته الروائية الثانية « آل باسكييه » التى صور فيها المجتمع الفرنسى فى القرن العشرين من خلال قصة احدى العائلات ٠

وفي عام ١٩٣٥ ، دخل الاكاديمية الفرنسية • وانضم الى المقاومة أثناء فترة الاحتلال ، بعد أن تابع في ألم تطور الازمة العالمية • وبدأ كتابة مذكــــراته عام ١٩٤٤ ، ثم عاد الى الرواية الاجتمــاعية وكتب « رحلة باتريس بيريوه » (١٩٥٠) • واكمل مؤلفاته العديدة بمجلدات جمع فيهـا بعض المقالات ، والمذكرات ، الخ •••

وينتمي دوهاميل ، مع جول رومان، وجان جيرودو ، وفرنسوا مورياك ، الى ذلك الجيل الذي قال عنه الناقد « ر • كانترز » انه اوجد « العصر الذهبي للرواية » الفرنسية • وكان دوهاميل يحمل في نفسه مزاجـــا « انسانيا » ، كان انسانيا بالاحساس اولا • لم يحترف الادب أصلا ، ولم يكن مثقفا بالمعنى الرديء لهذه الكلمة• واكسبته تجربته كطبيب تعاطفا هائلا ، عميقا مع البشر ، تعاطفا لا تضارعه الا قسوته على كل ما يمس نقاء الانسان ويشوه جسم الانسان وروحه • كان انسانيا بثقافته ايضا • كان ينظر الى المجتمع والعالم على انهما بيئة غير متجانسة تتصارع أو تتصــــادم فيها القوى المادية والروحية التي تتنــازع الانسان ، ويتحتم عليه ان يبحث عن سبيله بينها • ولقد انعكس هذا في محاولة دوهاميل التوفيق بين الواقعية والمثالية •

فرانسوا مورياك :: العصر الذهبي للرواية الفرنسية

مشغول بتأمل ما بداخله

تشتمل مجمــوعته الروائية الاولى «مغامرات سالافان» على مجلدات خمسة : « اعتراف منتصف الليل » (١٩٢٠) و « رجلان » (١٩٢٤) ، و « يوميات سالافان » (١٩٢٧) ، و « نادي الليونيين » (١٩٢٩) ، و « كما هو » (١٩٣٢) •

يقول الكاتب نفسه انه اراد أن يروي هنا « قصة رجل حرم من أي محــور ميتافيزيقي ، ومع هذا لا يتنازل عن الحياة الاخلاقية ، ولا يقبل السقوط » •• عندما نلتقي بسالافان لاول مرة ، نرى موظفا صغيرا بائسا طرده رئيسه منذ قليل وهام على وجهه في شوارع باريس ، بحثا عن وظيفة أخرى • يسير سالافان وحيدا وسط الجماهير، ويبدو ضــعيفا ، مترددا ، مستسلما لنوازع القلب المتناقضة الغريبة •

يصوره الكاتب بلا رحمة ، ويركز على عاداته ، وحماقته ، ورغبـاته الفاسدة التي لا يستطيع كبتها ، وان أحس مثالا بمسئوليته عنها • ذلك أن قدر هذا المسكين يكمن في قوة حياته الداخلية الحميمة • فهو ، كما يقول لنا الكاتب ، « مشغول دائما بتأمل ما بداخله »• كثيرا ما يحظى أثناء تنزهه في الشارع ، بلحظات يتملكه خلالها احساس عنيف بجمال العالم وطيبته • آنذاك، يشعر بالسلام والوئام، والرغبة في الحب •• نراه ، مع ذلك ، لا يحتمل

أطباء لمعوا في سماء الأدب الفرنسي المعاصر

الاخرين ، ويتطلع بطريقة شبه حتمية الى العودة الى عزلته الداخلية. صحيح انه حاد البصيرة ، لكنه يفتقر الى الحزم الذي يمكنه من السيطرة على الحياة ، والتغلب على الاشمئزاز ، والقوى اللاشعورية الالية . وفى افضل اللحظات التى مر بها ، لم يتجاوز حسن النية .

ويختتم البطل المجلد الاول بهذه العبارة المؤثرة : « يفلت العالم منى ! ... اتخبط بين الظلال . ماذا افعل ؟ .. ومن ذا الذى يهب لمغازلتى ؟ » . فى المجلد الثانى ، عبثا يحاول سالافان ان يصادق ادوارد ، ذلك الانسان السليم نفسيا بالقياس اليه ، الانسان الذى يعرف كيف يدافع عن نفسه ازاء الشفقة التى يولدها فيه زميله . ويلتجىء سالافان ، فى نهاية الامر ، الى « جو العزلة البارد » .

وفى المجلد الثالث . يغوص البطل فى الحياة اليومية التافهة ، ونراه موزعا بين الميل الى الهجاء والنقد ونداء مبهم يدفعه الى الله والدين . ويحاول سالافان ان يهرب من هذا الدوار . فيقرر ان « يرى العالم » على حد قوله ..

ويروى المجلد الرابع تجربته الاجتماعية هذه . واذ ينتهى الى خيبة الامل ، يتساءل سالافان عما اذا كان سيتوصل الى القيام يوما بثورته الشخصية ...

وفى المجلد الخامس والاخير ، نرى سالافان فى تونس ، وقد تملكه الاحساس بالفشل : لن ينجز شيئا ، حتما ، لن يتوصل ابدا الى تبديد شكوكه ، والتغلب على خوفه البورجوازى الصغير . لكنه يؤكد ، ازاء هذه الحياة التى تتحلل امام ناظريه ، ان هناك امالا سامية ، واتجاها داخليا نحو ما لا بد من تسميته غفرانا . لقد اكتسب سالافان على الاقل وعيا حادا بضعفه ، واصدر على تفاهته حكما سليما ، وبذا بدأ يتغلب عليها . لم يلهه شىء عن طلب الكمال والحنين الى السمو ، ويوسعه الان ان يموت ، بعد ان تصالح مع نفسه وتعلم كيف يقبل ذاته .

وقد اجمع النقاد ـ المعجب منهم بدوهاميل والمناهض له ـ على ان دوهاميل خلف فى عالم الادب عامة ، شخصية لا تنسى ، وصورة انسانية كبرى فى شخصية «سالافان» . واتفقوا على ان « مغامرات سالافان » عمل ادبى حى يتلق وروح العصر . وقالوا ان هذه المجموعة تحتل بين كتابات دوهاميل مكانة فريدة، وانها اهم اعماله واكثرها ابتكارا ، وان مجموعة « آل باسكييه » تبدو شاحبة امامها ، وان فاقتها من حيث الكم . وذهب البعض الى حد القول ان « سالافان » عمل اساسى ولحظة حاسمة فى تاريخ الرواية الفرنسية .

ولكن ، لم كل هذا الثناء ؟ ... يعتبر الكثيرون ، بالفعل ، سالافان نمطا حقيقيا للانسان فقط ، للانسان فى كل زمان ومكان فالقارىء ايا كان ، يجد فيه شيئا من ذاته ، وبعضا من ملامحه الشخصية . ومشاكل سالافان الداخلية مشاكل لا عمر لها ، ولا وطن لهـا ، ولا تختص بطبقة اجتماعية بعينها .. سوف يطرح الانسان دائما مثل هذه التساؤلات ويلقى مثل هذا العذاب ، ما دامت الآسى المعنوية عالية الطابع ، وجزءا

لا يتجزأ من مصيره • فضلا عن ان بعض النقاد راوا فى سالافان « مرحلة من مراحل الوعى بالشقاء ، ونموذجا لاولئك المساكين الذين استولى عليهم مرض الحياة » ، وكثيرا ما تلقاهم فى أدب اليوم ، والادب الوجودى بالذات• نقول ، فى النهاية ، أن « سالافان » تصور بطريقة ما نوعا من الدراما الميتافيزيقية التى تمزق البشر فى أيامنا هذه •

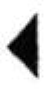
لابد من الكفاح

أما « آل باسكييه » فتتألف من عشرة مجلدات نشرت فيما بين عامى ١٩٣٣ و ١٩٤٤ ، وتصور تطور احدى العائلات البورجوازية خلال السنوات العشر الاخيرة من القرن التاسع عشر ، والسنوات الثلاثين الاولى من القرن العشرين • يقدم المؤلف هنا مجموعة من الشخصيات المتباينة المميزة • الاب ريمون باسكييه ، انسان فاشل ، انانى، مغرور • وزوجته نموذج للزوجة التى جعلت من التضحية مبدأ حياتها •• وأولادهما : جوزيف ، الانسان الذى لايؤمن بالمبادىء ، ويعبد المال، ويقودنا الى أوساط الرأسمالية والمضاربات – وأخوه البيروقراطى التافه • أما بنتاهما فسوزان التى نكتشف معها مسرح لى فيوكولومبيه أيام جالكوبو – وسيسيل الشابة الرائعة التى تعزف الموسيقى • وتتوق الى المطلق والطهر •• لكن الشخصية الرئيسية فى المجموعة هى لوران الابن الثالث ، والعالم النابغة الذى سيصبح « أميرا » فى ميدان العلم • انه نفس جميلة تتوق هى الاخرى الى الجمال والكمال •

من خلال لوران ، نرى دوهاميل نفسه وهو يكتب مذكراته ، ويعترف بما يقلقه ويحلم به • ونتابع حياة البطل الداخلية ، ومراحل تكوينه ، واعداده للسياة العلمية• يلتقى لوران، منذ أن يبلغ الشباب ،بالمرارة وبخيبة الامل • ويكتشف الكذب فى عائلته ذاتها • هاهو ذا فى الحادية عشرة فقط قد بدأ يشك فى والديه ، وفقد ايمانه •• ولكنه لا يلبث ان يتخذ قرارا حاسما : سيحدد بنفسه مجرى حياته : « أريد أن أنقذ نفسى فقط » • لن يتجنب التجارب الاليمة ، لكنه سيتغلب عليها نتيجة لصحته المعنوية ، ولان التفاؤل الذى لا يقهر يحدوه دائما • يفقد لوران أستاذه الجليل ، ويقترب من أئمة العلم المعاصر • لكنه يدرك أن هؤلاء الاساتذة ليسوا هؤلاء الرجال المدهشين الذين تخيلهم عندما كان بعيدا عنهم • ذلك لان الحقد القاتل يمزق عالم الذهن الخالص أيضا •

ويذهب لوران من خيبة أمل الى خيبة أمل • ومع ذلك ، يواصل تطوره المعنوى •نراه ، على عكس سالافان ، يبنى حياته شيئا فشيئا • لم يعثر على الخلاص فى الصداقة ، أو العمل الجماعى، أو الحب• وهاهو ذا يكتشفه شيئا فشيئا فى حياته الخاصة كعالم ، وحبه للمعرفة ، وان كان البحث العلمى نفسه يدخر له أنواعا أخرى من خيبة الامل ، اقسى من سابقاتها بكثير • ويدرك العقل عجزه عن اشباع حاجته الى المطلق بقواه وحدها •

واذ يرى لوران اخته تتجاوز ميدان الفن لكى تجد السلام فى الايمان، يشعر بالشك والندم يشغلان نفسه • فهو لم يفقد الايمان • حتى عندما شاع الاضطراب فى نفسه ، وجد فيها ايمانه



بالقوى الانسانية وحدها ، القوى معا كان ابدا • لاشــك ان هذه القوى لن تقهر الشر وعذاب العالم • لابد من التسليم الان بأن هناك نقصا في الطبيعة البشرية • لكن ، لابد من الكفــاح ، والإبقاء على القيم الانسانية المهددة على الدوام •

كان لابد أن تتخلص الرواية ، بعد « سالافان » ، من شكل الاعتــراف الضيق • كان لابد أن تتغلب أيضــا على تسلط الشخصية الوحيدة ، حتى

لو احاط بها عالم غنى بالاحــداث الانسانية • ولقد حدث هذا فعلا فى « آل باسكييه » ، ذلك العمل الضخم الذى لا يسع القارىء ازاءه الا أن يذكــر

محاولات « زولا » و « جول رومان » فى هذا المجال • فى هذه المجموعة ، ينقد دوهاميل الحضارة الحديثة ، ويطـرح قضايا عصره الكبرى للبحث وسيطرة المال ، والتقدم ، والعلم وعلاقته بالدين •• الخ ••• ويصور الاوساط الطبية التى عرفها حق المعرفة فى كلية الطب

والكوليج دى فرانس ، ومعهد باستور • ويصور ايضا الاماكن التى ولد فيها من القرن العشرين • لكنه اراد أن يؤكد الطابع المبتكر لمحاولته ، بالقياس الى سابقيه ومعاصريه • على سبيل المثال تختلف وجهة نظره تماما عن النزعة

« الاونانيمية » التى خضع لها جول رومان • حتى عندما يصور المجموعات ، يهتم دوهاميل دائما بالحالات الخاصة •• فهو لم يرد أن يكتب التــاريخ

الطبيعى والاجتماعى لاحدى الاسر ، على طريقة زولا ، بل أراد ان يكتب قصة انسانية ، يعمل فيها على رسم بعض المصائر الفردية ، أولا وقبل كل شيء •

رحلة الى نهاية الليل ...

اما لوى - فرديناند ســـيلين (اسمه الاصلى لوى - فرديــنـــاند ديتوش) فقد ولد فى كوربوفوا فى ٢٧ مايو ١٨٩٤ ، ومات فى ميدون فى اول يوليو ١٩٦١ • كان ابوه الحاصل على ليسانس الاداب مندوبا لاحدى شركات التأمين • وكانت أمه تنحدر من أسرة نورماندية ذات أصـــل نبيل • أمضى سيلين فى باريس طفولة أقل بؤسا من تلك التى حدثنا عنها فى روايته الاولى « موت على الحساب » •

بعد حصوله على الابتدائية، ارسلته عائلته الى المانيا وانجلتــرا (عام ١٩٠٨ و ١٩٠٩) • ثم عمل بائعا ، واســتعد لامتحان البكالوريا دون أن يعاونه أحد • والتحق بالجيش عام

١٩١٢ ، بعد أن قطع صلته بعائلته • فى عام ١٩١٤ ، اشترك فى معركة « فى فلاندر » ، وحاز على ميدالية عسكرية بعد أن أصيب فى رأسه وأجريت له عملية تريفة • لذا ، سرح عام ١٩١٦ ،

وارسل لقضاء عدة اشهر فى الكاميرون •• وادى امتحانات الجزء الثانى من البكالوريا ، وبدأ يدرس الطب • ثم تزوج واستقر فى مدينة دين (١٩١٩) •• وفى عام ١٩٢٤ ، تقدم برسالة للحصول على الدكتوراه • لكنه تراجع امام الاســتقرار الذى انفتحت أبوابه أمامه •

ابتعد عن عائلته منذ عام ١٩٢٥ ، ودخل عصـــبة الامم ، وعاد الى



جول رومان : أعجب النقاد بإنتاجه القصصي ..

الكاميرون ووصل الى الولايات المتحدة الامريكية (١٩٢٦) ، حيث درس طب العمل في مصانع فورد ، واقام فترة في كندا وكوبا ، وانتهى به المطاف الى فرنسا عام١٩٢٨ . وكان أثناء ذلك قد حصل على الطلاق من زوجته الاولى وعمل بعدئذ طبيبـــا في حي كليشي الشعبي . ومنذ عام ١٩٣١ ، عمل في مستوصف في حي مونمارتر ، بينمـا كان يمضي لياليه في كتابة « رحلة الى نهاية الليل » . وبعد أن انتهى من هذا الكتاب ، ارسله الى الناشر دينوييل الذي نشره عام ١٩٣٢ . وقوبل الكتاب بحماس شـديد من قبل كل من ليون دوديه ، و ج . برنانوس ، والاوساط الادبية الطليعية . وتوج نجاح الكتاب بحصوله على جائزة رينودو .

اشتهر سـيلين آنذاك بانه كاتب شعوبي يساري . وفي عام ١٩٣٦ ، العام الذي ظهرت فيه روايته الثانية « موت على الحساب » ، قام برحلة الى الاتحاد السوفييتي ، مكنته من القيام بها حقوق ترجمة كتابه « رحلة الى نهاية الليل » الى الروسية . ولم تكن المترجمة سـوى « الزا » زوجة الشاعر اراجون . وعند عودته ، كان قد طرأ عليه تحول جذري نشر على اثره مؤلفا مناهضا للشيوعية سماه « خطيئتي (١٩٣٦) . وفي عام ١٩٣٧ ، ادهش الجمهور عندما نشر نصا هاجم فيه النزعة الســامية

منذ ذلك الحين ، تحاشاه اليسار ، ونظر اليه اليمين نظرة يشوبها الشك . وهكذا ظل سيلين وحيدا ، ورفض افكار عصره واستحث النازية ضـد العالم الحديث الذي افسده المال ، واليهود ، وادمان الخمر ، الخ .. لكن هذا لايعني انه تعاون مع الالمان . فلقد ظل بعيدا عنهم ، لانه شك ، منذ البداية ، في امكانية انتصارهم .

وفي عام ١٩٤٤ ، بدأت الفتـــرة الامريكية في حياته . وأوحت اليـه الحياة في الولايات المتحدة الامريكية برواية جديدة ، وتزوج عام ١٩٤٣ الراقصة لوسـيف الماتزور التي كان يعيش معها منذ عام ١٩٣٦ . وغادر باريس في يوليو ١٩٤٤ ، يحدوه الامل في الوصول الى الدانمرك ، حيث كان قد أودع مدخـــراته . لكن الالمان احتجزوه . ولم يلبث أن شهد اندحار النازية واعوانها . وفي مارس ١٩٤٥ ، وصل الى الدانمرك . وسرعان ما قبض عليه بتهمة التعاون مع العدو . وظل أربعة عشر شهرا في الســجن ، ثم دخل احد المستشفيات . وأفرج عنه في يونيو سنة ١٩٤٧ . وعاش بعد ذلك حياة بائسة ، في الاثناء التي حكم عليه فيها غيابيا بالسجن لمدة عام (١٩٥٠) . لكن قرارا بالعفو عنه صدر في العام التالي .

وعاد الى فرنسا ، وعمل طبيبـــا للفقراء في ميدون ، وعرف الشهرة مرة أخرى عندما تحدث عن انهيـار المانيا . ثم مات نتيجة لاحتقان في المخ . وظل نبأ وفاته سرا لبضعة أيام ، وتم دفنه ، دون أن يعلم بوفاته أحد تقريبا ، في ٤ يوليو ١٩٦١ ، في مقابر ميدون . وعلى هذا النحو انتهت حياة

واحد من ابرز الكتاب الفرنسيين واكثرهم ابتكارا .

حيث يصبحون جنودا

مصدر رواية سيلين الرائعة المسماة « رحلة الى نهاية الليل » ومضمونها ، حياة سيلين نفسه : نكاته ، وملاحظاته وانفعالاته ، بعد نقلها الى اطار روائي معاصر . ينتمي باردامو البطل الى البورجوازية الصغيرة التي تقطن ضواحي باريس، وينقلنا معه من تجربة

أطباء لمعوا في سماء الأدب الفرنسي المعاصر

الى اخرى .. وتبدأ الرواية مع حرب البلقان ، وتنتهي مع أولى انتصارات النازية .

يجلس باردامو مع زميله الطالب ارتور في أحد المقاهي ، ويتبادل معه بعض العبارات ثم يتبع على اثرها كتيبة مارة . ويجد نفسه بعد ذلك بقليل في احدى الثكنات العسكرية . وسرعان ما تندلع نيران الحرب . يشهد الجاويش باردامو المعارك اكثر مما يشترك فيها . ويتراجع في دخيلة نفسه اذ تذهله المذبحة الاليمة التي تنعكس آثارها على كل شيء : البشر، والحيوانات ، والاشياء ،.بل والطبيعة ذاتها . ويقتنع ان سبيله الوحيد اثناء الحرب ، هو التستر والتظاهر بالايجابية . ويتعرف باردامو ، أثناء نوبة استطلاع ، بجندي من المشاة يدعى روبنسون ، يتضح فيما بعد أنه أمهر منه في انقاذ حياته من الطلقات الطائشة .

يجرح باردامو ويعود الى باريس حيث يقضي فترة النقاهة . ويتعرف على لولا الامريكية التي تصبح في نظره صورة للعالم الجديد عليه اكتشافها . لكن الخوف من المخاطر يعاوده . ويتعلم كل ما يمكن ان يتسلى به أولئك الذين تتكون منهم الجبهة الداخلية - ويتخلص باردامو بعد ذلك من الحرب والجيش ، ويقرر السفر الى افريقيا حيث يكتشف بعد فوات الاوان ان الشخص الذي حل محله في العمل ليس سوى روبنسون . وتحاك ضده مؤامرة يكاد يلقي به على اثرها في البحر . فيغادر السفينة في أول ميناء تتوقف فيه في الكونغو ، ويلتحق بالعمل في احدى الشركات .(ممايتيح للكاتب الفرصة لوصف حياة المستعمرين وحياة المستعمرين، على مستوى المدينة والريف ، والطبيعة الاستوائية) . وتهدده الحمى والحشرات . فيشعل النار في كوخه وفي البضاعة التي عهد بها اليه ، ويهرب الى الغابة ، ثم ينتهي به المطاف الى سان تابيتا ، حيث يأويه رجل يبيعه لقافلة للعبيد .

يعبر باردامو الاطلنطي ، ويصل الى الولايات المتحدة الامريكيـــة ، حيث يحتجزه الحجر الصحي . لكنه يهرب ويعمل في مكاتب التهجير الامريكية . ثم يذهب الى نيويورك ، حيث يهيم بضعة ايام على وجهه باحثـــا عن شجاعته وعن قرار يتخذه وعمـــل يتعيش منه . ويتيح كل هذا للكاتب الفرصة لرسم لوحات انتقادية لاسلوب الحياة الامريكية . يتردد باردامو في الذهاب الى لولا ، ومع ذلك يزورها

ويأخذ منها مائة دولار تمكنه من السفر الى ديترويت ، حيث يحصل على عمل عند فورد · لكن حاجته الميتافيزيقية الى الرحيل دوما تجعله يهجر المرأة الوحيدة التي أحبته لشخصه ويعود الى أوربا

يتم باردامو دراسة الطب التي بدأها فيما مضى ، ويستقر في رانسي ، حيث تضم عيادته زبائن افقر منه بكثير · وتتوالى زياراته لرضاه ، ومن بينهم امرأة شابة اجريت لها عملية اجهاض ترتبت عليها مضاعفات معقدة ، وعائلة تحاول أن تحصل منه على شهادة تدخل بمقتضاها الحماة مستشفى الامراض العقلية · وسرعان ما يغادر د · باردامو رانسي ، دون أن يترك عنوانه لاحد ، ويهيم على وجهه مرة أخرى في باريس ، ويحصل على دور كومبارس في أحد الاستعراضات المسرحية · ثم ينتقل للعمل باحدى المصحات · وهناك ، يسلي المدير بحديثه ومعلوماته ، خاصة معرفته للانجليزية ، مما يزيد صلتهما وثوقا · ويقرر المدير القيام برحلة حول العالم ، فيعهد الى باردامو بادارة المصحة · ويموت روبنسون برصاص عشيقته ، واذ يموت ، يخلص باردامو · وهكذا تنتهي «الرحلة الى نهاية الليل»

ان الشعور بالوحدة احد الموضوعات الرئيسية في هذه الرواية · كل الكائنات التي تتمتع هنا بقدر من السلطة مسجونة في سجن الحماقة ، والتفاهة ، والقسوة ، والرذيلة · اما الفقراء ، فيتروكون لامر انفسهم ، اللهم الا في وقت الحرب ، حيث يصبحون جنودا · اما في الحياة اليومية ، فلا تقوم اية صلة حقة بينهم ، باستثناء الاشفاق على الاطفال · وتقتصر العلاقات الانسانية ، في اخف الحالات الما على الزمالة ، واللقاءات النسائية العابرة ·

ونشعر في كل صفحة من صفحات الرواية ان الفجر لن يجيء عندما يبلغ هذا الليل نهايته ·

موت على الحساب

من الصعب ـ بل لا جدوى ـ من سرد أحداث « موت على الحساب » ، لان السرد هنا يخضع لدفعات الذاكرة أو الخيال اكثر مما يخضع للتطور المنظم · لقد قرر سيلين هنا أن يحدد هوية البطل : أنه هو نفسه · نقرأ في الصفحة الاولى هذه العبارة : « لم أمارس الطب دائما » · لكن الدكتور ديتوش ينقل لنا ، بادىء ذي بدء ، تفاصيل شتى عن حياته المهنية ، قبل أن يحدثنا عن مخطوط يود أن يأخذ فيه رأى قريب له ـ يعمل طبيبا أيضا ـ فيه · وفي غابة برلونيا ، تستولى عليه رؤى عدوانية تضطره الى ملازمة الفراش حتى تهدأ الحمى · وكما يحدث في السينما ، يعود بنا الى الوراء ، ويعيدنا الى أيام صباه · نتتبع فرديناند الصغير من فصل الى فصل · نراه يواجه عصره فرنسا وانجلترا قبل عام ١٩١٤ ـ وتربيته ، وسلسلة من التجارب العائلية ، والسياحية ، والجنسية ، والمدرسية ، الخ ···

ها هو ذا يشب بين والدين يسمم كل منهما حياة الآخر ، ويكيل للطفل الوحيد اللوم المر الاليم · ولايجد في عائلته الفقيرة الا جوا خانقا ، تبعث

أطباء لمعوا في سماء الأدب الفرنسي المعاصر

الهواء فيه شخصيتان : الجدة كارولين والعم ادوارد الذى يخرج فرديناند دائما من المآزق . يعمل الابن عاملا ، وسكرتيرا ، الخ ... لكن أصحاب العمل يطردونه دائما بعد فترة قصيرة

ونلمس ها هنا ان ما يجذب اهتمامنا ليس مغامرات الشاب فرديناند ، وانما الإسلوب الذي يرويها به الكاتب . مثال ذلك الصفحات التى يصف فيها معركة بين والديه ، تنتهي بالاشتباك بالايدى ، والصفحات التى يحدثنا فيها عن اقامته في انجلترا .. حيث يلتقي فرديناند بامراة ساحرة غامضة هى زوجة مدير المدرسة التى التحق بها . يتمثل في هذه الشخصية شيء من القدر الانثوى . مما يفسر الطريقة التى تنتهي بها علاقتها بفرديناند ، اذ تنتحر المرأة بعد دقائق من اللذة العارمة مع الشاب . على البطل اذن ان يعود الى باريس ، ويلتقي بوالديه ، ويبحث عن عمل . وهنا أيضا ، يهب العم ادوارد لنجدته ، فيجد له عملا عند مخترع افاق يضطر الى الهرب من المدينة والالتجاء الى الريف ، حيث يفتح مدرسة ويبدا بعض التجارب الثقافية العلمية . وينتهي به الامر الى الموت انتحارا . ويرفض فرديناند مساعدة عمه ، ويود ان يلتحق بالجيش : وهنا تتوقف أحداث الرواية ، لكي يواصل المؤلف السرد في كتب اخرى ، مستعينا بالمنة جديدة وأسماء جديدة ايضا .

عبث الحياة الانسانية

عندما كتب سيلين « رحلة الى نهاية الليل » ، قدم للادب المعاصر واحدا من أعماله الرئيسية . ومن المؤكد ان هذا الكتاب لن يفقد مع الوقت شيئا من اشعاعه الاسود . فهو ـ مثل « موت على الحساب » ـ صرخة وحشية قاسية ، لا تحتمل ، يطلقها الانسان معبرا عن اليأس الذى استولى عليه . كما انه ملحمة للتمرد والاشمئزاز ، وكابوس طويل يسيطر عليه وجه بردامو .

ولقد تركت « رحلة الى نهاية الليل » بالذات اثرا بالغا في عالم الرواية المعاصرة . فنحن نجد فيها ذلك الشعور الذى ظل يغذى الادب المعاصر ومازال : عبث الحياة الانسانية .. ولم يؤثر هذا الكتاب على الاحساس فحسب ، بل اثر على الاسلوب أيضا . اذ كان سيلين أول من كتب لغة مباشرة ، وحرر الحديث التقليدى ، وفتح باب العامية على مصراعيه . ولنذكر بين من تأثروا به في هذا الصدد الكاتب الكبير ريمون كينوه .

***

ولنتساءل الان : هل ترك الطب بصماته على ما كتب دوهاميل وسيلين من اعمال أدبية ؟ .. مما لا شك فيه أن دراسة الطب وممارسته كان لها أثر على اعمال كل منهما ، اثر يتمثل في الموضوع أو طريقة معالجته ، او اسلوب السرد والتحليل ، الخ .. لكن ما مدى هذا التأثير ؟ من الواضح ان الاجابة عن هذا السؤال تحتاج الى دراسة لا يتسع المقام لها هنا ، تتناول حياة كل منهما ، واعماله بل تتعدى ذلك الى عملية الابداع الفنى ذاتها .

■ عبد المنعم الأنصاري ■



رأيت قرطبة بالقار تغتسل   رأيت أهدابها بالذل تكتحل
رأيتها تحت أمطار الظلام وفي   عيونها رغبة خضراء تشتعل

***

يقال كانت بماء الورد تغتسل   يقال كانت بنور الله تكتحل
يقال كانت وكان الحب يحرسها   بعسكر تتقي أخطاره الدول

***

أكاد أعبدها مما رواه أبي   عنها وما قاله عشاقها الأول
أكاد أسمع – رغم البين – همستها   تقول أقبل فأنت المنقذ البطل

***

طال الفراق وقلبي ليس يحتمل   عيون قرطبة للوصل تبتهل
وشعر قرطبة كالليل ينسدل   على جبين كشبه البدر يكتمل
من أغنيات لها حارت على شفتي   وليس عند سواها ينشد الغزل

***

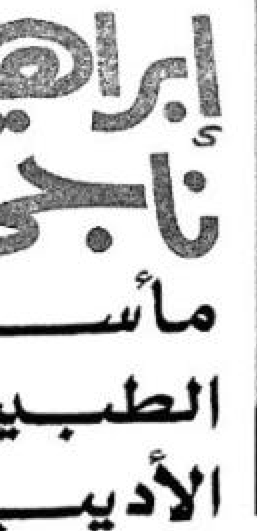
إني عرفت طريقي نحو قرطبة   وكان زادي عليه الحب والأمل
عرفته بعلامات تميزه   وهانا بجوادي فيه أرتحل
أكاد ألمح عن بعد مآذنها   ودون أبوابها الفرسان تقتتل
فاستحث جوادي نحوها وأنا   خلف المسافات قلب بالمنى ثمل
تمضي السنون على هذا الطريق وما   أزال أركب إصراري ولا أصل

***

بعيدة لم تزل يا عين قرطبة   بعيدة وجوادي مسه الكلل
بعيدة يا جوادي لا تزال فهل   يوما سنبلغها ؟ أم ينتهي الأجل

أنور الجندي





نشا فى الاداب العالمية المعاصرة فن رفيع اطلق عليه اسم « النوابغ خارج دائرة تخصصهم » تناول بالبحث اولئك الاعلام الذين نبغوا فى فن اخرغير الفن الذى اختاروه صناعة للحياة ، وقد ادرج كثير من الباحثين الاطباء فى هذا المجال بوصف ان مهنة الطب من اكثر المهن التى تنوع النبوغ فيها خارج دائرة الاختصاص .

لو نظرنا في محيط الادب العربي الحديث لوجدنا هذا الاتساع والتنوع :

نجد الدكتور شبلي شميل ، حامل لواء النظرية المادية ٠

الدكتور عبد العزيز اسماعيل الذى انشأ فنا عاليا من البحث بين الاسلام والطب ٠

الدكتور محجوب ثابت الذى كان يداعب شوقى فى مجالات السياسة وانديه الادب ٠

الدكتور أحمد فؤاد ، داعية وحدة وادي النيل وقطب الحزب الوطني ٠

الدكتور عبد الحميد سعيد ، حامل لواء (لا مفاوضة الا بعد الجلاء) وزعيم الشبان المسلمين وخطيب البرلمان في مواجهة الاخطار ٠

هذه بيئة الاطباء التى عاصرها ناجى فاين نجده منها ؟ ٠٠ لا نجده الا وقد قصر نفسه على قصيدة واحدة طويلة من شعر الوجدان والحب والعاطفة استنفدت حياته كلها وتتابعت فى دواوين ثلاثة : وراء الغمام ، ليالى القاهرة ، الطائر الجريح ٠

د٠ محجوب ثابت ٠ داعب شوقى فى مجالات السياسة



ولكن ابراهيم ناجى كان طبيبا نابغا ، موفقا فى فحوصه ، حنونا رفيقا بمرضاه ، متابعا آخر تطورات الطب ونظرياته ، يعطى مهنته من ذات نفسه الى الحد الذى يضحى فيه بموارده ٠

الطبيب منطلق الاديب

وكانت صلته بمرضاه آية من آيات الرحمة والاخلاق ، كان يدخل بسيارته الحوارى الضيقة فى الليالى الباردة ، ويفحص ، ثم يمضى فيشترى الدواء أحيانا من جيبه الخاص ، تلك خلة عرفت عن ناجى واستفاضت بها الانباء ، يصدر منها عن سجية خالصة وطبع مصرى أصيل ٠

ولقد أعطت صناعة الطب لناجى ضوءا وتجربة وفرضت عليه تحديات واثقلت جناحيه بمتاعب وأزمات ٠

كشفت له عن النفس الانسانية وابانت له حقائق باهرة قوامها أن مرضى الاجساد هم مرضى فى النفوس اساسا ، وان ابتسامة الطبيب هى نصف العلاج ، واستطاع هو بما وهبه الله من طبيعة سمحة كريمة أن يجلو صدأ كثير من القلوب ، وأن يزيل كثيرا من الالام وان يمسح بيده الحانية على كثير من النفوس المعذبة ٠

ولكنه من خلال التجربة : رأى صورة المجتمع غارقا فى الازمات والتحديات التى فرضتها عليه الحضارة الحديثة والاحتلال وتحرير المرأة ٠

يقول ناجى : وان الاطباء لو كتبوا اجادوا ، لو اذاعوا ما علموا لاحدثوا رجة فى الادب وتغييرا فى أساليب الحياة لانهم وحدهم الذين سيكتبون بلا نفاق ويبوحون بالحقائق من غير رياء ، ذلك لانهم لا يخشون احدا ولا يرهبون صولة انسان ، واشار الى كتابات كثير من الاطباء فى الغرب تميزت بالبساطة التامة واشار الى دوره فى هذا المجال فقال :

« انى من أكثر الاطباء اختلاطا بالناس واندماجا فى الشعب ، صغيره وكبيره ، مرضاى اصدقائى ، وزبائنى ليسوا غرباء عنى ، فهم جزء غير منفصل من حياتى ، ولقد عشت أومن بان المريض ليس (حالة) كما يقول الاطباء كثيرا ، وانما هو انسان وان العلاج لا يكون فى تذكرة الدواء وانما فى فهم ذلك الانسان وفى مقاسمته الامه·· فى الاصغاء الى متاعبه وفى بذل العطف الصادق له وفى منحه الحنان الذى فقده فى العالم الواسع·

ويكشف ناجى عن مزيد من تجربته فيقول : لا أحب أن أزور منازل الاغنياء ولا أفرح للمال الذى يبذلونه لى ، واحب أن البى دعوة الفقراء وان أغشى منازلهم واننى على فقرى أحفظ السر واحسن التضحية » ·

ثم يتساءل فى مرارةفيقول : « ماذا تجدينى السمعة الطبية بينما جارى الذى يعج بالمغازى يمطر عليه الذهب حتى أكاد اسمع رنينه من عيادتى » !

مواجهة التجربة والخطة

والطبيب والشاعر فى ناجى



د· طه حسين : اغرى ناجى بترجمةشعر بودلير

لا ينفصلان ، فهو فضلا عن انه يعامل المرضى معاملة شاعر ، فان تجربة شعره كلها تكاد تكون ثمرة من ثمار حياة الطبيب ولولا الطب لما انفتحت امام ناجى كل الابواب وعرف كل الوجوه التى عطف عليها واحبها ، والتى أغرقت قلبه فى تلك الدوامة التى لم ترحمه وانكشفت له اسرار البيوت وعرف ما لم يعرفه أحد ·

ولقد حاول ناجى ان يعبر عن هذه الرابطة حين قال :

« خلقت بقلبين : قلب الطبيب وقلب الشاعر · قلب الطبيب يمتلىء وقلب الشاعر يعبر ، فقد كانت التجارب الانسانية ترتسم فى خواطرى مضاعفة، والام البشرية لها فى جوانحى صدى مرن » ·

وقد اجمع الذين كتبوا عن ناجى ودرسوه على انه عاش حياةقلقة مريرة، يقول محمد عبد الغنى حسن : (١) انه شاعر عاش حياته حائرا مفتنا وعاش ظامئا على كثرة الموارد حوله، وجائعا على وفرة الزاد عنده ومقيما كالمسافر وثاويا كالمهاجر » ·

ويقول عبد العزيز الدسوقى : (٢) أن ناجى روح عاطش متعطش دائما للحب يبحث عنه فى كل الاوقات فى عينى كل امرأة وفى صحبتها ، ويبدو أن المثال الذى كان يتصوره لفتاة أحلامه، كان مثالا خياليا مسرفا فى الخيال ، ولعل ناجى القلق الملول الذى كان يشبه الطائر المتوجس لا يستقر على حال ولا يهدأ لحظة فى مكان ، فحبه عاثر دائما وتجاربه العاطفية كلها دموع والم من هذا الفشل الذى كان يتربص بحبه دائما ويعيش على الذكريات وكلها ذكريات كئيبة معتمة لا تلوح منها بارقة أمل » ·

ويقول الدكتور مندور :(٣) بوبالرغم

(١) مقدمة ديوان الطائر الجريح ·
(٢) جماعة أبوللو واثرها فى الشعر الحديث ·
(٣) الشعر المصرى بعد شوقى ·



بودلير : اذاع شعره طه حسين

من ان ناجي كان متزوجا وله أبناء الا انه ظل طوال حياته «ظمآن» للحب الذي يملأ فراغ نفسه ، وهناك علاقة غرامية خاصة لم ينسها طوال حياته وقد اوحت اليه بالكثير من روائع شعره وفي مقدمتها قصيدة العودة » ٠

وفي هذا كله اجماع على طبيعة رقيقة حالمة ، لا تظاهرها قوة نفسية أو روحية كبرى تحول بينها وبين الانهيار والتحطم ، فقد كان ناجي عاجزا عن ان يواجه أزمته النفسية مواجهة صادقة ٠ وتلك هي « أزمة العصر » التي وقع فيها كثير من الادباء ومن بينهم زكي مبارك وجلال شعيب بطل قصة (اديب) للدكتور طه حسين ، هؤلاء الذين عجزوا عن مواجهة المجتمع الجديد وهو يتفتح للتجربة والخطأ ٠ ذلك ان المجتمع الذي ارتاده الدكتور ناجي بعد تخرجه في كلية الطب كان هو المجتمع المصري ثمرة الثورة على الاحتلال ، وكانت بعض الاسر فيه قد وقعت في براثن ماأطلق عليه طبيب زميل للدكتور ناجي في العصر وفي الادب ، هو الدكتور حسين الهراوي ، لقد كتب الدكتور الهراوي بضع مقالات في السياسة الاسبوعية عما سماه (الفتنة الغربية) كشف فيها عن اخطار الاسر مما وقع نتيجة انطلاق الحرية ٠

وقد كشف الدكتور ناجي عن مثل ذلك في كتابه (ادركني يا دكتور) ورسم صورة ذلك المجتمع المترف الارستقراطي الذي كانت تسقط بعض عناصره في الخطأ ، وكيف رفض هو – اي ناجي – ان يجري عملية اجهاض بالرغم من دسامة المبلغ الذي قدم له ، هذا المجتمع بصوره المتعددة ، كان بعيد الاثر في نفسية ناجي ، فان ناجي الذي تعالى نفسيا على أخطاء المجتمع، وعايش الفقراء ، لم يستطع ان يتحرر ذهنيا من النظرية الجمالية للفن ومفهوم الابيقوريين اليونان وتابع فرويد في رأيه في الجنس ، ويمكن القول أن ثلاثة من اعلام الادب والفكر كانوا بالغي الاثر في فكره ونفسيته ، وربما التقوا به عن طريق التشابه في المزاج العصبي او الرقة النفسية او غلبة الطابع الوجداني : أولئك هم أبو نواس، وبودلير ، وفرويد ٠

أما أبو نواس فقد قرأ عنه ناجي عشرات من الفصول التي نشرت في ذلك الوقت والتي بعثته من جديد ، هو وزملاؤه بشار والخليع والضحاك ٠

أما بودلير فقد اذاع شعره الدكتور طه حسين وأغرى به أمثال الدكتور ناجي الذي ترجمه وألف عنه ، أما فرويد فقد استطارت شهرته في تلك الفترة بوصفه مبتدع التحليل النفسي ٠ فأعجب به ناجي وتمنى ان يكون (فرويدمصر)

ويصور ناجي هذا المعنى في بعض كتاباته فيقول : « كان طبيبا يميل الى قراءة الفلسفة على فرط ما كان يجيش به قلبه الانساني من العاطفة الدافقة ، وكان هذا الميل الى الجدل هروبا من العاطفة العمياء »

ومن الحق أن ناجي لم يوفق في قراءاته الفلسفة ، فقد ارتضى مفهوم فرويد في الجنس ولم يكن هذا هو الرأي الاخير ، فقد عارضه زملاؤه أمثال ادلر ويونج في مفهومه هذا

ابراهيم ناجي

واعتبروا ان تأكيد الذات ، وليس الجنس ، هو العامل القوى فى توجيه الانسان ، وتابع ناجى هواه مع أبو نواس حتى لقد أعتبره مثله الاعلى (١) وبذلك انتقل نقلة كبرى من كوكبة الشعراء الى دولة الظرفاء .

ولقد جاءت قراءات ناجى الغربية متباينة متضاربة فلم يستطع الشاعر أن يواجهها باساس صامد من ايمان أو منهج فكرى له جذوره العربية ، ومن هنا كان ذلك التمزق بين عاطفته وعقله .. وكانت هذه الحيرة النفسية والصراع العقلى اللذان عجلا بانطفاء مصباح حياته

وقد كشف هو عن هذه الحيرة على نحو صريح حين قال :

« شاء ابى ان اكون طبيبا ، وليس بالطب من حرج ، وانما الحرج أن يكون الخيال مركبا فى طبيعة الانسان، فاذا القدر يضعه فوق أسنة المادة ويزجه فى الدائرة التى لا شعر فيها ولا خيال ، وانما الحرج ان تكون طبيعته أن ينصت الى أنات الروح ، فيأخذه القدر الى حيث ينصت الى أنات الجسد ، وشتان بين هذه وتلك ، وانما الحرج ان تجذبه طبيعته لناحية ومهنته لأخرى حتى يتمزق بين شد هذا وجذب تلك ، وانما الحرج ان تلائم بين الضدين وتوفق بين النقيضين ، وأخيرا يلتفت فاذا نفسه اشلاء واذا الذبالة تحترق والزيت ينضب ، واذا صغير القوة قد اشرف على الزوال واذا الجبار قد مزق أوصاله ذلك النضال العنيف بين الغرائز والقدر ، وبين الميول والصروف ، وبين الخيال والمادة وبين الوهم والواقع ، وبين الروح والجسد » .

تلك مأساة ناجى : وذلك هو الصراع الذى لم يحسمه حاسم .

أغلب الظن أن احدا لم يكن يفهمه ، أو يصل الى أعماق نفسه أو يعطيه ما يرضى روحه القلقة ، أو انه هو الذى انداح وراء مفاهيم المدرسة السيكولوجية فلم يستطع أن يحتفظ بايمانه الموروث ، أو يحفظ نفسه من الانزلاق فى أخطار التمزق والفصام .

لقد عبر « ناجى » عن خلاصة حياته وتجربته فى بيت واحد من الشعر هو خلاصة حياته : ذلك قوله :

اشترى الاحلام فى سوق المنى
وأبيع العمر فى سوق الهموم

نظرة فنية للحياة

لقد كان ناجى كما وصفه النقاد : صاحب رقة لا تستطيع مواجهة العواصف والاحداث فهو شاعر « هين لين رقيق » كما وصفه طه حسين ، شعره أشبه بما يسميه الفرنجة (موسيقى الغرفة) أو أنه يحمل سمات الضعف والمرض كما وصفه العقاد : « وانه من أولئك الذين يفهمون الرقة ترادف البكاء وأن الشاعر ينظم ليبكى ويشكو فاذا هجره حبيبه بكى ، واذا تناجى مع حبيبته قال لها هاتى حديث السقم والوصب » .

ومن الحق أن ناجى قد تلقى حدة خصومة بين ابوللو وطه حسين والعقاد فقد كانت مصر تحكمها السياسة وكانت

(١) كتاب دولة الظرفاء

ابوللو في نظر الكاتبين زعامة جديدة تريد ان تفرض نفسها علي زعامة الكاتبين الكبيرين • ولقد عرف ناجي بانه رائد الاتجاه الوجداني في جماعة أبوللو وتابعه كثيرون ووصفه أبوشادي بانه شاعر اللهفة •

ومن الحق ان يقال ان ناجي كان شاعرا مطبوعا وان اداءه يهز النفس حقا ، ورؤياه مصقولة ، وكلماته رائعة ولكنه كان حزينا مبلوسا ، وكان مستسلم الطبع امام الاحداث ، وامام صولة الحبيب ، على نحو يشيع روح اليأس والهوان •

وقد أخذ على ناجي قصوره عند فن واحد ، وأنه لم ينظم في القضايا الوطنية والقومية ولم يشارك امته في تحدياتها واخطارها التى مرت بها خلال تلك المرحلة الدقيقة من حياتها ، بل لقد صبغت المدرسة الوجدانية الشعر في ذلك الوقت بطابع التخاذل ، مما حمل اليها الاتهام بانها ، مخدر ضار ، يصرف الشباب عن الجهاد والنضال في مقاومة الاحتلال ، وحين نرى (على محمود طه) وهو شاعر وجداني وقد

د. محمد مندور: تقييم لاعمال ناجي الادبية



التفت في قصيدته عن فلسطين الى معان تهز النفس تعجب لتخلف ناجي في هذا الميدان •

ومن الحق ان يقال ان ناجي في المرحلة الاخيرة من حياته قد عزل نفسه تماما عن تحديات مجتمعه ووطنه وقصر نفسه على بعض اسمار يطلق فيها فكاهاته الساخرة المريرة ، التى يسخر فيها من كل شيء وكل انسان بينما اتجه اترابه في ميدان الشعر الوجداني الى آفاق أخرى من الشعر الوطني والقومي يستوحونها ويعمقون شخصيتهم ويواكبون الاحداث

واذا كان الشعر هو قمة ادب ناجي وذروة انتاجه فان ناجي لم يرد أن يقصر نفسه على نظم الشعر بل تطلع الى منزلة ادبية واسعة فكتب القصة وسرعان ما اصدر مجموعته (مدينة الاحلام) بعد ان اصدر ديوانه الاول – ولقى من نقد النقاد مالقى – بوقت قصير ، ولم تكن (مدينة الاحلام) قصة كبرى او مجموعة قصص مترابطة بل كانت خليطا بين المؤلف والمترجم لا تعطى له امتيازا ما في مجال القصص وتوسع ناجي في انتاجه فكتب مقالات في الطب وفي النفس واهتم بدراسة ويلز وفرويد ، وحاول أن ينشيء نظرة فنية للحياة من خلال قراءات طائرة متفرقة غير متعمقة، واعتمد على نظرية داروين اساسا واخذ مفاهيمه فيها من الماديين ، ولو انه اطلق لنفسه حرية البحث وقرأ جوليان هكسلي في الداروينية الجديدة او اليكس كارليل في (الانسان ذلك المجهول) لاهتدى الى اشياء كثيرة ربما كانت له عاصما وحاميا مما تأثرت به نفسه في شأن الخلق والخلود ولماذا جئنا والى اين

تذهب من نظرة متشائمة الى الوجود من طابع اللا ادرية الذى مس فكره ، فقاده الى نوع من الشك فى كثير من القيم الاصيلة ·

ومعى صديق تأملاتى

ولقد توسع ناجى فى بحوث الفلسفة وكتب فيها وحاضر ،.ولم يصل فيهـا الى فكرة واضحة بل بقى فى ضباب المذاهب النفسية والميتافيزيقية · والى هذا المعنى اشار الدكتور محمد مندور وهو يقيم تراث ناجى حين قال : (١) « لقد كانت طبيعته دائمة التوثب والتنقل من فن الى فن كالطائر سواء بسواء ،

ومثل هذه الطبيعة لا قدرة لها على التحليل والدرس والصـبر عليهما ، لذلك تراه يقفز فى بحوثه من فكرة الى اخرى ولكنه قلما يستطيع بناء فكرة على اخرى ، أو توسيع الاساس الذى يبنى عليه لبنات افكاره فى بناء متكامل سليم ·· »

ومن اجل هذا لم ير مندور فى تراث ناجى ما هو أهل للتقدير غير شعره الذى هو بحق عصارة روحه ، والذى وصفه ناجى نفسه بانه « النافذة التى أطل منها على الحياة واشرف منها على الابد وما وراء الابد ·

وقد طالع فنـــون الشعر العربى القديم وقرأ فى فن العروض والقوافى ثم طالع فى الادب الانجليزى والفرنسى فنونا مختلفة من الشعر والنثر ، وكان لمولده فى شبرا على اطراف المدينة اثر بعيد فى اعجـابه بالطبيعة : يقول : كنا نسكن شبرا ··· وشـــبرا منذ ثلاثين عاما كانت بساطا اخضر شعريا بديعا تتوسطه ساقية وعلى حفافيه شـجيرات جميز وتـــوت فكنت أمشى الى تلك المـــروج ومعى صديق تأملاتى (دافيد كوبر فيلد) فما زلت به حتى قرأته مثنى وثلاث ورباع

وما زال بى حتى خلق منى اديبا وشاعرا سامحه الله ، والحق اننى لا ادرى الحسن القدرام اساء · ابى كان يحبب (دكنز) الى ليصقل شعورى ويزرع فى الانسانية ويعلمنى التأمل والملاحظة ، اما دكنز فقد حبب الى الادب على الاطلاق اما (دافيد كوبر فيلد) فقد خلق منى شـــــاعرا وجعلنى ابحـــث لى عن (دورا) أخرى اشرب من عينيها خمر الحياة ســامحه الله لقد عذبتنى (دورا) هــذه وشـــطرت روحى شطرين ·

تلك هى اعماق المأساة : شاعر حالم ومعه مثل من امثلة الخيال ، لا توجد على الارض الا قليلا دفعه الشوق الى البحث طويلا حتى ارهقه التجوال فلما وجده أو وجدها لم يســـتطع أن يستخلصها لنفسه فتضـاعفت الازمة وطال به العذاب !

(ولد ناجى ١٨٩٨ وتخـــرج فى مدرسة الطب ١٩٢٢ وعمل فى وزارات الصحة والمواصلات والاوقاف وتوفى فى ٢٥ مارس ١٩٥٣ بعد أن ترك خدمة الحكومةبعامواحد قضاهمريضا عليلا)



ناجى محمود طه : القصيدة فى
المطلق معانيها تعز النفس :

(١) الشعر المصرى بعد شوقى ح ٢



لأنه الأفضل.. حصل على علامة الجودة
ES
سافو
يغسل أكثر بياضاً!
SAVO
سافو

د . انجيل بطرس

أطباء أدباء ..

حظى الادب العربى فى بلادنا باجتذاب عدد من الاطبـــاء الذين اثروا الانواع الادبية المختلفة بانتاجهم ، فكان منهم الشاعر والكاتب المسرحى والروائى وكاتب القصة القصيرة .. اما فى الادب الانجليزى فمن بين الادباء الذين مارسوا مهنة الطب او درســـوا الطب ثم هجروه الى الادب نجد الشاعر مثل « جــون كيتس » الشــاعر الرومانسى الخالد ، ثم الروائى مثل « توبياس سموليت » ــ احد كبار روائيى القرن الثـــامن عشر و «الدوس هكسلى» مؤلف « العالم الجديد الجميـل » ، والروائى والقصـــاص والكاتب المسرحى المعـــاصر « سمرسيت موم »

قضى جون كيتس (١٧٩٥ ـ ١٨٢١) عدة ســنوات من عمره القصـــير فى دراسة الطب ، ولكنه كان طوال تلك السنوات شـديد الولع بالشـــعر وبالاداب اليونانية بوجه خاص ٠ اهتم بقراءة الميثولوجيا اليونانية وشعر شيكسبير وسبنسر والتعرف على الفنـــون ٠ وما لبث أن هجر الطب وكرس حياته لكتابة الشعر ، فترك لنا فى حياته القصيرة ثروة شعرية ضخمة ، وقارنه بعض النقاد بشيكسبير ،أعظم الشعراء الانجليز ، لقدرته الشـعرية الفائقة ووفرة انتاجه وتميزه ٠ فاذا تساءلنا عما اذا كانت دراســـة الطب قـد تركت اثرا واضحا على شـعر جون كيتس ، فلعل الاجابة ستكون بالنفى٠٠

كان كيتس مولعا اشـــد الولع بالنواحى الجمالية والانفعالات الحسية وكانت له فلسفته الخاصة فى الجمال ومعرفة الحقيقة ، ولا نظن انها تأثرت بدراسته للطب بشكل من الاشكال ٠

لقد تأثر « كيتس » بفنون الاغـريق، وادابهم وجمال الطبيعة ، وجاء شعره شاهدا على حبه للانسانية والحرية ، والحق والجمال ٠

رائحتهم تزكم الانوف

فاذا انتقلنا الى ميدان الرواية كان توبياس سموليت (١٧٢١ ـ ١٧٧١)

فى الأدب الإنجليزى

اول من يقابلنا فى هذا · كان « سموليت » طبيبا مارس مهنة الطب بالفعل فعمل طبيبا بحريا ، وترك لنا سجلا شيقا لبعض تجاربه على السفن التى عمل بها ، كما توحى جميع اعماله بما يعانيه رجل الصحة الذى يعيش فى عصر لا يعرف قواعد الصحة ولا يهتم بالنظافة بل تسوده القذارة والوحشية، كما كان الحال فى انجلترا فى القرن الثامن عشر ·

وقد كان « سموليت » الى جانب كونه طبيبا يدرك تمام الادراك اهمية

الدوس هكسلى : كرس حياته للكتابة الادبيـة



النظافة ومراعاة القواعد الصحية ، رجلا مرهف الحس تؤلمه قذارة المجتمع الذى يعيش فيه وقسوته ووحشيته ·

وكانه يحس بجميع حواسه الحياة التى يعيشها ويعيشها الناس من حوله ·

ولذا فقد جاءت أعماله تعج بالاحتقار والغضب ·

كتب أحد النقاد يقول أن «سموليت» كان حساسا بشكل مفرط ولذا سعى لشفاء معاصريه من الوسخ الذى يعيشون فيه وذلك عن طريق حك انوفهم فى ذلك « الوسخ » ، أما ما يعيبه عليه فهو انه فى معظم أعماله ، لا يخفف من هذا التقزز الذى يشعر به نحو المجتمع الانسانى بشيء من العطف والتسامح والشيء الوحيد الذى يجعل منظر الحياة محتملا هو أن يرى فيها مادة للكوميديا · ولما كانت تلك الكوميديا صادرة عن احساس عارم بالغضب والاحتقار فقد جاءت كوميديا قاسية ·

كتب « سموليت » عددا من الروايات التى اتخذت شكل قصص البيكاريسك نسبة الى اللفظ الاسبانى بيكارو ، أو قصص الشطار كما يطلق عليها احيانا ، وتعالج عادة عددا من الاسفار والمغامرات والأحداث التى يربط بينها حدوثها لشخص واحد هو بطل القصة · واهمها « روديريك راندوم » (١٧٤٨)، « وبريجرين بيكل » (١٧٥١) ، « ورحلة همفرى كلينكر » (١٧٧١) وهى آخر اعماله واقلها قسوة · ومنها يتضح أن « سموليت » لم يكن كارها للبشر بقدر ما كان كارها لما يعيشون فيه من قذارة وما يعانون منه من امراض وما يتحملون من قسوة وغلظة · ومما

في الأدب الإنجليزي

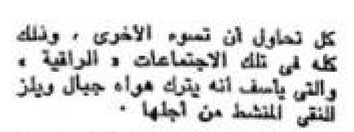
يؤكد ذلك شخصية السيد برامبل الذى يمثل الكاتب ذاته ، والذى يخفي تحت مظهره العابس الصارم قدرا كبيرا من الحب للغير والتعاطف معهم والشفقة بهم والتسامح مع اخطائهم .

ولكن « سموليت » مثله مثل غيره من روائيي النصف الاول من القرن الثامن عشر كان يهدف الى التعليم والتهذيب وتغيير سلوك المجتمع عن طريق النقد والسخرية اللاذعة . ولذا فقد هاجم عصره فى أكثر نقطه ضعفا . فاذا ما كان القرن الثامن عشر يفخر بعمارته وجمال مبانيه فقد كشف لنا « سموليت » عما يخفيه جمال الواجهة ووقارها من قذارة وعفن . كشف لنا كيف تستخدم درجات السلم مرحاضا عاما وكيف تفرغ القاذورات من النوافذ العليا ، وكيف كانت رائحة السيدات والسادة الذين يرتدون الملابس الفاخرة تزكم الانوف لافتقارهم الى النظافة واهمالهم الاستحمام .

كذلك فهم فريسة أمراض النقرس والبدانة نتيجة الافراط فى الأكل والشراب أو أمراض سوء التغذية نتيجة للفقر والحرمان . وفى الوقت الذى كان بعض الافراد يجمعون ثروات كبيرة كانت الاغلبية الساحقة تعيش فى فقر مدقع . وكان أصحاب المال هم أصحاب السلطة والنفوذ . وكان المال والنفوذ والقوة أدوات ارهاب وقهر واذلال لمن لا يملكونها . فاذا ما كانوا فقراء أو بحارة أو اطفالا فهم يعانون من وحشية السلطة وتقلبها ، وسيجلدون ويجوعون حتى يفقدوا الاحساس أو يصابوا بالاسقربوط . واذا أعوزتهم النقود يدفعونها رشوة لقضاء مطلب ، فسيظلون تحت رحمة أولئك الاكثر ثراء أو قوة منهم . وعلى أى حال فسيسرقهم ويخدعهم من هم اعلى منهم .

وقد صور لنا «سموليت» فى روايته راندوم » و« بريجرين بيكل » قسوة حياة الأطفال فى المدارس وعمليات الجلد والضرب الخالية من الانسانية وحياة البحارة على السفن وحياة الفقراء والمظلومين بوجه عام .

أما فى روايته الأخيرة « رحلة همفري كلينكر »التى تصف رحلة يقوم بها ماثيو برامبل وأسرته عبر انجلترا واسكتلندا فيتوقف عند مدينة باث الشهيرة بحماماتها الرومانية القديمة ومياهها المعدنية والتى كانت مركزا لتجمع طالبى الاستشفاء أو الترفيه والمتعة . وينقل الينا صورة لذهاب ماثيو برامبل الى الحمامات وكيف يشعر بدوار وغثيان وكيف يستدعى الطبيب الذى يخبره بانه بخير وان ما حدث له كان نتيجة للزحام الشديد ولتأثير الروائح الكريهة على طبيعته الحساسة بشكل غير عادى . ويعلق برامبل على ذلك بقوله انه يعجب كيف يتحمل الاخرون تلك الروائح النفاذة التى هى خليط من الروائح الكريهة والعطور القوية ، خليط من روائح الافرازات الادمية والادوية والعطور ،



كل تحاول أن تسوء الأخرى ، وذلك كله فى تلك الاجتماعات « الراقية » والتى يأسف أنه يترك هواء جبال ويلز النقى المنشط من أجلها ٠

ويصف فى مكان آخر كيف يختلط المريض بالمعافى فى تلك الأماكن وكيف يستحم الجميع فى نفس المياه ، فتنتقل العدوى عن طريق الجراثيم ومخلفات الاغتسال من الواحد الى الآخر ٠ ومن المحتمل ان تنتقل هذه المياه ذاتها الى الانابيب يشرب منها آخرون فى النهاية ٠

كما يلفت النظر أيضا الى الشوارع الضيقة المظلمة التى تتراكم بهـا القاذورات والمخلفات ، والى المنازل التى لا تدخلها الشمس والهواء والتى تؤدى بسكانها الى الضعف والمرض ٠

وهكذا نرى أنه من المحتمل ان كون « سموليت » طبيبا قد جعله أكثر ملاحظة لتلك الاشياء وأكثر اهتماما للكشف عنها أملا فى أن يؤدى ذلك الى القضاء عليها ٠ ومن المحتمل ايضا أن يرجع ذلك أساسا الى حساسيته الشخصية وكرهه الفطرى للقذارة وتقززه الشديد منها ٠

ماقد يحدث فى المستقبل

أما الدوس هكسلى (١٨٩٤ ــ ١٩٦٣) الذى ينتمى الى أسرة من العلماء والأدباء ، فقد درس الطب ثم منعه ضعف ألم بعينيه من ممارسته فاتجه الى الكتابة وكرس حياته لها ٠ نشر روايته الاولى فى ١٩٢١ واستمر فى الكتابة حتى آخر حياته تقريبا ٠

ولما كان « هكسلى » قد بدأ نشاطه الأدبى فى الفترة التى اهتم فيها الروائيون بالتجريب والتجديد فى ميدان الرواية أملا فى تطوير هذا النوع الادبى وجعله أكثر قدرة وفاعلية على تصوير الحياة الانسانية فى المجتمع الحديث ٠٠



ارنولد بينيت : من كتاب الرواية فى انجلترا

سومرست موم : اكثر الادباء انتشارا بين جمهور القراء ٠٠

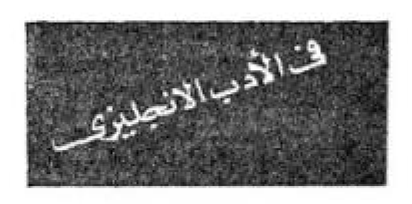
فقد بدأ أول الامر أنه سيدلى بدلوه فى هذا الميدان ٠٠ وقد كشفت بعض أعماله المبكرة عن اهتمام بالتجديد الفنى واستخدام لبعض الاساليب المستحدثة ٠ ولكن ما لبث أن بدا واضحا أن هناك أفكارا معينة تسيطر على لب « هكسلى » وأنه يميل الى استخدام الرواية كوسيلة لمناقشة تلك الافكار ونقلها الى القارىء فى شكل فنى مشوق ٠

كان من الواضح أيضا أنه يرمى الى تصوير الحياة المعاصرة من وجهة نظر ناقدة ساخرة ، ساخطة متشائمة فى كثير من الأحيان ، وذلك عن طريق تقديم بعض النماذج المألوفة وتشريحها تشريحا يكشف عن خوائها وفسادها ٠ ولعل خير مثل لذلك روايته : « تقابل الألحان » (١٩٢٨) التى تدور حول العلاقات المتبادلة بين عدد من المثقفين والأدباء وتقدم فريقين متميزين هما فريق الاشتراكيين من أبناء الطبقة العليا وفريق المثقفين وذلك فى انجلترا فى أواخر العشرينات من هذا القرن ٠

أما الشخصيات التى اختارها لتكون نماذج نمطية فقد أخذ بعضها من دائرة أصدقائه ومعارفه والبعض الآخر من الشخصيات الأدبية ٠ أما شخصية

فيليب كارل فتمثـــل المؤلف ذاته ، ويمثل رامبيون الروائي المعروف د . هـ . لورانس ، وتمثل شخصية بيرلاب صديق لورانس وكاتب ســـيرته : ميديلتون موري . اما ســـباندريل فيمثل الشاعر الفرنسي الشـــهير : بودلير .

ومن الملاحظ أن « هكسلي » يفشل في معظم الاحيان في خلق شخصيات مقنعة تنبض بالحياة . اذ تتحـــول معظم شـــخصياته الى ابواق تنقل افكارا وتميل الى الكاريكاتور اكثر من الشخصيات المتكاملة .



ويلخص أحد النقاد تلك الشخصيات بقوله ان كل ما تفعله هو أن تتحدث وتمارس الجنس واحيانا تستمع الى الموسيقى أو تكتب . ومن هنا فعالمه يفتقر الى الحيـــوية والاقناع ويعلل النقاد ذلك بعدم قدرة « هكسلي » على خلق الشخصيات واستخدام الحـوار من ناحية ولسيطرة نظرته المتشائمة للحياة من ناحية أخرى . فالعـــالم الذى يقدم فى هذه الرواية مثـــلا لا يخرج الى حيز الوجود ككائن حى على الاطلاق وكأن « هكسلي » يأخـذ فى تشريح هذا العالم قبل ان يتـــم خلقه .. ثم يبدو وكأنه يحاول اثبات قضية ما وهى أن جميع أنواع النشاط الانســـانى لا تؤدى الا الى العـــذاب العقلى وبالاحســـاس بالفشل ، فهى عـــديمة القيمة ، عديمة الجدوى ، مخيبة للامال . ويكشف عن فلسفة الية تدفع بالشخصيات للتصرف تبعـا لخطة مرسومة بحيث لا يتمتع بالحرية — حرية الاختيار والسلوك — الا قلة نادرة منهم .

وذلك لا يعني بالطبع ان جميع اعمال «هكسلي» هى أعمال فاشلة من الناحية الفنية فبعض اعماله تتميز بقدر غير قليل من المرح والذكاء والنفـــاذ الى اعماق المواقف والشخصيات كما هو الحال فى « انتيك هاى » ثم فى « ضرير فى غزة » الا أن اهم عيـــوبها هو الافتقار الى التعاطف والغضـــب على حد سواء بحيث تبقى علامتها المميزة السخرية المتشائمة .

فاذا القينا نظرة اكثر تمهـلا على فلسفة « هكسلي » بوجه عام وجدناه يبدو تدريجيا ولكن بشـــكل واضح ، شديد التقزز من النواحي الحســـية للحياة الانسانية ، ميالا ، وخاصـــة فى أعماله المتأخرة الى فلسفة تميل الى التقشـــف والزهد والروحانية . ويبدو ذلك واضحا فى رواياته اليوتوبية التى تصور المســـتقبل . ففى احدى هذه الروايات « بعد الكثير من مواسم الصيف » : (١٩٣٩) يصور كيف نجح الانسان فى اطالة عمره على الأرض ، وهو حلم طالما راود خيال الانسان ، ولكن يصبح اقرب الى الحيوا نمنه الى الانسان بحيث نرى فى النهاية الرجل وزوجته اللذين تم لهما ذلك فى قفص وقد عادا الى حالة من الوحشـــية ، والانحطاط الذين يبعثان على التقزز والأسى .

اما فى « العالم الجديد الجميل » .. (١٩٣٢) التي يعتبرها كثير من النقاد اكثر اعمـــال « هكسلي » نجاحا ، فيقدم لنا صورة لعالم المستقبل الذى انتصرت فيه الالة والتكنولوجيا والعلوم

شيكسبير : مقارنة بينه وبين كيتس . .



موباسان : نموذج جيد لكتابة الرواية الطبيعيـــة . . .

من ناحية والتنظيم السياسي من ناحية أخرى .. ففي ذلك العــــالم لا يولد **الاطفال بالطريق الطبيعي بل يصنعون في انابيب الاختبـــار ويشكلون تبعا لاحتياجات المجتمع الذي يحدد سياسته**

عدد من الحكام . وفي هذا العـــالم الجديد ينتمي بنو البشر الى فئــات محددة ، لكل فئة صفات مميزة تأتي نتيجة للتحــكم الكيميائي البيولوجي الذي يقوم به العلماء عند اختيـــار

البويضات للتفريخ أولا ثم معالجتها بالطرق العلمية أثنـــاء نموها في انابيب الاختبار ثانيا ثم بعد « فقسها » او خروجها الى العالم الخارجي عن طريق استخدام الوسائل الفسيولوجية والنفسية ثالثا .

وفي هذا العالم اصبحت كلمـــات الميلاد او الاب او الام كلمـــات نابية يتحرج الجميع من ذكرها ، فان ذكرت عرضا في محاضرة علمية او حديث

تاريخي احمـــــرت الوجوه وتلاقى السامعون عيون بعضهم البعض ، او تضاحكوا ان كانوا اكثر جرأة كما

يحدث الآن بيننا عند ســـماع نكتة « خارجة » ، ولا يعني ذلك بالطبع ان الجنس قد اختفى من ذلك العـــالم . فبعد أن تحرر الناس من انجاب الاطفال أصبحت الممارسة الجنسية غير معقدة، تشجعها الدولة ما دامت غير مرتبطة

بشخص بالذات بحيث يمكن أن تؤدي الى ارتباط عاطفي او علاقة شخصية بين فردين من الافــراد ، وما دامت

تتخذ الاحتيـــــاطات اللازمة لضبط عملية الانجاب . أما ما اختفى بالفعل فهو الحب بالمعنى المعروف في عالمنا . فقد اختفت العلاقات الانسانية كلها بوجه عام .

كل ذلك جزء من صورة العـالم القبيـــح في الواقع ، الجميل على السطح الذي يعكسه أمامنا « هكسلي » على سبيل التحذير مما قد يحدث في المســـتقبل ان أفرطنا في أعتمـادنا

على التقدم العلمي والتكنولوجي وفي ايماننا بفائدة التنظيم الاجتماعي الذي يجعل من الفرد اداة لا حيلة لها في يد السلطة الحاكمة ، بحيث تقضي

على الصفات الانســــانية والقيم الانســــانية وتحول العالم الى شيء كريه جاف يدفع بالزائر البدائي الذي

يأتيه من احد المستعمرات الامريكية البدائية الى الانتحار .

وليس هنـــــا مجال الدخول في تفاصــــيل هذا العالم العجيب الذي استطاع « هكسلـي » عن طريقه ان

ينير ضوءا أحمر دلالة على الخطر الذي تواجهه الانسانية ان لم تتخذ

الحيطة اللازمة . أما ما نريد الاشارة اليه فهو أن بعض تفاصيل هذا العالم

تعتمد على قدر غير قليل من المعرفة بعلوم البيولوجيا والفسيولوجيا وبعض فروع علم النفس – وهي اشياء لا بد

ان « هكسلي » قد تزود بها اثنـاء دراسته الطبية · ومن هنا يمكن القول بانها انتاج مشترك للاديب والطبيب ·

فاذا عدنا لحظة الى تطور نظـرة « هكسلي » الى المستقبل وجدناه فى روايته التالية « القرد والجوهـر » (١٩٤٨) يصور نهاية العالم نتيجة لانفجـــار ذري لا يترك في الوجود الا جماعات متفرقة من البشر تبدأ سلسلة التطور من جـــديد · ثم يتحول فى روايته الاخيرة « الجزيرة » (١٩٦٢) الى تصـــوير عالم يجمع بين بعض انجازات العلم وفلســـفة الشرق الروحانية ويحيا فيه الانسان حيـــاة سعيدة قريبة الى الطبيعة ·

فلسفة قدرية متشائمة

اما المثل الاخيـــر للطبيب الاديب فى الادب الانجليزى فهو سمرسيتموم (١٨٧٤ ــ ١٩٦٦) ، ولعله اكثـــر الادباء الذين ذكرناهم هنا انتشـــارا بين جمهـــور القراء · ومرة أخرى نرى أنه درس الطب والتحق بمستشفى استعدادا لممارسته ولكن نجاح روايته الاولى شـــجعه على التحول الى الكتابة والادب ·

وقد كان « موم » كاتبا متعـــدد القدرات غزير الانتاج ، ولعل سمته الاساسية هى اهتمامه بالوصول الى جمهور عريض ولذا فقد كتب كثيرا من الاعمال الترفيهية التى تفتقر الى درجة العمق والاصـــالة الفنية التى تتصف بها الاعمال الادبية الكبرى ·

ويعد « موم » أحـــد رواد الرواية الطبيعية فى انجلتـــرا مثله فى ذلك مثل جيسينج ، وبنيت ، فى انجلترا ، وزولا ، وموبا ســـان فى فرنسا ·



اميل زولا : من رواد الرواية في فرنسا

ويعتمد المذهب الطبيعى اساســا على الروح العلمية والملاحظة الموضـوعية لظاهر الحياة ، ويميـــل رواده الى اعتناق فلسفة قدرية متشـــائمة الى حد كبير ·

وقد بدأ « موم » حياته الادبية على نهج زملائه فى هذا الميدان ، بتصوير حياة الطبقات الدنيا وكشف حيـــاة الفقر والذل والمعاناة التى يحيـــاها أفراد تلك الطبقـــات وذلك فى رواية « لايزا » (١٨٩٧) · أما روايتـــه « عبودية الانسان » (١٩١٥) التى تعتمد الى حد كبير على قصـــة حياته فتعد ســـجلا قيما لفترة من الفترات ونظرة معينة للحيـــاة تعكس ذلك الاعتقـــاد بأن الحياة عديمة المعنى عديمة الهدف وأن حياة الانســـان خاضعة لظروف لا يد له فيها ولا حكم له عليها · فمهما حاول الانسان فهو فريسة تلك الظروف ، نتاج حتمى لها ويرتبط بذلك أيضا تصويره لما يعانى منه بطل القصة من عزلة نفســـية لا نتيجة للعاهة الجسمية التى تلازمه

طوال حياته بل لا حساسه باختلافه عن غيره من الناس وعدم قدرته المواءمة بين ذاته وبينهم ٠

وتشير بعض اعمال « موم » المتأخرة الى ميله الى فلسفة الشرق وسخريته من القيم المادية التي تسود العالم العصرى وتكاد تقضى على القيم الانسانية التي قد تضفى شيئا من المعنى على الحياة ٠

فاذا اخذنا مثلا رواية « حد الموسى » (١٩٤٤) — التي نقلها الى العربية فى ترجمة جيدة الاستاذ سليم الأسيوطى — وجدنا بطل القصة لارى ، الشاب الامريكى ، الذى يلتحق بالسلاح الجوى الأمريكى ولما يبلغ الثامنة عشرة من العمر ، ويصاب بصدمة عنيفة نتيجة موت خير صديق له فى السلاح الجوى وهو يحاول انقاذه من موت محقق ، يهجر المجتمع الأمريكى بما يقدمه له من فرص للعمل والكسب السريع والزواج من الفتاة التي يحبها ، ويتجه الى قراءة الأدب والفلسفة فى باريس ، ثم الى العمل فى المناجم والحقول فى المانيا ثم ينتهى به المطاف فى الهند حيث يقضى خمس سنوات يتعرف على فلسفة الحكماء الهنود ويتعلم منهم الشىء الكثير ويحاول أن يجد الاجابة على تساؤلاته عن الله ومعنى الحياة وماهية الموت ٠ ويعود فى النهاية وقد حصل على شىء من راحة النفس والثقة والاطمئنان التي تبدو واضحة فى سلوكه وفى تعامله مع الغير ٠

ويقدم لنا « موم » الى جانب شخصية لارى عددا من الشخصيات التي تمثل اهتمامات العالم الذى هجره هذا الشاب فى بحثه عن الحقيقة ، مثل اليوت الثرى الامريكى الذى جمع ثروته من التوسط بين تجار التحف وعملائهم وحقق مركزا اجتماعيا عن طريق الاطراء والمداهنة واقامة الحفلات والولائم ، بحيث كان اكثر ما يهتم به وهو على فراش الموت هى دعوة تأتيه من اميرة تقيم حفلا تنكريا فى مدينة من مدن شاطىء الريفيرا وتدعو اليها كبار القوم من ملوك سابقين وامراء ونجوم مسرح وسينما ٠ ومثل ايزابيل الشابة الامريكية الجميلة التي تهوى لارى ولكنها تفسخ خطبتها له عندما يرفض العودة الى شيكاغو والعمل فى مؤسسة مالية كبرى يديرها والد صديقه جراى ، وتتزوج جراى الشاب الغنى الذى يوفر لها حياة رغدة ويستطيع أن يهديها ماسة مريعة مرة ومعطفا من الفراء الثمين مرة أخرى ٠

ولعل « موم » ينقل الينا موقفه من هذه الانماط البشرية بطريقة مسرحية لا تخطئها العين عندما يصور لنا الانهيار المالى الذى يصيب امريكا فى ١٩٢٩ فيفلس جراى ويموت والده نتيجة ازمة قلبية ويصاب هو نتيجة للشعور بالفشل بنوبات من الصداع المؤلم الذى لا يخلصه منها الا لارى الذى يعود فى ذلك الوقت من الهند حاملا فى جيبه تعويذة يستخدمها كما يقول ليساعد جراى على أن يساعد نفسه فيسترد ثقته بذاته ويتركه الصداع ويفكر فى العودة الى العمل ٠

فاذا تساءلنا عن اثر الطبيب فى مثل هذا الانتاج الأدبي فقد لا نصل بيسر الى اجابة مقنعة ٠ ولكن الحقيقة التي لاجدال فيها هى ان الادب قد استهوى طبيبا تركلنا اثارا ادبية مازلنا نقرؤها ونستمتع بها

مصطفى
محمد
الغماري

ابتسام حزين

روى الليل اشـواقى فداعبها البـدر
وماجت بآفـاقى فعـانقها الفجـر

وتاهت على اهدابهـا سـكرة الهوى
مفوفة الاهـداب يغفو بها السـحر

تفتـح اكماما ترف بهـا الصـبا
وتبـدع انغاما يجـاذبها السـكر

فيـا نغمـة تنـآد فيها رفارف
من الحسـن غنى فى تلاميعهـا العطر

ويا همسـة فى واحة الوصـل عذبة
يميـد لها غصن ويزهو بهـا ثغـر

تغنى فتصـفينى النشيد ، تأودت
مفـاتنه . من عطـرها ثمل الطـير

وتحنـو على قلبى . وتختال فى الرؤى
منغمـة فى جفنهـا حلم الزهـر

وتدنو ، وقد غنى من « الغار » باغم
يقـول : ابعـدى يا أنتى أنت والهجـر

ويسرى الى روحى حنـان مواصـل
كانفاس قلبى حين تسـكرها الخمـر

وهبت مواويلى على جنـة الهـوى
تنـاجى الحنـان الغض انفاسها الخضر



وتاهت ترانيمى ، وقــد رقــد الورى
سوى عاشق يشــدو فيصغى له الفجر

وفى جانبيه من حنــان الهــوى الذى
يبــدده شــوقى ، فيفتضــح السر

حنــايا اجتبــاها الحب مجلى وهيــكلا
وسبح فيهــا باسمه ، فانتشى الثغــر

وغرد فيهــا بالمغــانى والهــا
يهدهده صــبر ويودى به جمــر

فياراهبا فى القلب ، مغنــاك بلقــع
وروضــك محزان .. بذاحكم الدهــر

فهلا تخلت البدر مغنــاك فى الهــوى
فجاءتك تســعى للهوى الانجم الزهــر

ســلام فان الروح بدد شــمله
صدود ، وان القلب يجتــاحه الهجــر

وكفرا بدهر صــار فيه جمــاله
يجيــد فنون الحب وهو بهــا غــدر

فــلا كاس لى غــير الاسى يلهب الاسى
وتنهــار آمالى فينفطر الصــبر



أيام في "الدوحة" مركز الإشعاع في الخليج


الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر

وكانت الرحلة الكبيرة الى الشقيقة الرشيقة « قطر » .. النائمة على ذراع الخليج العربي ، غير بعيدة عن نفحات الاراضي المقدسة التي اضفت على القطريين المذهب السلفي ، مذهب الامام محمد بن عبد الوهاب ، ، فسلكوا ، ولا يزالون ، دروب السلف الصالح في الحرص على الدين وعدم الترخص في فروضه وأوامره ونواهيه ..

واذا كانت « قطر » دولة حديثة في المجتمع العربي ، فان الحفريات تقول انها آهلت بالسكان منذ العصرين الحجري والحديدي .

ويقول التاريخ ان « قطر » كانت منذ قديم طريقا اساسيا للتجارة بين الشرق والغرب ولم تطأها قدم اجنبية حتى القرن السادس عشر ، عندما اقام البرتغاليون على شاطئها بعض المستعمرات والقلاع .

ثم اعقب ذلك دخول الاساطيل البريطانية والفرنسية والهولندية مياه الخليج العربي ، واشتدت المنافسة بينها جميعا حتى استقر الامر للسيطرة البريطانية سنة ١٧٦٦ .

ومر الزمان ، وانبثق الزيت يبارك شبه الجزيرة الصغيرة ،

وتطلع القطريون الى الاستقلال حتى ظفروا به فى سنة ١٩٧١ ، وبدأ تنظيم الدولة على أحدث الاسس ، وأرسى الدستور ، الذى نص على الشورى ممثلة فى مجلس الشورى ، كما نص على أن شعب قطر جزء من الامة العربية ٠

ويبلغ عدد سكان « قطر » نحو ١٣٠٫٠٠٠ نسمة ، يقيم معظمهم فى العاصمة « الدوحة » ٠ وقد وصل انتاج « قطر » من البترول فى العام الاخير الى حوالى ١٨٫٠٠٠٫٠٠٠ طن

وهناك نهضة تعليمية واسعة تسير بخطا حثيثة نحـــو القضاء على الامية بين الصغار والكبار على السواء ، كما أن هناك نهضة أدبية وفنية مزدهرة تسهم فيها أجهزة الاعلام - وعلى رأسها الاذاعة والتليفزيون - اسهاما مشرقا ٠

ويتتبع القطريون الحركات الادبية فى العالم العربى ، ولا سيما مصر ، باهتمام بالغ ٠ وعندهم مثل ما عندنا من معارك حامية بين الشعر القويم والشعر الجـــديد ، وبين المذاهب الكلاسية والمـــتحدثة فى ســـائر مجالات الادب ، ولكنهم لا يسمحون بأى عبث بحرمة العقيدة تحت ستار الافكار الطليعية والمذاهب الوافدة التى تتناقض مع أصـــالة الأمة العربية

وساعود الى الحديث عن شعراء قطر وادبائها باسهاب فى العدد القادم ان شاء الله ٠

وقد احتفلت قطر منذ أيام بذكرى مرور عام على حـــركة التصحيح الواعية المستنيرة التى نهض بها امير قطر فى سبيل تطهير اداة الحكم وأرساء مخطط حضارى واســـع يجرى تنفيذه الان على قدم وساق لتصبح هذه الدولة الشقيقة - على صغر حجمها - من مراكز الاشعاع العربية الخلاقة فى منطقة الخليج ٠٠٠

الدكتور سعيد عبده القصصي الشاعر الزجـــال



د. سعيد عبـــده

كنت اتمنى ان يحتوى هذا العدد من «الهلال» على دراسة عن الدكتور سعيد عبده ، الذى قضى أونة من حياته فى دارنا ، رئيسا لتحرير مجلة « طبيبك الخاص » ٠٠ لولا انه يؤثر دائما ان تغلب فيه صفة الطبيب على صفة الاديب ، ولهذا لا يحرص على جمع ما تناثر من أدبه خلال نصف قرن من الزمان ٠

بدأ الدكتور سعيد عبده حياته الادبية وهو طالب فى كلية الطب ، وكان يكتب بانتظام فى مجلة « الصباح » ٠

والتفت امير الشعراء - رحمه الله - الى بريق قلم ذلك الشاب يومئذ ، فاســـتدعاه وقربه اليه ، واتخذه أثنا ثالثة يقرأ عليه قصائده قبل أن ينشرها ، فيقترح عليه سعيد أن

يحذف ذلك البيت ، أو يصقل ذلك المعنى، أو يستبدل تلك الكلمة بكلمة اخرى يقترحها له ٠

وكان شوقى يستجيب دائما لما يقول سعيد ، تقديرا لاذنه الموسيقية وذوقه الحساس ٠

وعندما شرع شوقى فى كتابة مسرحياته الشعرية ، كان سعيد عبده هو الذى يجمع له المادة التاريخية ٠

وفى تلك الاونة ، نظم سعيد عدة اغنيات للمرحومة اسمهان ، كما ان له اغنيات اخرى ، غناها عبد الوهاب ، ولكنها نسبت الى غير مؤلفها ٠

واتجه سعيد – بعد تخرجه فى كلية الطب – الى الصحافة محترفا ، الى جانب وظيفته المهنية ٠ فكان يكتب المواويل السياسية المثيرة فى مختلف الصحف الاسبوعية ، كما أصبح فى ذلك الحين من رواد القصة القصيرة ، ونظم كثيرا من الشعر الفصيح ٠

وعين بعد ذلك استاذا لعلم الصحة فى جامعات العراق ، فاعتزل الادب حينا ، الى ان عاد الى القاهرة ، فركز اكثر جهده على ركنه الصحفى المعروف « خدعوك فقالوا » وتنقل به من « الاخبار » الى « المصور » الى ان استقر به فى « الاهرام » ومزج فيه علم الطبيب بأسلوب الاديب فى براعة مأثورة ٠

ليلى .. عاشقة الريحانى التى لم تره أبدًا



د . ليلى ابو سيف

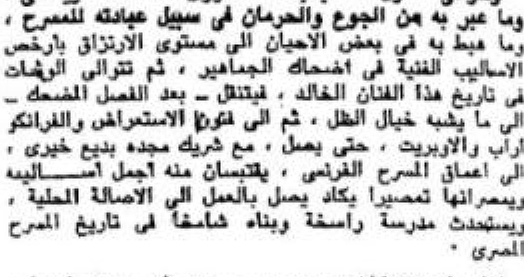
من أجمل الكتب التى قرأتها فى تاريخ المسرح المصرى ، كتاب « نجيب الريحانى وتطور الكوميديا فى مصر » الذى صدر هذا الشهر عن دار المعارف ، لعاشقة الريحانى ٠٠ الدكتورة ليلى ابو سيف ، الاستاذة المساعدة بمعهد الفنون المسرحية ، ومدرسة الادب الامريكى المعاصر بكلية الاداب بجامعة القاهرة ٠

واقول ان ليلى عاشقة الريحانى ، مع انها لم تره فى حياتها الا فى التاجه على الشاشة ٠

ولكنها فى خلال رحلتها مع المسرح المصرى ، دراسة مستوعبة احست أن هذا الفنان الكبير قد حمل وحده عبء الانتقال بالكوميديا المصرية من « الفصل المضحك » فى صورته البدائية الساذجة الى الكوميديا الساتيرية فى اجمل صورها الحضارية الاجتماعية الاخلاقية ، فى جهاد مرير استمر اكثر من ثلاثين عاما ، لم ينزل عليه الستار الا حينما نزل الستار على حياة البطل نفسه ٠

نجيب
الريحانى

وللكتاب مقدمة علمية مشرقة عن تاريخ المسرح ، وكيف نشأ فى ظل الفراعنة منذ خمسة الاف سنة ، ثم كيف انتكس بعد ذلك قرونا طويلة ، حتى بدأ ينبثق ضوءه باهتا من جديد فى اواخر القرن التاسع عشر ، على يد الفرق الوافدة من الشام .. ثم كيف بدأ عصر النهضة على ايدى عزيز عيد وجورج ابيض ونجيب الريحانى ويوسف وهبى ومعاصريهم .



وتتوالى فصول الكتاب بعد ذلك تروى قصة الريحانى ، وما عبر به من الجوع والحرمان فى سبيل عبادته للمسرح ، وما هبط به فى بعض الاحيان الى مستوى الارتزاق بارخص الاساليب الفنية فى اضحاك الجماهير ، ثم تتوالى الومضات فى تاريخ هذا الفنان الخالد ، فيتنقل ـ بعد الفصل المضحك ـ الى ما يشبه خيال الظل ، ثم الى فنون الاستعراض والفرانكو اراب والاوبريت ، حتى يصل ، مع شريك مجده بديع خيرى ، الى اعماق المسرح الفرنسى ، يقتبسان منه اجمل اساليبه ويمصرانها تمصيرا يكاد يصل بالعمل الى الاصالة المحلية ، ويستحدث مدرسة راسخة وبناء شامخا فى تاريخ المسرح المصرى .



كتاب انجزته كاتبته عن حب ، وعن علم ، وعن احساس عميق بالمصرية ، وبالمسرح ، وبالحياة ..

الشاعر الهاشمي الماروني



امين نخلة

ومن « الدوحة » ذهبت الى بيروت ..

وما كدت اضع رجلى حتى زارنى الصديقان ، الاستاذ ميشال الغريب المحامى ، والاستاذ احمد ابو سعد ، الاديب والشاعر المعروف ، وسألانى ان اتحدث باسم شعراء مصر فى المهرجان الكبير الذى يتاهب له ابناء لبنان ، تتويجا لشاعر لبنان الكبير امين نخلة ، خليفة الاخطل الصغير ، فى ابريل « نيسان » القادم ..

وامين ، هو ابن المرحوم رشيد نخلة ، الشاعر والزجال الفحل ، الذى نظم النشيد القومى اللبنانى .

واعجب ما فى قصة امين نخلة ، انه هاشمى الاصل ، مع انه مسيحى مارونى . ولا يزال يحتفظ فى بيته بشجرة اسرته التى تثبت صحة نسبته الى بنى هاشم .

وقصة ذلك ان اجداده حينما هاجروا من الجزيرة العربية الى ربوع الارز منذ اجيال طويلة ، شانهم فى ذلك شان كثير من الاسر التى هاجرت فى طلب العيش او المرعى ، نزلوا محلا

سهلا فى بعض القرى المسيحية ، ولان عيشهم بها ، فاعتنقوا دين أهلها ·

وهذه القصة شبيهة بقصة زميلنا الراحل حبيب جاماتى ، فهو ينتمى فى أصوله الى أسرة اسلامية ايرانية ، كان أفرادها يشتهرون بصناعة الجام ، أى الورق من الزجاج الملون وغيره ومن هنا جاءت تسمية « جاماتى »

ثم نزح أجداده الى لبنان ، ووقع لهم نفس ما وقع لبيت نخلة ·

وأمين نخله ـ فضلا عن روعة شعره ـ ناثر يندر أن تجد شاعرا ينثر مثله بهذه الاناقة والبلاغة والاشراق

وهو أمير من أمراء الغزل والخمريات · ولست أدرى كيف وقعت فى يدى هذه الابيات لأمين نخله ، بخط يده ، بعنوان « دن » يستجيب بها لطلب لصديقه أحمد رامى ، اذ استهداه بعض نبيذ لبنان ، فاهداه اياه مع هذه الابيات :

اليـــــــوم لا عيب ولا مأثم
قد حل فى لبنان ما يحـــــرم
تطلب منى الخمـــــر نصرانة
فاشرب وعنك العفو يا مســـلم
كأنها فى طيب أنفاســـــــها
بعض قوافيــــــه التى تنظم
طعم العناقيد ، ولكنــــــــه
من ، فمن أين أتى العلقـــــم ؟
جاءتك فى الدن ، ومــــا خبئت
وانما فى الختم ما يوهـــــم
نســـيم لبنان منى خلقهــــا
وكرمه والغيث والموســـــم

حبيبة كامل الشناوى


كامل الشناوى

تسللت يد الشاعر الغنائى مأمون الشناوى الى مكان خفى ، كان شقيقه الشاعر الراحل كامل الشناوى يحتفظ فيه برسائل حب محرقة محترقة ، كتبها الى حبيبته ، واحتفظ بأصولها لديه ، أو لعله كتبها ولم يرسلها بالمرة ·

ورأى مأمون أن هذه الرسائل قد أصبحت تراثا من حق الادب أن يحتفظ به ، ومن حق الاجيال أن تقرأه ، فجمع هذه الرسائل فى كتاب أنيق عنوانه « حبيبتى : رسائل حب »

اليه بعض هذه الرسائل :

● « حبيبتي
« ما زلت على عهدي · لم اثر ولم اغضب ، ولم اعاتبك ، ورضيت ان اتقبل مصيري كما هو ، لا كما ارجو ان يكون « من يدري »

● « حبيبتي
« لقد احببتك من قلبي ، وكرهتك من قلبي
منحتك دمي ووقتي وعقلي ، ثم كشفت لك صـــدري لاتلقى اوسمة رضاك ، فرشقت مكان الاوسمة سهاما مسمومة
« لقد فتحت لك ذراعي لتملئي بوفائك ما بينهما من فراغ ، فاذا انت تملئين هذا الفراغ غدرا وحقدا »

● « حبيبتي
« لم يعد بيننا ما يغرى بأن اخدعك او تخدعيني ، لقد خرجت من حياتي وانا ايضا خرجت من حياة نفسي
« لا تدهشي ، فالحياة التي أحياها اليوم لا يربطني بها ما يربط الناس بحياتهم من أمل ويأس ، او راحة وعذاب ·
« انها حياة لا اتحرك فيها ، ولكن اتمدد كالجثة ، وهي لا تضمني بين أحضانها ، ولكن تلفني كالكفن ··
« في أستطاعتي الان فقط أن أصارحك بحقيقة قصتي معك · لقد خدعتني وخدعتك
« خدعتني بكذبك الذكي ، وخدعتك بصدقي الغبي ··· »



معركة الشعر في إسرائيل

على صفحات هذا العدد من « الهلال » اكثر من معركة ادبية·
وعلى صفحات العدد المرافق من « الزهور » أيضا معركة حول قضية الشعر القديم والشعر الجديد ومعركة اخرى على المسرح الاسرائيلي
وبين هاتين المعركتين القول ان قضية الشعر القديم والشعر الجديد هي مجال صراع دائر في اسرائيل في هذه الاونة
فهناك – كما في كل مكان – شبان يكتبون الشعر الجديد ، وهناك من يقاومونهم
وقد تعالت في الاونة الاخيرة شكوى اولئك الشـــبان من اهمال دور النشر لانتاجهم ، واعراض اجهزة الاعلام عنهم ،

مما حجبهم عن فئة كبيرة من القــــراء ، وحال بينهم وبين الاضواء

واثاروها معركة عقدوا لها ندوة كبيرة ، دعوا لهـــا ايجال الون ، نائب رئيسة الوزراء ووزير الثقافة فى اسرائيل، وهو فى طليعة مناهضى حركة الشعر الجديد

وقد القى الون فى هذه الندوة خطابا جريئا ، قال فيه ان اعز ما يجب ان تعتــــز به الدول هو تراثها ، فعلى اساسه تبنى دعائم مستقبلها الفكرى · ولما كانت اسرائيل دولة حديثة العهد بالحياة ، فليس لها تراث الا ما تجمع لها منذ سنة ١٩٤٨ ، او ــ على أسخى الفروض ــ ما تجمع لها منذ المؤتمر الاسرائيلي الاول ــ مؤتمر هرتزل سنة ١٨٩٧ ، فان انتشار بدعة الشعر الجديد تتهدد هذا التراث المعدود بالزوال ، وهذا هو الخطر الأكبر على مستقبل الفكر الاسرائيلى

أحب أن اقول للشــباب ان علينا ان ننتفع بدراسة فكر اعدائنا

واذا كان أعداؤنا الذين لا تراث لهم يبحثون عن التراث ويحرصون عليه حتى يكون لهم شيء من الذكر فى محيط الفكر العالمى ، فما أحرانا نحن ، أصحاب التراث الضخم من عشرات القرون ، الا نقوضه أو نتنكر له أو نهدمه لنبنى على انقاضه الوانا لا صلة لها بأصولنا وأعراقنا ·

عبد الرحمن صدقى فى ذمة الله



عبد الرحمن صدقى

فقدت اسرة « الهلال » منذ اسابيع صديقا قديما ، وشاعرا وناثرا ودارسا مقتدرا ، طالما أمتع قراء « الهلال » بأدبه وشعره وذكرياته ودراساته فى الآداب العربية والاجنبية

وعبد الرحمن صدقى من مدرسة العقاد فى الشعر ، التى تتميز بالتيار العقلانى ، رغم انه نظم كثيرا من الشــــعر العاطفى ، اذ كانت المرأة دائما محورا من أهم محاور حياته وله فى رثاء زوجته الاولى ديوان يعد من عيون شـــعره

وقد كان عبد الرحمن صدقى واحدا من ثلة العقاد المقربة اليه ، الامينة على اسراره ، وهى ثلة كان قوامهـــا هو ومحمود عماد وطاهر الجبلاوى وصلاح طاهر ومحمد حسن الشجاعى

عرفت عبد الرحمن صدقى منذ سنوات طويلة ، كواحد من ثلاثية محببة فى دار الاوبرا الراحلة ، والآخران هما سليمان نجيب وصلاح ذهنى ، عليهما رحمة الله

وكانت لنا مع هذا الثلاثى الحبيب فى الاربعينات من هذا القرن لقاءات فكرية جميلة فى غرفة المرحوم ســليمان نجيب بدار الاوبرا ــ وهو يومئذ مديرها ــ وكثيرا ما شهد هذه

الندوات معى نفر من أعلام الادب والفن ، على رأسهم الدكتور ابراهيم ناجى ومحمود تيمور ويوسف وهبى والدكتور حسين فوزى وغيرهم ، كنا ننتقل من هناك ـ بعد انتهاء الاوبرا ـ الى مقهى « ريجينا » بشارع عمـــاد الدين ، حيث كانت تنعقد ندوة اخرى من ندوات الادب والفن ، فننضم اليها ، ثم نظل ننتقل من مقهى الى مقهى ، ومن ندوة ساهرة الى ندوة أطول سهرا ، حتى مطلع الفجر ..

وذهب سليمان نجيب الى رحمة الله ، فجلس عبد الرحمن صدقي مكانه في دار الاوبرا ، ثم عين مستشـــــارا فنيا للتليفزيون المصرى عند انشائه ، فشاركني حينا في مراجعة نصوص الاغاني والاوبريتات ، ثم كان له فضل الاشراف على انشاء فرقة الفنون الشعبية الخاصة بالتليفزيون ، الى ان تقاعد ، وقصر نشــاطه على ما حفلت به « الهلال » من مقالاته الممتعة

عوضنا الله فيه خيرا ، وكتب له واسع رحمته ورضوانه



● معروف الرصافى ، شـاعر العرب الكبير ـ حياته وشعره :

سفر ضخم في حوالي اربعمائة صفحة ، ضم بين دفتيه ثلاث دراسات ممتعة عن شاعر العراق الكبير معروف الرصافي

الاولى ، تروى سيرة الرصافى منذ مولده في سنة ١٨٧٥ ببغداد ، الى ان لقى وجه ربه فى ترابها سنة ١٩٤٥ ، بقلم قاسم الخطاط

والثانية تتناول شعر الرصافى بنظرات دارسة متعمقة ، بقلم مصطفى عبد اللطيف السحرتى

والثالثة ، تبرز نواحى التجديد فى شـــعر الرصافى ، بقلم محمد عبد المنعم خفاجى

● التطور الاتحادى العربى :

دراسة سياسية وقانونية واعية لاسس التطور الاتحادى العربى والاتجاهات العملية لهذا التطور ، بقلم المحـــامى اللبنانى اللامع ميشال الغريب

● عمى بوشناق :

مجموعة من القصص القصيرة للكاتب المغربي عبد الرحمن الفاسى ، ترسم للقارىء فى مجموعها صورا متلاحقة زاخـرة بالحياة والحركة للوجدان المغربي المعاصر

● اغنيات على شواطىء الحب : ديوان انيق من الشعر العاطفى المجنح ، للشاعر الســكندرى فؤاد طمان ، تتميز بالنبرة الموسيقية والوجدان الذاتيء

● ص ٠ ج ●



من هو ناقد شعر شوقي ؟ أهو الكرملي أم الزهاوي ؟

عبد الرازق الهلالي

قرأت فى باب (معارك ادبية) فى عدد (الهلال) الصادر فى شهر يناير سنة ١٩٧٢ ، كلمة للأستاذ حارث طه الراوى عنوانها (شوقى فى ميزان الكرملى) فاتضح لى بانه (موقن) ان الذى كتب كلمة (الشعر فى مصر) فى العدد الثامن من السنة الخامسة من مجلة (لغة العرب) البغدادية ، هو المرحوم الاب انستاس مارى الكرملى .. واستنادا الى هذا (التيقن) ، بنى رأيه الذى قال فيه: « ان الاب المحترم ، لم يكن موضوعيا فى بعض نقده ، وانما كان عاطفيا ، ومتحاملا بشكل واضح ، وعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، فان موقفه من شاعر العصر ، احمد شوقى ، رحمه الله - ان دل على شيء ، فانما يدل على حقد شخصى ، لاسباب يعلمها الله سبحانه وتعالى ، والراسخون فى علم الاهواء والاغراض الشخصية » .

ثم قال : (ولكنى لا افهم لماذا يهاجم رجل محافظ واسع الاطلاع على لغة العرب وادابها كالاب الكرملى ، شوقيا بحجة ان شوقى ليس من (المجددين ؟!) واذا كان الاستاذ حارث قد ثبت له ، ان كاتب تلك الكلمة هو المرحوم الاب الكرملى ، فهل لنا أن نسأله عن دليله فى ذلك؟!

لقد قال ، ان الكرملى نشر مقال (الشعر فى مصر) بتوقيعه المستعار (جهينة) واعتبر هذا (التوقيع) دليلا على صحة ما ذهب اليه ، فهل كان ما خرج به من رأى تزيده الوقائع والاحداث فى هذا الموضوع؟ اننا مع الاسف لا نستطيع أن نقف



موقفه في هذه القضية لاسباب عدة ، فهل يسمح لنا الاخ الراوي ، في بيان ما لدينا من تعليق في هذا الباب ؟! اننا ايضاحا لذلك نقول ، ان المرحوم الكرملي ، لم يكن هو الذي كتب ذاك المقال لسبب ظاهري هو ان كاتب المقال (جهينة) قد وضع في آخر مقاله كلمة (مصر) مما يدل على انه بعث به الى المجلة من (مصر) فكيف ننسب هذا المقال الى الكرملي الموجود في بغداد ؟!

ربما يرد الاستاذ الراوي علينا ، قائلا ، ان الكرملي الموجود في بغداد ، كان قد ذكر كلمة (مصر) لابعاد الشبهة عنه ، وزيادة في التمويه

فاذا كان الامر كذلك فان هناك سببا ماديا ، وتعني به التوقيع المستعار (جهينة) . وقد ظهر لنا حين رجعنا الى كتاب (الاب انستاس ماري الكرملي) لمؤلفه البحاثة الاستاذ كوركيس عواد ، ان هذا التوقيع اي (جهينة) لم يكن من بين التواقيع التي احصاها له تلميذه البحاثة الاستاذ كوركيس !

فمن كتب هذه المقالة اذن ؟!

اننا نكاد نميل الى القول ، بان كاتب هذه الكلمة هو شاعر العراق المرحوم جميل صدقي الزهاوي وان هذا الميل ، تسنده بعض الوقائع والحقائق اهمها ما يلي :

١ ـ عدم وجود هذا المقال في (الثبت) الذي أعده الاستاذ كوركيس عواد لجميع ما كتبه الاب انستاس من مقالات ونبذ وتعليقات في مجلة (لغة العرب) وغيرها سنة ١٩٢٧ـ وهي السنة الخامسة من مجلته .

٢ ـ ان الاستاذ الزهاوي كان قد استعمل توقيع (جهينة) حين نقد شعر الاستاذ معروف الرصافي على صفحات جريدة الفيحاء الدمشقية .

٣ ـ الخطة التي درج عليها الاستاذ الكرملي في نقد الشعر أو تقريظ الدواوين الشعرية ، اذ كان يحيل هذه الامور الى صديقه الاستاذ الزهاوي لابداء رأيه فيها . (نحتفظ بادلة ثابتة على ذلك)

٤ ـ الاسلوب الذي كتب به هذا المقال وغيره من المقالات النقدية التي زخرت بها مجلة لغة العرب ، يشير الى انه اسلوب الاستاذ الزهاوي نفسه .

٥ ـ كون الاب الكرملي ، غير شاعر ، وليس له ما للاستاذ الزهاوي

جميل صدقي الزهاوي





من اراء في الشعر وتجديده يؤيد كون الزهاوي كاتب ذلك المقال .

٦ ـ ان للزهاوي مواقف عدة ، هاجم فيها شعر احمد شوقي ، بداها منذ عام ١٩٢٢ ، حين هاجمه بقصيدته التي رثى بها الشاعر اسماعيل صبري ، وانتهاء برأيه المنشور في جريدة (السياسة الاسبوعية) القاهرية الصادرة في شهر نيسان سنة ١٩٢٧ ، فماذا قال في رأيه هذا ؟ لنقرأ ما قال معا ...

« في تجاه شوقي بك ، روحان تتناقضان : روح متواضعة ، هي تراث المدرسة القديمة ، تكاد اذا سمعت ، شعر شوقي ، تخر ساجدة لجلاله ، تارة وجماله اخرى !

وروح متمردة ، هي وليدة الثقافة العصرية في المدرسة الجديدة ، ترى ان شوقي شاعر كبير ، ولكن لا بدرجة أن يسمى (امير الشعراء) كما يطريه المطرون . فشوقي من شعراء الملقى ! شوقي وجهه الى الوراء في سيره الى الامام . اما اعجاب الاكثرين من الجمهور العربي بشعر شوقي ، فلكونه يناسب مستواهم » ، ويلمس اذواقهم . فاذا تقدم الجمهور في المستقبل القريب ، مات شعر شوقي الا قليلا !

ولولا تقليد شوقي للمتقدمين في غالب شعره ، ومبالغات شوقي التي ينبو عنها الذوق العصري لكان شوقي بحق اميرا للشعراء . ولو نظم شوقي في الاكثر عن شعور تجيش به نفسه لأكبرته الاجيال الاتية ،اكبار جيله له »

تلك هي اهم الاسباب التي تحملنا على الاعتقاد بأن كاتب مقال (الشعر في مصر) هو الزهاوي نفسه ، ولكننا لزيادة هذه القضية وضوحا نعرض خلاصة عن سبب هذا الهجوم ! فنقول :

في الصفحة (٢٨٣) من الجزء الخامس من السنة الخامسة بمجلة (لغة العرب) نشرت القصيدة التي نظمها الشاعر الاستاذ احمد زكي أبو شادي ، لتلقى في الحفل التأبيني الذي يقام لتأبين عميد مجلة (المقتطف) المرحوم صروف ، ولكن المجلة نشرت بعد تلك القصيدة كلمة علقت فيها على الشعر في مصر ، وتعرضت بشعر شوقي ، ومما جاء في كلمتها تلك قولها :

« ومما يجب أن تنتبه له ، هو انك لا ترى في جميع ابياتها ، خيالا كاذبا ، وتصويرا وهميا ، بل تلقى الحقيقة مبثوثة في ثنايا كلمها ، بثا عجيبا ! وان قيل ان في وادي النيل شعراء ينظمون الشعر ، نظما رقيقا قلنا لهم : ليس في ذلك النظم احساس ، كما في هذه الابيات ،ولا تجس فيه أوتار القلب كما يجسها أبو شادي ...

ثم تختم تلك الكلمة بالقول :

على اننا لو كنا من اهل المراهنة، لراهنا على انها لن تلقى في اللجنة القادمة ، الا الاعراض عنها ، لاننا نعلم حق العلم ، ان فؤاد افندي صروف هو صاحب شوقي ، وشوقي لا يريد أن يقوم بجانبه مناوىء لا سيما اذا كان المناوىء ممن أقر بفضله وشعره ، القاصي والداني

والرائح والغادى مثل الحكيم ابى شادى !

نشر هذا الكلام في العدد الخامس، حتى اذا صدر العدد الثامن من المجلة ، نقرا فيه كلمة عن ("الشعر في مصر) فما الذى وجدناه فى هذه الكلمة من الكلام الذى يجلب النظر ويوجب الاهتمام ؟! وجدنا ان (جهينة) الذى (يفترض) انه كان قد بعث بكلمته هذه من مصر ، وجدناه يمدح (ادباء العراق) مدحا ملحوظا يمكن اعتباره خروجا عن الصدد ، مادام الامر ، امر مقارنة بين شعر شاعرين مصريين كبيرين !! فماذا جاء فى تلك الكلمة التى اشار اليها الاستاذ حارث الراوى فى مقاله؟! لقد جاء فيها ما يلى :

« وبين ادباء مصر من يدهشهم تعالى ادباء العراق عنهم ، ناسين ان هذا لا يرجع الى كبرياء وغطرسة

اسماعيل صبرى



في الطبع ، ولاالى غرور ممقوت ، وانما يرجع الى سبب خلقى معقول : فان الكثير من الصحف والمجلات المصرية تستهويه المجاملات ، ويدين في باب الادب عامة ، والشعر خاصة الى نفوذ شوقى بك !! » ثم يقول (يترفع الان ادباء العراق بحق عن المشاركة في هذه السخافات ، ويؤلمهم ان يروا رجال الشعر فى مصر ، من طائفة المحافظين ، عقبة كأداء فى طريق شاكلتهم ، ومن هم اولى بتعضيدهم ومؤازرتهم ... وبعد كل هذا يعجب اولئك السادة المحافظون لتجنب معظم ادباء العرب - وفي مقدمتهم ادباء العراق - الاشتراك فى المهازل الشوقية ، والمجاملات الفارغة التى لم يربح منها الادب الصحيح اية غنيمة ، بل كانت عاملا من عوامل التأخر الفكرى واساءة الى نهضة الشعر فى مصر والى كرامته ؟!)

اننا لو قارنا هذا الكلام ، مع ما جاء فى رأى الزهاوى ، بشاعرية احمد شوقى بك وبشعره ، لوجدناه كلاما يتطابق فى كثير من ارائه وعباراته

نخلص من كل ما تقدم ، الى القول باننا نميل الى اعتبار كاتب مقال (الشعر فى مصر) هو الاستاذ الزهاوى سوليس الأب انستاس الكرملي ولذلك فاننا نشكر الاخ الاستاذ حارث الراوى الذى كان له الفضل فى حملنا على كتابة هذه الكلمة فله منا مزيد الاحترام والتقدير ..

● عبد الرزاق الهلالى ●
● بغداد ●



صالح جودت وأشياء أخرى

فاروق شوشة



هذا كلام غير جاد جدا أسوقه (علو الخاطر) أو شبه (فلاشات) أدبية وغير أدبية - وليعذرني من تعود مني ومن غيري كلاما متسلسلا جادا مثل خطاب من الخطابات التي تلقى في مجلس الامن حول الامن ولا تحقق الامن ..

الاستاذ صالح جودت صديق للتونسيين وهو أهل لذلك ، وقد قال في (الكواكب) وفي (الهلال) كلاما طيبا حول تونس بلاد (الشابي) وحول التونسيين الذين احسنوا استقبال صاحب ديوان (ليالي الهرم) ...

والاستاذ جودت قد اعجبته اصالة الكلمة العربية كما اعجبته كلمة (سي) التونسية لانها تقرن باسم عظيم القوم وباسم رجل الشارع دون ميز طبقي اجتماعي ..

ولكنني كتونسي من غير الجيل الذي استقبل الاستاذ صالح جودت ، ومن غير الادباء الذين يتلذذون « مقاتلة » الاستاذ صالح جودت للشعر الحر ، ولقصيدة النثر ، ولكل المحاولات الجريئة التي يقوم بها المجددون في العالم العربي ، اقول للاستاذ ان ايماني بالافكار المضادة لمعتقداتي هو شيء مرادف لايماني بالاشياء والمعتقدات التي يهاجمها صاحب (ليالي الهرم) بكل الاسلحة التي تملكها سنة ١٩٣٢ ، وهي السنة التي قامت فيها جمعية « أبولو » وبالطبع جمعية « أبولو » التي كان الاستاذ صالح جودت من أصغر عناصرها سنا قد كانت ثورة في ذلك العهد او شرارة من نار الثورة ، ثم



نازك الملائكة

.. (دارت الايام) .. واصبحت اسلحة (ابوللو) غير اسلحة المجابهة الدامية للصهيونية ، وللواقع العربي المتخلف ، ولمرحلة البناء ، ولمرحلة الرفض ، ولمرحلة ما بعد الازمة . وباختصار شتان ما بين اسلحة ١٩٣٢ و ١٩٧٢ . فالواقع قد تغير وكذلك النقد والفن .

ومهما يكن من أمر ، فليدافع الاستاذ صالح جودت ضد التجديد ، وضد تفجير الشكل الفنى ، وضد فاروق شوشة الذى لم يتفق مع الاستاذ حول (امارة الشعر) .. ليفعل الاستاذ صالح جودت ماتمليه عليه سنة ١٩٣٢ ، وأنا شخصيا اعتبر صموده ضد التجديد ظاهرة طبيعية يقتضيها منطق التطور .. وما قيمة التاريخ لولا صراع الاضداد .. وعلى هذا الاساس فقط نصافح الاستاذ صالح جودت عن بعد ، ونقول للمجددين فى مصر وفى المشرق العربى اننا نحسدهم ـ نحن ابناء المغرب العربى ـ لاننا نملك نسخا كثيرة من الاستاذ الكبير صالح جودت ولكننا لا نملك صالح جودت وشتان ما بين الاصل ونسخة منه .

***

أثارت الشاعرة العراقية اهتمامى مرة اخرى بموقفها « التوفيقى » بين انصار الشعر العمودى وانصار الشعر الحر . وأذكر اننى تحدثت فى هذا « تسارط فى الخط » مع الشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى وقال لى ان الشاعرة « نازك الملائكة » كان من المنتظر ان تتذبذب لانها عندما كتبت الشعر الحر لم تكن ثورتها تحمل تبريرا تاريخيا وفكريا وانها منذ البدء .. كانت على الهامش ..

والمشكلة رقم واحد فى قضية الاشكال ان « نازك الملائكة » لم الشكل الا على اساس انه وعاء كاوعية الاكل والشرب . وهى تتوهم ان الشكل القديم بامكانه ان يحمل مضمونا ثوريا ، وهذا فهم تجاوزته الاحداث .

ولئن كنا نحترم الاستاذ صالح جودت على شيء فاننا نحترمه على الاقل على صموده فى اتجاهه الكلاسيكى ورفضه للتذبذب . اما الشاعرة « نازك الملائكة » .. فهى « شيء » مرفوض من رافضى التجديد، و « شيء » مرفوض من الاستاذ عبد الوهاب البياتى وغيره من رافضى الوقوف والتوقف ..

وبالمناسبة التقى فى نقطة من نقاط الرفض لموقف « نازك الملائكة » مع حلقة من حلقات برنامج « قضايا الادب » الاذاعى . وقد احسن الاستاذان احمد اللغمانى والمنجى



الشملي عندما رفضا الموقف « التصالحي » المصطنع الذي حددته « نازك الملائكة » ..

***

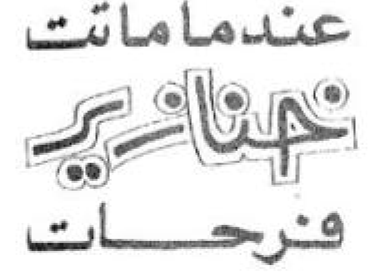
قرأت بملحق النهار البيروتية حديثا اجرته الجريدة مع الشاعر نزار قباني والطريف في موقف نزار قباني انه تحول من الشعر الحر ومن الشعر العمودي الى قصيدة النثر التي ترفضها نازك الملائكة ويرفضها عبد الوهاب البياتي ويرفضها صالح جودت واحمد اللغماني والمنجي الشملي ..

ومعلوم انني لست على رأي هؤلاء كما انني قد لا اسمي ما كتبه الشاعر نزار قباني (قصيدة نثر) وانما « شعرا منثورا » على اساس ان الشعر المنثور تمهيد « لقصيدة النثر » وعلى اساس ان هذه الاخيرة تمهيد لما يسمى « بالكتابة » الرافضة للشعر وللنثر معا ، والتي هي (كتابة ـ فن) وتفجير دائم للقوالب الجاهزة وللابنية الموروثة وللهياكل الخارجية التي تعكسها الهياكل الموروثة والابنية الجاهزة في الفن ..

ومهما يكن من امر ، فلا اظن ان الاستاذ صالح جودت سيشك في شاعرية نزار قباني لمجرد ان هذا الاخير قد قدم دليلا آخر على جنونه الفني . كما لا اظن ان .. نزار قباني سيتهم بشيء من التهم التي تعود خصوم التجديد الصاقها ... بنزار قباني .

● محمد مصمولي ●

● تونس ●



وصديقنا الاستاذ جورج صيدح لا يريد أن تنتهي المعركة بينه وبين صاحبنا الشاعر الياس فرحات . وها هو ذا يبعث الينا من باريس بمزيد من الادلة على انه بريء من تهمة الكذب التي رماه بها شاعر الافق الجميل ، الياس فرحات يقول :





جاء في كتاب « قال الراوي » بقلم الياس فرحات طبعة وزارة الثقافة والارشـــاد القومي بدمشق عام ١٩٦٥ ص (٣٤) :

« في ســـنة ١٩٢٣ فجعت الامة العربية بفقدها قائدها وحبيبها الملك فيصل الاول فقامت المآتم بين الجوالي العربية في كل بلد عربي ونظـــم الشعراء في رثاء الراحل العظيم من الشعر ما لو جمع لكان منه مجلدات ومجلدات . ومن هذه المآتم مأتم عظيم اقامته الجالية العربية في سان باولو ومأتم اعظم اقامته اختها في بوينس ايرس .

وقد اشتركت في المأتمين وذلك أن جاءتني من جالية بوينس ايرس دعوة رسمية للاشتراك بحفلة التأبين كما جاءت دعوة منها الى زميلي وصديقي القديم الشاعر القروي .

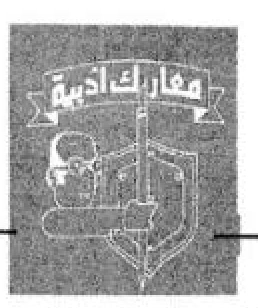
عندما وصلتني الدعـــوة كنت في مدينة لابا في ولاية برنا . وكانت الدعوة تقول انني أجد جواز السفر في سان باولو جاهزا « لحســـابي » وأن « القروي » سيكون رفيقا لي في هذه السفرة ولم يكن معي من النقود ما يوصلني الى ســـان باولو وكان القروي قد كتب الي يستعجل حضوري لاعداد اوراق السفر فأجبته طالبـــا منه ان ينوب عني في اعداد اوراقي فأجابني :

« صحيح انك مجذوب ! كيف تريد أن اعد انا اوراقك ولا بد من توقيعك عليها . وهب اني وقعتها عنك فلابد من صورتك . افتريد ان اضع صورتي مكانها واقول هذا فرحات » ! فراعني هذا « التهـــديد » من القروي ولجأت الى الحل الوحيـــد الذي يمكن ان يوصلني الى ســـان باولو وذلك ان كان عندي قطيع من الغنم فيه بعض الحملان فبعت هذه وسافرت بثمنها الى سان باولو . وفي أثنـــاء وجودي في سان باولو اقامت الجالية حفلتها للمرحوم الملك فيصل فاشتركت ورشيدا فيها وكان الخطيب المشهور الاستاذ (ميكال قزما) قد جاء من بوينس ايرس الى سان باولو فعرفه بي أحد الاصدقاء قائلا : هذا هو الشـــاعر الذي يربي الخنازير في برانا فقلت : وفي سان باولو أيضا ... » .

وفي الصفحة ٢٨ جاء ما يلي : « راحت السكـــرة وجاءت الفكرة . وصـــلت الى لابا فرأيت نفسي بعد مهرجانات بوينس ايرس مضطرا الى العمل فان الخنازير التي تركتها ماتت في غيابي جوعا اكل بعضها بعضا فكان اذا مات منهـــا واحد يجتمع عليه اخوانه فيلتهمونه ! وهكذا لم اجد من خمسين رأسا سوى أربعة كتب لها السلامة فاتفقت مع صـــديقي التاجـــر (عبده تقلا) ان اتجول في داخل الولاية ابيع له لحفا » .

***

جاء في كتاب « الياس فرحات شاعر العرب في المهجر حيـــاته وشعره » بقلم ســـمير بدوان





السادس عشر

قطامي – طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٧١ ص (٩٩) :

• تفجع الامة العربية سنة ١٩٣٣ بفقد الملك فيصل الاول فتقوم الماتم بين الجوالي العربية وفي كل بلد عربي ، ومن هذه الماتم ، مأتم أقامته جالية سان باولو وآخر اقامته جالية بوينس ايرس في الارجنتين ، ويدعى فرحات للاشتراك في هذين الحفلين . وعندما تاتيه الدعوة يكون في مدينة (لابا) في ولاية برنا يعمل في تربية الحملان والخنازير . ولم يكن يملك من المال ما يكفي لسفره الى سان باولو فيقوم ببيع بضعة حملان ويسافر بثمنها .

• وعند عودة فرحات يجد ان الخنازير التي تركها قد ماتت في غيابه ، فيضطر الى العمل متجولا من جديد ، ويتفق مع صديقه التاجر عبده تقلا ان يتجول في داخل ولاية برنا يبيع له لحقاً .

• لم يهدأ فرحات بعد ذلك . بل استمر في حياة المشاق والكفاح ، فتارة نراه يعمل وسيطا لبعض المصانع حيث كان له ٥٪ من قيمة المبيع (في ولاية ميناس) ثم يجعل له صاحب المصنع النسبة ٣٪ .

• وتارة نراه ينتقل في بيع المأكولات أو عرض النماذج لبعض المصانع من مكان الى اخر ، واخيرا نراه يترك ولاية برنا سنة ١٩٤١ منتقلا باسرته الى ولاية ميناس ، حيث يبدأ سلسلة اخرى من تحديات الزمن والمصاعب .

من فمك ادينك يا فرحات ..

اعلنوه الهلال على موقفها الشريف ..

الحقائق اولى من الصداقات الكاذبة .

جورج صيدح

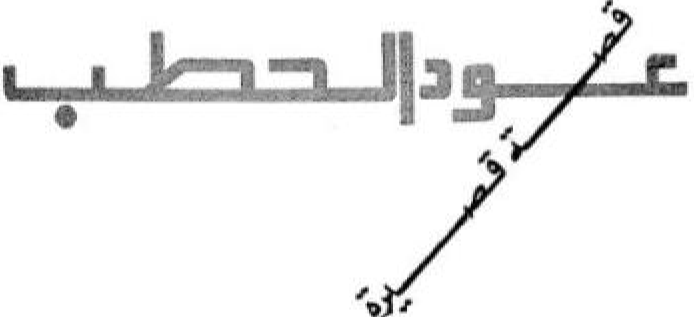
في عدد فبراير سنة ١٩٧٣ من الهلال ـ وهو الخاص بالمدينة الفاضلة ـ نشرتم مقالا جيدا للدكتور حامد ربيع عنوانه : « كامبانيلا ومدينة الشمس » ، وقد جاء فيه أن السفير الفرنسي في ايطاليا (قد ساعد الفيلسوف الايطالي كامبانيلا على أن يغادر الاراضي الايطالية حيث قضى بقية حياته في باريس تحت حماية ملك فرنسا لويس السادس عشر) وفي موضع آخر من المقال نشرتم صورة للملك لويس السادس عشر وقد وضعت فوقها هذه العبارة : « لويس السادس عشر عاش كمبانيلا تحت حمايته بباريس » .

واسمحو لي ان اصحح ماله عن الحق والصواب في هذا الكلام ، حتى لا يختلط الأمر على القراء الكرام . فان الفيلسوف الايطالي « تومازو كامبانيلا » ولد سنة ١٥٦٨ كما هو معروف وكما جاء في مقال الباحث الفاضل نفسه وتوفي سنة ١٦٣٩ كما جاء في المقال نفسه ، وكما هو مدون معلوم في كتب الفلسفة والتراجم والموسوعات التي ترجمت لهذا المفكر . فليس من المعقول ـ اذن ـ ان يكون التجاؤه الى فرنسا ، واحتماؤه بملكها ، في عهد لويس السادس عشر ، الذي تولى الحكم في فرنسا سنة ١٧٧٤ ، ومات سنة ١٧٩٣ . محكوما عليه بالاعدام في الثورة الفرنسية .

وقد مات الفيلسوف كامبانيلا قبل أن يولد لويس السادس عشر بمائة وخمسة عشر عاما ، وقبل ان يجلس على العرش بمائة وخمسة وثلاثين عاما . ودوت شهرته في ايطاليا وفرنسا وأوربا كلها والملك لويس السادس عشر لايزال جنينا ببطن الغيب لا ببطن أمه ...

ومن هذه التواريخ لولد الفيلسوف كامبانيلا ووفاته يتضح أن الملك الفرنسي الذي لجأ كامبانيلا الى حمايته بباريس هو الملك لويس الثالث عشر ـ الملقب بالملك العادل ـ الذي ولد سنة ١٦١٠ ، وتوفي سنة ١٦٤٣ ، وانتقل الملك الى ولده لويس الرابع عشر في ذلك التاريخ .. أرجو التفضل بنشر هذا التصحيح خدمة للحقيقة والتاريخ

محمد عبد الغني حسن


عود الحطب
قصة قصيرة

◆ يقول علماء النفس في مؤلفاتهم :

« العادة ميل مكتسب بالتكرار » ... وتلك الحقيقة تثبت صحتها لكل من يستقل احد الاتوبيسات التي تسير ما بين الزقازيق

وديرب نجم ... فقد اصبح سائقوها يعملون ارجلهم تلقائيا دون تفكير ، في الفرامل مهدئين من سرعة سياراتهم في غدوهم ورواحهم عندما يلمحون عود الحطب الذي يقف نشازا عند حافة البساط السندسي الاخضر المطل

على الطريق الزراعي ، وهناك يهب الركاب واقفين . ويهرعون الى النوافذ .. يتدافعون ويتزاحمون صوبها مشرئبين باعناقهم مشيرين بسباباتهم الى ذلك العود اليابس وقد ارتفع لقطهم ...

والآن نترك هذا المشهد ونرجع الى قرية الرامة حيث حدثت فضيحة في البلدة الصغيرة عندما هربت زوجة أحد معلمي المدرسة الابتدائية مع شاب افاق .

ان الناس الذين يقطنون المدن الكبيرة لا يكادون يدركون كيف تنتشر مثل هذه الانباء بسرعة البرق في مكان محدود مثل الرامة .

وما تثيره من تعليقات عن العفة والفضيلة وغضب السماء ويمكننا تصور الفضيحة عندما اختفت سارة اسحاق ،

المتزوجة بعضو من هيئة التدريس بالمدرسة مع شاب خالي الوفاض، صفر اليدين يدعى صمويل دافيد . كان هذا في يونيه ١٩٦٤ .

لقد اصبح الزوج جورج بشارة محطم القلب كما نطق ذلك بلسانه . كان رجلا وقورا قصير القامة ممتلىء الجسم ذا لهجة مهذبة .. عف اللسان شانه شأن افراد عائلته التي كانت تربى أولادها على نسق عال من الاخلاق .

كان هناك احتمال ان يقدم استقالته ويرحل من البلدة . بيد أن محاولات كبيرة قد بذلت لتجنب الفضيحة . لقد زاره الاب قسطندي قسيس القرية في اليوم التالي لهرب سارة ليواسي أحد رعاياه في محنته وليمد له يد المساعدة . لم يكن يعلم بذلك الأمر بعد سوى قلة من الناس . عند انتهاء اليوم المدرسي ، الذي تغيب فيه جورج عن عمله ، توجه القس اليه في منزله . كان رجلا طويل القامه أبيض البشرة والشعر . ذا لحية قصيرة وعينين

صافيتين . ويتميز بحس رقيق . لقد شعر بانقباض وهو يسمع الغربان تنعق فوق أعالي الاشجار .

استقبله جورج بشارة في حجرة معتمة كئيبة مقبضة للنفس . بها

مكتب قديم وبضعة مقاعد . ووقف قبالته ساهما فقال له القس :

– اجلس ... يا صديقي العزيز ! .. أنها فاجعة لا شك . ولكنك يجب ان تتشدد ولا تستسلم لليأس .

حجب جورج عينيه براحة يده في غمرة من الحزن والاسى ، بينما

جذب القس كرسيا وجلس بجواره واخذ يربت برفق على

كتفه وهو يتنحنح استعدادا ليبدأ نصائحه التي اعدها لهذه المناسبة

غبريال وهبه

• عندمـــا جلس جورج وهو ينتفض ••

ـ يا للفضـــيحة ! اننى محطـم النفس • مهيض الجناح ايها الاب

الورع •• محطم النفس •• مهيض الجناح !

ـ يجب الا تستسلم لاحزانك بهذا الشكل •• ليســت هناك فضيحة

تمسك • اى نعم هناك

فضــيحة ولكنها تمس الآخرين !

ـ ولكن فكــر في مركزى • لقد فقــدت اعتبــارى وهيبتى ••

واشعر بانني يجب ان اقدم استقالتي •

استـــــقالتك ؟ هراء ! •• يجب الا تقدم على ذلك •• لماذا ؟ ••



والا كنت كمن يعتــرف باقترافه اثما ••

ـ ولكن كيف يكــون موقف ناظر المدرســة منى ؟

ـ لقد رأيته هــذا الصــباح • وقد طلب منى أن أبلغك مؤازرتــه لك في شدتك ورغبته فى مقابلتك • وانني اعلم ان الاســتاذ خطاب سيتضايق، بل وسيغضب ان تحــدثت عن الاستقالة •

زفر جورج زفــرة حرى • واســترخى فى مقعده ••

استأنف القس حديثه قائلا :

ـ يجب الا تفكر ثانية في الاستقالة • فأنت لم تذنب وترتكب اثما • بل انت المطعون والمعتدى عليه • صــحيح ان

تصرفها يتسم بالطيش والحماقة • ولكن هناك دائما الرحمة والتسامح

• فحاول ان تعفو عنهــا ولا تتوان فى ان تعيدها

الى بيتك مرة اخرى • وبهذا تتجنب الفضيحة، وتعود الميــــاه الى مجاريها •

هز جورج رأسه وهو يغالب البكاء ، واخرج

من جيبه ورقة مكورة • ثبت القس نظارته فوق عينيه وقطب جبينه وقرأ ما يلى :

•• عزيزى جورج

• اكتب اليك لاخبرك اننى قد هجــرتك الى الابد مع صمويل دافيز الذى احبه • وسعنى ان تطلقنى • ولكننى اشك فى انك ســتحقق لى امنيتى •

انى اعلم انك ستشعر بالمرارة • وسوف تلتمس الاعذار لنفسك وتكنس الذنوب كلها فوق راسي، ولكننى اعلم ايضا انى افعل الشيء الوحيد فى الحيــاة الذى يمنحنى الحرية والســعادة : اننى عشيقة صمويل منذ ثلاثة اشهر ••• انهــا لحظات خاطفة ذقت فيها سعادة لم اذق مثلهــا طوال حياتي من قبل • لا تتصور اننى ساعود اليك • وحتى اذا هجرنى صمويل فاننى افضــل الموت على الحيــاة معك تحت سقف واحد •

يجب ان اتحدث اكثر من هذا ••ولكننى ذاهبة الى حبى ، الى سعادتى ••• والسعداء لا وقت لديهم لاضاعته سدى••

اننى اسفة اذا كان هذا ســيؤلمك ، ولكننى سئمت الحياة معك ومع ذلك ارجو لك السعادة ،

سارة •

•يونيه ١٩٦٤

•••

وضع القس الخطاب فوق ركبته على مهــل

وخلع نظـــارته ثم قال مؤكدا :

ـ جـــورج ! ٠٠ تلك رسالة مؤلمة قاسية ٠ ولا تصـــدر من شخص لديه ذرة من الكرامة ٠

***

ومع ذلك فلننظر الى الموقف من زاوية أخرى٠

ان سارة هى الابنة الرابعة فى عائلة اسحاق هارون الذى كان يعمل أمينا لمعمل مدرســـة ثـانوية فى مصر ٠ كان أبوهـــا فى الدرجة الخامسة ويعيش عيشة راضية الا ان الوعود الخلابة أسالت لعابه وجعلته يلجأ الى تقديم طلب لزيارة أقـــاربه المقيمين بايطاليا ومنها هاجر الى اسرائيل بهذه الحيلة ٠

وهناك صــدم عندما رأى الوظــائف المحترمة مقصورة على يهود اوربا وامريكا ٠٠٠ فعانى من الفقر والبطـــالة الشيء الكثير ٠ واخيرا اضطر ان يعمل صبى خباز ٠ كان عليه ان يصحو فى الرابعة من صــباح كل يوم ليســير على قدميه عشرات الكيلو متـــرات موزعا الخبـــز على الزبائن ٠

عانت ســارة كثيرا من شظف العيش ٠ وقد



لاحظت أسرتها أنها غريبة الاطوار ٠

كانت تحب قـــراءة القصص والاســاطير القديمة وقضاء ساعات طويلة وحــــدها فى الحقول قابعة تحت ظلال أشجار البرتقال تطوف بمخيلتها أحلام المراهقة ٠ فها هو ذا فارســـها قد جاء واختطفها فوق صهوة حصانه الأشهب

٠٠ وها هى ذى تشعر بذراعه تلف خصرهـــا بقوة ٠ وبدروعه الفولاذية الصـــلبة تلمس يدها ووجنتها فتشـــعر بالأمن والدفء وهى تهتـــز وترتج فوق الجـــواد الراكض الذى راح ينهب مزرعة كبيرة يتوسطها قصر منيف ٠٠ وها هى ذى تنجب العــديد من الابناء يعمــرون أرض الميعاد ٠٠٠

كانت تعود الى دارها وقد امتلأت عينـــاها بالنشـوة وهى ما زالت مســـتغرقة فى احلام اليقظة ٠ فيقابلونهـــا بالسخط والاستنكار ٠

وعندما بلغت التاسعة عشرة من عمــرها كانت تقضى معظم وقتهـــا جالسة فى هدوء لائذة بالصمت ٠

اما كيـــف تزوجت جورج بشارة فقد لعبت الاقدار دورها فى هذا الزواج ٠ كانت الأسرة تعيـــش فى فقر مدقع وخاصـــة بعد ان مات عائلهم ، اسحاق هارون ٠ واذا بسارة تصدمها سيارة فتصاب بكسر فى فخـــذها وتنقل الى مستشفى حيفا ٠ وهناك وضعوا ســـاقها فى الجبس ٠

كانت المريضـة التى تشـــاركها الحجرة انطوانيت شقيقة جـ٠٠

الذى مال الى ٠٠

شفقة ثم مال ا



•فتقدم طالبا يدها • لم يكن بالطبع فارس أحلامها القديمة ولكنه كان الرجل الوحيد الذى تقدم اليها • فدفعتها الاسرة الى قبوله حتى يخفف عنهم بعض العبء الذى ينوءون تحت ثقله•

لم تكن تكرهه وخاصة بعد أن تردد كثيرا على المستشفى ليعود اخته • كان شابا خجولا عطوفا قليل الكلام • لقد اشتهاها بعنف ولكنه كان يقاوم هذا الشعور حتى بينه وبين نفسه •

ثم تزوجا بعد أن قدمت للقس الذى عقد زواجهما طلبا صوريا للانضمام الى المسيحية• وقد حاولت فى اول الامر ان تتظاهر بأنها سعيدة •• لم تحمل منه• وبذلت

قدر استطاعتها لتقوم بواجباتها كربة منزل • بيد أنها كثيرا ما امتدت يدها الى كتب زوجها القديمة فتبيعها لتشترى بثمنها الملابس الغالية •

وفى غضون سبعة اشهر اصبحت لا تشعر بالسعادة • وتسرب الملل اليها من الحياة الرتيبة التى تحياها • ورويدا

رويدا وجدت نفسها تنساق الى المشاجرة مع جورج لاتفه الاسباب • كانت هذه المواقف رموزا للعداء والنفور الخفى الذى لم تكن تدركه •

كان يقابل ثورتها باللين والملاطفة دون أن يظفر منها الا بالامتعاض •وكم كانت تنفر وتشمئز من قبلاته قبل النوم •

وبعد عام ونصف من الزواج اضحت تكاد تنفد من السآمة والضجر

• ولم يكن يريحها الا نوبات البكاء فتتحسن حالها ليوم أو اثنين •

•••

كانت سارة تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها بعد انقضاء زهاء أربعة أعوام منذ زواجها عندما قابلت صموئيل ••

كان ذلك فى اثناء زيارتها لاحدى صديقاتها •• لقد بهرها شعره الاشقر وفمه الذى يشع منه الدفء • كان حديثه مرحا وضحكاته رنانة • واحست بالحزن عندما رأته ينهض منصرفا • وها هى ذى تراه ينظر

الى عينيها نظرة مشربة بالود والصداقة • وعجبت اذ شعرت بتصاعد الدم الى وجنتيها •

وفى تلك الليلة رأت فيما يرى النائم انها فى حفل كبير اقيم لتتويجها ملكة ، وقد تقدم منها صموئيل الذى

عين ملكا على البلاد ، بعد أن وصلت اسرائيل الى ما كان يراود خيالها • والبسها تاجا ذهبيا •

ولا حاجة بنا أن نقول انهما وقعا فى الحب وكان لهذا تأثيره السحرى على سارة التى اصبحتتبدو جميلة فى أعين الجميع •وتشع الحيوية من عينيها الزرقاوين المتبلورتين • وكانت تارة تبدو مبتهجة مرحة منشرحة وتارة اخرى تصمت ساعات طوالا ، شاردة اللب • هائمة فى اودية الخيال

• وكان يبدو انهـــا تحتضن سرورا خفيا • لم تكن ترى الا شيئا واحدا ••• أن صمويل رجلها • وأنهـــا تحب لأول مرة واستطاعت ان تخدع زوجهـــا بهدوء مصـــطنع • ولم تكن تبالى قط بالمســتقبل ، وكانت تعيش فقط على امل اللقـاء التالى معه الذى لم يكن سهلا •

واخيرا وجد عمـلا متواضـــعا فى شركة العال بتل ابيب • وبدلا من ان تحلق فـــوق اجنحة السعادة سارت ســارة بخطا ثقيلة الى حيث تلقاه • لقد اختفى

النور من العــالم كانما ســقط أحدهم على زر فغرقت البلدة الصــغيرة فى الظـــلام والطين والضوضاء • انهـــا تخشى ان ينقضى كل شىء بعد رحيل صمويل •

اســـتقبلها صمويل بذراعين مفتوحتين عندما قدمت الى حجـــرته • وعندما قبلها لاحظ انها ترتجف وأن شــفتيها

ســاخنتان وجافتان • فنظر اليها مليا وشاهد الما شديدا فى عينيها •

ـ ما الذى حدث ؟ماذا دهاك ؟

حولت وجهها ناحيــة اليمين فراى دموعـــا غــــزارا تنهمل على وجنتيها • واحس بهـــا

مسترخية بين ذراعيه ، وعهده بهـــا ممتلئة حيوية ونشاطا •

ـ عزيزتى الجميلة ، اخبرينى ما الذى حدث ! اننى لا استطيع احتمال تعاستك • ما خطبك ؟

فقالت وهى تبذل جهدا كبيرا :

ـ كنت أفكـــر فى ان ذلك •••

واختنق صـــوتها ••• فتناول رأسها بين يديه ، ونظر فى عينيها المبتلتين بالدموع • وتحدث على مهل :

ـ هـــل تظنين ذلك حقا ؟ هل تتصورين اننى استطيع ان افقـدك انت يا شـــعاع حياتى ويا زهرتى الجميلة ؟



شعرت سارة بجاذبيته ولطفه •

ـ لم افكر فى ذلك من قبل !

ـ حقا ؟

ـ لاننى فى غمـرة السعادة • كما اننى اثق بك •

ـ ولكن الذى يبـدو لى الان انك لا تثقين بى ؟! يا عزيزتى • تعلمين اننى

يجب أن اذهب ، ولكننى لن ارحل وحـــدى •• مالم ••

لم تنبس ببنت شفة •

ـ سوف تاتين ؟

قالت صامتة •

ـ اننى فقير • وها هى ذى الفرصة تسنح لى بوظيفة صـــغيرة ضئيلة المرتب • ولكن هذا افضل من حيـــاة التشرد ••

فقبلته قائلة :

ـ لا تكن احمق •• اننى متيمة بك • ولو لم تكـــن تريدنى ، لقتلت نفسى •

***

مرت خمسة اسابيع ولم يطلقها جورج • فقد منعته كبـــرياؤه من

الوقوف فى المحكمـــة ليعترف أن امــــرأة تنحت عنه وهجرته دون تردد فرحة مسرورة •

ولم يكن يحتمل فكرة قراءة خطاب سارة على الملا .

كانت سارة وعشيقها فى سعادة معا ، وكان أصدقاءهما ليسوا من هؤلاء الناس الذين يسألون عن كنه العلاقة بينهما ونوعها قبل أن يمدوا اليهما يدالصداقة .. أحبت سارة حياتها الجديدة . وقد أطربتها المغامرة التى هزت وجدانها وعواطفها . انهما يقطنان شقةصغيرة مكونة من حجرتين متواضعتين فى تل أبيب .. وكثيرا ما كانتتردد وهما يتنزهان معا سيرا على الاقدام فى شوارع المدينة :

ـ ما أحلى اللهو والمغامرة !

لم تكن سارة تبالى بدخول السينما فى المقاعد الامامية الرخيصة مع يهود الشرق الفقراء الذين كانوا يكثرون من البصق على الارض . وكانت تحرم نفسها من تناول وجبة الغداء لكى توفر أجر تذاكر السينما ان ثلاثة جنيهات فى الاسبوع لم تكن كثيرة بالنسبة لشخصين فى وقت تستعد فيه اسرائيل للحرب .

واصبح الغلاء فيه فاحشا . تذرعت سارة بالصبر والشجاعة . وكان عليها ان ترتق اثوابها القديمة متناسية ان هذا ما كانت تبتئس منه فى صغرها .

وذات مرة سرق منها كيس نقودها وكان به خمسة جنيهات من نقودها الضئيلة فاعترفت لصموئيل بذلك فألقى عليها محاضرة طويلة فى ضرورة التيقظ والحرص على المال والمحافظة عليه . فتذكرت سارة كيف كانت تتصرف فى كتب جورج بالبيع دون ان يحرك ساكنا او يوجه اليها كلمة تأنيب واحدة . فانفجرت باكية ...

ومرت على علاقتهما معا ثلاث سنوات . وما جاء عام ١٩٦٧ حتى تحسنت الحالة . لقد تم تدريبه على قيادة الطائرات ونقل الى وظيفة مساعد طيار . فاصبحت سارة تدخل السينما فى الدرجة الاولى ، وارتاحت من رتق ملابسها القديمة . وابتسمت لهما الحياة وبدا لهما انه لا توجد قوة بشرية تستطيع أن تحطم سعادتهما .

ولكن لم تلبث الحال أن تبدلت . اذ جند صموئيل والحق بسلاح الطيران . وأخيرا لاح شبح الحرب فى الافق واصبحت اسرائيل تهدد بغزو سوريا فأعلنت مصر أن أى اعتداء على أى بلد عربى هو اعتداء عليها وانها ستدخل الحرب فورا اذا ما نشبت الحرب . كانت سارة فى خوف مريع ورعب رهيب من أن تفقد صموئيل اذا ما نشبت الحرب . وها هى ذى تعانى آلاما مبرحة كلما مر بذهنها هذا الخاطر .

ودعها صموئيل ذات ليلة . واخذت تقبله وهى تتظاهر بالسعادة . وشعرت بعده بفراغ موحش وكآبة وتعاسة لا توصفان . وقد أمضها

البكاء .. وكانت تعجب كما لو كانت طفلة من اين تأتي كل هذه الدموع ؟ ! . لقد انحصرت كل سعادتها في الخطابات التى كان يبعث بها صمويل اليها من معسكره السرى . كانا يتبادلان الخطابات يوميا ... خطابات مملوءة بالعواطف الحارة والتى يمكن تلخيصها فيما يأتى :

« اننى احبك .. ما اتعسنى بدونك ... كم اتمنى أن تجمعنا الحياة معا ثانية .

اصبحت سارة خائرة النفس حزينة وقد جف عودها وشحب وجهها وانطفأ بريق عينيها . انها لا تستطيع تصور فكرة الموت ، أو تشويه جسد حبيبها الذى طالما غمرته بقبلاتها . ان الافكار السوداء تلح عليها ليلا ونهارا .

كانت تقتطع من قوتها لترسل له الهدايا . واستمرا يكتبان الرسائل لبعضهما يوميا . وكان يحدث احيانا ان تمر بضعة ايام دون ان تتلقى خطابا منه فكانت تعيش فى فزع من ان يكون قد اصابه سوء . ثم لا تلبث أن يصلها خطابان او ثلاثة دفعة واحدة . فربما يكون قد انتقل الى موقع اخر .

انقضى شهر مايو وسحب الحرب تخيم على الشرق الاوسط وجاء شهر يونيه وفى صبيحة اليوم الخامس منه انتشرت أنباء الهجوم الجوى على مصر والاردن وسوريا .

اضطربت وازدادت ضربات قلبها شدة وهى تستمع لهذا النبأ وارتجفت ساقاها حتى لم تعودا تقويان على حملها . اذن فهو فى المعركة ! .. يا الهى انه فى المعركة !

مر يومان دون أن تصلها منه خطابات وهى تكاد تجن . وفجأة ادارت الراديو واخذت تبدل وتغير فى أطوال الموجات . فاذا المذيع يقول :

« هنا القاهرة .. لقد اسقطت المدفعية المضادة طائرة اسرائيلية فى احدى ضواحى مدينة الزقازيق . فقفز الطيار بمظلته الواقية . وهبط فى حقل . وما ان وطئت اقدامه الارض حتى شهر مسدسه واطلق منه الرصاص على احدى الفلاحات . فاسرع زوجها ومعه رهط من الفلاحين وتلقوه بالعصى والفئوس فخر صريعا . واتضح من بطاقته ان رقمه العسكرى ٣٨٤١٢٩ ويدعى صمويل دافيد . وقد دفنه الاهالى هناك ووضعوا شاهدا على قبره عودا من الحطب » .

انسلت من المنزل دون أن تنبس بحرف واخذت تسير ساعات متوالية خلال شوارع تل أبيب المملوءة بالضجيج والغبار فى جو يونيه الخانق دون أن تلوى على شىء . وكان وجهها مكتئبا تشوبه صفرة تحاكى الموتى . لم تبك .. ولكنها بين الحين والاخر كانت تمد الى اصابعها تمسح بها العرق من فوق جبينها بحركة آلية . كان جسدها كله يؤلمها من رأسها الى قدميها . وكانت ترتجف من التعب والحزن .

وفى ساعة متأخرة من تلك الليلة . شاهد شرطى الدورية امرأة تلقى بنفسها امام احدى السيارات التى كانت قادمة بسرعة . ولم يستطع انقاذها قبل ان تدهمها السيارة وتقضى عليها ...



■ د. نعيم عطية ■

من الأدب اليوناني المعاصر

الأوديسية الجديدة لكازنتزاكى

تعتبر « الاوديسية الجديدة » التى كتبها شاعر اليونان واديبها الاكبر نيقوس كازنتزاكى « ١٨٨٣ – ١٩٥٧ » من اضخم الاعمال الشعرية ليس فى اليونان الحديثة فحسب بل وفى الادب الاوربى قاطبة .

ويكاد هذا العمل الذى يزيد على الثلاثة والثلاثين الف بيت يكون مجهولا من القارىء العربى ، فهو لم يترجم الى لغته بعد ، ونظرا الى اهمية « الاوديسية الجديدة » كعمل متميز اقتضى من كاتبه اشد العناء واكبر الجهد فى انجازه ، فمن الجدير ان نلم المامة عاجلة بمضمونه ، وبالظروف التى كتب فيها ايضا .

مضمون الاوديسية

يستهل الشاعر قصيدته بأن يطلب الى الشمس التي ترى كل الاشياء ، الا يغيب بصرها عن اوديسيوس ، وأن تحكي له ما سوف يحدث . وسوف تتحول كل هذه الأمور الروية فى بوتقة الشاعر الداخلية الى اشكال متركة .

عندما عاد اوديسيوس الى اثياكا بعد رحلته الاولى عمد الى تطهير الجزيرة من الادعياء . لكنه لا يشعر بالاستقرار فى جزيرته . فقد غرست الاقدار فى صدره قلبا لا قرار له ، وفى عقله بذرة مضيئة ، ودست فى يده مدية من الصلب . ولهذا كان مكتوبا الا يبدد عمره فى اثياكا التى تقصر عن طاقته .

رفض اوديسيوس السعادة العائلية الى جوار زوجته الوفية بنيلوبى . وقرر ان يخرج فى رحلة جديدة .

خرجت السفينة الى عرض البحر لا تعرف وجهتها . فلتذهب الى اسبرطة . فقد حملت الرياح الى اوديسيوس شكوى هيلين فى قصر مينيلاوس . انها مخلوق قلق لا يعرف الراحة مثله . قتل اوديسيوس حارس المدينة وخرج هاربا بها . حاملا اياها الى مركبه .

الى اين تمضى سفينة هؤلاء القراصنة ، وقد اصبحت فى عرض البحر من جديد ؟ الى كريت حيث تبشر الدلائل بمقدم عهد جديد . ملكها فى الطريق الى كهف الثور ليستمد منه قوة جديدة . ينضم اوديسيوس الى الرعية ، ويحرقون قصر « الملك ــ الثور » ذات صباح فى الربيع . ينصب اوديسيوس على العرش التليد ملكا جديدا . ويترك على أرض الجزيرة هيلين وابنها الرضيع .

الآن ، وقد خرج اوديسيوس ورفاقه الى عرض البحر من جديد ، فالى اين يقصدون بسفينتهم المتلهفة للاسفار والمغامرات ؟ الى مصر ، حيث نما الى علمهم من مكان ضرير عذابات الطبقة العاملة

يقول اوديسيوس عن مغامرته هذه : « من قبل كان مطلب الجمال يقودنا . وقد اوصلنا الى هيلين الاسبرطية ، أما من الآن فصاعدا فان الجوع اله ذو سلطان ايضا . ويعبر ذلك عن انشغالات كازنتزاكى الاجتماعية ، وحلول مطلب العدالة الاجتماعية محل مطلب الجمال .

يصل اوديسيوس الى هيليوبوليس، المدينة المقدسة . ويشارك فى ثورة العبيد فيؤسر ويلقى به فى السجن . يستدعيه . كي يبدد عنه كآبة حطت عليه . يرقص اوديسيوس امامه رقصة مخيفة وقد ارتدى قناعا من الخشب كان قد نحته « للاله المحارب » فى سجنه ، اشد الانزعاج كان قد رأى فى حلمه رأسا يشبه هذا القناع .

ان الحضارة الفرعونية بدورها تجم ، كل من حضارة اسبرطة وكريت من قبل .

يمضى اوديسيوس الى الجنوب . وقد الى على نفسه ان يبنى مدينته المثالية عند منابع النيل .

يصعد الى قمة جبل حيث يخلو الى نفسه سبعة ايام يستلهم فيها صورة المدينة وقوانينها العادلة . يأتي اليه الهام الاله فى رؤيا مثل لهب يخترق الوجود .

هو الآن مستعد لبناء المدينة الفاضلة ، لكن ثمة ثعبانا صغيرا خبيثا ــ يمثل الشك والاغراء ــ يعبث فى عقله ويسخر منه .

وعندما ينزل اوديسيوس من الجبل يجد شعبه قد انقسم على بعضه ، فيقرر ان يقتلعه ولو رغما عنه . وينجح فى بناء مدينة قانونها ان الابن يجب ان

من الأدب اليوناني المعاصر

يتجاوز الاب •

لكن البطل لا يهتأ بعمله • فالبركان الذى باعلى الجبل يتفجـــر ، ويلقى بحممه على المدينة المثلى • ويصحب ذلك زلزال كبير يدك المدينة دكا •

يعتزل اوديسيوس العالم ويصبح راهبـــا يحج اليه الناس ليتبركوا بحكمته • ولكنها حكمة مريرة قاسية• ليس ثمة فردوس أو جحيم ، ليس ثمة فضيلة او عدالة • لقد وصل البطل الى قمة يأسه •

تطهر أوديسيوس من ربقة الموجودات • وبلغ حريته كاملة • الاشياء فى نظـــره حلم يولده العقل برهة ، ثم لايلبث ان يتبخر وينطفىء • ان العالم كله من خلق عينيه •

يمضى اوديسيوس جنوبا • ويمثل الموت أمامه فى هيئة فراشـــة ليلية كبيرة ، كما فى بعض الأغانى الشعبية الكريتية • يلتقى بقافلة امير يستمع الى كلمات الراهب اوديسيوس الذى يقول له « الموت ملح الحياة » وعندما يصلان الى المدينة تستضيفهما غانية ترد على أوديسيوس قائلة « حتى لو كانت الحياة مجـــرد طيف زائف ، فساســـتمتع بها حتى يغمض الموت عينى » •

يواصل اوديسيوس رحلته وحيدا ••

تنفتـــح فى جبين البطل عين ثالثة يرى بها الموت قبالته • يســـتمهله الجوال الهائم على وجهه حتى يصـــل الى البحر من جديد ، ويبنى سفينته الاخيرة ، يبنى نعشه •

وفى الطريق يلتقى بناســـك اعيته حياة الفضيلة • يلفظ انفاســـــه الأخيرة ، بين ذراعى اوديســـيوس الذى يسأله عن ســـبيل الخلاص ، فيجيبه الناسك أن الفضيلة لم تحقق له راحة البال ، ولوكتب له عمر جديد لغير طريقة حياته كلها •

يتصلب الجثمـــــان الذى انطلقت فيه جذوة الحياة ، ولكن راحة اليد تظل مبسوطة الى أن يودع فيهـــا أوديسيوس حفنة من التراب ، فتطبق عليها وتستريح •

ويصادف أوديســـيوس فى طريقه قبطانا فيه شبه كبير من دون كيشوت المثالى غير العملى ، ينقذه من قبضة بعض البرابرة كانوا على وشـــك ان ياكلوه مشويا • وفى حديثهما يقول له اوديســـــيوس : انتى احيى فيك الجنون الذى يعادل جنونى ، لكنتى ارفض تصورك للحياة •

كما يلتقى اوديسيوس بنبيل يفخر بانه كالنحلة ، يرشـــف الرحيق من كل زهرة • فيحدثه أوديســـيوس عن حبه المتأجج للحياة • ثم يهبط الليل، فيرى فى حلم مزعج رجـــلا عجوزا يذبحه ابناؤه ليظفروا بزوجاته •

يبلغ اوديسيوس فى النهاية شاطىء البحر • استقر عزمه على ان يقطع الاشجار ليبنى من اخشابها سفينته • وعندما تكتمل يبحر بهـــا الى القطب



ميجيل اونامونو : هموم الأديب لتواجه المشكلات الانسانية العامة

الجقوبى .

انه الآن فى عزلة تامة ، سعادته غامرة وبلا حدود ، تغيب الشمس فى الضباب ، يقصر النهار ، وتضحى تيارات الماء اقوى واشد . الشفق القطبى يغمر السماء . فى الليلة ذاتها يرتطم مركبه بالصخور . ينزل اوديسيوس الى الشاطىء ، ويبلغ قرية يقضى الشتاء بين سكانها . جليد ، وجوع ، ورعب من غوائل الطبيعة ، وصلاتهم تتلخص فى « يا الهى ، لا تقتلنى » ثم ياتى الربيع ويعد اوديسيوس قاربا جديدا من جلد وعول البحر . يخرج اهل القرية على زحافاتهم وسط الجليد وقد غمرهم الفرح . من البحر ، يتابعهم اوديسيوس وفجاة ينشق السهل الأبيض ، وتبتلع الارض اهل القرية بزحافاتهم . لقد قتلهم الاله

ان الانسان انما يبحر على سفنتين ربانه الموت .

يعود الشاعر فيطلب من الشمس ان تأخذ أوديسيوس بين أحضانها . تبكى الشمس من اجله . لقد قبع الموت قبالته على مقدمة القارب . تتزاحم الذكريات فى عقل اوديسيوس . حياة حافلة لم يكن بالامكان ان يرجى غيرها . يضىء فى ذهنه حلم . الطيور والوحوش والنجوم والافكار الكبيرة والاشباح تأتى موجة فى فى اعقاب موجة لوداعه .

يختفى الموت من مقدمة القارب . يمد اوديسيوس ذراعيه ويترك التيار يجرفه . ان الأوان كى يفترق عن جسده فيبعث بالتحية الى الأرض والنار والهواء والى العقل فى النهاية ، ذلك البناء الكبير الذى جعل الكل متماسكا .

يمر امام اوديسيوس جبل من الثلج العائم . « انه الفيل الذى سينقله الى هادس ! » يقفز من قاربه اعزل عاريا ويتسلق الحائط البللورى . يغنى البحر مرثيته . وينادى اوديسيوس رفاقه « يا ايها الرفاق، يا أيها الاحباء ، الاحياء منكم والاموات ، تعالوا الى ، تعالوا » .

كل الرفاق الذين أحبهم اوديسيوس يأتون اليه . يجلسون الى جواره على جبل الثلج . وكل الاشياء التى احبها أيضا ، من نبات وفاكهة وحيوان ، محمولة على سحابة تقبل . وتفد الى الاسماع اغنية العود الابدى .

يتحرك جبل الثلج مبتعدا مثل كتلة من ضباب .

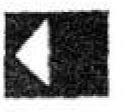
ويدعو الشاعر الشمس دعاء الختام . فتبكى وهى ترى بطلها الحبيب يتلاشى مثل خاطرة عابرة .

كتابة الاوديسية

انجزنيقوس كازندزاكى صياغته الاولى للاوديسية فى الثانى والعشرين من سبتمبر عام ١٩٢٧ . لكن الشاعر لم يكن يحس بالراحة لذلك . فمازال هناك الكثير مما يريد ان يقوله محتبسا فى اعماقه .

يقول كازندزاكى انه طوال حياته اجهد فكره من اجل الوصول الى فكرة كبيرة تعطى معنى جديدا للحياة وللموت ، وتكون عزاء للانسانية . لقد صور كازندزاكى اوديسيوس مدفوعا بعطش فى اعماقه للحياة لا يرتوى ، وهو الذى جعله يمضى رغم كل شىء فى رحلته الاسطورية التى ترويها أبيات الملحمة الجديدة . ان اوديسيوس يقوده جوع اليم يعادل الاحساس التراجيدى بالحياة . ولقد كانت المادة التى عليه احتوازها واستيعابها ضخمة وغير ذات حدود .

واوديسية كازندزاكى لم تكن عملا



محليا قوميا بل عملا انسانيا عالميا .

وقد كان زاد كازنتزاكى الكاتب من الفلسفة اكثر من الادب ، فاستطاع بذلك، مثل معاصريه الكبيرين أونامونو الاسبانى وبيجى الفرنسى ، ان يطور الادب من مجرد كلمة منمقة منتقاة الى مواجهة للمشكلات الانسانية الكبيرة والحاسمة .

طرق كازنتزاكى فى اوديسيته القضايا الوجودية التى اصبحت بعد عشرين عاما على ايدى كامو ، وسارتر ، ومالرو ، موضوعات مألوفة فى الأدب الفرنسى ومن بعده فى الاداب الاخرى . ولا تقل مصادر الرموز التى تضمنتها اوديسية كازنتزاكى عن حضارات خمس هى

من الأدب اليوناني المعاصر

الكريتية ، والاغريقية ، والمسيحية والهندية ، والافريقية . وقد مضى يستعير أيضا صورا من اساطير بدائية متعددة ، وتعبيرات من اعمال الفن المنتمية الى كل الازمان والاماكن .

وعندما يتقصىكازنتزاكى عن دعامات لخياله فانه يجدها فى مشاهد على قدر كبير من التنوع ، فمن صور الحيوان والطير على حوائط كنوسوس فى كريت ، والالهة المهيبة فى مقابر الفراعنة ، والاقنعة الافريقية والقفر القطبى المترامى الاطراف . ولكنه على الرغم من اختياراته الموغلة فى القدم فقد ظل كازنتزاكى فتى عصره . وقد انعكس ذلك على أسلوب الشاعر بالأخص . فان النمط الملحمى خلال تجربة مئات السنين يقوم على تمجيد ابطال تجرى فى عروقهم فى اغلبالاحيان دماء ملكية ، وذلك بسرد مغامرات يتغلبون فيها على صعاب تتجاوز القدرات الانسانية . وهؤلاء الابطال الملحميون يقدمون للجماهير نماذج للرجولة والتضحية والحكمة .وتتلاقى الاعمال المحلية مع حاجة الانسان الى المثالية وتلبى شوقه الى الالهة . وكما أن الهدف من العمل الملحمى تمجيد البطولة فان القالب الذى يفرغ فيه تحقيق هذا الهدف يتصف أيضا بالضخامة والعظمة .

ومن الجلى ايضا ان النمط الملحمى يحتاج لكتابته وتذوقه من الناحية التاريخية الى عصر بطولى ، فاذا بدا الفساد والتحلل يدب فى عروق حضارة متيقة فان النمط الملحمى يصبح غريبا عن العصر . ولهذا فان بطل أوديسية كازنتزاكى قد تخلى عن كثير من صفات اوديسيوس هوميروس العريق . فقد تأثر بطل كازنتزاكى باخلاق وصفات كثير من الصعالية والرعاع المحيطين به . واصبح بطلا من أبطال القرن العشرين يعدت به الشقة كثيرا عن سلفه العظيم بطل أوديسية هوميروس الذى يرجع الى بضع مئات من السنين قبل الميلاد . ولعل من أبرز الفوارق بين البطلين هو أن البطل الجديد قد تخلى عن اليقين الراسخ فى عقل وقلب البطل القديم ، ومضى يبحث بلهفة وجزع عن يقين جديد صار اصعب منالا . ومن ثم لم تعد رحلة اوديسيوس مجرد رحلة مغامرات وخوارق ، بل رحلة حطام فى بحار الموت والعدم .

وقد ادخل كازنتزاكى فى الأدب اليونانى الحديث ببطله اوديسيوس الجديد - بل بأبطاله جميعا - شعورا لم يكن موجودا فى ادب اتسم بالدعة والسكونية ، شعورا بالقلق والتوجس من عالم الغد المتنبأ به فى الاعماق . لقد تخلصت سطور كازنتزاكى من الميوعة واكتسب خشونة نابعة من نظرة لا رحمة فيها الى العالم . وجاء بطله اوديسيوس مثله ذا حيوية لا يهدأ لها قرار ونزعة استقلالية متطرفة .



اندريه مالرو :
والقضايا عن الوجودية

عندما انتهى كازندزاكى من الصياغة الاولى لاوديسيته غمره الشعور بالعزلة، انه بلا اصدقاء ، ولا اتباع، ولا جمهور ، ولا ناشر · مثقل بالديون لقاء ما اقترضه للانفاق على معيشته طوال الشهور التى تفرغ فيها لكتابة قصيدته · وما ان رفع رأسه من اوراق ديوانه حتى وجد نفسه مضطرا ان يقبل ما كلفه به احد الناشرين من كتابة مئات الموضوعات لموسوعة يزمع اصدارها ·

كان كازندزاكى فقيرا للغاية ، مكبلا بضرورة أن يعمل كى يكسب عيشه · على أن ما عانى منه حقا ، لم يكن الفقر بقدر ما كان العزلة التى القى به اليها رفضه أن ينزل عن استعلائه · فقد كانت المعايير المثالية الصارمة التى ربط نفسه بها سببا فى عذابه · ومثل كل شعراء الملاحم رأى كازندزاكى الشرارة تصبح جذوة ملتهبة وعلى الرغم من كل خصومه احس كازندزاكى فى اعماقه بعظمته متوحدا ببطله الملحمى اوديسيوس ، وتغلب على احساسه « باللاشىء » من خلال تشييده صرحا شعريا ضخما · **وقد كانت اسفار كازندزاكى نوعا من الاختبار والملامسة ،والتقاط الخفى الذى يخطو على الاشياء المرئية ويتجاوزها صاعدا الى اعلى · كان يجمع فى رحلاته الصور والانطباعات ويختزنها لعمله الشعرى الكبير · « ما اروع هذا العالم · ان تطأ بقدمك ارضه ، وان تعبر الفيافى والقفار وان يكون لك عينان · اننى قد رأيت ما اشتهيت ان اراه ، وان اسمع ما اشتهيت ان اسمع · لقد تعلمت واستمتعت » · ثم مضى كازندزاكى يغذى ماراه ايضا بالقراءات العديدة وقد مكنته معرفته باللغات الالمانية والفرنسية والانجليزية ان يجمع الافكار والخواطر من شتى البقاع · فى رحلاته يقول « عيناى تمتلآن ، والاوديسية فى اعماقى تنمو وقرارى بأن اكتبها يقوى »**

***

فى الخامس من فبراير سنة ١٩٢٩ اجتاز كازندزاكى جبال الاورال ودخل سيبريا فكتب الى صديقه بريفيلاكى يقول « انا وحيد ، هادىء ، وعلى غاية من السعادة حقا ، برد مخيف · انهم يقطعون اللبن هنا بسكين ، والنهر بكل امواجه قد تجمد ، » ثم كتب بعد ذلك فى السادس عشر من فبراير الى صديقه يقول « اننى افهم الآن الامر بجلاء · ان الذى يهمنى ويشغلنى ليس هو الانسان ، ولا الارض ، ولا السماء ، بل تلك النار التى تفترس الانسان والارض والسماء · هذه النار التى يجب أن أمسك بها، واعبر عنها · وحينئذ فقط ساتجاوز كل المراحل التى سبقت · »

عمد كازندزاكى الى صياغة اوديسيته صياغة ثانية · ومع الاحتفاظ بالغرض من القصيدة لجأ الشاعر الى تغيير الكثير من التفاصيل لبلوغ مزيد من السيولة والبساطة التى تتصف بها الاغانى الشعبية · كما ان وجهة نظر كازندزاكى الى

الامور تغيرت في العـــديد من الموضوعات .

وفي مارس ١٩٣٠ كان كازندزاكي قد انجز الصياغة الثانية للأوديسية الا انه لم يبق من الصياغة الاولى والثانية الا بعض الشذرات التي بعث بها الشـــاعر الى صديقه الاديب الشـــاب بريفيلاكي الذي الف كتابه المعروف عن الأوديسية وشاعرها . وقد اعتمد عليه كثيرا في هـــذه الصفحات .

ولكن ها هو الشاعر قد اصـــبح مســتعبدا بالقصيدة . وما انجـز صياغتها الثانية حتى اصبح متلهفا الى صياغتها للمرة الثالثة . « يجب ان القي نظرة على الشـــعر الصيني والافريقي وعلى بعض الكتب الاخرى . ان الصـــياغة الثالثة قد بدأت تقلقني لدي افكار جديدة . كما اريد ان ابذل مزيدا من الجهد كي تتحول الافكـــار المجردة الى صور وحـــركة ... الى اســـطورة .. » كانت الاوديسية في الاصل مدلولا فكريا ،ولكن يجب للفكرة ان تذاب مثل الملح في الماء . ان يبقى في الماء مذاقها دون ان ترى .

ان شـــغف كازندزاكي بالتاريخ الطبيعي ، بالاغاني الشـــعبية ، بالحكايات البدائية بالاسفار ، لا يفسره سوى رغبته في اعطاء المجرد شكلا مجسما . ولشـــد ما كان كازندزاكي يكره لغة اهل المدن الذين يتكلمون عن الفجر والغروب ، دون أن يكـــونوا قد عاينوا ايا منهما ، دون ان تكونوا يقادرين ان يجسموا لك في كلمات هذا الشروق او هذا الغروب .

في ديســـمبر ١٩٣١ بعد عمل متواصل لمدة ســـتة اشهر انجز كازندزاكي الصياغة الثالثة . ويقول « كم كان ســـيكون الامر مخيفا ان اموت قبل أن انجز هذه الصياغة الثالثة ولكن من يدري لو لم اقل هذا ايضا عندما امضي الى صـــياغة رابعة او خامسة ؟ »

وفي عزلته المطبقة يحـــادث كازندزاكي نفســـه . يسترجع ليس ذكرياته فحسب بل واحلامه ايضا ، ويرهف السمع ليلتقط صـــوت عقله الباطن . وانزلق الشاعر الى عـــالم خيالي باعتباره ابلغ صور الحرية . وكان يقول « كلما انغمست في تشييد الاوديسية ايقنت ان السعادة هي ان تعطي روحك الى وحش كبير يلتهمها » .

فرغ كازندزاكي من الصـــياغة الثالثة للاوديسية في الايام الاولى من ديسمبر ١٩٣١ ولكنه لم يكف عن مراجعتها وتنقيحها حتى مايو ١٩٣٢ .

شرع كازندزاكي يكتب اوديســـيته للمرة الرابعة في ابريل ١٩٣٢ وانجز هذه الصياغة الجـــديدة في ثلاثة أشهر . وفي هذه المرحلة يجد الباحث المخطوطين الثالث والرابع للاوديسية جنبا الى جنب ، ويستطيع ان يجري المقارنـــات ويتبين التعديلات التي اجراها الشاعر .

ماذا كان جـــزاء كازندزاكي عن هذا العمل الصعب الطموح الخلاق ؟ لا شيء . ولهذا فقد قنع بنقاء الفرف

ســـارتر : نالر باراء كازندزاكي في اوديسيته





كامو : عالج قضــــايا الوجودية في الأدب الفرنسي

واتقان العمل . وهذه خصيصة الرجل المنعزل ، الذي يكـــون ضميره هو حكمه الأوحد والأخيـر في عالم من غير المؤمنين وذوى الألسنة الحداد ، حيث لا فضيلة ، كان على كازنتزاكي أن يحتفظ بيقينه وبراءته حتى يحافظ على ايمانه بقداسة الامل الأسمى . ولكن في بعض اللحظات كان ينتابه الغثيان من كل شيء . وقد كان هـذا يعطى الاحساس بأن الأوديســـية بالنسبة له جزيرة خيالية بناها بكفاح دموى ضد الفوضى ، وبامكان نسمة خفيفة من الهواء ان تعصف بهــا وتبعثر اشلاءها .

وفي الفترة بين الصياغتين الرابعة والخامسة عاش كازنتزاكي صراعه بعمق . كتب يقول من جزيرة اجينا في الثامن من أغسطس ١٩٣٤ « أتوق الى رحلة طويلة . لا بد أن أملأ عيني من جـــديد . أن أتخلص من العادات السـهلة ، وان أجمع حطبا لصياغتي الخامســـة : الصين ، افريقيا ، امريكــا . ربما ينفعني ان يداهمني مرض شديد ، واجتاز تجربة حزن مزلزل . انني في حالة مبهمة من التوتر وعدم الراحة .. ثمة ظل يرفرف على ، يضفى على الاشياء اشكالا ليس لها ، ويصبـغها بلون أســـود . في بعض الاحيان ينتابني شعور بالاختناق ، واصـــيح قائلا : « كفى ! » ثم يمضى كازندزاكي قائلا « متى سأشرع في الصياغة الخامسة ؟

بدأ كازندزاكي الصياغة الخامسة في خـــريف عام ١٩٣٥ . ومضى مستغرقا في عمله هـــذا حتى بداية الربيــــع . رحلة مزدوجة داخلية وخارجية . انها ليست رحلة العين والأذن فحسب بل ورحلة الروح والقلب ايضا وعلى الأخص الابيات تنم تارة عن حرية خلاقة تتجـاوز كل زمان ومكان ، ، وتارة اخــرى تنم عن الرغبة في احداث ثورة في الاوضاع والنظم ، وتارة اخرى تفصـــح عن عزلة لا يبرء منها ، ومعركة محارب يائس لا ينتظر لحربه جزاء . السعادة هبة عطر مبدد ، نغمة بعيدة تخبو ، والحياة حلم داخل حلم . والروح يصارع الشر ويفترس الجسد .

عندما شرع الشاعر في صياغته السادسة كان عليه أن يقلم حديقته الشعثاء . فخفض ابياته من ٤٢٥٠٠ الى ٣٣٣٣٣ بيتا . « بشق الانفس . كما لو كنت اقطع لحمى . اقتضتني هذه المهمة شتاء وربيع سنة ١٩٣٧ باسرها » .

ولكن كازندزاكي لم يكن راضيا عن عمله بعد وشرع في الصياغة السابعة والأخيرة للأوديســـية من أول مايو حتى نهاية نوفمبر سنة ١٩٣٨ .

وفي العام ذاته ايضا بدأ يطبــع عمله في أثينا . لم يكن ذلك بفضل ناشر من الناشرين ، بل بفضــل سيدة غير يونانية ، ثرية من عاشقات الأدب ، تولت على نفقتها اصدار الطبعة الأولى للأوديســية من ٣٢٥ نسخة . وحتى اللحظة الأخيرة مضى الشاعر في اجراء التصحيحات على ملحمته . وكلا ما كان باستطاعته اودعه في عمله . وفي الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٣٨ صــدرت أوديسية كازنتزاكي بعد عشر سنوات من الكفاح والصمت. ■

د . صلاح عدس

أثر الهرمونات في الشعر العاطفي

يقول « كولن ويلسون » في كتابه « الجنس والشباب المثقف »: «اليس غريبا ان يأتي اعظم شعر في القرن العشرين نتيجة لخصية قرد» .. وهو يقول ذلك بصدد حديثه عن الشاعر الانجليزي الكبير « يتس » الذي اجريت له عملية لاعادة الشباب عن طريق زرع خصيتي قرد في جسده وما استتبع ذلك من تغيرات هائلة في شخصيته وأشعاره ..





لكى نفهم تلك الحكاية الغريبة نحب أن نشير أولا الى أثر الهرمونات فى شخصية الانسان على وجه العموم وفى الشعر العاطفى على وجه الخصوص ؟

فالذى يحدث فى سن المراهقة والشباب هو أن الغدة النخامية المجاورة للمخ تستيقظ فتنبه الغدد الجنسية التى تفرز هرمونات خاصة تثير فى الانسان الدافع الجنسى كما تحدث به تغيرات فسيولوجية ونفسية متعددة هى ما تعرف بتغيرات المراهقة .. وفى تلك الفترة من العمر يبدأ الانسان فى نظم الشعر العاطفى للتنفيس عن مشاعره تجاه المرأة وكى يتغنى بجمال محبوبته ويتودد اليها ..

والهرمونات هى مواد كيماوية تفرزها غدد خاصة تسمى الغدد الصماء اى التى لا قنوات لها ، لانها تصب افرازاتها مباشرة فى الدم ، فهناك مثلا الغدة الدرقية التى توجد فى مقدمة الرقبة والتى لها علاقة وطيدة بالذكاء والنشاط العقلى بل وبالنمو الجنسى والنمو الجسدى ، حتى أن الطفل المصاب بنقص فى افرازات الغدة الدرقية تجده مصابا يتأخر فى نموه الجسدى والجنسى والعقلى ..



وهناك أيضا الغدة الكظرية التى توجد فوق الكلية وتفرز هرمون الادرينالين الذى يؤثر علينا فى المواقف العاطفية والانفعالية فيجعل القلب يدق بسرعة وتزداد حركة التنفس وترتفع حرارة الجسم ويتصبب العرق ..

وهناك افرازات أخرى للغدة الكظرية لها علاقة بالحالة المزاجية للانسان اذ أن زيادة نشاطها أو قلته تحدد ما اذا كان الانسان يعيش فى فرح وانبساط أو يعيش فى اكتئاب وحزن ..

وقد نجد فى ذلك تفسيرا لتشاؤم الفيلسوف « شوبنهور » أو تشاؤم الشاعر « توماس هاردى » اذ ربما كان لديهما خلل فى هرمونات الغدة الكظرية مما أثر على نظرة كل منهما للحياة فانعكس ذلك فى انتاجهما الفكرى وربما تغير الحال تماما لو انهما تعاطيا بعض الكيماويات التى تستعمل فى الطب النفسى الحديث لعلاج الاكتئاب ..

وخلاصة القول ان الهرمونات لها اكبر الاثر فى تحديد شخصية الانسان الى جانب عوامل أخرى بالطبع مثل العوامل الاقتصادية والاجتماعية ..

ولنعد الان الى حديثنا عن الهرمونات ، فهناك أيضا غدة البنكرياس التى تفرز الانسولين ويسبب نقصه مرض السكر ، ومن المعروف أن مرض السكر قد يؤدى الى العجز الجنسى ..

الشباب مسألة هرمونات

والنقطة الهامة التى نريد ان نؤكدها من وراء ذلك كله هى ان تلك المواد الكيماوية تؤثر على النشاط الذهنى والجهاز العصبى ، وما الشعر او الفن عامة سوى نشاط ذهنى يقوم به الجهاز العصبى .. فهل هنـــاك علاقة بين الهرمونات والمخ ؟ أجل .. فالغـدة النخامية تقع عند قاعدة المخ ، وهى التى تتحكم فى نشاط بقية الغدد وتنظم افرازاتها فهى بمثابة « المايسترو » الذى يقود الفرقة الموسيقية ..

ولعل كل هذا يفسر لنا العلاقة بين الحب والشباب وبين الحب والهرمونات وبين الجنس والعقل بطبقاته الواعية واللاواعية ، وبين كل هذا من ناحيـة والشعر العاطفى من ناحية أخرى .. فالســبب فيما يتميز به الشباب من بهجة او غراميات او شعر عاطفى يرجع فى نهاية الامر الى الهرمونات الجنسية .





ولعل هذا أيضا يفسر لنا تأكيـد « فرويد » وعلماء التحليل النفسى أن الجنس هو الدافع الاساسى عنـد الانسان ، وانه حتى النشاط الذهنى ومن بينه الشعر والفن عامة يختفى وراءه الدافع الجنسى ، او هو عملية « تسامى » عن طريق استغلال الطاقة الجنسية فى نشاط خلاق . اى ان الذى يلهم الشعراء ليس هو « شـيطان الشعر » وانما هو الهرمونات .. وما فكرة شيطان الشعر التى كانت سائدة عند العرب القـــدامى الا افتراض ميتافيزيقى ظهر فى عصر ما قبـــل الكشوف العلميـــة المتعلقة بوظائف الاعضاء .. فقد اصـــبح الان علم النفس جزءا من علم الفسيولوجيا وراح يدرس الســلوك البشرى على أسس مادية ..

وقد اظهرت البحوث العلمية انه ما دام هناك نشاط فى الهرمونات الجنسية فهذا معناه نشاط الشباب ونشاط الحب وبالتالى نشاط الشعر العاطفى حتى لو حدث هذا النشاط فى الشيخوخة ..

فالشباب ليس مسالة عمر وانما هو مسالة هرمونات .. وقد يحدث عنـد بعض الشيوخ انقلاب هرمونى مفاجىء وازدياد فى الهرمونات الجنسية نتيجة لتضخم البروستاتا مما يجعل هؤلاء الشـيوخ قادرين على الحب والعطاء الشعرى أيضا ، وهذا معنى قولهم ان الشباب ليس شباب العمر وانما هو شباب الروح والقلب .



شوبنهور : رأى حول تشاؤمه من خلال اتجاهه الفكرى ..

ومما يؤكد نظريتنا تلك ما حدث للشاعر الانجليزى « يتس » الذى يعتبر من أعظم شعراء انجلترا فى القرن العشرين .. فكلنا قد سمع عن المحاولات الطبية لاعادة الشباب وما قام به العالم « شتيناك » بالاشتراك مع العالم « فورنوف » فى هذا الصدد .. فقد اتضح لهما من التجارب انه عندما تنزع خصيتين من حيوان شاب وتزرعهما فى حيوان عجوز فان هذا العجوز يستعيد حيويته وشبابه من جديد بينما يبدو على الحيوان الذى انتزعنا منه خصيتيه أعراض الذبول . وقد نجحت تلك التجارب على الديوك والفئران .. ثم حاول « فورنوف » تطبيق هذه التجربة على الكائنات البشرية ولكن المشكلة التى قابلته هى رفض الشبان لاجراء عملية الخصاء لهم ولذلك اضطر الى استعمال خصية القرود .

حديث الاغصان الثلاثة

ويحدثنا « كولن ويلسون » فى كتابه « الجنس والشباب المثقف » عن هذا الموضوع فيقول : « لقد كان لتجربة غدة القرود تأثير غريب على الأدب الانجليزى المعاصر ، وذلك لأن الشاعر « يتس » قد أجريت له عملية غدة القرود هذه وهو فى أواخر « العقد » السادس من عمره . وقد كانت أعمال « يتس » الأولى عبارة عن قصائد حالمة عبر فيها عن هروبه الى أرض الجنيات بعيداً عن عناء هذا العالم وخشونته .. ولم يكن سعيداً فى حياته العاطفية اذ أنه أحب امرأة تدعى « مود جون » عدة سنوات لكنها تزوجت شخصاً آخر . ولما حاول بعد عشرين عاماً أن يطلب ود ابنتها ويخطبها قوبل بالرفض .. كما كان له علاقة حب افلاطونية مع الممثلة « فلورانس فار » التى استمتع بحبها « برناردشو » وحده .. وأخيراً تزوج « يتس » فى العقد الخامس من عمره .. »

ويستطرد « كولن ويلسون » قائلا أنه قد أجريت للشاعر عملية « فورنوف » بعد عشرين عاماً من زواجه مما كان له أبلغ الأثر فى شخصيته اذ أن موضوع الجنس بدأ يتطرق الى أشعاره لأول مرة فى حياته .. وقد كتب عدة قصائد عن عاهرة تدعى « كيرازىجين » ما كان ليكتبها فى شبابه .. ويصدق هذا



توماس هاردي : هــل حــدث خلل في هرمونات الغدة الكظرية

أيضا على قصائده الاخيرة التي تدعى « الاغصــان الثلاثة » والتي يتحــدث فيها عن العلاقات الجنســية لاحدى النبلات مستعملا تعبيرات تفوح منها رائحة الجنس كما أن اســـتعادته لشبابه قد أعطت أشعاره مسحة من البهجة العنيفة التي كان يفتقدها من قبل .

ولنسمعه يقول في قصيدة بعنوان « سقوط الأوراق » التي كتبهـــا قبل اجراء العملية الجراحية وفيها يبدو الحزن والاكتئاب :

الخريف يغطي الأوراق الصــفراء
وقد تعبت أرواحنـــــا الحزينة
فلنرحـــــل الآن لأن زمـــــن
العواطف قد نســـــينا

ثم اسمعه يقول في قصــيدة من شعره بعد العملية تتفسح فيها البهجة والفكاهة :

ان الموظف المســئول رجل طيب
وهو يكذب في تقــــــاريره
والصحفي يكذب ويأخذك في دوامة الكلمات

ولذلك الزم بيتك واشرب البيــرة
ودع الجيران يدلون بأصـــواتهم في الانتخابات

واسمعه يقول أيضا في احــدى دعاباته الشعرية :

طف بالريف والمــــــــــدن
واقذف بكل عاشقين الى السرير
واقــذف بكل الآخرين الى الأرض

ويضيف « كولن ويلسون » قائلا ان تأثير غدة القرود على « يتس » لم يكن تأثيرا جنسـيا فقط وانما تعتبر قصائده الاخيرة أعظم انجازاته الشعرية لأنها تنبض بالحيـاة والعواطف .. ثم يقول « كولن ويلسون » : ولكننا لا ندري تأثير تحوله هذا على زوجته اذ ربما كانت غير سعيدة اطلاقا بما حدث له لأنه يبدو من قصائده الأخيرة أن عيونه قد بدأت « تزوغ » وصار يتحدث عن : فتيات يجلســـن على الشاطىء ويفهمن ما يعنيه الظلام

واخيرا يقول « كولن ويلسون » : « أليس غريبا أن يأتي أعظم شعر في القرن العشرين نتيجة لخصية قرد؟ »

ونحن نرد على تساؤله قائلين ان هذا ليس أمرا غريبا خاصة بعد أن أوضحنا العلاقة بين الجنس والعقل وبين الهرمونات والشخصية ، وما الشعر الا انعكاس لشخصية الشاعر وعقليته فلا غرابة اذن أن يتــــأثر الشعر العاطفي بالهرمونات والجنس حتى لو كـــان الشاعر في سن الشيخوخة ..

أول رحلة إلى النجوم

ميشيل تكلا

فى شهر مارس من عام ١٩٧٢ انطلقت سفينة او مركبة ، على هيئة طبق طائر من كيب كيندى للقيام برحلة علمية تفوق الخيال .. تزن هذه السفينة ٥٧٠ رطلا ، وقد اطلق عليها (بيونير العاشر) وهي تعمل تلقائيا ، ولا يقودها انسان بل يسيطر عليها العديد من الاجهزة الحاسبة الالكترونية . وبعد ان تعبر السفينة كوكب المشترى الضخم فسوف تنحرف عن النظام الشمسى الى طريق اللبانة او الطريق اللبنى الذى يقع على بعد ثمانمائة تريليون ميل وتصله السفينة فى عام ٨ر٠٠٠ر٠٠٠ بعد الميلاد !!

سوف تشق (بيونير العاشر) طريقها بعد ذلك نحو كوكبة الثور ، وتحملق فى النجم المعروف باسم قرن الثور الشمالى ،

ثم تتجه نحو دائرة المجرة والى ماوراءها . واثناء مرور المركبة بالكون ، فسوف تبلغ سرعتها حدا لم تبلغه او تحققه اى مركبة صنعها الانسان حتى كتابة هذه السطور ..

وسوف تحصل أجهزتها النووية على ثروة من المعلومات من أماكن متفرقة ودقيقة فى النظام الشمسى لم تصل اليها مركبة أخرى من قبل . واذا كانت هناك مخلوقات بشرية فى الكواكب او

السدم او المجرات ، فان المركبة تحمل لوحا من الذهب الخالص عليه رسم رجل وامرأة عاريين ، وتحمل رسالة تصف فيها الكرة الارضية ونظامها الشمسى حسب مفهومنا ، وعليه يمكن

لسكان الكواكب الاخرى او المجرات فك طلاسمها فى أى مكان فى الكون .

وربما يأتى اليوم الذى يستطيع فيه الانسان ان يتتبع رحلة (بيونير) ويلاحق خطوات السفينة . وفى زمننا الحالى يمكننا متابعتها فى اخيلتنا

فقط .. ولنفرض أن بالسفينة العظيمة انسانا .. فما الذى سيراه اثناء رحلته الاولى الى النجوم ؟

فى تمام الساعة الثامنة والدقيقة التاسعة والاربعين من مساء يوم ٢ مارس عام ١٩٧٢ انطلق صاروخ اطلس الجبار من قاعدة كيب كيندى ، وقد ركبت فوقه سفينة ضخمة غريبة الشكل .. وفى دقائق قليلة كانت سرعة الصاروخ قد بلغت واحدا وثلاثين الف ميل فى الساعة ، وفى خلال ساعتين كانت المركبة تخضع لبعض خطوات البرنامج المعقد ولمناورات غريبة . وفى الداخل سيطر جهاز حاسب كمبيوتر

أول رحلة إلى النجوم



صغير على المحركات النفاثة واشعلها لادارة المركبة بسرعة خمس لفات فى الدقيقة ، وهذا الدوران يوزع الحرارة الشمسية بالتساوى على جسم السفينة من الخارج ، ويسمح للاجهزة العلمية ان تمعن النظر فى كل شىء تراه خمس مرات فى كل دقيقة ، وبجانب ذلك فان نظام الملاحة الاوتوماتيكى يعمل مع الاجهزة الحساسة الاخرى ، يوجه جهازا مثلث الشكل نحو الشمس والارض والنجم المعروف باسم سهيل ، وفى الوقت نفسه يجعل من الطبق الهوائى (الانتينا) فى اتجاه الارض دائما . وقد قام بتصميم هذه المركبة فحول العلماء والرياضيين فى العالم .

وبالسرعة الهائلة للمركبة ـ وهى تبلغ تسعة اميال فى الثانية ـ فانها سوف تصل بك الى القمر فى نحو احدى عشرة ساعة فقط ، وبعد مرور ثلاثة وثمانين يوما من انطلاقك من الكرة الارضية فانك ستعبر الطريق الدائرى لكوكب المريخ ، وبذلك تحطم اى سرعة سبق ان حققها الاتحاد السوفييتى او الولايات المتحدة عند ارسالها مركبات الى كوكب المريخ وغيره من الكواكب الاخرى .

وبعد مرور خمسين يوما أخرى ، اى على بعد مائة وعشرين مليونا من الاميال من الارض تدخل سفينتك حزام النجيمات الغريب أو الغامض . وهو عبارة عن منطقة من فتات الصخور والذرات سمكها حوالى خمسين مليونا من الاميال . ويتكون هذا الحزام او الجسم السماوى من عوالم صغيرة مبعثرة هنا وهناك لم تتحد مطلقا لتكون كوكبا من الكواكب برغم ان « سيريس » وهو أكبر جسم فيها قطره ٤٨٠ ميلا ، اما باقى الاجسام فعبارة عن صخور وحصى تتدحرج او تدور فى الفراغ ...

اما احتمال الاصطدام بنجيم فامر غير مشكوك فيه والاصطدام حتى باقل كسرة او فتات من الصخور التى تتحرك بسرعة ١٨ ميلا فى الثانية ـ كفيل بان يبيد المركبة ويقضى عليها تماما . ولكن المركبة وما بها من أجهزة حساسة سوف تمنع ذلك الاصطدام وتتحاشاه لان عيونها لا تنام .

وبعد سنة كاملة من ارساء المركبة تخرج من حزام النجيمات وتكون الارض على بعد ٤١٥ مليون ميل وقد اصبحت كنجم لامع فى السماء وتقل المسافة

من قرص الشمس وتجعله كقرص أبيض في حجم ممحاة القلم الرصاص ، وبعد مرور ثمانية عشر شهرا يبدو لك كوكب المشترى ككرة قمح بعد أن تكون قد ابتعدت عن الارض بنحو نصف مليار من الاميـــال ، ولكى اقرب الامر الى ذهنك فمن المعروف أن الاشــارات اللاسلكية التى تنطلق بسرعة الضـوء (١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية) تستغرق ٤٥ دقيقة لكى تصل اليك ..

وقبل أن يظهر امامك كوكب المشترى تنخفض سرعة السفينة الى نحو ثلاثة وعشرين الف ميل فى الساعة ، ولكنها تزداد عندما تبدأ جـــاذبية الكوكب تجذبها نحوه . وعلى بعـــد عشرين مليونا من الاميال يصبح كوكب المشترى اجمل جسم سماوى فى الفراغ . ويتعذر عليك رؤية حجمه الحقيقى برغم انه اضخم ثانى جسم فى المجمـــوعة الشمسية لانه اضخم من الارض بنحو ١٣٠٠ مرة . وسنة هذا الكوكب تعادل اثنتى عشرة سنة من سنوات الارض، ولكن برغم ضخامته هذه فان سرعته عظيمة بحيث لا يزيد طول يومه عن عشر ساعات .

حصيلة عظيمة من المعلومات

وعندما تعبر المركبة الجانب المشمس لكوكب المشترى بسرعة واحد وثمانين الف ميل فى الساعة فانه يعسر عليك تصديق أن جاذبيته لم تبد مركبتـك ، وتجد نفسك تحملق فى الكوكب الضخم الذى يكسف الشمس الصغيرة اللامعة

.. ولعدة دقائق قليلة تحيـــط انوار ذهبية بسفينتك وفجاة ترى السفينة وقد ابتلعتها ظلال الكوكب الغامض ، ولا يغلفك الظلام تماما لان انهـــارا من الغازات الملونة تتدفق من الافق وهى من ظواهر جو كوكب المشترى الغامض

اما كيف يبدو حقيقة تلك الجو ، فانه على بعد عدة الوف من الاميـــال تحت جو الكوكب البدائى، حيث غازات الهليوم والهيدروجين والنشادر والميثان والماء وهذا الخليط الكيميائى الذى يعتبره العلماء السبب المباشر فى ايجاد الحيـــــاة على الأرض منذ أربعة مليارات ونصف من الســـــنين ، فان العلمـــاء يتخيلون عالما يبلغ فيه الضغط الجوى نحوا يقدر بمائتى الف مرة أكثر من الضغط الجوى على الكرة الارضية قد كون قارات من الهيدروجين الجامد تســـبح فوق محيطات من الهيدروجين ! ومن هذا المرجل أو القدر الذى يغلى ويفور بصفة مستمرة ترتفع أعمدة من الغاز فى حجم المحيـــط الباسيفيكى الى الجو المجاور وتطلق عواصف كهربائية هوجـــاء لا يمكن تخيلها .. انه الجحيم الذى لا يجرؤ الانسان أو الاجهـــزة أو الالات على دخوله ابدا ..

وتتحرك المركبة وتنـــدفع بسرعة خيالية حتى لا تأسرها جاذبية كوكب المشترى ، وتتسلق وجه الكوكب الملتهب وتعبر خط الاستواء الى نصفه الشمالى

.. وفى الحال سوف تلاحظ جسمــا برتقاليا لامعا يتجه نحوك باندفاع وعناد فوق الافق من الجانب المضىء للكوكب وهذا الجسم السموى هـــو القمر «ايو» احد اقمار المشترى الاثنى عشر .. وسماء ليل المشترى تبدو كالجنة للعشاق والمحبين . ولكـــن مراقبة اقمار المشترى تحتـــاج الى مسطرة حاسبة كما يقول العالم « كارل كريستوفرسون » ، لان ثمانية منهــا تتحرك فى اتجاه واحد فى حين يتحرك الاربعة الباقون فى الاتجاه المضاد .

وفى عبورك للجانب الخلفى للمشترى فسوف تشعر بالوحدة والكآبة، فضخامة الكوكب تظهر بوضوح بينـــك وبين الكرة الارضية ، وتفقد اتصالك نهائيا

بالارض ، وبعد مرور ساعة كانها دهر كامل تتجه نحوك حزمة من الضـوء القرمزى الذى يتحرك الى لون احمر وردى ثم الى لون ذهبى · وبعد ذلك ينفجر الى العديد من الالوان الجميلة
وبعد دقائق تفلت السفينة من ظلال المشترى وتنطلق الى نور يوم بهيج · وفى الحال تصطدم الاشارات اللاسلكية الصادرة من الارض بجسم السفينة عندما تظهر من وراء المشترى ، وتبدأ السفينة فى التقاط الاشارات اللاسلكية والرد عليها ، وفى ثوان قليلة تصدر من المشـترى حصيلة عظيمة من المعلومات تلتقطها اجهزة «بيونير ١٠» وتعكس عدسات السفينة صورا على جانب كبير من الاهمية وتوجهها نحو الارض ·

عندما تنكمش الشمس

بعد ذلك تأتى مرحلة من أهم مراحل الرحلة الغريبة عندما تندفع « بيونير ١٠ » نحو الفراغ مرة أخرى · وخروج السفينة من مدارات الكواكب وعودتها الى الفراغ أمر ضرورى للوصول الى ما وراء النظام الشمسى، فتبلغ سرعتها واحدا وثمانين الف ميل فى الساعة تشق طريقها نحو الكوكبة او نحـو الكواكب الخارجية هناك عند الصمت المطبق فى الكون ·

وبعد مرور عامين كاملين ، وبعد ان تكون المركبة قد قطعت نصف مليار ميلا ، تدخل الطريق المدارى لكوكب زحل · ولكن السفينة تكون فى ذلك الوقت مشغولة فى رصد الاشعاعات الكونية التى تاتى من مصـــادر من النجوم المتفجرة (سوبرنوفا) ومن البولسار (النجوم المتداعية) · وترقب عداداتها المغناطيسية عواصف الرياح الشمسية التى تبلغ سرعتها مليونا من الاميال فى الساعة من قصف البلازما الساخنة التى تغمر الكواكب السيارة بذرات ذات طاقـــات عالية ، وتعمل الاجهزة الخاصـــــة بالكشف عن الاشعاعات فوق البنفسجية على مراقبة الغبار والغاز الكونى · وترقب عدادات خاصة النجيمات الدقيقة وذرات الشهب
وترسـل المعلومات أولا بأول الى علماء الارض بواقع عدة مئات معلومة فى الثانية ، وسوف يشغل سـيل المعلومات العلماء لعدة سنوات طويلة ·· وسوف يكون لبعضها أثر مباشر على النظريات العلمية الموضوعة ·

مثال ذلك المعلومة الخاصة بجو كوكب المشترى المثير سوف تفيد في فهم حـــــركة الجو الارضي ودورانه · وسوف تحفظ بعض المعلومات لاجيال مستقبلة لفحصها على ضوء تقـــدم التكنولوجيا ، وعليه سوف تحل هــذه السفينة كثيرا من اسرار الكون والخلق

وبعد مرور اربع سنوات على انطلاق المركبة من الارض ، تعبر مدار كوكب زحلا ، وتصل الاشارات اللاســلكية الصادرة من الكوكب الارضي ، وهي على بعد مليون ميل بعد ساعة واحدة لتصل الى السفينة ·

وعلى بعد ١ر٨ مليار ميل من الارض تعبر « بيونير ١٠ » الوكب اورانوس ويتوقف الارسال لان المسافة بعيدة جدا وتصبح السفينة بكماء تماما ، وبعد ان تقطع مليار ميل آخر تدخـــل السفينة مدار الكوكب بنتيون · ولا يمكن رؤية الارض بالعين المجـــردة وتبدو الشمس قد انكمشت الى نقطة لامعة ·

بعد ثمانين الف قرن

وبعـد مرور خمسة عشر عاما من انطلاق السفينة من الارض تعبر مدار الكوكب بلوتو ، ابعد الكواكب عن الشمس ، وتكون الارض على بعـــد اربعة مليارات من الاميال وبذلك يكون رائد السفينة قد عبر بها حدود النظام الشمسي ودخل الفراغ البارد للنجوم· ومن خلفه يكون النظام الشمسي بأسره قد اختفى الى الابد في السواد الاعظم للكون · وتكون الشمس المعروفة لنـــا قد اصبحت مجرد نجم لامع بين مائة مليار شمس اخرى في الكوكبة ·

وعندما تتجه المركبة نحو كوكبـــة الثور ــ في منطقة البـــروج يتكيف عقلك بالخلود،ففي هذا الصمت الابدى تصبح المركبة كلعبة اطفال صـــغيرة تسبح في الفراغ · وبرغم انك تنطلق سبعة اميال في الثانية ، فلن تعرف ذلك او « توجد الطريقة التى تجعلك تعرف ذلك » ·

وتمر الاسابيع والشهور ثم يمر عام باكمله تموت بعدها المركبـــة وتتوقف مولداتها من انتـــــاج ثانى اكسيد البلوتنيوم ٢٣٨ · ويخيم على السفينة سكون مطبق يهز الروح هزا ، وتتعلق افكارك بهوة الزمن وبالنجوم التى تبعد عنك بسنوات ضوئية · وتتساءل كم من هذه النجوم لديها نظم شمسية مثل نظامنا الشمسي ؟

مما لاشك فيه ان هناك نظمـــــا شمسية تعد بالمئات او الالوف ، ربما تسكنها مخلوقات ذكية ·

وبعد مرور ثمانين الف قرن وبعد ان يكون الانسان قد سيطر على النظام الشمسي ــ او اختفى من العالم كنوع من الانواع ــ تدخل الســـفينة عنقود نجوم كوكبة الثور·وهناك بجوار نجم قرن الثور الشمالى يكون اول مرفأ او ميناء في الكوكبة وقد يأسرها سكان المجـــرة وقد يفحص السكان اللوح الذهبى الذى تقله من الارض وبذلك يعلمون انهم ليســـوا الوحيدين في الكون ·

ووراء نجم قرن الثور الشمالي · من يدرى ماذا ستجد السفينة هناك بعـــــــد ان تكون قد وصلته في سنة ٨ر٠٠٠ر٠٠٠ بعـــد الميـــلاد ؟ ! ··



الكبير
قصة قصيرة
عبدالوهاب الأسوانى

« كيف الخروج من هذه الأزمة؟» قال هذا لنفسه وهو يعبر الشارع في طريقه الى بيت صديقه المحامي . كان الهم يملأ نفسه كلما تذكر انه سيضطر للاقتراض للمرة الأولى في حياته .. « من يصدق يا محمود يا سامح ان المحضر سيأتيك غدا من اجل خمسين جنيها لا تملك منها غير عشرين ؟ ! »

ضغط على جرس الباب ووقف ينتظر ... صدر عن الجرس صوت موسيقى تنهد له في ارتياح ... فتح الباب عن وجه جميل لفتاة في السابعة . ابتسمت له في ود وصاحت في فرح تنبيء عن مقدمه بصوت ملائكي مطوط :

ـ عمو ...محموووددا

حملها على ذراعه وقبلها في حنان فامسكت بربطة عنقه وقالت كالغاضبة :

ـ اين الفلوس ؟

غمرته السعادة وهو « يشخشخ » لها بعدة قروش ويضحك من قلبه .. لكنه تجهم للحظة وتساءل بينه وبين نفسه : أكل معارفك اعتادوا على الأخذ ، حتى الاطفال ؟ ! » وفي سرعة طرد هذا الخاطر من رأسه وعاد يبتسم ... وتعجب من نفسه .. كيف يخطر له مثل هذا الخاطر ؟.. هل بسبب ازمته الحالية ؟

انتشى حتى الثمالة وهو يقاوم الطفلة التي امسكت يده بكلتا يديها في محاولة جبارة لا ستخلاص النقود ... سعادته الكبرى في ان يعطي ... كسب كثيرا وانفق كثيرا حتى اطلقوا عليه « المليونير » والله وحده يعلم بالحقيقة .

عرك الحياة وعركته اكلت عليه وأكل عليها، لكن متعته الكبرى في العطاء .. لا يوجد في اصدقائه او معارفه من لم يأخذ منه بصورة من الصور ،لكنه لم يجرب الاقتراض في حياته برغم سواد شعره الذي توارى في بياضه ...

***

اهتز عوده الفارع وهو يفيق على صوت صديقه المحامي يهلل له مرحبا :

ـ اهلا بالسيد محمود .. اهلا اهلا .. تصافحا في حرارة وجلسا على مقعدين متقابلين تفصل بينهما منضدة صغيرة ، .. وجلست الطفلة على ركبته تتأمل النقود في سعادة بعد ان نجحت في استخلاصها وراح ينظر في عينيها ويبتسم ويتمنى لو لم يأت للاقتراض .

فتح المحامي علبة سجائره . مدها اليه وهو يقول :

ـ بلغني كل ما فعلته مع سمير افندي يا سيد محمود . انت لها والله

ابتسم في خجل تخالطه السعادة وقال :

ـ الرجل كان ملهوفا يا استاذ كمال .

وصاحب البيت كاد يطرده .. و ..

لم يجد ما يقوله فاكتفى ببسط يده وأطرق في حياء

وقال المحامي وهو يقرب اليه منفضة السجائر :

ـ الحقيقة ان الخبر لم يكن مفاجأة لي

قلت لنفسي السيد محمود مطبوع على الكرم (ثم في حماس) والله العظيم انا كلما قرأت شيئا عن

حاتم الطائى اتذكره فى الحال .. اقول لنفسى كل ماكتب عن حاتم الطائى لا مبالغة فيه . والدليل الحى على هـــذا هو محمـــود السامح الذى يعيش بيننا .

« قل له حاتم الطائى جاء الان ليقترض منك

ولا يجرؤ على فتح فمه .. قل له انك ستغير

رايك فيه بمجـــرد ان يفاتحك فى الامر ! »

اجتـــاحه حزن كالطـــوفان وهو يتمتم بصوت متهدج :

ـ المـــال مال الله يا استاذ كمال

قاطعه المحـــامى فى حماس :

ـ انا اتكلم بالخلاص والله . لو كان الاغنياء

فى بلدنا مثلك لاصبحنا دولة اشـــتراكية دون

اللجـــوء الى اجراءات اشتراكية .. انت المثال الطيب لما يجب ان يكون عليه الغنى الكريم .

« يتحـــدث عن الغنى ولا يعـــرف الحقيقة .. الناس لها الظاهر ! »

ـ اشكرك يا اســـتاذ كمال . هذا من كرمك فقط .

ـ ابدا . هذا اقل ما يجب ان يقال عنك .

« كيف تفاتحه بعـــد هـــذا ؟ .. التقلب الصورة فى نظره ؟ ! »

اخـــذته العزة وهب واقفا :

ـ استأذن انا ..

رفع اليه المحامى وجها امتلا بالدهشة وقال :

ـ تستأذن ؟ .. انت لم تتم خمس دقائق ولم تشرب القهوة

ـ متشكر .. مرتبط بموعد .

تردد قليلا امام موقف الاتوبيس . القى نظرة على الوجوه الواقفـــة وتمنى لو لم يجد فيها

من يعرفه . لكنه شعر برجفة عندما لمح وجهـــا مالوفا له . يهز له رأسه

ويبتسم ... رفع يده الى محاذاة كتفه وهـــو يغتصب ابتسامة ويطرد

من رأسه فكرة ركـــوب الاتوبيس .. لوح بيده لعربة اجرة تصـــادف مرورها وتلف بداخلها .

وقال لسائقها وهـــو يتنهد :

ـ المنشية من فضلك .

وترامى اليه هـــدير الموج والعربة تسير به

فى محـــاذاة الطوار الالصق للبحـــر .. ومرقت امامه عربة فارهة تحمل علامة « القاهرة »

فتذكر الايام الخوالى .. « ابراهيم الملوانى جاءك

فى عربة مثل هذه ... وضـــع امامك رزمة من الاوراق الحمراء وقال لك لا تســـاعد

خصومى فى مزاد البلدية .. يومها رفضت . قلت له من ينافسونك مساكين . وينفقـــون على عشرات

العائلات فاترك هـــذا المزاد لهم . هددك انك ستدخل ضده ان هـــو زاحمهم .. كان يخشاك

ظانا انك تملك امـــوالا طائلة . استعاد نقوده ووضعها فى حقيبته ..

ترى ، لو عرض عليـــك مثل هذا العرض اليوم ، هل ترفض ايضا ؟ »

عقد ما بين حاجبيه وضغط على فكيه ، ثم

ضرب ركبته بقبضة يده كانه يقول « نعم » !

●●●

القى نظرة سريعة على لافتات المحلات ، ثم ثبت بصره على لافتة طويلة كتب عليها بخط عـــريض

« محلات السواحلى » .. شعر بارتيـــاح والانوار الساطعة تغمر بذلتـــه الحريرية البيضـــاء على عتبة المتجر الكبير . وهز رأسه لفتاة الخـــزينة عندما ابتسمت له . وسار قليلا وسط « فاترينتين » مســـتطيلتين فيما يشبه



الزحام . ثم اتجه الى اليمين فلاح له مكتب يجلس خلفه شاب أنيق دون العشرين . هب له واقفا، ودار حول المكتب ومد يده فى احترام :

ـ اهلا عم محمود .. اهلا وسهلا

ـ اهلا بك يا عصام .. كيف حالك ؟

وجلس بعد أن صافحه وتساءل :

ـ أين الوالد ؟

لم يرد الشاب . نظر الى أحد عمال المحل ورفع اليه سبابته قائلا بلهجة آمرة :

ـ كوكاكولا .

ثم التفت اليه بسرعة مغيرا من لهجته :

ـ الوالد ؟ .. سيأتى حالا . شرفتنا يا عم محمود

ـ دخلت اى كلية يا عصام .

ـ التجارة .

وظهر رجل كروى المظهر ، ضيق العينين . تهلل وجهه الأحمر السمين وهو يقول :

ـ زارنا النبى

تصافحا ، وجلس الرجل مكان ابنه وهو يقول مرحبا :

ـ من اجل هذا نور البلد زاد !

ـ منورة باصحابها

بسط يده السمينة على المكتب وقال فيما يشبه الاحتجاج :

ـ ما هذا الذى تفعله بمالك ؟ .. كل من يجيد سكب الدموع ويحفظ بضع كلمات يضحك عليك ويأخذ منك مالا ؟

ضايقته طريقة الرجل فى الكلام ، لكنه قال بنبرة حاول جهده أن تبدو طبيعية :

ـ المال مال الله يا حاج عبده .. وأنت رجل مؤمن .

ـ أنا عارف انه مال الله . لكن الله قال لنا تصدقوا بحساب .. أم انك تريد أن يحدث لك مثلما حدث لاسماعيل شاكر ؟

ـ ماله ؟

ـ ظل يبعثر فى امواله حتى أفناها . وامس جاءنى كى يقترض منى .. رفضت طبعا !

« رفضت ؟ .. لحم اكتافك من خيره ورفضت ؟ » .

تنهد وهو يقول :

ـ ربنا يجعل العواقب سليمة .

ـ ربنا جعل لنا عقلا نتصرف به ، القرش الابيض ينفع فى اليوم الاسود .

« صدقت .. لذلك فكل الايام القادمة فى نظرك سوداء ! »

ـ فعلا يا حاج !

ـ انا غير راض عنك، لو منك لما أعطيت أحدا مليما واحدا .. كيف حالك يا سيد محمود ؟

« حالى فى كرب عظيم لو اردت الحقيقة . لكن الموت أهون من مفاتحتك

فى شىء ! »

ـ مستورة والحمدلله
·· من شكره زاده

قالها وهو يقف ···
وودعه الرجـــل حتى
الباب ·

***

لم يبق امامك غيـــر
الاستاذ ماجد · له عدة
سنوات يعمل ولا يخلو
مثله من مال ·· أبوه

رحمه الله كان صديقك
ولك عليه اكثر من جميل
·· لــكن لا تتردد فى
مفاتحته · بمجـــرد أن
تجلس قل له جئتك لطلب

هام · قبـــل ان تشرب
القهوة قل له هــذا ·
لا تفكر فيما ســتقوله
بعدها ·· لا تعطه فرصة
يحدثك عن مالك وكرمك
كيلا تأخذك اوهام العزة
وتتراجع ·· هذه اخـر
فرصة لك بعد هـــذه

الجـــولة الفاشلة التى
تعدت خمسة اشـخاص
مصيبتك الكبرى ان احدا
لا يصدق أن مثلك يحتاج
الى قرض ·· يجب أن

تتعظ من مثل هـــذه
المواقف · لن يأخذ منك

احد مليما واحدا بعــد
اليوم ·· « جئتك لامــن
هام » ·· قبل أن تجلس
انطق هذه الجملة · أجل
قبل أن تجلس !

***

ـ أهلا سعادة البك

·· كنت فى طريقى اليك
الآن ·· عمرك أطول !

قالها السيد محمــود
فيما يشبه الانزعاج ·
وقالماجد وهو يشد على
يده مصافحا امامكتبه :

ـ اشرب القهوة أولا

ـ أليس من الافضل
أن تعطينى فكرة ؟

ـ قبل القهوة ؟

ـ يستحسن ·

ضغط ماجـــد على
جرس مثبت خلفه وقـال
وهو يتنهد :

ـ بصراحة كنت فى
غايةالحيرة· ولما اعيتنى
الحيل قلت ليس امامى
غير محمود بك !

ـ أنا تحت أمرك

ـ الحكاية وما فيها
انى نويت على الزواج

·· وبعد عذاب عثـرت
على شقة بوســـــاطة
سمسار ، اعطيته المائة
والخمســين جنيها التى

كانت معى ، واعتمدت
عليه لمعرفته القـــديمة
بالوالد ، واتضــح فى
النهاية ان الامر يحتاج
الى خمسين اخرى ···

اللعين كان يقـــول لى
كلاما · ويقـــول للمالك
كلاما ، تجدنى فى غاية

الحرج الآن · ولما مرت
على الاصحاب ، اتضح
لى ان كلمة الصــداقة
هذه غير صـــــالحة

للاستعمال الا فى ايام
اليسر ·· اخيــرا قلت
لنفسى اذا قصدت فاقصد
كريما (ثم ضـاحكا)
وهاأنت قد جئت بقدميك!

« جئتك يا عبد الغنى
تعينتى ، فـــاذا بك فى
قبضة ســـمسار ! يوم
الغارة الكبيرة تساقطت

القنــــابل فدارت بك
الارض · لكن الزلزال
الآن أشد وأنكى ! »

انتبه على الشـــاب
يحـــــدق فيه بعينين

جاحظتين · فقال وهـو
يحاول الابتسام :

ـ أبو الكل موجود ·

ـ أنا قلت هذا والله!
·· ليس لى الا الله
وأنت يا محمود بك ·

تغلبت عليه طبيعتـه
السمحة وغمرته السعادة
للحظات « مســـكين

يا ماجد ، ظهر عليك الهم
يا بنى ·· شـــفتك

ترتعشان وانت تتكلم ··
آه لو لم تكن الظـروف
معاكسة ، لدفعت لك كل
ما تطلب » · وانتبه

ليجد الســـاعى يقف

امامه ، فقال وهو يحاول
الابتسام :

ـ قهوة سادة

ثم أضاف فى نفسه
« مثل القطران ! »

ووضـــــع يده على
المكتب ونقر عليه قليلا

وقال فى لعثمة :

ـ بصراحة لن تجد كل مطلبك ، اعنى ... أريد أن أقول .. أنا .. أمامى مشروع كبيـــر .. و ..

وصاح الشـــاب فى لهفة :

ـ أى شىء يا محمود بك ، أى مبلغ ، أنا فى غاية الحرج والله .. أنا لا انام الليل والله ...

اللالله قبض المبلغ ويماطل فى رده .. اما أن تدفع له الباقى والا ضـــاع المبلغ كله !

شـــملته موجة من الاريحية ، مد يده بعدها الى جيبه، ووضع ما معه على المكتب وقـــال فى حماس :

ـ هـذا كل ما معى الان .. عشرون جنيها!

***

عندما مر السـيد محمـــود امام المقهى المجاور لبيته ، مال احد

الجالســين على زميله وقال له فى همس وهو يشير اليه :

ـ سبحان العـــاطى الوهاب .. عنده فلوس مثل الأرز !

لم يســـمعه السيد محمود .. كان لحظتها يتطلع الى السماء ويتمتم فى انكسار :

« ابـــــو الكل موجـــود »




شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
تعتبر شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية وهى إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية والكهربائية والإلكترونية الشركة الرائدة بل الوحيدة فى شرقنا العربى التى تقوم بدراسة مشروعات إشارات المرور الأوتوماتيكية والإلكترونية فى المدن
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية



من القائل ؟

(١) المصيبة للصابر واحدة ، وللجازع اثنتان

*

الامام الغزالي ـ الامام موسى بن جعفر ـ محيي الدين العربي

***

(٢) اذا سمعت احداً يقول لك « انى لا اطلب كذا حباً للمال ، ولكن تمسكا بالمباديء فقط ، فكن واثقا انه يحب المال ولا يعرف المباديء

*

● مكيافيللي ـ روزفلت ـ المازني

***

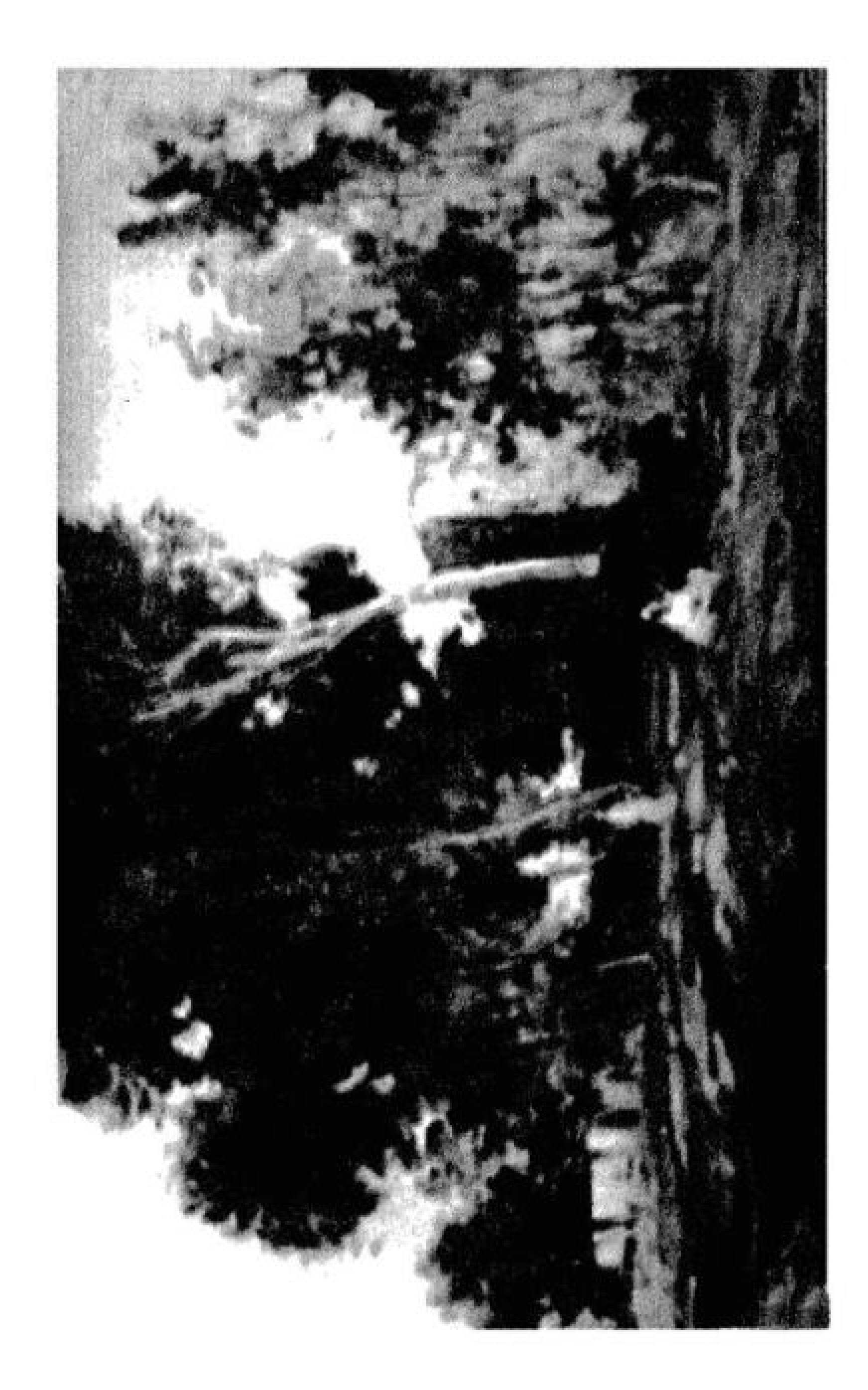
(٣) من أمسى كالا من عمله ، أمسى مغفورا له

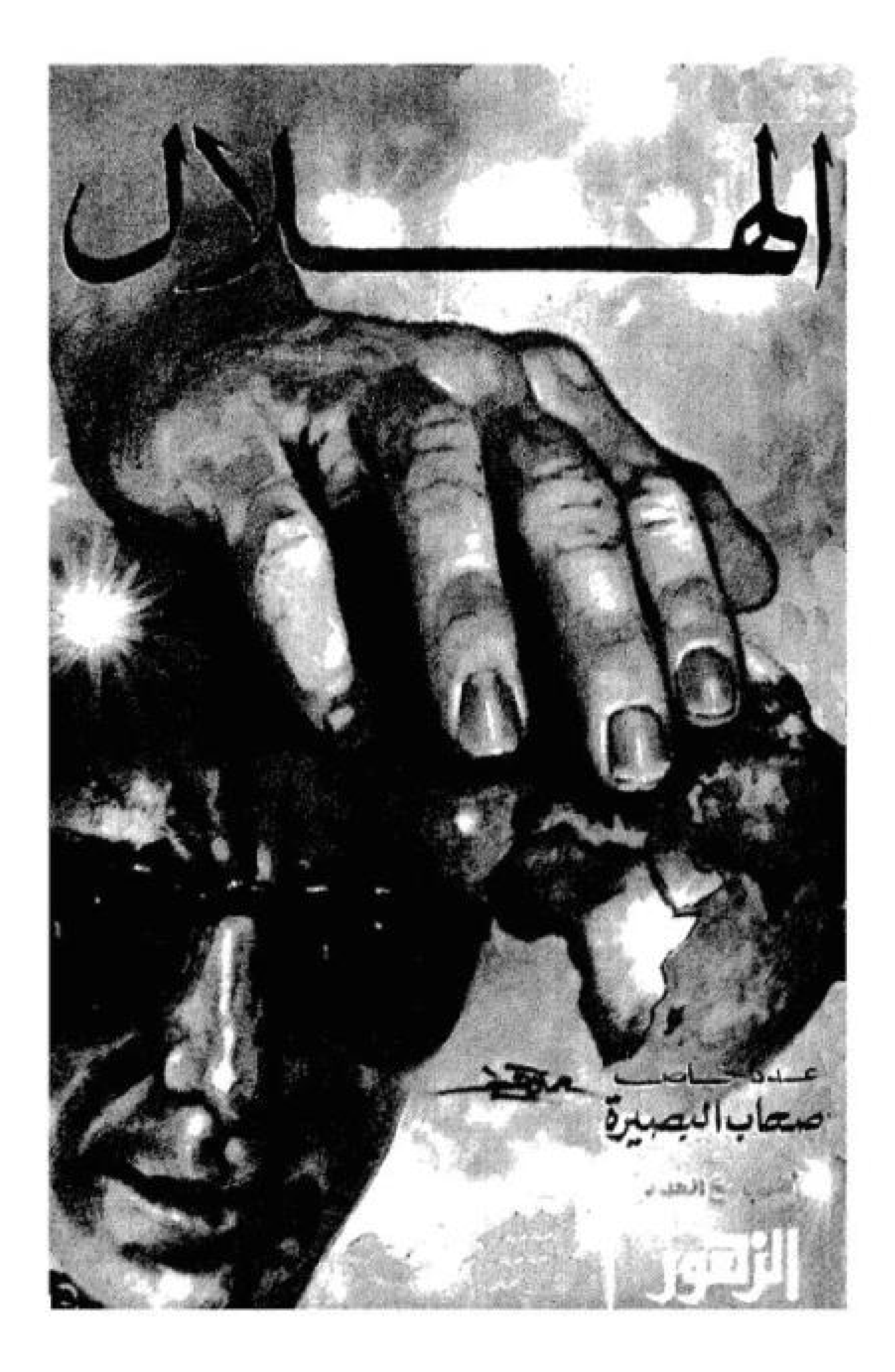
*

● حديث شريف ـ عثمان بن عفان ـ عمر بن عبد العزيز

● الاجوبة ●






الهلال
عدد خاص
صحاب البصيرة
العدد
الزهور

الهلال

أبريل ١٩٧٣

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال - العدد الرابع - السنة الحادية والثمانون - اول ابريل ١٩٧٣ - ٢٧ صفر ١٣٩٣ ٠ ٠ ٠

رئيس مجلس الإدارة
يوسف السباعي

رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

المشرف الفني
جمال قطب

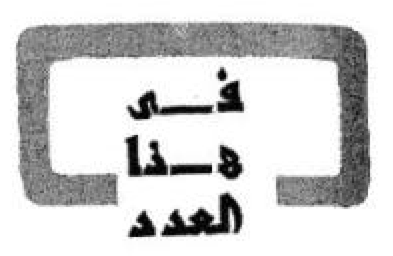
سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٢٠ مليما - عن الكميات المرسلة بالطائرة - في سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا - في الاردن ١٥٠ فلسا - في العراق فلس - في الكويت ٢٢٥ فلسا - في السعودية ٢٫٥ ريال سعودي .

قيمة الاشتراك السنوي : ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربي والافريقي ١٢٠ قرشا صاغا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة هذه بالبريد العادي - وتضاف رسوم البريد الجوي والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ ٩ عشرة خطوط ٠



٤ كلمة الهلال

٥ احمد رامي : تونس الخضراء « قصيدة »

٨ د. احمد الشرباصي : اهل البصيرة من الصحابة

١٢ د. سيد نوفل : شاعران تقاربا وتباعدا ..

٢٤ حسن كامل الصيرفي : أبو العلاء المعري : رهين المحبسين

٣١ د. يوسف عز الدين : صاحب البصيرة ملا عثمان الموصلي

٤٠ د. احمد كمال زكي : الفيلسوف الفنان : طه حسين

٤٨ محمد عبد الغني حسن : الشيخ حسين المرصفي ، رائد دراسة تاريخ الادب العربي الحديث

٥٨ ادوار حنا سعد : القدر والشاعر الاعمى « قصيدة »

٦٠ د. حسين نصار : نوادر اصحاب البصيرة

٦٨ على ادهم : ميلتون ، امير شعراء الانجليز فى القرن السابع عشر

٧٤ د. محمد احمد خلف الله : ثلاثة من اعلام الجيل ، جعلوا البصيرة اداة تفوق الباصرة

٨٢ د. سامية احمد اسعد : العين فى الادب الفرنسى

٩٠ محمد صالح باخطمة : فراشة « قصيدة »

٩٢ رحلة الشهر

٩٨ سعد حامد : الثوب الاسود « قصة »

١٠٣ ايليا ابو ماضى : التراب والنور « قصيدة »

١٠٤ د. محمد أبو الانوار : ثلاثة من ذوى البصائر على درب المسيرة الظافرة

١١٦ انور الجندى : العين فى الادب العربى

١٢٢ محمد حسن : جولة فى دنيا الظلام

١٣٠ د. عاطف كشك : تصنيف الاشياء الفارغة « قصة »

١٣٦ صالح جودت : قرطاجيه « قصيدة »


احمد رامي


د. سيد نوفل


عبد الغني حسن



د. يوسف عز الدين

كلمة الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

ذهبنا في مطلع هذا الشهر لنلتقي بانور السادات رئيس الجمهورية ، فالتقينا بانور السادات الكاتب الاديب الفنان .

وكان اكثر حديثه عن محنة القلم في هذا العصر ... الذى احتكرت فيه معنى الثقافة فئة لا تكتب بمداد عربى ، ولا تستند الى تراث انسانى كريم ، فكل حصيلتها من القراءة حفنة مستوردة من الكتب تهدى اليهم بغير ثمن ... بل لعلهم يقراونها ويقبضون الثمن !

انها محنة ... خلصنا منها في مصر في الايام الاخيرة على يد هيئة التنظيم بالاتحاد الاشتراكى ، حين محت اسماءهم من سجل القلم ، واجمل آمالنا ان تخلص منها الامة العربية جمعاء ، تطهيرا لطريق المعركة

ومجلة « الهلال » ... ذات التاريخ الذى يمتد الى ثمانين سنة من عمق الزمن ... تعتز بالشهادة الكريمة التى ظفرت بها من الرئيس الاديب الفنان انور السادات ، حين تحدث في ذلك اللقاء عن ذكرياته في المعتقل الذى قضى فيه واحدا وثلاثين شهرا من شبابه ، وحيدا في زنزانة ضيقة كئيبة امتلات بالنور حين فتح لنفسه في الزنزانة نافذة على الثقافة الحقة ... يستقيها من الصحافة في ذلك العهد، وعلى راسها مجلة « الهلال » ...

شكرا للرئيس على هذه التحية ...

وعهدنا اليه ان نواصل هذه الرسالة فيما بقى لنا ، ولهذه المجلة ، من العمر .

● صالح جودت ●



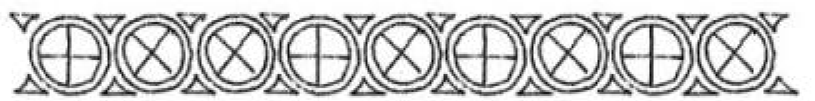


أحمد رامي

« القيت في مهرجان الشعر الذي عقد بتونس في الشهر الماضي »

حَيِّ يا قلبُ تونس الخضراء واملأ العينَ بهجةً وبهاء
بلدٌ يسبح الخيالُ ويسري الفكرُ في جوه الى حيث شاء
شاطىء يستطيب من لثمة البحر نسيما يسعى اليه رُخاء
وهديرٌ يذوب في شفة الموج ويغدو من الخرير غناء

•

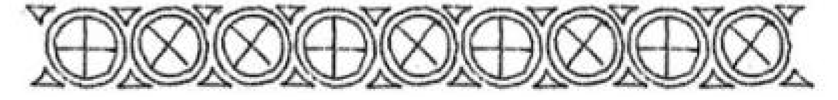


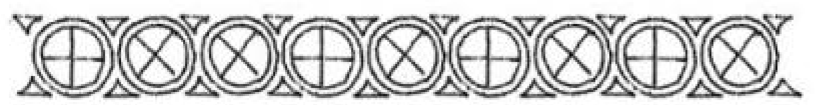
وجَوارٍ تشقّ صفحه ماء يزدهي رونقاً ويزهو صفاء
وعلى الفلك رفقة جمّعتهم نعمة العيش باسماً وضّاء
بين شاهد هفا الى منية القلب فغنّى بشجوه بكّاء
ونديمٍ يسقيك في رقة النجوى كئوساً من الحديث رواء
ويناغيك بالعيون السواجي ويغاديك بالأماني وضاء
وعلى الأفق مغرب قد كسته الشمس في لونها سنىً وسناء
والطيور التي تخف الى الأوكار تشدو مرددات دعاء
جل من أبدع الوجود وحلى الأرض من صنعه وزان السماء

***

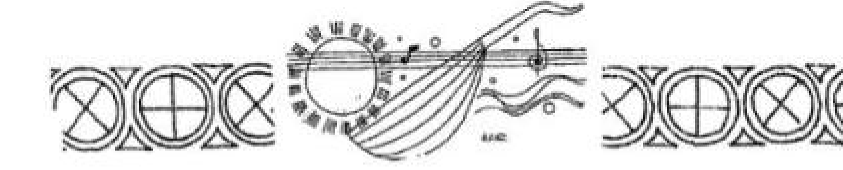
هذه تونس اذا رمت فيها متعة العيش فتنةً ورواء
فاذا شئت أن ترى الخلق فيها كيف يرعى على البعاد الوفاء
فانظر الناس كيف ألّفها الودّ فكانوا أحبةً أوفياء
يحفظون العهود مهما استطال البعد عنهم ويخلصون الولاء
ويكنّون في الصدور حنيناً للذى قلبه يودّ اللقاء
يارفاقي على النوى والتداني ونداماي ضحوةً ومساء
لست أنساكم وقد رحبّت مصر بمغداكم وعزمت إخاء
حين جئتم أيام مؤتمر الفن تمدونها يداً بيضاء (١)
ووقفتم تدافعون عن الأنغام في الشرق آلة وأداء
ونعيتم على الدخيل من الغرب وعفتم وسيلةً عوجاء
ثم أسمعتم هواة الأغاني نغماً بث في النفوس رضاء
من عريق الغناء يسرى الى السمع ندياً يروى القلوب الظماء
زاهراً في النفوس روضة أنسٍ زاهياً في العيون ظلاً وماء

(١) اشارة الى مؤتمر الموسيقى العربية الذى عقد بالقاهرة سنة ١٩٣٢





وهل الشجو غير نفثة صدرٍ　　من صميم الوجدان تطوى الفضاء
من غناء الوحيد فى غيبة الأحباب سلوىً لنفسه وعزاء
وتراتيل قارىءٍ فى كتاب　　الله يتلو تضرعاً ورجاء
وتسابيح عابدٍ يرسل النجوى　　ابتهالاً لربّه ودعاء
وترانيم سائلٍ فى سكون الليل يرجو من الكريم عطاء
وتغنّى أمٍّ تهدهدُ طفلاً　　تتمنّى لعينه إغفاء
يابنى الصّيد من سلالة « هانيـ　　بال » طبتم أصلاً وزدتم علاء
نحن يا صَحب من سلالة رمسيـ　　س تمتّنا العلا فكنا سواء
قد رُكِّزنا على التلاع رماحاً　　ورفعنا على البحار لواء
ونقلنا الى ذوى الجهل علماً　　وحملنا الى الجياع غذاء
وأقمنا من الفنون مناراً　　قبس الغربُ نوره واستضاء
ونشرنا من الحضارة ظلاً　　جعل الأرض جنةً فيحاء
ثم دار الزمان سعداً ونحساً　　وجرى الحظ نعمةً وشقاء
ولئن جارت الليالى علينا　　ولقينا من الخطوب عناء
فغداً تلتقى الجهودُ على　　العزم ونمضى كعهدنا أقوياء
ونشقُّ الطريق فى طلب النصر　　ونرقى المدارج الشمّاء
وهنا يخضع الزمان ويعلو الحـ　　قُّ ، والحقُّ لا يضيع هباء
وسقى الله روضة ضمّت (الشا　　بى) فقد قال يستعين القضاء
واذا الشعب قد أراد حياةً　　أذعن الدهر واستجاب النداء



د. أحمد الشرباصي

أهل البصيرة

« البصيرة » هي نور القلب الذى به يهتدى ويستبصر ، كما ان البصر هو نور العين الذى به ترى وتبصر . وقد تطلق كلمة « البصيرة » على البيان ، والحجة الواضحة ، والعبرة التى يعتبر بها ، والمعرفة واليقين .

وقد قال اهل التفسير ان البصيرة معناها عقيدة القلب ، أو المعرفة الثابتة باليقين ، او القوة التى تدرك بها الحقائق العلمية ، وقد جاء فى القرآن الكريم قوله: « قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، وما انا عليكم بحفيظ » . اى قد جاءتكم هذه الآيات الجلية بصائر من الحجج العقلية والكونية، تثبت لكم عقائد الحق اليقينية التى يتوقف عليها نيل السعادة الابدية .

كما جاء فى القرآن قوله : « قل هذه سبيل ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى » . وقوله : « هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . وقوله : « ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر » .



من الصحابة

العقلاء منذ أقدم العصور يقدمون البصيرة على البصر ، ويقولون: ليست المصيبة في فقد البصر ، ولكن المصيبة في فقد البصيرة ، ويقول المثل القديم : « ربما أصاب الأعمى رشده » . ويزكي القرآن ذلك حينما يقول « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » ولذلك تجد استعمال كلمة « النظر » بمعنى الرؤية الحسية أكثر عند العامة ، واستعمال هذه الكلمة بمعنى التأمل والمعرفة أكثر عند الخاصة .

وفي سنة ١٩٥٦ قلت في الجزء الأول من كتاب « في عالم المكفوفين » هذه العبارة « نلاحظ أن القرآن لم يرد بالعمى في أغلب المواطن المكفوف الذي ذهب بصره وإنما يريد العمى المعنوي القلبي أو العقلي أو الروحي » وابن منظور يقول في اللسان : يقال فلان أعمى من فلان في القلب ، ولا يقال ، هو أعمى منه في العين . وقولهم : ما أعماه ، إنما يراد به ما أعمى قلبه ، لأن ذلك ينسب إلى الكثير من الضلال ، ورجل عم ، إذا كان أعمى القلب ، والعمى ذهاب نظر القلب ، وكلما ذكر الله جل وعز العمى في كتابه فذمه ، يريد عمى القلب » .

وقد يؤكد هذا المعنى أمثال هذه الآيات في التنزيل المجيد :

« فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها » .

« أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » .

« أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى » .

« ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا » .

والعرب منذ القدم كانوا يتفخرون بالعمى ، وهذا هو شاعر قريش يعدد أسماء الذين أصابهم العمى من أشراف قريش ثم يقول :

وخير ذلك داء لا تسب به ... ولا تبيت تمنى لذة الوسن

داء كريم ، فلا عدوى فتحذره ... فالحمد لله ذي الآلاء والمنن

وقد تحدث الجاحظ عن ذلك في كتابه « البرصان والعرجان والعميان والحولان » . وقد أخرجت « دار الاعتصام » هذا الكتاب لأول مرة بتحقيق الأستاذ محمد مرسي الخولي منذ قريب .

ويذكر الجاحظ أيضا أن العمي الأشراف أكثر من غيرهم ، وفيهم جماعة كانوا يدركون ما لا يدركه أكثر البصراء

ويهمنا في مجالتنا هنا أن نتعرف الى طائفة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أصيبوا بفقد البصر ، ومع ذلك أزرتهم بصائرهم ، فهيأت لهم المكانة الملحوظة والمنزلة المرموقة ، ولم يستطع العمى أن يحول بينهم ومواصلتهم خطوات العمل والتوفيق في هذه الحياة

هذا مثلا هو « العباس بن عبدالمطلب » عم النبي عليه الصلاة والسلام ، أصيب بالعمى في حياته ، ومع ذلك ظل علما من الاعلام ، حتى يذكر ابن حجر في كتابه « الاصابة » أن الصحابة كانوا يعترفون للعباس بفضله ، ويشاورونه ويأخذون برأيه ٠

وكان للعباس براعة في الجواب ، وتلطف في الرد على السائل ، في بيان محكم وتعبير قويم ٠ سأله سائل : أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ٠

فأجابه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني ، وأنا ولدت قبله ٠

● ذلك الرد الموجع ●

وهذا عبد الله بن عباس : ترجمان القرآن وحبر الامة ، وأبو الخلفاء وابن عم الرسول عليه الصلاة والسلام ٠ لقد فقد بصره ، ولكنه لم يفقد بصيرته ، ولقد قال عمر بن الخطاب ـ وهو الخبير بالرجال ـ عن ابن عباس : « ابن عباس فتى الكهول ، له لسان سئول ، وقلب عقول » ٠ وهذا وصف يدل أوضح الدلالة على ما بلغه ابن عباس من مكانة ومنزلة ٠

وهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التابعي يقول : « ما رأيت أحدا أعلم من ابن عباس بما سمعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقضاء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، ولا أفقه منه ، ولا أعلم بتفسير القرآن ، وبالعربية والشعر والحساب والفرائض ، وكان يجلس يوما للفقه ، ويوما للتأويل ، ويوما للمغازي، ويوما للشعر ، ويوما لايام العرب ، وما رأيت عالما قط جلس اليه الا خضع له ، ولا سائلا سأله الا وجد عنده علما »

ومما يدل على المعية ابن عباس ونور بصيرته ان معاوية بن أبي سفيان قال له ذات يوم مستخفا به : ما بالكم تصابون في ابصاركم يا بني هاشم ؟ ٠

فلم يلبث عبد الله بن عباس ان رد عليه ذلك الرد الموجع : كما تصابون في بصائركم يا بني امية ٠ ولم يستطع معاوية أن يقول بعد ذلك شيئا ٠

ولقد كان ابن عباس نفسه يعرف أن الله عوضه عن بصره خير العوض ، ولذلك قال :

ان يأخذ الله من عيني نورهما   ففي لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي ، وعقلي غير ذي دخل   وفي فمي صارم كالسيف مأثور

ولعل هذه البصيرة قد تألقت في صدر ابن عباس بسبب دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له ، فقد روى الامام البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام ضم ابن عباس الى صدره وقال : « اللهم علمه الكتاب وعلمه الحكمة » ٠

● المجاهد المكفوف في المعركة ●

ويأتي الصحابي الكفيف الذي غضب الله له ، وأنزل في شأنه قرآنا ، في سورة تسمى بوصفه « الاعمى » ٠ ذلك هو عبد الله بن أم مكتوم الذي كان مكفوف البصر ، ومع ذلك سبق الى الاسلام ، وتحمل المتاعب في سبيل دينه وربه ، تهاجر من مكة الى المدينة ، وكان جميل الصوت حلو النبرات ، ولذلك جعله الرسول مؤذنا للصلاة ٠



وكان قوى الحافظة ، فروى الكثير من الاحاديث ، واخرجها له أبو داود النسائى وابن ماجه .

وهو الذى نزل فى شانه قول الله عز من قائل : « عبس وتولى ، ان جاءه الاعمى ومايدريك لعله يزكى ، او يذكر فتنفعه الذكرى ، اما من استغنى فانت له تصدى ، وما عليك الا يزكى ، واما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فانت عنه تلهى ، كلا انها تذكرة » .

وهذا الموقف الذى تشير اليه هــذه الايات ، يدلنا على قوة الشخصية عند ابن أم مكتوم ، فقد سعى الى الرسول ، طالبا العلم ، وقاصدا التفقه فى الدين ، يرفع صوته قائلا : يا رســول الله ، اقرئنى وعلمنى مما علمك الله . دون أن يبالى باشراف مكة الذين كانوا يتحدثون مع النبى صلوات الله وسلامه عليه .

لقد وصفته الايات بأنه راغب فى التزكى والتذكر ، ووصفته بالسـعى والخشية ، وبالها من صفات .

ولقد عاتب الله بسببه رســوله ، ولذلك كان الرسول اذا رأى ابن أم مكتوم يقول له :

« مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ، الك حاجة تقضيها ؟ هل تريد من شىء ؟ هل لك حاجة فى شىء ؟ » وكذلك استخلفه الرســول صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة فى اثنــاء الغزوات ، كما استخلفه فى حجة الوداع وليس بصحيح ما جاء فى بعض المصادر من انه استخلفه مرتين فقط ، وقد اشار الامام النــووى الى ذلك فى كتابه : « تهذيب الاسماء واللغات » .

ومع أن ابن أم مكتــوم كان كفيف البصر ، كان معروفا بشجاعته ـ كما جاء فى كتاب « فدائيــون فى تاريخ الاسلام » ـ ولقد ثار فى نفسه شوق عارم الى المشاركة الفعلية فى القتال داخل ساحة الميدان ، وان لم يكن ذلك واجبا عليه ، وتهيأت أمامه الفرصة حينما اقبلت معركة « القادســية » **التى كانت من أهم المعارك الفاصلة بين المسلمين وأعدائهم ، فخــرج اليها وحمل اللواء فيها وهو اعمى ، وكان يقول : « ادفعوا الى اللواء ، فانى أعمى لا أستطيع أن أفر ، واقيمــونى بين الصفين » .**

وقاتل المجاهد المكفوف ، مستضــيئا بنور بصيرته ، حتى نال نعمة الشهادة

في المعركة ، بعد ان اثبت ان المؤمن صاحب البصيرة لا يستسلم لنقص حسي، بل يناضل ببصيرته حتى يبلغ الكتاب اجله ·

● دهاء ممزوج بالطيبة ●

وهذا شاعر الاسلام وشاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو حسان بن ثابت ، يصاب بالعمى ، ومع ذلك ظل بنور بصيرته يحسن الدفاع عن النبي ، ويحسن تفنيد ما يزعمه شعراء الشرك من مفتريات واباطيل ، ويحسن العرض لمحامد الاسلام ومبادىء الدين ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدرك هذا الجهد العظيم من حسان ، فيقول : « ان الله يؤيد حسان بن ثابت بروح القدس ما نافح عن رسول الله » · ويقول أيضا لشاعر الاسلام : « جبريل معينك » ، ويقول : « قل وروح القدس يؤيدك » ··· الخ ·

وهذا هو « ابو قحافة » والد الخليفة الاول ابي بكر الصديق · كان ابو قحافة مكفوفا ، ولكن نور بصيرته كان يحبيه بالرأى الرشيد والقول الحميد · ولقد سمع مثلا بموت الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال : أمر جلل · وسكت قليلا ، ثم سأل : ومن ولي الامر بعده ؟

اجابوا : تولاه ابنك ابو بكر ·

فعاد يسأل في اهتمام : فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة ؟ ·

قالوا : نعم ·

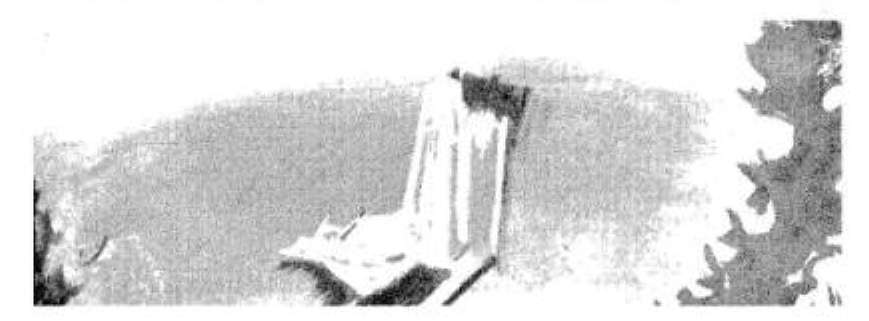
فقال في اطمئنان : لا مانع لما اعطى الله ، ولا معطي لما منع ! ·

وهذا حوار يدل على ذكاء أبي قحافة، فهو يريد أن يستوثق لابنه في منصبه الجديد، ولذلك عبر العقاد عن هذا الموقف في كتابه « عبقرية الصديق » بأنه يدل على دهاء ممزوج بالطيبة ·

● اسلوب مؤثر عميق ●

وهذا هو الصحابي المكفوف : أمية بن الاشكر الكناني الليثي ، كان من سادات قومه ، وقد كف بصره ، وكان له ولد اسمه « كلاب » خرج ـ باختياره على ما يظهر ـ في عهد عمر بن الخطاب الى الغزو ، وثار الشوق في صدر أمية ، وهو كفيف ، فأمر قائده بأن يأخذ بيده الى المسجد حيث يوجد الخليفة ، فلما صار امامه انشده الابيات التالية :

اعاذل ، قد عذلت بغير قــدر	وما تدرين عـــاذل ما الاقي
فاما كنت عاذلة فـــــردى	كلابا اذ توجه للعــــــراق
فتى الفتيــان في عسر ويسر	شديد الركن في يوم التــلاقي
فلا وابيك ما باليت وجـــدى	ولا شغفي عليك ولا اشــتياقي



وايقادى عليك اذا شــــتونا   وضمك تحت نحرى ، واعتنــاقى
فلو فلق الفؤاد شديد وجـــــد   لهم سواد قلبي بانفـــلاق

فلما سمع عمر هذا الشعر بكى ، حيث رأى مكلوفا يفيض به وجــده ، ويشتعل فى صدره شوقه ، ويعبر عن مشاعره بذلك الاسلوب المؤثر العميق ، وأمر باحضار « كلاب » من الغزو ، وسأله عمر :

ما بلغ من برك بأبيك ؟ ٠

فأجاب : كنت أوثره ، وأكفيه أمره ، وكنت اذا أردت أن أحلب له لبنا ، أجيء الى اغزر ناقة فى ابله ، فأريحها وأتركها حتى تستقر ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ٠٠ ثم أحلب له فأسقيه ٠

وأرسل عمر الى « امية » فحضر ، وجعله الخليفة فى ناحية حتى لا يراه ولده « كلاب » ، لحاجة فى نفس الخليفة ثم قال عمر لامية : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ ٠

فأجاب : كما ترى يا أمير المؤمنين !٠

فقال له عمر : هل لك من حاجة ؟ ٠

قال : نعم ، كنت اشتهى ان ارى كلابا فاشمه شمة ، واضمه ضمة ، قبل أن اموت ! ٠

فعاد عمر الى البكاء وقال : ستبلغ فى هذا ما تحب ان شاء الله تعالى ٠

ثم امر عمر كلابا أن يحلب ناقة لابيه كما كان يفعل ، وأخذ عمر الاناء وذهب به الى امية قائلا : اشرب هذا يا امية ٠

فلما تناول امية اناء اللبن وادناه من فمه هتف قائلا : والله يا امير المؤمنين ، انى لاشم رائحـــة يدى « كلاب » فى الاناء ٠

وعاد عمر الى البكاء ، وامر باحضار « كلاب » فاحضروه ، وقال لامية : هذا « كلاب » عندك قد جئناك به ٠

فوثب امية الى ولده وجعل يضمه ويقبله ويشمه ٠ وجعل عمر والحاضرون يبكون ٠٠

● ازكى من نور البصر ●

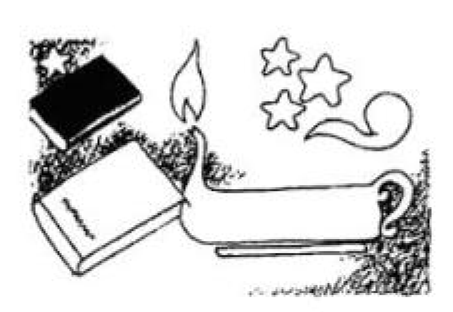
وهذا هو عبد الله بن الارقم الصحابى يكف بصره ، ومع ذلك يظل عزيزا أبيا يهتدى بنور بصيرته فيعوضه عن نور باصرته ، ولقد ارسل اليه عثمان بثلاثين الف درهم كعطية ، فرفضها عبد الله ، ولم يقبلها تعففا وتقوى ٠

وكان لعمر بن الخطاب فى الجاهلية جارية مملوكة تسمى « زنيرة » ، ولما اشرقت شمس الإسلام ســارعت الى الدخول فى دين الله ، ولم تبال بمعارضة عمر الذى كان لم يسلم بعد ، واخـذ قومها فى تعذيبها ، ومعهم عمر قبل ان يعلن اسلامه ، حتى فقـــدت بصرها ، ولكنها احتملت كل ذلك راضية صابرة محتسبة عند الله ما اصابها من ابتلاء وبلاء ، وقالت كلمة دلت على انهـــا ظلت تستضيء بنور بصيرتها بعد فقــد بصرها ٠ قالت : « عميت عينى ، وتفتح قلبى » ٠ ويا لها من كلمة ! ٠

وقد اشترى ابو بكر هذه الجــارية واعتقها لوجه الله تعالى ٠

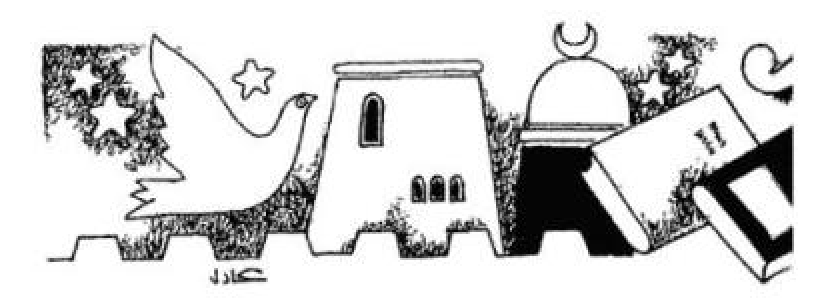
سلاما سلاما على أولئك الاعلام الذين حرمتهم الاقدار نعمة الابصار ، وعوضتهم عنها ما هو اجل واعظم : نور البصـــيرة ، والبصـــيرة ابقى وازكى من نور البــصر ٠٠





شاعران تقاربا وتباعدا بشار.. وأبو العيناء

بشار بن برد ومحمد بن القاسم ، أو أبومعاذ وأبوالعيناء كما يكنيان ، من شعراء العصر العباسي الاول جمعت بينهما امور وباعدت امور اخرى . فكلاهما مكفوف البصر نافذ البصيرة وكلاهما اعجمي الاصل عربي المولد او المولى ، نشأ في البصرة حيث العلوم والمعارف العربية وانتقل الى بغداد حيث الحضارة والحياة الجديدة . وكلاهما اصبح بليغ ظريف . مقذع الهجاء ، آية في الذكاء واللسن وسرعة الجواب .



بشار من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ، اكتمل له القديم وامتاز في الجديد • وحمل لواء التجديد لعصره ثم اسلمه لأبي نواس من بعده • ومحله في الشعر ، كما يقول ابو الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني ، وتقدمه طبقات المحدثين فيه ، باجماع الرواة، ورياسته عليهم من غير اختلاف ـ كل ذلك يغني عن وصفه والاستفاضة في الحديث عن مكانته ••

اما ابو القاسم ، فقد كان من شعراء العصر العباسي الاول وحده ، وكان اخباريا اديبا ناثرا قبل ان يكون شاعرا، ولم ترفعه مكانته الى مثل مكانة بشار او قريبا منها •••

وأبو معاذ ولد مكفوف البصر دميما ، لا يرى في العمى والدمامة عابا ، بل يفاخر بهما احيانا • اما ابو العيناء فقد ولد أحول ، ثم فقد بصره بعد الاربعين من عمره ، وان لم ير في أي من الحول والعمي عابا • بل يفاخر بهما احيانا كذلك •

● مولود عظيم البركة ●

وحياة بشار الاولى ، كانت في كنف الدولة الاموية وعهد النشاة المضطرب للدولة العباسية • وقد أمضاها بالبصرة وحران والكوفة ، وامتدت الشطر الاكبر من حياته البالغة سبعين عاما فشملت خمسين منها • فبشار بن برد ينتسب الى أحد ملوك فارس • وقد سبا المهلب بن ابي صفرة جده من طخارستان،وجاء به الى البصرة أسيرا ، وظل برد ابو بشار قينا لسيدة من بني عقيل الى ان ولد له بشار في عام ٧١٤ م أو ٩٦ هـ ، فاعتقته العقيلية • وظل برد وبنوه لذلك ينتسبون الى بني عقيل ولاء •

وولد بشار مكفوف البصر ، وكان والده طيانا يضرب اللبن ، ولكنه كان فقيرا معدما وان احسن صناعة الطين ومباشرة استخداماته العديدة لذلك الزمان • وبمولد بشار ، تفتحت لبرد أبواب الرزق •• فروى عنه قوله : « ما رايت مولودا أعظم بركة من بشار• ولد لي وما عندي درهم ، فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم •• »

وكانت نشأة بشار في بني عقيل عربية نقية • ولهذا استوى منطقه على الفصحى، لا تشوبه أية عجمة ، ثم ذهب الى البادية ، فاكتملت له النشأة العربية الخالصة •

وقال بشار الشعر وهو في العاشرة من عمره •• واذ كان في عصر الهجاء الصاخب بزعامة جرير والفرزدق والاخطل ، وكان طموحا الى الشهر والغنى ، فقد نزعت نفسه الى هذا الفن ،وتطاول الى جرير بهجائه ، ولكن جرير

استصغره ولم يجبه ، فاغلق في وجهه بابا كان بشار يرجو أن يفتحه مبكرا .
وكان الناس يفزعون الى برد شاكين هجاء صغيره المقذع ، فيضربه أبوه ضربا مبرحا ، يدفع أمه الى استعطافه واستدرار رأفة الاب بصغيره الضرير المسكين .. ولكن ذكاء بشار المبكر ، هو الذى أنقذه من ضرب أبيه ، بل اكسبه ميل الاب الى تشجيعه . فقد صور لابيه الهجاء سبيل الغنى للاسرة الفقيرة ، وقدم له ما بيديه من عذر للغاضبين الشاكين . وقال بشار لابيه : « يا أبت ، ان هذا الذى يشكونه منى هو قول الشعر . وانى ان المت عليه أغنيتك وسائر اهلى .. فان شكونى اليك ، فقل لهم : اليس الله يقول : « ليس على الاعمى حرج ؟ » .
فاقتنع برد بقول فتاه ، وكان يرد على الشاكين بمقالته ، فينصرفون محنقين قائلين : « فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار » ، وما دروا أن الفقه والشعر معا هما للصغير النابغة بشار .. ومن عجب ان المفترين بتكفير بشار ، ورميه بالزندقة ، يفسرون هذا القول بأنه تحريف لمعنى الاية الكريمة عن موضعها ، ودلالة مبكرة على الحاده ، وتناسوا أنه من باب الدعابة والسخرية بالشاكين ..

● بشار فى العصر الاموى ●

ويروى أبو الفرج الاصفهانى أن بشارا قد شهر فى العصر الاموى وانه قد مدح وهجا ونال الجوائز السنية ..
ولكنه لم يتصل بالخلفاء الامويين ، وانما كانت تروى لهم اشعاره السائرة فيطربون لها ، ويعجبون ببراعته ... ومن ذلك ما نقله صاحب الاغانى موثقا من أن محمد بن عمران الضبى ، انشد الوليد بن عبد الملك شعرا لبشار منه :

ايها الساقيان صبا شرابى — واسقيانى من ريق بيضاء رود (١)
ان دائى الظما وأن دوائى — شربه من رضاب ثغر برود
نزلت فى السواد من حبة القلـ — ب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت نلقاك بعد ليال — والليالى يبلين كل جديد
عندها الصبر عن لقائى وعندى — زفرات يأكلن قلب الحديد

فطرب الوليد ، واشتد به الجوى . وقال : من لى بمزاج كاسى هذه من ريق سلمى ، فيروى ظمئى ، وتطفا غلتى ، ثم بكى ، حتى مزج كأسه بدمعه .. وقال : ان فاتنا ريقها فهذا دمعنا .
وقد رحل من البصرة الى حران ، حيث الامير الاموى هشام بن سليمان بن عبد الملك ، فمدحه بقصيدة مطلعها :

نأتك على طول التجاور زينب ، — وماشعرت أن النوى سوف تشعب(٢)

ومنها :

وقائلة لى حين جد رحيلنا — وأجفان عينيها تجود وتسكب
أغاد الى حران فى غير شيعة ؟ — وذلك شاو عن هواها مغرب (٣)
فقلت لها : كلفتنى طلب الغنى — وليس وراء ابن الخليفة مذهب
لعلك أن تستيقنى أن زورتى — سليمان من سير الهواجر تعقب(٤)

---

(١) الرود : الشابة الحسنة الشباب
(٢) تشعب : تفرق بيننا .
(٣) مغرب : بعيد .
(٤) تعقب : تأتى بعاقبة حسنة . أى أن ما يجنيه من الرحلة يعوضه من حرها ومتاعبها .

اعز هشامي القناة (١) اذا انتمى   نمتـــه بدور ليس فيمن كوكب

لكن الامر ينتهي بأن سليمان ، وهو بخيل فيما يروون ، لا يعطيه شيئا ، او يعطيه في رواية اخرى خمسة الاف درهم، يستقلها بشار ، ويردها على الامير ، ويرحل عنه ساخطا غاضبا .

وتقول بعض الروايات انه وفد كذلك على مروان بن محمد ، وان حظه معه لم يكن أحسن من حظه مع هشام .. فلم ينل مروان على مدحه شيئا ،وحينئذ هجاه بقصيدة ، لم يرد منها سوى بيت واحد هو :

لمروان مواعيـــــــد كاذبات   كما برق الحياء وما استهلا (٢)

وهكذا اكتفى بشار ، في هذه المرحلة من حياته ، بمدح ولاة بني امية وقادتهم والنيل من برهم ورفدهم .

● معاركه مع رجال العلم والدين ●

وفي حياة بشار الاولى اتصل برجال العلم والدين ، واثارت صلاته واهاجيه المعارك معهم ، ولقي منها اشد العنت..

فبسبب الهجاء ، جافاه واصــل بن عطاء ، واتهمه بالالحاد وحرض على قتله ..

ومن هجاء بشار لواصــل ، وكان يعرف بالغزال لجلوسه في سوق الغزالين .. كما كان طويل العنق :

ما لي اشايع غزالا له عنـــق   كنقنق الدو ان ولى وان مثلا (٣)

عنق الزرافة ما بالي وبالكـــم   اتكفرون رجالا كفروا رجلا (٤)

وكذلك هجا عمرو بن العلاء الراوية الشهير . ومن هجائه المقذع له قوله : اذا بحثت نسب عمرو فابحثه برفق لانه سريع الانكسار كالزجاج لضعفه . لقد اخذ الحداد يردده في كيره ليختبـــر حقيقة معدنه فظهر له غموضه وزيفه . واذا جازت الدنانير في بخاري ، وهي لا تتعامل الا بالدراهم ـ لجازت نسبة آباء عمرو المسلة الى مضر :

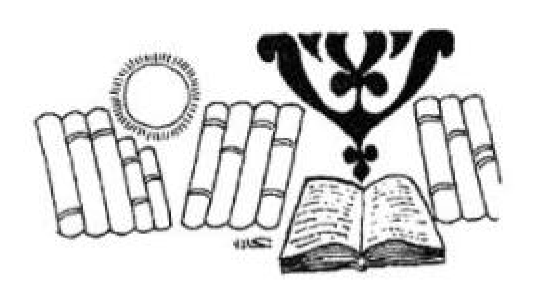
---

(١) القناة : القامة والمخبز .

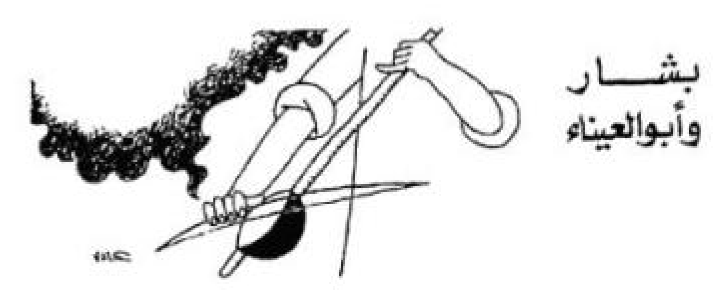
(٢) الحياء : السحاب المحمل بالمطر .. استهل : امطر .

(٣) النقنق ذكر النعام . الدو : الفلا . ولى : ادبر . مثل : اقبل .

(٤) يا من له عنق كعنق الزرافة :اني شأني ليس كشأنكم . كيف تكفرون الخوارج لانهم كفــروا على بن أبي طالب ؟ .



بشـــار
وأبوالعيناء



ارفق بعمرو اذا حركت نسـبته | فانه عربى من قـــوارير
ما زال فى كير حـــداد يردده | حتى بدا عربيا مظلم النـــور
ان جاز اباؤه الانـذال فى مضر | جازت فلوس بخارى فى الدنانيـر

واتصل الهجاء بين بشار وحمـــاد عجرد خمسة عشر عاما حسوما ·

وهكذا اجتمع ضده فى البصرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ، وأيدهما كبير القضاة الحسن البصرى والعالم الزاهد مالك بن دينار · وانتهى الامر بنفيه من البصرة عام ٧٤٤ م ·

وقصد حران ولكنه ابعد عنها كذلك ·· فذهب الى الكوفة واقام بها يمدح اميرها ، حتى سـقطت الدولة الاموية ومات واصل بن عطاء فعاد الى البصرة فى عام ٧٥٠ م · ولكن عمرو بن عبيد لاحقه حتى نفى منها مرة اخرى ·· ولم يستطع العودة الى البصرة الا بعد وفاة عمرو عام ٧٦٢ م · ولكن مقامه ببلده المحبوب لم يطل فارتحل الى العباسيين، وبدا حياته الثانية فى بغداد عاصـمة الدولة العربية الاسلامية ··

● بين المذاهب والاراء ●

وكان انتقال بشار الى بغداد بعد ان امضى أبو جعفر المنصور الشطر الاول من عهده فى اخضاع المنتقضين عليه من بنى العباس ذاتهم ، ومن العلويين حلفائهم السابقين ، ومن بنى أمية ، ومن قادة الثورات الدينية الســياسية الفارسية ··

ويروون أن بشارا قد اندفع بطبيعته المغامرة الى تأييد الثائرين العلويين اثناء مقامه بالكوفة ، فبعث الى ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على يؤيده ويحرضه على المنصور · ولكن الحظ واتى بشارا فلم يطلع احد على القصيدة · وقتل ابراهيم · فبدل بشار قصيدته ، وجعل المدح للمنصـــور والتحريض على ابى مسلم الخراســانى الذى قتله المنصور فيمن قتل من قادة الثورة عليه ··

ومهما يكن من امر هذه الرواية الدالة على تقلب بشار وتحـوله بين المذاهب والاراء، مع روعة فنه فى جميع الاحوال، فان بشارا قد اتصل بابى جعفر المنصور، ومدحه · ولكنه لم يكثر مدحه · ويعلل الرواة ذلك بان بشارا كان ينشد المال بمدائحه مثلما ينشده باهاجيه ، وهو امر اعترف به بشار نفســه · وكان المنصور بخيلا جاف اليد ، مبالغا فى مساءلة الولاة والصناع عن الحبـــة والدانق حتى سمى بالدوانيقى · ولهذا لم ينل منه بشار مالا كثيرا ولم ينل من بشار مدائح كثيرة ·

ومن أروع مدائح بشار للمنصور القصيدة الميمية التى دار حولها الجدل، والتى قال فيها أبو عبيدة : « ميمية بشار أحب الى من ميمية جرير والفرزدق » . ومن قوله فيها :

مراج لعين المستضىء وتارة ... يكون ظلاما للعدو المزاحم
اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن ... برأى نصيح او نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فان الخوافى قوة للقوادم
وما خير كف امسك الغل(١) اختها ... وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينى للضعيف ولا تكن ... نؤوما فان الحزم ليس بنائم
وحارب اذا لم تعط الا ظلامة ... شبا الحرب خير من قبول المظالم

وقد أعجب الناس جميعا بهذه القصيدة عامة ، وبأقواله عن الشورى خاصة فى عهد سادة الظلم والاستبداد .. وروى صاحب الاغانى عن الاصمعى قوله : « قلت لبشار : يا أبا معاذ ان الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة . فقال لى : يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته ، أو خطأ يشارك (٢) فى مكروهه .. فقلت له : أنت والله فى قولك هذا أشعر منك فى شعرك » ..

● المقصود بالنحل والشراب ●

وقد توثقت صلة بشار بالمهدى حين خلف المنصور فى عام ٨٧٥ م ، ولكن هذه الصلة أخذت تضعف بمسلك بشار الهجاء المتقلب ، حتى انتهت بمأساته الاخيرة أو مقتله فى عام ٨٨٥ م .

ومن أشهر مدائح بشار فى المهدى قصيدته العينية ، وقد جاء فيها :

وزرت هماما ، يصبح القوم حوله ... عكوفا ، عليهم ذلة وخضوع
ولما التقينا سابق الحمد جوده ... لأدى وجود الطالبين (٣) سريع
وأملاك صدق البستنى طرازهم ... قصائد ، ما لى غيرهن شفيع(٤)

ومنها :

على جنبات الدست (٥) منه مهابة ... وفى الدرع عبل الساعدين فروع
بشق الوغى عن وجهه صدق نجدة ... وابيض من ماء الحديد ،وقيع(٦)
اذا خزن المال البخيل فانما ... خزائنه خطية (٧) ودروع
وبيض بها مسك مكان بنانه ... ولكنها ريح الدماء تضوع
تروح بأرزاق وتغدو بغارة ... فانت زعاف مرة وربيع (٨)

---

(١) الحديدة الجامعة التى تشد اليد الى العنق .
(٢) يشارك بضم الياء مبنى للمجهول
(٣) الطالبين : طالبى الحمد .
(٤) أملاك صدق : ملوك صدق . الطراز : الثوب الملوكى . أى أن قصائده البسته بحلل الملوكية ..
(٥) الدست : صدر المجلس . فروع : غالب .
(٦) الوقيع المرهف : أى يشق حومة الحرب ويكشف شدتها بصدق نجدته وسيفه المرهف .
(٧) الخطية : الرماح .
(٨) تصبح سيوفه بالغارة على الاعداء وتمسى عائدة بالغنائم .

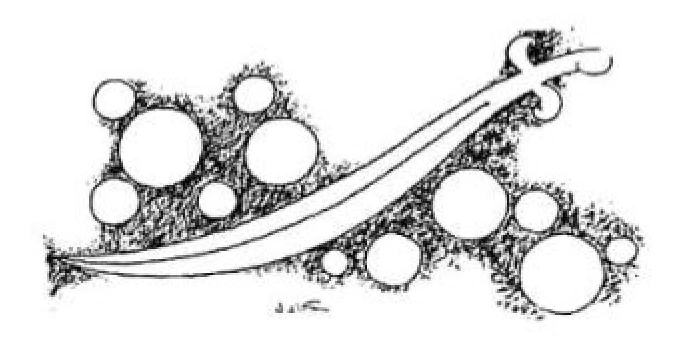
وقد نال بشار عند المهدى حظوة جعلت الخليفة يعجب بالشاعر أشد الاعجاب ، ويتغاضى فى سبيل ذلك عن مساءته الى أقرب الناس منه ، بل يشاركه الرأى فيهم .. والاخبار فى ذلك متواترة . ومنها أن المعلى بن طريف مولى المهدى وأقرب الناس منه سأل الحاضرين فى دار المهدى من العلماء والشعراء عن المقصود بالنحل والشراب فى قول الله تعالى : « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر » وقوله : « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » .. فقال بشار النحل والشراب عما ما يعرفهما الناس .. فقال المعلى : هيهات ، يا أبا معاذ ، النحل بنو هاشم والشراب هو علمهم .. فقال له بشار : أرانى الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بنى هاشم ، فقد أوسعتنا غثاثة وقذارة .

فغضب المعلى وشتم بشار ، وظن أنه نال منه مقتلا عند الخليفة . وبلغ الخبر المهدى ، فدعاهما وحدثه بشار به ، فضحك الخليفة حتى أمسك ببطنه ، وسخر من المعلى وقال له : « أجل فجعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم ، فانك بارد غث » .

وهناك رواية أخرى أعظم دلالة ، بطلاها بشار وخال المهدى : يزيد بن منصور الحميرى . فقد دخل يزيد على المهدى وبشار ينشده قصيدة يمدحه فيها .. فبعد أن انتهى بشار من الانشاد أقبل عليه يزيد يسأله : ما صناعتك ؟ فأجابه بشار متهكما : أثقب اللؤلؤ . فضحك الخليفة ، وقال لبشار : « أتتنادر على خالى ؟ » فقال له بشار : وما أصنع به ؟ يرى شيخا أعمى ينشد الخليفة شعرا ، ويسأله عن صناعته » . فازداد الخليفة ضحكا ...

● نهاية المبدع المقذع ●

ومهما يكن من أمر ، فان حظوة بشار لدى المهدى لم تدم طويلا . لقد تغير الخليفة على الشاعر المبدع المقذع . ويرجع الرواة التغير الى أمور ، منها أن المهدى كان عفا ورعا ، ينكر التشبيب بالنساء ، ولكن بشارا كان ممعنا فى التشبب ، عاريا فيه كل العرى ، صريحا الى الفحش درجات الصراحة ... ولهذا طلب منه المهدى أن تخلو مدائحه من النسيب والتشبب . ولكن بشارا لم يكن من اليسير عليه التخلى عن طبيعته . ولهذا أخذ يفتتح



قصائده ذاكرا نهى المهدى أياه عن النسيب ، ومتخذا من النهى وسيلة الى ذكر حديث الهوى · ولكن المهدى لم ينطل عليه ذلك فمنع عنه عطاءه وجافاه

ومنها ما يقال عن سكر بشار المستهتر ، وان المهدى رآه فى حالة زرية يؤذن فى غير وقت الصلاة · وعلم أنه قد فقد صوابه فاساء الى الدين وشعائره مع ما كان يرمى به من الزندقة · فغضب منه أشد الغضب ·

ولعل هجاء بشار اللاذع هو الذى أودى به · فيروى أن المهدى لم يسلم منه ، أو أن يعقوب بن داود وزير المهدى ، بعد هجاء بشار له ، قد اتخذ الهجاء ذريعة للدس على بشار لدى الخليفة والايقاع بالشاعر · فقيل ان بشارا حين لم ينل من داود بن يعقوب ما يرجو من سخى العطاء ، هجاه بشعر منه :

بنى امية هبوا طال نومكمو ... ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزق والعود

وقد دفع ذلك يعقوب الى المباعدة بين المهدى وبشار · فنقم بشار على الخليفة وهجاه بشعر بذىء ، يرمى فيه الخليفة وأم ولديه بالفجور فنقله يعقوب الى الخليفة · فكاد ينشق غيظا من بشار وأمر بجلده حتى يـ ـت ···

ومن الطريف أن الرواة لا يتخلون عن رواية احاديث بسخرية لبشار حتى فى ساعة موته · فهم يروون أن بشارا كان يقول ما تقوله العرب حين يوجعه السوط : حس ، فقال احد الحاضرين للخليفة : انظر الى زندقته يا أميـر المؤمنين يقول : حس ولا يقول باسم الله، فقال بشار : اطعام هو فاسمى الله عليه ·· فقال آخر : افلا قلت : الحمد لله ، قال بشار : او نعمة هى حتى احمد الله عليها ·

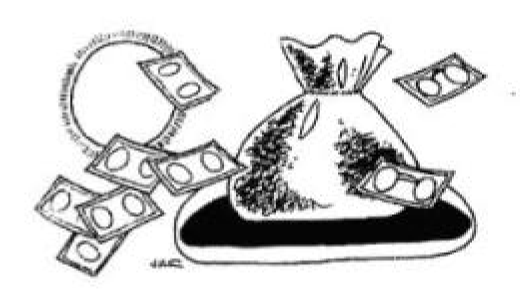
وبان الموت فى بشار بعد سبعين جلدة فأمر الخليفة بحمله فى سفينة حتى يموت ، ثم يرمى به فى البطيحة · ومنها حمل جثته أهله ودفنوه ، وسط شماتة من هجاهم ، وفى غمرة فرح شامل من الناس كما يزعم بعض الرواة ·

لكن رواية ثانية تقول أن يعقوب هو الذى دبر لقتله وليس الخليفة · كما تذهب رواية ثالثة الى ان المهدى بعث الى بيت بشار من يفتشه ويتثبت من اتهامه بالزندقة والعداء لبنى العباس · ولكنه عاد للمهدى بكتابات وأشعار لبشار تثبت ايمانه بالله وولاءه للعباسيين · فلما قرأها المهدى ــ كما يروى ابو الفرج الاصفهانى ــ بكى وندم على قتل بشار ، وقال : « لا جزى الله يعقوب بن داود خيرا · فانه لما هجاه لفق عندى شهودا على أنه زنديق فقتلته، ثم ندمت حين لا يغنى الندم » ·

لكن احدا ، مهما أوتى من قوة وبطش، لا يستطيع انهاء حياة العظيم أو العبقرى ··ولهذا خلد الادب ذكر بشار ، وسيبقى ما بقى تاريخ الفكر البشرى ··

● أبو العيناء ●

ومن مكافيف البصر نيرى البصيرة ، الخطيب الاديب الاخبارى الشاعر محمد ابن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمى ولاء ، المكنى بابى العيناء · وقد عاش فى العصر العباسى الاول حتى جاوز التسعين ، اذ ولد سنة احدى وتسعين ومائة ، وتوفى سنة اثنتين وثمانين ومائة · وينقل صلاح الدين الصفدى فى كتابه : « نكت الهميان فى نكت العميان » ، ما رواه غيره قبلا ، من أ



ابا العيناء كان زميلا للجاحظ (١) ، وانهما كانا يقتدران بانتحال الاحاديث اختبارا لمعرفة الرواة والاخبـــاريين لعصرهم ولقدرتهم على التحرى والنقد

وقد نشأ أبو العيناء بالبصرة وسمع من الاصمعى وأبى عبيـــدة وأبى زيد الانصارى والعتبى وغيرهم ، كما حدث عنه الرواة · وكان آية فى الظــرف واللسن وحسن الجـــواب ، كما يروى ياقوت فى معجم الادباء ·

وكان متفائلا كما يظهر من أخباره وأشعاره · فلم يضق بحوله الذى امتد أربعين عاما ، ولم يضق بالعمى الذى أعقبه طوال خمسين عاما ·

وقد وصف رشد الرياحى ، الشاعر المعاصر له ، خلائقه فى الشطر الاول من حياته فقال :

احوال العين والخـــلائق زين ... لا احولال بها ولا تلـــوين
ليس للمرء شائنا حول العـــ ... ـين اذا كان فعله لا يشـــين

وكان أبو العيناء يردد هذا القـول ويفاخر به · بل ان أبا العيناء قد وجد فى الحول فضيلة فى الهوى ، وخلاصا من مراقبة العذال ، فقال :

حمدت الهى اذ بلانى بحبهـــا ... على حول يغنى عن النظر الشزر
نظرت اليها والـــرقيب يظننى ... نظرت اليه فاسترحت من العـــذر

وحين اصيب بالعمى ، زادت أموره استقامة ، وقال له الشاعر المعاصر أبو على البصير :

قد كنت خفت يد الزمـــا ... ن عليـــك اذ ذهب البصر
لم ادر انـــك بالعمى ... تغنى ويفتقـــر البشر

وكذلك فاخر أبو العيناء بمواهبه التى زادها الله نورا على ذهاب نور عينيه ، فقال :

ان يأخذ الله من عينى نورهمـــا ... ففى لسانى وسمعى منهما نور
قلب ذكى وعقل غير ذى خطــل ... وفى فمى صارم كالسيف مأثور

● أخلاقه وفكاهته ●

وقد أهلت أبا العيناء مواهبه وأخلاقه ومعارفه الى التقرب من الخلفاء والولاة واعزازهم له واغداقهم عليه ·· وأخباره الكثيرة حافلة بهذه الدلالات ··

---

(١) فى رواية أخرى « الحافظ » ولعله تصحيف ·

وبلغه ان المتوكل قال : « لولا ان ابا العيناء ضرير لنادمناه ! » فقال ابو العيناء : ان اعفاني من رؤية الاهلة ، وقراءة نقش الفصوص صلحت للمنادمة .. فازداد اعجاب المتوكل بحسن جوابه

ويروى انه دخل على المتوكل ، فى قصره المعروف بالجعفرى ، سنة ست واربعين ومائتين · فقال له المتوكل : ما تقول فى دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا الدور فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك ·· فاستحسن الخليفة كلامه ، وقال له : بلغنى عنك بذاء فى لسانك ! فقال : يا أمير المؤمنين ! ·· قد مدح الله تعالى وذم · فقال نعم العبد انه أواب · وقال عز وجل : « هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد اثيم ، عتل بعد ذلك زنيم » ·
واتصل بينهما حديث طويل ، دعاه المتوكل اثناءه لمنادمته ، ولكنه اعتذر لذهاب بصره ·

وأهم مميزات أبى العيناء النكتة وحضور البديهة فيها · وقد اهداه بعض الوزراء دابة ، وانتظر أبو العيناء منه علفها ولكن الوزير ابطأ عليه ·· فقال له أبو العيناء : « أيها الوزير ! حملتنى على الدابة أو حملت الدابة على ؟ !

وقال له المتوكل : ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك ! فقال ابو العيناء : ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون ·· » وقال له ابن مكرم يوما : مذهبى الجمع بين الصلاتين ·· فقال له أبو العيناء : تجمع بينهما بالترك (١) ! وقالت له قينة : هبنى خاتمك واذكرك به ! ·· فقال لها : اذكرى انك طلبته منى ومنعتك !
وكانت لابى العيناء اشعار فى الحكمة والمدح ، وكانت أطرف اشعاره فى الهجاء · ومنها قوله فى الوزير أسد بن جوهر :

تعس الزمان لقد اتى بعجاب ... ومحا رسوم الظرف والاداب
واتى بكتاب لو انبسطت يدى ... فيهم رددتهم الى الكتاب (٢)
جيل من الانعام ألا انهم ... من بينها خلقوا بلا اذناب

وقال فى الوزير أحمد بن الخصيب

قل للخليفة يا ابن عم محمد ... اشكل وزيرك انه ركال (٣)
قد نال من أعراضنا بلسانه ... ولرجله بين الصدور مجال
امنعه من ركل الرجال وان ترد ... مالا فعند وزيرك الاموال !

لكن هجاءه لم يورده موارد التلف ، فقد شفع له ظرفه ورضا الخلفاء والناس عنه · وعاش حتى مات فى بغداد بعد أن جاوز التسعين ، وخبر سراء الحياة وضراءها ، وسئم تكاليفها ·
ومهما يكن من أمر ، فقد حق فيه قوله :

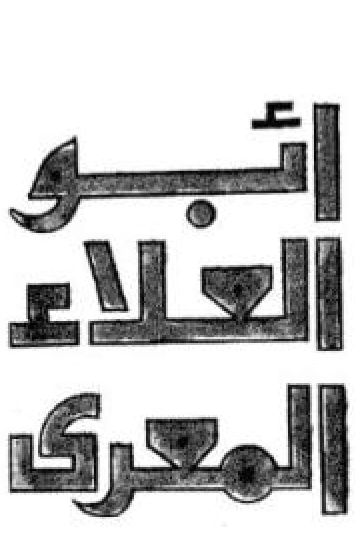
يا ويح هذى الارض ما تصنع ! ... اكل حى فوقها تصرع !
تزرعهم حتى اذا ما اتوا ! ... الدهم تحصد ما تزرع !

---

(١) اى بعدم الصلاة ·
(٢) الكتاب الاولى جمع كاتب اى وزير ، والكتاب الثانية موضع تعليم الصبية ·
(٣) شبه الوزير بالحمار وطلب من الخليفة أن يقيده حتى لا يرفس الناس ·

حسن كامل الصيرفي





رهين المحبسين

رب ليلا كأنه الصبح فى الحسن ، وان كان أسود الطيلسان
قد ركضنا فيه الى اللهو لما وقف النجم وقفة الحيران
فكأنى ما قلت والليل طفل وشباب الظلماء فى العنفوان
ليلتى هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمان
هرب النوم عن جفونى فيها هرب الأمن عن فؤاد الجبان
وكأن الهلال يهوى الثريا ، فهما للوداع معتنقان
وسهيل كوجنة الحب فى اللون ، وقلب المحب فى الخفقان
مستبد كأنه الفارس المعلم يبدو معارض الفرسان
يسرع اللمح فى احمرار ، كما تسرع فى اللمح مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الأعادى ، فبكت رحمة له الشعريان
قدماه وراءه ، وهو فى العجز كساع ليست له قدمان
ثم شاب الدجى ، وخاف من الهجر ، فغطى المشيب بالزعفران
ونضا فجره على نسره الواقع سيفا فهم بالطيران ...

هذه صورة من أروع مشاهد الطبيعة ، رسمها فنان دقيق الحس مرهف الشعور ، مستغرق النفس في تأملاته ، واعي الفكر في تصوراته ، واسع الأفق في مطالعاته ، نفاذ الى دقائق الاشياء وأسرارها ، يستطلع مكنونات الطبائع الى عمق أغوارها ، متتبع كل حركة وخلجة ، لم يفته في هذه اللوحة الشعرية سريع نبض ، ولم يخف عنه خاطف ومض ، ولم تند عنه لمحة تلاحقها لمعة ، أو يختلط منظر في هذا الموكب الساحر بمنظر ، أو يطغى لون على اخر في كل مظهر ·

هذه الصورة نشهد في البيت الاول منها المقابلة الصادقة بين بياض وسواد الليل ، اذ يضفي فيها الشاعر من احساس الشباب الطافر ، الجارى وراء الجمال الساحر ، ونعيم الحياة الغامر، واللاهي عن مآسيها وأحزانها وهمومها وأشجانها ، بهدوئه الناعم لونا مبهجا غير ذلك اللون القاتم ·

كما نشهد في البيت الثاني مقابلة أخرى بين الحركة والسكون : حركة هذا الشباب الذى يتسابق الى مسارح اللهو ركضا في بهجة ومسرة ، ثم سكون النجم الواقف في وجوم وحيرة، والحيرة سبيل الى الأسى والحزن ، والى السكون والوجوم ·

ثم ينقلنا معه في البيت الثالث الى مقابلة ثالثة بين الطفولة في وداعتها الغريرة ، وبين الشباب في فتوته الغريرة : طفولة القمر وهو أول الشهر ليدرج الى تمامه في منتصف الشهر خطوة فخطوة ، وقد اشتدت من حوله الظلمة بسواد اهابها مزهوة بأول شبابها وما هي فيه من قوة وسطوة ·

ثم يبدأ في وصف ليلته هذه التي ملكت مباهجها عليه مشاعره ، وطردت النوم عن أجفانه ، فيشبهها بعروس من الزنج قد أفاض عليها الشباب من غلوائه زيادة في التكوين وحسنا في التقسيم بحيث تزهو على أترابها وقد حلي جيدها بعقود من اللؤلؤ ؟ يريد بذلك تلك الاضواء المنبعثة من الكوكب هنا وهناك في صفحة السماء · وهنا تبدو براعة هذا الشاعر الفنان في قوله « عروس من الزنج » ذلك ان هؤلاء القوم شديدو التعلق بالطرب ، حتى ليضرب بهم المثل فيقال : « اطرب من زنجي »

وكما قلنا انه لم تند عنه لمحة ، فنحن بعد ذلك امام مشهد رائع من مشاهد الوداع بين الهلال الذى أراد به صورة فتى ، والثريا التى أراد بها صورة فتاة ، وقد اعتنقا عناق وداع · ذلك ان الثريا لا تمكث مع الهلال حين يهل في اول ليلة الا شيئا يسيرا ثم تغيب · وهم يضربون المثل بهذا اللقاء الخاطف فيقولون : « ما ألقاه الا عداد الثريا من القمر » ·

ويصور لنا في البيت الذى يليه كوكب سهيل الذى يرى مضطربا لقربه من الأفق ، فيشبه اضطرابه بخفقان قلب المحب حين يلقى من يحب ولا ينسى الشاعر هنا أن يحدد لون هذا الكوكب بالتشبيه دون أن يذكر اسم هذا اللون الا بعد قليل ، « كوجنة الحب » – بكسر الحاء – أى المحبوب الذى تحمر وجنته عند لقاء حبيبه · ومعروف أن هذا الكوكب يضرب لونه الى الحمرة ·

ثم يشير في البيت الذى يعقبه الى طبيعة هذا الكوكب ، فهو لا يرى الا منفردا عن الكواكب الاخرى ، فوصفه هنا بالاستبداد لهذا التفرد · ومنه قولهم : « فلان مستبد برأيه » أى منفرد به ·

وحين يشير في البيت الذى بعده الى سرعة لمعان سهيل وحمرة لونه يشبهه في هذا بلمعان عين الغضبان في سرعتها وحمرتها ، وقد أفصح في هذا البيت عن هذا اللون ·



أبو العلاء المعرى

ثم يصوره فى البيت الذى يتلوه قتيلا مضرجا بالدم من سيوف أعاديه ، وقد وقفت أختاه « الشعريان » تبكيانه · وكانت العرب تقول : الشعريان أخت سهيل ، احداهما « العميصاء » وهى فى المجرة لا تنظر اليه لان عينيها غمضت من البكاء اى كثر القذى فيها ، والاخرى « الشعرى العبور » قد عبرت اليه نهر المجرة فهى تنظر اليه وفى عينيها عبرة ·

ونذكر هنا أن قوله « سيوف الاعادى » لم يرد حشوا فى هذا البيت وانما ورد لبيان تاريخى بعيد لم يغب عن ذهن الشاعر فى هذا التأمل ، ذلك أن سهيلا – وهو من الكواكب اليمانية – يثير فى تفرده عن باقى الكواكب الشامية واعتزاله اياها حقد هذا الكوكب عليه ، فجعلها أعداء له ترميه بسهامها فتصرعه · ومعروف أن بين القبائل اليمنية والقبائل المضرية احقادا قديمة كانت ، فأضفى بهذه اللفتة التاريخية على صورته ابداعا آخر حين جعل الحقد الكامن فى نفوس القبيلتين قد تجاوزهما الى الكواكب اليمنية والشامية ·

ثم يشير فى البيت التالى الى طول الليل فيجعل كواكبه لطوله كأنها لا تبرح مكانها · ومن هذه الكواكب نجمان خلف سهيل يقال لهما قدما سهيل ، وخلفهما كواكب أخرى يقال لها الاعيان · فان سهيلا على الرغم من أن له قدمين ، قد تقاعس عن الحركة وعن السير

ويشبه الظلام فى البيتين الاخيرين – حين ظهر فيه بياض الصبح مع ما يبدو فى الافق من حمرة – بالرجل الذى يخشى أن يهجره حبيبه اذا رأى الشيب قد دب فى رأسه ، فيعمد الى ستر هذا الشيب وتغطيته بهذه الحمرة التى يصبغها به ·

ثم يجعل النسر الواقع – وهو كوكب منير تشبهه العرب بنسر ضم جناحيه الى نفسه كأنه وقع على شىء وجناحاه هما النجمان اللذان الى جانبيه – يهم بالطيران حين رأى عمود الصباح يشق الظلمة كأنه سيف مسلول · وهنا مقابلة أخرى بين النسر الواقع ، وهو كوكب كما ذكرنا ، والنسر الطائر وهو كوكب آخر ·

● عبقرية الذكاء والذاكرة ●

هذه الصورة الرائعة التى حلت فيها الالفاظ الراقصة والموسيقى العذبة محل الألوان والظلال ، وتواكبت فيها التشبيهات البديعة مع اللفتات السريعة ، وربط فيها صاحبها بين مطالعاته الواسعة فى الادب والعلوم وبين الاحداث التاريخية البعيدة والأساطير المتواترة القديمة مما وعته ذاكرة هذا الشاعر قد يصعب على بعض الناس أن يصدقوا أن الذى رسمها فى هذه الدقة البارعة شاعر كان يعيش فى ظلمة مسدلة على عينيه ، ولكنه عاش ببصيرة نفاذة لم يستطع العمى أن يسدل عليها ظلامه ·

هذا الشاعر هو : أحمد بن عبد الله بن سليمان ، ابو العلاء المعرى التنوخى الذى ولد فى بلدته « معرة النعمان » فى شمال سورية بالقرب من حلب ، فى غـــروب شمس يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣ هـ · واصيب بالجدرى وهو فى الرابعة من عمره ، وكـــان من اثره أن غشى يمنى حدقتيه بياض · وأذهب اليسرى جملة ، ولم يلبث أن كف بصره · ولكن هذه الكارثة التى أصابت الطفل لم تنهنه من عزيمة الصبى أو تسلمه الى اليأس بل لم تستطع أن تطفىء نور بصيرته أو أو تطمس اشراق ذكائه ، فقال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة أو أثنتى عشرة ســـنة ، وأكب على الدرس يعى كل ما يقرأ عليه ، وان بقى فى نفســه ألم من هذه الدنيا وأحداثها ظهر فيما بعد فى قوله عن الدنيا وما يبتلى فيها الناس من مصائبها :

لن تسلم الكف من ايامها شـــللا ولا النواظر كفـــا عنه او رمدا

ذكر الجاحظ فى كتابه « البيـــان والتبيين » وهو يورد بيتا للأعشى يصف امرأة فيقول :

بيضاء ضـــحوتها ، وصفـــراء العشـــية كالعراره (١)

لأن المـــرأة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداة يضرب الى الحمـــرة ، وبالعشى يضرب الى الصفرة ·

وذكر بيتين لبشار بن برد يقول فيهما:

وخـــــــذى ملابس زينة ومصـــبغات فهى افخـــــر

واذا دخلـــــــــت تقنعى بالحمر ، ان الحســــن احمر

ثم قال الجاحظ : « وهذان اعميان قد اهتديا من حقـــائق هذا الامر الى ما لا يبلغه تمييز البصير » ·

***

وعندى أن الصورة التى ذكرناها من شعر ابى العـــلاء المعرى أروع واشمل وأدق وأوفى ، وأبعد فى تعمق هذه الحقائق وتقصيها من قول الأعشى او قول بشـــار · ذلك أن ذكاء المعرى أعلى مرتبة من ذكاء سابقيه ·

يقول ابن العديم فى كتابه « الانصاف والتحرى فى دفع الظلم والتجرى ، عن ابى العلاء المعرى » ان ابا العلاء كان على غاية من الذكاء والحفظ · وانه قيل له : بم بلغت هذه الرتبة فى العلم؟ فقال : ما سمعت شيئا الا وحفظته ، وما حفظت شيئا فنسيته » ·

ويقول الثعالبى الذى كان معاصرا لأبى العلاء ، وتوفى سنة ٤٢٩ هـ ـ أى قبل وفاة ابى العلاء بعشرين ســـنة ـ فى كتابه « تتمة اليتيمة » ان ابا الحسن الدلفى قال له : « لقيت بمعرة النعمان عجبا من العجب : رايت اعمى شاعرا ظريفا يلعب بالشـــــطرنج والنرد ويدخل فى كل فن من الجد والهزل ، يكنى ابا العلاء ، وسمعته يقول : انا أحمـــــد الله على العمى ، كما يحمده غيـــرى على البصر ، فقد صنع لى ، وأحسن لى ، اذ كفانى رؤية الثقلاء البغضاء » ·

ويعلق ابن العديم على هذا الخبر بقوله : « وهذا ان صح عن ابى العلا فلقد كان ذلك فى حـــــداثته ، فان أبا العلاء ـ رحمه الله كان بعيدا ع اللعب والهزل » ·

ونقول أن تحريك ابى العلاء الوانه فى هذه الصورة مثل تحـريكه ادوا

---

(١) : العرارة : واحدة العرار ، وهو البهار وهو زهر · قال ابن برى : هو النرجس البرى ·

الشطرنج او النرد – ان صح هذا الخبر الذى ذكره الثعالبى – انما يحتاج الى قوة خارقة تفوق قوة البصر .

واذا ما رجعنا الى قول ابى العلاء : « لا اعرف من الالوان الا الاحمر لانى البست فى الجدرى ثوبا مصبوغا بالعصفر ، لا أعقل غير ذلك » – وهو اللون الذى تردد كثيرا فى شعره وكان يسميه ملك الألوان – وقفنــا أمام الصورة التى عرضناها من شعره وقد جمع فيها الوانا شتى الف بينها هذا التاليف المتماسك ، وحشــد فيها هذا الموكب المتناسق – حائرين متسائلين : أيعقل ان تظل هذه المرئيات فى ذهن طفل لم يكد يبلغ الرابعة من عمره حتى فقده بصره أو كاد ؟ ...

واذا كانت ذاكرة الطفل تحتفظ ببعض الحوادث أو المشاهد ، فانها لا تستطيع ان تحتفظ بتفاصــيل هذه الحوادث كاملة ، ولا بدقائق هذه المشــاهد ماثلة ، بل يبقى فيها من هذه أو هذه صور مزيلة ضــئيلة ناصلة . لان ذاكرة الطفل تضــعف مع مرور الزمن بما يشغلها بعد ذلك من أمور العيش وتكاليف الحياة . ثم لا يمكن لها ان تستوعب كل هذه الصــور وتجمعها فيما بعد فى اطار واحــد بكل هذا التناسق وهذا الانسجام .

نعم ان ذاكرة أبى العلاء فى صباه ، وفى شبابه ، وفى كهولته ، كانت عجبا حدثوا عنها حديث الخوارق ، وكان ذكاؤه اعجب . واستطاع بما يسمع وما يقرا وبعبقريته الفذة أن يضــع صورا حية متماسكة .

يقول الصــفدى فى كتابه « نكت الهميان فى نكت العميــان » : قل ان وجد أعمى بليدا ولا يرى اعمى الا وهو ذكى » .

ونقول – ثانية – ان الــكارثة التى اصــــابت الطفل لم تنهنه من عزيمة الصبى أو تســلمه الى اليأس ، بل دفعته الى تحــدى الرض ، وتخطى هذا العائق ، فالتمس العلم من كل سبله ، ومن كل وجوهه ... قرا القرآن بكثير من الروايات على شيوخ يرحل اليهم فى القراءات ، وقرا اللغة والنحو على أبيه القاضى عبد الله بن ســليمان وعلى أبى بكر محمد ابن مســعود النحوى فى « معرة النعمان » ، ثم دخل – وهو صبى – الى « حلب » فقرا بها على محمد بن عبد الله بن ســعد النحوى وكان راوية أبى الطيب المتنبى .

ويذكر لنا ابن العديم خبــرا يدل على فطنة هذا الصبى أبى العلاء ومبلغ ذكائه وقوة حافظته . ذلك أن استاذه ابن ســعد هذا قرا أمامه وهو صبى بيتا للمتنبى فى قصيدته التى مطلعها :

أزائر يا خيــال أم عائد ام عند مولاك اننى راقــد

ولم يكن ابن ســعد قد قرأها على المتنبى ، وانما انفذها المتنبى اليه فقال فى أحد أبياته :

او موضــعا فى فناء ناحية   تحمل فى التاج هامة العــاقد

وذلك بفتح الميم فى « موضــعا » ، وبالنون فى « فنــاء » ، وبالحاء غير المنقوطة فى « ناحية » .

فرد عليه تلميذه أبو العلاء الصبى على هذا الوجه :

« او موضــعا فى فتان ناجية »

والموضع (بضم الميم) : المسرع فى الســير . والفتان (بالتاء وبكسر الفاء) : غشــاء من جلد يغشى به الرجل . والناجية (بالجيم) : الناقة السريعة .

فلم يقبل ذلك ابن سعد . ومضى الى نسخة عراقية صــعدت مع أبى على ابن أريس من العــراق ، فوجد القول ما قال أبو العلاء .

● بين الفرات وجلق ●

وتضـــيق الحياة بأبي العلاء في بلدة « معرة النعمان » بعد موت أبيه عام ٣٩٥ هـ ، وكان الشاعر وقتذاك في الثانية والثـلاثين . فقد فقد بموته ما كان يحوطه به أبوه من اشـفاق ورعاية ، واحس بالبهجة التي كانـت تشرق في نفسه باسـمة تتوارى عنه . فيقلق بعد استقرار ، ويضـطرب بعد اطمئنان كما عبر عن ذلك في قصيدته التي رثى فيهـــا هذا الأب الكريم ومطلعها :

نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن فلا جادني الا عبـــوس من الدجن

فقال :

لقد مسخت قلبي ـ وفاتك ـ طائرا فاقسم الا يستقر على غصـــن
يقضي بقايا عيشـــــه ، وجناحه حثيث الدواعي في الاقامة والظعن

فيعتـــزم الرحيل الى « بغداد » تاركا أمه التي كانت رعايتهـــا له لا تقل في رحابتها عن رعاية أبيه له ، وذلك سنة ٣٩٨ هـ ، ليوسع دائرة معارفه بالاطلاع على ما في خزائن بغـداد من الكتب ، حيث يدخلها سنة ٣٩٩ ويقيم بها سنة ونصف سنة ، لم يقرأ عليه كتاب من هذه الخزائن الا حفظه · حتى لنجده يقول في رسالة له كتبها الى أهل بلده بعد منصرفه عن العراق :

« واحلف ما سافرت استـكثر من النشب ولا اتكثر بلقاء الرجال ، ولكن آثرت الاقامة بدار العلم ، فشـاهدت انفس ما كان لم يسعف الزمن باقامتي فيه · والجاهل مغالب القدر ، فلهيت عما استأثر به الزمان والله يجعلهم احلاس الاوطان لا احلاس الخيـــل والركاب ، ويسبغ عليهم النعمة سبوغ القمراء الطلقة على الظبي الغرير ، ويحســن جزاء البغـداديين ، فلقد وصفوني بما لا أستحق ، وشـهدوا لي بالفضيلة على غير علم ، وعرضوا علي أموالهم عرض الجد ، فصادفوني غير جذل بالصـفات ، ولا هش الى معروف الاقوام · ورحلت وهم لرحلتي كارهون ، وحسبي الله ، وعليه فليتوكل المتوكلون » ·

ويعبر في شعره أيضا عن الدافع الى رحلته هذه فيقول :

اخوالنتـــا بين الفرات وجلق يد الله لا خبرتـكم بمحـــال
انبئكم اني على العهد ســـالم ووجهي لما يبتذل بســـؤال
واني تيممت العراق لغيـــر ما تيممه غيـــلان عند بلال



المتنبي : وقصيدة الشعر

يريد أنه قصد العراق على غير الوجه الذي قصده ذو الرمة غيلان بن عقبة فقد ذهب مادحا بـلال بن أبي بردة أمير الكوفة وطالبا نيله ٠

● ذخيرة المعارف والعلوم ●

ويعـود ابو العلاء من هذه الرحلة عام ٤٠٠ هـ الى مسقط رأسه ليجد أمه الحنون قد انتقلت الى جوار ربها ، وكانت تشرف على شئونه ، تهيء له الطعـام في الخلوة التي كان يحلو له أن يتناوله فيها حتى لا يطلع عليه ، وتهيء له السكون الذي يأنس فيه مع وحيه والهـامه ٠ وهو يذكر في احدى مراثيه لها نعمها عليه فيقول :

كفاني ريهـــــا من كل رى الى ان كدت أحسب في النعـــام

اى انها اغنته عن الناس بما تقدمه له في هذه الرعاية من حب وعطف حتى ليحسب نفسه كالنعام الذي يجتزىء بالرطب وهو العشب الاخضر عن الماء ، فاذا أعوزه الرطب لم يرد الماء ٠

يعود حزين النفس ، مكتئب الفؤاد ، فيلزم داره ، ويطلق على نفسه لقب « رهين المحبسين » لذلك ولذهاب بصره ، ولكنه يعود وقد حمل في ذاكرته الضخمة الواسعة الواعية التي تسكن في هـذا الجسد النحيل ذخيـــــرة تضيق بها الصحائف من المعارف والعلوم في الادب واللغة والفلسفة والفقه والعقائد والتاريخ والسير والفلك على أوسع نطاق مسجلة على صفحة هذا الذهن العبقرى الفذ ، وحسبه شاهدا على هذه القدرة والتبحر في ذلك جميعا كل ما ألف وصنف ٠ حتى ليصدق قوله :

ما مر في هذه الدنيـــا بنو زمن الا وعندى من اخبـــارهم طرف

ولم يدع علمه الواسع وشهرته التي طبقت الافاق ، باب هذا المحبس موصدا عليه أو لانقطاعه فيه سكونه وصمته فقد أصبح هذا المحبس منطلق اشـــعاع يجتذب اليه من كل قطر علماء يقصدونه مستفيدين من علمه الوافـــر ، وطلابا يغترفون من بحره الزاخر ، حتى ليروى أن رجلا من طلاب العلم في اليمن وقع له كتاب في اللغة ضاعت منه أوراق في أوله ، ولم يهده أحد الى اسم الكتاب ، فحمله معه حين مضى الى الحج يسأل عنه كل من يلقى من أهـل الادب حتى دله واحد منهم على أبي العلاء ، فخرج الرجل الى الشام قاصدا دار أبي العلاء في موطنه ، فقرأ عليه شيئا منه ٠ فقال ابو العلاء : هذا الكتاب اســمه كذا ، ومصنفه فلان بن فلان ٠ ثم بدأ ابو العـــلاء يملى من ذاكرته على الرجل ما نقص من الكتاب حتى بلغ الورقة التي معه ، واكمل نسخته ٠

ولقد روى تلاميذه عجائب كثيرة عن قوة حافظة أبي العلاء ، بلغ بعضها حدا لا يتصوره العقل ، وبالغ بعض المؤرخين له في ذكر نتف منها ٠

***

وعاش هذا الرجل عيشة الزهد والقناعة مبجلا موفور الكرامة ٠

وفي نفس اليوم الذي خرج فيه الى الدنيا ـ وهو يوم الجمعة ، وفي نفس الشهر الذي كتب له فيه أن يبصر الحياة قبل أن تتوارى أنوارها عن عينيه ـ وهو شهر ربيع الاول ، وفي الثالث عشر منه عام ٤٤٩ هـ انطفأت هذه الشعلة من هذا الذكاء المتقد ، وسكنت نبضات هـــذه البصيرة التي كانت تنفذ ـ على الرغم من الظلام الدامس المحيط بها ـ الى أبعد ما يتصور الخيال ، فانتقل هــذا الكون الفسيح من العلم والمعرفة من محبسيه اللذين ضماه على ظهر هــذه البسيطة ليطوى في محبس آخر مظلم ، بعد أن ملأ الدنيـــا من علمه نورا يملأ الابصار ، ويســـتولي على البصـــائر ، ويحير الافكار ٠٠٠ ◆



■ د. يوسف عز الدين ■

صاحب البصيرة الفنان العملاق

ملاّ عثمان الموصلي

لا تلفت الحياة الاعتيادية نظر الناس ، لان الرجل المتوسط الذكاء والقابلية لايكترث به الاخرون لانهم فى مستواه وقابليته وادراكه ، فاذا تخلف عقله او اختلت تصرفاته سمي بليدا او معجونا ، واذا فاق مجتمعه فى الذكاء وعمل مالاتقدر عليه الاكثرية سمي عبقريا وذكيا وغيرهما من صفات الثناء . . .

ولد فى الموصل الملا عثمان أو الشيخ عثمان الموصلي المولوي، واصيب بالعمى ، فاصبح ظاهرة جديدة ولكنها كانت منتشرة فى العالم ، وما ان شب الطفل حتى لفت انظار من حوله بسرعة حفظه وقدحة ذكائه واستجابة فطنته ... ولما مات سنة ١٩٢٣ قالت عنه مجلة اليقين البغدادية انه (اعجوبة الزمان فى الذكاء والفطنة ، وله نوادر عديدة ، منها انه اذا سمع صوت احد عرف اوصافه من طول وقصر وبياض وسواد وحسن ودمامة ، وعرف عمره.)

ان هذا الذكاء نادر جدا بين البصراء وظاهرة تلفت النظر ، ومن الضروري ان تدرس من قبل العلماء ذوي الاختصاص اذ لا نجد علاقة واضحة بين الصوت واللون والقبح والجمال وقد نجدها واضحة بين العمر والصوت.

وقد ذكر عنه انه كان يعرف جمال النساء وطولهن والوانهن من قرع النعال ...



وهذا ما لا يقبل أن يحتاج الى دليل والذي يركن اليه الانســـان المعاصر اليوم ...

ولكن الذي لا مجال للجدل فيه ان الرجل كان يعرف الانسان باللمس وهي ظاهرة يمكن تعليلها وفهمها ، وقد برز فيها الملا عثمان وفاق غيره بهذه الحاسة، فقد حدثني المرحوم الاســـتاذ ناجي القشطيني انه رآه مرة وكان صغيرا ، ثم قابله بعد سنوات طويلة ، فســـلم عليه ، فقال يا ناجي اصبحت رجلا ...

وكتب لي الاخ الناقد الاستاذ محمد صديق الجليلي بأن الملا عثمان كان يعرف أصدقاءه بلمس ايديهم قبل ان يسمع أصواتهم ، وقد حدثه الاســـتاذ فاضل النوري بانه كان يسير في شارع الجسر القديم في بغداد ســـنة ١٩٢١ فقابله الملا عثمان خارجا من ســـوق السراي ، فاقترب منه وسلم عليه فأخذ يده بين يديه واخذ يدلكها ، ثم قال : أهلا بحفيد شيخي وســـيدي النوري .. واستطرد ...

وذكر لي حادثة اخرى عن مصطفى ابن الشاعر احمد عزت باشا بانه كان يصلح الساعات باللمس اذا كان العطب صغيرا فيها

وبالرغم من تركه اكثـــر من اثر في الجيل ، فقد نسي هذا الضرير الجبار الذي ترك بصماته في الموســـيقى والموشحات وتطوير الغنـــاء العربي في العراق ومصر . اذ لم يعن به ويكتب عن حياته وفنه وموسيقاه الا مؤخرا ...

ولد الملا عثمان سنة ١٢٧١ للهجرة (١٨٥٤ م) في الموصل بلد ابراهيم الموصلي ، وفقد بصره اثر اصـــابته بالجدري وعمره اربع سنوات ، فكان يعرف النور والظلمة ، لما بلغ السابعة توفي والده الحـــاج عبد الله فكفله

محمود سليمان العمري (١) ووكل به من يعلمه القرآن وترتيله ، ولعله اراد ان يتخذ من القرآن الكريم وسيلة للرزق وسبيلا للسير في طرق العلم .

ولما مات المحسن الكبير كان عمـــر الملا عثمان احدى عشرة ســـنة ، فلجأ الى مســـجد في محلة باب السراي . وقد لفت الانظار بطفولته وفقره ونكباته ومكانه في المسجد، فاشفقت عليه احدى ساكنـــات المحلة فرعته بعطفها وحدبت

عليه وعلمته القرآن ، وكانت مســـاجد آل الجليلي خير موئل لدراســـته ، فقد درس في جامع رابعة على الشيخ عبدالله الفيضي ، وفي مدرسة يحيى الجليلي على الشيخ صـــالح بن الحاج طه الخطيب ..

وفي هذه الفترة التي ترعرع فيها الملا عثمان ، كانت قد اختلت الموازين العامة وضـــاع الامن ولم تكن الدولة قادرة على ضبط النظام ، فـــكان لابد للانسان من فئة أو جماعة يحتمي بهـــا من الاذى فقد كانت العشائر تشكل كتلا

تحمي نفسها والاسر العريقة لها من تراثها ما يذود عنها .. وكان اقرب تكتل له الطرق الصوفية فهو بالرغم من انه من

---

(١) اخو الشـــاعر العراقي الكبير عبد الباقي العمـــري المتوفى في بغداد سنة ١٨٦١



سيد درويش : دراسة موسيقية مع ملا عثمان الموصلي

عشيرة عربية الا انه سكن في الموصل بعيدا عن الدليم الذين ينتمي اليهم .

وقد كانت هذه الكتل هي البديل عن الاحزاب والجمعيات والنوادي والنقابات التي ظهرت في القرن العشرين ، وبالاضافة الى ذلك فان الطرق الصوفية كانت معززة بسندين الاول الدين الاسلامي ، والثاني الدولة العثمانية التي كانت تسبغ عليها وترعاها ، فانتسب للطريقة القادرية التي كان مقرها في تكية في الجامع الكبير ـ جامع نور الدين محمود

وقد افادته الطريقة فائدة كبيرة ، فقد احتك بالمريدين وفيهم خير طبقات القراء والمنشدين فصقلت مواهبه

واستفاد من حفظه للموشحات الدينية والمدائح النبوية والصوفية وقد بقي معها حوالي خمس عشرة سنة ، كانت خير مدرسة هذبت ذوقه وأرهفت حسه ورققت اذنه الموسيقية ، فاستفاد منها

الفوائد الفنية والادبية . وقد كانت حلقات الذكر التي تعقد في التكايا تفتح بالقران الكريم وتختم به .

● شخصية متعددة الجوانب ●

بالموشحات الدينية وجمال الصوت واتقان الموسيقى قامت شهرة الملا عثمان . وقد اتاح له ذلك ارتباطا بالناس في مجالسهم وحفلاتهم في الافراح والاحزان ، فكان رجل تصوف وعازف موسيقى او رجل مجلس وامام مسجد وناظم موشحات ، ومرتل اي الذكر الحكيم .. وازدادت شهرته عندما جاء الى بغداد وسافر الى الاستانة ... وكان خير خطباء الثورة العراقية بعد الاحتلال الانجليزي ، فقد كانت قراءة المنقبة النبوية تنقلب الى تنديد بالاحتلال والاستعمار ويصبح الفقيه خطيبا من خير خطباء القومية والوطنية تهتز له المنابر وتخافه سلطات الاحتلال ...

والملا عثمان شخصية متعددة الجوانب احاط بثقافة عصره ودرس العلوم العربية والدينية على يد اشهر اساتذتها وروادها ، فهو موسوعي

يجيد كل ما يحتاج اليه المثقف في عصره . وعمق ذكائه ساعده على الحفظ والاستيعاب ليقوم شخصيته وليؤكد ذاته ، فقد اخذ من كل فن بطرف كما قال الجاحظ ، غير ان تعدد الجوانب لم يمكنه من التعمق

والاختصاص في الادب والشعر بخاصة والا لفاق عبد الغفار الاخرس وعبد الباقي العمري ، وسار في محاذاة الرصافي واليعقوبي والشبيبي ، غير انه ترك اثرا عميقا في الغناء ، فقد كان بارعا فيه يجيد العزف على كثير من الآلات الموسيقية كالعود والناي والقانون الذي يعتبر عزفه من الامور الصعبة لتعدد اوتاره وتقارب حركتها وصوتها ..

وبالاضافه الى ذلك فان الملا عثمان كان يجيد حفظ حروف الموسيقى الافرنجية ويطبقها عند العزف بحفظ اصواتها ومشتقاتها ،وكان له طلاب في

هذه الفنون ، وعندما كان في مصر درس عليه الموسيقار العبقري سيد درويش كما درس عليه مرة أخرى عندما كان في دمشق ، وقد اخذ زكريا احمد عن سيد درويش ، لهذا لا نعجب ان وجد محبو الموسيقى نفحات الملا الرقيقة تنساب في الالحان التي تغنيها مطربة العواطف ام كلثوم في أغاني زكريا أحمد .

● معجزات حاسة اللمس ●

وقد كان الملا سريع البديهة حاضر النكتة ... قال احمد محمد المختار مؤلف علماء الموصل بأنه دعي مرة لتلاوة جزء من القرآن الكريم في حفل اجازة العالمين الاخوين محمد رشيد وسعد الدين ، ولدي الشيخ صالح الخطيب ، وكان استاذهما طالب والدهما الشيخ صالح فاذا بالشيخ عثمان يقرأ من سورة الكهف قوله تعالى (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما) فدهش الحاضرون ، فقد كان ابو العالمين (صالحا) ، وقد تعلما علم والدهما على طالبه وليس أجمل من العلم كنزا حفظه استاذهما من ابيهما ...

وابرز الصفات التي تواترت اخبارها عن الملا عثمان ، هي حاسة اللمس عنده ، فقد كان يعرف الانسان دون ان يتحدث اليه بمجرد لمسه ، وقد جمع الاديب الطبيب الدكتور عادل البكري شيئا من طرفه وقصصه منها :

ان فائق دلال باشي كان مع والده الحاج ابراهيم في زيارة الملا عثمان بعد أن عاد من الاستانة ، وقد ولد فائق والملا عثمان في الاستانة ، وبعد ان دخل والده لتحيته توافد الناس



زكريا احمد : اخذ من الحان سيد درويش متأثرا بملا عثمان ..

للتسليم عليه ، وكان فائق خلف الناس ، ولما دخل عليه قبل يده وتحسسها بيديه ثم اخذ يلتفت يمنة ويسرة .. وهو ينادي : يا ابراهيم هذا ابنك .

وقد تفنن الناس في اختبار هذه القدرة عند الملا وكانوا يغيرون اصواتهم ولا يتكلمون مطلقا ، ولكنه مع ذلك كان يعرفهم فقد حدث رءوف الشربتي انه دخل جامعة في الاستانة ، فوجد الشيخ عثمان جالسا يعظ الناس فجلس قريبا منه فأحس بان شخصا جديدا ليس من مستمعيه يجلس قربه فسأله ليعرف هويته عن الوقت ، وقد اجتهد الشربتي أن يغير صوته ويتحدث باللغة التركية ، فما اسرع ما قال له

— يارءوف أتريد أن تكتم نفسك عن

ومن الطرائف الاخرى ان الملا عثمان كان يتصدر مجلسه فدخل عليه محمد النجفي من فضلاء الموصل فقال أحد الحاضرين له : اتعرف القادم ؟ فقال ليتكلم امامي كلمة . فقال محمد النجفي كيف حالك يا عثمان افندي ؟ فالطرف

مليا ثم وضع يديه على رأسه وقال : لقد التقيت والله مع صاحب هذا الصوت أيام الحج فى (منى) قبل ثـــلاث وثلاثين سنة · فقال النجفى صــدق والله . فقد كان عمرى ســبع سنين

● آية الزمان فى أدبه ●

وكان الملا عثمان يعرف الاشــياء والامكنة برد فعل صــــوتها بالضرب بالعصا أو بالرتين · فقد مر فى السوق مع زعوف الشريتى فضرب بعصاه باب حانوت وقال له : هذا حانوت صاحبك فلان · فقال له : كلا انما هو الحانوت الذى يليه ···

ان رهافة مشاعره ودقة احســـاسه بالاشياء ركزت حاسة الســـمع عنده وحاسة اللمس فى يده ، فعندما فقد بصره وتوزعت القابليـــــة البصرية من الدماغ الى هاتين الحاسـتين وزاد فى حدة هذه الرهافة سعة الذكاء وكثرة التجارب · لذلك وجدنا حاسة اللمس لا تخطىء عنده

وقد وردت اخبــار كثيرة عن رهافة حس العميان جمعها الصفدى فى (نكت الهميان) ولكنه امتاز على كثير من هؤلاء وتفوق واصبح من نوادر زمانه ··· ولو ولد فى هذا العصر واتيح له التعليم العالى والثقافة الحـــديثة المتطورة لفاق كثيرا من أترابه ولخلد كما خلد التاريخ ابا العلاء المعــرى وطه حسين ·

ولكن ثقافة عصره مكنتـــه ايضا من التفوق والبروز والشــهرة بما حبـــاه الخالق من حاسة لمس قد تكون فريدة فى نواحيها ، فقد كان يشــارك فى حانوت بيع الكتب فى الاستانة واذا غاب الشريك كان يعرف مكان الكتـــــاب وسعره باللمس ، وما كان يتأخر على الشارى فى جلبه اليه ·

ومما لم يسمع لمثيل فى التاريخ من رهافة الحس وتركيز السمع ،ماحدث لتاجر موصلى كان فى الاستانة وكان يقيم فى خان (اذ لم تكن الفنـــادق معروفة) وهى فنادق ذلك العصر وهى تقابل الوكالة فى مصر فشكا من أن له ابريقا اثيرا عليه قد سرق ولا يعـرف السارق ومضت سـنة على الحادثة ، وكان الملا عثمان يجلس مع التاجــر فقال له قم خذ ابريقك من فوق السطح فذهب الى السطح ورجع به مسرورا شاكرا · وسأله كيف عرفت انه ابريقى فأجابه : سمعت صدمة صوته ، وهو صوت لم اسمع مثله فى الاستانة فقلت انه ابريق موصلى ، وبالفعل فقد كان خادم الخان قد سرقه ولا بد انه استعمله امام الملا عثمان وهو متأكد انه اعمى لا يعرفه ، فلما ارتطـــم بالارض لفت سمعه رنينه ·

ان التركيز العجيـــب فى الحس هو الذى دعا الاستاذ الكبير محمد بهجت الاثرى ــ وهو من اوائل مؤرخيـــه ــ ان يقول عنه : (كان هـــذا الرجل اية الزمان فى ســـعة ادبه وعلمه وفرط ذكائه وفطنته ورقة شعوره واحساسه وبراعته فى فن الموســيقى وتفننه فى قراءة القرآن المجيد)

وضرب مثلا لرقة احساسه ورهافة شعوره بحادثة وقعت ، فقد كان يمر (يوما فى طريق من طرق بغداد فسمع من احد البيوت صوت عود غير منتظم فعـــرف حالا ان وترا من اوتاره لم يحكم شده فوقف وطرق الباب وقال : يا ضارب العود احـــكم الوتر الفلانى (وسماه باسمه) · فقال الرجل : انا ادرك ذلك بارك الله فيك ··

● هذا شرط عظيم ●

درس الملا عثمان علوم اللغة العربية والفقه على اشهر الاساتذة فى عصره ومنهم العـــلامة خالد الذكر محمود

شكرى الالوسى فقد حدث تلميذه الاستاذ الاثرى عنه قائلا : اشترطت عليه حفظ كل ما القيه عليه وادرسه اياه عن ظهر غيب ، فتبسم وقال : شرط عظيم ، فكان لا يمر على الدرس مرة واحدة الا يحفظه بلفظه من غير ان ينقصه او يزيد عليه ... وقد رآه الاستاذ الاثرى يرتجل في المجالس الشعر ارتجالا ولا سيما (التواريخ) فياتى سهلا ولا كلفة فيه ولا يكاد يخطىء فى التاريخ . وقد استظهر صحيح البخارى برمته .

كانت تلك هى ثقافة العصر ، وقد واتته الحافظة القوية فى النظم كثيرا لكن ادبه كان ادب القرن التاسع عشر ، فكان مغرما بالمحسنات اللفظية والتخميس والتضمين والتباهى بالتاريخ الشعرى لانه كان الاداة الثابتة فى تسجيل الحوادث ... وقد غلبت عليه المؤثرات الاسلامية بحكم نشأته وعمله وبيئته . فقد كان يعيش من الموشحات النبوية وبنى شهرته وسمعته عليها ، فنظم فى الشعر الدينى كثيرا ، فقد وجد فى دار الكتب بعض شعره المخطوط والمطبوع ، وكان يخمس شعر آل البيت الذى نظمه عبد الباقى العمرى لسببين الاول : وفاء لاسرة العمرى واظهار لاعجابه بالشعر لان تخميس القصائد معناها امتيازها وتفوقها والاعتراف بجودتها ورد الجميل للعمرية التى آوته واسبغت عليه كرمه فى الموصل وبغداد واستانبول . ، فقد كان يجد رحابة الصدر ودفء الود وعمق التقدير



منهم — والسبب الثانى تبركا فان الرسول وطلبا لشفاعة الرسول .

وكان ينظم الشعر فى مدح الرسول والطرق الصوفية لأنه يحس بانهم جماعته وعشيرته ويكسب ايضا اجر الاخرة واجر الدنيا ولا سيما عندما نظم فى مدح الطريقة الرفاعية كما مدح ابا الهدى الصيادى .

وكانت القصائد الاسلامية هى رمز جودة الشاعر وتفوقه وشهرته بعد ان احتضنت الامبراطورية العثمانية الطرق الصوفية وامدتها بالعون المادى والمعنوى لتقف أمام التيارات الدينية الاخرى التى تهدد كيانها من الداخل ومن الخارج .. وكانت المحافظة على الدولة العثمانية جزءا من ايمان المفكرين والمتصوفة بخاصة لان انهيار الدولة معناه انهيار الخلافة الاسلامية وتفريق شمل المسلمين واستيلاء الافرنج الكفار على ربوعها ، لهذا لم يتخلف شاعر عن التغنى بها سواء أكان فى الامبراطورية ام خارجها ..

وبقيت العناصر العربية المسلمة محافظة فى الولاء لها ومحاربة لاعدائها، بل ان المسلمين الذين كانوا يخالفونها فى العقيدة قد وقفوا معها فى محنتها فى الحرب الاولى ، غير ان الغرب كان يفكر فى شىء آخر هو الانقضاض عليها وتقسيمها اربا اربا فى معاهدات سرية اشهرها « سايكس بيكو » وغيرها ..

مات الملا عثمان سنة ١٩٢٣ وبذلك لم يتأثر بالتيارات الجديدة والتطورات الفكرية الحديثة التى تأثر بها اضرابه من الكتاب والشعراء ، لسببين ، الاول : انه كان قد اشتد عوده ومضى أوانه وقاعدته الفكرية لا تقبل التجديد والتطور اذ لم يكن فى نشأته الاولى ما يدفعه للتطور الادبى والشعرى والتأثر بالحضارة الغربية وتياراتها . ولا بد أن نثره تطور بعامل الحاجة الوطنية والقومية عندما كان يخطب فى المساجد محرضا على الثورة .



الرصافي : درس على الالوسي
كما درس ملا الموصلي

والسبب الثاني انه لم يكن شاعرا فحسب بل كان متعدد الجوانب والشعر جانب منها ، وكان يعتاش على الجانب الديني منه في قراءة المنقبة النبوية وانشاد الموشحات ، وهذا النوع من الشعر بذاته قليل التطور ، فقد نظم فيه الكثير لكن الملاعثمان رفع من مستواه بالنسبة للشعر الذي كان ينشد سابقا وكله ملحون شديد الركة عامي الاسلوب ٠

وقد برز تطوره الملحوظ في طريقة الانشاد والتلحين بعد ان احتك بالموسيقى الاجنبية التي لامسها في الاستانة وفي مصر التي ما تزال اثارها في انشاد المنشدين ٠ وقد ذكر الاستاذ محمود العبطة بأن احد تلاميذ السيد محمود الهاشمي جمع عددا منها في كراسة لكنها لم تطبع وان الحاج هاشم الرجب الفنان المعروف بدأ في تسجيل قسم من تنزيلات الملا عثمان ٠ واعرف ان لدى الاستاذ محمد صديق الجليلي مجموعة من الاغاني المسجلة على الاسطوانات القيمة وان لديه جملةمن اثار الملاعثمان وقد سجل الدكتور البكري مجموعةرائدة مع ما يقابلها في الاغاني المصرية والعراقية ٠٠

وخروج الملاعثمان من الموصل الى بغداد فالاستانة فدمشق والقاهرة في سفرات متعددة واحتكاكه بالاغنية العربية والتركية ، كانت السبب في التطور الموسيقي عنده حتى بز اقرانه ، وقد استفاد من عبده الحمولي المغني الطائر الصيت ولازمه معجبا بتجديده ، وكان لمصر فضل اخر عليه انه درس القراءات العشر على كبار الاساتذة فيها ، وبادله المصريون ـ حسب عادتهم في الوفاء ـ هذا الاعجاب والتقدير ، وقد تتلمذ عليه الكثيرون ٠ فالاستفادة كانت في موسيقاه والحانه وتنزيلاته ٠

أما أدبه فبقي يحافظ على السجع القديم والتقاط اللفظة الملائمة ، ومن نثره التحية التي ارسلها الى مجلة لسان العرب التي اصدرها في الاستانة احمد عزة الاعظمي ، والتي نبهني اليها الشاب النشيط صباح نوح ، فقد جاء فيها : (ساقتعزيمتي يد الاقدار لزيارة الوصل وهاتيك الديار ، من فروق المفاخر ، بيعض البواخر ، فاستشعر بي بعض شبان مجلتي ودار تحصلي وعزتي، أعني بها بغداد ، دار العلم والارشاد ، وقبل أن يعرفني بهويته ، ويطلعني على ماهيته قرظ سمعي لمجلته ، المسماة بلسان العرب ، ولرأيي بها طلب ، تكلفته أن يكتب ما أقول ، والله في نجاح هذه المجلة خير مسئول :

(كحلت بصيرتي لا بصري ، وأجلت ناظر فكري لانظري ، بلطائف صدرت من عربي النزعة والنجاد ، وطرائف برزت من أعظمي الاقدام والاستبصار ٠ تعرب أسطرها بالتتابع عن تاريخ كل أمة ، وتغرب في شئون العرب السالفة المهمة ، جوالة في بحار الفلسفة ، لاوية العنان من كل سفه ، حرية ان يسترشد بها من استرشد اتهم او انجد) ٠

● خطيب في مواسم الحج ●

ولا يخرج شعر الملا عثمان كما قلنا عن ميسم القرن التاسع عشر ، ويجد القارىء في (الابكار الحسان) . و (سعادة الدارين) وما نظمه في المراثي الموصلية ، أو خمسه في عدة

قصائد ، او ضمنه فى جملة منها ـ هذا الاطار ، ويمكن أن نتمثل فى جزء من قصيدة جاء فيها على ذكر سور القرآن الكريم حسب ورودها مبتدأ من الفاتحة حتى سورة الناس ، نجد مقدار الصنعة التى عاناها الشاعر ليبرهن على مقدرته فى النظم ـ فهو القائل :

يا رب ادعوك بالمختـــار من قدم
فاسمح (بفاتحة) الاحسان والكرم
آيات أحمد لاحت فالالى صرفـــوا
عنها فهم (بقر) من جملة الغنم

وبعد ذلك يذكر ســـور آل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعـــراف والانفال والبراءة حســـبما وردت فى ترتيب السور ، ويحس الانسان وهـــو يقرأ هذه القصيدة بأنه يقتلع الاحجار

مـلا عـثـمـان الموصلى

من الجبال ، ثم يعود ليَرصفها من جديد حتى نصل الى قوله :

بالعاديات تغشـــــاهم (قارعة)
دعت تكاثرهم فى الحرب للعـــــدم
فى (عصر) مولده بيت الضلال خوى
والويل (اهمز) أهل (الفيل) فى الحرم
مدت (قريش) به (ماعون) (كوثرها)
على الوجود فاورت منـــــه كل نعمى
و (الكافرون) ســـقاهم كاس عادية
(بنصر) مولى شـــديد البطش منتقم
(تبت يداهم اذ (الاخلاص) فارقهـــم
لفالق (فلق) الاصباح من ظلـــم
عوذت نفسى برب (الناس) يوم غـــدا
مديح خير الورى ركنى وملتـــــزمى

ومثل هذا الشعر لا يرقى الى مستوى شعر الفنان المبدع بقدر ما يصل الى حذق الصانع الماهر الذى يتقن حرفته أشد الاتقان فهو فى صف الشـــاعرين

البزار والجومرد المصـــــليين ، ولكنه انصع ديباجة منهما واقوى أسلوبا من شعرهما ، وامتاز بالبعد عن الاغلاط النحوية فى الاكثر الاعم ، ولو تأخـــر ظهوره لكان فى منزلة حسين المشارى .

ولا يمكن للملا عثمان ان يبدع ويفتق الجديد فى شعره ، لان الموضوع محدود كثر القول فيه خـــلال ثلاثة عشر قرنا وتزيد . ولن يبدع فى موضــــــوع واحد الا لمن تفرغ له وزود نفسه الثقافة الواسعة وتطور مع التيارات المتطورة مثل شوقى ، وحافظ ، ومطران . وهذا أمر لم يؤثر فيه رغم معاصرته لقـــادة التجديد والعيش فى الاجواء المتطورة فى مصر ودمشق . لان شعره الاســـلامى المحدود بالمناقب النبوية وتلاوة الاذكار والاناشيد ، وهو الشعر الذى كان يعيش عليه ـ حال دون الخروج من هذا الميدان .. ولكن لو قورن هذا الشعر بالشعر المعاصر له او بالشعر الذى نظم فى الموضوع نفسه لوجدناه متفوقا فى حسن الديباجة وقوة السبك وجزالة العبارة .

ويضاف الى ذلك عنصر له أهميته فى ملازمة الموضوع الواحد ، هو ان الملاعثمان أصبح شيخا استاذا (شيخ سجادة) ومرجعا لمريدين وأنصارا من المتصوفة ، وكان يصلح نغم الصـــوفية (الابين) الا أن الطرق الصوفية زادته مكانة وتقربا للسلطان عبد الحميـــــد وللشيخ أبى الهدى الصـــــيادى ، فقـــــد تمتع بامتيازات خاصــــــة وارسل لاقناع الســـنوسى فى طرابلس الغرب لاســـــتمالته ، وكان يخطب فى مراسم الحج ليســــند الامبراطورية العثمانية . فكان شـــديد الصلة بأبى الهدى الصيادى الرفاعى وبطريقته التى نظم فيها كثيرا ، من قصائده نقتطف قوله :

بنى المصـــطفى قلب المتيم قد أبدى
لكم فرط وجدى لاالسلمى ولا سعدى
الستم ملاذ المحتمى بجنابكـــــــم
اذا ما عليه حادث الزمن اشتدا

ابوكم ابو السبطين زوج سليلة الـ
تهامي من بالهدى عم الورى رشدا

ويصل في مدحه للشيخ أحمد الرفاعي وابى الهدى الصيادى :

واقربهم من حضرة الحق وصلة
واسمحهم باعا وارفعهم مجدا

وذاك امام المسلمين وشيخهم
فكم سنة احياوكم بدعة أودى

فاحمدهم صياد اسرار جده
وشيخ الهدى والعلم قد اكثر الصيدا

فيا آل فتان القلوب تداركوا
لمن جعل الاشعار في مدحكم وردا

احبتنا آل الرفاعي تعطفوا
بوصل على من روحه لكم تفدى

صلوني صلوني آل طه بحبلكم
وماضر لو صيرتموني لكم عبدا

ترك الملا عثمان الموصلى المولوى أجمل الاثر واشغل الناس في عصره بتعدد جوانبه وذكائه وسرعة بديهيته لكني أرى أن الجانب الموسيقي كان اكثر اهمية في حياته ، ولعلي أرجو من المختصين دراسة هذه الناحية باسلوب فني وقد بدأها الدكتور البكرى وسجل جانبا من هذه الناحية ، ولدى الاخ الاستاذ محمد صديق الجليلي مجموعة من تسجيلاته يزيدها أهمية المعرفة الواسعة الفنية التى يمتاز بها الجليلي نفسه .

وقد أغفل الكتاب الجانب الوجداني في حياة الرجل الذى ألهمه هذه القوة ، فقد حدثني الشاعر مصطفى البدرى عن المرحوم السيد عبد الهادى صالح وكان من غواة العصر الذين يغشون مجالس الالوسي ويهيمون بفن الموصلى عثمان ـ فقال :

« كان للشيخ عثمان هوى قل من ادركه ، ولكني كنت ذات يوم في زيارة لاصحابي في (جديد حسن باشا) ببغداد وفي نهاية السامر خرجت عائدا الى دارنا في محلة السور وفي منعطف من ازقة (جديد حسن باشا) سمعت أنات عود وضربا على الاوتار ، فانست للنغم في الظلام ووقفت ، وشد ما ادهشني صوت الموصلي بازائي يحدث ضاربة العود بالتركية حديث هوى ويلفت نظرها الى شد الوتر لاستكمال النغم ، وبالرغم من كتمان أنفاسي فانه عرفني وهددني ان انا أفشيت السر .

رحم الله الملا عثمان ، فلا يزال تراثه في حاجة الى عناية ودراسة ، فقد نسي طويلا ، وما كتب عنه الا القليل ولعل اشد المعنيين به هو الدكتور حازم البكرى الذى عمل على احياء ذكراه في الموصل ورأس لجنة سنة ١٩٦٩ للتحضير لعرض الخالة وموسيقاه ، وقد أقيم له تمثال في الموصل يحمل اسمه وهو بملابس الطريقة المولوية .. واخيرا التفت اليه وزارة الاعلام في العراق مشكورة فأقامت له مهرجانا ، ولكنه لم يكن على نطاق واسع ، ولم يطبع مما قيل فيه سوى كراس واحد (مع عثمان الموصلي في فنه وعبقريته) وكان من اثر هذا المهرجان ان أصدر الاخ المتتبع الاستاذ محمود العبطة (عثمان الموصلي في بغداد) ..

من مراجع البحث من الكتب للدكتور عادل البكرى :
١ ـ عثمان الموصلي الموسيقار الشاعر المتصوف
٢ ـ مع عثمان الموصلي في فنه وعبقريته
٣ ـ ولمحمود العبطة : عثمان الموصلي في بغداد
٤ ـ ولجلال الحنفي : المغنون البغداديون والمقام العراقي
٥ ـ وللعلاف : بغداد القديمة
ومن الدوريات مقال لمجلة اليقين ١٩٢٢ ومقال للاستاذ محمد بهجة الاثرى في « لغة العرب » ١٩٢٦ ، والمناهل : عبد الرزاق بستانة ..

■ د. أحمد زكى كمال ■

الفيلسـوف الفنـان ..



على الرغم من انني استمعت الى الدكتور طه حسين فى اكثر من محاضرة عن الادب الاسلامى فى اربعينات هذا القرن ـ وكان ذلك داخل احـد مدرجي كلية الاداب الكبيرين ـ فاننى لم اجلس اليه سوى ثلاث مرات . وجاءت المرات الثلاث بعد نقـد قصـدت به مجموعته القصصية « المعذبون فى الارض » وكان قد نشر فى احد اعداد مجلة الثقافة قبل ان تحتجب احتجابها الاول فى نهاية عام ١٩٥٢

طه حسين

.. صاحب البصيرة والإرادة

كان النقد حادا وبعيدا عن الموضوعية ، قررت فيه — أنا الشاب المتطاول — أن عميد الادب وقائد الفكر ومؤرخ الاسلام لا يستطيع أن يكتب القصة في مفهومها الدقيق، وأنه بورجوازى لم يكابدعذاب الفقراء وجاء حديثه عنهم من أجل ذلك مصطنعا متكلفا .

ولقد ذكر لي استاذي المرحوم محمد كامل حسين ان طه حسين سأل عني في احتجاج، ثم لما علم انني احد خريجي القسم الذي شارك في انشائه بكلية الآداب رماني بالعقوق والجحود ثم سكت . وفي هذه الاثناء شرعت في تقديم مشروع بحثي عن « الحياة الادبية في البصرة الي نهاية القرن الثاني الهجري» كرسالة دكتوراه، ووافقت كلية آداب القاهرة عليه ، الا أن احداثا طرأت في ضوء التغيرات التي اصابت المجتمع المصري عقب ثورة يوليو المعروفة ، ومس الكلية منها أشياء كان من جرائها استبدال الدكتور طه حسين — وقد اسندت اليه رئاسة قسم اللغة العربية — بالاستاذ احمد الشايب بعد نقله الى كلية دار العلوم .

ولا انكر انني توجست الا انال خيلة ، وطمأنني المرحوم محمد فريد أبوحديد ، وهيأ لي اللقاء الاول في نادي القصة — وكان ميدان التحرير مقره — الا ان اللقاء لم يسعدني ، لأن عميد الادب بدا مقضبا وتجاهلني تماما .

وبحدد موعد اللقاء الثاني — وكنت قد قطعت شوطا في كتابة الفصول الاولى من الرسالة — واذا انا امام بحر يكسح بموجه كل فكرة اقولها وكل احتجاج ادلى به ، وفي رقة يشوبها شيء من السخرية نصحني باختيار موضوع آخر ، لان حياة البصرة الادبية أكبر من أن يقدر عليها مثلي !

وركبني عفريت العناد ، وسعيت حتى حدد لي الدكتور طه حسين موعدا للقاء الثالث في بيته . وكالعادة كنت أعددت له كل شيء ، وسجلت نقطا على امور ظننت انه سيسألني فيهما . الا انني



د. شوقي ضيف.. الدراسات العلمية الشيقة..

فوجئت به يقول وهو في جلسته الهادئة بحدبقة داره « ان كنت فعلت شيئا مما امرتك به فاعلا بك ، والا فلبابي الذي الذى دخلت منه مخرج لك » .

وعبثا حاولت أن أقنعه، ولم يتزحزح هو الا بمقدار ابتسامة باهتة لاحت على

شفتيه .. وفي غمرة النقاش سألت ان كان لمقالي النقدي عن المذيبين أثر في موقفه ، فاستضحك قائلا : « أنا لا أذكر لك اي مقال ، ولكني انصحك بشيئين : ألا تشغل غيرك بصغار تفله أنت قيمة ، والا تمل نصح من يصدقك النصح » .

وحملت كل هذا لشخص كان يحبه الدكتور طه حسين ، وهو المرحوم مصطفى السقا — استاذ النحو بالكلية — فاتصل به ، وعاد لي ليقول « حدثني عنك معالي الوزير — يقصد الدكتور طه — حديثا طيبا، وذكر ان فيك غرورا وطيشا عرفهما في نفسه منذ تصدى بالنقد لأمثـــال جرجي زيدان ، فاذا كانت لديك الارادة فسوف تستطيع ان تنجز ما لا تستطيع ثقافتك انجازه ، وهو شخصيا فعل بارادته الكثير » .

وهكذا تفتحت امامي أبواب الامل ، وحاولت الاتصال به كي أعاهده على ان أكون أحسن تلاميذه . ولكن الظروف حالت بيني وبينه ، اذ ترك هو الكلية الى غير رجعة ، وتولت الدكتورة سهير القلماوي — تلميذته الاثيرة — مهمـــة الاشراف والتوجيه .

الدرس المستفاد

الارادة أو قوة الارادة هي ما يمكن ان يبدو في حياة عميد الادب .. حياته كلها ارادة صلبة ، وقد واجه بشجاعة كل تحديات الايام تحدوه بصيرة قلمـــا تتاح الا للعباقرة الافذاذ . وتمكن منذ عرف طريقه الى الصحافة — وهو دون العشرين — من أن يفـــرض على غيره ما يريد ، وكان اذذاك قد انتسب الى كلية الاداب وسجل عدة انتصارات أظفرته

بالدكتوراه في سنة ١٩١٤ وحيـــات له الفرصة ليذهب الى فرنســـا مرتين ، فيحصل على دكتوراه السوربون ثم دبلوم الدراسات العليا بعد أن قرأ بالفرنسية — فيما قرأ — أحد عشر جزءا كتبهـــا مومســـن في القـــانون المدني والقانون الجنائي الرومانيين .

وكانت ذكرياته — وهو في باريس — من أيامه الاولى ابتداء من مجاهداته في « كتاب » الشيخ نحلة والى سكناه مع « المجاورين » في حوش عطا وأكله من الزوادة القددة وعيش الجراية ثم الى

زواجه من « ذات الصوت العذب الذى كان نعيمه الوحيد في حياته التالية » .. كانت هذه الذكريات تملأ نفســه عزما وتفتح امامه مجالات رحبة للتصور الدقيق والاخاذ ، بل لقد اهتدى الى كثير من القيم الفكرية والفنية عملت فيمـــا بعد على تشكيله التشكيل الذى تفرد به دون كتاب مصر أجمعين ، وخلعت عليه الالقاب الرفيعة .

وبالتبصر الذى تدعمه الارادة تمكن — في عناد — من أن يبلور في حياتنا الفكرية والفنية بذور الحرية والخير والجمال ، ويبث فينا القوة على أن نخلع ثياب التقليد وننزع الى التجديد طارحين أكثر ما اتفق على تقديره أو تقديســه شيوخ الجيل .

وهو من أجل ذلك خاصم الشيخ محمد المهدي لا لانه أصر على ان يهبط بتقديره بعد مناقشته للدكتوراه ، وانما لانه كان يتمسح بالقـــديم ويتمسك بمنهج في

فدرسه بعيد أشد البعد عن منـــاهج الحداثيين في فرنسا .

وهو يتحـــدى على الشمسي وزير المعارف – في وزارة الوفد – حتى يعينه عميدا لكلية الاداب يوما واحدا .

وفي وزارة صدقي يعود الى العمادة وبعد يومين يطلب منه ان يستقيل منها ليتولى تحرير جريدة « الشعب » لسان حال الحزب الذى انشاه رئيس الوزارة ، ولكنه يرفض مؤثرا البقاء في الجامعـة وعندما يطلب اليه ان يوافق على منح كل من على ماهر وعبد العـــزيز فهمي وتوفيـــق رفعت وابراهيم يحيى درجة الدكتوراه سنة ١٩٣٢ يعود الى الرفض فينتهى الامر باقالته .

وفي العام التالي يتقرب اليه النحاس باشا ويطلب اليه ان يكتب في جريدة « كوكب الشرق » فيقبل ، ثم يختلف مع حافظ عوض رئيس تحريرها ، فيتركهـا غير آبه بتوسلات زعيم الوفد .

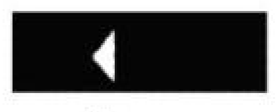
وعندما عين وزيرا للمعارف وزحفت الى الوزارة الجمو عالغاضبة عليه ، خرج اليها وكال لها بالكيل الذى كالت له به ، وقرر اذ ذاك أن في نفسه امورا تجعله يرفض التسامح والاغضاء ، ثم توارى بعد ذلك كرجل سياسي ، ولكن كتاباته راحت تتوالى على مدى السنين . ولـــما شرع الكتاب « الظليميون » يسخرون من أساليب فكره ومن مفاهيم ثقافته ، التحم معهم ، وتمكن بسهولة من أن يطرد منه اشباح الوحدة والوحشة ، وكانت قد احدقت به تماما . وعلى شاشة التليفزيون واجه خصومه بالمنطق الواعي والتبصر الرشيد ، وكانما كان يذكرهم بأنه أول من دعا الى التجـــديد ، وأول من نبه الى أدب الوجـــوديين ، وأول من عرض لادب السود ، وأول من اصطنع الشـــك الديكارتي للوصول الى اليقين ، وشتان بين كاتب يكون قلمه بشيرا بالجـــديد الاكد ، وكاتب يكون قلمه نذيرا بالجهامة والاتحاء على النفس القلقـــة بالاجترار والتذكار !

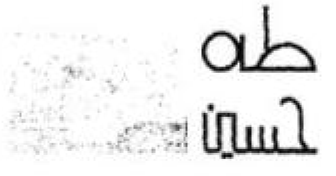
في تلك الاونة – وقد صار العميد شيخا هادىء الطبع – ظهرت أصالته ، أو عرفت حقيقته . واذا كل الجهـــود الادبية والعلمية التي نهضت بها محافلنا الثقافية لا تخرج في الواقع عن كونها جزءا منه أو فيض بصيرته ، واذا هـــو بهذه الجهود التي تمثلهـــا محاضراته ونشرياته وكتبه الكاتب المشرع والناقد الفلسف . وكانت القريحة التي اعتاد المثقفون أن يستجدوها معتصرين بهـــا اذهانهم واصابعهم ثانيه طوعا لتقول انه في هذا العصر معجزة الايام .

ولئن بدت مكانته – ككـــاتب وكناقد مبدع – محل خلاف مثلما كانت صفات الريادة التي قوم بها رواد الجيل الماضي ، فالدراسات الهائلة التي كتبها بأناة فيما بين ساعات العمل وأوقات الرحلة السنوية الى اوربا – ليفلسف بها التاريخ والمجتمع والثقافة – انما هي تنضح بالجديد الذى اشرنا اليه . وكم كان عظيما أن يكتب قصة حياته كانما ليقول في ايجاز : هانا انا نقطة تساؤل او علامة استفهام ، لكن الى اى حد يغدو النتاجي العـــلمي من وجهة نظر النقـــد الذى اشفقه بداية الكلام ؟

اجل ...

هو كشاعر قضية تحتاج الى مراجعة ، وهو كقصاص وضع « شجرة البؤس » و « دعاء الكروان » و « المعـــذبون في الارض » ونحوها قضية اخرى لا تزال تنتظر الحكم – ودعوا حكمي انا – الا انه كواضع لكتاب « مستقبل الثقافة في مصر » و « في الشعر الجاهلي » و « نفوس للبيع » و « خصام ونقد » و « قادة الفكر » و « الظاهرة الدينية عنـــد اليونان » و « الفتنة الكبرى » يلعب دورا خارقا في اقامة صرح لا يختلف على ضخامته احد . ولئن كان هذا الصرح تخطئـه العين الغاضبة احيانا وتنال منه الشناة





احيانا اخرى ، فلن من المؤكد انه سيظل معلما من معالم مصر وعنوانا لصفحات عربية اسلامية مشرقة .

ان علمه الدقيق المتخصص ، ورؤيته العميقة النفاذة ، وثقافته المتنوعة الرحبة .. كلها تتداخل وتتناغم ، وكلها لا تجعل منه كاتبا مشهورا فحسب — على مايعتقد الكثيرون، وانما ايضا تضعه في مصاف الفلاسفة ... لا فلاسفة الفكر المجرد والنظريات الجامدة ، ولكن فلاسفة اليوطوبيات التى تذيبها حرارة الفن .

الساحر بفصاحة بيانه

عندما بلغ عميدنا السبعين من عمره، تقدم بعض اصدقائه وتلاميذه بمجموعة من الكتابات اشرف عليها الدكتور عبد الرحمن بدوى . وقيل في تقديمها انها هدية الى العلم الشامخ في الادب المعاصر ، ورائد النزعة الانسانية في الفكر العربي الحديث وصاحب الفكر الحر الذى ادخل منهج النقد التاريخى الوثيق في دراسة التراث الجاهلى .

وعلى الرغم من ان صاحب التقديم — وهوالدكتور بدوى — لم يجعل في الكتاب مكانا إلا للدراسات العلمية يكتبها امثال خليل ثامر، وشارل بلا، وشوقى ضيف، ودى بوركى ، والسيد يعقوب بكر ، وماسينيون ، ولطفى عبد البديع ،وجرو بناوم ، فانه لم ينس أن ينبه الى ان هذا الرائد انشأ أجمل ترجمة ذاتية عرفها أدبنا واسهم في ايجاد القصة العاصرة لتستوى على النمط العالى .

وفي هذا تركيد منه الى الجانب الفنى الذى صاغ كل اعمال طه حسين ، لا بأسلوبه الانيق فحسب ، وانما كذلك بخياله وطرافة اوصافه . وفي زعمى ان الافكار اللماحة التى تشف على اثار العميد باستمرار ضوءا ساحرا انما مبعثها روح الفن الذى تتقمصه . حقيقة لا يسفر شعره في جملته من هذه الروح ، غير أن اثاره كلها تحفل بالباهر الآلق الذى يثبت امام ادق امتحان تواجهه بها استاطيقيات العصر .

ومرة أخرى لا انوه باسلوبه الذى ورد عنه شىء في تقديم الدراسات المهداة « الى الساحر بفصاحة لسانه ونصاعة بيانه وعذوبة موسيقى اسلوبه وايقاع كلماته ونبراته » ولكنى انبه الى تصوراته . ففى هذه التصورات وحدها يكمن الفيلسوف الفنان ، فيها نراه يجول بفكره خفيفا رشيقا ويحلق بين سموات لانهاية تتسع وتظل تتسع حتى تصبح كلها الوجود ...

في هذه التصورات — اقول — تتألق المعانى الكبيرة التى تابلنى بها ثلاث مرات ، والمعانى الاكبر التى تشيء بها قصة حياته بما فيها من مطاردات وانكسارات وتحديات ...

فيها باختصار مفاتيح الارادة عنده ومناقد البصيرة التى يطل منها ...

والا فكم يكون من العبث أن نقرأ « الايام » باعتبارها سيرة ذاتية فقط، وهل هى شيء لو لم تكن الحاحا على تأكيد حرية الفكر بطريقة فنية تعتمد الصور الوصفية التى لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة من صفحات الكتاب ! والمدهش ان الدكتور العميد نفسه يؤكد انه « صور » بالايام همومه التى نذع بها ابان اضطهاده لرأى جديد خص به شعرنا القديم .

ريشة الفنان التامل

ويرى الدكتور عبد الحميد يونس في بحث قيم نشر في مجلة « الهلال »

من طه حسين ان رواية « أديب » التي كتبها طه حسين ليست الا تصويرا قنيا لموقف الساطة من المفكر الحر حتى لا تجد

امامها الى احالته الى التقاعد ، يشير بذلك الى ابعاد العميد من الجامعة سنة ١٩٣٢ ، فقدم من ثم صورا دامية تعد في رأيي ابشع ما يمكن أن يصيب المرء اذا استبد به الطغيان .

واكبر الظن ان دخوله على معظم كتبه كان دخول المصور فابو العلاء في سجنه — وقد كان يريد ان يكون حرا — هو طه حسين نفسه ، ومن ثم ينبغي ان « يقص » علينا بسرد شائق كيف يقعد ويقرأ وكيف يأكل ويشرب وكيف يتصرف مع نفسه ويتصرف مع غيره .

ولقد يمقت المتنبي الا انه يجعل من حياته صورا يستمدها من الشعر والتاريخ جميعا ، ويتوسل الى ذلك بمدخل قصصي عن شغله بالشاعر وصحبته اياه — في ديوانه — الى اوربا وكيف انصرف اليه ليتسى به الدنيا كما نسيها مع أبي العلاء .

اما الوليد بن يزيد ومطيع بن اياس وقيس بن ذريح وبشار بن برد وعمر بن ابي ربيعة — ومثلهم كثير — فصور مختلفة لتحديات الظروف والاوضاع ،

غير ان حديثه عنهم لم يكن حديث المتعالم المتشدق بقدر ما كان حديث المتباسر المتفنن ... كلهم مرايات الوان ومقابلات اذواق وشفافية رؤى ، وتحولهم

من حال الى حال يشبه تحوله هو من القرية الى القاهرة ومن القاهرة الى مونبلييه او باريس ، ومن الجامعة الى الصحافة ومن الصحافة الى البيت ومن البيت العتيق الذى يسكنه المجاورون الى البيت الفخم الذى ينفرد فيه بنفسه انفراد الفيلسوف ..

فالوليد بن يزيد مثلا كان خليعا ماجنا « ويقول الرواة انه كان زعيم

اصحاب الخلاعة والمجون ، تبعه ابونواس في خلاعته ومجونه ، وتبعه غير ابي نواس من شعراء هذا العصر » . ولقد كرهه الامويون ، كما كرهه العباسيون ، كرهه الاولون لخلاعته ، وكرهه الاخرون لامويته ، فكانت كراهية الناس له مضاعفة .

وقيس بن ذريح قصة جيدة حقا « لا ينبغي ان تقرن الى هذا السخف الذى تحدث الرواة به عن المجنون ولا الى هذا الفتور الذى ذكروا به حب جميل » .

وعمر بن ابي ربيعة انقطع للعشق شطرا من حياته وللنسك الهادىء شطرا آخر ، وقد عقد علاقات غرامية مشروعة مع شريفات عصره « ولكن أنستطيع ان تقول ان سيرة عمر مع النساء جميعا كانت كسيرته مع هؤلاء الشريفات ؟ » .

وهكذا يأخذنا طه حسين ، او فلنقل يصطحبنا الى عصر كل شاعر ويكشف بريشة الفنان المتأمل عن نفسيته وملامحه ، ليعيننا على التقويم والنقد ويدلنا باقرب سبيل من الابتكار الذى صدر عنه كل شاعر ، وعلى الابتكار الذى صدر هو عنه وهو يروى حكايات المتقدمين .

على أنني ما قصدت الى ذلك فحسب ، ولكني اردت كذلك ان اقول ان تعبيره الذى يعتمد القص يعتمد في الوقت نفسه استنفار الخيال ، فكل ما امامنا وارد



الفنان .... طه حسين : أبو القصة الأولى

في الكتب القديمة كالأغاني والعقد ، لكن رواية طه حسين له قائمة على التصوير الذي يكمل المشهد او يبرزه ، حتى ليكون الصوت ابيض احيانا ، والاشجار الباسقة الشاهقة في السماء تبدو كأنها لبست من ضوء القمر اردية تقبة ناصعة ، وربما اصبح وجه الانسان عنده صورة رائعة للقبح — وتلك نظرة استاطيقية — وكان النوم ذراعان حانيتان تطوقان عنق الملك الفترين في كثير من الرحمة والحنان !

ولعل كتابي طه حسين « على هامش السيرة » و « احلام شهر زاد » وكلاهما يستند الى افكار سياسية واجتماعية



تبلور فلسفته او وجهة نظره في الحياة العادلة المتكافئة .. لعل ذينك الكتابين بعد « الايام » و « جنة الشوك » و « المعذبون في الارض » آلرى ماسطره طه حسين بالطريقة التصويرية التي تستلهم الخيال وتسترفد البصيرة .

ومن ينكر على « قاتنة » حيويتها وخصوبتها وجلال قدرها — وهى العذراء المتفجعة — ازاء ملوك الجن وخوف ابيها عليها ان هو مات أو اسر في معركة ، فهنا دموعها حائرة تدفعها الرحمة لابيها ويمسكها الاشفاق عليه ان يزداد حزنا على حزن واكتئابا على اكتئاب ؟ هذه العذراء المتفجعة القوية تبدو في موقف آخر سياسية محنكة ، وتقابل وزير ابيها الذي يحمل الانباء السيئة بنظرة باسمة ساخرة ، واذ تنشب الحرب في موقف ثالث تظل قاتنة « ثابتة باسمة كأن شيئا لم يتغير من حولها وكأن حدثا لم يحدث ، وانما هي قائمة كعهدها آنفا حين كانت تنظر الى مجلس الحرب في كثير من السخرية وفي كثير من الرثاء ، وحين كانت تنظر الى ابيها في كثير من الرحمة والحب وفي كثير من الاكبار والاجلال » .

وفي « المعذبون في الارض » نرى هذا الكلف بالصور النادرة التي تقوم اساسا — داخل اطار القص — على التشبيهات الايهامية التي طالما فزع اليها امثال بشار وأبي العلاء في أدبنا القديم ، جاعلا عماد مادته رهافة الحس وتوافق ادراك العلاقات بين الامور على قاعدة حدسية ، وهذه القاعدة الحدسية نفسها قد تقيس الاثار المتطورة بالاشياء المسموعة او الملونة ، فتبدو من هنا صدى لفلسفته الاجتماعية ، اقصد وجهة نظره في العدالة والحرية والحق .

وقد بدأ ذلك في الحقيقة ببداية حياته الادبية كلها ، وحين اخذ ينشر الشعر الذي يقرضه وهو بعد دون العشرين ، وكان يتفق مع اديب له ظروفه الخاصة بعد ذهاب بصره في واقعة اعمال خطيرة ، الا انه اصبح اتجاها عاما يقصد اليه قصدا وبخاصة عندما يصبح عليه ان يدلي بآرائه السياسية التي لم تكن تعجب احدا او بآرائه الاجتماعية التي تناقش كثيرا من القضايا الحياتية التي تجمدت بدعوى الحفاظ على التقاليد .

ولانه لم يكن شاعرا اساسا فقد ضيع التصوير المتلف في عبارات تقريرية اجمل ما صيغ بها غزلياته التي منها :

شادن عطف عطفة الحبيب
بعد ما صدف صدفة الملول

وانما ورد التصوير في رموزه وخيالاته التي صدر عنها في مثل « جنة الحيوان » وكلها تتناسب مع ارائه في المجتمع الذي يعيش فيه ويمتلىء بالنفاق والحجر على المترق والماح المجال للحرية كي يعيش المستضعفون . وفي « المعذبون في الارض »

نرى حشدا من الرؤى الاجتماعية المعبرة تحلل بالالوان حلولها بالاصوات ، وتتحول برشاقة الى مقطوعات نادرة من الايقاعات اللونية والمساحات الظلية تتقارب على تنائى الشقة بينها . ولنقرأ « قاسم » او « خديجة » او « رفيق » فسوف نرى الموقف الانسانى والابعاد النفسية وعناصر البيئة الريفية كلها تشكل لحنا مؤثرا وتجمع فى قدرة متأملة متبصرة بين الالالة وعذارى الماء وظلمة الليل القاتمة وصوت الجو الذى يأتى نشيلا نحيلا ماضيا الى الشرق ، وفى ثنايا ذلك كله « فكر فى موقف ورأى فى تطبيق » معانه يسوقهما سوق الشاعر او الاديب .

انه يفلسف الصورة لانه لا يريد ان يحلم او يهوم بلا غاية ، انه قد « يهدم الهدم » وقد يقع « فى اول النوم وآخر اليقظة » و « قد تثوب الشيخة الى نفسها بعد ان شكت غير طويل » وقد تسعى الازمة ايام عمر بن الخطاب « متمهلة متأنية ، ولكنها مستوثقة من نفسها ملحة فى سعيها ، واذا اهل البادية قد اجدبوا واشتد عليهم الجدب ، فلم يفكروا الا فى ان يهرعوا الى خليفتهم » .

تلك لوحات ترسم بقظة الفيلسوف الشاعرة ، يريد بها أن يحكم ارادته فى البناء وفى الصبر على الشدائد وفى تحقيق ما يرجو مما يتلاءم مع فكره وشخصيته .

وهل يمكن ان نزعم أن « المعذبون فى الارض » شىء آخر غير محاولة لهدم الهدم ، وبأى وسيلة غير وسيلة طه حسين يمكن أن تجعل العدالة حقيقة وممارسة ايجابية ! ..

ولعلنا نواجه منه دعوة صريحة الى اعتماد العقل كأساس للمعرفة وبخاصة فى دراساته العلمية ، غير انه يؤكد أن العقل وحده ليس كل شىء ، فالفرق الاسلامية ـ مثلا ـ لم يقع بينها الشقاق الا لان اصحابها « امنوا بالعقل وحكموه فى كل شىء وزعموا انه وحده مصدر المعرفة » انهم لم يكونوا عمليين ، ولم تكن لهم الارادة على فهم الجانب الطيب من الحياة ، ولم يتقربوا من جماليات الوجود مع أن فيها قيم الخير والحرية والعدالة .

وكذلك أبو العلاء ، رفض نعيم الدنيا بلا مبرر ، وافتقد الارادة التى كان من الممكن ان تلغى عملية الفصام بين العقل والحس ، وبين الفكر والجمال وبين النظر والعمل ، فكان نصف حى او نصف ميت مع أن استعداده الفنى الذى ظهر فى « رسالة الغفران » بخاصة كان يؤهله لوفاق بين واقعه الفكرى وواقعه الاجتماعى .

ختام ..

وبعد ، فان الحديث يطول عن عميد الادب صاحب البصيرة والارادة .

لقد جابهنى وصدمنى ، ولكنه كان يعلمنى .

صرفنى عن التشتم الى ممارسة الارادة وعلمنى ان اعمل من اجل الحرية العملية ، وقدم لى نماذج للقوة المفكرة المريدة التى لا تفتقد قيم الفن ورهافة الاحساس .

واذا كنت قد عاتبته ـ انا الناشىء المتطاول ـ من اجل المعذبين فلأننى لم أكن أفهم منهجه الفكرى العملى ، وعجزت يومها عن تصور الصراع الاجتماعى الذى اعتمل فى نفسه وصادف رغبته فى ضرورة التغيير الاجتماعى ، ولم يجد الا أسلوب القص والتصوير ليكتم الفرقعة ويلون الكارثة بلون النذير .

اما اليوم فانى ارجو ان أضع عميد الادب ورائد الفكر وعلم الثقافة بجانب نيلنا الذى يشكلنا ويصنع حضارتنا .

ان طه حسين هو النيل الذى أوجده النيل ، وسيعيش ما دام يجرى فى وادينا منه عرق واحد بالعطاء ..

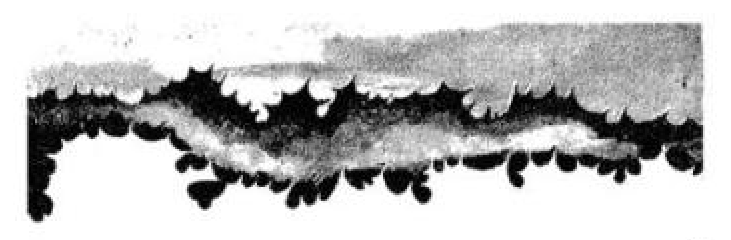
◆

محمد
عبدالغنى
حسن

الشيخ حسين المرصفى

رائد دراسة تاريخ الأدب العربى الحديث

كان الشيخ حسين بن احمد المرصفى رائداً فى موضوعه ، فى العصر الحديث ، كما كان بشار ابن برد ، وابو العلاء المعرى ، وابو الحسن الحصرى القيروانى – صاحب قصيدة : « يا ليل الصب متى غده » ، وابن مكرم – او ابن منظور الافريقى صاحب « لسان العرب » وغيرهم من اصحاب البصائر الرواد فى العصر القديم .





لقد كان الشيخ حسين المرصفي من الاذكياء النادرى الذكاء ، فى أهل زماننا ، وهو بهذا لم يكن شاذا عن اصحاب البصائر فى كل زمان ومكان . فأن الله قد عوضهم من نور بصائرهم ، وهو تعويض لم يعدم له تعليلا علميا وجيها ، ولا سببا واضحا مقبولا ، كما فعل الاديب الشاعر اللماح ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، حين قال فى تعليله لظاهرة الذكاء النادر ، والحافظة القوية الواعية عند أصحاب البصائر : (.. قل ان وجد اعمى بليدا . ولا يرى أعمى الا وهو ذكى والسبب الذى أراه فى ذلك ان ذهن الاعمى وفكره يجتمع عليه ، ولا يعود متشعبا بما يراه . ونحن نرى الانسان ـ اذا أراد ان يتذكر شيئا نسيه ـ اغمض عينيه وفكر ، فيقع على ما شرد من حافظته ...)

ولقد أورد « الصفدى » من نوادر أصحاب البصائر التى سمع عنها من أهل الثقة ، أو رآها هو بعينه . ما تقضى منه النفس عجبا ، كالذى رواه له وحدثه به الشيخ يحيى الحموى قال : كان عندنا فى « حماة » أعمى يعرف بنجم ، يلعب بالحمام ، ويصيد الطير الغريب . فاستبعدت صيد الطائر الغريب ، فقال لى : سألته عن ذلك ، فقال : (ان طيورى أبخرها ببخور أعرفه وأطيرها ، فاذا طارت ونزلت ومعها الطير الغريب هدرت حوله فأعرف أن معها غريبا ، فارمى العب (١) على الجميع ، وآخذها واحدا بعد واحد فأشمه ، فالذى ليس فيه شىء من بخورى أعرف انه غريب فاصطاده ...)

وكالذى حكاه الصفدى عن مشاهدة له بمصر قال : (وأما أنا ، فقد رأيت فى الديار المصرية انسانا يعرف بعلاء الدين بن قيران ، أعمى . وهو عالية فى الشطرنج يلعب ويتحدث وينشد الشعر ، ويتوجه الى بيت الخلاء ، ويعود الى اللعب ، ولا يتغير عليه نقل شىء من قطع الشطرنج . وهذا معروف يعرفه أصحابنا فى القاهرة) .

فالشيخ حسين المرصفي صاحب « الوسيلة الادبية » ، لم يخرج فى شدة ذكائه ، وقوة حفظه ، عما عليه اخوانه أصحاب البصائر جميعا ، مما ترى طرائفهم ونوادرهم فى كتاب « نكت الهميان » للأديب المؤرخ الشاعر خليل ابن أيبك الصفدى الذى حققه ونشره المرحوم أحمد زكى باشا كاتب أسرار مجلس النظار سنة ١٩١١ م .

---

(١) العب ، بضم العين عصا طويلة فى أحد طرفيها دائرة فيها شبكة ترمى على الطير فيمسكه الصائد .

ولك ظلم الشيخ حسين المرصفي عند مؤرخي الادب وكتاب التراجم المحدثين. فلم نجد له الا ترجمة يسيرة في بضعة أسطر كتبها عنه صديقه الرائد المصلح علي باشا مبارك في كتابه العظيم : الخطط التوفيقية ، وهو يتحدث عن قرية مرصفا ، أو مرصفى التي ينسب اليها الشيخ حسين المرصفي ، كما ينسب اليها ، المراصفة ، جميعاً ، الذين كان لهم مشاركة في العلم والادب والتصوف والصحافة . وهذا الميدان الاخير قد برز فيه المرحوم محمد حسن نائل المرصفي زميل طه حسين وأحمد حسن الزيات في الازهر ، وصاحب مجلة ، الجديد ، التي انشأها سنة ١٩٢٧ ، فكانت تحفة من تحف الصحافة الادبية المعاصرة الى سنة ١٩٣٢ .

وتوالت التراجم اليسيرة الوجيزة لصاحب ، الوسيلة الادبية ، في ايجاز شديد عند الاب لويس شيخو اليسوعي في كتابه ، الاداب العربية في القرن التاسع عشر ، ، وعند المؤرخ المنصف عبد الرحمن الرافعي ـ وهو يترجم لاعلام الادب في ، عصر اسماعيل ، ـ ولكن المؤرخين وكتاب التراجم بعد ذلك نسوه . فأغفله حسن السندوبي في كتابه : ، أعيان البيان ، ، كما أغفله العلامة أحمد تيمور باشا في كتابه : ، تراجم أعيان القرن التاسع عشر ، الذي ترجم فيه لاربعة وعشرين علما من اعلام البيان والادب والشعر ، منهم الشيخ احمد مفتاح تلميذ المرصفي في دار العلوم . وشبيه بهذا الاغفال ما صنعه جرجي زيدان في كتابه المشهور : ، تراجم مشاهير الشرق ، ، فقد ترجم في هذا الكتاب الجليل لاكثر من تسعين علما من أعلام النهضة في القرن التاسع عشر ، لم يكن حسين المرصفي من بينهم

ومن الحق أن أقول في غير مباهاة ولا من أن الدراسة المفصلة التي كتبتها عن الشيخ حسين المرصفي في كتابي ، أعلام من الشرق والغرب ، كانت أول انصاف لهذا الرائد المغمور ، وأول تنبيه للانظار اليه . فما كادت هذه الدراسة تظهر سنة ١٩٤٩ حتى أصدر الاستاذ الباحث اللغوي المرحوم محمد عبد الجواد صاحب ، تقويم دار العلوم ، كتابا قائما بذاته عن الشيخ حسين المرصفي صدر عن دار المعارف سنة ١٩٥٢ ، ثم جاء المرحوم الدكتور محمد مندور بعد ذلك فكتب بحثا عن كتاب ، الوسيلة الادبية ، للمرصفي في مجلة ، المجلة ، ، اشاد فيه بمنزلة المرصفي ومكانته في النقد الادبي في نهضتنا الادبية المعاصرة . وان كان الدكتور مندور ـ رحمه الله ـ قد اختلط عليه

علي مبارك : اشاد بجهود الشيخ المرصفي لاجادته الفرنسية





عبد الرحمن الرافعي : كتب عن الوسيلة الأدبية للشيخ المرصفي

الامر بين نصوص المؤرخ ابن خلدون في الشعر العربي ، ونصوص صاحب الوسيلة ، فنسب الى الشيخ حسين المرصفي كل كلام ابن خلدون ، وأسس عليه احكاما ، وبنى عليه نتائج ، ونسب له فضلا كان أولى به صاحبه الاصلي ابن خلدون ٠

ولقد كان اثير خلاف حول بصر الشيخ حسين المرصفي : أولد اكمه كما ولد الشاعر بشار بن برد مثلا ، أم فقد بصره بعد مولده ؟ ولقد حسم المرحوم الاستاذ محمد عبدالجواد القضية بقوله : (وقد علمنا فيما روى عن ابنه المرحوم الشيخ عبد العزيز ، أن الشيخ قد أصابته ـ وهو في الثالثة من عمره ـ علة ذهبت ببصره ، وبهذا يذهب التشكك في سبب عدم ابصاره ، على انى كنت سألت تلميذه : عبد الرحيم سليم بك عن ذلك ، فأخبرني أن كان بعينيه آثار العلة ٠٠٠)

ومهما يكن من علة نور البصر عند الشيخ حسين المرصفي فنحن لا نملك انفسنا من الاعجاب بهذا الرائد الذي لم يمنعه فقدان نور العينين من ان يجعل الله منه نورا لقومه في القرن التاسع عشر ، ومن ان يحتل مكانه في تاريخ مصر الحديثة بين بناة نهضتها العقلية ٠

لقد كان الشيخ حسين المرصفي نزاعا الى التحرر والانفلات مما يقيده في قيود القناعة بأدنى مطلوب ، فاتجه خالصا الى ان يتعلم القراءة والكتابة على طريقة برايل Braille التي ادخلت الى مصر حديثا في ذلك العهد ٠ فالتحق بمدرسة العميان والخرس التي انشاها الخديو اسماعيل في فبراير سنة ١٨٧٥ تحت نظارة المرحوم محمد انسى بك ٠ ولا شك أن المرصفي لم يكن صغير السن حين التحق بهذه المدرسة ، فنحن نجهل تاريخ مولده ، الا أنه وهو مدرس بدار العلوم ـ أي بعد حصوله على العالمية بوقت طويل ـ وجمع فيها بين التدريس بها والدراسة فيها ، فكان معلما وتلميذا في الوقت نفسه

● فيض من المعرفة ●

وما ان اتم الشيخ حسين المرصفي صاحب الوسيلة الادبية تعليمه في الازهر حتى عين مدرسا ٠ وقد اخذت اتجاهاته الادبية ، وميوله في النقد والبيان والتذوق الادبي تظهر في دروسه التي كان يلقيها على طلاب الازهر ٠ فلم يهتم بعلوم الفقه والاصول والتفسير والحديث والتوحيد والمنطق والصرف والنحو اهتمامه بعلوم الادب والبيان والنقد، بل كان ينزع في دروسه وحلقاته بالازهر الشريف منزعا ادبيا خالصا ، ويتجه متجها بيانيا واضحا ، الى حد ان بعض المؤرخين ذكر انه كان يقرأ في دروسه كتب اعلام البلاغة ، ودواوين متقدمي الشعراء ٠

وظل الشيخ حسين المرصفي يلقي دروسه في الازهر الى شهر ربيع الآخر سنة ١٢٨٨ هـ ـ يوليو سنة ١٨٧١ م ٠ ففي ذلك التاريخ وفي عهد نظارة علي باشا مبارك الثانية للمعارف المصرية ، نظمت دروس عامة بالمدرج الذي كان يسمى « دار العلوم » بسراي درب الجماميز ـ كما يذكر مؤرخ التعليم في مصر أمين سامي باشا ـ وكان يستمع الى هذه الدروس العامة أو المحاضرات طلاب المعاهد العالية ، وفريق من طلاب الازهر الراغبين في استكمال معارفهم ، وتنويع ثقافاتهم ٠ وبلغ من اهتمام أولي الامر بهذه المحاضرات ان على



محمد حسن نائل المرصفي : انشأ مجلة « الجديد » تحفة الصحافة الادبية سنة ١٩٢٧ ...

مبارك باشا نفسه ، ومعه فريق كبير من رجال المعارف وموظفي الحكومة كانوا يواظبون على حضورها تشجيعا لجماهير الشعب على شهودها والانتظام فيها .

وربئى فى هذه المحاضرات أن تزود المستمع بفيض من المعرفة فى ميادين مختلفة من الأدب والفن والعلم واختير للمحاضرة فيها نفر من ذوى الاصالة والقدرة والتمكن فى موضوعاتهم ، فكان الشيخ حسين المرصفي للعلوم الادبية والبيانية ، وبروكش باشا للتاريخ العام ، والمسيو بكتيت لعلوم الطبيعة ، وفرانس باشا لفن العمارة والبناء ، وفيدال باشا لعلم الطرق الحديدية ، والشيخ أحمد المرصفى (٢) مواطن الشيخ حسين وبلديه ـ للتفسير والحديث ، واسماعيل باشا الفلكي ناظر مدرسة المهندسخانة لعلم الفلك ، والشيخ عبد الرحمن البحراوى للفقه الحنفي ، وأحمد ندى بك لعلم النبات

وبقى الشيخ حسين المرصفي مواظبا على القاء محاضراته ، التى وجد فيها المقبلون عليها والمستمعون لها شيئا جديدا لم يألفوه فى المعاهد العليا ، ولم يسجله المشايخ والطلاب فى الأزهر . فقد كان يعرض نماذج ونصوصا يختارها من الأدب العربي،ويحللها تحليلا أدبيا جميلا ، وينقدها نقدا بلاغيا جماليا ، ويوازن بين بعض النصوص القديمة والحديثة موازنات لم يألفها الناس فى ذلك العصر ولم يسمعوها من قبل

وأوحى نجاح هذه المحاضرات أن يكون هذا المدرج الادبى المسمى بدار العلوم نواة لانشاء « مدرسة دار العلوم » ، التى اقترح نظامها ومناهجها على باشا مبارك سنة ١٨٧٢ . ومنذ ذلك التاريخ انتظمت الدروس فى مدرسة دار العلوم ، وترك الشيخ حسين المرصفى أروقة الأزهر وخلى مكانه فى ذلك المعهد الدينى العريق ،ليكون أول استاذ للأدب العربى والنقد فى دار العلوم ، بل ليكون أول رائد لهما فى العالم العربى فى العصر الحديث

---

(٢) يجب أن يفرق بين حسين المرصفي صاحب الوسيلة الأدبية وبين مراصفة آخرين منهم زميله فى التدريس بدار العلوم : الشيخ أحمد المرصفى مدرس التفسير والحديث ، والشيخ زين المرصفى معاصر حسين المرصفى والعضو معه بمجلس التعليم العالى ، والشيخ سيد بن على المرصفى صاحب كتاب « رغبة الامل » فى شرح كتاب الكامل للمبرد واستاذ الدكتور طه حسين والمتوفى سنة ١٩٣١ ، ومحمد حسن نائل المرصفى زميل طه حسين فى الازهر ورفيق صباه وصاحب مجلة الجديد المشهورة

● رقم قياسي آخر ●

ولقد وضع الشيخ حسين المرصفي بهذا التعيين الجديد في المكان الذي يناسبه ويلائم ميوله الأدبية العالية · وكان أكبر مزاياه- التي جعلت أحكامه في النقد والأدب صحيحة ومقبولة لدى رجال عصره أنه رجل عرف قدر نفسه تمام المعرفة ، فلم يتجاوز بها الى ما وراءها مما ليس في طاقته ، ولا يدخل في قدرته · فقد كان يعرف العروض والقافية · ولكنه لم يهجم على ميدان الشعر ، لأن الشعر كما فهمه هو وكما يفهمه أصحاب النظر السليم هو شيء آخر غير الوزن والقافية ···

وعلى الرغم من قدرته الفائقة على النظم لم يجرؤ على تجربة الشعر حتى يزعم لنفسه شرفا ليس من أهله · وكان يرى ـ بحق ـ أن الملكة اذا لم توات امرأ ، فلا خير من معالجة القريض ، حتى لا يجيء غثا باردا · وكثيرا ما كان يحمل في دروسه ومحاضراته على الشعر الغث البارد ·

ولقد اضطر في احدى المناسبات العارضة ان يمدح صديقه وصفيه محمود سامي البارودي باشا شعرا لانثرا حتى تتم المواءمة بين الممدوح وبين مادة المديح له ··· ولكن احس انه تكلف ما ليس في استعداده وموهبته ، فقدم للابيات التي مدح بها البارودي بقوله : (وعلى أن ليس من طبعي ؟ قول الشعر اما لفوت أوان تحصيل وسائله ، ولم تكن اذ ذاك دواع ترشد اليه ، واما لأن الاستعداد الذي سلف التنبيه على أن لابد منه ، لم يكن في خليقتي ـ انطقني حبه ـ أي حب المرصفي للبارودي ـ بابيات أجملت فيها صفته ···) ثم أعقب هذه التوطئة بالأبيات التالية :

زكا اميري طبعا واعتلى شرفا	فدار حيث تدور الشمس والقمر
ونال ما نال عن كد الرجال فلا	من عليه لشخص حين يفتخر
بفضله كل اهل الارض معترف	كما تصادق فيه الخبر والخبر
لا يجهل الرتبة العلياء يعمرها	ولا يتيه بها ما أعظم الخطر
صحبته وهو سر في مخايله	حتى تحير من اعلائه الكبر
فما أخذت عليه شبه بادرة	ولا تخيلت امرا منه يعتذر
اداله الله تلقي من فضائله	ومن فواضله ما انبت الشجر

وأكاد اقطع بأن هذه الابيات هي كل ما قاله صاحب الوسيلة الأدبية نظما ، وقد ذكرها في الوسيلة « جـ ٢ص ٥٠٢ » ولم أعثر له على أبيات غيرها · وهي ـ كما ترى نظم اعتذر الشيخ منه بأحد عذرين : فوت أوان التحصيل ، وعدم الاستعداد · ولقد انصف الرجل حين وقف به الأدب الى مواتاة طبعه في النثر ، فلم يجاوزه بالشعر الى ما ليس من طبعه ···

ولقد كان في الشيخ حسين المرصفي همة تطوح به الى غايات بعيدة لم يسم اليها كثير من أهل عصره · فقد قامت به حاجة الى تعلم اللغة الفرنسية ، فالقى بين عينيه عزمه لهذه الهمة ، وكان أن خرج من مجلس لعلي باشا مبارك فلم يعد اليه بعد ثلاثة أشهر الا وهو يتكلم الفرنسية في مجلسه ··· وهذا رقم قياسي آخر في تعلم اللغات لم نعرف في تاريخ رجالنا من ادركه · وقد لفتت هذه الظاهرة الغريبة نظر علي مبارك باشا ، فأشار اليها وهو يتحدث عن الشيخ حسين المرصفي في الخطط قائلا : (قرأ الخط العربي والفرنساوي في أقرب زمن ، مع انكفاف بصره)

وقد يكون أحد العوامل النفسية · هو السر في اقبال الشيخ حسين المرصفي

على تعلم اللغة الفرنسية واتقانهـا فى قرابة ثلاثة أشهر . فقد كان الشـيخ « زين المرصفى » مواطنه وبلديه وزميله في عضـوية المجلس العالي للتعليم ، ورصيفه فى الازهر يلم ببعض اللغات الأجنبية كالأنجليزية والتركية ، ويجيد الفرنسية بحكم أسفاره الطويلة الكثيرة الى تركيا وفرنسـا وبحكم انه كان معلما للأمير حسين كامل ، الذى صار فيما بعد سلطانا على مصر بعد حكم الخديو عباس الثانى - فاثر الشـيخ حسين أن يتعلم اللسان الفرنسى الذى كان يغرب به الشـيخ زين المرصفى على شيوخ الأزهر ورجاله . ولكن قد يكون لتعلم صاحب « الوسـيلة الادبية » اللغة الفرنسية سـبب آخر غيـر ما ذكرناه ، فقد ذكر الرواة روايات مختلفة احداها ان الشيخ حسين المرصفى كان ثالث ثلاثة أحدهم على باشا مبارك وثانيهم جليس لعله غير عربى . ودار الحديث بين على باشـا مبارك باللغة الفرنسية ، فغضب لذلك الشيخ حسين وقال : يقول النبى عليه السلام : (اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون ثالثهما فان ذلك يحزنه) ثم قام من فوره مغضبا ، وصمم على تعلم هذا اللسان حتى لا يغرب به أحد عليه ، ولو كان على باشـا مبارك نفسه ... وعاد اليه بعد ثلاثة اشهر وهو يكلمه بالفرنسية ... وقد أشار على باشا مبارك فى خططه الى سرعة تعلم الشيخ للغة الفرنسية ، وأنه لم تصادفه عقبة فى تعلمها .

● نظرات فى الترجمة اللفظية ●

ويدل كلام الشيخ حسـين المرصفى فى كتابه المخطوط : « دليل المسترشد فى فن الانشاء » على السـهولة التى تصادف متعلم اللغات الأجنبية . فقد كان يرى أن تعلم اللغات شىء يسير سهل التحصيل .. ولعله بهذا الكلام كان يعبر عن تجربته الذاتية فى تعلم اللغة الفرنسية

وحادثة تعلم الشيخ حسين المرصفي للغة الفرنسية أمر مشـهور معروف ، رواه عنه صديقه على مبارك باشـا ، كما ذكره تلاميـذه وتلاميذ تلاميذه من بعده ، فلا محل لانكاره أو التشكيك فى حدوثه . ولا أدرى لماذا شك صـديقنا المرحوم الدكتـور محمد مندور فى تعلم المرصفى للغة الفرنسية واتقانه اياها ؟ لقد علل الدكتور مندور لوجهـة نظره بأنه (لم يحس فى كتاب « الوسـيلة الادبية » الضـخم باى أثر للثقافة الفرنسية وآدابها عند مؤلفه)

والحق أن المرصفى تعلم الفرنسـية واتقنها قراءة وكـلاما ، فهى حقيقة لا خلاف فيها ، وخاصة أن صديقه والكاتب الاول لسيرته : على مبارك باشـا قد ذكرها . ولكن لا يجوز أن نغفل أن المرصفى تعلم الفرنسية على كبرة من السن ، فلم يستطع أن يقرأ فى ادبها ما يمكن أن يظهر فى آثاره ، ولو انه تعلم الفرنسية فى سن مبكرة لبدا ذلك واضحاً فى كل ما كتبه .

على انه كان له فى بعـض كتبه الأخرى غير « الوسـيلة » نظرات صادقة ، وآراء صـائبة فى الترجمة اللفظية حين تجيء ركيكة يمجهـا السمع ، وفى ترجمة المضـمون حين تظهر للمعنى حسنا وقدرا ، ففى كتابه المخطوط : « دليل المسترشد فى فن الانشـاء » يأتى بنص فرنسى من نصوص حكايات « لافونتين » الشعرية يشتمل على محاورة بين فقير عالم ، وغنى جاهل فى تفضيل العلم أو الغنى ثم يورد الترجمة الحرفية للنص لفظـا لفظا ، فتجيء الترجمة فى النهـاية ركيكة منحطة العبارة ، وبعدها يأتى بترجمتها على طريقة ترجمة المضمون ، فتأتى عالية العبارة ، جيدة النمط ،

صفة له ، وعلما عليه ، فاذا قيل بكتابه « الوسيلة الادبية » حتى صار
ولقد اشتهر الشيخ حسين المرصفي صاحب الوسيلة ، لم ينصرف الذهن الا الى الشيخ حسين المرصفي ، كما ينصرف الذهن الى أبى العلاء المعرى حين تذكر « اللزوميات » والى السهيلي ـ وهو من أصحاب البصيرة أيضا ـ حين يذكر « الروض الأنف » .

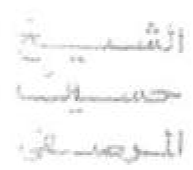
وله ـ فوق هذا ـ كتابان آخران « رسالة الكلم الثمان » ، وهو رسالة جليلة في التربية الوطنية والعلوم السياسية . « ودليل المسترشد في فن الانشاء » وهو مخطوط لم يقدر له ان يطبع . أما ما ذكره صاحب « معجم المطبوعات العربية والمعربة » من ان لحسين المرصفي كتابا رابعا هو « زهرة الرسائل » فهو من الاوهام التي جر اليها تشابه الاسماء . فزهرة الرسائل هو للاديب محمد حسن نائل المرصفي الأديب النابغة المجدد صاحب مجلة « الجديد » المتوفي سنة ١٩٣٥

« والوسيلة الأدبية » هو مجموع المحاضرات التى القاها الشيخ حسين المرصفي على طلبة دار العلوم فى أول انشائها سنة ١٨٧٢ م . وتعد أول كتاب في تدريس الادب والنقد على طريقة جديدة فى القرن التاسع عشر مهدت بعد ذلك لما استحدث من طرائق فى القرن العشرين

ولقد كرر المرصفي فى الوسيلة ـ وهو يتحدث عن الشعر العربى ـ ما قرره المؤرخ ابن خلدون من « وحدة البيت » ، ولم يكن المرصفي ـ كما توهم الدكتور محمد مندور ـ مبتكرا لهذا الكلام ، بل ناقلا رأى مؤرخنا الفيلسوف ابن خلدون . ويبدو لنا ان قبول الشيخ حسين المرصفي لرأى بن خلدون والقدماء فى « وحدة البيت » دون تعليق منه أو محاولة للتجديد والتطوير، هو نوع من التمسك بالقديم مع اعتبارات الزمن والملابسات ، . فان الزمن فى عصر صاحب الوسيلة الادبية كان غير ملائم للدعوة الى وحدة القصيدة كاملة . فقد كان الشعر فى ايامه ـ وخاصة على يد محمود سامى البارودى ـ يمضى فى حركة احياء القديم بمحاكاة النماذج العربية القديمة الرائعة ، حتى لتلمس هذه المحاكاة واضحة فى قصائد البارودى



محمود سامى البارودى : مدحه الشيخ المرصفى بأبيات رائعة





عبد الله فكرى ، أحبه الناس
لرقة طبعه ، وسماحة اخلاقه

التى كانت احياء وعودة بالشعر العربى الى أثوابه الاولى فكان من غير المعقول اذن – ان تظفر الحركة من « احياء » الى « تجديد » لم يكن الذوق العام مستعدا لاستقباله ، ولا متهيئا له . ومن هذا النقل عند المرصفى لكلام ابن خلدون فى موضوع « وحدة البيت » يتضح لنا أن صاحب الوسيلة الادبية لم يكن فى ذهنه – وهو يرسم قواعد النقد الأدبى – ان يكون « مجددا لها » ، وانما كان « محررا » لها . وما كان له ان يكون غير ذلك ، فان حركة « التجديد » لم تكن فى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر قد تهيأت لها الظروف الملائمة التى تهيأت لها بعد ذلك فى القرن العشرين

● كلام فى تعريف الذوق ●

على أن فضل الشيخ حسين المرصفى فى النقد الادبى يظهر جليا فى ذوقه السليم فى الموازنات التى كان يعقدها فى « الوسيلة الأدبية » بين الأدباء والشعراء . وقبل ان يكون الشيخ حسين المرصفى ذواقة بطبعه وفطرته ، كان بعلمه واطلاعاته وقراءاته الواسعة . فقد أورد فى الجزء الثانى من الوسيلة كلاما جيدا لابن خلدون فى تفسير كلمة « الذوق » التى تدور على السنة البلاغيين وأصحاب البيان ، ولكنه – كعادته فى عدم قبول الآراء قضايا مسلما بها مهما كان مصدرها – لم يكن راضيا كل الرضا عن تعريف مؤرخنا ابن خلدون للذوق ، فعقب عليه بكلام جيد قال فيه : (وأما قوله – أى قول ابن خلدون – فى تفسير الذوق فابين منه ما سالقيه عليك ، وذلك ان بين الاشياء تناسبا ، بحيث متى استوفت عند اجتماعها حظها منه ، قامت منها صورة يتفاوت الناس فى ادراك حسنها طبعا وتعلما . فمنهم من لا يدرك ذلك ولا يلتفت اليه . وليس مدركوه سواء فيه ، فمنهم من يقنع بادراك ظواهر الأشياء ، ومنهم من ينتهى ادراكه الى اعتبار دقائقها وخوافيها . ونعتبر ذلك بما نشاهده من شدة سرور بعض الناس عند رؤيته خلافها . ولا يختص ذلك بشىء دون شىء . فنراه يتأمل الأبنية وأوضاعها ، وما اشتملت عليه من مكملات الانتفاع بها . فاذا ادرك فيها التناسب اللائق بها ، رأيته قد انشرح صدره ، وتجدد سروره ، وأخذ فى نعتها والثناء على صناعها . وذلك مثل تعتبر به غيره ، وتتأمل تفاوت الناس فى ذلك الادراك . فالادراك

الذي يتعلق بتناسب الاشـيـاء ، ويوجب الاستحسان والاستقباح هو المسمى « بالذوق » ، وهو طبيعي ينمو ويتربى بالنظر في الاشياء والاعمال من جهة موافقتها للغاية المقصودة منها)

وهذا كلام في تعريف الذوق وتحديده يخيل الينا أن المرصفي صاحب الوسيلة لم يفده من كتب العرب واطـــلاعه عليها ، ولكن افاده من كتب الفرنجة . وهو قرينة جديدة نضيفها الى ما سبق من قرائن على تأثر الشيخ حســـين المرصفي بالثقافة الاجنبية غير العربية

ويكفي المرصفي فضلا أنه في كتـابه الوسيلة الادبية قد نبه الناس في عصره الى كتب عربية لم يكـونوا يقرأونهـــا ولا هي في متنـاول أيديهم ، فجاءت نقوله عن هذه الكتب توكيدا لبيـــان حاجة الادباء الى القــراءة ، ونبهت الناس الى قيمـــة تلك الكتب التي كاد ينقطع العهد ما بينهم وبينها ...

لقد نقل من كتاب « الصـــــادح والباغم » لابن الهبـــارية ، ونقل من « حماسة أبي تمام » ، وقرأ كتـــاب « الصناعتين » لابي هلال العســـكري فاعجب به ولخصه في الوسيلة تلخيصا دقيقا ، واعجب بكـــلام المؤرخ ابن خلدون في صناعة الشعر وتعلمه ، وفي الذوق ، فنقله كله مصرحا بهذا النقل كعادته في اكثر ما كان ينقله ، مما لا يدع مجالا للخلط بين كلامه وكلام غيره .. كما نقـــــل عن « صبح الأعشى » و « المثل السائر » لابن الاثير « ويتيمة الدهر » للثعالبي ، و « المفصل » للزمخشري ، و « حسن التوســل » للشهاب الحلبي ، وغيرها مما لا يتسع المجال لذكره

ولقد سبق الشيخ حسين المرصفي المستشرق الالماني بروكلمان ، والمرحوم حســـن توفيق العدل ـ المتخرج في دار العلوم وأحد الاساتذة فيها ـ الى مراعاة تسلسل العصور من الجاهلية الى الاسلام فما بعده في تدريس الادب العربي ، وهي الطريقة التي أصبحت سائدة بعد ذلك في كتب الادب العربي وتاريخه ، ككتـــاب جورجي زيدان وكتاب الوسيط للشيخ أحمد الاسكندري وكتاب مصطفى صادق الرافعي ، وكتاب أحمد حسن الزيات وغيرها ..

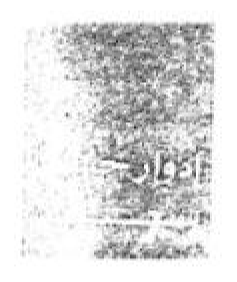
لقد كان الشيخ حسين المرصفي رائدا في تدريس الادب وتاريخه ، وفقه اللغة، والنحو ، والصرف في العصر الحديث . وكان كتابه « الوسيلة الادبية » رائدا للكتب التي الفت بعد ذلك في هـــذه الموضوعات ، فافاد منه تلميذه حسن توفيق العدل ، ومحمد دياب ، وسلطان محمد ، وحفني ناصـــف ومصطفى طموم ، ومحمود عمـــر ، واحمد الحملاوي واحمد الاسكندري .

وعلى الرغم من محبس العمى الذي كان فيه صاحب الوسيلة الادبية ، وقلة مخالطة للناس ، فقد اتصل به حفنة من ائمة اللغة والشـــعر والادب في عصره كالشيخ حمزة فتح الله ، وعبدالله فكري باشا ، ومحمود سامي البارودي باشا ، وعلي مبارك باشا .

وقد قدر الله لشاعر العربية الاكبر أحمد شوقي أن يدرك الشيخ حســـين ويقرأ عليه كتاب « الكشـــكول » لبهاء الدين العاملي ، وهو من الكتب الادبية الممتعة .

ولعل ـ شوقي رحمه الله ـ كان ينظر الى أســـتاذه الشيخ حسين المرصفي ويستحضر ذكراه وهو يقول في قصيدته التي نظمها في الازهر :

نظرا واحســـانا الى عميانه ... وكن المســـيح مداويا ـ ومجبرا
والله ما تدري لعل كفيفهـــم ... يوما يكون ابا العـــلاء المبصرا





القدر والشاعر الأعمى



اخلد الحي الى روح المساء ... ولفت فى ليلة القدر نسمه
طاقة تومض فيها فجأة ... من رآها بات مقبول الدعاء
فاثار الشاعر الأعمى أسى ... صارخ بالشك مبحوح النداء

أفحتم حملنا ذل الرجاء ... او ما تدرى بما نلقى السماء؟
امن الرحمة ان تبعثنى ... كاهنا اعمى بمحراب الضياء؟

***

فاذا عطر سماوى حدا ... ملكا يعتب فى صوت رخيم
ايها السادر غيا ، هل درى ... ساكن الشط مدى البحر العظيم
دائر بالمنح والمنع معا ... عدله الموصول فيكم من قديم

وحظوظ الناس فى غايتها ... قسم صيغت بميزان حكيم
أرذل العمر ، وفقدان الفطيم ... فيه سيان .. كثكل وعقيم

***

ضلة تاسى لفقد النور حسا ... ايها الغاوى وفيك النور معنى

تتلقــــــاه ٠٠ وتلقيه على … مسمع الدهر فغيك النور مشى
مبصر بالقلب لا يعدوك مراى … وامض بالفكر ٠٠ الهاما وقنا
كم عيـون مبصرات لا ترى … وهى لا تشكو برغم الغبن غبنا
اذن اللـــــه بان يسرى الى … عينك النور ٠ فهل تلقاك تهنا ؟

***

صور الدنيا التى غنى لهـا … وتمنتها لياليه الطـــــوال
وجلاها الشوق والحرمان فى … فتن الحسن ولآلاء الجمال
انـكرتها العين اذ ابصرها … عاطلات من معانيها ٠٠ ضئال
جهمة الوجه ٠٠ كاضغاث الرؤى … ومضلات كاغراق الخيــال
وسراب زيف النور بـــــه … واحة يطوى لها وادى الضلال

***

وتراءت زوجه فى رفقـــة … فاذا شوهاء فى غيد وضـاء
عشقتها الاذن صوتا ملهمـا … وخبا الوحى فهل يبقى الغناء؟
شاهت الاصوات فى مسمعه … وازاحت قسوة النور الغطاء
فراى الفقر على الحسن جنى … وأسى الضعف وبغى الخيلاء
وأكاذيب السنـــا من اعين … فى خداع رانيات او غباء





زلزلت فيه معان وهــوت … قيم اضحت مراميها سدى
هل الى عفـــوك باب يبتغى … اننى يارب جاوزت المـدى
عدت من سوق شكوك ومنى … اشترى فيها ضلالا بهـدى
تائبا اصبو الى ما اخترت لى … رد لى ذاك الضياء الاسودا
انقق الليـــــل دعاه وبكى … فبكى فى اثره رجع الصدى



● الاسكندرية ● ادوار حنا سعد ●



د. حسين
نصار

نوادر أصحاب البصيرة

العدالة من المبادىء التى وضعها الضمير العربى وخضع لها ، حتى قدسها ، واستوحى منها كثيرا من اعماله وافكاره وقيمه . وبلغ هذا المبدأ قمته عند المعتزلة فى العصر العباسى ، الذين ارادوا ان يطبقوه ـ بصورته البشرية ـ فى الدنيا والآخرة ، ومن هنا اكتسبوا اسمهم «اهل العدل»

وانطلاقا من هذا المبدأ آمن العربى ـ فيما آمن به ـ بالتعويض ، فما من شىء يفقده البشرى ـ دون اثم منه ـ الا عوضه الله بما يقوم مقامه او ما يعزيه عنه

وعد الذهن العربى ما سماه « البصيرة » عوضا عن « البصر » . والبصيرة كلمة غامضة لن عندها كثيرا ، بل انطلق منها الى تصور العربى لها ، استخرجه من اشعاره واقواله . .



أهم ما تلتقي عنده الأقوال القلب . فاذا كان الكفيف قد فقد بصره فانه لم يفقد قلبه ، والقلب — عند العرب — مجمع الفضائل والرذائل ، فهو موطن العاطفة ، وموئل الفكر . يقول أبو يعقوب اسحاق بن حسان الخريمي :

فان يك عيني خبا نورها ... فكم قبلها نور عين خبا
فلم يعم قلبي ، ولكنما ... ارى نور عيني لقلبي سنى

والبصر لا يدرك الا المحسوسات أما القلب فيدرك المحسوسات والمجردات ، فالبصر حاسة والقلب معرفة ، والاذن فاولهما لا يعطى غير صور ما يقوم أمامه ، وفي مجاله ، أما الثاني فيتصور الماثل والغائب ، القريب والبعيد ، الموجود والمتخيل والمتوهم . يقول عز الدين أحمد بن عبد الدائم :

ان يذهب الله من عيني نورهما ... فان قلبي بصير ما به ضرر
ارى بقلبي دنياي وآخرتي ... والقلب يدرك ما لا يدركه البصر

وعلى الرغم من هذا التصور ، الذي يمنح فيه العربي القلب من الشرف ما لا يمنحه عضواً آخر من اعضاء جسمه ، أضاف الى ذلك أن فقد البصر يزيد القلب جلاء ، وقدرة على الفهم . يقول على بن عبد الغني الحصري :

وقالوا: قد عميت . فقلت : كلا ... واني اليوم أبصر من بصير
سواد العين زاد سواد قلبي ... ليجتمعا على فهم الأمور

ولذلك قالوا : قل أن وجد أعمى بليدا ، ولا يرى أعمى الا وهو ذكي . وقال بشار بن برد :

عميت جنينا ، والذكاء من العمى ... فجئت عجيب الظن ، للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا ... لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا

فلا عجب اذن ان يلجأ صاحب البصر الى صاحب البصيرة يسأله أن يهديه اذا ما ألمت به الظلمات ، وعجز عن تلمس الطريق . يقول أبو علي البصير :

لئن كان يهديني الغلام لوجهتي ... ويقتادني في السير اذ أنا راكب
فقد يستضيء القوم بي في أمورهم ... ويخبو ضياء العين ، والرأي ثاقب

وقد اعتمد بشار بن برد على هذا التناقض الذي يجعل الأعمى يهدي البصير في سخريته من الرجل الذي سأله الهداية ، غير أن أبا علي كان يتحدث عن الهداية الفكرية ، وسخرية بشار تقوم على مفارقة حسية ». قال محمد بن الحجاج : كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل . فجعل يفهمه له وهو لا يفهم . فأخذ بيده وقام يقوده الى منزل الرجل الذي سأل عنه ، وهو يقول :

أعمى يقود بصيرا ، لا أبا لكم ... قد ضل من كانت العميان تهديه

حتى صار به الى منزل الرجل ثم قال له : هذا منزله يا أعمى .

وتلتقي الأقوال عند حافظة الكفيف وذاكرته . فهو مرهف الحس ، واعي اللفظ ، سريع الحفظ ، مصون الذاكرة متنوعها ، قادر على أستعادة ما يشاء متى يشاء ، حتى تبلل في المثل ° « احفظ من العميان » ×

وأعجب ما وجدت في ذلك الخبر المروي عن أبي العلاء المعري . ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي أنه كان قاعداً في مسجده بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء ، يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه ، وكان قد اقام عنده سنين لم ير احدا من أهل بلده . فدخل المسجد بغتة بعض جيرانه فرآه وعرفه فتغير حسه من الفرح . فقال له أبو العلاء : ايش اصابك ؟ فحكى له ما حدث . فأذن له في القيام لمحادثته . فقام وكلمه بلغتهما الأذربية الى ان سأل عن كل ما اراد . فلما رجع وقعد بين يدي أبي العلاء ، قال له : اي لسان هذا ؟ فقال : هذا لسان أذربيجان . فقال : ما عرفت اللسان ولا فهمته غير اني حفظت ما قلتما . ثم اعاد اللفظ بعينه من غير ان ينقص منه أو يزيد عليه جميع ما قال وقال جاره .

ونحن — ان شككنا في تفاصيل القصة والابعاد التي تأخذها ، وقلنا : لعله أعاد جملة واضحة مما قالا لها قيمة صوتية بارزة ، وان شككنا في القصة الاخرى المماثلة التي تروى عنه أيضا — لانستطيع الا ان نقول ان هذه القصص لها دلالتها على شهرة الرجل بهذا الالتقاط الواعي ، والتنبه الدقيق ، والحفظ الشامل ،

نــــوادر
أصحاب البصيرة

تلك الشهرة التي لا بد أن تعتمد على أصل معروف وإلا ما اتسعت واستفاضت وتعددت مجاليها .

وقد جمع عبدالله بن عباس أغلب ما عده العرب عوضا عن فقد البصر في قوله :

إن يأخذ الله من عيني نورهما … ففي لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي ، وعقلي غير ذي دخل … وفي فمي صارم كالسيف مأثور

● معين لا ينضب ●

واتخذ العباسيون من أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلاد اليمامي ، نديم الخليفة المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ) ، مثالا حيا على التعويض . سمع محمد بن مكرم رجلا يقول : من ذهب بصره قلت حيلته . فقال له : ما أغفلك عن أبي العيناء !.. والصفات التي جعلته جديرا بهذه المكانة أنه كان – عندهم – من أحفظ الناس ، وأفصحهم لسانا ، وأسرعهم جوابا ، وأحضرهم نادرة .

ولم يكن أبو العيناء الوحيد الذي تحلى بهذه الصفات ، وحظى بهذا الإعجاب . فقد اشتهر قبله بشار بن برد ، الذي كان شاعرا مجيدا ، وخطيبا بليغا ، وصاحب صوت حسن ، ومن أحسن الناس حديثا ، وأظرفهم مجلسا ، وأكثرهم ملحا . فاتخذه الخليفة المهدي «١٥٨ – ١٦٩ هـ» نديما . وأذن لجـــواريه أن يجتمعن حوله ، ليحدثهن ويسرد عليهن نوادره وملحه ، وينشدهن عيون شعره ، ليرهن سرورا عظيما .

ونال ما يقرب من هذه المكانة ربيعة بن ثابت الرقي الأسدي الذي كان أرق غزلا من أبي نواس ، فاشتهى جواري المهدي أن يسمعنه أيضا ، فأتى به اليمن من الرقة في شمال العراق .

واتخذ أمير الحلة – من مدن العراق – سيف الدولة صدقة بن منصور المزيدي (٤٧٩ – ٥٠١ هـ) من أبي عبدالله أحمد بن عطية نديما له .

وما أكثر الندماء المكفوفين الذين نالوا شهرة باقية .

وكان العماد الذي استند اليه هؤلاء الندماء ما عوضوه من فقد بصرهم من ذكاء لماح ، وبديهة حاضرة ، ولسان لاذع ، وحديث جذاب .. تزوج أعمى امرأة قبيحة . فقالت له : رزقت أحسن الناس وأنت لا ترى . فقال لها : وأين كان البصراء عنك قبلي ؟

وقال نجاح بن سلمة يوما لأبي العيناء : ما ظهورك ، وقد خرج توقيع أمير المؤمنين في القبض على الزنادقة ؟ فقال له : أستدفع الله عنك وعن أصهارك .

ومر يوما على دار عدو له ، فقال : ما خبر أبي محمد ؟ فقالوا : كما تحب . فقال : فمالي لا أسمع الرنة والصياح ؟

ووعده ابن المدبر أن يعطيه يوما بغلا . ولم يف بوعده فلقيه في الطريق فقال له : كيف أصبحت ، يا أبا العيناء ؟ فقال : أصبحت بلا بغل . فضحك منه ، وبعث به اليه .

ولما ولي صاعد بن مخلد الوزارة عقب إسلامه ، صار الى بابه ، وسأل عنه فقيل له : يصلي . فذهب ثم عاد وسأل فقيل يصلي . فقال : معذور ، لكل جديد لذة .

وقال له أبو الجماز : هل تذكر سالف معاشرتنا ؟ فقال : إذ تغنينا ونحن نستعفيك .

ولقيه أحد الكتاب في السحر ، فقال متعجبا منه ومن بكوره : ابا عبدالله ، ابكر في مثل هذا الوقت ! فقال له : أتشاركني في الفعل وتنفرد بالتعجب !
وتلك الصفات التى ذكرتها هى المظاهر التى تتجلى فيها موهبة النديم . ولكنها لم تكن تكفى وحدها لتمنح صاحبها مرتبة لذة تكسب له البقاء الحقيقى ، والماكان عليه أن يجلوها ويزودها بمعين لا ينضب من الثقافة .

● لكل طعام مكان ●

وتكشف النوادر أن أصحابها كانوا على ثقافة دينية واسعة ، وبخاصة آيات القرآن التى كانوا يحفظونها ويتمثلون بها فى كثير من الأحوال أو يستوحونها . مر بشار برجل رفسته بغلته وهو يقول : الحمد لله ، شكرا . فقال بشار : استزده يزدك ، مستلهما فى ذلك قوله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » .
وقال صاعد بن مخلد يوما لأبى العيناء : ما الذى اخرك عنا . فقال : بنتى . قال : كيف ؟ قال : قالت لى : يا أبت ، قد كنت تغدو من عندنا فتاتى بالخلعة السرية (العظيمة) والجائزة السنية ، ثم انت الآن تغدو مسدفا (عند اختلاط النور بالظلام) وترجع معتما (فى الظلام) فالى من ؟ .. قلت : الى ابى العلاء ذى الوزارتين . قالت : ايعطيك ؟ قلت : لا ، قالت : ايشفعك ؟ قلت : لا . قالت : ايرفع مجلسك ؟ قلت : لا . قالت : يا ابت ، (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا) .

واتصلت اشغال الوزير أبى الصقر اسماعيل بن بلبل فتاخر من ارسال المنحة التى قررها لأبى العيناء . فكتب اليه : « رقعتى ــ أطال الله بقاء الوزير ــ رقعة من علم شغلك فاطرح عذلك ، وحقق امرك فبسط عذرك ، أما (والليل اذا عسعس) ، فالبنان لبنات الدنان (الخمر) وملامسات الحسان ، وأما (والصبح اذا تنفس) فالبنان للعنان ، ومؤامرات (مشاورات) السلطان ، فمن ابو العيناء القرنان ؟! » . فوقع ابو الصقر تحت سطوره : « لكل طعام مكان ، ولكل معرز امكان ، وقد وقعنا لك بالرسوم ، وجعلنا لك حظا من المقسوم ، وكفينا انفسنا عذرك الذى هو تعزير ، ولسانك الذى هو تحذير . والسلام » .

ثم لقيه أبو العيناء فى صدر موكبه فقال : طاعة شيمك لسلطان كرمك ، الزمتك الصبر على ذنوبى اليك ، وتجنى خلقى عليك . فقال أبو الصقر : كبير حسناتك يستغرق يسير سيئاتك . فدعا له وانصرف شاكرا .
وقيل له : ماتقول فى محمد بن مكرم والعباس بن رستم ؟ فقال : هما الخمر والميسر ، (واثمهما اكبر من نفعهما) .

وسلم نجاح بن سلمة الى موسى بن عبد الملك ليستخرج منه مالا احتجزه ، فهلك فى يده . فلقى بعض الرؤساء ابا العيناء فسأله : ما عندك من خبر نجاح ؟ فقال : «فوكزه موسى فقضى عليه» . فبلغت كلمته موسى فلقيه فقال له : أبى تولع ؟ والله لاتومنك ! فقال : (أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) .
وسئل يوما عن مالك بن طوق فقال : لو كان فى بنى اسرائيل ثم نزلت آية البقرة ما ذبحوا غيره .
وقال له أبوه : يابنى ، ان الله تعالى قرن طاعته بطاعتى ، فقال : (اشكر لى



ولوالديك) . فقال له : يا أبت ، ان الله ائتمنني عليك ولم يأتمنك على فقال : (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) .

● حصون من حديد ●

وتكشف النوادر أيضا عن بعض المعرفة بالحديث الشريف ، غير أنها لا تصل الى الاحاطة الى مرتبة المعرفة القرآنية . قال رجل من بنى هاشم لابى العيناء وكان مولى الهاشميين : بلغنى انك بغاء ! فقال له : وما انكرت من ذلك مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مولى القوم منهم) ؟ فقال : انك دعى فينا . فقال : بغائى صحح نسبى فيكم .

وتكشف أيضا عن معرفة واسعة باللغة والادب ، حتى أنها تستلهم أمورا دقيقة تغيب عن كثير من الفطن . دخل أبو العلاء المعرى على الشريف المرتضى ، فعثر برجل، فقال : من هذا الكلب ؟ فقال أبو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما . فقربه المرتضى وادناه . وقد دفعت كلمة المعرى هذه بعض العلماء الى جمع أسماء الكلب وتدوينها .

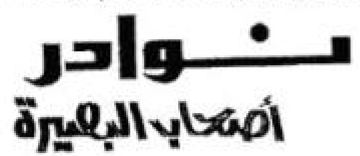
وكان المعرى يتعصب لابى الطيب المتنبى كثيرا ، والمرتضى يبغضه ويتعصب عليه . فجرى الحديث عنه ذات يوم ، فتنقصه المرتضى وجعل يتتبع عيوبه . فاغتاظ المعرى وقال : لو لم يكن للمتنبى من الشعر الا قوله « لك يا منازل فى القلوب منازل » لكفاه فضلا وشرفا . فغضب المرتضى وأمر به فسحب برجله وأخرج من مجلسه . وقال لمن بحضرته : أتدرون أى شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة ، فان لابى الطيب ما هو أجود منها لم يذكرها ؟ فقيل : السيد النقيب أعرف . فقال : أراد قوله فيها :

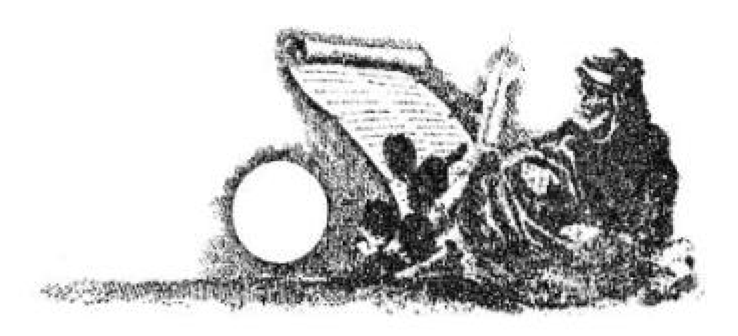
وإذا أتتك مذمتى من ناقص   فهى الشهادة لى بانى كامل

ووقف بعض المجان على بشار وهو ينشد شعرا ، فقال له : استر شعرك كما تستر عورتك ! فصفق بيديه غضبا وقال له : من انت ، ويلك ؟ فاجابه جامعا كل ما يحتقره العرب : رجل من باهلة ، واخوالى سلول ، واصهارى عكل ، واسمى كلب ، ومولدى بالصاخ ، ومنزلى بنهر بلال ..

فضحك بشار وقال : اذهب – ويلك – فانت عتيق لؤمك ، وقد استترت منى بحصون من حديد .

وابان أبو العيناء معرفته باخبار طرفة بن العبد والمتلمس ، والرسالتين اللتين كتبهما لهما عمرو بن هند ، فأدتا الى قتل الاول ، ولم ينج الثانى الا بهربه. فقد سأل أبو العيناء الجاحظ كتابا الى محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير الواثق والمتوكل (٢٢٧ – ٢٣٢) فى شفاعة لصاحب له . فكتب الكتاب وناوله الرجل . فعاد به الى أبى العيناء وقال : قد أسعف . قال : فهل قرأته ؟ قال : لا ، لأنه مختوم . قال : ويحك ! فضه لا يكون صحيفة المتلمس . ففضه فاذا فيه : «موصل كتابى سألنى فيه أبو العيناء ، وقد عرفت سفهه وبذاء لسانه ، وما أراه لمعروفك أهلا . فان أحسنت اليه فلا تحسبه على يدا ، وان لم تحسن اليه لم أعده عليك ذنبا ، والسلام » . فركب أبو العيناء الى الجاحظ وقال له : قد قرأت الكتاب ، يا أبا عثمان . فخجل الجاحظ وقال : يا أبا العيناء ، هذه علامتى فيمن أعتنى به . فقال : فاذا بلغك أن صاحبى قد شتمك فاعلم أنها علامته فيمن شكر معروفه .





• اعجب ما في الدنيا •

وتكشف النوادر أيضا أن قائلها كان انسانا يعيش في مجتمعه ، ولا ينعزل عنه ، يعرف أمراضه ومظاهره وأدواءه وأفكاره وأقواله الشائعة ، على الرغم من الحاجز بينه وبين هذا المجتمع . فبشار واع بلهفة اللصوص ، وخوفهم ، وسرعتهم . ولذلك قال عندما مر يوما بقوم يحملون ميتا وهم يسرعون : مالهم مسرعين أ أتراهم قد سرقوها ، وهم يخافون أن يلحقوهم ليأخذوها منهم .

وأكل أبو العيناء عند ابن مكرم فسقى على المائدة ثلاث شربات باردة ثم استسقى رابعة فسقى شربة حارة . فقال : لعل مزملتكم (مبردتكم) اعتريها حمى الربع .

وتتنوع النوادر التي اطلعت عليها غير أن أكثر أنواعها النوادر العدوانية التي تعمد الى النيل من المتندر عليه ، وايذائه ، وتنقصه . وأكثر ما وجدت من النوادر العدوانية من قول بشار بن برد ، الذي وصفه واصفوه فقالوا انه كان اشد الناس تبرما بالناس . قال ابن سيابة له : ان الله لم يذهب بصر أحد الا عوضه شيئا ، فما عوضك ؟ قال : الطويل العريض . قال : وما هو ؟ قال : الا أراك ولا أمثالك من الثقلاء .

وقال أبو البصير الشاعر : أنشدت بشارا قصيدة لي ، فقال لي : أيعجبك شعرك هذا كلما شئت أو هذا شيء يعجبك في اللينة بعد اللينة اذا تعلمت له ؟ فقلت : بل هذا شعر يجيئني كلما أردته . فقال لي : فقل فانك شاعر . فقلت له : لعلك عابثتني ـ يا أبا معاذ ـ وتجملت لي . فقال لي : أنت ـ أبقاك الله ـ أهون علي من ذلك .

ومدح المهدي فلم يعطه شيئا . فقيل له : لم يستجد شعرك . فقال : والله ، لقد قلت فيه شعرا لو قيل في الدهر لم يخش صرفه على أحد ، ولكننا نكذب في القول فنكذب في الأمل .

وقالت ابنة لأبي العيناء يوما : يا أعمى! فقال لها : ما استعين على وجهـــــك بشيء أصلح من العمى .

وقال عبدالله بن المسور الباهلي يوما لأبي نصير وقد تحاورا في شيء : يا ابن اللخناء ، تكلمني ولو اشتريت عبدا بمائتي درهم وأعتقته لكان خيرا منك .. فقال أبو نصير ، والله ، لو كنت ولد زنا لكنت خيرا من باهلة كلها . فغضب الباهلي : فقال له بشار : أنت منذ ساعة تسب أمه ولا يغضب ، فلما كلمك كلمة واحدة لحقتك هذا كله . فقال له : وأمه مثل أمي ، يا أبا معاذ ؟ فضحك وقال : لا والله لو ان أمك أم القرى ما كان بينكما من المصارمة هذا كله .

والعدوانية ليست غريبة ، فان بعض الذين فقدوا نعمة البصر يشعرون بالحرمان شعورا مضاعفا لتشبيع الكراهية في نفوسهم . ولا عجب أن نجد منهم جماعة عاشوا على الهجاء والمجون مثل بشار ، والسائب بن فروخ ، وأبو شروان الملقب بشيطان العراق ، وأبي الزهر ثابت .

ومن سلم من هذه العاطفة الملتبة أعطانا النوادر الحبيبة التي تعتمد على المفارقة. قال بعضهم : نزلت في بعض القرى وخرجت في الليل لحاجة فاذا انا بأعمى على

عاقته جرة ومعه سراج . فقلت له : ياهذا ، أنت والليل والنهار عندك سواء ، فما معنى السراج ؟ فقال : يا فضولي ، حملته معي لأعمى البصيرة مثلك ، يستضيء به ، فلا يعثر بي ، فأقع انا ، وتتكسر الجرة .

وكان بحرم الخليل عليه الصلاة والسلام شخصان أعميان ، أحدهما ناظر الحرم والآخر شيخه . فرام الناظر عزل الخطيب فعارضه الشيخ ومنعه . فقال له الناظر : كأنك قد شاركتني في النظر . فقال له : لا بل في العمى . فاستحيا وترك الخطيب على عمله .

وكتب غلام بشار في حساب نفقته : جلاء مرآة عشرة دراهم . فقال بشار : والله ما في الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم .

● صور السخرية والفكاهة ●

ومن أجمل النوادر التي وصلت الينا الصور الساخرة أو الفكهة التي رسمها الشعراء لمن أرادوا التندر بهم أو هجاءهم . قال بشار :

دينـــار آل سليمان ودرهمهم　　كالبابليين شدا بالعفـــاريت
لا يوجدان ، ولا يرجى لقاؤهما　　كما سمعت بهـاروت وماروت

وقال محمد بن الحجاج : جاءنا بشار يوما وهو مغتم . فقلنا له : مالك ؟ فقال: مات حماري ، فرأيته في النوم فقلت له : مت ؟ الم أكن أحسن اليك ؟ فقال :

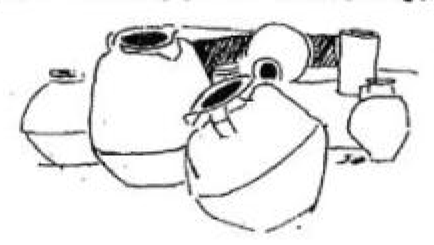
سيدي ، خذ لي أتانا　　عند باب الاصبهاني
تيمتني ببنـــــــان　　وبدل قـــد شجاني
تيمتني يوم رحنـــا　　بثنـــاياها الحسان
وبغنـــــج ودلال　　سل جسمي وبراني
ولهـــا خد أســـيل　　مثـل خد الشيفران
فلذا مت ولو عشـــ　　ـت اذن طال هـــواني

فقلت له : ما الشيفران ؟ فقال : ما يدريني ؟ هذا من غريب الحمار ، اذا لقيته فاسأله عنه !

وجاءت امرأة الى ربيعة بن ثابت الرقي من منزل عثمة الجارية التي يحبها ، فقالت له : تقول لك عثمة : ان بنت مولاي محمومة ، فان كنت تعرف عوذة فاكتبها لها فافعل . فقال لأبي بشر : أكتب لها — يا أبا بشر — هذه العوذة :

تفو ، تفو ، باسم الهي الذي　　لا يعرض السقم لمن قد شـفا
اعيـــذ مولاي ومولاتهـــا　　وابنتهــــا بعوذة المصطفى
من شر ما يعـــرض من علة　　في الصبح ، والليل اذا أسـدفا

— وتفو تفو هو النفث الذي ينفثه الراقي — فقال أبو بشر : يا أبا شبانة ، لست أحسن ان أكتب تفو تفو ، فقل لي كيف أكتبها ؟ فقال : أنقط المداد من راس القلم ، يقع في موضعين او ثلاثة حتى يكون كالنفث ، وادفع اليها العوذة



فذلها نائمة . ففعل   فلم تلبث أن جاءت الجارية وهي لا تتمالك ضحكا فقالت له : يامجنون ، ما فعلت بنا ! كدنا والله ان نفتضح ! فقال لها : وما أصنع بك ؟ أنا شاعر أو صاحب تعاويذ !

● رغم العوائق والقيود ●

واذا اكتفينا بالنوادر الباسمة والساخرة وجدنا بين أيدينا مجموعة من الطرائف الساذجة أحيانا والغريبة أحيانا ، والحقة والباطلة ، وذات الدلالة على ما في وسع الانسان القيام به على الرغم من العوائق والقيود .

لقد شاع بين العرب أن أسرا معينة انتشر كف البصر بين أبنائها ، مثل بني العباس ، حتى قيل عن عبد الصمد بن على بن عبدالله بن عباس : انه اعرق الناس في العمى ، لانه وآباءه جميعا فقدوا بصرهم .

وقيل ان جد أبي العيناء الاكبر لقى على بن أبي طالب فأساء مخاطبته ، فدعا عليه وعلى ولده بالعمى ، فأجيبت دعوته . وكل من كان منهم أعمى فهو صحيح النسب .

وقيل ان العمى شائع في بني عوف قل من يفلت منه اذا أسن . ولذلك هجا أرطاة بن سهية شبيب بن البرصاء العوفي بقوله :

فلو كنت عوفيا عميت واسهلت   كذاك ، ولكن المريب مريب

وليس ذلك بالامر المستبعد فان ضعف النظر يمكن ان يتوارث ، وخاصة بين الاسر التي يتزاوج أبناؤها ، فلا تختلط بهم دماء جديدة .

ومثل هذا ما شاع بينهم عن بعض المدن ، فقد اشتهرت هيت — من مدن العراق — عندهم بالعور . ولذلك عجب بعضهم عندما رأى رجلا منهم صحيح العينين ، فقال له : ان هذا لغريب ! ولكن الهيتي قال : ياسيدي ، ان لي أخا أعمى ، أخذ نصيبه ونصيبي ...

ومن الطرائف الدالة على الذكاء ما قاله أحمد بن الحسين الكفري : ذكر لي والدي انه كان بواب يعرف بمسدود أعمى ، وانه كان يخيط القماش ، ويضع الخيط في الابرة في فمه ، ويضع الجاخ (الطرف) على الجاخ عند الخياطة .

وكان في حماة أعمى يسمى نجم يلعب بالحمام ويصيد الطير الغريب ، فلما سئل عن ذلك قال : ان طيوري أبخرها ببخور أعرفه وأطيرها ، فاذا نزلت ومعها الطير الغريب هدرت حوله ، فأعرف أن معها غريبا ، فأرمي العب « عصا طويلة في احد طرفيها شبكة ترمى على الطائر فتمسكه) على الجميع ، وآخذها واحدا بعد واحد فأشمه ، فالذي ليس فيه شيء من بخوري أعرف أنه غريب فأصطاده .

وكان في مصر أعمى يسمى علاء الدين بن قيران مهر في اللعب بالشطرنج ، بحيث كان يتحدث وينشد الشعر ويخرج في اثناء اللعب ثم يعود فلا يتغير عليه شيء في نقل القطع .

ورأى الصفدي في صفد أعمى يسمى شمسا ، وكان يسقي من البئر بيده ، ويملأ بحق كبير ، ويتوجه الى الزبائن ، دون أن يكون في يده عصا . ورآه يوما وهو متوجه هو وزوجته الى الحمام ، وفي الطريق عقبة تحتها أخدود ، وقد أخذ بيد زوجته قائلا لها : تعالي الى هنا لا تطرق تقعي في الوادي .

وكان في مصر ضرير مدرس يقرئه الطلبة كتاب اقليدس في الهندسة ، ويصنع اشكاله لهم من الشمع .

وخير ختام لهذه الطرائف ابتكار ما يقرب من الكتابة البارزة ليستطيع الضرير قراءتها . فعل ذلك احد ابناء القرن السابع والثامن من العرب . فقد كان الشيخ زين الدين على بن احمد بن يوسف الآمدي — المتوفي سنة ٧١٢ هـ — اذا اشترى كتابا بشيء معلوم ، اخذ قطعة ورق خفيفة ، وفتل منها فتيلة لطيفة ، وصنعها حرفا أو اكثر من حروف الهجاء كعدد ثمن الكتاب بحساب الجمل ، ثم يلصق ذلك على طرف جلد الكتاب من داخل ويلصق فوقه ورقة بقدره لتحافظ عليه . فاذا نسي ثمن احد كتبه مس الموضع الذي عليه فعرف الثمن .

◆



ميلتون أمير شعراء الإنجليز في القرن السابع عشر

على أدهم

جون ميلتون من كبار الشعراء العالميين ومكانته فى الادب الانجليزى من السمو وجلالة الشأن بحيث تجعله فى المرتبة الثانية التالية لمكانة الشاعر البريطانى الكبير وليام شكسبير والرجل العظيم يؤثر فى عصره تأثيرا بعيد المدى ، ويتأثر كذلك بعصره الى حد كبير ، ويقوى هذا التجاوب بين العظيم وعصره كلما حفل هذا العصر بالأحداث العظيمة ، والتغيرات الجذرية والتيارات الفكرية المستحدثة ولذلك تقتضينا الالمامة بملابسات حياة ميلتون وسماته الادبية والنفسية ان نلقى نظرة على أحداث عصره الهامة ، ومعالمه البارزة ...

من الظاهرات السياسية التي طالما استرعت نظر المؤرخين الأوربيين في الفترة الاخيرة من القرن السادس عشر ، نزوع الحكم الملكي الذي كان يسود أوربا في ذلك العصر الى الحكم المطلق ، وغلبة الاعتقاد بحق الملك الالهي في الاستئثار بالسلطة ، والتسامي فوق التبعية والمحاسبة ...

ومنذ أوائل القرن السابع عشر قويت الحركة التجارية ، وتلتها مقدمات النهضة الصناعية ، وظهرت طبقة صغار اصحاب الأملاك والتجار وأصحاب الصنائع ، وظهرت بوادر الاستفادة نتيجة للتوسع في نشر الكتب المطبوعة وظهور طائفة من المفكرين السياسيين والاجتماعيين الأفذاذ ، وكان وقوع الصدام بين النظام الملكي الذي ساد القرن السادس عشر وحاول الاسترسال في نزعته خلال القرن السابع عشر وميل الشعب الى الحفاظ على حريته من المسائل المحتومة المتوقعة ، وكانت هناك اسباب تاريخية وملابسات خاصة تمهد لوقوع هذا الصدام في بريطانيا قبل حدوثه في فرنسا وغيرهما من الدول الأوربية الأخرى

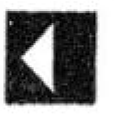
وحينما اصبح جيمس ملك اسكتلنده ملكا على انجلترا واسكتلنده باسم جيمس الاول في سنة ١٦٠٣ ، لم يتورع عن التصريح بانه « لما كان من الكفر والتجديف أن يعترض الناس على قدرة الله فانه كذلك من القحة والتطاول المستنكر اعتراض احد الرعية على ما يسنح للملك من رأى وما يقدم عليه من فعل » ولكنه ادرك ان هذا التصريح لم يلق قبولا ولا اذعانا من الشعب البريطاني

ولما خلفه ابنه شارل الاول في سنة ١٦٢٥ وأراد ان يسير على نهج ابيه وجد ان طائفة كبيرة من أصحاب الأرض والتجار والصناع قد وضعوا حدودا لمطالبه ومطالب وزرائه ، وانهم يتقبلون سلطته ولا ينازعون مكانته اذا لم يحاول انتقاص سلطاتهم على ما يملكون ، ولم يشتط في فرض الضرائب والأعباء المالية عليهم ، وكانت جمهرة الشعب قبل ذلك لا تتدخل في المشكلات السياسية الخارجية ولكن تأثير السياسة الخارجية على اموالهم المالية ودخولهم الخاصة ومشروعاتهم التجارية والصناعية ادى الى وقوع الصراع الطويل المرير بينهم وبين شارل الأول ...

وقد توالت مراحل الصراع والمؤامرات بين الملك والبرلمان والشعب حتى بلغت الذروة عام ١٩٤٠ ، فقد تفاقم الخلاف بين الملك والبرلمان وثارت الحرب الاهلية بين الملك وانصار البرلمان ، وبرز بين رجال البرلمان القائد اوليفر كرومويل وتمكن من هزيمة جيش الملك ، واعقب ذلك محاكمة الملك واعدامه شنقا ، وكان لهذا الحادث تأثير شديد في الدول الأوربية جعل بعضها يقف من انجلترا موقفا عدائيا

وقد ظل كرومويل حاميا للنظام الجمهوري حتى ادركته الوفاة سنة ١٦٥٨ ولم يكن النظام الجمهوري قد تمكن من النفوس ورسخت قواعده ، ولم تلبث الأمة البريطانية أن آثرت العودة الى النظام الملكي ، واستدعت ابن شارل الاول الى تسنم العرش باسم شارل الثاني في سنة ١٦٦٠ ، واستطاع القضاء على الحركة البيورتيانيه التي كان يناصرها القائد الزعيم أوليفر كرومويل

وقد عاصر ميلتون هذه الاحداث الجليلة والخلافات السياسية الخطيرة ، خاض غمارها وشارك فيها مناضلا





عن الحرية والنظـــام الجمهوري واستطاع في هذا العصر المضطرب ان يكتب رسائله في الدفاع عن وجهات نظره وينظم قصائده ويخرج طرفتيه الخالدتين « الفردوس المفقـــود » و « الفردوس المستعاد » وغيرهما من آياته الفنية البارعة

حدود الخلق القويم

ولد ميلتون بمدينة لندن في اليوم التاسع من ديسمبر سنة ١٦٠٨ وكان والده محرر عقود رسمية ميسور الحال رضي الاخلاق وله نصيب من الثقافة وأمه سيدة طيبة المنبت حسنة الاخلاق اسمها سارة ، وقد الحق بمدرســة القديس بولس وظهر مبكرا ميله الى القراءة وسعة الاطلاع ، ولازمه ذلك طوال حياته حتى حال فقدانه الابصار بينه وبين متـابعة هذه المتعة التي يقرها صبر الدراسة والاســتزادة من المعرفة

وفي السادسة عشرة من عمره التحق بكلية المسيح جامعة كامبردج ، ولم يكن من الطلبة المطبوعين على الطاعة والاستعــــلام ، بل كان طالبا بارز الشخصية ، مستقل الرأى ، عفيف الازار ، شديد التمســك بالفضيلة ، وكان مع صلابة عزمه ، ومضـــاء ارادته ، دمث الطبع ، حسن السمات، عذب الحديث ، لا يتورط في خطيئة ، ولا تشوب حياته الروحية شـائبة ، وقد ظل بكمبردج سبع سـنوات من سنة ١٦٢٥ الى ســنة ١٦٣٢ ومن السابعة عشرة من عمره حتى الرابعة بعـد العشرين ، وكان له بالجامعة اصدقاء يســعون اليه ، وتروقهم صحبته ، والاســـتماع الى آرائه وخواطره ، وترك الجامعة بعــد حصوله منها على اجازتين وذهب الى باكنجهامشاير واقام بها مع والديه في منزل يملكه والده ، وامضى بها خمس سنوات

وكان في اثناء ذلك مكبــا على الدراسة والاطلاع ، عاقدا العزم على ان يصبح في طليعة الشعراء ، وكان يرى ان على الشـــاعر ان يختزن في نفسه كل شيء صـالح ، ويرد موارد الحكمة يلتزم العـــدالة وان تكون حياته نقية خالصة ، فلا تستهويه فتنة ، ولا ينسى حدود الخلق القويم ، والكفاية الممتازة ، واقبل على دراسة اللغة الايطالية ، وقرأ مؤلفات دانتي ، وبترارك ، وغيرهما من أعـلام الادب الايطالي ، ونظم في تلك الفترة بعض قصائده المشهوره مثل « كوماس » و « ليسيداس » و « الليجــــرو » و « البنيروز » .

وبعد هذه العزلة التي اســتمرت خمس سنوات بدأ يشعر بالحاجة الى الاقتراب من الجمـــاعات البشرية ، وكان لوفاة والدته في ســنة ١٦٣٧ اثر في تقوية هذه الرغبة ، ورأى أن يذهب الى ايطاليا التي كان الشعراء ورجال الفن يميلون الى زيارتهـــا والتنقل في انحائها .

هو السيد المطاع

ووافته وهو في ايطاليا أخبــار اشتداد الخلاف بين الملك والثائرين عليه في بـــلاده فرأى انه ليس من النبل والشجاعة أن يقضي أيامه في ايطاليا مستمتعا بمشاهدة ما بها من روائع الفن وذخـــائر الادب وبلاده تعاني أزمة سياسية معقدة واضطرابا مجهول العواقب ، فابتدر العودة الى انجلترا ليشارك مواطنيه في الدفاع عن الحرية ومقاومة الظلم وطغيــان والفساد

ولما عاد الى انجلترا أكب على كتبه ، ولم يقابل سوى عدد قليل من تلامذته الذين كان يفرض عليهم العمل المتواصل والدراسة المستمرة تبعا للأسلوب الذى أخذ به نفسه والتزمه طوال حياته ، وبعد مضى شهر على عودته تزوج وكان فى الخامسة بعد الثلاثين ، ولم يمض على زواجه سوى اسابيع قليلة حتى هجرته زوجته وعادت الى بيت أبيها ، وأبت أن تعود اليه ، ولم تحفل برسائله اليها . وقد ضايقتها صرامته وفرط ميله الى العزلة ، والتزام الصمت ، وكثرة التوفر على الدرس والبحث .

وقد عرف فى حياته الزوجية بالخشونة وحدة الطبع والاعتزاز بمكانته بوصفه زوجا ، وكان من رأيه أن الرجل الزوج هو السيد المطاع وان على الزوجة ان تكون خاضعة له، مطيعة لأمره ، جاهدة فى ارضائه ونيل ثقته ، وقد دفعه سلوك زوجته الى كتابة رسالته المشهورة فى تسويغ الطلاق متى اختلف الزوج مع زوجته وتعارضت ميولهما ، وقدم رسالته للبرلمان ، واعتبر زوجته مطلقة لانها ابت العودة الى داره .

وتقدم الى خطبة سيدة شابة أخرى ، ولكنه لم يلبث أن فوجيء بزوجته راكعة امامه معتذرة عن ذنبها وملتمسة منه الصفح عنها باكية نادمة ، فسامحها واعادها الى عصمته ورزق منها بثلاث بنات كن يقرأن له دون ان يفهمن ما يقرأنه حينما ضعف بصره وعجز عن متابعة القراءة ، وفى السنوات الأخيرة من حياته فقد بصره فقدانا تاما ونظم كتابيه الخالدين « الفردوس المفقود » و « الفردوس المستعاد » وهو مكفوف البصر

امام منصة القضاء

وفى سنة ١٦٤٩ اختارته الحكومة الثورية ليكون السكرتير اللاتينى لمجلس الشئون الخارجية ، وكان عليه ان يترجم الرسائل الانجليزية الى اللاتينية والرسائل الأجنبية الى اللغة الانجليزية ، وكان لا يشغل أكثر من وظيفة كاتب فى خدمة الجمهورية ، وكانت شهرته فى القارة الاوربية أبعد مدى من شهرته فى بلاده ، وكان للنقاش الذى دار بينه وبين العالم الاوربى سالماسيوس عن قتل الملك شارل الاول تأثير فى ابعاد شهرته واظهار مكانته ، وكان سالماسيوس بروتستانتيا أغراه ابن شارل الأول ــ الذى تسلم العرش بعد ذلك باسم شارل الثانى ــ بأن يكتب رسالة عن قتل الملك شارل الاول يعيب على الانجليز اقدامهم على قتل ملكهم ويدافع عنه أمام الرأى العام الاوربى · وقد كتب رسالته باللاتينية وكانت سائدة بين كبار الكتاب والعلماء فى ذلك العصر

وكان لابد أن يكتب الرد على رسالته باللاتينية ، وأن يكون بلغة لاتينية ممتازة لا تعرض كاتبها لسخرية علماء جامعة لايدن وجينيف وباريس ، وعرض

شيكسبير : يليه جون ميلتون
فى دنيا الشعر والادب



اسم ميلتون ليتولى كتابة الرد ، وفي مارس سنة ١٦٥١ ظهر دفاعه عن الشعب البريطاني ، وهي رسالة من أعظم الرسائل التي كتبها وعارض فيها حق الملوك الالهي واكد سلطة الشعب ، واكد ان ذلك هو القانون الالهي وقانون الامم ، وان القانون البريطاني يسوغ تقديم الملك للمحاكمة اذا انحرف عن الجادة ، وان الامة تعفى من كل شرائط التزام الولاء للملك حينما يصبح الامير الشرعي طاغية مستبدا ، وحينما يتناسى واجباته وينطلق بغير عنان وراء شهواته .

وقد حاول كتاب آخرون الرد على ميلتون وابطال حججه ، فكتب ميلتون دفاعه الثاني عن الشعب البريطاني ، وكان حينذاك قد فقد بصره فقدانا تاما ، ووصف خصومه في هذه الرسالة بانهم حمقى أغبياء ، وقذفهم بالكثير من الشتائم والنعوت القبيحة وقد بنى رسالته على فكرة ان الملك لم يصنع الامة البريطانية ، وانما الامة هي التي صنعته ، وان الطبيعة قد أعطت أفراد الامة اباءهم ولكن افراد الامة هم الذين اختاروا ملكهم ، وان الملك للشعب وليس الشعب للملك ، وقد ظلت مسالة الاعتداء على كرامة الملك والاجتراء على تقديمه للمحاكمة والاطاحة برأسه بعد ذلك موضوع نقاش واخذ ورد حينا من الزمن ، وكان الملوك في ذلك العهد والعصر الذى تقدمه قد تعودوا القتل ودس السم دون ان يجترىء أحد على النيل من مكانتهم أو التعرض لهم بأى لون من الوان النقد .

ويقول سالماسيوس « انه لشيء غاية في الفظاعة والنكر ان يمثل الملك أمام القضاء ويوضع في موضع المدافع عن نفسه وعن حياته وان يحكم عليه بالاعدام وينفذ هذا الحكم ! » .

فيرد عليه ميلتون قائلا « قل لي ايها الاحمق المسرف في الغباء .. أليس الاقرب الى العدالة والاكثر ملاءمة لقواعد الانسانية وقوانين الجماعات البشرية ان يقف المتهم مهما يكن ذنبه وجريمته امام منصة القضاء وان يسمح له بالدفاع عن نفسه فاذا اوال القانون فان من العدالة ان ينفذ الحكم الذى يستحقه من جراء جريمته » .

وكان للجهد الذى بذله ميلتون في كتابة هاتين الرسالتين اثره فيما اصابه بعد ذلك من فقدان البصر ، وكان لهما صدى مدو في أنحاء أوروبا ، وبرغم فقدانه بصره ظل في خدمة الدولة حتى بعد موت كرومويل ، ولم يضطر الى تقديم استقالته الا بعد عودة النظام الملكي الى انجلترا .

مكانته الادبية الشماء ..

وكان انهيار النظام الجمهورى بعد غياب كرومويل عن ميدان الحوادث وعودة النظام الملكي صدمة شديدة لامال ميلتون وتطلعاته الى المستقبل ،

وكان من اقواله لقومه « ان عليكم ان تثبتوا للعالم انكم لم تحكموا على ملككم بالاعدام بباعث الطموح الى السلطة ، أو في نوبة من نوبات الجنون وثورة من ثورات الغضب ، وانما ذلك كان بدافع اصيل من حبكم للحرية ، واستمساككم بالدين ، وحرصكم على العدالة والفضيلة ، وانكم أنزلتم العقوبة بالطاغية حرصا على بلادكم ، وصونا لكرامتها ، وانكم اذا انحرفتم عن السبيل المستقيم فان غضب الله عليكم سيكون اشد من غضبه على خصومكم » .

ولكن قومه سرعان ما عادوا الى النظام الذى ثاروا عليه غير حافلين بتحذيره ونصائحه ، وأصبحت حياته عرضة لخطر الاغتيال أو المحاكمة وقد اعتقل حينا من الزمن ، وقد تزوج بعد أربع سنوات على وفاة زوجته ، وماتت هذه الزوجة في الشهر الثاني عشر من زواجه بها ، فتزوج للمرة الثالثة والاخيرة في سنة ١٦٦٤ ولم تكن حياته العائلية سعيدة



هادئة فان التزامه الجد الصارم وفقدانه روح الفكاهة والميل الى المرح وانكبابه الدائم على العمل والدراسة والتحصيل لم يجعل الاقتراب منه ومعاشرته من الامور اليسيرة .

وكان فى السنوات الاخيرة من حياته التى فرغ فيها لانشاء طرفتيه الفنيتين العظيمتين « الفردوس المفقود » و« الفردوس المستعاد » يقرأ له فى الصباح صفحات من الكتب المقدسة ، وبعد ذلك يسترسل فى التفكير ويتسلى فى بعض الاحيان بالموسيقى ، وفى المساء يزوره بعض الاصدقاء من المعجبين بأدبه ، ويجالسهم حتى الساعة الثامنة وقد اتم سنة ١٦٦٤ كتابه « الفردوس المفقود » وفى سنة ١٦٦٥ حدث فى لندن الوباء العظيم وبعد الوباء حدث فى لندن الحريق المشهور ولذلك تأخر تقديم أصول الكتاب للطبع حتى سنة ١٦٦٧ ، وبعد ان اتم « الفردوس المفقود » بدأ املاء « الفردوس المستعاد » وظهرت مطبوعة مع « شمشون الجبار » سنة ١٦٧١ . وتوفى ميلتون سنة ١٦٧٤ .

امنحنا الحرية والقوة

ويقول عنه تين الناقد الفرنسى الكبير فى ختام الفصل الذى اختصه بوقوفه على الكتابة عن حياته وأدبه ومكانته فى الادب البريطانى « رجل عجيب الشأن ومشهد رائع ! لقد ولد شديد الميل الى المجد والنبل ، وهذا الميل الغريزى الذى استولى عليه قوى فى نفسه استقلال التفكير ، وزوده بالمنطق الصارم ، وهذا الدرع الواقى مكنه من ان يمر بالحياة شاعرا ناهض العزم ، مصارعا لا تلين قناته ، ولا تهن عزيمته ، جريئا مقداما ، رائع الاحلام ، سامى المثل ، وقد القت به الثورة فى غمار السياسة واللاهوت فطلب لوطنه وللناس الحرية التى يتطلبها عقله القوى ، وخاض المعركة بكل ما كان فى عصره من قوة ووحشية وبشاعة » .

واكثر مؤلفاته رواجا وحظوة عند جمهور القراء كتابه المسمى « كوماس » وهى منظومة تروى كيف حاول الساحر كوماس اغواء الفتاة العذراء وكيف تمكنت الفتاة من التغلب عليه بقوة فضيلتها . ومعظم الطرائف الادبية التى كتبها ميلتون كانت تسيطر عليها فكرة مماثلة لهذه الفكرة ، لانه كان يرى الحياة معركة يجاهد فيها المتطهرون لبقاء الصلاح والفضيلة والخير ، وكثير من الشعراء الانجليز الذين ظهروا بعده ولمعت اسماؤهم مثل تومسون ، وكوبر ، ووردزورث كانوا من المتأثرين بأسلوبه والمقدرين لمكانته وقد اشاد بذكره الشاعر الكبير اللورد تنيسون فى احدى قصائده ، ووجه اليه وردزورث ابياتا من الشعر يقول فيها : « ميلتون ! كان يجب ان تكون حيا فى تلك الساعة ، فان انجلترا فى حاجة اليك ، وهى الان مستنقع من الماء الراكد .. اننا قوم انانيون .. قم وانهض بنا وامنحنا الاداب العالية والفضيلة والحرية والقوة — وهكذا كانت مسيرتك فى الحياة » .

ونرى من ذلك ان ميلتون ليس فى الادب البريطانى علما من اعلام الادب فحسب وانما هو كذلك قدوة فى صلابة العزم وسراوة الاخلاق والاخلاص للوطن والحرية والديمقراطية ...



د. مصطفى حلمى



د. عبد الحميد يونس

د. محمد أحمد خلف الله

ثلاثة من أعلام الجيل جعلوا البصيرة أداة تفوق الباصرة

- الدكتور محمد مصطفى حلمى
- الدكتور عبد الحميد يونس
- الدكتور صلاح العقاد



د. صلاح العقاد

هؤلاء الثلاثة ممن اصابهم الدهر بالارزاء ، ونال منهم فى ابصارهم لا فى بصائرهم ، وحال بينهم بذلك وبين مشاهدة ،او الاستمرار فى مشاهدة ما تزخر به الطبيعة وما يمتلىء به الكون من مرئيات حسية مختلفة الألوان متعددة الاشكال والاحجام .. مرئيات فيها من الصور الفنية كل رائق وبديع وحرمهم بذلك من خير كثير .

حرمهم الدهر من القدرة على الاستمتاع بالمرئيات الحسية ، ومن القدرة على اختزان صور لهذه المرئيات فى الذاكرة ، ومن القدرة على استعادة بعض هذه الصور وتصورها من جديد على اساس فنى جديد . ثم من القدرة على الانتفاع بهذا كله فى التفكير او عند التقويم والتقدير .

حين رزأ الدهر هؤلاء الثلاثة بعلة فقد البصر ، لم يجر معهم جميعا على وتيرة واحدة وانما خالف بينهم ، وكانت هذه المخالفة عاملا من العوامل التى ادت الى وجود فروق فيما بينهم فى هذا الرصيد من الصور — او التصورات التى يملكها كل واحد منهم — الامر الذى خالف بينهم فى استثمار هذا الرصيد فى التفكير او عند التقويم والتقدير .

لقد اخذ الدهر صلاح العقاد بهذه العلة وهو طفل فى المهد ، وهو ابن اربعة اشهر ، واخذ عبد الحميد يونس بعد أن حصل على شهادة الكفاءة وهو ابن ست عشرة سنة ، واخذ محمد مصطفى حلمى بعد ان حصل على شهادة البكالوريا وهو ابن تسع عشرة سنة .

والثلاثة ممن ثبتوا على الدهر ولم يستسلموا للقدر . لقد ثبتوا على الايام وتحدوا ما تفاجئهم به من احداث .

لقد واصلوا جميعا دراستهم المدنية حتى من اراد له اهله منهم ان يسلك السبيل التقليدى الذى يسلكه معظم الذين كف بصرهم .

لقد فرضوا على صلاح العقاد أن يكون شيخا ازهريا ، وبدأ حياته على هذه الوتيرة — لكنه لم يكد يملك زمام نفسه حتى فر ولجأ الى التعليم المدنى يحقق فيه ذاته .

ولقد فرضوا على عبد الحميد يونس أن يكون ناظر مقبرة لاحد الامراء ، أو ان يكون رئيسا لمدرسة الزراعة ، ولكنه نفر من ذلك وابت له همته الا ان يواصل الدراسة مهما كلفه ذلك من امر .

اما الدكتور مصطفى حلمى فلم يكن أمامه من طريق الا الالتحاق بالجامعة

ثلاثة من أعلام الجيل

لاسيما وهو من الحاصلين على شهادة البكالوريا .

وقصة محمد مصطفى حلمى فى الالتحاق بالجامعة جديرة بالتسجيل من حيث انه الذى فتح الباب الذى ولجه الاخرون .

يحكى محمد مصطفى حلمى هذه القصة بضمير الغائب ويقول :

« وذات يوم من شهر اكتوبر سنة ١٩٢٥ كان مع محمد صديق له يستمعان الى الموسيقى فى حديقة الازبكية ، فاشتريا مجلة الامل التى تصدرها السيدة منيرة ثابت ، واخذ الصديق يتصفحها ويطالع فيها لزميله ، واذا فيها اعلان من كلية الاداب بالجامعة المصرية وفيه نبأ عن وجود اماكن خالية لمن يريد الالتحاق بالكلية .

« عاد محمد الى البيت مع صديقه ، واملاه خطابا موجها الى الاستاذ احمد لطفى السيد مدير الجامعة وطلب اليه ان يسمح له بالالتحاق بكلية الاداب .

« وضرب الطالب محمد الامثلة مما تفعله الجامعات الاوروبية فى قبول المكفوفين وفسح المجال امامهم . كما استشهد بوجود الدكتور طه حسين المكفوف استاذا فى الجامعة .

« وفى يناير ١٩٢٦ تلقى الطالب خطابا من عميد كلية الاداب بقبوله طالبا فيها مع اعفائه من المصروفات »

ويروى الدكتور محمد مصطفى حلمى انه بعد ان نال الليسانس عرف من الدكتور طه ان قبوله كان موضع اشكال فى مجلس الكلية لان بعض الاعضاء قال : كيف نقبل هذا الطالب وهو لا يستطيع ان يجتاز الكشف الطبى الذى تحتمه اللوائح ؟! ..

فرد الدكتور طه قائلا : كيف تعارضون فى قبول هذا الطالب لانه مكفوف ، وعندكم استاذ فى نفس ظروفه ؟ .. قبل ان ترفضوا هذا الطالب فكروا اولا فى ابعاد هذا الاستاذ .

وكانت هذه الكلمة هى الفاصلة فى الموضوع ، وكانت هى الفاتحة للابواب امام كل من عبد الحميد يونس وصلاح المقاد .

وهناك واقعة حال تتصل بهذا الوقت واجهها عبد الحميد يونس فيما بعد . هذه الواقعة لا تتصل بالكشف الطبى الذى تحتمه اللائحة وانما تتصل بالامتحانات الشفوية .

كان النظام القديم فى الجامعة يقوم على امتحان الطالب فى جميع المواد امتحانا تحريريا وامتحانا شفويا ، وكانت العقبة امام عبد الحميد يونس هى رسوم الخرط على السبورة ، واصر الاستاذ الممتحن على ان يرسم عبد الحميد على السبورة ولم يستطع تلبية الطلب ، ونال درجة ضعيف ، وامتنع من الذهاب الى الجامعة الى ان عدلت اللوائح ، واعفى من رسم الخرط .

صورة للمستقبل الباسم

اتخذ الثلاثة من البصيرة اداة لهم . اداة تفوق الباصرة فى كل ما تقوم به من خدمات .

استناروا بالبصيرة فانارت لهم السبيل ، وبصرتهم بمواقع اقدامهم ونبأتهم بمستقبل ايامهم ، لم مكنتهم من ان يفكروا فيحسنوا التفكير ومن ان يقدروا فيحسنوا التقدير والتدبير .

فكروا فى انفسهم فادركوا فى دقة تامة وفى وعى كامل ماليهم من طاقات

وماعندهم من قدرات وامكانات ، فاستثمروا ذلك كله افضل استثمار .

وفكروا امرهم وامر امتهم ، وقدروا احتياجات هذه الامة والجهود التى

يجب ان تبذل فى سبيل تلبية هذه

الاحتياجات ، ورسموا صورة تقريبيه للمستقبل الباسم الذى ينتظرهم ،

واتخذوا من هذه الصورة هدفا لهم يسعون فى تحقيقه .

واسعفتهم البصيرة فى كل ذلك ،

وبلغت بهم الى حيث نرى ونسمع . فهم من اعلام هذا الجيل ، وهم من

الاساتذة الجامعيين النابهين ، وهم نبراس نهتدى بهم فى ظلمات هذه الحياة .

ان المتتبع لحياة كل واحد منهم يجد

فيها معالم يهتدى بها كل من يريد ان يظفر بالنجاح ، وبالتفوق فى النجاح .

فكل واحد منهم قد ادرك بفطرته وببصيرته ان الاجادة التامة للغة أجنبية

حية هى السبيل الى التفوق والامتياز ، فراح كل منهم يجهد نفسه فى اتقان لغة

او اكثر من هذه اللغات التى تفتح امامه الافاق .

اجاد صلاح المقاد الفرنسية اجادة تامة حتى لكأنه من ابناء هذه اللغة ،

واجاد الى جانبها اللغة الانجليزية .

واجاد عبد الحميد يونس اللغة

الانجليزية اجادة تامة ، والى جانبها اللغة الفرنسية .

وسط محمد مصطفى حلمى فى

اللغتين ، وبلغ بهما مايرغب فيه من الاستعانة بهما على التزود بكل جديد مستحدث فى هذه اللغات .

واعانتهم هذه اللغات فى ميدان التفوق على الاقران من حيث انها زودتهم بالمعرفة

الواسعة ، والثقافة الحية ، كما اعانتهم فى ميادين التاليف والترجمة .

وكان عبد الحميد يونس اسبقهم الى جنى ثمار اللغة الاجنبية التى يجيدها ؛

فقام وهو طالب بمشاركة بعض الاصدقاء

بتنفيذ مشروع ضخم نعتز به جميعا هو ترجمة دائرة المعارف الاسلامية

الحياة الروحية فى الاسلام

وادرك كل واحد منهم بفطرته او

بصيرته أن هناك ميادين لم يرتدها احد من قبل اوقل المرتادون لها ، فراح كل

منهم يرتاد الميدان الذى يلائم قدراته وامكاناته .

ارتاد محمد مصطفى حلمى ميدان التاريخ ثم عدل عنه الى ميدان الفلسفة ،

وتخرج عام ١٩٢٦ فى قسم الفلسفة فى كلية الاداب :

وفى ارتياده لميدان الفلسفة وقف وقفة

طويلة عند الفلسفة الاسلامية ، ولبثت بصيرته عند التصوف الاسلامى لتخصص

فيه ، واتخذ من ابن الفارض موضوعا لرسالة الدكتوراه .

ويحدثنا هو عن ذلك فيقول : ومام الا ساعة قضيتها مع الفقيد له استاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق رحمة

الله ، وعطرت نفحات الجنة مثواه وذكراه ، وعرضت عليه اختيارى لهذا

الموضوع ، فاذا هو يوافق عليه ، ويبتهج به ، ويرى ان فى دراسته ،

وفى الكشف عن حقيقته ، احياء لتراثنا الروحى الاسلامى الرائع ، بقدر ماهو

احياء لذكرى ابن الفارض الذى يعد فى نظره الصوفى المصرى الاول بلا منازع ، كما يعد رأسا لشعراء الصوفية من العرب

ولما كان ذلك كذلك فقد عكفت على دراسة ابن الفارض وشعره وحبه دراسة فلسفية كانت ثمرتها رسالة الدكتوراة وعنوانها « ابن الفارض والحب الالهى »

كما يقول بصدد حديثه عن الحياة الروحية فى الاسلام : غير أننا لا نكاد نجد من الباحثين عندنا من يعنى بها ، او يقبل عليها ، او يحمل نفسه مشقة البحث فيها على وجه سائغ يحببها الى النفوس ، ويظهر من خلاله ان حياة قوامها تطهير النفس وجلاء القلب ، ودعامتها النظر الى الكون بعين الوحدة التى تزول معها التفرقة بين افراد الانسان ، وغايتها المعرفة اليقينية والسعادة الحقيقية - حياة هذا شأنها خليقة بأن تتضافر جهود الباحثين على دراستها ، جديرة بأن ينظر فيها الناس ويتأثروا مثلها العليا فى القول والعمل ، ولا سيما فى عصر كهذا العصر الذى اجتاحت فيه المادة كل شىء ، واصبحت فيه الحياة تقوم تقويما ماديا تاما ماتت فى ثناياه المثل الروحية . .

« فاذا كانت تلك قيمة الحياة الروحية ، فقد رأيت ان اقدم لابناء هذا الجيل صورة عامة لنشأة الحياة الروحية وتطورها فى الاسلام ، وان اعرض عليهم الاصول التى اقيمت عليها والخصائص التى امتازت بها . .

« ولعلنى بهذا الكتاب اكون قد وفقت بعض التوفيق الى سد الفراغ الذى يوجد فى المكتبة العربية ، ويرجع وجوده الى ان اكثر ما كتب فى هذه الناحية انما كتبه المستشرقون . . »



الشيخ مصطفى عبد الرازق : رأى فى ابن الفارض . .

من الشعب واليه

وارتاد عبد الحميد يونس ميدان الادب الشعبى ، وكانت العناية من قبل تنصب على الادب الرسمى او الادب الفصيح .

يقول فى ذلك : اخذت الدراسات الادبية كغيرها من الدراسات تساير التقدم العلمى فارسلت آثارها الكاشفة فى كل مكان واحتفلت بأدب المغمورين احتفالها بأدب المشهورين ، واهتمت بما يصدر عن العامة اهتمامها بما يصدر عن الخاصة ، واعترفت بان للاميين أدبا جديرا بان يكشف عنه وتدرس آثاره وتنقد روائعه .

والذى لا شك فيه ان عوامل التأثر بالبيئة اقوى جدا من عوامل التأثير فيها . والذى لا شك فيه كذلك ان الادب الشعبى ، او بعبارة اخرى ادب العاديين أدل على بيئته من أدب الخواص واشباه الخواص .

ومهما يكن من شىء فين البحث ان

تفاضل بين الادب الشعبي والادب غير الشعبي ، فكل منهما يصل الى غايته بأسلوبه الخاص ، ولكل منهما طريقته في التعبير ..

فالادب الشعبي اذن هو القول الذى يعبر به الشعب عن مشاعره واحاسيسه افرادا وجماعات . فهو من الشعب والى الشعب ، يتطور بتطوره وهو غذاؤه الوجداني الذى يلائمه كل الملاءمة ، وليس ينفعه غيره ... »

المثقفين من أبناء الشمال الافريقي غير قادرين على تناول تاريخ بلادهم باللغة العربية . وكل ما نشر عن مشكلات هذه البلاد لا يعدو أن يكون كتبا موجهة ان صح هذا التعبير . أصدرها مكتب المغرب العربي بالقاهرة ...

ان هذا الكتاب ثمرة اهتمام شخصي بالموضوع ، واتصال مباشر بالشخصيات المغربية وبالأوساط الفرنسية ذات النزعات المختلفة معا .. وذلك اثناء الفترة الطويلة التي قضيناها في باريس

مع القومية العربية

وارتاد صلاح العقاد ميدان اللغة العربية اولا ثم تمرد عليها ، وارتاد ميدان التاريخ الحديث .

وتخصص صلاح العقاد في تاريخ الا العربية. تاريخ المغرب العربي ، والتاريخ الشرق العربي .

ويكتب صلاح العقاد التاريخ الحديث للأمة العربية في اطار من حركات التحرير وحركة القومية العربية .

ويتحدث صلاح العقاد عن ارتياده لهذا الميدان فيقول: وقد بقي هذا الجزء من العالم العربي اقل حظا من غيره بعناية الكتاب في اللغة العربية وذلك لسببين:

اولا . ـ انه حتى عهد قريب لم يكن ساسة الشرق العربي وكتابه يعدون تونس . والجزائر والمغرب الاقصى من بين البلاد العربية الناهضة . واذا بهذا الموقف يتبدل تماما وتصبح مسألة الجزائر هي مقياس العلاقات السياسية بين الدول العربية والغرب ...

« اما السبب الثاني : فهو نتيجة السياسة الفرنسية التي كانت تهدف دائما لعزل شمال أفريقية عن بقية العالم العربي ...

كذلك كان من بين أهداف هذه السياسة محاربة الثقافة العربية ، مما جعل

من الخليج الى المحيط

ولعل أروع مازودتهم به بصائرهم من قدرات ، تلك القدرة الهائلة على التحليل ـ تحليل الشطحات الصوفية عند محمد مصطفى حلمي ، وتحليل القيم الفنية او الجمالية عند عبد الحميد يونس ، وتحليل الاحداث التاريخية او الوقائع الاجتماعية عند صلاح العقاد .

والامثلة على ذلك كثيرة ، ونقف هنا عند حدود مثلين اثنين : احدهما من عبد الحميد يونس ، والثاني من صلاح العقاد :

ان محمد مصطفى حلمي انما يعلل الشطحات الصوفية ، والشطح أسلوبه صوفي يستند الى نظرية في المعرفة خاصة بالصوفية هي نظرية الاشراق .

والمثال الذى نقدمه من عبد الحميد يونس قد جاء في كتابه « الاسس الفنية للنقد الادبي » وقد نال عليه جائزة الدولة التشجيعية .

« والفنان ـ كما سبق ان ذكرنا ـ يحقق وجوده بالنزوع الى التعبير ، والمتلقي لأثره الفني يماثله ، لانه يكشف عن وجوده عندما يتفاعل مع هذا الاثر الفني . وهو ينقلب بدوره الى فنان ، وكل ما بينهما من خلاف :



العقاد : ارسل اليه مصطفى حلمى يطلب الالتحاق بالجامعة

ان الاول هو الذى ينشىء التعبير ، وان الثانى يندمج فى هذا التعبير . وهما يقفان فى زاويتين متناظرتين ، اولهما صاحب الاشعاع والثانى هو الذى يتلقى هذا الاشعاع . وكلما تساوت الزاويتان كان الاثر الفنى قادرا على نقل ما فيه من مضمون شعورى ، وكان التذوق صالحا للتقبل والاندماج . وهو ما ينفى شائبة النغمة التى التبست بالابداع التباسا بالذوق .

والمثل الذى نقدمه من صلاح العقاد وارد فى كتابه « دراسة مقارنة للحركات القومية » :

ان معنى المبدا القومى هو ان تكون الدولة كجهاز سياسى مطابقة لوجود الامة ككيان اجتماعى له ثقافته وتقاليده الخاصة به .

فالخطوة الاولى اذن هى معرفة حدود الامة والشعور بالانتماء اليها .

وقد اخذ الالمان والايطاليون يشعرون بهذا الانتماء فى اوائل القرن التاسع عشر . وبعد ان اختمرت الفكرة القومية ، شرع فى المرحلة الثانية وهى تحقيق الوحدة السياسية — اى اقامة الدولة الواحدة التى تجمع تحت سلطتها هذه الامة .

وقد تصادف ان حقق الالمان والايطاليون هذه الوحدة القومية فى نفس الوقت تقريبا .

ومن الواضح ان العرب اجتازوا هذه المرحلة الاولى وهى التعرف على شخصيتهم كامة .

ومنذ انشاء الجامعة العربية صار هناك شبه اجماع على ان حدود الامة العربية تتمشى مع انتشار اللغة والثقافة العربية ، وبهذا المقياس يمتد الوطن العربى من الخليج الى المحيط .

وكما ان الاحتلال الاجنبى كان من اهم الحوافز التى دفعت بالحركات الوحدوية فى المانيا وايطاليا الى الامام ، فكذلك تعرض الوطن العربى فى القرن العشرين للاستعمار الاوربى .

كما ان وجود اسرائيل كجسم غريب وسط الامة العربية هو فى حد ذاته باعث قوى يكفى لشحذ اشد العواطف القومية التهابا .

دعاء كل مساء

وتبقى بعد ذلك كلمة نخص فيها عبد الحميد يونس بالحديث .

ذلك ان عبد الحميد يونس قد اصيب من الدهر بالرزء مرتين — مرة فى نفسه وهو ابن ست عشرة سنة ، ومرة فى ابنه وهو ابن اربع سنوات . ويسمى عبد الحميد يونس فى كتاباته الرزء فى نفسه بالتجربة الاولى ، والرزء فى ابنه بالتجربة الثانية .

ولعله الارزاء جعلت عبد الحميد يونس اكثر اتصالا واقوى حساسية واشد انفعالا بالرزء من صاحبيه .

وتقبل عبد الحميد يونس هذه الرزايا في شجاعة نادرة ؛ واقبل هو كما اقبل أبنه من بعده على الحياة يمارسها كاحسن ما تكون الممارسة . ومن هنا كان نجاحه ؛ وكان تفوقه وامتيازه .

كما أن عبد الحميد يونس قد اقبل على رعاية المكفوفين بقلب سليم وعزيمة صادقة ؛ وفي ذلك يمتاز عن صاحبيه .

واقبال عبدالحميد يونس على رعاية المكفوفين قد شمل الجانبين النظرى والعملى . فقد قام بترجمة كتاب عن قصة تعليم المكفوفين « أسمه رحلة في عالم النور » وكتب له مقدمة واضاف فيه فصلا ثمينا .

هذا الى جانب عمله كرئيس لجمعية النور للنهضة بمكفوفى البصر ؛ وعمله كنائب رئيس المركز النموذجى لرعاية المكفوفين ؛ ونائب رئيس الجمعية المصرية لرعاية العميان ؛ ونائب رئيس اللجنة المشتركة لرعاية ذوى العاهات ؛ وعضو بمجلس ادارة جمعية النور والامل ؛ وعضو المجلس العالى لرعاية المكفوفين .

ودعوة عبد الحميد يونس وعمله ينحصران في هذا الميدان ؛ في تحقيق فرص العلم والعمل للمكفوفين

والدكتور عبد الحميد يونس صنع لنفسه دعاء يبتهل به الى الله كل مساء وقد اتخذ ابنه لنفسه هذا الدعاء بعد أن حور فيه بما يتلاءم ووضعه النفسى

وهذا الدعاء هو :

« اللهم ان كينونتى ووجودى من كلمتك كن فيكون .

اللهم ان فكرى نورك ؛ وارادتى طريقك المستقيم .

اللهم ان كنت كففت بصرى فقد الانيت بصيرتى ؛ وآريتنى بسائر الحواس ما يراه الاخرون بالبصر ؛ واطلعتنى على خبيئات بعض النفوس ؛ وامرتنى الا اعمل بما اعلم الا باذنك .

اللهم اغنى على من يغسل ؛ ومن ينحرف ؛ ومن يستعلى بظاهر قوته على قاهر ضعفى .

اللهم عفوك . اللهم رضاك . »

وهناك أمر يخصنى وحدى، لتدخلات صحبتى لعبد الحميد اكثر مما طالت بالنسبة لصاحبيه . وقد بلغت من العمر ثلاثين سنة وتزيد .

وصحبتى لعبد الحميد قد اطلعتنى على الكثير من خبيئات نفسه . وانى لأرى في صحبته متعة لا تعدلها متعة .

ان عبد الحميد ساخر . يسخر من نفسه ومن الحياة ومن الاحياء .

وسخرية عبد الحميد تكشف عن الانحرافات المضحكة التى تكشف عما في طبيعة بعض الناس من سخافات .

واكثر ما يكون عبد الحميد متصاحبين يسخر من نفسه ومن الاصدقاء ؛ وحين يلذع ناقدا مجريات الامور في هذه الحياة

***

ونختم هذا المقال بالبيانات الموجزة التالية .

ولد الثلاثة بمدينة القاهرة ؛ ولد الاول بحى شبرا في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٠٤ ؛ وولد الثانى بحى السيدة زينب في ٤ فبراير سنة ١٩١٠ ؛ وولد الثالث بكوبرى القبة في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩ .

وتخرج الثلاثة في كلية الآداب جامعة القاهرة .. تخرج الاول عام ١٩٢٩ ؛ وتخرج الثانى عام ١٩٤٠ ؛ وتخرج الثالث عام ١٩٥٠

وتخصص الثلاثة في الدراسات العربية ونالوا درجة الدكتوراه .. تخصص الأول في التصوف العربى وحصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٤٠ ؛ وتخصص الثانى في الأدب الشعبى ونال فيه الدكتوراه عام ١٩٥٠ ؛ وتخصص الثالث في التاريخ العربى الحديث ونال فيه درجة الدكتوراه عام ١٩٥٦ ؛ وكان ذلك من جامعة السوربون بباريس . اما صاحباه فقد حصلا على الدكتوراه من كلية الآداب جامعة القاهرة .

ولكل واحد من الثلاثة كتب عديدة ؛ وبحوث مستفيضة ..



د. سامية
أسعد أحمد



العين في الأدب الفرنسي

اذا استعرضنا اسماء كبار الكتاب الفرنسيين من القرن السادس عشر حتى ايامنا هذه ، لما وجدنا بينهم اديبا كطه حسين أو ميلتون بينما نجد انالكثيرين منهم قد جعلوا من العين ، والبصر ، او فقدانه ، محورا لمؤلفاتهم ولا يتسع المجال هنا ، لاستعراض الطرق التى تناولوا بها هذه الموضوعات ، لذا ، نكتفى بلمحات على بعض المؤلفات الادبية الفرنسية التى تعرضت للعين او العمى بطريقة او باخرى .

تصف الاساطير الانسان بانه « عملاق ذو مائة عين » . ويقول « مالرو » عن العين والرؤية ، في « أصوات الصمت » :

« نحن لا ننظر أبدا الى العين في حد ذاتها . ويجهل كل منا لون حدقة عين كل اصدقائه تقريبا . العين نظرة، وعين فى نظر طبيب العيون والرسام فقط » .

ويقال عن شكل العين أنها كبيرة ، أو صغيرة ، أو بارزة ، أو غائرة ، وقد تكون العين لامعة ، أو صافية ، أو رائقة ، أو مشتعلة ، أو ملتهبة ، أو ثاقبة ، أو ناعسة ، أو ثابتة ، الخ .. والعين نور – « نور العين » – ونار . يقول فيكتور . هيجو :

« هل تعلم ان عينيها مشتعلة النظرات ؟ » .

والعين تعبير ، فهى « مرآة النفس » كما يقولون . قد تكون شريرة ، أو قاسية ، أو باردة كالصلب أو ساذجة، أو ضاحكة ، أو ماكرة ، أو يقظة ، أو حنونة ، أو قاتلة ، أو جميلة .. الخ . يقول الشاعر أندريه شنييه :

« يظن الشباب دائما أن العيون الجميلة ضمان للروح الجميلة » .

ويقول موسيه :

« ابدا لم تسبر عينان احلى من عينيك » .

أغوار سماء أصفى من هذى السماء، أو تعكسا زرقتها » .

أما الشاعر بودلير ، فيلجأ الى هذا

التشبيه :

« عيناك ، حيث لا يكشف شيء

حلو او مر عن نفسه ،

جوهرتان باردتان ، يمتزج فيهما

الذهب بالحديد » .

اما تيوفيل جوتييه ، فيصف عيني معاصره ، الكاتب الروائي الكبير بلزاك ، مستخدما هذه الكلمات المعبرة :

« اما العينان ، فلم يوجد مثيل لهما ، ابدا . كان فيهما ضوء ، وحيوية ، ومغناطيسية تفوق الوصف . كان بياضهما ، بالرغم من سهر الليالي ، صافيا ، ميالا للزرقة ، كبياض عين الطفل او العذراء . ورصع البياض بماستين سوداوين ، تغيرهما بعض الانعكاسات الذهبية ، من وقت لآخر . كانتا عينين قادرتين على ان تجعلا الصقر يغض الطرف امامهما ، قادرتين على القراءة عبر الجدران والصدور ، وعلى صعق الوحوش الكاسرة .. كانتا عيني عاهل ، ومروض ، وعراف مستبصر » .

وتدخل كلمة « العين » ـ بمعناها المجازي ـ في تكوين عبارات شتى مثل : « من اجل جمال عيني فلان » . اي حبا فيه ، ولا لشيء الا لارضائه .. وكثيرا ما نلقى المقارنة بين العين والحيوانات ، كان يقال : « عين الصقر » ، او « عين القط » ، او « عين الغزال » ...

ويقال عن حركة العين : « يجول بعينيه » ، او « يلقي نظرة » . اي « يوجه نظراته الى ... » ، او « يثبت عينيه على » ، او « يغض الطرف » ، او يلتهم بعينيه ـ جسدا جميلا ، مثلا ـ او « يلقي نظرة على جريدة او كتاب » ، اي يتصفحه بسرعة ، ويكتفي بقراءة بضعة سطور منه .

وتدخل « العين » في تكوين بعض الامثلة السائرة والحكم ، منها « البعيد عن العين بعيد عن القلب » ، و « الحب من أول نظرة » ، و « العين بالعين والسن بالسن » ، و « الحب أعمى » ، و « لا يرى المرء العصا في عينه ويرى القشة في عين أخيه » ، الخ ..

كما أن هناك أشياء « تلفت النظر » ، و « جمال يسحر العين » ، وصورا تضع الاشياء أمام عيني القاريء .. أو المستمع .

يقول موليير ، في مقدمة مسرحيته « النساء العالمات » .. :

« لا أوصي بقراءة هذه المسرحية الا الذين لهم عيون يكتشفون بها أثناء القراءة كل حيل المسرح وأسراره » .

وقد تكون العين عين الرضا أو عين الحسود ، أو عين الناقد ، أو عين العاشق أو العاشقة . يقول موليير في « البخيل » :

« لو أن الجميع رأوك بالعين التي أراك بها .. »

اندريه مالرو : يجهل كل منا لون حدقة عين اصدقائه



ويقول راسين فى « متريدات » :

« هل تنظر بنفس العين الى الجرم والبراءة ؟ » .

وقد لا « يصدق المرء عينيه » ، او ينظر الى الامور « بعين الايمان » ، أو يحب شخصا « كما يحب عينيه » او يتمسك بشىء . كما « يتمسك بحبة عينه » .

ولنذكر ، فى النهاية ، عين الضمير، مثلما فى قصيدة فيكتور هيجــــو الشهيرة « الضمير » التى تتحدث عن قتل قابيل لاخيه هابيل :

« عندما انتهوا من اعـــداد المكان وتسويره

وضعوا الجسد وسطه فى برج من الحجر

لكنه ظل مكتئبا ، شـــاردا ، فقال قسيلا

وهو يرتجف : « هل اختفت العين ؟
واجاب قابيل : « لا ، ما زالت هنا »
ثم قالا : « أريد السكن تحت الارض
كما يسكن الرجل الوحيد قبره .
لن يرانى شىء بعد الان ، ولن ارى شيئا » .

عندئذ ، حفروا له حفـــرة وقال « قابيل » « حسن » .

ثم هبط وحده تحت القبة المظلمة .
وعندما جلس على مقعده فى الظلام
واغلق الجب على جبينه .

كانت العين فى القبر ، تنظر اليه

العين
فى الأدب الفرنسى

نشر ديدروه عام ١٧٤٩ نصا علميا وفلسفيا شهيرا عنوانه « خطاب عن العميان ، فى خدمة المبصرين » واثار هذا النص اهتماما بالغا ، وكان سببا فى اقتياد صاحبه الى سجن فنسين ، اذ اتهمته الحكومة والبوليس بمحاولة هدم النظام ومهاجمة الاخلاق . كتب ديدروه هذا النص بمناسبة تجــربة أجراها العالم رومير .كان هذا الاخير

قد أجرى عملية لشخص ولد اعمى ، ودعا بعض العلماء والفلاســـفة الى مشاهدة ردود الفعل الاولى للاعمى أمام النور . لكن الحاضرين ادركوا ، من خلال كلام الاعمى ، أنه استرد البصر سلفا ، وأن روومير لم يخصهم بالنتائج الاولى لتجربته المثيرة ..

تلك هى الـــــوقائع التى يوردها ديدروه فى بداية خطابه ، حيث قال أيضا فى شىء من المكر ، ان رومير فضل « بعض العيون الجميلة » ـ كانت التجربة الاصلية قد تمت فى حضرة مدام دى ســــان مور ـ على بعض القادرين على الحكم . وتمثل انتقام ديدروه فى كتابة هذا المقال الذى تحدث فيه عن العميان ووجهه الى عشيقته انذاك .

يحدثنا ديدروه ، بادىء ذى بدء ، عن الزيارة التى قام بها لرجل ولد أعمى يسكن قرية بويزوه الصغيرة ، وعن الملاحظات التى أبداها فى هـذا الصدد . ثم يورد لنا ردود الاعمى بأمانة تامة . ولقد كان هذا الاخيـر « شخصا لا يفتقر الى الرشد » . ولم يفت ديدروه المتعطش دائما الى المعرفة أن يستخلص من هذه التجربة المثيرة بعض النتائج الهـــامة التى احاطها ببعض الافتراضات وبعض التفسيرات المتينة ، يقرر ديدروه أولا أن الاعمى قادر على الحكم ، شأنه شأن المبصرين تماما . فهو يعرف كيف يربط أجزاء الحديث بعضها ببعض ، وكيف يحرك الكلمات ، ويختار افكاره . صحيح



بودلير : وقصيدته الشهيرة «العميان»



موليير : رأى في مسرحية
النساء العالمات ...

ان مجموع هذه الافكار اقل من مجموع افكار المبصرين . مثال ذلك ان مفهوم الجمال ليس غريبا عليه ، ومع ذلك ، تخلو كلمة الجمال من المعنى ، في نظره ، اذا انفصلت عن الفائدة . مما لا شك فيه أن كثيرا من الاشياء الرائعة تغيب عن العميان . لكن ، اذا كانت فكرتهم عن الجمال أضيق . فهي من المؤكد أوضح من فكرة الفلاسفة المبصرين الذين تحدثوا عن الجمال بالطول وبالعرض .

يلاحظ ديدرو بعد ذلك ان اعمى بويزو قادر على الوصول الى المفاهيم الرياضية والهندسية . وحيث تركب نقاطا ملونة ، لا « يركب هو الا نقاطا ملموسة » . تنتج عن هذه الملحوظة واقعة جديرة بالاهتمام ، الا وهي : في مجال الافكار والتجريد ، يرى الاعمى الاشياء بطريقة اكثر تجريدا منا ، ويبدو ، بالتالي ، انه اقل تعرضا للخطأ من المبصرين ، لا « التجريد لا يتمثل الا في الفصل ، بالفكر ، بين صفات الاجسام المحسوسة أو فصل الصفات بعضها عن بعض ، او صفات الجسم الذي يعد اساسا لها » . بعبارة أخرى ، كل الافكار العظيمة التي نستخلصها من روائع الطبيعة ، لا بد وأن تبدو للاعمى ضعيفة جدا .

ويستخلص المؤلف النتيجة التالية من هذا الفحص الاولي السريع : في المواد التي يقال عنها ميتافيزيقية ، حيث نميل الى الرجوع الى المطلق ، لا ينبغي ، منطقيا ، الا الرجوع الى النسبية اساسا . بالفعل ، اذا فحصنا عالم الاعمى من الناحيتين الجمالية والاخلاقية اتضح لنا أن « اخلاقيات العميان » تختلف عن اخلاقياتنا .. ان اخلاقيات الاصم تختلف عن اخلاقيات الاعمى .. ونتبين من كل هذا ، ان الحواس تتدخل في تكوين افكارنا - حتى أسمى هذه الافكار ، اكثر مما نظن ..

يواصل ديدرو تحليله ، ويترك اعمى بويزو ليهتم بحالة اكثر تعقيدا ، حالة نيقولا سندرسون ، عالم الرياضيات الانجليزي الشهير الذي ولد اعمى ، وعاش فيما بين ١٦٨٢ و ١٧٣٩ . تخيل سندرسون ، وهو في الخامسة والعشرين ، « حسابا ملموسا » يمكنه من مواصلة البحث العلمي ، وكان يشعر أنه قد وهب له . ويبين لنا ديدرو كيف توصل سندرسون ، باعتماده على احاسيسه الخاصة ، الى الاسس الرئيسية للرياضيات ، بل والضوء . ويأسف لان سندرسون لم يقم بعمل مماثل في مجال الهندسة ، حيث كان يمكن أن يستخدم الاعمى « مبادىء ميتافيزيقية غاية في التجريد اقرب الى مبادىء المثاليين الميتافيزيقية » .

وهنا ، يكشف ديدرو عن حقيقة فكره مستخدما كلمات اشتهر بها فيما

العميان

في الأدب الفرنسي

بعد : « نطلق اسم المثاليين على هؤلاء الفلاسفة الذين لا يعون الا وجودهم ، والاحاسيس التى تتوالى بداخلهم ، ولا يقبلون أى شيء اخر . وانه لنظام شاذ . لم يكن لينشأ فيما يبدو لى . الا عن العميان » . وعند هذه النقطة من المقال ، يدور حديث هام بين ستدرسون المحتضر والقس هولز . يعد هذا الحديث من أقوى الصفحات التى كتبها صاحب «الانسيكلوبيديا» . فيه يبلغ ديدروه مفهوما معقدا للمادة والطبيعة ، ويدخل فكرة التطور التى كانت جديدة آنذاك ، وكذا فكرة حساب الاحتمالات . ويصل الى « حدود هذا الكون » ، فى حدود المعلومات التى قدمها له عصره . وعندما ينتهى ديدروه من عرض فكرته ، يتضح لنا أنه حلقة أساسية فى سلسلة الفلاسفة الماديين ، فهو يربط مادية الاقدمين بالمادية العلمية الحديثة .

تلك هى الافكار الاساسية التى يشتمل عليها هذا المقال . ومن الواضح أنه يقع فى نقطة التقاء الادب والفلسفة والعلم ، وأنه يحتل مكانة أساسية ، لا بين مؤلفات ديدروه فحسب ، بل بين مؤلفات النصف الاول من القرن الثامن عشر عامة .

***

اما الشاعر بودلير ، فتحدث عن « العميان » فى احدى قصائد « زهور الشر » ، وعن « عيون بيرت » فى « المطام » ، وعن « عيون الفقراء » فى قصيدة منثورة .

و « العميان » قصيدة شهيرة كتبها بودلير عام ١٨٦٠ ، وتحدث فيها عن هذه الفئة من البشر بنبرة مبتكرة ابعد ما تكون عن الاشفاق التقليدى ، وان لم تخل من التعاطف الانسانى العميق :

« تأمليهم يا نفسى ، انهم بشعون حقا
شبيهين بالدمى ، مضحكين فى ابهام ،
مخيفين ، كمن يمشون نياما ،
مصوبين مقلاتهم المظلمة لا ادرى الى أين .

***

تظل عيونهم التى ذهبت عنها الشرارة الالهية
مرفوعة للسماء كأنهم ينظرون بعيدا ،
لا تراهم يميلون ابدا برءوسهم المثقلة نحو الارض حالمين .

***

هكذا يعبرون الظلمة اللانهائية
اخت الصمت الابدى . أيتها المدينة،
بينما تغنين ، وتضحكين ، وتخورين من حولنا ،

***

وتعشقين المتعة لدرجة البغض
انظرى ! اجر نفسى أيضا ! واقول ،
وانا خامل الذهن اكثر منهم :
ما الذى يبحثون عنه فى السماء ، هؤلاء العميان ؟ »



ديدروه : خطاب عن العميان فى خدمة المبصرين

أما بيرت التى تغنى بودلير بعيونها فى قصيدة كتبها عام ١٨٦٤ ، فـلا نعرف شيئا عن حقيقة شـخصيتها يرجح البعض انها امرأة الهمت الشاعر بعض قصائده ، وأن قال عنها فى القصيدة « طفلتى » ، ويرجح البعض الاخر انها عشيقته الشهيرة جان دوفال التى مثلت على المسرح ، فى صباها ، دور فتاة اسمها بيرت . يقول الشاعر عن « عيون بيرت » :

« تستطعين احتقار اشهر العيون
يا عيون طفلتى الجميلة ، يا من تقطرين ويهرب منك
شيء حلو ، عذب كالليل ، لا اعلم عنه شيئا .
ايتها العيون الجميلة ، اسكبى على ظلمتك الساحرة !

***

يا عيون طفلتى الكبيرة ، ايتهـا الاسرار المعبودة ،
تشبهين كثيرا هذه المغارات السحرية
حيث تتلألأ كنوز مجهولة غامضة .
خلف اكداس الظلال النائمة !
لطفلتى عيون غامضـة ، عميقة ، واسعة ،
مثلك ايها الليل الهائل ، منيـرة مثلك !
افكارها افكار حب ممزوج بالايمان
تلمع فى جوفك ، عفيفة أو متلذذة »

***

ولعل « عيون الفقراء » من أجمـل ما كتب بودلير نثرا ، يرجع هذا النص الذى اثنى عليه الناقد سانت بيف الى عام ١٨٦٤ أيضا . وفيه يربط الشاعر بين العين ووضع اجتمـاعى بعينه ، مضفيا على العلاقة بساطة وشـاعرية فائقتين :

« آه ! تريدين أن تعرفى لم احقد عليك اليوم . لا شك أنه من الاسهل لى أن أشرح لك الامر عن أن تفهميه . لانك ، على ما أظن ، أصدق مثال على عدم الاحساس النسائى .

كنا قد قضينا معا نهارا طويلا بدا لى قصيرا . وكان كل منا قد وعد الاخر بأن يشاركه افكاره ، وقلنا أن روحينا ستصبحان، من الآن فصاعدا، روحا واحدة ..

وفى المساء ، تعبت قليلا ، وأردت الجلوس أمام مقهى جـديد يقع على ناصية شارع جـديد .. كان المقهى متلألئا. كان الغاز نفسه ينشر فيه المقهى ما فى بداية عهد الناس من حميـة وحماس . كان يضيء بكل قواه الجدران البيضاء لدرجة تخطف الابصار ..

ووقف على الطريق، امامنا مباشرة، رجل طيب يناهز الاربعين ، متعب الوجه ، رمادى اللحية ، امسك بيده صبيا صغيرا ، وحمل على ذراعـه الاخرى كائنـــا من الضعف بحيث لا يستطيع المشى . كان قد قام بدور الخادمة وأخرج أطفاله لكى يستنشقوا هواء المساء . كانوا يلبسون أسمالا بالية . كانت الوجوه الثلاثة جادة بطريقة غريبة . كانت العيون الست تتأمل المقهى بنفس الاعجـاب ، وان اختلف حسب العمر .

كانت عيون الاب تقول : « ياللجمال! يا للجمال ! كأن ذهب العالم المسكين كله قد انتقل الى هذه الجدران ! » وعيون الصبى الصـغير تقول : « يا للجمال ! يا للجمال ! لكنها دار لا تسـتطيع أن يدخلها الا من

الممثلة جيد : البطولة الرئيسية فى « السيمفونية الريفية » لفتاة عمياء



لا يشبهوننا » • اما عينا اصغرهم ، فكانتا مسحورتين بحيث لم تستطيعا التعبير الا عن الفرحة العميقة البلهاء•

يقول المفتون أن اللذة تحمل النفس على الطيبة ، وتلين القلب • كانت الاغنية على حق ، ذلك المساء بالنسبة لي • لم أتعاطف مع عائلة العيون هذه فحسب ، بل أحسست بشيء من الخجل امام أكوابنا وكئوسنا وكانت اكبر من ظمئنا • أدرت نظراتي الى نظراتك ، يا حبيبتي العزيزة ، لكي اقرأ فيها أفكاري • وغصت في عينيك الجميلتين الحلوتين ، غصت في عينيك الخضراوين اللتين تسكنهما النزوة ويلهمهما القمر • لكنك قلت

العين في الأدب الفرنسي

لي : « لا احتمل هؤلاء الناس بعيونهم المفتوحة كأبواب الدخول الا تستطيع أن تطلب من صاحب المقهى أبعادهم عن هنا ؟ »

***

وفي واحدة من اشهر روايات الكاتب الفرنسي اندريه جيد ، ونقصد بها « السيمفونية الريفية » ، — التي نقلت الى الشاشتين الكبيرة والصغيرة على السواء — ، نلتقي ببطلة عمياء ، تؤثر حالتها هذه على موقفها من الشخصيات الاخرى ، ومن سياق الاحداث • نشر جيد هذه الرواية عام ١٩١٩ • وروى فيها قصة قس بروتستانتي يقطن بلدة صغيرة في مقاطعة لي جوراء • وصور لنا القس على أنه نفس مرهفة حساسة ميالة الى القدسية ها هو ذا القس يقبل في بيته ، وسط افراد عائلته ، جرترود ، الفتاة اليتيمة العمياء التي يهب نفسه لتربيتها وارشادها الى سبيل الروحانيات • لكن حب القس لابنته بالتبني يفقد في الواقع ، طهره وبراءته كلما كبرت الفتاة • الا أنه لا يقدر على رؤية الشر في نفسه ، كما لا يقدر على رؤيته في نفس الآخرين •• لذا ، لا يلتفت الى تلك العاطفة التي أحدث وجودها كل من زوجته وابنه جاك • وجاك مغرم ، هو الآخر ، بجرترود ، لكنه لا يود أن يثير غضب أبيه • ومع ذلك ، يبقى بينهما شيء من التوتر ، يزيد من حدته اختلاف وجهتي نظرهما الدينيتين تستولي الحيرة على الاب ، عندما يكتشف أن ابنه يلومه على شيء ما • وفي النهاية ، يرى كل ما يدور في نفسه بوضوح لكنه لا يعرف كيف يقابل مظاهر الحب الذي تكنه جرترود له • ويزداد اضطرابه عندما يفكر في أن الفتاة قد تبصر بعد اجراء عملية لها • وتنجح العملية بالفعل • وتعود جرترود الى القرية ، لكنها تلقي بنفسها في الترعة الواقعة بجوار الطاحونة • قبل وصولها الى بيت القس • ولا تنجو من محاولة الانتحار الا لفترة تعترف خلالها للقس بأنها رأت جاك في المستشفى ، وبأنه حملها على اعتناق المسيحية • وتقول له أنها وجدت نفسها ، بعد أن أبصرت في عالم أكثر جمالا لكنه أكثر فسادا أيضا ، من ذلك العالم الذي وصفه لها وهي عمياء • وروعت مشاعر استاذها ، وروعت ، في الوقت نفسه ، الحب الذي تكنه لجاك • عندئذ أيقنت أنها ستكون سببا في مأساة ، فقررت الانتحار • ويختتم القس روايته — وكان يقوم بدور الراوي — باخباره ايانا أن جاك قرر أن يدخل الدير •

عندما تبنى القس الفتاة العمياء ، أراد انتزاعها من ليل الفكر والروح ، على الاقل • لكنه ادرك في الوقت نفسه أن عمى جرترود سبيل الى ابقائها

بمنأى عن الشر . وبالفعل ، يغرق العمى عند الفتاة باكتشـــاف ما في العالم من شر . ولا يسعها الا ان تهرب من المواجهة . وهكذا تعود الى اغفاءة الموت ، حيث لا رؤية ، ولا شر ، ولا مأساة .

واخيرا ، لا يفوتنا ، في مجـرى حديثنا عن العين ، ذكر « عيون الزا » للشاعر الفرنسي المعاصر اراجون . في هذا الديوان ، يتغنى الشاعر ـ كما هو واضح من العنوان ـ بزوجته ، ورفيقته وملهمته ، الزا تريوليه التي رحلت منذ عامين . وعيون الزا تكتسب هنا معنى خاصا ، عميقا ، مبتكرا .

في هذا الديوان، يفصح الشاعر عما في نفسه ، ويصبح افصاحه شيئا فشيئا ضرورة حيوية ملحة ، لا بد منها حتى لا يذوب واقع « الزا » في خضم كل ما يفرق بين العشاق : الزمان ، المكان، الحرب ، العمل ، النوم ، الحلم ، الوحدة ..

عندما دخلت « الزا » حياة اراجون وبعثت الاضطراب في كيانه ، دخلت الى قصائده ايضا . وكل مرة ، تبدو وكأنها تدخل فيها لاول مرة ، كأنها كشف يتجدد دوما .

لكن الغموض يكتنف « الزا » ، وان كانت حقيقة واقعة . وبفضل هـــذا الغموض ، يظل الشاعر في الغابة المسحورة ، ما من امرأة لها حقيقة تحاكي حقيقة « الزا » . والشاعر ، اذ يذكرها ، لا يمجد كائنا مثاليا ، بل امرأة حقيقية فريدة من نوعها ، ربطته بها تجربة الحب ، تلك التجربة العالية الفريدة . وفي الوقت نفسه ، لا يرسم اراجون صورة الزا ابدا ، حتى لو حملت القصيدة اسمها ، بل يتحدث عن وجودها من خلال التلميح الى يديها ، وعطرها ، وشعرها ، وصوتها ، وكيانها ، وعينيها مثلما في هذه القصيدة

« اعميقة العينين لما ملت انهل منهما

ابصرت امرأة يخايل ماءها كـــل الشموس

ويرتمي فيها لقاء الموت كـــل اليائسين

عميقة العينين حتى ان ذاكرتي تتوه

*

اقلقت الاطيـــــار امواج المحيط المضطرب

الجو يصـحو فجأة فتحورت منك العيون

وفصل الصيف السحابة في ازار ملائكة

ان السماء على حقول القمح ازرق ما تكون

*

الكون مما قد جرى في ذات امسية تحطم

فوق صخر اشـــعل النيران فيه قراصنة

اما انا فتالقت في ناظـــرى فوق البحار

عيون الزا عيون الزا عيون الزا



فيكتور هيجو : العين تنظر الى قابيل في القبر

محمد صالح باخطمة



تقــول وفى العينين منها تســاؤل
وحمرة خوف قد تبدت على الخـد
احس ارتعــاشا فى الجــوانح غامرا
كانى به قــد بات منى على وعـد
تراه الهوى قــد جاء يعبق عنــدما
خطوت الى العشرين ؟ ام خفقة السعد؟
واطرقت لم اعرف جــوابا لما ترى
وما تشتكيه منــــه مجلوة القــد

وقلت لها والسحر طاغ بلحظهـــا
وهل ينفع الشاكى؟ وهل نصحه يجدى؟
هو الحب ياسمراء والخوف والضنى
هو العمر لو يفنى يظل على العهـد
هو النـــار تسرى آهة وتحــرقا
هو الخفق لايهدا وان زاد فى العد

اعيذك ياسمراء من وقدة الهــوى
ومن سهر الليــل الطويل من الصد
اعيذ العيــون النجل من لوعة الضنى
ومن آهة الاشواق من حرقة السهد
فانت التى تهـوى وتعشق لا التى
يصـوحها بوح الصباية والجهـد
وانت لك النعمى : خيـــال وصبوة
وانت لك الصـفو الجميل بلا حـد



وانت خيـال كم سما فيـه شاعر
يناديك لم ييأس وان زدت فى البعد

وانت صفاء الدهر ان بات فى شجى
وانت شفاء القلب ان فاض بالوجد

وانت السنا للعمر اما تعثـرت
حظوظ الليـالى او تثـاقل من كد

لحولك كم تهفو قـلوب ظميئـة
ترى وصلك المرجو من غاية الجـد

***

فواعجبى من حـلوة قـد هويتهـا
تسير الى الاشواك يا قسوة القصد

دعى السهر المضنى لمن همه الهوى
ولا تشغلى بالا اليـه بمـا يبدى

ولا تفزعى يوما بما قد تريتـه
ولا تصرمى عمرا تفتح كالـورد

ولا تسالى مضنى تسـهد واكتـوى
ابعد ترين اليوم انصف فى الرد؟



لقاء الشعراء والأدباء في تونس الخضراء

اكتب رحلة هذا الشهر ، وانا في الطريق الى الحبيبة القرطاجية ، تونس ، مع صحابي من الشعراء والادباء الذاهبين الى هناك ، للمشاركة في مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر ، اللذين يقامان لاول مرة على فردوسها الأخضر

ولما كان من المقرر ان تمتد الرحلة الى اخر مارس ، فقد استحال على في هذه المرة ان احدث القارىء عما كان في المؤتمر والمهرجان ، وموعدنا بذلك في العدد القادم ان شاء الله ، وان كنت قد التقطت للهلال من قصائد المهرجان ، القصيدتين المنشورتين بهذا العدد

الشاعرة الشهيدة سلوى حجازى

كانت ابتسامة حلوة على شفة الحياة …

كانت روحا شاعرة ، وصوتا حالما ، وظلا حانيا وشبابا متفتحا مقبلا على الحياة …

هكذا كانت سلوى حجازى ، مذيعة التليفزيون الرائدة ، التى كانت وجها من الوجوه الاولى التى لمعت على الشاشة المصرية الصغيرة فى أول العهد بهذه الشاشة



الشاعرة الشهيدة : سلوى حجازى ...

وظلت مخلصة لرسالتها الاعلامية ، لا يثنيها عنها شيء ولا يغريها بغيرها اى عرض من مال او شهرة او ضوء الى اخر لحظة فى حياتها ، حيث ذهبت الى ليبيا الشقيقة لتتابع ذات الرسالة ، ثم عادت لتلقى وجه الله شهيدة بيد الاثم والغدر والعدوان ، وتحترق على أرض سيناء وتلحق بالشهداء الابرار الذين سبقوها الى شرف الاستشهاد فى سبيل مصر ، ورسالة مصر

ولقد خرجت القاهرة كلها تشيع جثمان سلوى فى مظاهرة شعبية حزينة .. وكانت جموع الناس على جوانب الطرق التى اجتازتها الجنازة ، وفى النوافذ والشرفات ، وفوق جسور ميدان التحرير ، تندى نعشها بالدموع ... هذه الدموع المصرية الحنون على ابنتها الراحلة ... هذه الدموع التى تتبخر وتتصاعد الى سماء الله ، تستمطر الرحمات على سلوى ، وعلى رفاق رحلتها ، اخوتنا فى العروبة ، من ليبيا والسودان والاردن ولبنان ، واخوتنا فى الانسانية ، من فرنسا وغيرها وكلهم من المدنيين العزل ومن بينهم كثير من الاطفال والنساء والشيوخ ، الذين احتشد لهم غدر اسرائيل بقواته البرية والجوية الضارية ، ليسقط طائرتهم ، ويحول مسارهم الذى يقصدونه ، من ديار اهليهم الى القبور ، ومن احضان امهاتهم وآبائهم وبناتهم وابنائهم الى حضن التراب

ان صورة سلوى حجازى سوف تبقى فى ضمير الانسانية رمزا صارخا بالانتقام من اسرائيل ذات الضمير الموءود ..

وسوف تبقى مرة أخرى فى ضميرنا ، نحن خدام الكلمة ، كشاعرة حلوة الكلمة ، مرهفة الخيال ، لها اكثر من ديوان باللغة الفرنسية ، اولها ديوان « ارتعاشات » الذى ترجمت منه الى العربية اكثر من قصيدة ، منها القصيدة المنشورة بهذا العدد من الهلال ، وآخرها ديوان « ظلال واضواء » الذى كتب له صديقنا الشاعر الكبير أحمد رامى مقدمة عاطفية جميلة يجدها القارىء على صفحات العدد الرائق من ابنتنا « الزهور »

ايتها الروح الشاعرة ، ارجعى الى ربك راضية مرضية ، وثأرك فى اعناقنا ، وذكراك فى اعماقنا

صاحب السيف القلم د. إبراهيم مدكور


د. ابراهيم مدكور

اصبح شيخ الفلاسفة المعاصرين ، الدكتور ابراهيم مدكور، الامين العام لمجمع اللغة العربية ، من أصحاب السيف والقلم ، مع انه لم يحمل السيف فى حياته ، فقد نشأ فى رحاب الازهر ، وواصل دراسته فى دار العلوم ، وواصلها فى جامعة السوربون بباريس

وقصة ذلك ، ان زملاءه من ممثلى المملكة المغربية فى المجمع ، قرروا ان يقدموا له هدية بمناسبة بلوغه عامه السبعين ، واقروا ان تكون الهدية سيفا من الفضة المزركشة، من صناعة مدينة « تطوان » ...

وقد قدموا له السيف فى حفلة شاى أنيقة على الطريقة المغربية ، اقامها السفير الاديب ، السيد عبد اللطيف العراقى ، سفير المغرب بالقاهرة ، فى منزله المطل على النيل ، ودعا اليها نفرا من الخالدين والسفراء والادباء والشعراء ، والقى السيد عبد الله كنون ، وهو من كبار علماء المغرب ، ومن أعلام الخالدين ايضا ، تحية رقيقة ، للدكتور مدكور قال فيها ان المغرب يقدم اليه هذا السيف ليبقر به بطن الجهالة والانحراف عن سلامة اللغة ونقاء العروبة وصفاء الفكر

الأدب العربى باللغة المجرية فى ٥٠٠٠ صفحة

وكان بين المدعوين الى تلك الحفلة ، المستشرق المجرى الكبير ، الحاج عبد الكريم جرمانوس ، عضو مجمع الخالدين، وهو الآن فى الثامنة والثمانين من عمره ، ولكنه لا يزال موفور النشاط ، يقظ الذهن ، جم الانتاج

وقد التحى بى المستشرق جرمانوس ركنا من قاعة الحفلة ، واخذ يحدثنى عن حياته ، وكيف انه اصبح هو وزوجته المسلمين الوحيدين فى بلاده ــ المجر ــ بعد أن هاجر سائر المسلمين من المجر فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، بعد انتشار الشيوعية هناك

وقال لى انه لم يعد هناك مسجد واحد فى المجر ، ولهذا فانه يؤدى الصلاة ، هو وزوجته ، فى احد الاضرحة الاسلامية القديمة

واضاف انه على الرغم من انه ليس شيوعيا ، الا ان الحكومة المجرية قد كرمته ، تقديرا لعلمه وفضله ، فجعلته

نائبا فى البرلمان ، وبذلت له كل عون فى سبيل اداء رسالته العلمية

والدكتور جرمانوس يجيد اللغات المجرية والاغريقية واللاتينية والانجليزية والفرنسية والالمانية والتركية والعربية، وهو عضو فى ستة مجامع لغوية وعلمية ، منها المجامع العربية ، ومجمع الهند

وهو محاضر رحالة ، وقد القى فى العام الماضى بحثا ممتازا عن ادب المهجر فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى مدينة نابولى بايطاليا · وله فى هذا الادب نظرية جديدة بالالتفات ، خلاصتها ان الادب العربى المهجرى هو الادب الوحيد الذى تميز بلونه الخاص من بين جميع آداب اللغات الاخرى التى هاجرت مع المهاجرين الى امريكا ، والتى لم تعد ان تكون اكثر من آداب سياسية

ولعل اعظم الاعمال الادبية فى حياة الدكتور جرمانوس ، دراسته الكبيرة عن الادب العربى من الجاهلية الى اليوم ، وقد وضعها باللغة المجرية فى خمسة الاف صفحة ، وهو عاكف الآن على ترجمتها الى اللغة الانجليزية

عبد الكريم جرمانوس



رسالة من العالم الآخر إلى أم كلثوم

تلقيت رسالة وفية من الأديب الوفى ، الاستاذ احمد مصطفى حافظ ، بمحافظة السويس ، الذى سهر على جمع تراث شاعر السويس البائس ، المرحوم محمد فضل اسماعيل واصدر الجزء الاول منه ، وهو بسبيل اصدار الجزء الثانى · كما يضطلع فى الوقت ذاته بجمع تراث شاعر الاسكندرية الكبير ، المرحوم عبد اللطيف النشار

يقول الاديب الوفى فى رسالته :

« رأيت « فضلا » فى المنام بالامس · وظل يوصينى بالحاح بتسليم سيادتكم أبيات القصيدة المرفقة ، التى لم يسبق نشرها بديوانه ، والتى عثرت عليها حديثا عند الاستاذ كامل ابراهيم ، شقيق عميد الخطاطين المرحوم محمد ابراهيم ، بالاسكندرية وانى لباعث بها اليكم وفاء منى لذكرى فضل ، وتحقيقا للحلم الذى اعتبره رؤيا صدق ، لانها كانت على اثر صلاة وذكر واستغفار حتى السحر »

وهذه هى القصيدة التى يبدو فيها ان فضلا – رحمه الله – كان يتمنى أن تغنى أم كلثوم شيئا من شعره !

ان سجل النيل (١) لحنا رائع النغم
او حن طائره شوقا الى الهرم

---

(١) يقصد الشاعر بالنيل شعراء القاهرة

او هام في (ام كلثوم) يبادلهـــــا
لحنا بلحن ·· وغنى اصـــدق الكلم
فالبحر (٢) يعـــرف ما للفن من اثـــر
وماله في حيـــــاة الناس من قيم
***
يا بحـــــر هات يتيم الدر اجعلـــه
يتيمة الدهر بين الحلي والعصـــم
فقد ســـــقيت الهوى طفلا وارقني
ليل ذكرت به (جيران ذى ســــلم)
يا بحر اتاك شـــــعرى فاصطفق طربا
اذا ســــــمعت رنين الناى من قلمى
واحمـــل الى « ام كلثوم » معارضـــتى
(للنهج) (٢) ·· واهجر دموع الوجد وابتسم
فان ســــــمعت (سلوا قلبى) ترددها
امنت انك مخلـــــوق من العـــدم
وان تغنت بمدح (المصطفى) طـــربت
لهـــــــا البرية من عرب ومن عجم
وانصت الفلك الدوار مســـــتمعا
ومادت الارض من غاب ومن اجـــم
وتســـــكن الأسد في الآجام ان سمعت
« ريم على القاع بين البان والعلـــم »
فياسمية (بنت المصطفى) شـــرفت
بك العروبة من واديك للحـــــرم
ان قلت (يا ليل ··) ماج الليل من طـــرب
او قلت « اقديه ··· » اثرت القـــدا بفمى
هاتي الاغاريد هاتى ·· ان لى كبـــدا
قد قرحته يد الاحـــــداث والأيم
قد عشت ، ما عشت ، فى دنياى مغتـــربا
وما وجدت بها شيئا ســـــوى الندم
تنكر الأهل والاحبـــــاب وانقطعت
حتى المودة فى القربى وفى الرحـــم
هل من وفى ســــــوى صوت يقربنى
من الخلود ·· ويدنينى من العظـــم
غنى لى غنى ·· حياة الروح والتخـــذى
شعرى غنـــــاء ·· وزيدى فيه واحتكمى
لحن الطبيعة لا « الســــيكا » تطاوله
ولا ـ المقامات » من « رصد » الى « عجـــم »
والخلد فى صـــــوتك الرنان مرتقب
أبيت ادعو له الرحمـــــن فى الظلم
لعل صوتك يوم الحشر يشـــــفع لى

(١) يقصد بالبحر شعراء السويس ·
(٢) قصيدة « نهج البردة » ·



كوكب الشرق
ام كلثوم ···

فيمـــــا اقترفت من الاثام والتهم
فخلديني بلحن منك الذكــــــــره
اذا وقفت بباب الله ذى الكـــــرم
وانت فى أدب الاسلام خـــــالدة
وانت ابقى على التـــــاريخ من ارم
فاشرقى فى سماء الفن ســـــاطعة
حباك ربك فى يده ومختتــــــم

أيــن ديــوان الشــاعــر السكندرى النشــار؟



الشاعر الراحل :
محمود غنيم ...

● قرأنا فى « رحلة الشهر » بالهلال (عدد نوفمبر ١٩٧٢) كلمة لكم فى رثاء الشاعر السكندرى الكبير عبد اللطيف النشار تعقيبا على رسالة للاستاذ أحمد مصطفى حافظ يبدى فيها استعداده لجمع شعر النشار من مختلف مصادره ، أسوة بما فعل بشعر شاعر السويس الراحل ، محمد فضل اسماعيل

وقلتم فى نهاية كلمتكم يومئذ : « والكلمة الان لمجلس الفنون والاداب ، وفاء لشاعر الاسكندرية الكبير »

وقد مرت على هذه العبارة عدة شهور دون ان نسمع ان المجلس قد صنع شيئا .. اللهم الا أن لجنة الشعر به قد قررت للاستاذ حافظ مكافاة قدرها ثلاثون جنيها مكافاة له على مجهود عامين فى جمع ديوان « فضل » ، ولعلها كذلك حثا له على جمع ديوانى صاحبيه ، النشار ومحمود غنيم ، والاخير هو القائل قبيل وفاته متحسرا :

لقد هتفوا لمحمود شــكوكو
وما ســمعوا بمحمود غنيم

محمود فهمى يسرى
ماجستير فى العلوم الافريقية

ـ والذى اعلمه أن ديوان « فضل » قد نشر على نفقة محافظة السويس ، ولابد أن تكون المحافظة قد كافات الاستاذ حافظ على مجهوده المشكور .

وأما شعر غنيم ، رحمه الله ، فهو ليس بالضائع ، فله ديوانان مطبوعان ، وأما ما لم يطبع من شعره ، فابناؤه ـ وكلهم مثقفون ـ قادرون على رعايته وجمعه ونشره ..

وأما ديوان النشار ، فقد كان يسعدنى أن أكون محاميه فى هذه القضية بلجنة الشعر ، لولا أننى استقلت منها يوم فتحت ابوابها لمن لا أعرف أنهم شعراء ، وذلك منذ اربع سنوات ولهذا انصح للاستاذ حافظ بأن يقابل الشاعر الكبير عزيز اباظة ، مقرر هذه اللجنة ، وانا واثق انه سيستجيب له على الفور ..

● ص . ج ●

سعد حامد

الثوب الأسود

قصة قصيرة



هناك في الشرفة .. في المبنى المقابل .. كانت تقف دائما ..

الشرفة تبدو مغلقة تخيم عليها الكآبة منذ شغل الشقة سكان جدد، ولم تعد تفتح الا قليلا، ولكن صورتها ما زالت تداعب خيالي، وهي واقفة تتطلع الى الطريق او وهي تطعم عصفورها في قفصه، جميلة اخاذة فاتنة، بقوامها الممتلىء ووجهها المستدير، ناصعة البياض في ثوبها الاسود يداعب الهواء شعرها الناعم، ويلمع القرط الماسي في اذنيها كلما حركت وجهها فيخيل الي انها تومض كلها وتضيء، فيخفق قلبي في صدري من فرط الحنين اليها ..

وكل عصر وحرارة الصيف تلهب الحواس تخرج الى الشرفة لتنشر على حبل الغسيل الفوطة المبتلة بعد حمامها اليومي وهي تلمع كماسة نادرة ثمينة، وعيناي تلتهمان حسنها التهاما، وارى الرجال من سكان الشارع يتطلعون اليها، ويرقبون حركاتها في شوق مستعر واقول لنفسي كما لعلهم يقولون لانفسهم « انها خارجة لتوها من الحمام

ويروح خيالي يصورها لي - كما لعلهم يفعلون أيضا - عارية واقفة تحت الدش، وعليها قطرات الندى، كأنها وردة تتألق عليها

قطرات الندى ، فأحس بالنار تسرى فى جسدى أشد حرارة من لهب شمس يوليو المحرقة ..
كنت اراقبها أيضا من نافذة غرفتى كما يفعل كثير من الرجال . كما يفعل الاسطى عبده صاحب ورشة اصلاح السيارات الذى أراه من مكانى كل عصر ومساء وهو جالس داخل ورشته يحتسى كئوس الخمر من زجاجة يضعها الى جانبه وعيناه معلقتان بالشرفة .. وكما يفعل حمدى الطالب بالجامعة الذى يجلس على المقهى المجاور للورشة ويتطلع الى الشرفة فى شغف صامت، وبيده رواية حب أو ديوان شعر .. أراقبها ، وأتطلع اليها ، وأحلم بها كما يفعل بقية الرجال من سكان شارعنا ..

قال لى الاسطى عبده ذات يوم وهو ثمل :

ـ عندما أراها وهى فى الشرفة تنشر الغسيل .. وتتناول من الخادمة قميصها الداخلى ، والسوتيان ، وتعلقهما على الحبل، أحس بالنار تشتعل فى جسدى ، فأروح أشرب الخمر علها تخفف من توتر أعصابى، ولكن صورها تظل تلازمنى ، ولا أظن انها ستبرح مخيلتى أبدا ..

من هناك .. من الشرفة .. تنحدر ذكرياتنا جميعا ...

استيقظنا ذات ليلة عند منتصف الليل على صوت صراخ امرأة يدوى فى سكون الليل ، وتفتحت النوافذ ، وتساءل الجيران عن الامر، وجاء الجواب :

ـ انه السيد فتحى . زوج السيدة عنايات توفى فجأة ، وقد كان مريضا بالذبحة الصدرية .. وهذه زوجته تعول وتصرخ باكية ..

وتأثر الجيران جميعا وهزتهم الكارثة ، فلم يكن الرجل متقدما فى السن ، وكان له ثلاثة أولاد ، وكانت زوجته شابة لم تتخط بعد الخامسة والثلاثين ، ومع أن زوجها كان يكبرها بأعوام قليلة الا انه كان يعانى من مرض السكر والذبحة الصدرية وكان عصبيا سريع الغضب ، وكثيرا ما سمعه الجيران وهو يتشاجر معها على أتفه الاسباب . وظللنا نسمع صوت صراخها وبكائها حتى مطلع الفجر ..

وقد بكت الارملة زوجها فى اخلاص ووفاء وبدت متلفعة حزينة ، واحاطها الجيران بالعطف والود ..

وبدت الارملة مفرطة الجمال فى الثياب السوداء ، فقد زادت بياض بشرتها نصوعا ، ولس جمالها الحزين شغاف القلوب ، وحرك فيها عواطف من الشفقة والاعجاب والرثاء والحب

ودارت عجلة الحياة، وخفت حدة الصدمة ، واستردت السيدة رونقها .. وردت الدماء الى وجهها الشاحب ، واستعادت حيويتها ، وتفجرت أنوثتها ، وحاصرتها النظرات الفضولية، ودارت حولها أشواق الرجال ، ومع كل يوم يمر يزداد شوقهم اليها ، وهم يتصورونها قنبلة متفجرة الانوثة تعيش فى شقة بمفردها بدون رجل ، ولعلها أحوج ما تكون اليه .. وتضاربت حولها الاحاديث . هل تظل هكذا وتنقطع لتربية أطفالها ؟ هل تتزوج ؟ انها صغيرة ، وجميلة ، وحرام أن تدفن شبابها فى قبر ، وتحرم نفسها من متع الحب ومسرات الحياة ..

وعندما كانت تخرج الى الشرفة ، وتقف مستندة الى سورها تتطلع الى الطريق أو تطعم عصفورها كانت عيوننا تتعلق بها حتى لا تكاد تطرف ، وكانت قلوبنا تتلاحق نبضاتها مسرعة فى صدورنا ، وكانت الرغبة العارمة تعصف بنا ..



أنا أعزب وحيـــد . موظف أتقاضى مرتبا لا بأس به .. حياتي تنقضى على وتيرة مملة . من العمـــل الى البيت الى المقهى الى لقاء الاصدقاء .. اقرأ الكتب ، وافكر فى كل شىء . فى الحياة ومتناقضاتها وتفاهتها . وفى الحب ، وفى الموت وفيمـــا وراء الموت ، وابتسم تارة ، واعبس تارة ، واضحك مرة ، واتعذب أخرى ، وأضيق أحيانا فافكر فى الانتحار .. واجـــول فى شقتى الصغيرة كعصفور سجين فى قفص . قلبي يدق فى صدرى ، ودمائى تجيش فى عـــروقى ، واحلم بالحب ومسراته .. وربما هى .. هى وحدها من دون نساء الارض جميعا وكثيرا ما التقت عينانا ورأيتها تختلس الى البصر وهى تطعم عصـــفورها وتداعبه ، وادركت أن هذه المرأة الشابة تخفى فى أعماق عينيها ظمأ الى الحب لكن عينيها لا تكتمان سرها ، فتسيل نظراتها أحيانا بالحنين والشوق .

والاسطى عبده صاحب ورشـــة السيارات رجل متزوج وله خمسة أولاد ، قوى الجسد كالحصان ، وعندما يغضب يصبح كالثور الهائج ، فينهال على صبيانه بعصـــا غليظـــة ، وهو يحب النساء ، ويدمن الخمر ، ولايفتأ يتطلع الى السيدة عنايات ، ويذوب شوقا اليها ، ويريد أن يضع كل ما يربحه بين يديها ، وأن ينقطـــع عن شرب الخمر ليجلس عند قدميها .. ويحدثها عن حبـــه وشغفه بها .

والطالب حمدى معجب بها أيضا ، ويطاردها بنظراته فى وله ، وهو لا يدرى ماذا يريد من وراء هذا الحب .

نحن الثـــلاثة صرعى جمالها ، وعاشقو فتنتها ، وطيور سجينة فى قفص الحب ، وهناك أيضـــا رجال آخرون ، ولكننـــا نحن الثلاثة كنـــا لا نغفل عنها لحظة .. كنا ندور حولها ، ونحتـــرق على لهيبهـــا ، وكانت نظراتنا تتعانق هناك فى شرفتها ، وقلوبنا تلتقى هناك فى شرفتها ، وعندما كانت عيوننا تلتقى مع بعضنا البعض كنا نتبادل نظرات الرثاء !

كان حمدى يتطلع اليها كما يتطلـــع الوثنى الى صنمه . والاسطى عبده يغازلها فى جرأة ، ويلقى على مســـمعيها كلمات الاعجاب والغزل . أما أنا فقد قررت أخيرا أن أحصل على جواز مرور الى قلبها ..

وكان وجهها يلاحقنى فى النهار وفى الليل ، ويحرك جمالها حـــوابى فى عنف ، ويغرقنى فى أحلام مشبوبة . لقـــد أذكت فى نفسى جـــذوة مضـــطرمة لا تنطفيء ، وأصبحت حياتى حنينـــا دائمـا ، وشوقا ملحـــا اليها ..

ورحت أقضى أكثــــر وقتى الى جانب نافذ‌تى أتطلع اليهـــا فى اصرار لا يعرف الملل ، وبدا لى من نظراتها المختلسة الى أنها أدركت ما أحمله لها من حب ، وأنها سعيدة بهذا الشغف المحمـــوم الذى يطل من عينى كلما نظرت اليها ، والتقـــت عينانا مرارا ، وتبادلنا الابتسام ...

وعندما خـــرجت الى الطريق ذات يوم تبعتها ، والتقينا ..

من هنـــاك .. من الشرفة .. تنبـــع ذكرياتى ! ..

تناولت يدها البضـــة بين يدى ، وملأت عينى من جمالها ، وكانت فتحة ثوبها واسعة حبكولتيه ، .. فتسللت نظراتى الى

صدرها وتنهدت ..

وسرنا معا نتحدث ، وجلسنا في احد المشارب وشربنا معا قدحين من الشـــاى ، وكنت اتكلم معها ، وانهل من جمالها وعذوبتها ، وكأنني نصف نائم ..

وافترقنا على موعد ، وتكرر لقاؤنا ، وجرفتنا دوامة الحب .

وعرضت عليها يوما ان نلتقى في شقتي حتى نأمن العيون ، ونتنعـــم بالهدوء بعيدا عن الناس فلم تمانع ، وجاءت الى ذات مساء .

الشقة هادئة ، والضوء خافت ، وانا متـــوتر الاعصاب ، مضطرب ، احس كـــأن حمى تسرى في جسدى ، وانا لا اجهل انها هي مصدر دائي ، وهي ايضا دوائي ، فانا اعشق هـــــذه المرأة ، اعشقها حتى الجنون ، حتى الموت .. اتعلمي لو ألفظ انفاسي ورأسي متوسد صدرها .. أهذا هـــو الحب ؟ لا ادرى ؟ اتشعر هي مثلما اشعر ؟ اتحس مثل هذه الخلجات وتعاني مثل هـــــذه الحمى : اتشاركني الشوق والحنين واحسست بتيار كهربى يسرى في جســـدى ، ويهزنى هزا وانا اضمها الى صدرى ، واهوى على شفتيها بقبلة محمومة ، وضغطتها بين ذراعى فتملصت منى وهي في اشد حالات الاضطراب . ثم اجهشت بالبكاء وهي تهمس :

ـ انا استحق الرجم . ولكن ... ماذا افعل ؟

وغطت وجهها براحتيها فدنوت منها ، ورحـــت اجفف دموعها بشفتى ، فدفنت رأسها في صدرى فاخذت امسح على شعرها الناعم في حنان ، وانشق عطره تغمرني هـــــذه الافـــــكار .. الان اتحـــــــد روحانا وجسدانا ، وبلغت عاطفتنا ذروتها . هذه اللحظـة المفعمة بالنشوة والعذاب والحيرة التى ربط فيها بيننا ذلك الرباط السرى الذى لا ينفصم .. هـــذه اللحظة التى تتم فيهـــا اعظم انتفاضـــــة في الوجود ، وتنبثق منهـــا الحياة .

وانتبهنا لنفســـينا ، وكأننا كنا مستغرقين في حلم عذب ، وتلفت حولى كالمستيقظ من نوم عميق ، ورمقتها بنظراتى فـــاذا بها بين ذراعى في قميص وردى ، وكانت قـــــد خلعت ثوبها الاسود ، والقته جانبا على الارض نظرت الى الثـــــوب



الأسود في شماتة ، كأنه عدوى .. وتعلقت نظراتى بقميصها الوردى ، وقلت بيني وبين نفسي ساخرا :

ـ يا امرأة .. انك تحبين الحياة وتظهرين غير ما تخفين . ومنـــذ مات زوجك وانت تتضورين جوعا الى الحب لكنــك تخفين الحقيقـــــة وراء حجـــاب كثيف ، وراء ثوبك الاسود .. الثوب أسود حالك ، والقميص وردى اللون ، والجســد دافيء يلتهب بالرغبة ، ويضيء كالبللور . لـــاذا كل هذا الخداع يا كاذبة

والسحت بوجهى لاخفى ابتســـامة تلاعبت على شفتى .

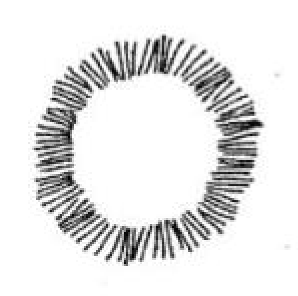
لم اكن اريد ايلامها . كل ما حدث اننى وانا اشعل سيجارتي سـقطت « الولاعة » من يدى على الثوب فاشتعلت فيه النار ولما اندفعت نحوه لتنقذه تشبثت بها خوفا عليها من النار ، فاخذت تبكي وهي تتهمني بانني احرقته عامدا ، فقلت لهـــا في هدوء :

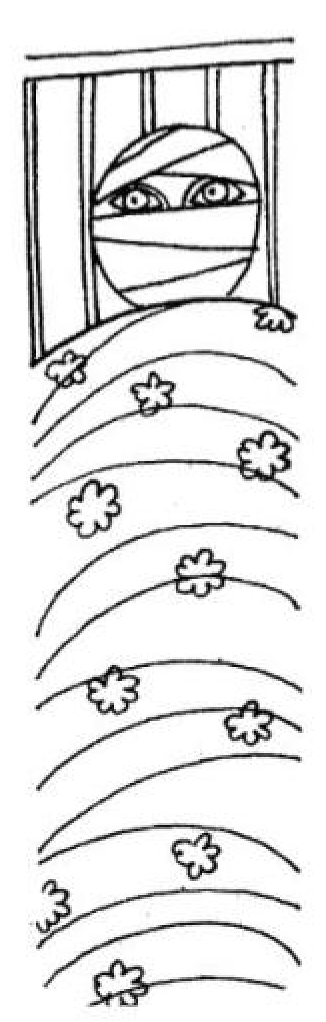
ـ دعيه يحترق ... انه القناع المزيف للحقيقة .. وسانزل لاحضر لك ثوبا آخر في دقائق .

ولما تسللت خارجة من شقتى في منتصف الليل في ثوب ملـــون كانت غاضبة ، وفي عينيهـــا دموع ، وحـــاقدة على جميع الرجال ..

وقلت لنفسي ليلتهـــا محاولا ان اخفف عن نفسي بعض ما احسست به من

إ١٠





شعور بالذنب حيالها :

ـ مادامت تحب الحياة فلماذا لم تخلع الثوب الاسود وتعيش الحياة بكل أفراحها ومتعها .. لماذا لم تفعل ؟!

واصبحت تتحاشى رؤيتي ، واغلقت الشرفة، ولم تعد تظهر فيها ،

وتبعتها مرة ، وحاولت أن اتحدث اليها ، فقالت لي في حدة :

ـ كل ما بيننا قد انتهى الى الابد ..

وخلفتني واجما ، وانصرفت حانقة ..

وظل الاسطى عبده يطاردها كلما رآها مارة في الطريق ، ويلقى على مسمعيها كلمات الاعجاب

والغزل ، وسمعت ذات يوم انها صفعته وبصقت عليه ، ورأيته يكف عن ملاحقتها ، وبدا كسير

النفس امام سكان الشارع الذين كانوا يرمقونه بنظرات السخرية ويتندرون عليه ، ولكنه ظل يلاحقها بنظرات والهة معذبة ..

وسمعت يوما انه ترصدها ، وبينما هي داخلة الى بيتها ألقى على وجهها بماء النار

انتقاما لكرامته الجريحة وكبريائه المهدورة ، وحملها الجيران الى المستشفى ..

ذهبت اليها في المستشفى ، كانت اصابتها بسيطة ، ولما رأتني بكت ، وقالت لي في غضب عنيف :

ـ لا أريد أن أراك ، كلكم كلاب ..

واخذت أعتذر لها واستغفرها ، واحنو عليها ، لكنها ظلت

جامدة الملامح واشاحت عني بوجهها .

شفيت السيدة عنايات وغادرت المستشفى ، والاسطى عبده كان في السجن ، وحمدى الطالب

هجر المقهى ، وكثيرا ما أراه في الطريق ، وفي

يده رواية حب أو ديوان شعر ، وأنا ما زلت أجول في شقتي الصغيرة

احلم بالحب ، وكأنني عصفور في قفص ، وهي تركت شقتها وذهبت

لتعيش مع امها واخواتها في حي آخر ..

والخريف من حولي حزين موحش ، وقلبي جامد في صدري كأنه

قطعة من الجليد لا يخفق بحب امرأة بل ينبض نبضا أليما .. وأنا وحيد

ولا شيء يحرك عواطفي والشرفة هناك على مرمى بصري مغلقة حزينة ،

وفي رأسي ذكريات لا أظن أنني سأنساها أبدا . ◆

إيليـــا
أبوماضـي

التراب والنور

كم خفضنا الجباه للجاهلينـــا وعــذرناهم فمــا عــذرونا
خبروهــم يأيهــا الغافلونا انمــا نحن معشر الشــعراء
يتجلى سر النبــوة فينــا
ذكروهم فــرب خــير كبير فعلتــه الهـــداة بالتذكير
انمــا النــاس من تراب ونــور فبنــو النــور يعبدون النورا
وبنو الطين يعبدون الطينا
قيل عنــا : قصورنا من هبــاء تتلاشى فى صحوة ومســاء
او ســطور بالمــاء فوق المــاء لو سكنتم قصورنا بعض ساعه
لنسيتم شهوركم والســنينا
لو دخلتــم هيــاكل الالهــام وسرحتم فى عــالم الاحــلام
واجتليتم سر الخيــال السامى وعرفتــم ـ كمــا عرفنا ـ الله
لخـــررتم امامه ســاجدينا
قــد سقتنا الحياة كاســا دهاقا حسنت نكهة ، وطابت مذاقــا
وســـقينا مما شربنا الرفاقا فتركنــاهم حيــارى سكارى
يتمنون انهــم لا يصحـــونا
همــكم فى الكئوس والاكواب آه لو كان همــكم فى الشراب
لطرحتم عنــكم قيــود السراب وشعرتم بلــذة او عــذاب
هــذه الخمر ليتكــم تشربونا !
أتقولون : انه مجنـــون ؟ أتقـــولون : انه مفتـــون ؟
أتقولون : شــاعر مســـكين كم مليك ، كم قائد ، كم وزير
ود لو كان شــاعرا مجنـونا !
عاش ((ملتن)) فلم يكن مــذكورا و(الهوميروس)) كالشيخ كان ضريرا
ولقد مات ((ابن برد)) فقــيرا ارأيتم كمـــا راى العميــان
افلســـتم بنورهم تهتـــدونا ؟

د. محمد أبو الأنوار

ثلاثة من ذوى

البصائر على درب المسيرة الظافرة

•

الصاوى شعلان
أحمد الزين
محمد غلاب



تجمعهم قصة كفاح الانسان عندما يستعل على كل العقبات يمده نور البصيرة النافذة ، وشجاعة النفس الجسور ، وصلابة العزم الغلاب ، فيحقق ارقى غايات الانسان وانبل امانيه حيث يستحيل ضياء لاجنة الانسان على درب الحياة فى مسيرتها الظافرة الى الحق والخير .

● الصاوى على شعلان ●

فى حى الحلمية العريق بين السيدة زينب وباب الخلق ، ومكان المحكمة الشرعية العليا القديمة حيث كان المكتب الدائم لمفتى الديار المصرية ـ يقيم الان فضيلة الشيخ الصاوى على شعلان . شيخ جليل مهيب ينبعث نور الايمان من وجهه الوضيء ، ورغم سنه المتقدمة فهو بحمد الله موفور النشاط ، يلقاك على عتبة داره بالبشر والترحاب والحفاوة والتكريم ، وهو لطيف الروح ، ذكى الدعابة ، يمضى الوقت الطويل وانت معه فلا تحسبه الا لحظات قصارا ، لانه محدث لبق ، وعالم ممتليء ، فى جعبته ذكريات طيبة ، فهو قادر على أن يزحم لك الوقت بما يسرك ويرضيك .

فى ريف مصرنا الحبيبة ، وفى قرية « سبك الاحد » بمحافظة المنوفية فى أوائل ١٩٠٢ ولد الصاوى على شعلان فى أسرة مصرية يرجع نسبها الى قبيلة عربية قدمت البلاد فى عهد السلطان « قايت باى » . ولكن الطفل الصغير فقد نعمة الابصار صغيرا ، وهو لا يذكر شيئا عن هذا الحادث الباكر فى طفولته ثم الحفت عليه وطأة الحياة فمات ابوه وهو دون العاشرة .

ولكنه عندما اتم العاشرة من عمره كان قد اتم حفظ القرآن الكريم . ثم بعث به الى الازهر ويقول محدثا عن نفسه : « لقد جئت الى الازهر غريبا يتيما فى رعاية بعض الاقارب بالقاهرة، وبدات بتعلم القراءات فى صحن الازهر واحببتها وشغفت بها ، واعجب استاذى الشيخ سابق محمد السبكى بتقدمى المتميز ، فاوكل الى تعليم المبتدئين ، ومن هذا نشأت لدى ملكة المعلم ، وكان استاذى يقول لى : ما أسندت اليك هذا الامر لاريح نفسى ، بل لاعلمك كيف تكون معلما ، ولذا كان يستمع الى ويسعد بى ويمدنى بملاحظاته وتوجيهاته » .

ثم ينتقل الفتى الى القسم الثانوى ، وقد هاله أن ينتظر خمس سنوات للحصول على الشهادة الثانوية وتاقت نفسه الى حلم جميل صنعه هواه . هو أن يختصر هذه السنوات الطوال الى اقل حد ممكن ، ولكن كيف ؟ ! كانت الحركة الوطنية فى البلاد فى أعقاب ثورة ١٩١٩ تشغل الشباب الوطنى وقد جذبته بقوة اليها ، ووصل الشاب الصغير بحماسه الوطنى ، ودربته الفائقة على فن الخطابة واستعداده الباكر لقول الشعر الى درجة أهلته لان يكون عضوا باللجنة التنفيذية العليا للطلاب ، وكان يجوب مع الشباب الثائر المناضل الى جانب سعد باشا زغلول البلاد المختلفة ، وكان يخطب وسط اخوانه القادمين الى بيت الامة حتى يخرج لهم سعد باشا ، وكان العقاد يشجعه ويبارك حماسه عندما يناديه بقوله « يا خطيب بيت الامة » .

ويحكى الشيخ فيقول : ان هذه الصلة بسعد وبالوفد لم تكن تجعلنى فى موقف الخصومة أو العداء مع حزب الاحرار الدستوريين بل كنت أحب رجاله ، وأسعى اليهم لاستفيد بعلمهم حيث كان بمعسكرهم بارز اليه كثير من الكتاب والمفكرين ممن احبهم وأرى فيهم زادا وعظمة يجب أن استفيد من علمها وخبرتها . وشاعت عنى روح المسالمة والمصادقة للجميع ، وحبى للعمل مع سعد ورجاله هو حبى للعمل الوطنى الذى اجمعت عليه الامة ، ولم يكن للشباب المثقف الواعى مذهب غير الوطن . المهم أن العمل الوطنى طغى كثيرا على وقته وجهده .

واخذ الفتى يتطلع الى التبعات الملقاة عليه ، العمل فى صفوف الحركة

الوطنية ، وتعلم الخط البارز ، وكان هناك قلق يفرضه عليه حلم طموح ، انه يريد أن يختصر السنوات الخمس للقسم الثانوى الى عام واحد ·· وكتم الفتى أمله فى نفسه ولكنه صمم وأكد العزم

ثم فاجأ الجميع بنجاحه في الشهادة الثانوية ، وزملاؤه ما زالوا بالسنة الثانية وظهر اسـمه فى الجرائد فى قائمة الناجحين ··

وهنا وجد الشاب الظافـــر يحالفه ويصادقه فداوم صحبته ولزم عشرته ·· كان قد قطع شوطا كبيرا في تعلم الخط البارز ، وهنا اتسعت فرصـــة التعلم امامه فاخذ يتعلم علوم الرياضة ، وتعلم من الخط البارز ثلاثة خطوط : الخط النقطى ، والخط المعتمد على الشرط ، والخط المعتمد على المستطيلات والدوائر، واكب على جميع الكتب الموجودة بمصر منذ عهد على مبارك فقرأها · ويقول الشيخ الصاوى : كنت اشعر بالامتنان العميق لعلى باشا مبارك لانه اول من ادخل تعليم القراءة البارزة بمصر ··

● على طريق الكفاح والنجاح ●

يقول الصاوى شعلان : لقد اهتديت منذ طفولتى الى مفتاح الفهم والتفوق هو أن اكون معلما لاترابى وزملائى ، ولكن ماذا أصنع فى اللغات ·· كنت أجيد علوم العربية ، وكنت أجيد علم الجغرافيا ، وكنت قد برعت فى العلوم الرياضية التى تعلمتها عن طريق الخط البارز وقد بذلت جهدا طويلا شـــاقا وصابرا، وهنا هجمت على طلاب المدارس أعلمهم ما أعلم من هذه العلوم ، وأطلب اليهم أن يعلمونى ما لديهم من لغـــات ، وكانت مبادلة ناجحة مكنت لى من اتقان الانجليزية والفرنسية ·

وقد انفق الشيخ سنوات طوالا فى تثقيف نفسه بالثقافات الحـــديثة فى الرياضة ثم فى اللغات ، وكان همه أن يبرع فيها ، وكان يرى أن الحصول على الشهادة العالمية بغير هذه الثقافة سوف يصرفه عنها ، فتفرغ لها قبل أن يتقدم على الاستعداد للشهادة العالمية ·

ولم ينس الشاب رسالته الاولى وهى وجوب الحصول على شهادته العالمية ، وكان حظه من المعرفة قد تقدم وارتفع· وكان قد اغراه هذا التقدم وذلك الظفر بأن يقوم بنفس الدور الذى لعبه من قبل فى الحصول على الشهادة الثانوية من الخارج ، فاخذ يجد فى تحصيل علوم القسم العالى بنفسه ، ثم تقدم لامتحان العالمية ، وهنا انكر الناس عليه هـــذا التقدم السريع ورسب هـــذه المرة فى امتحان العالمية فى مادة الاصول بعد ان مكث فى الامتحان ثلاث ســـاعات ونصف الساعة ·

وانكر زملاؤه وأصدقاؤه هذا الموقف من شيوخهم ، وطلبوا اليه ان يكتب ضدهم وان يطلب التحقيق فى قضيته ، ولكنه رفض بشدة أن يقف موقف العداء لاساتذته ، وعاب على أخوانه هـــذه الروح ولم يشكرها لهم وقال : هـــذا عقوق لا يبرره النجاح ، ولا يكفر عنه النجاح ، · ودرس الرســــوب ينفعنى وينفعنى ، واسرع الى شـــيوخه يطلب توجيههم ، ويؤكد لهم انه بحاجة ماسة الى التعلم على أيديهم ، ويؤكـــد لهم انه سـعيد باقرارهم الحق فى رسوبه ، وشاع عن الطالب الجسور موقفه بين شيوخه فارتفعت مكانته لديهم وصار موضعا لحبهم واحترامهم · ثم نجح فى تقدمه التالى للعالمية ١٩٣٤ ، وكان

اول الدفعة ، ويبلغ شوطا بعيدا فى اتقان اللغة الانجليزية وتعلم الفرنسية ، وكان يقرأ على نحو مستمر الجرائد الاجنبية.

● فى الجامعة وفى الحياة ●

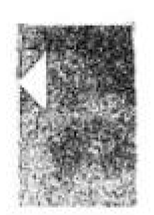
طرق الشيخ الصاوى باب الجامعة المصرية ، وكان له شغف شديد بالوقوف على جميع الدروس التى تلقى فى كل من كليتى الاداب ، ودار العلوم ، ويقول محدثا عن نفسه : « كنت أنتظر الطلاب على باب هذين المعهدين العظيمين لاقرأ كراساتهم وأعرف ماذا يدرسون » .

وذهب يطرق باب كلية الاداب ، ولكنه لم يفتح له الا بعد محاولات شاقة لم يعرف معها اليأس . ثم فتحت له الابواب ، وقيد أسمه فى معهد اللغات الشرقية بكلية الاداب واقبل يتعلم الفارسية والتركية، والاردية ، الى جانب الالمانية . وظل الرفاق من حوله يتساقطون فى طريق الدراسة الشاقة ، وظل يثابر ويثابر فى شغف واصرار حتى تخرج ، وقيد موضوعا للدكتوراه فى اوائل الخمسينات هو « نظم ١٠٠٠ بيت من « مثنوى » جلال الدين الرومى مع تحليل ودراسة » وبالرغم من ان الشيخ لم يتقدم لمناقشة الدكتوراه الا انه اتم العمل ، وكانت له قصة مع الحياة فى قطاع آخر .

عين الشيخ واعظا بمصلحة السجون عقب تخرجه عام ١٩٣٤ ووعى منذ اللحظة الاولى أن هذا الميدان يحتاج الى جهود اصلاحية لا تنقطع ولا تتقيد بحدود العمل الوظيفى الرسمى ، فوهب نفسه معلما ومصلحا ، ونشط فى تعليم الاميين منهم القراءة والكتابة ، وألف كتابا للمبصرين فى محو الامية فى دروس العربية والحساب . كان يدرس للمسجونين ولكتائب الحراسة ، وطبعته مصلحة السجون ، وكان يخرج بنتائج عالية وكانت الامتحانات تشرف عليها وزارة التربية والتعليم حتى أحيل الى المعاش سنة ١٩٦٢ ، وهو بدرجة مدير عام لادارة الوعظ والتعليم بمصلحة السجون .

ونتيجة للجهود الكبرى التى اسهم بها الشيخ فى مجال عمله الرسمى بمصلحة السجون هاديا ومعلما ، وللجهود الايجابية فى مجال الخدمة العامة عن طريق الجمعيات سواء كان مشتركا فيها أم غير مشترك ـ قدرت الدولة جهوده الطيبة فاهدته وسام الاستحقاق من الطبقة الرابعة سنة ١٩٥٤ .. كما منحته محافظة القاهرة سنة ١٩٧٢ شهادة تقدير وميدالية فضية بمناسبة يوم العمل الاجتماعى .

وبعد أن صدحت كوكب الشرق بأغنيته حديث الروح التى ترجمها عن اقبال ، وجهت له الحكومة الباكستانية دعوة لزيارتها وأحاطته بصنوف التكريم لجهوده التى يبذلها فى تعريف الامة العربية بالتراث الاسلامى الفارسى . وقد أسهم هناك بالقاء العديد من المحاضرات باللغات الانجليزية ، والاردية ، والفارسية ، والعربية الفصحى ، وزار قبر اقبال وأنشد عنده هذه الابيات :





الشاعر اقبال : ترجم له الصاوى شعلان المثنية حديث الروح التى تشدو بها ام كلثوم ...

عجبت لنجم مشرق وهو غـــارب ... ومحتجب ما زال يبدو ويظهـــر
ولم ار نجما قط بعد احتجـــابه ... يزيد ضياء فى العيون ويبهـــر
سل الجوهر المكنون فى باطن الثرى ... متى عاد للاصداف قبلك جوهـــر
ضريحك يا اقبال بالمجد حـــافل ... فلو رام كبرا كان فى الكبر يعذر
لذكراك بعث للعلا وقيـــــامة ... بها ميت الاحياء فى الدهر ينشر

● احمد الزين ●

ولد احمد الزين سنة ١٨٩٧ بقـرية « ميت ثابت » مركز السنطة غربية ، فى أسرة مصرية تزرع الارض وتحبهـا وتلى اشد الوفاء للارتباط بها ، وكان والده الشيخ « ابو المعاطى الزين » من اولئك الرجال الطيبين الذين تزخـر بهم القرية المصرية ، واذا كانت الحياة لم تمده بأسباب التعلم فانها لم تحرمه ثمرة كدحه وجهاده فكان فى نعمة من العيش الرغد حيث كان يلى لارضـه بالرعاية والعطاء ، وكانت تجود عليه بالغلة الوافرة والنعمة السابغة .

وكانت صدمة الشيخ عنيفة فى ولده « احمد » عندما فقد الصغير بصره بعد ثلاثة ايام من مولده ، ومن ثم حـدد الشيخ المستقبل للضيف الجـديد : ان يصبح عالما من علماء الازهر ...

لقد ذهب الوالد بولده الى كتـاب القرية الذى كانت تديره احدى القارئات المجيدات ، وعندما ناهز الطفل التاسعة من عمره كان قد حفظ القرآن الكريم ، وتعلم احكام التجويد ، وبذلك امتاز بنبوغه الباكر بين أقرانه ، وقد أعان الزين على هذا التفـوق المبكر أنه لم يجد مسلاة لنفسه الا الاشتغال بالحفظ والدرس ، .. وكان والده حفيـا به شديد العناية بتشجيعه ، حريصا على اطرائه لتميزه على رفاقه وسبقه لهم وكان يجلسه معه مجالس الرجال من ذوى الحكمة والوقار ، ويحس الصغير أنه أصبح بحق رجلا فاضلا ، ومن هنا تعلقت نفس الصغير بالمعالى ، وكان فى هذا التوجيه السديد من ذلك الوالـد القروى ما يدل على نبع الحكمة الصافى فى التربة المصرية التى تمد اهلها ببصيرة راشدة تهديهم الى أساليب التـربية الناجحة .

الفتى الصغير في الازهر : وبعد هذه المرحلة الباكرة من حياة الصبي بعث به أبوه الى الازهر حيث الشيخ « محمد الزين » الشقيق الاكبر لهذا الصغير طالبا بمدرسة القضاء الشرعي ، وهنا تلقفت الفتى الصغير يد عالمة خبرت الطريق الطويل الشاق من قبل ، ولم يكد يتم الصغير العاشرة من عمره حتى كان قد حفظ اصعب المتون الازهرية كالفية ابن مالك ومتن الازهرية والكافي في العروض والقوافي ، وتفتحت مشاعر الصغير وهو في الحادية عشرة من عمره على حب الشعر والشغف بتقليد الشعراء

وفي سنة ١٩١٧ طبع ديوانه الاول وسماه « القطوف الدانية » وهو يشمل الكثير من المدائح والتهاني والغزل ، وخمس فيه معلقة امرىء القيس ، وما ان بلغ العشرين من عمره حتى اخرج ديوانا ثانيا سماه « الاراجيز الاخلاقية » وطبع هذا الديوان سنة ١٩١٨ ، وقدمه الاستاذ محمد فريد وجدى بمقدمة قال فيها : « هذا قبض من فيض اسوقه بين يدى ما انا فيه الساعة من النظر في ارجوزة الاخلاق الموسومة « بقلائد الحكمة » للشاعر المطبوع احمد الزين ، فقد جمعت في اقل من الف بيت ما تشتت من شمل الكلم ، وتفرق من درر الحكم ، ولا غرو فقد نبغ الاستاذ الزين عبقريا بطبيعته كبيرا على حداثته مبرزا وهو في سن العشرين على فحول المعرقين » .

وفي هذه السن دخل احمد الزين ديوان الشعراء منحازا الى الاتجاه المحافظ البياني الذى كان يسود آنذاك في المحافل الشعرية بمصر ، وفي عام ١٩٢٤ حصل الزين على شهادة العالية من الازهر الشريف

مكافأة النبوغ : أخذ الشاب العالم طريقه الى ميدان الحياة العملية ، فقيد نفسه في جداول المحامين الشرعيين سنة ١٩٢٤ ولكنه بعد أن أتم مدة التمرين لم ترقه هذه المهنة فهجرها بعد عام واحد لعله عام التمرين .

ثم واتته فرصة العمل « بدار الكتب » سنة ١٩٢٦ ، وقد استطاع بجهاده العلمي الظافر أن يبرع في فن التحقيق ، وأن يخرج ثمارا قيمة في حقل التراث الادبي . فقد حقق : « ديوان الهذليين » و « العقد الفريد » و « نهاية الارب » و « الامتاع والمؤانسة » لابي حيان التوحيدى ، وديوان اسماعيل صبرى ، و « ديوان حافظ ابراهيم » . وانتج الى جانب ذلك ديوانه الشعرى الذى جمع بعد وفاته ، وشارك في كتابة المقالات الادبية بالصحف والمجلات .

وينبغى أن نلحظ هنا ان مهمة التحقيق لا سيما لكتب التراث تحتاج احتياجا ملحا الى الاعتماد على حاسة البصر . لانها تبدأ بقراءة النص في خطوط مختلفة تختلف رسومها ، وتلعب الفروق بين الرسوم والاشكال دورا خطيرا في تصويب القراءة والوقوف على المراد . فاذا رأينا « احمد الزين » يعتمد على اذنه في تحرير المراد فمعنى ذلك انه يعتمد من خلف هذه الاذن على بصيرة نافذة غلابة تقهر كل الصعوبات بل تذللها ، وتيسرها وتحيط بأدق مراميها ..

يحكي عنه المرحوم « الدكتور احمد امين » يقول : « عملت معه زمنا طويلا في تقر الامتاع والمؤانسة ... وكان رحمه الله يحمل عنى العبء الاكبر ، وكان ذهنه لا حفظا ، وفاحصا ، ولمست انى يوما وقفنا في عبارة نحو اسبوعين لم نعرف تصحيحها ، وهى عبارة ابي حيان عن ابن مسكويه بانه كان (غبيا

بين البياء) فوقفنـــــا فيها حتى جاء الزين يوما فرحا ، وقــــال انى وجدت حلهـــــا ، وهى (انه كان عيبا بين أبيناء) ومثل هذا عشرات من الكلمات ،

ولكن هل كان الفتى العالم الاديب المحقق سعيدا بعمله راضيا عن حظه ، ينال ادنى ما يستحق من العيش الكريم والعـــرفان النبيل ؟ ٠٠ لك أن تعجب العجب كله حين تعرف أن الحيـــاة قد هجمت عليه بمفارقات من المظالم أخذت تحاصره وتلح عليه ، انه فى الوقت الذى يهب الحياة أنفع وأعز ما تغلى به الحياة : الفكر ، والعلم ، والفن ـ فانها كانت تضن عليه بأدنى حقوقه من العيش الكريم بل انهـــا أمعنت فى الكيد له والانتقام منه ٠٠ فهو اديب عالم مؤهل يقوم بجـــلائل الاعمال العلمية، ولكن مكانه لدى الدولة والامة أن يعمل « باليومية » شأن السعاة والفراشين أنذاك ، وظل الترقى البطىء يمضى به فى تثاقل خبيث حتى وصــــل الدرجة السادسة ، وفى اليوم الذى رقى فيه الزين الى الدرجة الخامسة ـ واحتيل له فى ذلك بنقله من دار الكتب الى ادارة الثقافة بوزارة المعارف ـ جاء خبـــر نعيه فى الجرائد ، وتوفى وهو بعد لا يفارق عمله بدار الكتب سنة ١٩٤٧ عن احدى وخمسين سنة ٠

عطاء الاقوياء يعتبر « أحمد الزين » بحق من الشعراء المجيدين القلائل الذين اتخذوا الشعر الاجتماعى بابا من أهم أبواب الابداع الفنى ، والاصـــلاح الاجتماعى ، وهكذا لا تعرف النفـــوس الكبيرة التقاعس أو الهزيمة مهمـــا تصالحت عليها عوادى الطبيعة وعوادى المجتمع بالظلم الرخيص ٠٠ كان « أحمد الزين » يحس وطأة الظلم فى نفسه ٠ وفى أمثاله من النابهين الذين ظلموا فى مجتمع النفعية والوصولية ، ومن ثم كان يحس الغربة ، لانه وجد فى غير أهله ، ومجتمعه المنصف الشريف ، وقد فاضت نفسه بأغنية شاعرة لا تفيض بها الا نفس مقروحة بفداحة مأساتها ـ يقول فيها :

من لشاو فى الاهل يشكو اغترابه ... سئم العيش عذبه وعـــــذابه
ود لو تطفىء المنون وميضـــــا ... من حياة بروقهــــــا خلابه
راح فى الليل يعقد الأمل الضخـ ... ـم فلما بدا الضـــــياء الذابه
جحدوا عنده المـــــواهب حتى ... لم يبالوا أن يجحـــــدوا وهابه
بالجهد قد كان يذكو التهـــــابا ... أخمد الغبن والعقوق التهـــــابه

ثم يمعن فى السخرية منهم ويعلن انه لن يتهاوى الى رذائلهم مهمـــــا كانت التضحية فيقول :

علموه الرياء ممـــــا علمتـــــم ... وخداع النهى فيقـــــرع بابه
بل دعوه وشـــــانه ان تروه ... بائعا نفســـــــه ولا آدابه
أن سفك الدماء ادهى حســـــابا ... من دم التصل تحملون حســـابه
ان قتل النبوغ قتل لشـــــعب ... وعناد لله فيمن انـــــابه

القسوة المتبادلة : كما قست عليه الحياة ظالمة متجبرة فقد بادلها قسوة بقسوة ، وذلك أنه في شعره الاجتماعي كان عنيف الهجمة يكاد يحرق بمشاعره الملتهبة كل الاباطيل الشائعة ، وكل سدنتها من سادة ورعاع ، كان صريحا حادا يطبق بالوصف السيىء على من ينتقدهم فيكون عليهم أشد من صواعق الجحيم ، وفي الوقت نفسه يصمم على الاستمساك بالمبدأ والدفاع عنه لايتزحزح ولا يتحول مهما قست عليه الحياة الظالمة الجائرة ، وشاعت عنه النكتة اللاذعة والسخرية البارعة لدرجة أن بعض معاصريه فضله على حافظ ابراهيم في هذا المضمار .

كان أحمد الزين يرى أن أكبر أدواء أمته النفاق والوصولية ، واسناد الامر الى غير أهله ، وادعاء الجهلة المعرفة ، والخونة الشرف ، وتصدى صغار النفوس وأحلاس النفاق للمسئوليات الهامة وحسبهم من الهمة ادعاؤها ، وهات ألف مقالة هجومية صارخة في النقد عنيفة في الهجوم الصريح للنيل من السفهاء والادعياء ، فانك بعد مضى وقتها لن تعدلها مجتمعة بواحدة من قصائد أحمد الزين في هذا المضمار ، ذلك أن قصائده تبقى دروسها حية ، ودلالتها شاخصة ، وادانتها سافرة في صفحات التاريخ ، وهي بعد صالحة لان تهتدى بها المجتمعات التي تكره الزيف ، وتريم عنه .

وهو يمعن في السخرية في عديد من قصائده سخرية تصفع الوجوه والاقنية من أولئك الوصوليين يقول :

يا لسان الحق لا تنطلق	فاز بالحظوة أهل الملق
علمونا يا أولى الحظوة ما	قد علمتم من طلاء الخلق
او فدلونا على صناعه	نجتليه ببقايا الرمق

الزين وتراث العروبة والاسلام : كان الزين بحكم ثقافته العربية الاسلامية وبحكم عمله في تحقيق كتب التراث يؤمن ايمانا عميقا بأن الحياة لن تنهض الا على هدى الاسلام الحنيف ، ومن ثم نراه يخرج رسالة بعنوان « صياغة موجزة لمشروع دستور اسلامي » وهي مقتبسة من رسائل للأستاذ « أبو الاعلى المودودي » وفي التمهيد لها يقول أحمد الزين : « مما لا ريب فيه أن الاسلام هو نظام الحياة بكل ما في هذه العبارة من معنى ينتظم حياة الفرد ، وحياة المجتمع ... » ولكنه يؤكد أنه « مهما يكن الدستور فاضلا فانه يحتاج الى المواطن الفاضل لاطاعته وحسن تطبيقه والى الامة المقتنعة بفضائله » .

وهو يحب اللغة العربية ويدفع عنها وينتصر لتعلمها واتقانها :

كم حاولت عصبة اطفاء جذوتها	ونارها في رماد الغبن تلتهب
لم يبرحوا ساحل اللجى واتهموا	وفي القرار يقيم الدر لو طلبوا
لا يخجلون حياء ان هموا لحنوا	فيها وفيما سواها اللحن يجتنب
ما قصرت لغة الفرقان عن غرض	ولم يؤد سواها كل ما يجب

وهكذا تعلمنا سيرة أحمد الزين أن الانسان بجوهره القادر على الابداع والعطاء ، وبعزمه النافذ الذي لا يعترف بالعقبات مهما عظمت ، وبعقيدته التي لا تقهر أمام المظالم مهما عتت .

● الدكتور محمد غلاب ●

في قرية بني خالد مركز ملوى بمحافظة المنيا سنة ١٩٠١ ولد محمد غلاب .. وعندما أتم السنة الثانية أصيبت احدى عينيه بالرمد فضعف بصرها ثم

تسرح المرض فى الثانية بسبب الاولى ، وهذه الحقيقة اكدها له الاطباء الالمان فيما بعد ، ولم يكد يصل الى السنة الرابعة من حياته حتى توفى والده .

ويقول فى عبارته « ووكلت الاقدار امرى الى من لم يعتنوا بشأنى كثيرا » ، ثم شرع يتأهب لدخول الازهر بعد مرض عينيه ، لحفظ القرآن الكريم ، وكثيرا من الاحاديث النبوية ، والاشعار والخطب العربية ، وبعد لأى جهيد فى اقناع اخيه دخل الازهر . وكان اول الناجحين فى الشهادة الابتدائية ، ثم كان التاسع فى الشهادة الثـــــانوية وهو ينسب ذلك التأخير فى الترتيب - من وجهة نظره - الى خلاف فى الرأى وقع بينه وبين احد الاساتذة اذ ذاك .

ثم تحول الفتى الى الجامعة المصرية، ونال منها الشهادة العالية ، ثم سافر الى فرنسا على حسابه الخاص فى اوائل سنة ١٩٢٧ ، وعندما قرر السفر للدراسة بالخارج اصطحب رجلا بالاجر سافر معه الى الاسكندرية حتى اوصله الباخرة ، وركب منفردا وكان الوحيد الذى لم يكن له مودع بين المسافرين ، وهناك التحق بجامعة ليون ، وفى يونيه سنة ١٩٢٨ ، نال معادلة الليسانس الفرنسية ، وفى ٣ يونيه سنة ١٩٢٩ ، حصل على شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف مع تقــــرير تقديم التهنئة وتبادل الرسالة بين الجامعات .

وعاد الى مصر وخاض غمار الحياة الادبية والسياسية والاجتماعية ، وفى سنة ١٩٣٣ عين مدرسا للفلسفة والاخلاق بكلية اصول الدين ، وكان لا يفتر عن البحث والقراءة والدرس الى ان توفى فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٧٠ .

وخلال هذه الفترة الخصبة من حياته ظهر له ستة وخمســـون كتابا ما بين تأليف وترجمة : فى الفلسفة والاخلاق ، والاجتماع ، والدراسات الاســـلامية والادبية ، عدا مئات من البحــــوث والمقالات ذكر هو نفسه انها تجاوزت اربعمائة بحث واشار الى انها نشرت فى النهضة الفكـــــرية - وهى المجلة التى انشأها - ونور الاسلام ، والشــــئون الاجتماعية ، والحديث ، بحلب ، والشرق بلبنان ، ومنبر الشرق ، ومنبر الاسلام وغيرها . وقد آلمه انه رغم هذه الجهود لم ينل التقدير اللائق من مجمع البحوث ومجمع اللغة .

ثلاثة من ذوى البصائر



د. احمد امين : اعجب بذكاء ونبوغ احمـــد الزين

حياة العقل والقلب : عندما ذهب الشاب الطموح الى باريس ، تعرف في خلال دراسته الى كثيرين من أبناء وبنات فرنسا المشتغلين بالعلم والبحث ، وهناك واحدة أثارت انتباهه ، وأثار انتباهها، وموضع الاثارة المشترك بين الطرفين حب القراءة الى درجة الوله ، وكانت هذه الهواية المشتركة رباطاً وثيقاً بينهما .. انتهت بأن عرض الشاب المصرى الضعيف البصر للغاية أمر الزواج على الفتاة الفرنسية التي كانت تشغل وظيفة محترمة في فرنسا حيث كانت تعمل (سكرتيرة مدير ادارة السكك الحديدية) فكان العهد بينهما على الا يتزوج أحدهما غير صاحبه وانهى الشاب المصرى دراسته وعاد الى القاهرة سنة ١٩٢٩ ، وحضرت الفتاة الفرنسية بعده لزيارة القاهرة والتعرف عليها وطمانته على صدق وعدها في سنة ١٩٣٠ .. ، ثم سافرت الى فرنسا ولم تتمكن من الوفاء بعهدها وتيسير ظروفها الا في سنة ١٩٣٧ حيث استقالت ، وجاءت الى القاهرة للتزوج وتبقى .

وتم زواجهما في محكمة حلوان الشرعية بعد أن أعلنت اسلامها ، وسارت حياتهما على خير حال ، ويقول الاستاذ على احمد الصديق والسكرتير الشخصى للمرحوم الدكتور غلاب انها سيدة عجيبة تكاد تقرأ كل يوم كتاباً وكانت تنفق هى والدكتور على الكتب وتقوم بشرائها وتحضيرها في البيت وتسود البيت فرحة شديدة ولا ينفكان معا عن الزاد الجديد حتى ينهيانه معا.

ثم رحل الزوج الى رحمة الله في عام ١٩٧٠ ، وما زالت الزوجة الوفية لم تبرح القاهرة منذ قدمت اليها . وهى تخشى أن تزور فرنسا فتموت هناك فلا تدفن الى جانب الدكتور غلاب في بنى خالد بملوى ، وهى مقيمة وملازمة لشقيقة الدكتور التى كانت هى الاخرى صديقته الاولى والتى رفضت الزواج من أجل البقاء الى جانبه ، وهما معا اختان لا تفترقان تقضيان شهور الشتاء في بنى خالد وشهور الصيف في القاهرة .

عندما عاد الدكتور غلاب من باريس كان في سن التاسعة والعشرين في ميعة الشباب ونضارته ، تم له الفوز في حياته العلمية ، وتطلع الى مكانه في الجامعة المصرية لكنه لم يفز به ، وظل من ١٩٢٩ ـ ١٩٣٣ لا يعمل في وظيفة حكومية ، وكان يعينه على حياته ويغنيه عن اللابدّ ما كان قد ورثه من أبيه وهو لا يقل عن عشرين فداناً .

واخذ الدكتور غلاب يكتب في السياسة الاسبوعية ، ولكنه لم يجد الحرية التامة التى يريدها لنفسه عندما يكتب ، ولم يكن المقال الاسبوعى ليشبع نهمه الى الكتابة والى ابداء الرأى والخوض في المشكلات العديدة التى يريدها . فعزم الامر على اصدار مجلة خاصة به ، وبالفعل صدرت له « النهضة الفكرية » في ١٩٣١/٥/١٠ . وبدأ في مقال الافتتاح يهاجم الصحافة المصرية كلها : بأنها صحافة تهدف الى « ارضاء الأغلبية الساحقة من القراء، ومسايرة الجماهير فيما هى فيه من شان النقص ومعيب القصور ، ولاتحاول الصعود بهم الى المثل الاعلى الذى ينشده كل محب لبلاده غيور على تقدمها ورفعتها كما تفعل الصحف الادبية في البلاد المتمدينة » وهو لا يشكك في وطنية هذه الصحف ولكنه يقول ان علة ذلك ان هذه الصحافة لا تريد ان تضحى في سبيل انهاض البلاد بشىء من حالها ووقتها وراحتها، واعلن انه يقدم مجلته للجمهور وسيحقق فيها الى اوسع مدى الحرية والاستقلال الواقعى » .



د. محمد غلاب : تراث وافر في الفلسفة والاجتماع والدراسات الاسلامية ...

وفى العدد الاول قرر أنه سيتناول الكتب المصرية فى ضوء التحليل العلمى المنطقى ، وفى ضوء التذوق الشخصى الواعى طبقا لموضوع الكتاب وطريقة مؤلفه ، وبدأ فى العدد الثانى من مجلته يقسم ادباء مصر المعاصرين اربعة اقسام ، وهو يحدد السمات ويعين الاسماء لكل قسم ، وكان هذا المقال هو الطلقة الاولى التى حددت اهداف رمايته ، وبينت ابعاد الخريطة لواقع الهجوم ٠

جهاد العالم المفكر الاديب

بعد ان عاد الدكتور غلاب الى مصر خاض الصراع الادبى والسياسى على صفحات مجلته كما سبق القول ، وقد اغلقت هذه المجلة فى أعقاب اشتغاله بالتدريس بكلية أصول الدين ، ويمكن التعرف على الوان كفاحه وجهاده ابان عمله بالازهر بالرجوع الى المقالات العديدة التى كان يشارك بها فى الصحافة المصرية ، واللبنانية ، والسورية ، ثم الى مؤلفاته التى قاربت الستين ٠

وفى مجال الاصلاح السياسى والاجتماعى : أصدر الدكتور غلاب قبيل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كتابا بعنوان « حياتنا الاجتماعية ومشكلاتها العظمى » عالج فيه قضية المرأة ، ومشكلة الفلاح والعامل ، وحقوق الانسان ، وقضية الحرية ٠ اما بالنسبة للمرأة فقد أخذ ينعى على الشرقيين وقوفهم فى طريق الحقوق السياسية لها ، ويطالب بفتح أبواب الوظائف كلها امامها ، وبوجوب مشاركتها فى الحياة النيابية ، وبتقليدها المناصب الكبرى ، ويطالب لها بكل هذا بعد أن تأخذ فرصتها فى التعليم والاعداد ، ويتكلم عن دورها الخطير فى حياتنا الاجتماعية ، ولا سيما فى الاسرة ٠

اما فى كتابه « كيف اعددنا النفوس للثورة » ـ وقد طبع عام ١٩٥٤ ـ فانه

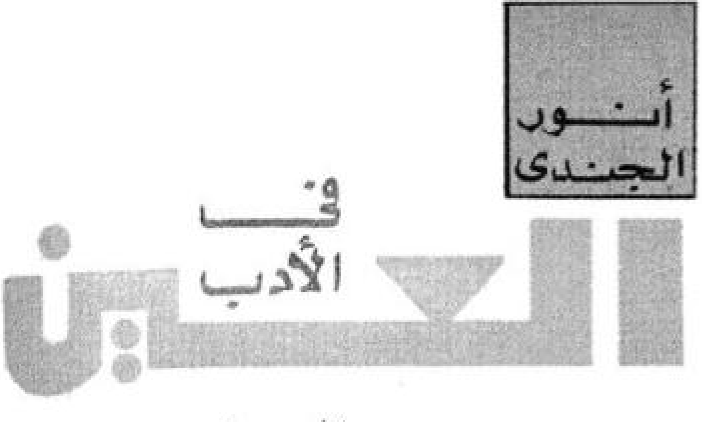
عرض فيه نماذج شتى من كفاحه المكثف الصابر لفساد الحياة السياســـية والاجتماعية فى مصر قبل ثورة ١٩٥٢ وجمع فيه عديدا من مقالاته التى نشرها فى « منبر الشرق » و « النهضـــة الفكرية » ويمتاز النقد فى ســـلسلة مقالاته « بمنبر الشرق » بانه كان نقدا صريحا وبناء يقوم على النظر الفكرى والتحليل الاجتمـــــاعى لشتى العلل والادواء ، وكان يسمى الاشـــياء بأسمائها ثم يتعلق بالغـــايات النبيلة والمثل العليا سعيا وراء الحق والخير والكمال لامته ومجتمعه وكان يسلك فى كثير من مقالاته اســـلوب المحاورة الادبية حيث كانت تهبط عليـــه فى كل لقاء روح علوية فى هيئة بلبل صداح يحاورها وتحاوره ، وكانت تستجلب له ارواح مفكرين وادباء مثـــــل « مونتيســـكيو » و « بوالو » وكان يدير الحوار معهم فى كل شىء والموضوع الرئيسى هو نقد الحيـــاة الاجتماعية والفكرية والســـياسية بمصر ، وكان يوجه عنـــايته فى مفتتح المقالة الى تجويد الاســـلوب والعناية بعنصر الشاعرية فيه

اما جهاده فى حقل الفكر الفلسفى فالرجوع الى قائمة المطبوعات الخاصة به فى دار الكتب ثم التعرف على اهم ثماره الفلســـفية يوقفنا على الجهد الشاق الذى بذله الرجل فى ســـبيل البحث والفهـــم وليكتب تلك البحوث الضـــافية ، وخلاصة القول فيما يبدو لنا : ان نزعته الفلسفـية كانت من التحرر والتسامح الى المدى الذى تحس معه الاصغاء لمختلف الآراء المتباعدة ، ومحاولة تفهمها ، وعرضها فى حياد وموضـــوعية ، ولم يكن يتميز بايثار الاتجاهات الخاصة فى الفكر الاسلامى أو تقديمها على غيرها فهو ليس صوفى النزع ، وليس سلفيه أيضا كما نجد لدى غيره من المشتغلين بالدراســـات الفلسفية ، وكان يدعو باخلاص الى وجوب دراسة النتاج الفكرى الفلسفى مهما كانت نوازعه أو ظروفه الخاصة ، على اية حال هذه المسائل تحتاج الى كلام من كبار الدارسين المتخصصـــين فى الدراسات الفلسفية ، ولكن الرجل كان احدى الكفايات القوية التى انجبتها مصر ، ثم قذفت بها الى تيارات الفكر العالمى المعاصر الزاخرة العميقة فعبت منها وامتلات وظلت على ولائها لدينها وأمتها ووطنها وتراثها ٠

وقد سره كثيرا أن يلقى التكريم من دولة اليونان حيث قدرت جهوده المخلصة فى درس الفلســـفة الاغريقية والكتابة عنها ، فانعمت عليه بوسام « فينيكس » من طبقة « الكوماندور » وقد وجدته يعلق هذه الاجازة فى حجـــرة مكتبه خلف مقعده ، وقد الصق عليها قرار رئيس الجمهـــورية المصرية بتخويله قبول الوسام والدرجة ٠

ومثلما جاهد الرجل فى ميدان الفكر الفلسفى جاهد فى ميدان الفكر الادبى ولكن اعظم نتاجه فى ذلك كان مترجما، وكان متجها للتعريف بالادب الاوربى والادب الاغريقى ، وهو فى ترجماته يقدم للقارىء العربى تعريفا ســـهلا ــ واسعا تارة وضيقا اخرى ــ بالتراث الادبى فى أوربا لا سيما فى فرنسا ٠

لكن وجه الروعة فى تاريخ هـــذا الرجل العـــالم الأديب المفكر انه كان جهدا متصـــلا لا يهدا ، وكأنما كان مصاب عينيه فتحا لآفاق عبقريته التى امدها نور بصيرته بوقودها الدائم ، وبصرها السرمدى وهـــذا الرجل يعد مفخرة بين الرجال الاقوياء الذين يصممون على الغلب الدائم والانتصار الموصول وانه لصفة وضيئة وشامخة امام شبابنا الســـاعى نحو الكمـــال والراغب فى الجهـــاد العلمى الظافر الامين ٠٠ ◆



العربي

أولى الأدب العربي حاسة « العين » وهي عضو الإبصار للإنسان وغيره من الحيوان اهتماما كبيرا ، فوردت في جميع فنونه وآثاره : وردت في القرآن والسنة ، والحكمة ، والتصوف ، وشعر الحب وشعر الزهد ، كما ارتبطت باللغة والشريعة والعلوم والآداب ...



في كتب اللغة : العين مصدر ، والباصرة تطلق على الحدقة ، وقد تطلق على مجموع الجفن ، ويقال قوى العين أي صاحة بصره قوية ، وقالوا : عبد عين أي كالعبد لك · يقال نعم الله بك عينا ، وأقر بك عين من تحبه ، وفي الفلسفة يراد بالعين حقيقة الشيء المدركة بالعيان أو ما يقوم مقام العيان ·

وفي المثل يقال : صار خبرا بعد عين ، ولا تطلب أثرا بعد عين : وتضرب لمن ترك شيئا يراه ثم اتبع أثره بعد فوت عينه ·

وتعينت الشيء : أبصرته ··

ويقال العين والجمع أعيان · ومعيون أي أصابه بالعين ·· يقول عباس بن مرداس :

قد كان قومك يحسبونك سيدا   وأخاك أنك سيد معيون

ومما أثر قول الحجاج للحسن بن على : لعينك أكبر من أمدك ، يعني شاهدك ومنظرك أكبر من سنك ·

● فى القرآن الكريم ●

وردت العين فى القرآن فى عدد من المواضع ، على انحاء مختلفة ومفاهيم متعددة : وقرة العين هى أبرز المعانى تطلق على الابناء الاعزاء (قرة عين لى ولك) وعلى السعادة والطمانينة (فكلى واشربى وقرى عينا) ٠

وترد بمفهوم المصابرة والثبات (ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) ٠ وترد بمعنى الخوف (تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت)

كما تحدث القرآن عن خائنة الاعين ، وعن تقليل الاعداء فى نظر المؤمنين ٠ وعن بياض العين من الحزن كما فى قصة يوسف (وابيضت عيناه من الحزن)

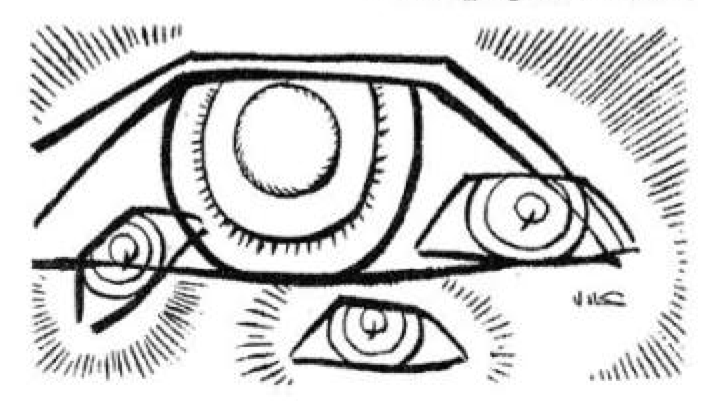
وترد فى مجال الدعوة الى القصد (ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) وقوله (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم) ٠

وترد بمعنى البصيرة : (الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى) ٠

وفى مجال الوعيد (لو نشاء لطمسنا على أعينهم) وفى مجال القصاص (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين) وفى الاشارة الى السحر والسحرة فى قصة موسى (فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم) وفى دعوة النبى الى الثبات (فاصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) ٠

● فى الحديث النبوى ●

واشار الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى العين فى حديث روى عن انس : (عينان لا تمسهما النار : عين بكت فى جوف الليل من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله » ٠





● فى الأدب العربى ●

ولقد تحدثت كتب الادب العربى عن ذلك الاهتمام الواضح بالنظر فى الافق المفتوح الابعاد الذى تيسره الصحراء وحياة البادية ، وكان اكبر الحديث يدور حول رؤية النجوم فى السماء وعددها ومعرفة اسمائها ورددد الشعراء والكتاب قولهم : اذا نظرنا الى السماء فى ليلة ظلماء وصافية الاديم خيل الينا ان نجومها لاعداد لها · وحفل الادب العربى بالحديث عن الثريا والشعرى وبنات نعش ··

وتحدثت كتب العلوم عن لغة العيون، وخداع العيون ، واختلاج العين وبريق العيون فى الظلام واختلاف لون العيون· وتحدث الادباء عن عين الرضا وعين السخط ·

وفى وصف العين أوردت كتب اللغة عديدا من الانواع :

ابرج العين : والبرج عظم العينين

انجل العين : والنجل سعتها وحسنها ·· ادعج العين : والدعج شدة سوادها فى شدة بياضها ·

اكحل العين والكحل ان تكون الحماليق سودا من غير كحل ·

وقيل عين سيلاء : وهى طويلة الاهداب

ورجل اعين : فى وصف سعة العين وحسنها ·

وقيل الجحوظ : بروز المقلة حتى تخرج من الاجفان ·

والسمادير : هى الغشاوة تغشى العين ·

وكانت العرب تقول للحدث الهام ترجو به الخير : « تحت عين الله » ·

وتقول : أنت على عينى أى فى الاكرام والحفظ ·

وتقول العرب : على عينى قصدت زيدا (يريدون الاشفاق) ·

ويقولون جاء بالامر فى عين صافية أى قصة حقيقية وتقول العرب : لاضربن الذى فيه عيناك أى رأسك ·

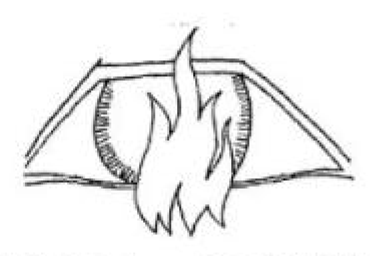
وقد حفلت كتب الادب العربى بالاشاره الى العين فى مدامع العشاق وفى بكاء الزهاد على السواء ·

● فى مدامع العشاق ●

يقول الشريف الرضى :

يقولون ما ابقيت للعين عبرة فقلت جوى لو تعلمون اليم
لو بخلت عينى اذن لعتبتها فكيف ودمع الناظرين كريم

ويقول ابن هرمه :



فان ذكرت فاضت من العين عبرة ... على لحيتي نثر الجمان من العقد
ويقول آخر :
لعمرك ما ميعاد عينك والبكا ... بدراء الا ان تهب جنوب
ويقول البحترى :
قد اراك الدموع يوم تولت ... ظعن الحي ما وراء الدموع
عبرات ملء الجفون مرتها ... حرق للفؤاد ملء الضلوع
فرقة لم تدع لعيني محب ... منظرا بالعقيق غير الربوع
ويقول جرير :
ان العيون التى فى طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن اضعف خلق الله انسانا
ويقول على بن الجهم :
عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث ادرى ولاادرى
ويقول آخر :
« عيناك الفتيان صاغهما الهوى »
ويقول العباس بن الاحنف :
ظلمت عيناك عيني انهما ... بادلتها بالرقاد الارقا
سلط الشوق على الدمع فما ... هب داعى الشوق الا اندفقا
ويقول صريع الغوانى :
اسهرتمونى انام الله اعينكم ... لسنا نبالى اذا ما نمت من سهرا
ويقول آخر :
رحمت عيناك عينى انها ... بادلتها بالرقاد الارقا
ويقول الجاحظ :
ومولى كعبد العين اما لقاؤه ... فيرضى واما غيبه فظنون

وفى الادب العربى الحديث وبخاصة فى الشعر المعاصر صور مختلفة ولكنها لا تتجاوز هذه المعانى .

● فى ادب ابن حزم ●

وقد اشار ابن حزم فى كتابه (طوق الحمامة) الى العين واثرها فى الحب : فقال : العين باب النفس ، وهى المنقبة عن سرائرها والمعبرة لضمائرها ، والمعربة عن بواطنها ، فترى الناظر لا يطرف ينتقل بتنقل المحبوب وينزوى بانزوائه ويميل حيث مال :

فليس لعيني عند غيرك موقف ... كانك ما يحكون من حجر البهت
اصرفها حيث انصرفت وكيفما ... تقلبت كالمنعوت فى النحو والنعت
ويقول :
اذا ما رات عيناى لابس حمرة ... تقطع قلبى حسرة وتفطرا
ويقول :

سأبعد عن دواعي الحب انى رأيت الحزم من صفة الرشيد
رأيت الحب أوله التصدى بعينك من ازاهير الخدود
فبينا انت مغتبط محلى اذا قد صرت فى حلق القيود

في بكاء الزهاد

وكذلك عرف الادب العربى فنا آخر من فنون بكاء العين من خشية الله ومن خوف لقائه وعقابه ، تمثل فى عديد من الصور النثرية والشعرية والقصص .

ومن ذلك ما أورده صاحب عيون الاخبار من ان فتى من الانصار جاء الى رسول الله فقال ان امى تكثر البكاء واخاف على بصرها ان يذهب ، فلو أتيتها فوعظتها فذهب معه فدخل فقال لها فى ذلك ، فقالت :

ـ يا رسول الله ، أرأيت أن ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت الى الجنة ، أيبدلنى الله خيرا منه . قال نعم ، قالت فان ذهب بصرى فى الدنيا ثم صرت الى النار افيعيد الله بصرى ، قال النبى عليه الصلاة والسلام للفتى : ان أمك صديقة .

***

ومن ذلك ماعزى الى محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن الحسن قال قال رسول الله عليه السلام : ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دم فى سبيله وقطرة دمع فى جوف الليل من خشيته .

وقيل لغالب بن عبيد الله : اما تخاف على عينيك العمى من طول البكاء .

قال : هو لها شهادة

وفى هذا قال بعض الشعراء :

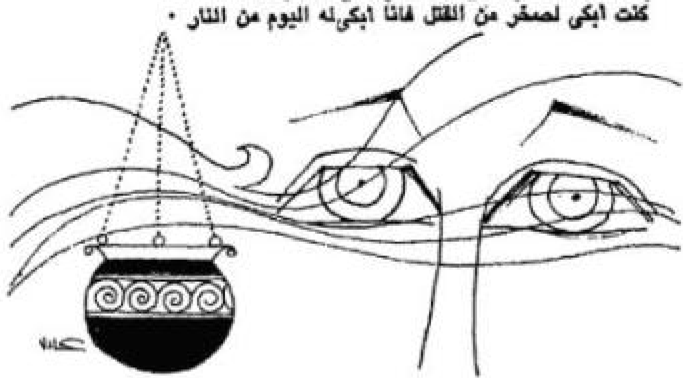
سأبكيك حتى تنفد العين ماءها ويشفى منى الدمع ما اتوجع

ومن ذلك ما قاله ابو سليمان : انه اذا جن الليل وهدأت العيون وأنس كل خليل بخليله . فرش أهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم يسمع لها وقع على اقدامهم ، وقد اشرف الجليل عليهم فقال :

ـ بعينى من تلذذ بكلامى واستراح الى ، فما هذا البكاء الذى أراه فيكم فبى حلفت ان اكشف لهم يوم القيامة كل غمة .

وقالت الخنساء بعد ان اسلمت وحسن اسلامها :

كنت أبكى لصخر من القتل فانا أبكى له اليوم من النار .



● ادب النظر ●

أولى الادب العربي اســتمدادا من الشريعة الاسلامية النظر اهمية كبرى فهناك مخافة الله وحسابه وهنـاك دعــوة صريحة الى غض البصر عن المحرمات ، وما يباح من النظرة الاولى، وما يجزى الناظر على ما بعد ذلك ·

ومن ذلك ما قال رجل لاخيه : احفظ من العين فانها انم عليك من اللسان ··

قال بشار :

على النفس من عينها شــاهد فكاتم حديثك اونمــــــه

وقيل مرت اعرابية تقوم من بنى نمير فاداموا النظر اليها ·

فقالت : يا بنى نمير : والله ما اخذتم بواحدة من اثنتين :

أولاهما (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ·

وثانيهما ولا بقول جرير : فغض الطرف انك من نمير

قال الشاعر :

ومراقبين يكتمان هواهمــــا جعلا الصدور لما تجن قبــورا
يتلاحظان تلاحظا فكأنمــــا يتناسخان من الجفون سـطورا

وقيل أربع لا يشبعن من أربع :

عين من نظـــر ، وانثى من ذكر ، وأرض من مطر ، وأذن من خبر ·

● العين فى القصة ●

وقد جاءت العين فى القصة فى عدد من المواضع منها قصة ذلك الملك الذى كانت له زوجتان ، وقد جاءته الهدايا من التحف والطرف الجميلة فاراد أن يوزعها على زوجتيه وكان وزيره حاضرا

فارادت احدى الزوجتين الاستعانة به فى الاختيار فاشار اليها بطرف عينه الى احدى الهديتين ، فنظر الملك فى ذلك الوقت اليه فرآه كاسرا على عينه ، فظل حياته كلها من بعد كاسرا على عينه حتى تقر فى نفس الملك ، انها لم تكن فى مجال التفضيل ، وانما من طبيعة أمره ·

ولقد كانت الزوجة غاية فى الذكاء فقد اخذت الهدية الاخرى ·

● البصر والبصيرة ●

ولقد افصح الادب العربى عن الرابطة بين البصر والبصيرة وربط بينهما وفق مفهوم الفكر الاسلامى الجامع بين النظر بالعين واستلهام البصيرة ·

وقد تقرر منهج المعرفة فى الفكـر الاسلامى رابطا بين المحســوس (عن طريق الحواس) والمعقول (عن طريق العقل) بالاضافة الى عطاء البصيرة (عن طريق القلب) ·

كذلك اشارت الآثار الادبية والاسلامية الى عدالة الله سبحانه وتعــالى فى مضاعفة عطاء الحواس الاخرى والالهام الداخلى لمن فقد البصر ،كما اشارت الى ان من حرم عطاء الايمان فى الدنيا فانه يحرمه فى الاخرة (ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة أعمى واضل سبيلا) والعمى هنـــا هو عمى القلب لاعمى العين وقد اكدت الآثار الاسلامية على ان البصر هو عطاء الظاهر والمحسوس وان البصيرة هى عطاء القلب والروح ··

عرض وتلخيص:
محمد حسن

جولة في دنيا الظلام

كتاب رعاية المكفوفين
تأليف: توماس كارول
ترجمة: د. صلاح مخيمر

فجأة ودون مقدمات أو تحذير: يذهب البصر ... أو يزحف العمى في بطء مروع، فيقولون: لقد أصبح عاجزا، فالعمى ليس مجرد كارثة تنزل بالبصر فحسب، وانما هي ضربة مدمرة للذات، تفقد الشخص توازنه فقد انتهى أسلوب للحياة وبدأ أسلوب آخر ... في البداية تأتي الصدمة، ثم مرحلة من الأسى والحرمان الحاد ... ويجب أن يعيش الكفيف الصدمة والأسى، ليدرك أن المبصر قد مات، والأعمى ولد ... ليحاول أن يعود الشخص الذي كانه!

الكيان الكامل أصبح جزءا يعيش كابوسا رهيبا : انه الان يختلف عمن حوله ، لقد كان يكافح ليصبح عضوا نافعا فى الجماعة البصرة ، فاذا هو يطرد بقسوة خارج هذه الجماعة ‥ وتعتريه مخاوف غير محدودة الملامح : قلق لا يمكن وصفه ، وانقباض غير منطقى ، وخوف رهيب ٠ ثم تتدخل فى نفسه جميع المشاعر التى عاشها ايام ابصاره ، ازاء العميان ٠

كان ايام ابصاره يرى العميان جماعة من الناس الغامضين ، يملكون قدرات خارقة ، فوق حسية ، مشاعره عموما كانت عدم الارتياح فى حضرتهم، والنفور والرثاء ، وهى مشاعر يولدها الخوف العميق من العمى الذى تبرره

غريزة المحافظة على الذات ‥ ومع ذلك فقد كان ينكر هذا الخوف ، لانه يخجل منه ، فترسب فى اللاشعور ٠ انه الان واحد منهم ، أعمى ‥ يعيش مشاعر الذنب لاتجاهه السابق ، ونفسه مفعمة بالمرارة والخوف والخزى لخوفه منهم ، ورفضه لهم ، وشفقته الواهية عليهم ، ونفوره الذى حمله على تجاهل مشكلاتهم ٠

لقد قضى سنوات طويلة فى اقامة نوع من الاتزان ، اتاح له ان يتعايش مع صورة ذاته وان يقبلها ، وان يعتز بها ، فى حضارة تولى اهتماما خاصا للكمال البدنى ، وانعدام الالم ، والراحة ‥ اما الان فقد اصابت صورة ذاته ضربة مدمرة : فقد كماله البدنى ٠

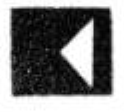
ولقد صاحب عماه الطارىء مشاعر مبهمة من القلق ، وانعدام الامن ، ادت بدورها الى هلع ناتج من فقدان الثقة فى باقى حواسه ، وهو بعد فى مرحلة لم يتمكن فيها من تعلم التدريب والتركيز على باقى حواسه الاخرى ، ومن ثم لم يصل الى المرحلة التى يبدو فيها انه يسمع ما لا تسمعه ، ويشم ما لا نشمه ، ويتذوق ما لا نتذوقه ، ويعرف عن طريق حاسة اللمس امورا يستحيل على المبصر تمييزها ‥ فالبصر كان له رقيبا وضابطا للمعلومات الصادرة عن الحواس

الاخرى ، وفقدانه يؤدى الى التشكيك فى المعلومات التى تصل عن طريق باقى الحواس ، بلا رقيب ‥ وهو شك حسى يرجع الى الاضطراب الذى ارتبط بالحاسة المركزية وهى البصر ، حتى يقوم انتظام حسى جديد يحل محله ٠

ويحدث فقدان الثقة بالحواس على درجات متفاوتة ، حسب الصورة التى يضيع بها البصر ، فمن يفقد البصر فى بطء خلال فترة زمنية طويلة ، يمكنه ان يجتاز فترة طويلة من اعادة تنظيم اسلوبه فى التثبت من معلومات الحواس ٠

اما من يفقد البصر بغتة ، فانه يفقد الثقة فى حواسه تماما فى مرحلة الصدمة ، مما يتركه بلا معين ، بل ويفقده الاتصال بالواقع الذى يعيش فيه ، فتترجح حياته على حافة العصاب ـ المرض النفسى ، ـ او الذهانى ـ المرض العقلى ـ فمن حيث الحركة ، يحدد البصر الانسان فى صلاته بالاشياء من حوله :

هو لا يبنى هوية هذه الاشياء فحسب، وانما يحدده من مكانه ، والسمع معين لا يجسده ويحدده سوى البصر ٠ والشم والذوق يلعبان دورا ضئيلا فى توجيه البصر ، واللمس اكثر فعالية ، لانه حاسة الملموس ، ومع ذلك فمن الممكن ان يفشل ، لانه يربطنا بجزء صغير من الواقع ٠





عالم النور والألوان

حالة « الضياع » هذه مرجعها أن البصر هو الحاسة الكبرى للاتصال بعالم الواقع ، أما باقى الحواس فهى غالباً مائعة غائمة . واذا كان فقدان الاتصال الواقعى بالبيئة شيئاً ، فان فقدان « الخلفية » التى يوجد ضمنها هذا الشيء ، يبعث على الشعور بالخواء والعزلة .. نحن نسير فى الطريق ، ونركب الاوتوبيس ، ونجلس مع الاصدقاء ، ونقف فى مكان مزدحم، ولكننا وسط الزحام نرى ما نركز عليه ابصارنا ، ومع ذلك فعيوننا وعقولنا ترى فى المستوى شبه الشعورى:تلتقط صورا وتستبعد أخرى ، تلتقط بعضها للذاكرة وبعضها الاخر للاحتياج الوشيك ، آخذة فى حسبانها عالم الالوان بتبايناته ، وعالم الحركة والسكون ، وعالم الاضواء والظلال . عالم الناس والاشياء ، عالم الاشكال والهيئات : نتحدث الى شخص ما ، واذ نفعل ، نستبعد خارج اهتمامنا كل الخلفية التى نراه ضمنها ، وان كنا مدركين لهذه الخلفية .. هذا النشاط التصويرى يحمينا من الاخطار ، حتى مجرد المرور الخاطف لاحد الظلال يمكن أن ينبهنا بسرعة ، فنتخذ موقف الاستعداد ضد أى مخاطر ، هذا فضلا عن أن العالم البصرى المتحرك يحمينا من الرتابة ، ويمنحنا نوعا من لذة « الحس بالحركة » ..

وفقدان الخلفية البصرية ، يترك الاعمى – حديث العمى – فى خواء بصرى ..

وقديما قيل أن الاعمى يفقد النور ، ويعيش فى الظلام ، وعامة الناس تستخدم النور والظلام مرادفين للبصر ، والعمى ، فعندما يغيب النور نعجز عن الابصار .. أى نصبح ، عميان ، هذه هى تجربتنا الحية ، ومن ثم فنحن نسحبها على التجربة التى نجهلها : تجربة العمى الواقعى . ومع ذلك فنحن نعرف أن النور الزائد يغشى العين ويمنعها من الابصار ، ولكننا لا نتصور العمى فقط نتيجة النور الباهر ، وهذا أمر مفهوم لان النور هو وسيط الابصار ، فاذا ما تغيب الوسيط – أو توفر بكمية زائدة – نعجز عن استخدام هذا الوسيط .. نعجز عن الابصار . ولكن الوسيط ليس هو الحاسة ، فليس النور هو الابصار ، واذا كان الاعمى هو الذى « لا يستطيع أن يرى » ، فستجد أن عددا كبيرا من العميان – طبقا لهذا التعريف – يستطيع التمييز بين النور والظلام ، هذا بالاضافة الى أن العميان الذين ليس لديهم ادراك النور ، غالبا ما تكون لديهم كثرة من الرؤية اللونية وهى الوان مهزوزة تنتج من تغييرات داخل العين لا خارجها ، وهكذا فان كثيرا من العميان الذين لا يستطيعون استقبال اى نور ، غالبا ما يرون الالوان ، بل و « يرون » اشكالا جميلة من الالوان فى أوقات كثيرة من صحوهم . وليست هذه مجرد هلوسة، وانما هى أمر واقعى ، ويكفى أن تذكر

أن تنبيه العصب البصرى بضربة على الرأس ، يجعلنا نرى « النجوم فى عز الظهر » ·· وفى بعض حالات العمى يحدث هذا التنبيه بدرجة كافية ، تجعل الاعمى يعيش فى عالم من نور وألوان

من الظلم اذن أن نشبه العمى بالظلام ·· فالتجارب التى اجريت فعلا فى كهوف بلا نور ، كشفت عن اطراد التكيف للظلام ، يفقد الانسان الاحساس بالظلام كشىء ايجابى · مفهوم العمى كمفهوم بصرى ، يصوره عالما مظلما

من الرعب واليأس ، ولكن الواقع أن « انعدام النور » يصف حالتهم بأفضل مما يصفها الظلام ·· ومن ثم فهم يعانون من فقدان « أمن النور » ·· أما الذين يفقدون البصر منذ مولدهم فهم لا يعانون هذا الفقدان ، لأنه لم تكن لديهم اصلا معرفة بالنور والظلام

العقبات والموانع ، دائما ··

والشخص حينما يفقد البصر فجأة ، يصبح عاجزا تماما ·· يفقد القدرة على الحركة : يصبح مثبتا ، مسمر القدمين ، منحبسا فى البقعة التى يقف فيها وقد امسكه الهلع والخوف : يتصور الفتحات فاغرة فاها من حوله تريد أن تبتلعه ، والنتوءات تهدده ، وقد يكون وحده ولكنه يتوهم الابصار تلاحقه ، وقد يكون وسط الناس ولكنه يشعر بالعزلة ·· لقد اصبح كيانا تابعا بشكل مروع ! ···



وحتى حين يزحف العمى تدريجيا ، فانه يستشعر شيئا من هذه المشاعر ، وهى ليست مخاوف عصابية ، وانما هى مخاوف واقعية : فمن المحتمل أن يعترض طريقه مقعد يصيب قصبة ساقه ، أو صابع قدميه ، ومن المحتمل أن يصطدم بحافة المنضدة فيترنح ، وقد يصطدم بحافة باب يشج رأسه · عالم الاعمى مهدد دائما : هناك دائما العقبات والموانع الصغيرة فى البيت ، وممرات تنتهى فجأة بسلالم ، وأشياء بارزة تأخذ بتلابيبه ، وحيوانات شرسة تعقره ، وسيارات تدهم من يقف فى طريقها ، أو تتراجع الى الخلف فجأة ، وهناك النتوءات والحواف والناس المندفعون والاماكن الزلقة والحفر والمطبات ·· وكل هذا ينطوى على الاذى ، ان لم ينطو على موت أكيد ·

واذا كان الملل من البقاء فى مكان واحد ، والعصبية ، والحاجة الى تغيير المناظر من حاجات المبصرين الملحة ، فان الضجر والعصبية والملل أشد عند الاعمى المقيد فى مكانه ·

ويتكرر عجز الاعمى فى مقتضيات الحياة اليومية : فى الأكل والشرب ومراعاة النظافة البدنية وحسن الهندام ، وخلع الملابس وارتدائها ·· ولنتصور مبصرا معصوب العينين امام مائدة طعام ، ان الطعام يصبح بالنسبة له مغامرة : يده تتلمس الاصناف الموجودة امامه فى حركة تفتيشية ، على جولات : أهذا طبق فاكهة ؟ أم سمك ، أم عنقود عنب أم عصير طماطم فى كوب عال ، أم جيلى أم حساء ساخن ؟ ·· أهو صنف يلتهم أم يرتشف أم يشرب ؟ ·· ثم ما هذه الزحمة من الادوات والاكواب والاطباق ؟ وفى هذه الجولات تنتظره « المطبات » : هذا قدح رهيب من الصلصة قد ينسكب على ردائه ، وهذه الشوكة لا تصيب هدفها تماما ·· أو ترفع الهدف الى الفم بشكل مضحك



.. لحسن الحظ انه لا يرى الابتسامات .. كل صنف من الطعام مبعث ارباك وتحد ، لم تعد له القـــدرة على الاختيار ، فهو يتناول ملء شوكة من هنا ومن هناك ، وتهبط شوكته وهو يرجو ان تعود بشيء ، ولكنها في اغلب الاحيان لا تعود بشيء .. ولم يعد يحفل بدهن خبزه بطبقة من الزبد ، لانه قرر ان هذه المسألة لا تستحق ما تتطلبه من عناء .. وهكذا تتحـول عملية الطعام الى مجرد محاولة لاشباع الجوع : بأى شيء وأى مقدار .

... وتصور مشـــاعر الذلة التي تصيب الاعمى ـ الحديث العمى ـ حين يأكل .. ثم تصور مشاكل اختيار ربطة العنق المناسبة ، واختيار الجوارب ، وزوج الاحذية .. و « طقوس » حلاقة الذقن ، واستخدام معجون الحلاقة بدلا من معجون الاسنان .. تصور كل هذا ،

لتدرك ان فقدان الاعمى للتفصـيات الحياة اليومية هو فقـدان رئيسي ، يفرض التبعيـة ، وينحصر الجانب الاعظم من ألم هذا الفقـــدان في التبعية ذاتها ، وفي مشاعر الارتباك التي تتولد عنها ، وتفرض على الاعمى دائما أن يتذكر عماه .

افتقاد الاستقبال البصري ..

والعمى ينقـــد القدرة على كتابة وقراءة رموز اللغة ، والتعرف على العلامات والرسوم ، وفقدان القــدرة على الاتصال بالناس كتابة وقراءة ، وعدم قدرته على التوقيع صفعة اليمة لكبريائه . وعدم القدرة على القراءة يدفعه الى الامية .. وغالبا ما يفشل الاعمى في التعبير عن نفسه بالحركات اليدوية والايماءات ، فمثل هـــذه الحركات تنطوي على حرج الاصطدام بمنضدة او مصباح قريب او بالوجه اليه الحديث نفسه .

وتدريجيا يفقد الاعمى الوعي بالمسرح الاجتماعي ، والقدرة على أن يكون « في الصورة » .. فهو لم يتوقف في مكانه في عالم يتقدم الى الامام فحسب ، بل هو يعود تدريجيا الى الوراء .. بعيدا عن الموقع الذى كان يحتله ، لانه فقد رسائل المشي والمسايرة .

انظر الى عميان عادوا للابصار ، كان اول ما قالوه : « كان اروع شيء انني اسـتطعت ان « ارى » زوجتي واولادي من جـــديد .. لاول مرة « رأيت » البيت الذى عشت فيه كل هذا العمر .. ان اقسى ما في العمى هو افتقاد صاحبه الاستقبال البصرى لشيء كان يعتبره فيما مضى ساراً ، سـواء كان هذا الشيء لوحة أو ابتسامة ، او بيته القابع في احضان الشجر ... ولو كان في رأى الكثيرين مسـخا معماريا !

الحسن الذى ترمز اليه هذه الاشياء هو ما كان يسره عنـدما يبصرها ، وتتحدد شدة شعوره بالحرمان تبعا لما كانت عليه فيما مضى درجة سروره عند النظر اليها ، ويترتب على ذلك فقدان الادراك البصرى للجمال ، فالآن كل الجمال الذى عاشه يوما عبـــر الابصار ، وكل السرور الذى كان يشعر به في حضرة الجمال قد انتهى . وقد يكون الجميل امامه ، ولكن لا سبيل الى تامله : لن يرى تلك الحمـــرة القرنفلية للورد ، ولا سيمفونية الالوان عند غروب الشمس . والمرارة الحقيقة لهذا الحرمان لا يحسها الا اولئك الذين يشتد عندهم حب الجمال .

رب ضارة نافعة ..

واذا علمنا أن الترويح تجديد واحياء وبعث حياة جديدة ، ادركنا قسوة هذا النوع من الحرمان ، والاضطراب الشامل الذى يسببه لاسلوب حياته وصحته البدنية. فالعمى الحديث ينهى أو يعوق أو يذهب بكل لذة ترتبط بممارسة الهوايات .. فى وقت هو أحوج ما يكون اليها ، للترفيه عن الارهاق النفسى والبدنى .

والعمى الحديث يفقد المستقبل المهنى وفرص التوظف ، وبالتالى يفقده الامن المالى .. وقديما كان العمى قرين التسول ، لان فقدان الوظيفة بالنسبة للشخص المتوسط يعنى فقدان الدخل ، وقلة من الناس هى التى تملك من المدخرات ما يكفى لتهوين السقطة المفاجئة الى حضيض العوز المالى .. هذا فضلا عن النفقات الاضافية التى تترتب على العمى نفسه ، مثل نفقات العلاج على امل التخلص من العمى ، أو نفقات المواصلات ، أو « شراء » بصر لتدبير أموره .. أى ان الاعمى



تزيد نفقاته فى وقت يقل فيه دخله ، أو يتوقف تماما ..

بقيت الجوانب النفسية للكارثة ، فالعمى يؤدى الى تناقضات واقعية مفزعة : هناك الصراع بين الاستقلال والتبعية ، والشخص الذى كانت فى اعماقه مشاعر تبعية يستسلم ناعما ، أما ذو الشخصية الاستقلالية فيناضل فى مرارة للافلات . ويفرض عليه العمى فقدان الصلاحية الاجتماعية : رويدا رويدا يتبين انه لم يعد سوى أعمى ، ورويدا رويدا يفقد مكانه فى المجتمع ، هذا المكان الذى يترجم عن شخصيته ومزاجه وعاداته وإنجازاته وذاته ، فيفقد القدرة على « البروز » الى مكانته السابقة فى المجتمع ، كما يفقد القدرة على « الانغماس » والضياع فى زحمة الجماهير : يفقد القدرة على الاندماج فى اقرانه ، دون ان يبرز كشىء مختلف غريب .

وتحت وطأة سلسلة الضربات أو الصدمات التى ينطوى عليها العمى ، يتصدع التقويم الصحيح لذاته تصدعا خطيرا : ذلك التوازن الذى اقامه فى الحياة مع صورة ذاتة يختل ، فيسبب بدوره خللا شديدا فى الانتظام الكلى لشخصيته التى لازمته طيلة حياته ، مما قد يؤدى الى انهيارها تماما ، ويؤدى الصراع الى أعراض نفسبدنية (سيكوباتية) كقرح المعدة ، وأوجاع الراس ، وخفقان القلب ، وعرق الكفين، والروماتيزم ، وضياع الصوت أو السمع ، والعجز عن التكيف بكل اشكاله ...

هل صورة العمى دائما قاتمة ؟

قديما قالوا : رب ضارة نافعة ، ومن هذا القبيل ما يسمى « مكاسب العمى » .. « الميزات المهنية » عند فاقد البصر ظاهرة شائعة ، فبين الذين فقدو بصرهم كثيرون أتموا دراساتهم ، وكثيرون استطاعوا بعد العمى تعديل طموحهم المهنى ، فمضوا فى دراسات



الارادة والاصرار أهلاها للعمـــل .. رائدها فى ذلك نور البصيـــرة ...



اعلى ، وعملوا فى مجـــالات المهن المتخصصة او شبه المتخصصة ..

و « الميزات الفكرية » ايضا من مكاسب العمى ، لانه يتيح للكثيرين فرصة الامعان فى التفكير المجرد ، ويحرر الاعمى ويجرده من الاشياء العيانية البصرية ، فيتيح للبعض فرصة ممارسة نوع من التفكير ما كان ليتاح لهم فى غير هذه الظروف . وهناك ما يسمى « مكاسب صورة الذات » ، فالاشخاص الذين كانت قيمة الذات عندهم منخفضة بالنسبة لاشخاصهم ومكانتهم فى المجتمــع ، تحققت لهم مكاسب فى شعورهم بمكانتهم الشخصية نتيجة للعمى ، من واقع مهـــارات وقدرات لم تتح للاخرين فرص تطويرها .. ومن ثم اتخذ صورة البطل ، ولقى قدرا من الاعجاب لم ينله من قبل .

اكتشاف القوى المجهولة

ومن المزايا ايضا : زيادة فــرص الكســب امام بعض العمى ، ومزايا « الاستبصار » الناتجة عن التأهيل ــ اذا فهم استجاباته ازاء صـــدمة العمى ، يتفتح امامه الطريق الى فهم اعمق لاستجاباته ازاء الاشياء الاخرى فى الحياة وفهم البناء الصــحيح لشخصيته ــ ومزايا « تبين الخير فى العالم » ، حينما يكتشف ان الدنيــا لا تزال بخيـــر ، ومزايا « كسب الاصدقاء » ، فلو لم يكن العمى لما اتيح له أن يعرف هذا الصديق الممتاز أو ذاك ، ومزايا « عدم ادراك ما تنطوى عليه الحياة من قبح » .. لان الاعمى يتوقف عن ادراك الشر .. هذا فضلا عن امكانيات الاعمى فى « اكتشاف القوى المجهولة » فيه واستثمارها فالمصـــاعب تكشف عن قدراته على الصمود ومن ثم تزيد من ثقته بنفسه .. بالاضافة الى أن العمى يتيـــح اكتشاف « قيم » جديدة للحيـــاة وتطوير النفس الى ما هو افضل ..

هل فقد البصر كارثة لا حيلة فيها ؟

رجال التأهيل المهنى يقولون لا .. ان الاعمى يمكن تأهيله ليصبح عضوا عاملا فى مجتمعه ، وعملية التأهيل ينبغى أن تبدأ بعد الحادث مباشرة وخلال فترة الصدمة التى تنتج عن تبين الشخص لاول مرة انه أصبح أعمى بصفة دائمة ، واول خطوة فى هذا السبيل هى عدم التعلق بالامل الكاذب فى اســـتعادة البصر ، بل

مواجهة الواقع والبدء فى اكتساب مهارات جديدة .. باعتبار ان الاعمى شخص سوى فى ظروف غير سويه .

والتأهيل الصحيح له اربعة اتجاهات رئيسية : تدريب باقى الحواس على الاضطلاع بوظيفة البصر ، التدريب على المهارات والمبتكرات ، بعث الامن النفسى ، التأثير فى مجتمعه ومساعدته على مواجهة الاتجاه الاجتماعى الغالب .

والاتجاه الاول هو البعث الاساسى، بعث الواقع ، بتنشيط باقى الحواس كالسمع والشم والتذوق والاتزان واللمس ، وتنسيقها ، والثقة بها . وبعث المهارات الرئيسية ، كالتحرك بمعاونة المصاحب أو كلب القيادة أو العكاز،فضلا عن بعث مقتضيات الحياة اليومية وسهولة الاتصال بالاخرين ، تعيده الى حظيرة الحياة .. ثم يتعلم « ادراك » ما يبعث على السرور بدلا من رؤيته ، فضلا عن احلال « الادراك السمعى » بدلا من « الادراك البصرى » الذى فقده .

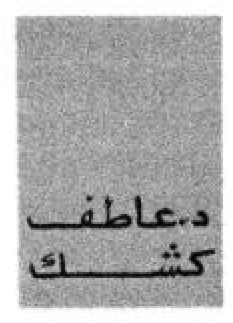
و « بعث الترويح » من اهم جوانب التأهيل ، وقد يدهش القارىء ان يعلم ان فى متناول الاعمى المؤهل ان يرفه عن نفسه بالاستماع الى المسرحيات والافلام والمحاضرات والموسيقى ... ومشاهدة المباريات الرياضية ـ بمعونة مبصر .. فضلا عن الاشتراك فى العاب الشطرنج والداما والسيجة والدومينو .. والسباحة ، وعزف الموسيقى ، والرسم ، والرقص ، والتنس ، والجولف ، والصيد .. والتصويب على الهدف ـ بمعونة صوت منبعث من الهدف .. وركوب الخيل والتجديف والتزحلق على الماء والملاكمة والجرى ..

وفى مجال التأهيل المهنى ، يمكن للاعمى المؤهل أن يمارس عددا كبيرا من الاعمال كالمحاماة والعلاج النفسى، واعمال السكرتارية ، والبيع والشراء .. فضلا عن استئناف عمله السابق بمعونة مبصر .

غير أن أهم عمل للتأهيل هو اعادة بناء الشخصية ، واستعادة القدرات والمهارات يزيل الكثير من التوتر الذى تعانيه الشخصية عقب صدمة العمى ، والتدريب النفسى يعيد الى نفسه الامان النفسى والتكيف على اساس الواقع .

بقى زواج العميان : بعض الناس تزعجهم فكرة اقدام العميان على الزواج ، والبعض الاخر يعتقد انه من الافضل أن يتزوج العميان فيما بينهم ، فى حين يقول مثل شائع بين العميان انه « من الافضل أن يكون للبيت نوافذ فى جانب منه على الاقل » .. والواقع أن مئات من زيجات العميان الناجحة ، كان احد الزوجين فيها مبصرا ، لان وحدة الاسرة وخصوصياتها واستقلالها يتعرض فى غير هذه الحالة لاختبارات عصيبة ، عندما تضطر الاسرة الى التطلع بصورة مسرفة الى العون الخارجى .

والواقع ان ما يفزع المبصرين فى مشكلة زواج العميان ، هى مشكلة العوامل الوراثية فى العمى . وفى هذا الصدد ينبغى ان نوضح بعض اشكال لا يمكن توريثها للجيل التالى باكثر مما يمكن توريث ساق مكسورة ، فنسبة كبيرة من حالات العمى تنتج من الحرب والحوادث وبعض الامراض التى يستحيل انتقال العمى فيها بالوراثة .. ولا ينصح بالزواج فى الحالات القليلة التى يثبت فيها ـ بمعرفة اخصائى فى العيون ـ ان العمى وراثى فى الاسرة ...



عندما مات ابي ـ يرحمه الله ـ ترك لـي ثروة كبيرة . كان ابي رجلا عظيما ...

صحيح انه عندما وصل الى سن الثمانين كان قد ذهب عنه معظم عقله واصبح فضوليا لا يطاق ، وزاد حرصه على المال لدرجة انه لابد وان تثور معركة قبل ان تستخرج منه قرشا ...

وبقي على هذه الحالة اكثر من عشر سنوات انه لم يمت الا بعد ان تخطى التسعين ، فنحن عائلة معمرة ...

مع ذلك كان ابي رجلا عظيما . وقد كان بلاشك يحرص على المال من اجل ان يترك لي ما يكفي لان اعيش حياة كريمة . كان يعرف انني لا أحب العمل وان معظم وقتي اقضيه في منزلنا الكبير في حالة تأمل . ذلك بالطبع قبل ان اهتدى الى هوايتي الوحيدة التي شغلت بعد

ذلك كل وقتى . وهوايتى هذه عبارة عن جمع الاشياء بعد أن تستنفد أغراضها الملحة والعاجلة . سوف أشرح لكم ...

بعد أن تشترى مثلا علبة سردين لأن شكلها أعجبك وأنت جائع فإنك سرعان ما تذهب الى البيت ، وبسرعة تنزع عن العلبة غلافها الجميل وتفتحها بطريقة متسرعة وهوجاء . وما أن تفرغ محتوياتها حتى تقذف بالعلبة والغلاف برعونة وقلة وعى الى صندوق الزبالة .

لاشك أنكم جميعا تفعلون ذلك . أنا شخصيا كنت أرتكب هذه الحماقة قبل أن أهتدى الى فكرتى اللامعة . هذه الفكرة استولت على فجأة . لا أذكر متى بالضبط، لأنه فاتنى ساعتها أن أسجل زمن وظروف وملابسات هذا الاكتشاف .

قصة قصيرة

تصنيف الأشياء الفارغة

المهم أننى أدركت بما يشبه الالهام أن علبة السردين بغلافها الجميل هى بلاشك أهم من السردين الذى تحتويه . هذا السردين عندما تأكله قد تصاب بالحساسية أو بالخمول وربما كنت سيىء الحظ فتصاب بالتسمم . حتى بفرض أنه لن يصيبك أى ضرر فماذا سوف تستفيده من أكل السردين ... شبع عدة ساعات . أنك فى الحقيقة ، وفى سبيل أن تملأ معدتك نسيت أهم وأقيم ما فى الموضوع كله . علبة السردين نفسها بعد أن استنفد غرضها . انها تصبح شيئا قيما بذاته . شيئا لا يكتسب أهميته وجماله ومبررات وجوده لا من الداخل ولا من الخارج . لديها نوع من الاستقلال والتفرد تحسد عليه . بالطبع لا أتكلم عن علب السردين على وجه الخصوص .. هى مجرد مثل يمكن أن تقيس عليه أشياء أخرى كثيرة أجمل وأروع . وليست علب السردين والأسماك عموما الا أقل الأشياء شأنا فى مقتنياتى الخاصة ...

***

عندما تعلقت هذه

تصنيف الأشياء الفارغة

الفكرة وبحثتها من كل جوانبها بطريقة علمية دقيقة وجدت أن الهواية التي تستحق من الانسان الراقي والاصيل أن يكرس لها جهده ووقته وتفكيره هي هذه الهواية وبدأت على الفور اجمع هذه الأشياء ولم يمض وقت طويل حتى عظم حبي وتقديري لهوايتي المحبية وزادت صلابتي في الدفاع عنها ، اذ أن كل أصدقائي كانوا يهاجمونها ، ولكني كنت قد قدرت ذلك منذ البداية ، فمثل هذه الهوايات المبنية على فلسفة عميقة تكون قليلة الانتشار وغير مفهومة في البداية على الأقل ولا يمارسها الا أخص الخاصة . وعلى كل حال فأنا قد مارست هوايات كثيرة قبل أن اهتدي لهذه الفكرة .

كنت قد مارست الرياضة الا أن عضلاتي في اليوم التالي التي تحولت الى الرسم ، ولكني وجدت أن كل من أمسك في يده فرشاة أو قلما سمى نفسه فنانا فهجرت الرسم ، وجربت القراءة والكتابة الا أنها سببت لي الصداع ووجع الدماغ ، وتنقلت بعد ذلك بين صيد السمك والتجديف وتحنيط الطيور ومشاهدة مباريات كرة القدم وهوايات اخرى كثيرة لا داعي لذكرها هنا ، وفي كل الاحوال لم أجد وراء واحدة منها خلفية فكرية أو علمية تغريني بالاستمرار في ممارستها .

***

بعد أن مات أبي الذي كنت أحبه جدا وتركني وحيدا في البيت الكبير كنت انفرد بنفسي كثيرا امارس الحزن الذي صار هواية لي لفترة طويلة . ومع الحزن كنت اكثر من اكل المعلبات والتفكير العميق . وكما قلت لكم فانه في لحظة ما خلال هذه الفترة اكتشفت هوايتي التي لازمتني منذ ذلك الحين وحققت لي تطلعاتي الفلسفية فضلا عن شهرتي .

لا تتصوروا طبعا انني صرت اجمع علب السردين فقط . لقد اكتشفت ان هناك اشياء غاية في الروعة والجمال نهملها بغباوتنا لاننا نهتم بما في داخلها . خذ مثلا زجاجات العطور . كثير منا يعجبون باشكالها الجميلة ولكننا في النهاية بعد أن نسكب عطرها على شواربنا أو في صدور النساء وخلف آذانهن نتخلص منها مع « الروبابيكيا » . وبعد ساعات يذهب العطر ، وكان من المفروض أن تبقى الزجاجة .

لقد حولت منزلنا الكبير الى متحف ، وفي ركن زجاجات العطور جمعت منها اعدادا كبيرة . قد تدهشون عندما تعرفون أنني صنفت منها ٣١٤ نوعا مختلفا في اللون والحجم والشكل ، وتصميم الفوهة ، وشكل الغطاء ، وطريقة اخراج السائل منها ... الخ .

هناك ركن آخر لا يقل تنوعا وغنى خاص بزجاجات الخمور ،

وهنـــاك أركان أخرى للعلب الصفيح والصاج والورق المقوى وعبوات النايلون والبلاستيك والقماش والورق والخشب وكل المواد التى اخترعها العلم الحديث ٠

صارت هذه الهواية هى كل حياتى ووجدت فيها متعتى الكبرى وانفقت عليها معظم المال الذى تركه ابى العزيز ٠ ومن خلال ممارستى لهذه الهوايات تعمقت فى تفاصيلها وطورت الطرق التى استعملها فى الجمع والتصنيف والعرض لدرجة اننى يمكن ان اسمى محترفا ، وان كنت لا احب ذلك ، فانا سوف ابقى فى التاريخ مجرد هاو يحب هوايته٠

فى البداية كنت أحتفظ بالأشياء بعد أن أستعمل ما بداخلها ٠ ثم لحبى فى اقتناء اشياء كثيرة ولزهدى فى نفس الوقت فى محتويات هذه الاشياء ، كنت أشترى عبوات مختلفه لا احتاج لما بداخلها فاتخلص منه أو أتصدق به على الفقراء واحتفظ انا بكنزى الرائع ، وخاصة لوكان به شىء مبتكر فى الشكل أو اللون أو الرسومات المنقوشة عليه ٠

كنت لا أجمع أى شىء من « الروبابيكيا » فلابد أن يفتح الشىء ويفرغ بمعرفتى وتسجل المعلومات الخاصة به ثم يوضع فى مكانه المناسب ٠

كنت اقضى من كل اسبوع نهارا كاملا ادور على المحلات والمعارض لأنتقى الأشياء المعبأة أو المغلقة بإتقان ٠ لا يهم ماذا تحتوى ٠ اشياء كثيرة كنت لا اعرف ما بداخلها ولكنى كنت اشتريها ٠ احيانا كان يتاح لى ان احصل على عبوات جديدة قبل أن تمتلىء بالأشياء ولكنى كنت ارفض أن اضمها الى مجموعتى لان الامانة تقتضى ان احصل على اشياء كانت ممتلئة ٠

بذلك تتحول الأشياء الفارغة الى تحف جديدة بان يفسها متحلى ٠

تصوروا ٠٠٠ لقد بذلت مجهودا ضخما وقدرا كبيرا من المال للحصول على صندوق من الرصاص يزن نصف طن كانت قد وردت به



شحنة من المواد المشعة وفسدت بعد أن تركوها فى المطار مدة أطول من اللازم ..ومرة تعرضت للخطر فى سبيل هوايتى

اذ خرجت فى احدى الغارات فى حرب لأعرف مناسبتها واخذت اجمع بقايا دانات

الصواريخ وقطع القنابل المتناثرة . وكل ذلك يضمه الركن الخاص بآلات الحرب فى متحفى

. عندى حقا أشياء رائعة .

تصنيف الأشياء الفارغة

لقد بلغ من تمسكى بفكرتى اننى لم أتزوج

حتى الآن وكانت أمامى فرص عديدة للاقتران

بفتاة ممتازة وبنت أصل ،ولكنى كنت أصر دائما على شرط واحد وهو أن تكون الفتاة قد

امتلأت ثم أفرغت ، كان شرطى هذا يقابل بعدم الفهم فى البداية ولكنى

كنت أشرح لهم فكرتى ببساطة وكانوا دائما لا يدعوننى أبين وجهة نظرى وانما يطردوننى

على الفور . لذلك لم أتزوج . هذا أفضل ...

كان وقتى مشغولا بالاعتناء بالأشياء التى

كنت اجمعها . كنت

اعتنى بتنظيمها وتصنيفها وعرضها فى

بيتنا الكبير . وقد ابتكرت أسسا جديدة خاصة

بتصنيف هذه الأشياء

ولكل نوع منها تصنيف مختلف حيث لا يمكن

أن أصنف علب الورنيش

بالطريقة التى أصنف بها زجاجات الحبر ...

عموما تجدون هذه

الأسس بالتفصيل فى كتابى « تصنيف الأشياء

الفارغة » الذى صدر منذ أربع سنوات وأثار

ضجة عالية . وان كنت الى الآن لم يفارقنى

الحزن لأننى بعد أن جمعت كثيرا من الأشياء

ضاق بها البيت الكبير ففقدت طابع النظام .

بعت المكتبة الضخمة

التى تتابعت وراثتها فى بيتنا دون أن يقرأ أحد

ما فيها . بعتها بالكيلو واستفدت من ذلك

فائدتين : وجدت أن منظر الأرفف الخالية أجمل بكثير ، كما أننى تخلصت من الكتب

المتراكمة لكى أفسح مكانا لمقتنياتى ، وبعد

ذلك بعت معظم الأثاث واكتفيت بالمرتبة التى

أنام عليها . ومع ذلك كان المكان يضيق

باستمرار . كنت احتاج الى مكان واسع ولكن

أموالى كادت تنفد ، وكان من الواجب أن

أحظى بالاهتمام اللائق نحوى من المؤسسات المحلية والعالمية ، ولكن يبدو أن الحس الفلسفى مفقود فى هذا العصر .

لقد قيل لى كثيرا اننى أجمع أشياء فارغة

عديمة الجدوى على حد

قولى فى عنوان كتابى السابق الذكر ، ولكنى اعترف بأن التسمية كانت غير دقيقة بالمرة . وكنت

أنوى أن أغيرها فى الطبعة القادمة .

انها ليست أشياء . فارغة انها أشياء كانت ممتلئة .. تقولون

ما الفرق ؟ فرق كبير بالطبع . لقد تسرع أحد النقاد الأفوتين بعد

صدور كتابى « تصنيف الأشياء الفارغة »

ووصفنى بأننى رجل فارغ . ولكنى لم أهتم قبل مثل هذا الكلام من قبل على كل الرجال

الافذاذ بدافع الحسد أو الغيرة أو أى دافع اخر • أنا لا احترم الدوافع ولا اهتم بالتفاهات •

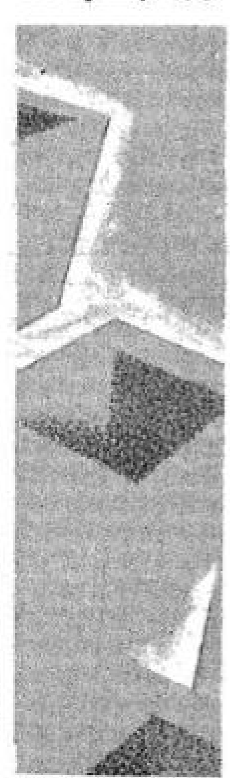
***

كنت اليوم افحص مقتنياتى واسجل بعض الملاحظات عليها لانني كنت انوى أن أضيف بعض الاضافات الضرورية الى الطبعة القادمة من كتابى وبينما كنت اسحب صندوقا من الورق المثقب والذى احضرته من بولندا بعد أن صدر فيه البرتقال المصرى الى هناك • عندما سحبت هذا الصندوق انهالت الاشياء التى فوقه ودفعتنى الى الارض وتراكمت فوقى ، وبالصدفة كان صندوق الرصاص الذى يزن نصف طن موضوعا ، على قاعدة خشبية صدمتها اثناء سقوطى المفاجيء فتزلزلت وسقط الصندوق على نصفى الأسفل ، ولولا وجود صناديق من الورق المقوى وعبوات من البلاستيك تحملت عنى الصدمة لكانت عظامى تهشمت على الفور •

الحمد لله انه كانت لدى فرصة لان احكى لكم كل شيء • المهم انني الآن محبوس تحت أشيائى العزيزة ولا أستطيع أن أتحرك •

أعرف أننى سوف أموت لأنه لا أحد يزورنى بالمرة ، وكل اصدقائى انقطعوا عنى منذ فترة طويلة ، كما أن بيتنا فى مكان منعزل •••

أنا غير حزين ولا خائف من الموت ولكنى اراجهه بطمأنينة تامة



وصفاء ذهن نادر وذلك ضرورى على كل حال لكى اكتب لكم من مكانى هذا تحت صندوق الرصاص كيف ولدت الفكرة فى رأسى من الأصل وكيف تطورت لأنى لم اذكر ذلك فى اى من كتبى المنشورة كما أننى ذكرت بالتفصيل ما سوف يكون قصة موتى ، لأن هذه الأشياء – حياة وموت العظماء – تهم الناس فى كل زمان ومكان ، وأنا أدرك بالطبع أننى عندما أموت هكذا فانى اموت شهيدا كما ان ذكرياتى التى كتبتها لكم والتى كانت أهم بالطبع منى أنا نفسى • واذا كان لابد من أن أوصى بشيء فاننى لا أطلب شيئا لنفسى كما أننى لم اترك أولادا • فقط تركت مقتنياتى التى أرجو أن تحظى بالاهتمام اللائق بها • كذلك أوصى بأن تحنط جثتى على طريقتى الخاصة بأن تفرغ أحشائى وجمجمتى وتوضع جثتى التى استنفدت أغراضها فى المتحف الذى لابد وأن تقيموه ليضم مقتنياتى•

صالح جودت

قرطاجية

« ألقيت في مهرجان الشعر الذي عقد بتونس في الشهر الماضي »

قسماً بسحرِ عيونكِ الخُضرِ
يا أجملَ الألوان في عمري
وبدُرِّك المنظوم مزدهيا
بالأحمرِ المضمومِ في الثغر
وبصوتكِ المنغوم يهمس لي
وبعطركِ المشموم في النحر (١)
وبصدرك المعصوم من ترَقّي
وبليلكِ المقسوم في الشَعر
وبقدّك المرسوم ترقيصه
فتنُ الخلاعةِ في حمى البحر (٢)
وبأرضكِ الخضراء وارفةً
بالتين والزيتون والتمر

---

(١) المشموم : اسم يطلقونه في تونس على باقة صغيرة من الفل تضعها الفتيات في نحورهن

(٢) الخلاعة : معناها في تونس « موسم الاصطياف على البحر »



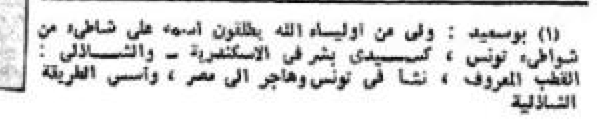
وبشطكِ الهـــادى ورملتـهِ
مُجـلـوّةٌ بالطيب والتـبـــر

وبروعةِ التــــاريخ فى حقبٍ
صفحاتهـــا تنهلُ كالعطـــر

وبيوســـعيدَ وطيبِ ســيرته
والشــاذلى ومهــده الطهر (١)

وبلهفتي من يوم فرقتنـــــا
يمضى علىّ اليومُ كالشــــهر

وبأغنيـــاتى فيكِ ، أنظمهـــا
لتكونَ ليلةَ عــودتى مهرى



(١) بوسعيد : ولى من اولياء الله يطلقون اسمه على شاطىء من شواطىء تونس ، كسيدى بشر فى الاسكندرية ـ والشاذلى : القطب المعروف ، نشأ فى تونس وهاجر الى مصر ، وأسس الطريقة الشاذلية

قرطاجية

ما كان لي إلاكِ أمنيـــــــــة
لو طالعتني ليـــــلةَ القـــدر

***

فـدَيت ذاتَ الأعـــين الخُضر
حســـناءَ قرطاجيـــــةَ الكبر
لمّا تزلْ من عهــــــد أندلسٍ
في صوتهـــا ترنيمـــةٌ تسري
وتطــوف بالمالوف شــــاديةً
لتزيدني ســـكراً على سكر (١)
مرّتْ بحلقِ الوادِ تــــسألني
من أين أنتَ ؟ فقلتُ من مصر (٢)
قالت : وكيف النيلُ ؟ قلتُ لها :
رغم الحوادثِ لم يزل يجـــري
متحمــــلاً لجـــراح عزته
متذرعاً بالحلم والصـــــبر
مترصـــــداً للمتحـــدقين به
متحفزاً للأخـــذ بالثـــــأر
ما زالت الأهـــرامُ شــــامخةً
والسّـــدُّ مختـــالا على النهر
والكرنكُ المرفوعُ مؤتلقــــــا
يجلو دبيبَ الروح في الصخر (٣)

---

(١) المالوف : لون من الغنـــاء الشعبي الشائع في تونس ، اندلسي الاصل
(٢) حلق الواد : شاطيء في تونس
(٣) اشارة الى مشروع الصوت والضوء في معبد الكرنك

وصلاةُ أخناتون خاشعةٌ
غبّارةٌ كمؤذّن الفجر (١)
وهوايةُ الأمجاد ما برحتْ
مَهوى قلوب الفِتية السُّمْر
الصامدين بحلو نكتتهم
يروونها فى العسر واليسر
ومن العجائب فى طبائعهم
لطفُ الحمام وعزّة النسر
شربوا التفاؤل من تعطّشهم
للنيل فى تيّاره الثورى
يروى أبو الهول الأمينُ لهم
ما شامه من حادث الدهر
نقش الفراعنُ فى برائنه
تعويذةً مجهولةَ السر
مرّ الغزاةُ به فما هبطوا
من سفحه الا الى القبر
لمْ يلقَ منهم فاتحٌ سكنا
فى أرض مصرَ عصيةِ الظهر
إلا جنود الله ، إذ قدِموا
فى موكب الايمان والخير
يسعون والقرآنُ رايتهم
واللهُ ناصرُهم على الكفر
يمشون فيها رحمةً وهدىً
ويباركون الكون بالذكر

(١) التغبير : صوت الهدهد حين يذكر الله فى الفجر

قرطاجنة

فتحتْ لهم مصرُ منـــازلهــا
واستقبلتهم رحبـــةَ الصـــدر
وعَنَتْ لدين الله قانتـــــةً
ودَ نَتْ له بالحمـد والشــكر
وحَنَتْ على عمروٍ مُهـــللةً :
يا بارك الرحمنُ في عمـــرو

***

الله أكبــــر ، هكذا انطلقت
تلك المواكبُ في المدى القفــر
تنســـاب من بلدٍ الى بلـــدٍ
وتسير من نصـــر الى نصــر
حتى أتت قرطاجـةً فـــرأت
صُوَرَ الحضــارة في الربى الخضر
ورأت عــلى طــول المــدى زمراً
ضاقت بعهـد الشرك والنــكر
فبنت لهـــم في الأرض مملكةً
مأثورةً بالمجـــــد والفخـــر
عـــزّت بدين الله وانتسبت
للحرة الزهــراء في الخـــدر (١)
وسـما المعزُ بهـــا لذروتهـــا
فتـــألقت كالكوكب الدرى (٢)
الفاطميةُ جسرُ تحمتنـــــا
أكرمْ بهـــا في الله من جسر

(١) فاطمة الزهراء ، رضى الله عنها .
(٢) المعز لدين الله الفاطمى

وأنا ابن قاهـــرتى ، وقاهـــرتى
بنت المعـــز وآله الزُهـــر
ولكم بهـــا فى أرضـــنا نسب
أقوى من الأرحام والصـــــهر
ووشيجة من صـــنع جوهركم
ووثيقـــة أبقى من الدهـــر (١)
ولـكم بيـــوت الله عامـــرةٌ
ومنـــازل الاحســـــان والبر
والأزهر المعمـــور ، تربطـــه
بالقـــيروان قـــداسة الفـــكر
رُكنـــان فى صرح الهـــدى اقتربا
قـــربى الرســـول الى أبى بكر

***

يا تونس الأحلام ، ياكنفـــــا
للفن والأنغـــام والســـحر
يا بلدة الشابىِّ ، وهـــو لنـــا
خدن الشـــباب وزهرة العمر (٢)
وربىً « أبوللو » النَضر تجمعنـــا
حول الشـــباب وعهـــده النَضر
كم ضـــللتنا فى مـــلاوته
أسطورةٌ تُدعىً الهـــوى العذرى
عشنا لسبح باســـمها زمنـــاً
تسبيحة النُســـاك فى الدير

(١) جوهـــر الصـــقلى ، بانى القاهرة
(٢) أبو القاســـم الشـــابى ، الشاعر التونسى الذى رحـــل فى زهرة العمر

قرطاجنة

عشـــنا لوجه الحب ، يُسعدنا
في الوصل والحـــرمان والهجر
عشـــنا نرى الأيام حاليـــةً
بالنـــاس ، خاليـــةً من الوزر
عشنا بلا حقــــدٍ ولا طمع
الكوخُ يبهرنا عن القصـــر
عشـنا لوجه الشـــعر متشحاً
بالنـــور والإيمـــان والطهـــر
حتى نأى الشـــابيُّ فاغتربتْ
حُلل الشبابِ وتُضرة الزهـــر
وليّ ، وعشـــنا بعـــده لنرى
عنف الغـــريزة حـين تستشرى
في عالم كالغـــابة انتحـــرت
في قلبه أســـطورةُ الخـــير
الحب فيه خـــرافة نُسجتْ
بالإثم والشـــهوات والغـــدر
والحـق فيـــه رواية صُبغت
بالظـــلم والإرهاب والمـــكر
والعـــدل فيه قضـيةٌ وُئدت
بالافـــك والعـــدوان والشر
والعـــلم فيـــه خطيئةٌ سفحت
آمنُ الشـــعوب بهـــولها الذرى
والبدرُ ، كم وطأوا طهـــارته
بنعالهم ، لهفي على البـــدر
والله .. حتى الله .. أنـــكره
من آمنوا بضـــلالة الكُفـــر

أين الحضارة ؟ أين مكسبهـــا
وقضــية الإنســان فى خسر ؟
يارب أنزل منك مرحمــة
أو لا فقــرب موعــد الحشر
يا بلدة الشابى ، معـــذرةً
إن كنت مونورا فمن قهــرى
أنا صاحبُ الشابىِّ ، مذهبنـــا
ألاَّ نخـون خليلنـا البصرى (١)
وأمانة الشـــابى فى عنقى
والذود عن ذكراه من نذرى
ما زال فى قلبى وفى خلدى
منه فــذى متأرج العطــر
واحســه روحـــا مرفرفــةً
فى المهرجان كرفـة القمــرى
وأكـــاد ألمحـــه بقامتـــه
مترنماً بروائع الــــــدر
وأكاد أسمع صـوتَ غضبته
مما أُلِمَّ بحرمة الشـــعر
جحدوا التراث ، وباركوا رجـزاً
متعقــد الإقــواء والــكسر
متطاولاً متقـــاصراً قلقـــاً
مترددا كالمد والجــــزر

(١) الخليل بن احمد الفراهيدى البصرى ، مقنن الشعر



سمّوه بالحر الجديد ، ألا
يا رحمتا للشاعر الحر
الشعر موسيقى منغمةٌ
إمّا حَنَتا شطر على شطر
وتأنقا وزنا وقافية
وتألقا بثقافة العصر
وتجلّلا بحلى قوامهما
وتراقصا في موجة البحر
والنبتُ لا يخضل رونقه
إن عاش منبتاً عن الجذر
والشعب لا تزكو ثقافته
ولبابها مستورد الفكر

***

يا تونس الحسناء ، معذرةً
إلى شجيتك دون أن أدرى

عفواً اذا شط الحديث بنا
فنسيتُ ذات الأعين الخضر
وغفلتُ عن ولهى بفتنتها
وبأرضها وبأهلها الغُر
حان الوداع ، وظل لى أمل
فى مُلتقاك يشد من أزرى
سأعود يا خضراء بعد غدٍ
من وكركِ الحانى الى وكرى
سأعود ، فى جنبيَّ أجملُ ما
حمّلتنيه من هوى مصر
سأعودُ من بلدِ الحبيب إلى
بلدى لأشهد ساعة الصفر
فإذا حييتُ فإن لى أجلاً
وإذا قضيتُ فإن لى أجرى
أنا لستُ من دِينى ومن نَسَبى
إن عشتُ مغلوبا على أمرى

***

سأعود من وطنى إلى وطنى
وكلاهما بصبابتى يغرى
وأظل أستدنيك فى حلمى
وأعد أيامى على الجمر
حتى أعود إليك ثانيةً
وعلى يدىَّ شهادةُ النصر



شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية والكهربائية والإلكترونية
برقياً : سيلار - الإسكندرية



الحب والحكمة في حياة أصحاب البصيرة

● قال بشار بن برد :

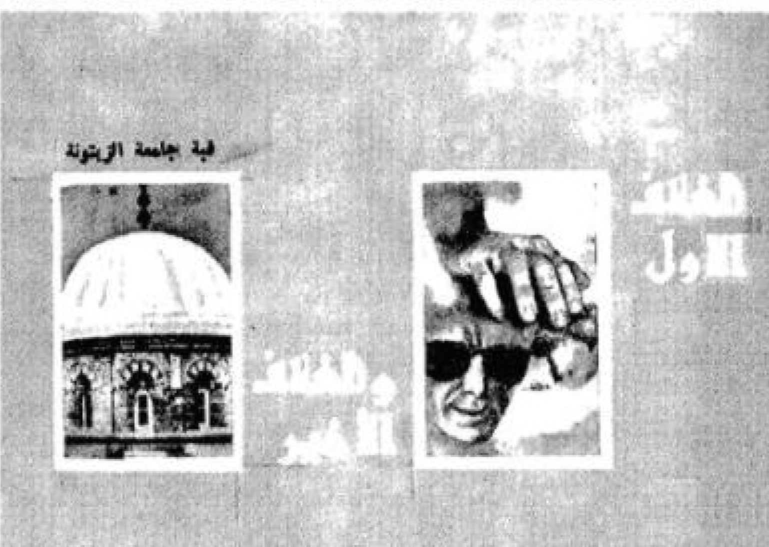
يا قوم أذني لبعض الحي عاشقـــة
والاذن تعشـــق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهـــم
الاذن كالعين توفى القلب ما كـــانا

● وقال أبو العز مظفر بن ابراهيم :

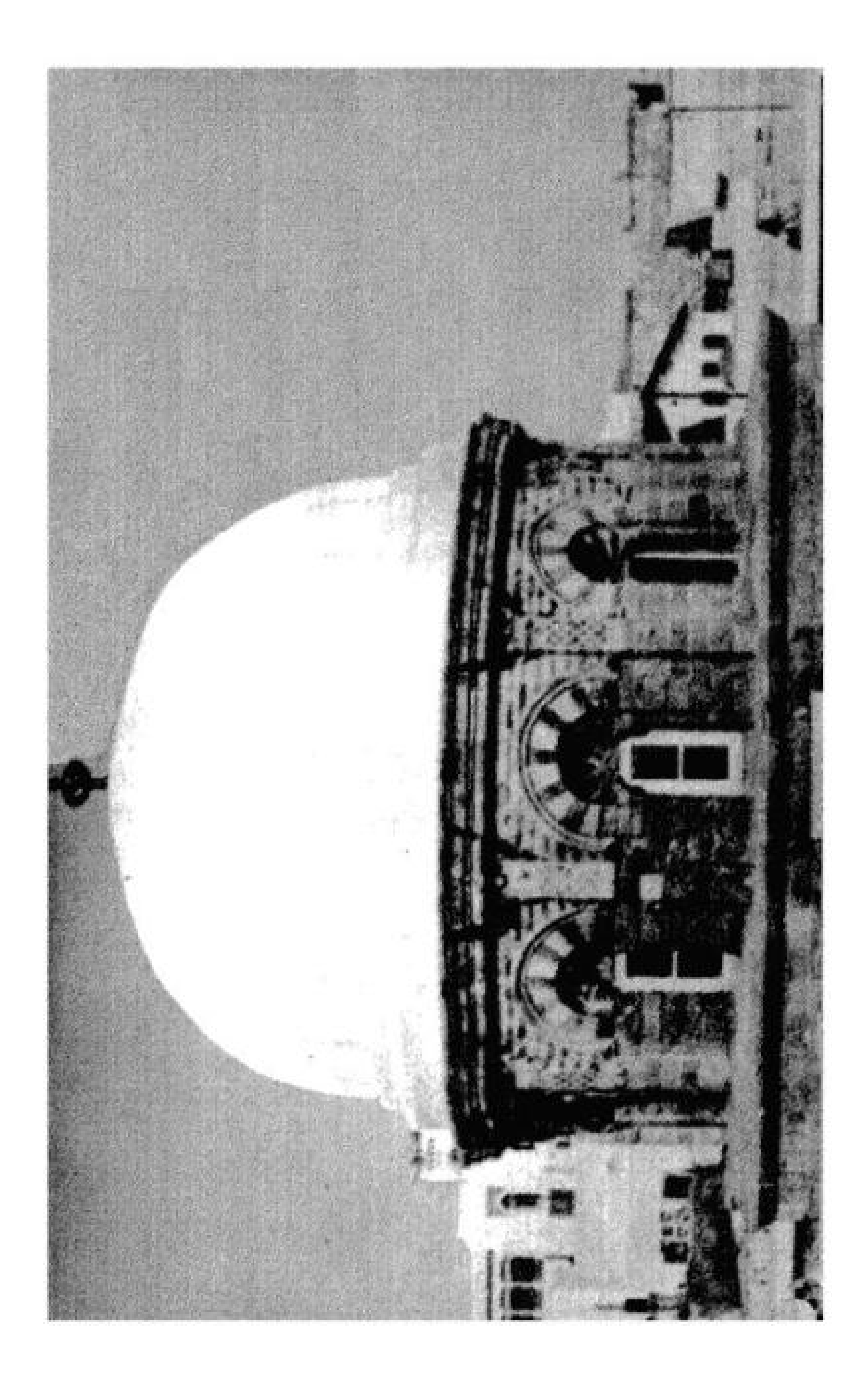
قالوا عشـــقت وأنت أعمى
ظبيـــا كحيل الطرف الى
وحلاه ما عاينتهـــا
فتقول قد شغلتك وهمـــا
وخياله بك في النـــام
فما أطـــاف وما ألما
من أين ارســـل للفؤاد
وأنت لم تنظره ، ســـهما
فأجبت أني موســـوى الـ
ـعشـــق انصاتا وفهما
أهوى بجارحة الســـماع
ولا أرى ذات المســـمى

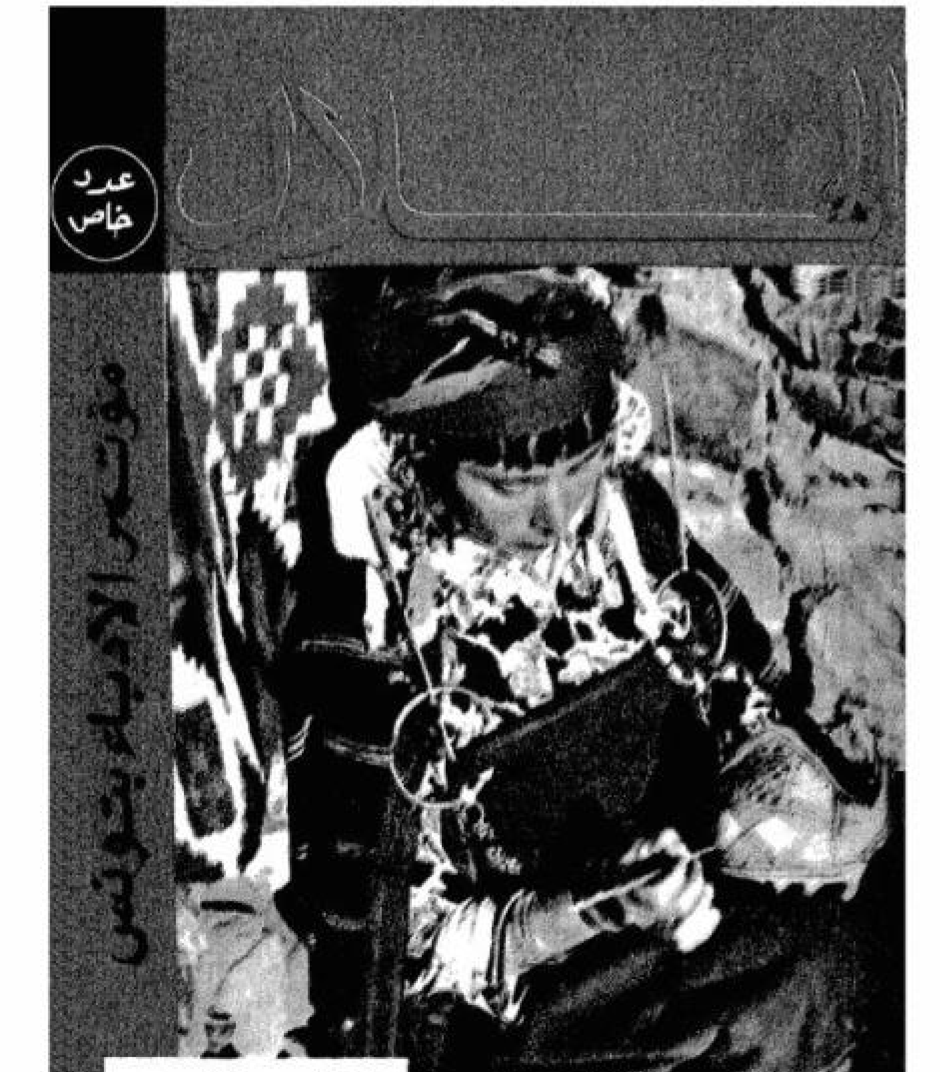
● وقال الحصري :

ســـواد العين زاد سواد قلبي
ليتفقـــا على فهم الامور



قبة جامعة الزيتونة




عدد
خاص
مؤتمر الأدباء بتونس
اطلب مع العدد
الزهور
الملحق الأدبي للهلال

الهلال

مايو ١٩٧٣

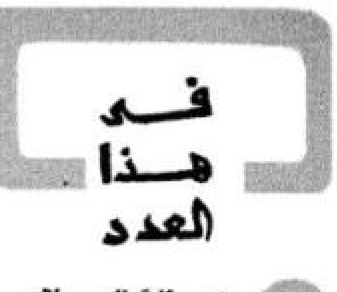
مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال – العدد
الخامس – السنة
الحادية والثمانون –
اول مايو ١٩٧٣ – ٢٨
ربيع الاول ١٣٩٣ ..

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٢٠ مليما – من السكميات المرسلة بالطائرة – في سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا – في الاردن ١٥٠ فلسا – في العراق ١٠٠ فلس – في الكويت ٢٢٥ فلسا – في السعودية ٢٫٥ ريال سعودي .

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » في جمهورية مصر العربية بالبريد العادي البريد العربي والافريقي ١٢٠ قرشا صاغا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادي – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
التليفون : ٢٠٦٢٠ « عشرة خطوط »



في هذا العدد

٠٠٤ كلمة الهلال

٠٠٦ يوسف السباعي : المؤتمر التاسع للادباء العرب بتونس

٠٠٨ الحبيب بورقيبة : علينا ان نرفع العراقيل التى تكبل الفكر العربى

٠١٤ عزيز اباظة : تحية لتونس الخضراء « قصيدة »

٠٢٠ حسين التريكى : بالكلمة قبل السيف اقام اليهود اسرائيل

٠٢٤ د. ابو القاسم سعد الله : الوحدة الشاملة سبيلنا الى عصر التقنية

٠٣٤ محمود حسن اسماعيل : موسيقا من الكلمة «قصيدة»

٠٣٩ د. أحمد هيكل : لكى تكون لنا استراتيجية ادبية صحيحة

٠٤٦ محمد عبد الغنى حسن : على مشارف تونس « قصيدة »

٠٤٩ محيى الدين صبحى : الحساسية الادبية فى السبعينات

٠٥٦ جعفر ماجد : الاصنام « قصيدة »

٠٥٨ عبد العزيز الدسوقى : اتجاهات الشعر الحديث

٠٧٠ محمد سعيد جراده : وجه حسناء « قصيدة »

٠٧٢ الحبيب شيبوب : شعراء تونسيون

٠٧٨ رحلة الشهر

٠٨٦ د. عبد المنعم الرفاعى : الى شاعر الارز «قصيدة»

٠٩٢ يوسف الشارونى : القصة القصيرة فى التراث العربى

١٠٢ روحية القلينى : من وحى رسالة « قصيدة »

١٠٤ ميشيل تللا : رسائل من الفراغ فى الفضاء البعيد

١٠٩ احمد محمد الخليفة : احبك « قصيدة »

١١٠ عزمى لبيب : تحت قرص الشمس « قصة »

١١٤ محمد جبريل : المغزى الاخلاقى فى ادب السحار

١٢٠ حارث طه الراوى : شاعر الشباب اكرم احمد

١٢٦ هدى جاد : الهاتفة والتهيدة « قصة »

١٣١ جميل حسن : الملك المارق « قصيدة »

١٣٤ معارك أدبية : محمود تيمور يحاسب النقاد
معارك ادبية : فى الذكرى العشرين لشاعر الحب

١٤٠ محمد السالك : تاريخ المجامع العلمية العربية



الرئيس بورقيبه

عزيز اباظه



د . عبد المنعم الرفاعى



محمود تيمور

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا ذهبنا ؟

لماذا ذهبنا الى مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر في تونس ؟ ولماذا نذهب اليها كل عام في مختلف العواصم العربية ؟

الذي نفهمه ، ويفهمه كل أديب وكل شاعر ، بل وكل عربي .. اننا نذهب لنتعارف — نحن خدام الكلمة الشريفة في جميع أنحاء الأمة العربية — ولنكون من ثمرات تعارفنا ان نجدد اللقاءات لتوثيق أواصر القربى بين أبناء هذه الأمة ، ودعم الصلات الروحية والفكرية بينها ، ودفعها الى كلمة سواء ، خلاقها الحب والصفاء ، وغايتها التعاون البناء على تحقيق كل مايمهد لهذه الامة سبيل العزة والتفوق على اعدائها المتربصين بأرضها وثرواتها ومقدساتها ..

فهل هذا مايحدث حقا ؟

هل هذا — مثلا — هو ما حدث في المؤتمر والمهرجان اللذين ذهبنا اليهما في تونس من ١٥ الى ٢١ مارس الماضي ؟

لقد كانت الشقيقة العزيزة ، تونس كريمة كل الكرم في استضافة المؤتمر والمهرجان ورعايتهما

وقد حاولنا في هذا العدد ان نقدم بعض لقطات موجزة — ونرجو الا تكون مبتسرة — من البحوث والقصائد التي شهدتها ردهات المؤتمر والمهرجان ، لعلنا نستطيع ان ننقل بها صورة الى جانب من هذه الردهات

ولم يسعفنا حجم «الهلال» المحدود على استيعاب كثير من البحوث والقصائد الملقاة المتزنة

والى جانب هذا ... تعمدنا اسقاط كثير من البحوث والقصائد الشاردة ، التي تحملنا على التساؤل : لماذا نذهب الى المؤتمر والمهرجان ؟

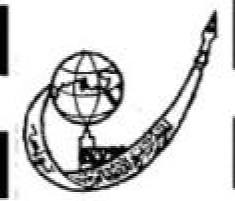
لقد جاء اصحاب هذه البحوث والقصائد الشاردة ، وهم يتمسحون باسم النقد .. والاشادة بالفرقة ، وبلبلة الافكار .. ونشر الاكاذيب المدسوسة عن أدب القلب وأدب النفس .. وكانت جميعا — وهذه لفتة للسؤال .. — موجهة ضد مصر .. واتهاما لمصر .. والتشهير بمصر .. وتشويها لوجه مصر .. مصر العربية الأمة المجاهدة الصابرة التي قدمت للعرب اكثر من عشرين الف شهيد من زهرة شبابها ، واكثر من خمسة الاف مليون جنيه من عرق ابنائها !

وكان بطل المعركة ضد مصر — ان صح ان يسمى بطلا — هو رئيس وفد لبنان

لا عزاء لنا ، الا يقيننا بأن هذا «البطل» لا يمثل وجه لبنان ، ولا روح لبنان .. ولا ادب لبنان .

يوسف السباعى

كلمة الافتتاح



انه ليسعدنى ، ويشرفنى ، ان أعبر ، باسم الامانة العامة للاتحاد العام للادباء العرب ، وبالنيابة عنكم جميعاً ، عن أعمق آيات الشكر للسيد رئيس الجمهورية التونسية الحبيب بورقيبة ، على تفضله بافتتاح مؤتمرنا هذا ، وعلى الرعاية الكريمة التى شمله بها ، كما أعرب عن الامتنان العميق لتونس الشقيقة ، حكومة وشعبا ، لما لمسناه وما نلمسه من مظاهر الكرم العربى الاصيل والحفاوة الكبيرة والتعاون الصادق حتى يتحقق للمؤتمر التاسع للادباء العرب والمهرجان الحادى عشر للشعر العربى ، كل ما هما جديران به من نجاح وتوفيق ·

ان انعقاد المؤتمر والمهرجان فى تونس تلبية للدعوة الكريمة التى تقدم بها هذا البلد العربى الشقيق قد حقق أمنية غالية على قلوب أدباء العربية وشعرائها وأتاح لهم ذلك اللقاء الذى طالما تطلعوا اليه ، بأشقائهم فى هذا البلد المناضل العريق · واننا لنعتز حقا بانعقاد هذا المؤتمر فى تونس ، بتراثها العربى الحافل ، وسجل كفاحها المجيد وانتصاراتها العظيمة فى ساحات الجهاد والعمل والبناء معا ·

ان مؤتمرنا التاسع ينعقد اليوم ، وما زالت الامة العربية تخوض غمرات كفاحها الطويل الشاق ضد قوى الاستعمار والصهيونية والعدوان ، وتقف فى صمود واستبسال لا هوادة فيه ، وقد عقدت العزم على المضى فى نضالها ضد العدو الصهيونى الامبريالى ، حتى النصر الحاسم ·

وعلينا نحن الادباء العرب أن



تناضل ، بكل ما تملك من وسائل ، لكي تذكي جذوة الامل الخلاق في نفوس ابناء شعبنا العربي ، ونعيد توكيد اسهامنا الحضاري العريق في مسيرة الانسانية كلها ، وترفع صوت هذه الامة صادقاً وقوياً حتى يصل الى وجدان كل الشرفاء في العالم اجمع .

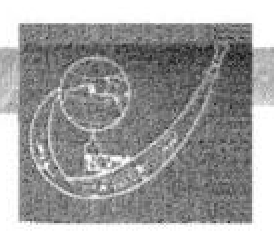
ان نضال شعبنا العربي انما هو جزء لا يتجزاء من نضال حركة التحرر الوطني في العالم كله ، ومعركتنا هي معركة كل قوى التحرر والسلام في هذه الجبهة العالمية العريضة التي تقف معنا في نضالنا من أجل استرداد الارض العربية المحتلة ، واستعادة حقوق شعب فلسطين القومية على ارضه وفي وطنه وتوطيد اسس التقدم والعدالة .

اننا نؤمن اعمق الايمان بالسلام والاخاء بين الشعوب المناضلة ، ولكن العدو الصهيوني الامبريالي يستهين بكل القيم والاعراف الحضارية ، ونحن ندرك ان السلام لا يمكن ان ينفصل عن العدالة ، وعن الحرية ، ولا يمكن ان يتوطد الا مدعوما بقوة الحق وبحق القوة معاً ، وقد عقدنا العزم على ان نخوض معركتنا العادلة الشريفة مستندين الى الحق والقوة معا ، لنحرر الارض ونسترد الحقوق ونحرز النصر المرجو باذن الله

هذا موقفنا الذي لا يتزعزع في صراعنا مع الصهيونية والامبريالية العالمية ، سوف نؤكده ونبرزه بلا شك في مؤتمرنا التاسع اذ نجتمع لدراسة موقع الادب العربي من هذا العصر الحاشد بالقضايا والتطورات ، وما من شك عندي في ان ادبنا العربي قادر ، بما يحمل من عطاء ، على ان يغير وجه المستقبل نحو غد مشرق هو في الوقت نفسه استمرار لاصالة حضارتنا بكل ما فيها من ثراء انساني ، ونحن اليوم اذ نقبل على تقييم الاتجاهات الادبية المعاصرة سوف ندرس اثرها في خدمة هذا المستقبل العربي وطنيا وقوميا وانسانيا على السواء ، كما ندرس العلاقة الضرورية التي نشأت، وسوف تتطور ، بين الادب العربي والثورة التكنولوجية في هذا النصف الثاني من القرن العشرين .

لقد كان الادباء وسيظلون دائما طليعة هذه الامة ، يحمون حضارتها، ويحرسون وجودها ، ويذودون عن اصالتها ، ويزكون حريتها ، ويستشرفون آفاق مستقبلها .

وانني لعلى يقين من ان المؤتمر التاسع للادباء العرب ، والمهرجان الحادي عشر للشعر العربي ، سوف يسهمان في توكيد رسالة أدباء العربية وشعرائها اسهاما ثمينا ...



الرئيس الحبيب بورقيبة



علينا أن نرفع العراقيل التي تكبل الفكر العربي

بسم الله الرحمن الرحيم ،

أريد ان اعبر لكم عن ابتهاجي لان حضوركم اليوم في هذه البلاد يمثل تطورا كبيرا وكبيرا جدا بالنسبة للوضع الذى كانت عليه تونس وبقية اجزاء المغرب العربي

ابتداء من اوائل القرن العشرين الى اواسطه ، حيث كنا نجهل بعضنا بعضا ونسينا الروابط التاريخية العريقة التى كانت تشدنا الى بعضنا

بعضا ، وحل محلها شبه جدار حديدى يفصل بيننا وبين المشرق حتى ظن الكثير من اخواننا هناك اننا نبنا وانتهى امرنا واصبحنا نمثل جزءا من الامبراطورية الفرنسية

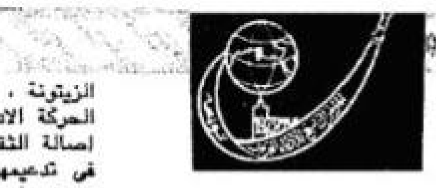
اقول هذا لانى لست انا نلعى هذه الظاهرة اثناء جهادى الطويل . ذلك انى لما اردت الالتحاق بالمشرق بعد مضى يومين فقط على قيام الجامعة العربية التى تكونت فى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ وشرعت فى تلك المغامرة العظيمة وانها لعظيمة حقا بالنظر الى العراقيل التى كانت تضعها السلط الاستعمارية فى وجهى كلما رمت التنقل لاية جهة من الجهات ، وبالنظر ايضا للعديد من الجواسيس الذين كانوا يحيطون بى .

ولقد اقتحمت بالرغم من هذه العوائق على شق البحار عن طريق صفاقس وقرقنة واجتزت الحدود الليبية ، ونجوت من البوليس الفرنسى الذى ارسل ورائى قصد القاء القبض على ، كما نجوت من البوليس الانجليزى الذى كانت بلاده تحتل ليبيا انذاك واستطعت ان اخترق الصحارى الليبية سيرا على الاقدام فى اغلب الاحيان او بوسائل نقل بدائية وقطعت مسافة من التراب المصرى بالاعتماد على الاستنجاد اثناء الطريق بالسيارات العربية للحلفاء الى ان بلغت مركز الضبعة الذى يبعد ١٦٠ كيلو مترا عن الاسكندرية .

وان اجتماعكم اليوم فى تونس لاكبر دليل على اننا اصبحنا امة واحدة وانكم فى بلادكم بين اهلكم وذويكم وان مصيرنا واحد واننا مدعوون للعمل فى صف واحد لاعلاء كلمة الامة العربية بتمامها وكمالها .

حضرات الضيوف الاكارم

حرصت كل الحرص ان اكون معكم اليوم فى افتتاح مؤتمركم هذا التاسع، لشغفى ، منذ الشباب الباكر ، بالادب عامة والشعر خاصة ، مما جعلنى اميل ، فى دراستى ، الى اختيار احد مناهج الثقافة الادبية ، على شدة ولوعي بالعلوم الرياضية .



علينا أن نرفع العراقيل

وان انس فلا انسى ما حفظته ، فى ذلك العهد ، من قصائد مطولة ، ومقطوعات منتخبة ، من اساطين الشعر العربى

وتلك رابطة بين المرء وقومه لا تعدلها رابطة ، فى اعماق ضميره ومنعرجات حياته ، مهما تقلبت به الاحوال .

فمن طبيعة الحركات الأدبية ان تكون دوما فى طليعة التحولات الثقافية والانقلابات الاجتماعية تمهد لها ، وتعبر عنها . وقد بدات النهضة عندنا بتيارات ثقافية من اهم عناصرها الاطلاع على آداب الغرب والاخذ منها عن طريق الترجمة او الاقتباس .

ذلك ما حصل فى مصر والشام . وهو كذلك ما حصل فى تونس بالذات بعد سفر الشيخ محمود قبادو الى الاستانة ورحلة خير الدين الى فرنسا ، واطلاعه على مدى الرقى الذى بلغته أوربا ـ وقد دون ذلك فى كتابه المعروف باقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك ـ وما عقب تلك الرحلة من اصلاحات فى البلاد لعل اهمها انشاء المدرسة الصادقية التى قصد منها تخريج جيل جديد يجمع بين الثقافة العربية الصحيحة والاطلاع الواسع على علوم العصر ولغات الامم المتقدمة .

ومما يشهد به التاريخ ان هذه المدرسة قامت بالاشتراك مع جامع الزيتونة ، بدور رئيسى فى تطوير الحركة الادبية عندنا مع الحفاظ على اصالة الثقافة العربية ، التى اسهم فى تدعيمها امثال ابن منظور وابن رشيق وابن خلدون ..

ثم انى كنت حريصا ان اشهد افتتاح هذا المؤتمر لاعتقادى انكم ستخوضون فى قضايا حيوية بالنسبة الى الثقافة العربية لتوضيح السبل وتبيين الغايات . ولما كنت فى بعض هذه القضايا ، أرى رأيا خاصا ، احببت ان اتحدث اليكم ، على اسهم فى اشغالكم بما ينير بعض المعالم .

وجماع هذه القضايا ، عندى ، مصير الثقافة العربية : اى منزلتها بين سائر الثقافات الناهضة ومستقبلها فى هذا العالم السريع التطور .

تلك هى القضية الام التى لا ينبغى ان تغيب عن اذهاننا ، ونحن نخطط لمناهج جديدة فى مختلف مجالات التربية والثقافة والتنمية الاجتماعية الشاملة ..

ونقطة الانطلاق ، فى كل ذلك ايماننا الراسخ بان ثقافتنا العربية قادرة على الاضطلاع بدور تاريخى ، هام لافقط بالنسبة الى الشعوب العربية بل ايضا فى مستوى انسانى عام ، اذا نحن ، ابناءها المنتسبين اليها والمتحملين لمسئولية النهوض بها ، قوينا على النهوض بالمسئولية ، واحسنا فهم الواجبات التى علينا .

ولئن تركبت لنا عقد فى الماضى ، حيالها ، وخاصة ازاء ما يظهر لنا من ركودها بالنسبة الى ما عليه غيرها ، فليس ذلك لعلة متصلة فيها ، وانما هى امراض تاريخية ، مردها الى احوال الشعوب ، وليست فى شيء ناتجة عن طبيعة كامنة او اسباب دائمة قاهرة .

فتفاوت الامم فى تطورها منعكس لا محالة على سائر احوالها الاجتماعية والذهنية ، فيؤثر فى كل



وزير اباظة ـ السفير المصرى محمود التهامى ـ احمد راس ـ يوسف السباعى ـ صالح جودت ، فى مادبة وزير الثقافة التونسى بالدار المغربية

ما لديها من ادوات حضارية ، من ضمنها اللغة والثقافة .

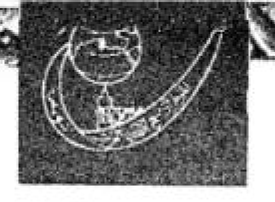
فليست الثقافة هى التى يصيبها الوهن فى جوهرها ، من شدة الهرم، وانما هو تخلف الامم تسرى عدواه الى كل شئونها ، فيضعف سلطان الفكر فيها ، وتعتل ملكة التعبير وتتقلص سيطرة الانسان على الطبيعة ، تلك السيطرة التى هى من قوام الثقافة الانسانية عامة .

لذلك نعتقد ان عملية النهوض والتنمية للخروج من التخلف انما هى عملية واحدة ، شاملة لكل المجالات بالنسبة الى المجموعة ، وشاملة لكل المستويات بالنسبة الى الانسان ، لاسبيل الى التجزئة فيها ، ولا الى التفرقة بينها .

وايماننا الذى لم يزدد الا رسوخا، منذ مباشرتنا لجهود التنمية ، ان سر كبوتنا انما هو فى تعطل حركة « الاجتهاد » عندنا ، فى شتى المستويات والمجالات . . وان الشرط الاساسى لاستئناف المسيرة من جديد ، انما يكمن فى رفع العراقيل الاجتماعية والتاريخية التى كبلت الفكر العربى ، فثنته عن مسيرته الطبيعية التى كانت بلغت به اوج الزعامة الحضارية طيلة قرون متوالية .

ولعل من اهم اسباب تعطل هذا الاجتهاد عندنا ـ وهو نفسه ناتج ، دون شك ، عن جملة من العوامل التاريخية التى لا يمكننا استقصاؤها فى مثل هذا المقام ـ انخرام التوازن الضرورى بين مختلف عناصر الثقافة، مما ادى شيئا فشيئا الى تقلص الفكر العلمى ، وتغلب الذهنية الادبية على سائر مجالات الفكر والبحث والتعليم . فاصبحت النخبة التى عليها ترتكز عملية الانتاج الثقافى ، لا تعرف من العلوم الطبيعية والرياضية الا النزر القليل ، ماخوذا عن طريق الحفظ فى اغلب الاحوال، لا عن روية واجتهاد وتطلع الى مزيد .

والحقيقة ان للادب فى ثقافتنا العربية منزلة خاصة ، منذ القدم ، غير ان « الادب » اذ ذاك كان وحده هى العبارة المعروفة « الاخذ من كل شىء بطرف » ، وهو اذن اطلاع اوسع من ان يهمل مناطق من المعرفة اخذت عن اليونان ، واسهم العلماء



علينا أن نرفع العراقيل

العرب في تطوير الكثيـــر منها بما تشهد به الانسانية قاطبة .

ونظرا الى درجة التطور التى كانت عليها العلوم الطبيعية والرياضية في تلك العصـــور ، كان تأثيرها في المجتمع قليلا يكاد لا يذكر . لذلك لم تكن المرافق الاجتماعية والاقتصادية متأثرة تأثرا مباشرا بنتائج البحوث والاكتشافات العلمية .

اما ، منذ الانطلاقة العلمية التي بدأت في العصور الحديثة وخاصة منذ القرن الماضي ، فقــد اصبحت المجتمعـــات البشرية متأثرة تأثرا متزايدا بنتـــائج البحث العلمي ، بل هي اليوم رهينة التقنيات العلمية التي تكيف كل ظروف الحيـــاة الجماعية والفردية في اغلب اقطار العالم .؟؟

من هنا ظهـــرت القطيعة بين ما عليه البلاد العربية من مفـاهيم ثقافية ومناهج تربوية ، وبين ما هو جار في الامم المصنعة .

فالمشكل الذى يواجهنا ، في مستوى الثقافة ، يتصل اذن باقـامة توازن جديد حـــركي بين مختلف عناصر الثقافة عندنا ، لاحكام الصـــلة الضرورية بين مقتضـــيات الحياة والانتاج الفكرى .

ويمكن أن تحلل هذه الصلة على مستويات متعددة .

فاليوم — اكثر من اى وقت مضى —

يتعذر على الانســـان ان يفهم الكون الذى يعيش فيه ، بـــدون ثقافة تلم بأهم مكتسبات العلم الحديث ، سواء فيما يتعلـــق بالمادة أو بالحياة او بالفلك الذى يحيط بالكرة الارضية .

اما بالنسبة الى الحياة الاجتماعية فان الانســـان يعيش اليوم في محيط صناعي تتوقف عليه حياته اليومية .

فنحن اليوم ، احببنـــا أو كرهنا ، ترتبط معظم مرافق حياتنا بما يأتينا من الخـــــارج من ادوات وآلات وخبرات ، هي من انتاج امم بيننـــا وبينها بون يزداد عمقا كل يوم .

فهل يمكن ان يرضى الانسان العربي بأن يبقى غريبـــا في عالم غريب الاطوار ، لا يدرك منه الا مظاهـــر سطحية ملؤها الرموز والالغاز ؟

ذلك ان الذين يصنعون هذا العالم الســـحرى الجديد كلهم من غير العرب .

والامر حينئذ يتجاوز قضـــية الثقافة ، اذ يتعلق بكرامة الانسان العربي الذى لا ينبغي ان يقل مقدرة عن غيره من البشر في سياســـة شؤون حياته .

والامر يتجاوز ايضـــا كرامة الانسان باعتباره فردا ، ويهم في الدرجة الاولى المجموعة العربية اذ هي تجد نفســـها عالة على امم غيرها ، التي تبتكر الحضارة وتبتدع العلوم وتصنع مصـــير الانسانية قاطبة .

ورجال الاجتماع والاقتصـــاد في العالم ، ممن اختصـــوا بمراقبة المســـتقبل وسبر آفاقه ، كثيرا ما يتساءلون ، « كيف ســـتكون الحضـــارة بعد سنة ٢٠٠٠ » ؟

ولا مفر للمثقفين العـــرب من ان يلقوا على انفسهم هذه الاســـئلة : « ماذا يكون مصير الامة العـــربية

عندئذ ؟ وماذا سيبقى مما نعتز به من الحضارة العربية ؟ وما تكون منزلة الثقافة العربية اذ ذاك من هذه الثقافات الغازية التي تكتسح العالم غربا وشرقا ؟ وما حظ العربية في التعبير عن هذا العالم الجديد الذي يزج بنا فيه ولا ينبغي ان نلجه القهقرى ؟ »

هذه اسئلة لابد من مواجهتها ، اذا اردنا تلافي الامر قبل فواته ، فنرغم على الرضا بالدون قسطا لامتنا التي كان لها مجد تليد ، ولثقافاتنا ولغتنا ، وقد كان لهما اشعاع بين الامم غير قليل .

ثم ان للمشكلة جانبا اخر لا يمكن اغفاله في مثل هذا المؤتمر الذي من شعائره الانتصار لقضايا العروبة ، والنضال من اجل العزة والكرامة لكافة الشعوب العربية .

ولست ابالغ في شيء ، اذ اقول ان الامر يتعلق بكسب الرهان الجاري الان في المشرق بين الكيان العربي والتوسع الصهيوني .

ذلك ان قوة اسرائيل انما هي في حذقها للعلوم الجديدة والتكنولوجيا الحربية في احدث اطوارها اما العرب فضعفهم ناتج بالذات عن ضيق باعهم في تلك العلوم .

فالحرب اليوم لم تعد التحام جيوش ، ، الغلبة فيها للاقوى عددا وعدة ، بل هي ترتكز اساسا على استراتيجية خاطفة ، للتقنيات العلمية فيها دور رئيسي مشهود في كل الحروب التي قامت منذ سنة ١٩٣٩

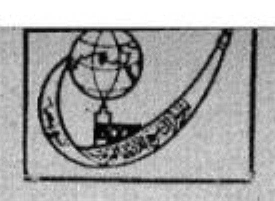
ان العبرة ليست بملايين الجنود ولا بعدد اسراب الطائرات ، ولكن العبرة بالقدرة على استعمال هذه الوسائل ، طبقا للطرائق الجديدة التي ابتدعتها الجيوش النازية في المانيا ولم تحكم استعمالها جيوش الحلفاء الا بعد هزائم ، والسر في قوة اسرائيل ان اغلب ضباطها الذين يقودون المعارك ضد العرب كانوا قد مارسوا هذه الطرائق واحكموا تعلمها ، لما كانوا في الجبهات الاوروبية ، سواء الى جانب الحلفاء او في الجبهات الروسية .

فمن اوكد واجباتنا ان نولي قضية المستوى العلمي ما تستحق – وذلك الان قبل الغد – وعجلة الزمان لا تدور حتما لصالح العرب ان هم واصلوا مواجهة القضية بسلوك النعامة .

وليس من علاج للقضية سوى ثورة ثقافية عارمة منظمة ، شاملة لكل قطاعات النشاط عندنا ، حتى تصلح الاوضاع بغاية السرعة وبكامل الحزم وباقصى ما نستطيع من روية وبعد نظر .

وامنيتي في هذا الصدد الا نقتصر على مجرد القول الذي لا يتبعه عمل . فكم قيل عنا ، معشر العرب ، ما يقال عن الكثير من شعوب البحر المتوسط ، من انهم يميلون الى الاعتقاد بان الكلام ضرب من ضروب « الفعل » ، الى درجة الاكتفاء بالكلام والانتصار عليه ، وهما وحماسة وغرورا . فالله وحده سبحانه « يقول للشيء كن فيكون » .

وان كنت وما ازال ممن يكبرون منزلة « الكلام » في النضال وقد كان الكلام اول سلاحي في المعركة التي كرست لها حياتي طيلة ربع القرن ، ولا يزال الخطاب عندي الى الان من اهم وسائل تغيير ما بالنفس البشرية فاني اعتقد مع ذلك ان الكلام وحده لا يكفي لتحقيق كبريات الأرب اذا العمل لم يدعمه بسند قوي، على مدى طويل ، ذلك ان العمل انما هو قوام الامور .« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم »





تحية لتونس الخضراء

عزيز أباظة

كرمت عليك العزة القعساء
وتأشبت يا تونس الخضراء
ماضيك مؤتلق السنا نفحاته
غرر وحاضر عهدك العلياء
قرطاج فى حضنيك ، اى سماوة
خضعت لفارع مجدها الارجاء
البحر بحرك والمدائن حوله
من فوقهن سيادة غلباء (١)
وسفائن الاسطول تغمر لجه
حتى لتاه بحملهن الماء
يختال فيه مناجزا ومدافعا
لا الموج يحجبه ولا الانواء
حتى طوتك حضارة عربية
مخضلة وشريعة غراء
نبعت من الاسلام وهو هداية
للعالمين وعصمة ووقاء

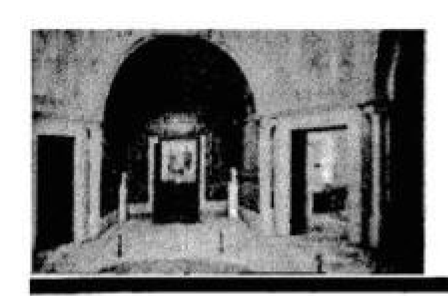
---

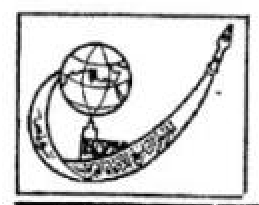
(١) الغلباء : الهضبة المشرفة

هبة السماء . فللعقول جلاء
مما افاض وللنفوس سناء
وغزبت اطهر غزوة واجلها
المكرمون بمثلها السعداء
بعرتل (١) قصى المناهل معجز
تنهل عن آياته الاضواء
موحى به هدى الزمان لمرسل
الانبياء ببعثه بشراء
وهفا اليك المؤمنون فكان ما
قد شئت بعد الفتح لا ما شاءوا
اسلمت راضية فلم يدفعك
للايمان اكراه ولا اغراء
بابن الزبير وعقبة وبطارق
سكبت عليك غيوثها النعماء
هضوا اسارك من مول غاشم
فبنى المكارم والعلا الاسراء
فاذا المآذن فيك عالية الذرى
واذا المساجد ملؤها الحنفاء (٢)
وجرى الزمان عليك مختلف الخطا
وتعاقب الامراء والوزراء
منهم عدول محسنون فاحسنوا
عملا ، ومنهم مفسدون اساءوا
وسمت بعون بنيك فيك حضارة
فاذا رباك شذية غناء
نهلت على ظما كريم سلافها
من حولك الامصار والانحاء
والمكتبات الجامعات اقمتها
فيها لكل محقق ارواء
ليس الثراء المال وهو كريمة
العلم لا يعلو عليه ثراء
زكت الثقافة في رباك وفرعت
وانجاب عن اسرارها الادجاء

---

(١) اشارة للآية الكريمة في سورة الفرقان ، « ورتلناه ترتيلا » أي أنزلناه بعضه اثر بعض .
(٢) حنفاء : المسلمون





تحية لتونس الخضراء

هذا ابن خلدون تشرب منسك ما
ارتوت العوالم عنه وهي ظماء
سبق الفرنج احاطة واصالة
فله عليهم منة وجداء
اوفى بعلم الاجتماع لغاية
هم المفلسف بعدها استيفاء
كانت مقدمة لفتح حافل
سلكت معبد سبله العلماء
وسقيت من راووق راحك حازما (١)
فانهل عنه المعجز اللالاء
شعر كان رصينه الق الضحى
وكان غض رقيقه الانداء
ودلفت بعد . وللزمان صروفه
تتعاقب السراء والضراء
حتى امتحنت بواغل مستعمر
متجبر حسناته اسواء
والشعب كاتم جرحه متربص
حتى تحين الفرصة المعطاء

***

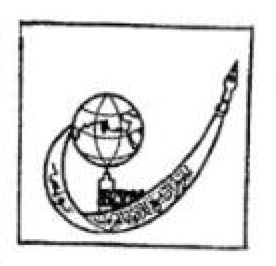
قم كرم الزيتونة العظمى وقل
ليكاد يشرق في حماك حراء
يا حجة الاسلام انك ان دجت
ريب عليه سراجه الوضاء
حمين حوزته كما تحمي الالي
والوا (٢) اليها القلعة العصماء
فاذا امتحنت فعزمة سلفية
واذا هززت فصخرة صماء

---

(١) هو الشاعر الكبير حازم القرطاجني .
(٢) وال : طلب النجاة

نثروا على دنيـــا العـروبة علمهم
وصـــلاحهم أغلاهك العلمـــاء
فهم بكل ثنيـــة نفحـــاتهم
وبكل نائبــة يد بيضــــاء
العلم انت معينه والشرع انت عرينه والسـمحة الغـــراء
وعلى المطهر من حمـــاك تفقه الحفاظ والقـــراء والحكماء
كم طاهـر او فاضــل ملأوا الدنا
علما تقصى خطـــاهم الفقهـــاء
فاذا بفيضــهم الصـدور حفيلة
واذا بنـورهم العقول وضـــاء
يا اخت ازهرنا الشريف سـلمتما
فلسين تقصر عنـكما الغمـــاء
تحميكما وتشــــد من ازريـــكما
يس والفــــرقان والاســراء
***
قل للعـــروبة اى خطـــب جائم
دفعت اليــك به يــد نــكراء
يا بنت انداء الشـموس على الثرى
كشــفوا فتام ظلامه واضـــاروا
وبنوا فاعلوا من ذرى مدنيــــــة
بنعت وان ولدتهـم الصــحراء
اباؤك الشـــم الاباة وربمـــا
بنت الاصـــول فدكت الابنـــاء
كنا فهنـــا والهوان يجـــزه
الاخبـات والاعيـــاء والاغفـــاء
وتجره الاخطاء يتبــع بعضــها
بعضــا اذا لم تحسم الاخطـــاء
ومن الفرارة ان نقول جـــرى بها
الوى بنــا ، قدر وحم قضـــاء
اقدارنا اخلاقنـــــا ، فاذا هوت
اقدامـــها فتحلل وفنـــاء
ما بالنا نمضى على غير الهـــدى
والهدى فى فرقاننـــا وضيـــاء
العقـــل هو العقل لم يجمع لنـــا
شـملا ، وضمت شملنا الاهـــواء





تحية
لتونس الخضراء

تبدى ديابيج الوداد وجوهنـــا
والحقــد فى اوصالنا مشـــاء

ونسوق عن نجح اللقــــاء وثيقة
جوفاء نعلم انهـــا جوفـــاء

وتضج قبل وبعد ان يدلى بهـا
للناس تصــــدية لنــا وبكاء

لا ضير بين الهادفين لغـــاية
غـــراء ان تتصـــارع الاراء

يهدى التشاور للاصح وان جرى
فى خشـــنة ما لم يشـبه رياء

لكنها الدهيـــاء انهم ابرمـــوا
امرا فلم تمهلهم الشـــحناء

وكلنا دواليك الامـــور وسحبها
فلتغف ملء عيونهـــا الاعـــداء

انا لنتبع ما يشـــاء لنـــا وهم
يمضون فى غلوائهم ما شـــاءوا

شتان بين اثنين ، هــــذا خادر
يلغـــو . وذاك مصمم مضـــاء

يا ايها العـــرب الألى نستلهم
الصـــيد الاباة ، الام الاســـتخذاء

ضموا القلوب فان عناكم ضـــمها
فصـــفوفنا الانضاء والاشــــلاء

اتظـــل تشرق بالرفاهـــة دورنا
وتئن بين رمالهـــا ســـيناء

ويكابد « الجولان » فى هضـبـاته
والضـفة الغربيـة الفيحاء ؟

تستبسلون كأنكم اسـد الشرى
وتجلجلون كانـكم انـواء

وتسـامرون كأنكم لم تنكبـوا
وتعابثون كانكم احيـاء

هبـوا ، ودفع العار جامع امركم
واستيقظوا يستيقظ الزعمـاء

قد يحمد الاغضاء ان دفـع الاذى
ويسوغ ان جـر الاذى الاغضـاء

واسترشدوا بلوى النهى من بينكم
والحـزم . تكشف عنكم اللأواء

ومن التجارب عصمة واصـالة
ومن الشـباب رعونة وهـذاء

وامضوا لغايتـكم وخير سلاحكم
بعـد الزحوف المنطق البنـاء

قد يفعل الايمان والتصـميم ما
لم تسـتطعه كتائب شـعواء

***

يا تونس الخضراء همسـة مهجـة
لك صـغتها يا تونس الخضراء

تزجى اليـك تحيـة ولو انهـا
لم ترق ما يرقى له الشـعراء

لا زلت سـامقة الجلال عـزيزة
ما غـردت فى ايكها ورقـاء

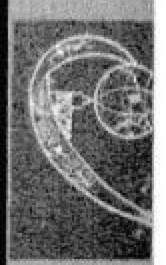
يهـديك للنهج القـويم مؤزرا
بالتجـربات رئيسـك الاباء

ومحـوطة برضـا الاله
والحكم شـورى والحيـاة رخاء

قد كرم التـاريخ فيـك فبدؤه
مجد وحاضره سـنا وسـناء

لكلمة قبل السيف

● حسين التريكي ●
تونس



يقول هارى ترومان عن تجربة ويقين . وهو سيد العارفين بدواخل الصهيونية واسرارها ، وهو الذى فرض على المجتمع الدولى الممثل فى هيئة الامم المتحدة (١٩٤٧ – ١٩٤٨) اقامة الكيان الصهيونى على ارضنا فى فلسطين ، هاتكا بذلك كرامة العرب وعزتهم فى عقر دارهم .. يقول :

« لا يمكن لمن لا يستوعب الصهيونية على حقيقتها ان يتفهم عالمنا هذا الذى نعيشه » .

لا شك ان هذا القول يشكل درسا عظيما ، على كل عربى ان يتدبر مغزاه . وحقيقة تاريخية يمكن لأى باحث ان يلمسها فى كل الاحداث السياسية والاقتصادية والحربية التى عاشتها كل الشعوب الاوربية – شرقا وغربا – والشعوب الامريكية – شمالا وجنوبا – وشعوب الشرق الاوسط والعربية منها على وجه الخصوص طيلة الخمس والسبعين سنة الماضية .. تلك الاحداث التى حددت مواقف الدول الكبرى ورسمت خطوط سياستها الداخلية والخارجية فى ظروف كانت تهيمن فيها على حاضر ومستقبل شعوب العالم بأسره قبيل الحربين العالميتين وبعدهما .

ولقد تضاعف مغزى هذا القول واشتدت خطورة حقيقته مذ ان نجحت المؤامرات الصهيونية الاستعمارية فى زرع كيانها الاصطناعى على ارضنا واعطته صبغته الدولية التى يتمتع بها

أقام اليهود إسرائيل

ضمن المجتمع الدولي ، فتحولت « المنظمة الصهيونية العالمية » من حركة كانت تنحصر في ضم شتات يهود العالم وتنظيم صفوفهم وتحديد مواقفهم وتوجيههم سياسيا واقتصاديا وعلميا وعسكريا للتعجيل بانشاء كيانهم وتجهيزه . الى دولة تتمتع بكافة مقومات السيادة وامكانيات التوسع وفرض السيطرة والامر المقضى لا على العرب فحسب ، بل على المجتمع الدولى الممثل فى هيئة الامم المتحدة .

ويقول الدكتور حاييم وايزمان فى تقييمه لزعيم الصهيونية الدكتور تيودور هرتزل :

« لم يكن كتاب هرتزل عن المملكة اليهودية « الدولة اليهودية » هو الذى عاد على اليهود بالنفع الجزيل وانما كانت خدمة هرتزل لليهود وللفكرة الصهيونية انه دعا الى تحقيق فكرة ربط يهود العالم كلهم فى برلمان واحد. وكان هذا عن طريق المؤتمرات اليهودية التى كان هرتزل اول من دعا اليها واول من حققها ، فكانت تلك المؤتمرات الصهيونية العالمية التى تعقد كل عام، او كلما دعت اليها الضرورة والتى كان يحضرها ممثلون عن يهود العالم اجمع ، هى البرلمان اليهودى العام الذى ربط بين اليهود بعضهم ببعض على اختلاف بلدانهم وبعد ديارهم » .

ولقد مكنت طريقة هرتزل هذه الحركة الصهيونية من السيطرة على الاغلبية الساحقة من يهود العالم شيئا فشيئا حتى اصبحت السلطة المركزية العليا المهيمنة على كل الهيئات اليهودية فى جميع انحاء العالم يوم ان وقع الصهاينة وغير الصهاينة من اليهود على « اتفاق زوريخ » الذى حدد «دستور» ما يسمى حينذاك (اغسطس – آب – ١٩٢٩) بـ : « الوكالة اليهودية لفلسطين » .

ويقول دافيد بن جريون :

« ليس من قبيل المبالغة القول بأن بقاء يهود العالم يعتمد على بقاء دولة اسرائيل ويقوم عليه . وان مشكلة امن اسرائيل تعادل بالتالى مشكلة بقاء الشعب اليهودى باكمله . لقد تم تنظيم الشعب اليهودى لخلق الدولة اليهودية ، لكى يتسنى تنظيم الدولة اليهودية بدورها للحفاظ على الشعب اليهودى وحمايته . هذه هى الفلسفة الصهيونية الكلاسيكية » .

ويقول الدكتور ناحوم جولدمان الرئيس الدائم للمؤتمر الصهيونى العالمى حقيقة خطيرة تضر بكل الشعوب وتحط من كرامة كل الشعوب وتهدد حاضر ومستقبل كل المجتمعات الدولية حين يقول :

« لو لم تأخذ اليهودية العالمية على عاتقها مهمة انشاء دولة اسرائيل ما كان يقدر لها ان تنشأ ولو لم يأخذوا على عاتقهم مهمة السهر على بقائها قطعا ، ما كان يقدر لها ان تبقى » .

بالكلمة قبل السيف أقام اليهود إسرائيل

دولة اسرائيل

ان التأمل فى هذه الاقوال الصادرة عن اعظم الشخصيات الصهيونية التي لعبت دورا حاسماً في التمهيد لدولة اسرائيل ثم فرضهـا ، تثبت اثباتا قاطعا ان دولة اسرائيل لا تعدو ان تكون جسما مصطنعا صنعه مجهود يهـودي عالمي ومهد لنشوئه طيلة خمسين عاما على كل المستويات العالمية قبل ان يفرضه بقوة الحديد والنار .

ولو القينا نظرة فاحصـة على التحرك الصهيوني العالمي منذ ١٨٩٧ لاتضح لنا بصورة قطعية ان الصهاينة لم ينتزعوا منا ارضنا في فلسطين بحد السلاح بمقدار ما انتزعوها بالكلمة .. وانهم لم يستعملوا السلاح الا بعد ان هيأوا الرأى العام العالمي وعلى رأسه رجال الحكم والسياسة في اوربا شرقا وغربا وفي امريكا شمالا وجنوبا واقنعوهم :

اولا ـ بـ « حلمهم التاريخي » المزعوم وبوجوب استرجاع هذا الحق .

ثانيا ـ بالمصالح المشتركة التي سوف تكون للطرفين من وراء انشاء دولة اسرائيل في قلب الامة العربية .

ثالثا ـ بوجوب استحسان وتدعيم ما كانوا يتأهبون للقيام به على ارضنا وفرضه بقوة الحديد والنار .

ومعنى ذلك انه ما كان يقدر لهذا الجسم المصطنع ان ينشأ لو لم يأخذ يهود العالم على عاتقهم مهمة انشائه وتهيئة كل مقومات ارسائه على ارضنا .. ثم انه ما كان يقدر لهذا الجسم ان يترعرع ويقوى ويجد وسـائل الاعتداء المستمر والتوسـع وفرض الارادة لو لم يسهر يهود العالم على المحافظة على بقائه وتدعيم قوته ومده بكل ما يحتاج اليه من علم وتقنيـة ومادة بشرية . ومال وسلاح .

ومعنى ذلك انه ما كان في استطاعة يهود العالم ان ينشئوا دولة اسرائيل لو لم يقنعوا العالم بوجوب انشاء كيانهم الصهيوني على ارضنا ولو لم يقنعوا سـاسة اوربا شرقا وغربا وامريكا شمالا وجنـوبا بالمصلحة المشتركة التي سوف تكون لهم من وراء انشائه .. وما كان لدولة اسرائيـل ان تنشأ ولا ان تبقى ولا ان يدعم جانبها فتعتدى وتتوسع وتتحدى لو لم يقف من ورائها يهود العـالم ومن ورائهم الدول الكبرى والرأى العام العالمي .

ومعنى ذلك ان العرب لم يواجهوا في كل المعارك التي خاضوها ضـد الصهيونية العالمية على أرض فلسطين وخارجها ـ لم يواجهوا حفنـة من اليهود جاءوا من كل صوب لاغتصاب ارضنا وتشريد أهلنا ، ولكنهم في واقع صراعهم الحقيقي كانوا يواجهـون ـ وسوف يواجهون دوما وفي كـل الظـروف ـ قوى عالمية لا قبل لهم بالتغلب عليها بالطـريقة التي استعملوها ويسـتعملونها الى الآن لتحرير الارض المغتصبة واعادة الحق المسلوب .

وهكذا ينتهي بنا سياق هذا التسلسل في التحليل المنطقي الى الاعتقاد بأنه يستحيل على العرب ـ والحالة هذه ـ أن يحرروا ارضهم ويستعيدوا كرامتهم ما لم يعملوا على عزل اسرائيل وقطع شرايينها الممتدة خارج حدودها لتمتص دعم الحياة وتستمد وسائل العلم والمال والتقنية والالكترونية لتفرض ارادتها على العرب .. وعلى غير العرب .

وكما انه لم يتسـن لاسرائيل لا

النشوء ولا الحياة ولا البقاء ولا التوسع وفرض الارادة ودوس كرامة العرب وعزتهم الا بمقدار ما مدتها به الصهيونية العالمية من مقومات بشرية واقتصادية وعلمية وعسكرية ووسائل تدمير ..

وكما انه لم يكن مقدرا لاسرائيل ان تنشأ ولا ان تبقى ـ كما يقر بذلك ناحوم جولدمان ـ فانه لن يتسنى لها ان تعيش لحظة واحدة بدون هذا المدد الذى لو انقطع عنها لاختنقت وتسنى للعرب القضاء عليها .

وعزل اسرائيل فى متناول العرب

وبما ان هذا المدد المتدفق على الكيان الصهيونى انما هو فى حقيقة واقعه استنزاف لخيرات مجتمعات دولية ولمقومات وطنية .. استنزاف يفتعله الصهاينة على حساب هذه المجتمعات وكرامتها وعزة اوطانها ، فان وجود الكيان الصهيونى على ارض

امة العرب لا يكلف فى واقع حياته اليومية ، العرب وحدهم ولا يضر الشعوب ويكبل ضمير كل الشعوب التى تستنزف خيراتها ومقوماتها الوطنية لكى تمد اسرائيل بما يمكنها من ارتكاب جرائمها اليومية .

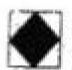
واذن ، فان للعرب ـ فى كل مجتمع دولى يستغله الصهاينة بصورة او باخرى ليوفروا لاسرائيل كل ما تحتاجه لتعيش وتبقى وتعتدى ـ حليفا طبيعيا فى متناولهم ان يوقظوا ضميره الوطنى ويجندوه للوقوف فى وجه العدو المشترك لا دفاعا عن فلسطين ولكن دفاعا عن مصالحه وذات نفسه.

وهكذا يصبح فى متناول العرب ان يعزلوا اسرائيل عاطفيا فسياسيا فاقتصاديا فعسكريا لو اهتدوا الى طريقة وضعها كاتب هذا البحث فى محك التجربة فاتت بنتائج ايجابية

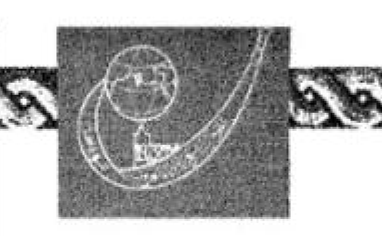
ثمينة فى اى وقت واى مكان ان تعزل اسرائيل .. طريقة تهدف الى ايقاظ الضمير الوطنى لكل الشعوب التى تضررت وتتضرر كل يوم من وجود الكيان الصهيونى على ارضنا، وحملها على قطع الشريان الممتد من بلادها صوب اسرائيل حيث تستنزف خيراتها، وذلك بايجاد اعلام عاقل ومنطقى يرتكز على الحقائق والوقائع والارقام ، هدفه ابراز كل ما يرتكبه الصهاينة المحليون فى كل مكان من جرائم مادية وادبية تنخر مجتمعهم الوطنى ، ليمكنوا اسرائيل من وسائل الاعتداء والدمار مما يجعلهم مشاركين بصورة مباشرة او غير مباشرة فى كل جريمة ترتكبها اسرائيل ما لم يقطعوا هذا الشريان .

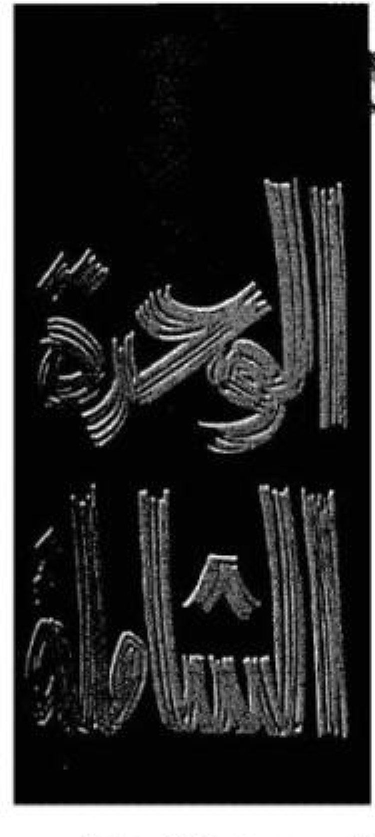
انه فى متناول ايدى العرب ان يعزلوا اسرائيل ويقصقصوا شرايينها ويخنقوها ويقضوا عليها بدون أن يعرضوا جيوشهم ولا شعوبهم ولا مدنهم للقتل والدمار ، وذلك بايجاد مخطط اعلامى يرتكز على نظرية ايقاظ الضمير الوطنى لكافة الشعوب التى تتضرر من وجود الكيان الصهيونى ، وحملها على الوقوف فى وجه الصهاينة فى كل مكان دفاعا عن مصالحها وكرامتها الوطنية لا دفاعا عن فلسطين .

لقد كان الادب والادباء ، ولا يزالون فى كل مكان ، يحتلون مركز الطليعة لايقاظ شعوبهم وانارة السبيل امام من يحكمونهم . وعلى ادبنا العربى وادبائنا ان يكونوا على مستوى التحدى الصهيونى ، وان يخوضوا معركة الكلمة بما تتطلبه روح العصر وظروف المعركة . وان يلتفتوا الى الادب الاعلامى الصهيونى ليواجهوا التحدى بالتحدى والكلمة بالكلمة والوسيلة باحسن منها .



فالحق معنا . وفى متناول ايدينا ان نجند الضمير العالمى الى جانبنا والله ولى التوفيق





● د. أبو القاسم سعد الله ●

الجزائر

في الوقت الذي يتحدث فيه ادباء العالم الاول والثاني عن « عصر ما بعد الحضارة » ما زال الاديب العربي يبحث عن نفسه في مجموعة من التقاليد والاساطير والآثار التي نسميها التراث ، والواقع ان التراث العربي الإسلامي غني بنفسه وبتجارب الشعوب التي اعتنقت الحضارة العربية الإسلامية ، ورغم ان العقل العربي يميل بطبعه الى الشعرية والعاطفية والخطابية فانه انتج ، ولا سيما في مرحلة صحوته الكبيرة ، روائع علمية اضافت لما نسميه اليوم

العالم الاول معالم الطريق عندما ابتدأ هذا العالم يكتشف نفسه كما نحاول نحن اليوم أن نكتشف انفسنا ولست بحاجة الى التذكير بالاعمال العلمية التي ابدعها عقل الرازي ، والبيروني ، وغيرهما · كما انني لست بحاجة الى التذكير بالتفتح الذي قام به هؤلاء وامثالهم نحو حضارة الاغريق والهند والفرس وهي القضية التي ما زال يحلو لبعض انصار التراث التشكيك في فعاليتها ·

ثم اعقب ذلك عصر من التدهور

والهروب من مواجهة العلم والانكماش السياسي والديني والتقوقع داخل الحدود المعروفة « بدار الجهاد » في مقابل الجبهة الاخرى المعروفة « بدار الحرب » · فمنذ الحروب الصليبية والعقل العربي في تقهقر مستمر ، بينما

العقل الاوربي في هجوم مطرد · وزاد الامر سوءاً وقوع العرب سياسياً ودينياً تحت طائلة اقوام اشداء في الحرب لكن متخاذلين امام الانتاج الفكري ، ونعني بهم آل عثمان والمماليك ، يضاف اليهم ملوك الطوائف بالاندلس والامارات الانفصالية في المغرب والمشرق · ومنذئذ دخل العقل

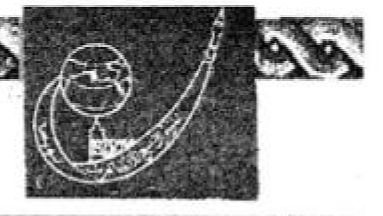


سبيلنا إلى عصر التقنية

العربى عصر الشعوذة والخـــرافات والسحر والقدرية .. الخ ..

ولم يكن الادب خلال تلك العصور كلها سوى صورة للمستوى الحضارى فى العالم العربى والاسلامى ، فعندما ازدهرت العلوم ونقل العـــرب من حضارات غيرهم ، وجـــدنا أدباء عمالقة كالمتنبى ، والجـاحظ ، وابى تمام . لكن تدهور العـــرب العلمى و (السياسى) لم ينتج سوى شعراء المدائح وادباء المحسنات البديعيـــة أمثل البوصيرى ، وابن الوردى والمقرى . ولقد شاع عندنا فى المغرب العربى خلال عهد الانحطاط الحضارى ادب الرحلات والتصوف والميتافيزيقـا وسيطرت الطرق الدينية سيطرة كاملة على عقول العامة . بينما ســيطر الاجانب على مقاليد السياسة والتجارة والاقتصاد . وانعزل الادب عن وظيفته كمحرك لضمير الامة واصبح فى خدمة الحكام للوصول الى منصب او جاه ، او فى خدمة شيوخ الطرق .

وعندما واجه العرب اول تحد لهم من العلم الحـديث متمثلا فى حملة نابليون على الشرق ، وفى حملة شارل العاشر على الجزائر ، شعر الرواد



الوحدة الشاملة

منهم بالهوة التى تفصلهم عن ماضيهم، وكما انتجت النهضة الاوربية رجالا امثال ليوناردو دافنشى، وروجى باكون، وجروشيست، انتجت النهضة العربية رجالا كابن الغنابى، والطهطاوى، وحمدان خوجة، وحسن العطار، وغيرهم ممن اخذوا بالعلم الاوربى فدعوا الى تقليد الاوربيين فى اختراعاتهم للخروج من الظلام الذى كانت امتهم تتخبط فيه . وقد استجاب لهم بعض المسئولين كمحمد على بمصر، والامير عبد القادر فى الجزائر، وخير الدين باشا فى تونس، ولكن هؤلاء الدعاة لم يكونوا ادباء بالمعنى التقليدى، بل كانوا اساسا رجال دين ثم تحولوا الى دعاة تجديد . اما الادباء المجددون فلم يكونوا قد ولدوا بعد، لقد ظلوا ينتظرون حوالى قرن منذ بداية النهضة .

ولم يحتضن بعض الادباء قضايا امتهم والتعبير عن آمالهم فى التقدم العلمى الا فى الفترة الواقعة بين الحربين، ولكن حتى فى هذه الفترة كان الادباء يمثلون طبقة بورجوازية اكثر مما كانوا يعكسون آمال الجماهير، ذلك ان الاستعمار التقليدى لم يسمح بالثقافة الا لعدد محظوظ من العيلات الكبيرة، وقليل هم اولئك الادباء الذين جاءوا من عيلات متواضعة . غير انه يلاحظ على هذا العدد القليل انه سرعان ما اندمج فى التيار الاجتماعى الذى كان يعتمد على اسس طبقية واضحة .

***

ونود ان نلاحظ انه خلال هذه المسيرة الطويلة من التراث العربى الاسلامى من جهة وتراث الحضارة الاوربية من جهة أخرى نجد ان العقل كان يسبق العاطفة أو بتعبير اكثر دقة ان العلم كان يسبق الادب فلم تزدهر الاداب العربية الاسلامية الا بعد تمثلها للانتاجات العلمية العالمية، ولم تزدهر المذاهب الادبية الاوربية الحديثة الا بعد مرور أوربا بثورات علمية على أيدى جليلى ونيوتن وكوبر نيكس، وباستور وانشتاين واضرابهم . وقد يكون من محض التكرار القول بأن الادب العربى الحديث لم يصل الى المستوى العالمى لانه لا يقوم على اسس علمية، فالمجتمع العربى المعاصر لا يزال لسوء الحظ مجتمعا متخلفا، وبالتالى فهو ما زال بعيدا كل البعد عن العلم والتقنية .

ولكن فى هذا المجتمع يتحرك الاديب، وهو اليوم بين ثلاث قوى ضاغطة عليه بعنف، وهى الامية، والحكم المطلق، والاستعمار، وصوت الاديب لا يكاد يصل الى جمهوره لان الامية تفصله عنه . ومن ثم فتأثيره فى هذا المجتمع سيظل محدودا .

ان صوت الواعظ والسياسى وحتى المغنى ينفذ الى دواخل الاسرة وطبقات الفلاحين وورشات العمل بينما يظل صوت الاديب فى عزلة عن هذه الميادين .. فالامية تجعل جمهور الأديب قلة من الناس هم فى الواقع غير الجمهور الذى يريد الحديث اليه والتعبير عن

تطلعاته ، والفئة المحظوظة ثقافيا والتي قلنا انها اساسا اقطاعية بورجوازية هي التي يمكنها ان تفهم الاديب ولكن مصالحها متعارضة في أغلب الاحيان. وبالاضافة الى ذلك فان (النخبة)

التي خلفت الاستعمار لدى شعوب العالم الثالث تعاني من مركبات متعددة ، فهي تعيش عالة على رصيد حضاري مستورد ، وهي مفصولة عن قاعدة الهرم الاجتماعي .

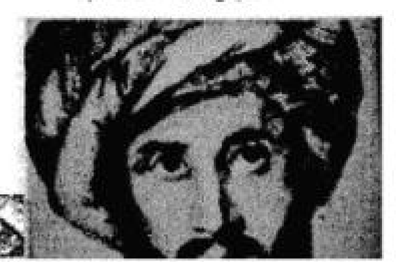
يضاف الى ذلك ان الاستعمار التقليدي لم يخرج من الوطن العربي حتى ارسى في قلبه قاعدة (اسرائيل) في قلب هذا الوطن ينقض منها على الحركات التحررية ويراقب التطورات الداخلية في اجزاء هذا الوطن الذي قد تكون في صالحه ، وهذه القاعدة التي يقوم عليها الصهاينة لها مهمة واضحة في

الوطن العربي ، فهي تثير الرعب بوسائل العلم الحديثة والتقدم التقني ، فتجعل اي تحرك ضدها أمرا مستحيلا ولا طائل وراءه . والعرب الذين يبررون تنازلهم امام هذه القاعدة بدعوى الخوف من (الحرب الاليكترونية) هم واقعون تحت تأثير هذه الدعاية النفسية الخطيرة .

وللمرء ان يتساءل : هل قام الاديب العربي بدوره نحو القضايا المطروحة على أمته اليوم ؟ غير ان الاجابة لن تكون بالجملة . فنحن نرى ان الاديب قد ادى دوره في بعض هذه القضايا مثل الاستعمار والامبريالية والصهيونية . حقيقة اننا قد نختلف على الطريقة والمستوى والعمق التي عالج بها الاديب هذه القضايا ، ولكن الذي لا ينكر هو ان المعالجة اخذت حقها على الاقل من ناحية الكم . أما القضايا الاخرى ، وهي لا تقل أهمية كالدعوة الى العصرية والتقنية والوقوف ضد الآفات الاجتماعية فدور الاديب ازاءها ضعيف .

حقا ان اللغة العربية قد واجهت هجومات مضادة عنيفة ومغرضة في بعض الاحيان . فقد حاربها الاستعمار ليفرض لغته وحضارته بدلها ، وهذه وضعية معروفة في المغرب العربي ، ولا سيما في الجزائر . وطعن فيها بعض المستشرقين ليتوصلوا من خلال ذلك الى محاربة القرآن والاسلام عامة . وقد عانت اللغة العربية من عصور طويلة من الانحطاط الفكري والسياسي للامة العربية ، فكانت التركية هي لغة الحكم والدواوين في كثير من البلاد العربية ، بينما برزت اللهجات المحلية في الحياة اليومية في مناطق أخرى . وانحصرت لغة الثقافة في طائفة من القضاة . وشيوخ الطرق وبعض المدرسين والشعراء التقليديين ، وحينما واجه العرب الاستعمار الحديث ثم الاستعمار الجديد والصهيونية وجدوا لغتهم ما تزال تتخبط في التقليد وتستمد قوتها من تراث حضاري جيد في ذاته لكنه غير متطور . واصبحت مسايرة الحضارة الحديثة هي شعار العصر . وقام المعارضون للعربية يدعون بانها ليست لغة علم وانما هي لغة ادب وشعر .. وانها لغة غنية بالفاظ

رفاعه الطهطاوي : دعوة للخروج من الظلام





الوحدة الشاملة

الابل والصيد والفروسية والغزل ، ولكنها فقيرة في الفاظ الطب والصيدلة والفيزياء والكيمياء والاختراعات الجديدة · وجاءت المجامع اللغوية لتعالج هذه القضية ، ولكن هذه المؤسسات اللغوية لا تزال بعيدة عن تلبية الحاجة الملحة والمستعجلة التي يواجهها الاديب والمثقف والطالب والاستاذ ·

وأذكر انه أثناء نقاش عن التعريب في الجزائر قد طرح سؤال محتواه · هل علينا ان نستعمل اللغة ثم نطورها، او ننتظر اللغة حتى تتطور ثم نستعملها ؟

قد يبدو هذا السؤال ساذجا او غير وجيه · لكن القضية كانت مطروحة بحدة ، وكان على المعنيين ان يجيبوا عنه ، فقد كان هناك تياران :

تيار يقول ان اللغة العربية لغة شعر وأدب وليست لغة ادارة عصرية وعلوم حديثة تدرس على مستوى الجامعة وتستعمل في البحوث العلمية ·· وان علينا « مؤقتا » ان نستعمل لغة أجنبية متطورة في المرحلة الحاضرة ثم نستعمل العربية عندماتصبح هي أيضا لغة علمية ؟

ويدعي اصحاب هذا التيار ان الوقت ليس في صالحنا ، وان علينا ان نتطور بسرعة ، وان العربية على حالتها الراهنة لا تساعدنا على هذا التطور ، ويدعي التيار الثاني ان اللغة كائن حي ، وانها لكي تعيش يجب أن تستعمل ، وان انتظار تطورها يعني قتلا ثانيا لها · فاستعمالها في الجامعة وفي المصنع وفي الادارة كفيل بأن يجعلها تتطور بسرعة وتستجيب لحاجة المجتمع وكان هناك نقاش حار وحجج متضاربة ·

ولكن اصحاب التيار الاخير يؤمنون أيضا بان اللغة لا يمكن ان تنمو منعزلة عن المجتمع · فعلى المجتمع الذي تنمو فيه ان يكون أيضا مجتمعاً متطورا · فحصر اللغة في الجامعة او في المدارس الثانوية لا يكفي لتطويرها · وعليه فانه اذا لم تدخل الثورة التكنولوجية الى المجتمع العربي (في المصانع والورش والمخابز ومراكز البحث العلمي الخ) فان اللغة العربية ستظل لا محالة لغة الشعر والخطابة وستبقى بعيدة كل البعد عن ميادين العلوم المحضة · ومن هنا اصبح تقدم اللغة مشروطا بالتقدم الاجتماعي ·

ولكن هل المجتمع العربي اليوم مجتمع متقدم مصنع ؟ طبعا لا ! وماذا يستطيع الاديب ان يفعل ازاء ثورة

عبد القادر الجزائري :
استجاب لدعوة الانفتاح



تكنولوجية موجودة في المجتمعات الاخرى , لكنها مفقودة في مجتمعه ؟

ولكن الاديب العربي الذى يعاني من الاغتراب والاجحاف الاجتماعي يشترك مع ادباء العالم الاول في عدة ظواهر· فالشكوى من العصر والآلة والاحساس بالاغتراب حتى مع توفر الشروط الحضارية اصبحت ظاهرة شائعة لدى ادباء اوربا وامريكا · فقد قال بعض الباحثين منهم « ان ادباء الغرب يشكون من احساسهم بالضياع عندما يكتبون قصة · فهم يعيشون بمشاعر معزولة ويحسون انهم محكوم عليهم ان يعيشوا ايضا في مناطق معزولة (كالقرى والمدن الصغيرة) او على هامش المدن الكبرى » وكلنا يعرف الثورة المعروفة باسم الدادايزم » او رفض كل شيء على اساس انه مستعمل وقديم ومعروف · فهي ظاهرة الرفض لوحشية الحضارة الآلية التى جعلت الاديب يعيش غربة قاتلة واحساسا خانقا بالعزلة ، ولكن الاديب العربي ، ولا سيما اديب ما بعد الخامس من يونيه « حزيران » ١٩٦٧ ، لم يصل الى هذه الدرجة من الرفض غير انه يعاني هو الآخر من نوع آخر · بل لعله على الضد من ادباء الغرب أصبح يطالب بالدخول في عصر الآلة والالتجاء الى وحشية الحضارة لحل مشاكل امته الكثيرة · فهو يعلم مثلا ان تلك الهزيمة لم تحل بأمته الا لانها كانت انسية اكثر مما ينبغي ·

***

وهناك تيار في الوطن العربي يرفض التقنية بدعوى انها غير انسانية او بدعوى انها مستوردة · ويعتمد أصحاب هذا التيار على هبوط الاخلاق في المجتمعات المتحضرة ويستشهدون ايضا بضياع الشباب والادباء والفنانين في هذه المجتمعات · كما يستشهدون بمقالات وبحوث تندد بما وصلت اليه الحضارة الغربية من عنف ولا اخلاقية · ومقياس هؤلاء آراء شبنجلر في كتابه « تدهور الحضارة » وبعض آراء المؤرخ توينبي وغيرهما ·

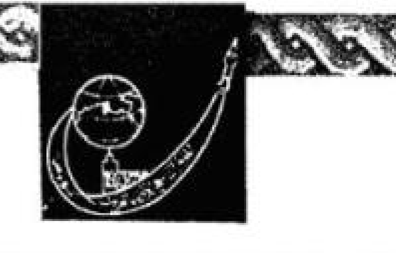
ولكن هؤلاء ينسون ان شبنجلر وتوينبي وغيرهما لا يرفضون الحضارة في حد ذاتها· ولكنهم يرفضون بعض مظاهرها الدنيا ، ثم يحذرون مواطنيهم من مغبة ما هم صائرون اليه اذا لم يحافظوا على القيمة الاخلاقية للحضارة · فالعرب الذين يرفضون التعصروالتقنية استنادا الى هذه الدعاوى يخادعون انفسهم لانه لا احد من مفكرى الغرب قد رفض الحضارة كظاهرة من ظواهر تطور الفكر الانساني ، اذا استثنينا طبعا بعض الفوضويين ودعاة البدائية ·

***

ويتصل بهذه النقطة نشر التعليم في جميع مراحله ، وجعله ديموقراطيا يعم سائر طبقات الشعب ويفتح المجال امام المواهب الخفية ، ويجب الالحاح هنا على تعليم المرأة ايضا · فالمجتمع العربي في عصر التقدم العلمي الباهر لم يعد يستطيع الاستغناء عن مشاركة المرأة في القطاعات الحيوية · وتمتد

توينبي : لا يرفض الحضارة في حد ذاتها





الوحدة الشاملة

انه قد مضى ذلك الزمن الذى كانت فيه المرأة مجرد موضوع للاديب فيها يتغزل ربها يلهو وينتهى دورها عنده وعند مواطنيه بانطباق أربعة جدران عليها • فاديب الثورة التكنولوجية عليه ان يغير نظرته من المرأة فيعتبرها رفيقة له فى طريق التقدم الاجتماعى بدل اعتبارها اداة للهو والمجون •

واذا كانت المدرسة الجديدة هى التى ستخلق لنا الاديب الجديد ، فان الجامعة هى التى تكون هذا الاديب تكوينا ادبيا وعلميا فى نفس الوقت • وقد يكون فى هذا القول بعض التناقض لان الجمع بين العلم والادب يكاد يكون مرفوضا عند الذين ما يزالون ينظرون الى الاديب على انه الشخص الذى لا يخضع لقواعد علمية او منطقية • غير اننا نطالب بضرورة التكوين العلمى للاديب ايضا يجعله يخضع للعقل الرياضى اذا صح التعبير، أليس هو الذى سيصف لنا المصنع والمختبر والطائرات والحافلات ، والدبابات ، والغواصات ، وسفن الفضاء وخارطة القمر فى روايات وقصص ومسرحيات ، واشعار ؟ حقا ان هذا يدخلنا فى الحديث عن ثقافة الاديب المعاصر وهو حديث طويل وجدلى ولكن حسبنا هنا ان نؤكد ان « الثقافة العلمية » للاديب أصبحت لا غنى له عنها ، وانها من مستلزمات هذا العهد الجديد الذى نتحدث عنه وهو عهد الثورة التكنولوجية •

والحديث عن الجامعة حديث ، كما يقال ، ذو شجون • فهناك عدد ضخم من الجامعات العربية • بعضها حديث العهد وبعضها قديم نسبيا تجاوز عمره الخمسين سنة • ولكن هذه الجامعات التى كنا نتوقع منها ان تكون مراكز للبحث العلمى المحض الذى يفتح امام المجتمع العربى مجالات الذرة، والفضاء والتقنية بمختلف عناصرها ما زالت فى الواقع دون المستوى ، بل لعلها لا تشعر بهذه الحاجة القومية • ان كثيرا من جامعاتنا تمنح الشهادات بالمجان ، وتكون اطارات غير كفء ، وتعتمد التعليم المجرد والدروس النظرية وحشو امخاخ الطلاب بمواد معلاة للحفظ الاعمى لا ملقاة للتأمل والتطبيق ، وهى ما تزال عالة فى اساتذتها وادواتها وحتى فى لغتها على الاجانب ، وكثير من اساتذتها العرب قد تكونوا « بسرعة » فى جامعات اجنبية وعادوا بالقاب ضخمة ولكن بمحتوى فارغ • لذلك فان كثيرا منهم قد توقفوا عن الانتاج منذ ان دخلوا الحرم الجامعى، بينما المفروض ان يكون دخولهم لهذا الحرم نقطة الانطلاق فى الانتاج المنظم الهادف الخلاق ، حقا ان هناك ظروفا تخرج عن طاقاتهم كانعدام الوسائل وضعف المقابل المادى ، وقلة الاهتمام بالبحوث العلمية فى مجتمعاتنا ، ولكن المسئولية ستظل بالدرجة الاولى على عاتق هؤلاء ، وقد يتساءل البعض عن دور الاديب فى هذا كله ، لكن الواقع انه هو انتاج هذه البيئة الذى عليه ان يشارك فى تغييرها لصالحه وبالتالى لصالح الجميع •

***

ولكى نخلق الجو العلمى فى الوطن العربى علينا ان نهتم بعدة اشياء اخرى كالترجمة • ونعنى بالترجمة هنا ترجمة الكتب والآثار العلمية



نيوتن : الثورة
العلمية فى اوربا

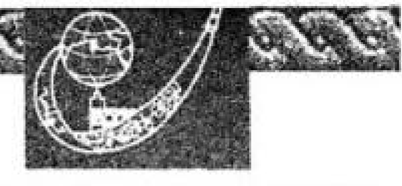
بدل الادبية . فاهتمام مترجمينا حتى الان ينصب على الكتب الادبية من روايات وقصص ونحوها او على الكتب السياسية والاجتماعية ذات الطابع المثير وادوار بعض الشخصيات المغامرة ، او على الكتب الجنسية والبوليسية الخ .

حقا ان بعض الجامعات تلجأ الى الترجمة ، وهى تلك التى بدأت تجربة التعريب ، ولكن معظم جامعاتنا ما زالت تدرس بلغات اجنبية بطريقة مباشرة . ونعتقد ان وضع برنامج ترجمة اهم الكتب العلمية التى تصدر فى الدول المتقدمة ولنضف اليها ما يسمى بالقصص العلمية المتخيلة ، سيحدث ثورة فكرية فى الوطن العربى وستكون هذه الثورة مادة خصبة يستغلها الاديب وتجعله يغير من مقاييسه التقليدية .

وهنا نقطتان متصلتان بهذا الموضوع هما اصدار المجلات المتخصصة فى العلوم والاختراعات الحديثة ، وفتح حوار متصل مع الثقافات الاجنبية . اننى لا انكر هنا الجهود التى تبذلها بعض الجهات فى نشر مجلات علمية لكنى على يقين من ان هذه الجهات نفسها لا تنكر ان ما تقوم به يعتبر جهدا « متواضعا » جدا ، وانه ليس فى مستوى المرحلة التي نريد دخولها، والتى نطلب من الاديب ان يتمثلها . ودعنى اطلب هنا من المجلات الادبية نفسها ان تصدر اعدادا خاصة بالموضوع الذى تناوله وهو الاديب والثورة التكنولوجية ، انها بلا شك ستسهم بذلك فى احداث حركة تنوير عامة ، وفى اشعار الاديب بان هناك قضايا أخرى عالمية تشغل اذهان قرائه ، اما الحوار مع الثقافات الاخرى فيفتح أمام الاديب مجالات بكرا وتخرجه من العزلة التى يفرضها بعضهم عليه باسم التراث وباسم الخوف على « عقله الصغير » من عرض الايديولوجيات الاجنبية ونحو ذلك .

ولكن اكبر عمل يمكن ان يتحقق ويثرى تجربة الاديب العربى ، ويفتح أمامه آفاقا لا حدود لها فى المستقبل هو تحقيق الوحدة العربية . ان الادباء سيظلون فى نظرى أسرى الاقليمية وأسرى النظم السياسية ذات النظرة الضيقة ، ما لم تتحقق الوحدة الشاملة للوطن العربى . وبالاضافة الى ذلك فان هناك امكانيات ضخمة بشرية وطبيعية واقتصادية ستجعل الثورة التكنولوجية فى بلادنا لا حلما نسعى لتحقيقه ، ولكن تجربة نمارسها ونعايشها . ولذلك فان دور الاديب فى العمل على تحقيق الوحدة يجب الا يقل عن دوره فى العمل على تحقيق التقنية والنهوض بامته صناعيا . ويجب ان نحذر بان كل محاولات التقنية ستظل جزئية وقليلة الفعالية ما لم تكن فى ظل وحدة عربية شاملة .

ولعله اصبح من الواضح بعد ما سبق ان الاديب ليس هو الذى يخلق التقنية ، ولكنه هو الذى يهيىء الجو لسيادتها وتحبيب الناس فيها ، فالاديب هو انتاج التقنية وليس منتجا



الوحدة الشاملة

لها . ورسالته تتمثل في نظري في التبشير لهذا العصر الذي تسود فيه الوسائل العلمية الحديثة وتصبح امته فيه تسيطر على قوى الطبيعة بقوى العقل ، وتسهم مع الركب المتحضر في دفع عجلة التقدم الانساني .

واكبر خدمة يقدمها الاديب لامته في عصر التقنية هي حربه ضد الشعوذة والخرافات والتواكل وغيرها من مظاهر التخلف ، فقد مكنت القرون السابقة لهذه العناصر الهدامة ، واصبح الفرد العربي خلالها لا يؤمن بنفسه ، وزاد الاستعمار الحديث هذه العناصر تمكينا لانها تساعد على الاستغلال المطلق لخيرات الشعب .

واعتقد ان مهمة الاديب هنا على جانب كبير من الخطورة . فلكي ندخل عصر التقنية لا بد من محاربة هذه الافات عن طريق الادب ، وذلك بخلق أدب عقلاني هادف متفتح .

وهناك افات أخرى تتعلق بالادب نفسه . فادبنا ما زال يئن تحت وطأة الخيام والصحارى والفردية وغيرها من مظاهر البداوة . كما انه لم يتحرر من روح الخلاعة والمجون ، وهي أيضا تقاليد موروثة عن العصور التي ساد فيها الانحطاط السياسي والاجتماعي ، وسادت فيها حضارات أخرى غير الحضارة العربية الحقة . والاديب اليوم مطالب بالثورة على هذه الظواهر الدنيا في مجتمعنا

واستبدالها بطاقات خيرة . جديدة تتيح للعقل العربي أن ينمو وينطلق في مجالات الانتاج الحضاري القائمة على المشاركة والجماعية والايجابية .

والشعوب التي ابتليت بالاستعمار المباشر ، تدرك ان مفكريه (الاستعمار) قد وضعوا كل امكانياتهم المادية والمعنوية لتفتيت الطاقة البشرية بوسائل اللهو والخلاعة والكحول والعزلة في الجبال والفيافي . وتشجيع الخلافات والقبليات والمطامع الشخصية ولا نعتقد ان أعداء الامة العربية قد انتهوا . فما نشاهده في مجتمعاتنا من روح الأستسلام والخوف ومن الافلام والمجلات المنحطة ، ومن حيرة شبابنا وقلقهم ، ومن توجيه نحو النظريات والبيزنطيات والابتعاد عن العلوم الحية والعلمية ، كلها في نظري مظاهر لتدخل اعدائنا غير المباشر في حياتنا اليومية ، ولذلك فان رسالة الاديب العربي في محاربة ماسبناه بالخلاعة والقدرية وغيرهما ، تكتسي أهمية خاصة في وقت نطمح فيه الى النهوض على اساس علمي سليم .

***

وبعد ، فان موضوع « الاديب والثورة التكنولوجية » يعتبر في نظري قد جاء في الوقت المناسب ، بل لعله قد تأخر عن وقته . فقد كان علينا ان نعالجه ونهتم بابعاده القومية والدولية منذ أمد طويل ، وها نحن نشاهد اليوم أجهزة التعبير في العالم المتقدم تتحدث عن القرن الواحد والعشرين ومواجهة مشاكله العقلية والعاطفية للانسان . وما زلنا نحن نهتم ببقية القرن العشرين ، وربما لم نكن على استعداد لمواجهة هذه المرحلة من جميع الوجوه . ذلك ان الشعور باهمية هذه المرحلة لا يكفي ونعتقد ان امكانيات

الامة العربية لم تستغل كلها بعد في هذا الاتجاه ـ الاتجاه العلمي ـ كما نعتقد ان الاديب العـــربي ، رغم ما يعانيه من اضطهاد وعزلة ما زال بعيداً من تلبية حاجات هذه المرحلة ، لا في روحه ولا في تعابيره ولا في ثقافته الاساسية .

ولكن هذا لا يمنعنا في الختام من ان نركز على بعض النقط واولها ان الفكر العربي عامة والادب خاصـــة ما زالا دون مستوى التكنولوجيا .

وثانيها ان المجتمع العربي ما زال يعاني من مخلفات الماضي وقيـــود الحاضر ولم يواجه بعد عصر التقنية بجد رغم الهـــزات التي عرفها ، بل الهزائم التي جربها في اكثر من مناسبة .. وهذا راجع الى ضعف العقليـــة العلميـــة لدى قادة الراى في الوطن العربي وبالتالي ضعف الوعي بالعصر لدى الجماهير .

وثالثهـــا انه لكي نطالب الاديب بانتاج يواكب حاجات النصف الثاني من القرن العشرين علينا ان نطالب الاجهزة الاخرى في الوطن العـــربي بتطوير اللغة حتى تصبح لغة علمية ، وتوفير وســـائل البحث العلمي في مستوى الجامعات وغيرها ، ورفـــع القيود على الراى والتعبير فلا يمكن ان يبدأ الاديب ثورة تقنية ولكن عليه ان يتمثلها .

ورابعها اننا نعتقد ان اهم حادث يساعد على دخول العربي عصر التقنية هو تحقيق الوحدة الشاملة . فالى جانب الضعف الذى تتسم به الاقاليم العربية متفرقة ، هنـــاك تفاوت في مستوى التقدم الحضـــاري ، ولكن تحقيق الوحدة العربية سيجعل من ذلك الضعف قوة وســـيجعل التفاوت الحضاري تكاملا في سبيل النهضـــة العلمية ، وسائل متشائما نحو مصير التقنية ـ التي هي مظهر من مظاهر القوة ـ في بلادنا اذا ظلت الاوضاع فيها على النحـــو الذى نشاهده من التناحر والتشتت والضعف .

واحسب اننا في غنى عن الدخول في متاهات فلسفية عن اثر التقنيـــة على الانسان . ان بعضهم يتخوف من ان التقنية ستذهب بالايمان وتفســح المجال امام سيادة العقل وحـــده .

وبعضهم يتخوف من ان الانسان قد اصبح آلة في البلدان التي نسـميها متقدمة ، وانه قد اصبح شقيا اكثر منه سعيدا بدلا ان يحدث العكس ، نتيجة التقدم الآلي ، بل ان اخـــرين يحـــذرون من ان الدخول في عصر التقنية سيجعل الشـــعوب تتخلى عن خصائصها القومية ، وتتجه نحـــو التفكير العالمي الذى يهم الانسان اينما كان . وهناك آخرون يثيرون قضية طغيان العلم على الادب وطغيان المادة على الروح (التين) غير اننا اذ نذكر ان هذه التخويفات يجب الا نوليها اهمية كبيرة لانها صادرة عن قـــوم بلغوا شأنا عظيما في الحضـــارة واصبحوا يتحسسون مواقـــع اقدامهم ازاء قوى الدافع ورجات التجـــارب الثرية فاستبد بهم الخوف من الحرب الثالثة وتخـــريب الانسان لمنتجاته الحضارية . اما نحن فما نزال في الواقع حقل تجارب لهؤلاء المتفوقين من التقدم العلمي . لذلك فليس علينا من حرج أن نرحب بالتقدم العلمي وأن ندعو كل العناصر الحية في الوطن العربي ، وعلى رأسهم الاديب الى تبني هذا الموقف انقاذا لامتهم من براثن التخلف والعمـــل على جعل وطنهم لا حقلا لتجارب علمية لغيرهم ولكن مصنع انتاج حضـــاري لانفسهم ولاطفـــالهم .



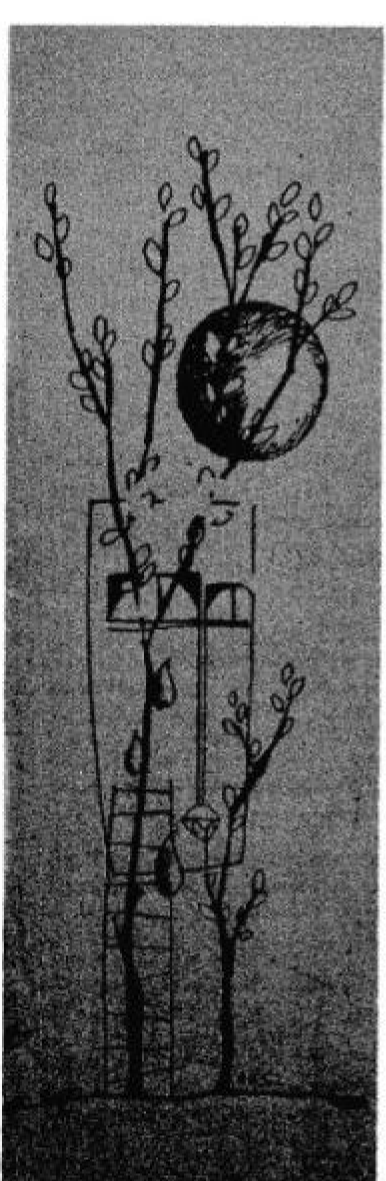
.. وليس هذا ترابى ، وليس لحن ربابى
وليس مفتاح بابى ، وليس لحن حجابى ..
.. لم آته مرة بزيف الطريق انما النار تشـــتكى من حريقى
فى ضباب الوجود اوقفت خطوى لارى الغيب فى المتاهات يضوى !

***

شفت طيرا معذبا .. ينقر الباب ،
ومن خلفه القوس سهمها فى ضـــحاه
ليس رؤيـــا ، وليس حلمـــا أراه
بل وجوه ، ووراءه النـــاس تاهوا ..

فتح الباب ...
.. ليس فى الروضة الا شعاع نور وكلمه ..
عصرتها السماء من سرها الأعلى
وسارت .. يحدو خطاها الاله !!
لطم الكـاذبين ، فانشق منهم
كاذب .. ورده سقته الشـفاه
وسقى الارض وزره فهى صدق
كذب الروح مطرب فى صـــداه
أنا ادرى .. فجوعه فى الضمير
يلقط الحب قبل غرس البـــذور





● محمود حسن إسماعيل ●

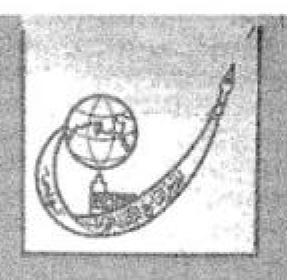
ويغنى .. ويحمل الزهر نايا
ليمص الحياة من اى زود !!

***

كلمة .. تشتكى ! وليس بها شكوى
وتبكى ، والدمع زيف غزير
ولها صائلان : هذا الى الرحمة
نشوان لص لغافلات الطيور
ولهذا نبية من ذئاب
تلعق العصف من سكون العبير ..

***

كلمة : بالهوى البليد تناغى
اى وجه تراه عند العبود
وتدس الفراغ والحقد ، سهما
عبقريا ، يزوغ قبل الظهور ..
كلمة : سجدة ، تواتر ذكر الله
ـ فيها من غير جلوة فى الشعور
وبغير احتراق نور بنور
وبغير انتفاضة فى الضمير
لغفرت للسماء ، تطلب رزقا
او متابا ، او سبلة للستور ..
رفعت ، ثم لبيت ، ثم عادت
احرف الموت فى لهاث القبور ..
برقعت نفسها رياء ، وعادت
سجدة تستميل وجه المصير
كورت كاسها اتكالا على العفو
ودارت وفى يديها البخور ..



موسيقا من الكلمة

ليس لى عنـــدها كلام ! ولكن .. لم تشقى على الشـــفاه العطور ؟!
لم والسر واضـــح ، تخـــدع السر بسر تعـــاف منـــه القشـــور ؟
ورقيب الصـــدى محيط .. يرى الموجة ، والريح ، فى رفات الهدير
ويرى النفس ، وهى حولاء .. زاغت ! فهى رؤيا حقيقة ! وهى زور !

***

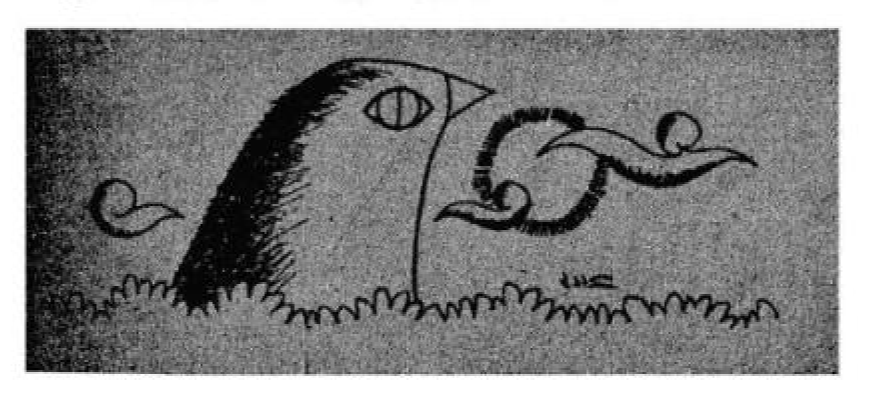
كلمـــة .. للصـــفاء فيها بســـاتين ، وللعطر جنـــة لا تزول
تخطف القلب بالعبير .. ويا ليت شـــذاها فى كل قلب يجـــول !
رعوعت ايكة ، وغنت طيـــورا .. وسرت جـــدولا حداه أصـــيل
ثم امعنت ! .. حيـــة تنفث الفـــردوس سما ، يخضر فيه الافول !

***

كلمة .. لا تقول شيئا ، وتصغى لصـــداها يقتات سمع الفضـــاء
بلعت كل ســـاكن ، ثم ذابت فهى تابوت خيبـــة الضـــوضاء
خلق الحرف للحيـــاة ، وكانت فى عجيج الحيـــاة مسرى هباء !
صمت البلبـــل الجريح ، وضجت لتصب الصـــدى عزيف البعاء
مر ســـمعى بها ، كمـــا مر وهم اخـــرس ، حول مهجة خرســـاء !

***

كلمـــة .. للهوى .. تحس ربيع العمر يحـــدو على يديها الدقائق



وترى الحب ضـارعا .. يعبد النيران مصـلوبة على وجه عاشق
وتراها تدفق صـدرا فيغزو ناره العطر من جميـع الحـدائق
آه كم قلتهـا .. فلم يبق فى ذاتى انتمـاء احسـه للحقـائق
انلاشى ، وانتهى ، فانا الموجـود والمنتهى باعجـاز خـالق
هربت بالعذاب والسـحر يوما ، اين ياحب معبدى ؟ أنت سارق !

***

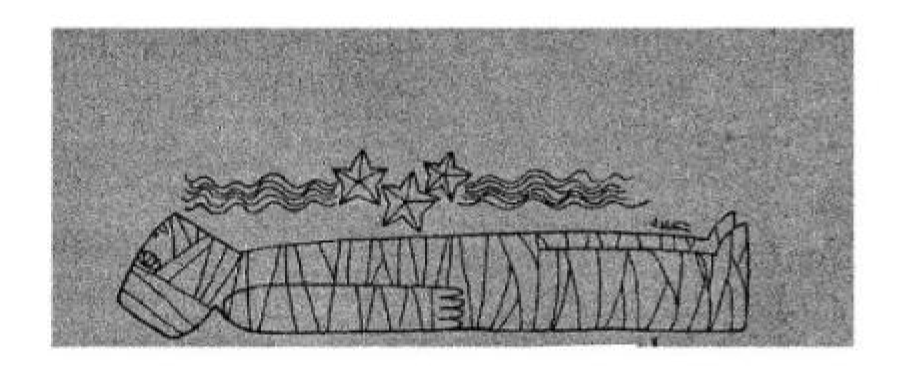
كلمـة .. من صرير وجه يتيم جائع الذل .. نائح فى سـكونه
مطرق ، ذاهل ، يكاد من الحسرة يقتـات كل جـوع جفـونه
حرم الظل ، فاسـتحالا سؤالا اخرس الصـوت ، قابعا فى سكونه
قالها ، واسـتمر .. شبت رياحا من خريف الحياة فوق غصـونه
لم تكن احرفا ، ولكن شـظايا ملجمـات اللهيب تحت انينـه
... زعم العـدل انه يطفىء النار ، وغنى ، فجددت فى لحونه !!

***

كلمة .. قالها مصل ، وصلى ، ثم بعـد الصـلاة عادت غريبه
زمجرت فى السـجود ، حتى اجنت ندم القلب .. ثم شبت لهيبه
ثم قال السـلام ! ثم تولى يمنـة .. يسرة .. يغنى هـروبه
واذاها مصـاوبة فوق لوح عبقـرى التقى يدارى غيـوبه
فارق الله ! ثم ولى ، فولت مثله فى كهـوف نجوى عجيبـه ..
تمضـغ الخير بالحروف ، وتلقيه على الشر .. لاتنتشـال المثوبه
ليتهـا ، لم تكن ! فان صـلاة الجسم من غير روحه اكذوبة !

***

كلمة .. غنت السـلام ، وفضت لعبير الحيـاة مليـون زهره
لاكها جازر الشـعوب بشدقين يصبان فى الشـذى الف جمـره





موسيقا من الكلمة

تطلب الظل للحياة ، وتشويها بنار ، رياحها مستمره
وتنادى الهدوء ، وهي تصب الموت هولا يسابق الموت طره
يفجأ الروض بالزوال ، وفى قاع ضمير السلام ، يحفر قبره ...
كذبت ! لن تفيق الا بروض ينسخ الزهر حد سيف وثوره !

***

كلمة .. تصفر الاباطيل بالحق ، وتعوى فى الناس : هذى الحقيقة !
تسرق الدرب من يديها ، وتخفيه ، وتعطيه وهو غاف شقوقه
وتلوك الصدى ، وتحكيه بدعا .. وتروى بكل افك عروقه
ولها مخلبان : سفاح نور ، عاطر الحد وهو يردى شقيقه !
ووفق لضعفه يغرز الحد ، ويمتص فى الضحايا طريقه ..
آه منها .. شقية ، لست منها ! فهى حرف مزيف لن اطيقه !!

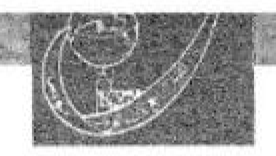
***

كلمة .. جشعة التجارة فيها برقع للعبيد يهتف حره !!
تغرس الصيد فى الشباك لتصطاد مع العار وهم مجد وشهره
وهى حانوت احرف تشترى الرزق بعرض التراب تاكل ذره
خسر الصيد ! انها أحرف الخزى ، ستجنى الشباك بلوى وحسره
جنبونى حديثها ، وامنحوها مثلا للذئاب فى الغاب .. مره !
ليس فيها نزاهة .. ليس فيها للصدى الحر اى طيف لنبره !!

***

كلمة .. ترفض الحروف طريقا ، وتريد الكلام خلقا جديدا
وتشق التابوت ، تخرج منه الميت الحي فى ضحاه وليدا
فى يديه الشعاع ، والدرب ، والخطوة هزاجة ترج الوجودا
تقشع اليأس والجمود وتفرى غضبة الثار كي تذيب القيودا
وترد التراب حرا أبيا يقهر الدهر فى ضحاه صمودا
هذه كلمة الحياة !!

اذا لم نغن فيها سننتهى ... لن نعودا !!



لكي تكون لنا
استراتيجية أدبية صحيحة

مهما كان الخلاف على وظيفة الادب ، فلاشك فى انه قوة فعالة لها تاثيرها على الفرد والمجتمع ومن هنا لا مجال للجدل فى وجوب اتجاه هذه القوة الفعالة الى التاثير على كل فرد وعلى كل مجتمع لصالح الوجود العربى والمصير العربى والشعب العربى الذى يعبر عنه هذا الادب .. وحتى لو لجأنا الى الاخذ باى رأى من تلك الاراء التى تتحدث فى وظيفة الادب او غايته ، فسوف نرى انفسنا آخر الامر عائدين الى هذا بكل المبدأ الذى لاشك فيه ، وهو وجوب اتجاه الادب بكل طاقته الى خدمة القضية العربية الاساسية وهى قضية مواجهة الصهيونية والامبريالية العالمية، فى مشاركة جادة لكل القوى المناضلة الشريفة، التى تتصدى لهذا الخطر المحدق ..

• د. أحمد هيكل •
مصر



لكي تكون لنا استراتيجية أدبية صحيحة

اذا قلنا « ان وظيفة الادب التعبير عن مشاعر الانسان ازاء الحياة » لنحن واجدون ان مشاعر الانسان العربي مثقلة دائما بهذا التهديد الذي يواجهها في ضراوة من قبل الصهيونية والامبريالية ، والصدق الفني يقتضي ان يكون تعبير الاديب العربي عن هذا التهديد هو التعبير الاساسي الذي يتقدم كل شيء سواه ..

واذا قلنا « ان وظيفة الادب نقد الحياة » فنحن واجدون ان الحياة العربية مشحونة بآثام الصهيونية وجرائم الامبريالية ، حتى ما لم يظهر فيه اثر تلك الاثام والجرائم ، فانه راجع في حقيقة الامر الى ما جره علينا هذا الخطر المحدق الذي انتزع اجزاء عزيزة من الارض العربية ، وراح يستعد لانتزاع اجزاء اخرى ، واستطاع بمعاونة الامبريالية العالمية ان يربح بعض الجولات وان يستنزف الكثير من طاقات الامة العربية التي كان من الممكن ان توجه الى التقدم والرخاء .

وهكذا يتحتم على من يرى « الادب نقدا للحياة » ان يكون هذا الخطر الصهيوني الامبريالي مجاله الاول الذي ينتقد آثامه ويجسم جرائمه ، ويبصر بما تركته اياديه الملوثة على ارضنا وواقعنا وتاريخنا من جراح !

.. ولئن قلنا : « ان وظيفة الادب تحقيق التوافق النفسي للانسان » فلا مراء في ان تحقيق هذا التوافق للنفس العربية لا يتم الا بمعالجة الداء الحقيقي الذي تسلل الى تلك النفس فى صورة قلق حينا ، وفي شكل احساس بالهوان والهزيمة حينا آخر ، ثم في هيئة حزن قاتل مرة ، وفي قناع استخفاف ساذج مرة أخرى ، حتى كانت النتيجة هي بلبلة هذه النفس ، وتمزقها او عدم توافقها ان صح هذا التعبير .. ومن هنا كان على من يرى « الادب تحقيق التوافق للنفس » ان يعالج هذا الداء ، داء الصهيونية والامبريالية ، بحيث يحقق بهذا العلاج علاج النفس العربية التي ابتلاها العدو الخسيس بعدم التوافق ..

ونستطيع ان نمضي ما وسعنا المضي مع بقية الاراء المتشعبة في وظيفة الادب وغايته ، لنرى أنفسنا اخر الامر عائدين الى الحقيقة التي لا مراء فيها ، وهي وجوب اتجاه الادب بكل قوته الى خوض معركة المصير ، الى جانب القوى الاخرى ـ ضد الصهيونية والامبريالية العالمية .

وسوف يقال ـ كما قيل دائما ـ « ان ذلك توجيه للادب ينافي طلاقته ، او تقييد يعوق حريته ، او الزام يعارض طبيعته » . غير ان هذا القول ومثله مما يلقى بحسن نية او بسوء قصد ، قد فرغ الجادون من تفنيده والرد عليه ، ولم يعد له محل في اى نقاش علمي او ادبي جاد . فالحرية المفروضة للادب لا يعوقها القول بقيمة هذا الأدب العظمى ، وقوته الفعالة ، ووجوب اتجاه هذه القيمة وتلك القوة الى اسعاد الانسان وتحقيق حريته وكرامته ورفاهيته .

على ان المسالة ليس فيها اى الزام او قهر او تسخير ، وانما فيها ترشيد فقط الى ما ينبغي أن يكون على أديب نحو وطنه وقومه ، بحيث يجند ادبه

باختياره للوقوف به فى صف المقاتلين ضد الصهيونية والامبريالية ·

وسوف يقال ايضا ــ كما قيل كثيرا ــ ، ان ذلك يضعف الادب ، ويجعل فيه كتابات اعلامية ممجوجة ، او فى اقل تقدير ، يهبط به عن المستوى الفنى العالى ، ·· وهذا القول ــ هو الاخر ــ مردود بان الحديث عن الادب الحق الذى استوفى كل القيم الادبية المطلوبة مع اتجاهه موضوعا ومضمونا الى هدف النضال ضد الصهيونية والامبريالية · ان اى كلام هابط فنيا لا يدخل فى حديثنا ، ولا يشفع له حسن نيته او مجرد معالجته لموضوع نضالى ضد عدونا الضارى · بل لابد ان يكون العمل ادبا قبل كل شيء ، ثم يقال عنه بعد ذلك انه ضد العدو وملتزم بقضية العروبة ، او انه يضرب فى واد اخر او يهتم بقضية اخرى ·

وهكذا نرى ان الادب الحق ، والادب الحر ، والادب الصادق ، والادب المعبر ، والادب الناقد ، والادب المالح ــ انما هو الادب الذى يجند نفسه باختياره ليقف فى صف المناضلين ضد اعداء العروبة ، من صهيونية وامبريالية · وان اى ادب يشغل نفسه بشئون اخرى ــ ونحن فى هذه المرحلة من تاريخنا ــ انما هو ادب اقل ما يوصف به أنه أدب متخلف ، او منفصل عن الواقع ، أو غير ملب لمتطلبات العصر ··

ان النار اذا شبت فى قرية ، كان العمل المطلوب من كل شاهد للحادث ان يسهم فى اطفاء الحريق · وليس من الحرية فى كل شيء ان يعتزل احد ابناء القرية فى ركن قصى والنار تأكل قريته ·· ان ما تواجهه الامة العربية الان ربما كان افظع مما تواجهه تلك القرية التى تحيط بها النيران ويتهددها الدمار ·· ولذا كان الحديث فى وجوب اتجاه الادب الى مواقع النضال ضد هذا الخطر ، حديثا بديهيا لا يحتاج الى ان نقيم عليه اى دليل او ان نتلمس له المبررات ، الا اذا كانت البديهيات تحتاج منا الى هذا الجهد الضائع ·

***

ولكن كيف يمكن ان نفيد من اتجاه الادب هذه الوجهة الصالحة ؟ ·· هل مجرد خوضه معارك النضال ضد الصهيونية والامبريالية هو المطلوب مهما كانت طريقته فى هذا العراك النضالى ؟ ··

فى الحقيقة لابد من ترشيد يمكن معه للادب العربى المناضل ان يؤدى دوره على اتم وجه واحسنه ، حتى لا يخفق فى معركته، او يسقط فى الميدان صريع الحماس وحده ، دون الاخذ بأسباب النصر ·· لا بد للادب فى صراعه ضد الصهيونيةوالامبريالية من أسس يعتمد عليها ، ومن عدد يأخذ بها ، ومن خطط يتحرك بمقتضاها ، او بتعبير عصرى ملائم ، لابد من استراتيجية ادبية صحيحة ، ·· فما هى تلك الاسس ، او العدد ؟ او ما هو التخطيط السليم للادب العربى فى تلك المرحلة ؟ وما الذى يحقق تلك الاستراتيجية الادبية الصحيحة ؟ ··

لا شك فى ان الاساس الاول هو المعرفة الصحيحة بالعدو بجانبيه ، الجانب الصهيوني والجانب الامبريالى · فلا بد من ثقافة كافية للاديب العربى تبصره بالحجم الحقيقى للعدو وبكل مخططاته وأهدافه ووسائله وأساليبه ، كل هذا حتى يتعامل الأدب العربي فى صراعه ضد هذا العدو على بينة وبصيرة ، وحتى لا يتورط فى اخطاء تهوى بنتاجه الى مهاوى الاخفاق ، فاى جهل بالصهيونية تاريخها وواقعها وخططها واهدافها ووسائلها ، واى تغافل او غفلة عن الامبريالية وحقيقتها واطماعها وحيلها ومؤسساتها ومراكزها وغاياتها ــ يورط الاديب المتصدى لصراع



لكي تكون لنا استراتيجية أدبية صحيحة

الصهيونية والامبريالية في اخفاق مضحك ، ويجعل عملة – مهما كان مخلصا – نوعا من «الدون كيشوتية» ومحاربة طواحين الهواء ! ·

ومثل هذا الجهل أو التغافل أو الغفلة ، المبالغة في التقدير وتضخيم الحجم ، فهذه وتلك شأنها شأن التهوين المبنى على الجهل او التجاهل، حيث يؤدى كل الى البعد عن الحقيقة، والحرب في ميدان من الوهم لا ينفع شيئا بل يضر أشياء وأشياء ! ·

والاساس الثاني هو الاقتدار الفنى الادبى الصحيح · وذلك بان يكون كل ما ينتج من أدب نضالى أدبا حقيقيا مستوفيا اشراط الادب في كل نوع من أنواعه ، بحيث يكون الشعر شعرا حقيقيا ، بل عاليا فنيا في مستواه الشعرى ، وبحيث تكون القصة قصة حقيقية ، بل رفيعة المستوى في المجال القصصي ، وبحيث تكون المسرحية مسرحية فعلا ، بل عظيمة القيمة في الميدان المسرحي ، وهكذا ··وذلك لكي يتحقق الاثر المطلوب من العمل الادبى ويؤدى وظيفته النضالية عن طريق احترامه والتأثر به والاقتناع بما يريد هذا العمل ان يقول · وبغير ذلك يفقد العمل احترامه ، وتضيع قيمته ، ولا يكون له تأثير ، او يكون له تأثير عكسى ، بما يجلب من سخط وسخرية وازدراء ! ··

والاساس الثالث ، التشبث بمبدأ الرفض ، بأن يرفض هذا الادب الوجود الصهيوني كله ولا يستجيب لأية مصالحة أو معايشة معه تحت أى شعار ، كما يرفض السيطرة الامبريالية ، ولا يخضع لضغوطها ولا ينخدع بحيلها ، ولا يطمئن للتعامل معها في أى صورة، لان هدفها الاول هو الاخضاع والنهب والاحتواء والابتلاع آخر الامر ··

والاساس الرابع ، هو التشبث بروح الاصرار ، بأن يصر هذا الادب على النصر في هذا الصراع ضد الصهيونية والامبريالية ويهيىء الناس لهذا النصر ، ويحملهم على الاخذ بأسبابه الحضارية والسياسية والفكرية ، ويبعد بهم عن التعلق بالاماني والاوهام والاعتماد على الغير ، كما ينأى بهم عن اليأس والتحلل والرغبة في الخروج من المأزق على حساب الكرامة والتاريخ والعرض والحاضر والمستقبل جميعا !

والاساس الخامس ، هو الاعتماد على المنطق الانساني ، الذى يقنع أى انسان في أى مكان · ومن هنا يجب ترك المبالغات المتورمة ، والعنتريات الصاخبة ، على ان يحل محل ذلك كله اتزان عقلى ، وروح انسانى ، ومنطق عصرى ، يشد عقل المتلقى ويهز قلبه ويكسبنا آخر الامر تأييده، مهما يكن لون هذا المتلقى أو جنسه، او مكانه من خريطة العالم ·

والاساس السادس ، هو الجنوح الى التفاؤل الواعى ، والى الامل المتزن ، بحيث يتجنب أدبنا المناضل اليأس والسلبية ، لما فيهما من منافاة لروح النضال ، وبحيث ينأى ادبنا كذلك عن التفاؤل الساذج ، الذى

لا يتبنى على اساس من وضوح الرؤية ولا يقوم على ركيزة من المعرفة الحقيقية بالابعاد المختلفة لكل شيء يمس المعركة

ومن هنا كان على ادبنا في معركته ضد الصهيونية والامبريالية ان يتجنب كل ما يلقي ظلال اليأس على النفوس، ومن باب أولى عليه ان يترفع عن لطم الخدود ، وشق الجيوب ، وتحقير الذات ، ولعن الماضي ، وسب الحاضر والاسترابة في المستقبل ! .. وليس معنى ذلك الضحك في موطن البكاء ، او المدح في مواقف القدح ، او تسمية الهزيمة باسم الانتصار ، ولكن معناه التعبير عن كل شيء بما يستحقه ، ولكن دون فقدان روح الامل الواعي الذي يبحث عن نور فجر الغد في احلك ظلمات الامس واليوم ! ..

***

وبعد هذه الاسس التي اراها ضرورية لادبنا العربي في صراعه ضد الصهيونية والامبريالية ، ارى ان الحديث لا يتم الا بما يكمل هذه الاستراتيجية الادبية المطلوبة . والذي يكمل هذه الاستراتيجية الادبية هو ان نتوجه بهذا الادب الى الداخل والى الخارج معا ، بحيث لا يقصر هذا الادب العربي النضالي على المجال الداخلي وحده .. وهذا يقتضينا ان نختار دائما من نتاجنا الادبي ما يمكن ان نترجمه الى اللغات الحية ، وان نوصله بطريقة أو باخرى الى القارىء الاجنبي ، وبخاصة في البلاد التي نحتاج أن نكسب فيها انصارا لقضيتنا ..

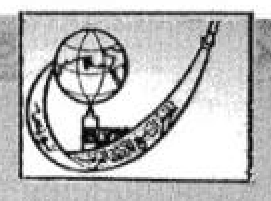
ومن الممكن ان تقوم بهذه المهمة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التابعة لجامعة الدول العربية ، باعتبارها المنظمة الاقرب الى الميدان الادبي ، مع صفتها العربية الشاملة التي تضع على ابنائها مسئولية عربية قومية مشتركة كتلك المسئولية .

وفي هذه المناسبة ، ارى ان من الممكن تنويع الاساليب التي يصل بها الادب العربي المناضل الى المتلقي الاجنبي ، فمن الممكن تسجيل اشعار على اسطوانات بعد ترجمتها ترجمة ممتازة ، وادائها باصوات مختارة ..

ومن الممكن ترجمة مجموعات من القصص القصيرة ، ومختارات من الروايات ، وطبعها وتسويقها عن طريق بعض دور التوزيع المحايدة ، بعد اغرائها بالربح الوفير ، الذي لا مانع - في رأيي - من أن يكون مغريا بالاسهام الحقيقي والتحمس لنشر مثل هذه القصص والروايات .

ثم من الممكن ان تترجم بعض المسرحيات وتهيأ لها فرص العرض في بعض المسارح الكبرى في اوروبا وامريكا وغيرهما ، ولا يصح ان نبخل باية نفقات تبذل في سبيل توصيل هذا الادب المسرحي النضالي العربي المسهم في قضية العرب ضد الصهيونية والامبريالية ..

على انه اذا تعذر الاخذ بهذا كله فلا اقل من تنشيط مراكزنا الثقافية في الخارج ومكاتب الجامعة، وسفارات البلاد العربية ، وما نشترك فيه من معارض ومؤتمرات وندوات وحلقات في مختلف بلاد العالم ، لا مانع من تنشيط كل هذه الاجهزة لكي تسهم بطريق واضح دقيق ودائم في توصيل



لكي تكون لنا استراتيجية أدبية صحيحة

أدبنا العربي النضالي الى المتلقي الاجنبي . وعن طريق هذا الادب نكسب كل يوم مزيدا من الاصدقاء ، ونحظى بمؤيدين عديدين ، لا شك انهم سوف يتزايدون باستمرار تزايدا يدفع في الضغط على الرأي العام العالمي لما فيه صالحنا ونجاح صراعنا ضد أعدائنا الصهيونيين والامبرياليين

كل هذا طبعا بالاضافة الى توجه الادب اساسا الى الداخل ، حيث يبصر العربي بقضيته عن طريق الفن ، ويشحذ دائما عزيمته ويقوى ارادته ، ويحدد نسيج نفسه ، ويحول بينه وبين اليأس او التردد او التبرم او عدم الاستمرار في النضال والاقتراب من هاوية الاستسلام الذي فيه النهاية لاقدر الله ! .

بعد ذلك كله هناك كلمة تحتاج الى شيء من الايضاح ، وهي تتعلق بالتفسير الحقيقي لمصطلح « امبريالية » ، فالمعروف أن معنى هذا المصطلح هو الاستعمار الجديد ، والمعروف ايضا انه ينصب اساسا على تلك الدول الاستعمارية الغربية التي عرفت تاريخيا بالاستعمار القديم ، ثم غيرت جلدها اخيرا ، وعملت على السيطرة بطريق آخر هو طريق الامتكارات والاحلاف ومراكز القوى والقواعد ، وما الى ذلك .. وما دامت المسألة في الاستعمار الجديد - أو الامبريالية - مسألة سيطرة وضغط ومحاولة كسب للدول الكبرى على حساب دولة او دول صغرى ، فانا ارى ان اصطلاح « امبريالية » لا ينبغي ان يقصر على دول بعينها ، وارى أيضا ان كل دولة كبرى تميل الى الضغط والافادة من دولة صغرى ، هي دولة فيها امبريالية وأن تسمت باى اسم آخر . فليكن مصطلح الامبريالية اذن معادلا للقهر والسيطرة والضغط وطلب مراكز نفوذ . وليكن صراعنا ضد الامبريالية موجها لكل من يحاول ان يسيطر علينا او ان يضغط على واقعنا ، او ان يستغل ظروفنا او ان يطلب مراكز نفوذ منا ، اننا نعادي الصهيونية ومن يعاونونها في المقام الاول ، وصراعنا ضدهم هو صراعنا من أجل الحياة والكرامة ، ثم اننا مستعدون في الوقت نفسه لان نعادي وندخل في الصراع - مهما كلفنا - ضد من يأخذ نفس الطريق الذي سلكه من عاونوا الصهيونية ومكنوها من طعننا وسلب أرضنا .. اننا على استعداد لان نعادي كل من يسيء الينا ويضغط علينا ويحاول اية سيطرة مستغلا ظروفنا ، حتى ولو لم يقف علنا مع الصهيونية ، ولو لم يسلك - اسما - في عداد الامبريالية فصراعنا لا يهتم بالاسماء ، وانما يهتم بالافعال ، وصراعنا لا يأخذ بالشعارات ، وانما يأخذ بالتصرفات ، وهو يحسن تقدير الحسنات والسيئات ! ..

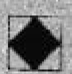
بأيت كلمة ، أو بقى سؤال : هل معنى كل ما تقدم أن يكون كل نتاجنا الأدبى فى كل نوع من أنواعه ، وفى كل شكل من أشكاله ، حديثا عن الصهيونية والامبريالية ـ بهذا المفهوم الموسع والواقعى للامبريالية ـ بحيث لا نجد قصيدة ولا قصة ولا رواية ولا مقالة ولا مسرحية الا فى موضوع واحد هو الصهيونية والامبريالية ؟ ..

الجواب بطبيعة الحال : لا ! .. فالمقصود من كل ما تقدم أن يكون هذا الواقع النضالى الذى تخوضه أمتنا العربية منعكسا فى أدبنا العربى ، نتيجة لتجنيد الأديب لنفسه ، أو ـ على الأقل ـ لاستشعاره واقع أمته ، بحيث نجد صورة لهذا الاستشعار ـ بطريقة أو بأخرى ـ فى كل ما ينتج من أدب ...

ومن هنا ليس بلازم ـ بل ربما ليس بمطلوب ـ ان يكون كل عمل أدبى نصا فى موضوع واحد هو الصهيونية والامبريالية ، بل اللازم أن يلتحم الأدب بالواقع العربى ، وأن يهضمه ، وأن يفسره ، وأن ينقده ، وأن يعبر عنه ، وأن يخلق التوافق النفسى فيه ، كل ذلك وقضية صراع العرب ضد الصهيونية والامبريالية هى القضية التى تلقى ظلالها هنا وهناك وتتسرب عناصرها هنا، وهناك وتلمح أبعادها وآثارها هنا وهناك . وخلال ذلك كله يكون بث الاصرار واشاعة الرفض وتأكيد الصمود ، وشد الأمل ، والاقتراب بالجماهير من فجر النصر .. وخلال ذلك كله أيضا يكون الفن الأدبى العالى بكل أشكاله الشعرية والقصصية والمسرحية ، وبكل أسسه الفنية وروحه الانسانية ومعالجته الصحيحة ، ومن هنا يكون المنطلق الى العالم الخارجى ، حيث تكون الترجمة والنشر والتوصيل الصحيح الى المتلقى غير العربى .

وهكذا لن يتخلق أدبنا بهذه الدعوة فيصير موضوعا واحدا، وانما سيتداح ويتسع ليتناول كل التجارب والمواقف والاحاسيس والانفعالات ، كما انه سيتشكل فى كل القوالب والاشكال والصور ، وسيكون كأدب أية أمة راقية تعرف معنى الادب واسلوب الفن ولكنه فقط سوف يتلون بطابع المرحلة ولون الفترة وروح العصر ، حتى يرى فيه غيرنا حقيقة واقعنا ، وحتى يرى فيه ابناؤنا صورة حاضرنا وانعكاس احداثه علينا . وحتى تستطيع قبل ذلك وبعد ذلك ان توظف هذا الادب بقيمته الضخمة وقوته الهائلة فى أهم ما يشغل حياتنا الحاضرة ويمس تاريخنا ، ويهدد مستقبلنا الآتى ،وهو صراعنا ضد الصهيونية والامبريالية، فان لم يكن هذا كان الادب لونا من اللهو الذى لا يليق فى ساعات الجد ، او نوعا من الترف الذى لا يطلب عندما تلح الحاجة على الضرورات ..

ومن حسن الحظ ان معظم أدبنا العربي يتجه تلقائيا الى تلك الوجهة الحيوية الصحيحة، وهى وجهة النضال . وان كان فى كثير من نتاجه يحتاج الى ترشيد ، حتى يتجه وجهته وقد اصطلح بما يبلغه غايته . وبعض تلك الاصلاحة هو ما حاول هذا المقال ان يبصر به وأرجو ان يكون قد اصاب .



● محمد عبد الغني حسن ●



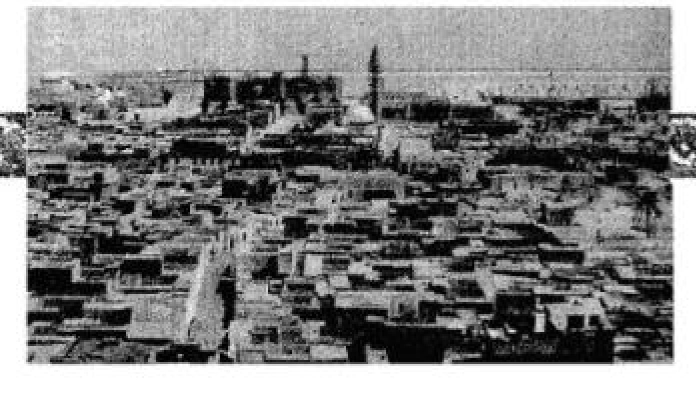
على مشارف تونس

في تونس وكفاك عشره ... اهل ، واحباب ، واسره
بلد يقيم به (الحبيب) ... الا يمر لنا بخطره ؟
مالي « ورمسيس » وقد ... انساني الاسلام امره ؟
مالي « وها نيبال » اذكره ... واذكر « كليوبتره » ؟
ان العروبة في دمائنا ... مؤثلة وحره
نسب كمثل الشمس اشراقا ، ولالاء ، وغره
نسب يلغني السها ... وينيل كفي المجره
الغالون هنا ـ اذا احصيت ـ لا يحصون كثره
يكفي « ابن خلدون » فخارا ... انها منحته فخره
حملته في ذراتها ... نسبا ، وميلادا ، وفطره
قد كنت آمل ان يسا ... عفني الزمان لها بزوره
ولكم حلمت بان اطي ... ف بها ولو في ركن حجره !
ووددت لو اني ظفر ... ت من الكروم بها بقطره !
فابيت اقطف كرمها ... واظل اعصر منه خمره
واصيب من زيتونها ... زيتا يضيء بغير جمره
ولكم رجوت بان اقبل زهرها واشم عطره
حيث الربيع يبث فيها ... ورده ، وينث زهره
والروض انفاس الاحبة كلها دفء وقوره . . .
في غمرة جاءتني البشرى ، فقلت : سلمت غمره !
امنية سمح الزمان بها ... على وهن وكبره . . .
ياليتني اهدي الثناء ... لصنعه ، واصوغ شكره !
ان الزمان اذا صفا ... لم تبد في عينيك كدره . . .

فى « تونس » اجتمع الرفاق ... على المحبــة والمســره
فى مجمــع للشــعر الف ... بينهم هــدفا وفــكره
يختــار شــاعرهم لآلى، شعره ، ويغوص بحــره
والشعر يجمع كل حــر ... فى خمــائله ، وحــره
يسـع المـذاهب كلهــا ... فى غير تضييق وحجــره
فيـه مـلامح من شـباب ... اليوم او « شيخ المعره »
ان الجـديد اخو القـد ... يم يشـده ويـرد اصره
والفكر تيـار يتـابع ... فى المجال الـرحب سيره
ان الحيـاة تمـل ان ... جمـدت ، وباتت مستقرة
لابـد من مــوج يذكـر ... بالحيـاة المستمره
حلو النسـيم يمـل لو ... لم تطـوه للريح زفـره
والروض يسـام لو يظـل ... طـراءة ، ويـدوم خضره
سنن الحيـاة تطـور ... متعقـل لم يعـد طـوره
الجـاهلية لم تعـد ... لزمانتـا عصرا وفتـره
كانت لنـا فجـرا فـكيف ... نعيـد للتـاريخ فجـره ؟
لا باس بالتجـديد لـكن ... فى محـافظة وغيـره
من ضـيع المجـد القـديم ... اضـاع فى الاوهام عمره ..

***

جئنــا من البلـد الذى ... اضفى الربيع عليـه بشره
وعلى مـلامح اهلـه ... من شـمسه ألق ، وسـمره
فيـه لاهل البيت ارحام ، ... واصـهار ، وعتـره
و « الشـاطبى » يعس شاطئه ، ويحمى فيـه ثغـره ...
بلـد اطـال الله سرحته ، وبـارك منـه « نهـره »
مشـت الحيـاة بضفتيه ، وطالت الامجـاد عبـره
يـكفيه ان اللـه خلـد ... فى كتـاب اللـه « مصره »
مابـاله عـكس الـزمان ... حظـوظه ، وأزاح يسره ؟





علـى مشارف تونس

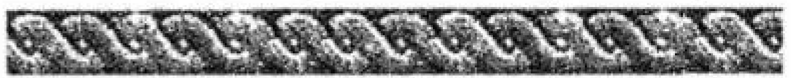
ما بـالـه اجتـرأت على　　آسـاده في الفيـل هره ؟
ذهبـت عشـيات الحمى　　مـا بين زمجـرة ، وزاره
نفـدت محـسالته ولـم　　تسـتنفد الاحداث صبره
انـا هنـاك بمعرك　　يتحمـل البـرآء حره
حيث الشـظايا ، والمنـايا ، والخطـوب المسـتحره
والموت ينتظـر للحماة على « القنـاة » بـالف نظـره
في مـوقف تصـل النفـوس سـعيره ، وتذوق مـره
يتسـاقط الشـهداء فيه زهـرة ، في الـر زهـره
سـل حـادث الطيـارة العزلاء ، هل ينسـون وزره ؟
لا غرو ان ضـاع الحيـاء فضاعت الاخلاق اثره ...

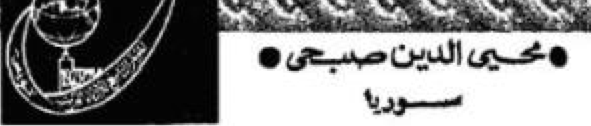
***

انـا التقينـا هـنـا　　والاهـل في ضـيق وعسره
ما بال « خيبـر » لم تـزل　　تبني الحصون المشـمخره ؟
ولوحي في « سـيناء » عا　　د مجـلالا اسـفا وحسره ؟
جثم العـدو على حمـاى　　ودنس الملعون طهره ...
القى بكلكله ، وركـز لؤمه ، واشـاع مكره
لكننا عين على التسـهيد لم تنعم بقـره ...
جاءت مضاجعنـا الجنـوب كأنها من فـوق جمـره
وقف الاسـود على الحـدود وودعـوا لين الاسـره
يتوقعـون المـوت حتى　　يدرك الموتـور ثـاره
يجد الشـهادة في سـبيل الله تـكريما ونـصره
ويرى الجهاد رصـيده　　من هذه الدنيـا وذخـره
جذلان يرسـم في التراب مصـيره ، ويعـد قبـره
تطوى الشجاعة اضـلعه ، ويمـلأ الايمـان صدره
ثقـة بان الله يـكفل نصـره ، ويشـد أزره
حاشـا لعدل الله ، يخلف وعـده ، ويضـيع بره
والله اعـدل أن يضـيع على الفتى الصبار أجره

***

انـا لا أروم المعجـزات　　ولا أريـد النصر طفـره
المجـد ليس يـكون الا　　للذى اغـلاه مهـره
ثمن العظـائم همـة　　عظمى ، واقدام ، وثوره ...





• محيي الدين صبحي •
سوريا

الحساسية الأدبية في السبعينات

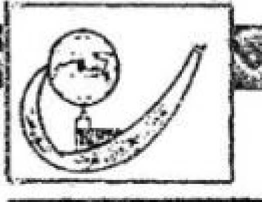
الاعتراض الذي قد يشور في الذهن للوهلة الاولى ، هو ان المرء لا يعالج حقبة زمانية الا عند منتهاها كي يتسنى له أن يشرف على امتداد الفترة باكملها ، لا سيما وان الناقد يظل على خشبة السلامة طالما ظل متمسكا بالنصوص لا يغادرها الى لج النبوءة ... فكيف يتحدث عن السبعينات ولما ينصرم منها غير عامين يكادان لا يشيان بملامحها ؟

لو أن باحثا تقصى الانواع الادبية السائدة فيما تتضمنه من صور وأفكار وانفعالات ومواقف لوجد انها جميعها تدور حول مصير الانسان العربي والواجبات المترتبة عليه تجاه العصر والمرحلة والحياة المتقدمة المنشودة .

لقد حددت الاقدار السياسية مراحل حياتنا الادبية تحديدا قاسيا ، فكان ادب النهضة ادب المناداة بالتحرر من



يوسف العظمة : ومعركة ميسلون



الحساسية الأدبية

الاســـتعمار التركى ، وكان الادب الوطنى ادب التحرر من الاســتعمار الاوروبى ، وكان ادب ما بعد الاستقلال فى الشرق العربى محددا فيما بين النكبة والنكسة من سنوات ، افلا يمكن تحديد أدب النكسة بحدود السبعينات، على امل ان ينجلى الصراع بين الحق العربى والبغى الصهيونى عن قــدرة العرب على توحيد صفوفهم وانتزاع المبادرة من القــوى الدولية لتقرير مصيرهم فى القرن الواحد والعشرين بأيديهم ؟

واذا كان ادب النكبة يتخذ محوراً له قضية فلسطين واسترجاع الارض السليبة فان ادب النكسة يتصــدى للحياة العربية من مختلف جوانبهـا وفى شتى ظواهرها ، فهو يعالج الحياة السياسية مثلما يتعرض للاوضـــاع الاجتماعية ، وهو يلتفت الى التاريخ بالنقــد القاسى ذاته الذى يوجهــه للمذاهب والافكار التى تسود نشاطنا الفكرى .

لقد نشأت فى الادب حســاسية لا تقتصر على الرفض العنيف للماضى، وانما تشمل ايضا تقليب امور الحاضر على سفود الهجاء حيناً والتهكم المرير حينا آخر .. ومن المؤكد ان الادباء الذين يعرفون ما لا يريدون ولا يعرفون ما يريدون هم جيل نشأ فى اوائل الخمسينات ولا يزال مستمرا ، الا ان التنويعات على هذا الصنف الرئيسى تتكاثر فى السبعينات بحسب تمايز الوعى والاصول الاجتماعية والانتماء الايديولوجى دون ان يؤدى ذلك كله الى نمو نوع من الانواع الادبية نموا يدل على اقبال احــــدى الطبقات الاجتماعية عليه وتشجيعه باعتبـاره تعبيرا عنها . وهذا كله يجعل موضوع الحساسية أمرا شديد الحرج ، مادامت الحساسية رجراجة من جهة ، وما دام من جهة أخرى ، لا يمكن تتبع ظواهرها الا من جانب واحد ، هو جانب الادباء فقط . أما الجمهور فهو أما فى قسم منه مثقف وأما انه فى القسم الاخر منه جاهل لا احد يعرف ماذا يريد .

ان مسألة التاريخ العربى والرجوع الى احداثه تشكل أحـــد الخطوط الرئيسية فى ملامح ادب السبعينات . وقد كان الشاعر سليمان العيسى فى أواسط الخمسينات قد بعث من التاريخ العربى شخصية ابى ذر الغفارى كواحد من أوائل المناضلين العرب فى سبيل العدالة الاجتماعية ، غير أن الشعراء الان يعودون من التاريخ العربى الى اكثر زواياه اشـــكالا فى الصراع الداخلى والطبقى والمذهبى ..

فاذا وسعنا قليلا من حقل الرؤية التاريخية ودققنا فيها من خلال منظور حضارى اكثر شـــمولا من المواقف السياسية والمذهبية المباشرة ، طالعتنا الاقاصيص التاريخية التى يكتبهـــا القصـــاص زكريا تامر بتهكم جارح وســـخرية مريرة . ان زكريا تامر لا يهتم بالتحقق التاريخى للشخصية

المتغيبة لانه لا يهتم ببعث الماضى ولا تمجيده ، لكنه يحاكم الماضى على

ضوء المفهومات العصرية المعاصرة فيتهاوى الماضى العربى المجيد بين يدى هذه المفهومات ، ولا يسترد هذا الماضى المجيد اعتباره الا حين ينتصب

ليحاكم الحاضر .. فبأية مهارة يستطيع هذا القصاص أن يحاكق سلسلة المفارقات تلك ؟ ..

فى قصة « الذى احرق السفن » يساق طارق بن زياد الى المخفر حيث يبدأ الشرطى باستجوابه فى الحوار التالى :

ـ « طارق بن زياد .. انت متهم بتبديد أموال الدولة » .

ـ « مخطئون .. انا لم ابدد اية اموال » .

ـ « الست انت الذى أحرق السفن ؟»



كافكا : مقارنات مع زكريا تامر

ـ « حرق السفن كان لا بد منه لكسب النصر » .

ـ « لا نريد سماع اعذار . أجب على سؤالنا : هل احرقت السفن ام لم تحرقها ؟ »

ـ « انا احرقت السفن » ..

ـ هل حصلت على اذن من رؤسائك بحرق السفن ؟ »

ـ « اذن ؟ . الحرب تختلف عن الكلام فى المقاهى والشوارع » .

ولا يلبث ان يتعالى الصياح :

ـ « انت خائن .. حرق السفن كان ضربة لقوة الوطن » .

وفى قصة ثانية تساق رفات عمر الخيام الى المحاكمة بتهمة كتابة شعر

يمجد الخمر ويدعو الى شربها : « قد تقولون ان التهمة قديمة ، لكن حيثيات

الحكم جديدة فالدعوة الى الخمر ـ حسب ما يقول القاضى فى حكمه على

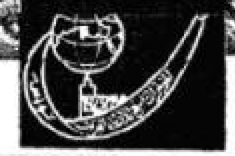
المتهم ـ دعوة سافرة الى استيراد البضائع الاجنبية وتنفيذ لمخطط مشبوه يهدف الى اثارة الشعب » .

وفى قصة نشرها الكاتب مؤخرا أن تمثال يوسف العظمة قد تحرك ،

ويوسف العظمة هو وزير دفاع الحكومة الفيصلية التى أسست فى دمشق عام

١٩١٨ ، وقاد الجيش العربى فى معركة ميسلون التى استشهد فيها امام جيوش الاستعمار الفرنسى المندفعة الى دمشق .

يسمع التمثال صوت استغاثة فوق سماء دمشق فيتحرك ، ولكن الحارس



الحساسية الأدبية

الليلى يستوقفه مستغربا كونه يحمل سيفا فى يمينه ، فيخبره الرجل بأنه وزير دفاع وان حمل السلاح مهنته لكن الحارس يسخف كلام الرجل ، وحجته ان الوزير لا يمشى فى اخر الليل كالشحاذ بل يركب سيارة طويلة عريضة ، والوزير لا يحمل سلاحا بل يرافقه دائما شرطى مسلح بمسدس ، واخيرا يساق الرجل الى مخفر واثناء الاستجواب يعود الى ذاكرته المشهد التالى :

وانفجرت قنبلة فوق ارض ميسلون ، واصابت شظاياها ساعد يوسف العظمة فهرع اليه طبيب وشرع يضمد جرحه وهو يقول له بلهجة متوسطة :

- وقوفك هنا يعرض حياتك للخطر.

- مهمتى اليوم ان احارب العدو واهلك لا ان اهرب وانجو .

- ولكن قوات العدو تفوقنا سلاحا وعددا .

- ماذا تقترح ؟ .

- الانسحاب سيحافظ على ارواح رجالنا .

- اذن انت تقترح الهرب .

- الانسحاب والهرب امرا واحدا لان الوطن فى حال الانسحاب او الهرب سيترك للعدو ليستولى عليه .

ماذا يريد القصاص ان يقول ؟ ان يظهر ان الاطر والمفهومات التى تحكم حياتنا الراهنة لو تحكمت فى حياة من قبلنا من مفكرين وشعراء وقواد عظام لسحقتهم واهانتهم ومنعتهم من ان يكونوا ما كانوا عليه من الرفعة وحرية الضمير والمبادرة فى الازمات . ويريد بالتالى ان يقول ان الانظمة والمناهج التى تسير الحياة العربية الحاضرة فى قيود تمنع الابداع والمبادرة والفداء .

بطبيعة الحال انه لا يقول ذلك مباشرة، انه يضع بطل الماضى ضمن قيود الحاضر بلا شفقة ، وبطريقة تجريبية تماما فيظهر البطل ليس بطلا وانما يمسخ الى قزم مدان . ولا يبقى للقارىء أمام هذا المأزق سوى طريقين، اما ان ينكر بطولة الماضى وروعته دفاعا عن المؤسسات القائمة ، واما ان ينبذ الاوضاع القائمة دفاعا عن الحرية الداخلية للانسان العربي ودفعا له فى طريق التفتح والانطلاق.

هذه الحساسية تجاه بعض المؤسسات والمناهج فى الحياة العربية لا تقتصر على الجيل الذى تجاوز الاربعين من عمره ، بل نجدها اشد ارهافا لدى الجيل الجديد ممن لم يبلغ الخامسة والعشرين . اقرءوا الصفحات الادبية التى يحررها هؤلاء الشبان ، قد تجدون عشوائية فى التعبير والتواء فى التصوير ، غير ان

ذلك كله يتكشف عن رؤيا مريرة لواقع متعثر واعماق تطفح بالتحدى · ومن هذا التوازن بين مجـــد الطموح الرافض وهـــوان الواقع المجهض ، يحاول الادب الشاب ان يخلق توترا فنيا لا تعوزه المفارقة ولا ينقصـــه الدهش والمفاجيء ·

امامى الان ديوان صغير لشـــاعر شاب هو ايمن ابو شـعر ، الديوان كابوس انتجه وعى غض اكب على التدقيق فى شئون الحياة قبل الاوان ، لذلك لا تمل عن صور التشويه وقطع اليد أو اللسان وصور السجون والمنافى والخيانة والبيع والوقيعة · عنـــوان الديوان يأخذ اســـم اطول قصيدة فيه « صندوق الدنيا » فى هـــذا الصندوق يعرض الشاعر استبصاراته عن الحياة العربية المعاصرة من زاويتى الانسان والسلطان ·

ان هذه الحساسية المتفشـــية فى ادب الشبان الطالعين هى التى تجعل صورهم مقززة حينا ومرعبة او ساخرة او مريرة فى احيان اخرى · ان هذه الحساسية تجاه نقد الدولة ، معالجة شئون الجنس او العقائد ، تخلــق لدينا جيلا ، صوره الشعرية تسابق ملكة التعبير لديه ، لان الوجـدان الحساس يطيع الانفعال بأسرع ماتمكن الموهبة من بلورته · فاذا كنا نشكو من فجاجة صور الادباء الشـــبان ورطانة لغتهم فلانهم يدفعـون ضريبة المراحل التى تقلبت على وعيهم · انه جيل وعيه أكثر من ممارسته ، ولم يتوفر له الوقت لتجويد العبارة بعد

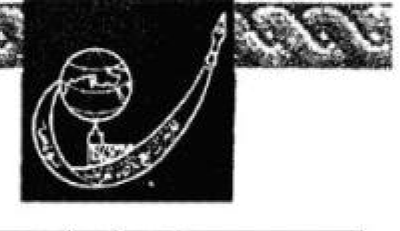


هيمنجواى : قصة بنفس العنوان

ان كوت شمس حزيران والوعى الطبقى احاسيسه · لقد سقطت بلاغة القعقعة بسقوط الخطب والبيانات النارية، وبدأ عصر تعرية الحقائق ·· وتلك بشارة، قصائد الشباب حبلى بها ·

هذا لا يعنى اننا نتوصل الى نظرة جيلية تنكر وجود معيار جمالى ينطبق على معظم الادب ، كما اننا لا نقر النظرة الانفصالية التى تقطع كل مرحلة عما عداها وكأنها بداية لتاريخ جديد لانسانية جديدة · لان محاولات بعث الحاضر ضمن اطار نقدى للمؤسسات القائمة ، أمر من صميم مهمـــات الادب ، ما دام الادب فى جوهـــره احتجاجا على الحياة وتطلعا الى عالم افضل ·

وليست ركاكة الاســـلوب وعدم استعمال اللغة استعمالا صحيحا وقفا على الجيل الجديد ، لقد كنا نسمع ذلك عنا من متقدمينا · ومع ذلك تظل هذه الظواهر ــ فى رأيى ــ من أهم



الحساسية الأدبية

الخصائص التي تميز هذه المرحلة لان حساسيات الادباء أكثر استجابة لها وانصرافا عما عداها . على أن مجرد تغير الوضع الادبي في زمن معين ، بالمقارنة مع ما كان عليه قبل عقد أو عقدين من السنين يظل أساسا غير كاف لتثبيت عملية تطور تاريخي فعلى . ولهذا كان حكم الحساسية حكم تلمس واستشراف آفاق ومحاولة لشرح الظواهر الجديدة وربطها بعضها بالبعض الاخر لتكوين صورة عامة عن المشهد الادبي وتفاعله مع مختلف الجوانب الفكرية والسياسية في الحياة العربية . اذ ان الناقد يحتاج دائما الى معرفة كيفية تغلغل الافكار في نسيج العمل الفني . بحيث تغدو مكونة وعندما يحدث ان تتم المطابقة بين الفكر والفن تمسى الصورة مفهوما والمفهوم صورة .

وترى البطل في قصة جورج سالم « كما في الاحلام » أكثر جوانيةوفردية فهو في هذه القصة يستيقظ من نومه في الليل على صوت حركة داخل البيت وخارجه : في الطريق وفي الفضاء فيشغل نفسه بالتفكير في الحبوب المنومة التي تناولها . غير ان أزيز الطائرة يتحول الى انفجار في السماء . يتلاشى أثره من نفسه بعد أن يغفو . يستيقظ مرة أخرى ليشرب ويشاهد طفليه نائمين . بعد ذلك يتكرر غرقته وعظهر الباب فيها . يتكرر الصوت الداخلي الذي يحدثه . يتكرر أصوات الرجال خارج غرفته وهم يصيحون به أثر تكرر الانفجار في الجو . « دافع عن أطفالك » يستصرخ النائم اجداده فلا يجيرونه من العذاب والرعب .

يحس بالدموع تتساقط على وجنتيه وهو يسمع أنين أطفاله دون أن يستطيع حراكا . يصرخ به صوت « تعلم كيف تموت » فيجيبه النائم « انني ميت منذ زمن طويل » . ولا يلبث ان يغرس في « دوامة نهر عميق الغور » . وفي اخر رمق منه يصرخ « لا .. لا .. » . وفي الختام : « تتحرك أصابعك النحيلة كأس الماء جاهزة . وكذلك الزجاجة الصغيرة تتناول حبة أخرى وتفقد الوعي »

القصة ممعنة في عرض الغربة والاستلاب . وهذا العرض الوصفي لا يغني عن نصها الادبي الحاد ، المجرد ، الدقيق ، ولا عن دراسة طريقة الكاتب في التلاعب بالضمائر والانتقال بين المشاهد دون تمهيد ولا روابط بحيث ينجح التخييل في خلق الاحساس بالواقع ونسفه أثر كل كابوس .

ومرة أخرى نشهد الشكل يوغل في اخفاء المضمون بحيث يصعب تحديده لان الاثارة الفنية التي تخلقها القصة يرافقها انحراف لغوي عن التعبير العادي . فليس هناك صور بالمعنى الادبي ، بل اشكال تتوالى في مشاهد

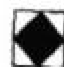
في كوابيس ورموز ومحسوسات في وقت واحد ..

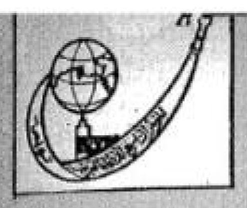
قد يخطر للذهن المتسرع أن يجري مقارنات بين أساليب جورج سالم وزكريا تامر ، وكافكا ، أو دوستويفسكي أو همنجواي ، لا سيما وان لهمنجواي قصة بنفس العنوان ، أو بين اتجاهات بعض الشعراء العرب وهذا الاتجاه أو ذاك في الأدب العالمي ولكن حذار . فحدود المقارنة لا تتعدى أول الطريق ، في اقتباس مطور لبعض الأساليب والصنعات التقنية ، بما يقف عند حدود المشروع الادبي في خلق شرك للايقاع بالقارىء في موقف محتمل وبعيد عن الحدوث ، لكنه يمتلك ، امانة للواقع ، أكثر عمقا مما يحويه المعنى الظرفي . ان الواقع العربي يفيض أو يتداخل مع التقنية التي يصطنعها الكتاب بحيث يظل هذا العالم قائما بذاته ومفهوما لذاته من ضمن الحساسية المتزايدة التي يبديها هؤلاء الكتاب تجاه واقع امتهم . صحيح ان كتابا من أمثال ديكنز ، ودوستويفسكي ، وبروست ، هم الذين يسطون عالمهم المطبوع على مجالات تجربتنا ، في حين ان كتابنا لم يبلغوا أكثر من محاذاة الواقع العربي . ولكن لنتذكر أيضا ان تجربة امتنا مع الحضارة الغربية هي تجربة تبلغ من المرارة والقهر الداهم والدائم مالا يستطيع جيل من الاجيال أن يستوعبه بمفرده استيعابا يتيح لاحد افراده ان يعبر عنه .

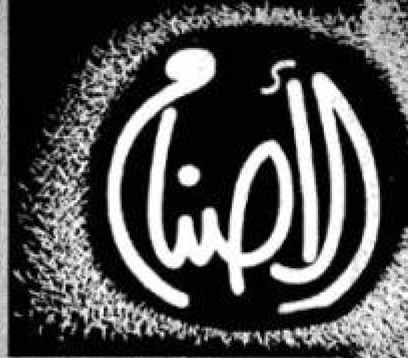
ومع ذلك فان امتنا تجابه الخطر بالصمود ، والتحدي بالتطور ، والاستعباد بالثورة ، ومحاولات طمس قوميتها بمزيد من التحسس عند النواحي التي تؤدي الى الضياع القومي . وما دام ادبنا يقوم على نقد الحياة العربية والصدام مع المؤسسات الجامدة فيها ، فان لنا كل المبررات لكي نؤمن بحاضر الادب العربي ومستقبله مثلما نؤمن بماضيه .

ان الفنان هو النقطة التي يظهر عندها نمو العقل البشري والضمير القومي . وان حساسيته هي التي تهديه الى عرض التجارب التي يتعرض لها مواطنوه ، بحيث يبدو نتاجه تنسيقا لما هو مضطرب في اذهان ابناء قومه وافئدتهم . وبما ان الانسان بعد أن يمر بتجربة من التجارب لا يظل كما كان قبل مروره بها ، مما يجعل الفنون اقوى الوسائل التي يمكن عن طريقها « توسيع مجال الحساسية الانسانية » ـ فان مظاهر الحساسية الادبية المتغيرة التي عرضنا بعض جوانبها في هذا المقام ، سوف تؤدي الى المزيد من الوعي القومي والتفتح السياسي وتحرر الضمير العربي من كل الاغلال والمواضعات التي تحجب عنه صفاء الرؤية القومية لابعاد

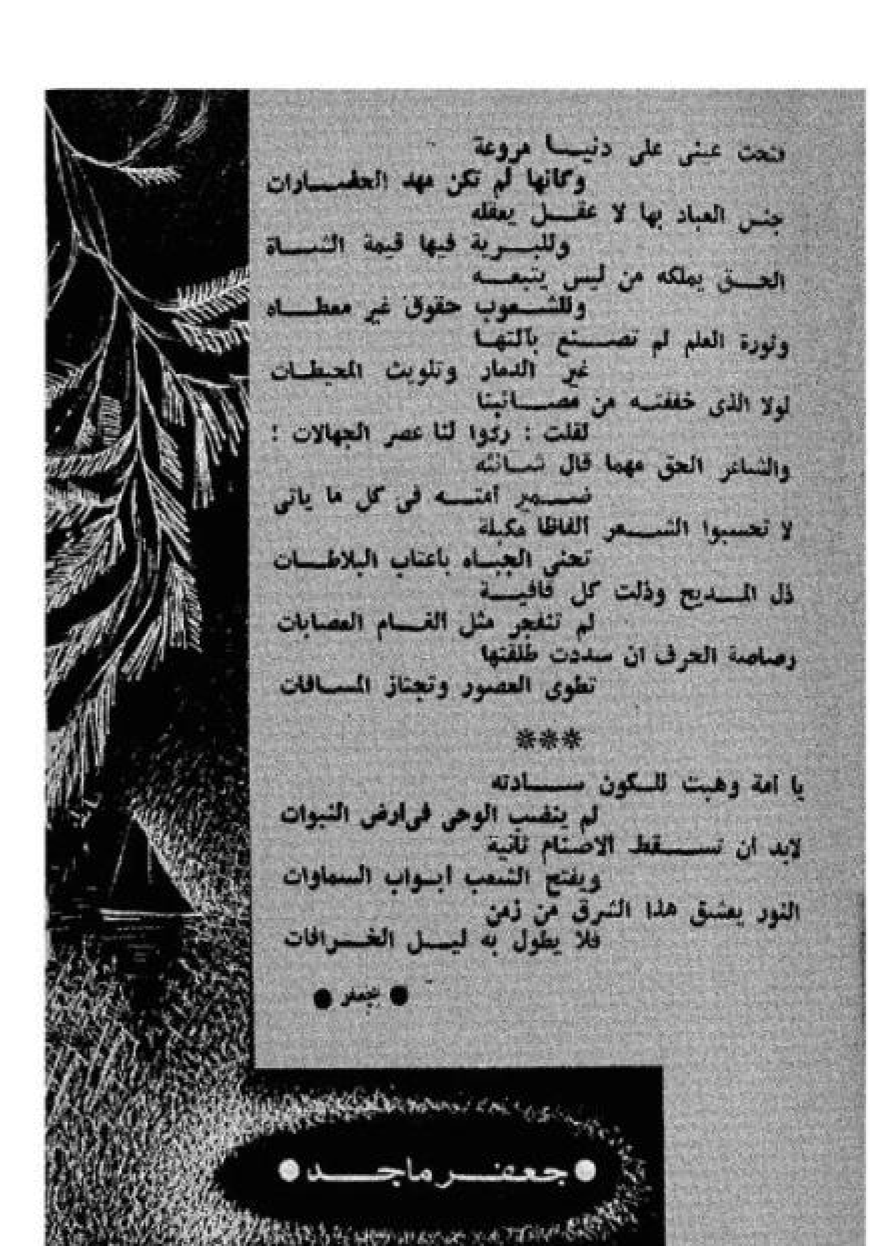

معركتنا في سبيل وحدة امتنا وبقائها حية فاعلة في تاريخ البشر وحضارتهم







أتيت من غربتى اسولاك لم آت
كفى ملامك يا اغلى حبيباتى
طال الفراق على قلبى واوجعنى
الا ارى غيره حلا لماساتى
ومن يصدق انى عنك فى شغل
وحبك البكر عندى زيت مشكاتى
واحلك العمر ايام هنا عبرت
كانها الحلم او بعض الخيالات
يا قيروان بماذا عدت من سفرى
لم يبق لى فيك الا الظل من ذاتى ؟
اين الاحبة اين الانس انسهم
وهل يعود لنا صفو المودات
كنا هنا كطيور الايك يجمعنا
راد الصباح وآصال العشيات
فشرد السرب وانفضت مجالسنا
واغتال حلم بنيك العاصف العاتى
مازلت تحتملين الدهر فى جلد
وتصبرين على كل الملمات
كم فى جهادك من درس وموعظة
ومن براهين للدنيا وآيات
وللعروبة كم اعطيت من بطل
جاز البحار باحكام الرسالات
دار الزمان وصادتنا غوائله
ونكس العرب هامات ورايات
يا قيروان وانت العز موطنه
ماذا احدث عن اهل الخيانات



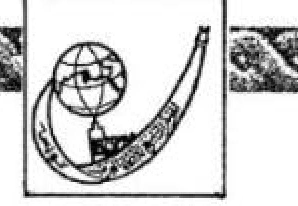
فتحت عيني على دنيــا مروعة
وكأنها لم تكن مهد الحضــارات
جنس العباد بها لا عقــل يعقله
وللبــرية فيها قيمة الشــاة
الحــق يملكه من ليس يتبعــه
وللشعوب حقوق غير معطــاه
وثورة العلم لم تصــنع بآلتهــا
غير الدمار وتلويث المحيطـات
لولا الذى خففتــه من مصــائبنا
لقلت : ردوا لنا عصر الجهالات !
والشاعر الحق مهما قال شــائنه
ضــمير أمتــه فى كل ما يأتى
لا تحسبوا الشــعر ألفاظا مكبلة
تحني الجبــاه باعتاب البلاطــات
ذل المــديح وذلت كل قافيــة
لم تنفجر مثل ألغــام العصابات
رصاصة الحرف ان سددت طلقتها
تطوى العصور وتجتاز المسافات

***

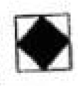
يا امة وهبت للــكون ســادته
لم ينضب الوحى فى ارض النبوات
لابد أن تســقط الاصنام ثانية
ويفتح الشعب ابواب السماوات
النور يعشق هذا الشرق من زمن
فلا يطول به ليــل الخــرافات

● جعفر ●

● جعفر ماجد ●



اتجاهات الشعر الحديث



في البداية، ساحاول بقدر الامكان ان التزم منهجا واضحا يساعدني على السباحة في هذا المحيط المتلاطم الامواج ، ومن خلال هذا المنهج لا بد من عدة ايضاحات :

١ ـ ساقتصر على الاتجاهات الادبية في مصر ، لا تصالي بها ومعرفتي بتطوراتها ٠

٢ ـ وساعني ببعض الاجناس الادبية مثل الشعر ٠ ولن اتناول الاتجاهات المسرحية والقصصية والنقدية لانها في حاجة الى دراسة مستقلة ٠

٣ ـ وسابدأ من نقطة زمنية هامة هي نهاية الاربعينات أو على وجه التحديد من عام ١٩٤٨ منذ سقوط فلسطين في أيدي اليهود حتى الان ٠

ففي هذه الفترة الزمنية حدثت تطورات حضارية هامة على الصعيد الوطني والقومي والانساني ٠

● تطور في التكنولوجيا مكن الانسان من الصعود الى القمر والتجول فوق سطحه ٠

● تطور في القيم الفكرية والسياسية والاجتماعية ، حيث تجاوز الانسان مفهوم تلك الايديولوجيات الثابتة على اختلاف مشاربها ، واشتجار مقاصدها ٠

● تطور داخل النفس الانسانية ٠٠ وخاصة بعد التقدم الالكتروني ٠ ووسائل الاعلام والتوصيل التي جعلت العالم مثل قرية واحدة ٠

● تطور في مكافحة الاستعمار والثورة على الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي ، صحبته ثورة لتجاوز الواقع الراهن في كل مكان ٠

● وبدأ الشبان في كل مكان يثورون على القيم السائدة ويحلمون بعالم افضل ٠

● وبداوا يتمردون على انقسام العالم الى كتلتين كبيرتين تدور في فلكهما بقية دول العالم ٠

● عبد العزيز الدسوقي ●
مصر:

ولقد انعكست كل تلك الاوضاع على الامة العربية ، فشهدت منذ النصف الثاني من القرن العشرين تغيرات سياسية واجتماعية وفكرية واقتصادية عميقة ، وتطور ايقاعها الحضاري بصورة مختلفة عن الايقاع الذي كان سائدا في النصف الاول من القرن العشرين وتغير في ظلال هذا الايقاع ، الذوق الادبي العام ، والحساسية الفنية .

لا اريد أن اقول ان تلك الظروف قد اثرت بصورة مباشرة على الادب والفن فانا من المؤمنين بأن العمل الادبي له قوانينه الموضوعية الخاصة به . ولا يمكن أن يكون صدى مباشرا لظروف سياسية أو اقتصادية او اجتماعية ، فهو نفسه عالم كامل تموج فيه التيارات والاتجاهات ومع أن عناصر العمل الادبي الاولى تتخلق في اطار ظروف معينة وزمان ومكان معينين ، الا انه بعد ان يتم ويخرج الى الوجود ، يصبح كونا خاصا يجب ان ننظر اليه من خلال قوانينه هو لا أن نفسره بشيء اخر خارج عنه ، او نعتبره صدى لتلك الظروف . لكن الذي لا شك فيه ايضا أن تلك الظروف تحدث اثرها في الناس وتترك بصماتها على وجداناتهم وضمائرهم وأفكارهم . والادباء والشعراء والفنانون من اشد الناس حساسية ، وهم من اجل هذا اكثر تأثرا بكل الظروف والاحداث ، ثم هم الذين يغيرون باعمالهم الادبية الذوق الادبي ويصنعون الحساسية الفنية الجديدة .

وقد تمكنوا بالفعل من صنع هذا ، منذ أواخر الاربعينات حتى الآن أو على وجه التحديد منذ كارثة فلسطين ، التي زلزلت الكيان العربي ومزقت النفس العربية وتركت في الاعماق جرحا ينز صديدا منذ عام ١٩٤٨ حتى الان .

والمجال الذي سابدأ به هو الشعر ، وهنا سأفصل بعض الشيء وأنا ارصد الاتجاهات لان هذا المجال من اهم الانواع الادبية التي تجلت فيها عملية التغيير الكبيرة ، ولان فن الشعر اعرق فنون العرب ، والتغيير فيه يثير كثيرا من الجدل والنقاش . ثم نشير بعد ذلك بسرعة الى القصة والنقد .

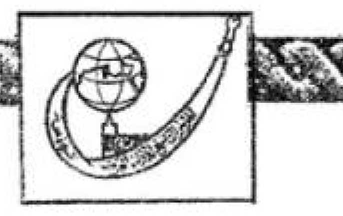
اتجاهات الشعر المعاصر

ولن ادخل في الموضوع مباشرة كما حددته - زمنيا - بل ساتجاوز ذلك واعود الى الوراء قليلا لاشير بصورة سريعة الى اتجاهات الشعر العربي في مصر التي سبقت تلك الفترة التي حددتها ، لتكون بمثابة المهاد والخلفية





البارودي : رائد مدرسة ال الشعر



اتجاهات الشعر الحديث

التاريخية للاتجاهات المعاصرة التي ساقف عندها ولن أسميها اتجاهات ·

بل سأطلق عليها تسمية المدارس لانها بالفعل تبلورت وتحددت وأخذت شكل المدارس الادبية ·

ومن اهم المدارس :

١ ـ مدرسة البعث ، التي رادها البارودي وشوقي وحافظ وعبد المطلب وغيرهم ·

٢ ـ ومدرسة التجديد التي قادها العقاد وشكري والمازني وعبد الرحمن صدقي وغيرهم ·

٣ ـ ومدرسة ابولو التي جمعت كوكبة من الشعراء على رأسهم ابو شادي وعلي محمود طه وابراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل وحسن كامل الصيرفي وأبو القاسم الشابي وصالح جودت ومحمد عبد الغني حسن واحمد مخيمر وطاهر ابو فاشا والعوضي الوكيل وعبد العزيز عتيق وجميلة العلايلي وغيرهم ·

وقد جاءت المدرسة الاولى استجابة للظروف الحضارية التي عاشتها مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، فكانت بعثا كبيرا للشعر بعد عصور طويلة من العجمة والركاكة والانحطاط رد الى الشعر ماءه ورواءه ونضارته

وقد صور كثير من شعراء هذه المدرسة ، حالة مصر السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مطلع هذا القرن · وتغنى بعضهم بأمجاد العروبة والاسلام ·

أما المدرسة الثانية ، فكانت استجابة لاشواق فكرية ملحة ، فقد أحس الجيل الذى جاء بعد جيل البعث حاجته الى تجربة جديدة لانه كان يمتلك رؤيا جديدة ويتسلح بثقافة غربية واسعة ، ومن هنا حاول شعراء تلك المدرسة أن يطوروا الشعر ويدخلوا عليه قيما فنيةوحضارية جديدة· ولكن انجاز تلك المدرسة لم يتم الا في مجال النظريات النقدية · ثم جاءت المدرسة الثالثة « مدرسة ابولو » أو مدرسة الوجدان الشعرى (كما يمكن أن تسمى) ·

على أن تلك المدارس الشعرية لم تنفصل عن الحياة العامة بل تجاوبت معها الى حد كبير ·

● فمدرسة البعث انبثقت في خلال الثورة العرابية ·

● وقبيل ثورة ١٩١٩ وبعدها بقليل ، بزغت مدرسة التجديد ·

● وعندما اظلمت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر · وساد الفساد السياسي والظلم الاجتماعي في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات ، كان هناك جيل جديد يتكون · يشعر بالحزن والضياع ·· جيل يحمل في أعماقه شهوة كبيرة لاصلاح العالم ، وتغيير الحياة ، ولكن واقع الحياة في مصر في تلك الظروف كان يحول دون تحقيق تلك الاحلام · وهنا سقط هؤلاء الشباب في تلك الهاوية السحيقة التي تفصل بين


العقاد : مدرسة التجديد


أبو شادي : جماعة أبولو

احلامهم وبين واقع الحياة المرير . فانطووا جميعا فى عزلة موحشة ، يبكون احلامهم الضائعة ، ويهرعون الى الطبيعة امهم الحنون يغسلون فى رحابها أوضار نفوسهم ، ويلوذون باحضانها لتقيهم هجير الحياة . وراحوا يتفلسفون ويتأملون .

وهرب البعض الى احضان المرأة فى لهفة وتعطش ، ولاذ البعض الاخر بعالم صوفى شعر فيه بالامان .

وانطلق البعض الاخر فى ثورة عاتية يتمرد على كل شىء ويتساءل عن الوجود والعدم ولماذا جئنا وأين المفر؟ وراحت تحز فى نفسه قيود الحياة والاحساس بالقلق المستمر ، الذى يشعر به حيال آماله وأحلامه وعلاقاته الاجتماعية .. هذا الجيل هو جيل الوجدان الذاتى . الذى قاد مدرسة ابولو .

ومن هنا يمكن أن نقول ان تلك المدرسة الوجدانية فى مصر حققت اكبر تطور فى اتجاهات الشعر العربى الحديث . حيث حققت كثيرا من القيم الفكرية والفنية .

● فهى التى حولت الشعر الحديث الى تجربة لها مذاق خاص وطعم متميز .

● وجعلت الشاعر صاحب رؤيا بالمعنى الذى نستخدمه الان لهذا المصطلح . رؤيا يختلط فيها الحلم بالادراك العقلى .

● وأدخلت كثيرا من التجديدات الجمالية والفكرية التى يمكن أن نعدد منها ما يلى :

١ ـ التجديد فى روح الشعر وصياغته ، بحيث يجمع بين الفكرة والعاطفة فى ابداع فنى مرهف مع تنسيق الافكار والصور الشعرية والاخيلة والعواطف ومراعاة النسب بينها وبين الشكل الخارجى . وبذلك تحقق فى شعرهم معنى الوحدة العضوية .

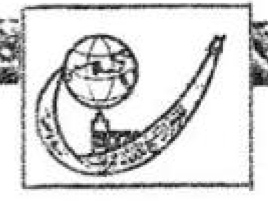
٢ ـ اكتشاف نوع متحرر من الشعر الحر والشعر المرسل مع التنويع فى القافية .

٣ ـ تطوير الشعر المسرحى والشعر القصصى .

٤ ـ ابداع الاوبرا .

٥ ـ ابداع المطولات التأملية مثل : أساطير الأعراف للهمشرى . والله والشاعر لعلى محمود طه .

وبذلك كانت مدرسة ابولو اكبر ثورة حقيقية فنية فى شعرنا العربى الحديث فى النصف الأول من القرن العشرين . ولقد نشأ فى ظلالها جيل كبير العدد من الشعراء كلهم من أصحاب المواهب الكبيرة والثقافة



اتجاهات الشعر الحديث

الفزيرة ، دخلوا الى عالم الشعر بطاقاتهم العاتية وعواطفهم الجياشة ونفوسهم المرهفة الحساسة • وظروف حياتهم القاسية ، فملأوا حياتنا الادبية بالانغام الجديدة • ونقلوا الى اللغة العربية كثيرا من الاشعار الاوروبية • واستخدموا الرموز ووظفوها فى شعرهم بمهارة •

واستلهموا الميثولوجيا اليونانية • ودعوا الى الطلاقة الفنية والتحرر البياني • وحاربوا الزعامات الفردية واثروا فى المحيط العربى كله • ووصلت تجاربهم الى العالم الخارجي •

ولا يزال تاثيرهم ممتدا حتى الان • فمعظم رواد الاتجاهات الشعرية المعاصرة يصرحون بانهم تاثروا بناجى او على محمود طه او محمود حسن اسماعيل ، او الشابي ، او الصيرفى ، او غيرهم من شعراء ابولو •

الا ان بعض شعراء تلك الجماعة لا يزال حتى الان ينجب ويبدع فى حيوية وشباب فنى ومنهم : حسن كامل الصيرفى ، ومحمود حسن اسماعيل ، وصالح جودت ، واحمد مخيمر ، ومحمد عبد الغنى حسن ، والعوضى الوكيل •

تطور الحياة

ولقد امتدت تلك المدرسة بآثارها الفنية الى الجيل الذى واكبها وجاء بعدها بقليل فاستأثرت به فترة من الزمان ظل يغني فى حماها ويبدع من امثال روحية القليني ، جليلة رضا ، ومحمد فهمى ، وصالح شرنوبى ، وكامل امين ، وسعد درويش وغيرهم وغيرهم ••

وبذلك يمكن أن نقول ان تلك المدرسة الشعرية قد غيرت الذوق الادبى العام ، وغيرت الحساسية الفنية منذ أوائل الثلاثينات حتى نهاية الحرب العالمية الثانية •

ولعل ذلك هو السر فى ذبول مدرسة البعث وتحول بعض شعرائها الى شعراء تقليديين وصمت البعض الاخر واتجاهه الى مجالات أخرى من مجالات الادب كالقصة أو الدراسة الادبية •

ولقد حملت تلك المدرسة الشعرية بذور التجديد وخصائص التغيير التى حدثت فيما بعد •• فالتجديد العروضى واستخدام الرموز ، والاساطير ، والتحرر البياني والطلاقة الفنية كل أولئك هى التى أرست قواعده • وحملته رياح التغيير الى الجيل الجديد الذى أحدث الثورة الشعرية الثانية فى أول النصف الثانى من القرن العشرين أو قبل ذلك بقليل وقد ساعدت على ذلك ظروف الحياة المعقدة التى نشأت بعد الحرب العالمية الثانية ، وضياع فلسطين ، ثم قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ • كل ذلك أسهم بشكل كبير فى تهيئة المناخ لهذا التغيير الجديد •

الاتجاهات المعاصرة •••

ولا أعتقد أن الثورة الشعرية التى بدأت فى أواخر الاربعينات ، تنفصل عن تراثنا الشعرى وحركات التجديد العربية التى لم تتوقف منذ العصر الاموى حتى الان • ففى نسيجها العام

خيوط كثيرة من كل تلك الحــركات الجديدة ·

بل لعلها الامتداد الحقيقي للثورة التى احدثتها مدرسة أبولو فى العقد الثالث من هذا القرن ، ولكن مدرسة أبولو تلاطمت مع ظــروف مختلفة ، اختلط فيها الامل بالهزيمة بالحزن ، بعد تبدد الاثر الذى احــدثته ثورة ١٩١٩ وتحول النضــال الوطنى الى مغانم ومكاسب على أيدى مجموعة من الساسة لم يتمكنوا من الارتفاع الى المستوى الوطنى الذى تهيأ فى ظلال ثورة ١٩١٩ فتحولت قيم الثورة الى احلام تملأ قلوب جمــاهير الشعب ، بينما غرق الساسة الى الانقان فى عملية الصراع على الحكم التى كانت تصل فى بعض الاحيان الى حــد الارهاب وتعطيل الدستور ، ولم يشأ جيل الوجدان الشعرى ان ينخــرط فى هذا الصراع الســياسى بل تمرد عليه وانصرف عنه وراح يتأمل تجاربه الذاتية ويشعر بالحزن والضــياع والتمزق ويعبر عن كل ذلك فى شعره الشجي النافذ ، ومن ثم جاء شعر تلك المدرسة من الناحية الفلسفية شيئا جديدا كل الجدة يتميز بالرشــاقة والنضارة والحرارة والتوهج ، صحيح لم يتحقق لتلك المدرسة تغيير فى شكل القصيدة العربية بصورة أســاسية ، ولكنها على كل حال بدأت هذا التغيير على شكل مقطوعات متغيرة القــوافى متنوعة البحور · واحياناً كانت تصل تلك التجديدات الى التصرف فى عدد التفعيلات (*) كما يحدث اليوم وخاصة عند أحمد زكى أبى شادى ·

أما جيل الاربعينات ـ فعلى الرغم من انه الامتداد الفنى ـ لمدرسة أبولو الا انه تلاطم مع ظروف مختلفة بعض الاختلاف عن الظروف التى نشأ فى ظلالها جيل أبولو ··

فقد فجرت الحرب العالمية الثــانية كثيرا من القضايا والمشــكلات · وأحدثت تغيرات فى خارطة العــالم السياسية بشكل واضح · وخلفت من المآسى والفظائع ما أحدث أكبر التغيير فى نفوس شباب هذا الجيل ·

ثم كان لضياع فلسطين اثر كبير على المستوى القومى ··

ثم قامت ثورات التغيير بعد ذلك فى معظم أجزاء الوطن العربى ·

ومن هنا كان تلاطم هذا الجيل مع الاحداث مختلفاً عن الجيل الذى سبقه، فقد اشتبك مباشرة مع تلك الظــروف والاحداث ، وخاض المعركة مع الجنود ورجال السياسة ، وحــول فنه الى سلاح فى معركة التحرير والتغيير ، ولهذا يمكن أن نطلق على هذا الجيل ـ جيل الاربعينات ـ جيل الوجدان



(*) راجع كتاب « جمــاعة أبولو وأثرها فى الشعر الحــديث » لكاتب البحث ·



اتجاهات الشعر الحديث

الاجتماعى ، فقد اختلط عنده الحلم بالواقع ، وامتزجت حياته الخاصة بالحياة العامة .

ولهذا غلبت على اتجاهات هذا الجيل فى بداية ثورته الشعرية النظرات الاجتماعية والثورة على الفساد والظلم ، والدعوة الى العدل الاجتماعى ، والتحرر السياسى .

ولكن ثورته النفسية بلغت مداها عندما بدأ يحس أن التغيير يجب أن يبدأ من القالب الشعرى . ومن هنا بدأت رحلة التغيير فى شكل القصيدة العربية .

وأول من قام بتغيير فى شكل القصيدة فى مصر : عبد الرحمن الشرقاوى فى الاربعينات ، ثم تلاه عبده بدوى وفوزى العنتيل ، وسعد دعبيس ، وكمال نشأت ، وكيلانى سند ، وبدر توفيق ، وحسن فتح الباب وملك عبد العزيز ، وعز الدين اسماعيل ، واحمد كمال زكى ، وعبد القادر حميدة ، وغيرهم على اختلاف فى الموهبة الشعرية والمستوى الفنى ، والنظرات الاجتماعية والفكرية .

وتجسدت ثورة هذا الجيل فى هذا التغيير الشكلى فى اطار القصيدة المألوف . والخروج على البيت ذى الشطرين والقافية الموحدة أو المتنوعة . والتفعيلات المحددة ، الى نسق جديد يتخذ من التفعيلة أساسا لبناء القصيدة . تتكرر فى السطر الواحد حسب المعنى الذى يريد ان يعبر الشاعر عنه ، وتتوقف عند انتهاء الدفقة الشعورية التى تمور فى وجدان الفنان . كما تتحرر من القافية . واستخدمها بعض الشعراء الجدد بصورة جديدة .

ولم يقف هذا الجيل عند حد فى تغيير شكل القصيدة ، بل بلغت ثورته مداها فى كسر عنق عمود الشعر ، على حد تعبير بعضهم ، ثم أوغل البعض فى التعبير الرمزى واستخدام الاسطورة وراح يصور واقع الحياة الوطنية والقومية والانسانية .

ومن هنا تعددت اتجاهات تلك الحركة الجديدة ، فنيا وفكريا .

تلك خريطة ترسم ـ بقدر الامكان ـ شكل الحركة الشعرية المعاصرة، ولكن اتجاهاتها الفكرية والفنية لا تزال فى حاجة الى ايضاح وتحديد . وعلى الرغم من صعوبة هذا العمل فى مثل تلك البحوث القصيرة ، الا أننا يمكن أن نقسم تلك الحركة الى اتجاهات محددة من أبرزها تلك الاتجاهات الثلاثة :

١ ـ الاتجاه الاجتماعى .
٢ ـ والاتجاه القومى .
٣ ـ والاتجاه الانسانى .

مع العلم ان هذا التقسيم ليس



على محمود طه : الشعراء الجدد

صارما صرامة الحدود المنطقية الجامعة المانعة ولكنه يعتمد على السمات الغالبة فى كل اتجاه . وقد نجد فى داخل كل اتجاه خيوطا من تلك الاتجاهات كلها .

ثم ان كل اتجاه من هذه الاتجاهات يشتمل على عدة تيارات . ويمكن ان نقف وقفة قصيرة ، عند كل اتجاه نتعرف على سماته الفكرية وتياراته المختلفة .

الاتجاه الاجتماعى

وهو من أوائل الاتجاهات التى اهتمت بتصوير واقع الحياة العربية وتجسيد الصراع الذى دار ـ ويدور ـ على تلك الارض ، والوقوف عند الظروف السياسية والاقتصادية والفكرية وعلاقات الانتاج .

ولقد اهتم هذا التيار بالنضال العربى ضد قوى التخلف والاستعمار ، وغلبت عليه نزعات سياسية وفكرية متعددة .

ويمكن ان نحدد داخل هذا الاتجاه ثلاثة تيارات رئيسية هى :

١ ـ التيار المثالى .
٢ ـ التيار الثورى .
٣ ـ تيار الرفض .

***

١ ـ التيار المثالى .

وابناء هذا التيار يؤمنون بالقيم الروحية والجمالية ولايتصورون الحياة من غير مطلق . بعضهم يراه فى الاديان والبعض الاخر يراه فى الفن . والبعض الثالث يراه فى الاخلاق .

والتجارب الجيدة فى هذا التيار تحمل شجنا نافذا عميقا . وتتخذ رموزها من تاريخ الاسلام فى عصور ازدهاره . وتحول الحضارة العربية والاسلامية الى رموز فنية جميلة .

٢ ـ التيار الثورى .

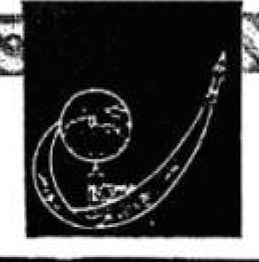
وتتعدد نزعات اصحاب هذا التيار فبعضهم يلتزم فكرا ماركسيا ، ويحول شعره الى سلاح فى المعركة التى يخوضها للتبشير بمبادئه . وفى معظم شعر اصحاب تلك النزعة ترتفع النبرة الصارخة ويخفت الفن ، ويتحول العمل الادبى الى منشور سياسى ليس له اى قيمة فنية . وقد ابتلع طوفان الزمن معظم تلك التجارب ، ولم يعد لها اية قيمة جمالية فى الحركة الشعرية فى مصر .

وبعض ابناء هذا التيار الثورى يؤمن بالعدل الاجتماعى ويبشر به دون التزام ، بايديولوجية محددة ، وتجىء نزعته الثورية من احساسه الحاد بالمتناقضات التى تمزق عالمنا المعاصر وبالظلم الاجتماعى الذى تعانى منه الفئات المسحوقة ، وقد ارتفعت بعض تجارب هؤلاء الى مستوى فنى جيد .

٣ ـ اما أبناء التيار الثالث فهم من اصحاب الثقافة الغزيرة والمعاناة الاليمة مع الواقع . والاحساس الحاد بالفقد المستمر ، وانطفاء الاحلام وغروب الحياة وتناقض الوجود وعبثه . فهو تيار رافض حزين متمرد على الوجود ، تلمح فيه نزعات وجودية ونزعات عبثية . وفى تجارب ابنائه الشعرية غموض شفاف وحرارة فنية وتأمل فكرى عميق .

الاتجاه القومى

اما الاتجاه القومى . فيكاد يكون الاتجاه الرئيسى بين معظم ابناء المدرسة الحديثة فى مصر ولا يقف ابناؤه عند مجرد التغنى بأمجاد العروبة . والحنين الى الماضى كما كان يفعل ابناء (مدرسة البعث) فى مطلع هذا القرن . ولكن تحولت القومية العربية عندهم الى حركة سياسية لها مضمونها الاجتماعى



اتجاهات الشعر الحديث

المتحرر • ومن هذا المنظور راحوا يطلون على كل مراحل التاريخ العربي •• وقد استغرقت مأساة فلسطين معظم أشعار هذا الاتجاه وصور شعراؤه أبعاد تلك الكارثة من كل الزوايا • ووقفوا عند كل تفصيلاتها وتطوراتها •

وبعض أبناء هذا الاتجاه يمزج مفهوم القومية العربية بالفكر الإسلامي •

وقلة قليلة تلبس القومية بمفهوم خاطيء تجاوزته المرحلة العربية الحاضرة • فتتصور أن القومية تعني القومية المصرية • وإن كان من الحق أن نقرر أن شعراء تلك النزعة ليس لهم أي تأثير فني أو فكري •

الاتجاه الإنساني

أما الاتجاه الثالث في حركة الشعر الحديث • فهو اتجاه إنساني عام • لا يقف عند نزعة قومية أو اتجاه مذهبي • بل يوجه إبداعه الفني إلى الإنسان في كل زمان ومكان •

وقد جنح بعض أبناء هذا التيار إلى التجريد الشديد والغوص إلى أعماق النفس الإنسانية وتحول بعضهم إلى ما وراء الطبيعة وراح البعض الآخر يتجول في تاريخ الفكر الإنساني ويجعل منه تجارب شعرية جديدة •

تلك هي أهم الاتجاهات • وروافدها وتياراتها في الحركة الشعرية المعاصرة أشرت إليها تلك الإشارات السريعة ووضعتها في تلك « الخانات » الضيقة وقسمتها هذا التقسيم المحدود ليسهل تصورها • فهل حددتها حقا وألقيت عليها بعض الأضواء أو أنني زدتها غموضا وتعتيما ؟ لست أدري •

ولأحاول بعد ذلك تقييم تلك الاتجاهات •

تقويم الاتجاهات المعاصرة في الشعر

ولكن هل (تقييم) تلك الاتجاهات المعاصرة في الشعر • والوقوف على قيمتها الإنسانية والحضارية وما يترتب على ذلك من آثار في خدمة المستقبل العربي وطنيا وقوميا وإنسانيا • من عمل الناقد ؟

الحق أن ذلك في رأيي من عمل المصلح السياسي ورجل الاجتماع والداعية المذهبي •

وإنما عمل الناقد والدارس الأدبي هو أن يفسر الأعمال الأدبية من خلال قوانينها الموضوعية الخاصة • ثم يأتي مؤرخ الأدب • فيرصد تلك الاتجاهات الفنية والظواهر الأدبية •

وليس على أحد منهما أن يلتمس في الاتجاهات الأدبية والتيارات الفنية « قيما » سياسية ومثالية • تخدم المستقبل العربي • فليس هذا من وظيفة الناقد أو الدارس كما قلت • وإن كان هذا لا يعني أن العمل الأدبي لا يحمل أفكارا من هذا النوع تخدم المستقبل العربي • فكل الأعمال الأدبية لا بد أن تشتمل على عناصر كثيرة من الواقع الفكري والاجتماعي ولكنها

تصبح فى داخل العمل الفنى شيئا جديدا مستقلا عن مصادره ومنابعه الاولى ٠

ومع كل ذلك فقد قمت بالفعل بعمل المصلح الاجتماعي ، عندما استعرضت اتجاهات الشعر المعاصر على هـذا النحو الذى تقدم ، بصـورة تبرز مضـمونها الفكرى والسياسى والاجتماعى ٠

وواضـح مما تقدم أن كل تلك الاتجاهات كانت من اهم القسمات فى تكوين ملامح حياتنا العربية المعاصرة ثم ان معظم هذه الاتجاهات قد خدم النضال العـربى فى مراحله المختلفة ، وفجر فى الواقع العـربى ثورات متعددة ٠

وقد نستثنى بعض الروافد القليلة التى وقعت فى أسر الغموض والابهام أو اتجهت الى النقد الجارح وتعذيب النفس ، وخاصة بعـد كارثة يونية ١٩٦٧ ٠

وان كانت هذه الانغام الغامضة وتلك الرموز المبهمة، والنقدات الجارحة الضارية ، تخدم المستقبل العـربى ايضا بصورة غير مباشرة ، لانهـا تجسد هذه المرحلة الراهنة الممزقة فى حياة الامة العربية بصورة بشـعة منفرة تستحث الى تخطيها وتجاوزها٠

وان كان هـذا الامر يقودنا الى طبيعة العمل الادبى الفنية ٠ ومشكلاته الجمالية ٠

مشكلات جمالية وفنية

وفى رأيى أن تقييم تلك التجربة الشعرية المعاصرة لا بد أن يكون فى الاساس تقييما أدبيا وفنيا ، يتحدث عن معمار القصيدة فى الشعر الحر ٠ أو الروح الدرامى الذى يشيع فى معظم هذا الشعر ، أو اسـتخدام الرمز والاسطورة ٠ ويرصد ظاهرة الحـزن أو ظاهرة الغموض التى تصل فى بعض الاحيان الى تحويل القصيدة الى أدغال كثيفة مظلمة يضل فيها السـارى ٠ ويحـاول أن يعللها (١) ويقف على أسبابها وبواعثها ٠

ولا شك ان تلك التجربة الشـعرية الجديدة قد قمت بعض الانجـازات الفنية الحقيقية التى بعثت الحيوية فى شعرنا العربى الحديث ، ومضت عليها فترة من الزمان تجعلها قادرة على مراجعة أفكارها الاساسية من خلال عملية تقييم صارمة يقوم بهـا النقاد فى امانة وموضوعية ٠

ولا بد أن نذكر ان بعض النقاد قد قام بواجبه حيال هذه التجربة الشعرية وحاول منذ وقت مبكر أن يبين مزالقها، ويبصرها بأخطائهـا ٠ وموقف نازك الملائكة من هذه الظاهرة ــ فنيا ونقديا ــ معروف ٠

وقد قام الدكتور عبدالقادر القط (٢)

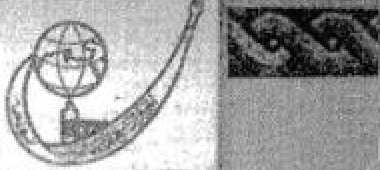


كامل الصيرفي : العطاء الشعري الخصب

---

١ ــ كتاب : الشـعر العربى المعاصر : قضاياه وظواهره الفنيـة والمعنوية للدكتور عز الدين اسماعيل (دار الكاتب سنة ١٩٦٧) ٠

٢ ــ كتاب قضـايا ومواقف ــ الدكتور عبد القادر القط ٠





اتجاهات الشعر الحديث

فى الاعوام الاخيرة بمراجعة شاملة لتلك التجـــربة وأثار فى كتابه ومحاضراته ، ومناقشاته فى الندوات الادبية ، العديد من المآخذ حول تلك

التجربة . وقد رفض فى حسم ، أن تتحول تلك الحركة الشعرية الى رموز والغاز تفقد التجربة الشعرية توهجها وفنيتها .. والدكتور القط أحد الذين

احتضنوا هذه الحركة الجديدة ودافعوا عنها . وشجعوا أبناءها الموهوبين ، ولهذا تجيء أهمية شهادته على دخول تلك الحركة فى طريق مسدود .

وهناك ناقد آخر من أنصار تلك الحركة الجديدة هو الدكتور شكرى عياد (١) وقف منها فى الاعوام الاخيرة موقف الناقد الموضـــوعى المنصف وناقش ظاهرة « الغموض فى الشعر الحديث » ولم يقتنع بما يردده أنصار

تلك الحركة من أن كل جديد يظل غريبا حتى تألفه الاسماع والافهام والاذواق، وراح يؤكد ان تلك الغربة تزول عندما تألف هـــذا النمط ، ولكنها لا تفسر

الموقف الواعى العنيد، الذى يقفه كثير من قصائد الشعر الحديث ــ بالذات ــ امام كل محاولة للفهم الواضـــــح المستقيم » .

ويرى الدكتور شكرى أن مظاهـــر الغموض فى الشعر الحديث تتجلى فى ثلاثة أشياء :

● اعتماد الشاعر على ثقافتــه أكثر من اعتماده على تجاربه المباشرة، وخاصة اذا تحولت ثقافة الشاعر الى رموز يصعب على غيره فهمها .

● التركيز الشديد .

● الحاح الشاعر على تصـــوير العلاقات الداخلية للعمل الفنى أكثر من الحاحه على تصـــوير العالم الخارجى . فالرموز الناشئة من ثقافة الاديب والتركيز والتجريد هى أسباب ذلك الغمـــوض الشديد فى الشـــعر الحديث .

ومهما يكن من أمر فان تلك الظاهرة فعلا فى حاجة الى مراجعة وتدبر من أبناء هذه الحركة لان العمل الادبى لا بد أن يصل الى القارىء على أى صورة من الصور . أو أن يفجر فى نفسه بعض المشاعر . وفى رأيى أن ظاهرة الغموض هـــذه ترجع ــ فى أساسها ــ الى خلل فى التجـــربة الشعرية وقصور فى التعبير عنها . وعدم مقدرة على احتضانها .

الظاهرة الحزيرانية

على أن هنـــاك ملاحظة تلح على الحاحا شديدا وأنا أتحدث عن حركة الشعر الحر يمكن ان اطلق عليهـــا « الظاهرة الحـــزيرانية » نسبة الى يونيه (حزيران) عام ١٩٦٧ ، عام هزيمة العرب امام العدو الصهيونى .

فبعد الهزيمة وقعت تجربة الشـــعر الحر فى قبضة الحـــزن والانتحار والعويل . وتمزيق الوجه وتعـــذيب النفس ، وقد تجلت هذه الظاهـــرة بشكل أوضح فى نتاج الشـــباب من أبناء تلك الحـــركة . بل أن بعض

١ ــ الادب فى عالم متغيـــر ــ الدكتور شكرى عياد .

الشبان أعتبر ان العالم مات في عام ١٩٦٧ ، وتحولت الارض العربية الى انقاض وخـــرائب وراح ينعب على اطلالها كالبوم والغربان ·

وجماعات أخرى من الشباب وقعت في التصور نفسه حتى وهى تحاول تخطى الازمة فاعتبرت التاريخ العربى كله حتى عام ١٩٦٧ هباء · وبدأت حياتها من عام ١٩٦٨ بل لقد استطاع هؤلاء الشبان أن يؤثروا فى بعض الشــعراء الكبار · فراح هــؤلاء الشعراء يدينون التاريخ العربى كله · ويرمون الامة العربية بالقصــور والتخلف والغفلة والغيبوبة · الى آخر ما تفننــوا فيه من التهجم على كل امجادنا ومقدساتنا ·

ومع اننى لا اقلل من اثر الكارثة التى وقعت فى يونيه عام ١٩٦٧ بل اعتبرها أفدح مأساة فى تاريخ العرب الحديث ، وأقدر تماما التمزق النفسى والروحى الذى أصــاب الشباب ـ وخاصة شباب الادباء والفنانين ـ فى هذا المناخ الحــزين · الا اننى لا استطيع ان أقـــر هــذا الانتحار والانهيار والتــلاشى ، الذى دفع بعض الشعراء لاقامة هذه المآتم والجنائز · وتحويل الشعر الى هــذا اللون من التشاؤم المغرق · على ان بعض هؤلاء الشباب دخل الى سراديب نفسه · وراح يجتر تجاربه الذاتية فى حزن اليم وبكاء متواصل · كما فعل ابناء مدرسة ابولو فى الثلاثينات من هذا القرن مع تغير الظروف · واختلاف المنابع الفكرية والروحية ·

ولا أظن أن فى مقدورنا ان نصــدر قرارا بمنع التشاؤم فى الشعر الحديث او الغموض ، فالتجارب الفنية اكبر من كل عمل النقاد والدارسين ·

ولكن لعل بحث تلك الظواهر فى جدية وعمق وتحليل اسبابها وبواعثها يفتح الطريق أمام الشعراء مرة أخرى ليعاودوا النظر فى موقفهم الفكــرى والفنى · باعتبارهم قادة هذه الامة ، والطلائع التى تشق أمامها طريق التقدم والنصر · وهم المســئولون فى تلك الفترات المظلمة من تاريخهــا عن ان يضيئوا لها بافكارهم آفاق المستقبل ·

على اننا ـ دون ادعاء أو فخر ـ أمة متحضرة تضرب فى اعراق الماضى آلاف السنين ، أمة فجرت فوق هــذا الكوكب الانسانى أقدم الحضارات · وســطرت فى تاريخ البشرية أنضر الصفحات · وتعرضت لكثير من الالام والمحن ، انتصرت عليها · وبقيت على هذه الارض خير امة اخرجت للناس تحمل المعرفة والحق والخير والجمال ·

وهى قادرة مرة أخــرى على أن تتجاوز تلك المحنة العارضة ـ على فداحتها ـ لتعود سيرتها الاولى منارة للهدى والعرفان ·

ولا شك أن على الادباء والمفكرين أن يجسدوا هذه الصفحات مرة أخرى وينشروها امام الجماهير العربية التى تعيش مرارة الهزيمة ، لتتخذ منهــا زادا بعينهـــا ويبعث فى نفوســها الامل وهى تخــوض معاركها ···

◆



الشرقاوي

وجه صنعاء

• محمد سعيد جرادة •

وجه صنعاء ذو السمات الفريده   لاح لي من خلال ذكرى بعيده
حين كانت صنعاء كاعبة بكـ   ـرا بها تعلق القلوب العميده
غادة كان وجهها الذابل الشا   حب قيد النواظر المشدوده
ضامرا قدها كمهصر من الجو   ع لنى عطفه وأتلع جيده
ولدت في مرابع البؤس من اسرة فقر لم تحتفل بالوليده
لم تهيئ لها القوابل مهدا   تتدلى فيه المسوح الجديده
لم تقم حوله الدمى باسمات   تتغنى احلامها الموعوده
بيتها قام فوق سهل شحيح النـ   ـبع في قرب طلحة مخضوده
وسط حي الى المهاجر قد بث   سراياه كالغراف الشريده
امها حارس لصاحب اقطاع   قضى عمره يعد نقوده
زرعت ارضه نخيلا واعنابا   لثريات نبتها منضوده
وابوها شيخ على جيله ضاع   فاضحى كحلقة مفقوده
وضرير بلا عصا تقرع الدرب   فيدري هبوطه او صعوده
وجه صنعاء ذلكم قبل أن تهدم   اصنام شعبها المعبوده
قبل اشراق شمس سبتمبر الفرد الذي ناره اذابت جليده
شق ايلول صدرها مخرجا أخبث   رجس اشقى البلاد السعيده
وسقاها الفداء كاس طلا الهة   الحرب باركت عنقوده
وتوارى ذاك الخيال توارى   عن عيوني الا خيوطا بديده
مثلت لي صنعاء تكتب في سفر   البطولات صفحة محموده
مثلتها في دور خولة باليرمو   ك تحدو ركب الفتوح المجيده
تتخطى حواجز اللهب المشبوب   عصف الرياح يزجي نشيده
وتغذي التراب سبعين يوما   برفات الشبيبة المعقوده
وترويه بالدم الحر ثرا   من شهيد يسيل أو من شهيده

***

رحت مثل الغريب استطلع الاخبار عنها في حيرة مقصوده
اغريب انا ؟ سؤال رهيب في فمي دار لم اصادف ردوده
كنت اسرى اخفى طروقا من الطيف اليها والليل مرخ بروده
لم ضيعت دارها والضحى الغامر فيها ينص شمسا جديده
وتناءت بي الطريق وعادت   مسرعات الخطا اليها وئيده
ما اراني ادنو اليها ولا تدنو   فيا للبعيد يهوى بعيده

يا يراعي وانت دوحة عمري   فيأتني ظلالك الممدوده
يانجي الصبا صحبتك والعمر   طرير لم يهصر الهم عوده
شاب راسي ولم تشب يا شبابا   خالدا ينسخ الطريف تليده
عشت احداث أمة العرب لا بل   عشت مأساة عصرها المشهوده
عشت ايام مجدها وهي تبني من حضاراتها الصروح المشيده
وشهدت انحسار مد قواها   وانتقاض الروابط المعقوده
هذه الامة العظيمة ذات الحول   والصول والقوى المحشوده
كيف صارت لحما على وضم في   عالم يرسم القوى حدوده
وحدة الصف فرقتها فتاهت في   صحارى الضياع حيرى شريده
فوق اعلى الابراج أعلامها كثر   ولكنها ، لعمرى وحيده
واسمها يملأ الاقاليم شتى   وهو خال من المغازي المفيده

***

يارفيقي في الكهف نحن رقود   ما مللنا ، والكهف مل رقوده
الف عام لبثنا وزدنا   حقبا من سنينه المعدوده
لفحتنا بالنار شمس حزيران   فاجترت من كل جرح صديده
كيف كانت تلك الهزيمة نكراء   اورثتنا الطوالع المنكوده
من سقانا انخاب كاساتها المرة   صرفا في غير ذكرى سعيده

***

يا ابن ارض الفداء ارض فلسطين فتاة العروبة الموؤوده
يا أخي في ساح الجهاد وصوتي   يتحدى الحواجز المسدوده
يتخطى الاسلاك والشبك المضروب حوليه ناره وحديده
من تغني : سواك من غيرك   اليوم جدير بروعة الانشوده
انك اليوم وحدك الحامل العبء   وعبء لذى القوى لن يؤوده
خلق الحق والفداء رفيقين   كما رافق الفؤاد وريده
يابلادي عود اليك سافرت   في رحلة القصيد الحميده
هزني من رباك صوت حبيب   كهزاز الربيع غنى وروده
وحدوى الصدى يعانقة القلب   حفيا مباركا ترديده ...
ان هذا اللقاء عودة تاريخ   اراد الاعداء ان لا يعيده
غاب قرن الخلاف وارتفع السور   الذي اغلق اللئام وصيده
هم اثاروا الشقاق بين الاشقاء   وخبوا واوضعوا في المكيده
غير ان السحاب في يمن الثورة   لا تمطر السموم المبيده
والسماء الجلواء في افقها   الزاهر لا تختق النجوم الوليده
والرياح التي تهب على خضرائها   لا تفصل فلكا مريده
يمشون بما عدمنا تلاما وتنيا   لكي نقيم نديده
لم تغير وجوهنا ، انها تلك   الوجوه الكريمه المعهوده ...



نشأ الشاعر التونسي المرحوم مصطفى خريف في وسط معروف بمحبته للعلم، متشبع بروح الاعتدال الى حد كبير، وتربى في حجر والد اديب افرغ وسعه في تهذيبه وتنمية معلوماته وتربيته تربية حرة لا يشوبها تقليد.

فكان كل حظه من طفولته ان يضاف الى محفوظاته رصيد جديد كل يوم بشرط ان ينال رضاه ويستأثر باعجابه، وكان كل نصيبه من السرور ان يستظهر امام والده قطعة شعرية في لهجة العارف الواثق من معرفته فتتهاطل عليه كلمات الاطراء تشحذ عزمه وتدفعه في طريقه الادبي للامام.



لما انتقل شاعرنا مصطفى ـ في صحبة عائلته من مسقط رأسه بلدة (نفطة) درة (الجريد) التونسي ـ الى العاصمة اتيح له ـ لحسن حظه ـ أن يستكمل دراسته ويتخرج على شيخ ابناء عصره غير منازع المرحوم (محمد مناشو) الذي اخرج لتونس من شباب ما بعد الحرب العالمية الاولى رجالا هم اليوم قادة نهضتنا العلمية وزينة محافلنا الادبية.

ولا شك أن هذه الظروف عملت على اذكاء جذوة الشعر في نفس خريف فانبرى ينظمه في شتى الاغراض تساعده قريحة وقادة صقلها الادمان على مطالعة دواوين الادب ومختلف تصانيفه وبالاخص القديمة منها اذ كان ميله شديدا ورطابه من زادها موفورا.

وعندما ظهر ادباء (تحت السور) عمل معهم عملا مشكورا للنهوض بادبنا التونسي من وهدة الجمود التي تردى فيها. وقد قدم هؤلاء (الادباء) للصحافة والمسرح والفن خدمات جلى لا تنسى.

في هذه الفترة لمع نجم شاعرنا مصطفى خريف وأطلق لشاعريته العنان في المجال القومي ونظم الملاحم الخالدة في تصوير حال الشعب التونسي المهيض الجناح انذاك. واثارة نخوة عزته وتحريك روح الاباء فيه حتى يهب للثورة ويحطم الاغلال.

وحين أتعرض لانتاجه لأختـــار منه بعض النماذج فأني أتحرج أيما حـــرج وتتزاحم على العرائس الحسان والخرد الغيد وتتجاذبني الفتنـــة فأقف موزع النفس والعقل مبهور العاطفة والقلب ، وكلما استحسنا غادة ، عارضتها أختها بالاحسان وكلما انتهينا لموضـــع من مواضع الفتنة والروعة جذبني اليه موضع آخر أكثر فتنة وأكثر روعة فأتمثل بقول (شوقي) وهو يصف ما يصف :

بيضاء أو صفراء ان كريمهـــــا
كالغيد كل مليحة بمـــــذاق

ولن أطيل على القارىء بل أقدم له نتفا من ملحمة ٩ ابريل سنة ١٩٣٨ :

سلام الله للبطل المفـــــدى
وتسليما لدعوته وعهـــــدا
وايات من الاخلاص تهـــدى
وديفا عن كواهلنـــا يؤدى
يمينـــا بالذى أرسى الرواسي
تروع شوامخ الذروات صـــلدا
لانت وصحبك الأهب المصـــفى
يزيد تألقا مازيد وقـــدا
لقد ابليتم صــــبرا وكنتم
لشعبكم امام البغى ســـدا
ولاقى منكم الباغى خصـــوما
شدادا فى سبيل الله لــــدا

ويتحدث مصطفى خريف بتهكم ومرارة عن المستعمرين الذين يدعون كذبا وزورا ـ أنهم جاءوا لتمدين الشعوب المتخلفة وانتشالها من الهمجية والانحطاط ولكنهم يدوسون سيادتها ويسلبون كرامتهـــا ويسومونها سوء العذاب :

وقوم أنشـــأوا التمدين فينا
الا بعدا لذا التمدين بعـــدا



● الحبيب شيبوب ●

شعراء تونسيون





الملك فيصل : استقبله خريف بقصيدة رائعة

ذئاب اطلقت تغزو قطيعـــــا
وتعبث فيه تنكيـــــلا وعمدا
وظنوا (تونسا) لهم تراثـــا
لقد جاءوا من الاشــــياء ادا
فنحن احق بالعليــــاء منهم
واكرم منبتا وابا وجـــــدا

وعلى هذا الوتر الشـجى يضرب مصطفى خريف وتزداد لهجته عنفا كلما تجسم الخطر وكثر المحتلون عن انيابهم .. فنراه يصبح داعيا للثورة وتطهير البلاد من الدخلاء التأكيد دون خوف أو وجل :

نا موتور وهل يأتى الكـــرى
رجلا فى عزه قد نكبـــا ؟
ساد فى قومى وحش جـــائع
وسطا فى ارض جدى الغــربا
انا لا اجـــــزع من باطلهم
ولو الدنيا استحالت لوبـــا
انا لو نازعنى شهب الســـما
فى بلادى لاحتلت الشهبـــا

ويلتفت الشاعر مصطفى خريف حولـه سنة ١٩٤٩ فيرى بعض الاذناب الذين ليس لهم من هدف سوى الدفاع عن مصالحهم الشخصية والاحتفاظ بمناصبهم الصورية ، على حساب الشعب الاعزل الداس ينادون بالعدول عن المطالبـة بالاستقلال والرضا باصلاحات هزيلة لا تسمن ولا تغنى من جوع . اصلاحات بدأت تباشيرها الكاذبة تلمع فى أفـق التمويه والمغالطة ولا خيـر يرجى من ورائها فينطوى على نفسه ويصرخ منذرا بوخيم العواقب .

أرى صائد القرب يبنى لنـــا — عن الطعم لونا لنبدأ شهبـــا
يلاعب فينا حلوم الصغــار — ويخدع منا الضعيف الغبيـــا
فيا ويحنا ان وثقنـــا به — واما اتخذنا عدوا وليـــا
واما وقفنا باعتـــابه — نطالب بالحق فينا غـــويا
ويا طالب اللمس من غربهـــا — لعمرى لقد جلت شيئا فــريا

ويشرق على الشعب التونسي فجر الوحدة والاستعداد لخوض المعركة الفاصلة ـ معركة ١٩ يناير الخالدة سنة ١٩٥٢ فيهتف مصطفى خريف من أعماقه يبارك ذلك الاشراق ويستثير الهمم الراكدة والعزائم الخامدة :

أهلا بنور الفجر اذ يبدو ... حمد السرى وتحقق القصد
أهلا به فلقا يباشرنا ... من فيضه الاقبال والسعد
فلينتبه من كان في سنة ... وليقترب من شفه البعد
وليقتحم من كان ذا ظمأ ... ان لم يزاحم فاته الورد
ولتكتحل بالنور أعيننا ... فلقد عشت وأملها السهد
ولتدو في الاكوان صرختنا ... ولينكشف عن نصله الغمد
ولينفجر بركان غضبتنا ... ولينكسر في الساعد القيد
ولنفد بالارواح عزتنا ... ان لم يكن من بذلها بد

ويعتبر الشاعر مصطفى خريف ثالث ثلاثة من شعرائنا التونسيين ، تجاوزت شهرتهم حدود البلاد ، وأعجب بفنـات أفكارهم أساطين الادب ، وائمة البيان ، في الشرق العربي والمهاجر الامريكية ٠٠ كان الاول ٠ أبو القاسم الشابي ـ عليه رحمة الله ـ والثاني ، أحمد خير الدين الشاعر الغنائي الشهير ٠

ولئن فاقت شهرة (أبي القاسم) ورفيقه (أحمد) عن طريق جماعة (أبوللو) و (العصبة البرازيلية ـ فان شهرة شاعرنا خريف خارج الحدود ٠ إكتسبها بقصائد ثلاث ، كان من حسن الحظ ان تبلغ مسامع المعاقل الادبية عند جناح العروبة الايمن في وقت ظن فيه ان صوت الشعر خفت في تونس وغمسته نوى فتبدل الشك يقينا واستحال التساؤل اقتناعا من الاعماق ٠

وأول قصيدة طيرت صيت خريف ـ في ارجاء المشرق ـ هي التي نظمها في أواخر عام ١٩٤٣ وتونس مداسة الكرامة والحرب العالمية الثانية مشتد أوارها ـ تحية لابني صاحب الجلالة المرحوم عبد العزيز آل سعود صاحب المملكة العربية السعودية وذلك بمناسبة زيارة نجليه فيصل (ملك السعودية اليوم) وأخيه الامير خالد ٠ وقد تناقلتها الصحافة السعودية ونشرتها باطراء وإعجاب يعجز القلم عن وصفهما ، وفي طالع هذه القصيدة يقول :

في جبين الشمس من فوق الحجب ... مشرق مجدك يا صقر العرب
ثابت الاس وطيد ركنه ... بالغ الفرع الى أعلى الرتب


الشابي : من اشهر شعراء تونس


احمد شوقي : كل مليحة بمذاق





لوردكاش : غنت « حورية الموج » للشـاعر خريف

حبله بالملا الاعلى وبالـــــــــ ــمحكم المنزل • موصول السبب
حرم الله اطمأنت سجفـــــــــه حينما شاد الصباحى والتصب

وعلى هذا النسق الرفيع ، المحكم النسج ، يمضى مشيدا بايادى آل سعود، وجهادهم فى الحفاظ على الجـــزيرة ومقدسات الحرمين الشريفين ، ولا ينسى الاشارة الى ما تعانيه تونس يومئذ ، من جبروت المحتلين وطغيـانهم لدرجة انهم اقاموا العراقيل فى وجهى الزائرين الاكــرمين ، حتى لا يقتبلهما الشعب التونسى المضياف بما هما أهل له من حسن القرى ، وكرم الوفادة ، فيلمح لذلك تلميحا أبلغ من التصريح قائلا :

التحيـــات من الخضراء الى سيد الإسلام طرا والعـــرب
فتقبلها نثام خالصـــــــا ليس للشـــاعر الا ما كتب
وانم، واسعد، واعتزم، وادع لنا فى حمى الكعبة ، واسجد واقترب

هذا هو القصــيد الاول الذى كان لمصطفى خريف جواز مرور، لاوساط الادب فى خارج البلاد ـ أما الثانى ، فنظمه فى وصف (راقصـــة) خلبت لبه ، وملكت مشاعره ، فى ليلة من ليـالى العمر الحالمة فى صـحبة ثلة من زملائه (ادباء تحت السور) •

وقد كتب عن راقصة خريف المرحوم مارون عبود فى كتابه «مغربوارجوانه» : « ان مصطفى خريف ، اذا شـارك (ابن الرومى) فى وصف (وحيد) وتغنيها ، فقد جاء بالبدع فى وصف ثياب هذه الراقصة :

وكأن اللــــــوب حى فوقها يلهو ويتكلـــــر
وهو يكســـوها وتكسو ه ، فيلتن ويشكـــــر
هام بالاعضاء والصـــد ر هياما فتقطـــــر
يقهر الحسن • وما يقـــ ـــقى من الفتنة ، اكثر

اتراها لجة جنت فلمــــــا مت تتبخـتــــــــــر
وحوالى شفتيهــــــــا قبلات تتخطـــــــر
وغرام ، رف في حـــــا جبها لما توتـــــر

ان شعراءنا هنا ـ المشارقة ـ لم يوفقوا الى مثل هذا الوصف الرائع، ولعل تقصيرهم مسبب عن كثرة الخيـرات المتدفقة عليهم من كل صوب ، او لتلهيهم بالالفاظ التي يؤثرون ويحسـبون ان الوحي يتدفق منها ·

هذا ما قاله مارون عبود عن (راقصة) خريف ، واعظم بثنائه على شـاعرنا الكبير مع انه بثنائه ضنين ·

وتشاء الاقــدار ، أن تزور ربوع الخضراء ، صيف ١٩٤٩ المطـــربة الرمــزية ، الفنانة لوردكاش ، فتلقى حفلاتها من الاقبال ما جعلها تستطيب الاقامة بين ظهرانينا ويحييها بلابلنا بباقات من شعرهم النفيس ، اعجابا بصوتها العذب وابداعها المنقطع النظير· وهنا تتاح الفرصة الثالثة لاديبنـا خريف فيناجي (لوردكاش) بخريدة من خرائده الحسان ، ثم يقدم لها نسخة من ديوانه ـ الشـــعاع ـ تذكار ود وعربون تقدير · فتطالعه مطالعة الناقد البصير · وتختار من أعلاقه الغوالي ـ حورية الموج ـ وتكسوها من الحانها الرائعة حلة ضافية الجمال ثم تنشدها ، فتبدع ما شاء لها الابداع · وتدخـــل الاذان بلا استئذان ···

وتعود (لوردكاش) الى بلاد الكنانة فيتلقاها محررو المجلات الفنية ويمطرونها باسئلتهم عن الحركتين : الفنية والادبية بتونس · فتجيبهم انها تتدرج نحـــو الكمال · وان الشعر الغنـــائي له أساطينه ثم تطلعهم على ـ حـــورية الموج ـ فينشرونها بابرز الصـــفحات في اخراج بديع وثناء مستطاب، الشيء الذي جعل محبي الفن الرفيــــع ، يستزيدون (لوردكاش) من انشادها كلما ضمهم وأياها حفل ساهر · أو منتدى أدبي جميل ·

وفي وصف حورية الموج يقول مصطفى خريف :

شف صدر البحر عن سر الجـلال وطفت فيه الـــــــلآلي
فوق موج فاض من سحر الجمـــال فاق تصوير الخيــــــال
لاح في حســــــن والرراق مستجيشا مثل اشــــواقي
حين اكسوها بديعا من بيـــاني
هل علي صدرك فاضت موجتـــان بالهوى ترتعشـــــــان
البلت ترقص فيهـــــا وتغني نغمـــــا من كل فن
فيـــــه حب ودلال وتجني وصـــــلاوات التمني
في بياض مشرق طاهـــــــر وجمال فاتن باهـــــر
فامنحيها نبرات من حنينــــك وشعاعا من جبينـــــك

ونكتفي من (حورية الموج) بما ذكر دون ان تفوتنا الاشارة الى أن ديوان (خريف) قد انقرض من الدور والمكاتب وان لم ينقرض من الافئدة والاذهان ·

● تونس ● ● الحبيب شيبوب ●



ماذا حدث في المؤتمر ؟

لعل القارىء العزيز قد ادرك ، من الافتتاحية القاضبة لهذا العدد من « الهلال » .. ان رحلتنا الى مؤتمر الادباء التاسع ومهرجان الشعر الحادى عشر ، اللذين عقدا في تونس من ١٨ الى ٢٤ مارس الماضي ، كانت رحلة غضب ... شاركت فيها الطبيعة ، فساء الطقس ، وظلت الامطار تهطل والبرودة تقسو والاوصال ترتعد طوال ايام المؤتمر .. ثم ازدادت غضبة الطبيعة على تونس الخضراء الوادعة بعد رحيلنا ، فتدفقت السيول ، وهلك كثير من الحرث والنسل ، وعانى اكثر من اربعين الفا من السكان في العراء

هذا .. بينما كنا نقدر ، ونحن ذاهبون الى تونس الحبيبة ، اننا ذاهبون اليها في مطلع الربيع ، لننعم بجوها ، ونسعد بخضرتها ، ونستمتع بعناق ادبائها وشعرائها ، ونطرب لسماع اغانيها وموسيقاها التي لا تزال تحمل الكثير من عبير الاندلس .

ولكن يبدو ان لعنة هؤلاء الذين هبطوا علينا ليفسدوا جو المؤتمر ، ويخربوا الروح العربية النقية ، بما يحملون من مطارق وسنادين وافدة عليهم من زمهرير الشمال ، مأجورين على ما يفعلون ، قد افسدت علينا كل خيال

كان الوفد المصرى يتألف من يوسف السباعى ، وعزيز اباظه ، واحمد رامى ، ومحمد عبد الغنى حسن ، ومحمود حسن اسماعيل ، واحمد عبد المقصود هيكل ، وابراهيم الوردانى ، وعبد العزيز الدسوقى ، وصالح جودت ..

ونزلنا مع سائر وفود الدول العربية في فندق فريد الطراز ، بنى حديثا على شكل هرم مدرج مقلوب الوضع ، رأسا على عقب ، فرأسه الى اسفل ، وقاعدته الى اعلى ،



وزير التربية



يوسف السباعي ، وجورج اباظة ، وصالح جودة ، وحديث باسم بين جلسات المؤتمر

على شاطىء بحيرة جميلة ناعمة ، اسمه « نزل البحيرة » ، واقيم حفل الافتتاح فى مسرح البلدية ، وهو مسرح فاخر فى قلب المدينة .

وقد شمل الرئيس الحبيب بورقيبة المؤتمر برعايته ، والقى فى حفل الافتتاح خطابه الذى يجده القارىء فى مطلع هذا العدد ...

كما افتتح مهرجان الشعر - بدار ابن رشيق - الاستاذ الشاذلى القليبى وزير الثقافة ، بخطاب فريد يعد قطعة من الادب الخلاق

وكان الاستاذ محمد المزالى وزير التربية القوميـــــة (يومئذ) ورئيس المؤتمر - هو « الدينامو » الذى يدفـــع المؤتمر الى الامام ، ويقيل عثراته ، ويفض مشاكله ،ويقف اخيرا وقفة عـــربية حازمة كريمة فى وجه المتآمرين على المؤتمر ... وعلى مصر بالذات .. مصر ، لا بسياستها وحدها ... بل وبادبها وتاريخها وامجادها وكل ما فيها ... حتى لقد زعموا ان كل شـــعراء مصر تتلمذوا على مدرسة المتمصرين ... وان شوقى لم يكن اميرا للشعراء ولا حاجة ... ولو عاش حتى اليوم لســـقط من حساب التاريخ !

كل هذا ... لانهم جاءوا مبعوثين من اصحاب الشعارات التى ســــقطت فى مصر ... ماجورين من حملة المطارق والســـنادين ... ليوزعوا انفسهم بين ردهات المؤتمر والمهرجان ، يصفقون ويهللون لكل صوت احمر او اصفر ، ويصفرون ويقاطعون كل صوت صاف صفاء العروبة ، نقى نقاء الايمان

الثقافة والشعر

كل هذا ... تحت شعار حرية الفكر ... وتحت زعم ان الكتاب الاحـــــرار ـ يعتون كتاب العرائض من حملة الشعارات ـ معتقلون في مصر ، يسامون الوان العذاب .

وقد الخنتهم الصيحة حينما وقف يوسف السباعي يعلن على رءوس الملا كذب دعواهم ، ويدعو رؤســــاء الوفود لزيارة مصر ، ليشهدوا باعينهم كتاب العرائض يسرحون ويمرحون في شوارع القاهرة ومقاهيها وملاهيها

وما اروع المؤتمر في جلسته الاخيرة ، حين وقف رؤساء الوفود بالاجمـــــاع الى جانب مصر ، يرفضون افتراءات المفترين ، ويشهدون كبير المفترين ، رئيس وفد لبنـــــان ، ينسحب وحده مع وفده من المؤتمر مطاطيء الرأس مخلول الجنان

وهكذا انتصرت مصر ...

وهكذا انتصرت الفكرة العربية المؤمنة ...

واضفى الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة على هذه الفكرة لفتة حب وتقدير ، حينما منح رؤساء الوفود وسام الثقافة ، ثم اختص خمسة من اعضاء الوفد المصري دون غيره بهذا الوسام

درس ... لعل مؤتمرات الادباء القـــــادمة تفيد منه ... ولعل التشكيلات الادبية في كل دولة عربية تأخذ منه العبرة ، فلا تبعث الا بمن يشرفونها ويحســـــنون تمثيلها ويرفعون هامـــــاتها ويعبرون عن خير ما فيها من طاقات فكرية خلاقة

مسكينة .. أيتها الحرية ... !



باسترناك

ومن العجيب ان هؤلاء الذين يتباكون على حرية الكلمة هم عبيد الكلمة التي يسمونها « ملتزمة » وما هي في الواقع الا مأجورة لسادتهم الذين يفرضون عليهم الشعارات ... ويرفضون في مذهبهم اية كلمة تحمل نفسا من انفاس الحرية

هل تريدون مثلا ؟

● الكاتب الراحل باسترناك ، صاحب رواية « الدكتـــور زيفاجو » ...

كلكم تعلمون قصته ... وتعلمون كيف منع من نشرها في بلاده ، فنشرها في الخارج ، وتعلمون انها نالت جائزة نوبل ، فمنعوه من نيل الجائزة !

● وهل تريدون مثلا آخر ؟

الكاتب الكبير سولزينتســـــين ... طردوه من اتحاد الكتاب ، لأن له رأيا حرا ... ومنعوه من ممارســـــة اي نشاط ادبي . وهو يعاني الآن ضائقة مالية قاسية . وقد

عرض عليه كثير من الكتاب فى العالم مساعدات مالية ، كما ان له مبالغ ضخمة ناشئة عن حقوق التأليف ، اذ بيعت من روايته « يوم فى حياة ايفان دينيسوفتش » وحدها أكثر من عشرة ملايين نسـخة ، بعدة لغات ، ولكن حيل بينه وبين قبول أية مساعدات أو حقوق ترد اليه من الخارج !

● وهل تريدون مثلا ثالثا ؟

الكاتب الشاب يورى جالانسكوف (٣٣ سـنة) مات اخيرا على اثر جراحة سرطانية اجريت له فى احد معسكرات العزل ، حيث كان يقضى حكما صادرا عليه بالسجن سبع سنوات فى سنة ١٩٦٧ ، لأنه نشر مجموعة من قصصـه وقصائده التى لم تجزها السلطة !

هذا هو المذهب الذى يتغنى اتباعه واذنابه عندنا بالحرية ، ويذهبون الى المؤتمرات ليتباكوا عليها .

مسكينة أيتها الحرية ... كم من الجرائم ترتكب باسمك !

قسمات باسمة ... ...

رغم هذا فان المؤتمر لم يخل من قسمات باسمة ، تمثلت فى وجوه هؤلاء « المنشطات » الناعمات .. هكذا يسمونهن هناك ... جميلة الماجرى وفاطمة سـليم ونبيلة ونعيمة ... من اديبات تونس اللاتى رافقن الوفود وسـهرن على راحتها

ثم ... الشاعرة السورية ذات الصوت المخملى ، عزيزة هارون ، والشاعرة المغربية الحالمة ، مليكة العاصمى ، التى يجد لها القارىء لونا من الشعر الجديد فى عدد « الزهور » المرافق لهذا العدد

ثم ... مادبة العشـــاء الفاخرة التى اقامها الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة ، فى قصره الجمهورى وقلدنا فيها الاوسمة ، وامتعنا فيها بالوان من الموسيقى الشـعبية والفولكلورية التونسية

ثم ... مادبة العشاء التى اقامها شيخ المدينة بفندق هيلتون ، واسمعنا فيها المطربة القيروانية الحســناء « سلاف » تغنى الوانا مستحدثة من الغناء التونسى


عزيزه هارون

ثم ... هذه الوجوه التونسية الطيبة :
الاديب الشاعر الحبيب شيبوب ، الذى اطلق عليه أعضاء المؤتمر تسمية « ذاكرة المشرق » لأنه يحفظ كل قديم وجديد من شعر المشارقة

والمصور الفنان بشـــير منوبى ، الذى اهدى الى اكثر اعضاء الوفود مجموعات من صورهم فى المؤتمر ... مقابل قبلة من كل منهم
والفنانان المسرحيان الكبيران عبد المجيد بو ديدح ومحمد ابن الحاج على ، اللذان ملأ ردهات المؤتمر بهجة وايناسا .

ثم الشاعر احمد اللغمانى ، مدير برامج الاذاعة ، الذى كان له فضل تقديم اعلام المؤتمر الى الشـــعب التونسى من خلال الميكروفون ، فى سلســـلة من الاحاديث والمحاورات والسهرات اللامعة

ثم الشاعر التونسى ــ الجزائرى ــ المغربى ... المفدى زكريا ... الذى اشاع روح الفكاهة فى المهرجان ، وكانت له مداعبات كثيرة مع اصحاب الشعر الحديث ، لعل الذعها قوله :

تقولون جئتم بشــــــــــعر حديث
وهذا هو الحــــــــــدث الاكبر

واخيرا ــ وليس اخرا ــ سفيرنا المصرى العزيز محمود التهامى ، الذى احاطنا برعايته من الطائرة الى الطائرة
كل هذه الصور الباسمة ، خففت عنها قتـــامة كثير من الصور القاتمة التى وقعنا عليها فى المؤتمر والمهرجان .. واكثرها من اصحاب الشعر الحديث ، الذين قال احدهم فى قصيدته :

« انتم الفعى
« بلدى الفعى
« أمى الفعى
« وانا حفش »

اى والله ... هكذا قال

وآخر من اصحاب هذا اللون من الشعر ايضا ــ قال انه جاء الى مصر ينشد الحرية ، ونام فى خان ، وصحا ، فوجد المصريين قد سرقوا حماره وملابسه ...

اى والله هكذا قال !
أهذا هو الشعر ؟

مهرجان امين نخلة..


الشاعر امين نخله


د . عبد المنعم الرفاعى

وكلما اتذكر هؤلاء القـــوم الذين عكروا علينا صفو المؤتمر . اقول لا سامحهم الله ... فقد حرمونى متعة كنت احلم بها ، وشرفا كنت اصبو اليه ، هو ان اشارك فى حفل تكريم اخى وصديقى شاعر لبنان الكبير امين نخلة ، الذى اقيم فى قصر اليونسكو ببيروت فى الشهر الماضى ، والذى دعيت اليه لأتحدث باسم مصر ، واعددت له قصيدتى ، كما اعددت عدتى للسفر الى لبنان فى موعد الحفل ، لولا ان كان ذلك الموقف الصغير من وفد لبنان ضد مصر ، مما وجدت نفسى بازائه مضطرا الى ارسال برقية الى منظمى الحفل — وفيهم بعض من كانوا ضمن وفد لبنان فى تونس — انسحب فيها من حفلهم ، دون ان يمس هذا الانسحاب تقديرى لشاعرية امين نخلة ، واعزازى لشخصه ، مما يؤكده اننى حرصت على ان اطلب الى صديقى الشاعر الكبير الدكتور عبد المنعم الرفاعى قصيدته التى اعدها لهذا الحفل بالحـــاح ، لننشرها فى هذا العدد من الهلال ، كما لن يفوتنى ان انشر قصيدتى فى تحية امين نخلة فى عدد قادم

ومرة اخرى ... لا سامحهم الله

محنة المؤلف.. هنا وهناك

يعتقد الكثيرون من المؤلفين فى بلادنا العربية ان مهنتهم هى محنتهم ، وان سر هذه المحنة كامن فى الكســـاد الادبى للسوق العربية ، نتيجة للامية والفقر والزهد فى القراءة

ولكن يبدو ان محنة المؤلف ليست مقصورة علينا وحدنا . فقد نشرت مجلة « المؤلف » The Arther التى تصدرها جمعية المؤلفين ببريطانيا اخيرا ، احصائية خلصت منها الى القول بان اجـــر مؤلفى الكتب فى بريطانيا يعتبر « فضيحة قومية » !

وقد اظهرت الاحصائية ان اكثر من نصف المؤلفين ، يقل دخل الواحد منهم عن عشرة جنيهات فى الاسبوع ، وذلك خلال المدة من سنة ١٩٧٠ الى ســـنة ، ١٩٧٢ . وان ربع المؤلفين فقط ، يزيد دخل الواحد منهم على عشرة جنيهات فى الاسبوع ، من اعمال ادبية اخرى غير التاليف ، وان دخل المؤلفين قد قل عما كان عليه سنة ١٩٦٦

كما جاء فى الاحصائية ان ربع عدد المؤلفين الذين ظهرت لهم فى المدة ما بين سنتى ١٩٧٠ و ١٩٧٢ اكثر من خمســة

جهلة الشهر

كتب ، لم يصل دخل احد منهم الى الف جنيه فى السنة ، وان مؤلفا واحدا ، من بين كل اثنى عشر مؤلفا ، هـو الذى يستطيع ان يحصل مقدما على حقوق تأليف تصل الى خمسمائة جنيه ، وان مؤلفا واحدا من بين كل عشرين مؤلفا يحصل على حقوق تأليف درامية أو سينمائية .

ويضيف التقرير « ان الحالة التعسة للمؤلف فى بريطانيا تزداد قتامة لو اقترانا بالعار القومى ، على ضـوء الاصرار العنيد لاصحاب المكتبات فى عدم اقراض المؤلفين ، مما يؤكد ان الطبقة الوحيدة التى لا تستطيع ان تضمن رزقها فى هذا البلد ، هى طبقة المؤلفين » !

فضل .. وطه حسين

جاءتنا الرسالة الآتية من الاديب وحيد عزمى الاشمونى تعقيبا على ما نشرناه عن ديوان شاعر السويس الراحل محمد فضل اسماعيل :

« اطلعت على أبيات المرحوم محمد فضل اسـماعيل المعنونة « الى الدكتور طه حسين » والمنشورة بديوان فضل ص ٢٦٤ والتى تبدأ بقول فضل » :

هبنى ببابك علنى اتدفق   فجلال وصفك حار فيه المنطق

وعددها بالديوان عشرة أبيات .

« وبالرجوع الى القصيدة التى سبق للمرحوم الشاعر محمد فضل اسماعيل ان القاها فى الحفل التكريمى الذى اقامه رجال التعليم الحر بمنطقة غرب الدلتا مسـاء يوم ١٩٤٤/٤/٢٠ بحضور الدكتور طه حسين المستشار الفنى لوزارة (المعارف) فى ذلك الوقت ، تبين أن الأبيات التى اختص بها (فضل) عميد الأدب العربى تبلغ ستة وعشرين بيتا ، . ما أجدر الاستاذ أحمد مصطفى حافظ أن يثبتها بالجزء الثانى من (ديوان فضل) الذى اعلنتم انه بسبيله الى اصداره ، وهذه الابيات هى :

(طه) امام الباحثين وخيـــــرهم
أدبا ... وان كره الدعى الاخـــرق
كشـــف الحجاب عن العقول فادركت
معنى الحيـــــاة فكلها متفتق
هذا هو الاخـلاص اين نظيـــره
ان جـــــاء يوما يدعيه ملفق
عوذت (طه) (بالحســـين) واله
من شر ما يلب الصـــدور ويفسق
هو صاحب الأدب الرفيع وحسـبه
فى الفن أســـلوب طلى مشرق



د . طه حسين

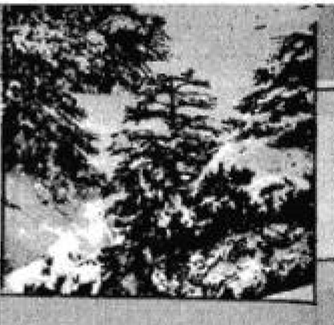
اقرأ له (الأيام) تلق حديثه
فيه انسجام المزن اذ يترقرق
جمع الطرافة والدعابة لم تكن
لتمله .. فالسحر منه محدق
واقرأ له ما شئت فهو محرر
للعقل والتفكير وهو مدقق
في الدين في الأدب الحديث ترى له
ما لا يتاح لدع بتفيهق
(طه) أراك أخا المعرى في الحجا
أتراك من ذبح الضحايا تشفق
ان كان ذلك فالذبيح معلم
بذل الحياة وبات وهو مؤرق
زعموه حرا وهو جد مقيد
وقيوده ذاك المجال الضيق
عقد الزمان له امتحانا قاسيا
او ليس عدلا أن يهيا (ملحق) ؟
ألف الشقاء ولم يجد عطف امرىء
حتى دعاك فجئته تترفق
يا مصلح التعليم حسبك اننا
جئناك اعجابا بسعيك نعتق
ماذا يريد الناقمون وما هو
الا الحقود او الغبى الأحمق
لا يجرمنك منهمو شنآنهم
لك في العلا القدم التي لا تزلق
اد الرسالة للنهاية انما
انت المفوض عن اخ يتحرق
واذكر صناعات البلاد فانها
هي معصم للطامحين ومرمق
يكفيك في الاسكندرية معهد
برقائه النشء الصناع الحذق
كم من رفاق لى هناك قدموا
آثارهم كالبينات ونسقوا
هل من يطمئنهم فقد ذهبت بهم
بعض الظنون وكل ظن يقلق
أن المعلم ان تعثر .. صده
عما يحاوله الشقاء المحدق
لم لا يكون ككل فرد هاهنا
او ليس مخلوقا يعيش ويرزق ؟
هو من يموت لكي تعيش بلاده
هو دوحة في كل يوم تورق
كم بات يطلق الفضا من غيها
هل من يفك اساره او يطلق ؟

● ص . ج ●

إلى شاعر الأرز

« قيلت في مهرجان تكريم الشاعر اللبناني الكبير امين نخلة ، والذى اقيم في قصر اليونيسكو ببيروت في الشهر الماضي »

دعاهُ داعي الندى فالليلُ والعَرَبُ
كلاهما في مدى عينيهِ يحتجبُ
أوفى على الشطِّ مِنْ وادٍ جداوِلُه
دمعٌ يسيلُ ويطويهِ الثرى الخضِبُ
أنسامُه زفراتُ الهَمِّ صعَّدها
على الهزيمةِ مغلولٌ ومكتئبُ
أحلامُه صيحاتُ الخيلِ صافنةً
اذا الفوارسُ عن خَوْضِ الوغى رغبوا
آلامُه كدموعِ الرسْلِ ساهمةً
ان هاجروا في سبيل الله أو صلبوا
أنغامُهُ زَغْرِداتُ الحيِّ إذ هتفتْ
أمُّ الشهيد له والنعشُ يقتربُ
أيّامُه لو درى التاريخ حاضِرها
تراجَعَتْ فيه عن آمالها الحِقَبُ



● د . عبد المنعم الرفاعى ●

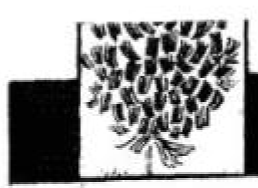
ودعته وحملت الشوق فى كبدى
إلى ذرى جبل تزهى به الشهب

* * *

لبنان يامولدى هل فيك منتجع
لوافد عض من تجواله التعب
أرداته من غبار العمر مثقلة
وزلته بالطراد الوعر مختضب
هانت عليه الأمانى بعد ما رخصت
فما استخفه به معنى ولا لقب
وحاد عن دوحه لما بلابله
تنثى عليها غراب بعدها نعب
تداولت شذرات الأيك زعنفة
تمتص من زهره النامى وتستلب
أكلما أسرج الأحرار خيلهم
تناوح الرعب فى الاندال والرهب ؟!

* * *

لبنان يا مسرح الأحلام مرحمة
إن هاجنى ألم أو هزنى طرب



إلى شاعر الأرز

لكَ الجلالُ ، وهــذا السهلُ متكئٌ
على علاكَ وهـذا البحرُ منسحبُ
لكَ الجمالُ ، وكم زهرٍ وكم حَدَقٍ
تشابهتْ بينها الأوراقُ والهُدُبُ
لكَ الدلالُ ، وصمْتُ الليل منسدل
على ذراكَ وبَوْحُ الصبح منسكب
لك النضـال ، وهذى الأرض طاهـرة
مـاء نمير يجـاريه الدم السَرِبُ

* * *

أمـا ركبتَ الردى جنّتْ عجـاجته
وليس غير سـناكَ الجحفلُ اللجبُ
عقيدة كالجبـال الشم راسـخة
وقد تهـاوتْ على إيمـانِكَ الرِيَبُ
وفتيـةٌ آمنـوا بالله وانطلقـوا
عَبرَ الشـهادة لليومِ الذى كتبـوا
يغشـاهم الزعزع العـاتى فأن قصفَت
يد المنيّـة غصـناً فالثرى خَصِبُ
مُسـتَشهدونَ كأنهُ الموتَ ماخفقت
أعـلامُه فى الذرى الا بما نصـبوا

* * *

ماذا أحـدث بالبنانَ هـل نبـأ
لم تروهِ سـيرٌ أو تحـوهِ كتبُ

حتى المــآذن تمسى وهى نادبــة
حتى النواقيسُ تُضحى وهى تنتحبُ
من كـل مـريمَ أو من كل فاطمـةٍ
عذراءَ فى الساحةِ النكراء تُغتَصبُ
يافا تحدّثُ حيفـا عن جراحتهـا
والقدس تسـأل أين الدين والعربُ ؟ !
ونحن فى غفـلة الأوهـام يحجبنـا
عن واريات العـلا البهتـان والكـذب
هـل ثـورةٌ كهـزيم الرعـد هادرةٌ
يشـدُّها الجامحان : الثأرُ والغضبُ
تنهـار تحت صـداها كلُّ قنطـرةٍ
جوفاءَ ينخرُ فيها الضعف والعطبُ
* * *
ياموطنَ الوحى مالى منبـرٌ أنِفٌ
إلاكَ حرٌّ ، ومالى مقـولٌ ذَرِبُ
على ثراكَ الدمُ المسـفوح وحّدنا
وفى حماكَ دعانا الشعرُ والأدبُ
وقيـل أين ؟ فقلنـا نحو شاهقةٍ
من البيان تمثّتها السبعةُ الشهُبُ
الى الذى ساجَل الفصحى روائعها
وقال منكِ إليكِ الفتنةُ العجَبُ
الى الذى رَقّ فانسـابت قصائده
مع النسـيم ومال الزهر والعشبُ
ومسّ كأسَ الطلى فالخمرُ والبهـة
تشـوى ويرقصُ فى أطرافها الحببُ



إلى شاعر الأرز

صَبٌّ أخو غزلٍ هيمانُ مسرحه
سهلُ الهوى وروابي السحرِ والشُعَبُ
تأنّقَ الفنُّ في ناديه يحمله
الى الجمالِ خيالٌ جامحٌ يثبُ
واستكبر الريفُ واخضلّت جوانبُه
واهتزَّ من زهوهِ العنقودُ والعنبُ

على المروجِ وفي دربِ الصَّبا وعلى
عرائشِ «السُّقى» منه وارفٌ رطبُ
وقيلَ أينَ ؟ فقلنا نحوَ مَنْ هتفت
له المنابرُ والأعلامُ والقببُ

الى فتىً عربيٍّ غيرِ ذي عوجٍ
وقد تطاولَ فيهِ الفرعُ والنسبُ
مِنْ « نخلةٍ » ، من بني مخزومَ باسقةٍ
طابتْ وطابَ الجنىوالخوصُ والرطبُ

إذا « الرشيدُ » نأى عن أفقِ منزلةٍ
دَنا « الأمينُ » فمنحازٌ ومقتربُ
أبا « السعيدِ » وكمْ بحلو النداءُ به
حالي كحالِكَ .. نجلٌ واحدٌ وأبُ ..!
أسهرته النسرَ واستلهمته فإذا
أرخصته العمرَ فهو الروحُ والسببُ

أعيشُ فيــهِ كأنى خـالدٌ أبـداً
تفنى الجذوعُ ليحيا بعدها العَقبُ

* * *

ناشدتُك الحبَّ هل أدركتَ غايتهُ
أمْ كلما جُزت شاأواً أمعن الطلبُ ؟
أيانَ ترسو ؟ ودنياكَ التى عمرَت
بالحسنِ والحبِّ ما تنفكُّ تجتذبُ .. ؟
سبعونَ حولاً من الأشواقِ تدفعُها
فى لجةٍ مِنْ أمانٍ موجُها صَخِبُ
عادت اليك وفى أطرافِها سقمٌ
وقد تحن الى اغمادها القضبِ
وقفتَ فوقَ ذُراها سيداً علماً
وخلفكَ الليل والأنواءُ والسُحبُ
يهنيكَ ، يهنيكَ ، هذا العقد تحملهُ
مرصّعاً وحُلاهُ الماسُ والذهبُ
جئنا اليكَ وطرفه الليل يلمحنا
عشاقُ شعركَ لكنْ بيننا حُجبُ
خُضنا الحياة من البابِ الذى ازدحمتْ
هوجُ الرياحِ به والعَصفُ واللهبُ
مراتِبُ المجدِ ما تنفكُّ تلفحنا
وكمْ تضيقُ بأربابِ العُلا الرتبُ
حسْبُ النجومِ إذا فى ليلِها أتلقت
أنْ يرصدَ النورَ فيها الصيدُ والنجب

● عمان ● ● عبد المنعم الرفاعى ●



القصة القصيرة

القصة المصرية لها تاريخ طويل يمتد الى الفى سنة قبل الميلاد على الاقل ، أى منذ العصر الذى يعرف فى التاريخ ــ الفرعونى باسم القرون الوسطى • لقد عرف المصريون القدماء القصة القصيرة وابدعوها كما أبدعوا فنونهم وتماثيلهم ومعابدهم ومقابرهم• وقد حفظت لنا آثارهم الواحا عليها بعض هذه القصص •

ومما يلفت النظر أن القصص الافريقى ــ وهو احدث من الادب الفرعونى ــ لم يكن الا نوعا من سمر الاطفال ، اذا قورن بقصص مصر الفرعونية التى كانت اعمالا ادبية يقرؤها ويكتبها شباب الكاتبين • أى أنها لم تكن مجرد حكايات شعبية بل كانت موجهة الى خاصة القراء ، تتميز بالبيان واللغة والاسلوب على نحو ما نجد فى قصة تاجر الملح أو الفلاح الفصيح الذى رفع شكواه الى اكبر موظفى الدولة بسبب ما وقع عليه من ظلم وقد توسل بتسع شكاوى انتهت بانصافه وثأرت ممن ظلمه •

ويبدو أن الشكاوى التسع لم تكن الا وسيلة فنية من مؤلف القصة لاظهار براعته اللغوية ، وهو لا يخفى ذلك حين يذكر أن الحاكم وقد أعجبته فصاحة « خونانوب » ، أخبر الملك أن فى رعاياه فلاحا فصيحا،فاغتنم الفرصة وأمر « رينسى » الا يبت فى أمر ذلك الفلاح الفصيح حتى يكرر الشكوى فيكون ذلك مصدر خطب بليغة يغتنى بها الادب ويكتسب مادة ممتعة ، بينما امر حاكم المنطقة التى تعيش فيها اسرة الفلاح بأن يرعاها حتى يتم الفلاح شكواه • وهكذا القى الفلاح تسع خطب رائعة فى موضوع هذه الشكوى •••

ويدلنا ذلك على اهتمام بالشكل الى جانب الاهتمام بالاسلوب حيث يستخدم التشبيه والرموز والحكم الشعبية والامثال • وهذا معنى قولنا ان القصص الفرعونية قد ارتفعت من مجرد الحكايات الى المستوى الفنى الذى يتناسب وعصرها • وكان بعض هذه القصص لها اصل تاريخى وبعضها من نسج الخيال •••

بعضها فلسفى مثل قصة « الصدق والكذب » حيث تتقابل شخصيتان رمزيتان هما الصدق والكذب ينتصر فيهما الأول على الثانى وبذلك يغلب الخير الشر •• وبعضها نفسى مثل قصة الاخوين التى تذكرنا بقصة يوسف وامرأة العزيز حيث تكيد المرأة للشاب الذى تحاول اغوائه وتفشل وتحرض عليه زوجها لينتقم لها منه •• وبعضها قصص معجزات وغرائب وسحر • ولا يجب أن نخلط بين هذه القصص والاساطير الفرعونية مثل اسطورة ايزيس وأوزوريس • وست وحورس ؛ فهذه تتصل بقوى ميتافيزيقية ، وابطالها من الآلهة ، وتعبر عن عقيدة دينية وذلك على غير القصص التى نشير اليها •

ويقول جوستاف لوفيفر فى كتاب « روايات وقصص من العصر

في التراث العربي

● "السيرة" قالب يتأرجح بين المجموعة القصصية والرواية.

● كانت كليلة ودمنة .. بداية تعرف العرب على القصة القصيرة بمعناها الفنى

● القصة القصيرة بالمعنى الحديث ليست إلا مرحلة من مراحل تطورها .. سبقتها فى ذلك مراحل وستتلوها مراحل أخرى

المتنبى : بين امارات الوطن العربى حيث المال والشهرة



الفرعونى ٠ انه بمقارنة هذه القصص القديمة بقصص أقرب زمانا منهـــا كالقصص العبرية والهندية والعربية واليونانية والاوربية ، نجد تشـــابها ظاهـــرا فى بعض مقطوعاتها وتلك القصص الحديثة نســـبيا، وان كان وجه المقارنة فى موضوعها الاساسى بعيدا ٠

والى جانب هـــذه القصص نجد قصصا اخرى تلقتها فى عصر البطالسة واخرى وصلتنا من مخطوطات اغريقية وقبطية ، لقد قامت فى وادى النيل حضارات ازدهرت ثم انهارت ، وكان لكل منها دينها ولغتها وثقافتهـــا ومنظماتها وأســـلوبها فى الحياة ٠ حتى جاء الفتح العربى فى مســـتهل القرن السابع الميلادى فجلب معه الى البلاد لغة ودينا وثقافة جديدة وصارت مصر احدى ولايات الخلافة الاسلامية٠ وفى القرن الثانى من العهد الاسلامى حلت ادارة عربية تســـتخدم لغتها ٠ وساعد على انتشارها اســـتيطان الجماهير من القبائل العربية المهاجرة من بلاد العرب الى مصر ٠ وفى القرن العاشر الميلادى أصبحت العربية اللغة الرئيسية فى مصر ، حتى الاقباط فى مصر أصبحوا يتكلمونها مع احتفاظهم ـ حتى اليوم ـ بلغتهـــم القبطية فى كنائسهم يمارسون بها خدمتهم الدينية الى جانب العـــربية ٠ وكانت اللغة العربية قد اصبحت ثرية بتفاعلها بما حولها من حضارات فارسية وافريقية ورومانية وما نقلته من فلســـفة وأدب وان كان العرب لم يعنـــوا بترجمة

الدراما الاغريقية . ومع التزامهم بتقاليد الكتابة الفنية التي غلبت قبل الاسلام لا سيما الاحتفاظ بعمود الشعر العربي ، الا أن كثيرا من التغييرات كان لا يمكن تجنبها بحكم الاوضاع الحضارية الجديدة والاحتفال بالثقافات الاجنبية ، ودخول الكثيرين من أبناء هذه الثقافات الاسلام ، واتخاذهم العربية لغة لهم .

وقام المصريون بنصيبهم فى صبغ ماتلقوه من ثقافة عربية بطابع مصرى كان اوضح ما يكون فيما عرف بالادب الشعبى . ولكن لم يحدث ابدا منذ ذلك الحين أن انفصل الادب المصرى انفصالا واضحا عن الادب العربى ، فقد ظل التفاعل - ولا يزال - بين الاداب المختلفة التى تبدعها مختلف البلاد التى تتكلم العربية . فادب اللغة الفصحى أصبح متداولا بين جميع دول المنطقة ، وما أن يظهر شاعر عربى فى منطقة من مناطق العالم العربى حتى يجد ان من حقه ان يتجول بين مختلف اماراته ، يقصد حكامها حيث يأمل أن يجد من الشهرة والمال ما لم يجده فى مناطق أخرى على نحو ما فعل المتنبى . وهكذا يصبح الشاعر ملكا للناطقين بالعربية جميعا .

وقد عرف هذا الادب المكتوب بالفصحى انواعا من القصة القصيرة وان لم يعرف الرواية . وفى مطلع القرن الثانى الهجرى أى الثامن الميلادى ، ترجم ابن المقفع الفارسى المسلم الخرافات الحيوانية المعروفة باسم « كليلة ودمنة » عن نسخة بهلوية مأخوذة عن أصل هندى . وكانت هذه هى بداية تعرف العرب - فى رأى الكثيرين - على القصة القصيرة بالمعنى الفنى باستثناء الفقرات القصصية فى القرآن الكريم .

هاهنا نحب أن نقف وقفة ، فلست من أنصار القول ان القصة القصيرة ولدت فى الغرب عندما قدم « ادجار الان بو » أفضل محاولاتها المبكرة فى النصف الاول من القرن التاسع عشر .

فالقصة القصيرة بهذا المعنى الغربى ليست الا مرحلة من مراحل تطورها ، والا قلنا - كما عبر احد نقادنا - ان القدماء لم تكن لهم بيوت يسكنونها ولا اثواب يرتدونها أو طعام يأكلونه لان بيوتهم واثوابهم وطعامهم مختلفة عن مثيلها فى الوقت الحاضر . ان هذا لا يختلف قط عن قولهم ان العرب لم تكن لهم قصة .

ففى رأينا ان القصة القصيرة تتطور شأنها فى ذلك شأن مبدعها الانسان ، ولقد مرت فى مراحل متعددة لتلبى حاجات اجتماعية ونفسية عند الانسان منذ طفولته كفرد ومنذ طفولته كمجتمع بدائى . والقصة القصيرة بالمعنى الحديث ليست الا مرحلة من مراحل تطورها سبقتها فى ذلك مراحل وستتلوها مراحل أخرى .

وهؤلاء المعترضون يأخذون على القصة العربية القديمة انها كانت اقرب الى الخبر أو التاريخ وبالتالى اقرب الى الواقع بينما هى اليوم لها وجودها المستقل عن الواقع وان كانت مستمدة منه . ولكن ذلك لم يكن حال القصة العربية فقط بل هو حال كثير من الفنون الاخرى وابرزها الفن التشكيلى الاغريقى فالاوربى . فقد كان هذا الفن حتى عصر النهضة يقاس بمدى دقة انطباقه على الواقع المأخوذ عنه ، ودوره ينحصر فى اختيار هذا النموذج دون ذاك . ومن هنا رأى افلاطون أن الفن هو تقليد التقليد ، باعتبار ان الواقع الذى يأخذ عنه الفن ويقلده ليس الا تقليدا لما فى عالم المثل .. فاذا صور احد الرسامين مقعدا



عنترة : فى الســير
الشعبية الاصيلة

فانه يقلد هذا المقعد ، والمقعد بدوره ليس الا تقليدا للمقعد الموجود فى عالم المثل ·

وقد قطع الفن التشكيلى الحديث صلته المباشرة بفكرة التقليد ، وترك هذه المهمة لآلة التصوير ، وطرق ميادين لاتستطيع ان تسجلها آلة التصوير كهواجس الانسان الداخلية وتناقض مشاعره · ومع ذلك فان احدا لا يجرؤ على الغاء كل ما رسم من لوحات وما نحت من تماثيل قبل عصر النهضة من تاريخ الفن · فالقصة ـ الخبر ، او القصة ـ التاريخ ، شبيهة تماما باللوحة ·· كل منهما مرحلة من مراحل الفن الذى تنتمى اليه ·

ومحاولة التغلغل فى نفسية الشخصيات لا ينعدم فى القصص القديمة ولكنه يتضاءل الى حد كبير بحيث لا يكاد يقوم بدور فى البناء القصصى ، بينما قد تصل فى القصة الحديثة الى الطرف المقابل اى قصة المونولوج حيث تكاد الحركة الخارجية للشخصيات تنعدم لتحل محلها حركتها الداخلية ·

ولا شك أن هذا التطور يرجع الى عوامل كثيرة لعل من أهمها انتشار الطباعة ، فالحكاية القديمة ـ قصيرها وطويلها ـ تعتمد على الرواية الشفاهية اكثر مما تعتمد على الكلمة المقروءة· وهو عكس الوضع بالنسبة للقصة الحديثة · ومن الواضح أن رواية التحركات الخارجية لابطال القصة مشافهة أمر ميسور بينما يكاد يتعذر ذلك بالنسبة لتتبع الخلجات النفسية وهو ما تتحمله الكلمة المكتوبة او المقروءة · فالقصة الحديثة موجهة اساسا الى القارىء ، بينما الحكاية القديمة موجهة أساسا الى السامع ·

ولعله لهذا السبب ارتبط ظهور القصة الحديثة بانتشار التعليم من ناحية أخرى أى القدرة على القراءة ، وأدوات النشر لا سيما الصحافة من ناحية ثالثة أى انتشار الكتابة ·

لهذا فعندما نحدد خصائص القصة ـ قديمها وحديثها ـ علينا ان نقوم بمهمتين · مهمة تحديد خصائص القصة القصيرة عامة بحيث نفرق بينها وبين الاشكال الادبية الأخرى بقدر الامكان ، والثانية ان نفرق تفرقة اخص بين الحكاية القديمة والقصة القصيرة الحديثة · ويمكن لمهمتنا الا تقف ·· فنقوم بتفرقة أدق بين القصص القصيرة فى مختلف المدارس الادبية ، بل بين قصص كاتب وكاتب ، حتى نصل الى التفرقة بين قصة وقصة لكاتب واحد·

وهذا التطور الجوهرى فى القصة ـ وفى الفنون بوجه عام ـ مماثل لما وقع فى مجال العلوم على اثر ما ادخل من تطورات على اختراعى المقراب والمجهار او التليسكوب والميكرسكوب ، مما كشف عن عالم ابعد من متناول الحواس الانسانية ، فلم يعد الفنان ـ كما لم يعد العالم ـ يقتنع بما تصل اليه تلك الحواس ، بل مضى ـ كل بطريقته ـ يستكشف ما دق أو نأى عن حواس الانسان ·

ويبدو أن المدرسة القصصية المعاصرة فى فرنسا ـ والتى تعرف بالمدرسة الشيئية ـ تحاول العودة الى

اساليب القصة القديمة وان كان فى صـــورة متطورة ، فهى تدعو الى الاقتصار على تتبع الاشياء ورصد الحركة الخارجية للشخصيات القصصية دون اسقاط انسانيتنا على الوجود متأثرة فى ذلك باسلوب السينما حيث لا مجال لتعرف المشاهد على ابطاله الا من خلال حركتهم وما يحيط بها من اشياء لها دلالتها .

بهذا الفهم نستطيع أن نعلن أن تراثنا العربى عرف القصة ـ الخبر او القصة ـ التاريخ ، كما عرف النـادرة او الحكاية الشعبية ، وقصص الحيوان والقصة الفلسفية ، والمقامة التى بدت فيها بل طغت عليها الصـنعة الفنية ، بل لقد عرف التراث العربى المجموعات القصصية التى تمتـاز عن كثير من مجموعاتنا المعاصرة بانها كانت تندرج تحت موضوع واحد مثل كتاب البخلاء للجاحـــظ ، (١٦٠ هـ ـ ٢٥٥ م) والمكافاة وحسن العقبى لاحمد بن يوسف المتوفى عام ٣٢٩ هجرية ، والفرج بعد الشدة للتنوخى المولود عام ٣٢٧هجرية والمتوفى عام ٣٨٤ هـ . ومصـارع العشاق لابن السراج المولود عام ٤١٧هـ

ابو العلاء : رسـالة الغفران والتشابه الكبير بالكوميديا الالهية



والمتوفى عام ٥٠٠ هـ .

بل ان بعض هذه الكتب مبوب يجمع فى كل باب مجموعة قصصـية تحت موضوع واحد اكثر تحديدا . فأحمد ابن يوسف الذى كان كاتبا فى خدمة الطولونيين بمصر ينقسم كتابه الى ثلاثة ابواب : المكافاة على الحسن ، فالمكافاة على القبيح ، واخيرا حسن العقبى .

فان لم تكن القصص تندرج تحت موضوع واحد فقد حرص مؤلفوها أو جامعوها على ان يربطوا بينها برباط فنى على نحو ما نجد فى قصص الف ليلة وليلة ،فكلنا يعـرف قصة الملك شهريار ، الذى اكتشـــف خيانة امرأته له مع عبد أسـود فجعل يتزوج كل ليلة بعـــروس يقتلها فى الصباح انتقاما ممن خانته وحتى لا يعطيها فرصة لخيانته ، الى ان تطوعت شهر زاد لانقاذ بنات جنسها واحتالت على الملك بأن تبدأ كل ليلة قصة لا تتمها الا اليوم التالى . وهكذا ارتبطت قصص هذه المجموعة بهـذا الخيط الفنى ممـا اعتبره المحاولات المبكرة لما تطور فيما بعد الى ما يعرف اليوم بالرواية .

واذا كانت الف ليلة وليلة قد نقلت بعض اصولها عن الفارسية أو الهندية فهناك السير الشعبية التى حفل بها الادب العربى مثل سيرة الهـلالية ، وسيرة عنترة ، والاميرة ذات الهمة ، وحمزة العرب ، وعلى الزيبق ..الخ والسيرة قالب يتارجح بين المجموعة القصصية والرواية . لان السير فى الواقع يمكن النظر اليها كمجمـوعة قصصية لكنها اكثر ترابطا مما هى فى الف ليلة ، فلا تجمع بينها مجرد حيلة عروس تريد ان تبقى على حياتها مع زوجها الراغب فى القتل والانتقام ، بل يجمع بينهما بطل السـيرة ، لهذا فالقصة التالية تستفيد ـ ولا نقول تبنى ـ من القصة السابقة .

ففى سيرة على الزيبق بن حسن رأس الغول مثلا نجد انه اذا استولى الزيبق

فى احدى قصصه على السيف المرصود فانه يستعمله فيمـــا يتلو ذلك من قصص . والزيبق لا يكاد ينتهى من ملعـــوب أو نقيلة الا ليبدأ آخـــر . (والملعوب اختبـــار لقوة البطـــل وشجاعته وذكائه فى اطار الحـــدود الانسانية اى مع انداد له من عـــالم الانسان ، اما النقيلة فهى اختبـــار للبطل فيما وراء الحـــدود الانسانية حيث يلتقى بجان أو سحر أو حيوان خرافى أو اشياء مرصوده)

ولئن كان كل ملعـــوب وكل نقيلة لها عقدتها الخاصة بحيث تصبح قصة قصيرة مستقلة الا انها ترتبط مع غيرها من القصص من ناحية أخرى . ثم يلتقى الزيبق بأبطال يشـــبهونه وان كانوا اصغر منه شانا ويتكرر معهم ما سبق وقوعه مع بطلهم فهم تكرار للتكرار . وهكذا تتعدد القصص فى قصة واحدة طويلة . فهناك شخصية واحدة تربط بين القصص هى شخصية صاحب السيرة لكنها جامدة لا تتطور حتى أنها تشـيخ فجأة دون تمهيد فى قصص سابقة . وجمود الشخصيات يسلبها أية خبرة فلا تحذر شرا جديدا بسبب شر مماثل وقعت فيه من قبل كأنها لا ذاكرة لها ، وهـــذا بسبب استقلال كل قصة عن الاخرى . وهذا هو سبب تعـــــدد القصص المماثلة المتشابهة ، حتى اذا سرد المؤلف عددا كافيا منها وضع حدا لها .

لهذا فنحن نحس ونحن نقرأ هذه السيرة كأننا نشاهد أحد الافلام التى انتجت فى بداية اختراع السينما حيث يبدو الفيلم مجموعة صور ، تقدم فى مجموعها قصة حقا ولكن كل صورة تنفرد واحدة بعد الاخرى مستقلة عما سبقها أو يتلوها .

وهنـــاك طريقة ثالثة للجمع بين مجموعة من القصص نجدها فى ألف ليلة وليلة أيضـــا ، تلك هى طريقة القصص المتداخلة اى رواية قصة من داخل قصة ..

وهكذا نجد أن العرب لم يعـــرفوا القصة القصيرة فحســـب بل عرفوا المجموعات القصصية وحرصوا على أن يبرروا وجودها معاً ، مرة عن طريق الموضوع الواحد ، ومرة عن طريق خلق رباط فنى ، ومرة ثالثـة عن طريق التداخل .

فاذا أردنا ان نلقى نظـرة سريعة على الخصـــائص الفنية لاشهر أنواع القصة القصيرة كما عرفها التـــراث العربى فيمكننا ايجازها فيما يلى :

أولا : القصة ـ الخبر :

وهى كما قلنا تجمع بين التاريخ والفن ، فقائلها يحرص على تتبـــع مصدرها كأنما وقعت فعلا ، وقد تكون كذلك حقا ولكن لا شك أن انتقالها من جيل الى آخر حذف منها وأضاف اليها، واذا وجدت اكثر من رواية فكل رواية تعبر عن عصرها .

ومن الخطأ فى هذا المجال اعتبار ان هناك اصلا واحدا وان الروايات تحريف لها . فنحن فى مجال فن ولسنا فى مجال تاريخ ، ولا تخدعنا محاولة القصاص ايهامنا انه ينقل عن واقعة حقيقية . وليس حرص الراوى عـلى ذكر مصادره الا نوعا مما يعرف بعملية الايهام بالواقع ، على نحو ما كان يفعل كتاب القصة الغربية فيما بعد حين كانوا يزعمون انهم وجدوا قصتهم بين مخلفات قريب او صديق مات أو انها وصلتهم بالبريد .. الى آخر هـــذا الايهام بأن أحداث الرواية وقعت فعلا.

والحركة فى القصة ـ الخبر ، من الخارج فقط ، وقد يكون فيها شىء من الرمز ومن المعنى ، لكنها قلما تكشف لنا عن الخوالج النفسية لشخصياتها أو صراعهم الـــداخلى بين عاطفتين متناقضتين .



ولهذا يجب ان نفصل بوضوح بين نثر هذا القصص والقصص الذى يبدعه أفراد على أساس فنى يعى أصحابه تطوره ويحاولون أن يلتزموا خطه وارع أضافوا اليه ٠ فلا تستخدم نفس المعايير فى نقد وتقييم قصة للجاحظ فى بخلائه ، واخرى لمحمود تيمور فى احدى مجموعاته ٠

ثانيا : النادرة ـ وتتميز بما يلى: من حيث الحجم قصيرة نسبياً

ولا يزال الاهتمام بالحركة الخارجية اكثر من الحركة الداخلية للانسان وهو طابع معظم قصص تلك المرحلة رغم وجود مغزى تدور حوله النادرة ، اما فى شكل نقد أو سخرية من وضع ما ، أو من نمط من أنماط الشخصية ، واما فى شكل عظة انسانية ٠

وابطالها عادة ما يكونون من الظرفاء أو السكارى أو البخلاء أو المغفلين الحمقى أو الاذكياء٠كما تغلب عليها المفارقات التى تنتج عن الغباء أو البلادة أو الخدعة ٠

وهى قلما تتجه الى الخوارق

ومعظمها يختتم بلفتة ذكية غالبا ما تبعث على الابتسام ٠

وهى سريعة الحفظ والانتشار بسبب ما فيها من مفارقة وما تثيره من ضحك ولقصرها الشديد ، ولأنها تستخدم للتشبيه أو للسخرية أو التعليق على مواقف مشابهة فى الحياة الواقعية ٠

ومن اشهر النوادر العربية نوادر جحا وابى نواس ،

اما قصص الحيوان : فقد تأثر فيها العرب بالتراث الادبى فى كل من الهند وفارس على نحو ما نرى فى كتاب كليلة ودمنة ٠

وحكاية الحيوان قصيرة تقوم باحداثها حيوانات تتحدث وتتصرف كالناس وتحتفظ مع ذلك بسماتها الحيوانية وكلها تقصد الى مغزى اخلاقى ٠

والقصة الفلسفية: عرفها العرب، ولعل أهمها قصة حى بن يقظان رغ تداولها اكثر من فيلسوف مثل ابن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) وابن طفيل (٥٠٦ ـ ٥٨١ هـ) والسهروردى المقتول عام ٥٨٧ هـ

واشهر هذه القصص الثلاث قصة حى بن يقظان لابن طفيل وبطلها «حى» نشا فى جزيرة منعزلة وكان من الذكاء بحيث استطاع أن يقوم بحاجات نفسه وفى الوقت نفسه استطاع أن يصل الى معرفة الله ، والاتصال به ، ثم التقى برجل من جزيرة مجاورة أسمه ابسال فعلمه الكلام ، واكتشف ابسال أن ما وصل اليه « حى » من عقيدة هو نفسه الدين الذى يؤمن به فطلب اليه أن يكشف لاهل الجزيرة المجاورة ما وصل اليه من الحقائق العليا ، غير أنه لم ينجح فى ذلك ، فوجد حى وإبسال نفسيهما مضطرين اخر الامر الى الاعتراف بأن الحقيقة الخالصة لم تخلق للعوام لانهم مكبلون باغلال الحواس فعادا الى الجزيرة المهجورة ٠

ويقال أن هذه القصة مأخوذة عن قصة سابقة بعنوان « الصنم والملك وابنته » فيها بعض الاحداث المتشابهة كما تلاحظ انها شبيهة بقصة « ربنسون كروزو » لدانيل ديفو (١٦٦٠ ـ ١٧٣١ م) » من بعض الوجوه ، وان لم تنطو القصة الانجليزية على الجانب الفلسفى الكبير الذى انطوت عليه قصة ابن طفيل ٠٠ فاحداث القصة الفلسفية وشخصياتها ليست الا رموزا الهدف منها هو تصوير القضايا الفلسفية باسلوب درامى حتى يصبح اقرب الى الافهام من الاسلوب الفلسفى المجرد ٠

والذى يهمنا فى قصة « حى بن يقظان » هو استخدام مؤلفها الفن القصصى فى عرضه لفلسفته على هذا النحو الاصيل الذى يبدو سابقا لزمنه بكثير ٠ وهو كما رأينا قصة رمزية تقوم على التوفيق بين الفلسفة



صلاح الدين : ذكره
بوكاشيو في مجموعته

والدين ، وعلى بيـــان أن التأمل والايمان الحقيقي طريقان مؤديان الى نتيجة واحدة ، هي الاتصـال الوثيق بالله والاتحاد به ، وهي ثانيا تعتبر أن حياة الروح السامية لم تخلق الا لقلة من البشر ، أما العامة فيكفيهم الايمان الساذج البســيط والاخذ بمظاهر الدين وطقوسه وشكلياته •

اما فن المقـامة فلم يبدأ في النثر العربي مكتمل البناء على النحو الذي عرفناه عند الهمذاني والحـريري ، بل امضى طفولته الاولى في الاســاطير والحكايات الشعبية القديمة للعرب ، ثم في الروايات والاحاديث القصصية التي فسرت بها بعض امثالهم ، حتى ظهـرت في كتب التعليم اللغوي في القرن الثالث ، تحتال بوضـع مادة الدروس في قالب مشــوق • كما ظهرت الامالي ، واكثـرها عن ابن دريد ، وقــد كانت آثار ابن دريد هي المرحلة الحاسمة التي نقلت هـذا الفن من حالته التعليمية الى الفن الخالص في العــرض ، وان عادت بعد ذلك الى أصـلها التعليمي بعد مقامات الحريري •

وهناك اجماع على أن بديع الزمان الهمـذاني (٣٥٨ ـ ٣٩٨ هـ) الذى عاش في القرن الرابع الهجرى وتوفي في الاربعين من عمـره ، هو الذي وضع أصول المقامة الفنية • ثم جاء بعده الحـريري بنحو قرن (٤٤٦ ـ ٥١٦ هـ) ثم قلدهما من بعدهمـا كثيرون من أشهرهم في العصـر الوسطى السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ •• وفي العصر الحديث اليـازجي (١٨٠٠ ـ ١٨٧١ م)

ويتلخص موضوع المقامات في أن راويها وهو عيسى بن هشام عنـد الهمذاني والحارث بن همـام عند الحريري ـ يمر ببلد من البلاد في بعض أسفاره فيلتقي بأديب متصعلك هو ابو الفتح الاسكندراني عند الهمذاني وأبو زيد السروجي عند الحريري ، يقوم بحيلة من حيله فيعرفه الراوية بعد مشقة لاحكامه التنكـر ثم ينتحى به ناحية بعد أن فاز الصعلوك بمـا استطاعه من أموال الناس فيعتذر له الصعلوك بأن الزمان لم يبق له الا هذه الطريقة لكسب القوت ويكون هـذا الاعتذار في أغلب الاحيان ابياتا من الشعر تختم بها المقامة •

ولعل المقامة الابليســية من اهم مقامات الهمذاني ، فهي تدور على لقاء عيسى ابن هشام لابليس في وادي الجن حين ضلت منه ابل فخرج في طلبها • وواضح ان هذه المقامة قد اوحت لبعض من تلاه من الادباء بأروع الاعمـال الادبية لاسيما رسالة الغفـران لابي العلاء المعري التي فيها مشابه كثيرة من الكوميديا الالهية للشاعر الايطالي « دانتي » والتي كتبها بعد أبي العلاء المعري بعدة قرون •

وقد اختلف الرأي في المقامة فالبعض يرى أنه ليست لها أية قيمة قصصية وان كانت قد وضعت في القالب القصصي •• وكل الهدف الذي يرمي اليه المؤلف هو الموعظة أو النكتة أو الالغاز اللغوية والنحوية ، فالمقامة في نظر هذا الرأي هي مجرد حديث أدبي بليغ اســاسه

العرض الخارجي والحلية اللفظية .

لكن هناك رأيا آخر يرى أن كل المقامات ليست في مستوى فني واحد وبعضها يكاد يقارب فن القصة القصيرة حتى بمعناها الغربي الحديث وإن كانت أكثرها لاتحتوى حقا إلا على زخرفة لفظية وحشد لألفاظ منتقاة وتشتمل على نسبة كبيرة من غريب الكلام .

على أية حال فالمقامة تتميز عن بقية الانواع الاخرى بأن لها مؤلفا معروفا وأنها وضعت خصيصا لاغراض أدبية وأن الصنعة - وربما التطرف في الصنعة - واضحة وضوحا لا ريب فيه، لعل أميزها ذلك السجع الذي أصبح سمة من سماتها لا ينفصل عنها .

***

وفي العصور الوسطى حدث تفاعل بين الشرق والغرب عن أكثر من طريق، طريق التجارة وطريق الحروب الصليبية ثم طريق الاندلس وصقلية وجنوب ايطاليا ، فعرف الغرب عدة مجموعات قصصية مثل كليلة ودمنة عن طريق النص العربي ، وذلك في القرن الثامن الميلادي . كما عرف قصة السندباد - وهي كذلك مثل سابقتها من أصل هندي ولكنها لم تترجم الا عن النص العربي . كما عرف العالم الغربي فن المقامة العربي ، حتى أن مؤرخي الادب الاسباني يشيرون الى امكان تأثير هذا الفن في مولد لون جديد في الادب القصصي الاسباني المعروف باسم القصة البيكارسيه ، حيث نرى الشاطر أشبه ما يكون ببطل المقامة ، فهو في الغالب شخص من أصل وضيع يعيش في بيئة قاسية ويعاني من آلام الجوع والبطالة، غير أنه يستعين بالمكر والحيل وخداع البسطاء والسذج ، كأنه ينتقم من ذلك المجتمع الذي لا يحترم الا الاغنياء والاقوياء . فهو يسخر منه ويحتال عليه ما وسعه ذلك .

كما عرف الغرب قصة حي بن يقظان الفلسفية وكانت أول ترجمة لاتينية لهذه القصة في اكسفورد عام ١٦٧١ للعالم الانجليزي ادوارد بوكوك .

وليس هنا مجال تتبع أثر هذه القصص في الأدب الاوربي ، انما يكفي أن نشير الى مجموعة القصص المعروفة باسم « ديكاميرون » لجيوفاني بوكاشيو . فالتأثر فيها واضح ببعض المجموعات القصصية المترجمة عن العربية مثل ألف ليلة وليلة ، شكلا ومضمونا ، والثابت الآن أن هذه المجموعة القصصية وإن كانت من أصل هندي إلا أنه أضيف اليها قصص مؤلفة في عصور تالية وفي أماكن متفرقة ، من أهمها قصص مصرية التأليف تدل على ذلك لغتها وموضوعاتها .

والذريعة التي اتخذها بوكاشيو لحكاية قصصه المائة - نلاحظ أنها عدد عشري مثل الالف - أن وباء أسود اجتاح فلورنسا ففتك بحوالي نصف سكانها ، فشاءت عشر شخصيات هي شخصيات الرواة : ثلاثة شبان وسبع شابات - أن يفروا ويلوذوا بعزلة بهيجة في حدائق أحد القصور ، حيث حاولوا انتزاع أنفسهم من الحاضر الرهيب بأن يتناوبوا رواية قصص تنسيهم هول الطاعون . وهكذا أخذ كل منهم يروي قصة كل يوم ، فكانت الحصيلة عشر قصص يوميا ، خلال الايام العشرة . وهذه ذريعة تشبه ذريعة شهرزاد لتروي قصصها في لياليها الالف حتى ينسى زوجها موضوع غدر النساء ولا يقتلها كما قتل زوجاته السابقات .

هذا من ناحية الشكل أما التفاصيل فان هناك قصصا كثيرة في مجموعة « بوكاشيو » من مصادر عربية وإن كانت يد الاديب الصناع قد تصرفت فيها وجعلتها في قالب أوربي أو ايطالي . ويتردد في القصص مثلا اسم البطل صلاح الدين الايوبي وأسماء غيره من الحكام العرب المسلمين . كذلك نجد الالحاح في قصص « بوكاشيو » على مكايد النساء وخياناتهن .



من وحي رسالة
فى ليلة عصفت بى الاشواق والدنيا ســـكون
ورجعت للماضي الحبيب بكل الوان الحنـــين
أتلو رسالتك الحبيبة حين تعصف بى الشجون
استرجع الحب الفتى وفى الهوى بعض الجنون
واقول هل مازال يهوانى وتعصف بى الظنـــون
والنبض فى الكلمات يصرخ ان حبك لا يهـــون
ترتاح نفسى ، تســـتقر ، اقول مثلك لا يخـــون
عودتنى حلو الوفاء يلوح فى لمح العيـــون
لكنه بعد الظنـــون علا على الشـــك اليقين

عانقت احلامى الوضيئة قلت يا حبى المصون
ستظل نبض مشاعرى ماكان منه وما يكون

***

وقرات فى طى الرسالة كل ايامى الجميله
ايام كنا نلتقى بالحب فى ظل الخميله
نحكى ونحكى لا نمل كانها قصص الطفوله
ونخاف لو مرت اماسينا وليس هناك حيله

ونود لو نسى الزمان واضحت اللقيا طويله
حتى ولو ارخى علينا الصمت فى اللقيا سدوله
وتعثرت لغة الحديث وما بقلبى لن اقوله
الا التامل والخيال هما لقلبينا وسيله

ايام كنت تقول حبك لن ارى ابدا مثيله
وارى هواك مرتلا فى طى اهداب ظليله
الصمت منك حكاية يا ملهمى ليست بخيله
تروى الذى بينى وبينك فى حديث لن اطيله
سأذيعه نغما جميلا طى انسام عليله

***

لو كنت تعلم كيف اسعد حين استاف العبير
ينساب من قلب الرسالة مثل انسام الزهور
واحار فى وصف الكلام أذاك شعر ام شعور ؟
ام ذاك قصة هائم يحكى هواه فى سطور

واقبل الكلمات نشوى علها تشفى الصدور
واكاد من فرحى اريها للصغير وللكبير
اعدو كما يعدو الصغار اكاد من فرحى اطير
لكننى ارتد خجلى لست بالطفل الصغير

***

اين الوقار وحكمه او فى الهوى نجد الوقور ؟
هى قصتى فى الحب خالدة على مر الدهور
البعض طى رسائل والبعض فى عمق الضمير

من عاش مثلى فى الهوى يدرى البداية والمصير
لا يعذل اللاتى وهبن قلوبهن ولن يجور . . .

روحية القليني

رسائل من الفراغ

• ميشيل تكلا •

في عام ١٩٣٩ اطلق العالم المعروف « روبرت جودارد » صاروخا الى طبقات الجو العليا ، ارتفع نحو مائة قدم ، وفي الحال التقطت عدسة تصوير خاصة صورة لبارومتر الصاروخ ، وكذلك للترمومتر المركب فيه ، وعاد الصاروخ الى الارض وبه اول تسجيل علمي من نوعه في العالم .

وفي السنوات الاخيرة ، اطلقت مركبة فضاء الى المريخ ، قطعت مسافة قدرها ١ر٣٢٥ مليون من الاميال في عدة شهور . وكانت نسبة الاخطاء ثلاثة على عشرة من الف لواحد في المائة ، وأرسلت السفينة واحدا وعشرين صورة للمريخ وكان ذلك في عام ١٩٦٥ . وهذه القفزة الجريئة في تكنولوجيا الفضاء تعكس تقدما عظيما في المواصلات عبر الفراغ ، حتى ان شبكات الفراغ العميقة تستطيع الان ارسال مليارات من المعلومات عن تلك التي حققتها في الستينات من هذا القرن .

وقد استطاعت العقول الاليكترونية واجهزة الكمبيوتر وأجهزة التسجيل المغناطيسية ان تحدث هذا التحول العظيم في الحصول على المعلومات الدقيقة من وراء ملايين الاميال في الفراغ البعيد ، ومن ثم كشفت اللثام عن اسرار النظام الشمسي . ولكن كيف تستطيع هذه الاجهزة استخدام قدراتها للحصول على هذه المعلومات الدقيقة ؟

تعتمد هذه الاجهزة على أسس ثلاثة : الهندسة ، والعلم ، وانجاز



ما يصدر اليها من أوامر ..

فالمعلومات الهندسية تودع عادة في قمر صناعي في داخل المركبة او الصاروخ ، وتتضمن الحصول على معلومات دقيقة عن درجة العلو ، والخروج عن خط السير ، ودرجات حرارة الاجسام البشرية لرواد الفضاء .. والطريقة التي يجب أن تعمل بها المركبة في الفراغ ، والمعلومات العلمية تتضمن معرفة أحوال الرواد مثل ضغط الدم ومستويات الاشعاعات الكونية وطبوغرافية القمر مثلا او الكوكب المراد اكتشافه .. اما الاوامر فتشمل كل ما يصدر الى المركبة من العلماء الارضيين . وتتضمن هذه الاوامر : فتح عدسات التصوير العادية او التليفزيونية او تغيير المسار او الاتجاه او العودة الى الارض .

وفي وقتنا الحالي توجد طريقة واحدة لارسال الاشارات عبر كوكبين او سيارين ، وذلك باستخدام المراقب اللاسلكي . وتركب الاجهزة الاليكترونية الحاسبة في مراكز بحوث الفضاء ، وكذلك الاوسكيلو سكوبات التي تعد الاعمدة الفقرية للمراقب اللاسلكية . وعن طريقها يمكن قراءة الاشارات اللاسلكية ، وامدادها بالمعلومات المطلوب ارسالها ..

الكشف على ضغط الدم ودرجات الارهاق عند رجال الفضاء

باستخدام اجهزة التسجيل في عام ١٩٥٠ ارتفع تردد الذبذبات من ٥٠٠٠ ذبذبة في الثانية الى مائة الف ، وذلك على جهاز الاوسكيلوسكوب . ويمكننا مقارنة ذلك بالموسيقى ذات الذبذبات العالية، والتي لاتزيد عادة على خمسة عشر الف ذبذبة في الثانية ، اما اليوم فان التردد يصل الى مليونين من الذبذبات في أجهزة التسجيل الخاصة ببحوث الفضاء . واجهزة التسجيل ذات الرءوس الدائرية تضع خمسة ملايين سايكل على شريط التسجيل . ونتيجة لذلك فان هذا التردد الاضافي يكون مكانا اضافيا لحشده بالمعلومات .. ويمكن لجهاز تسجيل متقن الصنع

ان يسجل ١٣٠٠ قياس في كل بوصة على شريط مغناطيسي في الثانية الواحدة ، وبذلك يمكن نقل محتويات مائة شريط على جزء واحد من اشرطة التسجيل الكبيرة . وقد تكون المعلومات عن استهلاك الوقود في المركبة الفضائية أو عن قوة الرياح الشمسية . ولكن من الذي يطلب وجود فراغات على اشرطة التسجيل اثناء رحلات مركبات الفضاء الى القمر أو الى الكواكب القريبة أو البعيدة ولماذا ؟ .

الحقيقة ان الذي يطلب ذلك عادة في كل رحلة من رحلات الانسان الى القمر هم المهندسون والاطباء . خذ مثلا .. دكتور « جونز » الخبير في العضلات البشرية .. فهو في كل مرة يضع اجهزة مرهفة شديدة الحساسية على العضلات ذات الراسين اليمنى في جسم رائد الفضاء لقياس درجات

في الفضاء البعيد!

رسائل من الفراغ

في الفضاء البعيد !

لارهاق التي تعترى الذراع عند فتح كوة المركبة بعد ثمان واربعين ساعة من وجوده في الفراغ ..

وفي الاسبوع الذى يسبق اطلاق مركبة الفضاء الى القمر من لحظة فحص الاجهزة الى ما قبل لحظة الإطلاق تسجل الاجهزة حوالى مليارين من الكلمات . ويمكن الرجوع اليها فيما بعد ، وعلى الاخص اذا وقع خطأ او حدثت كارثة . وفي لحظات اطلاق سفينة الفضاء ، تقوم الاجهزة بتسجيل إعداد هائلة من الكلمات تبلغ مائة وخمسة عشر مليون كلمة في مدى عشرين دقيقة فقط . ويحصل علماء الارض على المعلومات او الرسائل التي ترد من الفراغ من الاجهزة الحساسة والترمومترات ، والمناطق التي تتأثر بالضغط والاشعاعات والارتفاعات المتصلة بازرار الضبط والتكوين العام للمركبة .

اما الاجهزة الخاصة فتتصل او تركب مباشرة على اجسام رواد الفضاء .. وفي كثير من الاحيان ، ترسل المعلومات مباشرة الى الارض . وفي احيان اخرى تحفظ في شريط مغناطيسي حتى يحين ميعاد ارسالها ، وترسل المعلومات عبر الفراغ كاشارات لاسلكية، فتلتقطها الانتينات (هوائى) المركبة على هيئة اطباق ضخمة في محطات ارضية حول الكرة الارضية ، وفي اماكن مثل الاسكا واستراليا وجنوب افريقيا واكوادور . بمجرد مرور مركبة الفضاء عبر الفراغ ، تبدأ اشرطة التسجيل الارضية المتصلة بالانتينات في كتابة هذه الاشارات . وتنقل هذه الاشارات او تحول من هيئتها القياسية الى وحدات احادية وهى لغة الكمبيوتر ، وفي هيئتها الاحادية الجديدة يمكن تحليلها كهربائيا ..

ومن خصائص اجهزة التسجيل الموجودة في مركبات الفضاء انها تمتاز عن غيرها بقدرتها على اعادة تسجيل محتويات الشرائط في الحال وبسرعات عالية او بطيئة عن التسجيل الاصلي ..

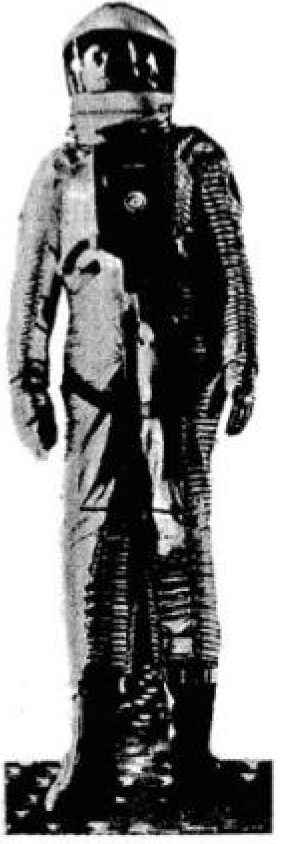
وعلى العلماء ان يلموا بكل حادثة او خلل او اضطراب يقع للمركبة الفضائية اثناء رحلتها الطويلة عبر الفراغ ، لذلك نجد ان النبض في الاجهزة الحساسة يمثل اهتزازا او ارتجافا في جزء من المليون من الثانية .. او عند تغيير درجات الحرارة مهما كانت واهية ، وتعتمد الرسائل اللاسلكية التي ترد من الفراغ على هذه الاجهزة الحساسة التي تقيس جزىء الثانية الى ملايين الاجزاء .

الرسائل التي تعود بها مركبات الفضاء ..

ان المعلومات التي وصلتنا من الفراغ تتضمن حزام الاشعاعات الى ارتفاع اربعين الف ميل ! وقد كشفت عن وجود الرياح الشمسية التي تهب بصفة مستمرة ، وعن وجود طبقة عريضة من الهليوم تمتد فوق الجو الذى كان معروفا لنا ، وعن امطار من الغبار الكوني تسقط على الارض كل يوم بمعدل عشرة آلاف طن ! ..

وتلتقط العدسات التليفزيونية صورا لما تراه من اجسام في الفراغ اللانهائي، ويقوم معدن حساس رقيق اسمه (سيلنيوم) بتحويل كميات الضوء المختلفة التي تصل الى العدسة الى كميات مختلفة من الشحن الكهربائي .

وفي الحال تتردد حزمة من الاليكترونات عبر (السيلنيوم) لتحدد مقدار الشحن الكهربائي اللازم للارسال التليفزيوني، وهذه الحزم الاليكترونية أو الاشارات الاليكترونية ترسل مباشرة الى الارض لتتحول الى صور التقطتها العدسات التليفزيونية للقمر مثلا ، وتسجل ما عليه من غرائب لم يقع عليها نظر الانسان من قبل ، غير ما رآه هؤلاء



الرواد الذين استطاعوا أن يهبطوا عليه عدة مرات خلال السنوات القليلة الماضية .

أما الصور التي وصلت الارض من المريخ عن طريق مركبات الفضاء التي دارت حوله ، فقد كانت كل صورة تحتوى على مائتي خط ، وفي كل خط مائتا نقطة . ويمكن مقارنة ذلك بالصور التي تعكسها الاجهزة التليفزيونية للاعلانات والتي تتكون كل

صورة منها على ٥٢٥ خطا ، وكانت كل نقطة تسجل رقما طبقا لكثافة ظلها الذي يتدرج من الابيض الى الاسود الداكن . وكانت الصور تسجل بنسبة عشرة آلاف وسبعمائة رقم في الثانية .. وترسل الى الارض بسرعة ٨٫٢٢

« بنطة » في الثانية حتى لا تفقد هيئتها او معناها وهي تمرق خلال مائة واربعة واربعين مليونا من الاميال عبر الفراغ! وبعد أن تعود مركبة الفضاء الى الارض،

تجمع أشرطة التسجيل من جميع المحطات الارضية التي التقطت الرسائل عبر الفراغ ، وتحفظ في معمل خاص ، وترسل صور منها الى العلماء لفحصها وتحليلها ، ويقوم الاطباء المشرفون على كل رحلة فضائية بفحص الاجزاء الخاصة بعضلات الرواد وما اعتراها من ارهاق اثناء قيامهم بالاعمال الشاقة التي كلفوا بها والاوقات التي انجزوها فيها وهكذا ..

وفي المعامل الخاصة ببحوث الفضاء ، يقوم العلماء والاطباء بادارة اشرطة التسجيل ، وفي الحال تنعكس الاشارات على شاشات الاوسكيلوسكوب، فاذا ظهرت تعرجات

عرف الاطباء الوقت الذي كانت تعمل فيه عضلات الرواد لتدوين مدى الارهاق الذي اصابها ، عند انجاز اصحابها عملا من الاعمال التي كلفوا بها . ويستطيع الاطباء تحديد أجزاء

رسائل من الفراغ

في الفضاء البعيد!

الشرائط التي يبلغ طولها عدة اميال لمعرفة ما يريدون معرفته من احوال رجال الفضاء اثناء رحلاتهم الطويلة، وتعرضهم لجرعة من الاشعاعات الكونية وغير ذلك .

ويرجع العلماء والاطباء الى الاجهزة الحاسبة الاليكترونية لمعرفة كيف تعمل عضلات الانسان فى الفراغ، ويقارنونها بعملها العادى على الارض : ويحددون ذلك بدقة تامة . وبالتالى يكشف لهم

الحاسب الالكترونى عن حجم العضلات اثناء عملها فى الفراغ . ويعاودون ادارة الشرائط عدة مرات حتى يمكن استخراج المعلومات المطلوبة من

شريط الفراغ ، وقد يستغرق ذلك عدة اسابيع او سنوات لتدوين الاشارات التى انبعثت من العضلات ذات الراسين

وكثيرا ما حصل العلماء على معلومات على جانب كبير من الاهمية من شرائط مركبات الفضاء التى انطلقت

الى القمر ، وعادت منه منذ سنوات مضت ، واكتشاف شيء جديد يضيف

الى دائرة معارف الفضاء معلومات وفي ادارة بحوث الفضاء مئات الالوف من اميال الشرائط التي سجلت فى اكثر من ثلاثمائة رحلة عبر

الفراغ والفضاء البعيد ، وتحتوى هذه الشرائط على اكثر من عشرة تريليون كلمة او اشارة امكن تفسيرها ومعرفة محتوياتها بفضل العقول الاليكترونية والاجهزة الحاسبة الدقيقة .

وقد استطاعت بحوث الفضاء الامريكية ان تحصل على ثمانمائة الف ميل من الشرائط المغناطيسية تحتوى

على كميات لا حصر لها من المعلومات عن الفضاء والفراغ ، واسرار النظام الشمسى، وما بين الكواكب ، وما فوقها من احزمة مشعة ، وفراغات وهوات ،

وغيرها من الاسرار الخاصة بالرياح الشمسية التى تهب بصفة مستمرة .

هذه الرسائل التى تصلنا من الفراغ استطاعت ان تحدد معالم الطريق الذى تسلكه كل مركبة فضاء ارسلها الانسان الى القمر ، وبعد ان هبط الانسان على سطحه ست مرات رأى ان ينصرف عنه الى الكواكب الاخرى .

ولا بد له قبل ان ينطلق بمركبة فضاء جديدة الى المريخ او الزهرة ان يفحص الطريق جيدا ويرسم له الوف الخرائط الكونية حتى يلم بما فى المسار من عقبات واخطار لغزو هذه الكواكب التى لم يصلها بعد ، ولكنه سوف يصل اليها فى يوم قريب بفضل ما حققه من

انتصارات علمية رائعة وما اخترعه من اجهزة اليكترونية حساسة فى السنوات القليلة القادمة وبفضل قدرته على شق طريقه عبر الفراغ ..



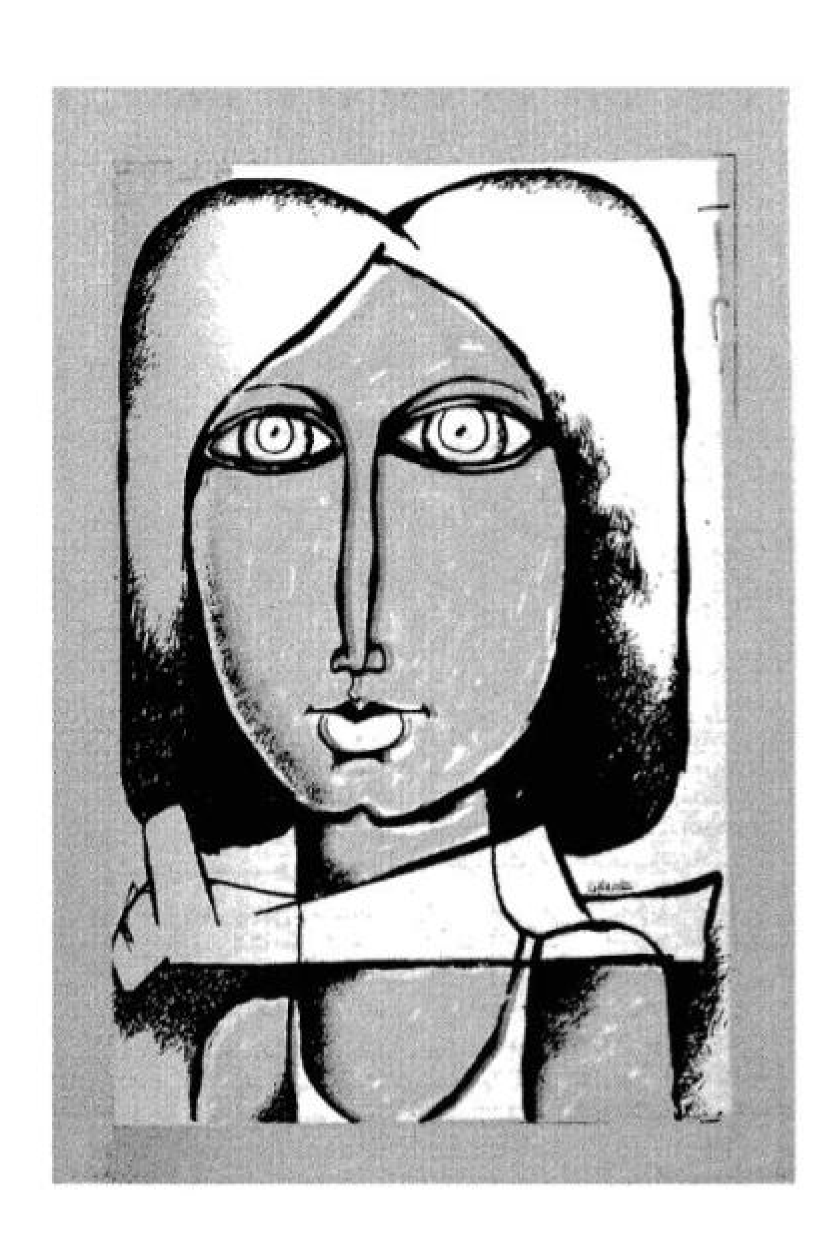


احبـــك والمروج تـــكاد تروى ... غرامى للســـهول وللبطاح
ويدنيني اليـــك هـــوى خفي ... يصـــور لى خيالك فى الـــرباح
والمح فى الرؤى وجهـــا تجلت ... محاســـنه الى بلا وشـــاح
فلا كالحب معجـــزة تباعت ... بها الاكوان فى شـــتى النواحى
به الدنيـــا تضـــيق بكل افق ... بسحر مشرق اللمحـــات فـــاح

احبك حيث تســـتعصى المعـــانى ... عن التعبير فى القـــول المبـــاح
قربت وقد بعـــدت على مرادى ... فوصـــلك ليس بالشىء المتـــاح
بحق هـــواك زودنى خيـــالا ... فطيفك فى الدجى يسقى التياحي
اما يكويك فى الذكـــرى حنينى ... اما تدميك فى الشكوى جراحى ؟

سيتركنى هـــواك على الـــروابى ... رحيقـــا فى البنفســـج والاقاحى
واغنيـــة تنوح بها الشـــوادى ... وترويها الـــرعاة على البطـــاح
فالنى فى الفضـــاء وليس يبقى ... لروحى غير صـــوت فى الـــرياح
اذا ما طاف مشـــتاق بـــواد ... تســـمعه رنينا فى الصـــباح

● البحرين ● ... ● احمد محمد الخليفة ●



● عزمي لبيب ●

قصة

تحت قرص الشمس

كلما نظرت الى برج القاهرة ، وانا في طريقي الى الجامعة ، بدا لي كانه انسان ترتفع هامته حتى تلامس السماء .. وتتجه معه حواسي وتفكيري . واتطلع الى اعلى .. سماء زجاجية صافية تتلألأ فيها نجوم صغيرة . تدور تحتها مدينتي في شبه هذيان .

مدينتي الصاخبة يشقها النيل منذ قديم الازل تمتد – تحت قرص الشمس – حتى شاطيء البحر ... الحركة المتوترة القلقة في النهار وفي الليل .. الوف العيون تحاصرها من كل جانب ! عيون حاقدة ! عيون حاسدة ! تنظر اليها مبهورة ماخوذة .. الوف الاصابع تشير اليها مهددة ، متوعدة ..

ما اغرب العناصر التي يتكون منها الانسان !.. اشياء صغيرة لكنها مركبة وغامضة ! مؤثرات متنوعة لا حصر لها .. جميع الصور تتحرك امامي في تتابع مثير ! وانا في طريقي الى الجامعة سيرا على الاقدام . ترن اجراس بدقات منذرة ، في وضح النهار واثناء الليل . طريقي كثير المنحنيات كثير النتوءات .. الماضي والحاضر والمستقبل . اجل المستقبل ، بعد تخرجي في الجامعة !

الشوارع المزدحمة والمباني الضخمة والعربات والسيارات.. الشمس الساطعة تدفع الناس الى الاتجاه المضاد ! .. انه لمثير وغريب ! يتزاحمون .. يمدون عيونهم الى آخر المدى وينظرون على البعد ، الضوء الاصفر الضوء الاحمر يعترض الطريق .. الضوء الاحمر يتوهج ، يمتد ، يصير زمنا .. الزمن يحترق ! ما فتئت الناس تتزاحم وتنتظر ! لماذا هم هكذا ؟ رنين الاجراس المنذرة يدوي في داخلي، وانا في طريقي الى الجامعة . آه .. النور الاخضر . الضوء الاخضر يمتد . كل شيء يتحرك ! كانما دبت فيه الحياة فجأة ! النور الاخضر يتسع ، يصبح مساحات .. يغطي الارض زرعا ونباتا واشجارا .. يا قريتي العزيزة ..

في قريتي ينتشر الصمت فوق الحقول الهدوء الشامل يلف كل شيء في قريتي . تتوقف السواقي عندما يأتي المساء . يرتفع نقيق الضفادع في الليل كي يبدد الصمت الثقيل ! . الليل والصمت ورحلة العذاب سيرا على الاقدام . كلت قدماي .

ليلة تركت قريتي ، في طريقي الى الجامعة . بدت امي شاحبة ! كانت تبدو في الظاهر منهمكة في تحضير العشاء . وفي نفس الوقت تراقبني .. وترتعش ارتعاشات مبهمة! حاولت ان تحتفظ برباطة الجأش قدر الاستطاعة . ربما ارادت ان تنتصر على مخاوفها .. ومع هذا ، قالت لي قبل ان اسلم مودعا :

– اذا عبرت كباري الانهار ، في الصباح الباكر ، سوف تحقق نجاحا كبيرا . الماء

يجرى تحت قميصك في نعومة ويسر والماء رقراق .. وكن من الشاكرين . التي ما زلت احفظ كلماتك حتى الان . ما زلت اذكر رجفة جفنيك .. ترى كم مضى من الزمن ! لو استطيع ان اعد الساعات والايام والسنين ! ظلال الاشجار تمتد امامي بطول الطريق الموازى لمجرى النهر .. وانا في طريقي الى الجامعة ، اتطلع الى البرج ، والتقط نفسا طويلا واملا به رئتى ، طريقى كثير المنحنيات ، كثير الالتواءات !.

قالوا لي قبل حصولي على الليسانس :

« ان الهضبة هناك خضراء دوما . لا تتصارع فيها الفصول الاربعة ! مشمسة باستمرار .. »

ربما لهذا السبب اتطلع دائما الى اعلى .. الى ما فوق البرج وترى كيف يكون شكلك فايتها الهضبة المستوية ! .. ان هذا الشكل يسيطر على تفكيرى في كل لحظة ، وفي كل نبضة . لقد نما وترعرع الى حد انه اصبح الهدف الوحيد الذى اهفو اليه ...

●●●

سألتها مزهوا بعد تخرجي مباشرة :

ـ انها لفكرة عجيبة! هذه الفكرة التى اعيش فيها .. ان هدفي الهضبة : يقولون انها مشمسة باستمرار ... تعالى نصعد معا ، انا وأنت نصعد الى ...

ونظرت الى وجهها العاجى الخالى من المساحيق ، المبتسم ، يحوطه شعرها الناعم الداجن فوق كتفيها . نظرت الى ثوبها القصير ، الفاتح الاصفرار ... كم احبك ! منذ ايام الجامعة . كان يبهرنى ذكاؤك ولطفك ونشاطك . ولعبة (البنج بنج) ، انتى لأرى رشاقتك وثبات قدميك ! تميلين يمنة مرة ويسرة مرة أخرى ... وابتسامتك الساخرة وأصرارك ... انتبهت على صرتها المرح يرند :

ـ أنا وانت ، في سيارة ، نصعد بها الى ...

توقفت فجاة ، عندما لمحت شرودى !

قلت بصوت فاتر :

ـ كلا ... سيرا على الاقدام

في بادىء الامر ، ظنت انني امزح ... توقفت ابتسامتها الساخرة ونظرت الى وجهى طويلا في صمت! رغم ان نظراتها كانت نافذة ، الا انها لم تكتشف الى ...

قالت ببطء وهي تفكر :

ـ المسافة بعيدة ، بعيدة جدا ...

ـ اعرف ان الطريق اليها ليس سهلا ، وان ...

ـ الهضبة عند القمة، مرتفعة جداً ...

ـ لا يوجد شيء سهل ابدا

طوانا التفكير ... واضفت بعد فترة صمت :

ـ لذلك اريد ان تشاركيني الطريق ...

ـ اشاركك الطريق ؟

كأنما تتحدث عن الزواج يا قطتى الصغيرة .. ما الطف النظر اليك . عينان براقتان ذكيتان ! جلدك الناعم الابيض . يقولون ان القطط بليدة . لكن قطتى تفهم ما اقوله ... ترى كيف ابدو في عينيها ؟ هل



تراني عاليا كالبرج ؟ .. لا ، فهي تستطيع ان تقفز فوق كتفي ، وتلامس رأسي وتقف عليه ... انها تنظر الآن خلسة بطرف عينيها المسدلة خجلا ·

ـ صباح امس ، وقعت عقدا للعمل في بلد عربي بعيد ... احسست انني اترجرج · ربما من المفاجأة ! لم اكن انتظر ... هكذا !

واضافت بثقة :

ـ في باطنها الذهب الاسود ، وعلى سطحها الف سيارة ، ورصيد في البنك ...

قلت بمرارة كأنما احدث نفسي :

ـ في الماضي كان ايقاع أجدادي بطيئا ! لذلك كانت زوجاتهم تركبن عربات مغلقة ، تنسدل عليها ستائر كثيفة وتجرها البغال ..

تساءلت بحدة :

ـ ماذا تقصد ؟

ـ اعرف ان ايامنا تختلف كثيرا، عن عصر الحريم

ـ عصر الحريم قد انقرض مثل الغول والعنقاء ...

ـ انا وانت اقدامنا ثابتة على الارض · لكن اعناقنا ترتفع الى اعلى ..

ـ انا لا افكر تفكيرا رجعيا ، كل ما في الامر ، انني اعيش واقعي ...

ارسلت نظرى عبر الفضاء ، كي اخفي رجفة ... ان دوامة عميقة تجرفني معها هذه المرة · تتشابك الجدران الصماء مع مختلف الاشياء في فوضى ... يمتد امامي شريط مظلم يشق ارضا شاسعة حتى شاطيء البحر ... البذور الطيبة في التراب · الماء الذي يروى الحقول الواسعة · الكهرباء القادمة من السد ، كيف اسقط كل هذا من تفكيري ؟ مدينتي القلقة المزدحمة ، المتوهجة طول الليل · الضوء الاحمر والضوء الاخضر · قريتي الهادئة ترتفع فوقها سماء مغبرة بدخان يتصاعد من المداخن ومن ابنية صغيرة ... هنا وهناك السماء المرتفعة موشحة بنجوم صغيرة .. كيف اترك كل هذا خلف ظهرى ؟!

رياح ديسمبر الباردة تصفع وجنتي · في ليل ديسمبر البارد ، ادركت انني وحيد خارج العالم ! طريقي كثير المنحنيات ... ظلال الاشجار تزداد طولا على طول ، اشباح عملاقة تقف امامي ولا تتحرك ·

يا ليل ديسمبر المتوحش ...

لقد كنت هناك وقت احتضارها ... يا أمي العزيزة ، كيف أصف بكلمات مفهومة ما حدث وقتئذ ... ترى كم كان عمري عندما فقدتك الى الأبد ؟ .. كم ناديتك باسمك ...

خيل الى انها كانت تحس ما يدور حولها ، رغم تنفسها الاجش · ما زلت اسمع صراخي عندما القيت بنفسي بين ذراعيها ... ان عينيها الزجاجيتين تحملقان من عالم الموت ، لتهز روحي وتقهرها ·يا اعز من املك ... كلماتك الصادرة من القلب ... كلماتك الاخيرة ، وانا في طريقي الى الجامعة ... الكبارى والانهار والمنحنيات ، انت هناك في قريتي ! انت هنا في رأسي وفي خاطرى · رأسي بكل ما يدور فيه من صور ، الماضي والحاضر ...

ايها الغول ! .. انك لرعب وغريب ... لماذا تختار اللحظة الحاسمة ...

مرة اخرى انتبهت على تساؤلها الساخر يردد :

ـ سيرا على الاقدام في عصر نهبط فيه على القمر ؟ !

اعطتني ظهرها في غير اكتراث ! .. وسبقتني بخطوات .. ان ادراكي لما كانت تفكر فيه ، جعلني اقف مأخوذا في شبه هذيان

ومع هذا ، تساءلت بصوت سمعته الناي :

ـ هل هي ساذجة الى هذا الحد ؟



محمد
جبريل

لعله يمكن القول ، أن عبد الحميد السحار من أشد ادبائنا تعبيرا عن البيئة التي ينتمي اليها ، ومن أكثرهم التزاما – بالتالي – بالمغزى الاخلاقي نبضا لكل اعماله ، بدءا ب «الرجل البيت » – قصته الاولى – حتى « الحفيد » ، روايته التي لم تنشر بعد ...

المغزى الأخلاقى فى أدب السحار

يقـــول : « عزمت على ان استمد قصصى كلها من واقع الحياة . ان ابحث عن اناس اعيش بينهم ، واســـــتقرىء حياتهم ، ثم انســــق المجرى الذى ستندفع فيه الشخصـــيات والاحداث ، حتى تبلغ القصة نهايتها الطبيعية » .

وربما يتناقض ذلك مع الاعمـــال الدينية التى تحتل قسـما كبيرا فى مجموع اعمال السحار ... ولكنهـا ـ فى الحقيقة لاتغادر اســوار بيئته واهتماماته الفعلية . بل انها تنتسب الى الفكرة الاخــلاقية التى تدور من حولها اعمال السحار عموما ...

ومن هنا ، يجدر بنا أن نتحدد نظرتنا الى حرص عبد الحميد الســحار على ان تتوازى كتاباته الدينية ، مع اعماله الفنية التى ترتكز الى ارضية المعاصرة والى انشغاله منذ فجر تكوينه الادبى ، بالاعداد لكتابة « السيرة النبوية » ، والتى انجزها مؤخرا ـ فى عشرين جزءا ، خـــلال ما يقرب من خمس سنوات .

اما اعمال السحار التى تشـــغل القاهرة مســاحتها المكانية ، والفترة من اوائل القرن الى الخمســينات مساحتها الزمانية ، فهى تتصــل بحياة الفنان ذاته ، بحيث يكـــاد يعرف ابطال تلك الاعمـــال معرفة شخصية ، ومباشرة ...

وعلى ســبيل المثال ، فان « رجل البيت » كانت تروى حياة اسرة من الجيران اما رواية « فى قافلة الزمان » فانها اقرب الى ترجمة ذاتية ، حاول الفنان من خلالها أن يقدم عمـــلا روائيا . واما « الشارع الجديد » فانها تعرض لحياة اسرة من حى كفر عشرى بالاسكندرية ، عايش افرادها ، وتلمس حياتهم عن كثب .. و « فى الوظيفة » تاثر بالغ من الفنان بحياته الحكومية . وجاءت « ام العروسة » تعبيرا عن حيـــاة اسرة اقرب ما تكون الى اسرته . حتى « الحفيد » التى عاد بها الى الرواية ، هى ـ فى واقعها ـ امتداد لحياة افراد تلك الاسرة التى تناولها فى « ام العروسة » ...

***

والملاحظ انه فى المرات التى حاول فيها عبد الحميد السحار ان يتجاوز بيئته واهتماماته ، خلص الى نتائج ـ عبر عنها ـ ربما تنأى عن الواقع ... فلقد حاول الفنـــــان ـ مثلا ـ دراســـة حياة الطبقة العاملة من خلال حياة اسرة « الشارع الجديد » ، فجلس الى اعداد من العمـــال ، يستوضحهم مشكلاتهم .. فلم تزد ـ كما عبـــر بذلك فى روايته ـ عن جوع جنسى ، او مشكلة ادمان . ولم تكن هاتان المشكلتان ـ فى الحقيقة ـ كل واقع الطبقة العاملة .. فقد كانت تنظم الاضرابات ، وتسعى الى تأليف النقابات العامة ، وتحــاول ان تغادر ظروفها الاجتماعية ، والاقتصـــادية السيئة . فضلا عن أن الواقع الاليم الذى لف العمال بقســاوته وضبابه هو الســبب فى انغماس اعداد كبيرة منهم فى الجنس ، وفى تعاطى الخمر والحشيش .. ولكن الفنـــان اهمل الســـبب ، واكتفى بالنتيجة ، لانه ارتاد دربا مغايرا لما الفته قدماه من قبل .

ولقد حاول الســـحار فى رواية « الحصاد » ان يعرض للمظالم التى تعرض لها الفلاح المصرى قبل ثورة يوليو . وعلى الرغـــم من أن رواية « فى الوظيفة » وغيرها من الاعمـــال **التى عرضـــت للفترة ما قبل يوليو ١٩٥٢ ، تعد اقرب الوثائق الاجتماعية ـ فضلا عن قيمتها الفنية ـ بما تحمله من ادانة وتعرية للاوضاع السياسية**



القائمة آنذاك – فان الفصول التى ناقش من خلالها الفنان مشكلات القرية المصرية فى « الحصاد » ، غلبت عليها الحماسة والمباشرة ، بعكس الفصول التى كانت المدينة نبضا لأحداثها . ذلك لان السحار يعجز الا ان يكون صادقا ، وهو يتشرب صدقه الفنى من معايشة البيئة ، وتفهمها .

وفى المقابل من هاتين الروايتين ، اللتين تعانيان من شحوب التفوق فى بعض الفصول ، وربما بعض الفقرات ، لمحاولة الفنان أن يهجر ما يجيد التعبير عنه ، الى اجواء أخرى ، يقصر فى تناوله لها ، لأنه – كما قلت – لا يحسن الا التعبير عما يحياه بصورة مباشرة ...

أقول : فى المقابل من هاتين الروايتين ، فان رواية « فى قافلة الزمان » تتناول حياة أسرة من التجار ، وتأثير الزمان على الأبناء والاحفاد خلال توالى الأجيال ، فهى أقرب الى ثلاثية نجيب محفوظ ، بل ان احداثها تدور فى حى الجمالية الذى تدور فيه احداث الثلاثية ، وفى المساحتين المكانية والزمانية اللتين تشغلهما الثلاثية ، وان صدرت « القافلة » قبل الثلاثية بنحو ست سنوات ...

ولقد عنى السحار فى روايته بتصوير مظاهر الحياة اليومية فى مجتمع القاهرة ، بكل ما تشتمله من معتقدات وعادات وتقاليد . ولعلنا نلمح تعاطفه مع ذلك التراث الهائل من القيم والمعتقدات ، الى حد شفاء افراد الأسرة ، ممن يعتورهم المرض ، فور تعاطى وصفة بلدية ، او جلسة تبخير ، او زيارة لاحد اولياء الله الصالحين . وبرغم رفض مصطفى – بطل الرواية – تقاليد الأسرة فى الزواج – واولها عدم رؤية العروس الا ليلة الزفاف – فانه يرضخ لتلك التقاليد ، ويتزوج ابنة عمه التى لم تكن خرجت بعد الى الحياة !

واذا كانت اسرة « بين القصرين » محدودة الصلة بجيرانها الاقربين ، نتيجة لتشدد عائلها السيد احمد عبد الجواد مع زوجه وابنائه ، بحيث لم تغادر الزوجة بيتها طيلة ربع قرن من الزمان . ولم تعرف الابنتان – خديجة وعائشة – شيئا مما يدور خارج المشربية ، الا حين انتقلتا الى بيت الزوجية .. فان اسرة « فى قافلة الزمان » ، كانت على صلة حميمة بكل جيرانها . حتى الندابة أم عباس ، كانت تعتمد فى معاشها على هبات الام . بل ان امراض افراد الأسرة كانت تخضع لـ « وصفات » نسوة الحى ونصائحهن .. ولم تكن تلك الوصفات والنصائح تخل طريقها الا نادرا !

***

السحار كاتب مسلم . وهو حريص أن تكون فلسفته الإسلامية هى السمة البادية لكل ما يكتب ... ولأن المغزى الأخلاقى يعد اساس فى تلك الفلسفة ، فهو – من ثم – محور متفرد ، تدور من حوله كل اعمال عبد الحميد السحار .

والحق أنه يصعب ان تحدد امثلة بالذات للتدليل على المغزى الاخلاقى ، ذى الرؤية الاسلامية ، فى أعمال عبد الحميد السحار . تلك سمة غالبية – او كل – اعمال الفنان ... لكننا نستطيع أن نشير الى بعض تلك الاعمال التى يتضح فيها المغزى الاخلاقى ، ربما بصورة أشد وضوحا من غيرها .

وعلى سبيل المثال ، فلقد اختار « حسين محمود » فى رواية « النقاب » أن ينهى – بلا تردد

حياة زوجية موفقة ، على ان تشاركه عمره زوجة ذات ماض ...

وفى تقديرى ، أن الحيرة التى صادفها حسين محمود فى ختام الرواية ، هى حيرة الفنان الشرقى بين « عقله » الذى يجد فى استمرار الحياة بين الزوجين منطقية حتمية ، وبين « وجدانه » الذى ترسبت فيه مثل وتصورات عن الفتاة ذات الماضى . وقد فسر الفنان حيرة بطل الرواية — وحيرته — بأن مشكلة حسين محمود ، انه يريد زوجة ليس لها ماض ، زوجة لم تفكر فى رجل اخر قبله .

و « النقاب » تشبه الى حد كبير ، مسرحية ابسن « بيت الدمية » . فهدى التى تخفى السر عن زوجها ، هى نورا التى تخفى السر عن زوجها ... وكروجشتاد الصديق الذى يهدد الزوجة بافشاء السر ، هو جمال عبد الرءوف الذى يجعل من السر اداة لتحقيق مآربه ... وتورفولد الزوج الانانى الذى يهين زوجه قبل ان يتأكد من ادانتها ، هو حسين محمود الزوج الانانى الذى يطلق زوجته دون أن يسمح لها بالدفاع عن براءتها ... ثم تعطى نهاية المسرحية ، والرواية ، تناقضا جذريا فى مفهوم كلا الفنانين . فقد هجرت نورا بيتها — بارادتها — حتى بعد زوال الخطر . تكشفت لها حقيقة وضعها المهين فى بيتها ، ومن ثم فضلت أن تهجر البيت لتحاول ان تكون انسانة لا دمية . اما هدى ، فقد كان موقفها السلبى ، وما يقابله من ايجابية الرجل المتعسفة ، التى تعطى لنفسها الحق فى اتخاذ كل القرارات دون أن تعطى المرأة حقا فى الدفاع عن نفسها — كان ذلك تعبيراً بالغ الدلالة عن الواقع الذى كانت المرأة المصرية تحيا فى اساره ...

ومن الطبيعى أن ما فعله حسين محمود حين طلق هدى ، قد ادى الى دمار حياة الزوجة والطفلة الصغيرة ، وهو ما كان يعد اشارة موحية من المؤلف الى أن الحياة الزوجية التى لا تستند الى أرضية من التفاهم والثقة لا بد أن يرتطم زورقها بصخرة المأساة .. لولا أن الفنان قدم النهاية بما يؤكد تأييده لرأى البطل ، بأن الزوجة يجب أن تحاسب على ماضيها ...

لكن تلك — كما قلت — نظرة متشددة . اما رؤية السحار بعامة ، والتى يمكن تمثلها فى مجموع اعماله الادبية . فلعلها تتوضح فى تلك الكلمات التى انهى بها الفنان قصته « همزات الشياطين » : كل ابن ادم خطاء وخير الخطائين التوابون .

●●●

ولقد حاول السحار أن يفيد من اسفاره المتعددة ، الى دول العالم المختلفة فى اعمال روائية وقصصية ، مثل « وكان مساء » و « أذرع وسيقان » و « جمر الشيطان » و « ليلة عاصفة » .





ابسن : تشابه واضح بين مسرحيتين

ولعل الصورة - وربما الانطباع السريع - التي يخرج بها القارىء من اى من تلك الاعمال ، انه امام عين متشوفة ، فاحصة ، ناقدة . ووجدان شرقى تماسكت مثله وقيمه ،فى ايجابية تنعى على المجتمعات الغربية فسادها وانحلالها .

ففى قصة « تقابلا فى روما » (مجموعة ليلة عاصفة) يفاجأ البطل بأن فتاته التي عايشها ملاكا فى القاهرة ، تحولت الى امرأة ليل فى روما ، لأن عينيها تفتحتا على دنيا جديدة ، تختلف عن الدنيا التى عاشت

فيها . وفى قصة « مس كاريكارى » نجد الفتاة التى تخلت عن كل معتقد ، ولم تعد تؤمن الا بنفسها . وفى « موعد فى لشبونه » يجد البطل

سعادته فى الاستحواذ على فتاة كان يتباهى بامتلاكها غيره . وفى « عندما تخمد نار جهنم » يخدع البطل فتاته ، ويعدها بالزواج حتى تنجب طفلا ، ليتركها للطريق ، ويعود لاولاده ...

صور عديدة متباينة ، تصرخ بالاحتجاج فى وجه المجتمع الغربى على حضارته الزائفة .

وبطل معظم قصص « ليلة عاصفة » سائح مصرى . بل انه فى بعض الاحيان يمارس كتابة القصة . وهو، فى كل الاحوال ، متشوف ، ناقد ، ساخط يهزأ بالحضارة الغربية ..

واذا كان توفيق الحكيم فى « عصفور من الشرق » قد أخذ على الغرب حضارته ، التى ترتكز الى « المادية والبغضاء واللهفة والعجلة » .. بينما فشل يحيى حقى فى « قنديل أم هاشم » ان يوائم بين مادية الغرب وروحانية الشرق ، حين اكد الدكتور اسماعيل دور العلم ، مع الاحتفاء بكل ما تنبض به قلوب الناس من مشاعر مؤمنة ،

فان عبد الحميد السحار فى روايته « جسر الشيطان » لم يكتف بأن يشجب الحضارة الغربية ، ويتنبأ بتحللها وانهيارها . بل انه يضع المهندس المصرى ممثلا لقيم الشرق ومثله ، فى مواجهة الغانية الالمانية التى أحاطت بها عوامل الضياع من كل جانب ، ومن خلال حوالى ثلاثمائة صفحة من الحوار .. تصل الغانية الالمانية الى مرفأ الهداية والطمانينة . فهو انتصار حاسم لروحانية الشرق ، وليس اكتفاء بما فعله الحكيم حين ردد اقوال العامل الروسى ايفانوفيتش التى تنعى على الحضارة الغربية تفسخها وانحلالها ، وتعجب بما فى حضارة الشرق من قيم أصيلة

ونبيلة . ولا بما حاوله يحيى حقى من مصالحة بين حضارة الغرب ، التى يعد العلم بعدها الاساسى وروحانية الشرق التى قد تعانق - فى أسوأ مظاهرها - التفسيرات والمعتقدات البالية . ان السحار يجد فى روحانية الشرق ، خلاصا للحضارة الغربية من المأزق الذى يتهددها بالدمار

حارث طه الراوي





أكرم أحمد

في ثورته وحبه

حديث اكرم فستق مقشور ، او شعر منثور ، او هو السحر بعينه . فانت من حديثه بين طرفة ادبية او فائدة لغوية او نكتة بارعة تهز في نفسه أوتار الطرب ، وصاحب الحديث يتدفق تدفق الينبوع الثر وينهمر انهمار الشلال الغزير ...

والظاهر انه كان يغالي باشاراته وحركاته التعبيرية اثناء انشاده الشعر في المحافل العامة مما حدا بأديب ظريف الى ان يصف هذه الظاهرة الطريفة عند اكرم بأسلوب لا يخلو من الدعابة غير البريئة حيث قال :

* ... اما القاؤه فالقاء جيد ، ولقد رأيته يلقي في الحفلة التي اقامتها الفرقة التمثيلية العراقية في رويال سينما ، فكان احسن من يلقي قصيدة

من الشعراء الشبان الذين رأيتهم يلقون • وله وقفات في الإلقاء وخطوات • يسير عندما يصف لك السير ويكاد يجلس عندما يصف لك الجلوس، ولا أقول انه يكاد ينام أو يكاد يقفز عندما يصفهما لأنه لم يذكرهما في شعره ... » •

كان هذا في العشرينات ولفرط تألق شاعرنا الشاب في تلك الفترة لقب بـ « شاعر الشباب » وهذا اللقب يعني فيما يعني : « أمير شعراء الشباب » أو « عميد شعراء الشباب » • وأين ؟؟ - في العراق ... بلد الشعر والشعراء فلا عجب اذا ما أثار حسد الكثيرين من الشعراء والمتشاعرين ..

***

ذكر الأديب غازي عبد الحميد الكنين في ترجمته لأكرم أحمد بكتابه « شعراء العراق المعاصرون » جـ ٢ ، ص ١٧ أنه ولد سنة ١٩٠٨ في حين أن صديق عمره حافظ جميل أكد لي بتاريخ ١٩٧٣/١/٩ أن صديقه أكرم أحمد ولد سنة ١٩٠٦ •

وانهى أكرم دراسته الثانوية في بغداد ولم ينخرط في سلك معهد من معاهدها العالية ، مكتفيا بما تلقاه من علوم العربية على أكابر علماء بغداد في تلك الفترة كالشيخ عبد الوهاب النائب والشيخ قاسم القيسي • وقد لازم الشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي ملازمة طويلة وتتلمذ عليه ،

وكان يعرض على استاذه الزهاوي ما تجود به قريحته من شعر ويأخذ ملاحظات الأستاذ وتوجيهاته بنظر الاعتبار • وكان الزهاوي مرجعه فيما يلتبس عليه من شرح ديوان المتنبي للعكبري وديوان الحماسة لأبي تمام ...

وانخرط أكرم في سلك الوظيفة سنة ١٩٢٦ وتدرج فيها الى أن أصبح محافظا لمحافظة الانبار (لواء الدليم سابقا) • وفي ١٩٥٦ أحيل على التقاعد وأخذ يمارس الاعمال التجارية متنقلا بين بغداد وبيروت • مطبقا أفضل تطبيق قول القائل : « لذة العيش في التنقل » • فقد تضيق بأحلامه ودواعي ملذاته حتى بيروت ، فيطوف في العواصم الأوربية كما تطوف الفراشة النهمة على أزهار الربيع شأنه في ذلك شأن شاعر الذوق والحب والجمال علي محمود طه المهندس رحمه الله • كأنه كان يثأر بتلك الرحلات المحفوفة بالمتع من ماضي حياته الذي كان محفوفا بالآلام والهموم والرزايا على النحو الذي صوره في أكثر من قصيدة من قصائد شبابه كقوله في قصيدة « بعد الفراق » :

إني سئمت حياتي ... بما أرى والاقي
ان الحياة وثاق ... أريد منه انطلاقي
تعسا لها من حياة ... سحقا لها من وثاق
لقد سقتني بكأس ... من الهموم دهاق
شدت على الرزايا ... فضاق منها خناقي
الروح قد بلغت من ... وطء الهموم التراقي

وفي الساعة العاشرة الا ربعا من ليلة ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٨ انطلق أكرم أحمد من (وثاق الحياة) في بيروت على أثر نوبة قلبية أمهلته

أياما معـــــدودة ، فنقل جثمانه من بيروت الى بغداد حيث دفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي ·

***

لا يمكن لأي دارس لشعر اكرم احمد أن يتجاهل شعره في العشرينات ، زمن فترة الحيوية الدافقة في شبابه وشباب شاعريته · والملاحظ ان شـعره خلال العشرينات انما يمتـــاز بقوة الحبك واشراق الديباجة والترابط المتزن بين الالفاظ وانسجام الصورة وتآلفها ، وتبدو العاطفة أقوى من الخيـــال في تلك القصائد وطنية كانت أم وجدانية غزلية · وهو يبدو في بعض منظوماته الغزلية تقليديا كقوله عن « ليلى » :

لقد ســلبت مني الفؤاد بنظرة ... فما أجمل العينين منهـا وما أحلى
فان ضرب الامثال في حسن يوسف ... ففي حسن ليلى يضرب المثل الأعلى

واذا تخطينا الاوصــاف المطروقة التي كان يزخر بها غزله في العشرينات فلا يمكننا ان نتخطى القدرة الفائقة على التعبير الصادق الجميل عن لوعته في الغرام · من ذلك قوله في قصيدته الغزلية الوجدانية « فما بال دهري » :

كتمت هواها في الفؤاد ســـنينا ... وبت الليالي والهـــــا وحزينا
وهمت بهـــــا حبا فكاد لفرطه ... يسبب لي ذاك الهيــــام جنونا
فريدة حســـن كلما دار طرفهـــا ... على القلب أملى في الغرام فنونا
قضينا معا شطرا من العمر في الهوى ... عناقا .والفينا الزمان معينـــــا
وشاهدت زهرا في خميلة حسـنها ... وسحرا بالحاظ العيون مبينـــا
فما بال دهري اليوم قد عاد صارما ... لحبل تصافينا وكان متينـــــا
وجدت بدمعي يوم جد بنا النوى ... وكنت به قبل الفراق ضــــنينا
تخذتك لي دنيا وهل من جـريرة ... اذا انا في حبي اتخذتك دينــــا

أو قوله في قافيته الرشيقة « وردة من وردة تقتطف » :

كلما جال اســمها في خاطري ... خفـــــق القلب وزاد الكلف
اقطف النوار من وجنتهـــــا ... ومن الثغر اللمى ارتشــــف
ما للوني كلما مرت ضـــحى ... بين أتراب لهـــــا ينخطف
وصفوا ســـلمى بحسن فاتن ... وأراها فوق ما قد وصـــفوا
واذا ما انكروا حبي لهـــــا ... فدموعي بالهــــوى تعترف

ورغم هذه النفحات المنعشـــة التي هبت من قلب أكرم الغض في العشرينات كان غزله بعد العشرينات قد نضـــج كما ينضج التفاح اللبناني فأتت منه بين منظر يروق ورائحة تنعش وطعم يغري بالمزيد · من ذلك قصـــيدته « على البحر » التي نظمهـــــا في الاربعينات :

بنت حواء ســـــقتني ... من لحــــاظ بنت دن
ليلة قد ســـــــمح الدهـــــر بها من بعد ضن
التقى صدر بصـــدر ... والتقت عـــين بعين
نتغنى والدجى يصــــ ... ـغي الى الصـوت المرن

***

رقص الموج على الســـا ... حل نشـــوان يغني
ونســـيم السحر العذ ... ب روى رقـــــة لحني
حاكيا ما كان منهـــــا ... في الهـــوى أو كان مني
ناقلا عنهـــا حديث الـ ... ـشــوق للصبح وعني
وتلاشـــت لذة اللقـ ... ـــيا كـحلم المتمني
غير صـــوت وخيال ... مـــلء عيني واذني

أما شعره الوطني في العشرينات فلا يقل روعة والهابا للنفوس عن شعر استاذه الرصافي .. فلو قرأت قصيدة له من غير توقيع لما ترددت في نسبتها الى الرصافي. ذلك لان شعر الشاعرين انما يشترك في الثورة على الأوضاع السائدة انذاك وفي صراحة اللهجة وجرأة الأفكار وانسجام الصور في ديباجة عربية مشرقة . ومن ذلك قصيدة أكرم « وعلى الأوطان حتام أرى) التي نشرها في جريدة العالم العربي ببغداد سنة ١٩٢٧ يوم كان سيف الانتداب البريطاني الرهيب مسلطا على رءوس العراقيين ويوم كانت معاهدات العبودية تضع الأغلال الثقيلة في عنق العراق . وقد اضطرت الجريدة الى حذف البيت الثاني من هذه القصيدة ووضعت محله شطرين من النقاط على النحو التالي :

هل يفك الشعب في يوم اساره   فلقد قاسى من الاسر مراره
... ...

انه حر ارادوا سوقه   بالعصا والحر تكفيه الاشاره
حرروا الشعب وصونوا حقه   واقيموا حين تمضون مناره
ما لنا ان حزنت أوطانه   وهو لم يحزن لها حق الصدارة
لا تغرنك القاب علا   فهي لو فكرت القاب معاره

وبعد ان يذكر الشعب بأمجاده الغابرة ويقارن بين أمجاده الماضية وواقعه في العشرينات ، يعلن شاعرنا الحر ثورته العارمة على قادة العراق انذاك ، مشيرا الى افتقاد البطل الذي يحمي حمى الوطن ، محرضا على الثورة ضد الاستعمار وأذنابه :

اترى القوم ينالون العلا   وعلى الفصل لهم حرب مثاره
ولقد امسى لجهل كلهم   راكبا يغزو حمى الحق حماره
لا ترج اليوم فوزا لامرىء   بخيوط العجز قد خاط دثاره
وعلى الاوطان حتام أرى   للرزايا كل يوم الف غاره


الرفاق : ثائر به
أكرم أحمد




فاطمة رشدي : السيدة
رائعة في استقبالهـا

قد تمادى كلنا في غيـــــه   ليس فينا بطـــل يحمي دياره
جردوا العزم كسيف مرهـــف   واشحذوا من بعد تجريد غـراره
ليس للؤلؤ يوما قيمـــــة   قبل ان يبرح في البحر محـاره

وكان شاعرنا الحر ينتهز كل فرصة خطابية لاظهار سخطه على الاوضاع الشاذة في وطنه آنذاك ، فما كـادوا يدعونه لالقاء قصيدة بمناسبة تمثيل رواية « يوليوس قيصر » على مسرح « رويال سينما » حتى حول المناسبة الفنية الى مناسبة وطنية سياسية والقى قصيدة ثائرة تقع في (٣٥) بيتـا بعنوان « حي الشباب » . وحسبي ان أقتطف من تلك القصيدة الثائرة الابيات التالية التي تصور حالة البلد في تلك الفترة ادق واجرأ تصوير :

واذا خبرت بني العراق وجدتهم   زمرا قد اتفقوا على خـذلانه !
عق العراق بنوه يوم شـــقائه   سفها وهم يحيون في احضـانه
وهناك ناس مالهم من ذمــــة   يتقلبون مع الزمان كشـــانه
فهم لدى الضراء من خـــذاله   وهم لدى السراء من اعـــوانه
الخير كل الخير في صدق الفتى   والشر كل الشر في روغـــانه
بأبي امرءا لقي العـــراق مهددا   فسعى لنجدته وحاط كيـــانه
ورأى حقوق رجاله مغصـــوبة   فمضى يدافع دونها بســـنانه
الى ان يقول :

ما قام صرح للبناء بيقعـــــة   حجر العدالة ليس في بنيـــانه
والشرق بركان واني خـــائف   ان طال ضغط الغرب من ثورانه
تبت يد لعبت بشـــعب ماله   حول الطليق فذاق طعم هـــوانه
سحقا لدجال يفرق بيننـــــا   متلقفا للشر من شـــيطانه
الله ربك لم يشأ الا الهـــدى   لا فرق للانجيل من قـــرآنه

ولم تكد الممثلة المصرية الشـــهيرة السيدة فاطمة رشدي تصل العراق في نيسان ١٩٣٠ حتى اقام لها العراقيون حفل تكريم تليق بمقامها اســـهم فيها أكرم احمد بميمية جميلة أوضح فيها انها تستحق اكثر مما أبداه لها العراقيون من حفاوة وتكريم معتذرا عنهم بانشغالهم بمقاومة معاهدة ١٩٣٠ الجائرة . ومما قاله في تلك القصيدة التاريخية :

عام خلا واتى من بعده عـــام   وللشباب اماني واحـــلام
عام به كان هذا الشعب ذا امــل   كأنه لعظيم الشـــوق ايام
انا لنذكر بالاكبار فاطمــــة   فحقها اليوم اكبار واعظـام
بغداد مهتزة بشرى بمقدمهـــا   بعد الغياب وثغر الشعب بسـام
حققت امالهم في الفن مقـــدمة   فسرهم منك تحقيق واقـــدام
لقد رفعت لواء الفن فارتفعـــت   لمصر في الشرق رايات واعـلام
قد جاء يطوي اديم البيد معتزما   تسعى به همم لم تسع اقـــدام
القى عصاه غداة الاين اجهـــده   فحقه اليوم اجلال واكـــرام

اهلا بأبطاله ، اهلا ومعـــذرة ... ان لم تقم بفروض الحق الـــلام
فالشعب مضطرم والياس محتدم ... وفي البلاد جراحـــات والام

***

وبعد الثلاثينات قلت قصائد اكرم السياسية ولكنها لم تنعدم . فها هو يندد بالمستهترين بالشعب من حكام العهد الملكي الباد في قصيدته ، من الاعماق ، ويدعو الى الوحدة العربية الكبرى :

قل للالي استهتروا بالشعب حكاما ... لا تسرقوا ان للاقدار احكـــاما
غيظ الشـعوب اذا ما ثار ثائره ... كالسـيل يجتاح جبارا وظلاما
مغبة الظلم بالباغين عاصـفة ... وان تطاول عمر الظلم اعـواما

***

بني العمومة من صـيد غطارفة ... رفوا على جنبات الشرق اعـلاما
فيم الشقاق وعين الخصم راصدة ... بكم تريص اوطانا واقـــواما
ضموا على الوحدة الكبرى جوانحكم ... من قبل ان تصبح الاوطان احلاما
وبالتآخي ابسطوا اطراف وحدتكم ... لا تجعلوا حدها بغداد والشاما

***

وللضحايا كــــرامات مدوية ... يشدو بهن فم التاريخ انغـاما
تبقى على شفة الاجيال هاتفة : ... لا تنصبوا من دعاة الخلف حكاما
الشامخين وما جاءوا بمكـرمة ... والشبهين تماثيلا واصـــناما

والظاهر انها ابيـــات مقتطفة من قصيدة طويلة لم تكن الظروف انذاك لتسمح بنشر نصها .

وقد فطر اكرم احمد على كره النفاق والمنافقين والتلون والمتلونين ، وقــد انعكس شعوره هذا في قصائد ومقطوعات منها مقطوعة « ثعلب » :

بليت بثعلب يبـــــدي ولاء ... ويخفي في مطاوي النفس ضغنا
ختل ليس أثقل منه روحـــا ... ولا أوهى حجى واخـف وزنا
جبان يحسب الاشباح ليـــلا ... اذا بصرت بها عيناه جنـــا
كحرباء يبـــــدل كل ان ... مخادعة من الالوان لونـــا

واكرم كعود الطيب ، لا يجود بطيبه الا وهو يعاني الاحتراق . والظاهر ان صديقا مداجيا مس كرامة اكرم بشكل من الاشكال فأسلمه الى ذلك الانفعال الضاري الذي يعرفه كبار النفوس من النابغين فنظم قصيدته الوجدانية الثائرة « من عبر الايام » التي خاطب فيها نفسه الكبيرة بقوله :

سابقتك الرجال في حلبة الفضـ ... ـــل فعادت مقرية الاوداج
واشرابت الى علاك لاعيـــا ... ها بلوغ العـــلا من الابراج
انت في متعة الكرامة غـــاب ... كيف يدنو منه قطيع نعـــاج
ولقد تصحب الصديق فيبـــدو ... بعد حين كالزئبق الرجـــراج
حول القلب ، لا هواه كما قلـ ... ـــن ولا انت من اذاه بنـــاج
ليس الا في مكنة الدهر تقويـ ... م التـــواء لصاحب واعوجاج
واذا لج في التجني صـــديق ... فسوى الهجر ماله من عـــلاج
والعدو اللدود يبدي لك البغـ ... ضاء خير من الصـــديق الداجي

هذه صورة مصغرة لاكرم أحمـــد لا يتسع المجال هنا لاكبر منها . وهي صورة يشفع صدقها بصغرها ، اما الصورة الكبرة للرجـل بكل انوارها وظلالها فسيرسمها يوما ما ناقد منصف ويعلقها على جدار التاريخ .

● بغداد ● ● حارث طه الراوي ●

• قصة •



لحظـــة كان ينتظـــرها من زمـــن . تراءت له فى احلامه .وفى ذهنه يعقب على نتائجها بينه وبين نفسه :

ـ اخيرا يا سـعيد صبرت ونلت ..

لحظة عمل لها كثيـرا بجد واخلاص وتؤدة .. حقيقة انه فلاح ابن فلاح وان البيئة ونوع الطبيعة التى ضمته تحت ظلالها عكست اكثر من خلة . فهو طموح لا يخلو من النزوع الى التـواكل ، متدين ، ينشد الحياة الرخية الهادئة ..

القى نظـرة عاجلة على زوجته ، وهى قريبته نشأ ونصب عينيه دائما وجهها وملامحها ..

قيل له : مكتوب ان تبنيا معا ماوى ينقلهـا من بيت ابيها الى صدرك الرحب فتكلاها بذراعين مفتولتين خلقتا لتمسكا بفاس يقتلع الطفيليات وتسـوى طينة ، من مسامها يخــــرج زرع طيب مثمـــر .

كانت زوجتـــه تردد دائما على مســامعه : تعرق وتشـــقى وتعطى ثمار ذلك كله لاقربائك ، كأنه واجب عليك ..

فيـــرنو اليها بحب لا يخلو من استخفاف : كيف يستطيع الانســان ان يحيا بمفرده ؟

وتتنهد فى أسى وتعلق : الا تكفيك نحن ؟ زوج وأبناؤها ؟

***

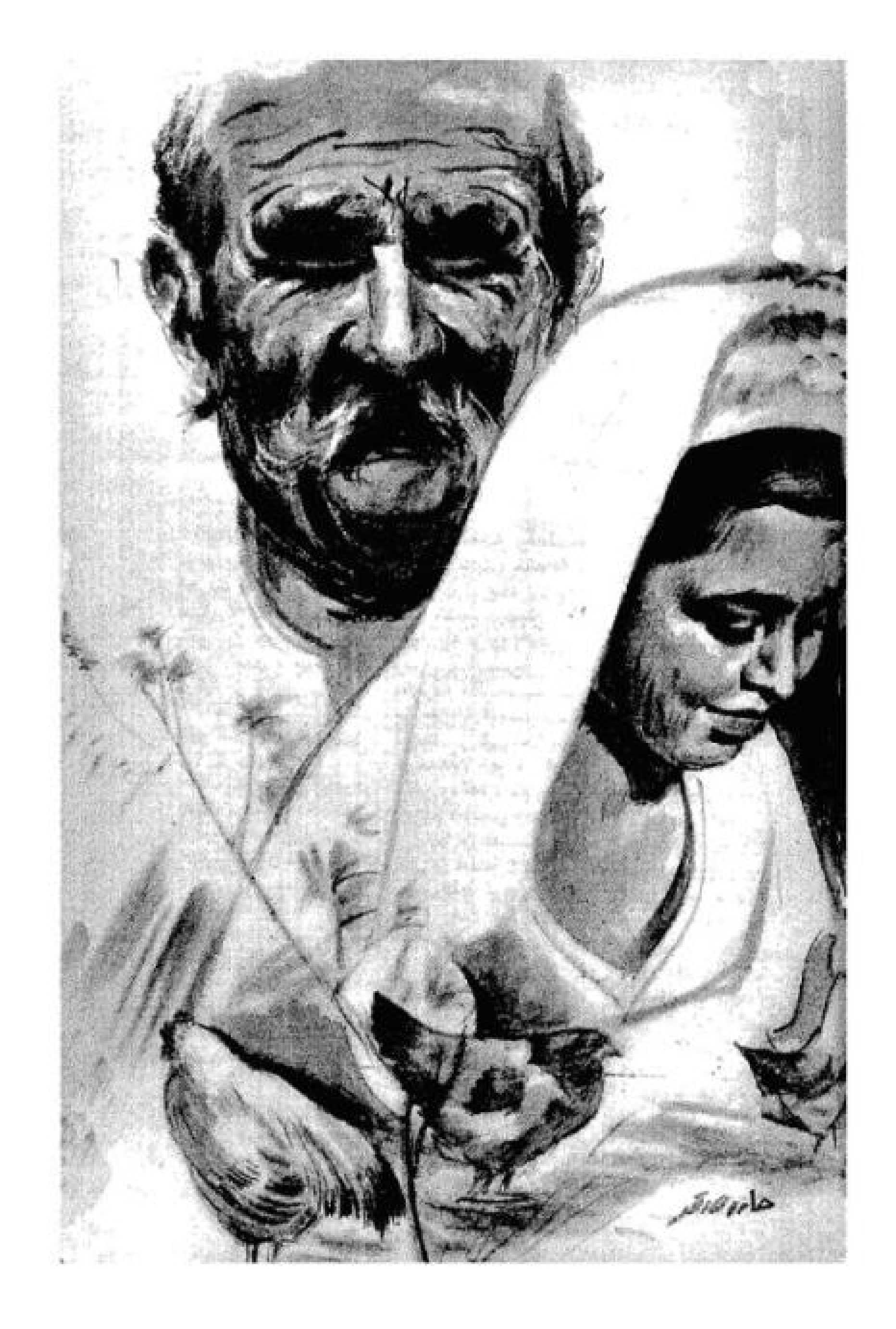
لقد دخل الازهـــــر وحفظ القران ولقن اكثر من علم ومادة وحصـــل على شهادة اثلجت صدر أبيه وجده ، ثم انفـرد هنــا فى ارضه ، أرض اسلافه، وسرعان مامرت الســـــنوات ، وارتفع مستوى المعيشة .

وبعـــد وفاة والده اكتشف ديونه وفقـره ، فضاعف من كده وعمله وزرع أرضه قطنا ، كان بمقدوره ـ كما ســمع اكثـــر من مرة ـ ان يتعاون مع الانجليز فى الحرب العالمية الثانية ، ويتاجر فى بعض البضائع الرائجة فى تلك الفترة ، لكن تنشئته الدينية جعلته يحجم كثيرا عن اللجوء الى تلك الوسائل .

قريبه الفقيـــر كان يعمل فى القطار الذى يقع فى أطراف الضـاحية ، رافق الانجليز فتـــرة استعمارهم لبلده ،وتعلم منهم اشياء واشياء .

كانا يسيران معــا ـ هو وقريبه ـ بمحاذاة شريط حديدى تسير عليه قطارات بضائع بسرعة متوسطة لم ينس فقرات من اقوال قريبه : لم يعد هناك من الارض مصرى







إغماضة وتنهيدة

.. (ويفرد يده على طولها مشيرا الى الشريط) سوى شريط ضيق لا يكاد يسمن أو يغنى من جوع .. انت الذى اتممت تعليمك ولم ترض أن تلتحق بوظيفة .. عذرك فى ذلك انك تحب الحرية بكل معانيها

●●●

كان يرمى ببصره بعيدا ، بعيدا ... الى أرض فضاء ، كان شباب البلدة يلعبون فيها الكرة .. وانواعا شتى من الالعاب الرياضية . هذه أرض فضاء مكشوفة واسعة، لكن هناك فضاء آخر ...

تقول له زوجه : دائما مكشوف يا سيد ، مكشوف عنك الحجاب ، ومكشوف ما بنفسك ، ربما لسعة صدرك .. ويكمل لها عبارتها بينه وبين نفسه .. ان جعبته فاضية وذهنه خال ، يعيش كالدابة ، يأكل يشرب ينام يزدرع .. ليته التحق بوظيفة ... يقول انه يؤمن بالحرية ، وما هى الحرية ؟ ان يتصرف تلقائيا بكل ما يعن له فيستنشق اكبر قدر ممكن من اوكسجين الهواء ؟ او ان يخلع رداءه ، ثم يعرض جسده للشمس والهواء ؟ .. ام ان يعيث فى الارض فسادا ؟ فكل جميل لذيذ شىء محرم ولكى يصل اليه يجب ان يغتنم الفرصة ، مشروعة أو غير مشروعة ..

تطلع الى زوجه كما تطلع من قبل اكثر من مرة الى الارض الفضاء والحقول المترامية الاطراف ..

مرة وفى شرخ شبابه سأل أبوه وروميل فى الصحراء والانجليز فى أرضه :

ـ لن تريد الانتصار فى الحرب ، للالمان أو للانجليز ؟ .

دقق سيد وتمعن فى ملامح أبيه الصارمة وقال دون أن يتلكأ فى الاجابة :

ـ اريد حرية بلدى..

يذكر تماما تلك اللحظة عندما وضع أبوه يده بقوة واعزاز على كتفه :

ـ بوركت يا ولدى ... فى جيلكم من سيعمل على تحرير أرضنا .

وقامت حرب اخرى دواعيها كانت واضحة، وكما قامت بسرعة انفضت ، ومرت كما تمر الشهب .

انه يفكر ، يرهق ذهنه ، لماذا لا يكون واحدا ممن تنبأ لهم أبوه بالانتصار على المعوقات والعمل على تأكيد الذات ؟ ..

ها هو الشريط الحديدى باق كما كان، تبدلت القطارات التى كانت تنقل البضائع الى اخرى تنقل ركابا من الشرق الى الغرب من نفس الضاحية ...

أطل من نافذة غرفته الى الحقول البعيدة المدى المترامية الاطراف. هناك ... هناك ارضه . بفضل دأبه ومثابرته وكده اتسعت رقعتها وازدهر فيها القطن ... مرت مواسم اكلت فيها

الدودة وترعرعت وتكاثرت والتهمت المحصول وشاركت الفلاحين في الثمرة الغالية وتقلبت على الميدات ومنى الفلاحون بخسائر فادحة ...

كان منهم وكان قريبه هو الاخر منهم ...

***

قالت له زوجته :

خسارتكما واحدة لماذا تكون انت البادىء دائما بالتعويض ؟ ..

لا تنكر عليك ذلك في حالة واحدة ، ان تكون رابحا وتملك فائضا ، حينئذ تؤدي دوره الجنين بك فعلا ...

يهز راسه وفي ذهنه الشريط الحديدي والارض الفضاء :

– لو تمت الامور هكذا لما عرفنا للتضحية قيمة او معنى .

كانها درست او لقنت كل مفاهيم العصر عندما تقول :

– نشاتك الدينية عزلتك تماما عن العالم المادى الذى نعيش فيه ... انظر امامك ووراءك وخلفك ، هل ترى احدا في مثل طيبتك وكرم نفسك ؟

عشرات الاحلام عاش فيها ، وعاش يحلم ان تباد اخر دودة قطن . وينمو المحصول ويجمع ويباع . ويصبح هو من اصحاب الراسمالية الوطنية ...

لحظة كان ينتظرها من زمن تراءت له في احلامه ، وفي ذهنه يعقب على نتائجها بينه وبين نفسه :

– اخيرا يا سيد صبرت ونلت ... السعت رقعة ارضك ، زرعتها قطنا من اجود الانواع . بعتها بسعر ليس فيه غبن للبائع والمشترى معا . وفي جيبك مال كثير حلال؟..

***

سار بمحاذاة شريط القطار في طريقه الى بيته ... لاول مرة من سنوات عديدة تتضح له معالم كل شيء اختلط به على حقيقتها ... راى وجه زوجه كالبدر التمام ، وابناءه بكل ما يتمتعون به من حلاوة وجاذبية . حتى نفسه تخيلها في ميعة الصبا ، وما جدوى الشباب بلا مال ؟ ..

اجمل فترات عمره هي التي يقطعها الان ... كافاته السماء على مثابرته وصبره ولمست يداه اوراقا مالية كثيرة ، مبلغا لا يستهان به ... سيقبل على الحياة من اول وجديد، لن يبخل على نفسه او على ذريته باى شيء ، حتى اقرباءه الفقراء سيقرضهم ما يحتاجون من مال ، خاصة قريبة هذا الفقير المسكين الشاكي دائما والذي لا يراه الا وراسه مطاطىء دائما ...

ما هذا ... لقد قطع شوطا طويلا من طريقه . والان يسير بمحاذاة شاطىء الترعة ... كل شيء مشرق اليوم ، والمياه ما اجمل التطلع اليها ، ما هذا؟ ... ، حسرة



إغماضة وتنهيدة

استغاثة ؟ ... انه شخص يشرف على الغرق ... فى اسعد الاوقات يستغيث الناس، ... ولكن لا وقت للتفكير ، ها هو يخلع رداءه ويطوح به ، وبقفزة واحدة ، وبسباحة مسافة قصيرة، تقدم نحوه يأخذ بيده ويريح رأسه المبتل على ذراعه

كم مضى من الوقت ؟ طريق الاياب ليس سهلا

قالا له اسير جميله :

ـ لن انسى لك ما حييت انك انقذتنى

سأله سيد وصدره يعلو ويهبط : ما الذى دفعك للنزول الى الماء ما دمت لا تعرف السباحة ؟ ...

ـ ربما حرارة الجو هى التى دفعتنى . ومع كل فلن اتعامل مع المياه الا للشرب والاستحمام .. اعنى فى بيتنا .

إغماضة و تنهيدة



او مريعا ، فالراسان مكدودان والجسدان مرهقان .

وعندما وصلا الى الشاطىء لم ير احدا الا .. رجلا واحدا يهرول مبتعدا . ربما اخافته صرخة الاستغاثة او لعله تذكر موقفا مماثلا محزنا فآثر الهرب ...

سمع تمتمة شكر وكلمات مبتورة ممن كان على وشك الغرق ، كلمات لا اصل لها ولا معنى ، البرودة تسرى فى اوصاله رغم حرارة الجو ...

وسرعان ما اختفى عن ناظرى سيد الذى تقدم يتناول ملابسه التى تركها على الشاطىء ، هذه . وتلك .. والجلباب ، لابد ان يكمل مشوار العودة .

وعندما وضع يده يتحسس حافظة نقوده اذا به يفغر فاه ثم يتمتم كمن مسه هوس :

ـ غير معقول : مستحيل ... من الذى اخذها ؟ من ... اكون نسيتها فى البيت ؟ كيف هل فقدت ذاكرتى ؟ لا .. لا اعتقد .

ثم تلفت حواليه فلم ير احدا ، اللهم الا صاحبنا الغريق . والآخر ايضا الذى كان يجرى مبتعدا بسرعة عن الشاطىء

***

وعندما جرى التحقيق ، قال له الضابط المحقق :

ـ هذان الرجلان : لصان ... احدهما كان يدعى الغرق ويطلب النجدة بينما زميله كان يسرق المحفظة ويفر مسرعا ... ليست هذه هى الحادثة الاولى لهما ، فقد مارساها من قبل ... الشىء المذهل الذى ادار رأس سيد ـ ولم تدهش له الزوجة ـ هو ان السرقة حدثت بايعاز من قريبه الفقير الدائم الشكوى ! ...

وقال له المحقق : من حسن حظك ان تم القبض عليهما فى الوقت المناسب تماما !

وفى طريق العودة الى بيته ، كانت تلاحقه وتلح عليه اسئلة كثيرة ... لماذا حدث كل ذلك ؟ هل لانه وضع كل ثقته فى اقرب الناس اليه ؟ .. أو لأنه لبى نداء الواجب وبادر الى اغاثة انسان فى خطر ؟ وهل يتحتم عليه بعد الآن ان يفقد الثقة مرة اخرى فى اقرب الناس اليه فقط أو فى الغرباء ايضا ؟ ! ...

◆



« قصة اخناتون ــ الملك المصرى القديم ــ قصة مأساة وبطولة معا . منذ نيف وثلاثة الاف سنة ثار اخناتون ــ الملك الشاب ــ على الفساد والطغيان المستشريين فى عصره ، بين طبقة الاقطاع والكهان ، فحاول تحرير الفلاحين ،وسن ديانة التوحيد . لكنه ، وقد احس احساس الانسان ، لم يستطع ان يخطط تخطيط الثائر ، فسقط دون غايته بعد ان تألبت عليه قوى الغزو الخارجي والفساد في الداخل ، واطلق عليه لقب الملك المارق ... »

الملك المارق

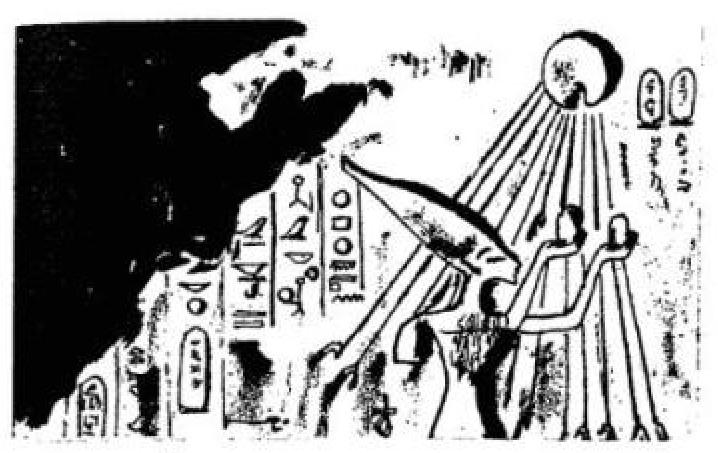
تطول العاديات ، ولا تدوم — وتنقشع السحائب والغيوم .
وتشرق من ضمير الليل شمس — ولو غابت عن الليل النجوم
فلا تعجل !. فوادى النيل باق — وباق مثله الشعب العظيم
يخط على جوانبه خلودا — تمد به الى الدهر الرسوم
أخناتون خلتك فيلسوفا — له رأى ، وليس له هموم !.
علام تثور فى وجه الرزايا — وكانت حول غيرك لا تحوم ؟
وكانت طوع امرك لو رمتها — بداك اصبت فيها من تروم
فيا ملكا تمرد ، وهو حر ! — رجوم العاديات هى الرجوم

***

رأيت الناس : بعضهم مريض — بلا سقم ، وبعضهم سقيم ..
وقد احسست بالبلوى وحيدا — كأنك شاعر فذ .. رحيم
فلا الكهان بالخير استقامت — ولا فرعون مصر يستقيم
ولا الحق الصراح غدا صراحا — ولا الوادى يحف به النعيم
مضى السلف الذى ضربت بعيدا — بوائقه ، فليس لها تخوم
وكان ابوك آخر من تولى — وأنت بعهده ، وبه عليم

***

رأيت هياكلا ملئت فسادا — تفح بالمها الريح السموم ...
فتلقى كل جيل فى مهب — على جنبات بلواه يهيم ...

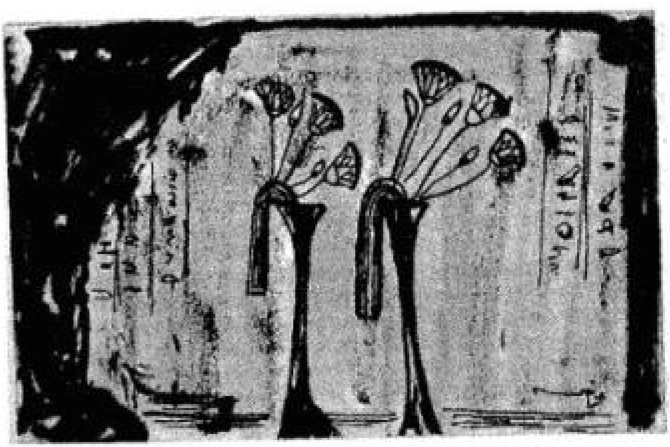


اخناتون !. رأيك عبقرى ... وحسك مثل رأيك مستقيم
ولكن الحياة بأرض مصر ... مغامرة ، وناموس قديم
رؤى ولنية ، ورؤى جبارى ... تعددت المظاهر والحجوم
فآلهة على الاعتاب ذلت ... وآلهة قرارتها جحيم ! ..
كان « آمون »(١) روضها فهانت ... وهل بعد المذلة من يلوم ؟
ومثلك لا يضيع عن التجلى ... وان كان التجلى لا يدوم
يحرفه لغايته جهول ... ويحرفه لغايته غشوم
أثرت الكبرياء بأرض مصر ... وبعض الهون كالبلوى مقيم
وبعض الناس تحسبه شقيا ... ببلواه ، وبلبواه نعيم

***

اخناتون !.. دغدغت الامانى ... تطير الى مرابعها الحلوم ..
فهل أنسيت قانون التجلى ... ليأتى بعده الكرب العظيم ؟
اذا الحق الصراح بدا جليا ... أيكفى انه حلو وسيم !.
اخناتون !.. ضيعت التجلى ... فلم تسطع بزهوته العلوم
اله الخلق ترفضه كثيرا ... تكثره هو الرب القديم
توزعت الالوهة من جديد ... فناموس الالوهة مستديم
وعاد « آمون » ديان البرايا ... واخناتون ملعون رجيم .

(١) آمون ، أو « آمون رع » اله المصريين الاقدمين



دى الدنيا اذا صلحت بأمر   تهاوى دونه الراى الحكيم
نعالها اذا جمحت جهول   وجاهلها اذا رضيت عليم
اذا اختصر الطريق فتى رجيم   لكم حرف الطريق فتى ظلوم
ويمضى كل مستبق لعزم   وعند الليل تفتقد النجوم
لقد عجلت ، فانطفأت شموع   بطيبة (١) عاجلت غدها الرجوم
فوادى النيل من زمن التجلى   يحب الريث والبلوى تحوم
فينفض عنه ظلمة الف جيل   يغلفها على الدهر الوجوم

كذلك كل اعمدة التجلى   يظل يلفها الابد المقيم
فخالدة بآيات التجلى   رؤى مصر وان عفت رسوم
فكيف وقصة الاهرام سقيا   لراويها ، ولذته نديم ؟ ! ...

يلوح بكل واجهة ووجه   صفاء من نفرتيتى (٢) وسيم
بباب الكرنك السرى منه   رؤى وحى تنغصه كلوم
ويبسط للزمان بلا تناه   ذراعيه ابو الهول العظيم

***

اخناتون ! .. مازال التجلى   على الاهرام يكبر .. والهموم

● اللاذقية   ● جميل حسن

---

(١) طيبة : عاصمة مصر الجنوبية ، وقد ازدهرت كثيرا قبيل تولى اخناتون العرش . اشتهرت بكثرة الهياكل والآثار

(٢) نفرتيتى : زوجة اخناتون المشهورة بجمالها وطول عنقها ، وكانت ملهمته الاولى



محمود تيمور يحاسب النقاد

لماذا أقتل أبطالي؟

سئلت مرة في استطلاع صحفي :

لماذا قتلت في روايتك السمحة «سلوى» عددا من شخصيات قصتها ؟ وما الحكمة فيما فعلت ؟

وقد أجبت بأنني لست بالسائل ؟ ولكني للناس ، وأن شخصية القصاص من الألوهية في شيء ، فكما أن له حق الخلق له حق الإماتة طوعا لأقدار العمل القصصي .

[illegible]



تيمور : الأديب إله من البشر

محمود تيمور يحاسب النقاد

أساء صنعا ؟ ليكن قبنا من الالوهة شيمة الصفح والسماحة والكرم، وليكن موقفنا من هؤلاء موقف التعرف لما يطلبون ، والتفهم لما يقصدون ·· علينا أن نقرأ ما كتبوا ، ونتدبر ما طلبوا ، لمجرد النظر والاطلاع ·· ولنجعل تلك رياضة عقلية ذهنية لتنشيط الفكر ، وفسح المجال للتأمل والنظر ·· ولكن واجبنا بعد ذلك أن ننسى ما قرأناه ، كما يفعل كل ذى علم وفن ، يدرس الوانا من المواد ، تترسب كلها فى مخزون الوجدان ، ولا يبقى منها ما يسيطر على حياته العملية بطريق مباشر ، فان بقى فما هو الا القليل ·

كل ناقد له وجهة من النظر ، ومن بين هذه الوجهات النظرية ما هو جيد وصواب ، ولكن لا يمكن أن نجمد افكارنا واذواقنا ليستأثر بها هذا الناقد أو ذاك · فللقضية الادبية النقدية جوانب شتى وزوايا كثيرة ، ويخطىء من يركن الركون كله لجانب منها أو زاوية ، فالاوامر الحتمية فى الادب تناقض مفهوم الادب ، وقوام العمل الادبى حرية الرأى ، وطلاقة الفكر ، والانعتاق من القيود والحدود ·

وما لنا نخص هذا بالادب ، والعلم نفسه قد حكم على نفسه بأنه يتغير ، وأنه لا يثبت على حال ، وأن قواعده تتزلزل تحت مطارق البحث الجديد ، وما من عالم يستطيع اليوم أن يزعم أنه يلقى بالكلمة الاخيرة فى الميدان الذى يعمل فيه ، وما من قارىء يرضى لنفسه اليوم أن يؤمن بأن معارفه التى يطالعها هى الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ·

●●●

لتكن أيها القاص سيد نفسك ، لا تتوكأ على عصا الآخرين ، ولا تتعلق بأذيالهم فى غدو ورواح ·· لا تكن عبدا مطيعا لفن أستاذ من النوابغ ، أو منقادا لمذهب نقدى مهما يكن شأنه، بل حاول أن تتحرر من سلطان الأستاذية ، وهيمنة المذاهب النقدية ، وأن تجعل لنفسك طابعا يدل على الموهبة ··

كن شمسا تتوسط الكواكب ، وتمنحها القوة والنماء بما تشعه من الحرارة والنور ، ولا تكن قمرا تبيعا يدور فى فلك الشمس ، منها بهاؤه ورواؤه ، فان انعمنا النظر فى ذلك البهاء والرواء لم يظهر الا انعكاس الشمس على القمر التبيع ·

عليك أن تنمى فى نفسك تجربة الخلق ، وأن تكتب ما ينبثق من أعماق وجدانك تاركا لخيالك التحليق فى أجوائك ، أجواء مخيلتك ، بعيدا عن الاجواء الخارجية عن مدارك الفلكى·· تكلم بلغتك أنت ، ولا تحاكى كالببغاء منطق الآخرين ·· كن أنت نفسك ، ولا تكن غيرك ، فلا خير لك فى التقليد والمحاكاة ··

حاول أن تكون الها من البشر ·· مارس الوهيتك بحرية تامة ، فقد تخطىء المرمى ، وقد تزل بك القدم ، وقد تأتى بالغث والسخيف ، ولكنك على كل حال تظل الها خالقا تريد ، لا صانع نماذج على قوالب مستعارة ، فلك فيها مسبوق ·

كن خالقا ، واصنع نماذج انسانية حية ، تحس بأنها تتجاوب معك أعمق التجاوب ، ولا تكن كذلك الممثل الذى يقف خلف مسرح البهاليل أو « مسرح العرائس » ليحرك شخصياته المسواة من قش أو ورق ·

يجب أن تكون شخصياتك مما سويته بيديك ، لم تتخذ فى تسويتها

قفازا لكاتب أو ناقد ، لا كشخصيات « عرائس المولد » التى تلبس الخرق المتلفشة الوشاة ، وليس بها حركة أو حياة ·

***

أيها الزميل فى الالوهية البشرية : الادب تصوير صادق للخفايا من مشاعرك وأحاسيسك ، وتعبير حر عن خلجاتك وأفكارك · واكبر خصائص الادب بل الخاصة التى يتفرد بها ، هى الخلق ·· فالادب الصحيح وليد عملية خلق ذاتية ، نابعة من الوجدان الفنى للكاتب الفنان ·· والفارق بينه وبين سواه من الكتاب هو انه خالق وسواه مقلد ، فالخالق يكتب بفطرته المطلقة ، والمقلد يكتب وأمامه نموذج يحتذيه ، يحسن نقله والنسج على منواله ، وبين يديه خطوط عريضة أو غير عريضة لقواعد تقنية مقررة ، يلزم نفسه الاستمساك بها فى مسيرته ، فاذا قرأت له قدرت ما وفق اليه من حسن السبك ، ودقة الالتزام ، وقلت له فى هدوء : أحسنت ولكنك اذا قرأت للفنان الخلاق بعث فى نفسك انتفاضة تهز كيانك كله ، وقلت له مهتاجا : أعد ··

وربما عجبت من الفنان الخلاق : كيف جاوز ما هو مقرر من أوضاع ونظم ، وكيف فاته التزام المعايير المحدودة للعمل الفنى ، ولكن شعاعا واحدا ينبعث من عمل ذلك الفنان



الخلاق ، جدير أن يبهر الاعين بلألائه ، ويمس القلوب فى الصميم ، فيطمس بنوره كل عيب فنى باعتبار ما تقضى به قواعد أو أصول ·

ودعنى اقدم لك عملا من أعمال العباقرة ، هو مسرحية « الملك لير » لمؤلفها « شكسبير » ، فموضوع المسرحية لا يعدو أن يكون « أحدوثة » ترويها جدة تقدمت بها السن لحفدتها ، وهو موضوع قد لا يقع منك ببال ، وربما أثار فى نفسك الاشفاق لتفاهته ، وحسبك أن تعلم أن الحكاية كلها تتلخص فى أن الملك « لير » أحد ملوك الاعصر الخالية قد حمل على اكتافه اثقال السنين ، واشتعل رأسه شيبا ، وتهدلت لحيته الشهباء على صدره وتسب اليه بعضهم خبال الرأى ورعونة التصرف ، وقد أراد هذا الملك أن يتخفف من اعبائه ، ففكر فى توزيع مملكته بين بناته الثلاث ، بقدر حبهن له ، وراح يسألهن ، فقال للاولى : ما مقدار حبك اباى ؟ فعاجلته بجوابها : انها تحبه قدر ما تحب الدنيا وما فيها ، فوهب لها ثلث ما يملك ·

وسأل الوسطى ، فاجابت : أحبك حبى لنور عينى · فنزل لها عن مثل ما نزل عنه لاختها الكبرى ·

ووجه للصغرى سؤاله المعهود فقالت له فى بساطة : أحبك جهد ما تحب الابنة المخلصة اباها · فلم يرض عن جوابها ، واستشاط غيظا ، وأعلن انه يحرمها نصيبها فى الملك ·

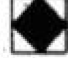
ثم تسير احداث المسرحية ، وفيها ملامح من قصص « الشاطر حسن » و « ست الحسن والجمال » و « الغول » وما اليهما من القصص المتضمنة للعجائب ، والمثيرة للخيال ، بما فيها من أحداث عنيفة أو خارقة ، وشخصيات طريفة أو اسطورية ، فى زوبعة مهلكة ، وحروب متلاحقة ، ومغامرات هائلة ، ولكنك حين تطالعك الرواية بأسرارها ، تتضاءل أمامك وقائعها ، فانك واجد



فيها فلسفات متعمقة ، وصورا انسانية رائعة ، وتعبيرات شاعرية خلابة ، وأوصافا مبتكرة جميلة . فاذا انت أمام ملحمة تموج بالصراعات النفسية ، والنازعات الغريزية ، وهكذا يختفي موضوع (الاحدوثة) التي ترويها الجدة العجوز ، ولا يبقى منها الا ظلال . أما المحتوى الحقيقي والمضمون الجوهري فهو الانسان في خضم الحياة والمجتمع ، وهو النفس البشرية العجيبة الزاخرة بالالغاز والمفارقات .

فاذا كنا نؤمن بالقواعد الفنية واصولها المرسومة ، ونعرف للنقاد قيمتهم في وضع المناهج ، وتوضيح المعالم ، وتبيين الفروق ، وتمييز المزايا من الشوائب ، فان ذلك لا يحجب الحقيقة الكبرى ، وهي أن الفنان اله خلاق ، وانه فوق كل تلك الاعتبارات ، وأن في مكنته الاتيان بأعمال للنقاد فيها مقال ومقال ، وللفن المرسوم مآخذ عليها ومآخذ ، وهي مع ذلك في القمة من الروعة والابداع ، وهي في الطليعة من شوامخ الادب المكتوب لها خلود .

واذا كنت اطالبك ، أيها الزميل بأن تكون الها من البشر ، فانني لا اريدك على ان تحمل مالا تطيق ، ولا ان تكون فوق ما تتيح لك مواهبك ، فلتتخذ نظام الالوهية الاغريقية ، تلك التي تسمح بأن يكون هناك اله ونصف اله وبعض اله ... ومتى عز عليك أن تتكامل لك الالوهية الفنية فليكن لديك منها جزء وان صغر ، جزء يتيح لك الطلاقة في الابتكار والابداع ، لتبدأ حياة فنان خلاق ، محاولا أن ترقى درجات في سلم الالوهية الكاملة ، حتى تبلغ شأوك الاعلى





منذ عشرين عاما وبالتحديد في يوم الرابع والعشرين من مارس ١٩٥٣ غاب عن دنيانا وجه الشاعر الرقيق الدكتور ابراهيم ناجي .. وخلف وراءه باقة شعرية عبقت الدنيا بعبير الحب ..

والحق أن ناجي قد عاش حياته كالفراشة الحائرة التي تنتقل من غصن الى غصن عساها أن تجد الزهرة المنشودة ، وكلما توهم أنه قد وجد هذه الزهرة برزت له الهوة العميقة بين المثال والواقع .. بين المثال الذي خلقته تصوراته للمرأة وبين الواقع الذي تتمخض عنه الحياة بكل ما فيها من نقائص ومنغصات .. هذه الهوة العميقة بين المثال والواقع هي نفسها التي جعلت ناجي يحترق طيلة حياته ..

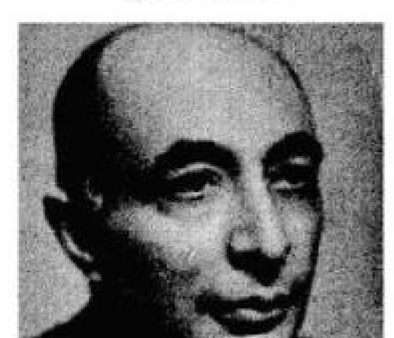
ومن خلال المقارنة بين ناجي وبين شعراء جيله يتضح لنا أن ناجي هو الوحيد الذي ظل يصور احاسيسه ومشاعره تجاه المرأة ويبثها أشواقه المتلهفة الظمأى ويعدها الملاذ الذي يلجأ اليه حينما تضيق به الحياة . بينما كان علي محمود طه يصور المرأة في حد ذاتها — لا احاسيسه تجاهها — وكان هذا التصوير لا يبين لقارئه أن الشاعر يحترق . بل انه كان يبين — احيانا — أن الشاعر يلهو .. وكان

محمود حسن اسماعيل يغلف قصائد الحب عنده بغلالة قاتمة من الصور والتعبيرات الرمزية التي تحجب عن قارئه هـــذا الحب وتجعله يتشح بالغموض أحيانا .. كما كان صالح جودت يعبر عن قضايا المرأة أو يصور أحاسيسها هي أو يتغزل بها وهو مدرك أنه يتغزل في مخلوق من طين وماء لا في مخلوق سماوي شفاف ...

صدرت عن ناجي منذ وفاته عـدة دراسات منها « ناجي حياته وشعره » لصالح جودت ، وفيه يبرز جـانب الذكريات الشخصية بحكم الصـداقة التي كانت تربط بينهما » و « ناجي الشاعر » للدكتورة نعمات فؤاد وقد تعجلت المؤلفة في اعداده فيما يبدو لاذ التعمق يعوزه ، و « ناجي شاعر الوجدان الذاتي » لاحمد المعتصم وهي دراسة تحاول استخدام المنهج النفسي في تحليل اشعار ناجي ، لكننا — في الحق — نفتقد الدراسة الفنية الخالصة التي تحلل اشعار ناجي وتبين كيف كان يبدعها وما خصائصها وسماتها التي تميزه عن شعراء جيله الذين عاصروه ...

فهل يا ترى نأمل في أن يقدم لنا هذه الدراسة واحد من نقادنا الكبار بعد انقضاء عشرين عاما على وفاة شاعرنا الرقيق ؟ !

د. ناجي : دراسة غير دقيقة عن شعره



وبهذه المناسبة يهمني أن أشير الى أن أحد الشعراء المحدثين قد اختار عددا من قصائد ناجي وكتب مقـدمة لها ، وقد صدرت في بيروت حديثا ، وقد هاجم هذا الشاعر أعضاء اللجنة التي كلفت من قبل وزارة الثقافة بجمع شعر ناجي هجوما عنيفا ، لكنه وقع في خطأ فادح حين اختار قصـــيدة للشاعر كمال نشأت عنوانها « نبـيع وقطرات » وضمنها في مختاراته من شعر ناجي على أساس أنها من شعره، وحين تحدث عن التجديد الفني عند ناجي قال : « وفي احدى قصائد ناجي المكونة من مقاطع ثنائية يورد مقطعا مكونا من بيت واحد غير حريص على اكماله ببيت آخر لتظهر « القافية » ولو أن هذا الشاعر لم يتعجل الاختيار وكتابة المقدمة بطريقة « سلق البيض » لادرك أن ناجي قد أثبت البيت الثاني في آخر صفحة من صـفحات ديوانه لانه سقط من الطبع ، وهذان البيتان هما :

قلت اهدئي لم ثورة النـــــدم
كفاك ترتعشـــــان يا املي
واخـــــذت الفم يردها يفمي
لو تنقعن حـــــرارة القبل

على أي حال ، فان هذه المختارات التي صدرت حديثا يعوزها الكثير لكي نستطيع أن نعدها مختارات تمثل ناجي تمثيلا حقيقيا ، فهل يا ترى نطمع في أن يعاد طبع ديوان ناجي في هـذه الفترة بعد أن نفد هذا الديوان منذ زمن بعيد ؟ ..

وهل نطمع في أن يضيف الدكتور أحمد هيكل الى مقدمته لهذا الديوان ما يجعلها تتكىء على الجانب الفني من شعر شاعرنا الراحل الذي رحل عنا جسده فحسب وبقيت روحه العذبة الطيبة يستشفها كل قارىء لشعره الصادق الخالد ما خلد الحب وخلدت الحياة .. ؟

« حسن توفيق »

تاريخ المجامع العلمية العربية

■ مجمع اللغة العربية

القاهرة

■ المجمع العلمي العربي

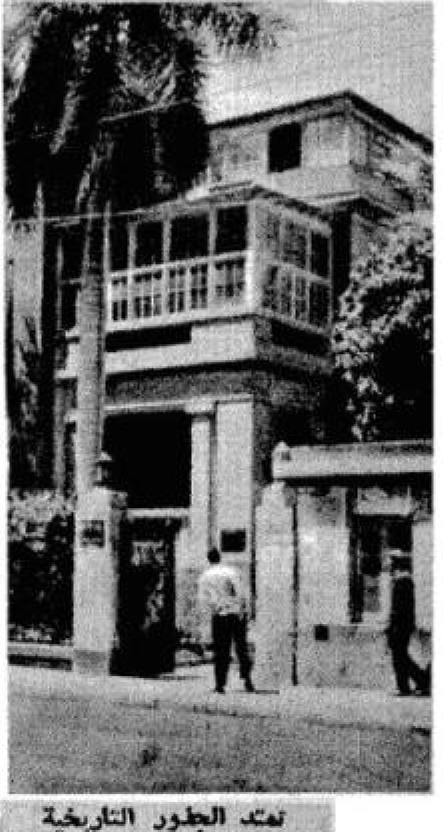
دمشق

■ المجمع العلمي اللبناني

بيروت

■ المجمع العلمي العراقي

بغداد



تمتد الجذور التاريخية للمجامع العلمية الى اعماق التاريخ البشرى ، فقد نشات نشاتها الاولى متشكلة فى ابسط الاشكال عند الجماعة البشرية العريقة فى القدم .



يحكي لنا التاريخ البشري من آثار اقدم مجمع علمي على سطح الارض ، بعموسا يروى من اجتماعات افلاطون بتسلامذته بأثينا وبتلاميذه ، ويلقى فيها خلاصة آرائه في الحكمة والفلسفة .. وكان سقراط يلقي في هذه الاجتماعات خطبا على طلابه ومريديه ، وقد أطلق على مجلس هذه الاجتماعات اسم Akademos نسبة الى البطل الخيالي (أكاديموس)

وبعد وفاة افلاطون لازمت هذه التسمية منتديات اتباعه من المشتغلين بالحكمة والفلسفة ، ثم شاع هذا المصطلح « أكاديمية » في دنيا العلم والثقافة ، واصبح يدل على كل جماعة يشدهم حب العلم ورغبة العمل في شعاب المعرفة والفنون

وقد ترجم العرب في عصر نهضتهم الحديثة هذا المصطلح من الانجليزية التي اقتبسته بدورها من اللاتينية ، واصله يوناني Akademoz ، وكانت اللفظة العربية المترجمة : (المجمع العلمي) ، وهو بمعناه هيئة علمية تهتم بالبحث والدراسة في مختلف فروع العلم والادب ، وعادة يختار اعضاء هذه الهيئة من اعلام الامة .

وقديما انتشرت المجامع في الاسكندرية في عهد البطالسة . ولم يخل تاريخ الحضارة العربية من ذكر (المجامع) التي عرفها العرب في الجاهلية والاسلام .

ومن فضول القول التحدث عما لاسواق العرب من اثر في حياة اللغة ونموها وصقلها وانتشارها . ولعل اقدم ندوة يمكن ان يطلق عليها (مجمع) هي الندوة التي عرفت باسم ندوة قريش في مكة المكرمة للمناقشات والمحاورات وكذلك سوق عكاظ اشهر اسواق العرب في الجاهلية والاسلام .

وقد ألف العرب في الشرق والغرب نوادي علمية منها (جمعية اخوان الصفا الفلسفية » ومؤسسات الترجمة والتعريب والتاليف كثرت فيها المناظرات ومداولة المطارحات واساليب النقل والتاليف مما كان له اليد الطولى في ترقية اللغة وتهذيب الفاظها وتوفير مؤلفاتها .

اما نشأة المجامع العربية بالمعنى المفهوم الان في البلاد العربية فهي اثر من اثار الحضارة الحديثة بعد اتصال هذه البلاد بالبلاد الغربية واقتباس نظمها ووسائل تقدمها ، وهي التي سنحاول فيما يلي ايراد طرف من تاريخ انشائها

مجمع اللغة العربية – القاهرة

كان من اظهر اثار الحملة الفرنسية على مصر احياء النشاط الفكري وانبعاث الروح العلمي في البلاد فقد عرفت مصر قبل البلاد العربية الطباعة والصحافة والبعوث العلمية الى اوربا وغير ذلك من مرافق التقدم الحضاري . .

ففي سنة ١٧٩٨ تأسس في القاهرة اول (مجمع علمي) باللغة الفرنسية في مصر وسمي في عهد نابليون بونابرت (المجمع العلمي المصري) .

وفي سنة ١٨٥٦ جدد باسم (مجلس المعارف المصري) في الاسكندرية ثم نقل الى القاهرة سنة ١٨٨٠ ، وفي سنة ١٨٩٢ تأسس (المجمع اللغوي) برئاسة المرحوم السيد توفيق البكري للوضع والتعريب وضم هذا المجلس مجموعة مختارة من فضلاء مصر ، ولم يدم هذا المجلس طويلا

لقد عطل بعد بضع سنوات ثم أعيد هذا المجمع برياسة الشيخ محمد عبده وبقي الى ما بعد سنة ١٩٢٢ م .

وفي سنة ١٩٠٧ تألف برياسة حفني ناصف نادى لخريجي دار العلوم يحضرون اليه في أوقات فراغهم وقد عنوا بوضع بضعة الاف لفظة جديدة ، ولكن هذا النادى اغلق بعد ذلك .

وفي سنة ١٩١٧ برزت فكرة انشاء مجمع لغوى عربي وتم لهم ما أرادوا برياسة لطفي السيد في اجتماع ضم خيرة أهل العلم في القاهرة ، واتفقوا على انشاء مجمع لغوى وتم لهم ما أرادوا برياسة شيخ الازهر حينذاك واستمر المجمع اكثر من عامين وضع خلالهما مجموعة من الكلمات المصرية . ثم تعطل ابان الثورة المصرية سنة ١٩١٩ .

وفي ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ صدر المرسوم الملكي بتأسيس (مجمع فؤاد الاول للغة العربية) ودعى الى الاشتراك فيه رسميا أبناء الناطقين بالضاد وطائفة من العلماء المستشرقين ، لتحققت بذلك الامنية التي طالما جاشت بصدور أبناء الامة العربية جميعا

وقد نص المرسوم بانشاء (مجمع اللغة العربية) أن يكون تابعا « لوزارة المعارف » ويكون مركزه مدينة القاهرة .

وتكون اغراض المجمع كما يلي :

١ – أن يحافظ على سلامة اللغة العربية

٢ – أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وان ينشر بحوثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها

٣ – أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية

٤ – أن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية مما يعهد اليه بقرار من وزير المعارف

كما نص المرسوم على أن يصدر المجمع مجلة لنشر بحوثه ، وقوائم الالفاظ والتراكيب التي يرى استعمالها أو تجنبها ، وتتقبل مناقشات الجمهور واقتراحاته .

ونص أيضا على أن يكون المجمع من عشرين عضوا عاملا يختارون من غير تقيد بالجنسية من العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية أو ببحوثهم في فقه هذه اللغة أو لهجاتها .

وفي ١٥ شوال سنة ١٣٦٥ هـ – ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٦ صدر مرسوم آخر بالا يقل عدد الاعضاء العاملين عن ٣٠ ولا يزيد على ٤٠ وان يكون من بينهم عدد من العلماء من غير المصريين لا يتجاوز العشرة .

وفي ٢٧ محرم سنة ١٣٧٥ هـ – ١٤ سبتمبر سنة ١٩٥٥ صدر قانون رقم ٤٣٤ لسنة ١٩٥٥ خاصا بتنظيم المجمع الذى أطلق عليه (مجمع اللغة العربية) ونص على ما يأتي :

(ا) يؤلف من ٤٠ عضوا على الاكثر من بين العلماء في اللغة العربية وآدابها او في العلوم والفنون

(ب) يجوز أن يكون من بين هؤلاء الاعضاء عدد لا يتجاوز ١٢ عضوا من غير المصريين

وبعد اتحاد مصر وسورية ، وفي ٢١ ذى الحجة سنة ١٣٧٩ هـ – ١٥ يونيه سنة ١٩٦٠ م – صدر قرار بتوحيد مجمعي مصر وسوريا باسم (مجمع اللغة العربية) وتوسيع اختصاصه وقد حددت اغراضه بما يأتي :

(ا) المحافظة على سلامة اللغة العربية

(ب) توحيد المصطلحات في اللغة العربية

(حـ) الدراسات العربية واحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب

(د) يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية .

وقد نص القرار على أن يكون الرئيس الاعلى للمجمع هو وزير التربية والتعليم وهو رئيس المؤتمر ورئيس مكتبه ، وله نائب ينتخبه مجلس المجمع من بين أعضائه انتخابا سريا في اجتماع قانوني ، وللمجمع أمين عام يختار من بين أعضائه لمدة ٤ سنوات قابلة للتجديد بقرار من وزير التربية والتعليم ، ومسئولية الأمين هي

اعمال المكتب الدائم لمؤتمر المجمع وله الاشراف على موظفيه .

ويتكون المجمع من هيئات اربع هي : (أ) مؤتمر المجمع (ب) مجلس المجمع (ج) اللجنة الادارية (د) اللجنة العلمية

وفي سنة ١٩٧١ كان المجمع يتألف من ١٨ عضوا عاملا بما فيهم الرئيس د. طه حسين، ونائبه الاستاذ زكي المهندس ، والاستاذ ابراهيم مذكور الامين العام .

وللمجمع اعضاء مراسلون في مختلف البلاد العربية من كبار المستشرقين يقاربون لمائتين عضوا ، ويدعى بعضهم أثناء دورات المجمع السنوية .

وقد قام المجمع بنشر مجموعة كبيرة من الكتب اهمها :

١ – معجم الفاظ القرآن الكريم
٢ – المعجم الوسيط
٣ – المعجم الكبير ٤ – في اصول اللغة ٥ – مجموعة مصطلحات علمية وفنية ٦ – بحوث ودراسات
٧ – محاضر الجلسات ٨ – مجلة المجمع وقد صدر منها ٢٧ جزءا

ولم يقف نشاط المجمع عند هذا الحد بل تعدى ذلك الى احياء المؤلفات القديمة فقام بنشر الكتب القديمة الاتية :

١ – كتاب التكملة والذيل والصلة – للصاغاني ، وهو تكملة كتاب الصحاح الجوهري
٢ – كتاب مجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب للحازمي ٣ – كتاب الجيم للشيباني

مجمع اللغة العربية – دمشق

يعتبر مجمع اللغة العربية بدمشق اقدم المجامع العلمية الموجودة الان ، فقد انشأت الحكومة العربية في دمشق مجمعا سنة ١٩١٨ وكان يعرف باسم « الشعبة الاولى للترجمة والتاليف»

وبعد ذلك سمي (المجمع العلمي وقد عقدت اولى جلساته سنة ١٣٢٧هـ – سنة ١٩١٩ م في مبنى المدرسة العادلية الكبرى التي شيدها الملك العادل شقيق الناصر صلاح الدين الايوبي سنة ٦١٢ هـ والتي لاتزال مقرا للمجمع ، وتولى رياسة المجمع الاستاذ الجليل محمد كرد علي – ١٨٧٦ – ١٩٥٣ ومن الاعضاء عبد القادر المغربي، والشيخ سعيد الكرمي ، وعز الدين التنوخي وعيسى اسكندر المعلوف، ومن ثم بدا المجمع عمله لتحقيق الاغراض الاتية :

١ – النهوض بدار الكتب الظاهرية
٢ – الاشراف على تاليف الكتب الدراسية او ترجمتها
٣ – وضع بعض المفردات والمصطلحات الادارية والفنية لتحل محل الالفاظ الاجنبية الدارجة بين العاملين
٤ – اصدار مجلة خاصة بالمجمع ينشر فيها افكاره واعماله وتكون رابطة بينه وبين المؤسسات المماثلة

ويعتبر محمد كرد علي صاحب الفضل الاول في انشاء المجمع فقد كان رحمة الله عليه صادق العزيمة في عمله لهذا المجمع مخلصا لهذه اللغة الكريمة التي انشىء المجمع من اجلها .





وقد اصدر المجمع مجلة ينشر فيها اعماله وافكاره فصدر الجزء الاول منها سنة ١٩٢١ واعتبرت مدرسة علمية كبرى وصدر منها حتى الان ٤٦ مجلدا .

ومن ابرز اعمال المجمع تاسيسه وتنفيذه لدار الكتب الظاهرية التى حوت تراثا فكريا هائلا ، ووضع فهارس منقحة لكل علم من العلوم كما نشر المجمع عشرات من المخطوطات النادرة وفى عهد الوحدة السورية المصرية سنة ١٩٥٨ اصبح اسم المجمع (مجمع اللغة العربية) ليكون متحدا مع مجمع القاهرة ، ثم بعد الانفصال استعمل اسمه القديم والان يعود الى الاسم الجديد (مجمع اللغة العربية) .

ورئيس المجمع الان هو د . حسنى سبح الخبير والعالم بالمصطلحات الطبية وله بحوث ودراسات شافية فى مجال الطب ، ويضم المجمع الان ١٦ عضوا من خيرة علماء سوريا وكبار الباحثين والدارسين . بالاضافة الى ٥٢ عضوا مراسلا من مختلف البلاد العربية ومشاهير المستشرقين .

المجمع العلمى اللبنانى

يمر تاريخ المجمع العلمى فى لبنان بعدة مراحل اولها انشاء (الجمعية السورية) فى بيروت على يد الارسالية الامريكية سنة ١٨٤٧ م بمساعدة عدد من كبار العلماء بينهم المستشرق يوحنا ورتبات والشيخ ناصيف اليازجى وبطرس البستانى ، وغيرهم ، وقد نشرت الجمعية اعمالها فى مجموعة طبعت سنة ١٨٥٢ ، وفى سنة ١٨٦٨ رأس الامير محمد ارسلان هذه الجمعية ولم يطل عهدها .

وفى سنة ١٨٨٢ م انشىء مجمع باسم (المجمع العلمى الشرقى) برياسة .. كرنيليوس فانديك) ويوحنا ورتبات وانتخب له اعضاء من كبار العلماء النابغين مثل جورجى زيدان ، ويعقوب صروف ، والقيت فى هذا المجمع بحوث شائقة ومقالات مفيدة ، ولكن سرعان ما اقفل هو الاخر

ومن ابرز الجمعيات التى انشئت بعد ذلك (جمعية النهضة العلمية) لمؤسسها العلامة عيسى اسكندر المعلوف سنة ١٩٠٣ وفى صيف ١٩٢٠ اجتمع فى بيروت جمع من علمائها وأدبائها وقرروا انشاء مجمع فيها ، ولم تتحقق هذه الفكرة الا سنة ١٩٢٨ ، وصدر مرسوم بانشاء المجمع ، والغاية منه :

١ - المحافظة على اللغة العربية ورفع شانها والعناية بالمباحث والاعمال المتعلقة باصولها وآدابها .

٢ - المحافظة على الاثار ودراسة تاريخ لبنان وجغرافيته

وصدر مرسوم آخر بتعيين اعضائه من ١٥ عضوا من بينهم الشيخ ابراهيم المنذر ، والشيخ عبدالله البستانى ، وعيسى اسكندر المعلوف . ثم افتتح المجمع اعماله بحضور الشيخ بشارة الخورى رئيس الوزراء الذى كان وزيرا للتربية والتعليم وانتخب الشيخ عبد الله البستانى رئيسا .

وقد قام المجمع باستكمال (دائرة المعارف) للبستانى ، ووضع الفاظا للمسميات الحديثة ، ولكن السياسة

عملت على اغلاقه سنة ١٩٣٠ ، وفي سنة ١٩٤٢ عاد اعضاؤه الى المطالبة بفتحه مرة ثانية حتى استجاب لهم المجلس النيابي واذن بفتحه والصرف عليه ولكن الحكومات المتتابعة لم تبذل له العون او المساعدة فلم يلبث ان اغلق ابوابه ..

المجمع العلمي العراقي

لعل اول محاولة لانشاء « مجمع علمي » في بغداد هي محاولة الاستاذ انيث عبد النور الذي قام بانشاء « المعهد العلمي » في بغداد وكان ذلك في سنة ١٩٢١ م ومن مآثر هذا المعهد اقامة « سوق عكاظ » على ارض المتحف العراقي الجديد .

وفي سنة ١٩٣٢ انشيء ناد ادبي علمي سمي « نادي القلم العراقي » برئاسة جميل صدقي الزهاوي ثم الشيخ محمد رضا الشبيبي ، وكان من اهداف النادي تعارف المؤلفين والدارسين في هذه البلاد وبين نظائرهم في البلاد الاخرى .

وبعد ذلك بدأت وزارة المعارف تنظر الى وضع العراق من البلاد العربية قديما وحديثا وماينبغي عمله في توسيع نطاق النشاط العلمي اسوة بالامم الناهضة في مجال اللغة فالفت لجنة خاصة لذلك ، وتأسس المجمع العلمي العراقي بمرسوم صدر في سنة ١٩٤٧ م ورسمت أهدافه كالاتي :

١ ـ العناية بسلامة اللغة العربية والعمل بجعلها وافية بمطالب شئون الحضارة الحاضرة

٢ ـ العناية بادب العرب وتاريخهم وحضارتهم

٣ ـ حفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة واحياؤها بالنشر

٤ ـ تشجيع الترجمة والتاليف في العلوم والفنون الحديثة

● محمد الساكت ●


شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية



من القائل ؟

١ ـ أعط الاجير حقه قبل أن يجف عرقه .

*

● تروتسكي ـ فيدل كاسترو ـ حديث شريف

***

٢ ـ ليس للذل حيلة في نفوس
يستوى الموت عندها والبقاء

*

● شوقي ـ الشريف الرضي ـ معروف الرصافي

***

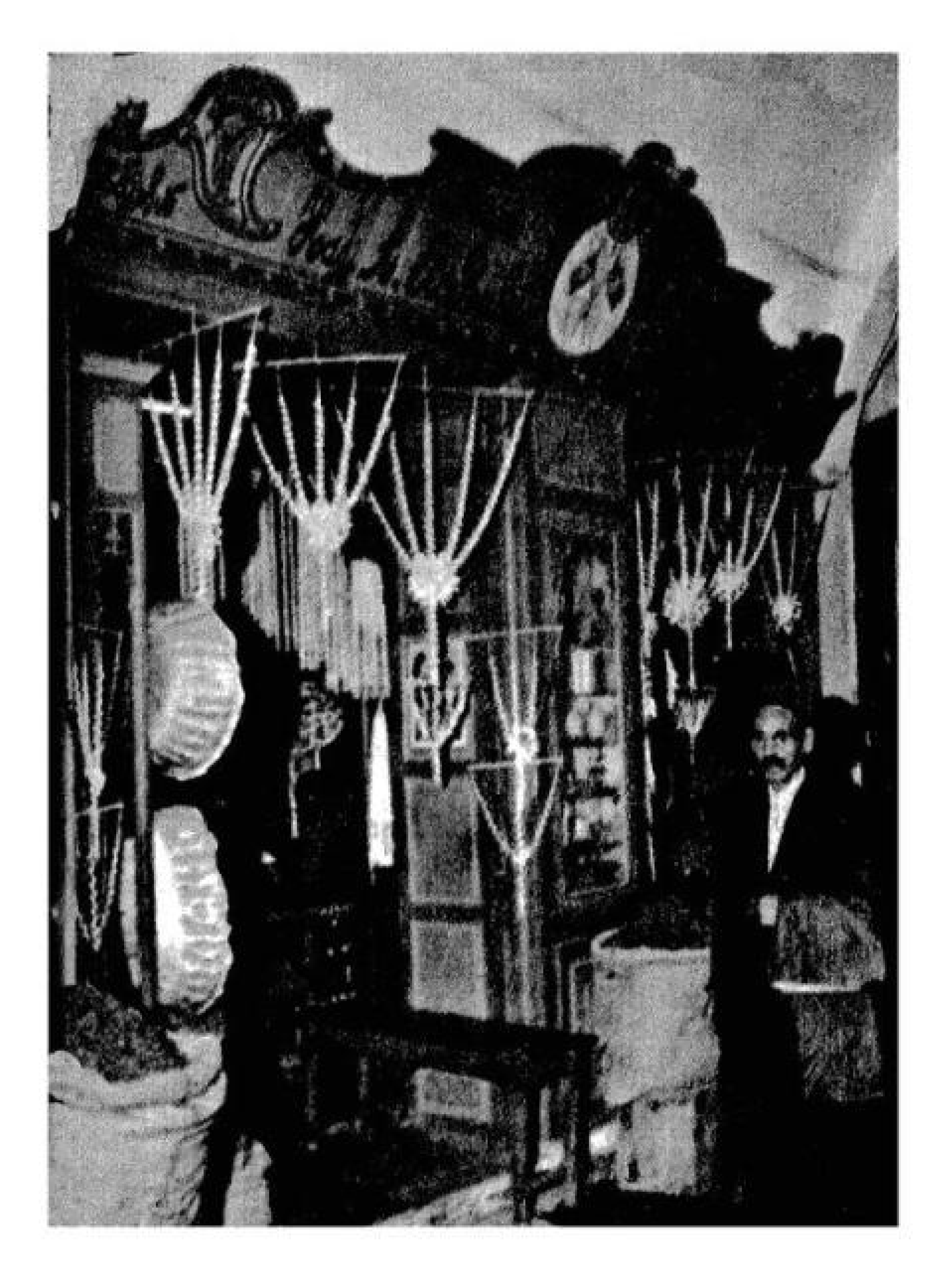
٣ ـ ليس حب العدالة لدى معظم الناس سوى خوف على انفسهم من ظلم الظالمين .

*

● لاروشفوكو ـ مونتسكيو ـ لنكولن

● الاجوبة ●






عدد خاص
الهلال
اطلب مع العدد
الزهور
الملحق الأدبي للهلال

الهلال

يونية ١٩٧٣

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد السادس ـ السنة الحادية والثمانون ـ اول يونيه ١٩٧٢ ـ ٢٩ ربيع الآخر ١٣٩٣ ..

رئيس مجلس الإدارة
فكرى أباظة

نائب رئيس مجلس الادارة
صالح جودت

رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

المشرف الفنى
جمال قطب

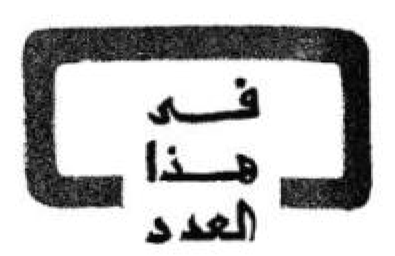
سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

الاشتراكات

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٢٠ مليما ـ من الكميات المرسلة بالطائرة ـ في سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا ـ في الاردن ١٥٠ فلسا ـ في العراق ٢٠٠ فلس ـ في الكويت ٢٢٥ فلسا ـ في السعودية ٢,٥ ريال سعودي .

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادي البريد العربي والافريقي ١٢٠ قرشا صاغا . في سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢,٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : في جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . في الخارج بشيك مصرفي والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادي ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)



٤.. كلمة الهلال
٥.. د. احمد الشرباصي : عشاق الحرية
١٣. عزيز اباظة : سفر «قصيدة»
١٤. د. سيد نوفل : عنتره ابن شداد الفارس العاشق
٢٢. د. حسين نصار : الحب العذري
٣٠. د. احمد هيكل : قصة حب الشاعر الوزير والشاعرة الاميرة
٣٨. محمد الجيار : النار ونغم الرماد « قصيدة »
٤٠. محمد عبد الغني حسن : نفحات الحب ولفحات العشق في ادب المهجر
٥٠. فاروق سعد : مي عاشقة ومعشوقة
٦٠. د. محمد ابو الانوار : عمر بن ابي ربيعه زعيم الغزل
٦٨. د. عاتكة الخزرجي : بطاقات حب بين العباس وفوز
٧٢. د. رشاد رشدي : شعر الحب من شيكسبير الى اليوت
٨٠. د. عبد المنعم الرفاعي : عمر « قصيدة »
٨٤. محمد محمود رضوان : مأساة عاشق الجمال زكي مبارك
٩٤. ابراهيم عبد الحميد عيسى : انا مجنون « قصيدة »
٩٦. د. سامية احمد اسعد العشاق الملهمون في الادب الفرنسي
١٠٥ احمد اللغماني : اسماء « قصيدة »
١٠٦ ندوة الهلال : دور البحث العلمي والتكنولوجيا في نهضتنا الصناعية
١١٠ رحلة الشهر
١٢٣ محمد اسلم ملك : فيض احمد فيض شاعر يحرك اوتار القلب
١٢٦ عاطف مصطفى : المرأة والحب بين الادب والفن
١٣٥ عبد المنعم المجيسل : حنين « قصيدة »
١٣٦ الحبيب شيبوب : شعراء تونسيون
١٤٠ محمود البدوي : الورقة البيضاء « قصة »
١٤٤ معارك ادبية : احمد السقاف رئيس وفد الكويت يرد



عبد المنعم الرفاعي — د. عاتكة الخزرجي — محمد اسلم ملك — د. رشاد رشدي



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الهلال

كثير من الحب

فى هذا العدد كثير من الحب ...

واذا كانت كلمة الحب قد ابتذلت فى كثير من الاحيان ، فانه لا يجوز لنا ان نتهم عصرنا وحده بتهمة ابتذاله ، فقد سبقته عصور كثيرة ابتذلت الحب باكثر مما ابتذله عصرنا

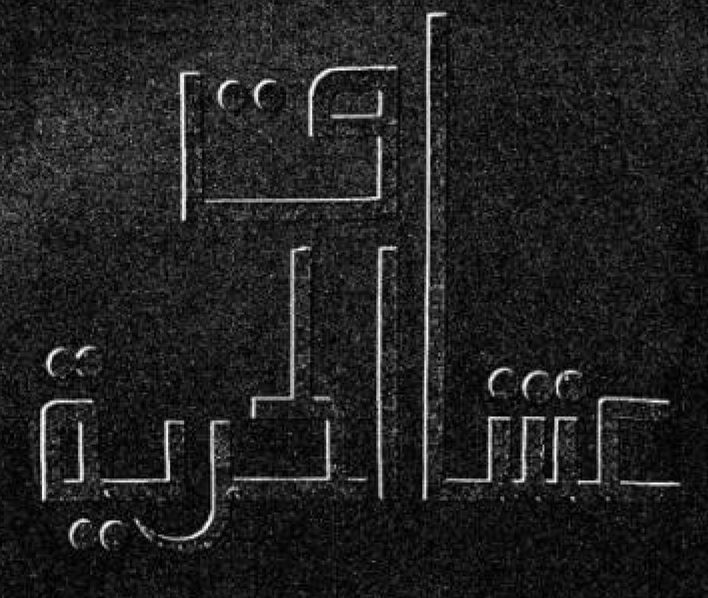
فنحن لو راجعنا أدب العصر العباسى مثلا ، لوجدنا فيه من شعراء المجون نفرا كثيرا رسم للحب اقبح صور الشذوذ والانحراف والخلاعة ، بحيث لو قارناها بما ينظم شعراء عصرنا هذا ، لاستكشفنا ان شعراء عصرنا اطهار ابرار بالقياس الى سابقيهم ، ولادركنا ان الشاعر اليوم ، مهما اسرف فى نشواته ،فانه لايستطيع ان يهبط بصورة الحب الى درك العصر العباسى ... ولا اقول كل شعراء العصر العباسى ... ولكنى اقصد فئة الماجنين منهم

لقد انتهى فى عصرنا شعر المجون... وبقى الحب فى صورته التى قد تلمس الحس ، ولكنها لا تشرد الى الانحراف ، ولا تجنح الى الشذوذ

انها خطوة الى السماء ...

ونحن نبشر بالحب ... وندعو القلوب الى أن تتفتح على حب كل ماحولها من مثل وقيم جمالية فى الحياة ؟

● صالح جودت ●



د. أحمد الشرباصي

« العشق » هو افراط الحب ، او هو اعجاب المحب بمحبوبه ، وقيل ان العشق هو عمى الحس عن ادراك عيوب المحبوب ، وقد نسبوا هذا القول الى ارسطاطاليس . وقال ابن الجوزى ان العشق هو شدة ميل النفس الى صورة تلائم طبعها . ويذكر الزبيدى فى « تاج العروس » ان الرئيس ابن سينا له رسالة فى « العشق » بسط فيها معناه ، وانه لا يختص بنوع الانسان ، بل هو سار فى جميع الموجودات من الفلكيات والعنصريات والنباتات والمعدنيات والحيوانات . وانه لا يدرك معناه ، والتعبير عنه يزيده خفاء .

عشاق الحرية

« الحرية » هي ملك الانسان أمر نفسه ، وهي ضد العبودية ورضوان الله تعالى على أمير الشعر « شوقي » حين تغنى بالحرية، فقال في كتابه « أسواق الذهب » هذه العبارة فيما قال : « الحرية وماهيه ؟ الحمراء الغالية ، فتنة القرون الخالية وطلبة النفوس العالية ، غذاء الطبائع، ومادة الشرائع، وأم الوسائل والذرائع ، بنت العلم اذا عم ، والخلق اذا تم ، وربيبة الصبر الجميل والعمل الجم ، الجهل يئدها ، والصغائر تفسدها ، والفرقة تبعدها » .

« تكبيرة الوجود في اذن المولود ، وتحية الدنيا له اذا وصل ، وصيحة الحياة به اذا نصل ، هاتف من السماء يقول له : يا ابن آدم ، حسبك من الاسماء : عبد الله ، وسيد العالم » .

والحرية أنواع ، فهنـــاك حرية الوطن ، وحرية الاعتقاد والتدين ، وحرية التفكير والعلم ، وحرية الرأى في أمور السياسة والمجتمع ، الى غير ذلك من حريات ...

والحرية اولا ميراث يرثه الانسان عن ربه عز وجل ، لان الخالق تبارك وتعالى يبرأ الانسان حرا معصـــوم الذات والدم ، ومن هنا قال عمر بن الخطاب لمن اراد ان يستطيل على حرمة الناس : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » . وقال على ابن أبى طالب يعظ ابنه : « لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا » .

وقرر البارىء ســـبحانه حرية الاعتقاد للانسان فقال : « لا اكـراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » . وحرية البحث عن الحقيقة ، فقـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اجتهد فاصاب فله اجران ، ومن اجتهد فاخطأ فله اجر » .

وحث القرآن على تطلب الحرية ، حتى ولو تعب الانسان في سبيلها ، أو كافح من أجلها ، ولو ادى ذلك الى الهجرة والضرب في أرجـــاء الارض ، فرارا من الذل وبحثا عن الحرية والعزة ، فقال : « ان الذين



د. عبد الوهاب عزام : معنى الحرية



احمد شوقى : تغنى بالحرية

توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الارض ، قالوا : الم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا » .

وقال منفرا من الاستنامة للذلة : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين » .

وقد نبهنا الشعر الى ان الحرية لها ثمنها الغالى وتبعتها الجليلة فقال شوقى :

وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

وقال الأول فى نحو هذا :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

***

وليست الحرية انطلاقا بلا حد ، او انعتاقا من كل قيد ، فان الحرية وهم واهم ، او اضغاث حالم ، والحر هو الذى يضع نفسه بنفسه داخل الحدود او القيود التى يؤمن بوجوبها، لتكون حريته حرية عاقلة فاضلة ، ويعجبنى فى هذا المجال بيتان للدكتور عبد الوهاب عزام يقول فيهما :

قيد الحر نفسه بهداه
وأبى فى الحياة قيد سواه
وترى العبد راضيا كل قيد
غير تقييد نفسه عن هواه

وكان امير الشعراء يشير الى مثل هذا حين دعا لابناء وطنه ، فكان مما قال : « فاطبع اللهم كنانتك على هذا الغرار ، وأعدها ــ كما بدأتها ــ محلة الابرار ، واجعل ابناءها احرارا ، ولا تجعلهم انصاف احرار ، ربنا وانزلهم على احكام العقول وقضايا الاخلاق ، ولا تخلهم من العواطف وان كن عواصف ، ولا تكلهم للاهواء ، فانها هواء » .

ولذلك لا يصعب علينا ان نعد من عشق الحرية العاقلة الفاضلة تلك الصورة المضيئة التى يعرضها علينا القرآن لما يمكن ان تسميه « حرية الفضيلة من عبودية الشهوة » وهى التى تجلت فى شخصية يوسف العفيف الامين ، فذلك حيث يقول القرآن : « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب ، وقالت : هيت لك . قال : معاذ الله ، انه ربى احسن مثواى ، انه لا يفلح الظالمون ، ولقد همت به وهم بها ، لولا ان رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين » .

ومن هنا قال عبد الله بن عباس : « من أحب فعف فكتم فمات مات وهو شهيد » . وكثير من الناس يحسبون ان هذا القول حديث نبوى ، وليس ذلك بصحيح ، وانما هو من كلام ابن عباس وان كان معناه مقبولا .

***

ويعرض علينا القرآن الحكيم نماذج من عشاق الحرية تحدثت عنهم بتوسع فى كتاب « الفداء فى الاسلام » ومن هؤلاء قوم عشقوا الحرية فى

عشاق الحرية

الاعتقاد ، وهم سحرة فرعون الذين استدعاهم ليردوا على معجزة موسى الالهية ، حين القى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ٠

وبدأ الصراع بين محاولة المخلوق العاجز ، وقدرة الخالق المسيطر ، فالقى السحرة حبالهم وعصيهم ، وقالوا — من اغترارهم بفرعون وانخداعهم بسلطانه — : بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ٠ ولكن موسى القى عصاه بوحي من الله ، فاذا هي تلقف مايافكون ، فوقع الحق ، وبطل ما كانوا يعملون ٠

وانتصر موسى ، واندحر سحر الساحرين ، وسطع ضوء الحق ، وامحى تمويه الباطل ، فاستبان للسحرة نور والايمان وظهر الصراط المستقيم للعيان ٠ ولكن فرعون ما زال هناك ، بجبروته وبطوده ، بقهره وفجوره ٠٠

ليكن ما يكون ، فمن عرف الحق وآمن به لزمه وحرص عليه ٠٠ وهكذا عشق هؤلاء حرية عقيدتهم وصحة ايمانهم ، فلم يبالوا بما وراء ذلك من طغيان أو بهتان ٠ يقول القرآن عن ذلك :

« فالقى السحرة سجدا ، قالوا : آمنا برب هارون وموسى ، قال : آمنتم به قبل ان آذن لكم ؟ انه لكبيركم الذى علمكم السحر ، فلاقطعن ايديكم **وارجلكم من خلاف ، ولاصلبنكم في جذوع النخل ، ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى ، قالوا : لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا ، فاقض ما انت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا ، انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ، وما اكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وابقى » ٠**

●●●

وهذا مثل آخر من عشاق الحرية في ميدان الاعتقاد والايمان :

انه الصحابي الوفي النقي : ثمامة ابن أثال الحنفي ، الذى كان سيد قومه أهل اليمامة من بني حنيفة وكان فصيحا شاعرا وكان في أول أمره مشركا ، ولرسول الله — صلى الله عليه وسلم — معاديا ، حتى لقد وسوس اليه الشيطان ذات يوم أن يغتال رسول الله عليه الصلاة والسلام، فدعا الرسول ربه تبارك وتعالى أن يمكنه من أثامه ٠

استجاب القدر ، حيث اعتقلت احدى سرايا المسلمين ثمامة ، بلا عقد ولا عهد ، وهو عدو محارب مهدور الدم ، وهم لا يعرفونه ، وأقبلوا به على النبي صلوات الله وسلامه عليه، فلما رآه عرفه وقال لهم : أتدرون من اخذتم ؟ ٠ هذا ثمامة بن أثال الحنفي ، فأحسنوا أسره

وامر النبي بربطه في عمود من أعمدة المسجد ، ولعل الرسول فعل ذلك لكي يتأثر ثمامة بجو المسجد ، وما فيه من عبادة وذكر ، وما تعرضه الصلاة من مساواة وخشوع وابتهال ٠

ورجع الرسول الى أهله وقال لهم : اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به اليه ، وأمرهم بأن يسقوه من لبن ناقته صباحا ومساء ٠

وبعد ذلك ذهب الرسول اليه وقال له : ما لك ياثمامة ؟ هل أمكن الله منك ؟ ٠

وكان نور الايمان قد نفذ الى قلب ثمامة ، ولكنه طوى ذلك الى ميقات

معلوم ، فأجاب : « قد كان ذلك يا محمد ، فان تقتل تقتل ذا دم (أى صاحب دم مطلوب) وان تعف عن شاكر ، وان تسأل مالا نعطه ٠

فتركه الرســـول صلى الله عليه وسلم ، ثم كرر معه مثل هذا الحوار فى اليومين التاليين ، وكان جـــواب ثمامة فيهما هو جوابه نفسه فى اليوم الاول ٠

وكأنمــا لمح النبى صلوات الله وسلامه عليه بوادر التـوبة وبشائر الانابة فى نفس ثمـــامة ، فقـال لاصحابه : أطلقوه ، ففعلوا ، وقال النبى لثمامة : قد عفوت عنك ٠

وخرج ثمامة من المســـجد وتيده الخطا ، ومضى غير بعيد ، ثم اغتسل وتطهر ، وطهر ثيـابه ، وعاد الى رسول الله مسرعا فقال له : يا محمد، لقد كنت وما وجه أبغض الى من وجهك ، ولا دين أبغض الى من دينك ، ولا بلد أبغض الى من بلدك ، ثم لقد اصـــبحت وما وجه أحب الى من وجهـــك ، ولا دين أحب الى من دينك ولا بلد أحب الى من بلدك ، وانى اشـــــهد ان لا اله الا الله ، واشهد ان محمدا رسول الله ٠

وهكذا حرص ثمـــامة ان يعلن اسلامه وهو حر طليق ، حتى لا يقال انه اسلم لانه اسير !

***

ويأتى بلال بن رباح ، مـــؤذن الرسول وداعى السماء ، وعاشــق الحرية فى سبيل الوحدانية وكلمـــة التوحيد ٠

بلال اول من اشهر اسلامه ، ونال الوانا من التعذيب فى سبيل اسلامه ويقينه ، فاحتملها وصبر عليها ٠٠

وكان المشركون يلبسونه الدرع من الحديد ، ويقيدونه فى لهب الشمس ، أو يجرونه على الارض ، يحـــاولون بذلك ــ وهو العبد المملوك لهم ــ أن يخرجوه عن دينه ، أو يحطموا جانبا من عشقه لحرية دينه ، فلا يزداد الا استمساكا بهذه الحرية الدينية ، ولا يزيد على قوله : « أحد ٠٠ أحد » ! ٠

حتى جاء ابو بكر فاشتراه واعتقه وجاهد بلال جهادا عظيما فى سبيل ربه ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات وهو حريص على حرية عقيدته وعلى شعاره : « أحد ٠٠ أحد » ! ٠٠

ويروى الامام النـــــووى فى كتابه « تهذيب الاسماء واللغات » أن بلالا قال لابى بكر : ان كنت قد اشتريتنى لنفسك فأمسكنى ، وان كنت انمــــا اشتريتنى لله عز وجل فدعنى وعمــل الله » ٠ فأفهمه الصديق انه انمـــــا اشتراه ليعتقه فى سبيل الله عز وجل

***

وعشق الحرية يسمو ويعلو حين يعشق الانسان هذه الحرية لغيره ، كما يعشقها الانسان لنفسه ٠

هذا هو كتاب الله المجيد يعرض علينا نموذجا من هذا العشق لحـرية الاخرين :

انه مؤمن آل فرعون الذى يرى موسى عليه السلام يأتى الى فرعون بالآيات الالهية والدلائل الربانية ، فلا يؤمن فرعون ولا يستجيب ، بل يهــــــدد ويتوعد ، ويأمر بقتـــــــل المؤمنين واستحياء نسائهم للذل والهوان ، ثم يهم فرعون بقتل موسى نفسه ٠٠ واذا بهذا الرجل المؤمن الذى ذاع وصفه بوصف « مؤمن آل فرعون » يندفع فى نزعة بطولية فدائية ، ليــواجه الطغيان الكافر الفـــاجر المتنمر ، ويؤيد الايمان السافر المتألق ، ويكافح للدفاع عن اهل هذا الايمان ، حتى ينالوا حريتهم ، دون ان يبالى بما قد يصيبه من تعذيب او ازهاق روح ٠

ويصور لنا القرآن هذا الموقف ، ثم يذكر ما كان من فرعون من عناد واستكبار على النصح ، وما كان من ذلك الرجل المؤمن من تحذير وانذار ،

عشاق الحرية

وجاءت العاقبة، فماذا كانت ؟ « فوقاه الله سيئات ما مكروا ، وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة : ادخلوا آل فرعون اشد العذاب » .

●●●

ويمضي الزمن ، ويطوى القدر السنين كطى السجل للكتاب ، ونلمح على الافق عاشقا مجيدا من عشاق الحرية الذين بذلوا حياتهم العظيمة رخيصة فى سبيل الدفاع عن الحرية فى الحكم ، والحرية للشعب ، والحرية للأمة ، والحرية للحق .

انه أبو الشهداء ، شهيد كربلاء ، سبط رسول الله وريحانته : الحسين ابن على رضوان الله عليهما .

وحسبنا هنا ان نسمع العقاد فى كتابه « ابو الشهداء » وهو يقول عن خروج الحسين الى معركة كربلاء :

« هى حركة من أندر حركات التاريخ فى باب الدعوة الدينية أو الدعوة السياسية ، لا تتكرر كل يوم ، ولا يقوم بها كل رجل ، ولا يأتى الصواب فيها – ان أصابت – من نحو واحد ينحصر القول فيه ، ولا يأتى الخطأ فيها – ان اخطأت – من سبب واحد يمتنع الخلاف عليه ، وقد يكون الفرق فيها بين أصوب الصواب واخطأ الخطأ فرقا صغيرا من فعل المصادفة والتوفيق ، فهو خليق أن يذهب الى النقيضين .

هى حركة لا يأتي بها الا رجال خلقوا لامثالها ، فلا تخطر لغيرهم على بال ، لانها تعلو على حكم الواقع القريب الذى يتوخاه فى مقاصده سالك الطريق اللاحب والدرب المطروق .

هى حركة فذة يقدم عليها رجال افذاذ ، من اللغو أن تدينهم بما يعمله رجال من غير هذا المعدن ، وعلى غير هذه الوتيرة . لانهم يحسون ويفهمون ويطلبون غير ما يحسه ويفهمه ويطلبه اولئك الرجال . هى ليست ضربة مغامر من مغامرى السياسة ، ولا صفقة مساوم من مساومى التجارة ، ولا وسيلة متوسل ينزل على حكم الدنيا ، أو تنزل الدنيا على حكمه ، ولكنها وسيلة من يدين نفسه ويدين الدنيا برأى من الاراء هو مؤمن به ، ومؤمن بوجوب ايمان الناس به دون غيره ، فان قبلته الدنيا قبلها ، وان لم تقبله فسيان عنده فواته بالموت أو فواته بالحياة ، بل لعل فواته بالموت أشهى اليه .

هى حركة لا تقاس اذن بمقاييس المغامرات ولا الصفقات ، ولكنها تقاس بمقياسها الذى لا يتكرر ولا يستعاد على الطلب من كل رجل أو فى كل أوان » .

ثم يقول مشيرا الى بعض المؤرخين :

« وكان خليقا بهؤلاء ان يذكروا ان مسالة العقيدة الدينية فى نفس الحسين لم تكن مسالة مزاج او مساومة ، وانه كان رجلا يؤمن اقوى الايمان باحكام الاسلام ، ويعتقد اشد الاعتقاد أن تعطيل حدود الدين هو اكبر بلاء يحيق به وباهله وبالامة العربية قاطبة فى حاضرها ومصيرها ، لانه مسلم ، ولانه سبط محمد ، فمن كان اسلامه هداية نفس فالاسلام عند الحسين هداية نفس وشرف بيت » .

ثم يضيف : « فحركة الحسين لم تكن مسددة الاسباب لمنفعة الحسين بكل ثمن ، وحيثما كانت الوسيلة .

وعلة ذلك ظاهرة قريبة ، وهى أن الحسين رضى الله عنه طلب الخلافة بشروطها التى يرضاها ، ولم يطلبها غنيمة يحرص عليها مهما تكلفه من ثمن ، ومهما تتطلبه من وسيلة . وهذا غلطة الشهداء ، بل قل : هذا صواب الشهداء » .

ومن هو الشهيد ان لم يكن هو الرجل الذى يصاب ، ويعلم أنه يصاب لان الواقع يخذله ولا يجرى معه الى مرماه ؟ ومن هو الشهيد ان لم يكن هو الرجل الذى « يكلف الايام ضد طباعها » ، ويصدق الخير فى طبيعة الانسان والخير عزيز والدنيا به شحيحة ؟ . منذ القدم أخطأ الشهداء هذا الخطأ ، ولو أصابوا فيه لما كانوا شهداء ، ولا شرفت الدنيا بفضيلة الشهادة .

فالحسين رضى الله عنه قد طلب خلافة الراشدين حيث لا تتسنى خلافة الراشدين ، أو حيث تتسنى الدولة الدنيوية التى يضن بها أصحابها ، ويتكالبون عليها ، ويتوسلون اليها بوسائلها ، فكانت عنايته بالدعوة والاقناع أعظم جدا من عنايته بالتنظيم والالزام .

***

ويتألق فى التاريخ عاشق آخر من عشاق الحرية فى ميدان آخر من ميادين العشق النبيل الجليل للحرية : ميدان التفكير الدينى ..

انه الامام ابن تيمية الذى دافع عن الاسلام ، وواجه الشدائد بسبب كفاحه لخدمة المسلمين . لقد اشترك فى الجهاد ضد التتار لصيانة أرض الاسلام ، وحينما فر الناس من حوله بقى هو ثابتا كالطود ، وواجه ملك « التتار » واغلظ له القول ، حتى صور أحد الحاضرين هذا الموقف بقوله :

« كنت حاضرا مع الشيخ ، فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله فى العدل ، ويرفع صوته ، ويقرب منه ، والسلطان مع ذلك مقبل عليه ، مصغ لما يقول ، شاخص اليه ، لا يعرض عنه ، وان السلطان من شدة ما أوقع الله فى قلبه من الهيبة والمحبة سأل : من هذا الشيخ ؟ انى لم أر مثله ، ولا أثبت قلبا منه ، ولا أوقع من حديثه فى قلبى ، ولا رأيتنى أعظم انقيادا لاحد منه . فأخبر بحاله ، وما هو عليه من العلم والعمل » .

وكان ابن تيمية مجددا من مجددى الاسلام ، ومجتهدا فى ميدان التفكير الدينى ، وكان عاشقا لتجديد الدين كل العشق ، وثار عليه كثيرون من العامة والغوغاء ، ومن أهل القدرة والغناء ، واستعانوا عليه فى محاربته بأهل السلطان ، ولكن ابن تيمية بقى على رأيه وتفكيره ثابتا كالطود الاشم .

وسجن الظالمون ابن تيمية أكثر من مرة ، كى يرجع عما يعتقد أنه الحق فى دين الله ، فلم يستسلم ولم يتزلزل .. بل رحب بالسجن فى سبيل فكرته وعقيدته . والرائع فى موقف ابن تيمية أنه حينما أغلقوا عليه باب السجن قال مستشهدا من القرآن الكريم : « فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب » . فداخل السجن عنده نعمة ، وخارج السجن عنده نعمة فالحرية لا تقاس بالمكان ، ولكنها تقاس بروح الانسان .

وكان يقول كالعاشق المستهام للحق والحقيقة : ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى ، أين رحت فجنتى معى لا تفارقنى ، أنا حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، واخراجى من بلدى سياحة !! .

جنته فى صدره لا تفارقه ، فى صدره ايمانه ويقينه ، وفى صدره أنوار علمه وبصيرته ، وفى صدره ثقته بربه عز وجل ، ومهما فعل به

عشاق الحرية

أعداؤه فلن يستطيعوا انتزاع الايمان من قلبه ، وان حبسه خلوة ، يخلو فيها الى العبادة والتفكـــر ، والى المطالعــة والبحث ، والى مزيد من المعرفة والعلم ، والى بعد عن الشهوات والملذات ، وان قتله شهادة ، لانه مناضل مجاهد ، قضى حياته وهو على طريق الجهاد ، جاهد صغيرا فى طلب العلم ، وجاهد كبيرا فى سبيل الوطن الاسلامى ، وجاهد فى سبيل الدين ، حيث نشر كلمته واذاع دعوته ، وجاهد فى سبيل الحق فجهر بما يؤمن انه الحق دون مبالاة بتعويق أو اعتراض

وان اخراجه من بلده رحلــة فى سبيل الله سبحانه ، ويكفى أن يعلم الناس أن الاثمين قد نفوا ابن تيمية حتى يتذكر الناس ان نفيه كان بسبب دفاعه عن حقائق الدين ومبادئه ، وهو فى نفيه يكسب خيـــرا عن طريق السياحة فى الارض ، والتعرف الى مزيد من الناس ، وبث دعوته هنــا وهناك .

يالها من كلمة تصور عظمة ابن تيمية : « جنتى معى لا تفارقنى ، انا حبسى خلوة، وقتلى شهادة، واخراجى من بلدى سياحة » !! ..

●●●

والوطن العزيز الغـــالى ، لابد لحريته من عشاق ، وما اكثرهم ، وما أوسع اخبارهم ، ولا عجب ، فالوطن - كما يقول شوقى - موضع الميلاد ، ومجمع أوطار الفؤاد ، ومضجع الاباء والاجداد ، وهو أيضا مجرى الصبا وملعبه ، وعرس الشباب وموكبه ، ومراد الرزق ومطلبه .

ولقد تغنى ابن الرومى قديما بحبه الوطن وعشقه البلد ، فقال :

ولى وطن آليت الا أبيعـــــه
والا أرى غيرى له الدهر مالكـا
عمرت به شرخ الشباب منعمــا
بصحبة قوم أصبحوا فى ظلالكا
فقد ألفته النفس حتى كأنهـــا
له بدن ، ان غاب غودر هالكـــا
وحبب أوطان الرجـــال اليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكـــا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهـــم
عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

ويقبل عاشق الوطن فى تاريخنـا الحديث، يقبل المستهام بمصر كنانة الله فى أرضه ، يقبل مصطفى كامل الذى كان يردد : « لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس » . يقبل ليعطينا صورة من صور العشق للوطن والحرية والامل .

يقبل ليقول : « هم يقولون ان وطنى لا وجود له ، وأنا أقول انه موجود واشعر بوجوده ، بما انس له من الحب الشديد ، الذى سوف يتغلب على حب سواه ، وسأجود فى سبيله بجميع قواى ، وأفديه بشبابى ، وأجعـــل حياتى وقفا عليه » .

ويقول : « اننا لا نعمل لانفسنا ، بل نعمل لوطننـــــا ، وهو باق ونحن زائلون » .

●●●

ان حديث عشاق الحريةطويلوجميل وماسبق‌عنه انما هو الاشارة أو الرمز وما أجدر هؤلاء العشاق بان يكون لاحاديثهم تفصيل وتحليـل ، يتسع لها اكثر من مجـال ، ويدور حولها اكثر من مقال





عزيز
أباظة

يقول وقد عنته فى الفجر ادمعى
اسهد ودمع ؟ ما هواك جديد
فقلت : جديد الحب ان أرمض الحشا
فالقتل منه الحب وهو تليد
ذكرتك مضمروفا ، والليل هجعة
تخامره والسامرون هجود
فاجهش قلب ، واستهلت جوانح
وقد يعصر القلب الهوى فيجود

***

عرفت وقد اصعدت فى الجو وارتمت
سبوح باجواز الفضاء صعود
ولفت بها هوج الرياح فصاولت
تدافعها مبهورة وتذود
وخفت فضمتها السماء فلم تلح
وكانت ترى كالطود وهو وئيد
عرفت الذى يزكى الهوى من تبارح
وكيف يذوب القلب وهو جليد
فلو سال طرفى لها من عناتها
لقلت كما قال الشريف اعود

***

وقال حادى الركب لن اوقفوا الحمى
فلل عند العاشقات شديد
وزف جنيحاها ، وهال زئيرها
وصلصل حيزوم ، واربد جيد
فعبت قلوب السفر بين صدورهم
وكف سروه ، فالقلق وخمود
واتمت على سكانها وترجحت
ترجح سكرى تنثني وتميد
فاجفل ذو عزم ورنت خريدة
ومستلب حسيس ، ودمع وليد
وفى الركب مطوى الضلوع على هوى
يروع ويرعى الفؤاد عميد
نفى الرعب عنه لوعة هاج هيجها
وخاطرة موصولة وشرود

عنترة بن شداد

الفارس العاشق

د. سيد نوفل

كان امرؤ القيس شاعر الصبابة .. فهو الشاعر العربي القديم أروع ما فيه .. وشاركه الصدق من النفس والطبيعة جماعة الجاهلية وعنترة وغيره .. وجاء الإسلام بتقاليد الدين ، والعاطفة السامية في بناء مجتمع جديد والأحداث ثورة عالية ، وتفتحت [illegible] من الجهاد الفضل والنضال

الجاهلي .. وكان الشعر فيه مكان والشعراء دور .. وفيما بين هذا وذاك كانت عنترة ومعلقته أو معرضه للشعر القديم ، فيها نهج امرئ القيس ووصافه مع ابداع في الأسلوب والتصوير ، وهما [illegible] أوائل الأكبر أو عمرو بن سعد .. وعلقمة أوس بن حجر .. وقد تلقت من شعر المعلقات الآلة التي تألقت من الشعر العربي [illegible] ، وهي لغة الفخر والهجاء التي تنزل بالقتال من عليائه ، وتمد حرية والعاطفة ، وتحقق شيم القلة .

وكان طبيعيا أن يرفض دعوة الإسلام ، ويعود الطريق انتصارها بطاقات أحرار .. [illegible] بمثالب الحياة الدنيا ويطلب [illegible] وحدها ، وإنما يتطلعون إلى مستوى الأهداف التي تصورها الحركات التاريخية الكبرى في سيرة الأبطال [illegible] العصر الجاهلي ، وتقدير [illegible] والإقدام بها ..

وهكذا وجدت ، في هذا العصر الذي قصد فيه عدو الشعراء بعضهم على

العرب .. جماعة احتضنوا بالعصبية ، ورأيت شخصياتهم سلطان البركة ، واستولت التقاليد على بناء الإسلام وأبطال الفتوحات ، وأعلى منه الهجاءة ظرفة وعنترة وأحد ، ولعل عنترة أبو الثلاثة في هذا الميدان ..

ولقد روى أبو هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنشد قول عنترة :

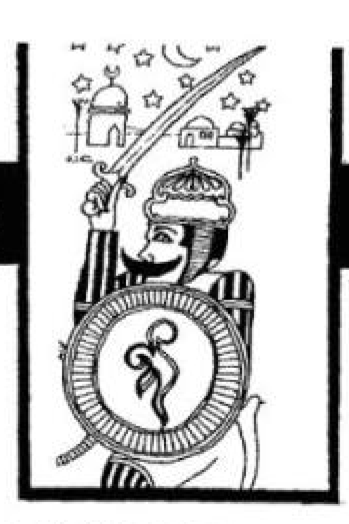
ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل

وقال عليه الصلاة والسلام : " ما وصف لي أعرابي قط ، فأحببت أن أراه إلا عنترة .. "

ويروى عن عمر بن الخطاب ، مؤسس الدولة الإسلامية وبطل فتوحاتها الكبرى ، أنه قال للحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنا ألف فارس حازم ! قال عمر : وكيف يكون ذلك ؟ قال الحطيئة : كان [illegible] فينا ، وكان فارسنا عنترة ، فكنا نحمل إذا حمل ، ونحجم إذا أحجم ! فقال عمر : صدقت !

والفارس عنترة الذي [illegible] الحكم القائم على [illegible] الخطل الآخرة [illegible] صاحب الرسول وصحبه ، وذلك حين قيل له : أنت أشجع العرب وأشدها ؟ قال : لا ، قيل : فبماذا شاع لك هذا في الناس ؟ قال عنترة : كنت أقدم إذا رأيت الإقدام حزماً ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً ، ولا أدخل إلا موضعاً أرى لي منه مخرجاً ..

عنترة بن شداد



● للعبقرية احكامها الممتازة ●

وحياة عنترة ، هي حياة الأرقاء الابطال ، الذين علت هممهم وكبلتهم قيود المجتمع الثقال ، فاستطاعوا تحطيمها واكراه مجتمعهم على الاعتراف بقدرهم .. وهؤلاء الارقاء أنفسهم هم الذين أعزوا الاسلام من بعد ، وبرز بين صحابة الرسول عدد منهم ، تأكيدا لدعوة الحرية الاسلامية ومتانة اصولها .

فعنترة بن شداد ، او عنترة بن عمرو بن شداد او عنترة بن شداد بن عمرو ـ قد ولد عبدا اسود من جارية حبشية يقال لها زبيبة سباها ابوه في احدى غاراته .. وهو ، كما قال ابن الكلبي : احد اغربة العرب الثلاثة الارقاء النابهين : عنترة بن زبيبة ، وخفاف بن ندبة ، والسليك بن السلكة .

وقد ولد بنجد ، في الربع الاول من القرن السادس الميلادى ، لشريف من أشراف قبيلة عبس المضرية . وكان لابد للعبد الوليد ، أن يخضع لتقاليد الجاهلية الحاكمة باستعباد أولاد الاماء الا اذا أظهروا نجابة أو بطولة ، وحينئذ يحررهم اباؤهم وينسبونهم اليهم ..

وهكذا نشأ عنترة نشأة العبيد يرعى الابل والخيل . لكن للعبقرية احكامها الممتازة .. فاكتسب راعي الخيول النجدية العبقرى صفات الشجاعة والفروسية وبلاغة النجديين وفصاحتهم

وحين اشتد ساعده وراق بيانه ، اخذ الناس يقدرونه وان ظلت قيود الرق تعطل مسيرته ، وتزيد لذلك الامه .. فليث فى حزن مقيم وسعى متصل لانتزاع حريته من أبيه ، ولاكراهه على نسبته اليه حتى يشق طريقه ويتبوأ مكانته ..

وفى هذه الفترة كان العبد الفارس يعتز بقوته وبأسه ، ولا توهن عزيمته قيود الرق وأثقاله .. وقد عبر عن ذلك فى مثل قوله :

ان كنت فى عدد العبيد فهمتى
فوق الثريا والسماك الاعزل
وبذا بلى ومهندى نلت العلا
لا بالقرابة والعديد الاجزل

وقد واتت الشاب الابى الفرصة حين اغارت جماعة من طيىء على عبس : قبيلة عنترة ، وغلبتها واستاقت من ابلها ، وأسرت من بناتها وابنائها . حينئذ اتجهت الابصار الى الفارس الناشىء ، وطلب منه شداد أبوه ، الذى يأبى نسبته اليه ، الكر على طيىء ، واستخلاص غنائمها من عبس ، واستعادة الاسرى . ولكن الفتى يأبى الاستجابة حتى يمنحه أبوه الحرية وينسبه اليه . ويستجيب الوالد لرغبته .. وينتصر عنترة ، ويصبح الحر ابن

الفارس العاشق

شداد بطل عبس ، وسيفها المسلول وحامل لوائها المظفر ، وشاعر العروبة لعصره ..

● اسباب القوى والنصر ●

ومنذ تحرير الفارس اكتملت له اسباب القوة والنصر ، فاخذ يقود الكتائب في غزوات متصلة على طيىء وغطفان وحنيفة من اعداء عبس ... وسجل أروع صفحات البطولة في حرب داحس والغبراء التي امتدت عشرات السنين . وقضى معظم أيامها على صهوة جواده ، وفي لباس المحارب ، يقاتل وينشد اشعار الحماسة والبطولة والحكمة ، وتسير في العرب أحاديث انتصاراته ، وروائع اشعاره ..

ولكن عبقرية الحرب والشعر تزيد حساده والمبغضين له ، شأن الناس في كل زمان ومكان، فلا يكفون عن محاولات النيل منه ، وهجائه بسابق الرق وبأمه الجارية الحبشية . فيظل ذلك مصدر

الم له ، وان دفعه بقوة وبأس ، يتمثلان في شعره الكثير وفي مثل قوله :

ان المنية لو تمثل مثلت
مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل
اني امرؤ من خير عبس منصبا(١)
شطري، واحمي سائري بالمنصل(٢)
واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت
القيت خيرا من معم مخول
والخيل تعلم والفوارس انني
فرقت جمعهم بضربة فيصل
اذ لا ابادر في المضيق فوارسي
اولا اوكل بالرعيل الاول
ان يلحقوا اكرر وان يستلحموا
اشدد وان يلفوا بضنك انزل
حين النزول يكون غاية مثلنا
ويفر كل مضلل مستوهل
والخيل ساهمة الوجوه كانما
تسقى فوارسها نقيع الحنظل
ولقد ابيت على الطوى واظله
حتى انال به كريم المأكل

فعنترة ، كما يصور نفسه ، هو المنية تفتك بالناس ، ولا يفتك احد بها وموضوع النسب لا يصح ان يثير الحاسدون .. فهو من عبس شطر لابيه ، أما شطره لامه فيغني عنه سيفه البتار الذي لا يختلف فيه المختلفون .. والحرب تشهد له ، حين يتردد المترددون، ويخشى هولها الخائفون ، انه افضل من الذين اجتمع لهم شطرا النسب من الاب والام او المعمين المخولين . وهو الى جانب شجاعته وحسمه في القتال، يكتمل له الاباء ونبل الخلق ، حتى يفضل الجوع على الأكل غير الكريم .. فأى عظمة لمخلوق ارفع من هذه العظمة؟

لكن الام عنترة العميقة ، لم يكن مصدرها الاول الشانئون الحاسدون . وانما كان مصدرها الاول حبه عبلة ابنة عمه ، وهيامه بها هياما فاق كل

---

(١) المنصب : الاصل .
(٢) المنصل بضم الميم وكسر الصاد : السيف .



هيام ..فعبلة وابوها ينفران من الحبيب البطل لنقص نسبه من ناحيـة الام ، وسواده وشق شفته ..

ويظل عنترة طوال حياته يسترضى عبلة واباها ، ويقدم لهما وللقبيلة كلها النصر بعد النصر ، ويؤكد لهم جميعا ان شجاعته وفصاحته وكرم اخلاقه تغنى عن المظاهـر التى لا تنال من الجواهر شيئا . وبعد عيش طويل عان، يظفر بعبلة بعد ان يغنى البطولة والادب باعظم الايام وابهى الاثار .

وبعد تسعين عاما ، يموت فى عام ٦٠٠ م قبل بعث الرسول بعشرة أعوام ، أو فى عام ٦١٥ م بعد البعث بخمسة أعوام ، على اختلاف الروايات ، وان لم تبلغه دعوة الاسلام على كل حال . ويموت أبو الفوارس عنترة ، حين ضعف وتقدمت به السن ، قتيلا بسهم من فاتك عربى أو فى ريح عاصـفة تهب عليه وتطمره فى الرمال ، على اختلاف فى الروايات أيضا ...

● غزل القلب المتيم ●

وعشق أبى الفوارس عنترة يتمثل فى غزله النابع من قلب متيم ، يحب عبلة حبا عميقا ساميا ، يصرفه عن كل امرأة سواها، وتستيقن بذلك عبلة ذاتها، وان قامت السدود والحواجز بينهما :

ولئن سألت بذاك عبلة خبـرت
ان لا اريد من النساء سـواها

وهـو يذكـرها فى كل وقت وان ولا يصرفه عن تصـورها وتذكرها شواغل الحرب .. بل ان سيوف العدو حين تلمع وتصيب جسده فيقطر منها ،

دمه ، يثير لمعانها وبريقها وبياضها وحمرتها فى نفسه صورة ثغر عبلة الباسم ، فيود تقبيل سيوف الاعداء وان سامته سوء الفناء والبوار :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وتطول الايام عليه ، ولا ينال مناه فى القرب منها ، ويمنونه ويمنى النفس بلقائها فى الغد الذى يزداد طولا ونأيا، ويزيده هياما وشوقا :

قالوا : اللقاء غدا بمنعرج اللوى
واطول شوق المستهام الى غد !

ويتحول شوقه الى ما يتصوره نارا شديدة الاوار ، مستعرة اللهيب ، تمحو نقوش البرد اذا دنا منها :

وتخال انفاس اذا رددتها
بين الطلول محت نقوش البرد

وهكذا يتخيل نفسه فى عذاب مقيم ، وقفر بعيد منعزل عن الحياة ، بما حيل

بينه وبين الحبيب الذى يملك كل نفسه ، ويفيض بحبه قلبه ، ولا يجد للحياة انسا ولا معنى بدونه :

وقد ابعدونى عن حبيب احبه
فاصبحت فى قفر عن الانس نازح

وكثيرا ما انطوى على نفسه يعاتب الدهر اللدود الذى لا يلين ولا يرحم ، ويخفى الجوى بين جوانحه ، ولكن الدموع تفضح ما خفى من هواه ..

اعاتب دهرا لا يلين لناصح
واخفى الجوى فى القلب والدمع فاضحى

● من النبع الصافى ●

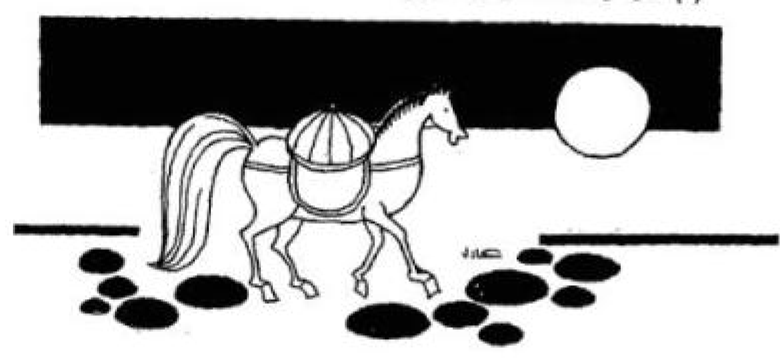
لكن الحب لم يستذل عنترة ، بل زاده قوة وشجاعة واقداما ، وزاد اخلاقه النبيلة سموا وطهارة .. واذا ما ارادت الحبيبة ان تثنيه عن القتال ، وأن تحبب له الحرص على الحياة ، نهرها وسخر من فكرها ، وجابهها الرأى فى تصميم قائلا :

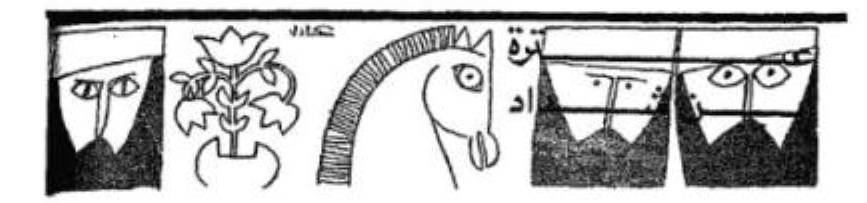
بكرت تخوفنى الحتوف كاننى
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فاجبتها ان المنية منهل
لا بد ان اسقى بكاس المنهل
فاقنى حياءك (١) لا أبالك واعلمى
انى أمرؤ سأموت ان لم اقتل

بل ان الحب بآماله واشراقاته جعله يحب الطبيعة فى صمتها وحياتها، وفى جميع مظاهرها وخلقها ، ويندمج فيها ايما اندماج ، وتزيده لحظات اليأس والقنوط ونوبات الالم حبا للطبيعة وفناء فيها ...

ومن هذا النبع الصافى فاضت أوصاف عنترة للفرس والناقة والظليم

(١) اقنى حياءك : احفظيه ولا تضيعيه





والغراب ، وفاضت رقفاته بالاطلال حبا وايلافا …

وفي قصيدته التي مطلعها :

طال الثواء على رسوم المنزل
بين اللكيك وبين ذات الحرمل

وصف الفرس وصفا جميلا ، يشرق بنور الحب ، ويتجلى فيه صدق الشعور …

فاضفى على الفرس خيال الفارس وسجاياه من الحب للقتال والاقدام ، ودلله فتحدث عن تبختره في مشيته

وشبهه بالسكران ، ولم يسم أعضاءه بالاسماء المعروفة ، وأنما سماها باوصاف المحبة ، فعنقه (هاد) ، وأنفه (مبعث الطيب) ، وذيله (عسيب) ، وشعره (سبيب) … !

وهو حب يجعل الشاعر لا يقبل فيه عذلا ، بل يهدد زوجه بالفراق ، أن ألت بها منه غيرة :

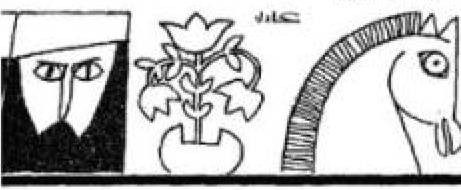
لا تذكري مهرى وما اطعمته
فيكون جلدك مثل جلد الأجرب !

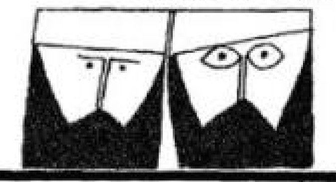
ويظهر الحب والاعزاز على أتمهما في أوصاف عنترة للناقة وللظليم ، وفي وقوفه بالاطلال .

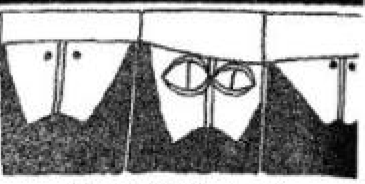
وطرافة وصفه للروضة ، لا تقل روعة عن طرافة حبه وسمو اخلاقه في الجاهلية . فهي طيبة الاريج جادتها السحب البيضاء ، فزينتها بحفر الماء المستديرة اللامعة كالدراهم الفضية … اذا نالت حرارة الشمس من نضارتها ، تعهدتها السحب عشيا ، فأعادت نضارة الحياة اليها : ويأبى الغيث ان يقيم بها طويلا ، نائيا عن اى شائبة من شوائب الفساد ، وهي مصونة لم يطأها الرعاة ، ولا الدواب … يغني الذباب فيها بنشوة السكران وطربه :

اوروضة انفا تضمن نبتها
غيث قليل الدمن ليس بمعلم
جادت عليها كل عين ثرة
فتركن كل حديقة كالدرهم
سحا وتسكابا فكل عشية
يجرى عليها الماء لم يتصرم
فترى الذباب بها يغني وحده
هزجا كفعل الشارب المترنم

وقد عد القدماء وصف عنترة للذباب من اختراعاته في التشبيه التي لم يسبقه احد الى مثلها ، ولم يلحق به أحد فيها …







● الياذة العرب ●

لقد كان عنتــرة ، ببطولته وحبه المثالي واخلاقه السامية ، مصــدر الهام ودفع للأمة العربية في الجاهلية والاسلام ، وعامل قوة في نضــالها ضد قوى الاستعمار والعدوان لمختلف العصور ··· ولهذا لم يكن عجبا ان يقود اليه الابصار في الحرب الصليبية وان تصبح قصص بطولته مثار فتنة وحماسة للمناضلين ضــد الاستعمار الذي رفع الصليب زورا وبهتانا ·

وهكذا كتبت ، في تلك الفتــرة الخصبة المظفرة من تاريخ العــرب وما تلاها ، سيرة عنترة ، او عنتر كما تسميه العامة وهي تضم نحو عشرة الاف بيت من الشعر السهل المرسل ··

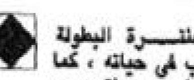
وتقع الطبعات التي ظهرت منها في القرنين التاســع عشر والعشرين في اثنين وثلاثين جــزءا · ويتناول كل جزء منها قصة من اقاصيص السيرة لا تنتهي بانتهائه وانما يمتد طــرف منها الى الجزء التالي ···

وسيرة عنترة ممتدة الزمان متشعبة المكان - فاحداثها تسبق مولد عنترة ثم تقص اثر البطل في مراحل النشــاة والبطولة والشيخوخة ، وتتناول غزواته وانتصاراته ··· وتتجاوز جــزيرة العرب ، حتي تشــمل العالم القديم المعروف من مصر والحبشــة وفارس والهند والجنــــوب الاوربي · وقد اكتملت في مصر في القــرن الرابع عشر ، على اختلاف في منشــئها ومؤلفيها ·

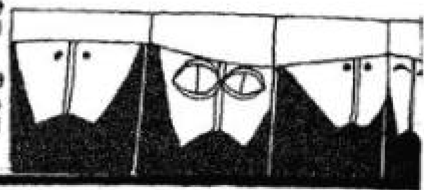
وقد دخلت هذه الملحمة أوروبا في القرن الثــامن عشر · وفي القرن التاســع عشر ادخلها مؤرخو الادب الاوربيون في ميدان الادب العــالمي المقارن ، واطلقوا عليها اسم اليــاذة العرب · ·· وكان الشــاعر الفرنسي الشهير لامارتين تستولي عليه نشوة الاعجاب والحماسة لعنترة ···

والفيلسوف الفرنسي الكبير « تين » مؤرخ الاداب العالمية وخاصــة الادب الانجليزي - وضع عنترة في صــف ابطال الملاحم العالمية الــكبرى ، مثل سيجفريد ، ورولاند ، ورســتم ، واوديسيوس ، واخيل ···

وفي هذه الملحمة او الســيرة ، يتجلى عنترة مثلا اعلى للفارس الكامل والشــاعر الفذ ، والحبيب العف المتفاني · كمــا يتجلى بطلا مظفرا ، وظهيرا للعاجز ، ونصيرا للمظلوم ، وطموحا يضحي بكل شيء في ســبيل المجد الخالد ·



وهكذا اعز عنتــرة البطولة والادب والحب في حياته ، كما اعزها وخلدها بعد مماته ···



الحب العذري

● د. حسين نصار ●

بعض الناس يتصورون الحب العذري حبا مثاليا ، برىء من الشهوة • وحرم من المتعة ، وكانما هو حب بين ملائكة مطهرين أعفاء

ونحن – ان رضينا هذا التصور – فقدنا هذا الحب ، لأنه تصور لم يتحقق على هذه الأرض ، وما أظنه ممكن التحقق • فالرواة يقولون عن جميل بن عبد الله بن معمر – امام هذا الحب – انه كان يأتى الى حبيبته بثينة بنت حبأ على غفلة من الرجال ، الذين ما أن عرفوا ذلك حتى عزموا على قتله • ولم يكف عن التعرض لها بعد زواجها من نبيه بن الأسود العذرى حتى شكاه • واتخذ من الحيل ما أتاح له أن يلتقى بها ليالى متعددة في بيتها أو بيت بعض أصدقائه • وقال عندما طال بعده عنها ذات مرة :

الا ليت شعرى : هل أبيتن ليلة
بوادى القرى ، انى اذن لسعيد



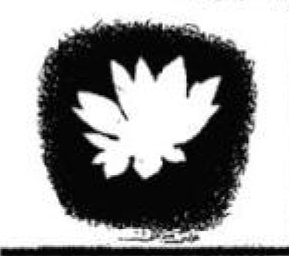
الحب العذري عبارة شائعة ، تلوكها الألسنة كثيرا ، وتفهمها العقول سريعا ولكننا اذا خالفنا الشائع ووقفنا عندها قليلا ، وجدنا شيئا من الاختلاف بين العقول فى فهمها . حقا هو اختلاف يسير ، ولكنه اختلاف يعتد به ، لانه يغير من صورة هذا الحب ، ويدل على خلق صاحب هذه الصورة وشخصيته ...

وهل ألقين فردا بثينة مرة
تجود لنا من ودها ونجود

ولم تكن تلك أمنيته وحده بل كانت أمنية بثينة أيضا ، تتلهف اليها ، فان تحققت أمسكت بها وحرصت عليها ولم تفرط فيها الا مضطرة . قال جميل :

اني عشية رحت ، وهى حزينة
تشكو الى صبابة لصبور
وتقول: بت عندي – فديتك – ليلة
أشكو اليك ، فان ذاك يسير

وقد أشار جميل الى ما تمتع به من بثينة اشارة مبهمة ، تترك للخيال أن يتصورها ، وان قيد الشاعر الخيال خيفة أن يشتط ، قال ذاكرا حبيبته بكنيتها :



يا خليلى : ان أم جسير
حين يدنو الضجيع من غلله
روضة ذات حنوة وخزامى
جاد فيها الربيع من سبله
بينما هن بالأراك معا
اذ بدا راكب على جمله
فتأطرن ثم قلن لها :
أكرميه – حييت – فى نزله
فظللنا بنعمة ، واتكأنا
وشربنا الحلال من قلله

وبلغ الأمر به الى الافتراء . فقد ائتمن بثينة عليها عجوزا منهم يثقون بها ، تكنى أم منظور . فجاءها جميل فقال لها : « يا أم منظور : أريني بثينة ! » فقالت : « لا ، والله لا أفعل ، قد ائتمنوني عليها » فقال : « أما والله لأضربك الآن » فقالت : « المضرة – والله – أن أريكها » فلما خرج من عندها قال :

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت
بالحجر يوم جلتها أم منظور
ولا انسلابتها ، خرسا جبائرها
الى من ساقط الأوراق مستور

فلم يمض الا قليل حتى سمع أهلها البيتين . فسألوا أم منظور ، فحلفت لهم بكل يمين فلم يقبلوا منها .

والح كثير بن عبد الرحمن الخزاعي على التقرب الى عزة بنت جميل ومداورتها حتى وعدته أن تهبه قبلة منها . ولما لم تف بوعدها ملأ الدنيا شكوى وأنينا فى قوله :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

وقد دفعت هذه الشكوى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان الى ان تقول لها ـ فيما يروى الرواة : « انجزيها له ، وعلى اثمها » .

***

ويتصور بعض الناس الحب العذرى تصورا واقعيا . فيرونه الحب الوفى ، الذى يخلص فيه الرجل لامرأة واحدة ، لا يرى فى الدنيا جديرا سواها ، ولا يحس بقدرة الى الميل الى غيرها مهما حجزت الحواجز بينهما يقول جميل :

ابثين : انك قد ملكت ، فاسجحى
وخذى بحظك من كريم واصل
فلرب عارضة علينا وصلها
بالجد تخلطه بقول الهازل
فاجبتها بالقول بعد تستر :
حبى بثينة عن وصالك شاغلى
لو كان فى قلبى كقدر قلامة
فضلا وصلتك أو أتتك رسائلى
ويقلن : انك قد رضيت بباطل
منها ،فهل لك فى اجتناب الباطل؟
والباطل ممن احب حديثه
اشهى الى من البغيض الباذل

فالحب العذرى قدر لا يستطيع ان يفلت منه من أصيب به . قيل ان روقا ابن عم جميل لامه على الحال التى صار اليها ونصحه ظانا انه قد يستمع اليه ويستجيب له فقال : « انك لعاجز ضعيف فى استكانتك لهذه المرأة ، وتركك الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود من هى أجمل منها ، وانك فيها بين فجور أرفعك عنه ، أو ذل لا أحبه لك ، أو كمد يؤديك الى التلف ، أو مخاطرة بنفسك لقومها ان تعرضت لها بعد اعذارهم اليك . وان صرفت نفسك عنها ، وغلبت هواك فيها ، وتجرعت مرارة الحزم حتى تالفها وتصبر نفسك عليها طائعة وكارهة ، الفت ذلك وسلوت » فبكى جميل وقال : « يا اخى : لو ملكت اختيارى لكان ما قلت صوابا . ولكنى لا أملك الاختيار . وما انا الا كالاسير لا يملك لنفسه نفعاً » .

ولما ارغمت أم قيس بن ذريح الكنانى وأبوه ابنهما على تطليق لبنى بنت الحباب الكعبية كاد يأتى عليه المرض . فرأت أمه أن تبعث اليه بفتايات من قومه يعبثها ، ويعبثه بجزعه ويتوددن اليه . فاجتمعن حوله يمازحنه ويعيرونه ويعبنها فقال :

يقر بعينى قربها ، ويزيدنى
بها عجبا من كان عندى يعيبها
وكم قائل قد قال : تب ، فعصيته
وتلك لعمرى توبة لا اتوبها

ولما اشتد المرض كرر أبوه المحاولة



فأخذ قيس ينقل بصره فى الفتيات الزائرات ثم قال :

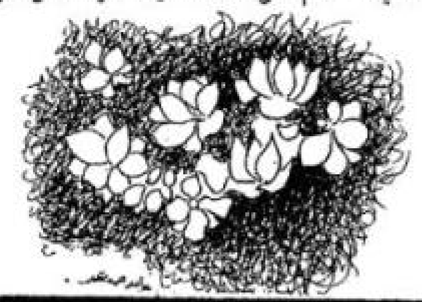
عبد قيس من حب لبنى ، ولبنى داء قيس ، والحب داء شديد
فاذا عادنى العوائد يوما قالت العين : لا ارى من اريد
ليت لبنى تعودنى ثم اقضى انها لا تعود فيمن يعود

ويقال ان اباه اغراه بالرحلة ، والتنقل بين احياء العرب ، لعل عينه تقع على امرأة تعجبه فيزوجه اياها . فسار حتى نزل بحى من فزارة . فرأى فتاة حسناء سافرة الوجه ، فقال لها : « ما اسمك ، يا جارية ؟ » فقالت : « لبنى » . فسقط مغشيا عليه .

ولما اشتد الالحاح حوله بالزواج ، من اهله واصدقائه ، رضخ لهم . وتزوج الفزارية التى اعجب بها . ولكنه لم يرحب بها ـ عندما ادخلت عليه ـ ولا دنا منها ، ولا استطاع ان يوجه اليها حديثا . اقام على ذلك اياما ، ثم رأى فى الرحيل خيرا لهما ففعل .

ويخلص بنا هذا الى ان الحب العذرى حب طبيعى ، يحمله رجل عادى نحو ابنة عمه ، كعروة بن حزام العذرى وعفراء بنت عقال ، وعمرو بن سعد الثعلبى المعروف بالمرقش الاكبر واسماء بنت عوف ، او احدى بنات قبيلته كجميل وبثينة ، او زوجته كقيس ابن ذريح ولبنى . وتحول الحوائل دون هذا الحب فيتسع ويعمق ويستبد ، فيحترق صاحبه شوقا الى من يحب ، وحرصا على الاتصال به ، وخوفا ان تكون القطيعة ابدية ، ويقع اللقاء احيانا .. ولكنه اللقاء الذى يؤلل ولا يبرىء ، فالعفة تطهره ومخافة المعصية تقيه الزلل .

قيل ان محمد بن عبيد الله بن الاشعث الدمشقى احب ، وسأله من احبه ان يأتى اليه فى بيته فأبى ، فسئل : « وما الذى تكره من ذلك ؟ »



الحب العذرى

فقال : « لست بمعصوم من البلاء ، ولا آمن من الفتنة ، واخاف ان تقع على من الشيطان محنة .. فتجرى بينى وبينه معصية ، فيحتجب الله عنى يوم تظهر فيه الاسرار ، ويكشف فيه عن ساق ، فاكون من الخاسرين » .

وقيل ان عبد الرحمن بن عمار الجشمى ، الذى لقب القس لعبادته افتتن بسلامة المغنية وافتتنت به . فقالت له يوما : « انا والله احبك » .

فقال : « وانا والله احبك » . قالت : واحب ان اضع فمى على فمك ، واعانقك واقبلك » . فقال : « وانا والله احب ذلك » . قالت : « واشتهى والله ان اضاجعك » . قال : « وانا والله احب ذلك » . فقالت : « فما يمنعك من ذلك ؟ والله ان المكان لخال » . فقال : « يمنعنى منه قول الله عز وجل (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) وانا اكره أن تكون خلة ما بينى وبينك تؤول الى عداوة يوم القيامة » .



ولم يشك احد ان هذا الحب وجد الظروف مهيأة له فى شبه الجزيرة العربية فى العصر الاموى ، فاتسع نطاقه ، وايتعت ثمراته ، وصار حديث المجالس الشهى . ولست أشك ان هذا حق . فالروايات تدل ان اخبار جميل انتقلت من البادية الى المدن المحيطة بها ، وذاعت فى الاوساط الادبية ، فى حياته . قال نصيب : انا لجلوس اذ طلع علينا رجل طويل بين المنكبين ، طوال ، يقود راحلة عليها بزة حسنة ، فقال عبد الرحمن بن حسان لعبدالرحمن ابن أزهر : « يا أبا جبير ، هذا جميل فادعه لعله ان ينشدنا » .. وكذلك تدل اخبار قيس بن ذريح وكثير عزة .

ولكن الحق ايضا ان هذا الحب لم يعدم بانقضاء الدولة الايوبية . بل قاوم الاحداث ، وصمد للتغيرات الاجتماعية ، كما نرى عند عبد الله بن عبيد الله الخثعمى المعروف بابن الدمينة واميمة ، والعباس بن الاحنف الحنفى وفوز . ولكنه لم يجد فى المجتمع العباسى المهيئات التى وجدها فى الاموى فاضطر الى شىء من الانزواء والنزوح الى ارض الزهاد والصوفية ، كما نرى فى كتابى الزهرة لمحمد بن داود الاصفهانى ومصارع العشاق لجعفر بن أحمد السراج .

ولم تكف المجالس العباسية عن الحديث عن العشاق العذريين ، بل احتفظ الحديث عنهم بشىء من طلاوته واغرائه . فدفع هذا بعض الكتاب الى تدوين بعض الكتب عنهم ، مثل عيسى

الحب العذري

ابن دأب ، والشرقي بن القطامي وهشام بن محمد الكلبي ، والهيثم بن عدي وغيرهم .

والحق أيضا ان هذا الحب لم يولد في العصر الاموي ، بل وجدنا امثلة منه عاشت في عصر الخلفاء الراشدين، وما قبله من عصور . فعروة بن حزام، وعبد الله بن علقمة ، والصمة بن عبد الله القشيري وغيرهم كانوا من المخضرمين ، والمرقش الاكبر ، وعبدالله ابن عجلان الهندي وغيرهما كانوا من الجاهليين . بل يضم التراث الشعبي قصة عربية جاهلية ، تعبر عن الحب العذري في أروع مظاهره ، وأجمل مجاليه ، تلك قصة الحارث بن مضاض الجرهمي وبنت عمه مي بنت مهلهل .

واتفق اكثر الذين كتبوا عن ازدهار الحب العذري في العصر الاموي على ان الذي هيأ له حدثان عظيمان ، هما بزوغ الاسلام ، واتساع رقعة الخلافة ، فالاسلام امد العرب بمثل اخلاقية عالية، وسما بنزعاتهم البشرية . وهيأت لهم الخلافة الثراء الفاحش الذي اتاح لهم صنوفا من الترف والنعيم ، أرهفت احاسيسهم ، وجعلتهم يعيشون للحب . والتزم الأمويون بسياسة تبعد الشبان من أبناء المسلمين الاولين عن أمور الدولة ، وعزلتهم في الحجاز ، واغدقت عليهم الاموال الطائلة ، خفية ان يتطلعوا الى الحكم . فأغرقهم ذلك كله في بحار من المتعة ، التي ارتقى بها بعضهم فكانت حلالا ، وهبط بها بعضهم الى ما دونه .

واطمأن الكتاب الى هذا التعليل حتى قال قائلهم : « فلم يكن من الممكن ان يظهر هذا الغزل بقدسيته وطهارته قبل عصر بني أمية . لم يكن من الممكن ان يظهر في عصر الخلفاء الراشدين بالرغم من ان تمثل التقى والصلاح كان في عصر الراشدين أشد وضوحا منه في عصر الامويين ، وبالرغم من أن الانعتاق من بعض الحدود ، والتحلل من بعض النواهي ، والتحرر من بعض التشدد ، وجد مجالا في العصر الاموي بأكثر مما كان في عصر الراشدين » ..

وقد فطن الى ذلك العقاد اذ يقول : « الا ان البادية تتقيد ببعض القيود التي تستدعيها معيشة البدو ، ولا تستدعيها معيشة الحضريين ، لان المنعة ضرورة من ضرورات الحياة بين اهل البادية ، ولا مناص لهم من الاشتهار بمناعة الحوزة بين الأعداء والنظراء ، والا طمع فيهم كل طامع ، واستباحهم كل مستبيح . وأول حوزة يحميها الرجل هي المرأة . فمن شرف البدوي ان تكون فتاته منيعة الحمى ، يتقاصر عنها لسان المتغزل كما يتقاصر عنها سيف المغير » .

ولذلك كان المقاتلون يأخذون نساءهم معهم الى ساحات القتال . فاذا ما استحر القتل ، وتأزمت الامور، وبدا على فريق من المتحاربين التهيؤ للفرار ، كشفت نساء هذا الفريق عن سيقانهن ، للاشارة الى انه لو وقعت الهزيمة فسيأسرهن الخصوم ويمتهنهن . فيقلع المستعد للفرار عن عزمه ، ويرتد الهارب للدفاع عن حرمه .

وإذن فالدلائل كلها تدل على وجود الحب العذرى منذ الجاهلية . يجمع على ذلك الحس المرهف الذى تمتع به الرجل العربى فى أواخر الجاهلية ، والتحضر الراسخ الذى جعل بعض القبائل اليمنية لا تفرق بين الرجل والمرأة فى العلاقات السوية ، والقصص الرائعة التى شاعت على ألسنة السمار .

●●●

ويبلغ الحس المرهف منتهى صفائه فيتجاوز الحب العذرى بل الحب البشرى كله الى الحب الأعظم ، المطهر من كل شائبة ، الحب الالهى ، يحمله الحنفاء ، يفرحون به ، ويحرصون عليه ، ويصدرون فى حياتهم عنه . ثم تكون الذروة محمد بن عبد الله ، « حبيب الله » .

ويبزغ الاسلام فيلتقط القيم الفاضلة فى المجتمع العربى ، ويجلوها ، ويضيف اليها ما يزيدها قدرا . ويلتقط - بين ما يلتقط - الحب العذرى ، الذى يجد فى الاسلام كل ما وجد فى الجاهلية من مقومات الحياة والنماء ، وفوق ما وجد فيها . فانتشر الحب العذرى ، واتسع نطاقه ، وكثرت نماذجه ، وصفت أمثلته ، فصارت قدوة للمقتدى ، وأغنية المتحدث ، وسمرا للناس .

وجد العاطفة المشبوبة ، والوجدان المرهف ، والخلق القويم ، والتوجيه السليم ، فسما ذلك الحب مرتكزا على قواعد من العرف العربى والدين الاسلامى ، متفيئا ظلال العفة الوارفة الذى يأسر الألباب .

فالمجتمع الجديد جعل العفة جهادا ، يستوى شهيد هذه وذاك . فقد كان شعار هذا المجتمع الحديث القائل : « من عشق وكتم ، وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة » أو الحديث : « من عشق وظفر فعف فمات مات شهيدا » .

ولهذا كان المثل الذى يدور حوله السمر فى هذا المجتمع العاشق الشهيد ، سواء كان رجلا ، تضخمت قصته وتطورت ، فصارت حديثا خالدا ، كمجنون ليلى ، أم بقيت قصته دون ذاك كالخبر التالى : « عشق رجل من ولد سعيد بن العاص جارية مغنية بالمدينة . فهام بها دهرا وهو لا يعلمها بذلك ثم انه ضجر فقال : « والله ، لابوحن لها » فأتاها عشية . فلما خرجت اليه قال لها : بأبى انت اتغنين :

الجزون بالود المضاعف مثله
فان الكريم من جزى الود بالود

قالت : نعم ، وأغنى أحسن منه . ثم غنت :

للذى ودنا بالمودة بالضعـ
ـف وفضل البادى به لا يجازى
لو بدا ما بنا لكم ملأ الأر
ض واقطار شامها والحجازا

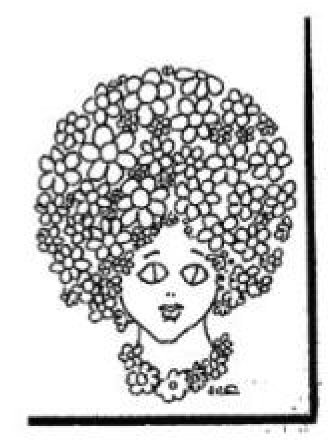
فاتصل ما بينهما . فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز - وهو أمير المدينة - فابتاعها له وأهداها اليه . فمكثت عنده سنة ثم ماتت . فبقى مولاها شهرا أو أقل ثم مات كمدا عليها » .

الحب العذرى

ولا فرق بين الرجل والمرأة فى الشهادة . فكما استشهد الرجل فى الاخبار السابقة ، استشهدت المرأة فى الخبر التالى الذى رواه أبو الخطاب الاخفش ، قال : « خرجت فى سفر فنزلنا على ماء لطيء . فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها ، فاذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال فانشأ يقول :

الا ما للحبيبة لا تعود
ابخل بالحبيبة أم صدود

مرضت فعدانى عواد قومى
فما لك لم ترى فى من يعود
فلو كنت المريض ، ولا تكونى
لعدتكم ، ولو كثر الوعيد
ولا استبطات غيرك ، فاعلميه
وحولى من ذوى رحمى عديد



ثم اغمى عليه فمات . فوقعت الصيحة فى الحى . فخرج من آخر الماء جارية كأنها فلقة قمر . فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته . وانشأت تقول :

عدانى ان اعودك ، يا حبيبى
معاشر فيهم الواشى الحسود
اذاعوا ما علمت من الدواهى
وعابونا وما فيهم رشيد
فاما اذ حللت ببطن ارض

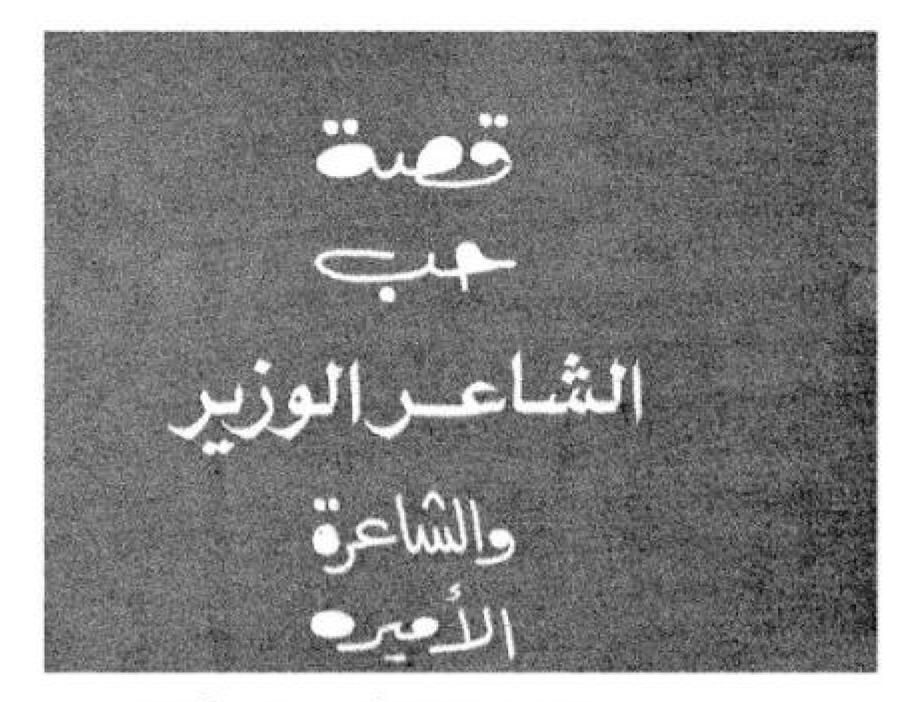
وقصر الناس كلهم اللحود
فلا بقيت لى الدنيا فواقا
ولا لهم - ولا اثرى - عديد
ثم شهقت شهقة فخرت ميتة منها .

فخرج من بعض الاخبية شيخ فوقف عليهما . فترحم عليهما وقال : « والله ، لئن كنت لم اجمع بينكما حيين

لاجمعن بينكما ميتين » . فدفنتهما فى قبر واحد احتفره لهما . فسألته فقال : هذه ابنتى وهذا ابن اخى » .

ولكن الامر الذى يؤسف له ان القصاص الذين تناولوا اخبار العشاق العذريين بالتناول والصياغة لم يكونوا جميعاً على مستوى فنى عال

.. فخلط بعضهم حكاياتها باخبار ظاهرة التهالك ، لا تقل للنظر الفاحص ، ظنا منهم ان ذلك يمنح قصصهم مذاقا محببا ، يجذب لهم المستمعين . وربما صح ما توقعوه ، ولكن لدى العامة التى تنطلى عليها المبالغة .. اما الخاصة فازوروا عنها ، وشكوا فيها ، وكان منهم من تجاوز بالشك القصص الضعيفة الى قصص الحب العذرى جميعها



هذان حبيبان من الاندلس ، تصور قصتهما بعض خصوصيات اقليمهما ، وما كان بينه وبين المشرق من افتراق ولكنها تصور — فى الوقت نفسه — كل عموميات عاطفتهما ، وما بينهما وبين عواطف كل المحبين من اتفاق .. فالاختلاف بين قصة حب واخرى — فى مجال الحب الحقيقى — لا يتجاوز العرض والمظهر ، اما اللب والجوهر فواحد .. هذا شأن الحب والمحبين ، منذ كرم الله بالروح والحب سلالة الطين !

الشاعر الوزير ، احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومى (١) ، الذى عاش صدر حياته فى أواخر العهد الاموى بالاندلس ، وعاش بقية عمره فى عصر ملوك الطوائف .. فلما احاطت الفتن بقرطبة فى آخريات العهد الاموى ، كان من الزعماء الثائرين على الفساد ، ومن المساعدين فى تقويض السلطة الاموية ، واقامة

(١) ولد سنة ٣٩٤ هـ بضاحية الرصافة من ضواحى قرطبة .

الحكم الجديد الذى كان على رأسه أبو الحزم بن جهور ، هذا الحكم الذى يعد قيامه فى قرطبة الاعلان الرسمى لقيام عصر ملوك الطوائف ...

وفى ذلك العصر انقسمت الاندلس الى دويلات ، يحكم كلا منها ملك مستقل . فعلى حين كان ابن جهور فى قرطبة ، كان ابن عباد فى اشبيلية ، وكان ابن الافطس فى بطليوس ، وكان ابن ذى النون فى طليطلة ، وهكذا .. وكان هذا التقسيم سببا فى التناحر المسلم الى الضعف السياسى والعسكرى، وان كان من جانب آخر قد خلق جوا فكريا وادبيا على كثير من الازدهار ، وذلك بسبب التنافس بين ملوك الطوائف .. ومحاولة كل منهم أن يحيط نفسه باكبر عدد من العلماء والادباء .. كذلك عرف هذا العصر كثيرا من الحرية الاجتماعية ، التى رفعت يد التحشم والمحافظة عن العادات والتقاليد ، واتاحت للسلوك الشخصى تحررا لم يعرف فى غير هذا العصر ، وربما لم يعرف فى غير الاندلس من اقاليم العالم العربى القديم ..

وقد ارتفعت منزلة ابن زيدون بعد قيام العهد الجديد فى قرطبة حتى اصبح من وزراء ابن جهور . الا ان العلاقة ساءت بينه وبين الحاكم بعد حين ، حتى حبس فى قرطبة وعانى كثيرا من الضيق والالم .. ثم استطاع ان يهرب من سجنه ،ولجأ الى اشبيلية التى كان ملكها المعتضد بن عباد ، الذى اكرم ابن زيدون وقربه .. ولكن الحنين استبد بالشاعر بعد فترة ، فعاد الى قرطبة مستخفيا ، واعتذر الى ابن جهور مستعينا ببعض الاصدقاء ، حتى عفا عنه وفضل كسبه الى جانبه ..

ثم مات أبو الحزم بن جهور ، وخلفه ابنه أبو الوليد ، الذى كان صديقا لابن زيدون ،فقربه وجعل مكانته أعلى مما كانت أيام أبيه .. ولكن ذلك لم يستمر، فقد عملت الوشايات عملها فى تنفير أبو الوليد منه ، فتنكر للشاعر الذى اثر الارتحال مرة ثانية الى اشبيلية . وتلقاه ملكها المعتضد – من جديد – تلقيا حسنا ، وجعله من وزرائه .

ولما مات المعتضد وجلس على عرش اشبيلية ابنه المعتمد ، أقر ابن زيدون على الوزارة ، بل زاد فى اعلاء شأنه ، اذ كان الملك الجديد من الشعراء الذين قد عرفوا قدر الشاعر الكبير ابن زيدون .. واخلص ابن زيدون بدوره للمعتمد وساعده فى ضم قرطبة الى ملكه .. وحينئذ عاد الى قرطبة بلده ، وحسب أنه سوف ينعم بالهدوء . ولكن اعداءه كادوا له ، وزينوا للمعتمد ان يبعث به الى اشبيلية .. وكان الرجل قد تقدمت به السن ، وتصالحت عليه الاحداث . فكانت نهايته فى هذه الرحلة (١) .

وكان لبطلنا شخصية تتسم بسمات خاصة قلما تجتمع كلها فى بطل . فهو مديد القامة قوى البناء ، مهيب الطلعة وسيم الخلقة .. وهو ايضا أبى النفس ذكى العقل مرهف القلب .. وهو على الرغم من حدته وحساسيته صامد صبور متفائل ، ذو خبرة واسعة بالناس والحياة وطبائع الاشياء – كل ذلك الى ثقافة واسعة وموهبة شعرية ممتازة وقدرة ادبية فائقة .

---

(١) كانت وفاته سنة ٤٦٣ هـ .



وأما بطلة القصة ، فهي الشاعرة الاميرة ولادة بنت الخليفة الاموى الاندلسي محمد بن عبد الرحمن ، الملقب بالمستكفي بالله • وكان هذا الاب أحد هؤلاء الخلفاء الضعاف الذين توالوا على حكم الاندلس خلال تلك الفترة المضطربة التى شهدت انهيار العهد الاموى ثم قيام عصر الطوائف ••

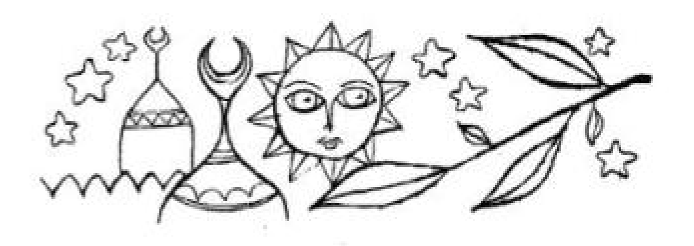
ومهما يكن امر هذا الخليفة الاب وضعفه ، ثم هروبه وموته مسموما ، ومهما يكن امر اسرتها الاموية جميعا وانتهاء امرها في الاندلس ، فليس من شك في ان هذا الاب قد انجب انثى رائعة الجمال قوية الشخصية واسعة الثقافة عارفة بالادب مقتدرة على قول الشعر •• وليس من شك ايضا في ان تلك الاسرة قد خلفت اميرة فيها ثراء الاميرات وبذخهن ، الى جانب ما يعرفن به عادة من كبرياء لا يقهرها الا الحب ، ومن نزوات ومغامرات لا يوقفها الا مهاجمة الشيخوخة وتصويحها لنضارة الحسن ، ثم تعويقها لنبض القلب ••

فقد اضافت ولادة الى تحرر عصرها الوانا من التحرر التى اتاحتها لها ظروفها الخاصة ، فجعلت من قصرها ملتقى أدبيا ، تستقبل فيه الكتاب والشعراء والنقاد ، حيث يكون تناشد الشعر والحوار في الادب والنقاش في النقد ، وحيث يكون الى جانب هذا الاستماع الى الموسيقى والطرب بالغناء. ثم يكون خلال هذا كله مجال لتحرك العواطف نحو الفاتنة صاحبة (الصالون) ، بل مجال للتنافس على حبها ومحاولة كسب قلبها ••

والذى يغلب على الظن ان ولادة كانت على الرغم من ذلك كله بعيدة عن التبذل ، مصونة من الاسفاف • وكان حسبها من اللعبة ظفرها بالاعجاب والحب والتقدير ، وتنافس الجميع فى ارضائها والتغني بها • وقد أكد ذلك المؤرخ الاندلسي الثقة ابن بسام ، حيث قال فى كتابه الذخيرة عن ولادة : كانت « يحشر أهل الادب الى ضوء غرتها ، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، الى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها ، تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم انساب ، وطهارة أثواب •• وقد تحدثت هي عن نفسها بما يؤكد هذا فقالت :

اني وان نظر الانام لبهجتي ... كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواحشا ... ويصدهن عن الخنا الاسلام

وهذا التحرر الذى كانت تسمح به الحياة الاجتماعية الاندلسية ، والذى اضافت اليه ولادة ابعادا جديدة بحكم كونها اميرة ضاع سلطان اسرتها ، وضاع معه كثير مما كان يمكن ان تحافظ عليه من تحشم وتوقر ، ثم هذا



المنتقى الادبى بكل ما يدور فيه من منافسات حارة وعواطف محتدمة ومهاجاة لاذعة نتيجة للمنافسات بل الخصومات - كل هذا قد جر ولادة الى مجاراة ضيوفها وأصدقائها ومحبيها فى بعض ما كانوا يخوضون فيه . فقد تورطت فى الحديث الصريح عن عواطفها - على غير عادة الشواعر العربيات وبخاصة فى المشرق - كما تورطت فى بعض الشعر الذى يدخل فى باب الادب المكشوف ، والذى لا عهد لنا بتلقيه من النساء فى تراثنا العربى . وكان أغلب هذا الشعر من ولادة يأتى فى مقام الهجاء الذى وجدت نفسها مسوقة اليه فى جو مليء بالتناحر الذى هو فى كثير من الاحيان لا يعدو ان يكون لعبة ادبية .

فى هذا الإطار نستطيع أن نتصور ولادة ، ولا نستطيع ان نتجاوز هذا التصور كما فعل بعض الباحثين ، حين استندوا الى نصوص منسوبة اليها .. والى اخبار مروية عنها ، فذهبوا الى حد تصويرها واحدة من بنات الليل او بائعات الهوى ، بل ذهب البعض الى تصويرها امرأة مريضة بالشذوذ الجنسى ، مصابة بالعقد التى منها حب تعذيب الغير .. نعم لا نستطيع ان نتصور ولادة بهذا التجاوز المبالغ فيه، مهما اعتمد هذا التصور على نصوص واخبار ، فهذه النصوص وتلك الاخبار يشوبها الشك من وجوه كثيرة ، اهمها انها تتعارض مع نصوص اخرى تؤكد عدم انحدار ولادة الى هذا الدرك ، ثم ان تلك النصوص من الممكن ان توضع وتنسب الى ولادة او يتحدث بها عنها، نتيجة لهذا الجو الذى كان يحيط بها ، وهو جو مليء بالتنافس والتناحر والخصومات والتهاجى . فالرابح يمدح ويتغزل ويمجد ، والخاسر يهجو ويجرح ويستخف ، وقد يأخذ ذلك الهاجى المجرح المستخف طريقا اكثر دهاء والطف خبثا ، وهو طريق اختلاق الاخبار الكاذبة وانتحال الاشعار الموضوعة ، واسناد هذه وتلك الى الشاعرة المتحررة المتورطة التى جعلت من نفسها غرضا يرمى ، تارة بالورود والقبلات ، واخرى بالسهام واللعنات !

ونحن نستبعد مرضها بحب تعذيب الغير ، الذى مال الى اتهام ولادة به بعض الباحثين بحجة انها صرعت بحبها عددا من المحبين ، وعاشت بعد ذلك دون زواج وكأن رسالتها وغايتها ايقاع المحبين فى شراكها وتعذيبهم فحسب - نستبعد ذلك لأن امرأة مريضة شاذة لا تستطيع ان يخفى امرها على هذا النوع من الرجال الذين كانوا يهيمون بها - وخاصة ابن زيدون الذكى اللماح القوى الشخصية المجرب للناس والحياة - كما أن امرأة مريضة شاذة

قصـــة



الأمـــيرة

لا تستطيع ان تمنح الحياة الادبية فى قرطبة، ولا ان تمنح عارفيها واصدقاءها ومحبيها هذا العطاء السخى من الحب والجاذبية والالهام والنشاط الشعرى والفنى الموفور ..

والذى نطمئن اليه فى امر كثـــرة احبابها وعدم زواجها ، هو انها كانت ـ لتحررها ـ مثلا للصديقة والحبيبة والمؤنسة ، ولكنها لم تكن تصلح زوجة .. ولهذا تهافتوا عليها فى المجال الذى رأوها تصلح له ، وكفوا عنها فى المجال الذى رأوها لا تجود فيه .. هذا من جانب من احاط بها من الرجال ، اما من جانبها هى ، فقد كانت شـديدة الطموح والكبـــرياء ، فقضت عمرها ـ ككثيرات فى كل زمان ومكان ـ تنتظر فارس احلام خاص من صنع كبريائهـــا وطموحها ، وهذا الفارس ـ عادة ـ لا يرضخ لمثل هذا النوع من النساء !

ونعود الى بطلى القصة ، لنتتبـــع قصتهما التى تفترق فى مظهـــرها عن قصص الحب الاخرى ـ وبخاصة قصص الحب الشرقى ـ والتى تتفق فى جوهرها مع كل قصص الحب الصادق ـ الذى ليس فيه شرقى أو غربى ـ نعود لنرى ابن زيدون يتردد على الملتقى الادبى الذى تعقده ولادة ، وكان ابن زيدون فى ذلك الحين قد نضج فنيا وارتقى اجتماعيا ، فهو شـــاعر كبير ووزير خطير ، وهو الى ذلك وسيم الطلعة رائع الهيئـة ، ينتمى الى اسرة من كبريات الامر الاندلسية . وكان فى ذلك الوقت مكتمل الشـــباب عزبا .. واعجبت به ولادة كما اعجب بها ، وتحول الاعجاب بسرعة الى حب . واخذ هذا الحب شكل الهيام الحـــار اللاهب ، الذى تذكيه اللقاءات العامرة بالثمار ، التى يعيش عليها المحبون المتواصلون .

وقد بلغ هذا الهيام حدا جعل من المحبوبة هى التى تطلب اللقيـــا فى بعض الاحـــايين ، وتهيىء لها الوقت والجو . ومن ذلك قولها :

ترقب اذا جن الظـــلام زيارتى   فانى رايت الليـــل اكتم للسر
وبى منك مالو كان بالشمس لم تلح   وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

وكان ابن زيدون يحوطها بكل صون، ويرعاها بكل حفاظ . ومن ذلك قوله :

اصونك من لحظات الظنـــون   واعليك من خطرات الفكـــر
واحذر من لحظـــات الرقيب   وقد يستهام الهوى بالحـــذر

وكانت نيران الوجد تلهب المحبيين حين تحتم بعض الظروف ابتعاد احدهما من الاخر . حتى لقد كتبت ولادة الى ابن زيدون مرة تقول :

الا هل لنا من بعد هذا التفرق   سبيل فيشكو كل صب بما لقى ؟
وقد كنت اوقات التزاور فى الشتا   ابيت على جمر من الشوق محرق
فكيف وقد امسيت فى دار قطعـــة   لقد عجل المقـــدار ما كنت اتقى

تمر الليالي لا أرى البين ينقضي ولا الصبر من رق التشوق معتقي
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا بكل سكوب هاطل الوبق مغدق

كما توجه ابن زيدون الى صاحبته بأمثال تلك الابيات :

ودع الصبر محب ودعـــك ذائع من سره ما استودعـــك
يقرع الســـن على ان لم يكن زاد في تلك الخطا اذ شيعك
يا اخا البدر سناء وســـنا حفظ الله زمانا اطلعـــك
ان يطل بعدك ليلي فلكـــم بت اشكو قصر الليل معـــك

وهكذا عاش ابن زيدون وولادة أول عهدهما في وصال معطاء ، لا يقطعه الا تباعد مؤقت واعد بمزيد من الرخاء

غير ان الجو الذى كان يتنفس فيه هذا الحب لم يكن جوا نقيا ، فقد كانت تعكر صفوه الوان من الحسد والمنافسة ومزاحمة الاخرين · فمعروف ان عددا من الشـــعراء والكتاب كانوا يترددون على ملتقى ولادة ، ويقيمون صلات معها من خلال الادب وجلسات الاستماع · وقد كان جـــل هؤلاء ينفس على ابن زيدون مكانته من ولادة ، ويعمـــل ـ ما استطاع ـ على ابعاده واخلاء الجو لنفســـه · وكان من أبرزهم ابن القلاس وابن عبدوس

أما الاول فقد استطاع ابن زيدون ان ينحيه من طـــريقه ويحمله على الانسحاب من الميدان ، حين وجه اليه قصيدة قاسية جعلته يؤثر السلامة ·· واما الثاني فقد كان عنيدا داهية ماكرا، فظل يزاحم ابن زيدون، بل راح يكيد له عندها ، فاضطر ابن زيدون الى كتابة رسالة هزلية يســـخر فيها منه وجعلها على لسان ولادة ·· ولكن هذه الرسالة زادت ابن عبدوس حنقا على ابن زيدون ، فلم يكتف باثارة ولادة عليه ، بل اشترك فى تاليب ابن جهور ضده ، حتى انتهى به ذلك الى السجن ، وخلا الجو لابن عبدوس (١)

على ان سجن ابن زيدون فى قرطبة، ثم فراره من السجن الى أشبيلية ، ثم عمله فى دولة بنى عباد ، وعدم اتاحة الظروف له ان يستقر فى قرطبة بصفة دائمة ليواصل حياة طبيعية مستقرة ، هذا بالاضافة الى انغماسه فى السياسة وعدم تمكنه من رعاية حبه رعاية كاملة كل ذلك قد الهى عنه ولادة الى درجة تكاد تكون نهائية ·· أما هو ، فقـــد عملت كل تلك العوامل على صقل نفسه وترقيق وجدانه وتعميق احســـاسه بالاسى · فترك التورط فى المكايدة ، وكف عن الاذى بالتعريض والتلميح فضلا عن المباشرة والتصريح ·· وكان ينتهز الفرص المتاحة ليعبر عن جوهر حبه بعيدا عن كل الشوائب ·

وكان دائم التذكر لهذا الحب جاعلا من عهده اجمل العهود ومن ذكرياته احلى الذكريات · كما كان دائم المقارنة فى اشعاره بين حاله بالامس حيث الوصال والمودة تشرق بهما الدنيا وتتجمـــل الحياة ، وبين حاله اليوم حيث القطيعة والتدابر يظلم بهما الوجود ويقبح وجه الزمان ·· ولقد اودع ابن زيدون فى اشعاره التى من هذا اللون اعمق معانى الحب وأحر لواعج الصـــبابة واروع صور التجارب العاطفية الصادقة ·

ومن هذا اللون من شعره ، قصيدته النونية المشـــهورة التى بعث بها من اشبيلية الى ولادة بقرطبة ، وذلك بعد فراره من سجن ابن جهور والتجائه الى

---

(١) ظلت العلاقة بينهما حتى تجاوزا الثمانين · وقد مات هو سنة ٤٧٢ ثم ماتت هي سنة ٤٨٠ هـ وقد قاربت المائة وتبددت ثروتها حتى كان يساعدها بعض الاصدقاء ·

قصـــة

حب الشاعر الوزير والشاعرة الأميرة

بلاط ابن عباد · وفي تلك القصـــيدة يقول :

أضحى التنائي بديلا من تدانينـــا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينـــا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنـــا ... شـــوقا اليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضـــمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسينـــا
حالت لفقدكم أيامنا فغـــدت ... سودا ، وكانت بكم بيضا ليالينـــا
اذ جانب العيش طلق من تألفنـــا ... ومربع اللهو صاف من تصافينـــا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيـــرنا ... ان طالما غير النأي المحبينـــا
والله ما طلبت أهـــواؤنا بدلا ... منكم ولا انصرفت عنكم أمانينـــا

ومن هذا اللون من شعر ابن زيدون كذلك ، قصيدته القافية ، التي قالها بعد ان عاد الى بلده مستخفيا من اشبيلية ·· والزهراء ضاحية قرطبة الجميلة قد الهمته أن يقول في هذه القصـــيدة التي بعث بها الى حبيبته الاولى :

اني ذكرتك بالزهراء مشـــتاقا ... والافق طلق ومرأى الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصـــائله ... كأنه رق لي فاعتل اشـــفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم ... كما شققت عن اللبات اطـــواقا
نلهو بما يستميل العين من زهر ... جال الندى فيه حتى مال أعناقا
كأن أعينــــه اذ عاينت أرقي ... بكت لما بي فجال الدمع رقـــراقا
لو شاء حملي نسيم الصبح حين سرى ... وافاكم بفتى أضـــناه ما لاقى

ولكن هذا الشعر وغيره لم يلين قلب ولادة ، ولم يفتحه ثانية لابن زيدون ، فقد تحطم حبها له بعوامل عديدة ، منها منافسة الاخرين وتشويههم صورة ابن زيدون ، ومنها تمكين ابن زيدون لاعدائه من نفسه وتورطه في الاســـاءة الى حبيبته بما يجـــرح انوثتها ويدمي كبرياءها ، ومنها قوة شخصية كل من الحبيبين بحيث كان أحدهما لا يكمل الاخر وانما كان يصـــدمه ويواجهه ، ومنها أن كلا منهما كان شاعرا ، وكان ابن زيدون أقوى شاعرية وأعظم شهرة، بل كان أحيانا ينتقد شعر ولادة ، ممـــا جعل احساسها به يشـــوبه كثير من الاحساس بالخطر على الذات ـ ذات الشاعرة الكامنة في المحبة ـ التي تعتز بفنها اعتزازا لا يمكن ان تضـــحي به من أجل رجل طاغ لامع لا تحب ان يحول نوره بريقها الى ظلام ··

ومن هنا كانت نهاية هذه القصـــة العاطفية نهاية طبيعية ، بان انتهى الحب من قلب المحبوبة وأصبح ذكرى قد لا تحرك شجنا على حين بقى هـــذا الحب في قلب المحب ، وصار لهيبا كامنا تؤججه أية نســـمة تهب من مواطن

الذكريات ، بل قد تحول هذا الحب لدى الحبيب الشاعر الى رمز لمأساة حياته كلها ، تلك الحياة التى امتلأت بالصراع والعذاب والمرارة الى جانب ما امتلأت به ـ فى بعض الاحيان ـ من الوئام والهناءة والحلاوة .. فكثيرا ما كان يبكى حظه ويندب ايامه ويتحدث عن عذاباته ، من خلال حديثه عن تجربة حبه . وكثيرا ما كان يتخذ حديثه عن ولادة وأيامه الاولى معها ، وايامه الكئيبة بعدها تجسيدا ـ او معادلا موضوعيا ـ لقصة حياته كلها ، وكان حديثه عن حبه المخفق وعذابه بالهجر ومرارته بالقطيعة ، ليس الا متنفسا يعبر بواسطته عن حياته المخفقة وعذابه بتآمر الاعداء ومرارته بقطيعة حسن الحظ

وهكذا نجد لونا من العلاقات العاطفية ليس مألوفا كثيرا فى مشرقنا العربى على عهده القديم ، ونرى قصة من قصص الحب ليست تكرارا لقصص الغرام التى عرفها مجتمعنا فى العصور الخوالى .. فنحن امام حب بطلاه قويان متكافئان ، كل منهما معتد بذاته محافظ على كبريائه . لا يتلاشى احدهما فى الاخر ، ولا يتهالك ولا يذوب ، بل على العكس من ذلك يثـور ويرفض ويتمرد ويتأقلم ، تماما كما يحدث فى البيئات الاوربية اليوم كما تصور ذلك كثير من القصص والروايات والافلام .. ونحن ايضا أمام حب بشرى فيه نصيب الروح ونصيب الجسد ، وفيه مجال للقلب ومجال العقل ، بل فيه اعتراف باللقاءات وما يدور فيها بقدر ما يسمح ادب الحديث ..

واخيرا هو ـ برغم ذلك كله ـ حب باق فى قلب احد البطلين ، وقد تجاوز كل المدمرات والمعوقات والمكدرات ، التى لم تكن سوى قشرة تخفي الجوهر الحقيقي ، وهو : جوهر الحب الصادق ..



قصة شعرية

النار وندم الرماد

● محمد الجيار ●

لأنا نعيش بأحلامنا .. وحين تفيء الرؤى .. نحترق
عشقتك .. والقلب طفل سجين .. يعانق في ناظريك .. الافق
حسبتك روحا .. لروحي القريب .. وصارعت فيك زمان القلق
وكنت أطير الى مقلتيك .. كعصفورة هاجرت في الشفق
وهانت انثى .. ككل النسـاء .. عيون كذبن ، وجسم صدق !

***

.. وقد كنت أملك ان استبيح ربيعك حتى يذوب الرمق
ولكنني خفت ان تنتهي .. ونمضي غريبين .. في المفترق
حرستك مني .. ومن نزوتي .. ومن غدر شيطانك المختلق
انا شاعر .. باع ايامه .. هشيما لمدفأة من ورق

***

وصارحني جسمك اللؤلؤي .. بشوق الشراع الى المنطلق
وصدرك يأبى نفاق القميص .. تقدم مني .. فشع الالق
وقلت : تعال الى عالمي .. فراشة نار .. ولا تحترق
تعال استحم بنهر اللهيب .. ايا شاعرا ضل خلف الافق
فكم راهب كان يرجو السماء ، ومن اجل تجربة قد فسق

***

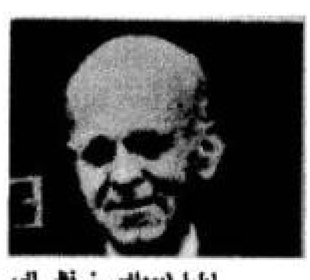
ايا كرمتين ، بصدر الربيع .. لكم يسكر الحب حتى نرق
الا ليتني في صلاة الشفاه .. فنيت بصوفية .. لا تفق
القاتلتي .. لم يعد بيننا .. سوى النار من جسمنا الملتصق
تركت بروضك ذكرى عبيري .. أيذكره الورد .. ليل الأرق ؟
تسلقته ربوة ربوة ، ورحت الى المنحنى ، انزلق ..
رميت الجواهر في موقدي .. ويا للغسق اذا ما احترق
ايذكرني .. صدرك المشتهى ، وقد كنت فيه فؤادا خفق
سل ثغرك الطفل عن قبلتي .. وكيف تـوهج تحت الغسق
ممزقة .. فنحت في المساء على قبلة البدر لما انفلق
باعيننا .. مات ضوء النهار .. شراعا [illegible] قبل الغرق
وما دام عالمنا للفناء .. لنفن مع الحب .. أو نفترق

***

انفاحة الموت [illegible] .. عرفت وروحي الى [illegible]
فتشقى جسمي .. تموت [illegible] وروحي [illegible] ذكرى النفق !

نفحات الحب ولفحات العشق




ايليا ابوماضي : نظر الى الحب بمعناه الانساني

لم يكن ادباء العرب فى المهجر الامريكى الا ناسا من الناس ، يحبون ويعشقون ، ويجرى على اكثرهم قول الشاعر القديم :

اذا انت لم تعشق ولم تك ذا هوى
فكن حجرا من جلمد الصخر جلمدا

غير ان منهم من كتم هواه ، وستر حبه ، فلم يصرح به في شعر ، ولم يعالن به فى نثر ، ولم يجعل منه شعرا يروى ، او قصة تحكى ، او ترانيم يتغنى بها العاشقون من امثاله ... ومنهم من لجا الى الشعر او النثر يودع فيهما قصة غرامه ، وحكاية هيامه ، ويجعل منهما معرضا لصباباته واشواقه ومواجده ومواجعه .

رشيد سليم الخوري : وشعراء بني عذرة





محمد عبد الغني حسن

جبران خليل : العواطف المشبوبة مع مي..

لقد نظر بعض شعراء المهجر الى « الحب » على أنه الجنة التي يبترد بنعيمها ، وان « عدم الحب » هو الخواء الذي تلاقي به النفوس عذابها الاعظم ، وان الدنيا بغير «الحب» هي جهنم بلظاها وسعيرها ، بل هي الزمهرير القارس والقاسي بظلامه الدامس ، وجوه العابس ، وان القلب بغير المحبة ، هو المنزل المتردم ، والربع المتهدم .. فالمحبة مرهم للجراح ، وسلم السعادة ، وتألق في النجوم ، وترنم في الحياة ، وانفس للعشاق تتبسم في غسق الدجى . وقد ألم بهذه المعاني الشاعر « ايليا ابو ماضي » حيث يقول :

بالأمس بادرني صديق حائر يستفهم :
أجهنم نار كما زعم الهداة وعلموا
أم زمهرير قارس قاس وكون مظلم
فاجبته : ما الزمهرير وما اللظى المضرم
بجهنم ! لكنما ان لا تحب جهنما
يا صاحبي ان الخواء هو العذاب الاعظم
القلب – الا بالمحبة – منزل متردم
هي (١) للجراحة مرهم هي للسعادة بلسم
هي في النجوم تألق هي في الحياة ترنم
هي انفس العشاق في غسق الدجى تتبسم .

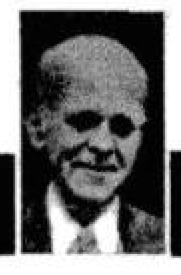
وقد نلاحظ على « ايليا ابو ماضي » انه لم يتناول « الحب » في شعره عن تجربة ، ولم يعالج العشق عن خبرة ذاتية ، وانما تناولهما عن حكمة نظرية ، وفلسفة غير عملية . كما نلاحظ عليه أنه نظر الى « الحب » بمعناه الانساني الرحب ، لا بمعناه الخاص بين الرجل والمرأة . لأن النفس التي لم يشرق الحب فيها هي نفس لم تدر ما معناها ، والحب يوصل الانسان الى معرفة نفسه والى معرفة الله .. وما أصدقه وهو يقول :

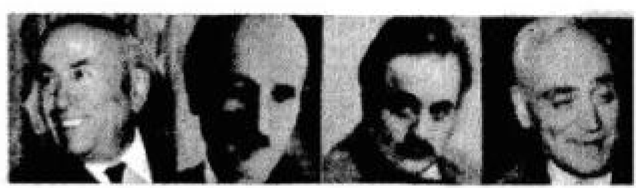
قال قوم : ان المحبة اثم ... ويح بعض النفوس ما أغباها !
ان نفسا لم يشرق الحب فيها ... هي نفس لم تدر ما معناها
انا بالحب قد وصلت الى نفسي ... وبالحب قد عرفت الله

---

(١) الضمير يعود على المحبة

نفحات الحب ولفحات العشق





وقد اباح أبو ماضي « العشق » لكل انسان استنادا الى فلسفة التناظر بين جميع الكائنات ، فاذا كان للجدول ان يجرى ، وللزهرة أن تفوح بالعبير ، وللطيور أن تشتاق الربيع والوانه فهل حرام على القلب أن يهوى وأن يعشق ؟ :

دعى اللاحى وما صنف والقالى وبهتانه
اللجدول ان يجرى وللزهرة ان تعبق
وللاطيار ان تشتاق « ايارا » (١) والوانه
وما للقلب ـ وهو القلب ـ ان يهوى وان يعشق

ومن المؤسف ان « ايليا أبو ماضى » الشاعر الذى فلسف العشق والحب وتغنى بالحكمة فيهما ، لم يخلف لنا فى سيرة حياته تجربة للعشق تحكى لنا مواجده ، ولعله كان مشغولا بفلسفة العشق عن العشق ذاته ... وهو فى هذا ليس مثل الشاعر المهجرى « الياس فرحات » الذى فضحته قصيدة « خصلة الشعر » منذ اكثر من خمسين عاما ، والذى كشفته بعض قصائد من الغزل الحسى بالمرأة تعد لوحات فاتنة فى متحف العشق لجمال المرأة ...

ولقد ظل حبه العارم لفتاته وقريبه (انيسة) مكتوما عنا عشرات من السنين ، الى أن أزاح هو الستار عنه وهو يتحدث فى كتابه الممتع : (قال الراوى) عن ذكرياته ومذكراته فى لبنان قبل الهجرة الى العالم الجديد سنة ١٩١٠ ، وفى البرازيل بعدها . ولقد غزا الحب قلب هذا الفتى الملتهب العاطفة فى سن مبكرة ، ويصور هو هذه الغزوة الغرامية بأنها كانت وحشية جنونية ، ملأت أوساط قلبه وحواشيه ، ولم تترك فيه مغرز ابرة خاليا . وقد جمع بينها وبينه النسب والقرابة ، وكان يتدفق سحر الانوثة من عينيها السوداوين الواسعتين ، وكانت أصغر منه فى السن بقليل الا أنها كانت تكبره فى المعرفة ، وكان ابوها من المهاجرين العائدين الى الوطن وعلى شىء من اليسار النسبى ، كما كان من مشتركى (الهلال) وقرائه الدائمين ، فانتقلت عادة القراءة الى ابنته ، التى كانت

---

(١) ايار هو من شهور السنة الرومية .. ويقابل شهر مايو الذى تتفتح فيه الازهار .

تجلس مع الشاعر الياس فرحات ، يقرآن معا مجلة (الهلال) وروايات الهلال لجرجى زيدان ، ويقرآن كل ما يقع فى ايديهما من كتب ، وكثيرا ما كانا يتخذان من نفسيهما بطلين لاحدى روايات الهلال ... ويصور لنا فرحات كيف كان يحتال على الراهبة ليلتقى مع حبيبته فى مدرسة الراهبات ببلدة (برج البراجنة) ...

واشتهر الياس فرحات الغلام النامى يومئذ بحب (انيسة) ، كما شهرت هى به .. وتواعدا على الزواج حتى بعد هجرته الى البرازيل ، ولكن السنين مرت عقدا عقدا ، ولم يتم زواج العاشقين كما كانا يحلمان ... فتزوجت « انيسة » وصارت أم أولاد ، وتزوج الياس فرحات وصار رب أسرة ... ولم يبق من ذلك العشق العنيف الا ذكريات وصفها شاعرنا ـ مستعيرا قول طرفه بن العبد الجاهلى ـ بأنها « تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد »..

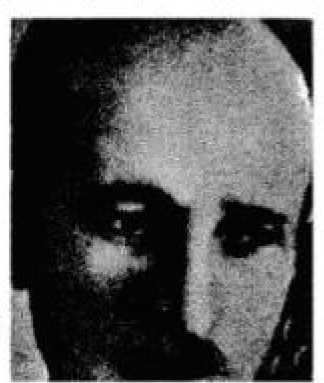
ولم تنس الايام والسنون والبنون صاحبة الياس فرحات صاحبها ... فبعثت اليه بعد عقود من السنين رسالة تذكره فيها بعهد صباهما وهواهما الفائت ... فما كان من الشاعر الا أن استجاب لهذه الرسالة بالأبيات التالية :

تذكرنى عهد الصبابة من لها ... على القلب من عهد الصبابة سلطان
وقد جهلت ان البياض الذى طمى ... على الشعر فيه للصبابة اكفان
حنانيك ! ان الذكريات لذائذ ... عواقبها فى خيبة القلب اشجان
دعينى اعيش اليوم فالامس قدمضى ... وما لغد فى دفتر العقل حسبان..

ولعلنا لا نكون واهمين اذا استنتجنا أن (انيسة) هذه هى صاحبة « خصلة الشعر » التى يقول فيها فرحات :

خصلة الشعر التى اعطيتنيها ... عندما البين دعانى بالنفير
لم ازل اتلو سطور الحب فيها ... وساتلوها الى اليوم الاخير

على ان الايام التى فرقت بين العاشقين الراحلين والقت بكل منهما فى طريق مغاير ، قد شاءت لشاعرنا فرحات أن تنتهى ايام عزوبته ، كما انتهت ايام محبته فتزوج بأم ولديه : خالد ، وعصام ، فى سنة ١٩٢١ ، بعد ان منته صاحبة « خصلة الشعر » بالزواج عشر سنين ... وقد استقبل فرحات عروسه الجديدة بقصيدة يودع فيها العزوبة قائلا :



الياس فرحات : اغرق في حب المجال



ميخائيل نعيمه : مغامرات العاطفة الجامحه



نفحات الحب ولفحات العشق



يا ليل لا تعتب ولا تغضب فما انا بالغضوب
ان كنت قد اذنبت فالآتي غدا يمحو الذنوب
فغدا تزف الى ناصعة الملابس والجبين
عذراء طاهرة بشكل حمامة الروح الامين
وغدا ينادمني الصحاب من الصباح الى المغيب
فاذا تفرقت الجموع فلا نديم سوى الحبيب ..

وهكذا لمع في سماء الشاعر « فرحات » نجم حب جديد ، هو الحب الذي وثقه الزواج ، والذي بدأ ينزع من قلبه كل علاقة للحب القديم ... وقد كان أيسر الظن بالشاعر الياس فرحات الا نجده في ركب شعراء التشبيب والغزل الحسي ، ما دام قد أواه الزواج الى عش دفيء ... ولكن صديقنا « فرحات » زائغ البصر دائما ، متقلب الطرف ... ففي قصيدته : (هل تشترين ؟) نجد لوحة رائعة لأنثى يتوسل اليها قائلا :

خداك في صحنيهما جمعا   ورد الرياض الغض والفلا
أيلام طرف فيهما رتعا !   لا : فالمحرم في الهوى حلا
عيناك غازلتان ما غزلت   عين الغزالة في الربيع ضحى
فاذا خيوط سناهما نزلت   كست القلوب فصفقت فرحا
اذناك زنبقتان رابهما   شعر يحوم كطالب الشم
او بلتا قل اصابهما   ماء فحلهما عن الام
نهداك - وادهشي وقد شهرا !   في الحلم لي فرخان في عش
خلف الدمقس اللين استترا   لا خلف قاسي الطين والقش
هل ترفقين بشاعر صب   دنف بخمرة فيك ينتعش
هل تشترين بقبلة قلبي   أواه ! كاد يميتني العطش !

على أن الشاعر الياس فرحات معذور حين نراه مولها بالجمال ومفاتن الحسن . وقد أغرق في نظرته الى الجمال الانثوي فقال مغاليا :

وجمال النساء رب له المجـ   ـد وفي كل هيكل معبود
لو خلت جنة الاله من الحو   ر لما مات في الجهاد شهيد !

ومن هنا نجد له هذه العين الزائغة التي يرسلها ترتاد كل انثى جميلة ، ولو لم يقم بينهما حب او عشق الا اثر النظرة الى « الجميل » .

ويذكرنا « الياس فرحات » في مجال هذا الغزل الحسي والتشبيب بالانثى

الجميلة بالشاعر « جورج صيدح » المقيم الان بباريس بعد هجرة طويلة الى امريكا الجنوبية . وقد بلغ من ولوع شاعرنا « صيدح » بمتابعة الانثى الجميلة انه لا يتورع أن يتبع الجارات ريبة طرفه !
الا يصارحنا الشاعر ويقول متغزلا في جارته :

انت لو كنت شــــعرت بأسى الجار الغـــــريب
ربما كنت مـــــــررت تحت شــــباكي القريب
انت لو كنت فهمــــت سر قلبي من عيــــوني
ربما كنت ابتســــمت بســـــمة الاخت الحنون
انت لو كنت عــــرفت أنني في الدار وحــــدي
ربما كنت وقفـــــت عند بابي دون قصــــد ... !

واية جارة هذه التي لو علم اهلها بنوايا الشاعر صيدح لغضبوا لهـا غضـــبة مضرية ؟ هي جـارة كانت لشاعرنا في القاهرة سنة ١٩١١ قبل هجرته الى العالم الجديد . ويبدو ان جورج صيدح كان قد وضع نفسه في حل من معاكسة الجارات . ففي القاهرة أيضا وفي سنة ١٩١٩ يعابث غزله جارة له ـ ولعلها غير الجارة الاولى ـ فيقول لها :

لي في جـــــوارك منزل بارية القصر المشـــــيد
راقبت من شرفـــــــاته أســــتار خدرك والبنود
بيني وبينك حاجبــــــان فما حواجبنـــــا تفيد ؟
بعد الســـــلام والابتسام الا نزول ولا صــــعود ؟

واذا كانت القاهرة واحياؤهـــا وأرباضها من مثل الفجالة ، والظاهر، والجزيرة ، وباب الحديد ، قد شهدت مغامرات الشاعر « صيدح » الغراميــة وسجلها في شعره ، فان باريس وغابة بولونيا وسويسرا ، وبحيراتهـــا ، وجنيف وغيرها قد شــهدت نزواته الكثيرة مع الحسان ... ففي (ليلة البحيرة) يحتويه هو وعشيقته قارب واحد ، ثم يطلب اليها أن يحتويهما معطف واحد ، فيقول :

جذفي « جانين » قد طاب السرى ونســـيم البحرة الشافي سرى
فاذا انبل جفنيك الكـــــــرى فاتركي المجذاف للماء الامين
وتعالي شـــــاطريني معطفي

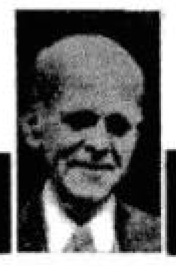
وفي باريس يهاتف محبوبته بالمسرة مهاتفة فيها خبث الغرض عن طريق الوعيد بالقطيعة فيسقط الهاتف من يديها وتسرع الى مأواه :

سقط الهاتف من كف الصبيه وأطاعتني بعصــيان الوصية
فهمتني مرة ... يا للذكيـــــة ! اقبلت من فورها تعـــدو اليا
وطوانا الليل بالاســـــتار طيا !

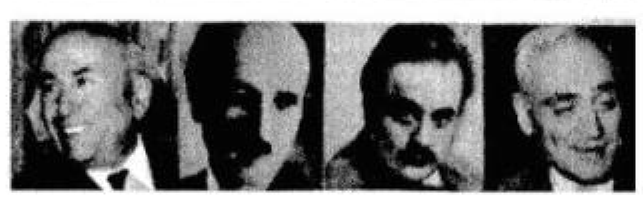
ويبدو أن للشيخوخة حكمها ... ففي بيـــروت سنة ١٩٥٤ وقد تخطى الشاعر « صيدح » الستين ـ كان في ليلة راقصة ، ولكن الهوى لم يمل به كما كان يفعل من قبل ... فرقص ـ كما يقول في قصـــيدة « رقصة » ـ (رقص مهذب مترفع عما يجول بخاطر الجلاس) وأكد ذلك قوله :

اني امرؤ صعب المراس على الهوى لا تفتح الشــهوات حصن مراسي
ان كان للشعراء شيطان ، فلي ملك ينـــــزهني عن الادناس

ومهمـــا يكن من تشبيب اغينـــا « صيدح » وجريه وراء دواعي الهوى والشباب قبل زواجه ، فانه قد وجد في الزواج الحصن والحصانة من كل المعابث والمباذل ، فودع عهد العزوبة ـ كما ودعه من قبل الياس فرحـــات ـ بقصيدة يقول فيها مشيرا الى قرينته الفاضلة الاجنبية جنسية ولسانا :



نفحات الحب ولفحات العشق



أبصرته على الطريق المعوج ... ودعته الى السوى فعرج
النابضان عنصرا ولسانا ... أصبحا كالسلاف بالماء يمزج
يا فؤادى ! اما مللت التصابي ... انت للحب ـ صادق الحب ـ أحوج
قم تدثر بالفجر ثوبا نقيا ... واخلع الليل بالمعاصى تضرج
وضح الافق بعد تيه الليالى ... أن ان استبين للسير منهج

***

ولعل اعجب شعراء المهجر فى أمر عشقه وحكايات حبه الشاعر القروى : « رشيد سليم الخورى » . فقد بدأ بالحب فى لبنان شاعرا عفيفا عذرى الهوى . فهو يذكرنا فى هذه الناحية بشعراء بنى عذرة وخاصة فى العصر الاموى . ولقد كانت النظرة البريئة الى عين من يهوى تشبعه وترويه ، فلايسره بعدها الظن ، ولا يتطلع الى فاكهة محرمة ... وما أشبهه فى هذا ببلديه الشاعر « الياس فرحات » وما كان له من حب عفيف عنيف مع نسيبته « انيسة » صاحبة « خصلة الشعر » . ولكن سرعان ما غادر الشاعر القروى لبنان الى مهاجره فى البرازيل ، فاستحال الحب عنده الى غزل حسى صارخ ، وفتن الشاعر القروى بجسد المرأة ، وجمال الانثى ، حتى بتنا نجد له فى التشبيب مثل هذا الشعر :

جراة الحلمتين خلف الصدار ... علمتنا فى الحب خلع العذار
خبئى هذه الفاتن عنا ... انما الصدر مخبأ الأسرار
كيف لا تطمع الاكف بكنز ... دافع نفسه الى النظار

ومن شعراء المهجر الذين نكث أحبابهم معهم عهودهم ، الشاعر « الياس قنصل » . ويبدو ان الياس قنصل كانت له تجربة من الاخفاق فى الحب بعد أن صدت عنه حبيبته ، فاستسلم الى حزن وتعس وضح أثرهما فى بعض شعره ففى قصيدة « هل تذكرين » يذكر حبيبته بسالف عهدهما فى الحب والود ، ويسائلها أن كانت لا تزال تطالع قصائده أم تعرض عنها امعانا فى صدها ، ويذكرها كذلك بالقسم الذى كانت أقسمته بأنها ستظل وفية له مدى الحياة ، ثم يمعن فى التذكير ، فيثير فيها كوامن ذكريات سعيدة قضياها معا فى نعيم من القبل ، فيقول فى خشوع وانكسار :

اتطالعين قصـــــائدي ام تعرضـــين
عنهـــــا ، وقد طوقتها بتوجعي ؟
وســــكبت بين سطورها قلبي الكئيب
ومزجتهـــــا بتنهدي وتفجعــــي
وازحت فيها الســـــتر عن حزني الغريب
اتطالعين قصـــائدي ؟ اتطالعيـــــن ؟
***
لو تعلمين تعاســـــــتي لو تعلمين
مما اكابد من حنين والتيـــــاع
لعـــــراك - رغم صدودك - الاسف الشديد
وذكرت ماضي عهـــــدنا قبل الوداع
وعرفت انى ما ازال على العهـــــود
لو تعلمين تعاســــــــتي لو تعلمين
***
انسيت كم اســـمعتني ذاك اليميـــن
والليل داج والخلائق نائمـــــات
والكون هاد والكواكب في وجـــــوم :
« قســـما بربي لن اخون مدى الحيـــاة
عهد الهوى » ، وليشـــهد الليل البهيم
انســـيت كم اقسمت ؟ أم هل تذكرين ؟

ويردد الشاعر « الياس فتصل » في شعره الاشارة الي ماقطته معه حبيبته من النكث بالعهود ، مما يدل على أن الصدمة كانت اليمة عليها ، وانها كانت غير متوقعة ، وخاصة بعد أن أقسمت له يمين الوفاء ، ثم تركته وحيداً يلقى الحياة وقد كان على وشك أن يجازي حبيبته الهاجرة صدوداً بصدود ، وان يقطع حبل الامل منها الى غير رجعة ولكن اشياء جميلة في الطبيعة كانت تذكره بها ، وتدعوه الى نسيان اساءتها ففي قصيدته « لوعة الذكرى » يقول :

هجرت الضحـــاب وعفت الديار
لعل السلو يســــاور قلبي
وسرت الي دوحة طـــالما بد
دت عن شـــلوعي حزني وكربي
وخلت بأني ســـأنسى هواها
هناك ، واهجر وجـــدي وحبي
ولكن وقد بسم الزهر قـــربي
تذكرتهـــــــا ...

***
فقلت لنفسي : الى كم يطـــول
عذابي ؟ وحتام اذري الدموع ؟
الست بعهد الشـــباب ؟ اليس
الشباب بعـــرف الأنام ربيع ؟
ساعرض عنهـــا كما فعلت بي
وحسبي انقياداً ، وحسبي خنوع
ولكن وقد غرد الطير قـــربي
تذكرتهـــــا ... !

ولا نستطيع أن نمر بموكب العشاق من ابناء المهجـــر دون نلم بأديبين مفكرين شاعرين : أولهما جبران خليل جبران صاحب « النبي » و « الاجنحة المتكســـرة » ، و « رمل وزبد » و « التائه » و « دمعة وابتسامة » ، و « المواكب » ، وغيرها ، وثانيهمـــا ميخائيل نعيمة صاحب « المراحـــل » و « الغربال » ، و « الاباء والبنـــون » و « زاد المعاد » و « كرم على درب » و « لقاء » و « مذكـــرات الارقش » و ديوان « همس الجفون » ، و « مرداد » وغيرها ...



نفحات الحب ولفحات العشق



ولقد حدثنا ميخائيل نعيمة فى كتابه العظيم أو رحلة عمره : « سبعون » عن بعض مغامراته فى الحب والعشق · ونحن مصدقوه حين يحدثنا عن نفسه يوم كان فى الروسيا قائلاً : (لقد هامت بى اكثر من فتاة فى ذلك الصيف ، الا اننى لم افتح قلبى ولا استسلمت لاغراء اية واحدة منهن ، ولو شئت ان امثل دور « دون جوان » لمثلته بسهولة ، لكن فى مزاجي وذوقى وخلقى وطبيعتى ما يتقزز من أمثال « دون جوان » · ومن العبث بعواطف النساء ارضاء لشهوة عابرة حتى لاحسبها جريمة اذا انا أخلصت لامرأة وادخلتها قلبى ان اشرك سواها فى عاطفتى) · ومن هنا لم يكن ميخائيل نعيمة زير نساء ، ولا كثير التنقل فى لذات الهوى ·· وكانت كبرياؤه تعصمه ان يتبذل فى البحث عن علاقات مع بنات حواء ، وان كان ذلك لم يمنعه ان يستجيب لنداء غرام عنيف جاءه من ناحية فتاة روسية اسمها « فاريا » · وكانت فاريا هذه متزوجة ، ولكنها احبت ميخائيل نعيمة حبا نسيت معه كل شيء كما نسيت فارق السن بينها وبين الفتى العربى ·

وكان هو حريصا على ألا يحطم القلب الذى منحه الحب ، أو لايجرحه جرحا بالغا ، وما كاد نعيمة يتخلص من نزوات « فاريا » ، حتى وقع فى حب جديد مع « ليدا » ابنة استاذه فى الأدب ، ويصفها بأنها (فتاة لطيفة ناعمة جميلة ، ولكن تربيتها البيتية جعلت منها عصفورة فى قفص ··)

وفى أثناء زيارة قصيرة لعم الفتاة « ليدا » فى قريتها الصغيرة ، وقع طرف شاعرنا على ابنة العم : « ماروسيا » ، فتعلقت الفتاة الريفية الساذجة به ، ونستمع اليه وهو يروى لنا حكاية حبه الجديد قائلاً : « ···

·· وكنت أبادلها الحب ، لولا انها لا تزال طفلة بمداركها · انها تقطر عذوبة وطهارة وجمالا · وقد طلبت الى أن أدون لها فى « الألبوم » أبياتا للذكرى ، ففعلت ·· » · ولم يقل لنا ميخائيل نعيمة ما هذه الابيات التى دونها ولن نجدها فى ديوانه « همس الجفون » لان الحكمة التى الهمته هذا الديوان لا تتدنى الى مثل هذا الغرام العابر السريع ···

وتظهر « فاريا » ثانية فى حياة ميخائيل نعيمة حيث احتوتهما سماء « بولتافا » من جديد ··· ويصرح لنا أديبنا العربى عن صلته الجديدة بفاريا قائلاً : (ان علاقتى بفاريا اخذت تتوثق وتتعقد ، الى حد انه بات من المتعذر على توجيهها أو حصرها ضمن نطاق الممكن والمعقول · تلك العلاقة ابتدأت من جانبى شفقة ، ثم تحولت بالتدريج الفة فعطفا · ولكنها لم تكن

فى يوم من الايام ذلك الحب الـــذى لا يهنأ له عيش الا بجانب المحبوب ·· ؛

وما هام ميخائيل نعيمة بحب انثى كما هام بحب « بيلا » فى نيويورك ، التى جعلها دار هجرته مع النازحين من ابناء العروبة الى العالم الجديد ·· لقد كانت « بيلا » متزوجة كذلك مثـل « فاريا » التى لقيها فى روسيا · وقد اصبحت « بيلا » رفيقة لقلب ميخائيل نعيمة ، واصبح اديبنا منذ ذلك اليوم ينصح لكل من خلا قلبه من الحب ان يفتش لقلبه عن رفيق ··· وبات ينادى ويدعو الى ذلك قائلا :

اسفى عليــــك فلا الذهاب ســـــهل لديك ولا الاياب
ستظل تخبط فى ضـــباب حتى يفيـــــر لك الطريق
قلب يكون لقلبك الواهى رفيـــق

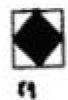
ومنذ ذلك الحين اصبح لعشـــق نعيمة « لبيلا » مكان فى ديوانه « همس الجفون » وبتنا نجد فيه قصيدة اليها يقول فيها :

انا السر الذى اســـــتترا بروحك منذ ما خطـــــرا
ببال الـــــكائن الاعلى خيـــــال العالم الادنى
فصــــور من ثرى بشرا فهـــانى يدا ، وهاك يدى
على رغد ، على نـــكد وقولى للالى جهلـــــوا
معا كنـــــا من الازل معــــا نبقى الى الابد

ونختم هذه الندوة الغـــرامية مع ادباء المهجر بالشاعر المفكر ، والكاتب المتحـرر ، جبران خليل جبران · لقد شهدت ربوع قرية « بشرى » فى لبنان حبا قويا بين جبران وبين الفتـــاة « حلا الظاهر » التى غضب اخوها لذلك الحب ، حتى حرم عليها ان ترد التحية على ذلك الفتى الفقير الذى لا يدانيها ثراء ونســـبا ··· وهاجر جبران الى امريكا يحمل حبه لـ « حلا » ، ويعجب لماذا لا تبادله الرسائل ، وكانا ســـاعة التوديع يتبادلان الهدايا التذكارية ، فهى تهدى اليه اشـــغالا يدوية انيقة تألقت اناملها فى صنعها له على سبيل التذكار ، وهو يهدى اليها خاتمـــا ، وقارورة صغيرة من قوارير العطـر ملأها بقطرات من دموعه ··· وكثيرا ما كان صاحبنا يشغل نفســـه فى مرسمه الخاص بنيويورك برسم صورة للفتاة « حلا » بعد ان اعياه الحصـول على صورة فوتوغرافية لها بواسـطة صـديقة لها لبنانية · ولا تزال هذه الصـورة محفوظة فى متحف جبران تذكارا لحكاية حب قديم ···

ولا شك ان رواية « الاجنحـــة المتكسرة » التى اصدرها جبران سنة ١٩١٢ كانت حكاية حبه الذى لم تدعه الاقدار الى مداه ، ولكنه تصرف فى الاحداث الجانبية للقصـــة بما يبعد الشبهة عن ان يعرف منها القارىء انها حكاية عشقه ···

وتصـــادفنا فى حياة جبران خليل جبران الغرامية قصـــته مع الفتاة « اميلى ميشيل » الشهيرة فى الترجمة باسم « ميشلين » كما تصادفنا قصته مع « مارى هســـكل » التى كانت كالسنديانة ـ كما ينعتها تلميذاتها ـ يستأنس الضعيف بقوتها ، والمسافر بظلها ، والعين بطهـــارتها ··· اما الجائع فيرتد عنها جائعا ، والعطشان عطشان ـ كما يقول عنها ميخـــائيل نعيمة فى كتابه عن جبران ··· ومن اجل هذا فكر جبران جديا فى الزواج بها ، لولا كلمة منهـــا جرحته جرحا بالغا فتبخرت احلامه ···



ولقد اعترضت الكاتبة النابغة الاديبة « مى زيادة » حياة جبران خليل جبران العاطفية ، وكانت بينهما رسائل تدل على حب كبير ، وغرام عظيم ، على الرغم مما بينهما من الوف الاميال ·



• فاروق سعد •

عاشقة ومعشوقة

أحاط الجانب العاطفي في حياة وانتاج « مي زيادة » باهتمام الكثيرين من الباحثين لدرجة كاد معها يطغى على الجوانب الأخرى ما يستاهله من بحث ودراسة ، وهي على ما هي عليه من أهمية في التعرف الى « مي » وفهمها .. ومن هنا كانت وفرة المراجع والمصادر أمام الباحث في هذا المجال والجدير بالذكر هنا ان مجلة « الهلال » هي احدى المراجع والمصادر الرئيسية فيها ، ففي اعداد « المقتطف » نقرأ في عدد يناير سنة ١٩٢٣ ؛ وفي اعداد « الهلال » الصادرة في الخمسينات (مثلا : عددا ديسمبر ١٩٥٧ ـ مارس ١٩٥٨) وفي الستينات (اعداد يناير ، فبراير ، ابريل ، ديسمبر ١٩٦٢ ـ وعددا ابريل ويونيو ١٩٦٤ الخ) نجد مقالات عديدة تتناول الحديث عن علاقات « مي » العاطفية أو بالأحرى غرام بعض أعلام الفكر والأدب « بمي » مع نشر لمجموعة رسائل متبادلة بين « مي » وهؤلاء مثل أنطون الجميل ، وخليل شيبوب ، ويعقوب صروف ، ولطفي السيد ، وعباس محمود العقاد ، وولي الدين يكن ، ومصطفى صادق الرافعي ، وجبران خليل جبران ...

ومن خلال هذه الرسائل نجد القارئ يحاول تسليط الأضواء والتحري والكشف عن أكثر علاقات عاطفية بين هؤلاء وبين « مي » . وقد اثارت هذه الرسائل الكثير من الأمور التي كانت مجهولة عن حقيقة علاقة هؤلاء « بمي » وعلاقة « مي » بهم ..

والى جانب مجلة « الهلال » هناك مقالات ودراسات وكتب عديدة صدرت بعد وفاة « مي » للتعرف بحياتها ولتناول الجانب العاطفي منها ، على سبيل المثال لا الحصر نذكر : كتاب « مي أديبة الشرق والعروبة » لمحمد عبد الغني حسن ، وكتاب « مي وجبران » للدكتور جميل جبر (وهو منشور في بيروت سنة ١٩٥١) وقد

« الهلال » التي صدرت في العشرينات نجد لي عددا من القصائد والمقالات مثلا : « يوميات فتاة » ـ سنة ١٩٢٤ ـ وهي اليوميات التي سبق ونشرتها مي باللغة الفرنسية في ديوانها « أزاهير حلم » بعد أن عربتها « مي » بنفسها .

كما نقرأ تمثيلية كتبتها « مي » ونشرتها سنة ١٩٢٢ بعنوان « على الصخر الشقيق ؟ » وفي أعداد « الهلال » الصادرة في الثلاثينات تلفت نظرنا قصيدة « الى ؟ » بعنوان « الشمعة

مي عاشقة ومحشوقة

حاول مؤلفه برسائل عديدة منسقة تاريخيا ان يثبت الحب المتبادل بين « مي » وجبران ٠

وهناك الفصول التي كتبها مارون عبود والتي اكد فيها تبادل الحب بين « مي » وجبران والتي حواها كتابه « جدد وقدماء » الصادر في بيروت سنة ١٩٥٤ ، والي جانب هذا لابد من الاشارة الى المقالات التي نشرها كامل الشناوى في « اخبار اليوم » سنة ١٩٥٥ (أعداد ابريل) ثم جمعت بعد وفاته في كتاب نشرته دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢ تحت عنوان « الذين أحبوا مي » ٠

وفي الستينات ظهر في القاهرة كتاب لعبد السلام هاشم حافظ (١٩٦٤) بعنوان « الرافعي ومى » حاول فيه مؤلفه التحرى عن وجود عاطفة حب متبادلة بين « مى » ومصطفى صادق الرافعي ٠٠ ومما لاشك فيه ان الكتاب الذى الفته وداد سكاكيني ونشرته دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ ، بعنوان « مي زيادة في حياتها واثارها » كان له الفضل الاول في تزويد القارىء والباحث بتفاصيل شافية ومراجع ومصادر وافية تعرف بسيرة « مي » واثارها ولابد اخيرا من ذكر كتابي « لمحات من حياة العقاد » و « المرأة في حياة العقاد » المنشورين في القاهرة سنة ١٩٧٠ ، حيث نجد تفاصيل واخبارا عن علاقة « مي ومحبوها » وهو احد فصول كتاب « العرضى الوكيل » الصادر في القاهرة في تموز ١٩٧٣ بعنوان « مطالعات وذكريات » ٠٠٠ واخيرا فاتنا في كتابنا « باقات من حدائق مي » الصادر في بيروت في شباط (فبراير) سنة ١٩٧٣ قد تناولنا عبر سردنا سيرة « مي » من خلال نتاجها والجوانب المختلفة لحياتها ومنها الجانب العاطفي ٠٠

الحب في مسيرة السنين

ويلفت النظر في الكتابات عن حياة « مي » العاطفية انها جميعها دون استثناء قد اقتصرت على الطور من حياتها الذى عاشته في القاهرة بعد هجرتها مع والديها من فلسطين ، وعلى وجه التحديد بعد سنة ١٩١١ ، وهى السنة التي صدر فيها ديوانها « ازاهير حلم » ٠ كما يلفت النظر ان هذه الكتابات قد وقفت عند التدقيق والبحث عن علاقات عاطفية « لمى » مع فئة واحدة هى فئة اعلام الفكر والادب ٠٠

والواقع أن الحب قد واكب مسيرة السنين في حياة « مى » منذ كانت فتاة في الخامسة عشرة تدرس في مدرسة عينطورة في جبل لبنان (بين سنتي ١٩٠٠ و ١٩٠٢) والصورة التي لدينا عنها صورة الفتاة التي تعبث بشقاوة دفاقة بالظرف والانس ٠ وفي هذه الصورة نجدها تنتحل اسم « كنار » لتوقع به رسائل كانت ترسلها الى قريبها نعوم الذى كان يدرس في مدرسة مجاورة دون أن يدرى هو ان المرسلة ليست سوى قريبته ! ٠٠

ولكن بعد اربعين سنة تقريبا تأكد أن : لا المرسل اليه أى نعوم، ولا امين جبره ، كانا على علم بحقيقة شخصية « كنار » وامين المعرَّ هنا هو يوسف الحويك الذى اصبح فيما بعد نحاتا ورساما مرموقا وكان رفيق جبران في باريس سنة ١٩١٠ ٠

وتنقل لنا وداد سكاكيني ما رواه

يوسف الحويك عن قصة « كنار » اذ يقول انه عندما زار « مي » بعد محنتها سنة ١٩٣٨ سألها عما اذا كانت تعرفه من قبل فأخذت « مي » تضحك ثم بادرته قائلة : انتم الرجال بهاليل ! ..

فنظر اليها الحويك وهي تردف قائلة : الم تكن في مدرسة عينطورة عام ١٩٠٣ ؟ .. وصادق الحويك على كلامها ، وتابعت « مي » قائلة : وكان لك رفيق هو ابن عمي نعوم زيادة ؟ واجاب الحويك : نعم هو بذاته ...

وعادت « مي » الى اسئلتها : اما كانت هناك مراسلات حبية بين نعوم و «كنار» التلميذة في مدرسة الراهبات المشارفة على مدرستكم ؟

وعقدت الدهشة لسان الحويك فلبث صامتا ، وتابعت « مي » : كنت اعلم انك انت الذي كان يكتب هذه الرسائل لقريبي نعوم . ويجيب الحويك مستسلما : نعم انا الذي كان يكتب هذه الرسائل ؟ ! وتطرح « مي » استفهاما جديدا : ولماذا اذن لم يخطر لك ان تحقق عمن تكون التي اجابت على رسائلك ؟! .. كان ينبغي ان تستنتج انني انا التي كانت تجيب على تلك الرسائل !

مدهش ولكنه حقيقة

وتلملم سطور قصائد « ازاهير حلم » ومضات خفية توحي بشتات تجارب وذكريات عاطفية تعرضت لها « ايزيس كوبيا » وهو الاسم الذي انتحلته « مي » واصدرت به ديوانها . ففي قصيدة « دعوني » تقرأ :

« هنا يطيب لنا الحب ...

اجل يطيب لنا الحب : بين الاشجار المنعزلة ..

والخرائب البائدة ، وما حملت من اخبار الزمان » ..

وفي قصيدة بعنوان « ملل » تقرأ :

شئت ان اخدع الملل فنهضت ...

وانشدت اناشيد حب ،

فاحسست شفتي تفتر عن ضحكة اليمة ، ما عرفت مغزاها » ...

اتراها لمحات عن الحب الاول ..

ذلك الحب الصبي، المصيب على الدوام ؟!

بلى ... انه الحب الاول ذلك الحب الذي يقع دوما على الشكل الجميل !

.. وذلك الحب نلمحه في تلك الرسالة الشعرية القصيرة التي تخاطب فيها « ايزيس كوبيا » صديقتها قائلة :

« يا عزيزتي ...

تختمين كتابك شاكية الى كونك فتاة لم تبلغ بعد . وقد تكونين على حق .

لقد اطلقوا على النساء لقب الجنس الجميل . وهذا خطأ فالنساء يؤلفن الجنس اللطيف . اما الجمال فللرجال امر يدهشك ولكنه حقيقة ...

اكثر الرجال جميل . وقل الجمال في النساء »

ترى من كل ذلك الحبيب المجهول ؟!

طبعا ليس هو القريب ، فرسائل « كنار » التي كانت عبثا بعبث اثراه طالب الطب ابن عم « الفيرا » ؟! ما اسمه الحقيقي ؟ لا احد يدري ، ولا احد يعلم متى حدث ذلك ؟! وهذا لا يمكن تحديده قد يكون حدث ايام الدراسة في عينطورة او في بيروت . وقد يكون حدث ايام الاصطياف في لبنان . وقد يكون حدث خلال الاعوام الثلاثة التي قضتها « مي » في القاهرة قبل نشر « ازاهير حلم » (بين عامي ١٩٠٨ و ١٩١١) ! ..



طاهر الطناحي : كتابات متعددة عن غراميات مي

مي عاشقة ومعشوقة

وسامة وجراة وذكاء

وتتعرف « مي » الي المجتمع القاهرى من طريق أسرة ادريس بك راغب وكانت «مي» تقوم باعطاء بنات ادريس دروسا خصوصية. كما تعرفت « مي » الى اهل الفكر والادب عن طريق والدها الذى كان قد ترك التعليم لينصرف الى الصحافة متوليا ادارة جريدة « المحروسة » .

وتحقق « مي » مكانه ادبية مرموقة بفضل ديوانها الاول « ازاهير حلم » الذى اصدرته بالفرنسية ثم تسمو مكانتها بفضل مقالاتها التى كانت تنشرها بين حين وآخر في «المحروسة» وسواها من الصحف « كالهلال » و « المقتطف » و « الزهور » و « البروجريه » وهذه الصحيفة الاخيرة كانت تصدر باللغة الفرنسية . وزاد تقدير الاوساط المثقفة « لمي » عندما صعدت المنابر خطيبة ومحاضرة في شئون وقضايا اجتماعية وثقافية مختلفة .

وفي سنة ١٩١٤ تدخل « مي » الجامعة المصرية القديمة . وكان لا بد أن تكون « مي » وهي بما تتمتع به من وسامة وذكاء وجراة . فتاة أحلام لزملائها ! .. وقد يكون بعض هؤلاء قد وقع في هواها ولكنه كتم هيامه بها أمام تناكب المنافسين ثم طوى حبه قانعا بخسران المنافسين . وتماثلهم له بالخيبة .

عند حد الاعجاب

وتفتح « مي » أبواب غرفة الاستقبال في منزل والديها في شارع المغربي (رقم ٢٨) بالقاهرة لتستقبل فيها اعلام الفكر والادب والفن مساء كل ثلاثاء ، وهكذا تتحول هذه الغرفة الى صالون من تلك الصالونات التى عرفتها باريس خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وتتحول الفتاة على حد تعبير سليم سركيس الى مدام دو ستايل ، ومدام ريكامييه ، وعائشة الباعونية ، وولادة بنت المستكفي – في شخص ومدارك الانسة « مي » ! ..

ويتحول مجلسها الى فرع من سوق عكاظ والاكاديمى ، وتروج المباحث العلمية والفلسفية والادبية .. وعلى هامش هذه المباحث ومن خلال تأمل عبارات وتصرفات اولئك الزوار نستطيع أن نتعرف حسيا الى الوان من الهوى والغرام تتجلى حينا في العيون والنظرات وغالبا ما تفضحها العبارات . وليس لنا هنا ان نستفيض فيما افاض به من بحثوا الجانب العاطفي في حياة « مي » انما نكتفي ببعض الصور التى تؤدى فكرة كاملة تدرجها بتصنيف لابد منه تتضح من خلاله حقيقة العلاقات بين « مي » وبين



معاصريها من أهل الفكر والفن والادب فهناك فئة لم تتجاوز علاقة افرادها « بمى » حد الاعجاب ، وهذا مؤكد بالنسبة « لمى » ، أما من جانب هؤلاء وبالنسبة اليهم فانه لا يمكن الجزم تماما بان الامور وقفت عند حد الاعجاب ! .. انما لا توجد ادلة على انها تجاوزته ، ومن هؤلاء : الدكتور زكي مبارك ، أحمد شوقي ، شبلي الملاط ، اسماعيل صبرى ، الياس فياض ، حليم دموس ، منصور فهمي ، يعقوب صروف ، سلامة موسى .. ، وهناك فئة يبدو ان العلاقة كانت بين افرادها و « مى » علاقة صداقة وطيدة ومن هؤلاء : انطون الجميل ، ولطفي السيد ، وطه حسين ، وفؤاد صروف ، وشبلي شميل ، وأمين الريحاني ..

واذا كان شبلي شميل لا يريد ان يرى « مى » متحفظة في لقائه على حد ما نقله عباس العقاد في كتابه « رجال عرفتهم » . واذا كان اسماعيل صبرى يقول مما يقول في « مى » :

ان لم امتع بمى ناظرى غـــــدا
انكرت صبحك يا يوم الثـــلاثاء

او

ان هذا الحسن كالماء الـــــذى
فيه للانفس رى وشـــــــفاء

او

زينى الندى وسيلى في جوانبه
يعم رعاياه اللطف ريـــــــاه
ريحانه انت في صحراء مجدبة
من الخمائل حيانا بهـــــا الله
ان غاب ساقى الطل اوصد لا حرج
هذا جمالك يغنينا محيـــــــاه

فان هذا كله ليس من شأنه أن يبدل رأينا في أن الامر لم يتجاوز حد الاعجاب ، عند هؤلاء ، وشـــأن اسماعيل صبرى شأن شبلى الملاط ، فلا يمكن القول أن غزلياته « بمى » قد خرجت عن حد الاعجاب اللهم كقوله :

الا حملوا اليك حـــديث « مى »
كأزهار الجنائن في شـــذاها
كان الله من ســــحر ودر
اتاح « لمى » لاحظة وفاهـــــا

وشاور امها لما براهــــــــا
وشاور يوم كونها اباهـــــــا

أو قوله :

يا اهل الوادى لى قمـــــــر
بسماء الوادى مطلعـــــــه
ويجفني الساهر مســـــــكنه
وبقلبى الذائب موضـــــــعه

ولا يعني ما اشيع من أن انطون الجميل كان يأمل الزواج « بمى » وظل عازبا في انتظار هذا القبول ان الامر عنده خرج عن حد الاعجاب . ولا يمكن ان تفسر رســائل لطفي السيد التى نشرها طاهر الطناحي في مجلة « الهلال » (يناير وفبراير سنة ١٩٦٢) تفسيرا يخــرج بمودة لطفي السيد « لمى » المفعمة بالاخلاص والتقدير ، عن المودة ذات الطابع الابوى أو مودة الاستاذ لتلميذته النجيبة .

والى جانب فئة المعجبين يقف ثلاثة يبدو أن الامر عندهم لم يقتصر على الاعجاب . فهذا ولى الدين يكن يبلغ به الهيام والضنى الى حد جعله يكتب على صورة له اهداها لى بيتا من الشعر :

كل شيء يا مى عندك غـــــال
غير انى وحـــــدى لديك رخيص

والى حد جعله يقول :

تمسين ناسية وامسى ذاكـــــرا
عجبا : اشاعرة تهاجر شــــاعرا
ان كنت لا اســـعى لدار زائرا
فلكم سعى اكــــرى لدارك زائر
يا وحى ذى قلب يناجى مثـــله
يدعوه مؤنسه فيبقى نافـــــرا!

ولكن ليس هناك أى دليل يؤيد قول كامل الشنارى في مقالاته عن « مى » في ان ولى الدين يكن كان يحب «مى» « باشتهاء وجسارة » ! ولو كان ذلك كذلك لما ظلت « مى » محـــافظة على صداقة وتقدير يكن حتى وفاته ، لا بل ان تقديرها له وصل الى حد ان كلفته بوضع مقدمة كتابها « ســوانح فتاة » كما خصته بمقال طويل ضمه كتابها « الصــحائف » وان لم تكن « مى » في الواقع تبادل يكن غرامه

مي عاشقة ومعشوقة

فلا شك انها كانت تقدر عاطفته ، (لا بل وعبقرية حبه) وتكن له الصداقة والود .

اما مصطفى صادق الرافعي فنحن نذهب مع محمد سعيد العريان في كتابه عن حياة الرافعي الى ان حب الرافعي « لمي » كان من طرف واحد هو طرف الرافعي ، وقد اصطنعه ليجد فيه ينبوع الشعر والحكمة والبيان على حد قوله ، وقد تفجر هذا الينبوع عن « رسائل الاحزان ، السحاب الاحمر ، أوراق الورد » . ولا نستطيع ان نقتنع بما يروى عن ان الرافعي قد أرسل « لمي » رسالتين غراميتين جريئتين خلال سنة ١٩٣٥ حملتاها على التفكير بمراعاته ذلك ان « مي » كانت في تلك السنة قد وصلت الى سن لم تعد فيها موضوعا قابلا لهذا الامر ، فقد كانت يومها قد بلغت الخمسين من العمر .

اما بالنسبة لعباس محمود العقاد فلا شك انه كانت بينه وبين « مي » الفة ومودة وصلتا الى حد ان شغف كل منهما بالاخر ، ولكننا لانستطيع ان نجزم في كون هذا الشغف قد وصل الى حد الغرام الجدي ، والا لكانت العلاقة بينهما قد تطورت الى حد قد يكون الزواج او على الاقل الى حد التفكير فيه ..

ولا يغير رأينا ما ورد في رسالة ارسلتها « مي » للعقاد من روما سنة ١٩٢٥ مرفقا بها مقالها في مناجاة ينابيع فروندیزی بروما ولا يشفع بذلك جواب العقاد بقصيدته المعروفة والتي مطلعها :

انت في رومــا وفي مصر انا
بعدت شقتنا لولا النجــاء

وليس ما يؤكد صحة الحادثة التي تروى عن غيرة « مي » على العقاد تلك الغيرة التي ـ على حد الرواية ـ قد فعلت فعلها في نفس « مي » عندما علمت بعلاقة العقاد بسارة ، فقصدت الى جريدة البلاغ ودخلت مكتبه ، وهناك دار بينهما عتاب صامت ختمته دمعة انحدرت من عيني « مي » ، نقول انه ليس ما يؤكد صحة هذه الحادثة لا سيما عندما نقرأ رسائل « مي » لجبران خلال سنة ١٩٢٥ وبالذات الرسالة المؤرخة ٩ كانون الثاني وتحدثه فيها عن شعرها الذي قصته غلامية (الاجرسون) ، والرسالة المؤرخة ١١ اذار (مارس) الزاخرة بالحنان والحب ! .

الاكتفاء بالقطرات الشحيحة

اما جبران فقد كان على حد تعبير وداد سكاكيني (صفحة ١٣٩ من كتابها) « محبوب مي » الذي « كونه الخيال والبال في ارجاء نفسها من قبل أن تجده في الوجود ، فكانت مثل ربة من ربات الاساطير التي هامت في ارجاء افريقيا وصعدت حتى قمة الاولمب وهي تستنشق ريح الالهة وتطالبهم بمعشوقها الذي لم يخلق بعد » وحتى اليوم يبدو ان مي هي التي ارادت ان تتعرف على جبران وان يتعرف جبران عليها ، وكان جبران قد نال شهرة ومكانة مرموقتين في عالم الادب والفن . فبادرته « مي » برسالة بتاريخ ٢٩ اذار (مارس) ١٩١٢ تعرفه فيها بشخصها فتحدثه عن لقبها ووضعها : « .. امضي مي بالعربية وهو اختصار اسمي ، ومكون من الحرفين الاول والاخير من اسمي الحقيقي الذي هو ماري » الخ ...

ولا شك أن الامر بين « مي » وجبران كان من أوله جديا • والامر الذي تعنيه هو العاطفة الجدية التي تجد في الزواج غاية ، ففي رسالة « مي » مؤرخة في ١٢ أيار (مايو) سنة ١٩١٢ نقرأ نقاشها لجبران في موضوع الزواج من خلال نقدها لروايته « الاجنحة المتكسرة » •

وتتوقف المراسلات بين « مي » وجبران بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى ، وما أن تنتهي حتى تعود المراسلات بينهما فلا تكاد تصل رسالة احدهما الى الاخر حتى يسارع في الجواب عليها برسالة ينتظر جوابها •• والمتتبع لهذه الرسائل بالتسلسل التاريخي يلمس كيف كانت المشاعر والعواطف المتبادلة بين « مي » وجبران تتجلى من رسالة الى رسالة ، وهكذا نلحظ ارتفاع الكلفة في كتابة « مي » لجبران عن كيفية قصها شعرها « غلامية » ، أو بتعليقها له في رسالتها بمعرض نقدها لكتابه « المجنون » بقولها : « اهذا هو المجنون •• هو أنت المجنون » ! ••

نجد الشوق والحنين يتجليان خلال السطور فهذا جبران يخاطبها في رسالة كتبها لها في أول تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٢٠ : « النفس يا مي لا ترى بالحياة الا ما بها •• والقنوط يا مي جذر لكل مد في القلب والقنوط عاطفة خرساء •• لذلك لم اكتب بنوري ، لذلك كنت اقول في سري لم يبق لي نور •• ولكن في قلب كل شتاء ربيع يختلج ، ووراء نقاب كل ليل صبح يبتسم ، وها قد تحول قنوطي الى أمل •• »

ويندفع جبران في هذه الرسالة نفسها الى حد دعوة « مي » للقائه : « ماذا اقول عن هذا الرجل - وجبران يعني هنا نفسه - هل هو كئيب ؟ هل هو سعيد ؟ هل هو غريب عن هذا العالم ؟ •• لا ادري ولكن اسألك هل تريدين ان يبقى غريبا عنك ••

أولست أيضا انت غريبة عن هذا العالم ؟ هل في هذا العالم كثيرون يفهمون لغة نفسك ؟ •• تعالى نعبر الصخور المتعالية ، تعالى ندخل معا الى قلوب المخلوقات وخلاياها •• تعالى نطوف في تلك الاماكن البعيدة المنيعة غير المعروفة •

وتجيب « مي » معاتبة متنصلة من العاطفة وتسرف في العتاب والتنصل حتى تتأكد تماما من كونها تبادل جبران عاطفته بدرجتها ، والا فما الذي يدعوها للجواب كتابة على ما لا يرضيها وبوسعها أن تضع حدا لعدم الجواب ؟ •• ولكن العواطف تأبى الا التكشف ففي رسالة وجهتها « مي » لجبران مع انصرام عام ١٩٢٣ تكتب سائلة : « وبعد ، ماذا أنت فاعل هذا المساء ؟ • واين تقضي سهرتك ؟ اطلب اليك أن تشركني الليلة في كل عمل تعمله وان تصطحبني اني ذهبت ، فاذا اعتليت السطوح لترسل النظر في العوالم التائهة في اللانهاية فخذني معك الى قلب الله ، واذا مضيت الى ناد أو سهرة أو اجتماع أو مسرح فخذني معك الى قلب البشرية ، واذا بقيت مع نفسك عاكفا على افكارك وخواطرك خذني معك الى وطني •• »

وبعد هذا كله تكتب « مي » رسالة الى جبران في ١٥ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٤ تقول فيها :



أنطون الجميل : صداقة رفيعة مع مي ..

مي عاشقة ومعشوقة

« جبران .. كتبت اليك كل هـــذه الصفحات ضاحكة لا تحايد قول انك محبوبي ، لا تحايد كلمة الحب .. أن الذين لا يشيعون مظاهـــر الحب ودعواه في الســــهرات والمراقص والاجتماعات ، ينمو الحب في اعماقهم قوة ديناميكية رهيبة . قد يغبطون الذين يوزعـــون عواطفهم في اللألاء السطحي لانهم لا يقاسون ضـــغط العواطف التي لم تتفجـــر . ولكنهم يغبطون الآخرين على راحتهم دون ان يتمنوها لنفوسهم .ويفضلون وحدتهم ويفضلون السكوت ، ويفضلون تضليل قلوبهم عن ودائعها والتلهي بمـــا لا علاقة له بالقلب والعاطفة . يفضلون أي غربة وأي شقاء ، وهل من شقاء وغربة في غير وحدة القلب ، على الاكتفاء بالقطرات الشحيحة .. »

وتتنبه « مي » الى نفسها فلا تشطب السطور التي خطتها بل تتابع : « ما معنى هذا الذي اكتبه ؟ انى لا أعرف ماذا أعنى به . ولكنى أعـــرف انك محبوبي واني اخاف الحب .. »

وفي ١٧ شباط (فبراير) ســـنة ١٩٢٥ لا تتردد « مي » في وصـــف جبران في رسالة لها قائلة : « جبران .. يا صديقي الحلو الرفيق الكريم » .. وبعد ست سنوات توفي جبران ولم تتح له ولا « لمي » فرصة اللقاء ، ويا له من لقاء لو تم ...

أسمى من البشر

ويبرر مارون عبود في مقـــال له بعنوان « شيء عن مي » منشور في كتابه « جدد وقدماء » الحب المتبادل بين جبران و « مي » ذلك الحب الذي بدأ دون لقاء وعاش دون لقاء وخلد دون لقاء : « قد يقال ما هذا الحب وبينهما بحور اقل امواجها جبل .. ان بشار بن برد قد انبرى لحل هذه العقدة فاستفتوا شعره . واذا كان علم النفس يعلل الحب العياني زاعما ان المرء لا يحب شخصا حقيقيا ، بل يعشق شخصا خياليا فينتزع من نفسه اشياء يسبغها على معشوقة حتى يخال انه اكتشف بذلك اسرار الشهابة وحقيقة الوجود، فكيف « بمي » المفتونة بسحر جبران حتى ترى فيه شخصا اسمى من البشر ؟ ..

عالم الحياة الخاصة

وبعد .. الا يلاحظ ان ما هو معروف عن الجانب العاطفي في حياة « مي » قد اقتصر على علاقتها بفئة واحدة هي فئة اعلام الثقافة .. ومن المسلم به ان لقاء «مي» بهؤلاء الاعلام كان يحدث مرة واحدة في الاسبوع وفي مكان واحد لا يتغيـــر ، ونعني بذلك يوم الثلاثاء الموعد الذي تستقبل فيه «مي» المثقفين في صالونها . ولا يعقل ان تمضي « مي » الايام الستة الباقيـــة



اسماعيل صبري .. من رواد صالون مي

من كل أسبوع فى تحضير برامج جلسات الصالون ، علما بأنه من المعروف ان المواضيع كانت تثار فى صالون « مى » عفوا دون سابق تحضير ، كما انه لا يمكن الافتراض بأن « مى » كانت تتفرغ فى بقية أيام الاسبوع لتحضير أجوبة على رسائل الادباء وتدبيج المقالات واعداد الخطب والمحاضرات مغلقة باب غرفتها عليها، وهى التى ما زالت فى عز شبابها ، وهى على ما هى عليه من جمال وذكاء وتحرر ! ..

اذن فمما لاريب فيه انه كانت «لمى» حياتها الخاصة وعالمها الذاتى ، وربما يكون قد شغل هذه الحياة أو طرأ على هذا العالم شخص أو أشخاص من غير أهل الثقافة كانت لهم فى نفس « مى » عاطفة ما ، ولا سبيل للعثور على مصادرها فى رسائلها المعروفة ، ومن هنا كان لا بد للاستدلال والاستقراء عن معالم هذه الحياة فى آثار « مى » المختلفة .

ونعتقد انها كانت على صداقة بيعض سيدات وفتيات من الجاليات الاجنبية المستوطنة والمقيمة فى القاهرة . ولا شك انها قد اختلطت مع افراد هذه الجاليات وشاركت فى مناسباتها الاجتماعية وتعرفت عن كثب على حياتها ان لم تكن قد عاشتها وتعايشت معها .. ونستطيع ان نلمح معالم ذلك كله فى اقصوصة « لى » بعنوان « حكاية السيدة التى لهما حكاية » وفى مقال بعنوان « السهرات الراقصات » ضمه كتابها « ظلمات واشعة » ولا شك ان لاقصوصة « الشمعة تحترق » ولكثير مما ورد فى « سوانح فتاة » و « ابتسامات ودموع » و « ظلمات واشعة » صلات بعالم تلك الصديقات .

وهذا كله لا يغير من اعتقادنا ان « مى » كانت على صلة وطيدة بالحياة الاجتماعية والعائلية المصرية ، دليلنا على ذلك خطبها ومحاضراتها والعديد العديد من مقالاتها .. وحبذا لو اتيح النشر لقصائد «مى» التى كتبتها باللغة الفرنسية ولم تنشر ، والتى اتت على ذكرها صديقتها السيدة « ايميه خير » فى حديثها عن « مى » لمحمد عبد الغنى حسن ، وحبذا لو اتيح لآثار « مى » ورسائلها غير المعروفة ان تنشر ، فان من شان ذلك اتاحة الفرصة للتعرف الى عالم « مى » غير ذلك الذى نعرفه ، والذى اقتصر على زمان ومكان واحد : يوم الثلاثاء فى صالون منزلها بشارع المغربى رقم (٢٨) فى القاهرة!


الرافعى : حب من طرف واحد


كامل الشناوى : ولى الدين يكن وحبه لمى

د. محمد أبو الأنوار

عمر بن أبي ربيعة



لو أن شاعرا أراد أن يصبح في مجتمعه عاشق المرأة ومعشوقها ، واختار لنفسه المرأة المترفة المبرجة سواها فإنه بالضرورة لابد أن يكون مؤهلا لذلك في شبابه وملابسات تربيته ، وفي شخصه من حيث الطبع والمزاج ، والسمت والهيئة لابد أن تستوعبه بيئة اجتماعية تكون بحكم طورها معدة لقبول ذلك النموذج ، بل لطلبه واحتضانه . وهكذا كان عمر وكانت بيئة الحجاز في حواضر مكة ، والمدينة ، والطائف ...

ولد عمر بن أبي ربيعة [illegible]

[illegible]

عمر بن أبي ربيعة
زعيم الغزل

والده ، فتولت امه تربيته ، وهي من قبل كانت تقوم بها لان والده كان مشغولا بأسفاره الى اليمن · فنشأ عمر في حجر الانوثة ذات الثراء والترف ، والام المترفه ذات الولد الواحد التي مات عنها زوجها تشغف بولدها وتبالغ في تدليله ، فكانت امه تعنى بزينته وعطره والتفنن في ملابسه ·

وكثرت مجالسته للنساء لا سيما المترفات اللاتي يفدن الى امه ، وكانت الطبيعة قد واتته جمالا في خلقته اورثته عجبا بالنفس ، وتيها بها ، ومثله اذا كان صغيرا تتلقفه الايدى الناعمة من الوافدات على امه ، فالانوثة بطبعها تحب الطفولة الجميلة ، وهكذا تعود منهن التدليل والقبلات ، وهو لما يزل في اطواره الاولى ، وشب وهو يعرف الكثير عنهن من طبع ومزاج وعادات وحكايا واسرار ·

نشأ هذا الفتى شغوفا بحب الجمال الانثوى ظامئا اليه لا يعرف الرى منه مهما اصاب ، يتبعه ويحتال في الوصول اليه ، ويكفيه ما تسمح به الاحوال ابتداء من النظرة الفاحصة الى الليلة الساهرة ، لكنه بحال من الاحوال لا ينصرف عنه ما دام هناك شيء ممكن ، ولا يهمه ان تكون الجميلة صادة عنه معاندة له فكثيرا ما كانت حيله الصابرة ومداعباته النافذة تنهار امامها الاسوار المنيعة ·· اذا عرفنا ذلك عنه امكننا القول بان الطبع الذى فطر عليه وجد في ظروف نشأته مناخا يسده ويغذيه ، ووجد في ظروف عصره العوامل التى ترعاه وتحتضنه لدرجة يقال معها ما يقوله العقاد : انه من العجيب الا تتكرر هذه الشخصية كثيرا آنذاك ، وفي تصورى انها تكررت لكن فرسانها الكثر لم يكونوا شعراء ومن ثم ضاعت حكاياتهم ، فللشباب والفراغ والجدة عديد من المفاسد الناعمة ·

● الكلمات : مفتاح السر ●

اذا صح القول بأن جبروت الجمال في سحره وتسلطه وفتنته العاتية يكمن في الجمال الانثوى اقوى وأبدع ما يكون ، فان عمر كان مولعا بالحسن الانثوى لا يشبع من تذوقه ، ولا يروى من تامله ، ولا يكف عن تتبعه ، وهو يعلن ذلك في صراحة تامة حيث يقول :

اني امرؤ مولع بالحسن اتبعه   لاحظ لي فيه الا لذة النظر

وهو لا يشغل بغير الجمال ، قال له سليمان بن عبد الملك ما يمنعك من مدحنا ، فاجابه عمر : انى لا أمدح الرجال انما امدح النساء ··

لقد فتن عمر النساء ببراعة تردده اليهن وجميل وصفه ومداعبته لهن ؛ فقد كانت له افانين في لباقة الحديث ، وطرافة المسامرة ، واناقة التظرف ، وكان شهيرا بازيائه وشاراته الصارخة في البدع ، وكان يثيرهن ايضا بالاعراض وبتحريك الغيره وكان يقول في الواحدة شعرا يطير خبره وتتناقله مجالس الغناء ، والغوانى يعجبهن ان يكن حديث المجالس ، ومناط المباهاة ·

فما الظن ، اذا كان القول فى زعيم الغزل فى زمانه ؟ ! .

لقد تيمهن عمر بحيله وحبائله ، ومكانته فى الاوساط الفنية انذاك ، فتهالكن عليه حتى فتن عمر بنفسه وصار يحس ويرى انه موضع عجبهن وغزلهن فانعكس ذلك فى شعره وصار يتغنى بحبهن له كما يتغنى بحبه لهن .

والحق ان الكلمات التى كان يطلقها عمر فى تودده الى النساء هى مفتاح السر فى شغفهن به ومن جميل غزله وتودده الى المرأة قوله :

وما جئت بشيء كان بعدكم ... ولا منحت سواك الحب من بشر
أذرى الدموع كذى سقم يخامره ... وما يخامرني سقم سوى الذكر
كم قد ذكرتك لو أجدى تذكركم ... يا اشبه الناس كل الناس بالقمر

وان عمر بذلك ليحرك اشواق النساء اليه وتطلعهن الى غزله . وهذه اغنية « احلى من عتب » يغنيها جماعة من ائمة الفن انذاك منهم « معبد » وفيها يقص عمر حكاية طريفة من غرامياته وغراميات النساء به . ذلك ان امرأة يقال لها « اسماء » كانت تحبه ، وواعدته ان تزوره ليلا فتأهب لذلك فابطأت عليه فغلبه النوم ، فجاءت مع جاريتها ، ثم توارت بعيدا وامرت جاريتها ان تطرق الباب عليه فلم يسمعها احد ، ثم تطلعت الجارية من خصاص الباب ثم اخبرت سيدته انه نائم ، والى جنبه امرأة ، فحلفت لا تزوره عاما كاملا . فاستل عمر غضبها بشعره ، وبواحدة من رسله المدربات . يقص عمر هذا العتب من اوله الى اخره فيقول هذه المقطوعة التى حظيت بغناء واسع انذاك :

طال ليلي وتعناني الطرب ... واعتراف طول هم بنصب
ارسلت اسماء فى معتبة ... عتبتها وهى احلى من عتب
ان اتى منها رسول موهنا ... وجد الحى نياما فانقلب (١)
ضرب الباب فلم يشعر به ... احد يفتح بابا اذ ضرب
فاتاها بحديث غاظها ... شبه القول عليها بالكذب
قال ايقاظ ولكن حاجة ... عرضت تكتم عنا فاحتجب
ولعمدا ردني فاجتهدت ... بيمين حلفة عند الغضب
اشهد الرحمن لا يجمعنا ... سقف بيت رجبا حتى رجب
قلت حلا فاقبلي معذرتي ... ماكذا يجزى محب من احب (٢)
فبعثنا طبة محتالة ... تمزج الجد مرارا باللعب
ترفع الصوت اذا لانت لها ... وتراخى عند سورات الغضب
لم تزل تصرفها عن رايها ... وتاتاها برفق وادب

● الثغور الجميلة المعطرة ●

ان الناظر فى الشعر الجاهلى يعرف ان الذوق العربى بعامة فى ادراك جمال المرأة ذوق محمود يدل على فطرة سليمة وحس صفى يستهوى كل رجل صحيح الذوق قوى التمييز للحسن الرفيع فى كل زمان ومكان .

فالمرأة ذات وضاءة فى الوجه ، وكحل فى العينين ، وبريق فى الثغر ، وجمال فى الجيد ، وشعرها كثيف أسود فاحم طويل ، وهى ذات نحولة فى الخصر وامتلاء فى الردفين والساقين ، وهى رخصة البنان ، ليست بالطويلة ، ولا

---

(١) الموهن منتصف الليل تقريبا .
(٢) اى تحللى من يمينك ولا تصرى عليه .

عمر بن أبي ربيعة زعيم الغزل

بالقصيرة .. هذه الاوصاف برمتها مع تفاصيل شتى لها نجدها في الشعر الجاهلي واضحة مجلوة ، وحسبك ان ترجع الى معلقة امرىء القيس وحدها لتقف على جوانب شتى من كل هذه السمات ، اما شاعرنا عمر بن ابي ربيعة فانه لم يخرج على هذه السمات في جملتها الا بقدر ماطرأ على حياته الجديدة من دعة وترف زائدين ، فالمحبوبة لديه مضيئة الوجه :

ان الكواكب لا يشبهن صورتها ... وهن اسوأ منها بعد اخبارا

وهو يلح على هذا المعنى وينميه في مواضع شتى يقول مثلا :

لو يبصر الثقف البصير جبينها ... وصفاء خديها العتيق (١) لحارا
وارى جمالك فوق كل جميلة ... وجمال وجهك يخطف الابصارا

وهو يحبها بعد ذلك مع ضمور بطنها ونحول خصرها جسيمة الارداف :

اني رايتك غادة خمصانة ... ريا الروادف لذة مبشارا (٢)

ويقول ايضا :

مرتجة الردفين بهكنة ... رؤد الشباب كانها قصر (٣)

وهناك ظاهرة هامة في احساسه بجمال المرأة اسرف في وصفها والوقوف عندها ، وهي وصف الثغر بشدة التعطر مما يدل على حرص المرأة الشديد على نقاء الفم وبعث رائحة العطر منه ، لانه باب الكلم ، ومنارة الحسن ، ونافذ الحب لن ترضى عنه ، ومنه يبدأ اللقاء وعنده ينتهي ، والمترفة التي لا تملك غير الانوثة ومشاغلها حقيقة ان توجه عنايتها الى ثغرها ، على أن هذه العناية الكاثرة في شعر عمر بوصف الثغور العطرة الجميلة تدل على أن اكثر مغامراته كانت تحظى بقطاف من جني الثغور ، ومن ثم حلا له ان يصف مطاعم هواه ، ومغانم جولاته ، يقول مثلا :

تفتر عن ذي غروب طعمه عسل ... مفلج النبت رفاف ، له اشر (٤)
كان فاها اذا ما جئت طارقها ... خمر ببيسان او ما عتقت جدر (٥)

ويقول في مكان آخر :

حوراء انسة مقبلها ... عذب كان مذاقه خمر

---

(١) العتيق : الجيد الكريم .

(٢) الغادة : الناعمة اللينة الاعطاف. الخمصانة : الضامرة البطن ، ريا الروادف : ممتلئتها . مبشارا : طلقة الوجه تسر الناظرين ..

(٣) البهكنة : الحسنة الغضة .. الفتاة الرؤد : الحسنة الشباب . القصر : اشارة الى الجسامة والضخامة .

(٤) تفتر : تضحك ، ذي غروب اراد فمها المحدد الاسنان ، مفلج النبت : يعني اسنانها متباعدة .

(٥) طارقها : زائرها ليلا . بيسان وجدر : بلدان مشهوران بصنع الخمر .

والعنبر المسحوق خالطـــــه وقرنفـــــل يأتى به النشر (١)

وحتى بعد قيامها من النوم فانثغرها له مذاق الشـــهد الذى خلط بالزنجبيل والبخور :

وكأن فاها بعد ما رقـــــدت تجرى عليه ســـلافة الخمر
شرقا يذوب الشـــهد يخلطه بالزنجبيل وفارة التجـــر (٢)

● اسلوب القص والحوار ●

نماذج المغـــامرات التى يحكيها فى شعره عديدة لا تحصى اذا نظرت اليها بمقياس العدد والكثرة، ولكنها من حيث المضمون العام والتفاصيل التى تحويها مكررة ،ونظرا لصدق الشاعر فنيا فيمايحكيه ويقصه علينا لا نجد هذا التكرار لعناصرها مملا أو كاذبا ـ والصدق الفنى بالطبع هنا غير الصدق الخبرى بل هو فى كل مرة يصف واقعه النفسى والشعورى وأمانيه تجاه المحبوبات ، أو يحكى بالفعل ما حدث له معهن بعد أن يتأمل فى بساطة ويتخيل فى لماحيـــة الجوانب النفسية والشعورية للمحبوبةفى المواقف المختلفة ، ثم يوقفك عليها ويفصلها لك ، وهو يعتمد غالبا ، بلدائما على اسلوب القص والحـــوار ، الذى تميز تميزا ينسب اليه ويحسب له.وهذا الاسلوب ينقل القارىء الى معايشة الفعل ، بل مشاهدته ، كأنما يحدث أمامهمن جديد :

(١) الهوى يدعوه فيهبط على محبوبتهفى دارها بغير اذن أو رسول :

يحكى عمر أن الشوق أرقه ذات ليلةفلم يجد بدا من الذهاب الى محبوبته على خوف ووجـــل فهبط عليها فىمضـــجعها ، فارتاعت وعضت على اصبعها ، وقالت : انك لعجول أما كانينبغى أن تدس الينا رسولا ، ولكنـــه يعتذر لها بلهفة الشوق ، وان الصدعاه اليها فلم يستطع مخالفته · يصور عمر هذه المرحلة من مغامرته فيقول

ارقت ولم ارق لسقم اصـــابنى اراقب ليلا ما يزول طـــويلا
فلما مضت من اول الليل هجعة وأيقنت من حس العيون غفـــولا
دخلت على خوف فارقت كاعبـــا هضيم الحشا ريا العظام كســـولا
فهبت تطبع الصوتتشوىمنالكرى كمغتبق الراح المدام شـــمولا
فعضت على الابهام منها مخـــافة علي ، وقالت : قد عجلت دخولا
فهلا اذا استيقنت انك داخـــل دسست الينا فى الخلاء رســـولا
فقلت : دعانى حبكم فأجبتـــه اليه · فقالت : بل خلقت عجولا

ثم تناجيا وأفاضا فى بث الهـــوىوالغرام ، وطلب اليها عمر وصلها ، فصدت ، وأعرضت ثم لانت ، وأعربتعن حبها له ، وشغفها به ·

(٢) محبوبته تركب الشـــوق اليهوتأتيه فى داره :

ومن أطرف مغامراته تلك التى يقصعلينا خبرها فى احدى مقطوعات ديوانه حيث اذنت المحبوبة بالرحيل ، واغتمعمر لذلك ، واذا بها ترسل اليه رسولها قائلا :

فاعلمن أن محبــــا زائر حين تخفى العين عنـــه والبصر

ويتهلل عمر قائلا :

قلت اهـــــلا بكم من زائر اورث القلب عناء وذكـــر

---

(١) النشر : الرائحة الطيبة ·

(٢) فارة التجر : يعنى وعاء المسكلدى التجار ·

عمر بن أبي ربيعة زعيم الغزل

وبقى عمر متأهبا لهذا اللقاء الذى تسعى اليه فيه المحبوبة ، وبالفعل تحضر يدل عليها عند قدومها ريح عطرها الفواح ويصور عمر ذلك فيقول

فتأهبت لها فى خفية ... حين مال الليل واجتن القمر
بينما انتظرها فى مجلس ... اذ رماني الليل منها بسكر
لم يرعني بعد اخذى هجعة ... غير ريح المسك منها والقطر

وتلج المحبوبة اليه ، ويسأل عمر من هذا ، وتجيبه :

قلت من هذا ؟ فقالت : هكذا ... انا من جشمته طول السهر
كلما توعدني تخلفني ... ثم تأتي حين تأتي بعذر

ويسترضيها عمر بخبرته الفائقة بطبائع المرأة فيقول لها :

انت يا قرة عيني فاعلمي ... عند نفسي عدل سمعي وبصر
فاتركي عنك ملامي واعذري ... واتركي قول اخي الافك الاشر

ثم كان الرضا وكان اللقاء وتركنا عمر يصف ما كان :

فاذاقتني لذيذا خلته ... ذوب نحل شيب بالماء الخصر
فلهونا ليلنا حتى اذا ... طرب الديك وهاج المدكر
حركتني ثم قالت جزعا ... ودموع العين منها تبتدر
قم فدى النفس لا تفضحني ... قد بدا الصبح وذا برد السحر

ثم تولت المحبوبة فى ثلاث من جواريها الجميلات ، وبقيت الذكرى لعمر لاينساها أبد الدهر حيث يقول :

فتولت فى ثلاث خرد ... كدمى الرهبان أو عين البقر
لست انسى قولها ما هددت ... ذات طوق فوق غصن من عشر
حين صمت على ما كرمت ... هكذا يفعل من كان غدر

(٣) يركب الهول الى محبوبته تأسيا بامرىء القيس

من أشهر مغامرات عمر تلك المغامرة التى تحكيها رائيته الرائعة « أمن آل نعم » وفيها يصف انه تخطى الى المحبوبة أهوالا كثيرة فى عماة الليل بعد غياب القمر ، وانه عرف خباءها برائحتها الطيبة :

فدل عليها القلب ريا عرفتها ... لها وهوى النفس الذى كاد يظهر
فلما فقدت الصوت منهم واطفئت ... مصابيح شبت بالعشاء وانؤر
وغاب قمير كنت اهوى غيوبه ... وروح رعيان ونوم سمر
وخفض عنى الصوت اقبلت مشية الحباب وشخصى خشية الحى أزور

ويدخل عليها محييا ، ثم يصف لقاءها له وعتبها عليه قائلة :

فحييت اذ فاجأتهـــا فتولهت — وكادت بمخفوض التحية تجهـر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني — وانت امرؤ ميســور امرك اعسر
اريتـك اذ هنا عليك الم تخف — وقيت وحولي من عــدوك حضر

وهو يجيبها ثم يصل الى رضاها وهدوء نفسها ووصلها يقول :

فقلت : وقد لانت وافرخ روعها — كلاك بحفظ ربك المتكبـــــر

فبت قرير العين اعطيت حاجتي — اقبل فاها في الخلاء فاكثـــر
فلما تقضى الليل الا اقلــــه — وكادت توالي نجمه تتغـــور
اشارت بان الحي قد حان منهم — هبوب ولكن موعد منك عــزور

واذا بالمفاجــــأة وهي لم تنته من الاتفاق معه على موعد جديد بمكان عزور حيث اخذ المنادى يصيح لايقاظ اهلها وعشيرتها اســـتعدادا لرحلة مقبلة ، وهنا تســـاله ماذا انت فاعل فيلبس عمر مسوح الشجاعة امامها ، ويقول : اظهر لهم فاما نجوت بسيفي واما قتلوني وفاء لثارهم عنـــدي ، ولكنها تجد في حيل النســاء ما يغني عن هول اللقاء وشر الافتضاح ، فتقص امرها على اختيهــــا اذ لم يعد بد من معرفتهما وعونهمـــا ، وبالفعل هونتا عليها الامر والبســتاه ملابس واحدة منهن واخرجتاه وســـط ثلاث فتيات منهن ، وهكذا كانت نجاته بحيلة النساء ، فهن امضى ســـلاحا في شئونهن . يصـــور عمر هذا الموقف تصويرا ثريا بالفن نعرض هنا اهم ابياته ، يقول :

فما راعني الا مناد ترحلـــــوا — وقد لاح معروف من الصبح اشقر
فلما رات من قد تنبه منهـــم — وايقاظهم قالت : اشر كيف تامر
فقلت : اباديهم فاما افوتهـــم — واما ينال السيـــف ثارا فيثار

فقالت : اتحقيقا لما قال كاشـــح — علينا وتصـــديقا لما كان يؤثر
فان كان ما لابد منه فغيــــره — من الامر ادنى للخفاء واســـتر

اقص على اختي بدء حـــديثنا — وما لي من ان تعلما متاخـــر
لعلهما ان تطلبــــا لك مخرجا — وان ترحبا سربا بما كنت احصر (١)

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم — من الحزن تذرى عبرة تتحـــدر
فقالت لاختيها اعينـــا على فتى — اتى زائرا والامر للامر يقـــدر

فاقبلتا فارتاعتا ثم قالتــــــا — اقلي عليك اللوم فالخطب ايسر
فقالت لها الصغرى ساعطيه مطرفي — ودرعي وهذا البرد ان كان يحذر

يقوم فيمشي بيننا متنكـــــرا — فلا سرنا يفشـــو ولا هو يظهر
فلما اجزنا ساحة الحي قلن لي — اما تتقي الاعداء والليل مقمـــر

وقلن : اهذا دابك الدهـــر سادرا — اما تستحي او ترعوي او تفكر ؟ .

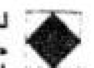
وبعد ، فان الحديث عن عمر بن ابي ربيعة متعدد الجوانب لكنني آثرت ان ابرزه عاشقا محبا كلفا بالنساء مقبلا عليهن ومحبوبا منهن لهـــذا النطاق جوهر مكانه ومكانته في تاريخ الادب، وفي زعامته للغزل الحسي اللاهي .

---

(١) سربا : بمعنى نفسا

بطاقات حب بين العباس وفوز

العباس هو شاعرنا الظريف ابن الأحنف .. وفوز ملهمته التي شاء لها شاعرها ان يتستر عليها وراء هذا الاسم المستعار ، وهي عندنا علية بنت الخليفة المهدي واخت الخليفة الرشيد .. الأميرة الحسناء الشاعرة المغنية ، ملهمة العباس لديوان كامل ليس له من نظير في أدبنا العربي قديمه وحديثه ...



لقد شاء العباس ان يضلل الناس في حياته وبعد موته في هوية صاحبته هذه فعاشت لغزا كامنا في ضمير التاريخ وسرا يرقد في سريرة الزمن ! .. :

قد سحب الناس اذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدري انه صدقا

وتكتم الشاعر هذا ومبالغته في الحيطة في الحفاظ على حبه أن يذيع ، اكسبه أعجاب الكثيرين وأحاطه بهالة من القدسية حتى ان صاحب الاغاني يروى لنا في خبر موته ان المأمون أمر بتقديمه للصلاة عليه قبل سواه لانه صاحب البيتين :

سماك لي قوم وقالوا انها لهي التي تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم اني ليعجبني المحب الجاحد

وطبيعي بعد ذلك ان يسود علاقة مثل هذه جو مغلق من التكتم طالما ان الملهمة من بيت الخلافة وصاحبها ليس غير شاعر في بلاط أخيها .

***

ويلملم الشاعر اطراف شجاعته ويصمم على ان يكاتب اميرته فيبعث اليها بالبطاقة الاولى تتضمخ بعطر الحب على نغم القصيد :

من الدنف الذي يمسي حزينا وبين ضلوعه قلب مصاب
الى الخود التي سلبت فؤادي فأمسى ما يسوغ له شراب
ينام الهاجعون ونوم عيني اذا هجعوا بكاء وانتحاب
فلو نطق الكتاب فداك نفسي بكى قلقا ليرحمني الكتاب

وسرت الرسل بكتب الهوى من الشاعر العاشق متتابعة متلاحقة دون ان يظفر من الاميرة بكلمة .. فجأر اليها بالشكوى يقول :



حتى متى اكتب اشكو الهوى … ولا تجودين برد الجواب ؟ !
ان لم تجيبيني بما اشتهي … فخبريني بوصول الكتاب

أو يقول :

أيا من لا يجيب اذا كتبنا … ولا هو يبتدينا بالكتاب
أما في حق حرمتنا لديكم … وحق اخائنا رد الجواب ؟ !

وعانى الشاعر ما عاناه من قسوة الجفاء ومرارة الاهمال ولم يكن حظ هذه الرسائل الكثيرة الشاكية سوى الاهمال والصمت . فعاد يجأر اليها بالشكوى من جديد :

هاتى يديك وصالحيني مرة … لنسب من بالصرم يا نفس بدا
ردى جواب رسالتي ولتعلمي … ان الرسالة منكم عندي شذا !

ولم تلبث الصلة ان استحكمت بين الجانبين ، وكان ان عطفت الاميرة على شاعرها فكتبت اليه تستزير وتعتب ولكن بوحي من التجني والادلال :

بعثت الي صحيفة مختومة … نفسي الفداء لخطها وللكاتب
ففككتها فقرأت ما قد حبرت … فاذا مقالة مستزير عاتب
في الود تزعم انني ذو ملة … خنت العهود فدبتها من كاذب
اني اخونك يا ظلوم وحبكم … مني بحيث جرى شراب الشارب * !

واثر هذه الكتب في نفس العباس كان مختلطا لا يكاد ينجلي .. فهو يشيع فيها السرور قدر ما يشيع فيها الحزن .. ولعل السر يكمن في ان نفس الشاعر لم يكن يشيع فيها الطمأنينة ، ذلك لان السبيل الى قلب الاميرة كان بعيد المنال ..

هي الشمس مسكنها في السماء … فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود … ولن تستطيع اليك النزولا

بطاقات حب بين العباس وفوز

وقد يصور لنا الشاعر فرحته بهذه الكتب بتلقائية مستحبة فيها كثير من السذاجة الطفلة .. استمع اليه معي يصف كيف كان يتلقى كتاب مولاته الاميرة :

اضحكني طورا وابكاني — كتاب مولاتي وخلصاني
طرت سرورا حين ابصرته — فاعترض الشوق فابكاني !
بت بشم واعتناق له — مستغنيا عن كل ريحان
واها له من زائر مؤنس — فرج عني بعض احزاني

وكتب الاميرة الشاعرة الى عاشقها كانت بين بين .. ولعل مرارتها غلبت ما فيها من حلاوة ، ولعل بأسها كان أمضى من رجائها ، ولعلها من بعد كانت سببا من اسباب شقاء الشاعر في حين انه كان من الممكن لها ان تكون مفتاحا من مفاتيح سعادته ..

ويبدو أن رسائلها اليه قليلة لا تحمل اليه منها سوى الايلام والعتب أو الزراية والاهانة ! :

اذا جاءني منها الكتاب بعتبها — خلوت بنفسي حيث كنت من الارض
وابكي لنفسي رحمة من عتابها — ويبكي من الهجران بعضي على بعضي

. . . .

قولا لمن كتب الكتاب بخطه — ارحم فديتك ذلتي وخضوعي
ما زلت ابكي مذ قرأت كتابكم — حتى محوت سطوره بدموعي !

وانت تعلم ان صاحبة العباس هذه اديبة شاعرة وقد كانت ممن يشغف بالمراسلة الشعرية على نحو ما كان يفعل الظرفاء في عصرها .. ولعلها استعذبت عذاب عاشقها وحلا لها أن تعبث به فراحت تمعن في تجنيها عليه كأنها تريد ان تبلغ به في العذاب غايته وفي الحب منتهاه .. فافتنت افتنانها واحكمت اساليبها حتى أنها انفذت اليه كتابا تعمدت اعجامه !

يا ذا الذي الكتاب يصحبني — فيه فبالغ في الكتاب واعجما
ماذا اردت ؟ - هديت - في اعجامه ؟ — اني أراك حسبتني لن افهما .. !

وكثيرا ما حلا لها ان تقطع عنه الكتب ليظل منها بين حيرة قاتلة والم ممضٍ لا يجد له مخرجا من بعد الا ان يلوذ بها يستعطف أو يتظلم :

ابكي واستجفي كتابك يا ظلوم واستزيره
فتحرجي من قطعه عمن يطول به سروره
يأتي الكتاب من الحبيب ممثلا فيه ضميره
يحكي السرائر بوعده ما ينقضي ابدا غروره
والله عجبت لبخله على بشيء لا يضيره

على ان سنة المراسلة هـــذه التى اتخذها العاشقان حفاظا على هواهما ان يذيع لم تخل من مشكلات فكم تشكى لنا الشاعر انعدام الرسول الامين :

اذا كتبت كتابا لم أجد ثقـــــــة   ينهى اليك ويأتى عنك بالخبـــــر

وكم تحدث الينا فى خيانة الرســـل وسعيهم فى الوقيعة بينها وبينه :

ما افة الحب الذى بيننــــــا   يا فوز الا سوء رأى الرســـــول

وقد يفصل لنا الشاعر طبيعة هــذه الوقيعة ٠٠ وقد يدفع عن نفسه مستمدا أسباب دفاعه فى الكتاب العزيز :

وقد زعمت « بمن » بأنى أردتهـــــا   على نفسها تبا لذلك من فعــــل
سلوا عن قميصى مثل شاهد يوسف   فان قميصى لم يكن قد من قبــــل

وقد نرى الشاعر حذرا مسرفا فى الحذر محتاطا مبالغا فى الحيطة يوصى صاحبته ان تجعل الى رسوله رسولا آخر لئلا ينتهك الستر وتذاع الاسرار :

انهم ان رأوا لديك رســـــولى   حققوا ما راوا وكان دليـــــلا
فانظرى من رايت للسر اهـــــلا   فاجعليه الى رسولى رســـــولا
فاذا ما توليا الامر عنــــــا   لم يجد ظنهم الينا ســــبيلا !

ونجح الشاعر فى اخفاء سر قلبه ٠٠ كما نجح فى ايهام الناس وتضليلهم فى هوية أميرته ٠٠ وحققت الايام ظنه فيها وفى حكاية هواه ٠ فاذا بحديث العباس وفوز على شفة الزمان يرويه جيل عن جيل :

فقد عجب الناس من امــــــرنا   وانساهم قصص الاولينـــــا
وصرنا حديثا لن بعــــــدنا   تحدث عنا القرون القــــرونا ٠٠




شيللي : دفاع عن الشعر

شعر الحب من شكسبير إلى اليوت

● د. رشاد رشدي ●

مما لاشك فيه أن هناك علاقة بين حياة الشاعر وشعره، ولكن حقيقة هذه العلاقة ليست كما يتصورها الكثير الذين يعتبرون الشعر تعبيرا عن الشاعر أو سجلا لحياته ومشاعره، لذا يكون هذا من المسائل التي تهم علم النفس ـ ولكن علم النفس شيء والأدب والنقد شيء آخر ..

لقد أصبح من الأمور المسلم بها في النقد الحديث أن الفن والشعر ليسا تعبيرا عن شخصية الفنان بل هما هروب من هذه الشخصية .. إننا لا نعتبر الفن تعبيرا على الإطلاق .. إنه خلق شيء موضوعي يستطيع أن يلمسه ويحسه القارىء في كل مكان .. ولا يمكن للفنان أو الشاعر أن يصنع هذا الشيء إلا إذا توفر له شيئان : أولهما الموهبة ، وثانيهما الوعي بالتقاليد الفنية .

والموهبة ليست القدرة على التعبير ، وإلا كان كل من يملك القدرة على التعبير عن مشاعره شاعرا ... إنها القدرة على استحالة ما هو ذاتي إلى شيء موضوعي ، أو بمعنى آخر إنها القدرة على مزج الوف من رسائل التجارب الذاتية وتوليفها بعضها مع البعض بهذا التركيب والتكثيف بحيث ينتج عنها كائن جديد لا أثر فيه لهذه التجارب على الإطلاق ، وهو العمل الفني ... هذه القدرة هي التي تميز الفنان عن غيره من الناس ، وهي في جوهرها ـ كما قلنا ـ الهروب من الذات لا التعبير عنها ... ومن هنا نقول إن الفنان لا شخصية له ، إنه في كل ما يخلق يصنع الشيء الذي يخلقه

وهذه الموهبة من عند الله ...

ولكن الموهبة وحدها لا تكفي ، فلا بد لصاحبها .. من استكشاف الفنان لقدراته الفنية ومعرفة موضوعية من غيره من أهل الفن .... لا بد للفنان لممارسته من ذاتيته ـ أن يكون على وعي تام بالتقاليد الفنية لفنه لا في ذاته فقط ، ولا في جانبه فقط ، بل في كل اللغات وفي كل البلاد .... فالأعمال الفنية تشكل فيما بينها جسدا موضوعيا يتأثر فيه الجديد بالقديم كما يؤثر الجديد في القديم .... فكيف يعرف الفنان نفسه ... وكيف يستكشف ذاته الفنية .. بل وكيف يتعلم كيف يكتب الشعر أو الموسيقى إذا لم يكن على وعي كامل بالتقاليد الفنية لفنه ؟

وفي ضوء هذه التقاليد يتأثر الفنان أكثر وأكثر مما يتأثر بحياته الشخصية

شعر الحب

من شكسبير إلى اليوت





أو حياة مجتمعه ـ قد تنعكس هذه الحياة أو تلك فى عمله الفنى ـ ولكن الانعكاس شيء والتأثر شيء آخر ··· فالمرآة تعكس صورتك ولكنها لا تؤثر فيها ـ أى أنها لاتجعلها صورة أكثر جمالا أو أقل قبحا ··· كذلك الحياة بالنسبة للعمل الفنى ···

ولذلك كان من الخطأ أن نفسر حياة الشاعر بشعره الا بالقدر الضئيل الذى قد نحتاجه لالقاء بعض الضوء على هذا الشعر ·· ومن الخطأ أيضا أن نعرف الشعر ـ كما كان يفعل الرومانسيون ـ بأنه « التدفق التلقائى للمشاعر القوية » ·· فلا هو تدفق ولا هو تلقائى ولا هى مشاعر قوية بالضرورة

من هذا المنطلق سأتناول فى هذه العجالة القصيرة بعض سمات شعر الحب منذ « شكسبير » الى « اليوت » ··· مبتعدا ـ كلما استطعت ـ عن حياة الشعراء ··· ومركزا ـ على قدر الاستطاعة ـ على الشعر نفسه ·· فالفن نفسه هو الذى يؤثر فى الفن ·· ومن هنا كان ما نسميه روح العصر ـ فالاعمال الفنية فى فترة زمنية ما يؤثر بعضها فى البعض الاخر · بحيث تصبح ذات نزعة أو روح مميزة لها عن غيرها من الفترات الاخرى فى تاريخ الفن ·

***

عصر شكسبير : نحن لا نعرف الكثير عن حياة شكسبير وما نعرفه لا يلقى ضوءا يذكر على مسرحياته أو شعره الغنائى وخاصة ما يندرج تحت اسم الـ « Sonnets » وهى المقطوعات الشعرية التى قيل ان شكسبير كتبها ليخطب ود راعية ، وقيل انها كتبت غزلا فى سيدة سمراء وقع شكسبير فى غرامها ، وقيل غير ذلك الشيء الكثير ···



المازني : ترجم شعر شكسبير

ولكن مهما قيل فهذه المقطوعات وغيرها من أعمال شكسبير التى تزخر بالحب تتميز بصفات فنية تشترك فيها مع غيرها من أشعار الحب التى كتبها معاصرو شكسبير مع الطبيعة ·· مع الكون ·· والواقع ··

وفى مقطوعة أخرى لشكسبير من ترجمة الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى يقول الشاعر :

ابعدوا عنى الشفاه اللواتى
كن يطفئن من أوار الصادى
واغمضوا دونى الجفون اللواتى

من فجر يغسل صـــبح العباد
وافردوا ان اســـتطعتم مردا
لثماتي من الخـــدود النوادى
وفي مقطوعة اخرى لنفس الشاعر يقول :
عين حبيبتي ليست تضيء الشمس
والعقيق اكثر احمرارا من شـفتيها
والثلج انصــع بياضا من ثدييها
والورد اجمل وازهى من خديهـــا
والموسيقى احلى نغما وارخم
من الكلام يخرج من بين شـفتيها ..
ولكن اقسم بحق السماء .. صدقني
حبيبتي اندر من كل الاشياء ..

لقد كانت فرحة الحب من فرحة الانسان بالحياة .. وكان الحب نفسه
قيمة عليا يؤمن به الشاعر ويسعى اليه في ذاته ولذاته .. هـذه كانت
النغمة السائدة في شعر الحب ايام شكسبير وبعده بأعوام غير قليلة وان
اختلفت التفاصيل ..

● العصر الرومانسى ●

ولكن النغمة بدأت تأخذ شـكلا مختلفا عن شعراء عصر النهضـــة والشعراء الميتافيزيقيين ومن تلاهم من شعراء الحركة الكلاسيكية ، واتضح هذا التغيـــر في أواخر القرن الثامن عشر عنـــدما بدأ المفهوم الرومانسي للادب والحياة يطغى على الشعر .

لم يكن ، الرومانسيون متصالحين مع الواقع ولا يعني هـذا انهم كانوا متخاصمين معه لهم على اســتعداد لتقبله ، ولكنهم ، عكس الكلاسيكيين ، يعتقدون ان الانســـان غير محدود القدرات وانه بالتالي يستطيع ان يفعل اى شيء وكل شيء . ولكن هذه النظرة التفاؤلة تصـطدم بواقع التغير الذى لا يملك الانســان في مواجهته الا ان يعترف بعجزه لانه لا يستطيع استرجاع ما كان او الاحتفاظ بما هو كائن او تحقيق ما يرغب في ان يكون .. .

ومن هنا كان تعريف الرومانسيـة بانهـــا « التوق الذى لم يكن قط في الارض او على البحر » ... الهروب مما هو كائن والبحث عما لا يمكن ان يكون له كيان ...

كتب لورد بايرون في مذكراته (١٣ ديسمبر سنة ١٨١٢) يقول :

« لا يملك الشـــاعر ان يسلم امره للواقع فنحن في عصر النهضــــة أو بعده بقليل وانســـان العصر في حالة تصـــــالح مع الواقع بل وفي حالة استقبال للواقع بروح المستكشف الذى يروقه كل ما يراه ويتوق دائما الى ان يرى اكثر واكثر ... فهنـــاك قيم انسانية واضحة امام عينيه وهنـــاك ايمان عميق بهذه القيم .. وهذه القيم والواقع شيء واحد » ..

ومن هنا اتخذ شعر الحب في هذه الفترة شـكلا يشبه شعر الغزل عند العرب في العصر العباسي تســوده نغمة فرح ظاهرة ، تتضح في الدعابة اللطيفة وشراء خاطر الحبيب وعتابه والتقرب منه وخطب وده :

مثل الشـــــتاء كان غيابك عني
يا حبيبتي .. يا فرحة العـــــام
الذى سريعا ما يمضي وينصـــرم





هكذا يقول شكسبير في احدي مقطوعاته .. ومرة اخرى :

هل اقارنك بيوم من ايام الصيف
انت اجمل وأكثر اعتدالا وثباتا ..
فبفعل الرياح قد تتساقط براعم الصيف
وايام الصيف نفسها ليست دائما صيف
ولكن صيفك الدائم أبدا لن يزول
ولن يفقد ماله من عذوبة وجمال ..

المقارنة بين الحبيب والطبيعة واضحة ومستمرة .. فالتعرف على ذات الحبيب هو في نفس الوقت التعرف على ذات الكون .. ومن هنا كان تصالح الشاعر بكل فظاظة وخشونة .. يجب على الانسان ان يسدل القناع على حقائق الحياة دائما ابدا ... بهذا وحده تصبح الحياة غير قادرة على اثارة الاشمئزاز في نفوسنا ..

وكتب « شيلي » في « دفاعه عن الشعر » يعرفه بأنه ازالة القناع عن وجه الحياة ، كي لا نراها كما هي في الواقع ، بل كما نريد ان نراها ...

ولعل هذا يفسر حياة كل من الشاعرين العاطفية ... كان « شلي » دائم التنقل من حب الى آخر .

أما مغامرات « بيرون » الغرامية فهي اشهر من أن يشار اليها ... كان لابد ان يكون في حالة حب لكي يستطيع الكتابة .. لكي يهرب من نفسه .. بهذا يعترف « بيرون » في احدى رسائله .

وهروبا من الواقع الذي يحتم التغير ويقف الانسان امامه مكتوف اليدين عاجزا ، نجد الرومانسيين يلجأون الى الخيال يحيطونه بهالة كبيرة فنيه وحده المهرب من الواقع .. والوهم دائما أجمل من الحقيقة .. كما يقول (كيتس) في المقطوعة التالية :

دائما دع الخيال يحلق
فالسعادة ليست ابدا
حيثما انت .
والسرور العذب عندما تلمسه
يتلاشى
كفقاقيع الماء تحت قطرات المطر ..
آه للخيال العذب .. اطلقه
كل شيء يفسده الاستعمال
فاين الخد الذي لا يذبل

بكثرة النظر اليه واين الصبية
التي تحتفظ بشفتها الناضجة ، نضرة فتية
واين العين مهما كانت زرقتها
التي لا تسئمك نظرتها ؟
واين الوجه الذي تحب ان تراه دائما في كل مكان ؟

واين الصوت مهما كانت رقته
الذي تحب ان تسمعه في كل الاحيان
ان السرور العذب عندما تلمسه
يتلاشى كفقاقيع الماء تحت قطرات المطر .

***

كان الحب مثل كل شيء آخر احد سبل الهروب من الواقع عند الرومانسيين ولكن هذا الهرب كان يصطدم دائما بالتغير كعنصر من عناصر الواقع الذي لم يكن في مقدور الارادة الرومانسية ان تقبله في أي وقت من الاوقات ... ومن هنا كانت النغمة الباكية الحزينة التي تسود اشعار الحب عند الرومانسيين والتي حلت محل الفرحة بالحب وبالحياة التي لحظناها في شعراء الحقبة الشكسبيرية ...

يلج الحب القلب أول ما يلجه قويا يهز النفس هزا ثم ما يلبث أن يستقر بها ... ربما لا ينضب ولا يزول ولكن أي فارق بين دخول الحب الفؤاد واستقراره فيه ؟ .. يصور « وردزورث » هذا الفارق في مقطوعة قصيرة بعنوان (شكوى) يقول فيها :

احس تغيرا .. اصبحت معه فقيرا
كان حبك منذ اجل غير بعيد ..
نبعا عند مدخل قلبي المغرم
لا عمل له الا ان يعتب ..
وقد كان يصب لا يبالي
بكرمه وفيضه او بعوزي

فما اكثر اللحظات السعيدة التي احصيتها .
كنت سعيدا اكثر من السعادة نفسها
والآن .. من هذا النبع المقدس
من هذا الحب الحي .. الدافق ـ المتألق
ماذا املك ؛ هل اجرؤ على القول ؛
بئرا مختبئة عن العين لا تعرف الراحة
بئرا من الحب . ربما كانت عميقة ..
أعتقد انها كذلك .. وانها لا تجف ابدا

● ت. س. اليوت وعصره ●

وتتلاشى هذه النغمة الباكية الحزينة من اشعار الحب مع مولد الشعر الحديث الذي بشر به ظهور قصيدة الارض الخراب ، في عام ١٩٢٢ . نحن الآن في عصر الكلاسيكية الجديدة . عصر يعرف فيه الانسان كما لم يعرف من قبل ، أن قدراته محدودة .. أمام سيطرة الآلة

شعر
الحب



وسلطان الانسان أو الوحش المجهول الذى يعيش بداخل كل منا .. ومآسي الحياة الحديثة من حروب وضياع وإذابة ارادة الفرد فى ارادة الدولة ..

نحن الرجال الجوف
حشينا حشوا
يتساند بعضنا على البعض
وقد ملئت منا الرءوس بالهشيم
واحسرتاه لأصواتنا الجافة
عندما نتهامس
فهي هادئة لا معنى لها
كحفيف الريح على الزجاج
او كوقع اقدام الجرذان
على الزجاج المتكسر
فى حجرة بالية مهجورة
مظهر ولا شكل
ظل ولا لون
قوة مشلولة
حركة ولا سير

هكذا يصور « اليوت » انسان العصر الحديث .. فأين مكان الحب فى هذه الارض الخراب ؟

لا مكان له ...

ما دامت ارادة الانسان مسلوبة أمام قوى القهر المتعددة .. فاحساس الانسان بعجزه لابد وان يكون شديدا يصاحبه شعور قوى باليأس وبتفاهة شأنه ... فهل يمكن لمثل هذا الانسان ان يحب او اذا أحب فهل لحبه معنى ؟

لا .. يا حبيبتى ، لا داعى للصراخ
أو الغضب أو البكاء
لا .. ولا أريد حبك أو قبلاتك أيضا
جهزى لى الشاى ، وأعطنى شيئا
أتدثر به ...
وهأنا وهأنت
ولكن اى معنى فى هذا
وماذا نستطيع ان نفعل ؟
منذ وقت طويل قلت لأمى
انى سأذهب أبحث عن بيت

احسن من بيتها
وقد كتبت ولكنى لم اجب خطابها
ولم اجد ايضا بيتا
افضل من بيتها ..
وهانا وهانت
ولكن اى معنى فى هذا
وماذا نستطيع ان نفعل ؟

هكذا يصور الشاعر « أودن » عجز الحب فى الحياة الحديثة .. لم يعد الشاعر فى العصر الحديث يرى فى الحب فرحة الحياة أو يبحث عنه كمهرب من الواقع ..

ومن الحقائق التى تفوت ملاحظتها على الكثيرين أن الشعر الحديث لا يهرب من الواقع .. كما كان يفعل شعراء الرومانسية ، بل يواجه هذا الواقع مواجهة سافرة ثائرة .. صحيح ان شاعر اليوم لا يجد الحب فى عالم الفوضى هذا ولكن هذا لا يعنى أنه فقد ايمانه بالحب .. على العكس ، فالحب هو المخلص الوحيد وبدونه لا يمكن للنفوس ان تتطهر ولا يمكن للفوضى ان تزول ولكن الانسان الحديث قد فقد القدرة على الحب ، وهذا هو أصل البلاء ...

فى القرن الثامن عشر كتب « جولد سميث » روايته المشهورة (قسيس واكفيلد) وفيها يصف كيف أن احدى الفتيات زلت فانتحرت . ويكرر «اليوت» نفس كلمات (جولد سميث) ولكنه ساخرا يستبدل بالانتحار اللامبالاة فيقول :

عندما تقع المراة الجميلة
فى الخطيئة
وتذرع حجرتها ذهابا
وجيئة ..
وحيدة حيرانه
تصفف شعرها دون وعى
بيدها .. وباليد الاخرى
تضع على الحاكى اسطوانة ..

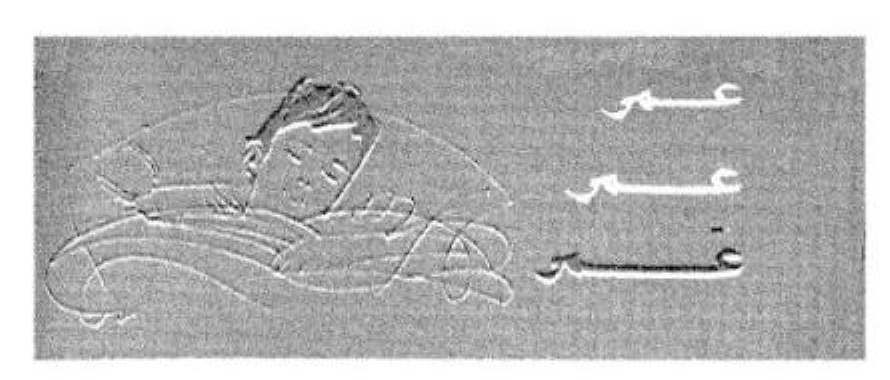
***

فى العطاء ، فى التعاطف ، فى الحب طريق الخلاص .. لكن لا الملك الصياد ولا أحد فى (الارض الخراب) يستطيع ان يعطى أو يتعاطف مع غيره .. كل منا سجين فى نفسه ، يأخذ ولا يعطى :

ماذا اعطينا ؟ يا صديقى
والدم يهز قلبى
لحظة استسلام كاملة
مروعة فى جرأتها
لا يستطيع عمر باكمله من التعقل
أن يمحوها ...
بهذه .. وهذه فقط عشنا ...

يقول « اليوت » فى الارض الخراب التى ستظل خرابا الى ان يعود اليها الحب الذى فقدناه .. فالقدرة على الحب هى نفسها القدرة على الحياة .. فاذا فقدناها — كما فعلنا — اصبحنا موتى تسير وتتحرك فى لباس الاحياء .

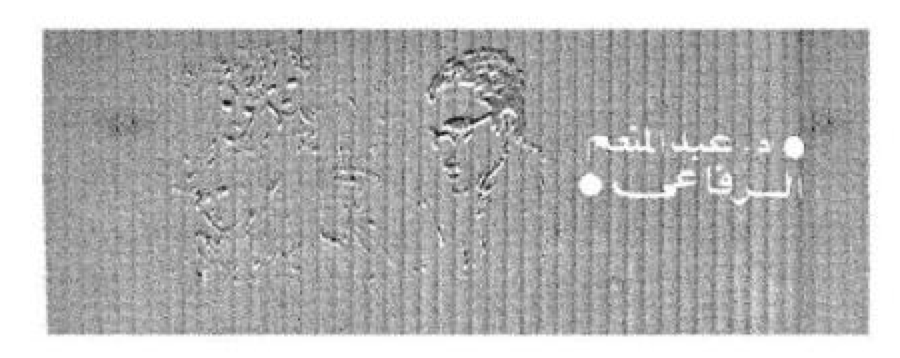
وهذا هو جوهر قصيدة (الارض الخراب) .. انها رحلة الموتى من أجل البعث .. بعث ينابيع الحب التى جفت وبالتالى بعث الحياة ...



الآنَ أورقَ غصنُكَ النَضِرُ
فاسمعْ حديثَ أبيكَ يا عُمَرُ ...
الذكرياتُ كتمتُها زمناً
حتى استفاقَ أريجُكَ العطِرُ
فاذا أبَحْتُ فكلُّ غاديةٍ
عن طولِ ما كتمتُ تعتذرُ !

***

مرّتْ ، ومرَّ خيالُها حِقَباً
فالعمرُ كلُّ شغافِهِ ذِكَرُ
طلعُ الحياةِ على مرابعِهِ
ندّاه منهمِلٌ ومنتثرُ
قُبلاتيَ اللاتي دهبْنَ هوىً
كم ضاقَ عنها الكأسُ والوترُ
وكواعبٌ ومشدّهنَّ يدي
فالشمسُ طوعُ مُناي والقمرُ
متنقلاً فَنَّناً على فننٍ
والحبُّ مختصَرٌ ومُعتصَرُ



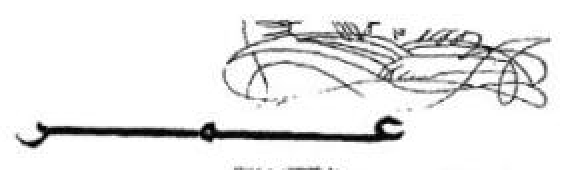
هيمانُ يرعاني السُّرى ، فاذا
ضلَّ الطريقُ رعانيَ القدَرُ
في كل ناحيةٍ سرى خبرٌ
عن صبوتي رنأى به خبرُ
أنا إنْ قصصتُ عليكَ أمثلتي
أخشى عليكَ الدمع ينتثر ... !

***

أعلمتَ لمّا قرَّ بي سفري
وأوى إلى وكناتهِ الوطرُ
ولمحتُ وجهك قبل مشرقه
كالصبح باحَ بنوره السَّحَرُ
أأبوحُ يا ولدي وشدَّ يدي
أخشى عليكَ الدمعَ ينهمر ...

***

سَكَنَ المبيتُ سوى مؤرّقة
قدْ شدَّها لمريكَ النظر
إن زلَّ عنك غطاؤك انخلعتْ
عيني وقمت إليك أبتدر



عمر



أحنو عليكَ ، وكل جارحةٍ
تحنو معي والسمعُ والبصرُ
أصبحتُ وحدي لا يشاركني
خِلٌ وأنت الليلُ والسَمَرُ ..

***

طلع الصباحُ فهذه لُعَبٌ
صُفّتْ إليكَ وهذه صُوَرُ
وأنا وأنت كأنّ عالمنا
لهوٌ وكلُّ بقائه عِبَرُ
وتثاقلتْ وشتْ على خَفَرٍ
ولكلِّ أمرٍ كانَ مُنتظرُ ..
عشنا معاً والزهر في عبقٍ
أحلامه لو يُعقَدُ النصرُ
حتى طلعتَ وكنتَ لي رمقاً
تحيا الحياةُ عليه والعمُرُ
الأمنياتُ عليكَ أعقدها
والغالياتُ إليكَ تدّخرُ
أنا أنتَ : أخلدُ فيكَ ، لا زمني
يبقى ولا مجدي ولا السِيَرُ

واهاً غداةَ أفقتَ تسألني
وأساىً مفترٌ ومستتر
فسكتُّ ألتمسُ الرضا خجلاً
عن آنسين .. ولاتَ مغتفرُ
في وحدةٍ ... اللهُ ثالثها
كُتبتْ وخطَّ سطورَها القدرْ
يا زهرةَ الأيامِ زنبقتي
في راحتيْ اليومَ تزدهر
فوّاحةٌ بيضاءُ صافيةٌ
ريحانةٌ أوراقها خضرُ
فدعوتُ حتى خِلتُ أدعيتي
أصغتْ لها الآياتُ والسوَرُ ...

***

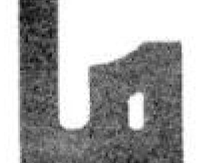
عفواً بُنيَّ إذا غويتُ ، فكم
يهتزُّ من ألحانهِ الوتر
في ظلمةٍ حمراءَ عابثةٍ
غنيٌّ بها بادٍ ومستتر
كم قبلةٍ طوتْ المدى وعلى
أندائها كم أورقتْ ذِكَر
يحيا الهوى إمّا لمستْ جَنَى
وإذا قطفتْ يكادُ يحتضر
آثامِيَ الكبرى يمدّدها
أنّي على نجواكَ أعتذر ..

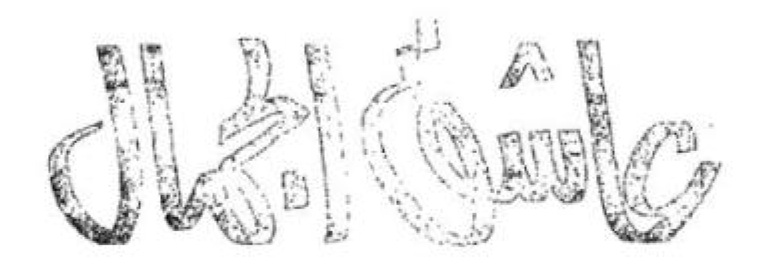
● عمان ● ● د. عبد المنعم رفاعي ●

مأساة



عاش الدكتور زكى مبارك طيلة حياته يغنى أجمل أغاريد الحب وأعذبها .. كان جذوة من الوجدان والعاطفة ، وكانت حياته سلسلة من التجارب الخصبة العميقة فى الحب والعشق .. لقد عرف الحب وسعد به وتغنى به ، ولم يستطع صاحب « مدامع العشاق » ، و « العشاق الثلاثة » و « ليلى المريضة فى العراق » اخفاء وجده المشبوب واشواقه العنيفة فسجلها فى صدق وحرارة وامانة فى اعترافات نابضة بالصدق والاصالة .





زكي مبارك

● محمد محمود رضوان ●

كان الدكتور زكى مبـارك يعشق الحسن ويقدس الجمال وقد طاب له أن يفصح عن سرائر روحه وأسرار قلبه فملأ الدنيا غراما وتشبيبا ! .

كان صادقا فى حبه غاية الصدق وقد رسم صورا عذبة صادقة لخفقات قلبه وتراتيم وجدانه ، ولكن ما رأى زكى مبارك العاشق المفتـــون فى « الحب » ؟ .

لقد رسم صـورة رائعة صادقة للحب تفصــح عن نفســية مشرقة مضيئة ، تفهم الحب فهما عميقـا دقيقا

« الحب هو ائتلاف روحين وامتزاج قلبين وانسجام نفسين » .

لقد عاش زكى مبـارك ما عاش عاشقا للحسن محبا للجمال ، فكانت حياته كلها سـيمفونية حب حالة يتمازج فى أوتارها الحنين والسـهاد والوجد واللوعة .

قضى زكى مبارك عمره فى التغريد فوق أفنان الجمال . وكان أديبنـا العاشق رومانسيا حالما يعبد الحسن ويقدس المرأة وكان فى ذلك مثل بقية أبناء جيله والجيل التالى له يتخذون الرومانسية ملجأ وملاذا يهربون اليها من هجير الحياة ومن مرارة الواقع الذى كانوا يعيشونه فى تلك الحقبة ويقاسون منه .

كانت الرومانسية فى العشرينـات والثلاثينات والاربعينات هى المسيطرة على الحياة الثقافية فى مصر ، وكانت هى السمة المميزة لادبائنـا فى تلك الحقبة القاسية من حياتنا الاجتماعية والثقافية والسياسية ، وقد انعكست الرومانسية وتجلت خصـائصها فى أدبهم النثرى والشعرى وكان من أبرز خصـائصها التى انعكست فى أدبهم ظاهرة « عبادة الجمال » . وتقديس المرأة .انعكس ذلك الاتجاه فى دواوين ناجى « وراء الغمام » و « ليـالى

مأساة عاشق الجمال

القاهرة » و « الطائر الجريح » . ودواوين على محمود طه « الملاح التائه » و « ليالي الملاح التائه » و « زهر وخمر » .. الخ وفي شعر أحمد خميس ، وحسن كامل الصيرفي في « الألحان الضائعة » وفي « ديوان صالح جودت » ، و « حكاية قلب » . و « ليالي الهرم » ، وفي ديوان أحمد عبد المجيد « همسات » و « نجوى شاعر » وفي ديوان أحمد فتحي « قال الشاعر » هذا في الشعر

أما في القصة فان من أصدق الكتاب الرومانسيين في أدبنا تمثيلا لخصائصها : يوسف السباعي في « بين الاطلال » ، و « اني راحلة » ، و « فديتك يا ليلى » الذى صور فيها مأساة الحب عندما يصطدم بعقبات وحواجز وأعماله تتسم بالأصالة والصدق الفني . ومحمد عبد الحليم عبد الله في « بعد الغروب » ، و « شجرة اللبلاب » ، وكان زكي مبارك مولعا بعبادة الجمال وتقديس الحسن .

وهو كشاعر رومانسي حالم يجعل من الوجد بالحسن مروجا يتفيأ ظلها حين يلفحه الهجير في بيداء الوجود وقد شغل خياله وأوهامه وراح يتعقب الهوى والجمال أينما كانا ، ويتمثل الحسن في كل روض وفي كل بقعة جميلة وفي كل نسمة رقيقة يقول :

« أنا اليوم أتمثل الحسن في كل مكان .. فما مشيت في الطريق الا افترضت أن ثراه قد تعطر في صباحه أو مسائه ببعض الأقدام اللطاف .. وما رأيت نافذة ترفرف عليها ستارة الا توهمت أن هناك مليحة تداعب جمالها في نجم أو طلع بدر الا تذكرت أن هناك قلوبا تخفق طربا أو حزنا لمصابيح السماء .. ولا اهتز غصن الا انتشيت لما يذكر به من رشيقات القدود . ولا ترنم مزهر ولا عود ، الا تشوقت روحي الى ماتوسوس به الأوتار من ذكريات الهوى والجمال » .

وقد كان لتجارب زكي مبارك وبلائه في الهوى أثر كبير في تكوين أدبه بصور نفسية فريدة متعددة ، عرف اللذة والألم وعرف الهجر والوصال وعرف سهر الليالي ومناجاة الليل وعرف الأرق والسهاد .

وقد اتخذ مذهبا واضحا صريحا في الأدب وأمعن فيه ووقف أدبه على فن الغزل والتشبيب والكتابة في



يوسف السباعي .. الأصالة والصدق الفني

زكى مبارك

الوجدانيات وقد كان يحلو له ان يطلق على نفسه « أمير العشاق » ·

ومن الدراسات التي تناولت حياة زكى مبارك وأدبه بالدرس والتحليل كتاب فاضل خلف « زكى مبارك بين رياض الادب والفن » · وكتاب انور الجندى « زكى مبارك ، حياته وأدبه » وكتاب عبد الرزاق الهلالى « زكى مبارك فى العراق » ·

كانت حياة زكى مبارك سلسلة من التجارب الخصبة فى الحب والعشق ·

وكان لصبابة زكى مبارك واحتراقه بنيران الحب أثر بعيد فى ايمانه بأثر المرأة العميق فى حياة الفنان وانتاجه ·· وقد كان دوما يعشق الحسن ويهيم بالجمال ويسعى وراء الحسن اينما وجد ، وقد اعترف بأثر المرأة فى حياته كملهمة تمد أدبه بالحرارة والصدق ··

ولكن ما هى ماهية المرأة التى كان يفضلها ؟ ·· ان له فلسفة غريبة فى ماهية المرأة التى كان يفضلها كملهمة له كفنان وأديب يقول : « قضيت اكثر من عشرين عاما فى الدراسات الفلسفية ، فالمرأة الرقيقة القلب لا تؤنسنى الا قليلا ·· لان عقلى اكبر من قلبى وانا اشتهى المرأة اللئيمة التى يكون غرامى بها فرصة لدراسة القلوب والنفوس والعقول » · وكانت له غراميات فى كل مكان حل فيه · ولكن ظل الحب الكبير فى حياته يطارد خياله ويلهب شاعريته حتى آخر نسمة من حياته ·

●

لكن ما هى قصة زكى مبارك مع المرأة ؟ ! ··

ان هناك لمحات طريفة عن قصة زكى مبارك معها سأورد بعضها هنا لنتبين ولعه بعبادة الجمال وصدقه فى حبه وأثر ذلك فى حياته وأدبه ·

● ان هناك مأساة خلقت زكى مبارك العاشق الهيمان ··

كان فى صباه فلاحا يرعى الماشية ويذهب الى الكتاب فى قريته سنتريس ·· وذات صباح باكر ، وهو فى طريقه الى الكتاب ، صادفته صبية حلوة ، عابثته قائلة : « انت يا واد عيونك خضر زى عيونى » ! ·

وتأمل عينيها ·· فكانت قصة حب طاغ من النظرة الاولى ، انطلقت بالشعر لاول مرة ·· ولكن الايام شاءت ان تصهره بالعذاب فى هذه السن المبكرة ، ففجعته فى ليلاه التى لقيت منيتها فى أجمل صباها ·

وبكاها وبكاها وبكاها ·· ومنذ يومئذ ·· بدأت حياة زكى مبارك كأديب وشاعر وعاشق متبتل فى محراب الجمال واصبح كل جمال يلهب شاعريته ··

● ومن اعمق قصص الحب فى حياته قصته مع الباريسية الحسناء « مرجريت » ··

قضى زكى مبارك خمس سنوات (١٩٢٧ ـ ١٩٣١) فى باريس حيث كان يطلب العلم هناك فى جامعة السربون على نفقته الخاصة فى قصة كفاح رائعة تدل على عصامية فريدة وعزيمة قوية ، وكانت له هناك صولات وجولات ولكن اعظم قصة حب عاشها هناك هى قصة غرامه مع مرجريت

لقد عرفها فى باريس عام ١٩٢٩ وهو يدرس بجامعة السربون وقد وجد

مأساة عاشق الجمال

فيها ضالته المنشودة التي كان يبحث عنها فقد كانت حسناء مثقفة واسعة الافق تفهمه كأديب وكفنان ، فسعد بها سعادة روحية عميقة .. كان زكى مبارك فى تلك الحقبة يقتـــرب من الاربعين .. وقد تجولت به مرجريت فى ضواحى باريس النائية وشواطئها ومتاحفها ومكتباتها ومســارحها .. فكان حبهما مزيجا من الهوى والنغم والفكر .

ومن المواقف الانسانية بينهما هذا الموقف الطريف ..

ذات يوم زار زكى مبارك مصانع (ستروين) بصحبة مرجريت فوقفـا ينظران الى فتاة رقيقة تطرق الحديد .. فبكت مرجريت لهذا المنظر وقالت : « هذه الفتاة تستعد لتكون ربة بيت ، فهى تطرق الحديد لتجمع من الاموال ما يمكنها من أن تكون زوجة لرجل شريف مثل المسيو مبارك » .. ويكى زكى مبارك لبكاء مرجريت وفى تلك اللحظة جذب يد مرجريت بعنف وقال : « لن نفترق يا مرجريت .. سـانقلك الى مصر ان كان لى الى مصر معاد فقالت : وماذا أصنع فى مصر ؟ هل ترانى أصلح لمعاونة مدام مبارك فى ترقيع الجوارب ؟ ! » .. فقال لها : « ان مدام مبارك لا ترقع الجوارب » .. فقالت : « كيف تقول هذا وأنت أبخل من اليهود ؟ ! » وضحكا من قلبيهما بصفاء ومرح ..

وقد ظل يحمل لها اجمل العواطف والذكريات حتى اخر نسمة من حياته .. يصور عواطفه نحوها فيقول : « كنت أقول أن مرجريت اوت روحى وقلبى خمسة عشر شهرا » ، « وكنت أقول أن لمرجريتفضلا عظيما فى مرونة لسانى باللغة الفرنسية ، المرونة التى امكنتنى من أن أحاور هيئة الامتحان فى مدرسة اللغـــات الشرقية خمس ساعات والتى امكنتنى من ان اواصل هيئةالامتحان بالسوربون ثلاث ساعات .. وذلك مغنم ليس بالقليل » . « كنت اقول ان مرجريت هى التى عـــرفتنى بدقائق الحياة فى باريس » . « كنت أقول انى لم احسن الاكل بالشــوكة والسكين الا بفضل مرجريت » ، « كانت مرجريت تقدم الى كل أسبوع كتابا من غرر المؤلفات الفرنسية لارى كيف يفهم الرجال سر الحيـــاة » ، وكان يردد دائما : « مرجريت .. اذكرينى بالشعر يوم أموت ! .. »

● من اعمق تجارب زكى مبارك فى الحب وأخصبها . قصة حبه مع من يسميها « ليلى المريضـــة فى الزمالك » .. ولكن من تكون ليلى المريضـــة فى الزمالك ؟ هل تكون شخصية خيالية ؟ هذا مستحيل ! .. فما يقضى شاعر عاشـــق مثل زكى مبارك الاعوام الطوال فى التغنى بهوى محبوبة من صنع الخيال ؟ .. كانت هذه الملهمة ممثلة اغـــراء مشـــهورة احبها اكثر من أديب وشاعر وقـــد استوحى ناجى ملحمة « الاطلال » من تجربة حبه معها .. وقد أحبها زكى مبارك فى أوائل الثلاثينات وكتب لها عشرات الرسائل فى الحب والجمال ،

زكي مبارك

ويؤكد الاستاذ الشاعر صالح جودت حقيقة هذه العاطفة المتبادلة بين أديبنا وبين « ليلاه » فيقول : (١)

« لقد عرفت زكي مبارك سنوات طويلة ، وكنت قريبا الى موضع أسراره ، كان زكي مبارك كصاحبه ناجي ، خفيف القلب ، يحب كل امرأة يلتقي بها في طريق الحياة . ولكن هل تعرف من هي ليلى .. التي هزته من أعماقه وأوحت اليه أجمل شعره ؟ انها فنانة كبيرة .. كانت من لدات طفولته ، لانها هي الاخرى من بلدته : سنتريس : هل تعرف من هذه الفنانة ؟ انها نفس الفنانة التي ألهمت ناجي قصيدة « الاطلال » ! .. »

ان الاستاذ صالح جودت يؤكد هنا حقيقة هذا الحب الكبير في حياة زكي مبارك ، ورسائل زكي مبارك لها قطعة من الادب الرفيع تكشف لنا عن حسرات شاعر عاشق متأجج العاطفة يبكي حبه



على محمود طه .. رومانسية الملاح التائه

ويخشع أمام ذكريات الهوى والغرام .. من رسائله لها هذه الرسالة وهي رسالة عتاب واستثارة ، لقلبها الظلوم .. يقول فيها : « ليتك تعرفين أني لم أعد ضاحكا بساما على نحو ما كنت في الليالي الخوالي .. كان هواك يا غادرة ينير الدنيا أمام روحي .. » كنا نلهو ونلعب وكانت الدنيا من حولنا تلهو وتلعب وكان للقصر رقصات تميد لها راسيات الجبال من الرفق والحنان .: « فمن يعيد تلك الايام السوالف ؟ من يعيدها لارى بعيني جبينك المشرق وهو يتوهج ويتألق ؟ من يعيدها يا ليلى ؟ من يعيدها يا روح القلب الذي شرده الزمان ؟

« اسمعي يا ليلى اسمعي .. .. ستطوف بالدنيا قلوب وأرواح ويبقى في عالم الخلود قلبي وروحي .. لن يكون لك أثر في الوجود الا بفضل العاشق الذي تكوين فؤاده بنارك الحامية » .

● ومن الملهمات اللاتي لعبن دورا بارزا في حياته شاعرة حسناء من المنصورة .. كانت تنظم شعرا وجدانيا رقيقا أحبها بصدق وعاطفة قوية .. أحبها بعد عودته من باريس عام ١٩٢٧ وشهدت روابي المنصورة الفيح ليالي الشعر والحب والنغم لحبين صادقين .. واستمرت هذه العاطفة بين مد وجزر . وعندما سافر

---

(١) مجلة حواء . مقال « بين ليلى العراق وليلى سنتريس » ـ ١٨ مايو ١٩٦٨ .

مأساة عاشق الجمال

زكي مبارك الى العراق منتدبا للتدريس في دار المعلمين العليا ببغداد في نهاية عام ١٩٢٧ اجتاحه الوجد والحنين فبدأ في نشر سلسلة من رسائله الوجدانية الرقيقة سماها «رسائل مجنون سعاد» وآثر ان يخفي اسمه ونشرها بتوقيع « الدكتور بديع الزمان » وقد قبس هذه الرسائل من نار روحه ونور وجدانه فكانت اقباسا وجدانية في الحب والجمال ، وقد انتحل في هذه الرسائل شخصية طبيب ابدان رغم كونه طبيب ارواح امعانا في اخفاء شخصيته ، ومن هذه الرسائل الرقيقة هذه الرسالة النابضة بالصدق والحرارة يقول فيها : « سعاد : أنا حزين يا سعاد والحزن مرض لا يدرس في كلية الطب وليس له اطباء فيما علمت .. فأين الوجه الذي يعدي روحي بالجذل والفرح والابتهاج ؟ أين ؟ . أين ؟ . « لقد طال بالحزن بلائي .. الى اين اذهب بهمومي يا سعاد ؟ . لو كنت من الشعراء لقتلت حزني بالغناء .. ولو كنت من المتصوفة لدفنت حزني في تربة الوجد مع الصابرين في جيش الخلاص .. ولكني واأسفاه ، شاب مفتون بمخلوقة صيغ جسمها من النور وصيغ روحها من الظلام ، فأين المفر من أحزاني ؟ . وبمن أستنجد ؟ .. والى من أتوجه ؟ والى اين اصير وفوق صدري شجون لا تحملها الجبال ؟ .

« لم يبق الا أمل واحد يا سعاد هو الحب أو الموت .. أما الموت فهو مطلب سهل المنال لاني أتوقع في كل يوم أن استشهد في سبيل الواجب .. أما الحب فهو الغاية التي لا أصل اليها الا بعد ان احترق في سعير الوجود .. وأنا سائر في طريق الوصول الى تلك الغاية المشوبة بأرواح الرجال .. فاطمئني على محبوبك الغالي يا سعاد فلن أموت قبل أن أشرب تلك الكأس » ..

وهكذا كان زكي مبارك في حبه غاية في الصدق والوفاء الا انه لقي الكثير من الاهوال وعاني كثيرا من الوان الهجر والتلون مما جعله يبكي مصارع حبه ويشكو ندرة الوفاء ولكنه ظل دائما قلبا عامرا بالحب والوفاء والنبل .

● كل مليحة بمذاق ●

كان زكي مبارك مشركا في الحب .. فهو دائما خفاق القلب متحمسه

ناجي : الطائر الجريح



زكي مبارك

العاطفة . يعشق الحسن ويهفو للجمال .. كان ينتقل من حب الى حب ومن روض الى روض وقد زاد تنقله من هوى الى هوى من الهاب احاسيسه واضرام عواطفه .. وقد كان لشركه في الحب اثر عميق في تمرسه بالحب وامد ذلك ادبه بزاد نفيس من العواطف والمشاعر والاحاسيس الفياضة .. كان كل جمال يلهب شاعريته فيتغنى به فقد كان يؤثر كل لون من الوان الجمال كما يقول شوقي :

حمراء او صفراء .. ان
كريمها كالغيد ، كل مليحة بمذاق

ولكن كان في حياة زكي مبارك حب كبير .. كانت « ليلى المريضة في الزمالك » حبه الكبير ، اما الاخريات فكن ملهمات ، مجرد ملهمات .. يوحين اليه اجمل الشعر واعذب رسائل الحب والجمال ، وقد علل الاستاذ صالح جودت هذه الظاهرة في حياة كثير من الادباء العشاق تعليلا دقيقا وصادقا فيقول :

« هناك سمة نجدها في حياة الكثير من الشعراء : يكون في حياتهم حب كبير ، ولا يمنعهم هذا من استلهام الجمال حيث وجد ، ولكنهم يجدون في كل جمال صورة غير محسوسة من المنبع الاصيل الذي حرك احاسيسهم اول ما تحركت » .

وقد اتاح الشرك في الحب لزكي مبارك فرصة التغلغل في دراسة اهواء المرأة واحلامها وفهم نفسيتها وطباعها المتقلبة . وكان يرى ان الشرك في الحب قد يعين على فهم الالوان المختلفة من طبائع الملاح ، واما التوحيد في الحب فيوجه العاشق الى درس نفسه بقوة وعمق ليرى مبلغ قدرته على ادراك ما في الروح من سماحة الهدى وشراسة الضلال ؛

وكان زكي مبارك يؤمن بان المشركين في الحب درسوا طبائع متعددة سمح الشرك بدرس تقلبها درأسة وافية وليس كذلك الموحدون .. فكان يتغنى دوما بهوى ليلى المريضة في العراق وفي الزمالك وفي مصر الجديدة وفي المنصورة ومرجريت وغيرهن وغيرهن من الملهمات اللاتي استوحى منهن اجمل ما كتب في ادب الحب والجمال .

● جميل تحب الجمال ●

اطال زكي مبارك حديثه عن تجاربه الوجدانية وافصح عن مشاعره وافتتانه بصور الحسن وبدائع الجمال .. وقد افصح عن سرائره الوجدانية غاية الافصاح واصدقه وملا الدنيا غراما وتشبيبا ولم يكن له الا مأرب واحد من الجمال هو درس الطبائع والغرائز والميول ليخرج من ذلك بمحصول فلسفي ينفع في اذكاء الدراسات الادبية والفلسفية فضلا عن ان هدفه كان تشريح عاطفة الحب تشريحا ادبيا وجدانيا لامداد اللغة العربية بثروة نفيسة من المشاعر والعواطف الانسانية الرفيعة .

وكان يرى انه يتقرب الى الله بعبادة صور الحسن وبدائع الجمال ، فكان يردد دائما قول الشاعر القديم :

خلقت الجمال لنا فتنة
وقلت لنا يا عباد اتقوه
وانت جميل تحب الجمال
فكيف عبادك لا يعشقوه ؟

مأساة عاشق الجمال

ولكن ايغاله في الحديث عن الحب والجمال وتغنيه بهوى ليلاته يعرضه لأقاويل وأراجيف واتهامات باطلة ، فيشعر بالحزن والمرارة .

●

كان زكي مبارك صريحا صادقا في تصوير عواطفه وأحاسيسه وقد أفصح عن سرائر روحه وأسرار قلبه بصدق وصراحة وكان في ذلك نسيج وحده في ادبنــا المعاصر .. لقد ترك لنا اعترافاته ومذكراته وسجل كل ما مر به من تجارب خصــبة في مختلف ميادين الحياة وصور لنا أهواء نفسه وأحلام قلبه واظهر لنا كل ما تخفى نفسه بصراحة وجرأة .

لقد أراد زكي مبــارك ان يغاير التقاليد .. لقد كره النفاق والخداع .. لقد أراد ان يكون الاديب الصريح الواضح الصادق في أدبنا المعاصر وبنا التجربة ومن هنا كانت مأساته .. تعرض لمتاعب ومضايقات كثيرة في حياته ، واتهم بأنه من انصــار الادب المكشوف . فعندما اصدر كتابه « مدامع العشاق » عام ١٩٢٤ قال عنه الدكتور طه حسين في صـــحيفة « السياسة » ، « انه كتاب يحرض على الشهوات » ووصف زكي مبارك بأنه « حاد الشباب عنيفه » .

والادب عند زكي مبارك كالفن يجب ان يسمو عن الاوضاع والتقاليد حتى لا يفتر ويضوى بوضعه تحت رحمة المتزمتين . ويصور مذهبه الادبي الصريح فيقــول : « ما أردت الا الصدق في تصوير العواطف والاهواء ليكون في ذلك مادة تنفع في دراسة علم النفس ، ومن المستحيل ان أريد الدعوة الى الفجور والمجون ، لانى بحكم أعمالى الرسمية من رجــال التربية ، ولأنى رجل متأهل ولى أبناء .. قد يكون في القراء من يخفى عليه انى أدعوالى مبادىء خلقيـــة سامية أغشيها بالفتون ، كما يصنع الطبيب في تغشية « البرشامة » المرة بغشاء من الحلواء » .

وكان كلما تقدمت به السن أحس بالندم على ما ضــيع من وقت في البحث والدرس فقد حصل على ثلاث أطروحاتللدكتوراة وأصبح « الدكاترة زكي مبارك » كما كان يردد دائما انه لم يأخذ حقه . فأحس بالغبن وندم على انه ترك صحبة الفأس والمحراث وقال انه لو اتجر بالتــراب لكان أغنى الاغنياء ، وكان للمرأة أثر في أزمته الاخيرة ، فقد كان يحلم بالحب الكبير ، وبالمرأة التى صورها بصورة مثالية في أدبه وقد افتقد ذلك في الواقع . فقد زوجوه في سن مبكرة وهو طالب في الازهر .. وحــدثت فجوة كبيرة بين الاديب الفنان المرهف الحس وتلك الزوجة الطيبة البسيطة، ولكنه رغم ذلك ظل يفخر بزوجتــه الفلاحة التى حفظت عرضه مصونا ،

ثم ذهــب الى باريس ورأى من صــور الحرية والحياة والانطلاق ، ما رأى ، وهو الرجل المحافظ المتزوج، وهنا أحس بالتناقض والازمة ..

زكي مبارك

ولم يجد زكي مبــارك في أيامه الأخيرة عاطفة حب كبيرة تعوضه عن احساسه بالنقص في أوضـاعه الاجتماعية والمادية والعاطفية كما ان الملهمة التي كانت « الحب الكبير » في حياته تخلت عنه في سنواته الأخيرة فلجأ الى الشراب يتخذه ملجأ وملاذا يهرب به من واقعه المر الأليم لينسى مأســاته وواقعه · كما أن بعض اصدقاء عمره الذين طالما دافع عنهم وأحسن اليهم هاجموه في محنته ولم يستطع أن يخوض معاركه ومساجلاته كما كان في عنفــوان قوته في الثلاثينات ··· وفي سنواته الأخيرة هام بالعزلة وكلف بالوحدة وانطوى على نفسه بعيدا عن المجتمع في وحدة ممضة قاسية ولم يعد يكتب سوى خواطر متناثرة مشتتة في صـحيفة «البلاغ» ليس فيها خفة ظله وعنفوانه

ومن هنا كانت مأساة انسان ملك كبير مرهف الاحساس رقيق القلب حاد العاطفة · كان ضحية ظروف وعوامل قاسية عملت على تحطيمه وهدمه ·

لم يفهم واقع المجتمع ·· واتخـذ من الصراحة الكاملة مذهبا حتى سمي « الملاكم الأدبي في ثقافتنا الحديثة » لقد أراد أن يغير التقاليد ·· وأعتقد أن حديثه المستمر عن الحب والجمال سيمر بلا عقابيل ·· ولن تكون له آثار مدمرة ، لقد اتخذ خصومه من هذه الأحاديث الصادقة الصريحة في الحب والجمال سلاحا ليحطموه به في سنواته الأخيرة ، وفي الحق أن أكثر هذه الأحـاديث كان من وحي أحلام قلبه وأوهام عاطفته ووهـج حرمانه ، وحاول بعض أعدائه ممن جرت بينهم وبينه مساجلات في عنفوان قوته أن يستغلوا ما كتبه في الوجدانيات أبان محنته القاسية (١٩٤٤ ـ ١٩٥٢) لتحطيمه وعزله· فشهروا سلاحهم في وجهه وهاجموه بعنف وقسوة ، وفي أبان محنته ولظروف غدر وهجر من ملهمته في تلك الحقبة هاجم المرأة بعنف وقسوة ·· ودعا الى الحذر منهـا وعدم الاطمئنان الى وعودها فازدادت الحملـة ضراوة وظن البعض أنه يتناقض في أقواله ·· فكيف يصرح بهذا الكــلام من ملأ الدنيا غراما وتشبيبا ومن كان يقدس المرأة ويعبد الجمال ؟ ·· هاجموه لتلك الخواطر الحزينة اليائسـة وغاب عن بالهم ظروف محنته ومأساته ·

واخيرا ·· خبت هذه الشـعلة المتأججة بالقوة والجمـال والحب في ٢٣يناير١٩٥٢ ودفن في بلدته الأثيرة « سنتريس » بالمنوفية ···

لقد عاش زكي مبارك للحب والجمال ·

ومات شهيد الحب والجمال

عبد العليم عبد الله



أنا مجنون

إبراهيم عبد الحميد عيسى

• كان يحلو لها كلما استمعت الى حديث عواطفى .. أن تقول لى : انت مجنون .

● أنا مجنون
وكم ضحكت وقالتها .. لأن القلب يعشقها
رآها فاستحال الشوق عصفورا يزقزقها
ويدعوها اذا غابت .. وان عادت يموسقها
ويخفى نار أشواقى .. فان همت يزوقها

***

● أنا مجنون
لأنى قد غزلت الضوء تحت ثيابها نهدا
وتسال عن حدود هواى .. عن قدر صحا عمدا
هوانا يا معذبتى .. هوى لا يعرف الحدا
ربيع .. ان غفا ورد .. يفتح حولنا وردا

***

● أنا مجنون
لأن جناح أشواقى الى دنياك ينطلق
وان غنتك أوتارى صحا العصفور والشفق
ليروى عن ليالينا حكايا منك تحترق
ولولا دعوة للحب بين الناس ما خلقوا

***

● أنا مجنون
وكيف يكون بى عقل يفىء .. وأنت محرقتى ؟ !
سل شفتيك .. كم هدهدت فى الشفتين أغنيتى
وهمنا فى الهوى حتى نسيت عليهما شفتى
وسال رحيقنا عسلا .. فصار النحل راويتى

***

● أنا مجنون
لأن الهمس من شفتيك ما أحلى وما أجمل



رأيت عليهما لهبا يصب النبذر فى جدول
وحين هممت ردتنى أنامل [illegible] تبخل
واتركها ، فتدعونى .. [illegible] العمر لم أسأل

***

● أنا مجنون
لأن صباك بين يدى يشكو قسوة الكبت
وهذا اللحظ يدعونى ... ويدعونى بلا صوت
واسمع ضجة جسدية تغفو على صمت
فقمت أعانق الشوق وابعثه من الموت

***

● أنا مجنون
لأن صباك عربيد .. وطفل كيف يرتدع ؟
ويدعونى ويحرمنى فم يرجو ويمتنع
وابحث عن شبابى وهو فى عينيك يضطجع
فازعم قصة تحوى شبابينا واخترع

***

● أنا مجنون
ويكفى أننى أيقظت فى أعماقك الأنثى
بأشواق مراهقة بثثت لهيبها بثا
فضجت فيك زوبعة تنقب فى دمى بحثا
قضينا العمر أمواتا .. وكان غرامنا بعثا

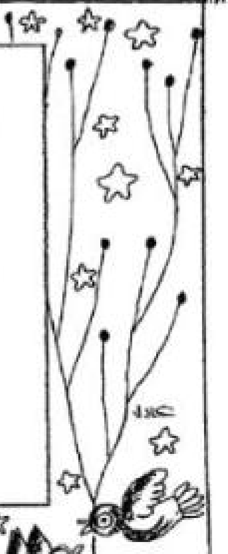
***

● أنا مجنون
لأن الحب عند مشاتل النجوى زرعناه
شباب العمر يدعونا .. وويلى لو صلبناه
فياحبى .. دعى الحب .. تطوقنا ذراعاه
فإن ولى .. غدا [illegible] عمر أضعناه



العشاق الملهمون
فى الأدب الفرنسى

الحب ترجمة انسانية لا ترتبط بزمان او مكان ، كما لا تخص ادبا دون الآداب الاخرى . الا انها قد تختلف فى تفاصيلها من محب الى آخر ، ومن بلد الى آخر ، ومن عصر الى آخر . واذا اقتفينا اثر الادباء العشاق فى فرنسا ، وجدنا اكثر من كاتب شاعت تجربته العاطفية بفضل الاعمال التى نقلها اليها ، وارتقت من مستوى الذاتية الى مستوى العالمية . ومما لا شك فيه ان الشاعر « رونسار » والكاتب الفيلسوف « روسو » ، والشاعر الرومانسى « لامارتين » ، والشاعر الحزين « الفريد دى موسيه » - من اشهر الادباء العشاق .



◆ عندما كتب الشاعر رونسار « قصائد حب الى كاساندر » عام ١٥٥٢ ، اتخذ من « بيترارك » مثالا ، وغنى الحب على طريقته . كان قد قابل « كاساندر سلفياتى » فى احدى الحفلات فى القصر الملكى فى مدينة بلواه . كانت الفتاة فى الثالثة عشرة او الرابعة عشرة او الخامسة عشرة، وكانت جميلة وتكلمت وتبسمت ، وغنت ، ورقصت ، بكل ما فى صباها من سحر وبراءة ، واكتفى شاعرنا بهذا . وظن انه التقى بمحبوبته ، كما سبق ان التقى

د. سامية أحمد أسعد

« بيترارك » بمحبوبته « لور » • لكن « كاساندر » تزوجت فى العام التالى ، ورآها الشاعر مرة أخرى • ولم يرها بعد ذلك الا بعد مرور عشرين عاما على لقائهما الاول •

لكن غيابها لم يتحول الى نسيان ، بل تبلور وتحول الى حب وشعر • بالرغم من كونهـا حقيقة واقعة ، اصبحت « كاساندر » رمزا للجمال المثالى الالهى • واذ يخاطبهـا الشاعر ، يخاطب فيهـا ، فى آن واحد ، المرأة الحقيقية والجمال الذى ترمز اليه ، ان حبه لهـا يبدأ من الحواس ثم يرقى الى مستوى الشعور انه اعجاب اكثر منه رغبة • وان شابته رغبة ، فهى الرغبة فى امتلاك الروح • لا يمكن الوصول الى هذه المرأة القاسيـة ، فيما يبدو • ولا يسع العاشق ، فى حضرتها ، الا ان يتنهد ، ويتوسل ، وييأس ، وهنا يلحق مفهوم « بيترارك » للحب بالحب العذرى • واذا كان العاشق شاعرا اصبحت المرأة مصدر الهامه ، وتغنى بجمالها الحقيقى وجمالها الميتافيزيقى، وافضى اليها باعجابه وعذابه بأمله ويأسه •

يعالج « رونسار » ، فى « قصائد حب الى كاساندر » ، كل الموضوعات التى سبق أن عالجها « بيترارك » فى قصائده الى لور : اللقاء ، والحب من أول نظرة الذى يحول حياة المحب تحولا جذريا • ويحيط « السيدة » بشىء من الغموض ، فـلا يفصح عن اسمها ، ويستوحى ملامحها من المرأة التى حلم بها شعراء عصر النهضة فى فرنسا وايطاليا ، المرأة الشقراء ، الوردية الجبهة ، ذات العنق الأبيض ، والثغر الباسم ، والعين الساحرة •

لاقت احدى قصائد هـذا الديوان نجاحا منقطع النظير ، بالرغم من ان الشاعر لجأ فيها الى صورة طالمـا استعملها الشعراء ، صورة الوردة التى ترمز الى الجمـال الانثوى والاشياء الزائلة • مما جعله ينسب صفات المرأة الى الوردة وصـفات الوردة الى المرأة • والحب فى هذه القصيدة ابعد ما يكون عن الروحانية، بل اقرب الى نزعة هوراس الابيقورية :

يا حلوة تعالى نرى هل فقدت
الوردة التى تفتحت هذا الصباح
تحت الشمس ثنايا ثوبها القرمزى
ولونها الشـبيه بلونك !

•••

واأسفاه ! ترين يا حلوة كيف
تساقط جمالها • واأسفاه ! فى
فترة وجيزة فوق هذا المكان ••
ما انت بالام الرءوم ، ايتهـا
الطبيعة •••
ما دامت هـذه الوردة لا تعيش
الا من الصباح الى المساء !

•••

صدقينى الآن يا حلوة واقطفى •
اقطفى زهرة شبابك بينمـا تنبت
زهور حياتك
فى اخضرارها الجديد • فسوف



العشاق الملهمون في الأدب الفرنسي



تزيل الشيخوخة بريق جمالك كما فعلت بهذه الوردة !

بعد ان نشر هـذا الديوان امضى الشـاعر عامين (١٥٥٤ – ١٥٥٦) في مقاطعة « لى فندوماء » وعبثا حاول اصدقاؤه استدعاءه الى باريس . ذلك انه كان قد قابل فتاة في الخامسة عشرة ، تدعى « مارى دوبان » ، أثناء احدى رحلاته على ضفاف نهر اللوار . لم تكن فتاة نبيلة ثرية مثل « كاسانذر » ، بل كان ابوها احد مزارعي المنطقة .

وفي قلب الشاعر الذى كاد ينسى حبه الاول ، حلت الفلاحة الصغيرة محل السيدة الارستقراطية . وعاد الشاعر الى الموضوعات والصور التى لجأ اليها في ديوانه السابق . لكن حب « مارى » ظل مصحوبا بالاحترام ، لأن الفتاة لم تستسلم ، مما أضفى عليها سحرا جديدا . ولقد تميزت « قصائد حب الى مارى » (١٥٥٥ – ١٥٥٦) بالبساطة والنبرة الصادقة .

لكن « مارى » فضلت على الشاعر أحد النبلاء ، ولربما تزوجته . وثارت غيرة « رونسار » ، لكنه احتفظ بذكرى المحبوبة الحنون . وماتت «مارى» وهي بعد في الثانية والثلاثين .. وكتب الشاعر عن موتها ست عشرة قصيدة أرخى بها انفعاله العميق . وأضافت قيمة الموت أصداءها الجادة الى قيمة الحب ، وحاكى ايقاع الأبيات الجليل البطيء ايقاع الموكب الجنائزى .. وعاد الشاعر الى صوره الاليفة ، لكنه احاطها بهالة من الحزن الهادىء :

قتلك المنون وانت في نضرة شبابك .

بينما كانت الأرض والسماء تمجدان جمالك

وهاانت ترقدين رمادا !

***

تقبلي ميتي ، دمعي ، وبكائي ، وهذا الاناء ملآن باللبن ، وهذى سلة ملآنة بالورود .

لكيلا يكون جسدك ، حيا كان ام ميتا ، الا ورودا .

وعندما ناهز الخمسين ، اختار « رونسار » ، من بين وصيفات الملكة فتاة تنحدر من أسرة أسبانية واخرى فرنسية تدعى « هيلين » . كانت سمراء لها مهابة ووقار ، كان جمالها أبعد ما يكون عن الابتذال ، كانت حلوة المعشر ، مثقفة ، فاضلة في بلاط اختلطت فيه النميمة بالانحلال كانت ، وهي بعد في العشرين من عمرها مخلصة لذكرى خطيب قتل في الحرب . واخيرا ، كانت تقرأ الفلاسفة ، وتتحدث عن الحب الافلاطونى .

التقى بها « رونسار » ذات صباح، في شهر مايو ، في حدائق « لى تويلرى » ، ثم رآها مرة اخرى في صالون احدى قريباته وعاد الى لعبة الحب ، وعاد الى قرض الشعر على غرار « بيترارك » ، كما سبق أن فعل أيام « كاساندر » . فكان الاعجاب ، والتنهد ، والاعتراف

والحزن ، والشكوى ، ٠٠ الخ ٠٠ ولقد أضفت الاحاديث التى دارت بين المحبين وأفكار الفتاة الافلاطونية على « قصائد حب الى هيلين » طابعا لا نلمسه فى قصائد كاساندر ٠

وقبلت « هيلين » حب الشاعر ، لكنها لم تر فيه الا حبا افلاطونيا ، بينما كانت تضطرم فى نفس « رونسار » رغبة عارمة ٠ ونفد صبر شاعرنا ازاء هذا البرود ، وثارت غيرته ، وزاد الحاحه ٠ وتنكر لافلاطون وبيترارك ، وقال فى قصيدة شهيرة جمع فيها بين موضوعين طالما فصلهما ، الدعوة الى المتعة ، والوعد بالخلود :

عندما تصيرين عجوزا ،
وتجلسين مساء بجوار النار ،
وتغزلين على ضوء الشمعة ،
ستقولين معجبة ، وانت
تتغنين بابيات شعرى : مجدنى
رونسار يوم ان كنت جميلة ٠

***

وسأكون انا تحت الارض ، شبحا بلا عظام
يرتاح فى ظل الرند
وتكونين انت عجوزا قابعة فى الدار

***

نادمة على حبى وعلى كبريائك صدقينى ، عيشى ، ولا تنتظرى الغد ،
واقطفى منذ الان زهور الحياة



اختلط الواقع بالخيال

روسو : تأثير الطبيعة على النفس

كان « روسو » بصدد كتابة « هيلوييز الجديدة » ، بعد ان تبلورت فى ذهنه فكرة ابطالها ـ جولى وكلير ، وسان برو ، ـ عندما التقى بمدام « دوديتوه » عام ١٧٥٧ ، وهام بها حبا ٠ وسرعان ما رأى فيها تجسيدا لجولى المخلوقة المثالية التى تؤم أحلامه ٠ واختلط الواقع بالخيال

واختلطت حياة « روسو » بالرواية وساعدت على اكتمال نسجها ٠ وحدا

الكاتب أمل فى تذوق تلك السعادة المستحيلة التى حلم بها ، سعادة الحياة بين مدام « دوديتوه »



العشاق الملهمون في الأدب الفرنسي



وعشيقها « سان لامبير » .
وانتقل الحلم الى الرواية ، وتركز الاهتمام حوله في الاجزاء الثلاثة الاخيرة من الرواية التي ظهرت عام ١٧٥٨ .

لا تكمن اهمية هذه الرواية في احداثها ، خاصة انها بسيطة للغاية . ان مشاعر الشخصيات تهمنا اكثر مما تهمنا مغامراتها ، وما يعتمل في قلب « روسو » هو الشيء الذي يستوقف نظرنا خاصة ، لان الرواية حصيلة افكاره ، ومشاعره ، واحلامه . هذا وتسيطر على الرواية موضوعات : الهوى والفضيلة من ناحية ، وحب الطبيعة من ناحية اخرى .

في « هيلوييز الجديدة » ، مجد « روسو » الهوى ، وبين طابعه الذي لا يقاوم ، وصور اندفاعه ، والامه وعذابه ، وافراحه ، الخ ... كان كثيرون قد فعلوا ذلك من قبله ، ولنذكر على سبيل المثال « راسين » و« مدام » دى لافاييت » في القرن السابع عشر ، لكن ما من احد صاغ انشودة حب كهذه .. ذلك ان « روسو » لا يكتفي بتحليل هذه العاطفة بل يعمد الى تصويرها ، والايحاء والتغني بها .

كما حاول « روسو » ان يوفق بين الفضيلة والهوى ... صحيح ان حب « جولي » و « سان برو » حب محرم ، لكنه لا يحط من شان القلوب التي يعتمل فيها ، بل العكس صحيح . ويصل الأمر بالمؤلف الى حد الايحاء بأن هناك رباطا وثيقا بين الفضيلة والهوى . فكلاهما شكل من اشكال الاحساس . واصحاب الهوى هم وحدهم القادرون على حب الفضيلة حقا .

وبالرغم من كل هذا ، تتطور الرواية ، ويحارب البطل والبطلة هواهما باسم الفضيلة التي عثرا على معناها الحقيقي ثانية . وترى « جولي » خاصة ما يدور في نفسها بوضوح ، وتندد بالخلط الذي طالما اغواهما ، وتفضل الموت ، في النهاية ، على الاستسلام للغواية . لا يمكن ان تنطفيء جذوة الهوى في النفس الحساسة ، لكن التمسك بالفضيلة يمكننا من مقاومة تياره الجارف .

وجدير بالملاحظة أن حب الطبيعة يرتبط هنا ارتباطا وثيقا بالهوى . لقد قال على سبيل المثال في « الاعترافات » : « استعرضت على التوالي أجمل الاماكن التي رأيتها في رحلاتي ، لكن اضع شخصياتي في المكان الذي يناسبها ... كنت في حاجة الى بحيرة ، وانتهيت الى اختيار تلك البحيرة التي لم يكف قلبي عن الطواف حولها » . وهكذا اصبحت بحيرة جنيف والجبال المحيطة بها اطار للرواية . هذا ويهتم « روسو » ، في المقام الاول ، بتأثير الطبيعة على النفس ، والمقابلة بين المناظر الطبيعية والاحاسيس .

أجمل قصائد لامرتين



لامارتين : أوحى اليه الالم باجمل قصائده ..

واذا انتقلنا الى القرن التاسع عشر ، وجدنا اكثر من اديب عاشق . لم تكن هذه الظاهرة وليدة الصدفة يكفى أن نذكر ، فى هذا الصدد ، أن النزعة الغنائية جزء لا يتجزأ من الرومانسية ، وان الكتاب الرومانسيين تعمدوا الحديث عن انفسهم وعن تجربتهم الفردية على عكس ما كان يفعل الكلاسيكيون ، كما ان عبادة الذات والذاتية من اهم مقومات الانسان الرومانسى . ولربما كان الشاعر « لامارتين » واحدا من اشهر العشاق الرومانسيين .

عرف « لامارتين » الحب لأول مرة عندما سافر الى ايطاليا مع احد اصدقائه ، وعاش مغامرة عاطفية مع فتاة من نابولى تذكرها عندما كتب « جرازييلا » ، وجعل منها بطلة لتلك القصة . وفى عام ١٨١٦ ، استعد لنشر مجموعة من القصائد الحزينة ذكر فيها امرأة مجهولة ميتة اطلق عليها اسم « الفير » . وسرعان ما خلد امرأة اخرى عرفها واحبها تحت ذلك الاسم .

ذهب شاعرنا للاستشفاء فى مدينة « اكس لى بان » فى خريف عام ١٨١٦ . وهناك ، قابل امرأة شابة ، « جولى شارل » ، زوجة عالم كان مشهورا آنذاك . كانت مصابة بداء صدرى . وجمعهما الحب على ضفاف بحيرة « لى بورجيه » واتخذ حبهما ، منذ البداية ، طابعا روحانيا ، اذ كان يتهدد حياة « جولى » ذلك الخطر الغامض الذى شعرت انها تنزلق اليه . والتقيا فى باريس فى شتاء عام ١٩١٧ ، وتواعدا على اللقاء فى مدينة « اكس » فى الصيف التالى . لكن « جولى » لم تف بوعدها .. وذهب الشاعر وحده الى مكان اللقاء كان المرض قد حال دون سفرها . فظلت فى باريس الى ان ماتت بها فى ديسمبر من ذلك العام .

واحس « لامارتين » بألم بالغ عندما تحطم حبه ، واراد أن يسترد ايمانه وهدوء نفسه وطمأنينتها . وذلك الالم ، وتلك الرغبة هما اللذان أوحيا الى الشاعر باجمل القصائد التى ضمنها ديوانه « التأملات » ، أول ديوان غنائى كتبه شاعر رومانسى . يتكون هذا الديوان من ٢٤ قصيدة اعتبرها جمهور عام ١٨٢٠ ثورة فى عالم الشعر . وتحمس لها لانه وجد فيها الموضوعات والاحاسيس الجديدة التى انتشرت بعد كتابات « جوته » ، و « بايرون » ، و « شاتوبريان » وكان الذى عبر عنها شاعر ذاتى احس بالألم فى اعماقه . ولم تكن اشهر هذه التأملات سوى تنهدات

العشاق الملهمون في الأدب الفرنسي

روح وشكوى قلب احزنته تجربة الحب الاليم ... وتحدثنا قصائد « البحيرة » و « الخلود » ، و « اليأس » و « الوحدة » ، و « المساء » ، « والوادى الصغير » و « الخريف » عن انفعالات قلب حساس جرح ، تحدثنا عن الذكريات والندم ، واليأس ، والامل ، والزمان، الذى يولى ، والقلق امام القدر ، والخوف من الموت ، ، والتطلع الى الخلود .

ولنقف لحظة عند « البحيرة » اجمل قصائد « لامارتين » واشهرها . عندما كتبها ، كانت « جولى » لا تزال حية . لكن المرض الذى أودى بحياتها قد اقعدها . ذهب « لامارتين » وحده حسب الموعد ، كما قلنا . واحس بالحنين اذ رأى البحيرة التى ذاق على شفافها طعم السعادة . وعبر عن الم قلبه امام الزمان الذى يولى ، ورغبته فى تخليد ذلك الحب، بالذكرى على الاقل . يقول الشاعر مخاطبا البحيرة :

« ذات مساء ، هل تذكرين ؟
كنا نسير على صفحتك فى صمت .

لم نسمع فى الافق البعيد ،
فوق اليم وتحت السموات ،
سوى صوت المجدفين ، يضربان بانتظام
أمواجك الرخيمة .

وفجاة ، رددت نبرات مجهولة من الارض
اصداء الشاطىء المسحور .
فتنبه الموج ، ونطق الصوت الحبيب الى
بهذه الكلمات :
اوقف طيرانك ، ايها الزمان !
وأنت ، أيتها الساعات السعيدة ،
اوقفي جريانك !
دعينا نتذوق ملاذ اجمل
ايامنا السريعة !

***

لكن ، عبثا اطلب بضع لحظات زائدة
الزمان يهرب مني ويولي .
واقول لهذه الليلة : أبطئي !
ولسوف يبدد
الفجر ظلمة الليل .

ولا ينفصل « لامارتين » بين هذه الاحاسيس الحميمة وحب الطبيعة ، كما فعل « روسو » . والطبيعة هنا صديقة يفضي اليها الشاعر بمكنون نفسه ، ويجد فيها العزاء والسلوى ، ويربط بينها وبين آلامه وأفراحه .



قصة حبه الكبير



جورج صاند : شوبان : من احبها الفريد دى عشاق جورج موسيه ... صاند ...

اما «الفريد دى موسيه» ، فجن حبا بكاتبة كان لها اكثر من ضحية شهيرة - من بينهم الموسيقار شوبان - بين معاصريها ، واقصد بها «جورج صاند» التقى الشاعر بها عام ١٨٣٣ · وبعد فترة سعيدة قضياها فى فونتينبلو اراد العاشقان أن يخلدا حبهما الرومانسي برحلة الى ايطاليا · لكن خيبة الامل لم تدع لهما فرصة للسعادة فى ايطاليا، فقد أصيب الشاعر بمرض اقعده والزمه الفراش · وسهرت « صاند » عليه ، وداوته ، ولكنها ، فى الوقت نفسه ، كانت تخونه مع طبيبه المعالج ، الدكتور « باجيلو » ، وبعد شفائه ، عاد « موسيه » بمفرده الى باريس ، وتبادل مع « جورج صاند » خطابات يبدو فيها انه غفر لها ، وعادت الحبيبة · وكانت الفترة التى انقضت بين اغسطس ١٨٣٤ ومارس ١٨٣٥ سلسلة من المصالحات والخصومات ، لعبت أثناءها أعصاب « موسيه » الشاثرة دورا كبيرا · وكانت « اعترافات أحد أبناء هذا الجيل » ، نتيجة هذه المغامرة ، وما عانته نفس الشاعر من عذاب واحست به من قلق ·

كان « موسيه » قد فهم ان النزعة الغنائية الحقة تتمثل فى انطلاق القلب وساعد حبه الاليم « لجورج صاند » على نضج عبقريته ، حتى لو قلنا ان هذا الالم الكبير لم يكن مصدرا لكل أعمال الشاعر ، فلا بد ان نقرر اننا مدينون له بالنبرة الصادقة التى نلمسها فى « الليالى » ·

بعد مغامرة فينيسيا ، توالت المؤلفات الغنائية الرائعة التى طالما حلم الشاعر بكتابتها ، ومن الخطأ ان نظن ان ما تشتمل عليه من انفعالات مرتبط بذكرى « صاند » وحدها · فلقد تخللت حياة « موسيه » ، فى هذه الفترة ، مغامرات عاطفية أخرى · لكن حبه الكبير هو الذى حول غناءه، واضفى عليه طابعا جادا ، وقرة اليمة ·· حتى عندما تبعث بعض القصائد من انفعالات أخرى ، نزف الجرح القديم · حتى لو سلمنا بان «الليالى» لا تتحدث عن أزمة عاطفية واحدة ،



فلقد مرت بمراحل الازمة الطبيعية : الالم الحاد ، الوحدة الكئيبة ، البحث عن العزاء والسلوى ، الرغبة العارمة فى الاستمتاع بالحياة ، الثورة التى تليها السكينة ويليها الغفران ، واخيرا الذكرى الحنون ٠

من « ليلة مـايو » الى « ليلة اكتـوبر » ، يذكر « موسيه » ، فى معرض حديثه عن آلهة العظيم ، دور الالم فى الابداع الفنى والحيــاة ٠

ويدور بينه وبين الهة الشعر حـوار مبتكر ، تستخلص منه ان على الشعر ان يكون ترجمة مباشرة صادقة لادق الانفعالات ، وان على الشـعور ان يحتفظ بكل ما فيه من تلقائية بدائية ٠ ما علينا أن تحلله أو نزيفه بالصياغة الفنية ٠ ومن ثم اختلطت حيــاة « موسيه » الانسان بحياة « موسيه » الشاعر فى كثير من الاحيان ٠ واذ عبر تعبيرا صادقا عن انفعاله الفردى، ايقظ فينا اصداء عميقة ٠ ولربما كان هذا سببا فى أن « موسيه » لم يكتب الكثير ٠ كان لابد له من انفعال قوى لكى يكتب٠ كان لا بد أن يعيش الشاعر بكل جوارحه لكى يولد هذا الانفعال ٠

ولانه استسلم لنار الحيــاة ، اضاع « موسـيه » الوقت وبدد قدرته على كتابة اعمال اخرى رائعة ٠

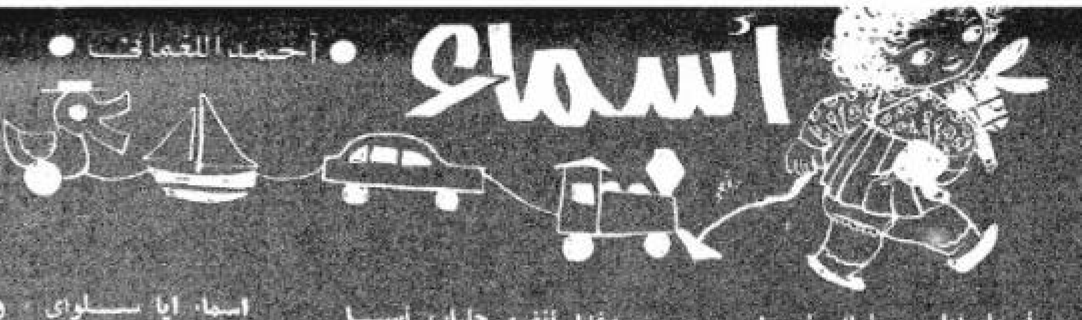
وفى « ليلة اكتوبر » ، يروى الشاعر قصة حبه الكبير ، ويبعث السـعادة التى لاحت له لحظة ، ويذكـر الم الخيانة ، ومشهد القطيعة القاسى ٠

وعبثا يحاول السيطرة على مشاعره وبالرغم مما تبذله آلهة الشعر من جهد ، تنطلق ثورته :

عار عليك يا أول
من علمني الخيانة
وافقدني العقل
لفرط البغض والحنق !
عار عليك ، يا ذات العين الداكنة
يا من دفن حبها المشئوم
ربيع عمرى وايامى الحلوة
فى الظلام !

كان قلبى قد تفتح
لحبك كزهرة الفجر ٠
وبالطبع ، خدع هذا
القلب الاعزل بلا ادنى جهد
واذا كنت اشك فى الدمع
فلانى رايتك تبكين !
عار عليك ! كنت بعد
بريئا براءة الاطفال !
لكنى ساغتسل على الاقل
فى هذا النبع المر
وآمل ان اترك
فيه ذكراك المقوتة !





أسماء أنا سلواي : ويا
أهل المخضوضر : يا كبدي
يـ ... حظ ذي نعس
يا فرحة عمر ذي نكد
يا قرة عين أبيك . ويا
تربية عزهره الفرد
أسماء ! فداك زكي دمي
عوذتك بالله الصمد
أسماء أنا سلواي ... ويا
أمل المخضوضر يا كبدي

***

أسماء .. قلبي لترى عش الـ
ـعقد المدرج ذا البـ ـد
ما شاء الله ! غدا تصلـ
ـين الصدري ، أهلا بغدي !
وغدا أشدو جلباب أسـ
ـى وأمرح في عيش الرغد
أسماء : إلى حضني ! فلقد
أصبحت لهذا الضم صدى
أسماء أيا سلواي ويا
أمل المخضوضر يا كبدي !

***

أسماء أنا أخت الورد الـ
ـعطر ، وتاج الورد ندى
شمس الإشراق على خديـ
ـك تشع منورة الوقد
يا أطهر روح أودعه الـ
ـله البارى أحلى جسد
أسماء : كتاب الله يصو
نك ، والأملاك ، من الحسد
أسماء أيا سلواي ويا
أمل المخضوضر يا كبدي !

***

أسماء ! وما أحلى . أسما
.. يرن صداها في خلدي
« أسماء » هتافي في نكدي
« أسماء » نشيدي في سعدي
يهتز القلب لنغمتها
فيفيق ويصحو من همد
حصنتك بالقرآن وأسـ
ـرار الأسماء ومعتقدي
أسماء . أيا سلواي ويا
أمل المخضوضر . يا كبدي !

أحمد اللغماني

تونس

الوزراء والعلماء فى ندوة "الهلال" العلمية

دور البحث العلمى والتكنولوجيا فى نهضتنا الصناعية وتنميتها وتطويرها

نظمت مؤسسة دار الهلال باسم مجلة الهلال ندوة علمية كبرى كان موضوعها « دور البحث العلمي والتكنولوجيا في نهضتنا الصناعية وتنميتها وتطويرها » راس الندوة الدكتور مصطفى كمال طلبة رئيس اكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا وحضرها الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير الدولة للتخطيط والسيد المهندس احمد عز الدين هلال وزير البترول والثروة المعدنية والسيد الدكتور محمد كامل ليلة وزير التعليم العالى والسيد الدكتور محمود على حسن رئيس مجلس بحوث الصناعة

لفيف من السادة رؤساء المؤسسات والشركات الصناعية ورجال البحث العلمى





من اليمين د. محمود علي حسن نائب وزير الصناعة ، م . احمد عز الدين هلال وزير البترول ، الاستاذ عبد الواحد الوكيل العضو المنتدب لدار الهلال ، د. مصطفى كمال طلبه مدير اكاديمية البحث العلمي ، الاستاذ صالح جودت نائب رئيس مؤسسة دار الهلال ، د اسماعيل صبرى عبد الله وزير الدولة لشئون التخطيط . د. محمد كامل ليله وزير التعليم العالي

بالاكاديمية ورئيس المؤسسة المعدنية نائبا عن السيد المهندس ابراهيم سالم محمدين وزير الصناعة .. كما حضرها لفيف كبير من رؤساء مجالس ادارات المؤسسات والشركات الصناعية ورجال اكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا واساتذة الجامعات . وحضر الندوة من مؤسسة دار الهلال الاستاذ صالح جودت نائب رئيس مجلس ادارة مؤسسة دار



الهلال والاستاذ عبد الواحد الوكيل العضو المنتدب للمؤسسة ولفيف من محررى مختلف مجلات الدار .

● وقد افتتح الندوة الاستاذ صالح جودت بكلمة رحب فيها باعضاء الندوة . ثم قدم الدكتور مصطفى كمال طلبة الذى استهل كلمته بشكر مؤسسة دار الهلال على اهتمامها الجاد بعقد هذه الندوة التى تعتبر دليلاً على الايمان بالعلم وركيزة اساسية لبناء مصر المستقبل . ثم

تحدث بعد ذلك عن دور البحث العلمى وآثاره على الصناعة على المستوى العالمى والقومى ، كما تحدث عن نشاط البحث العلمى فى مصر ودور الاكاديمية فى هذا المجال وجهودها فى القطاع الصناعى وأنواع التعاون بين مراكز البحوث والقطاعات الصناعية المختلفة واسلوب الاعلام عن التطور التكنولوجى والبحوث فى العالم .



● ثم تحدث الدكتور اسماعيل

الـــوزراء والعلمـاء فى

صبرى عبد الله بعــد ذلك عن دور البحث العلمى فى الامور الاجتماعية والاقتصادية وفى تنمية الصـــناعة فاوضح بأن هناك حقيقة اصبح العالم كله يسلم بها كحقيقة علمية وان كنا لم نســتوعبها تماما فى مصر وهى الوحدة الاساســية لكافة العلوم من حيث المنهج والاختصـاص فقد انتهى عهد التفرقة التقليدية بين العلــوم الطبيعية والرياضية من ناحية والعلوم الاجتماعية والانسانية من ناحيـــة اخرى • ثم تحدث بعد ذلك عن اهمية بناء البشر الى جانب بناء الصناعة وقال ان الصـــناعة هى اولا البشر كمنتجين وهى اخيرا البشر كمستهلكين وان التقدم الصناعى يقاس بنجـاح عملية التطويع المتبـــادل ما بين التكنـــولوجيا والبشر الذين يعملون عليها ، وخلص من ذلك الى انه من الضرورى الالتقاء ما بين البعــد الانسانى والبعد التكنولوجى فيمـــا يتعلق بتطوير الصناعة •

● وبعد ذلك تحدث المهندس احمد عز الدين هلال وزير البترول والثروة المعدنية واستهل كلمته بشكر مؤسسة دار الهلال على عقد هذه الندوة وتمنى ان تتكرر الندوة على مدار السنة حتى يكون هناك تحرك اكثر وافضل للبحث العلمى • ثم تحــدث بعد ذلك عن التكنولوجيا الحديثة فى البتـــرول والثروة المعدنية واثرها فى تنميـــة موارد الدولة ثم تحدث عن اهميـــة التكنولوجيا الحديثة واستخدامها فى مجال البحث والتنقيب ومجال الانتاج ومجال التكرير ومجال النقل والتوزيع ومجال التسويق ومجال التصنيع ثم فى مجال الثروة المعدنية •

● ثم تحدث السيد الدكتور محمد كامل ليلة وزير التعليم العالى عن دور الجامعات والمعاهد العليا فى اعــداد الكوادر التى يمكن ان تضطلع بمهام البحوث اللازمة لسد احتياجات البحث العلمى وتطبيقاته فى القطاع الصناعى •• وقد تكلم سيادته عن المعوقات التى تعتــرض طريق البحث العلمى فى الجامعات وقال انه لا خلاف بيننا على اهميـــة البحث العلمى والرغبة فى الوصـــول الى النتائج وفى التقدم والتطور فى مختلف مجالات الحيـــاة ولكننا عندما نأتى الى نقطة التنفيذ نجد هناك مجمـــوعة من المعوقات والعـــراقيل والروتين تقف باصرار فى وجه تحقيـــق كل ذلك • وقال ان المشكلة فى الواقع بالنسبة لنا محصورة فى ان امكانيات البحث العلمى ليست على المستوى المطلوب ثم قال ان كل شىء معد وجاهز فالعلماء موجودون ولكن كل ما نريده هو مقدمات البحث العلمى وتقدير جهود الباحثين وتوافر المال والقضاء على الاجراءات الروتينية التى تثبط همم البـــاحثين وتجعلهم يعزفون عن البحث ويحددون نشاطهم، واحيانا يغـــادرون الدولة الى دولة اخرى ••

● وبعد ذلك تحدث السيد الدكتور محمود على حسن نائبا عن السيد المهندس ابراهيم سالم محمدين وزير الصناعة مختتما كلمات المتحـــدثين

ندوة "الهلال" العلمية

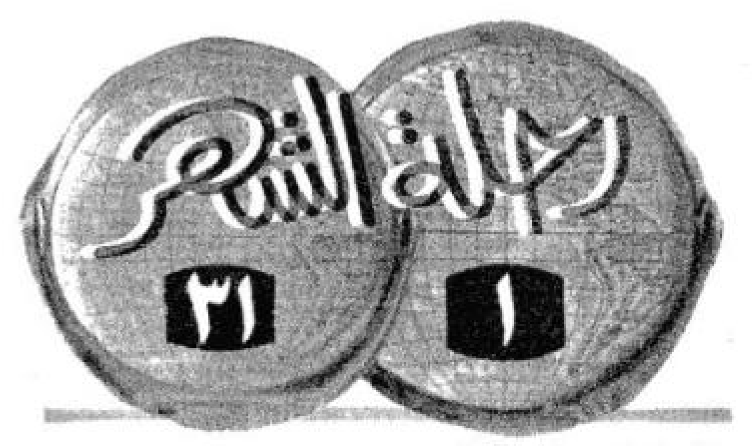


ندوة « الهلال » مع رؤساء المؤسسات والشركات الصناعية ، ورجال البحث العلمي

فقال انه كان من المفروض ان يحضر السيد وزير الصناعة هذه الندوة ليشارك فيها بالكلام عن الاستفادة الكاملة من جهود مراكز البحث العلمي وكان المفروض ان اتكلم انا ايضا عن مراكز ومعامل البحوث بالشركات الصناعية ودورها في تطوير الصناعة حاليا ومستقبلا ، وقد طلب منى السيد الوزير ان انوب عنه بالقاء الكلمة التي كان من المفروض ان يلقيها وقد وجدت

ان كلمتي وكلمة السيد الوزير مرتبطتان ببعضهما فدمجتهما في كلمة واحدة . ثم تحدث بعد ذلك عن اثر البحث العلمي التطبيقي في تطوير الصناعات في البلاد المتقدمة وعن عدم وفاء البحث العلمي في مصر بمثل هذا الدور . وقال ، ان العامل الرئيسي في ذلك هو تلك الفجوة الكبيرة التي كانت قائمة بين رجل البحث العلمي ورجل الصناعة وكان من نتيجتها ان اتسمت معظم البحوث المحلية بالطابع الاكاديمي البحت الذي لم يعد قادرا على الخروج من حيز المعمل الى مجالات التطبيق الفعلي على المستوى الصناعي ، ثم تحدث بعد ذلك عن اسلوب الربط بين مراكز البحث العلمي داخل وخارج الصناعة .

ثم اعلن بعد ذلك فتح باب المناقشة التي استمرت اكثر من ساعتين أجاب فيها السادة الوزراء عن بعض الأسئلة الهامة التي طرحت كما تحدث معلقا على الندوة كل من السادة الدكاترة والمهندسين حسن عشماوي وحسن ناجي وعبد الفتاح اسماعيل وعلى مرسي ومحمد شوقي غانم وأحمد توفيق وغيرهم، وستقوم مجلة الهلال بنشر الندوة كاملة في العدد القادم ...



الملتقى الإسلامى في الجزائر

ستكون رحلتي في الشهر القادم الى أرض الثورة . ارض البطولة ... ارض المليون شهيد : الجزائر الشقيقة ...

وستكون هذه أول مرة ازور فيها هذا البلد الحبيب ، الذى شاطرناه الامه وآماله ، وتنسمنا ادبه وشعره وفنه من بعيد ، وتابعنا قصة كفاح علمائه الاجلاء – وعلى رأسهم الشيخان ابن باديس والبشير الابراهيمى رحمهما الله – فى سبيل قضية العروبة والتعريب ..

أما رحلة الجزائر ، فهى دعوة الى المشاركة فى « ملتقى التعرف على الفكر الاسلامى » فى مؤتمر كبير يعقد فى مدينة « تيزى وزو » وقد دعيت اليه شخصيات بارزة من العالم الاسلامى ، ليدور البحث فيه حول النقاط الاتية :

١ – روح الشريعة الاسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الاسلامى

٢ – المؤامرات التى تعرضت لها وحدة الامة الاسلامية بالامس ، ويتعرض لها ما تبقى منها اليوم ، من طرف الصهيونية وغيرها ، وما يجب علينا حيال ذلك ..



الرئيس هواري ومدين ...

٣ ـ نشاط التبشير ودوره الاستعماري التخريبي بالامس واليوم ، وما يجب القيام به ازاء هذا الخطر ٠

٤ ـ اخطار العزلة والاندماج التى يتعرض لها ابناء الجاليات الاسلامية فى الهجرة ، وواجب الدول الاسلامية نحوهم

٥ ـ دور وسائل التاثير على الجماهير ، وخاصة منها الصحافة والسينما والتلفزة فى البناء أو التخريب الذاتى لما تبقى من الامة الاسلامية ، المفروض انها فى صميم معركتها لاسترجاع نفسها ، ومسئولية هذه الاجهزة فى مكافحة أو نشر جنوح الاحداث ، بل والاجرام نفسه ، والانحلال الخلقى والالحاد

ومن أجمل الزوايا فى هذا اللقاء الكبير ، أن الجزائر قد حشدت للاستماع اليه نحو الف من شبابها ، طلاب المعاهد والجامعات ، حتى يتبصروا امور دينهم ويدركوا ما تتعرض له امتهم من اخطار ، ليعدوا عدتهم للمواجهة الآمنة البناءة فى مستقبلهم القريب

الشعراء والنقاد

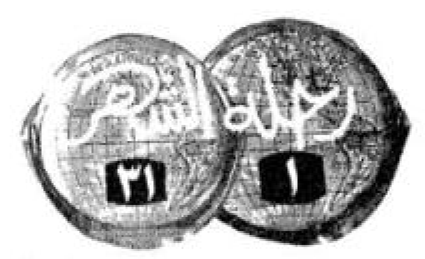
ابغض الناس للشعراء هم النقاد ٠والكراهية بين الفريقين تاريخية وتقليدية ، كالكراهية بين الحماة وزوجة ابنها

وكان العقاد ـ رحمه الله ـ شاعرا وناقدا فى الوقت ذاته ٠ ولكنه كان يكره النقاد ، ويقول انهم قوم يعيشون عالة على الكاتب الخلاق ، اى الشاعر والقاص ٠

وقد كنت اشاركه فى هذا الشعور ، ولكن ينبغى لى ان اوضح ان كراهية العقاد ـ وأنا معه ـ للنقاد ، لها اطار محدد ، هو كراهية النقاد الذين يكتبون ليهدموا ، والذين يتسقطون الاخطاء ٠٠ حتى الاخطاء المطبعية ٠٠ لينالوا من الادباء الخلاقين

أما النقاد بالمعنى العلمى ، أى الدارسون ، الذين يتناولون العمل الادبى بالدراسة ، ليكشفوا عن النواحى الجمالية فيه ، ولا يقصرون همهم على نبش المثالب ، فهؤلاء يستحقون أن ننحنى لهم اجلالا

بهذه المناسبة ٠٠٠ نشرت زميلتنا « الاديب » اللبنانية مقالا للكاتب الشاعر العراقى المعروف هلال ناجى عنوانه « الشعراء ونقادهم » أورد فيه ذكر العلاقات المشوبة دائمـ



بين الشاعر والناقد ، ثم جاء ، على سبيل المثال ، بهذه الابيات للشاعر الكبير احمد الصافى النجفى :

ساشكر نقادى اللئام ، لانتى
ركبت عليهم فى طريقى الى المجد
فان قصروا فى السير يوما وخزتهم
فثاروا وساروا مسرعين من الحقد
يضجون من حقد ، واضحك هازئا
بهم وهمو يجرون من دونما قصد
ولو عقلوا يوما رمونى الى الثرى
ومن اين تأتى للسوائم بالرشد
ومن يعل شخصا قاده كمطية
وخير المطايا مازج اللؤم بالنقد

حول عدد "أطباء أدباء"

نحن نقول لقرائنا الاعزاء دائما أننا حينما نتناول فى أحد اعداد « الهلال » موضوعا خاصا ، كالادباء العشاق فى هذا العدد مثلا ، فان صفحات « الهلال » لا تتسع لجميع ابطال هذا الموضوع ، ولهذا فاننا نكتفى باختيار النماذج المعروفة منهم ..

وقد جاءتنا ، على اثر صدور عدد « الاطباء الادباء » رسائل كثيرة عن نماذج اخرى جديرة بالاحتفاء ، نجتزىء منها بالرسائل الثلاث التالية :

السندباد الطبيب

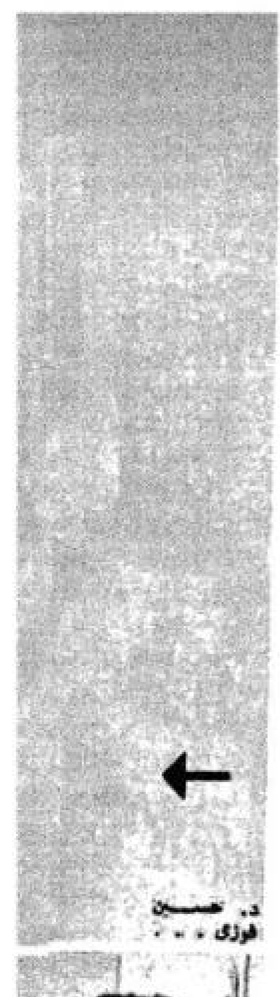
احسنت مجلة « الهلال » ، باصدارها عددا خاصا تناول بالدراسة والبحث حياة الاطباء الادباء بيد ان المجال لم يكن متسعا لتستوعب صفحات العدد كل هؤلاء الذين نذروا حياتهم لممارسة الطب والادب ، او جعلوها منصورة على كل شطر منهما .

ومن هؤلاء استاذنا الذى مارس الطب في مستهل حياته العملية ، والذى اختار لنفسه اسم السندباد ، حيث ينال لنا الاسم موجزا من حياة قلب حائر لا يستقر ولا يهدأ ، يؤوب ويرحل بين منابع الثقافة يطوى الزمان والمكان فى رحلة خالدة نحو المعرفة

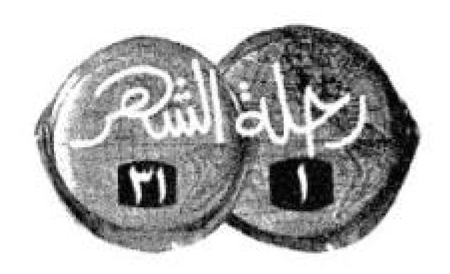
لنبدأ الرحلة من أولها ، حيث يقف العقل المستنير خاشعا وصاغرا أمام محيط بعيد القرار من تراث الانسانية لا بد ان يجتازه كي يكون لوجوده معنى وتصبح حياته رحبة وغنية ..

لم يكن على حد قوله قد بلغ السادسة أو ربما الخامسة ، حين أخذه والده الى دكان حلاق يونانى ، فطالع الصبى على جدران الحانوت لوحات لم يفقه منها شيئا وظل أمرها غامضا عليه ، وان انطبعت صورتها فى ذهنه . حتى يعلم ابان سنى نضجه وتلقحه انها لوحات استوحاها رساموها من اناشيد الياذة هوميروس ، فيقرأ الاناشيد ويعود بذاكرته الى حانوت الحلاق ، آخيل ينتقم لصديقه ويقتل هكتور بن فريام ، ويمرغ جثمانه فى الرغام مجرجرا اياه وراء عربة تدور حول أسوار طروادة ، وهذا هكتور يودع زوجته قبل ان يخرج للقتال ولوحات اخريات كلها من آثار اجداد الحلاق اليونانى وخلال رحلة المعرفة تتوطد علاقة الدكتور حسين فوزى بجماعة اطلقت على نفسها « جماعة المدرسة الحديثة » . كانوا يطالعون ويناقشون الادب الروسى العظيم قبل الثورة البلشفية ، ويبحثون عما جاءت به تلك الثورة من ادب جديد ، ثم ينصرفون الى الآداب اليونانية القديمة ، والانجليزية ، والفرنسية ، والالمانية ، وينفعلون بتاريخ بلادهم كله ، فرعونيا وقبطيا ، واسلاميا

يشير الدكتور حسين فوزى الى هذا الشاب الطالب بكلية الطب او على حد قوله بمدرسة الطب قائلا : « كان يقرض الشعر ، ويكتب القصص وينتقل بين الكتب فى لغته . وبين الكتب فى اللغات الاجنبية التى يعلمها ، ويترجم من شعرها ونثرها ، ولم تمنعه دراسته الطبية من



د. حسين فوزى . . .



الانضمام الى المدرسة الحديثة ، كما مارس النقد الموسيقى »

وهنا يبدأ صراع يعتمل فى نفسه ، ويدوم حقبة طويلة فى حياته ، كيف يوفق بين هواياته الملحة دوما ، وواجبه ، كيف يعيش حياة يتنازعها الواجب والهيام ، ويفلح فى احداثتوازن بين الواجب (والعلم) والحب (الفن والأدب) دون ان يطغى احدهما على الاخر ، ولنترك له الاجابة عن تساؤلاته « استطعت ان اخضع عواطفى الهوجاء لقياد العقل المفكر المدبر وذلك بفضل المنهج العلمى والنظام الصارم الذى يقضى به »

وبعد تخرجه فى كلية الطب وعمله فى مستشفى الرمد بالجيزة ثم انتقاله الى طنطالممارسة مهنته كطبيب عيون نقول بعد هذا يقرر بلا تردد ان يسافر بالبعثة العلمية الى فرنسا لدراسة الاحياء المائية ، وهو شاب فى الخامسة والعشرين وعاد بعد خمس سنوات مديرا لمباحث الاسماك لمعهد الاحياء المائية والمصايد ·

أحب عمله ، وشغف بهواياته ، شغفا لا يتطرق اليه ملل فها هو فى العقد الرابع من عمره ، بعد انتهاء الحرب ، وانقضاء سنوات عمادته لكلية العلوم ، يفاجأ بجو من الفراغ ، واذا بالموسيقى تشير اليه من بعيد ، فيندفع لدراستها ويكتب عن هذه الفترة قائلا : « الا يدرس المرء البناء الموسيقى الا ليؤلف الموسيقى ــ لم اعرف حماسا فى دراسة حتى ولا فى الكشف عن اسرار الحياة المائية · مثل حماسى لهذه الدراسة الجديدة »

وظل فى كده ومثابرته حتى اضحت مطالعته لكتب الصنعة الموسيقية تشبه ان تكون مطالعة روايات اخاذة ، ورغم درايته بهذا الفن ودراسته العلمية الدقيقة لاصوله ، نجده يعرض عن فكرة التأليف الموسيقى ·· فتنمو ملكة النقد الفنى فى عقله · كانت تحذره من ارتياد هذا المجال ، فاكتفى بأن ساعد بنى وطنه على فهم هذا العالم السيمفونى العجيب ، وبرنامجه « شرح وتحليل للموسيقى السيمفونية » بالبرنامج الثانى مساء كل جمعة ، ما يزال قبلة الاذن

احمد الصالح التجلى · ·



الموسيقية الرفيعة وملاذ كل من يقف حائرا ومذهولا امام اسرار البناء الموسيقى ، يأخذ بأيدينا ويحلق بأرواحنا فى اعلى عليين ، بصحبة اساطين الموسيقى بيتهوفن وهايدن وموزار ومؤلفاتهم الخالدة فى فن لا يرقى الواحد منا الى فهمه الا مزودا بثقافة طيبة ، وتدريب معين ·

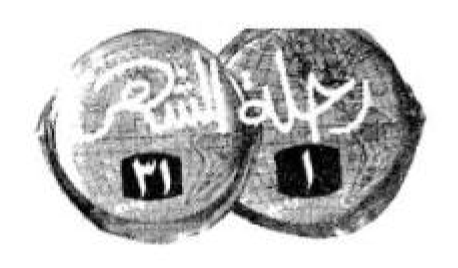
وحين نتناول انتاج الدكتور حسين فوزى ، واغلبه رحلات فكرية فى الزمان والمكان لن نستطيع فى هذه العجالة ان نعرض لكل عطائه المتنوع ، ولا نملك الا ان نشير فقط لنتاجه الفكرى والذى بدا بمقالات وقصص قصيرة الى الصحف والمجلات ، ثم صدر له كتاب سندباد عصرى ، عبارة عن رحلات بحرية لسفينة مصرية خرجت الى البحار البعيدة ، وكتاب حديث السندباد القديم الذى نشر فى مطالع عام ١٩٤٣ · وهو كتاب وضع فيه كاتبنا خبرته بالبحر وعلومه وبالآداب البحرية من معارف واساطير وقصص ·

وكتاب — سندباد مصر — جولات فى تاريخ مصر لم يحد فيها حذو المؤرخ · وكتاب سندباد الى الغرب ، مجموعة انطباعات جاء بها بعد رحلاته الى اوربا ، البلاد التى احب حضارتها · ووجد فى تعمقها وسبر اغوارها خلاصا لبلاده وكتاب — سندباد فى رحلة الحياة — يقرر فيه أنه لا معنى لرحلة الحياة ان لم تجد فيها الاجيال دروسا وعبرة ، ومشيرا الى ان العبقرية اولا واخيرا عمل ودأب · وغوص فى اغوار الثقافة الانسانية الشاملة بكل انواعها وتياراتها · ويترك لنا بعد رحلة بالسيارة فى اوربا وشمال افريقيا ، كتاب (سندباد فى سيارة) ·

اما الموسيقى التى جرى اليها بشوق المحب الوامق · عناه الهجران · وارقه البعاد ، فيكتب لنا كتابا فى التذوق الفنى للموسيقى السيمفونية ··

وتأتى كتاباته فى أسلوب لا تكلف فيه ولا صنعة ، يشعر الانسان حين يقرؤه انه يجلس اليه ويستمع الى صوته ، له طريقته فى الخروج عن ادب اللغة ، وفى هذا يقول فى حوار بينه وبين الدكتور طه حسين : « ستعرف عنى نوعا من الشقاوة اداعب بها اللغة فالوى رقبتها بلطف كما يلوى الحبيب رقبة حبيبته · لا ليقصفها بل ليقبل فمها » حياة ثرية وحافلة ، عانى فيها حيرة وارقا لكنه ارق وليد النبل ، كما يقول توماس مان : « لا بد لتلك النفوس الكبيرة التى تشعر بمسئوليتها الضخمة نحو الحياة ، ومصير الانسان ان تعانى دائما من ارق وليد النبل » ·

احمد كمال الجزار
طبيب



سوري في القاهرة

يسرني ان اقدم اليكم اديبا طبيبا لم يلمع اسمه بعد في سماء الشهرة وهو الطبيب الشاعر غسان الصبيح وقد تعرفت على هذا الشاعر سنة ١٩٦٨ في نادي الهواة في القاهرة • والشاعر من سوريا وهو من مواليد سنة ١٩٤٥ يتصل نسبه بسيف الدولة الحمداني (كما ذكر لي) جاء الى القاهرة ليدرس الطب وتخرج منذ عامين •

التقينا في نادي الهواة واعجب كل منا بالاخر وكنا نطمع في نشر اشعارنا في مجلة النادي ، وذات يوم اقترحت على الصديق ان نتقدم لمسابقة المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب وذلك في مشروع الكتاب الاول •

وتم لنا الاشتراك في المسابقة • فشل ديواني واجيز ديوان غسان الصبيح وتم نشره باسم (الواقفون في العاصفة) • وكان يريد الشاعر ان يسمى ديوانه « لا » واستشارني ذات يوم في ذلك فقلت : ان الكلمة صغيرة وسوف تضيع في زحام الكلمات • وجاء اسم الديوان ، الواقفون في العاصفة = لا

ومن قصيدته « شعرها » :

تساءلني في دلال خفي
وزهو يرف على الاحرف
اراق لعينيك يا شاعري
واومت الى شعرها المترف
فقلت لها : اطلقيه حرام
جدائله السود ان تختفي
فهب الربيع على خدها
ورودا ترفرف لم تقطف
ومالت باهدابها الناعسات
لتلهو باحساسي المرهف
فقلت : وعدت بان تنشريه
ليسبي العيون فلا تختفي

ـ ر.يف العذراء السوداء ـ فارس مدينة القنيطرة ـ

فحررت الشـــــعر من قيده
فـــــال على قدها الأهيــف
غلى ·· تلــــوى على خصرها
يعـــــانقه كالحبيب الوفي

وديوان الطبيب الشاعر غسان الصبح باقة من الشعر الشرق يجمع ما بين الشكل التقليدى والحديث وبه الوان وطنية معظمها على لسان فلسطين ، والغزل يكمل النصـف الاخر ، والديوان ليس به قصائد وجدانية · واشــعار الديوان هو ما نظمه فى مصر وهناك فى ســوريا بقايا الالحان الحانية ·

● القاهرة ● ● محمد حسن داود ●

أطباء أدباء من سورية

حفل عدد « الهلال » الخاص ـ مارس ١٩٧٣ ـ بالادباء الاطباء · بتراجم وسير عن اطباء ادباء فى مصر والعراق والغرب · ولم يرد فيه أى ذكر لاطباء أدباء من سورية · وهانا اذكر بعضهم :

د· توفيق سلوم (١٨٧٢ ـ ١٩٥٦)

ولد فى حماه ســـنة ١٨٧٢ · درس الطب فى الجامعة الامريكية ببيروت عمل طبيبا فى حمص ثم مديرا للصحة فى حماه · كما عمل بالتعليم فترة من الزمن فى مدرستى بشمزين وبطرام (فى لبنان) · نال عدة أوسمة منها الوسام الفضى العثمانى ، ووسام الاستحقاق السورى ·

كان رحمه الله شاعرا ناثرا خطيبا ·· من جميل شــعره قوله :

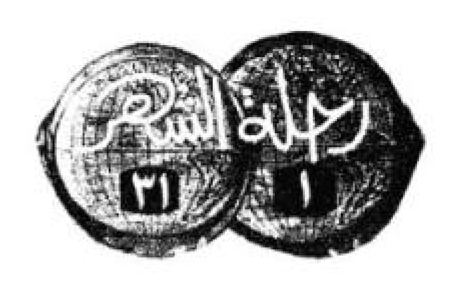
ما مر ذكر أحبتى بفــــؤادى
الا وذبت تشـــــوقا لبلادى
هيهات افتر لحظـــــة عن ذكرها
تلك الديار وذكر ذاك الـــــوادى
وجمال (عاصيه) الذى قـــد تاه فى
برد الفخار بأسهل ووهـــــاد
لله موقعهـــــــــا وبهجتها ومو
قع كل صــــــقع مثلها أو نادى

جمعت ابنته سعاد سلوم نصير مختارات من شــعره ونثره ونشرتها فى كتاب طبع عام ١٩٦٥ ··

د · على الناصر (١٨٩٠ ـ ١٩٧٠)

ولد فى حماه وتعلم فى كتابها ، واتم دراسته الثانوية فى دمشق · وسافر الى استانبول ودرس الطب فى الكليـة

←



الطبية العسـكرية العثمانية الشاهانية • وتخصص فى الامراض الجلدية والزهرية • استقر فى حلب منذ تخرجه فى عام ١٩١٧ • مات غدرا بعد ان اطلق عليه مجهـول الرصاص وهو فى عيادته يزاول مهنته •

من آثاره المطبوعة ، البلدة المسحورة ، بن الدموع (كتابان نثريان) وقصة قلب ، الظمأ ، اثنان فى واحد (دواوين شعرية) ••

اغلب شعره مقطوعات قصيرة • وهذه احدى قصائده :

حتى التوافه امسـت ، فى نذالتها
تبدى التحدى •• وما كانت تحدانى
ويح الستين ! وليست ذات معرفة
بما تجاهـد فى تقـويض اركانى
أشد ظهرى ، وامشى حـاملا ثقلى
أبى الخضـوع ، وأبى ذل خسرانى
أمشى فاسمع نعيى اينمـا اتجهت
اشواق نفس كأن الكل ينعـانى

د• وجيه محيى الدين (١٩٠٩ ــ ١٩٣٩)

ــ راجع الهلال ــ العدد (١١) نوفمبر ١٩٧٢ ص ٦٨

د • صبرى القبانى

شيخ أطباء سورية • عمل بالصـحافة مدة من الزمن • اسس مجلته الشهرية (طبيبك) فى مطالع الخمسينات وما زالت توالى الصدور بانتظام حتى يومنا هذا •

اغنى المكتبة العربية بمؤلفاته العديدة ومنها : حياتنا الجنسية ــ الغذاء لا الدواء ــ جمالك سيدتى ــ اطفال تحت الطب ــ قلوب الاطباء ــ غرائب فى مملكة الحيوان •

د • عبد السلام العجيلى

واحد من رواد القصة السـورية ، واوفرهم انتاجا • درس الطب • ومارس الكتابة له العـديد من المؤلفات المطبوعة فى القصة والرواية والشعر وادب الرحلات منها : بنت الساحرة ــ ساعة الملازم ــ قناديل اشبيليه ــ الحب والنفس ــ الخائن ــ الخيل والنساء ــ باسمة بين الدموع

حكايات من الرحلات ـ دعوة الى السفر ـ المقامات ـ احاديث العشيات . وغيرها ..

الدكتورة انعام مسالمة

صفحة مشرقة من صفحات الادب النسوي في سورية . تخرجت في كلية طب الاسنان بدمشق وفيها عيادتها ومسكنها

مارســـت فن القصة ، ونشرت العديد من القصص في مختلف مجلات القطر وصحفه . وايضا في بعض المجلات اللبنانية .

وبعد ، فهذا ما وعته الذاكرة . احببت ان يضـــاف الى العدد الخاص ، اطباء ادباء ، تكملة للفائدة

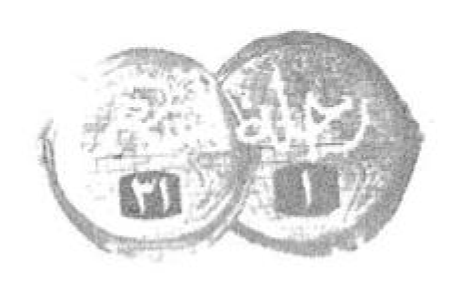
● اللاذقية ● ● هاشم عثمان المحامي ●

حوار بين العقاد وولده

العقـــاد في مكتبه ، وحوله الكتب في كل مكان . لقد غزت كتبه المطبخ ، يجلس العقاد على مقعد امام مكتبه ، وبيده كتاب عن الحشرات يقرأ فيه بدقة ، ويراجع ما يقوله مؤلفه على المراجع الموجودة بمكتبته الكبيرة الضـــخمة ، فيدخل طباخه الامين احمد حمزة حاملا كوب الليمون الذى اعتاد ان يتناوله ، فيأخذه منه ، ويرشف منه على فترات ، وبجواره مذياع ضخم مغلق تعلم الصمت ، فصمت واجاد . وحول عنقه كوفيته المشهورة ، وبيده سيجارة قاربت على حتفها ، وفوق رأسه طاقية بيضـــاء من غير سوء ، وفى تلك اللحظات الشاعرية الجميلة يدخل عليه ابنه الموجود فى الغيب ، ابنه الذى لم يولد ، ويقطع عليه خلوته ، ويطلب منه ان يجيب على تساؤلاته ، فيشاف العقاد ان يذهب وقته سدى ، فيوافق على ان تبدأ فورا ..

الابن : ابى طال انتظارى للحياة .. اتمنى ان اراك .. طال شوقى اليك .. متى ستسمح لى بالحضور الى الحياة ؟.. متى اللقاء ؟ ..

العقاد : ابنى .. يا فلذة الكبد ، يا نعيم الفؤاد .. لقد رحمتك من الدنيا ، رحمتك من عذابها وشقائها ، الحيـــاة لا تطاق ، ثلاثة ارباع قرن تتقاذفنى الامواج ، تارة اكون فى الافق ودوما اكون فى هاوية تلك العالم السحيق .. رحمتك من كل هذا .. افلا تشكر ..



الابن : ابتاه ·· الدنيا وما حدث لك فيها ليس سببا كافيا يمكن تصديقه ، لا يمكن ان اسلم به تسليما ، فهل من سبب اخر ؟ ··

العقاد : تحيرت فى امرك يا ابنى العزيز ، اشارة أسباب حيرتى تكمن وراء حروف لم اضع عليها نقاطا ، وان كان تساؤلك يدعونى لسرد ما اكتمه من ذكريات ومخاوف ، خوفى من خيانة المرأة ، لقد خانت رغم ما أودعته من حب واكبار لها ، ما اظن رجلا عرف المرأة اكثر منى ، انى اخشى ان يكون لى ـ يوما ما ـ ابنا مثلك يعرف رفاقه امه اكثر من ابيه ، فاحمد الله يا بنى على تلك النعمة ولا تكن ثرثارا ·· !

الابن : ابتاه اجدك فى كل اجابة اقرب الى الوعظ من تحرى الاسباب ، فلا اريد ان اسمع بل دعنى ارى الدنيا ، واحكم عليها فقد قيل « لا تقل لى شيئا بل دعنى ارى » ·

وفى هذه اللحظة يظهر على العقاد جد طارىء فوق جده الفطرى الذى اشتهر به ، وينهض من مكانه ، ويأخذ الحجرة ذهابا وايابا ، ثم ينظر الى ابنه نظرة طويلة ثم يقول :

العقاد : لن اسمح لك بالحياة ، انا اعلم منك بها ، لن اعطيك اياها فأنت مجادل فقط ، والخير كل الخير فيمن يتعلم الحكمة من غيره ، اما أنت فتريد بطريقتك هذه ان تزج بنفسك فى الهاوية ، انت ثرثار تريد ان تعرف مالك ان تعرفه وتتطفل على ماليس لك ··

الابن : لك ما تريد يا أبى ما دامت هذه رغبتك ··

العقاد :

لا يبلغ الجهل منكم فى ســــعادتكم
ان تحسبوا كل من فى الارض جـذلانا

ابنى العزيز : لما علمت ذلك من الحياة ضاق صدرى ، وخشيت عليك منها ، وآثرت الا اكون مجرما فى حقك ، وتسخر منى وتسبنى على فعلتى بانجابك ، وتمثلت بقول القائل :

واذا اردتم بالبنين كرامة فالحزم اجمع تركهم فى الاظهر(١)

● بلقاس ـ دقهلية ● ممدوح المغربى ●

---

(١) الابيات السابقة من شعر العقاد اما هذا البيت، فصاحبه ابو العلاء المعرى ··



بين التخصص والخلط

رسالة رقيقة ، من القارىء الاديب « عبد العزيز الزبيرى - تعز-اليمن » يجيء في بعض عباراتها الحلوة وصفه لهذه المجلة بأنها « المجلة الادبية الوحيدة فى الوطن العربى ، المتخصصة ، التى ترفض الخلط والتناقض فيما تحتويه صفحاتها ، على غير ما تفعل المجلات الاخرى ، وفى الوقت الذى أصبحت مجلات الجنس فيه تملأ الاسواق وتغمر رفوف المكتبات » .

ونحن نشكر لقارئنا الاديب حسن ظنه بنا ، ونأمل ان نكون عنده دائما ، وان كان بعض القراء يختلف فى الرأى حول الاعداد المتخصصة ، ويؤثر الخلط على التخصص .

ونحن نحاول ان نوفق بين الرأيين ، فنجعل العدد متخصصا فى الجزء الغالب منه ، ونفرد بقيته للموضوعات المنوعة ، مؤمنين بأننا بهذه الخطة نؤدى خدمة أكبر للثقافة العربية والعالمية ، اذ نضع بين يدى القارىء فى كل عدد كتابا متخصصا ومجلة منوعة فى وقت معا .

تمسكوا بالمجلتين معاً

ومن القارىء اليمنى العزيز ذاته ، ومن غيره من القراء الاعزاء فى مختلف أنحاء الوطن العربى ، نتلقى منذ مطالع هذا العام شكوى واحدة متكررة ، هى أن بعض باعة الصحف يبيع مجلة « الهلال » دون ان يرفقها بابنتها « الزهور » .

وقد وجهنا عناية الشركة التى تتولى توزيع مجلاتنا الى هذا العبث الذى تلجأ اليه قلة مهتزة الضمير من باعة الصحف، لتبيع كلا من المجلتين على حدة ، بثمنين طبعا ، مع ان ثمنهما معا هو ١٢ قرشا دون تجزئة .

ولعل القراء الاعزاء يساعدوننا فى مكافحة جشع هذه الفئة ، بالتمسك بطلب المجلتين معا بهذا الثمن ، وعدم قبول واحدة منهما دون الاخرى بأى ثمن ...

● ص . ج ●

فيض أحمد فيض



الشاعر فيض احمد فيض « الى اليسار » مع السيد محمد اسلم ملك سفير باكستان بالقاهرة

كان يوما من ايام الشتاء الباردة تساقط فيه الرذاذ في الصباح في اقليم الحدود الشمالية الغربية البعيد في اواخر الثلاثينات من هذا القرن، ولكن الرذاذ ما عتم ان تحول الى ما يشبه الضربات القوية التي حملتها الرياح العاصفة عبر الجبال السامقة ·

كان هذا الصباح غائما مليئا بالابخرة ، ولكن صوتا موسيقيا ترامى الى سمعي وملك على حواسي · سمعت الصوت يقول :

« أيها القلب ·· انصت الى ثانية
« لماذا لا تفعل ! ·· هل انت عابر سبيل
« يمضي في طريق اخر ؟ ··
« لقد هبط الظلام وبان لألاء النجوم المعتمة
« وتمايلت فتيلة المصباح
« اطفيء النور
« واذهب بعيدا مع الكاس والنبيذ
« وغلق عليك ابوابك التي تتثاءب من الارق
« فان احدا لن ياتي بعد الان اليك »

كان هذا أول عهدي بشعر « فيض » الذي احتل في نفوس قومه منذ أول لحظة مكان الحب والاعزاز ···

في ذلك الوقت كان الغرب يتهيأ لخوض معركة حياة او موت ، وبدت مدينة بشاور خلال الحرب العالمية الثانية وكانها بعيدة جدا عن الامور حيث كان يعقد « فيض » جلساته ويتغنى بشعره · ولم يكن طريق البر الذي يصل

بين المدينتين سهلاً ممهدا كما ان السفر بينهما بالجو لم يكن قد اعتاد عليه الناس بعد · وعلى هذا فكانت وسيلة الانتقال الوحيدة ، القاطرة التي كانت تقطع المسافة بينهمـــا في اثنتى عشرة ساعة ·

وكان علم بريطانيا يخفق عاليا في سماء الامبراطورية ، كما كان استقلال باكستان وقيامها دولة لمسلمي الهنــد امرا عــده معارضو فكرتها من قبيل المستحيل ·

وكان شعر « فيض » شعرا رقيقـــا ينبض بالحياة ويتسم بالجمال · وكان محببا الى كل النفوس وبدا وكأنه ينظمه وهو واقف على شفا عالم غير محدود يحاول ان يتطلع من نداه الى الورود الباهتة المتمايلة ·

***

حصل « فيض أحمد فيض » على درجة الاستاذية في الادب الانجليزى واللغة العربية من جامعة لاهور ، وعمل محاضرا للادب الانجليزى فيها · ونظم الشعر بعد ان تذوقه من غيره وهو في سنه الصغيرة وكان يغلب على قصــائده الاولى روح الرومانســـية التى سادت أوربا في ذلك الوقت · ومع انه كان ضليعا في الادب الانجليزي الا ان شعره الذى صاغه من بعد ظل يتسم بالتقاليد الشعرية القديمة متأثرا بالبيئة الادبية التى عاش فيها · وقد غلب على شعر آنذاك روح الانعزالية والاسى الذى يطغى على القلب بعــد حب برىء · وكانت اوزان هذا الشعر قصيرة زاخـــرة بالاحلام الحلوة والهدوء ·

ولكن ما عتمت هذه الحياة الهادئة وهذا النظام الاجتماعي القديم ان تغير واختفت بســمات الطفولة حين نشبت الحرب ووصل لهيبها الى شـــتى بلاد العالم · وتساقط اللهب على بني الانسان من الاجواء ومن كل اتجاه مما دعا فيض الى ان يقول : « نحن نعيش في متاهة يحيط بها اللهب من كل مكان » · وكان طبيعيا ان يتحول شعره الى ناحية أخرى ، من حيث الصياغة ومن حيث المعنى ايضا ·

قابلت «فيض» بلندن بعد هذه الحرب وقبل أن يعلن استقلال باكستان ، وكان قد اعد هذا اللقاء صديق عزيز اثيرلدى ، ترك دنيانا هذه الى دنيا البقاء ، هو الاستاذ احمد شاه بخارى الذى كان يحتل في قلب « فيض » مكانة مرموقة ، كما كان المنهل الروحى الذى تزودت منه ·· كان هذا الرجل مفكرا عظيما ذا ذكاء خارق وشعور انسانى مرهف وبصيرة تنفذ الى بعيد ·

ولما عدت الى بلادى بعد قيام باكستان بشهور قليلة ، وكان ذلك عام ١٩٤٨ ، كان « فيض » وقتها يتولى تحـــريرصحيفتين احـــداهما كانت تصدر بالانجليزية ، وهى صحيفة « باكستان تايمز » ، والاخـــرى بالاوردية وهى

فيض أحمد فيض

شاعر يحرك أوتار القلب



صحيفة « امروز » . وكانت كلتاهما تصدران بلاهور ، ولا ازال اذكر القصيدة العصماء التى نشرها على صدر « امروز » بعنوان « فجر الحرية - اغسطس ١٩٤٧ » ، واذكر منها :

« لقد بزغ الفجر الذى لم يغب طويلا
« انه الفجر الذى تطلع الى مشرقه الكثيرون

« ممن اعتقدوا انهم سيجدون لهم محلا بين افلاك النجوم
« او مكانا انحسر عنه المد استطاعوا ان
« يلقوا فيه بمرساة سفينتهم بعد طول عناء » .

كان النــاس يومذاك يتطلعون الى شقاء العالم بمزيج من المرارة والشجن والعطف . وفى هذا الجو المشحون بكل هذه المشاعر والاحاسيس اجتمعت انا وصديقى غلام عباس ، وهو كاتب كبير مجيد ، بالشاعر « فيض » ، ولكنا وجدنا انه لم يتغير كثيرا عما كان عليه ، فقد ظلت عيناه تلمعان ببريق الحلم الجميل وكان صوته رقيقا هادئا لا يكاد يسمعه الجالس اليه وكأنه يناجى نفسه . وكان اهم ما يتميز به « فيض » حبه لاخوانه وتعاطفه مع غيره من النــاس . وقد ظلت هذه الصفات معه طوال حياته .

و « فيض احمد فيض » شاعر من قمة رأسه الى اخمص قدميه وهو فى ميدان الشعر الاوردى فارس مجلى تمكن من فنه وطوع قوافيه لما يريد ان يقول. وفى شعره يجد الانســان فكرة كما يحس باحساس غريب جديد ، ولذلك فقد ضرب بشعره فى كل الميادين .

وقد عزل « فيض » شعره عن مؤثرات المادية لانه تألم منذ البداية بالنضال الذى نشب بين عالم المادة وعالم الخيال

كان الانسان يشم من اشعاره الاولى عبير الثرى فى ليلة من ليالى الربيع هطلت فيها الامطار غزيرة ، ويتطلع من خلالها الى فجــر مشرق لامع . وكان الشاعر محمد اقبال يصف امثاله « بأنه حمام الدم الذى كانت تتلاحم فيه ملايين النجوم » .

وقد اضاف « فيض » الى شــعر الاوردية الفاظا موسيقية كثيرة استطاع من خلالها ان يصــور للعالم جمال الطبيعة فى بلاده احسن تصوير . وقد زخر شعره بحب وطنه بعد ان كان مليئا بحبه التقليدى لمرحلة الشباب . وفى هذا يقول :

« وهكذا احببت عشيقتي ، وهي بلادي
« بقلب لا يزال غيورا كما كان من قبل
« وهو ينبض بحبها طوال الوقت
« لقد أعطيت هذه الحبيبة روحي ولحمي وكل ما في

« لقد ناديتها بالبسمة عندما فرحت
« وبكيت بالدموع عندما اصابها القرح »

وكان يتنسم عبير الهواء سيان كان طليقا او كان حبيسا وراء قضبان السجون · كان يقول :

« عندما انظر من خلال نافذة سجني الى الخلاء
« ارى وكان شعر حبيبتي يتهادى ويتمايل بتمايل النجوم المزركشة

« وعندما ارى القيود وهي تتحكم فيها
« ارى من خلالها اول شعاع من طلائع الفجر »

وقد أثرت الايام التى قضاها فى السجن لوطنيته على نفسه وتركت فيها احساسا غريبا بالغموض وبالحزن ثم بالرقة والدعة · وفى قصيدة نظمها وهو فى سجنه يقول :

« اذا انتزعوا مني الحبر والقلم
« فهل اشكو انا الذى غمست اصبعي فى دم قلبي ؟

« واذا الجموا لساني فهلا يكون هناك لسان لي
« في كل حلقة من حلقات السلسلة التى قيدوني بها ؟ »

وكثيرا ما يحس الانسان بمثل هذا الشعور خاصة فى المقدمة التى كتبها لكتابه « اليد من اسفل الصخر » وفيها يقول :

« السجن تجربة حقيقية شأنها شأن تجربة الحب ، ففي الحالتين تنفتح فجو تنفذ منها الفكرة الجديدة والنظرة الى المستقبل · فى السجون تشتعل نيرا الشباب وتزدهى أنوار الصباح ويبين الغسق وتزدان السماء بلونها الازرق كل ذلك يحس به الانسان فى سجنه وهو فى غيبوبة وفى نشوة · الزمان والمكان خارج القضبان اصبحا زائفين ، والاشياء القريبة اصبحت فى غير متناول اليد · واصبح الغد والامس متلازمين الى حد ان غدا بعض الوقت وكانه ابد ، كما بدا فى وقت آخر وكانه جبل زاخر بأحداث الامس » ·

ويقول فى قصيدة نظمها وهو سجين :
« ان قلبي الآن خلاء لم يمر به احد

« لقد تركت الوحدة والعزلة بستان الالم دون ماء
« ليس هناك من يضفى على زهور هذا البستان اللون القرمزى »

والواقع ان شعر « فيض » مزيج من الواقعية والملاءمة والمفارقة ، وله العذر فى ذلك لان الظروف التى نظم فيها قصيده كانت تختلف المرة عن الاخرى ، ولكن يمكن ان يقال انه وان كان رومانسيا الا انه واقعى كذلك ، على انه يغلب عليه احساس حقيقى بالجمال ، احساس يمس شغاف القلب ويحرك أوتار نفس الانسان ·

● محمد أسلم ملك ●
● سفير باكستان بمصر ●





تحقيق ● عاطف مصطفى ●

المرأة والحب كلمتان ، ولكنهما كلمة واحــدة ، وهما عنصران لهذه الحياة ، وفى الوقت نفسه عنصر واحد يستمد منه العمران وجوده ، ويستمد منه الفن بقاءه وخلوده .

فالمرأة هى الحب ، والحب هو المرأة ، ولا حياة بغير هذا الحب وقد تغنى الرجل بهذا الحب منذ القدم ، ولولا المرأة ماكان المجتمع ولولا حب المرأة ما كان العمــران ولا كانت الفنــون الجميلة التى تنطق بسر الحياة وجمال الطبيعة وتعبر عما اســتكن فى النفس الانسانية من آمال واحلام

وهذا لقاء مع نخبة من المــع كتابنا العشاق ، تحدثوا عن اثر المرأة فى حيــاتهم ، وادبهم وما استلهموه من خلال حبهم لهــا ، ومدى تأثرهم بجمالها وسحرها ، وحنانها وعطفها فمنهم من تــأثر بحنانها وعطفها كام ، ومنهم من كان اعجابه بها خير دافع لنتاجه الغزير المملوء عاطفة وحبا ..

أحب المرأة وأحترمها "يوسف السباعي"

الحب يعاصر كل سن "فكري أباظة"

أجازة من الحب إلى أن تنتهي النكسة "صالح جودت"

أينما أجد الحب أتوجه إليه "د. يوسف عز الدين"

الشاعر يعطي أكثر مما يأخذ "أحمد رامي"

الأم ورحلة النجاح "محمد عبد الغني حسن"

المرأة ملهمة لي دائما "د. رشاد رشدي"

يقول الاستاذ يوسف السباعي « وزير الثقافة » :

اذا اعتبرنا الادب ، هو تعبير صادق أمين عن مجتمع يعيش فيه الادب ، وينفعل بأحداثه ، ويعاني الامه ، ويخوض تجاربه ، ويشارك في صنع مستقبله ، هذا المجتمع الذي

يشكل مجموعة من البشر تعيش في مرحلة من الزمن ، وتشده ارتباطات متشابكة ، وعلاقات متداخلة ، وتحركها الطبيعة البشرية التي تكون

معاني الانسان . هذا المجتمع يتشكل اساسا من عنصرين ، هما : الرجل والمراة .. وتنبع اي تجربة فيه من انفعال احدهما بالاخر ، وتشابك

احدهما مع الاخر ، ونتاج التجربة بين احدهما والاخر ، وبذلك لا يمكن

لاي اديب ان يخلص من تاثير كلا الطرفين معا واحد هذين الطرفين هو المراة ، التي كما قلت تشكل

طرفا فعالا في المجتمع ، لا تتم التجربة الحقيقية الا من خلال تفاعلها مع الطرف الاخر ..

ومن ذلك تبدو اهمية المراة في الادب .. اي ادب ، في اي زمان ، وفي اي مكان اما بالنسبة لي ، فقد تركز تاثير المراة في ادبي على الام

والجدة ، حيث كانا يشكلان اول نماذج للمراة ارتبطت بها في حياتي .. فلتعكس ، الصفا مات ، صورة الجدة الضريرة ولعلي كنيت بها عن



جدتى المشلولة لابى ، والتى اهديت لها أحد كتبى قائلا : « الى أول من روى لى » • واذكر أن هذا الكتاب هو « البحث عن جسد » •

وتنعكس بعد ذلك صـــورة المرأة كام فى « نحن لا نزرع الشوك » وفى غيـــره من الكتب • ولقد كانت امى تمثل شيئا كبيرا فى حياتى بعد أن توفى ابى وانا فى الرابعة عشرة من عمرى ، واســـتطاعت كما قلت فى احدى مقـــدمات كتبى ان تجعل من ثلاثة صـــبية لفهم الحزن ، وكلل بيتهم السواد ، ثلاثة رجال حاولوا أن يكونوا شيئا فى الحياة • ويعكس ابى بعد ذلك شتى العلاقات • علاقات الرجل بالمرأة فى خضـــم الحياة بكل اشكالها ومراحلها •

ولقد كانت المرأة دائما تمثـــل فى حياتى شيئا ثمينا أحس له بالتقدير والاجلال بعد ان ترك فى حياتى دائما أطيب الاثر •



ولعل هذا يعكس الصـــورة التى بدت بها فى جل كتاباتى ان لم يكن كلها • فانا أحب المرأة وأحترمها واقدرها وأجلها فى كل صورة لها • وفى كل مرحلة من مراحل عمرها •

ولعل تجربتى فى الحياة معها كما قلت تفيض بكل اثر طيب ، يدعو الى هذا الشعور الطيب •

ويقول الاستاذ فكرى اباظـــه عن اثر المرأة فى انتاجه الادبى :

ليس من شـــك فى اننى لســـت انا وحدى الذى تأثر انتاجه الفكرى بالمرأة ، بل اعتقد ان جميع الادباء والشعراء والقصصيين فى كل مراحل التاريخ كان لهم وحى من المرأة بل اذهب الى اكثر من ذلك فاقول : ان زعمـــاء العـــالم واقطابه وقادة الجيوش طوال التاريخ ، كان للمرأة فى حياتهم جميعا نصيب وافر ، بل ان بعض الرسل والانبياء كان للمرأة فى رسالتهم نصيب ايضا ••

فى ســـنة ١٩١٩ تفجرت الثورة المصرية الام ، وكان للمـــرأة دور جدير بالتسجيل حين اســـتقبلت بصدرها رصـــاص الانجليز ، وفى أعقاب هذه الثورة ، بل فى ســـنيها القليلة اللاحقة ، احببت وعشـــقت متأثرا بهذا التطور النسائى والهمتنى الحبيبة الاولى وطنية جارفة • وتجد فى « الضاحك الباكى » قصـــتين عن صـــديقتين ماتت الاولى مقتولة برصاص ضابط استرالى ، والثانية لا تزال على قيد الحيـــاة ، وكانت الوطنية هى القاسم المشـــترك بين قلبينـــا فى ثورة ١٩١٩ فى مدينة أسيوط •

والكلام كثير عن اثر المرأة ، فيما ألفت ، وفيما نشرت ، وفيما اذعت ، ولا أستطيع ان ارهق المجلة الكبيرة « الهلال » بكل قصص هـــذا الحب اللاحق ، ولكنى اختار فاقول ان من بين من اعجبت بهن كل الاعجـــاب السيدة « زينب صـــدقى » ، وكان

الحب « حب تقدير » قبل ان يكون غراما وهياما . كانت من مواليد استانبول ، وكانت وحيدة في مصر ، ثم تألق جمالها واشرق وخلب الألباب ، حينما ظهرت على المسرح في العشرينات بوجهها الصبوح الذي جمع بين جمال البيضاوات ، وسحر العيون الزرقاء ، وفتنة

الاجادة في التمثيل . ثم كان هناك ما هو اكثر جاذبية ، وهو براءة قلبها ، وفلسفتها في الحياة ، فلم

تكن تعرف « المادة » ، وكانت دائما ولا تزال مؤمنة تصلي وتصوم . ثم لقد منحها الله نعمة ، هي « خفة الدم » والروح التهكمية الساخرة ، وقد استفدت كثيرا من تعبيراتها المبتكرة ، ومن تعليقاتها اللاذعة .

ولعل صديقي ـ و منافسي ـ استاذنا الكبير صالح جودت يعرف مثل ما أعرف . والغريب انني استعرت كثيرا من آرائها وتشبيهاتها في أسلوب الكتابة وفي النقدات التي كنت انشرها في كلمة الحق .

***

واحببت مطربة كان لها كل الشأن في مسرح « ترقية التمثيل العربي » بحديقة الأزبكية . كانت

مطربة وممثلة من الدرجة الاولى في وقت واحد ، غير ان هذا لم يكن « المغناطيس » الذي جرني الى حبها ، وانما ما هو أنبل وأصدق من الجمال

المصري الاسمر ، ومن الفن الغنائي والتمثيلي ، وهو كفاحها المرير المضني في « بنوتها » و « امومتها » ، وما لاقت في سبيل ذلك من عناء ،

وقضايا مستعصية زمنا طويلا ، ومالا انفقته يقدر بالوف الجنيهات . اضف الى ذلك ذكاءها الفطري الذي لم يكن وليد علم تعلمته في المدارس

والجامعات . لقد كنت مع محاميها الكبير المرحوم « خيرت بك راضي » نواجه اخطارا . وفيما يخصني أطلق علي الرصاص في « حي شبرا » لانني كنت محاميا لها في بعض قضاياها .

اما اثر اعجابي بها وحبي لها على انتاجي فاقرأ الصفحة الاولى من « الضاحك الباكي » نص هذا الاهداء ، وهي المقصودة به !

قلت في صدر الكتاب : « كنت ساهديه لها لانها تجسمت في خيالي ملاكا ، ثم ذهب الحب ، وذهب الخيال ، فلن اهديه لاحد .. »

واؤكد ان هذا الاعجاب ، وهذا الحب كان هو الذي دفعني الى اصدار « الضاحك الباكي » الذي اعيد طبعه اكثر من خمس مرات .

واحببت بعد ذلك ما احببت ، وعشقت من عشقت ، وهنا وقفة . قد يقول بعض القراء ، كيف يتعدد الحب ويتكرر ، والرد عندي : ان قلبي كان يبحث عن الصفات التي كانت في الحب الاول ، فأعشق الجديد منه لابعث هذا الحب الاول بالحب الثاني والثالث الى آخره .

وهنا قد تتساءل هل كانت هذه « اللمحة الغرامية » في حياتك الاولى وشبابك ، ومكتمل رجولتك ؟ ..

فاقول لك : أن الحب يعاصر كل سن ، ولا اخجل من ان اقول لك انني وأنا في هذه الشيخوخة



لا ازال أحب وقلت في هذا زجلا « مكسورا » كعادتي والاعتذار للشاعر الكبير صالح جودت .. قلت :



الطب بيقول باطني وروحاني «والسن» دي شيء والقلب شيء تاني فيه قلب بيعجز في جسم شباني وفيه قلب بيصبى في جسم شيباني فيه قلب عجالي، وفيه قلب رحماني وفيه قلب شيطاني وفيه قلب رباني وفيه قلب «بيرن» وفيه قلب «براني»

والقلب لا يرتبط بالدين ولا بالجنسية، وقد أباح ديننا الزواج من «الكتابيات»، وقد أحببت أجنبيات من مختلف الجنسيات، وغيري أحب مثلما أحببت، وتزوج من أجنبيات، وان كنت لا أحبذ هذا على طول الخط، وعندي أن الانجليزية تجذبك بروحها الرياضية، والفرنسية برشاقتها وذوقها، ونطقها «الشهد»، والمجرية بلونها «الخمري» الممزوج بالروح العربية، والايطالية بقوامها ودلالها، أما الشركسية فهي زعيمة الجمال في العالم كله، وتبقى المصرية، وقد منحها الله اللون الأسمر الخلاب، والعين السوداء اللعوب، وخفة الروح بين نساء العالم كلهن. أما الألمانية فهي ممتازة بنشاطها، والنمساوية بنبلها وصدقها. وأما الأمريكية فان أحب ما يجذبك اليها هو «لحسنها» و«طيشها».

●● أما ما يشاع عني من أنني العاشق الأوحد فهذا ادعاء لا أساس له. أين أنا من أبطال الحب في التاريخ مثل يوليوس قيصر روما، ومارك انطونيو مع كليوباترا ونابليون بونابرت مع جوزفين، ودوق وندسور، الذي قذف بالتاج وضحى بالعرش من أجل «مسز سمبسون»، ثم ارحل معي الى محافظات القطر المصري تجد قصص غرام هائلة لا أجاريها. أين أنا من كل هذا ؟!

لكنني أومن بأن للمرأة دورا خطيرا، في حياة العظماء. فما من مخترع، أو عالم أو سياسي، أو قائد، أو شاعر، أو أديب، أو صحفي، الا كانت وراءه «امرأة»، أوحت اليه، وشجعته، وشاركته في مجده العسكري والسياسي والادبي والعلمي.

ويحدثنا الشاعر صالح جودت قائلا :

لعبت المرأة في طفولتي دورا عجيبا ... فقد كنت في السابعة من عمري، تلميذا بروضة أطفال انجليزية بمصر الجديدة، عندما أحببت معلمتي وهي في العشرين حبا عنيفا لا طفوليا، هو الذي دفعني الى خواطري الشعرية الاولى التي نظمتها وأنا دون العاشرة.



وكبرت، وكبر الزمن، ولكن حلوة العشرين ظلت هي اللوحة المثلى التي تداعب خيالي، وتهز وجداني، وتزودني بالالهام، منذ تلك المرحلة المبكرة وعبر مراحل العمر كله حتى اليوم.

ولعلي منذ النكسة

احس بانني فى اجازة من الحب ، الى ان تنتهى هذه المحنة التى تسيطر على كل مقاديرنا ·

وستنتهي باذن الله ، وساعود ·· ساعود دائما الى لوحة حلوة العشرين ·

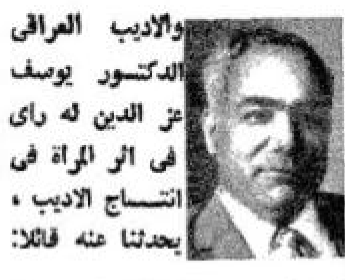
ويقول الشاعر احمد رامى :

المراة هى الانسانة التى تجعل الشاعر يتغزل فى جمالها ، وهو يستمد رضاها بان يكون انسانا يستحق اعجابها به ، ويستمد رضاها بمواقفه التى فيها من التضحية رغبها من العطاء اكثر من الاخذ ·

والشاعر يعطى اكثر مما يأخذ لانه يقول الشعر عند الرضا ، وعند الهجر لان المعانى تعرض له من كل ناحية من هذه النواحى ·

وانا أدين فى كل غزلى للمراة ، لانني أعبد الجمال ، واحب الذكاء وخفة الدم ، ولا استطيع ان ارى ناحية من هذه النواحى دون ان اتمدح بها ، واتغزل فيها · والحب للمراة يفتح عين المحب لجمال الدنيا ، ويبعث فيه الرضا عنها ·· وخير ما قلته فى تعريف الحب :

الحب نبع الشعر منه تفجرت
عين المعانى والخيال السارى
الحب لحن النفس وقعه على
وتر القلوب بنان موسيقار
الحب يفسح فى الحياة مراحها
ويحفها ببدائع الآثار
فلرب وجه باسم أحيا المنى
واطارها فى النفس كل مطار
ولرب ساعة خلوة هفهافة
طالت عن الأجيال والاعمار



والاديب العراقى الدكتور يوسف عز الدين له راى فى اثر المراة فى انتاج الاديب ، يحدثنا عنه قائلا:

أسطورة يرددها الكتاب من ان للمراة أثرا فى الادباء ، وانتاج المفكرين ، وان وراء كل رجل امراة تدفعه نحو العمل ، وتحثه على الابداع · وواقع الامر يكذب هذا الظن · فان اثر الام ينتهى عندما يصبح الانسان رجلا · واثر الانثى ينتهى عندما يشتد فكر الكاتب ويستوى على سوقه · أما الذين تدفعهم المراة الى النجاح والتفوق فهم الادباء الذين اخفقوا فى ادبهم وباءوا بالخذلان فى العلاقات النسوية · فقد يكون وراء الاديب الكبير أو المفكر المبدع رجل يدفعه نحو السمو بالتوجيه والتشجيع ، كاستاذه وصديقه ووالده · فقد كان رضا والدى هو الذى يدفعنى الى الدراسة والتفوق على الاقران ، هو الذى دعانى فى الوقت نفسه الى مواصلة العمل · وكلمة تشجيع من استاذ لى ، خير من الف كلمة تقولها المراة لى ، لانني اعرف ان استاذى اعلم منى ، وكلمة الثناء الطيبة صادقة كل الصدق ، عميقة المعنى والقصد ·

اما المراة فلم تؤثر فى ادبى اثرا واضحا ، انما اثر الحب فى جميع تصرفاتى ، فأينما اجد الحب اتوجه اليه ، ولا فرق بين حب المراة ، وحب



الصديق ، وحب الاستاذ ، وحب الابناء ، وحب الزوجة فان الحب يؤثر فى نفسى ، ويؤثر فى اعماق احاسيسى • فاذا كانت المرأة قد اثرت فى ، فقد اثرت بمشاعرى لانها احبتنى ، او اننى احببتها ، وهذا جانب من الجوانب التى تظهر فى شعرى •• ولهذا اختلف الكتاب الذين كتبوا عنى فى هذه الناحية •• فالدكتور داود سلام يرى رايك فى ان المراة التى اثرت فى شعرى • ولكن الاستاذ صاحب كمر راى ان الغزل الذى فى شعرى لم يكن الا غزلا فى الوطن ، وفى الامة بصورة عامة •

ويقينى انهما على صواب ، فغزلى جزء منه فى المراة ايا كانت ، ولكن مصائب امتى التى كانت تملى على كثيرا من ارائى وشعرى ، فاتصل بها الى امتى وشعبى ، وقضية الوطن بصورة اشمل ••

ويرد الاديب محمد عبد الغنى حسن على سؤالى عن اثر المراة فى ادبه فيقول :

اخشى ان يكون وراء هذا السؤال كشف للمخبوء ، وهتك للمستور ، وفضح لما هو اولى بالكتمان ، فى طى الزمان والنسيان • ومن الادباء ورجال الفن والفكر من يحبون ان يشتهر مع « المراة » امرهم وينتشر خبرهم • ولا يضيرهم ان تتناقل الشفاه اخبارهم واثارهم ومغامراتهم •• ومن هذا الفريق شعراء الغزل والتشبيب بها ، كعمر بن ابى ربيعة ، الذى كان ينتهز مواسم الحج فى البيت الحرام ، فيتعرض للحجاج ، ويشبب بشهيرات النساء ، حتى وهن فى الطواف حيث يرى متهتك ما لا يراه فى غير هذه المواقف ••

فشبب بفاطمة بنت الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان ، وشبب بعائشة بنت طلحة التى اشتهرت بالجمال والرزانة ، وشبب بالسيدة سكينة بنت الحسين وهى التى قال فيها :

اسكين : ماماء الفرات وطيبه
منا على ظمأ وحب شراب
بالذ منك ، وان نأيت ، وقلما
ترعى النساء امانة الغياب

ويبدو لى يا اخى انك تطوى وراء سؤالك سؤالا اخر •• كانك تريد ان تقول : ما اثر المراة فى ادبك اولا ، وما اثرها فى حياتك ثانيا ••• فنحن نعلم ، المراة محبيبة كانت ام زوجة ام اما قد اثرت فى كثير من الرجال ، وغيرت مجرى حياتهم • فالحبيبة تلهم وتلهب ، والزوجة تحيل البيت جنة او نارا ، على حسب ما ركب الله فى طباعها من خير او شر •• والام ترضعنا الحنان ، وتمنحنا العطف ، وتعلمنا

اياه ، ولا تتخلى عنـــا من مرحلة الطفولة الى الرجولة ..

وكأنك ايها السائل تجلســـنى على كرسى الاعتراف ، وتقعدنى مقاعد الاقرار ، لتنتـــزع منى اسرار ماض اود ان يظل مكتـــوما ... فشريكة عمرى الان ، وابنـــائى الناشئون والمقيمون ينتظـــرون منى جوابا عن سؤالك يشفى ظمأ نفوســـهم ، الى حب الاستطلاع ، لعلهم يعرفون من فلتات شـــبابى ما حاولت دائمـــا ان استره عنهم ، سترا لزلاتى ! ولكن ليطمئنوا ! فما انا الا انسان كانت له صـــبوات ونزوات .. وكان له قلب ، وركبت فطرته من لحم ودم ، لا من الحجارة الصلدة ..

ولقد أحببت المرأة حبيبة ، وعشقتها معشوقة ، وتحليت فى شبابى بالحب الذى يطهر النفس ويرهف الحس .. واشجانى الوجد ، واضنانى الجوى كما أضنى المحبين من قبلى وسيضنيهم من بعد . ثم فجعت بالاخلاص فى الحب فقلت لى سنة ١٩٣١

قل للتى تزعم الاخلاص معذرة
ان كان اخلاصنا فى حبها ذهبا
الحب ليس لهيبا فى رسائلنا
فان كشفت غطاء لم تجد لهبا
الحب ما الحب الا كل عاطفة
لا تألف الغدر أولاتعرف الكذبا

واحتملت فى الحب ما كنت أجده قليلا على الوفاء له ، والفناء فيه ، ووجـــدت فى المرأة الحبـــوبة ذراعا اتأبطها الى معـــاناة بلوغ القمم .

أما المرأة الزوجة ، فاحمـــد الله اننى وجـــدت من السكن اليها ، والمودة بينى وبينها وما وجـــدت فيه تحقيقـــا كريما لقوله تعالى : (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة) ويكفى انها هيأت لى من أســـباب الراحة ، وبواعث الطمـــأنينة ما اعاننى على البحث والدأب فى ميادين الدراسة والادب .. ولولا هذه المودة والرحمـــة بينى وبين (أم البنين الأربعة) لما كان لى فى مجـــال الانتاج الفكرى اثر اعتز به ....

وأما « المـــرأة » الأم فيكفى أن أردد هنا ما قلته فيها سنة ١٩٥٨

الحب يا أماه منك مزاجـــه
مهما شربنا فيه من أكـــواب
تلهو بما سمح الزمان بحســـنه
وتطيق كلا شـــقاوة وعذاب
وتكاد تلقى فيه كل خســـارة
وتكاد تحمل فيه كل تبـــاب
لولاك لم نعـــرج على أعتـــابه
يوما ، ولم نلمم على الابـــواب
لكن حبك فيه كل قداســـة
المعلى ، وكل طهارة المحراب..

لقد شجعتنى أمى ـ وكنت وحيدها بين اخوات سبع ضعيفات ـ على أن أغترب من المنصـــورة الى القاهرة طلبا للعلم ، واستكمالا للدرس ، ثم شجعتنى مرة أخرى على ان اغترب الى انجلترا فى سبيل الدراســـة مع شـــدة حاجة الاسرة الى ، وكثرة تعويلهـــا على .. ويكفى هذا الاثر الذى اذكره دائمـــا لتلك « المرأة » المكافحة الصـــالحة ...

يقول الدكتور رشاد رشدى :

من الطبيعى أن يكون للمرأة اثر فى انتاج أى أديب ، بل وكل اديب .. فالمرأة ـ أو العـــلاقة بين الرجل



والمرأة ـ وهي بالضرورة علاقة حب ـ هي عنصر أساسي من عناصر الحياة ٠

وقد كان للمرأة أثر كبير فى كل ما كتبت سواء فى المسرح، أو القصة، أو النقد ، ٠٠ كانت المرأة هى الملهمة دائما ٠٠ ملهمة اما بالايجاب واما بالنفى ٠ ففى أولى مسرحياتى (الفراشة) كانت المرأة ملهمة بالنفى ، فهي التي حومت كالفراشة حول بطل المسرحية حتى أطفأت الشعلة التي بداخله واحترقت هى ، تماما كما تفعل الفراشة مع الشمعة٠

وليس من الضرورى أن تكون للمرأة دائما هى مصدر الالهام ، أو جزءا مهما وكبيرا فى الصورة التى أصورها فى أى عمل ادبى لى٠ فالحب وسيلة للكشف عن النفس البشرية بكل مكنوناتها سواء كانت هذه النفس هى نفس الرجل أم نفس المرأة ، فالرجل لا يكتمل الا بالمرأة، والمرأة لا تكتمل الا بالرجل ، ولذلك فصورة كل منهما لا تتضح حقيقتها الا فى ضوء الحب ٠

وفى كل ما كتبت كنت دائما أحاول أن اكشف للمجتمع عن صورته كما أراها ، حتى يراها المجتمع ويدرك نفسه ، والعملية فى اغلبها تعرية بهدف التعرف على الذات ، وفى اعتقادى ان المرأة هى نصف المجتمع ٠٠ والمرأة العربية انضج عاطفيا من الرجل ، هكذا كنت دائما اراها ، وهكذا ما زلت أراها ٠ فالرجل ما زال الى حد كبير يعيش فى عصر الحريم ، أما المرأة فقد تعدت هذه المرحلة ٠

وهناك شيء اخر احب ان اؤكده، ان الحب في حياتي كان دائما وما زال قوة محركة دافعة وبعض اعمالي المسرحية التي أعتز بها ، كانت المرأة وراءها ، لا بمعنى انها كانت تدفعني او تشجعني الى كتابتها ، بل بمعنى أعمق من هذا ، واهم وهى انها كانت (الدينامو) او الضوء الذى ينير لى الطريق فجأة فاذا بى أرى الحياة اجمل وأوسع وارحب ، واذا بى اشعر انى تحررت من نفسى ومن الحياة ، واصبحت قادرا على صنع شيء عظيم ٠٠٠

المرأة باختصار تمنحنى القوة على العمل ، والقدرة على اكتشاف الذات ٠٠ انها مخلوق نبيل ٠٠ هذه هى المرأة فى اعتقادى، ولم اصدق يوما انها يمكن ان تكون غير ذلك ٠٠



حنين

● عبد المنعم العجيل ●

حنينا لمغناك يا قاهره … وشوقا لتلك الربى الزاهره
حنينا لنيلك رمز الخلود … وعنوان نهضتك الظافره
حنينا لتلك الوجوه الملاح … وسمرتها الحلوة الفاتره
حنينا لحي الحسين العظيم … وأنوار قبته الباهره
حنينا لسيدة السيدات … وآيات سيرتها العاطره
حنينا لازهرك الالمعي … وشم معاهده العامره
حنينا لاسوان رمز الشموخ … ورمز حضارتك الغابره
حنينا لابنائك الساهرين … على الكلمة الحرة الهادره
حنينا لاخوتي النابغين … الى شاعر قال او شاعره
حنينا لافذاذك العالمين … وأفكارهم بالنهى زاخره
يصونون للعرب خير التراث … ويجلون آياته النادره
ويعطون للجيل خير العطاء … ليغنى من امسه حاضره

***

لئن قيل انك ام الدنا … فاني اضيف لها الآخره
لانك في ما يريد الشباب … وما يبتغي ثروة غامره
وفيك لاهل التقى موئل … يتيه باعلامه النادره
فتلك المساجد عند الصلاة … بروادها لم تزل عامره
وتلك المآذن نحو السماء … تصعد أصواتها الساحره

***

حنانيك يا مصر يا قبلة … لها تشخص الاعين الساهره
ويا قبسا عبقرى السنا … ينير دروب المنى الناضره
فمنك بداية درب الوصول … لآمال امتنا الصابره
وانت الضماد لجرح ينز … بآلام نكبتنا الخاسره
فلم الصفوف الى جولة … نعيد بها ارضنا الطاهره

● عبد المنعم العجيل ●
● بغداد ●



عبد الرزاق كرباكه

مرت بنا في صمت ـ منذ اسابيع ـ الذكرى الثامنة والعشرون لوفاة العبقري عبد المنعم عبد الرازق كرباكه ..

لذلك احببنا ان نرفع الستار عن حياة كرباكه ، ونقدم للجيل الصاعد نماذج من أدبه الحي ، تخليدا لذكراه ، واعترافا بما اسدى للأدب التونسي الحديث من خدمات جلى ، بقلمه المجلي .

ولد كرباكة رحمه الله ، في السنة الاولى من هذا القرن بالعاصمة من عائلة اندلسية الاعراق ، فنشأ منذ نعومة اظافره ميالا لمجالس الانس محبا للادب والشعر ، ومن حسن حظه ان تتلمذ لاستاذ الجيل الماضي ومربيه الكبير المرحوم الشيخ محمد مناشو ، فدفعه استاذه هذا للاسهام في انعاش الوسط الادبي بعد ركوده الطويل اثناء الحرب العالمية الاولى .

ولئن عرف زملاء كرباكة ، وما اقلهم ، بتميز كل واحد منهم في ضرب من ضروب الثقافة أو نوع من أنواع المعرفة فانه اشتهر هو وبرز بينهم باستطاعته المشاركة في شتى المجالات مع اجادة ونبوغ نادري المثال .

وحسبكم ان تعلموا ان كرباكه رحمه الله لم يلمع نجمه في سماء القريض، فقط ، بل وفي القصة والصحافة والاغنية التي اصبح فيما بعد من روادها عن جدارة واستحقاق .

واذا كان لكل شاعر قصيد أو قصائد متعددة ، كانت سبب شهرته وذيوع صيته ، فان شهرة كرباكه تعود الى سنة ١٩٢٧ وعمره يومئذ ستة وعشرون عاما بسبب قصيد بعث به لشاعر العراق الكبير المرحوم معروف الرصافي . فاى صلة بين كرباكه والرصافي ؟ ولم تتوفر وقتذاك وسائل الاتصال المباشر ، المعروفة بيننا اليوم . اللهم الا بواسطة المكاتبة ، وليس الوقوف على دخيلة اديب من هنا او هناك سهل التحقيق ميسور المنال ، فكيف بعث كرباكه بقصيدة للرصافي ، وما هي الاسباب التي دفعته لذلك ؟ .. وانما نذكر القصة من اولها .

خرج الرصافي سنة ١٩٢٧ من بغداد هائما على وجهه في الصحراء ، مقررا عدم العودة لعاصمة الرشيد والموت جوعا وعطشا في البيداء ، احتجاجا على ما يلقاه حملة الاقلام من نكران وجحود، وما استهدف هو له بالخصوص من استخفاف وقلة عناية ، وتناقلت الصحف حينذاك هذا النبأ ، معلقة عليه حسب مشاربها . وشاءت الاقدار ان يعثر شاعرنا كرباكه من باب الصدفة

على عدد من مجلة « السياسة الاسبوعية) وفيه تعليق يهيب بالرصافي ان يرجع فيما قرره ويتخلى عما اعتزمه ، اذ الجحود والنكران ملازمان لارباب اليراع منذ ان خلق الله الدنيا ·· فلا فائدة ، اذن من التعنت والاصرار والخير كل الخير في مواجهة الحياة بؤسها ونعيمها بجلادة وثبات جاش ·

ووقف كرباكه عند هذا التعليق مليا ، ثم استوحى وجدانه فجاد عليه برائعة من روائعه الجميلة بعث بها الى (معروف) يناشده الاصغاء لصوت الاخوة والزمالة ، والاقلاع عن النفي الاختياري ، والالتحاق برياض الفكر من جديد بلبلا مغردا بأحلى الالحان ، وافتن الالوان ··

***

ونشرت صحف دجلة خريدة (كرباكه) فهزت من عزمات أولى المروءة الذين تنادوا للحاق بالرصافي الشريد فعثروا عليه في حال يرثى لها واطلعوه على اهابة (الخضراء) بلسان شاعرها (عبد الرزاق) فاصاخ للصوت الداوى ونزل عند رغبته ، وقفل آيبا لعاصمة بنى العباس وفي النفس ما فيها من سخرية بالحياة ومصاعبها وتنكرها لاصاب الرسالات ··

وقد استهل (كرباكه) اهابته بالرصافي عندما هاجر العراق وغادرها غضبان اسفا · قائلا :

فيم فرارك ؟ والعراق كما ترى زين البلاد ، واهله زين الورى
اني لاعرف مبدا تعنى به يا سيد الشعراء لن يتغيرا
صبرا اذن اما تمانع نيله واجزم وحاول ان تنال وتظفرا

وما احلى قوله ، وهو يناقشه مناقشة واقعية هادئة ويذكره بما يلقاه اولو العزم من اصحاب المواهب الذين يجب عليهم الاقتداء بانبياء الله ورسله · والاتعاظ بالاسلاف الذين انارو ا الدياجي ، فتنكر لهم الحظ وكثر لهم النكران عن انيابه فراحوا ضحايا الكفران والحرمان :

شيخ الرصافة ، جل ما تصبو له اتريد ان تلقاه سهلا ايسرا
اين الجراءة عند ذاك ، واين ما يلقى المجاهد وهو يقتحم الذرى ؟
معروف ، وقفة ساعة نقضى بها بعض المواجب ، ثم تعتزم السرى
انى الاسك الحياة مريرة وتضيق بى هذى المدائن والقرى

واخيرا يلح عليه في العودة والاقلاع عما بيته في خلده ويصور له في صدق الاصداء التى رددها المشرق والمغرب لحادثه المريع وموقفه المرير ويؤكد له ان ما يطمع اليه من تقدير واكبار · سينالهما رغم الكاشحين الشانئين :

معروف راجعها العزيمة مرة وانا الضمين بان تفوز وتظفرا
هذا فرارك لله اثار حفائظا في الشرق تكبر من صنيعك ما جرى
في تونس ، في مصر في سوريا في فاس ، في بغداد ، في ام القرى



● الحبيب شيبوب ●



هبت اغاظمها تثور وكلهـــــا ... امل اليك بان تؤوب وتصـــدرا

وما في هذا القصيد الخلاب من حسن ديباجة ومتانة سبك ، وحلاوة تعبير ، تجعل الاعجاب بقائله عفويا لا تكلف فيه ولا مجاملة تحض عليه ..

وهكذا شق (كرباكه) طـريقه في دروب عبقر الشائكة ، طاقته الشعريه زاده ، وأفقه الواسع الرحيب مناره ، يهتدى به ويسير على سناه .

ولما برزت للوجود جريدة (الزمان) اختير محررا اول لها ، فوجد المجال فسيحا ليضرب بسهم وافر في معالجة القضايا الاجتماعية وينظم الشـعر الفكاهي يغمز به قنـاة خصـــومه وحاسديه ، معتقدا ان الصحفي النزيه مفروض عليه انارة السبل لمواطنيه ، وتوجيههم الوجهة الوطنية الصحيحة ، ضـاربا بالعروض المزيفة والاغراءات المختلفة عرض الحائط ، جاعلا شعاره :

اقرا الجريدة راضيا او ســبها ... لا شيء غير الحق يرضى ربهـــا
شأن الصحافة ان تسير شعبهـــا ... نحو الهدى لا ان تساير شعبها

وعلى الرغم من انه لم يلازم العمـل الصحفي ، وتخلى عنه لعـدم قدرته القيام بالعمل المنظم ، فقد اتيح له بعد ذلك ، مجال اخر ارحب افقا واوسـع مدى ، هذا المجال وجـده في تأسيس الاذاعة التونسية وانبعاثها للوجود في عام ١٩٣٨ فانبرى يشن حملته الموفقه على الاغاني الماجنة الخليعة ، بنظم اغان راقية المباني ، سامية المعاني ، وانشاد القصائد البـديعة ، وكتابة القصص المستحسنة ، والهيام في اودية الحب والخيال ، الشيء الذى سـاعده على تبوأ عرش زعامة الادب التونسي ، وامتلاك صولجانه لفترة غير قصيرة من الزمان ، دون ان يعمل لصحته حسابا وغير مترفق بشبابه حتى اختطفه الموت فجاة يوم ١٠ مارس ١٩٤٥ . وهو في عنفوانه .

***

وبما ان الغزل ــ او شعر الحب ــ هو احد الالوان التعبيرية الصـارخة التي اذهلت الناس عما هو اشد منها من الوان (كرباكه) التعبيرية الاخرى ــ فحق علينا ان نقدم منه نموذجا فريدا في بابه ، اذ فيه تصوير لنفسيته ، وموقفه من الهجران الذى طالما ارق الشعراء وانطق السنتهم بما يشـجي ويبكي .. كما انه يدلل على تنـــوع مغامراته ، واعتداده برجولته ، ونظرته الصائبة للحب الصـادق ، وقد كان اهدى هذا النموذج الفرد لتجنية عابثة لعوب اذاقته الصد وجرعته الهجر فلم يلن ولم يستعطف ، بل انشد :

قولوا لها ما كان حبـك عامدا ... فيه الغواية يوم اذ نزل البـــلا
عفوا . ودون تعمد ، وبنظـــرة ... مبغوتة طاح التعيس مجنـــدلا
فاذا به صب وجيــــع بائس ... واذا بحبك في حشاه تاصـــلا
والان فقد امسى العزيز مذلـــلا ... والان فقد امسى الطليق مكبـــلا

طبع اسمك الميمون في مكنـــونه   واحل رسمك في الفؤاد منـــزلا
ضحى على نعمى هواك شـــبابه   واناب في هذا الهوى وتبتـــلا
وانار من اشـــعاع روحك هالة   ترعاك ان جد الفراق واوغـــلا
قولوا لها ، والصب قد رزحت به   في حبها ادواؤه وتزلــــــزلا
ما كان شانك في هواه مشرقـــا   ما كان صدمك في هواه مجملا
اما ولو ادركته في امســـــــه   لرايت منه القاهر المتكـــــلا

***

واليوم • والدنف الاليم يهــده   والوجد ينخر جسمه متاكـــلا
صدى فذا حكم الهوى وتعـــدى   تعذيبه ما شئت يا ذات العــلا
وعليه ان صدقت محبتـــه • وان   كان الصدوق عليه ان يتحمـــلا

ومما أوردته ترون ان شـــاعرية (كرباكه) تترقرق سحرا • كمـــا تترقرق غناء • حتى في منظومات الالم والاسى • ولكن للاسف لم تقلع هاجرته الفاتنة عن غيها ولم ترجع لعش الغرام الدافيء ولم تسعد قلبه الوجيع بالوصال المنعش ، فضرب صفحا عنها • وتخلى عنها الى غيرها وودعها بقوله :

الـــــــــــو د ا ع   يا حياة الحب في قلب مشـــاع
في غرام كله منها اصطنـــاع   الـــــــــــو د ا ع
ودعيني واذكري وجـــــدي   ودعيني للعنا وحـــــدي
في انيني في لظى سهـــدي   ودعي مني الليالي والعشـــابه
ودعي مني التصابي والغـــوايه   ودعي آخر فصـــلي في الرواية

ومن الغريب حقا ان يغلو (كرباكه) بنفسه • فيترفق بمعذبته ـ رغم كبريائها وعنادها ـ ويسلم امره لحكم الهوى القاهر • خاضعاً لاوامره مؤمنا بخلوده وقدسيته رغم تشكله بالوان متغايرة • وصور متعددة :

خالد الحب على طول النـــوى   قدسي انت في شرع الهـــوى
فيك ما في الطهر مبرور الحمى   تاره الوجهة معصوم الثـــوى
لم تلافح غيه الاهواء ولـــم   يتراوح في حناياك الجـــوى
ملتقى القلبيـــن روحي المنى   قاهر الحبين • علوي الصـــوى
عاقر الاحلام ، في اكوابهـــا   خمرة الخلد فاروى وارتـــوى
ثم كانت محنة الدنيـــا التي   عبطت بالروح في هذا الثـــوى
فاذا الحب على الـــروح انجلى   واذا الحب على الروع انطـــوى
واذا كل على وجـــــدانه   للهوى تمشي به تلك القـــوى

ومع ما اخترناه من منظـــومات (كرباكه) هنا • فان قصائده الباقية التي لم نستعرضها قصائد غر تسمع لشدوها جرسا يخرج من صـــميمها فيترقرق في سمعك كرنين الذهب • وان كان لابد من ملاحظة شيء والتصريح به في شعر (كرباكه) • فهو التهـــافت القليل الذي ينتاب بعض ابياته • وهو تهافت مادي في غالب الامر أي من ناحية التركيب والاسلوب ، ولا شك ان السبب في ذلك هو ما ياخذ به (كرباكه) نفسه في قرض شعره بطريقة مرتجلة لا يستعين فيها بقلم أو قرطاس •

ولو أن (كرباكه) كان يتناول قلما وقرطاسا ليدون اشعاره وقت نظمهـــا لاستطاع ان يعيد فيها نظره ويجيـــل حولها عينه • ولاجرى عليهـــا عملية التجويد فجاءتكل اشعاره مصقولة على غرار واحد • وتجنب ما يظفر به ذهنه من الانحـــراف والخروج عن المألوف احيانا ••

● تونس ●   ● الحبيب شيبوب ●

قصة

الورقة البيضاء



وقفت في الصف مع الرجال ... أمام شباك التذاكر ... وكان الزحام شديدا في نهاية المصيف ، والطابور يتلوى لطوله ، ويبرز الى خارج المحطة ...

وكان آخر قطار « ديزل يتجه الى القاهرة » .. ومع ان معظم الواقفين في الطابور لم يكن عندهم ادنى أمل في الحصول على مقعد .. ولكنهم وقفوا ... وصبروا ليجربوا حظهم ، وكان عامل التذاكر في محطة « سيدى جابر » بليدا ولئيما ، وحلا له تعذيب الواقفين امامه في الطابور ... اذ كان يعمل في بطء شديد ، ويحادث موظفا في الداخل ، بين الحين والحين ، ويدير رأسه الى الوراء دون سبب ظاهر ، ثم يعود في تكاسل الى عمله ...

وكان كل الذين يرون هذا المشهد المغيظ لا يبدو منهم التذمر ، أو الاعتراض ، فقد الفوا مثل هذه الاشياء واعتادوا عليها ... وكانوا على يقين ، بعد « التجربة المرة » — ان الشكوى والتذمر لاجدوى من ورائهما ، ولا يغيران من الحال ... فلاذوا بالصمت .

وصمتت السيدة مثلهم ، ولكنها كانت تشعر بالغيظ ... وصبرت حتى جاء دورها واصبحت امام الموظف على الشباك ، وفتحت حقيبتها لتخرج ثمن التذكرة ... وارتعشت يدها وتمتمت، ثم اخضلت عيناها بالدمع ...

وظهر عليها الاضطراب بوضوح ... وأخذت تتلفت زائغة البصر ... ثم خرجت من الصف وهى لا تستطيع حبس عبرتها ...

وادرك الرجل الذى كان وراءها في الصف، حالها وما جرى لها . وكان قد سمعها وهى تقول :

— تذكرة لمصر ...

ثم انشل لسانها .. فاخرج ورقة بخمسة جنيهات من جيبه ، وقطع تذكرتين ، بدلا من تذكرة واحدة ... وتناول الباقى من الموظف ثم خرج من الصف ....

وظل يبحث عن السيدة حتى وجدها خارج المحطة ، فتقدم اليها وقال بلطف وهو يمد يده بالتذكرة ...

— ادركت ما حدث .. فاسمحي لي بان اقدم هذه التذكرة ... وعندما تعودين الى



الورقة البيضاء

بيتك ، ردي ثمنها في أي وقت ...

فنظرت الى الرجل مشدوهة ... لم تكن تقدر ، او تنتظر مثل هذا من انسان ... وتصورت ان الرجل يحتال عليها ... او يفعل شيئا ليتقاضى ثمنه مضاعفا . وظلت مترددة واجمة ولكن لما توضحته ، ونظرت الى عينيه ، توسمت فيهما الطيبة المطلقة .. فتناولت منه التذكرة وهمست :

ـ متشكرة ...

وبعد ان دخلت من باب المحطة ، تذكرت انها لم تسأل الرجل عن عنوانه لترد له نقوده ...

فمشت اليه تسأل في استحياء :

ـ ولكن حضرتك ، لم تعطني عنوانك ...

ـ في القطار ... اننا جنب بعض .

جنب بعض ...

وعاودتها الهواجس ، انه يستغل الموقف اذن ... واضطربت ، وعلا وجهها السهوم ... لقد كانت تتصور فيه الطيبة ، فاذا به كغيره من الرجال ، استغل موقفها ببراعة ... ترد له التذكرة ؟ ولكن اين تذهب في هذه المدينة الكبيرة وهي وحيدة ومفلسة ؟ فبعد ان نشلت ليس في جيبها اي نقود على الاطلاق . وليس لها قريب او غريب في الاسكندرية تعتمد عليه ...

وظلت حائرة مضطربة ... ثم شعرت بالقطار يدخل المحطة فانقذها من حيرتها وركبت وهي تترك الامر للمقادير ...

***

وبحثت عن الرجل وراءها وقدامها ، وهي تدخل في جوف العربة فلم تجده . وكان الزحام شديدا ... خلق كثير ... يتدافع بالمناكب ... في داخل العربة ... وتحركت ببطء وهي تقدر العثور عليه بعد أن تجلس على المقعد . فهو بجوارها كما قال لها ....

ولكنها وجدت رقم كرسيها بجوار سيدة فجلست متعجبة ... ولما تحرك القطار تطلعت فأبصرت بالرجل هناك ، في أقصى العربة ، يجلس بجانب الباب ، وظلت عيناها معلقتين به ، وهي تنتظر منه أن يتحرك من مكانه، ويأتي إليها، وعلى الأخص

وهو يعرف رقم مقعدها

ولكنه لم ينهض حتى

بعد أن جاوز القطار محطة « دمنهور »

وفي محطة « طنطا » حمل إليها لفة طعام ، ونظرت إليه : وابتسمت ... وتناولت اللفة صامتة ... فقد خشيت

أن رفضتها أن تثير فضول الركاب .

وخصوصا السيدة التي بجوارها فهي فضولية إلى أقصى مدى ...

ولذلك تناولت منه

الطعام ، وهي تشعر

من حولها بأنها قريبة له أو حتى زوجته .. فهو في سن زوجها ...

وأخذت تأكل ضامة شفتيها ما أمكن .... وعزمت على جارتها أكثر من مرة ...

وبعد أن فرغت من الطعام ، وأحست بأنها تقترب من محطة القاهرة فكرت في الذي تفعله

لتصل إلى بيتها ، في الدقي ، في هذا الليل

ومعها حقيبة ثقيلة ...

●●●

وخرجت من القطار ، تحمل حقيبتها بيدها

.. وفي الصالة الخارجية لمحطة « القاهرة » كان الرجل بجانبها بعينها ...

ودفع إلى يدها ورقة بخمسين قرشا .وقال :

– هذا للتاكسي ...
فقالت له بثبات هذه المرة :

– أبدا لابد من اسمك وعنوانك أولا ...

فابتسم في لطف ؟ :
– حاضر ...

وأخرج من جيبه ورقة وقلما : وانتحى

جانبا ليكتب ، ثم طوى

الورقة ... وقال لها :

– في هذه الورقة

اسمي وعنواني ، ورقم تليفوني أيضا ...

وأركبها « التاكسي » .. واختار لها سائقه ..

●●●

ولما دخلت البيت ... كان زوجها لايزال في الخارج ، وكانت الشغالة في انتظارها وسرت لقدومها ...

ولما أخرجت « ثريا » ملابسها من حقيبتها ، واستراحت قليلا ... أخرجت من حقيبة يدها

الورقة التي أعطاها لها « الرجل » وكانت

مطوية عدة طيات ففردتها ونظرت فيها

... فوجدتها بيضاء

... ليس فيها حرف

واحد ! ..

وابتسمت وصورة

الرجل الغريب تتضخم

أمامها وتعظم حتى

ملأت جوانب البيت كله

ولما جاء زوجها من

الخارج وجدها في الفراش

فاقترب منها في شوق

ليحتضنها ولكنها دفعته

عنها نافرة واعتذرت

بأنها متعبة .

ولأول مرة في حياتها

تشعر بكراهية شديدة

له واحتقار من غير

حدود ... كانت تقارن

بين صفاته الخلقية

وصفات الرجل الآخر ...

فقد لمست لأول مرة

في حياتها النبل والشجاعة في الإنسان ..

◆



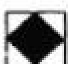
أحمد السقاف رئيس وفد الكويت

يرد

على رئيس وفد لبنان

ويكشف

حقيقة موقف الوفد اللبناني



نشرت جريدة « النهار » البيروتية الصادرة صباح الثلاثاء ١٩٧٣/٣/٢٧ في صفحاتها الاخيرة خبرا مفاده ان وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين انسحب من مؤتمر الادباء العرب في تونس احتجاجا على رفض المؤتمرين الرسميين وخاصة وفود مصر والكويت والسعودية اقتراح الوفد اللبناني اثارة قضية حرية الادباء المضطهدين في بعض البلدان العربية · الى اخر ما جاء في هذه الجريدة ·

ورغبة منا في ان نضع النقاط فوق الحروف نرى مناقشة ما جاء بكل هدوء مقترعين بما عودنا انفسنا عليه في مثل هذه المواقف المفتعلة ·

١ ـ ان وفد رابطة الادباء في الكويت ليس وفدا رسميا ، وسهيل ادريس رئيس وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين يعرف ذلك حق المعرفة، واذا كان رئيس وفد رابطة الادباء في الكويت لم ينزلق في المنحدر الذى تم اعداده سلفا للتشهير بجمهورية مصر العربية ولنسف المؤتمر بعد ذلك شانه شان رؤساء الوفود الاخرى ، فما الجريمة التى اقترفها لتكال له التهم الظالمة ، ولقد كان رئيس الوفد وما زال ممن يرفضون بيع مواقفه في المزاد العلنى فليفهم سهيل ادريس ذلك جيدا ·

٢ ـ ان رئيس وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين حين اعتلى منصة الخطابة في حفلة الافتتاح دعا الى الاضراب والاعتصام في سفارات مصر في البلدان العربية كافة احتجاجا على فصل بعض الادباء من الاتحاد الاشتراكي في جمهورية مصر العربية وفوجئت جميع الوفود بطرح الموضوع بذلك الشكل التمثيلي وكان في وسع رئيس وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين ان يناقش الموضوع في جلسات رؤساء الوفود بعيدا عن الاثارة والمزايدات ·

٣ ـ حين عاد سهيل ادريس رئيس وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين الى طرح الموضوع في جلسة مغلقة لرؤساء الوفود صمم الوفد المصري على الانسحاب من المؤتمر وطعن في الغرض الذي من اجله يرفع المذكور الراية ·

ورغبة من وفد الكويت في جمع الشمل والتوفيق بين الوفد المصري الذي استعد للانسحاب من المؤتمر وبين رغبة سهيل ادريس ، كان رأينا تعديل الاقتراح ليكون شاملا بحيث يتم تشكيل وفد بمعرفة الامانة العامة للكتاب العرب يتكون من اثنين او ثلاثة لزيارة جميع الاقطار العربية دون استثناء لدراسة اوضاع الادباء والمفكرين في الاقطار العربية وما يلاقون من صعاب في اثناء قيامهم بواجبهم نحو الجماهير العربية مع تقديم تقرير الى الامانة العامة على ان يبدأ الوفد زيارة مصر اولا · وكنا نعتقد ان هذا الاقتراح يحقق الهدف لسهيل ادريس · لكن المذكور لم يوافق ، وانبرى للرد عليه الاستاذ شفيق الكمالي رئيس وفد العراق ، والاستاذ يوسف الخطيب رئيس وفد فلسطين ، والاستاذ على المصراتي رئيس وفد ليبيا والاستاذ جورج صدقني رئيس وفد سورية ، ثم طرحت القضية للتصويت فسقط اقتراح سهيل ادريس · ثم طرح الاقتراح الذي تبناه وفد الكويت والعراق وليبيا وسوريا وفلسطين فاقره الجميع ولم يعترض عليه سوى سهيل ادريس ·

وطلب رئيس المؤتمر الاستاذ محمد المزالي وزير التربية في تونس من سهيل ادريس ان يكون ديمقراطيا ويتقبل النتيجة بروح رياضية لكنه هدد بان يثيرها في الجلسة الختامية امام الجماهير · وفي الجلسة الختامية المخصصة لقراءة القرارات والتوصيات وقف سهيل ادريس ليطرح اقتراحه الذي رفضه المؤتمر فمنعه رئيس المؤتمر وطلب اليه ان يلزم مكانه فخرج مع بقية اعضاء الوفد اللبناني من الجلسة ·

ان وفد الكويت حين غادر البلاد ليلتقي بزملائه على صعيد بلد مغربي عزيز كان يدرك ان هذا المؤتمر سيتعرض للمزايدات المفتعلة من اناس لهم ارتباطات خاصة ، وصمم الوفد على ان يكون منسجما مع نفسه بعيدا عن المعارك الجانبية المفتعلة وهمه الوحيد القضية المصيرية وما يجب ان يحشد لها في هذه الظروف الحاسمة ·

٤ ـ واذا كان اتحاد الكتاب اللبنانيين يدعو اليوم الى مؤتمر خاص به فهذا ما لا نرغب فيه ولا نقره عليه وكنا ومازلنا ندعو الى جمع الشمل وتوحيد الصفوف بعيدا عن الشعارات الزائفة والمواقف الملونة، والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل ◆

(احمد السقاف)
(رئيس وفد الكويت)


شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
تقوم شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية وهي إحدى شركات المؤسسة المصرية
العامة للصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية الشركة الرائدة بل الوحيدة في شرقنا
العربي التي تقوم بدراسة مشروعات إشارات المرور الأوتوماتيكية والالكترونية في المدن
٣- تنفيذ المشروع بكامل معداته طبقاً للمواصفات العالمية.
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية

من وحى حواء

استغفر الله الا من محبتـــــكم
فانها حسناتى يوم القـــــاه
فان زعمت ان الحب معصـــية
فالحب اجمـــــل ما يعصى به الله
العباس بن الاحنف

لولا جمالك ما شف الهـوى نغمي
ولا تعشقت الدنيا اغـــــاريدى
ملأتها من ســـلاف الروح شعشعة
فخالها الناس معصور العناقيـــد
صالح جودت

نمشى وقد طال الطريق بنـــــا
ونود لو نمشى الى الابـــــد
ونود لو خلت الحياة لنـــــا
كطريقنا وغدت بلا احـــــد
ابراهيم ناجى

تشكى المحبون الصـــبابة ليتني
تحملت ما يلقون من بينهم وحدى
وكانت لنفس لذة الحب كلهـــا
فلم يلقها قبلى محب ولا بعـــدى
مجنون ليلى

الغلاف الأول

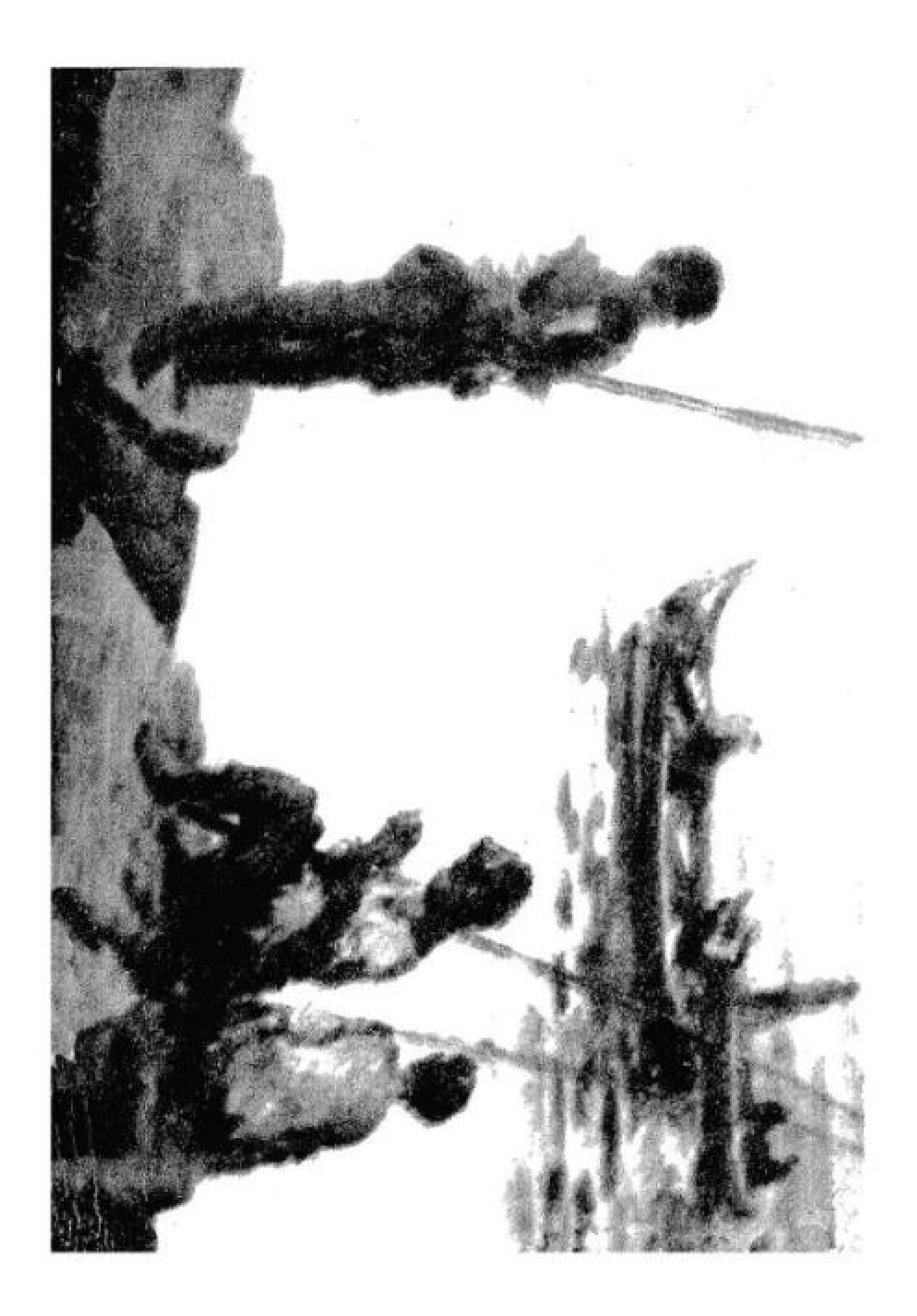

مى . . .
بريشة الفنان:
جمال قطب



والغلاف الأخير

الصيد . . .
بريشة الفنان :
كامل مصطفى . . .





الهلال

بطل دائما

ثورة السادات

في ٢٣ يوليو
و ١٥ مايو



اطلب مع العدد

زهور

الملحق الأدبي للهلال

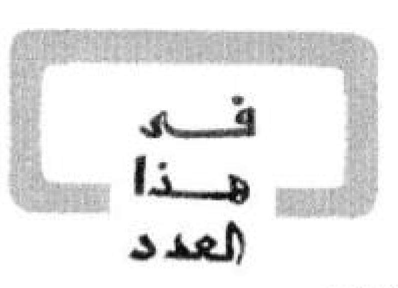
الهلال

يوليـــة ١٩٧٣

مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال العدد
السابع ـ السنة
الحادية والثمانون ـ
اول يولية ١٩٧٣ ـ ١
جمادى الآخرة ١٣٩٣ .

اشتراكات

ن العدد ، فى جمهورية مصر العربية ١٢٠ مليما ـ من الكميات المرسلة بالطائرة
سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا ؛ فى الاردن ١٥٠ فلسا ـ فى العراق ٢٠٠ فلس ـ فى
٢٢٥ فلسا ـ فى السعودية ٢٫٥ ريال سعودي .
الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد الحادى البريد
والافريقى ١٫٢٠ قرشا صاغا . فى سائر انحاء العالم ٦ دولارات او ٢٫٥ جنيه والقيمة
مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة
. فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف
الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .
ادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
ليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »







يوسف وهبى



بيرل بك



عباس العقاد



٤ .. بطل النصر باذن الله

٨ .. د . محمد بديع شريف : سوسة ، كاهن من بابل يمهد كتابة التوراة

١٨ . مصطفى الشهابى : .. كيبى على عرش روما

٢٦ . على انعم : الحب فى حياة العقاد وادبه

٣٦ . نور الدين صمود : ثروة وثورة « قصيدة »

٣٨ . عبد العزيز الرفاعى : رحلة قلم فى الادب السعودى المعاصر

٤٨ . هرمان تسيوك : آخر فرصة امام البشرية
ترجمة : صالح جودت

٥٦ . محمود يوسف : رفاعه رافع الطهطاوى فى ذكراه المئوية

٦٢ . محمد كمال الدين : عاشق الفن ... يوسف وهبى

٧٠ . الحبيب شبوب : شعراء تونسيون

٧٤ . حسن عبد المنعم : اشجان الليل « قصة »

٨٢ . انور العطار : الجمال بين المرأة والطبيعة « قصيدة »

٨٦ . رحلة الشهر

٩٧ . فوزى عطوى : لبنان والريف فى ادب امين نخلة

١٠٠ . حارث طه الراوى : ذكريات مع امين نخلة

١٠٦ عادل شريف : تسلك النظرية الجنرية فى العلاقة بين الرجل والمرأة

١١٤ محمود العتريس : امة الخلود « قصيدة »

١١٦ ميشيل تلا : اسطورة تدور فى الفضاء

١٢٤ احسان كمال : سحابة زيت « قصة »

١٣٠ د . ابوالوفا التفتازانى : ابن الفارض سلطان العاشقين

١٤٠ كامل امين : العودة « قصيدة »

١٤٣ الوزراء والعلماء فى ندوة الهلال : دور البحث العلمى والتكنولوجيا فى نهضتنا الصناعية وتنميتها وتطويرها
اعداد : انور الرصفى

بسم الله الرحمن الرحيم

بطل النصر بإذن الله



رجل – على كثرة ما قرأ وفرط ماكتب – لم يعرف كلمتى الصلف والكبر

فلاح وابن فلاح ، من قرية متواضعة فى أعماق الريف ، لا يزيد عدد سكانها على الفى نسمة ، لم تشهد نور الكهرباء الا عندما امتد اليها مع غيرها من قرى مصر ضوء السد العالى ، اسمها : ميت أبو الكوم

تذهب اليه فى قريته – وهو كثير الحنين اليها – فتجده متربعا على الارض ، لابسا جلبابا وعباءة ، وفى يده مسبحة ، وحوله – على الارض – أهله وعشيرته من الفلاحين البسطاء

فاذا تحدثت اليه ، تفتحت أمامك موسوعة كاملة ، احتشدت فى هذا الفلاح المصرى ، الذى يبهرك اذا حدثك فى الثقافة العربية ، ويزيدك انبهارا اذا سمعته يتحدث بالفرنسية ، أو بالانجليزية ، أو بالالمانية ، أو بالفارسية ، لا حديث العابر على هذه اللغات ، بل حديث المتمكن من آدابها وفلسفاتها وتواريخها

فاذا تطرق بكما الحديث الى السياسة والوطنية والدين، راعك منه انه يؤلف من هذه الموضوعات الثلاثة معنى واحدا ، اتخذه دستورا لحياته منذ فجر شبابه .. دستورا علمه كيف يكون ثائرا من أجل هذا المعنى ، يقاد الى المعتقلات واحدا بعد الآخر ، ويتعذب فى اعماق السجون ، ويقاسى مرارات الطرد والجوع والحرمان ، دون ان يهتز له ايمان

***

هذا هو الثائر الاول ، الذي علم رفاقه الثورة ، وخاض طريق العذاب منذ سنة ١٩٤٢ ... ثم واصله ليكون صاحب اول صوت يبشر الناس بالثورة سنة ١٩٥٢ ... ثم ظل يواصله ليدعو الناس الى المعركة الكبرى سنة ١٩٧٣

الثائر لا يزال ثائرا ، منذ ان كان ضابطا ناشئا ، الى ان اصبح رئيسا للجمهورية

ذلك لانه ليس رجل مناصب ، بل رجل اخلاق .

في عدد اول يوليه سنة ١٩٥٣ من هذه المجلة ، كتب هذا الثائر — انور السادات — يقول :

« وحينما اعود بذاكرتي الى الخلف قليلا ، اذكر انني في سبتمبر سنة ١٩٤٧ كنت في سجن مصر ، في الزنزانة رقم « ٥٤ » وكنت قد امضيت اكثر من سنة ونصف في تلك الزنزانة ، فما راعني وانا جالس في امسية من امسيات ذلك الشهر ، الا ان ادخل لي كتاب كنت قد طلبته ، وانني لاذكر جيدا انني من شدة فرحي بهذا الكتاب اخذت اتصفحه ، وكانت القراءة هي السعادة الوحيدة في ذلك المكان

« وقبل ان اصل الى نهاية الكتاب ، وقعت في يدي ورقة كانت موضوعة فيه بطريقة خاصة . فتناولتها لاقرأ فيها خطابا من جمال عبد الناصر عن الخطة التي اعدتها الجماعة لتهريبي من السجن ، وكافة المعلومات الاخرى التي تقتضيني اتباعها

« وتركنا ساعة التنفيذ الى وقت آخر »

ثم يختتم حديثه بكلمة الله ...

الكلمة العليا التى كللت صيحته يوم ١٥ مايو سنة ١٩٧١ بالغلبة على خصومه والتى ستتوج حياته باذن الله فى المعركة القادمة بالنصر المبين :

« وبالجملة ... لقد اشتركت عوامل كثيرة فى اخراج هذه الحركة بقوتها وزهوها ، وشدتها وحنوها ، وعنفها ورزانتها .

« لقد كانت عوامل ليست من صنع البشر ، وانما هى من تلك الاحساسات السامية التى ترتفع بنفوس البشر فوق ذلك المستوى المادى ، لتعرف التضحية والصداقة ، وتعرف الاخوة ، وتعرف فوق كل شىء وقبل كل شىء الايمان بالله عظيم يريد الخير للعالم ، ولا يرضى لنا الا الحياة الشريفة القوية »

***

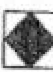
واليوم ، ونحن نستقبل اليوم الاول من شهر يوليو ، شهر الثورة ، فلنجعل كلمة الهلال تحية الى بطل يوليو ، وبطل مايو ، وبطل النصر باذن الله ...

● صالح جودت ●

سوسة التوراة

كاهن من بابل يعيد كتابة التوراة

● د. محمد بديع شريف ●



لقد ترك كتاب التوراة من الكهنة الاولين الذين عادوا من السبى البابلى العالم فى حيرة من تفسير ما انبهم من كتاباتهم حتى كشفت الحفريات عن ذلك ـ كما سيأتى فى بحثنا ..

وقد نبط اليوم كاهن فى بابل ايضا ينعى عليهم ما كتبوه ، ويهيب بكتاب العرب الذين اخذوا يقفون على جذور هذا الشعب اليهودى فى ايامه الاولى ويفسرون ما يقوم به الصهيونيون اليوم من دور اقلق العالم كما قام به اليهود من قبل مايقرب من ثلاثين قرنا .. ولقد تركنا هذا الكاهن حيارى فيما يكتب ، فقد ذهب يمينا وشمالا واصطنع المرويات ونحت الالفاظ واشتقاقها وقدم لنا صورا رابكة ..

ولكن الباحث المدقق يستشف من كتابته ما يهدف اليه ..

يقول : « علينا ان نعرف التسميات الاربع وماذا تعنى وهى : العبرانيون ـ الاسرائيليون ـ الموسويون ـ اليهود .. وعلينا ان نقسم الاحداث التاريخية الى ثلاثة ادوار منفصلة الواحد عن الاخر . وكل دور متعلق بمصطلح .

« المصطلح الاول : « العبرى » او العبرانى :

« ان كلمة عبرى مرادفة لابن الصحراء او ابن البادية بوجه عام ، وبهذا المعنى وردت كلمة : « الابرى » و « الهبيرى » و « الخبيرو » و « العبيرو » فى المصادر المسمارية والفرعونية ولم يكن للاسرائيليين والموسويين واليهود أى وجود بعد .



لذلك فان نعت ابرام بالعبرانى (كما جاء فى التوراة) وأورده هو « ابراهيم الخليل » • انما اريد به معنى العبريين « العبيــــرو » وهم القبائل البدوية العربية • ومنها القبائل الاراميـــة العربية التى ينتمى اليها ابراهيم • وبهذا المعنى وردت كلمة « عبرى » و « عبيرو » و « خبيرو » فى الكتابات القديمة التى اكتشفت مؤخرا » •

ويقول : « ودليلنـــا على ذلك ان مصطلح « عبرى » وعبرانى لم يردا فى القرآن الكريم مطلقا » •

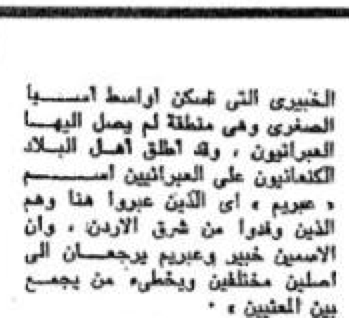
•••

وفى هذا العرض لباقة غير ماهرة اذ ما شان القرآن وكلمة عبرى • فانه قران عربى مبين ، وما نكره من ورود هذه الكلمات فى الكتابات القديمة قد اخفى به طريقة الورود وماذا تعنى •

والحقيقة فى تفسير هذا المصطلح وفقا للاكتشافات الحديثة وتحقيـــق المؤرخين ما يلى :

يقول الكسندر شــارف فى كتابه « تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى انشاء مدينة الاسكندرية » : « ويبدو واضحا من نصوص (بوغازكوى) الحثية ان « الخبيــرى » كاسم لم

يطلق على شعب بعينه » وبمعنى آخر لا علاقة لهذا الاسم بالعبرانيين بل هو اسم يطلق على مجموعة بعينها من الشعوب ، اذ كانت هناك بعض قبائل



الخبيرى التى تسكن اواسط اسيا الصغرى وهى منطقة لم يصل اليها العبرانيون ، وقد اطلق أهل البلاد الكنعانيون على العبرانيين اسم « عبريم » اى الذين عبروا هنا وهم الذين وفدوا من شرق الاردن ، وان الاسمين خبير وعبريم يرجعان الى اصلين مختلفين ويخطىء من يجمع بين المعنيين » .

***

ويبسط الدكتور فيليب حتى فى كتابه « تاريخ سوريا وفلسطين » القول فى شرح كلمة « الخبيرو » ويقول : « انهم جماعة من المرتزقة الاجانب يسمون فى الكتابات المسمارية الخابيرو **Khabiru** وقد ظن بعض العلماء ان هذه الكلمة الاكادية معادلة للكلمة العبرية «عبرى» و « عبرانى » التى تترجم عادة بالذى يأتى من الجانب الاخر او بمعنى العابر . ويوصف « الخابيرو » فى وثائق نوزى من القرن الخامس عشر بانهم عبيد اصبحوا كذلك باختيارهم ، وتظهر هذه الكلمة فى المدونات المصرية حوالى ١٣٠٠ ـ ١١٥٠ ق . م بشكل **Epiru** مما يثير الشك فى صحة المعادلة بين الخبيرو والعبرانيين ، ويظهر الخبيرو لاول مرة فى الحوليات الحثية فى عهد مرشلش الاول حوالى ١٦٠٠ ق . م الذين استأجرهم .

وفى رسائل تل العمارنة نرى الخابيرو يتعاونون مع المتمردين ضد الفراعنة فى ١٣٦٧ ق . م . ويستولون على شكيم . وقد وجهت ست من هذه الرسائل (رقم ٢٨٥ ـ ٢٩٠) من عبد خبا تابع فرعون فى اورشليم (اورسالم) الى اخناتون يعبر فيها عن ولائه ويطلب المساعدة ضد الخابيرو الذين يهددونه . وفى جميع هذه الوثائق يبدو الخابيرو كجماعة متعددة العناصر وبدون اوصاف مشتركة ومعباة بلا شك فى بلاد الرافدين . وقد اطلق هذا الاسم لاول مرة على المحاربين فى عهد نارام فى نحو ٢٣٠ ق . م من ملوك السلالة الاكادية القديمة ، ويذكر الاسم فى رسالة وجدت فى حفريات (مارى) من القرن الثامن عشر وفى الواح نوزى فى القرن الخامس عشر ، وكما يبدو فانه ليس اسما عرقيا وانما تسمية اطلقت على جماعة من الرحل الاجانب الاشقياء والمستعدين للانضمام الى صفوف اى جيش لقاء اجرة وبدافع الحصول على الغنائم » .

***

ومن هذه الدراسة يتبين للقارىء أن الكاهن اخفى الحقيقة ولم يطلع على المدونات التاريخية والاثرية .

وفى مصطلح اسرائيل يقول الكاهن : « أن مصطلح اسرائيل ـ المقصود به حفيد « ابراهيم الخليل » ـ وابنائه

بنى اسرائيل الذين ورد ذكرهم فى الاسفار ودورهم محصور فى منطقة حران ، ولدوا ونشأوا فيها » .

وهنا أيضا يخفى الكاهن الحقائق التاريخية فان الاسفار تذكر حياتهم فى غربتهم بأرض كنعان، وهو لا يكتفى

بهذا الاخفاء وانما يزيد لقبا آخر ، فقد كان « ابرام العبرانى » واعطاه يهوه لقب « ابراهيم » واكتفى ، ثم اعطاه الكاهن « ابراهيم الخليل »

وهو يعلم فى قرارة نفسه ان التحريف مستمر من الكهنة الاول الى الكاهن الحديث . وان لقب اسرائيل حصل عليه يعقوب من « يهوه » عند مخاضة

يبوق فى الاردن عندما رجع فى الهجرة الثانية الى أرض كنعان ، وقد ناله بعد صراع عنيف مع « يهوه » ، وان

ابرام وأولاده واحفاده عاشوا فى كنعان . لقد حرف الكهنة السابقون

التوراة لاهداف خاصة كما يقر بها الكاهن الحديث ، وحرف هو أيضا

لحاجة فى نفسه ، وتظهر هذه الحاجة فى معادلته واشتقاقه . فهو يقول :

عبرى = ابن الصحراء = « الابرى » = « الهبيرى » = « الخبيرو » = « العبيرو » = العرب = ابراهيم . وبما أن ابرام جد يعقوب ويعقوب = اسرائيل .

اسرائيل مساوى عرب ، ويرتاح الكاهن بهذا النصر الكاذب فيهتف عالم

عربى واحد . تعايش سلمى ، فاسكتوا ايها العرب على ظلم اسرائيل فى اغتصاب بلادكم » ..

واما المصطلح الموسوى فيقول عنه سوسه انه يبدأ بعد الدور الذى تداولت

فيه اسرائيل بزهاء ستمائة عام . وفى هذا تحريف واسع للتاريخ ، فان يعقوب وعشائره انتقلوا الى مصر فى حوالى ١٧٠٦ ق . م . وخرج بهم موسى فى حوالى ١٤٩١ ق . م أى انهم مكثوا فى مصر ٢١٥ عاما خلافا لما جاء فى التوراة انهم مكثوا فى مصر ٤٣٠ عاما ولم تنفصل عنهم كلمة اسرائيل فان « يهوه » يكلم موسى دائما بقوله : « قل لبنى اسرائيل » .

غير ان الكاهن سوسه ينكر كون موسى من بنى اسرائيل ، ويذكر انه قائد مصرى وان الحملة حملة مصرية .. وان يعقوب وعشائره اندمجوا وذابوا فى البيئة المصرية ، وبذلك

يمحو من التاريخ الاسباط العشرة الذين سباهم شلمناصر والسبطين الاثنين

اللذين سباهما نبوخذنصر ، وبالسبيين قضى على دولتى يهوذا واسرائيل اللتين وردتا فى المدونات الاشورية والبابلية

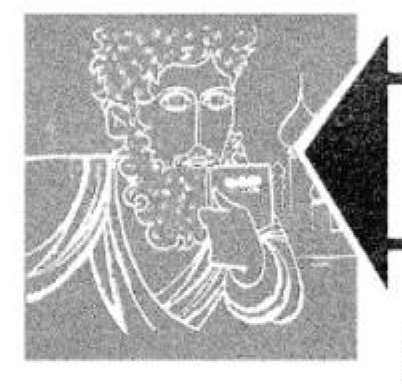
على الاقل . ويذكر ان حملة موسى حملة فرعونية ، وان الكهنة اغتالوه وقتل بيد يشوع بن نون : فلماذا هذا التحريف وماذا يهدف من وراء ذلك ؟

ان سوسه يهدف الى طى الفظائع التى قام بها يشوع بن نون فى مدينتى أريحا وعاى ويخفى « بوق أريحا » .. لقد امر يهوه يشوع أن يحمل سبعة من الكهنة الابواق ويطوفون حول المدينة ينفخون الابواق ويهتف شعب

اسرائيل فتسقط المدينة » ونفذ يشوع قول يهوه وسقطت المدينة فأحرقها وقتل الاطفال والنساء والرجال والشيوخ والغنم والبقر والحمير .

واعلن الهاجانا والارجن الصهيونيون استعمال « بوق اريحا » فى الطريقة

الحديثة بمكبرات الصوت والاصوات المزعجة الانين وصياح النساء واصوات من القبور تدعو الناس



سوسة
كاهن
من بابل يحيي كتابة التوراة

للخروج من دورهم ، ونفذ امر يهوه في سدفة المساء وانتشار الظلام . وخرج الناس يغمرهم الرعب والفزع ورصاص الهاجانا فوق رءوسهم في حيفا ويافا ودير ياسين . وقد مر في فظائع فلسطين اسم بوق أريحا فلم يعرف الكتاب الغربيون ما هو بوق اريحا ؟ ..

ان موسى مات في التيه ولم يكن له عمر والذى خلق التاريخ اليهودى هو يشوع بن نون الذى ترسم خطاه ، ايجال الون ومناحيم بيجين وموشى ديان . وان سوسه يريد ان يسدل الستار على تلك المآسى : والهدف كل الهدف من ذكره هذا الاصطلاح الموسوى هو تبرئة اليهود من فظائع اريحا ، كما حاول معاصروه تبرئة اليهود من دم المسيح .

وأما مصطلح يهود فيقول عنه سوسه : انها التسمية التى اطلقت على بقايا جماعة يهوذا الذين سباهم نبوخذنصر الى بابل وسموا كذلك نسبة الى مملكة يهوذا المنقرضة ، وفى هذا تحريف أيضا ، فان كلمة يهودى : تعني بالاصل احد افراد قبيلة يهوذا ، ثم اطلقت على كل فرد رجع من السبى البابلى ، وعمت بعد ذلك جميع افراد الشعب اليهودى .

ويقول : وكان هؤلاء اليهود عندما دونوا التوراة استهدفوا تحقيق غرضين رئيسيين ، اولهما تمجيد تاريخهم وجعل انفسهم صفوة الاقوام البشرية ، ولتحقيق ذلك لابد من ارجاع أصلهم الى أقدس شخصية فى عصرهم اى شخصية « ابراهيم الخليل » . وقد حالفهم النجاح فى سرد تاريخهم حسب اهوائهم بلباقة ومهارة لم يسبق لهما نظير فى الادب ، فأرجعوا تاريخهم الى ابراهيم الخليل والى حفيده يعقوب (اسرائيل) وابتدعوا فكرة الشعب المختار الذى اصطفاه الرب من دون الشعوب بالنسبة لهاتين الشخصيتين . تلك الفكرة التى كان ابراهيم ويعقوب وموسى بريئين منها ..

ونقول له لقد كنت انت لبقا ماهرا وكاهنا يهوديا تخطيت أهداف كهنة بابل الى ابعد الخطأ ، لقد زيفوا التاريخ وابتدعوا اشخاصا ووضعوا انسابا ، وجئت انت فوزعت اليهود واضفيت عليهم الالقاب ، فان كان أجدادك جعلوا انفسهم من أولاد سام والكنعانيين من أولاد حام والعرب أولادا للجارية ، فانت قسمت اليهود الى موسويين وجعلتهم مصريين والى اسرائيليين وجعلتهم عربا والى يهود فأرجعتهم الى بقايا سبى بابل . وكل ما جئت به يستند الى التوراة مع تلاعب فى التعبير والالفاظ .

ونلخص ما يهدف اليه سوسه بما يأتي :

١ ـ اقناع العرب بأن اسرائيل عرب

ويدعو الى التعايش السلمى معهم ، ويهتف عالم عربى واحد ·

٢ ـ تبرئة يشوع بن نون من فظائع اريحا وعاى التى تتمثل اليوم بمـــا يقوم به الصهيونيون فى الارض المحتلة وما قاموا به فى حيفا ودير ياسين وقرية ناصر وكفر قاسم وغيرها ·

٣ ـ تأكيد انتساب اليهـــود الى « ابراهيم الخليل » وليس الى ابرام العبرانى ، مع ان ابراهيم الخليل لم يعرج ابدا بالطريق الذى مر به ابرام العبرانى وقدم زوجته للملوك ·

٤ ـ ان يعقوب الاسرائيلى : معروف بالخداع ، وانه نال اللقب بصراع مع يهوه ، فيريد ان يرفع عنه هذه السبة· وهو يعلم حق العلم ان ابرام واسرته لم يكونوا آراميين وانهم كانوا نزلاء بجانب حران ، وان العداء كان على اشده بين العبرانيين والآراميين ·

٥ ـ يهدف الى محو التكوين اليهودى من نسل يعقوب وهم الاسباط الاثنــا عشر ليخفى السبى الاشورى الذى وقع على الاسباط العشرة والسبى البابلى الذى وقع على السبطين الاخرين وبهما انتهت دولتا اسرائيل ويهـــوذا من الوجود ·

لقد رشا سوسه القارىء العــربى بهجومه على التوراة وعلى اختـــلاق اليهود الذى هو فى كل الكتب ، وما جاء به تحصيل حاصل · ولكنـــــه متناقض ومســـــتقل ·· ولكى نعطى

القارىء صورة واضحة ومركزة عن تاريخ هذا الشعب الذى عاش غريبــا عن كل موطن ومطـــاردا من كل امة ولا يزال قلقا فى الوجود لانه حاول ان

يجد له مكانا فتسامى على العـــالم فكرهه العالم · فاين هى مكانته من العالم ؟ هذا ماسنوضحه موجزا ·

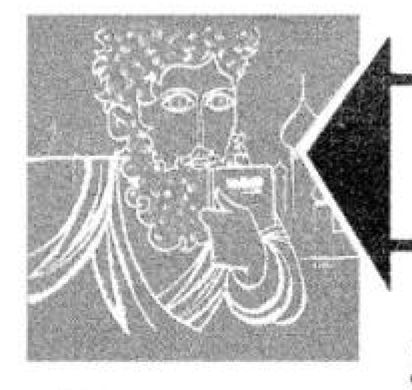
سجل التاريخ ان البرارى حـــول

حوض الرافدين وهضـــاب سوريا وهضاب ارمينيا كانت مجالا لتنقـــل القبائل الرحل ينتجعون الكلا ويطلبون مناطق الرزق ، وكان ابرز هذه القبائل عددا فى التدفق من الجزيرة العــربية هى القبائل الارامية التى كونت على انقاض السومريين عدة دول ودويلات فى حوض الرافدين وسوريا ، من هذه الدول الدولة الاكادية والبابلية والاشورية فى حوض الرافدين، والكنعانية والفينيقية فى كنعان ولبنان ، والدويلات الارامية فى فدان آرام وفى سوريا بعد ذلك ، وكل هذه الدول انحدرت من الجزيرة واثبتت وجودها فى عواصم ارســـت قواعد الحضارة فى عصور مزدهــرة بالعلوم والفنون والتشريع ، وممتـــزة بالمنعة والقوة ·

واما القبائل التى انحـــــدرت من هضــــــــاب ارمينيا وهم الحـــوريون والســــوباريون والحثيون فقد تكونت منها دولتان : الدولة الميتانية والدولة الحثية ·

واما العبرانيون : فيقـــــول عنهم الاستاذ حتى : « ان الغموض يحيط ببدء وجود العبرانيين فى سوريا الذى سجل بشكل اسطورى تقليدى » ·

ويقول المؤرخ الكبير ولز : ان ابرام وولده اسحاق وحفيـــده يعقوب هم مؤسسو الشعب العبرانى وهم يمثلون فى صورة رؤساء بدو يســـود بينهم نظام الابوة ويعيشون عيشة الرعاة الرحل فى المنطقة الممتـــدة بين بابل ومصر · وفى هذا لا نجد مكانة لهذه المجموعة بين الامم ، والوثيقة الوحيدة التى بين ايدينا فى تكوين هذه الاسرة اليهودية تنحصر فى كتابة التوراة رغم ان التاريخ الذى كتبه كهنة بابل بعد السبى عن الدور القبلى لا يمنحنـــــا القدرة على استخلاص لب الحقـــائق التاريخية من الرويات العبرانية التى تتعلق بهذا الدور ·



ســـوســـة
كاهـــن
من بابل يعيد كتابة التوراة

وكل ما علمنا ماجاء في الكتاب المقدس ان « يهوه » امر ابرام العبراني ان يرتحل من حران وينزل في ارض كنعان ، فحمل اهله واصطحب ابن اخيه « لوط » فلما وصلها ضرب خيمته قرب شكيم ، ولما نزل القحط ارتحل الى مصر وقال لزوجته ساراى انك جميلة فاخاف أن اقتل بك ، قولى انك اختى فذلك ابقى على حياتنا واجلب للخير ، وكان عمره اكثر من خمسة وسبعين عاما وعمر ساراى اكثر من خمسة وستين عاما ٠

وقد حدث ما توقعه ابرام حيث زفت ساراى الى فرعون ، وبعد مدة علم فرعون بامرها فأمر ابرام ان يترك البلاد مع ما اصابه من مال ونشب ، وعاد الى جرار فعرضها ايضا على ابيمالك وقال انها اخته، ثم علم ابيمالك بأمرها قبل ان يبنى بها فعاتب ابرام على ذلك ، فقال ابرام خفت أن اقتل بها ، فقبل ملك جرار عذره وانزله فى بلاده على الرحب والسعة ٠

وفى سن المائة وساراى فى سن التسعين منحهما « يهوه » اسحاق كما ابدل اسميهما فبدل اسم ابرام الى ابراهيم واسم ساراى صار « سارة » ٠٠ وبلغ اسحاق ستين سنة فتزوج بناء على وصية ابيه من عشيرته وولد له يعقوب وعيسو ، وفى حيلة ماكرة وتمثيل بارع من رفقة يعقـــوب نال يعقوب بركة رئاسة القبيلة ٠ وهاجر الى حران خوفا من اخيه عيســـو ، ومكث اكثر من خمس عشرة سنة فولد له اولاد من زوجتيه بنتى خاله لابان ، ورحل عائدا الى كنعان، وسرقت راحيل اصنام ابيها لابان ٠

وفى مخاضـــة يبوق عند الاردن تصارع يعقوب مع يهـــوه فنال لقب « اسرائيل » الذى اصـــبح اسم علم لقبائل اسرائيل ٠ ويعتبر انتقـــال يعقوب من حران الى كنعان الهجرة الثـــانية فى نظر المؤرخين ٠ ومكث يعقوب وذريته فى كنعان بين الخيام وعلى هامش الحياة يرعون اغنامهم العشب ولم يمارســـوا اى نوع من الثقافة او الصناعة ، ثم انتقـــل بعشيرته الى مصر ومكث هناك مدة بمقدار المدة التى مكثها هو وشعبه فى ارض كنعان ، اى ٢١٥ عاما أيضا لم يمارسوا صناعة ولا زراعة غيـــر رعى الاغنام ، بدليل انهم لما مثلوا بين يدى فرعون سألهم عن صناعتهم فقال « اسرائيل » عبيدك لا صناعة لنا انما نحن رعاة غنم وابقار ٠٠

●●●

واما عن خروجهم من مصر بقيادة موسى فيعتبره المؤرخون الهجرة الثالثة وبها بدأ تاريخ اليهود الحقيقى ٠ ولا نخفى ان خروجهم من مصر غامض فيه اقوال وخاصة حول ما جاءت به التوراة من الارقام الفلكيـــة فى

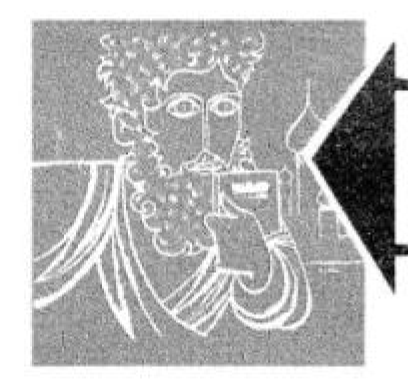
الاشخاص والاموال وحتى فى التاريخ، ومع ذلك فان موسى الذى تزوج فى مدين ابنة الكاهن ، ثم تراءى له حسب رواية التوراة « يهوه » فى شجرة العليقة وامره ان ينقذ الشعب الاسرائيلى من عذاب فرعون · وقد فعل ولكن جبن اليهود منعهم من غزو فلسطين فورا فبقوا فى التيه اربعين عاما · ومات موسى ولم يدخل ارض كنعان ، واخذ يشوع بن نون قيادة اسرائيل ، وهنا لعب « يهوه » الاله القبلى دورا مرعبا اذ امر يشوع ان يسير الى اريحا وارشده الى كيفية القاء الرعب فى اهل المدينة باستعمال الابواق والاستعانة بالبغى رحاب ، وفى غفلة من اهلها دخل هو وجيشه فقتل الاطفال والنساء والشيوخ والغنم والبقر والحمير ثم احرقها ، واراد ان يفعل هذا بمدينة عاى فتصدى له اهلها وقتلوا من جنده اربعة الاف ، فخر على الارض من الخوف وجمع شيوخ اسرائيل وحثوا على رءوسهم التراب، وصاح آه يا رب لماذا عبرت هذا الشعب تعبيرا لكى تدفعنا الى يد الاموريين ليبيدونا ؟ ليتنا بقينا عبر الاردن (يشوع ـ ٧) ·

ولما علم اهل البلاد بفظائع اليهود اجتمع الحثيون والاموريون والكنعانيون والفرزيون والحويون واليبوسيون واجمعوا امرهم على محاربة اسرائيل، ومنذ ذلك الحين اخذ اليهود يتلقون ضربات الشعب ، فظلوا اربعين سنة تحت حكم الفلسطينيين ، وعبيدا للادوميين والمؤابيين ثمانى عشرة سنة، وزجبهم المديانيون الى الكهوف والجبال·

ويسرد سفر القضاة حالتهم سردا محزنا ففى عهد « عالى » القاضى المشهور خسر اليهود فى معركتين امام رماة الفلسطينيين اربعة وثلاثين الف جندى ، وقتل شاؤل واولاده ، ونشبت الحروب بين بيت شاؤل وبيت داود ثم فى بيت داود نفسه ، وبقى داود مع عشائره فى الخيام حتى هدات الحالة والتجأ الى حماية الفلسطينيين ثم صعد الى اورشليم وهى (يبوس) المدينة الكنعانية واشترى قطعة ارض فى بيدر آرونة اليبوسى وكان ذلك فى حوالى ١٠١٧ وهو اول بيت بناه اسرائيل ، واما العشائر فقد ظلوا فى الخيام وعاش داود فى حماية ملك صور·

يقول ولز : ان قصة داود مبسوطة فى سفر صموئيل الثانى ، وهى بما تحتويه من قتل وسفك دماء واغتيالات يأخذ بعضها برقاب بعض اشبه بتاريخ بعض رؤساء البدو منها بتاريخ حاكم متمدن، وعند موته اوصى ولده سليمان بالتخلص من بعض القواد والكهنة ، ومما قاله فى التخلص من الكاهن شمعى : لا تبرره واحدر شيبته بالدم الى الهاوية · وهكذا كانت بداية حكم سليمان مخضبة بالدم كحكم داود · وحافظ سليمان على صلته بملك صور وتزوج ابنة فرعون فثبت ملكه ، وبنى الهيكل بهندسة كنعانية وزخرفة فينيقية ، وبدا حكما ظالما ومسرفا ، وبموته انقسمت العشائر الى قسمين اسرائيل ويهوذا ، فاتخذت اسرائيل السامرة مقرا لها ، وبقيت يهوذا منحصرة فى قصبة « اورشليم » التى تحيط بها الجبال الجرداء ·

يقول ولز : لقد ظلت حياة العبرانيين طوال ثلاثة قرون شبيهة بحياة رجل يصر على العيش فى وسط سوق صاخبة فتدوسه نتيجة لهذا سيارات الجمهور ، وبينما كان هذا الانحلال يزحف على اليهود بدأ نجم سوريا الارامية يتلألأ ويؤذن العبرانيين بخطر قريب ، وبدات العداوة على



سوسة كاهن من بابل يحيك كتابة التوراة

اشدها بين الاراميين والعبرانيين

***

وبدات قوة اخرى نامية فى وادى الرافدين فى دولة اشور . واخيرا صعد شلمناصر وحاصر السامرة فى حوالى (٧٢٢ ـ ٧٢١) وسبى اهلها وهم ابناء القبائل الاسرائيلية العشرة، ودفعهم الى مادى واسكنهم قرب الخابور ، واتى بقوم من بابل وحماة وغيرهما واسكنهم فى السامرة عوضا عن اسرائيل . وهكذا تلاشت مملكة اسرائيل الى الابد .

ويقول حتى : وقد اظهر الرحالة بنيامين من بلدة توديلا فى القرن الثانى عشر مقدارا كبيرا من الفهم التاريخى حين كتب ان الطائفة اليهودية فى جبال نيسابور شرقى

ايران ينحدر ابناؤها من المسبيين الاصليين . وغزا شيشق فرعون مصر يهوذا فنهب الهيكل وبيت الملك ، ثم غزاها الاشوريون ووضعوا عليها الجزية وظلت عرضة لغزو الكلدانيين والاراميين والمؤابيين والعمونيين ، وغزاها نبوخذنصر واخرج جميع خزائن الهيكل وخزائن بيت الملك وسبى كل اورشليم وكل الرؤساء والقادرين على حمل السلاح والصناع والاقيان ، وسبى الملك ونساءه وخصيانه واقوياء الارض من اورشليم الى بابل ، وصعد فى فترة اخرى نبوزرادان رئيس شرطة نبوخذ نصر فاحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم وهدم جميع اسوارها وسبى بقية الجمهور وكان ذلك عام (٥٨٦) ق . م وقد هاجر قسم منهم الى مصر خلافا لامر يهوه الذى طلب منهم البقاء لانهم سيقعون تحت طائلة عذاب فرعون والمرض والجوع فهلك منهم من هلك ، واتخذ قسم منهم ساحل البحر الابيض المتوسط . واما الباقون فقد هاموا على وجوههم ، ويقول برآيان انهم اصل الغجر المتجولين .

يقول ولز لقد خرج اليهود من اورشليم همجا وجمهورا مختلطا لا رابطة وعى ذاتى بينهم ، وعادوا من بابل متمدنين .

عاد كهنة بابل اليهود من السبى عام (٥٣٩ ق م)ينظرون الى الماضى فى تاريخ قبلى مظلم مشحون بالحقد والحسد والذلة وسفك الدماء والجور، وقد ترك هذا الماضى حول اكبادهم عناقيد العقد النفسية فارادوا ان ينتقموا من العالم الذى اذلهم ، وقد ارهفت هذه المدة التى قضوها فى السبى اقلامهم وغسلت ادمغتهم من الجهالة وغلفتها بالضلالة . فاملوا على العالم ذلك التاريخ الاسطورى فى بدء الخليقة ونسب الاجناس والقصص والاساطير والتشريعات ،

وظل الناس حيارى فى هذا النتاج الادبى الرائع ، حتى كشفت الحفريات فى يوغاريت ونوزى وتل العمارنة وحوران ومارى فتكشف اللثام عن صبح مسفر ، واذا بنا نقع على الحقيقة واذ العبرانيون هم هم لم يضيفوا الى الحضارة شيئا ، وانهم وضعوا أيديهم على تراث الاقدمين

فأخذوا خيرة ما تركه الكنعانيون وادخلوه فى كتاباتهم المقدسة خاصة فى القطع الغنائية والحكم التى استعارها سفر الأمثال والمزامير ونشيد الانشاد والاخبار الخرافية والأساطير التى دخلت سفر التكوين وقصص الانبياء · وابتدعوا

شخصيات يذهب اصلها الى اعماق التاريخ ليس لهم بها صلة وانما

ارادوا ان يجعلوا تاريخهم كتاريخ الامم ذات الحضارة ، ولكن فاتهم الحظ بما جاءوا به من المتناقضات ، فلما ارادوا ان يجعلوا من جد اسرائيل « ابرام العبرانى » شخصية ممتازة غيروا اسمه الى « ابراهيم » ولكن بقى تاريخه غامضا وسيرته لا ترتفع به الى مكان الزعامة · وكلما ارادوا مجدا عزوه الى « يهوه » وكلما

لحقت بهم ذلة جعلوها من غضب « يهوه » عليهم · ولكن « يهوه » كان يعلمهم الشر اكثر مما يعلمهم

الخير · وظلت هذه التعاليم ملازمة لهم ·

يقول المؤرخ العالمى ولز : لقد اضافوا الى هذه المجاميع الادبية فكرات رئيسية باعيانها منها : فكرة كان فى ادبهم ما يدحضها ، وهى القول بأن كل الناس قاطبة أبناء ابرام الخلص الدماء · وفكرة اخرى ، وعد قطعه يهوه لابرام انه يفضل الشعب اليهودى على جميع الاجناس الاخرى ، وفكرة ثالثة فى

أن « يهوه » هو اعظم واقوى آلهة القبائل طرا وأنه كان ربا يعلو على كل الأرباب ···

وكانت هناك فكرة رابعة نشأت نشوءا طبيعيا من هاته الفكرات الثلاث ، وهى القول بزعيم منتظر مخلص للعالم ومسيح يحقق ما ترامى به الزمن من وعود « يهوه » التى طال عليها الامد ···

هذه الفكرات الاربع زادتهم عقدا فتعالوا على البشر وقطفوا ثمرة ذلك على أيدى الاغريق ثم الرومان الذين لم يتركوا يهوديا فى أرض كنعان حتى استلمها العرب المسلمون ·

وبعد ···

فلأمانة للتاريخ اورد هذا السؤال : اين مكانة هؤلاء انثروبولوجيا ؟ ويجيب عن هذا السؤال المؤرخ الالمانى الكبير شتهلن فى كتابه « هجرات الشعوب فى الشرق الاوسط قديما » ··

يقول شتهلن : « ان الذى ينظر الى تقارب الجنس بين ممثلى اللغات السامية يقع فى حيرة ، فان اليهود الشرقيين الذين عادة ينظر اليهم بانهم ساميون يحملون جماجم قصيرة وجباها منبسطة مع انف ناتىء معقوف ، وهذه السمات تشترك بها شعوب اخرى لا تعد سامية كالشعوب التى تسكن شرقى اسيا الصغرى ، وخاصة يرى ذلك فى القبم بين الخوريين والسوباريين الذين فى منتصف القرن الثانى انحدروا الى نهارين من جبال ارمنيا· على انه يلاحظ هذه السمات بين الارمن الحاليين »

ويقول حتى : والملامح السامية المزعومة التى يتصف بها اليهود هى فى الحقيقة حلية حورية ···

تاريخ لا يهمله التاريخ

ليبي على عرش روما

لروما تاريخ خالد ومجد عتيد ، فقد سادت العالم فترة من الزمن شملت فيه املاكها اغلب اجزاء اوربا وجميع الدول المشرفة على البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود ، يضاف الى ذلك انجلترا والشرق الاوسط بما فيه بلاد العراق ، مكونة بذلك اعظم امبراطورية عرفها التاريخ ، فلم تبلغ مثل مساحتها ولا مثل نفوذها اية امبراطورية اخرى ، حتى ولا الامبراطورية البريطانية التى كانت الشمس لا تغرب عن مكان فيها الا لتشرق فى مكان سواه .

وللاحتفاظ بتلك الاملاك الواسعة ترك الرومان فى كل مستعمراتهم حاميات ، وشقوا الطرق بين تلك المستعمرات وبين روما عاصمة الامبراطورية الرومانية حتى اصبحت عبارة « كل الطرق تؤدى الى روما » حقيقة واقعة ...

ولم يكن اباطرة روما من الاخيار العادلين ، بل كان اغلبهم من المستبدين القاتلين الذين اسرفوا فى قتل الابرياء وساموا الشعب اشنع الوان الذل والهوان ، او من المسرفين فى الملذات والمجون أو من الحمقى والمجانين .

وقد يضيق المجال عن ذكر امثلة لهؤلاء جميعا ويكفينا ان نعلم ان احدهم وهو الامبراطور « كاليجولا » عين حصانه « قنصلا » اى نائبا للامبراطور ، وكان يحضره معه فى المآدب التى يقيمها ويأمر المدعوين بالسجود له وتقبيل

● مصطفى الشهابى ●

حافره · وطبيعي ان هذا العبث لم يستمر وانتهى بقتل هذا الامبراطور المجنون ...

مماليك وانكشارية فى روما

وقد اعتمد أغلب هؤلاء الاباطرة فى الوصول الى الحكم على الحرس الامبراطورى ، وبعد أن كان هذا الحرس تحت امرة الاباطرة يوجهونه كما يشاءون ، اصبح الاباطرة العوبة فى أيدى رجال الحرس ، يولونهم ويؤيدونهم واحيانا يقيلونهم بل يقتلونهم اذا شاءوا ، كما كان يفعل المماليك وجنودهم بمصر والانكشارية فى تركيا العثمانية ·

وبلغت الفوضى اقصاها وانهار النظام الحكومى والاقتصادى فى جميع انحاء الامبراطورية وزاد استبداد هذه القوة العسكرية فلم تقتصر على تنصيب الاباطرة وخلعهم.



تاريخ لا يهمله التاريخ

بل تجاوز ذلك الى استنزاف موارد الدنيين الضئيلة بدفع الاباطرة الى فرض الضرائب على الشعب البائس لاسترضاء رجال الحرس .

لذلك عرف الاباطرة الذين يرجع توليهم الى الحرس الامبراطورى باسم « اباطرة الفشلاق » ويكفى أن نذكر أنه فى أواخر القرن الثالث الميلادى تربع على العرش الرومانى خمسة وعشرون عاهلا اقتيلوا جميعا عدا أربعة ، ولم يزد حكم برتيناكس اول تلك الطائفة من الاباطرة على ثلاثة اشهر من عام ١٩٣ حاول خلالها نشر النظام ووضع حد لفساد الحكم والضرب على ايدى الطغاة والحد من تدخل الجند ، ولكنه فشل ، وكان مصيره القتل بيد من ولوه . وكانت كارثة حزن لها الشعب .

الامبراطورية فى المزاد

وانتهز قواد الحرس تلك الفرصة واعلنوا انهم سيضعون تاج الامبراطورية على رأس أى رومانى يقدم لهم أكبر مبلغ من المال . وطاف المنادون فى أرجاء روما يعلنون هذا المزاد ...

وبينما كان ديديوس جليانوس يتناول مع زوجته وابنه طعام الغداء، طرق النداء اسماعهم وبادرت الزوجة والابن الى دفع ديديوس للتوجه فورا الى المعسكر ليعرض عطاءه .

وفى المعسكر وجد منافسين له ، يتنقل سماسرة الحرس بينهم ليزيدوا فى العطاء وكان اكبرهم عطاء ، لرى وعد بتقديم خمسة الاف درخمة (٣٠٠٠ دولار) منحة لكل جندى . وتذكر ديديوس جليانوس زوجته وابنه فرفع العطاء الى ٦٢٥٠ درخمة لكل جندى ، ولما لم يكن هناك من يزيد عليه فقد اعلن الحرس اختياره امبراطورا .

رأى ابناء روما فى تلك المهزلة امتهانا لهم ، ولذلك ثاروا وبعثوا بالرسل تهيب بالفيالق الرومانية خارج روما أن تعجل بالزحف الى روما لتوقف تلك المهزلة وتخلع جليانوس ، وعندما انتهى النبأ الى جنود الفيالق غضبوا ، ولم يكن غضبهم بسبب تلك المهزلة ، وانما لانهم لن ينالوا نصيبهم من العطاء . ونادت كل مجموعة فيالق بقائدها امبراطورا طمعا فى عطائه .

ثلاثة على عرش واحد

بذلك أصبح هناك ثلاثة اباطرة : اولهم قائد الفيالق السورية المرابطة على نهر الفرات ، وثانيهم قائد الفيالق الموجودة فى بريطانيا ، وثالثهم قائد فيالق بانونيا التى

كانت تضم يومئذ من الدول الحالية شمال يوغسلافيا وشرق النمسا وغرب المجر وأجزاء أخرى من الدول القريبة منها ٠

وكان قائد الفيالق الاخيرة سبتيموس سيفيروس قائدا حازما ، ادرك خطورة موقفه ولذلك عجل بالسير نحو روما ليكون سيد الموقف من البداية ، وتعهد لجنوده وقواده بأن يهب لكل منهم مبلغا جزيلا اذا انتصر على منافسيه وجلس على عرش روما ٠

ولما اصبح على مشارف روما استمال القوات التي قدمت لصده فانضموا اليه ٠ أما الحرس الامبراطورى فقد عرض على رجاله العفو عن مهزلتهم اذا سلموا اليه قوادهم ٠

ولما كان مجلس الشيوخ قد وافق على مهزلة المزاد وأقر تعيين الامبراطور الجديد ، فقد قبض سبتيموس على عدد كبير من أعضائه واعدم عددا آخر ، وعين بدلا منهم أعضاء ممن يثق فى نزاهتهم كما صادر املاك كثير من الاعضاء وضياع اغلب الاشراف ٠

أما الامبراطور – صاحب المزاد – فقد اعلن خلعه واعدامه ، ومن العجيب انه وجد ساعة القبض عليه يبكى فى قصره بعد ان حكم خمسة وستين يوما لم يظهر فيها اية مؤهلات حربية او ادارية ، بل ان الشعب نفسه كان يناديه كلما ظهر « ها هو سارق الامبراطورية » ٠

وكان أول ماعمله سبتيموس ان كون حرسا جديدا من رجال الحاميات ليحل محل الحرس القديم الذى وصم الامبراطورية وصمة لطخت سمعتها على مر الايام ، بعد أن حل فرق الحرس القديم ونفى افرادها خارج روما ، ورفع مرتبات رجال الجيش وجعل الخدمة العسكرية اجبارية فى الولايات ، وصرح للجنود باصطحاب زوجاتهم الى ميادين القتال ٠

وأما منافساه على العرش فقد استرضى قائد حاميات بريطانيا ، الذى بادر الى الاستيلاء على بلاد الغال (فرنسا) بأن اعترف به وريثا له يتولى بعده ، وبذلك ضمن هدوءه ٠

أما المنافس الثانى وهو قائد الحاميات السورية فقد هزمه فى بضع معارك واخيرا تمكن من قتله عام ١٩٤ فى « اسوس » شمالى مدينة انطاكية وحيث هزم الاسكندر الأكبر دارا الثالث ملك الفرس عام ٣٣٣ ق ٠ م ٠ ولكن قائد حاميات بريطانيا الذى اصبح وريثا لسبتيموس استبق الزمن واراد ان ينال نصيبا من الحكم فادعى لنفسه المساواة التامة فى السلطة مع سبتيموس ، ونادى بنفسه امبراطورا ، لذلك بادر سبتيموس الى عبور جبال الالب ، غير عابىء بالثلج المتراكم فوقها ولا بجو الشتاء القارس ، قاصدا بلاد الغال (فرنسا) حيث تمكن من قتل هذا الدعى فى موقعة قرب مدينة ليون (الحالية) فى فبراير سنة ١٩٧ ، وهكذا صفا له الجو ٠٠٠

وجدير بالذكر ان نابليون اتبع نفس الطريق – طريق الالب – ولكن من فرنسا الى ايطاليا ، وكانت انتصاراته هناك بداية بزوغ مجده الحربى ٠

وعين سبتيموس حكاما للولايات الرومانية ممن يثق فيهم ، وقسم كل ولاية الى وحدات صغيرة ، وادخل عددا كبيرا من النظم ليضمن حسن سير الامور ، وهكذا استطاع سبتيموس أن ينقذ الامبراطورية الرومانية من الانهيار والسقوط فى ذلك العهد ٠

تاريخ لا يهمله التاريخ

غير ان البارثيين ـ سكان الاجزاء الشمالية الشرقية من ايران يومئذ ـ اغاروا على بلاد ما بين النهرين (العراق) واستولوا عليها ، فبادر لملاقاتهم وتمكن من هزيمتهم عام ٢٠٢ واسترداد العراق منهم ولا يزال قوس النصر الذى اقيم سنة ٢٠٣ تخليدا لانتصاراته ـ قائما بين آثار روما ..

زيارته لمصر

وبعد ان استقرت الاحوال فى الشرق ، قرر العودة الى روما ، وفى طريقه اليها عرج على مصر وكان مما زاره من بلادها مدينة طيبة (الاقصر) حيث شاهد معابدها وآثارها .

وكان مما استرعى انظاره هناك تمثالا امنحتب الثالث (١٤١١ ـ ١٣٧٥ ق . م .) وهو المعروف باسم اميتوفيس

وتمثالا ممنون وهما بقايا معبد كبير بناه امنحتب لعبادة آمون ، وقد اقيم هذان التمثالان على باب ذلك المعبد ويبلغ ارتفاع كل منهما نحو عشرين مترا تقريبا وقد تهدم ذلك المعبد ولم يبق منه شىء ، حتى اذا حل عام ٢٧ ق .م. حدث زلزال عنيف احدث تشققا بالتمثال الايمن وسقط جزؤه العلوى .

وكانت قطرات الندى المتساقطة على ذلك التمثال تتسلل داخل الشقوق فاذا ما اشرقت الشمس اخذت هذه القطرات فى التبخر والخروج من الشقوق ، وعندئذ يسمع لها صوت موسيقى الى جانب صوت الرياح التى تتخلل فجوات التمثال .

وقد سمى تمثالا امنحتب او اميتوفيس بهذا الاسم فى عهد البطالسة ، نسبة الى شاب يدعى ممنون ، تقول الاساطير الاغريقية انه كان ابنا لآلهة الفجر وقتل فى حرب طروادة . فلما علمت امه بمقتله حزنت عليه كثيرا وابتهلت الى جوبتر كبير الآلهة ان يميز ابنها عن الناس ، فاستجاب لها وكان ابنها يظهر لها فجر كل يوم ويناديها بصوته الجميل ، وعندئذ تبكيه من الفجر الى الصباح ، فكانت دموعها هى الندى الذى يتساقط فى ارجاء الكون فى تلك الفترة .

. ومن ثم كانت الصلة او وجه الشبه بين صوت ممنون الجميل وموسيقى التمثال الفرعونى . وكانت ظاهرة الصوت الموسيقى العجيبة هذه سببا دفع الكثيرين الى رؤيتها بل وتسجيل ما شاهدوه وسمعوه بالنقش على جوانب التمثال ، وقد خلد هذه الظاهرة كثير من اليونانيين والرومان شعرا ونثرا .

وممن أعجب بتلك الظاهرة الامبراطور الرومانى هادريان الذى زار المنطقة عام ١٣٠ واستمع للاصوات الموسيقية ثلاثة أيام متوالية وتأثر بما رآه وأمر بتسجيل ذلك شعرا .

ولما رأى امبراطورنا تمثالى ممنون أعجب بفخامتهما وبالصوت الموسيقى وعز عليه أن يتركهما دون ترميم ، ولذلك أمر بإعادة تركيب الجزء العلوى للتمثال الايمن ، وما أن تمت تلك العملية وتم معها سد الشقوق والفتحات حتى توقف الصوت الموسيقى الى الابد ...

ولما كانت الاسكندرية يومئذ عروس البحر المتوسط ، فقد زارها وأنشأ بها مجلس شيوخ (مجلس بلدية) ليقوم على شئونها الى جانب الحاكم الرومانى .

ولما كانت المسيحية يومئذ « بعيع » روما لما نادت به من محبة واخاء وسلام ، فقد كان اتباعها يعانون شتى انواع الاضطهاد والتعذيب ثم القتل بإيعاز من اليهود فى كثير من الاحيان .

وأصاب مسيحيو الاسكندرية ما أصاب سائر المسيحيين فى مختلف ارجاء الامبراطورية الرومانية ، وكان من شهدائها عام ٢٠٢ ليونيدس والد اوريجانوس الفيلسوف الاسكندرى .

وعاد امبراطورنا الى روما ، اقام فيها بضعة أعوام ، انصرف فيها الى الاصلاح والعمران .

ولنشأته وثقافته القانونية اهتم بالناحية الانسانية فى القوانين وجعل منصب المستشار القانونى للامبراطورية أهم منصب فى روما بعد الامبراطور . وفصل أملاك الامبراطور الخاصة عن أملاك التاج .

وحدد مهمة مجلس الشيوخ من حيث الحقوق والواجبات كما قيد سلطاته حتى لا يكون أداة معطلة أو العوبة فى ايدى الاباطرة .

ولعل اكبر حسناته هى اطاحته بالطبقات العليا ، الذين ندعوهم اقطاعيين ، وتسليم ممتلكاتهم الى ابناء الشعب الذين يتكون الجيش منهم .

أما الاصلاحات العامة والعمران ، وانشاء المسارح والملاعب والحمامات وغيرها ، فيضيق المجال عن ذكرها . يضاف الى كل ذلك انه أشرك «كراكلا» أكبر ابنائه معه فى الحكم ليدربه .

الاهتمام بليبيا

وفى نفس الوقت لم ينس بلاده التى نشأ على أرضها وشب فى ربوعها فخصها بقسط كبير من عنايته ورعايته واصلاحاته حتى ازدهرت فى أيامه ، فقد عنى بتحصينها وتقوية جيشها ولم يدخر وسعا فى النهوض بها . من ذلك اهتمامه بإقامة المنشآت العامة والعناية بوسائل الرى مما ساعد على النهوض بالزراعة وخاصة القمح والزيتون والفواكه . ولما كانت روما يومئذ تعتمد على تلك المحاصيل فقد تدفقت الاموال على الليبيين ثمنا لها .

وعنى سبتيموس كذلك بالتجارة فشق الطرق وأمنها للمحافظة عليها من غارات القبائل ، ولذلك كانت السلع التى تحملها القوافل من وسط افريقيا تصل الى الموانى الساحلية فى أمن وسلام ، ومن هناك تنقل الى السفن التى تمخر البحر الابيض المتوسط الى مختلف الموانى المطلة عليه .

ولعل القارىء يتساءل الآن : من هو سبتيموس هذا ؟

فينيقى الشكل عربى ليبى ...

وسبتيموس بطلنا ، يرجع أصله

تاريخ لا يهمله التاريخ

الى اسرة فينيقيـــة (لبنان الآن) هاجرت الى ليبيـــا فى القرن الاول الميلادى واقامت بمدينة لبدة التى تقع على ساحل البحر الابيض المتوســـط وهى المعروفة تاريخيا باسم لبتس مانيا Leptis Mania اى لبدة الكبـــرى ، تمييزا لها عن لبدة الواقعة بالقرب من قرطاجة التي توجـــد على مقربة من مدينة سوسة بتونس ٠

ولبدة هذه تقع شرق مدينة طرابلس الغرب ، وجدير بالذكر ان العـــرب اضافوا الى اسمها كلمة الغرب تمييزا لها عن مدينة طرابلس الشام اكبـــر مدن شمال لبنان ٠

ولد فى ١١ ابريل عـــام ١٤٦ فى اسرة كـــريمة ، ولذلك اعتنى ابوه بتربيته وعلمه اللاتينية ، ولما اظهـــر نشاطا وذكاء فى دراسته ارسله ابوه الى رومـــا من عـــام ١٦٤ الى ١٧٠ ليدرس فى معاهدها ، واســـتطاع سبتيموس بجده واجتهاده ان يبـــرع فى دراسة القانون وان يصبح من كبار رجاله ،وادرك بذكائه ان مجال العمل فى الجيش الرومانى مفتوح امامه وانه بفضل ثقافته يستطيع ان يكون من كبار القواد ، اذا اظهر مقدرة وكفاية، وصح ما توقعه سبتيموس اذ لم يمض على التحاقه بالجيش الرومانى بضع ســـنوات حتى عين حاكما لبعض الولايات الرومانية ثم عين قائدا لاحد الجيوش الرومانية الكبيرة ٠

وامتاز عن غيره من القواد بمحبة ضباطه وجنوده واخلاصهم له ، وتولى اخماد بعض الثورات التى كانت تقوم هنا وهنـــاك ومنها ثورات الولايات الشرقية ٠

زوجة سورية عظيمة

وتزوج بطلنـــا عام ١٧٤ لاول مرة ولكن زوجته توفيت عام ١٨٦ ، واثناء وجوده فى سوريا عام ١٨٧ تزوج فتاة سورية من مدينة حمص تدعى ايولا دومنا وكان ابوها ثريا يشغل منصب كبير الكهنة فى معبد حمص ٠

وكانت فتاة ذات ثقافة عالية جمعت حولها الادباء وناصرت رجـــال الفن وكانت خير مشجع ومعين لزوجها فى كل حركاته ومشروعاته ، وقد انجب منها ولدين تولى اكبرهما الحكم بعده

وبعد قليل عين نائبا لحاكم صقلية ثم حاكما لها عام ١٩٠ واخيرا استقر به المطاف الى تولى حكم بانونيا وظل فى هذا المنصب حتى مهزلة المزاد التى تحدثنا عنها فيما تقدم ٠

وكانت مدينة لبدة موضع اهتمامه بصفة خاصة ، وقد كشفت الحفـــائر عن مخلفات اثرية هامة كانت مطمورة

تحت الرمال منها تماثيل ومبان غاية في الجمال والابداع ، اقام سبتيموس جانبا كبيـــرا منها كالملعب الرياضي (الجمنزيوم) والمعبد ، والحمامات ،

والمسرح ، وغيرها ، مما اشـــتهر الرومان باقامته ، ولا تزال بقـــايا ذلك العهد موجودة على الرغم من أن الفرنسيين نقلوا نحو ٦٠٠ عمود لبناء قصر فرساي المشهور ، اعظم مفاخر باريس .

وفي عام ٢٠٨ اشتدت الثورات في شمال بريطانيا التي سبق ان احتلهـــا الرومان في عهد يوليوس قيصر عام ٥٥ ق . م .

ولما عجز قائد حامياتها عن اخماد تلك الثورات،بعث يستنجد بالامبراطور سبتيموس الذي بادر بانجاده ، وكان وصوله لبريطانيا سريعا لدرجة اذهلت

الثائرين رغم بلوغه الثالثة والستين من العمر ومرضه بداء النقرس ممـــا جعله يتنقل محمولا على محفة في اغلب الاوقات .

وكان الجهد الذي بذله شـــاقا اذ قضى اغلب أيامه في القتال فكلما اخمد ثورة في مكان قامت بعد قليل ثورة اخرى في مكان آخر ، ولذلك اشـــتدت

به العلة . ولما أحس بدنو منيتـــه كانت نصيحته لولديه : « وفرا المال لجنودكما ولايهمكما شيئا غير هذا »

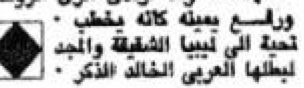
وكانت آخر كلماته : « لقد نلت كل شيء ولكن ما نلته لا قيمة له » .

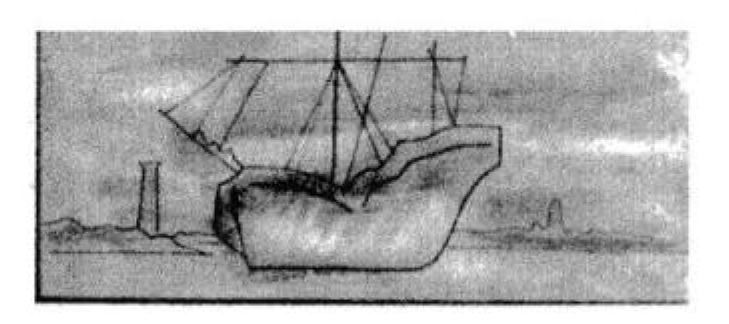
ومات في ٤ فبراير سنة ٢١١ في مدينة يورك وهي على مقربة من شمال شرقي انجلترا وجنوب اســـكتلندا ، وهناك احرق جثمـــانه وجمع رماده وحمل الى روما .

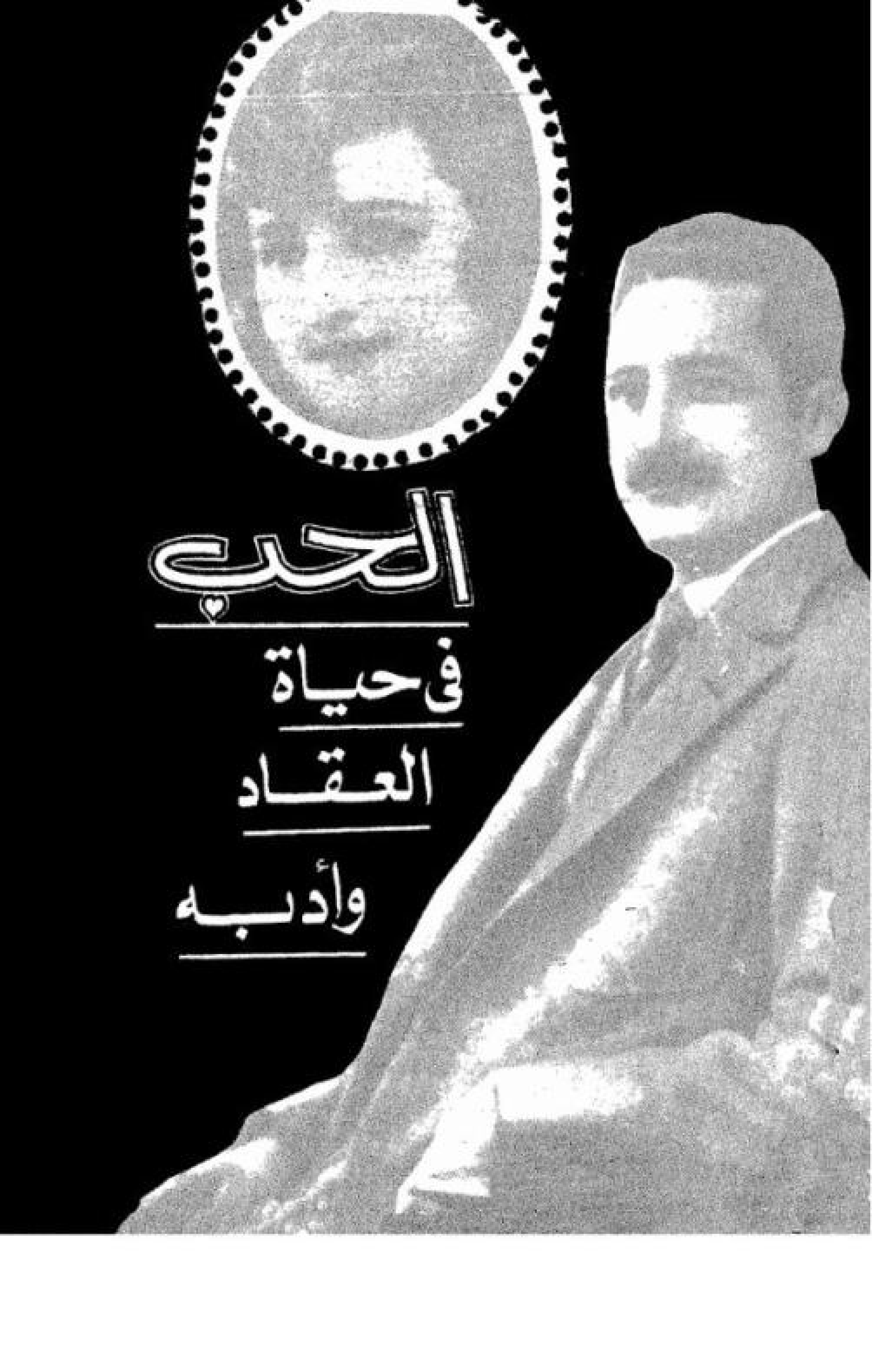
وتولى الحكم بعده ثلاثة من ذريته اولهم ابنه « كراكـــلا » ولكنهم لم يكونوا في حزم وهمة مؤسس الاسرة، ولذلك انتهى حكمهم في عام ٢٣٥ اي ان الثلاثة لم يحكموا اكثر من ربع قرن .

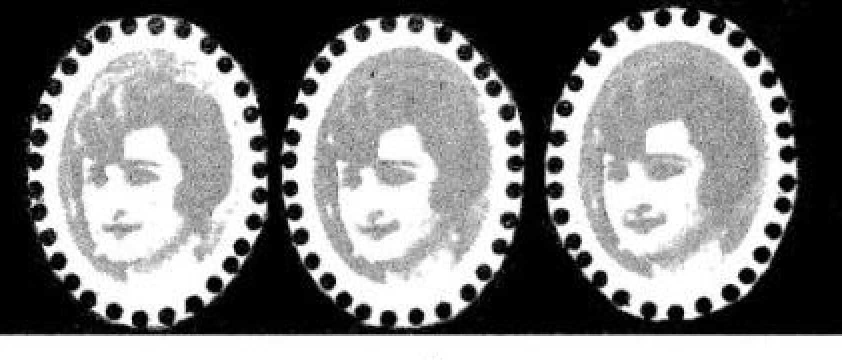
وتكريما لذكرى ســـبتيموس الذي بذل جهده في اعلاء شأن ليبيا مدة حكمه الذي دام ثمانية عشر عاما ، اقام ابناء لبدة قوس نصر لا يزال باقيا بها ، كما اقيم له تمثال بمدينة

طرابلس على مقـــربة من ميدان الشهداء ، وقد ارتدى الزي الروماني ورفـــع يمينه كأنه يخطب .
تحية الى ليبيا الشقيقة والمجد لبطلها العربي الخالد الذكر .






الحب
فى حياة
العقاد
وأدبه



● علي أدهم ●

كان الاستاذ العقاد شخصية فذة قليلة المثال ، كثيرة الجوانب متعددة المواهب ، كان شاعرا ، وكاتبا ، ناثرا وناقدا ، ومفكرا موهوبا ، ومصلحا اجتماعيا ، ومؤرخا وكاتب تراجم واسع الاحاطة بالنفس الانسانية ٠٠ وقد ظلت مواهب العقاد الاصيلة حتى نهاية حياته متوازنة متجاوبة ، يمد بعضها بعضا ، ويمينه ويؤازره ...

كان لعاطفة الحب أثر واضح في حياة العقاد منذ باكورة شبابه حتى اكتمال شيخوخته ووفاته ، وهو القائل في القصيدة النونية الرائعة التي عارض بها نونية ابن الرومي في مدح أبي الصقر :

من علم الناس أن الحب مائمة
حتى كأن ليس غير البغض احسان
ان الجسوم مثناة جوارحها
الا القلوب فصيغت وهي احدان
لكل قلب قرين يستتم به
خلق وخلق فهل يرضيك نقصان
انا لمن معشر حب الجمال لهم
حب لما كان في الدنيا ومن كانوا

ويشير في هذه القصيدة الى اقتران الشعر بالحب فيقول :

الحب والشعر ديني والحياة معا
دين لعمرك لا تنفيه اديان
هي الحياة جنين الحب من قدم
لولا التجاذب ما ضمتك اكوان

ويرجح جانب الحياة العاطفية على الحياة العقلية فيقول :

كن بالخوالج حيا فالحجى جدث
لربه ووقار الحلم اكفان
وانما المرء يحيا في خوالجه
وليس يحييه في الالباب رجحان

وقد غلبت عاطفة الحب على العقاد في حياته المختلفة المتتابعة ، ولم يمنعه ادمان القراءة والاطلاع ، والاكباب على الدراسة والتحصيل والتاليف والانتاج والاضطلاع بالتبعات الهامة ، وخوض المعارك الادبية والسياسية من التعرض لسهام كيوبيد ، وفي دواوين شعره المختلفة التي كانت تظهر متوالية من الحين الى الحين ما يوضح ذلك ، ويصوره بصور لها نصيب موفور من الوضوح والصراحة ، بل كان العقاد كلما تقدمت به السن صار تأثير عاطفة



الحب فى حياة العقاد وأدبه

الحب فى نفسه أوضح وأصرح ، وربما كان أقوى وأعنف فى صدر حياته منه فى أواخر أيامه .

وقد أوحت اليه عاطفة الحب بالكثير من الخواطر اللامعة والأفكار المضيئة ، وعمقت معرفته بأسرار النفس الانسانية ، وخفايا القلب البشرى .. ولكنه ان كان قد عرف نعيم الحب وجنته ، فقد ذاق كذلك بلواه ونقمته ، وتمرس بشدائده وقسوته ، وعانى من متاعب الهجر وآلام القطيعة وسعار الشكوك ولوافح الغيرة ما ترق عنه قوة الاحتمال وكان يزيد المعركة عنفا ، والصراع مرارة ، حرص العقاد على كرامته ، واعتزازه بشخصيته ، وقد وصف لنا تلك المعارك الحامية التى دارت أرجاؤها فى نواحى نفسه بين المقاومة ودوافع الاستسلام ومغرياته ، ووصف لنا العقاد فى ديوانه « هدية الكروان » أنواع الحب الذى عرفه فقال :

عرفت من الحب أشكاله
وصاحبت بعد الجمال الجمال
فحب الصور تمثاله
عرفت ! وحب الشباب الخيال

●

وحب القداسة لم أعده
وحب التصوف لم يعدنى
وفى كل حب ورى زنده
سمات من الزمن المدين

وحب المزخرف والمنتقى
وحب المجرد والعاطل
وحب الجماح ، وحب التقى
وحب المجند والناقل

●

وحب الثقاة وحب الصحا
ب ، وحب الطبيعة فى حسنها
وحب الرجاء وحب العذا
ب ، على يأس نفس من حزنها

●

وحب التى علمتنى الهوى
وحب التى أنا علمتها
ومن استمد لديها القوى
ومن بالقوى أنا أمددتها

●

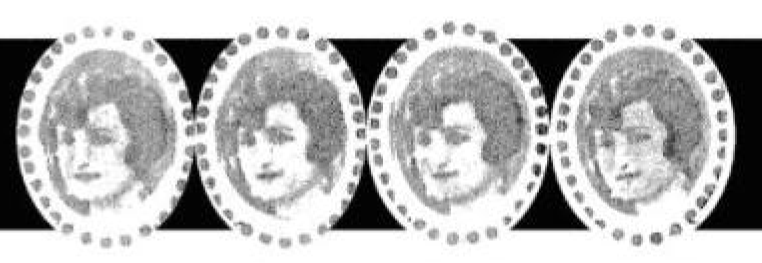
وحب الجياع صحاف الطعا
م ، وحب الظماء كئوس الشراب
وحب الكفاح وحب السلا
م ، وحب الضلال وحب الصواب

●

صنوف من الحب لا تلتقى
وفيك التقى لبها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق
لما كنت كفؤا لهذا الهوى

ويقول العقاد موجها خطابه للفتاة الغريرة التى لم تعرف لواعج الحب وآلامه ، ومتاعبه وأحزانه ، وقد سألته « ما الحب » :

الحب أن ابصر ما لا يرى
أو أغمض العين فلا ابصرا



وان اسيغ الحـــق ما سرنى
فان ابى ، فالكذب المفتـــرى
ويسترسل فى رده قائلا :
الحب ان اســال ما بالهم
لم يعشقوا المنظر والمخبـــرا
ويسأل الخالون ما بالـــه
هام بها بهرا وما فكـــرا

●

الحب أن افرق من غـــابة
حينـــا وقد اصرع ليث الشرى
وان اراني تارة مقبـــــلا
وخطوتى تمشى بى القهقـــرى

●

الحب كالخمر فان قيـــل لى
سكرت ؟ هم القلب ان ينكـــرا
وكل عضو بعـــــده قائل
نعم ولا احفل ان اســـكرا

●

الحب ان يفرق اعمـــارنا
عهدان ، والعهد وثيق العرى
احسبنى الاكبـــر حتى اذا
عانقتنى الفيتنى الاصـــغرا

●

الحب ان نصعد فوق الـــذرى
والحب ان نهبط تحت الثـــرى
والحب ان نؤثر لذاتنـــــا
وان نرى الامنـــــا اثرا

●

الحب ان اجمع فى لحظـــة
جهنم الحمـــراء والكوثرا
واننى اخطىء فى لهفتـــى
من منهما روى ومن سـعرا

●

الحب ان يمضى عام ومـــا
هممت ان انظم او اشـــعرا
وربما علقت فى ســـــاعة
حواشى الدفتر والاسطـــرا

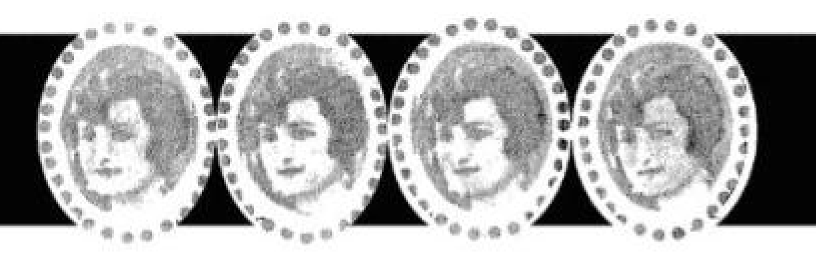
●

بنيتى هذا هو الحـــــب
فهمته ؟ كلا ، ولا عتـــب
مسالة اسهلها صـــــعب
لا الناس تدريها ولا الكتـــب
حسبك منها لو ثبتت حســـب
اشارة دق لها القلـــــب

***

وبرغم ما صادفه العقاد فى الحب من آلام وتباريح وعنف وقسوة فانه كان يؤثر الحياة التى يجتاحها الحب بلوافح نيرانه ، وثوائر عواصفه على الحياة اللينة الهادئة البليدة المتراخية ، وقد اشار الى ذلك فى تلك المقطوعة البديعة والابيات المحكمة النـادرة عن « القمة الباردة » ، والتى يقول فيها :

اذا ما ارتقيت رفيع الـــذرى
فاياك والقمة البـــــاردة
هنالك لا الشـــمس دوارة
ولا الارض ناقصة زائـــدة
ولا الحادثات واطوارهـــــا
مجددة الخلق او بائــــدة
قوالب يلذ تقليبهـــــــا
اناس وتبصرها جامـــــدة
ويعجب قوم بترقيشـــــها
والوانها ابدا واحـــــدة
وتعلو وتهبط جدرانهـــــا
واساس جدرانها قاعـــــدة
ويا بؤس فان يرى ما بـــدا
من الكون بالنظرة الخالـــدة
فذلك رب بلا قـــــدرة
وحى له جثة هامـــــدة



الحب فى حياة العقاد وأدبه

الى الغور اما ثلوج الـــــذرى
فلا خير فيها ولا فائـــــــدة

وقد استهل العقاد وصـــفه للقمة الباردة بقوله « للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج ، وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة ، فاذا نظر الانسان الى حقائق الاشياء لم ير شيئا ، ولم يشعر بشيء ، لان حقيقتها كلها انهـا ذرات ترجع الى حركة متشابهة فى كل ذرة ، فخير له الا ينظر الى الحقـــائق كل النظر ، ولا يعرض عن الظواهر كـــل الاعراض ، لان الحى لا يعرف الدنيـــا الا بالظواهر التى تقع عليها الحواس ، وتدركها البديهة ، فاذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة الى قمتها الباردة التى لا يشعر فيها بحياة » .

***

لقد كان العقـــاد من غير شك فى طليعة الشعراء المجددين ، ومن ارسخهم فى التجديد قدما ، وأسيرهم ذكرا ، ولكنه برغم قدرته الفائقة فى التجديد كان يبدو فى الشعر الغزلى الذى نظمه فى أول محاولاته الشـــعرية شيء من النقص فى تحديد صفات المرأة التى يتغزل بها فى شعره ، ولكن حينمـــا نضجت شـــاعريته ، وكثرت فى الحب مغامراته وتجاربه ، بدأ يظهر فى شعره الكثير من سمات النساء اللاتى اثرن فيه عاطفة الحب ، وشغلنه بأنفسهن عن الميل الى غيرهن من بنات حواء ، ويتجلى ذلك بوضوح فى القصائد التى نظمهـــا فى اثناء حبه لمن ســـماها « سارة » والتى وصف لنا علاقته بها مفصلة فى القصة الوحيدة التى كتبها وســـماها بهـــذا الاسم ، وهى لون من الوان الاعترافات الادبية العاطفية .

وكان العقاد من رواد ندوة الاديبة المعروفة الانسة « مى » مثل الكثيرين من كبـــار الادباء والكتـــاب الذين عاصروها ، وقد انتج هـــذا التعارف والزيارات المتكررة وما كان « لمى » من رقة حاشية وعذوبة حديث وحســـن ترحيب ولقاء نوعا من الحب الهـــادىء الرزين بينها وبين العقاد ، وكان هـــذا الحب يقوم على الاعجاب المتبـــادل ، والعاطفة الهادئة اللينة المتسامية .

وبقدر ما كان حبه « لحسن » ـ كما كان يرمز لاسم « مى » فى شـــعره ، أو « لهند » كما كان يسميها فى قصته « سارة » ـ بقدر ما كان هذا الحب هادئا عميقا لا اشواك ولا صخور فى طريقه ، ولا عواصف هوجاء فى جوه ، كان حبه « لسارة » عنيفا طاغيا مكتسحا غلابا .

ويقول العقاد فى تعليل الحبين فى قصة « سارة » : « اذا ميز الرجل المرأة بين جميع النساء ؛ فذلك هـــو الحب ، اذا أصبح النساء جميعـــا لا يفتين الرجل ما تغنيه امرأة واحدة ، فذلك هو الحب ، اذا ميز الرجل المرأة لا لانها اجمل النساء ، ولا لانها الذكى

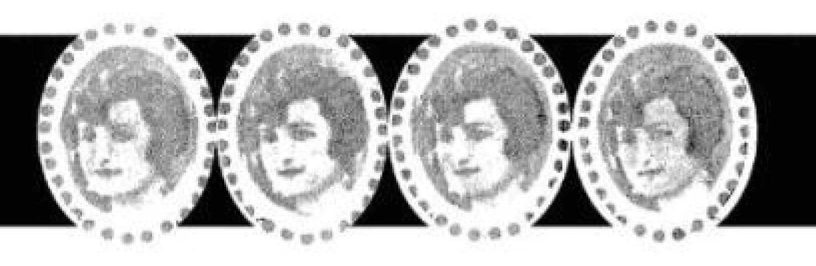


النساء ، ولا لانها اوفى النساء ، ولا لانها اولى النساء بالحب ، ولكن لانها هي هي بمحاسنها وعيوبها ! فذلك هو الحب ، وقد يميز الرجل امراتين في وقت واحد ، ولكن لابد من اختلاف بين الحبين في النوع ، او في الدرجة ، او في الرجاء ، فيكون احد الحبين خالصا للروح والوجدان ، ويكون الحب الاخر آخذا في الادبار والهبوط ، او يكون احد الحبين مغريا بالرجاء ، والحب الاخر مشوبا باليأس والريبة ، اما ان يجتمع حبان قويان من نوع واحد في وقت واحد فذلك ازدواج غير معهود في الطباع ، لان العاطفة لا تقف دون المدى ، ولا تعرف الحدود ، واذا بلغت العاطفة مداها جبت ما سواها » ! .

وكان حب العقاد الهادىء الرزين « لمى » ، سابقا لحبه العاصف اللافح « لسارة » ، وهو يحدثنا عن هذا الحب قائلا « كان همام — وهو الاسم الذى أطلقه على نفسه في رواية سارة — يحب امرأة أخرى حين التقى « بسارة » في بيت ماريانه، يحبها الحب الذى جعله ينتظر الرسالة او حديث التليفون كما ينتظر العاشق موعد اللقاء ، وكانا كثيرا ما يتراسلان او يتحدثان ،وكثيرا ما يتباعدان ويلتزمان الصمت الطويل ايثارا للتقية ، واجتنابا للقيل والقال ، وتهدئة من جماح العاطفة اذا خافا عليها الانقطاع ، ولكنهما في جميع ذلك كانا اشبه بالشجرتين منهما بالانسانين ، يتلاقيان وكلاهما على جذوره ، ويتلامسان باهداب الاغصان، او بنفحات النسيم العابر من هذه الاوراق الى تلك الاوراق ، كانا يتناولان من الحب كل ما يتناوله العاشقان على مسرح التمثيل، ولا يزيدان ، وكان يغازلها فتومىء اليه باصبعها كالمنذرة المتوعدة ، فاذا نظر الى عينيها لم يدر اتستزيده ام تنهاه ، ولكنه يدرى ان الزيادة ترتفع بالنغمة الى مقام النشوز ، وكان يكتب اليها فيفيض ويسترسل ، ويذكر الشوق والوجد والامل ، فاذا لقيها بعد ذلك لم ير منها ما ينم على استياء ، ولم يسمع منها ما يدل على وصول الخطاب ، وانما يسمع الجواب باللحن والايماء دون الاعراب والافصاح ، وربما تواعدا الى جلسة من جلسات الصور المتحركة في مكان لا غبار عليه ، فيتحدثان بلسان بطل الرواية وبطلتها ، ويسهبان مااحتملت الكناية الاسهاب ، ثم يغيران سياق الحديث في غير اقتضاب ولا ابتسار ، وكانا اشبه بالنجمين السيارين في المنظومة الواحدة ، لا يزالان يحومان في نطاق واحد ، ويتجاذبان حول محور واحد ، ولكنهما يحذران التقارب .. لانه اصطدام » .

***

ولم تكن « هند » ، كما يحدثنا العقاد تعتقد الرهبانية في همام ، ولا تزعم انه معزول عن عالم النساء ، ولكنها كانت لا تحفل اتصاله بالنساء ما دامت العلاقة بينه وبينهن خالية من بواعث الحب والاعجاب ، ولكن حينما تملكه حب « سارة » ، وعلمت « هند » بذلك الحب الجديد زارته على حين غرة في مكتب عمله ، ويقول العقاد « انها كانت الزيارة الاولى والاخيرة من قبلها، وانها



الحب فى حياة العقاد وأدبه

لم يكن لها مسوغ من طول الغيبة ولا امتناع حديث التليفون *، ولم يشك العقاد فى غرض الزيارة ولا فى باعثها كما يروى لنا ، ولم تصارحه هى بالباعث على الزيارة ، ولم تتكلف عن النظر اليه ثم « استجمعت عزمها ونهضت منصرفة » ·

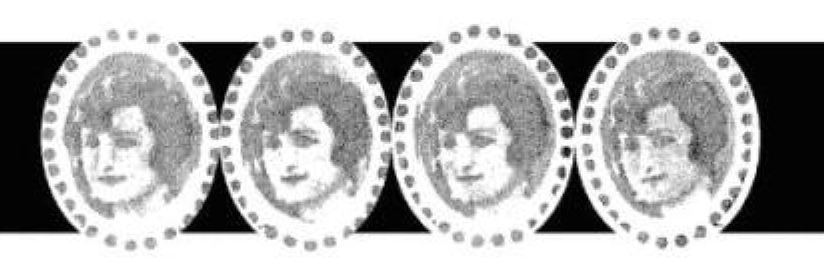
ويقول العقاد « لو جاءت هذه الزيارة فى بداية العلاقة « بسارة » لما كان بعيداً ان تقضى على تلك العلاقة ، وان ترد سارة اسما مغمورا فى عامة عنوان النساء ، بيد انها جاءت وقد اوغلت العلاقة بينهما ايغالها الذى لا تراجع فيه » .

ويوازن العقاد بين « سارة » و « هند » فيقول « اذا كانت سارة قد خلقت وثنية فى ساحة الطبيعة فهند قد خلقت راهبة فى دير ، من غير حاجة الى دير ! » *·

وكان التقاء العقاد « بسارة » من قبيل المصادفات كما تجىء معظم الحوادث الكبرى فى معظم التواريخ والسير ، فقد كان يتمشى فى الخلاء فى صحوة يوم من أيام الخريف ، وفيما هو عائد من جولته التى نفسه على مقربة من مسكن صديق من اصدقائه كان يستريح اليه ، وكان هذا الصديق يسكن فى بيت من بيوت الحجرات المفروشة تديره خائطة فرنسية ، ولما دلف الى المنزل يزور صاحبه لم يجده ، وعلم من صاحبة البيت انه قد خرج قبيل مجيئه ، ورأى العقاد مع صاحبة البيت فتاة مليحة ، وكانت هذه الفتاة هى « سارة » ، ولما بدأ الحديث مع المدعوة مريانة ـ صاحبة البيت ـ لم تجد الفتاة مانعا من الاشتراك فى الحديث ، وبدأ الاعجاب بها من هذه اللحظة ، وتكررت زيارتها له حتى توثقت العلاقة بينهما، وكانت سارة امرأة «لعوب» ذكية الفؤاد، واسعة الحيلة ، حاضرة البديهة، سرعان ما عرفت ما يروقه ويستهويه ، وعلم من حديثه معها انها لم تكن موفقة فى حياتها الزوجية ، وانها اخطات حظها من الزواج وبرمت بفراغ قلبها · والتمست لنفسها الاعذار فى الجموح والانطلاق ، وحدثته عن علاقاتها المريبة ببعض الرجال ·

ويبدو انه التمس لها الاعذار ، واعتقد انها ستكون له الرفيقة المخلصة التى تصون العهد وترعى الذمام ، وبعد ان تمكن حبها من قلبه ، واستولت على نفسه استيلاء لم تصل الى مثله امرأة اخرى من بنات حواء ، ونظم فيها طائفة من قصائده الجياد فى الغزل والنسيب اخذت تراوده الشكوك فى اخلاصها ووفائها ، وكانت خبرته السابقة باحوال النساء قد اقنعته بأن خيانة المرأة ليست من الاشياء الصعبة الممتنعة ·

وقد كان العقاد يعرف رأى شوبنهاور فى المرأة ، وكان فى الوقت نفسه قد قرأ

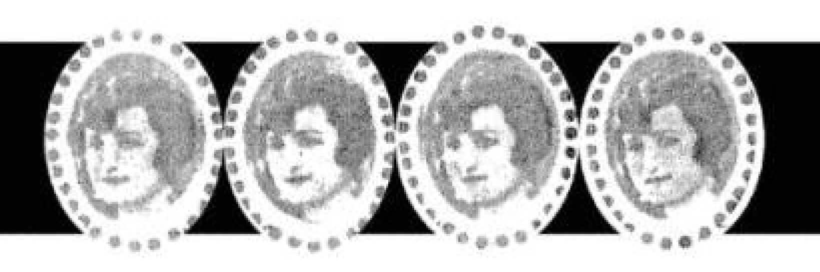


كتاب « الجنس والاخلاق » الذى الفه الباحثة النفساوى اوتو فيننجر واعجب به وقدر ما فى رأيه من اصابة واصالة ، وقد اغرانى حديثه عنه ، وتقديرى لكتابه ، باستحضار هذا الكتاب من الخارج فى ترجمته الانجليزية والاطلاع عليه ، واحسبه من اشد الحملات قسوة على المرأة ومكانتها ، وان كان مكتوبا بطريقة تجرى على المنهج العلمى الموضوعى مدعما بآراء الكثير من الباحثين والتجريبيين والعلماء النفسيين ، والفلاسفة المتقدمين والمتأخرين ، وكان العقاد يجيل تفكيره فيما يقرأ ويعرضه على محك النقد ، فاذا كان قد قدر آراء شوبنهاور واوتوفيننجر فما ذاك الا لانه وجدها متجاوبة مع الكثير من تجاربه ومشاهداته الخاصة ونظراته النافذة فى احوال المجتمعات البشرية ، وجولاته فى عصور التاريخ المختلفة .

ويقول العقاد عن المرأة فى قصته « سارة » الوف من السنين قد غبرت على المرأة وهى تخاف وتحتال وتراوغ وترائى وتلعب بمواطن الضعف فى الرجل » وكان كلما زادت العلاقة بينه وبين « سارة » قوة ومتانة ازداد خوفه من توقعه الغش والخيانة ، وكان اول ما اشعل نيران الشك فى نفسه حركة بدرت من طفلها الصغير وكلمات وردت على لسانه من عبارات المناجاة والغزل والتصبيب والتحبيب والتدليل لا تسمع الا بين عاشقين فى خلوة غرام ، ويقول العقاد « فصحا همام من حلمه الذى كان سادرا فيه » وبدأ يراقب حركاتها وسكناتها مستعينا بصديق له كان موضع ثقته ، ويصف لنا العقاد حالته النفسية الاليمة حينما طغى عليه الشك وسلبه الراحة والصفو فى القصيدة التى عنوانها « يوم الظنون » واحسبها من خير قصائده واكثرها تعبيرا عن نفسه ، واصدقها وصفا لما عاناه من خيبة الرجاء وجحيم الشك ، وهو يقول فيها :

يوم الشكوك صدعت فيك تجلدى
وحملت فيك الضيم مغلول اليد
وبكيت كالطفل الذليل انا الذى
ما لان فى صعب الحوادث مقودى
وغصصت بالماء الذى اعددته
للرى فى قفر الحياة المجهد
لا قيت اهوال الشدائد كلها
حتى طغت فلقيت ما لم اعهد
نار الجحيم الى غير ذميمة
وخذى اليك مصارعى فى مرقدى
حيران انظر فى السماء وفى الثرى

واذوق طعم الموت غير مصرد
اروى واظما عذب ماانا شارب
فى حالتى نقيع سم الاسود
واجيل فى الليل البهيم خواطرى
لا شارق فيه ولا من مسعد
وتعيد لى الذكرات سالف صبوتى
شوهاء كاشرة كما لم اشهد
مسخت شمائلها وبدل سمتها
وبدت بوسم فى السعير مخلد
يا صبوة الامس التى سعدت بها
روحى ، وليت شقيها لميسعد



الحب فى حياة العقاد وأدبه

وعرفت منها وجه أصبح ناضر
ورشفت منها ثغر ألعس أغيد
سومحت يل جوزيت كيف وعيت لى
بالامس فيك ضراوة الذئب الصدى
سومحت بل جوزيتكيف طويت لى
زرق الاسنة فى الاهاب الاملد
امسيت حربى فى الظلام وطالما
جليت لى وجه الظلام المربد

ويقول فى ختام هذه القصيدة المؤثرة :

اهب الخلود كرامة لبشرى
الا لبس يومى فى العذاب بسرمد
وابيع حظى فى الحياة بساعة
انسى بها عمرى كأن لم اولد

وعرض عليه صديق من خلصائه ان يقبل سارة بوصفها امراة ويستمتع بما تهبه له من متع الحياة ولهوها ، وكان العقاد يعرف من غير شك تلك النصيحة التى ضمنها احد الشعراء القدامى قوله :

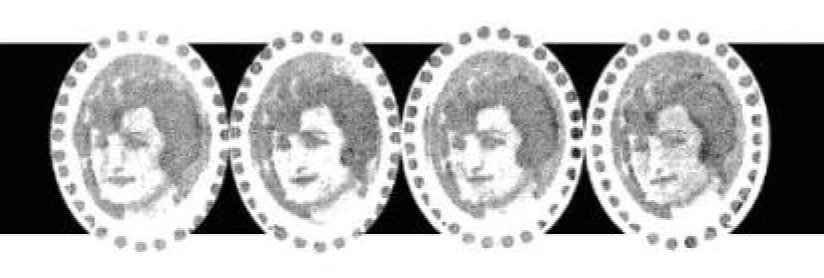
تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن
عليك شجا فى القلب حين تبين
وان هى اعطتك الليان فانها
لغيرك من عشاقها ستلين
وان حلفت لا ينقض النأى عهدها
فليس لمخضوب البنان يمين

ولكن حب « سارة » الذى كان قد تمكن من قلبه ، واستأسرلبه ، لم يمكنه من العمل بمشورة صديقه ، او بنصيحة الشاعر القديم ، وقد عبر عن ذلك فى المقطوعة التى عنوانها « الحان والمسجد » ، وفيها يقول :

تريدين ان أرضى بك اليوم للهوى
وارتاد فيك اللهو بعد التعبد
والقاك جسما مستباحا وطالما
لقيتك جم الخوف جم التردد
رويدك انى لا اراك مليئة
بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم فى الضلوع وعثرة
ترد مهاد الصفو غير ممهد
اذا لم يكن بد من الحان والطلى
ففى غير بيت كان بالامس مسجدى

والعجيب ان العقاد فى هذه الأبيات يدلنا على انه قد صعد « بسارة » الى مرتفعات من الحب لم تكن بها قدرة على اطالة المكث بها ، وهو يعلم من ماضيها ما سبق ان اعترفت له به ، ومع ما كان يخالجه من الشك فى حاضرها ، ولما تحول شكه الى يقين استطاع ان يتغلب بعد مشقة وجهد على حبه العنيف « لسارة » .

والعقاد برغم اطلاعه على الكثير من الروايات والقصص العالمية المشهورة وبخاصة طرائف الفن الروائى للكتاب الروسيين أمثال تولستوى وتورجنيف وتشيكوف ودستوفسكى ومرزكوفسكى وغيرهم من كبار كتاب الرواية والقصة فى الادب الفرنسى امثال بلزاك والفونس



دوديه واناتول فرانس وفلوبير وموباسان وبورجيه وغيـــرهم من كتاب الرواية والقصة الالمان والانجليز والاســبانيين ·· فانه كان لا يميل بطبيعته الى معالجة كتابة الروايات والقصص ، وكان يرى ان للشعر المرتبة الاسمى فى الانتـــاج الادبى والطرائف الفنية ، وقد الهمه حبه « لسارة » الكثير من غرر القصائد ، ويخيل الى ان ما نظمه من الشعر فى هذا الصدد لم يكن كافيا فى التعفيـة على اثار الجروح والندوب التى خلقها فى نفسه هذا الحب الجـــارف ، وانه اقدم على كتابة قصة « سارة » ليشفى نفسه من عقابيل العلل التى انتابته من جراء هذا الحب، وفرط تألمه من خياناتها له ، واحتقارها لعهده ·

***

ولم يكن حب العقاد « لسارة » هو حبه الاخير ، فقد شاء له القدر ان يعلق قلبه بحب فتاة سمراء هيفاء القوام ، دعجاء العينين ، كانت فى العشرين من عمرها حينما استهواه جمالها ، واخذت بلبه فتنتهـــا ، وكان حينذاك قد اوفى على الخمسين ، وبهذا الحب الجديد استطاع ان يستعيد تفاؤله ، ويطارد بقايا اليأس والتشاؤم التى خلقها فى نفسه سابق حبه « لسارة » ، واصبح ذكر « سارة » فى نفسه يشبه قصـــة من القصص الخيالية ، ولم يكن حبـــه فى هذه المرة عنيفا تشـــوبه الغيرة الشديدة مثل حبه « لسارة » ، ولعل تفاوت السن بين هذه الحبيبة الجديدة

وبينه كان يغريه بشىء من التساهل مع... والاغضاء عن اخطائها واكاذيبها ، ... يطلق عليها فى بعض المقطوعات ال... نظمها فى اثناء حبه لها اسم « بنية » ويقول فى احدى هذه المقطوعات :

بنية ما صنعت ؟ ·· جـزاك ربى
بحب فى مشـــيبك مثل حبى
لقد غيـــرتنى حتى لو انى
ارى قلبى الان لجهلــت قلبى

ويقول الاستاذ طاهر الجبلاوى ... كتابه « فى صحبة العقاد » وكان ملاز... له فى هذه الفترة وفى غيرها من فترا... حياته ملازمة مستديمة « وقد عمر ها... الحب بضع سنوات ، وكانت صاحب... تعتز به ، وتحاول له البقاء لو ا... صاحبها ممن يقبل المشاركة فى هواه... وكانت طبيعتها وطبيعة حياتها لا تق... الانفراد الذى يطلبه ، وافترقا عـــا... الرغم ، وكان العقاد يذكر لى وقـــ... هذا الفراق الذى رضيه كارها ويقو... لى « ما ذلك برجل يحس يده وقد قطع... وفصلت عن جسمه ، وهو يراها بعي... بعيدة عنه » وقد فارقها العقاد بعد ... استحكم حبها فى فؤاده ، وقد وص... لنا معاناته لهذا الحب الاخير فى ديوا... « اعاصير مغرب » ·

وبعد : فهذه لمامة موجزة عن الـ... فى حياة العقاد ، والمرجع الوافى ... تتبع حياة العقاد العاطفية وتجاربه ... الحب هو دواوين شعره ففيها مفـ... وطرائف مفصـــــــلة منظومة فى قصائد من روائع الشعر وبدائع المقطعـــات ··


ثروة
و
ثورة
نور الدين صمود

يعـابثني طرفهـا الناعس
ويرقصني قـدها المـائس
وتغـرقني في ابتساماتها
ويسكرني صوتها الهامس
تعلق في النيهـا النجـوم
ومن فوقها شعرها الناعس
طـويل كحيل كليل الشتاء
كزنجيـة وجهـا عابس

●●●

شهيا شهيا كشلال قهوه
يبث بقلبي صفاء ونشوه
كموجة حبر .. كقطعة ليل
تسيل نجوما .. وعطرا .. ورغوه
كفرحة عمري .. كثورة شعري
تساوي لدى القلب أعظم ثروه
يداعبه الريح حرا طليقا
كشعب يحقق أعظم ثوره

●●●

وقلت لها : من حباك الجمال
واودع في مقلتيك الربيع ؟!
ومن علق النور في كفيك
كشلال ضوء بديع ... بديع
كقافية في قصيد عريق
كنهر بكاء .. كسيل دموع
كصخر من الحزن يسحق قلبي
كقائد جيش طعين .. صريع

● تونس ● ● نور الدين حمود ●



● عبد العزيز الرفاعي ●

والحركة الادبية في المملكة العربية السعودية كانت ذات تموجات ، خفيفة ، فيها شيء من المد والجزر ، وذلك قبل ان تنضم اقطار المملكة بعضها الى بعض لتكون هذه الوحدة المتماسكة التي اصبح يطلق عليها المملكة العربية السعودية

لقد وفق الله تعالى الملك عبد العزيز .. الى توحيد أجزاء المملكة العربية

السعودية ، فاعتبر هذا التوحيد بداية عهد جديد في الجزيرة العربية ، يتميز بالاستقرار والامن والبناء . لذلك كان حريا ان يكون دخول الملك عبد العزيز

الى الحجاز سنة ١٣٤٣ هـ ١٩٢٤ م بداية لهذا العهد ، الذي يصح ان يكون فاصلا زمنيا نؤرخ منه للحركة **الادبية في المملكة العربية السعودية ، وان كان هذا لا يجعلنا نغفل عن الحركات**

الادبية التي كانت موجودة في كل قطر من اقطار هذه المملكة . تلك الحركات التي كانت الركائز الاساسية

التي قامت عليها الحركة المتحدة التي اتصلت فيما بعد بتاريخ المملكة كوحدة واحدة ..

على ان تناول هذه الحركات بالتفصيل ، او حتى ببعض التفصيل ، يضطرني الى الاسهاب الذي اتحاشاه في مثل هذا الحديث القصير . لذلك اكتفي هنا بالاشارة الى هذه الحقيقة التي لا ينبغي أن نغفل عنها .

لقد اقترن فجر الادب في الحجاز بنهضة الحسين بن علي ١٣٣٤ هـ ١٩١٥ م فقد صدرت جريدة « بريد الحجاز » و « الفلاح » ، عدا جريدة « القبلة » التي كانت تصدر بمكة ، وهي الجريدة الرسمية .. وقد

من الصعب ان يكتب كاتب عن اية حركة ادبية دون ان يحاول تحديد الزمان الذى نبتت فيه ونمت .. وان كان من الصعب ايضا ان يحدد هذا الزمان تحديدا دقيقا فاصلا .. ذلك لأن اية حركة ادبية انما تخضع لمؤثرات كثيرة ، قد يرجع بعضها الى عهد او عهود سبق زمن الحركة نفسها ، على نحو ما ، وقد تتضح هذه المؤثرات فتغنى الدارس عن الغوص وراءها ، وقد تختفى بحيث تتطلب البحث واكتناه الاغوار والغوص الى الاعماق ! ..

كانت « النهضة » نوعا من الانفتاح على العالم العربى ، فقد قدم الى الحجاز عدد من افذاذ الفكر والسياسة فى سوريا والعراق ، من اضراب فؤاد الخطيب . وكان لبعض هؤلاء ، سواء الذين اقاموا بالحجاز ، او الذين زاروه ، قصائد طنانة فى النهضة العربية ، كان لها دويها فى العالم العربى بصفة عامة ، وفى الحجاز بصفة خاصة .

وفى مثل هذا الجو المتحرك ، وفى فورة النهضة وفى الفترة التالية لها ، نبغ بعض الادباء الشباب .. الذين لمعت أسماؤهم فيما بعد ، كاعلام للفكر والادب ..

كان يتولى رئاسة تحرير « القبلة » الشاعر الشامى الجهير فؤاد الخطيب .. وقد كان شاعرا عملاقا ، وكان يجمع الى جهارته فى الشعر ، ديباجة نثرية ناصعة ، ولا يجدر بنا ان ننسى انه كان مدرسا للادب العربى فى كلية غوردون فى السودان .. ولا شك انه كان لافتتاحياته الجيدة فى « القبلة » .. ولقصائده الطنانة تاثيرهما فى الادب الناشىء فى الحجاز انذاك .. الى جانب الروافد الادبية الاخرى الواردة من مصر وسوريا او من المهجر ، وان كانت هذه الروافد قد بدأت بأناة شديدة .. فقد كان ورود الصحف والكتب قليلا ضئيلا ، تنقلها البواخر مرة بعد الشهر والشهرين ، فلم تكن السيارات معروفة بله الطائرات . ولم يكن هناك مذياع يسهم فى التثقيف ..

اما الادب الذى كان سائدا فى اوساط المتعلمين على قلتهم فهو فى دنيا الشعر الثروة الشعرية القديمة ابتداء من العهد الجاهلى ، وانتهاء الى العهد التركى ، الذى ساد فيه شعر التشطير والتخميس ، او الشعر المتكلف الذى قلما ينطلق حرا من رواسب التقليد القديمة .

اما فى النثر فكتب الادب القديم ، وطلائع الادب الجديد فى مصر والشام

فى هذا الجو بين ذلك الادب الموروث المسجوع المتكلف ، وبين انبثاقة الروح الجديدة ، التى اخذت طلائعها تبدو على ايدى البارودى ،

رحلة قلم

في الأدب السعودي المعاصر



الملك عبد العزيز آل سعود : بداية انطلاق الحركة الادبية بالمملكة العربية السعودية

ثم شوقي واضرابهما ، وشعراء الشام الخطيب والزركلي وامثالهما ، وادباء المهجر ، جبران ، وابليا ، ونعيمة ٠ وغيرهم ، وابناء العراق الذين استطاع

شعرهم ان يبلغ اذان العالم العربي بجودته ومتانته ، وفي مقـــدمتهم الرصافي والزهاوي وغيرهما ٠٠

اقول في هذا الجو لمعت في الحجاز اسماء منها في مكة الشـيخ الطيب الساسي ، رحمه الله الذي اشترك في

تحـــرير جريدة « القبلة » ٠ وكان صديقا للاستاذ فؤاد الخطيب ٠ وتلاه فيها من الجيل الناشيء الاستاذ احمد السباعي ، والاستاذ عبد الوهاب اشي

اللذان رأس كل منهما تحرير جريدة صوت الحجاز في بعض فترات حياتها ٠٠ والاستاذ محمد سعيد العامودي ، وفي جدة : الاستاذ محمد حسن عواد، والاستاذ حمزة شحاتة رحمه الله ، والاستاذ احمد قنديل ، والاســـتاذ

محمد سرور الصبان رحمه الله ، وفي المدينة المنورة الاستاذ عبد القدوس الانصاري ، صاحب مجلة المنهـــل

الادبية التي لا تزال توالي الصدور ، وكذلك الاستاذان علي وعثمان حافظ اللذان اصدرا بالمدينة جريدة المدينة المنورة ٠٠

على انى احب ان انبه هنا الى امر هام هو انني لا احاول في هذا الحديث ان احصر اســماء الادباء او الذين اسهموا في الحركة الادبية على نحو ما ، فهذا ليس من اهدافي ، انمـــا اشير هنا فقط لبعض الاسماء التي تحضرني كمثل على الاجيال التي كان لها دور معين في الحركة الادبية ،

والا فان هناك اسماء كثيرة لامعـــة جديرة بالتسجيل ، بل لعل منها من اضطلع بدور أكثر أهمية من بعض هذه الاسماء التي اذكر ٠٠

ولم يكن امام الادباء الذين برزت

اسماؤهم فى العهد الهاشمى فى الحجاز ، من مجال يظهر فيه انتاجهم الادبى ، الا صحيفة « القبلة » فى مكة ، وهى الجريدة الرسمية ، او جريدة « بريد الحجاز » فى جدة التى اصدرها الشيخ محمد صالح نصيف ، الذى ادى فى صمت وتواضع دورا هاما فى انعاش الحركة الادبية سواء عن طريق اصدار هذه الجريدة بجدة فى العهد الهاشمى ، او فى استمرار اصدارها بعد ذلك فى مكة باسم « صوت الحجاز » وذلك بعد دخول الملك عبد العزيز رحمه الله الى الحجاز

وفى « بريد الحجاز » وفى جريدة « الفلاح » اخذت تظهر بواكير الادب الجديد ، من شعر ونثر ، وتمتاز هذه البواكير بتحررها من رواسب الادب التقليدى ، فانطلق النثر للتعبير ، دون التزام للسجع او المحسنات اللفظية .. وكذلك انطلق الشعر ليسير فى ركب الشعر القوى الذى حمل لواءه البارودى وشوقى والرصافى والخطيب .. وامثالهم ..

واذا كان الحجاز قد وجد ظروفا تتيح لادبه فرص الانتعاش والتجدد ولو فى حدود ضيقة .. فان بقية مناطق المملكة ، لم تجد مثل هذه الظروف .. بالقدر الكافى . الا انها من ناحية اخرى ، لم تكن قد تاثرت تاثرا كبيرا بتلك الظواهر التى شاعت فى كثير من البلاد العربية ، فغلفت الفكر بقشور لفظية ، كما ساد فى عصور الانحطاط .. بحيث اصبح الادب صناعة، تتسم فى نثره بالسجع وفى شعره بالتشطير والتخميس والتشجير ، منصرفا الى المحسنات البديعية على حساب توارى الفكر القوى والاداء السلس الحر ..

كانت « نجد » فى شبه استقلال سياسى ، فى العهد العثمانى . وقد حفظ عليها هذا الاستقلال صفاء عروبتها .. فاستمد الشعراء الذين نبغوا بها ادبهم من منابع الشعر القديمة . وكانت هى المثل الاعلى فى الشعر .. لمن تهيأ له ان يدرسها خاصة وان المعلقات ، كثيراً ما تتحدث عن ربوع نجد ، وعن خصبها ونمائها وربيعها ونبتها وازاهيرها ، وطرائد الصيد فيها .. فالطبيعة هى هى ، والجبال والامكنة والوديان لا تزال محتفظة بتلك الاسماء التى تغنى بها الشعراء ..

بالاضافة الى تلك الحركة القوية التى اضطلع بها الامام المجدد « محمد ابن عبدالوهاب » فى نجد، تلك الحركة التى حررت العقول من ربقة المعتقدات الفاسدة . وفتحت للناس آفاقا واسعة للاطلاع على كتب الائمة السلفيين من امثال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ..

وكما اسلفت فان اية حركة فكرية ، وان كانت ذات اتجاه معين ، تلقى ظلالها على الناحية الادبية .. وكذلك فعلت حركة التجديد الدينى التى اضطلع بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله ، فقد واكب الشعر هذه الحركة او تابعها وعمل على تأييدها . كما تحرر من ربقة الخرافة وكثير من الترهات .

ونجد ان محمد بن عثيمين (١٢٧٠ ـ ١٣٦٣ هـ) من الامثلة على الشعر الواعى فى نجد الذى سبق ظهور الملك عبد العزيز رحمه الله بفترة ، ثم واكب عهده ، فمدح ، ونافح ، ومجد الدعوة .. واشاد بالاسرة السعودية ، الى جانب اغراضه الشعرية الكثيرة .

ومثل هؤلاء النوابغ الذين ظهروا

رحلة قلم
في الأدب السعودي المعاصر




الشاعران محمود سامي البارودي ، واحمد شوقي:
انطلاقة الروح الجديدة للشعر في مصر ..

في نجد ، وفي الحجاز ، ظهر آخرون في انحاء اخرى في اقطار المملكة ، اعني في الاقطار التي اصبحت من بعد اجزاء من المملكة الموحدة ، وان كانوا يختلفون في نوع الثقافة ، وفي مستواها .

وبعد دخول الملك عبد العزيز رحمه الله الى الحجاز ، اخذت حياة الاستقرار الجديدة ، تؤتي اكلها ،

ووصل حبل الامن الذي ساد ربوع المملكة ، ما بين اقطارها ، وسهل على ابناء هذه الاقطار ان يتصلوا بعضهم ببعض .. وان يكونوا مجتمعا واحدا متكافلا .. تبلورت ثقافته في فكر متحد في خطوطه العريضة ..

وحملت الصحافة الاسبوعية بادىء الامر ، الاضطلاع وحدها بعبء نشر الفكر السعودي . فحلت جريدة « ام القرى » الرسمية ، محل جريدة « القبلة » التي كانت تصدر بمكة على العهد الهاشمي .

كما قامت جريدة « صوت الحجاز » في مكة بديلا عن جريدة « بريد الحجاز » التي كانت تصدر بجدة . وقد اصدر الاثنين الشيخ محمد صالح نصيف .

وقد جالت في جريدة « ام القرى » اول امرها ، بعض اقلام رجالات الملك عبد العزيز رحمه الله ، من امثال الشيخ يوسف ياسين ، ورشدي ملحس .

كما برزت على صفحاتها اقلام شابة فتية تمثل الادب السعودي الجديد ، من امثال : محمد سعيد عبد المقصود رحمه الله ، الذي قدم من بعد ، مع صديقه الاستاذ الشاعر عبد الله بلخير ، كتاب « وحي الصحراء » الذي اصبح مصدرا هاما من مصادر دراسة الادب السعودي في هذه الفترة .

ومن امثال الاستاذ عبد القدوس

الانصـــــاري والاستاذ عزيز ضياء ، والاستاذ احمد العربي ، والاستاذ عمر عرب ، والاستاذ عبد السلام عمر وعدد اخر من ادباء المملكة لا تحضرني الان اسماؤهم ٠

ولقد كانت جريدة « ام القرى » في بعض عهودها ، تشبه المجلة الادبية او الفكرية ، التي تزخر بعـــدد من البحوث والمقالات ٠ فقد وجد فيهــا فريق غير يسير من الشباب السعودي متنفسا طيبا لنشر انتـــاجهم الادبي والفكري ٠٠ بالرغم من انها كانت ذات صبغة رسمية او شبه رسمية ٠

اما الجريدة الثانية وهي « صوت الحجاز » ٠٠ فقد تمثلت فيها النهضة الفكرية ، اجلى ما تكون ، وبرزت على صفحاتها اقلام شـــابة كثيرة تميزت بالثقافة العربية الاصيلة التي كانت تدرسها مدارس الفلاح ، الى جانب الحلقات المسجدية التي كانت تنتشر بصفة خاصة في الحرمين الشريفين ، عدا مساجد كثيرة في انحاء المملكة ،

ثم اخذ المعهد العلمي السعودي ، الذي انشاه الملك عبد العزيز رحمه الله في مكة المكرمة ، يؤدي دوره الهام الى جوار خـــريجي المدارس الفلاحية ٠ حيث تخرج فيه عدد من الكتاب والشعراء والعلمـــاء الذين اضطلعوا بنصــــيبهم في النهضـــة الفكرية التي كانت مراتها الصـــافية جريدة « صوت الحجاز » الى جـــوار زميلتها الرسمية « ام القرى » ٠

تميزت « صـــــوت الحجـــاز » بالافتتاحيات القـــوية ٠٠ وبالمقالات الجيدة ٠ وبالقصـــائد المبدعة التي جالت في اغراض مختلفة متعددة ٠ وتمثل فيها لقاء عجيب ٠ بين اصالة الشعر العـــربي القديم (العصر الجاهلي) وقوة شـــعر العصر الاموي الاول ٠ من اضراب جرير والفرزدق ٠ حتى لقد اخذ الهجاء ، وحتى المقذع منه طريقه الى الشعراء الشباب ٠٠ فكانت هناك معسكرات هجـــائية بين فريقين متبادلين ، على راس احدهما الاستاذ محمد حسن عواد ٠ وعلى راس الفريق الثاني الاستاذ حمـــزة شحاته رحمه الله ٠ ولكلا من الفريقين انصار واشياع ٠ وبين هـــــؤلاء وهؤلاء من كان يحلـــو له ان يزود الوقود بضرام جـــديد لتظل النـــار متوهجة وليظل له متعة التفرج على اللهب ! ٠

ولست اشك ان اعجاب لفيف من هؤلاء الشعراء بجـــرير والفرزدق والاخطل ، كان له تاثيره في خلـــق حب التهاجي بينهم ، وخاصـــة بين الشاعرين حمزة شحاته رحمه الله ، ومحمد حسن عواد ٠

وقد تمثلت في النهضـــة الشعرية بالحجاز ونجد الاغراض الشـــعرية المختلفة ٠ فانصرف الشاعر احمـــد ابراهيم الغزاوي الى شعر المديح ٠

بيد انه لم يقتصر على المـــديح فحسب ٠ فقد طرق الوانا من الاغراض الاخرى ٠ فله مشاركات في المناسبات الوطنية ، وله اخوانيات ، وله غزل رقيق نشر بعضه ، اما اكثره فلم ينشر

وحين اقول هنا : نشر ولم ينشر ، فانما اقصد النشر في الصحف ، ذلك لان الاستاذ الغزاوي لم يصدر اية مجموعة من شعره ، فمصادر شعره ، انما هي مقصورة على الصـــحف والمجلات او بعض الكتب التي عنيت بتقديم نماذج من الادب السعودي ٠٠



الامير عبد الله الفيصل شعر الغزل

مثل كتاب « وحي الصحراء » ..

وهناك شاعر آخر كان يشاركه الاستاذ الغزاوي معظم مناسبات مديحه ، وهو الاستاذ فؤاد شاكر رحمه الله . (فقد توفى فى أواخر العام الهجرى الماضى ١٣٩٢ هـ) .

والذين يعرفون بيئة المملكة العربية السعودية ، يدركون انها بيئة تتميز بأصالتها العربية التقليدية التى ترتكز على كثير من الركائز العربية التى عرفت فى العهود الاولى ، حيثما كان للشعر المديح شأنه الكبير بالنسبة للممدوح والشاعر معا .

ولقد ظل لهذا اللون من الوان الشعر قيمته الفنية والمعنوية فى نفوس سكان الجزيرة العربية .

والعاطفة الدينية جديرة بان نقف عندها لنتبين آثارها فى الادب السعودى ، ذلك لان الادب الاسلامى يشكل فى أدب المملكة العربية السعودية جزءا ملحوظا . يتميز بشخصية خاصة ، تكونت ملامحها من هذه البيئة المتمسكة باهداب الدين . حيث الكعبة ، وبلد الرسول ، ومهاد تجديد الدعوة ، ذلك التجديد الذى اضطلع بعبئه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ...

ونجد آثار العاطفة الدينية فى شعر عدد من الشعراء . فمحمد حسن عواد له قصيدة مشهورة فى الصلاة . ونجد فى شعر احمد قنديل تصويرا لجوانب من الحياة الروحية .

كما ان هذا الجانب ، نجده بارزا فى ديوان « الطلائع » وهو الديوان اليتيم الذى اصدره فى صدر شبابه الباكر الكاتب الاسلامى الاستاذ أحمد محمد جمال .

اما الاستاذ الشاعر « حسين عرب » .. فان الروح الاسلامية تتجلى فى كثير من شعره ، قوية تتسم بالعمق

والابداع • حتى ليكاد يكـــــــون متخصصا بهذه الناحية ، مع اجادته في كل مجال شعري آخر •• وللاستاذ الشاعر ضياء الدين رجب شعر اسلامي رصين يتسم بعمق العاطفة •

وفي مجـــال الشعر الاسلامي ، لا يفوتني ان اذكر الاستاذ عبدالحميد الخطيب، رحمه الله فقد كان متخصصا في هذه الناحية ، ونظم فيها المطولات، واصدر الدواوين المطبوعة • ولـكن المسحة النظميـــة كانت تتغلب على اسلوب ادائه • وان كنا نجد في خلال نظمه بعض الومضات الشعرية • ولكن قصائده جميعها كانتتنبع من احساس صادق يدل على عاطفة دينية عميقة •

وفي شعراء الشباب • نجد هـذا الاتجاه قويا ايضا لدى الاســتاذ الشاعر ابراهيم امين فوده ••

***

واذا انتقلنا الى شعر الغزل • فان الحصيلة التي تتجمع في هذا المجال ، اوسع من ان نعدد شعراءها •

والشعراء الذين سبق أن اشرت الى اســـمائهم في هذه المقالة • طرقوا – كلهم تقريبا – باب الغزل ، باساليب مختلفة ، تتراوح بين التذمم والانطلاق

وكان شعراء الرعيـــل الاول من امثال حمزة شحاتة ، والعـــواد ، وقنديل ، وحسين سرحان • وغيرهم قد اشتهرت لهم قصائد غزلية • الى جانب ما خاضـــوا من اغراض شعرية اخرى •

ولكل هؤلاء دواوين مطبوعة ، عدا الاستاذ حمزة شحاتة رحمه الله ، فانه على تحليقه ، وعلى ما تمتع به من طاقة شـــعرية كبيرة ، وعلى طواعية ادائه الشعري وطرافة معانيه لم يصدر له اي ديوان ••

وهناك من الشـــعراء الذين طرقوا أبواب الغـــزل من كان لبعضهم فيه دواوين متخصصة كالاســـتاذ حسن عبد الله القرشي في ديوانه « سوزان »

وآخرون ضمت دواوينهم الغـــزل وغيره من امثال الاســـاتذة محمود عارف ، والامير عبد الله الفيصل ،

ومحمد حسن فقي ، وطاهر زمخشري، ومحمد علي السنوسي، وسعد البواردي •• والدكتور غازي القصيبي • ومقبل العيسى • ومحمد فهد العيسى ، وعبد الغني قستي ، والسيد ماجد الحسيني، وهاشم رشيد •

وهناك فريق من شعراء الغزل • من الاجيال التالية لم تصدر دواوينهم بعد كالاســـتاذ محمد سراج خراز ، ومحمد عبد القادر فقيه • وفريق غير قليل من شعراء الجيل الجديد ••

واذا كنت قد اطلت الوقوف عند الشعر ، فلانه ـكما قلت ـ اظهر وجوه الادب في المملكة العربية السعودية

حتى الان • على ان وجـــوه الادب الاخرى ، قد اخذت تظهر بجلاء • وان كان بعضها لا يزال يسير سيرا وئيدا •• فان القصة ـ مثلا ـ لا تزال في خطواتها الاولى بالرغم من تطـــور حركتها تطورا صاعدا ••

من كتاب القصة البارزين الاساتذة لقمان يونس ، وغالب ابو الفرج ، وابراهيم الناصر ، ومحمد عبد الله

مليباري ، ومحمـــود المشهدي ، وامين سالم رويحي رحمه الله ، وغيـــرهم ممن صدرت لهم مجاميع من القصة القصيرة •

وهناك من كتب الرواية او القصة

رحلة قلم

في الأدب السعودي المعاصر



الرصافي : جوبة الشعر وجزالته

الطويلة . كالاستاذ احمد السباعي ، وهو احد رواد الادب المشهورين . كاتب ، وناقد اجتماعي ، وقاص اصدر كتبا متعددة في ميادينه هذه . وهو صاحب رواية « فكرة » المطبوعة .

وكذلك الاستاذ محمد على مغربي ، وهو ايضا احد الكتاب الرواد . واحد الذين اداروا دفة الصحافة بنجاح في عهد من عهودها السابقة . فله ايضا رواية طويلة اسمها « البعث » .

والاستاذ حامد دمنهوري رحمه الله له اكثر من قصة طويلة . اذكر منها قصته « ومرت الايام » ..

وقد كتب الدكتور عصام خوقير التمثيلية بنجاح ، وان كان هذا الفن لا يزال اقل حظا من الاهتمام والعناية وعني ادباء قلائل بترجمة القصة الغربية ، كالاستاذ عزيز ضياء ، والاستاذ حمزة بوقرى ، والاستاذ عبد الحميد عنبر رحمه الله .

والبحث الادبي ، والدراسات الادبية ، والعناية بالتراث ، اخراجا وتحقيقا ، كل ذلك اخذ في الايام الاخيرة ، سمته نحو النهج الصحيح

.. واضطلع الشباب السعودي من اساتذة الجامعات السعودية بدور فعال في هذا السبيل . مؤزرين تلك الجهود القيمة الرائدة التي بدأت بأمثال الاستاذ عبد القدوس الانصاري .. والاستاذ حمد الجاسر ، والاستاذ أمين مدني ، والاستاذ عمران محمد العمران . وغيرهم ، وقد عرف الاولان بنشاطهما الواسع المطرد في هذا السبيل ، كما يقوم الاستاذ المدني بمعالجة بحوث تاريخية في منهجية واعية .

اما الاستاذ عبد القدوس الانصاري فهو صاحب مجلة « المنهل » وهي احدى المجلات الرائدة الصامدة ، في تاريخ الادب العربي عامة ، وفي تاريخ

ادب المملكة بصفة خاصة ، ولا تزال هذه المجلة تؤدى مهمتها فى جلد ومثابرة . كما لا يزال صاحبها يصدر موسوعات تاريخية فى نواح هامة من المدار واماكن ، والقبائل الخ ..

ويتمتع الاستاذ احمد الجاسر ، بشهرة واسعة ، خارج حدود المملكة، لاشتراكه فى عدد من المجامع العلمية واللغوية . وله عناية فائقة بالبحوث الجغرافية التاريخيـــة . والاماكن والقبائل . وهو يصدر المجلة الرصينة الجادة « العرب » وهى تضم بحوثا فى التاريخ والجغرافية والادب .

كما انه الف عددا من الكتب المفيدة التى حوت خبراته فى الكشف والريادة فى الجزيرة العربية ، من مثل كتابه

عن « الرياض » وعن « ينبع » ، كما قامت دار اليمامة التى اسسها ولا يزال يشرف عليها بتقديم عدد من البحوث التى تعكس اوجها مشرقة من النهضة الثقافية .

واذا كانت كل من مجلة « العرب » و « المنهل » قد مثلنا مراحل التطور الفكرى ، فان هناك مجلات اخـرى اعطت وتعطى جوانب من الحـركة الفكرية فى المملكة . كمجلة الحج التى اصبح اسمها الان مجلة « التضامن

الاسلامى » ، ومجلة « رابطة العالم الاسلامى » وهناك مجلة « اليمامة » التى تصدر عن مؤسسة اليمـامة الصحفية ، وهذه الاخيرة تضم بعض عطاء الجيل الصاعد ..

وجدير بالذكر ان المرأة السعودية ، شاركت فى الحركة الادبية ، وانتعشت نهضتها فى الاونة الاخيرة ، بعد ان انتشر تعليم الفتاة فى طول البـلاد وعرضها .

كانت لطفية الخطيب ، رائدة اولى فى التوجيه النسوى ، وعرفت بنشاطها فى هذا السبيل ، وكثيرا ما كتبت فى الصحف المحلية ، توجه وترشد وتنصح وتحض على الاصلاح .. وهى ابنة العالم الدبلوماسي الاديب الاسـتاذ « عبد الحميد الخطيب » الذى مر ذكره من قبل فى هذا المقال .

وهناك اديبات وشاعرات وقاصات تجرى اقلامهن فى الصحف . ومنهن من اصدرت كتبا او دواوين شعرية .

ولا احب ان اختم هذا العرض ، دون ان اسرد بعض ما يحضرنى من المؤلفات التى تناولت حركة الادب فى المملكة العربية السعودية او ضـمت مجاميع من شعرها ونثرها ليرجـع اليها من يود التوسع فى الاطلاع على ابعاد هذه الحركة ..

من اوائل الكتب التى وضعها مؤلفون غير سعوديين كتاب « الادب الحجازى فى النهضة الحديثة » . للاستاذ احمد ابو بكر ابراهيم .

ثم هناك للمؤلفين السعوديين : « وحى الصحراء » و « نفثات باقلام الشباب السعودى » و « قمة الادب فى الحجاز » و « شعراء نجـد المعاصرون » و « الادب الشعبى فى جزيرة العرب » و « المعرض » و « ادب الحجاز » و « الشـعراء الثلاثة » و « شعراء الحجـاز المعاصرون » و « الموسـوعة الادبية » و « من تاريخنا » و « سير وتراجم » . وهذا الكتاب يضم تراجم بعض علمـاء الحرمين ومؤلفه هو الاسـتاذ عمر عبد الجبار ، وقد كان من رجـال التعليم وخاصة تعليم الفتاة ، كما وضع الاسس المتينـة للتاليف المدرسى ، وبرز فيه .

◆

● عبد العزيز الرفاعى ●
● الرياض ●

مرة ، قال الشاعر الالماني الشهير جوهان فولفجانج فون جوته ، ان على كل جيل ان يكتب التاريخ من جديد .

ان هذا العالم يتطلب اليوم تعريفا يحــدد ابعاده ، لاننا نجتاز مرحلة تحول لم يسبق لها نظير على طول التاريخ

آخر فرصة أمام البشرية

بقلم: هوبرت تسيرك • ترجمة: صالح جودت

لقد وقف العـــالم - منذ ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥ - على ابواب عصر جـديد ؛ ففي ذلك اليوم ، انفجرت القنبلة الذرية الاولى فوق هيروشيما ، وكانت قدرتها أن قتلت مائة [illegible] من البشر في دقائق معدودة .

ومهما تكن خطورة قنبلة هيروشيما فانها لا تستحق الذكر في خطورتها

اذا ما قورنت بخطورة الطاقة المدمرة للقنبلة الهيدروجينية التي تتجاوز في تأثيرها القنبلة الاولى ... مرة .

وفضلا عن هذا ، فقد استحدثت [illegible] ... ان

التدميرية لقنبلة الهيدروجين الاولى بكثير .

لقد بلغنا اليوم حدا يهدد الحياة البشرية كلها بالفناء ، حتى لو ... مهددة ... في المستقبل .

***

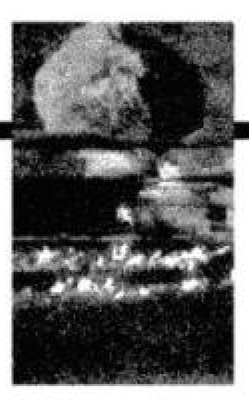
ان الوضع العالمي لم يعد ... من العهد ... من قبل

.. حيث يجتاز العلم والبحث والتكنولوجيا ... رهيب

الابعاد ، كما ان ... ايامنا كل يوم بجديد .

ان عمليات التطور التي ...





آخر فرصة أمام البشرية

تستغرق بضعة قرون ، تتم الان فى عقود محدودة من القرن الواحد ٠

ويطرح كتاب « الثورة البالية » ، هذا المثل الترشيحى :

« لقد انقضت ٥٠٠ر٠٠٠ سنة بين عهد الرجل الاول الذى استخدم الحجر كاداة وظهور صانع الاحجار الاول ٠

« وانقضت ٥٠٠٠ سنة بين ظهور الحداد الاول ، وظهور المهندس الذى يقود الالة ٠

« وانقضت ١٣٠ سنة بين ظهور المهندس الذى يقود الالة وظهور قائد الطائرة النفاثة الاسرع من الصوت ٠

« وانقضت سبع سنوات فقط بين تقسيم الذرة ، وبين ظهور القنبلة الذرية ٠٠ اى الدخول فى العصر الذرى » ٠

وهكذا يتكشف لنا ان التطور الزمنى لم يتغير مطلقا على الصورة المتهورة التى يتغير بها اليوم ٠ ولهذا ينبغى لنا ان نكافح لنواجه الماضى بنظرة ناقدة ، وان نتدارس الاسباب والخصوص التاريخية التى تحدد كيان عالمنااليوم ، كما تحدد مستقبلنا ٠٠ ولا بد لنا فى هذا السبيل من استعراض صورة القرن التاسع عشر على الاقل ، فى هيكلها التاريخى ٠

●●●

كان القرن التاسع عشر ، عصر تقدم عام ٠ انه العصر الذى طورت فيه اوربا بروحها الرائدة العملية ، واندفعت قدما فى طريق البناء الخلاق فى جميع ميادين الحياة ، من استخدام التكنولوجيا الى زيادة الانتاج والطاقة الانتاجية ٠

وكانت اكبر نقاط التحول عما سبق ذلك من عصور التاريخ ، هى اختراع الالة البخارية ، وصحيح انها ظهرت فى القرن الثامن عشر ، الا انها لم تحتل مكانها البارز فى مجال التطبيق

والاستخدام الواقعي الا في القرن التاسع عشر ·

لقد نشطت الصناعة الانتاجية الحديثة الطاقة ، وانتهت الى « الثورة الصناعية » ·

وكان شأنها شأن جميع المخترعات البارزة الاخرى في تبديل اوضاع الانتاج وكيان المجتمع الذي يحياه الناس ·

وان ما يبدو في عيون الناس امرا عاديا اليوم ، كالسكة الحديدية والسيارة ، والكهرباء كمصدر للطاقة والتليفون والمطبعة السريعة والالة الكاتبة ، كل هذه المخترعات ترجع الى هؤلاء الرواد الذين حولوا مستكشفاتهم العلمية الى تكنولوجيا لم تترك طابعها على القرن التاسع عشر وحسب ، بل لقد كان لها اثر مباشر في تقدمه ·

ولقد كان القرن التاسع عشر مركزا على اوربا · مثال ذلك ان التقدم التكنولوجي في العالم ، يحمل طابعا أوربيا ·

وحينما بدا قرننا هذا ، لم تكن هناك بالكاد اية دولة مستقلة في آسيا وافريقيا ، فيما عدا اليابان وليبريا واثيوبيا ·

وعندما اخذ القرن يتقدم ، بدا في اوربا كأنما « العصر الذهبي للأمن » قد أشرق فجره ·· عصر التعقل ، والنظام المحسوب بدقة ، والحرية ، والتقدم المطرد ·· وبالاختصار ، عصر القيم غير القابلة للتغيير ··

وقد استولى على الشعوب الاوربية شعور بالثقة المتفائلة في المستقبل ، والهام بالفكرة المثالية التي تؤمن بانها تعيش في عالم هو افضل العوالم

وكانت حكمة هذه النتيجة تنطوي على امل كبير ، هو ان يبقى هذا العالم على هذه الصورة الى الابد ·
وقال الكاتب الالماني ستيفن زفايج « لاعجب لو جعل هذا القرن ينعم بشهرة الجلائل التي حققها وحده واعتبر ان كل عقد كامل منه كان مرحلة الى الامام نحو مرحلة افضل » ·

***

ولكن المنافسات الاوربية الداخلية انبثقت من وراء هذا التفاؤل الواقعي الذي ساد السنوات المبكرة من قرننا ، وكانت تلمح من الخارج بشيء من الكبرياء وعدم الثقة والحسد والاسى ، وكان سببها الرئيسي هو الصراع على السيطرة الاوربية

***

ويتفق المؤرخون الفرنسيون والالمان اليوم معا على ان الوثائق التاريخية لا تسمح لاحد بأن يعزو الاختيار الواعي في المباداة بحرب اوربية الى اية حكومة معينة او اي شعب معين في اوربا ··

ومعنى هذا ان الغالبية العظمى من الشعب ، في فرنسا والمانيا ، لم تكن تريد الحرب · ولكن احدا لا يستطيع ان ينكر ان عدم الثقة المتبادل في ذلك الحين ، والذي كانت له جذوره في الروح القومية التي سادت القرن التاسع عشر ، كان من القوة بحيث انفجرت الحرب بسبب « التعبئة الدفاعية المشئومة » رغم ان الشعوب لم تردها ·

***

ان التقييم الصحيح للموقف الحاضر



آخر فرصة أمام البشرية

يتطلب ان نتذكر احداثا معينة تتصل بطريق مباشر او غير مباشر بحرب سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، أى بحرب « الاخوة الاوربية » ... كما وصفها المؤرخ الهندى « كانالام مهدانا » .

اننى اذكر سنة ١٩١٧ . انها السنة التى دخلت فيها أمريكا الحرب وتخلت عن سياسة العزلة . ولكنها كانت كذلك السنة الفاصلة ، سنة الثورة الشيوعية فى روسيا .

ويومئذ ، لم يحلم أحد ، ولم يكن له ان يحلم ، بمدى تأثير ما حدث فى تلك السنة على مستقبل القرن العشرين . فبعد ذلك بعقود قلائل ، أى بعد جيل واحد ، كانت نتائج سنة ١٩١٧ عاملا فعالا لا يمكن تجنب تأثيره ..

فما لم تستطع الحرب العالمية الاولى ان تستخدمه ، وهو ان تهز وضع اوربا فى العالم من اساسه ، حدث بالفعل فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، حينما قام على انقاض مراكز القوى المحطمة فى القارة القديمة ، عملاقان من خارج الحلبة ، هما امريكا وروسيا ... ليصبحا القوتين الكبيرتين فى العالم .

ولكن هناك حدثا آخر لا بد ان يشار اليه ، وهو حدث تكمن جذوره فى « حرب الاخوة الاوربية » وقد لعب دوره فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، فى التحول الكبير فى الكيان الكامل للعالم ، وهو يقظة الشعوب التى كانت واقعة تحت السيطرة الاجنبية

وقد أخذ نطاق هذه الدعوة يتسع اتساعا مطردا بعد الحرب العالمية الاولى فى الشرق الادنى وآسيا ، مما يجعلنا نصف هذه المرحلة بأنها المرحلة الفاصلة التى برزت فيها الشعوب الواقعة تحت نير الاستعباد الى مجال القوة . فقد قامت فى مصر والهند وكثير من البلاد الاسيوية

الواقعة بين القاهرة وبكين موجات من الثورات والاحتجاجات السياسية ، وبدأ ظهور التجمعات الثورية والقومية التى استوحت وثبتها من افكار الحرية والمساواة والكرامة الانسانية والديمقراطية والقومية

اما التجربة التى مارستها بعد سنة ١٩٤٥ ، فهى "ثورة" راديكالية هزت تقاليد القرن التاسع عشر واسفرت عن مرحلة تاريخية جديدة كل الجدة

***

ويضيف أحد الساسة الامريكيين، وهو يشغل منصب « مدير مركز الشئون الخارجية » الى ذلك قوله : « ان كثيرا من الافكار واساليب

السلوك الموروثة لم تعد تنسجم مع الواقعيات الجديدة . فان جميع الدول ، قديمها وحديثها تواجهها

ضرورة تبنى سياستها ووسائل تفكيرها وفقا للبيئات الدائمة التغير »

***

كل هذا يرجع الى سياسات التنمية . ففى السنوات الاخيرة ، تحدث الخبراء وغيرهم كثيرا ،

فى ايجابية او سلبية ، عن التعاون الاقتصادى والمعونة من اجل التنمية الى حد ان شيئا من حب السيطرة يبدو كلما جاء ذكر هذه الامور .

ومهما يكن من أمر ، وسواء اكان المرء مع مساعدات التنمية ام ضدها فانه يحس ان هناك مشكلة

تواجهنا عند ذكر هذه الكلمة ، هى موضع الاهتمام المباشر عند كل متحضر سياسيا فى جميع انحاء العالم

ولا بد لكل من يبدأ فى دراسة مشاكل التنمية فى هذا العالم بجدية

حقة ، ان يدرك انها اكبر من ان تكون مجرد ظاهرة عابرة من ظواهر الصيحات الجديدة ..

انها واحدة من اكبر المهام العالمية فى الوقت الحاضر ..

يقولا علماء الاجتماع : « ان الفقر ليس جديدا » اى انه لا سبيل الى تجنبه .

وهذا الادراك يمكن ان يتحول بسهولة الى سخط وعدم ثقة اذا لم تنجح البشرية فى عبور الهوة المادية القائمة بين الناس

ان تقرير الامم المتحدة سنة ١٩٥٢ يقول ان اكثر من نصف سكان العالم يعيشون فى مستوى

لا يعصمهم من الامراض ، لانهم لا يملكون الغذاء الاساسى الذى يبنيهم بناء جسديا سليما .

ان احوالهم المعيشية لا تسد حتى مجرد اهم المتطلبات الانسانية الاساسية ، فالمدارس اللازمة لتحسين

حالتهم وتنميتها غير موجودة ، كما لا تتوفر لهم ظروف العمل التكنولوجية والاقتصادية والعقلانية والاجتماعية الصالحة لهم ..

***

ولقد هز ذلك التقرير للامم المتحدة ضمير العالم . وفيما يتصل بالتعاون على المستوى العالمى ينبغى لنا ان ندرس ظاهرة تاريخية لها دلالتها ، لا تزال فى مستهلها .

كان بشير الصيرورة الحالية لمساعدات التنمية هو مشروع مارشال ، الذى قدمت امريكا من خلاله اول قوة دافعة لكى تقف اوربا التى مزقتها الحرب على قدميها

واذا كانت جمهورية المانيا الاتحادية تقف اليوم كعامل اقتصادى فعال ، فان ذلك يرجع بطريقة ما الى المساعدات التى تلقتها فى سنوات



آخر فرصة أمام البشرية

عوزها ، في فترة ما بعد الحرب ، من خلال مشروع مارشال .

لقد اظهر الامريكيون يومئذ تفهما لاوربا وهى مهددة بالجوع فاظهروا استعدادا للتضحيات الشخصية

وفي مناطق اخرى من العالم، بنات الشعوب تفكر في اليؤس العميق ببقاع شتى من مختلف القارات

ولو اننا ذكرنا في هذا الصدد ، الصراعات الاجتماعية الانفعالية التي دارت رحاها خلال الثورة الصناعية منذ قرن من الزمان ، لادركنا انه من الممكن ان يجيء يوم من الايام تبرز فيه الصراعات الطبقية على نطاق

عالمي ، وتقع ازمة طاحنة تهدد العالم اذا لم يتفق جميع الاطراف اليوم على مد يد العون للتغلب على الشقاء والحرمان في العالم

ولا يستطيع ان يؤيد عون التنمية بعزم واصرار الا من يستطيع ان يراه على خلفية من التقدم الاقتصادى العام والنهضة المتطورة على نطاق واسع لجميع الشعوب

لقد انكمش العالم في القرن العشرين ، لا في مجرد جغرافيته الفيزيقية ، فان الارض لم تزل هى هى منذ ملايين السنين ، ولكنها

اصبحت اصغر من خلال النظر الى امكانياتها التكنولوجية ، حتى اصبحت تدهمنا يوميا احداث تقع في اماكن نائية من العالم .

ولما كان العالم قد انكمش نتيجة لخدمات المواصلات ، فقد اصبح الناس اكثر اعتمادا على بعضهم البعض ، الى حد ان الملايين من الفقراء في آسيا وافريقيا قد اصبحوا جيراننا لنا — على حد التعبير الانجيلي — كانهم جيران في شارع واحد

***

ولقد عددت النواحي الانسانية والسياسية والاقتصادية وحاولت ان اشرح التغير في سلوكنا نحو العالم بالنسبة للقرن التاسع عشر ، بروح القرن العشرين

ولكني استثنيت ناحية واحدة لعل لها الاهمية القصوى

واعني : الانسان

ودعونا نفكر في الجيلين او الاجيال الثلاثة الاخيرة ، ونفكر في

التغيرات الاجتماعية والروحية والسياسية المتعددة الطبقات في ملاوة قصيرة من الزمن ، من نهاية القرن التاسع عشر الى اليوم

لقد كان الانسان خلالها ـ طيبه وخبيثه ـ قوة عقلية تلقائية وراء كل ذلك

ان ما نسميه تاريخا ، هو من صنع الانسان ، لان له حسرية البث في المحيط العقلى لوجوده · فاذا راهن الانسان بحريته · فانه في الوقت ذاته يدفع بتقدم التاريخ خطوة الى الامام من خلال حركته واعماله

وينبغى لنا ، بعد ما تزودنا به من معرفة ، ان نصنع ما هو خليق بنا في طريق الصواب ·

ولن نستطيع ان نحقق هذا الا اذا تنورنا بالحقائق والقوى التي تصنع المعرفة ، فأحوج ما نحتاج اليه الان هو ان يتنور الانسان تنورا جديدا، ويتنور معه القوى الفكرية في هذا العالم

وان كل من يقرأ كتاب « المعرفة والحكمة » للسياسى والفيلسوف الهندى سارفابالى راداكريشنان لا بد ان يدرك، عند قراءته ، ان هذا هو صوت الانسان الذي توغل بعمق في نصوص تاريخ البشرية ·

ويعتقد راداكريشنان ان مهمة البشرية المعاصرة هي خلق الافكار الروحية الاساسية لوحدة البشر جميعا في المستقبل ·

ويختتم نظريته بقوله : « اننا نعيش في فجر عصر الجنس البشرى العالمي » ·

هذا ، بعد ان يقول في البداية :

« ان البشرية تعانى اليوم من واقع انها تبالغ في تقدير منجزات العقل واهمال القيم الروحية تبعا لذلك »

وهو يدرك اعادة اكتشاف الانسان في المحيط الدولى ، حيث يعتبر لون جلده امرا غير مادى ، من خلال القيم الروحية ·

يقول راداكريشنان : « ان الفوارق الجسدية ستصبح قليلة الاعتبار الى ابعد مدى حيثما ينمو ادراك القيمة الداخلية للحياة · اننا لا ننشد مجرد مزيد من التقارب بين الغرب والشرق ، بل ننشد الى جانب ذلك لقاء بين العقول ووحدة بين القلوب » ·

وهكذا يوضح فيلسوف الهند ما يحتاج اليه هذا العصر ··

ولو اننا فهمنا التاريخ كعملية ديناميكية ، كما يقول الدكتور ماتياس شميت ، لوجدنا ان السياسات الاستعمارية للدول الاوربية الى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هي « النظرية » ·

وقد تبعها التحرر من الاوربية ومواجهة الاستعمار ، بوساطة الدول الاجنبية ، كنظرية مضادة ·

اما الان ، فنحن في مستهل عصر جديد ، في عنق البشرية جميعا فيه مهمة البث في الخلافات من اجل استحداث قاعدة على مستوى اعلى ، وفي ظروف جديدة لعالم متغير الصورة كل التغير عن ذى قبل ·

او بمعنى اخر : ان القرن العشرين، بعد سنة ١٩٤٥ ، هو سياسة التفاهم التي تشمل مطالب للتنمية مبنية على اساس الواقعية ·

واعتقد انها مسئولية شخصية في عنق كل انسان متحضر العقلية ان يتلو من الواقع الجديد وان يبذل مزيدا من الكفاح اكثر مما بذل في السنوات الخالية ليزداد معرفة بالشعوب وفهما لهـا

رفاعة رافع الطهطاوى في ذكراه المئوية

رائد في تاريخ نهضتنا العلمية الحديثة

« اربعة تجرى عليهم اجورهم بعد الموت ، المرابط فى سبيل الله ، ومن عمل علما اجرى له ما عمل به ، ورجل تصدق بصدقه فاجره يجرى ما جرت ، ورجل ترك اولادا صغارا فهم يدعون له »

« حديث شريف »

محمود يوسف

من هؤلاء العلماء الاجلاء الذين نفعنا الله بعلمهم واديهم الشيخ رفاعه بدوى رافع الطهطاوى الذى فقدته مصر بوفاته فى ٢٧ مايو سنة ١٨٧٣ اى منذ مائة عام .

ولد رفاعه فى طهطا وتلقى بها علومه وحفظ القران وعرف الكثير من مبادىء العلوم بمساعدة اخواله الذين قرأ عليهم بعض الكتب فى الفقه والنحو ، ولما بلغ من العمر ست عشرة سنة أراد أن يرحل الى القاهرة ليلتحق بالازهر الشريف .

وكان له ما أراد وأخذ العلم عن اعلام شيوخ عصره كالشيخ الفضالى الذى قرأ عليه صحيح البخارى والشيخ حسن القويسنى الذى قرأ عليه كتاب جمع الجوامع فى أصول الفقه وكتاب مشارق الانوار فى الحديث .



ومن الاساتذة الذين كان لهم اكبر وأجمل الاثر في حياة رفاعة الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الازهر ، وكان له عليه حنو وبه اهتمام ، لما آنسه فيه من حــدة الذهن والدأب المتواصل ، وكان رفاعة يبادل شيخه الحب ويحترمه ، وطالما تردد على بيت معلمه يأخذ عنه العلم والنصائح ، وكان لهذه العلاقة والمودة بين الشيخ وتلميذه اكبر الاثر في حياته ·

وبعد تخرجه في الازهــــر دفعته الحاجة الى البحث عن عمل فعين عام ١٨٢٤ م واعظا واماما لاحدى فـرق الجيش المصرى النظامي ومن حســن حظه كان قائد الفــــرقة حسن بك الماسترلي ، وهكذا انتقل رفاعة من بيئة الازهر الى بيئة جــديدة وهي الجيش النظامي ، وقد احدث هــــذا الانتقال في حياته تطورا وفتح ذهنه الى افاق جديدة لم يكن يعرفها من قبل ·

وظل الشيخ رفاعه في منصب الامامة حتى كتب الله له التوفيق الى اختياره ليكون اماما لبعثة علمية الى فرنسا ·

وفرح رفاعه بهذا الاختيــــار وبدأ يتعلم الفرنسية على ظهر الباخرة التي اقلته واعضاء البعثــة الى فرنسا وقطعت بهم البحر الابيض الى مرسيليا في ثلاثة وثلاثين يوما ونزلوا الثغر الفرنسى في يوليه عام ١٨٢٦ ·

ولما ذهب هو واعضاء البعثة الى باريس اتبعوا منهجــا وضعه رفاعه يقول :

« ثم لما ذهبنا الى باريس مكثنا



رفاعة رافع الطهطاوي في ذكراه المئوية

جميعا في بيت واحد ، وابتدانا في القراءة، فكانت اشغالنا مرتبة على هذا الترتيب ، وهو انا كنا نقرأ في الصباح كتاب تاريخ ساعتين ، ثم بعد الغداء نتعلم درس كتابة ومخاطبات ومحاورات باللغة الفرنسية ، ثم بعد الظهر درس رسم ونحو فرنساوي وفي كل جمعة ثلاثة دروس من علمي الحساب والهندسة ، ومكثنا جميعا في

بيت واحد دون سنة نقرأ معا في اللغة الفرنساوية ، وفي هذه الفنون المتقدمة ثم بعد ذلك تفرقنا في مكاتب متعددة كل اثنين او ثلاثة ، وواحد منا في مكتب مع أولاد الفرنساوية، او في بيت مخصوص عند معلم مخصوص بقدر معلوم من الدراهم في نظير الاكل والشرب والسكنى والتعليم » .

وبهذا النظام في اسلوب التعليم استطاع رفاعة ان يترجم لاستاذه « يوسف اجدب » ، ولم يمض على وجوده بفرنسا اكثر من عام ، ترجم قصيدة بعنوان « القيثارة المكسورة » وسماها « نظم العقود في كسر العود » .

وانغمس رفاعة في العلم ينهل من كتبه ما يشبع نهمه مضحيا بصحته ونور عينه حتى قال عنه استاذه المشرف عليه شواليه :

« ومما ينبغي التنبيه عليه أن غيرة مسيو رفاعة تناهت به الى ان شغله الدرس مدة طويلة في الليل سبب ضعفا في عينه اليسار ، حتى احتاج الى حكيم الذى نهاه عن مطالعة الليل ، ولكن لم يمتثل لخوف تعويق تقدمه ، ولما رأى ان الاحسن في اسراع تعليمه ان يشترى الكتب اللازمة له غير ما سمح به « الميرى » وأن يأخذ معلما آخر غير معلم « الميرى » ، انفق جزءا من « ماهيته » المعدة له في شراء الكتب وفي معلم مكث معه اكثر من سنة ، وكان يعطيه الدرس في الحقبة التي لا يقرأ معي فيها » .

وبذلك تنوعت ثقافته واستطاع ان يترجم اثناء اقامته اثني عشر مترجما ، منها :

- كتاب اصول المعادن
- دائرة العلوم في اخلاق الامم وعوائدهم
- اصول الحقوق الطبيعية التي يعتبرها الفرنج اصلا لاحكامهم
- تقويم سنة ١٢٤٤ من الهجرة الفه « جومار » لمصر والشام متضمنا شذرات علمية وتدبيرية
- نبذة في الميثولوجيا يعني جاهلية اليونان وخرافاتهم .
- نبذة في علم سياسة الصحة
- مقالات من كتاب « لجندر » في علم الهندسة

ولم يدع رفاعة فرصة وجوده في المجتمع الفرنسي تمر دون استفادة فقد اكتسب الى علومه معرفة بالمجتمع الفرنسي وعاداته وتقاليده .

وعاد رفاعة فى اواخر عام ١٨٣١ واستأنف نشاطه العلمى بترجمة كتب الجغرافيا والتاريخ حيث كانت مصر فى حاجة ماسة الى الترجمة لنقل العلوم الاوربية الى اللغة العربية .. ورؤى الانتفاع بمواهبه وثقافته وعين مدرسا لتدريس الترجمة ، ثم وكل اليه ادارة المدرسة التجهيزية للطب

وفى عام ١٨٣٣ انتقل من مدرسة الطب الى مدرسة المدفعية « الطوبجية » بطره ثم عهد اليه نظارة الكلية التجهيزية بقصر العينى ولم يكن قصر العينى قد خصص بعد لمدرسة الطب ، وكما ان رفاعه لم يستمر فى العمل بها اكثر من عامين

وكانت تراود رفاعه فكرة انشاء مدرسة ألسن توفر على البلاد الكثير من الجهد والوقت وامله فى تخريج شباب يكون همزة الوصل بين الثقافة الغربية والثقافة العربية ولما رفع الامر الى المسئولين وافقوا وعهدوا اليه باختيار الطلبة ليكونوا نواة لهذه المدرسة .

وبلغ عدد الطلبة فى البداية حوالى الخمسين طالبا واتخذ مقرا لها « بالسراى » المعروفة ببيت الدفتر دار بحى الازبكية وكان ذلك فى عام ١٨٣٥ وسميت أولا بمدرسة المترجمين ثم غير اسمها الى مدرسة الالسن ، وهى الآن كلية الألسن

وبذل رفاعه الطهطاوى جهدا كبيرا فى تحقيق الرسالة التى انشئت من اجلها حتى وقف فى زهو وفخار عام ١٨٤٩ يقدم اول ثمار مدرسته وكانوا نحو العشرين طالبا فقال ضمن ماقال :

« بدت مدرسة الالسن كالغرة فى وجه الازبكية ، وامتازت بالاعمال السنية ، تتبعت تلامذتها فى العلوم البحث عن الاصل والفرع وتبحث فى الفهوم العقل والشرع ، وان تميزوا بقواعد اللغات المريحة ، فقد تميزوا الى فئة العقائد الشرعية ، واظهروا من البراعة العامة ، ما هو يتردد فى المدنة الخاصة والعامة ، وخرج منهم الى العمل فى المصالح الاميرية نحو عشرين ظفروا لمهارتهم بالرتب البهيه ، وظهرت ثمرتهم فى تعريب كتب عظام ، تمت طبعا او شارفت التمام » ..

الى ان قال :

« تظهر النتيجة كافية سارية ، مستكملة وارفة ، حتى يظهر للحاضرين ان هذه التى هى ميعاد اول فرقة انجزنا فيها ما وعدنا به ، بعد بذل ما فى الطاقة من المشقة ،

ولا يخفى ان اجل تصدينا لهذه المدرسة ، حب ايصال النفع الى الوطن ، الذى حبه من الايمان ، وتقليل التغريب فى بلاد اوروبا حيث لا يتيسر لكل انسان .. »

ومن البيان نعرف ان رفاعة نال رتبة اميرالاى وذلك لان القاب السلك العسكرى كانت متبعة فى ذلك الوقت فى السلك المدنى وقد نال رفاعة لما كان فى فرنسا رتبة اليوزباشى . ثم رقى فى اول تاسيس مدرسة الالسن الى رتبة بكباشى وبعد سنة ونصف منح رتبة القائمقام حتى نال رتبة اميرالاى وهى اخر رتبة ظفر بها .

.. بعد كل هذا التاريخ الطويل الحافل بالجهاد والتفانى فى حب البلاد غضب عباس الاول على رفاعة بعد نشره كتاب « تخليص الابريز » والذى حوى بين دفتيه آراء ومبادىء لا يرحب بها الحاكم المستبد ، وكان عباس الاول مستبدا غشوما فاصدر الامر بنقل رفاعه الى السودان بحجة فتح مدرسة للالسن هناك ...

ومضى رفاعة وبعض الاوفياء الى السودان ، وفى السودان يقول فى حنين الى اله :



رفاعة رافع الطهطاوى في ذكراه المئوية

وشرح الحال منه يضيق صدرى
ولا يحصيه طرس او مدادى
وحسبى فتكها بنصيف صحبى
كان وظيفتى لبس الحداد
وقد فارقت اطفالا صغارا
بطهطا دون عودى واعتيادى
افكر فيهم سرا وجهرا
ولا سحرى يطيب ولا رقادى
وعادت بهجتى بالنأى عنهم

بلوعة مهجة ذات اتقاد
اريد وصالهم والدهر يابى
مواصلتى ، ويطمع فى عنادى
وطالت مدة التغريب عنهم
ولا غنم لدى سوى الكساد

وبقى رفاعة دون ان يستجيب احد لندائه او رجائه حتى ضاق صدره بالغربة واشتد حنينه الى اولاده وفى هذا المعنى يقول :

وغاية مطلبى عودى لاهلى
ولو من دون راحلة وزاد
وصبرى ضاع منذ اشتد خطبى
وهون الخطب عند الاشتداد

وعاد رفاعة الى مصر وبقى بلا عمل حتى عام ١٨٥٦ ثم اختير ناظرا للمدرسة الحربية فنهض بها وادخل على برامجها التعليمية الكثير من العلوم والفنون ولكنها اغلقت بعد خمس سنوات اشرف بعدها رفاعة على ترجمة بعض الكتب العسكرية كما عهد اليه بترجمة بعض اعداد المجلة العسكرية المصرية .

وعمل رفاعة فى الصحافة اذ عهد اليه الاشراف على جريدة الوقائع المصرية فى ١١ يناير سنة ١٨٤٢ ، وقد طورها ونهض بها واستعان بفئة من المحررين اهمهم احمد فارس الشدياق، والسيد شهاب الدين تلميذ العطار ومساعده .

وظل رفاعة مشرفا على تحرير الوقائع المصرية الى سنة ١٨٥٠ اذ توقف نشاطه فى عهد عباس حتى اصدر صحيفة مدرسية سماها « مجلة روضة المدارس » واتخذت المجلة شعارها هذين البيتين :

تعلم العلم واقرا
تحز فخار النبوة
فالله قال ليحيى
« خذ الكتاب بقوة »

ونشرت « روضة المدارس » المقالات الادبية والعلمية والتاريخية والوطنية ومما هو جدير بالذكر أن رفاعة الطهطاوى كان أول من ادخل فى الصحافة فكرة التقرير الصحفى « الريبورتاج » .

وظل رفاعة يحرر مجلة « روضة المدارس » حتى العدد السادس من السنة الرابعة الذى صدر يوم الاثنين من ربيع الاول عام ١٢٩٠ هـ .

وكان رفاعة قد تزوج بعد عودته من فرنسا بابنة خاله الشيخ محمد الانصارى وانجب منها غير الاناث ولدين .

ومن أهم كتبه ومؤلفاته :

فى الفقه : كتب بحثا فى المذاهب

الاربعة ، ورسالة عنوانها القول السديد فى الاجتهاد والتقليد ، واخرى فى البدع المتقررة فى الشيع المتبررة ·

فى النحو : وضع خاتمة لقطر الندى ، ومنظومة سماها جمال الاجرومية ، وكتابا سماه التحفة المكتبية ·

فى علم الحديث : نظم مصطلحاته ·
فى التاريخ : كتب انوار توفيق الجليل ، ونهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز ·

فى البلاغة والادب : اختصر معاهد التنصيص ، وشرح لامية العرب ·
فى الاجتماع والسياسة : وضع تخليص الابريز فى تلخيص باريز وكتاب مناهج الالباب المصرية فى مباهج الاداب العصرية ·

فى التربية : الف كتاب المرشد الامين للبنات والبنين ، ومنظومة فى تأديب الاطفال ·
فى الهندسة : وضع منظومة فيها · وذلك غير كتبه المترجمة التى اشرنا الى بعضها فى هذا المقال ·
وكما كان رفاعة اديبا وعالما وباحثا ومترجما وصحفيا وكاتبا كان ايضا شاعرا يتعشق الجمال حيث كان ويترنم بالطبيعة فى اى مكان ومن شعره العاطفى يقول :

اصبو الى كل ذى جمال
ولست من صبوتى اخال
وليس بى فى الهوى ارتياب
وانما شيمتى العفاف

ويقول رفاعة معبرا عن حبه لمصر وفخره بها فى قصيدة له :

ابناء مصر ، نحن موطننا اصيل
حسب عريق زانه مجد اثيل
وفخارنا فى الكون جل عن المثيل
لرحابنا تطوى المهامة بالطلاح
وطن عزيز ، لا يهان ولا يضام
وحمى تعزز من علياه حسام

مجد له ، لا زال يخترق الغمام
عين السها لفخاره ذات التماح
يا اهل مصر، بنى مصر فرض عين
فى البر تبذل عن رضا نفسا وعين
واذا الرقيب رنا لها بلحاظ عين
ما عندنا فى فقئها الا الرماح

ويقول لجند مصر :

يا جند مصر ، لكم الفخار
بين الورى عالى المنار
كالشمس فى وسط النهار
صيت لكم فى الكون سار

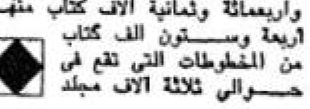
ويقول فى المشاة والمدفعية والبحرية :

يا حبذا نظم الصفوف الاربع
من الصفوف فى مقام ارفع
نوع السوارى ، وضروب المدفع
ومعشر المشاة اسد الكسر
والفلك من فوق البحار تجرى

●●●

كان لرفاعة عناية فائقة فى اقتناء الكتب حتى بلغ عدد كتب مكتبته اربعة الاف وخمسمائة كتاب وجميعها من انفس الكتب وانفعها ، كما أنها حوت مجموعة من الكتب الدينية الضخمة ·

وتكاد مكتبة رفاعه الطهطاوى تنفرد بانها المكتبة التى تحوى بعض اصول الكتب التى ترجمها او الفها او رسم فيها خرائط كما انها غنية بمجموعة قيمة من المخطوطات النادرة التى كتبها مؤلفوها او نسخها ناسخوها من زمن بعيد ·
ومن الجدير بالذكر ان مكتبة رفاعة الطهطاوى تبرع بها حفيده لتكون نواة لمكتبة عامة انشأتها بلدية سوهاج عاصمة المديرية التى ولد فى بلد منها رفاعة « طهطا » ·
ويبلغ عدد كتبها واحدا واربعين واربعمائة وثمانية الاف كتاب منها اربعة وستون الف كتاب من المخطوطات التى تقع فى حوالى ثلاثة الاف مجلد



عاشق الفن

يوسف وهبي

ولد يوسف عبد الله وهبي يوم ١٤ يوليو ١٨٩٨ في أسرة ثرية ، فأبوه عبد الله باشا وهبي كان مفتشا عاما للري ، وبعد احالته للمعاش شغل منصب مدير الجمعية الخيرية الإسلامية ٠

وفي السادسة من عمره التحق بمدرسة الناصرية الابتدائية وكانت وقتذاك مدرسة (أولاد الذوات) ٠ وفي هذه السن ايضا شاهد أول مسرح في حياته ، وكان مع اسرته بمدينة الفيوم ، ولم يكن مسرحا بالمعنى المفهوم بل كان ما يسمونه بخيال الظل ٠٠ والمرة الثانية وهو في السابعة من عمره في مدينة - سوهاج - حيث كان يعمل والده - حين

● محمد كمال الدين ●

فنان الشعب


عزيز عيد : اعجاب بيوسف وهبي


الريحاني : مدرسة اعجب بها يوسف وهبي

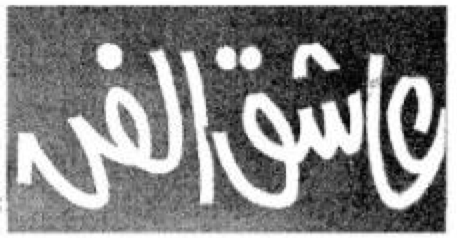

محمد كريم : صداقة وزمالة في الفن

حضرت جوقة سليمان القرداحي يعلن موكبها ان جوقة القرداحي الشهير ، ستقدم رواية عطيل المغربي .. وذهب يوسف مع والده للعرض ..

وعندما انتقل يوسف الى القاهرة كان يلتقي بزميله محمد كريم – المخرج السينمائي – في الفرق المسرحية المنتشرة في ذلك العهد كفرق سلامة حجازى ، واسكندر فرح ، كما شاهدا معا افلام التمثيل السينمائي ومنها افلام جون سينكلر ونقولا كارتر وماكس لندر وتوتو واكاهات « هاك سينث » ..

وعلى مسرح دار التمثيل العربي شاهدا عزيز عيد ونجيب الريحاني واحمد فهيم وعبد المجيد شكرى وعبد العزيز خليل وابريز مستاكي ديان ومريم سماط .

وشاءت الصدفة أن يدرس له الانجليزية في مدرسة الناصرية الاستاذ مهاد الذى تخرج في جامعات انجلترا فاكتشف هوايته للتمثيل ، واسند اليه دور البطولة في مسرحية انجليزية قصيرة . ونال يوسف شهادة الابتدائية ثم التحق بالمدرسة السعيدية الثانوية وفيها انضم الى فرقة الهواة والتقى بمختار عثمان ، والشاعر عزيز اباظة ، ومحمد توفيق ، وضمتهم جميعا فرقة حسن شريف وكانت كلها من الهواة .. وكانت سن يوسف اثنى عشر عاما ، ومع ذلك كان يقوم بدور رجل عجوز في سن السبعين في



فنان الشعب يوسف وهبى

مسرحية « الشرف المغتصب » ..

ثم أصبح يوسف من نجوم النادى الاهلى حيث كان يقيم فى حديقته حفلات ناجحة تعرف فيها بعدد من الشخصيات مثل فكرى أباظة ، ومحمد تيمور ، وداود عصمت ، ومحمد عبد القدوس . وكان يمثل ويلقى المنولوجات التى كان يقتبسها مع مختار عثمان ، من الفرق الاجنبية أو يؤلفها ، ومنها منولوج البيه ويقول فيه :

« بابا وبابا ، من قولة يا بيه
فضلوا ورانا ، يقولوا يا بيه
لما البيه بار والبهـاوية ! »

واستمر يوسف وهبى يمارس هوايته الفنية فى الفرق الصغيرة لمدة سنتين حيث ضمه محمد تيمور الى فرقة أنصار التمثيل ، وفيها التقى بسليمان نجيب ، وفؤاد رشيد ، وزكى طليمات ، وعبد الرحمن رشدى ، وعبد الحليم المصرى . واشترك معهم فى تقديم رواية العرايس التى ترجمها شقيقه اسماعيل وهبى ، ومسرحية جان دوريه التى ترجمها مع محمد توفيق .

وكان فى ذلك الوقت يتردد على الفرق المسرحيةالعاملة مثل فرق عزيز عيد ونجيب الريحانى وروز اليوسف وأمين عطاالله ، ثم التقى بعزيز عيد الذى اعجب به وضمه اليه ، وأصبح يوسف وهبى قاسما مشتركا فى معظم الحفلات فى النوادى ، والتقى بحسن فايق ، وكان يصاحبه على البيانو أبو بكر خيرت مع شقيقه الثانى محمود وهبى — وكان يعمل قاضيا .

وفى مجالسه بمنزله بالمنيرة كان يسمر باستمرار مع محمد العقاد ، ومصطفى رضا ، وسامى الشوا والادباء : صادق عنبر ، وعبد العزيز البشرى ، والشيخ التفتازانى . ومن هذه الجلسات تعلق بالادب وشغف بالاطلاع واتقن العزف على البيانو والكمان .

●●●

وفى سنة ١٩١٧ كان يوسف وهبى يعمل بفرقة عزيز وبمرتب ثمانين جنيها فى الشهر .. كملحن وممثل وكاتب أزجال ، وكانت الفرقة تضم روز اليوسف ودولت ابيض — قبل تعرفها بجورج أبيض — وفى مسرحية حنجل بوبو — تأليف عزيز عيد — كان يقدم يوسف بعض المنولوجات والالحان مثل الكوكايين والفقراء ، ويمثل دور العمدة ، ولكن المسرحية لم تنجح فحلت الفرقة .

واحترف يوسف وهبى المصارعة ومثل هذا الدور ، وكان عبد الحليم المصرى يقدمه كمصارع جاء من بلغاريا .. ثم ضاق بالحياة فى مصر وفكر فى السفر الى ايطاليا ، ليستكمل تعليمه المسرحى ، وقيل ان والده هو الذى ارسله ليتعلم الكهرباء (١) .

وفى ايطاليا يتعرف بالممثل اميديو كيانتونى ويعمل معه ، ويلحقه

---

(١) من حديث ليوسف وهبى فى مجلة الناقد عدد ٣١/١٠/١٩٢٧ .

بالكونسلفاتو او اكاديمية التمثيل ، وفي ايطاليا عرف يوسف وهبي شظف العيش وعمل في بعض المهن البسيطة ليكسب قوته ، ويمثل بعض الادوار الصغيرة في بعض الافلام الايطالية مثل عين الثعبان والابن الغريب والجهنمي ، ومع المخرجين جيمي ارملوس وانطونيو موريلو وجو فريدو الكسندري ٠

وفي ايطاليا كذلك التقى يوسف وهبي بزوجته الاولى يوبزلند – مغنية الاوبرا الامريكية – وتخرج يوسف في المعهد ١٩٢١ ، ثم توفي والده عام ١٩٢٣ فاضطر للرجوع الى مصر ، وكان والده قد صفح عنه وارسل له بالفعل مبلغ الفين وخمسمائة جنيه ، وعاد يوسف ليرث مائتي فدان في الفيوم ومثلها في السنبلاوين ، ومائة فدان في المنيا ، وعشرة الاف سهم في الشركات يقدر ثمنها بثلاثين الف جنيه

عاد يوسف وهبي الى القاهرة والتقى بعزيز عيد واوعز اليه بتأليف فرقة تمثيلية ، وكان يوسف بهوايته وامواله دافعا كافيا للموافقة ، وتكونت فرقة رمسيس بالفعل في العاشر من مارس ١٩٢٣ ٠

ضمت فرقة رمسيس عزيز عيد – ممثلا ومخرجا – وروز اليوسف ، وحسين رياض، واحمد علام ، وفاطمة رشدي ، وزينب صدقي ، ومختار عثمان ، وحسن فايق ، واستيفان روستي ، وفتوح نشاطي ، وادمون تويما ، وماري منصور ، وسرينا ابراهيم ، ونعمت رياض ، ثم امينة رزق وخالتها امينة محمد فيما بعد

وكان عزيز عيد يشترك احيانا في تصميم الديكور والملابس والاشراف على الاضاءة والمشاركة في اختيار الروايات ، وكان نظام العمل يشمل تقديم حفلة سواريه كل يوم ما عدا الاحد والجمعة ، حيث تقدم فرقة رمسيس حفل ماتينيه فقط ليحضر اعضاؤها عروض الفرق الاجنبية ٠

وكان اهم مبادىء مسرح رمسيس : احترام مواعيد رفع الستار ، العناية

امينة رزق : ادوار خالدة امام يوسف وهبي



روز اليوسف : دور بارز في المسرح المصري





فنان الشعب يوسف وهبى

الكبيرة باطار المسرحية ومستلزماتها من المناظر المتقنة والاضاءة المعبرة وحسن اختيار الاثاث والاكسسوار

●●●

وقدم مسرح يوسف وهبى على مدى اكثر من اربعين سنة ، وعلى فترات متقاربة حوالى ٢٤٧ مسرحية بين مؤلفة ومترجمة ومقتبسة ، ومن أهم تلك المسرحيات :

● المجنون : الفها يوسف وهبى ومثلها مع روز اليوسف ، وفاطمة رشدى ، وحسن فايق ، واحمد علام ، وعزيز عيد ٠ وبه افتتح مسرحه فى مساء ١٠ مارس ١٩٢٣ ٠ وقال النقاد عنها « أن يوسف وهبى هز المشاعر بمواقفه وصدق ادائه حتى حسبنا حقا انه هارب من مستشفى الأمراض العقلية ! » ٠

ويمسرح رمسيس سجل يوسف وهبى فى تاريخ الفن كسبا جديدا وانتصارا عظيما ٠٠ وكانت نظرية يوسف وهبى فى تمثيل هذه الرواية وفى التمثيل بوجه عام ، ان الممثل لا يمثل على المسرح ولكنه يحيا حياة طبيعية تماما ينسى معها المتفرج أن القصة التى يشهدها من ابتكار مؤلف بلا تزيد ولا مغالاة ، ولا انفعال فى موضع الهدوء ولا صخب فى موضع الانفعال (١) ٠

● الشياطين السود : مسرحية الافتتاح الثانية ، ترجمة حبيب جاماتى وتمثيل يوسف وهبى ، وعزيز عيد ، واستيفان روستى ، ومختار عثمان ، قدمت بعد اسبوع من المسرحية الاولى ، ونجحت هى الاخرى نجاحا باهرا ٠٠

● الاتانية : تأليف ابراهيم المصرى ، وقدمت يوم ٢٣ مارس ١٩٢٣ ، ومثلها عزيز عيد ، وزكى طليمات ، وحسين رياض ، وروز اليوسف ، وفاطمة رشدى ٠٠

● لوكاندة الانس : ترجمة محمود كامل عن قصة « مونمارتر » لفيدر ، وتدور حوادثها فى حى القوانى بباريس ، وقام فيها يوسف وهبى بدور الارناءوطى ٠ واخرجها عزيز عيد ٠

● غادة الكاميليا : ترجمها محمود عزمى عن الكسندر ديماس الابن وقام يوسف وهبى بدور ارمان دوفال ، وروز اليوسف بدور مارجريت وهو الدور الذى قامت به سارة برنار فى فرنسا ، ولذلك اطلق على روز اليوسف لنجاحها فيه اسم سارة برنار الشرق وقام عزيز عيد بدور الاب دوفال ، ونجحت المسرحية نجاحا كبيرا بفضل اخراج عزيز عيد ، واكد النقاد ان المسرح يعيش بفضل فرقة رمسيس عهده الذهبى ، كتب ذلك عباس محمود العقاد ، وخليل ثابت ، وفكرى اباظة ، والمازنى ، ومما يذكر ان مناظرها كانت منقولة عن اوبرا لاترافياتا الماخوذة عن نفس المسرحية ، وتطلب ذلك نفقات كثيرة ٠

● الدم : تأليف واخراج يوسف وهبى وتمثيله ايضا مع روز اليوسف ، وحسين رياض ونجحت نجاحا كبيرا ،

---

(١) طلائع المسرح العربى ـ محمود تيمور ص ٧٨ ـ ٨٩ ٠

وقد استعان في الفصل الثالث بفرقة اجنبية تضم اثني عشر راقصـــا يرقصون حول نافورة تتوسط بحيرة من الماء على المسرح تدار بطلمبات كهربائية وقد تكلفت وحدها خمسمائة جنيه ·

● الذهب : قدمها في ٣٠ سبتمبر ١٩٢٢ ، وهي مأخوذة عن رواية دافيد كوبر فيلد · لتشارلز ديكنز ، وترجمة اسماعيل وهبي ، ويعد دور يوسف فيها من اخلد ادواره ، وقام فيها عزيز عيد بدور سيدة انجليزية ، كما قام مختار عثمان بدور الزوجة ـ مدام ميكوبير واشترك في التمثيل احمد علام ، وعمر وصفي ، وروز اليوسف ، وقامت فاطمة رشـــدي بدور الطفل « طوبي » وكان عمرها وقتذاك لايتعدى ثلاث عشرة سنة ·

● الشعلة : تأليف هنري كستماكر الكاتب والناقد الفرنسي وترجمة لجنة الترجمة بمسرح رمسيس ، تمثيـــل واخراج يوسف وهبي مع حسين رياض وروز اليوسف · وقدمت لاول مرة في ١١/١٠/١٩٢٣ ·

● ناتاشا : تأليف شارل ميريه وترجمة توفيق عبد الله ، وتمثيـــل واخراج يوسف وهبي مع احمد علام، وروز اليوسف ، وحســين رياض ، وقدمت لاول مرة يوم ١٩/١٠/١٩٢٣

● النسر الصغير : تأليف ادمون روستان ، وتعريب احمد رامي ، قام فيها يوسف وهبي بدور مترنيخ الوزير النمسوي وكانت له في هذا الدور مواقف لا تنسى ، ومثل فيها ايضـــا حسين رياض ، وزكي رستم ، وفتوح نشاطي ، وفاطمة رشدي ، ومما يذكر ان فرقة فرنسية كانت تمثـــل نفس الرواية على مسرح الكورســـال ، وشاهدها ممثلوها في مسرح رمسيس فاعجبوا بالتمثيل العربي واثنوا على براعة مخرجها الفنان عزيز عيد ·

● نيرون : ترجمها حسين صديق عن رواية بيتركوســـا وهي كوميديا تاريخية تصور هذه الشخصية البارزة الجبارة ، وقام بتمثيلها يوسف وهبي فاجاد تمثيل ما في شخصية نيرون من قسوة وشراسة وجبن وعبث ، ومما يذكر ان هـــذا الدور قام به اميل جنتجز ·· في الســـينما الالمانية ، وزكوني على مسرح الكورسال حين جاء مع فرقة ايطالية ومثل الرواية عام ١٩٢٥ ·

● احدب نوتردام : تأليف فيكتور هوجو وترجمة حبيب جاماتي ، قام يوسف وهبي بدور كازيمـــودو فكان موفقا ، ومثل معه مختـــار عثمان ، وزينب صـــدقي ، وسرينا ابراهيم ، وعلوية جميل، وكريمة احمد، واخرجها عزيز عيد وبذل فيها مجهودا كبيرا وخاصة في تعدد مناظرها واهمهـــا منظر كنيسة نوتردام ، وكانت اللابس مطـــابقة لعصر لويس الحادي عشر الذي وقعت فيه احداث الرواية ·

● الوطن : لســـاردو ، ترجمة اسماعيل وهبي ، وتمثيل جورج ابيض في دور ريزور ، ويوسف وهبي في دور كارلو ، وامينـــة رزق في دور روفائيل ، وحسن البارودي في دور جوناس ، واخرجها يوسف وهبي ·

● الصحراء : تأليف واخـــراج وتمثيل يوسف وهبي ، وهي مسرحية وطنية ، وتحكي قصة المجاهد عبـــد الكريم بطل الريف في المغـــرب وما قاساه من اهوال في سبيل المحـــافظة على مجد بلاده ولماذا ضحى باموالة واولاده ونفسه لخدمة بلاده · مثـــل يوسف وهبي دور العماد بن سعد ، ومثلت فاطمة رشدي دور عائشة ، ومثل فتوح نشاطي دور شهاب ·

● الرعاع : للكاتب الايطـــالي فورسانو وتعريب اســـتيفان روستي وحسن البارودي ،وفي هذه المسرحية مشهد واقعي قام به ممثلو وممثلات الفرقة ، فاستغنوا بذلك عن الراقصات المحتـــرفات ، وكان الاثاث والملابس والاضاءة مطابقة لعصرها ، واجـــاد

عاشق الفن

فنان الشعب يوسف وهبى

يوسف وهبى دور بريشار ، وزكى رستم دور شارل دى بريشار،وحسين رياض دور جرانج ، وزينب صدقى دور مارى ، وكذلك أمينة رزق ، وانعام فهمى ٠

● الطاغية او سيزار بورجيا : تأليف رافاييل ساباتينى وتعريب محمد أسعد لطفى ، اخراج وتمثيل يوسف وهبى مع فاطمة رشدى ومنسى فهمى وأحمد علام ٠

● أولاد الفقراء : تأليف وتمثيل واخراج يوسف وهبى ، وقد هاجمت الاقطاع وطبقة الاغنياء فى عصرها ٠

● رجل الساعة : تأليف واخراج وتمثيل يوسف وهبى مع فؤاد شفيق وسعيد خليل ، وراجية محسن ، وكمال حسين ، ولطفى الحكيم ، واحسان شريف ، وصلاح سرحان ، ومحمد السبع ، والاخرفاخر ٠

●●●

هذه نماذج قليلة من عشرات المسرحيات التى كان يقدمها رمسيس فى كل موسم ، والتى استمر فى تقديمها منذ ١٩٢٣ وحتى ١٩٣٠ حيث انضم اليه جورج ابيض لمدة سنتين ، ثم استمر وحده حتى قيام الفرقة القومية ١٩٣٥ ، وعرض عليه أن ينضم اليها ولكنه رفض واستمر فى فرقته حتى استدعى لتولى منصب مدير المسرح القومى ثلاث فترات ، الاولى من أول سبتمبر ١٩٤٨ الى ٣١ مايو ١٩٥٠ ، والثانية من أول مارس ١٩٥١ الى ٣٠ يونيو ١٩٥٢ ، والثالثة من ١٣ أكتوبر ١٩٥٣ الى ١٢ اكتوبر ١٩٥٦ ٠

وفى سنة ١٩٦٦ ـ بعد فترة مرض ونقاهة منذ ١٩٦٢ ـ اطلق محافظ الاسكندرية اسم يوسف وهبى على مسرح راس التين تخليدا لكفاحه وقد مثل على مسرح سيد درويش هناك ١٧٦ ليلة قدم فيها أشهر مسرحياته ومنها ١٦ « اسكتشا » من تأليفه واخراجه ٠

وخلال هذا النشاط الواسع جاب يوسف وهبى الكرة الارضية فى رحلات مستمرة أحرز فيها نجاحا كبيرا وكانت اشهرها واطولها رحلاته فى امريكا الجنوبية والبرازيل وسوريا وتونس ولبنان والمغرب وايطاليا وفرنسا وانجلترا ، وفيها نال من النقد والتشجيع ـ والاخفاق أحيانا ـ ما كان يجعله يواصل الطريق ويغالب الصعوبات والعوائق

وقد فاز يوسف وهبى بجوائز واوسمة منها : وسام الاستحقاق من الدرجة الاولى من مصر ١٩٦١ ـ وسام الشرف (اللجيون دونير » بدرجة جراند اوفيسييه من الملك محمد الخامس ملك المغرب ـ وسام الارز اللبنانى من حكومة لبنان ـ وسام الافتخار من حكومة تونس ـ وسام الافتخار الفنى من فرنسا ـ لقب كومنداتورى من ايطاليا ـ لقب استاذ خارج المباراة من مسرح الاولدفيك بلندن ٠٠

ولعل اكبر ما يعتز به ما ناله من الدولة فى يونيو ١٩٧٠ وهى جائزة الدولة التقديرية وجاء فى تقرير اللجنة التى منحتها اياه : « ان يوسف وهبى مثل من الامثلة الحية للرجال

الذين عشقوا الفن الذى اثروه فاعطوه من ذات انفسهم وانفقوا شبابهم وكهولتهم وهم منقطعون له ،يحاولون

ان يجددوا فيه وان يضيفوا اليه ، كما عمل على تنشئة جيل من تلاميذه يهتدون بفنه ويتابعون اداء رسالته .

ثم توج هذا كله بقرار السيد الرئيس انور السادات فيفبراير١٩٧١ بتقرير معاش استثنائى لكبار الفنانين ومنهم يوسف وهبى ، ويكون تعليق يوسف وهبى على هذا القرار النبيل :

« لقد وصلنا حقيقة الى شاطىء الامان ، واصبحت الدولة تقدر بعمق رسالة الفنان .. ان هذه الرعاية من

أعلى مستوى فى الدولة تستوجب من الفنانين التزاما اكبر نحو الوطن والفن » .

ولكن هل يهدأ الفنان ؟ انه يواصل مسيرته ، فيقدم على مسرح الازبكية ابتداء من ١٨ مارس ١٩٧١ ولمدة شهر او اكثر مسرحية سر الحاكم بامر الله لاحمد باكثير ، يعيد بها مجده ،

ويقدم رواد مسرحه الذين شاركوه تاريخ كفاحه الفنى الطويل ومنهم امينة رزق، وفردوس حسن ، وابراهيم الشامى ، والمخرج فتوح نشاطى .

ثم يسافر يوسف وهبى الى لبنان وينشىء هناك مسرحا عربيا لبنانيا يمثل عليه بعض رواياته ، كما انشأ من قبل فريقا فى تونس واخر فى

المغرب ، وثالثا فى السودان ، ويعيد فرقةرمسيس باسمها مرات اخرها عام ١٩٥٨ ، ٩ على مسرح الكورسال ـ محمد فريد حاليا ..

ومن مفاخر يوسف وهبى انه خلال نضاله الفنى المتصل تعاون مع ابرز

الكتاب والادباء فكرا وثقافة ، ومنهم خليل مطران (عطيل وهاملت) وفرح انطون (البخيل والسر الهائل ومضحك

الخليفة) واحمد شوقى (قمبيز ، ومجنون ليلى) وحبيب جاماتى (فيدورا والناتب هالير ، والركيز دى بريولا ، والبرىء ، وبائعة الزهور) ، وأنه نقل الينا من المسرح العالمى أعمق

أعماله مثل المستر بكويك ، وكوبر فيلد لديكنز ، وسيرانودى برجراك والنسر الصغير لادمون روستان ، والجبار والركيز لبرنشتين .. الخ .

ولا يكتفى يوسف وهبى بالتمثيل والاخراج على خشبة المسرح بل يدخل معترك السينما فيحول بعض مسرحياته الى افلام ناجحة ، وينشىء من اجل

ذلك ستوديو كاملا بمعداته السينمائية وفى ١٩٢٩ ينتج اول فيلم صامت فى مصر وهو « زينب » ثم يمثل وينتج فيلم « اولاد الذوات » ناطقا عام ١٩٣٢ ، ثم تتلاحق افلامه بعد ذلك

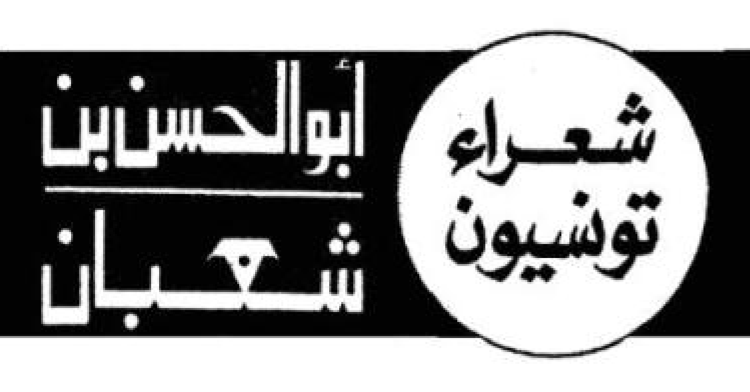
فتشاهد له افلام : الدفاعسة (١٩٣٤) ليلة ممطرة (١٩٣٨) ، ليلى بنت الريف (١٩٤٠) ، بنت ذوات (١٩٤٣) ، سفير جهنم (١٩٤٣) ، غرام وانتقام مع اسمهان (١٩٤٥) ، بنات الريف (١٩٤٦) ، ملاك الرحمة

(١٩٤٧) ، رجل لا ينام (١٩٤٧) ، الفنان العظيم (١٩٤٨) ، كرسى الإعتراف (١٩٤٩) ، بيومى افندى (١٩٤٩) ، اولاد الشوارع (١٩٥٠)، المهرج الكبير (١٩٥٣) ، بيت الطاعة

(١٩٥٣) ، حياة او موت (١٩٥٥) ، عهد الهوى ـ عن غادة الكاميليا ـ (١٩٥٥) ، الناس اللى تحت ـ عن قصة نعمان عاشور ـ (١٩٦٠) .

البؤساء (١٩٦٢) ، الخيانة العظمى (١٩٦٢) ، رجل الساعة (١٩٦٣) ، الحب الكبير (١٩٧٠) ، الاختيار (١٩٧٠) ، العاطفة والجسد (١٩٧١) .

ومعظم هذه الافلام من تاليفه واخراجهوانتاجه ايضا



انا ابن تونس حقـا ... اقول ان قلت صـدقا
انال فوزا وسبقا ... اسمو واعلـو وارقى
بهمتى وجهـودى

نعم البـلاد بلادى ... تقتادنى للرشـاد
وحبها بفـؤادى ... مسكن فى ازديـاد
ما دمت فى ذا الوجـود

كم انجبت امجـادا ... من كل من قد افـادا
وفى البرية سـادا ... نالت بهم اسـعادا
اكرم بها من ولـود

هذه الابيات قيلت فى موسم من مواسم الامتحانات والمناظرات التى يخوض ابناؤنا غمارها كل عام لاجتياز مراحل التعليم والارتقاء فى مدارج العلم والمعرفة .

وقد ذكرتنا بها قدوم شهر يونيو المليء عادة بالنشاط والحركة وبالاستعدادات والتحضـيرات فى مختلف المدارس والمعاهد .. وذكرتنا بها أيضـا مرور عشرة اعوام على وفاة ناظمها الاديب المربى المرحوم ابى الحسن بن شعبان .

اذن فحديثنا اليوم ليس عن شاعر وحسب بل وكذلك عن علم من اعلام التربية والثقافة فى تونس .. اقترن اسمه باسماء المعاهد الابتدائية والثانوية والعالية .. وتخرج على يديه جيل من شبابنا المثقف ونخبة من ادبائنـا الممتازين ماانفكوا حتى اليوم يضربون باسهم وافرة فى مجالات الشعر والفكر والفن ويشاركون مشاركات محمودة فى النشاطات الثقافية والتربوية الراميـة للسمو بتونس الى مكانتها اللائق بين البلدان الناهضة المتطورة .

فى الحادى عشر من شهر مايو ١٩٦٣ ـ اى منذ عشر سنين ـ هوى نجم من الم نجومنا واشدها ضياء وصفـاء واشعاعا .. نجم طالما تالق فى اجواء تونس الادبية والثقافية والفنيـة انار ببريقه الدروب امام هذا الجيل الذى شغف قسم كبير منه بروائع الشـعر وفنون النثر وايات البيان وكنا نود ان نرى بعض تلاميذ الحسن بن شعبان ، ممن اغترفوا من مناهله الدفاقة العذبة يغتنمون فى الشهر الماضى فرصة ذكرى وفاته فيتحدثون عن مآثره ونتـاجه واعماله سواء فى الصحف او الاذاعة او المنتديات .. لكننا لم نسجل شيئا من ذلك وياللاسف .

وهذا ما دعانا للحديث عن الفقيد وعن ادبه الحى الفياض ولو بشيء من الايجاز والاختصار .

ولد ابو الحسن بن صالح بن شعبان بمدينة تونس العاصمة حوالى سنة ١٨٩٧ فى اسرة كان افرادها ينتسبون للعلم والمعرفة والتدين وخدمة الزوايا والاولياء الصالحين لذلك اقبل منذ حداثته على حفظ القرآن الكريم والاحاديث ثم على مزاولة التعليم فى جامع الزيتونة الذى تخرج فيه اقاربه وذووه الضليعون فى الثقافة والاداب ·

وقد تأثر ابو الحسن - اثناء دراسته - ببعض المشايخ الذين تتلمذ لهم فتخصص فى اللغة والادب والتفسير والمنطق والبلاغة، وهام بالادباء والشعراء خاصة فتكونت له تلك الملكة الشعرية المتينة وذلك البيان البليغ العميق ·

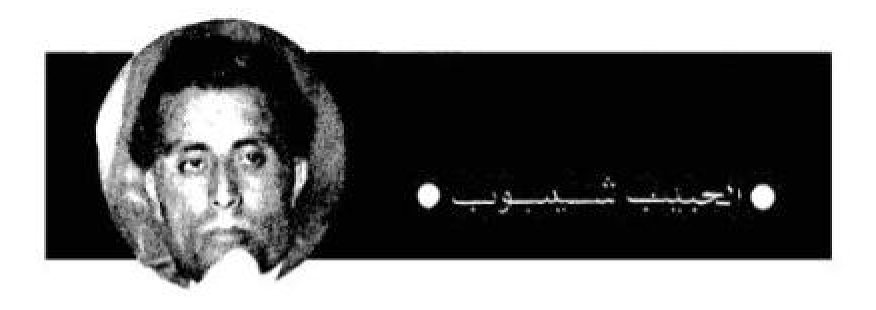
وعندما تخرج بشهادة التطويع فى عام ١٩١٤ بدأ يدرس مجانا فى الجامعة الزيتونية ويسعى فى الوقت نفسه لتنمية معارفه ومداركه ·· حتى اذا ما شغرت خطة مدرس بمدرسة نهج (الصوردو) الابتدائية اقبل على العمل لكسب مال يمكنه من الزيادة فى توسيع الافاق وتحقيق الاهداف ·

وبعد الحرب العالمية الاولى بقليل، تضاعف نشاط ابو الحسن فى ميدانى التدريس والتربية وهو ما جعل بعض اصدقائه الذين انسوا فيه النبوغ والطموح وحميد الخصال - مثل المرحوم الاستاذ الصادق النلاتلي - يؤهلونه للتدريس فى المعاهد الثانوية العصرية وتكوين طلابها تكوينا عربيا اسلاميا متينا · فبدأ ابو الحسن عمله بالفرع الاسلامى لمدرسة ترشيح المعلمين التى تخرج فيها على يديه جمع من ابنائنا ومثقفينا اللامعين امثال : محمد الحليوى والاديب النابغ محمد فرج الشاذلى والشاعر الملهم أحمد اللغمانى ودرس ايضا بمعاهد (الليسيه كارنو) والعلوية ومدرسة ترشيح المعلمات وغيرها من المعاهد التونسية التى تحتفظ له بذكريات عزيزة وآثار حميدة لا تمحى ·

***

وفى أكتوبر سنة ١٩٤٥ نظم حفل بمدرسة ترشيح المعلمين لتوديع استاذ الجيل ابو الحسن بن شعبان بمناسبة التحاقه بمعهد ترشيح المعلمات الحديث العهد · وكان ذلك الحفل فرصة لتلاميذ اديبنا اغتنموها ليشيدوا بمجهوداته واعماله الجليلة · والقوا القصائد والكلمات اجلالا وتقديرا واعترافا له بالجميل فاكتفى فى اخر الحفل بأن رد عليهم بهذا البيت الذى يصور تصويرا صادقا اخلاصه وتفانيه فى خدمة العلم والثقافة :

للدين ، للعلم ، للاخلاق تجمعنا ذى الدار لا لاكتساب الجاه والمال



شعراء تونسيون

أبو الحسن بن شعبان

ولقد باشر المرحوم ابو الحسن بن شعبان بعد ذلك تعليم الفتاة التونسية التي كانت ابواب المعاهد والكليات موصدة في وجهها فأنار لها السبيل ولقنها واجباتها ومسئولياتها في تربية الجيل الصاعد واعداده لخوض معركة الحياة .. وتخرج على يديه عدد كبير من بناتنا اللاتي يعملن اليوم في الميادين الثقافية والاجتماعية والادارية ويشرفن تلك الميادين بما لهن من خبرة ومعرفة وحسن سلوك .

وكان ابن شعبان في الوقت نفسه يوجه الى بناتنا وابنائنا عن طريق الإذاعة حصصا تثقيفية وتربوية مفيدة شاركت بقسط كبير في اخراج المرأة التونسية من الجمود الذي كانت متردية فيه وحببها على دخول ميادين العمل والانتاج ومؤازرة الرجل في سعيه للنهوض بالمجتمع التونسي .

وما زلنا نتذكر بعض قصائد ابي الحسن بن شعبان عن المرأة التونسية وعن فضلها الذي لا ينسى في تكوين شباب اليوم .. هذا الشباب الذي عرف كيف يبني صرح تونس الجديدة ويشيد كيانها .

قال شاعرنا في احدى المناسبات عن امهات تونس العاملات :

بهن تصان عزة كل بيت ويعمر بالبنين وبالبنات
وحجر الام مدرسة اعدت لتلقين المبادىء النافعات
ومهما فاز ذو فضل بفضل فليس له سواها من نواة
مباد تستقر على اساس متين في الفتى او في الفتاة
الا حيي الامومة في علاها وبارك ما لها من ذكريات
حمى نفحاتها رب البرايا ومبدع مابرا من كائنات
واوجدها بنيانا سبيلا الى العمران في ماض وات
وان ينس الجميل فليس ينسى ولن ينسى جميل الامهات

ولم ينظم ابو الحسن بن شعبان الشعر بخصوص التربية والثقافة وتوعية المرأة فحسب ، بل ان له - في الميادين الاجتماعية الاخرى - قصائد بديعة تعتبر من اعمق والطف ما قاله الشعراء التونسيون على الاطلاق .

ونورد لك ايها القارىء الكريم على سبيل المثال ، هذا القصيد الطريف الذي يصور تصويرا صادقا ، تشوق كل موظف الى اخر الشهر كي يتسلم مرتبه وينعم بانفاقه في قضاء مآربه .. حتى اذا ما ذهبت تلك الاموال وانقرضت عاد الى اشواق اخرى وبناء آمال عريضة على مرتب الشهر القادم .

يقول المرحوم ابو الحسن بن شعبان في قصيد آخر الشهر :

يغالبني شوقي الى غرة الشهر واحسب جهلا انها موعد اليسر
وابني من الامال صرحا مشيدا الوذ به مهما تحيرت في امري
وتزداد بي الايام طولا ولا ارى علاجا لها غير التذرع بالصبر
الا هل يفي الشهر الجديد بزورة ويدري الذي القاه ام هو لايدري ؟
ومن كان يعطى المال في الشهر مرة فلا بدع ان يسقى من الحلو والمر
وفي ليلة اليوم الثلاثين اهتدي وقد بنت الامال في غاية البشر
وكم بت ارجو غرة بعد غيرة واصبح عيشي كله عيش مقتر

فيجدر بى ان اجعل الزهد ديدني   دواما فاغنى بالقليل عن الوفـر

ولكم تحدث المرحوم ابو الحسن بن شعبان عن المشكلات الاجتماعية والانسانية فلقد كانت من مشاغل نفسه الطيبـة الحنون • فهو ينظم من تلك المشكلات شعرا تارة ويكتب عنها نثرا تارة اخرى •• مستلهما فى كل ما يخطه قلمه من امال بنى جلدته ومن افراحهم واحزانهم ولقد كتب مرة » فى الزهرة الادبية « مقالا نثريا عن ليالى الصيف •• هذه الليالى التى تستعد الان للاستمتاع بنسماتها المنعشة وجولاتها الممتعة •• وكان ذلك غداة انتهاء الحـرب العالمية الثانية قال :

يا مرحبا بليالى الصيف الزاهرة   ترتاد حافلة بالانس والطـرب
هذى الليالى ادام الله بهجتهـا   مبيدة ما يصيب النفس من وصب

اقول مرحبا بليالى الصيف ولا اعنى سوى صيف السلام بعدما عاد السيف الى قرابه واستقر كل شىء فى نصابه وجدير بنا ان نرحب بهذه الليـالى السعيدة واللآلى الفريدة •

••• عرفنا ليالى الصوائف الحافلة قبل أن تندلع السنة نار الحرب الاخيرة الزائلة • عرفناها فى الحاضرة وفى ضواحى الحاضرة فاذا الاضواء الباهرة والحفلات الزاهرة والليالى الســاهرة والاندية الساحرة •• واذا الناس تنتشر انتشار الفراش بغية الانتعاش يرتادون نسيما عليلا وروحا بليلا ومنظرا جميلا ومجتمعا جليلا وحفــلا حفيلا •• ويقصــدون الى حيث تنشرح النفس ويزدهر الانس وهم واجدون ما يشتهون أينما يقصدون • ومن أم منهم الضاحية فى اية ناحية تلقاه البحر ونسيمه وخفض العيش ونعيمه •

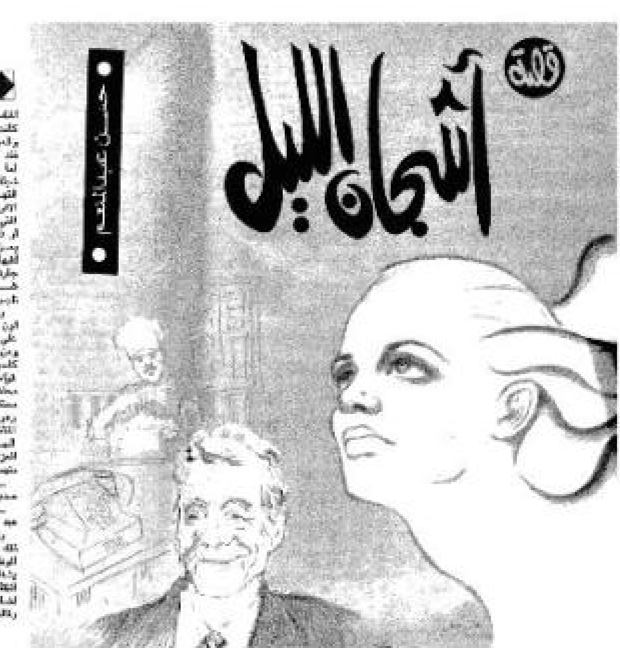
وهانحن قد استقبلنا من جديد ليالى صوائف السلام •• وبدانا نشاهد الاضواء تتلألأ فاسحة لرواد الانس مجالا • وقد اخذ يمتد السهر ويحلو السمر وازدانت المصــائف بشتى اللطائف •• وجعلت الملاعب تستأنف نشاطها وتعرض انماطها وتبدى بزائريها سرورها واغتباطها •

هذه احدى روائع المرحوم ابى الحسن بن شعبان النثرية •• اما شعره الحماسى المتدفق الذى هز به المشاعر والوجدانات فى كثير من المناسبات ان نسينا منه الكثير فلا ننس ذلك القصيد النارى الذى دوى صوته به فى اكتوبر ١٩٦١ اثر معركة بنزرت الخالدة والذى قال فيه :

حدث باسهاب وحسن بيـــان   عما اتته عزائم الشــجعان
واستوح شعرك من مشاهد خلدت   حسن البلا لحماية الاوطـــان
حدث عن الحدث الذى قد ادهش الد   نيا وبك معقل الطغيـــان
حدث بفخر عن حــوادث ليلة   ليلاء كانت عبرة الأزمــان
حدث بما قد كان فى بنـزرت من   ابطالها يوم التقى الجمعـان
جمع الطغاة المعتدين الصائليـ   ـن حيالها بالاثم والعـدوان
بالبلة طالت واسفر فجـرها   عن فوز آمال ونيل امـــان
كنا ونحن العزل فى اثنائهـا   مستهدفين لالســن النيران
سبحان من قد شد ازر كفاحنـا   بالصبر والاعداء فى غليـــان
ان الشجاعة ان تكون لدى الشدا   ئد رابط الاعصاب ثبت جنـــان

ان للشاعر التونسى ابو الحسن بن شعبان الكثير من هذا الشعر الحماسى الفياض الذى كان قبل وفاته يستعد لجمعه فى ديوان ضخم • لكن الايدى العابثة الآثمة اختلســته منه ووأدته الى الابد بينما كان يتداوى فى ضاحية حمـام الانف من المرض الذى قضى عليـه • وكانت سرقة نسخة الديوان سببا من الاسباب التى عجلت بمغادرته لهـذه الدنيا الفانية ••

● الحبيب شيبوب ●
● تونس ●


قصة
أشجان الليل
حسن عبد المنعم

أشجان



الليل

هذا الباب بصورة منتظمة في باديء الأمر حتى مسرى معاشه ، ثم بصورة متقطعة تلبية لدعوة اخوانه من ارباب المعاشات الذين يتربعون على مقاعد قهوة المالية بلاظوغلي ، ثم آثر الانقطاع واستمرأ الراحة ، وكان يستقبل بين الوقت والآخر أبناء شقيقته او ابناء أخيه غير الشقيق .

وكان السؤال يلح عليه كلما خلا الى نفسه وما اكثر ما كان يخلو .

ما الذي خرج به من دنياه بعد أن انتهت خدمته في الحكومة بعد أن زهد في الزواج زهدا مثيرا ؟ وكيف يكون الزهد مثيرا ؟ الحق أن زهد الاستاذ كامل في الزواج كان زهدا يثير العجب . فقد كان شابا ثم رجلا ثم شيخا صالحا تماما للزواج ، لم تكن تنقصه القدرة المالية ولا الجسدية . ولم تكن تنقصه بعد ذلك الوسامة ، ومع ذلك فقد عاش من عمره اربعين عاما يفكر في الزواج لكنه لا يقدم عليه أو لعله كان يقدم في بعض الاحيان ولكنه كان يقدم على استحياء .

هل كان من اسباب احجامه انه عاش سنوات طويلة مع شقيقته الأرملة ومع أولادها فاغنته بعطفها وعواطفها واحزانها ومشكلاتها عن التفكير في امرأة اخرى ؟ ربما ..

هل كان سبب انصرافه عن الزواج ما كان يسمعه من القراء الاصدقاء عن النساء ، وعن متاعبهم مع النساء ، وعما يطيش بعقول النساء ، حتى داخله الاحساس بأن البعد عن النساء يعتبر غنما في هذا الزمان ؟ ربما ..

ولكنه اليوم أو على الاصح يوم غادر مقعد الوظيفة ليستقر في عقر داره ادرك انه خسر كثيرا ، لأنه لم يتزوج ولم تكن له شريكة تملأ عليه الحياة بالعواطف والعواصف وبالمغريات والمشكلات وبالخلف الصالح من البنين والبنات . عندها ما كان لبابه أن يغلق كما اغلق . أو كما كان مغلقا عليه قرابة عامين حتى فاجأه خبر نشر في جريدة الاهرام بتشكيل الوزارة الجديدة

ومن بين اصحاب المعالى وقع الاختيار على ابن اخيه المهندس امجد عبد الكريم ليكون وزيرا للاشغال ٠

وبدأ باب شقته يستأنف حياته ويظل طوال النهار وطرفا من الليل يفتح ويغلق حتى احتاجت مصاريفه الى عناية واحتاجت مفصلاته الى تزييت وتشحيم ٠وكان الاقبال فى بدايته من المهنئين والمهنئات كما لو كان الاستاذ كامل هو نفسه اختير وزيرا ٠ثم تحول الاقبال الى اصحاب المطالب والحوائج ٠٠٠

ولم يكن الباب هو الذى شكا من كثرة المترددين وحسب ، وانما بادله الشكوى ، الاسطى ، عبد الحميد الطباخ فقد كان تردده الكثير ساعيا بين المطبخ وباب الشقة ليفتحه كلما رن فى اذنيه صوت الجرس ، شيئا متعبا ٠ وكان فى بعض الاحيان شيئا سيئا عندما احترق الطعام على النار وهو واقف بالباب يستمع لالحاح أحد الزائرين فى السؤال والاستفسار عن سيده الاستاذ كامل وعما اذا كان قد خرج فعلا او انه ينكر نفسه ويتنكر لزائريه ٠

ومضى على هذا الحال ثلاثة اشهر ولم يضق الاستاذ كامل بكثرة المترددين على شقته بعد ان قضى قرابة عامين يشكو فى قرارة نفسه من الوحدة ٠ حقيقة ان المصروف قد تضاعف والقهوة والشاى والليمون قد اقتطعت من معاشه الكثير ٠ ولكن الامر لم يكن يخلو من بعض الهدايا٠ من صندوق حلوى او صينية بسبوسة على وجهها يتألق بياض القشدة ، او زجاجة عطر ٠ ولم يكن ذلك كله مقابل ما ينفقه فى الانتقال من شقته فى العباسية الى حى الدواوين فى وسط القاهرة يوميا ليزور ابن اخيه معالى وزير الاشغال او فى الحقيقة مكتب صاحب المعالى

ويقدم الطلبات والالتماسات لمدير المكتب الذى كان حريصا على الاحتفاء بعم معالى الوزير وبما يحمله عم معالى الوزير ٠ وكانوا يقدمونه الى الزائرين بهذا اللقب حتى فكر ذات مرة أن يعيد طبع بطاقته وأن يستبدل بوظيفته السابقة هذا اللقب ، عم معالى الوزير ، وضحك يومها فى قرارة نفسه كما لو كان يستمع الى نكتة ٠ ولكنه الليلة قد ضاق فعلا حين قدمته جارته الحزينة الى السيدة اشجان واضافت هذا اللقب ٠٠ وراح يتأملها أو راح يختلس النظر الى هذه السيدة بالذات دون غيرها من السيدات اللاتى كن يزحمن القاعة الفسيحة ٠ وكلما ندت عن عينيها نظرة والتقت بعينيه المختلستين أدرك أن هناك فى اغوار هاتين العينين شيئا غير محتشم ٠ شيئا لم يستطع الثوب الاسود الكاسى ان يخفيه ولم يستطع الاستاذ كامل بدوره أن يدرك سره ، أو سر جاذبيته ٠

لقد عاش حياته محتشما أو محبا للاحتشام ، وكم شارك فى الحملة على مااصاب الشباب والنساء على الاخص من عداء للحشمة حتى اصبحن يمشين فى الطرقات كاسيات عاريات مزججات العيون مصبوغات الشفاه ٠ ولكنه اليوم لا يضيق بما اكتشفه فى اغوار عينى السيدة اشجان من شىء غير محتشم لم يدرك كنهه ولكنه انجذب اليه ٠ وظل ينجذب وينجذب ، ويقاوم فى ضعف ثم استسلم عندما اعطاها رقم تليفونه كما اوضح لها تصريحا وتلميحا

أشجان



الليل

ودون أن يدرك الاخرون أو الاخريات ، موقع شقته من العمارة ذاتها ·

واستخدمت السيدة اشجان رقم التليفون وكان صوتها يأتيه ابتداء فى أوقات مألوفة فكان يطربه سماعه ، ثم أصبح صوتها يأتيه فى أوقات لم يألفها · بعد أن ينتصف الليل وتهجع الكائنات وتستيقظ كائنات اخرى بعضها يعيش فى داخله · وكانت تقول له وهى تهمس فى سماعة التليفون :

ـ كامل بك ··· اشجان الليل تتحدث

وكان صوتها الهامس يدب فى جوارحه كما لو كان اسرابا من النمل ··· ولكنه كان سريا مستبدا منتصرا تحول بعد أيام الى شىء لم يكن يطيق أن يفتقده أو يفقده · بل وأصبح له فى مواقيت حياته موعد كمواقيت الصلاة · واذا كان العذاب المرتقب لمن يغفل الصلاة من المؤمنين عذابا مؤجلا فقد كان عذابه اذا لم يسمع صوتها الهامس عبر الاسلاك فى موعده عذابا ازفا وممضا ·

وكانت تهمس فى ثنايا كلماتها بالرغبات والتوصيات والوساطات فتتحول كلها ومنذ باكورة الصباح التالى الى وقود يشتعل فى اوصال الاستاذ كامل فاذا به يسعى بين المكاتب والدواوين والمحلات ليحقق الرغبات وينقل التوصيات ويقوم بالوساطات باسم معالى الوزير الذى انعم الله عليه بعمومته

وأدرك أنه لايستطيع أن يجمع بين لهفاته لهذه الأمور التى تأتيه همسا عبر اسلاك التليفون مع اشجان الليل وبين المطالب الاخرى التى كانت تأتيه منذ ولى ابن أخيه منصب الوزارة من المترددين الملحين على باب شقته فبدأ يضيق بهؤلاء ويتنكر لهم بل وينكر وجوده منهم حين يكون بالفعل موجودا فى شقته ·

واصبح من تقاليد الاسطى عبد الحميد الطباخ الا يلقى بالا الى رنين الجرس أو قرع الايدى الا اذا اشتد أو الح، فانه فى هذه الحالة يتريث حتى ينتهى مما يشغل يديه من اعمال الطبخ ثم يتجه الى الباب ويكتفى بفتح الشراعة والتحدث

الى الطارق من خلال القضبان منهيا اليه أن البيه غير موجود ولا ينتظر ان يكون موجودا فى يومه وربما فى غده ، ثم يمضى دون انتظار او اعتبار

واقبلت السيدة اشجان ذات يوم دون اخطار سابق وضغطت على جرس الباب ولم ترفع اناملها الرخصة ذات المخالب القرمزية عن الجرس حتى سمعت اقدام عبد الحميد الطباخ مهرولة وصوته يهدر محتجا ولكنه ما أن يفتح الشراعة ويطالعه الوجه ونظرة العينين الغاضبة التى تنطوى على ذلك الشيء غير المحتشم الذى حير سيده واستبد به حتى الجمه الصمت لحظة ، ولم يلبث ان سمع صوتها الآمر :

— افتح الباب يا عبد الحميد ... كيف تترك الناس هكذا على الأبواب ؟ كامل بيه موجود ؟ ... نايم طبعا

ولم يستطع عبد الحميد الطباخ ملاحقة هذه الاسئلة ولم يعرف من تقصد بالناس وليس هناك ناس سواها . وكيف عرفت أن البيه موجود وأنه نائم بعد عودته من رحلة الصباح وسعيه بين المكاتب والمصالح مجهدا لم يبتلع من الطعام الا القليل ثم القى بجسده لينال قسطا من الراحة . ومن تكون هذه السيدة التى تعرف اسمه وتأمره بأن يفتح الباب ؟

ولا يملك ان يقف ازاءها وهى تدخل الشقة وتجوس خلالها بقدم العارف الواثق من علمه . أتكون من قريبات الاستاذ كامل ؟ ولكنه يعرف كل اقارب السيد وكل قريباته لأنه أمضى فى خدمته سنوات وسنوات ولم تكن هذه منهن ، وخطر على باله ان يسألها فى صوت متردد :

— حضرتك مين يا ست الهانم .

وأجابته وهى ماضية فى طرقة الشقة صوب حجرة الاستاذ :

— انا اشجان هانم يا استاذ

واطربه ان يكون استاذا وان يخلع عليه هذا الانسان الجميل لقب الاستاذية لكنه حاول ان يعترض طريقها ويفهمها ان الاستاذ الحقيقى سيده فى حالة نوم وانه لا داعى ولا معنى لازعاجه وانه فى وسعها ان تنتظر قليلا فى حجرة الصالون ريثما يوقظه . ولكنها ازاحته من طريقها ومضت الى باب حجرة النوم المغلقة ونقرت عليها نقرا خفيفا حتى واتاها صوت يحاول أن يتخلص من اثر النعاس فيتنحنح متسائلا عمن يكون صاحب النقر على الباب فأجابت فى تؤدة :

— اشجان ... اشجان يا كامل بيه .

وكأنه سمع نداء الهيا فقد هب يزيح الغطاء عن جسده ويحاول ان يعيد الى ثوبه هندامه ويلقى على كتفيه بالروب ويسوى الشعرات الباقية فى رأسه باصابعه ثم يندفع صوب الباب يفتحه ويقبل عليها مرحبا يكاد يأخذها بين احضانه لو واتته الشجاعة ولو لم يجد الى جوارها الاسطى عبد الحميد مشدوها فاغر الفم مما يرى .

— اهلا ... اهلا اشجان هانم . ايه الزيارة الفاجئة وايه المفاجأة السارة دى . اتفضلى ... حاجة باردة يا عبد الحميد

وقادها الى حجرة الصالون وهو يقفز قفزا ويكاد يطير ثم جلس قبالتها وظلت فى صامته تفرقه اولا

أشجان الليل

فى نظرة عينيها ولم يحاول بدوره أن يسبح أو يتشبث بشغاف هاتين العينين وانما استطاب ان يغوص وأن يغرق فى هذا الشىء غير المحتشم . فلما اطمأنت الى غرقه او الى استغراقه بدأت الحديث :

ـ شقتك حلوة يا كامل بيه . ماكنتش فاكره انها بالاناقة دى . والذوق ده والترتيب الجميل . وحتى الحيوان اللى عندك ده اللى اسمه عبد الحميد دمه خفيف .. ازاى شقة كاملة من جميعه زى دى ما يبقاش فيها واحدة ست .

وزاد غرق الاستاذ كامل وزاد استغراقه وراحت بدورها تكمل حديثها :

ـ اسمح لى من غير تطفل ازاى تعيش يا كامل بيه فى الشقة دى لوحدك وتحط بوزك فى بوز الاسطى عبد الحميد ؟

ـ القسمة يا اشجان هانم ... ومبقاش العمر يسمح .

ـ قسمة ايه ياكامل وعمر ايه ؟ . انت فى عز شبابك . دنا والله ما اديلك اكتر من خمسة واربعين سنة ، ومع ذلك انا قريت لاحد الكتاب الكبار أن الحياة تبدأ فى الستين.

وادركه الصمت الشرود وكان عجيبا أن يشرد وهو فى حضرتها وهو غارق فى اغوار عينيها يستاف العبير المنبعث من وجودها ولكن القضية التى اثارتها كانت اخطر من كل هذا! . القضية التى احس انه خسرها بعد أن بلغ الثانية والستين دون ان يتزوج كيف يتاح لها ان تستأنف اليوم وأن يعاد النظر فيها من جديد ، وهل يمكن ان تكون فى حياته زوجة وأن تدخل حياته التى اوشك أن يغلق مصراعيها ، امرأة تجوس فى رحاب هذه الشقة الانيقة التى استكملت كل الاسباب ولم يعد ينقصها سواها ؟

ومن تكون هذه المرأة وكيف يتخيلها وهل يختارها من طبقة معينة أو من سن معينة ؟ وهل هو قادر بعد هذا العمر على مواجهة مطالب امرأة وهل تنجب له

ابناء ؟ وهل يستطيع ان ينجب ؟ واذا انجب هل يسعفه العمر ويمتد به حتى يربى ؟

وعاد من شروده ليسمع صوتها مفردا فى اذنيه :

– طلبك عندى يا كامل بيه ما تفكرش ويمكن يكون الطلب قدامك وانت مش شايفه . ومسيرك تشوفه ، ما علينا .. على فكرة ازى معالى الوزير . هو مابيزوركش ليه ؟ طبعا مشاغله كتير كان لى طلب عنده بس مكسوفة ومحرجه

وبادر كامل يقاطعها ويلمى عليها ان تستشعر الخجل او تتعرض للحرج وهو موجود وعلى هذه القرابة من معالى الوزير الذى لايعدو ان

يكون احد ابنائه ولو انه تزوج منذ باكورة شبابه فلعله كان ينجب هذا الذى اصبح وزيرا . بل انه هو الذى اختار له اسم « امجد » حين ولد وكانما كان القدر يلهمه ان يسميه اسما مستمدا من المجد وها هو ذا المجد قد اصبح فى ركابه .

وترددت اشجان وعادت تشحن ناظريها بهذا الشيء غير المحتشم الذى يفرق فيه الاستاذ كامل وتريثت حتى سمعته يقسم عليها ان تشرح طلبها وهو سيبادر الى

مقابلة معالى الوزير واذا احتاج الامر الى دعوته ليسعى هو على قدميه للقائها والاستماع اليها . وقالت :

– ياريت يا كامل ..

ونسيت او تناست ان تقرن اسمه بلقب استاذ او لقب بيه واطربه هذا التناسى واشاع فى بدنه حميا كحميا الصهباء ثم قالت :

– اصل احنا عندنا حتة ارض فى البلد وعاوزين الترعة الجديدة اللى بيقتحوها هناك تمر جنبها . وكلمة من معالى الوزير تخلص الموضوع

وعندما غادرت اشجان هانم شقة الاستاذ كامل بعد ان شربت عصير الليمون وتاكدت ان الاسطى عبد الحميد قد اصبح

بعيدا فى مطبخه فاجأت الاستاذ وهو واقف فى فرجة الباب بقبلة خاطفة فوق جبينه تركته مذهولا وقد ادركه احساس بان القبلة راحت تتسع

وتتسع حتى استغرقت دوائرها صفحة وجهه المكتنز ثم تجاوزته وراحت تتسع وتتسع حتى اصبح هو بكاملة نقطة فى مدارها .

ولم يلبث ان غادر المنزل وقد بدأ المساء يزحف على حى العباسية ويزحف عليه الخارجون من دوائر الاعمال من العمال يحولون شوارعه الى ما يشبه خلية النحل المزدحمة وبدا له ان يمشى من العباسية على قدميه ماضيا الى منزل ابن اخيه معالى الوزير . ولم يكن الذى اغراه بالسير الرغبة فى توفير اجر الركوب او الخوف من زحمة المتشالين فى مختلف وسائل الانتقال، وانما الذى اغراه بالسير انه كان يود معايشة الاحلام الوردية التى

زحمت مخيلته والتى بدأت بقول السيدة اشجان « طلبك عندى يا كامل بيه ويمكن قدامك وانت مش شايفه » وانتهت بهذه القبلة الخاطفة التى طبعتها على جبينه العريض . وكان يحس بدغدغة فى جسده وهو يتخيل السيدة اشجان وقد احتلت المكان الذى لم يحتله انسان فى شقته وفى حياته بل وفى احضانه ، وتلمظ وهو يذكر ذلك الشيء الذى يختفى فى ناظريها غير محتشم . وتصور انه سيغدو بمجرد تحقيقه للطلب المتواضع الذى طلبت تحقيقه بكلمة من معالى الوزير تصور انه سيغدو صاحب هذا

أشجان



الليل

الشيء وسيتاح له ان يتعرف على حقيقته ويدرك كنهه ·

والطريف ان يبدأ حياته الجديدة ··الحياة التى تبدأ فى الستين كما قالت له وهذا الصوت الهامس الذى تعود على ان يأتيه عبر اسلاك التليفون يتحول الى رنين يملأ عليه وجوده وكأن جوقا من البلابل يغرد فى القفص الذى عاش فيه لا يسمع غير صوت الاسطى عبد الحميد ذلك الحيوان ذى الدم الخفيف كما شاءت اشجان ان تسميه · وستتحول اشجان الليل الى انغام النهار · وتخيل انه سيلتقى اشجان الليل حتى وهى يعتصر عودها بين احضانه · وهفا على انفه عطرها فغطى على رائحة الوحل التى تصاعدت من الارض عندما بلغ فى مسيرته باب الشعرية ·

وتخيل الترعة التى طلبت اشجان منه ان يتوسط لدى معالى الوزير ليأمر بمرورها بجوار قطعة الارض التى تملكها فى البلد فبدا له ان الترعة قد شقت فعلا وان الماء قد راح يجرى فيها غدقا وان ظلال الشجر الوارق الذى قام فجأة فى قطعة الارض التى تملكها زوجته المقبلة السيدة اشجان قد اصبحت تظلله وتذود الشمس عن رأسه وعينيه

ما اجمل الدنيا عندما يصبح للانسان ابن اخ تلحظه العناية الالهية فيقع عليه الاختيار فى غفلة من الزمان ليصبح احد اصحاب المعالى الوزراء يستطيع بكلمة منه ان يكتب السعادة والهناء والحياة الجديدة لهذا الكهل الذى يدب فوق اثنين وستين من الاعوام ·

ووصل الى ميدان العتبة الخضراء او كاد عندما ترامت الى مسمعه اصوات تصرخ فى الحاح وتقول :

« ملحق يا جدع ملحق « القطم » ··

وفتح اذنيه على مصراعيها واستحث خطاه حتى يقترب اكثر من الاصوات او تقترب منه ويستبينها وهى تهدر « اقالة الوزارة · ملحق يا جدع الله يقيل الوزارة ملحق يا جدع ·

وسقط « الجدع » المدعو كامل عبد الكريم يتخبط فى احلامه ، كما لو كان غرارة من غرارات القطن ·

والتف الناس حوله ··

◆

● أنور العطار ●



« للجمال مصدران لا ثالث لهما : المـرأة والطبيعة »
« افلاطون »

ـ ١ ـ ثغر الحبيبة ـ

ما لثغـر الحبيبـة السـحر يسبيـ
ـني فاصـبو شـوقا الى رشـفاته
هى قلبى وقـف عليهـا جـواه
كم فهمت المـراد من نبضـاته
يا له شـاردا بعيـدا عـن الصحـ
ـو غريبـا عـن ربعـه ولـداته

الجمال
بين المرأة
والطبيعة

تلك منه احلامه ورؤاه
خلدتها الأشواق فى صفحاته

بالثغر اخذت عنه قصدى
وجنيت المعسول من ثمراته

ورأيت الحبيب فى الزهر ، والنهـ
ـر ، وفى الظبى سارحا فى فلاته

فى الشعاع اللماح ، فى القمر السا
فر ، فى الليل ممعنا فى اناته

كل شئ فى الكون يخفق بالحـ
ـب ويفضى بشجوه وشكاته

وفى الشعر يمزج الحب بالزهـ
ـر فيبقى الأريج فى ابياته

لحظات من الخلود قصار
ما أجل القصار من لحظاته

— ٢ — وجه الطبيعة —

ما لوجه الطبيعة الصفو يغريـ
ـنى بسحر يلوح فى قسماته

همت دهرى به وغنيت اغنيـ
ـه ، وشمت الفتون فى لمحاته

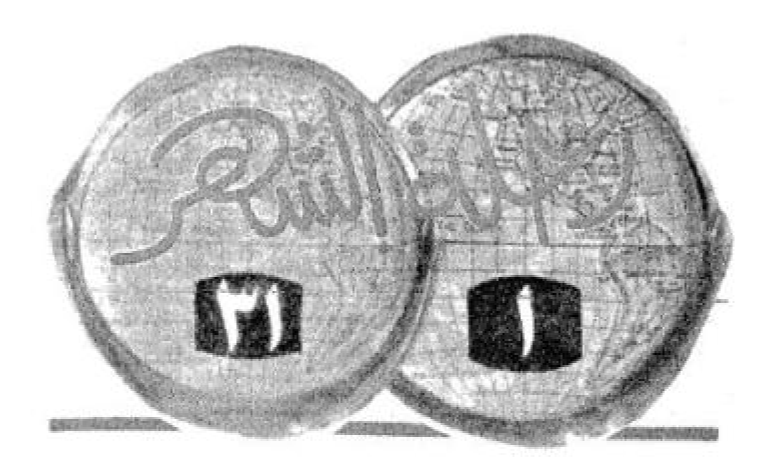
هو زادى ان احوج الشعر زاد
كم جنيت الغناء من مشكاته

فى السماء الضحوك ، فى النبع يشدو
فى شذا الزهر غاب فى عبقاته

في سنا الفجر ، في الصباح الندي
في الضحى ينجلي بابهى صفاته
في شفوف المساء ، في الشفق الر
فاف ، في النجم غاص في ذكرياته
في الوف من التصاوير لا تثـ
بت الا في النزر من خطراته
صاغها فكر شاعر مستهام
جالت الكائنات في مرآته
هكذا امنح الطبيعة قلبي
وهو نهب مقسم لغفاته
ما لألى البيان الا عطايا
ه وومض الخلود من ومضاته

● دمشق ● ● انور العطار ●





على الجندى فى ذمة الله

فقدنا في الشهر الماضي شيخا من شيوخ الفصحى ، وعلما من أعلام الشعر الكلاسي ، وسندا من اسناد الدين ، هو المرحوم الاستاذ علي الجندى ، الذى كان من ابرز من تولوا نظارة مدرسة دار العلوم منذ اكثر من ربع قرن ، وعضو مجلس الشئون الإسلامية ، ومجمع اللغة العربية ، ولجنة الشعر بمجلس الفنون والآداب

عرفت على الجندى في الثلاثينات من هذا القرن ، في ظلال جماعة ابوللو ، التى كانت تضم بين جناحيها الوان المدارس المعاصرة يومئذ · وكان على الجندى ، مع المغفور لهم محمد عبد المطلب ، ومحمود غنيم ، ومحمد الاسمر يمثلون مدرسة الفقهاء · وله على صفحات مجلة « ابوللو » قصائد كثيرة تتميز بالديباجة وتحفل بالاشراق اللغوى

وكان رحمه الله ذا أدب جم ، وحساسية بالغة · وقد خاض معنا معارك ادبية كثيرة ، ابرزها المعركة المعروفة باسم معركة « مذكرة لجنة الشعر » في عهد رئاسة المرحوم عباس محمود العقاد لهذه اللجنة · وكانت المذكرة استنكارا لما يكتبه الشعراء الجدد · ولكنه كان في خوضه لهذه المعركة وغيرها عف اللسان ، محصنا لاختيار الكلمة المقنعة دون الجارحة

على الجندى



وكان حريصا على اللغة العربية ، لا ينطق الا بها في حياته البيتية والمدرسية والاجتماعية ، الى حد انه كان اذا جلس معنا في لجنة الشعر ، وجاء خادم اللجنة يسألنا ماذا نشرب ، قال له : « اعطني قاسيون »

وكان الخادم لا يفهم المطلوب بطبيعة الحال ، فنضحك ، ونترجمها له بالكلمة الدارجة « بنسون »

ومن حساسيته ، انه تقدم منذ اعوام قريبة لجائزة الدولة التشجيعية للشعر ، بأحد دواوينه · وشاء سوء حظه ان يظفر بها شاعر آخر · فغضب على الجندي وقدم استقالته من لجنة الشعر ، ولزم بيته لا يحضر جلساتها ـ رغم عدم قبول استقالته ـ الى ان الححنا عليه في العودة ، فعاد بعد عامين كاملين من التأثر والامتناع ··

وكان سريع الغضب ·· وكان غضبه يبلغ غايته كلما قرأ في احدى صحف الشرق قصيدة من الشعر الجديد ، موقعة باسم « على الجندي » ··· وهو شاعر لبناني جديد ··· ويقول : كم سيظلمني التاريخ بسبب هذا التشابه في الاسماء

وقد ذهب على الجندي ـ الكبير طبعا ـ معنا الى بعض مؤتمرات الشعر في بعض العواصم العربية

ومرة في سوريا ، خرجنا في زيارة الى الجبهة ، فامطرتنا السماء سيلا ، وكان ـ رحمه الله ـ ضعيف البنية ، فاشفق من السيل ، فلفعت له الشاعرة الدكتورة طلعت الرفاعي معطفها ليحتمي به

وقد عاش ما عاش اسيرا لهذا الجميل ، والف على اثر عودته من دمشق كتابا كاملا عنوانه « خمسة ايام في دمشق الفيحاء » اكثره تسجيل لجميل الشاعرة صاحبة المعطف

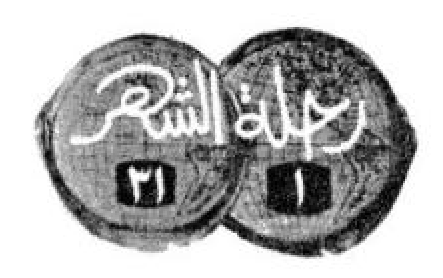
رحم الله شاعرنا رحمة واسعة ، فقد كان آخر الزعيل الكبير من مدرسة الفقهاء

وقد تلقينا عشرات من مراثي الشعراء الأوفياء للفقيد الكريم، ولم تتسع لها صفحات هذا العدد بكل اسف ··

ومن ابرزها مرثية الشاعر محمد حليم غالي ، التي استهلها بقوله :

تمهل ·· ربيب الضاد ·· نفسي لك الفدا
فقد عشت للضاد العريقة سيدا
تمثها على كفيك مهجة صادح
اجد لها حسن البيان ·· وجددا
وغنى بها حلو الاحانيك هاتفا
وارسلها لحنا رشيقا مغردا
ويختار منها الشاردات كأنه
على نبضة اللفظ المبين تفردا





موقف الوفد اللبناني

اتابع باهتمام ما تنشرونه عن مهرجان الشاعر امين نخلة، فلكم بذلك الفضل ، ومنا الشكر

ان الموعد الثاني الذي كنا حددناه للمهرجان ـ وهو العشرين من ايار (مايو) ـ قد ارجىء ايضا بسبب الظروف الحرجة في لبنان · ولقد نعين موعدا آخر ، ربما في تشرين · وكم كنا نود لو انكم تعودون عن قراركم بالامتناع ، مع تقديرنا لظرفكم · فاتحاد الكتاب اللبنانيين لا يمثل لبنان ، ولا كل كتاب لبنان · ولا يمثل بالتالي مجلس الشوف الثقافي ، رغم كون احد اعضاء الاتحاد ، وهو الصديق الاستاذ احمد ابوسعد ، عضوا في مجلسنا ايضا

ميشال غريب المحامي

ورئيس مجلس الشوف الثقافي

ـ شكرا للصديق الكريم الاستاذ ميشال غريب · وهذه هي روح لبنان الصافية ، التي انجبت جبران ومطران والاخطل وامين نخلة والشاعر القروي ··· اما هؤلاء الذين تحدثوا باسم لبنان في مؤتمر تونس لينالوا من مصر ، فانهم لا يمثلون الا مستحدثات شارع الحمراء ··

حول بلابل السودان

أحب شيء الى نفسي ، ان انقل الى القراء ما اقع عليه في الصحف العربية من النقد ، قبل التقريظ ، حتى ولو كان



هذا النقد ماسا بي شخصيا ، وحتى اذا شاء الناقد الا يترفق في اختيار كلماته ، كما فعل الاديب السوداني المعروف الاستاذ حسن نجيلة ، في مقال له بالزميلة الصحافة ، السودانية الغراء ..

وهذا هو المقال :

- يا لله ! ... اليس بين الشعراء السودانيين الاحياء منهم والاموات شاعر واحد يستحق ان يذكر في هذا الكتاب ؟ !

بهذا كنت احدث نفسي بعد ان فرغت من قراءة هذا الكتيب بلابل من الشرق الذي الفه الشاعر المصري المعروف صالح جودت) واصدرته دار المعارف بمصر في شهر يوليو ۱۹۷۲ في سلسلة كتيباتها الشهرية المعروفة « اقرأ » والكتاب يقع في ۱۸۸ صفحة من القطع الصغير تحدث فيه عن خمسة عشر شاعرا عربيا من مختلف الاقطار - ماعدا السودان كما ذكرت ! وهو اغفال تعمده المؤلف بدون ادني شك ، وهذى الدليل :

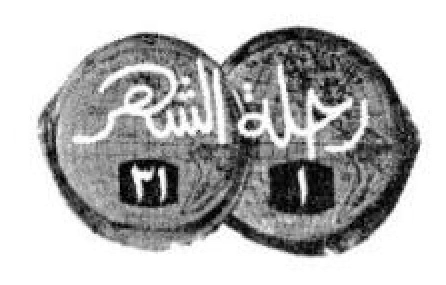
- المؤلف يقدم مثلا الشاعر الهمشري من مصر والشابي من تونس - رحمهما الله - وهما معاصران لشاعرنا المرحوم التجاني يوسف بشير الذي لا يجهله صالح جودت والذي تناول شعره بالتحليل والتقدير كبار النقاد والمهتمين بالشعر العربي في مصر وغير مصر ، وليس من المعقول ان يختار صالح جودت الهمشري والشابي وينسى التجاني الا متجاهلا ومتعمدا لامر في نفسه !

- وعندما توفي شاعرنا المبدع محمد محمد علي ، كتب عنه صالح جودت نفسه فصلا طويلا في مجلة المصور وابدى اعجابه الفائق بشعر محمد محمد علي ، وقال ما معناه - ان الشعر العربي خسر فيه شاعرا مبدعا . ومع هذا فقد خلا كتابه من تقديم شاعرنا محمد محمد علي ! فلماذا فعل هذا ؟! ..

- ولولا ان المجال هنا ليس مجال مقارنة بين شعر بعض من اختار لهم وقدمهم وبين شاعرينا الراحلين التجاني ومحمد محمد علي لفعلت ذلك ، ولكن يكفي ما كتبه كبار النقاد في العالم العربي ، وفي مصر خاصة عنهما وعن مكانتهما العالية في دولة الشعر ، ومن بين من كتبوا بالافاضة في هذا المعنى صالح جودت نفسه !

واضيف ، ان هذا المؤلف - على ما اعلم يعرف ايضا شاعرنا المبدع محمد المهدي المجذوب والتقى به في اكثر من مؤتمر للادباء ، وقد تجاهله ايضا !

- وقد تحدث عن عدد من شيوخ الشعر في العالم العربي امثال حافظ ومطران والاخطل الصغير والشاعر القروي ، وكلهم من فحول الشعراء حقا ، ولكني اتساءل اين شاعرنا الفذ المرحوم محمد سعيد العباسي ، وهو قريع هؤلاء ، بل انه ايفوق بعضهم شعرا ، ولقد ذكرت اكثر من مرة



لقائى بعالم العراق وشاعره الفحل المرحوم محمد رضا الشبيبى الذى تولى وزارة المعارف هناك اكثر من مرة ، وعندما لقيته قبل سنوات كان رئيسا للمجمع العلمى ، وكنت قد دعيت لالقاء حديث من تليفزيون بغداد عن الشعر فى السودان وبدات الحديث بشاعرنا العباسى ، وما كاد العالم الشبيبى يسمعنى حتى دعانى لزيارته وسالنى عن العباسى واستزادنى من شعره ، وقال : انى آسف ، فقد بلغت الان الثمانين من عمرى وحسبت انه لم تفتنى معرفة شاعر واحد ممن يعتد بشعرهم قديما وحديثا ، فكيف فاتنى ان اتعرف الى هذا الشاعر السودانى العظيم والذى اعد شعره افضل بكثير من شعر حافظ ابراهيم ! .. ومحمد رضا الشبيبى من فحول الشعراء التقليديين ، وكان يذكر بجانب شوقى ونظرائه وله ديوان شعر يعرفه عشاق الشعر العربى فى الشرق ».

« وقد قدم شاعرنا العباسى فى ديوانه الكاتب العالم المبدع محمد فريد ابو حديد ، واشاد به اشادة بالغة ، واشار الى اعجاب المرحوم العقاد وثنائه على شعر العباسى . والعقاد وهو من نعرف فى نقد الشعر ، فلا يعجبه الا ما كان فى القمة ...

« ومع كل هذا فصالح جودت يسقط ذكر العباسى ولا يشير اليه مع من اشار اليهم من شيوخ الشعراء ، الاحياء منهم ومن انتقل الى جوار ربه !

« ان كتاب صالح جودت « بلابل من الشرق » ليس بذى شان بين الكتب ، وقد كان عرضه لانتاج هؤلاء الشعراء سطحيا ، ولن يضير الشعراء السودانيين ان لم يذكر منهم احدا .. ولكن الناحية « الاخلاقية » فى هذا الموضوع هى التى دفعتنى لاكتب ما كتبت هنا ...

● الخرطوم ● حسن نجيلة ●

●●●

ـ وبعد ، فانا احب ان اقول ان مقال الاستاذ حسن نجيلة ، على قسوة الفاظه ، لم ينجح فى اثارتى ، فقد احببت السودان منذ طفولتى ، حينما كنا نهتف فى المدرسة الابتدائية « النيل لايتجزأ » .. وانا القائل منذ ثلاثين سنة :

مصر والسودان هل كانا ســـــــوى
جنة يجتلي الدنيا شـــــــذاها
كلما العين تملت حســــــــنها
اعذرت من حسبوا النيل الهـــــا
غفر الله لهم ، هل عــــــــرفوا
منعما في عهدهم الا المیـــــــاها

ثم ازددت هياما بالسودان بعد ان اسعدني القدر بزيارته في العام الماضي ، ولقيت فيه من الاصدقاء من ساعتز بهم ما حييت ، وكتبت عنه وعنهم يومئذ اكثـــر من مقال في « الهلال » و « المصور » و « الكواكب » و « حواء » ... وكلها حب وصفاء ووفاء وحفظ للعهد وعرفان للجميل

وقد شهد الاستاذ نجيله نفسه انني كتبت عن الشـاعر السوداني المرحوم محمد محمد علي مقالا مطولا بالهلال ... ولعلني قلت فيه ما لم يقله احد غيري . كما كتبت كثيـــرا عن المرحوم التجاني ، وعن الصديق العزيز محمد المهدي المجذوب . اما العباسي فمن أسف انني لم اقع على ديوانه حتى الان

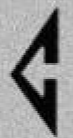
واذا كان قد فاتني ان اروى سيرة احد من هؤلاء الاعزاء في كتابي « بلابل من الشرق » فليس عن عمد ، كما يقـول الاستاذ نجيلة ، معاذ الله ، وانما لان حجم طبعة « اقرا » محدود الصفحات ، الى حد انني اختصرت اكثر من نصـف ما اعددت عن الشـــعراء الذين ترجمت لهم في هـــذه الطبعة ، مراعاة للحجم ، ولم يتسع امامي المقام للحديث عن كثير من الشعراء الذين احببتهم ، كايليا ابو ماضي ، وعمر ابو ريشة ، وحسن كامل الصيرفي ، ومحمد عبد الغني حسن ، ومحمود حسن اسماعيل ، ومحمود غنيم ، وحافظ جميل ، وشفيق جبري ، وغيرهم ... ومنهم من ذكر الاستاذ نجيلة من شعراء السودان

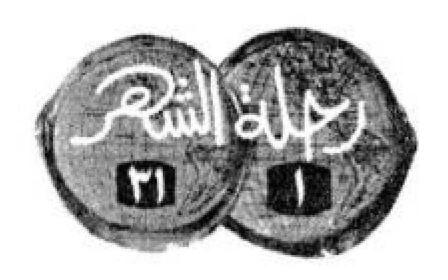
فارجو ان يحسن الاستاذ نجيلة الظن بأخيه ، ولا يتهمه في حبه للسودان ، فهـذه تهمة أبرا الى الله منها ما حييت

على هامش رحلة الجزائر

زرت لبنان وســوريا والعراق مرارا ، وزرت تونس والكويت مرتين ، والسودان والمغرب وقطر مرة واحدة .

وفي الحق انني اشعر بكثير من الخجل حينما استعرض تجوالي في هذا الكون ، وارى انني طويت القارات كلهـا حتى القطب الشمالي شمالا وحتى اليابان شرقا والشاطىء





الامريكي الغربي غربيا ، ثم اذكر ان هناك قطعا عزيزة من صميم وطني العربي ، كالجزائر وليبيا فى المغرب العربي ، واكثر امارات الخليج فى الشرق العربي ، لم ازرها بعد

ولهذا ، تلقيت بالفرحة دعوة الحكومة الجزائرية لى ، لكى اشارك فى الملتقى الاسلامى الذى يعقد فى مدينة « تيزى وزو » بعد ايام معدودات ..

ذلك اننى اشعر ان فى عنق خادم الكلمة نحو امته دينا عليه ان يوفيه ، بأن يدرس امال امته ، وآلامها ، وان يترجم عن وجدانات ابنائها ، وان يكون وساطة العقد بين ابناء مشرقها وابناء مغربها ، يعرف اولئك ، الى هؤلاء ، ويقرب بينهم ، وينقل ادبهم وشعرهم وثقافتهم ، الى ان يأذن الله وتزول بينهم الحدود والسدود والقيود ..

واذكر فى هذا المجال ، اننى التقيت فى ضاحية قريبة من مدينة سان فرانسسكو بامريكا ، فى سنة ١٩٦٤ ، بالقصصى الامريكي الجهير « ارسكين كولدويل » الذى كتب حتى الآن اكثر من ستين رواية ، بيع منها اكثر من ستين مليون نسخة ، ومنها ما تحول الى قصة على الشاشة ، مثل « طريق الدخان » و « البحث عن بنجو » وغيرهما

وقد ذكر لى ارسكين كولدويل انه يعيش حياته كالبدو الرحل ، فهو يشترى البيت فى ولاية كذا ، ويقضى به عاما أو عامين ، حتى يدرس جميع شئون الولاية ، ثم يبيع البيت ، ويشترى بيتا فى ولاية اخرى ، يفعل فيها نفس الشيء ... وهكذا .

وخطته أن يعيش عمره فى جميع الولايات المتحدة الامريكية ، ليعرف وطنه ، ويستوحى رواياته من الحيوات المختلفة لمواطنيه في ظروفهم المتباينة وأجوائهم المختلفة ، فيؤدى بذلك خدمة مزدوجة للتاريخ ، هو أن تتنوع الوان رواياته وتكون هذه الروايات مرآة صادقة لكل ركن من اركان وطنه الكبير فى حقبة من احقاب التاريخ ..



ديوان من الشعر يبيع ٥٧ مليون نسخة

وعلى ذكر امريكا ـ وقد زرتها لآخر مرة سنة ١٩٦٤ ـ اقول : كم تتغير بنا الدنيا

حينما كنت هناك ، فى جامعة « ايوا » .. وهى من ابرز الجامعات من الناحية الادبية ... لاحدث طلبتها عن الادب العربى ، وعن الصحافة فى الشرق الاوسط ، وعن المحنة الفلسطينية ... اتيح لى ان اصادق الاستاذ « بول انجل » رئيس قسم الفنون الخلقية بهذه الجامعة ، وهم يطلقون اسم « الفنون الخلقية » على الشعر والقصة والنقد .

وكان له يومئذ زوجة مسكينة اثقل عليها المرض ، اسمها مارى ، وابنة شابة لطيفة اسمها سارة ... تركتها هى الاخرى وهى تواجه جراحة خطيرة

ولست ادرى ماذا الم بهما بعد ذلك ...
الى ان تلقيت منذ ايام انباء من هذه الجامعة ، خليقة بان اعرضها على قراء « الهلال » ..

واول ما شدنى من هذه الانباء ، ان الاستاذ بول انجل ، وزوجته هوا ـ لينج ـ نيه ـ انجل ، قد اشتركا فى عمل شاعرى ضخم ، هو ترجمة ديوان الرئيس الصينى ماوتسى تونج الى اللغة الانجليزية ، شعرا !

نسيت ان اقول لكم ان بول انجل روائى لامع وشاعر عظيم

ولكن الذى استنتجته من النبأ ، ان بول انجل له الان زوجة اخرى ، هى هذه الاديبة التى شاركته فى ترجمة شعر ماوتسى تونج ، ويبدو من اسمها انها صينية ، او صينية الاصل على الاقل

ونعود الى حديث الشعر ، فنقول ان ترجمة الشعر عامة عملية عسيرة ، ولابد ان تكون ترجمة الشعر الصينى بالذات ، اشد عسرا الف مرة

ومع هذا ، فان اكثر من شاعر امريكى جهير ، قد اقدم على هذه التجربة العسيرة ، وفى مقدمة هؤلاء المترجمين ، الشعراء ارثر والى ، وازرا باوند ، وبول انجل

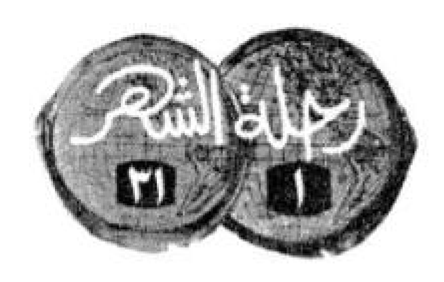
على ان تجربة بول انجل ـ وزوجته الجديدة ـ كانت اكثر مشقة فانهما لم يكتفيا بترجمة شعر ماوتسى تونج وحسب ، بل اضافا اليه شروحا وملاحظات تبلغ ضعف حجم الشعر ذاته

ومما يؤثر ان ماوتسى تونج نفسه قال عن شعره ذات يوم : « انه شعر ردىء جدا ... ردىء بشكل صارخ ...



ماوتسى تونج





وانى لم اكن اكتب الشعر الا قتلا لوقت الفراغ »

ويبلغ مجموع ما ترجمه بول انجل وزوجته من شعر ماوتسى تونج ، ثلاثين من قصار القصائد

ورغم رأى ماوتسى تونج فى شعره ، فان الصينيين يحبون هذا الشعر ويقدرونه ويحفظونه ، بدليل ان ديوانه باع سبعة وخمسين مليون نسخة ... أى اكثر من مجموع ما بيع من دواوين الشعر الانجليزى على طول تاريخه !

فاذا رأيت ان تقرأ نموذجا من هذا الشعر ، فاليك هذه القصيدة :

ايها العدو ، تقدم ...
فاننا نتقهقر !
ايها العدو ، قف ...
فاننا نتمهل !
ايها العدو ، اتعب (بفتح العين)
فاننا نتعب (بضم النون وكسر العين) !
ايها العدو ، تقهقر ...
فاننا نحطم !

وحينما نشب الخلاف العقائدى بين الصين والاتحاد السوفييتى سنة ١٩٦٠ ، واستشعرت الصين الوحدة ، قال ماوتسى تونج :

ان الابطال وحدهم
هم الذين يركبون النمرة والفهود
ولكن الناس لا يخافون الدببة !

وهذه آخر قصيدة عثر عليها انجل ، وقد كتبها ماوتسى تونج عن الفدائيين :

والآن نحن نتصيد القمر
فى سمائه التاسعة
ونمسك بالسلاحف فى المحيطات الخمسة
ويعود المنتصر يتحدث ويضحك
لاشىء صعب فى هذه الدنيا
اذا كنت تصعد دائما


بول انجل

ومما هو جدير بالذكر ان الاستاذ بول انجل قد انشأ في جامعة « ايوا » اقساما لترجمة كل شعر في العالم الى اللغة الانجليزية شعرا · ونجح في ترجمة عشرات من الدواوين من شعر اوربا وآسيا وافريقيا الى اللغة الانجليزية · ولهذا منحته الدولة شهادة تقدير كاكبر خادم للشعر في العالم ، وانهالت عليه من المؤسسات اعانات تجاوزت مليون دولار لتحقيق هذه المهمة

وقد سألنى ، اذ انا هناك ان اطلب الى المسئولين ان يبعثوا اليه بشابين محسنين للادب العربي ، وللغة الانجليزية ، ومعهما مجموعة من مختار الشعر العربي ، قديمه وحديثه ، ليشتغلون معهما في ترجمتها الى الانجليزية ، شعرا ينشر ويدرس في جامعات امريكا

ولكن المسئولين يومئذ كانوا مشغولين بدعم مراكزهم (مراكز القوى) فلم يلتفت منهم احد الى ما دعوت اليه

صفحاتنا مفتوحة

● اطالب مجلتنا العزيزة « الهلال » بان تبذل قصارى جهدها لتسلط الضوء على الادب العربي في البقاع المغربية ، حتى يتحطم الحاجز الذى فرضه المستعمر زمانا طويلا ، والذى اصبح بعد رحيل المستعمر جدارا وهميا واهيا

واذا كان اللقاء بين العرب لم يتحقق على بعض المستويات ، لاسباب مختلفة ، فلنحاول تحقيقه على الصعيد الثقافى ، ولتكن مجلتنا المحبوبة قاعدة يتم فوقها هذا اللقاء المنشود ··

● بشير عليه ●

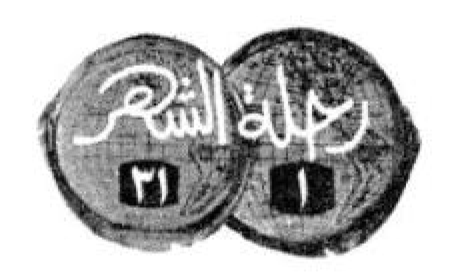
● المدرسة العليا للاساتذة
القبة القديمة — الجزائر ●

●●●

● كم هى جميلة هذه « الزهور » الفواحة التى زينت صدر عروستنا « الهلال » · لقد فتحت « الزهور » المجال للفكر الناشىء ليقدم عطاءه المتفتح الذى يمثل ثورة الفكر في المشرق والمغرب

وانا ، اذ امثل الوفا من الشباب الجزائرى المقبل على « الهلال » و « الزهور » اتمنى ان تواصلوا فتح أبوابهما للجدل والنقاش والنقد البناء والدعوة للاصلاح ونبذ





الالتزام المصطنع والكلمة المصبوغة بالتكلف وطــرح الركود الجاثم على الفكر العربى الكلاسى ومسايرة ركب التطـــور والربط بين الثقافة والصناعة والاقتصاد ، الامر الذى يخلق وعيا جديدا فى الامة العربية يواكب مســـيرة الحضارة العالمية

● الجزائر ● ● وطاس على ●

ـ شكرا للصديقين الجزائريين ·· وارجو ان اؤكد لهما بان صـــفحات « الهلال » و « الزهور » مفتـــوحة لكل قلم عربى ، ولكل قلب عربى ، فى كل فج من فجــــاج الامة العربية

العَـــرُوب من النســاء

● كان لى شرف التهام وجبة ادبية شهية ، هى كتابكم بلابل من الشرق ، التى استمتعت بها الى ابعد حد

واســـمحوا لى ان اقف عند صـــفحة ١٣٨ فى معرض الحديث عن اديبنا الكبير العقاد ، رحمه الله ، فهم يقولون عن يوم الجمعة انه يوم العروبة ، بفتح العين ، وهى البنت اللعوب الجميلة

والواقع ، كما ورد فى كتب التفسير ، غير ذلك تماما · فالعروب من النساء هن المتحببات لازواجهن ، المخلصـــات لهم كل الاخلاص

● شبين القناطر ● ● امام امام نصار ●

ـ قال شيخنا الفيروزابادى ، ولعله اصدق منا جميعا : « العروب : المرأة المتحببة الى زوجها ، او العاصية له ، ثم العاشقة له ، او المتحببة اليه المظهرة له ذلك او الضحاكة » وعلى هذا التخريج يصدق العقاد ···

● ص · ج ●

لبنان والريف



في أدب أمين نخلة

● فوزي عطوي ●

هذا الكاتب الشاعر الساكب ذوب قلبه في شعر ونثر عابقين بأريج من بخور ارزات البلاد وصنوبراته ، والخالع على اللفظة اناقة هيفاء ، وعلى الديباجة طلاء ورواء ، ابن رشيد نخله الذي يترنم لبنان صبح مساء بنشيده الرسمي الوطني .. عرف كيف يعالج صناعة الكلام ، فكتب له التفوق على اقرانه ممن لم تتجاوز اساليبهم حدود التقليد ، وخاض بالتجديد عبابا ، ومخر بما لم يته عبر موجه ، وانما بقي ذلك الملاح الممسك باشطان الرياح ، المسيطر على مجذاف زورقه ، يخضع الرياح لارادة المجذاف ويكتب بمداد هو بعض العطر ، ان نثر ، وهو بعض الضوء ان رنم قافية .



لبنان والريف.. في أدب أمين نخلة

امين نخلة شـاعر العرب ، احب العرب وكل شبر من بلاد العرب ، فكان في سراه العرب وضرائهم، كبيرا في شعرائهم .

وأمين نخله فتى لبنان ، أحب لبنان ، وكل ذرة تراب في ارض لبنان ، فتعشق منائر الحرية فيه ، ورأى الشاعر ، كل شاعر في وطنه ، بلبلا هزارا ثائرا بالقيد ، مجدفا على الاقفاص ، متنقلا من فنن الى فنن بغير حذر .

وأمين نخلة ابن الريف ، في الشوف السامق ، المتلالىء بالانســان الشامخ الابي ، وبالطبيعة الفتانة المجلوة البهاء .. وترب الارز في ملاعب الباروك ، وندى الاه المجرح ، وهو ينبعث لاهثا على شفة الناى ، يصعده من وراء التلال ، راع وراء القطيـــع ، ونجي المواويل فوق تلالنـــا ، والزغاريد في جبالنا ، والهمس الحيي المرتسم بخشوع على شفاه العـــذارى ، أمين نخلة الباروكي الشوفي اللبناني العربي ، رجع صوت الريف ، باسلوب اقل ما يقال فيه انه المنمنم الموشي بالعبير ، المزدهي بمطارف الجمال والدلال .

ولقد عالج امين نخلة اكثـر من صناعة : عرف مداخـــل السياسة ومخارجها ، وخاض غمار الحقـــوق محاميا ومؤلفا ، وجال في الصحافة جولات موفقات ، لكن شعره ونثره كانا بالقياس الى الباقي من مشاغله ، قمة ما اعطى ، فحمدنا للسـياسة فضلها الوحيد على امين نخله اذ هي لم تفسد عليه ادبه ، وكاني بامين نخله كذب صاحبه الجاحظ اذ يقول : « ما دخلت السياسة شيئا الا افسدته » .

ذلك ان وشيجة الفكر ، في قناعتنا، هي اوثق من اية وشيجة عداها ، وان رابطة الكلمــة الحلوة ، والقلم الابي البهي ، والعطاء الادبي الموصول ، امتن من كل رابطة تفرق الشمل ، وتمزق الاواصر ، وهذه تجربة أمين نخلة ، وتجربتنا بعد امين نخله ، تؤكد لنا ان كل دولة تدول ، الا دولة الفكر والادب ، فانها الى غير انقضاء .

لقد تألق لبنان ، في شعر امين نخله، وطنا للحـرية والجمـــال ، فاطل بدل وشموخ ، وبجبين يطاول النجم ، واذا بلاد الارز فضاء فيحه الله لكل طير ، على حد تعبير شاعرنا :

يالابس الريش اصباغا محبـــرة ... فالريش والفنن المزدان شبهـــان
وطالبا من فضاء الله متفسـحا ... حر الجوانب لم تأخذه عينـــان
وحائما دائرا والى منازلنـــا ... اوثبت سؤلك فانزل ارض لبنـــان
هذا فضاء كان الله فيحــــه ... فكل طير له فيه جناحـــــان
لا يعرف الرق والاقفـــاص بلبله ... ولا يغرد الا فوق افنـــان
من اجلنا الارز اعلاه لنا وطنـــا ... كي يسحب الذيل فيه الناعم الهاني
ان الكريم الذى اعطى بلا كـــدر ... لم يخلق الطير والاقفاص في ان

غنت بلابل لبنان بنعمتـــه   على غيون ، وزالت فوق الغصان
تبيت تسال تحت الشرق ، خالقها   ان لا يقيد فيه صوت النســان

ثم ان انت نزهت الخاطر في روضة امين نخلة ، شاعرا وناثرا ، ثم يعجزك تبين ما للطبيعة اللبنانية من اثر في شعره ، وفيما اسبغه على ادبه الرفيع من صور مستمدة من ريف لبنان ، حيث تتلألأ الغصـــون ، وانفاس الربيع ، واغنيات الحمائم ورفرفات النســائم ، واغتراب الشمس وراء الغمائم ، وهداة الظل المنسكب ، وراء الضـــوء السني المنسحب ، وافترار النرجس النعسان ، والورد الرقراق ، والمروج المعشوشبة المخضوضرة ، فاذا انت محير الخاطر ، ما بين غزل وصفي ، او وصف غزلي ، لكنك ، في كل حال غارق في الجمال الاجمل من وصف وغزل :

جاء الربيع وحرك الغصـــنا   اين الربيع ، واين ما كنـــا
عودي فقد عاد الربيع ، وقـــد   عاد الحمام ، وقد تعاتبنـــا
عودي فقد عاد الربيع ، لنـــا   همس الربيع ، وغمزه عنـــا
انفاسه منا ، ورقتـــــه   منا ، وجر ذيوله منـــا ..

ولا تحسبن انك قادر على الاخـذ بكل اهداب الجمال ، في ادب امين نخلة فان ما في « دفتر الغزل » ، وفي « ليالي الرقمتين » ، يظل الاطلالة الموعودة ذاتها من « المفكرة الريفية » ، التي اجمعت اقلام كتاب العربية على انها معجزة الادب ، على حد تعبير الاديب الكبير الراحل المحامي انطون قازان القائل عن هذا الكتاب : « ان النثر العربي منذ فجر تاريخه ما عرف مثل هذا الابداع .. وساعة تعرض الهـدايا في مهرجان الجمال ، يوم النثر العربي ، يتقدم لبنان بشـــمخة وادلال ، وفي يديه « المفكرة » ».

في « المفكرة الريفيـــة » تتفاوت المواضيع وتتباين ، ولكنها تلتئم كلها بخيط سحري يتمثل في اسلوب يصعده امين نخلة صلاة ، او يرجعه احاديث من القلب ، لكنك تعجب للعنز اذ تصلي ، ولاغنيـــات في الريف يرنمها الابريق والمغزل والعين ، او تتمتم بها السنبلة وتسيم الجبل .

في الريف تصلي العنز قائلة : « رب سجدت لك على ركبتي ، وخفضت قرني هذين ، من فرط الخشية . فامســح الارض عشبا ، وورقا اخضر ، واطلق حياض الماء ، واملأ الصهاريج ، ومد بساط الظل في اذى الهواجر .
رب . واجعل قلوب الرعيان تخفق من رحمة ، وعصيهم تملس من لبان ، وقصبات مزاميرهم تسيل من طرب ».
ويا رب .. اسالك بالغمام اذا نهض ، والغيث اذا سقط ، وبهذه اللجج من الخضرة ، كما اسالك بالزرب والمرعى ، والقربة والعصا ، وبالجلجل وطنينه ، وشبابة القصب وحنينها ، الا ترسل بي الى المدينة ـ امين ».

وبعد ، فان لبنان اذ يتداعى الى مهرجان تكريم الشاعر امين نخلة على مستوى الدول العربية ، فلان شاعرنا لا تتوقع قيمته الفكرية في اطار اقليمي ضاق او اتسع ، وانما تؤكد على شمول الافق الانساني الذي يتميز به شاعرنا ، كموهبة من مواهب الذين قال فيهم :

نحن اهل الخيال ثبت للنـــاس   باقلامنا ربيع الرجـــاء
وترانا نمضي وقد طلع النبـــت   ومشت جوانب الغبـــراء

● بيروت ●   ● فوزي عطوي ●

ذكريات مع أمين نخلة

● حارث طه الراوي ●



صورة تذكارية للشاعر امين نخلة وكاتب المقال عام ١٩٦٠ ..

في امسية السابع عشر من ايلول ١٩٥٤ وفي فندق بيت مري الكبير ، وقبل افتتاح مؤتمر الادباء العرب الاول بالفندق المذكور بيوم واحد ، قدمني الصديق الشاعر صلاح الاسير – رحمه الله – الى امين نخلة الذى كان جالسا فى حلقة واسعة من رجال الفكر ..

وما من اديب أو شاعر أو عالم يستطيع ان ينبس ببنت شفة فى مجلس هذا الاديب الشاعر العالم اذا اطلق العنان لصوته المبحوح وطفق يتحدث ! واذا قدر لن تهجس بذهنه فكرة جميلة ان يقاطعه فانه يسد المسالك عليه بلباقة عجيبة تشعره ان السكوت اولى من الكلام وان حسن الاستماع يؤدى الى الكثير من الاستمتاع ، وهكذا يعود المستمع نفسه على فن الاصغاء ! .

***

كانت غرفة أمين ، في الفندق ، قريبة من غرفتى ، وبينما كنت ذاهبا لتناول وجبة الصباح اذا به يناديني طالبا منى أن أعيره قلم الحبر لينظم قصيدة فى الترحيب بصديقه الحميم أحمد رامى ، فاعرته قلم الرصاص لحاجتى الماسة الى قلم الحبر . ورجعت اليه بعد الفطور ، فأنشدني ما نظم وكانت أبياتا زاخرة بالمبالغة والتهويل ، ولما صارحته بذلك ضحك وقال :

– أحمد رامى ضيفنا ومن عادة العربى أن يبالغ فى اكرام ضيفه ..

ولشدة المحبة التى تربط بين قلبى الصديقين الحميمين أمين ورامى ، جلسا صامتين ذاهلين يتناجيان بالدموع الغزيرة عندما أزمع رامى العودة الى مصر . ولفرط اصرار أمين

على بقاء رامي ، فان رامي اضطر الى التسلل والهروب من الفندق ..

***

وفي آب (اغسطس) ١٩٥٥ زرت المحامي امين نخلة في مكتبه ببيروت فلم اجده فتركت له بطاقة ضمنتها عنواني في مصيف « عين السيدة »

واشعرته بعودتي في اليوم التالي الى بغداد . وبينما كنت اتناول عشائي في قاعة طعام « بالاس اوتيل » اذا بالخادم يقول لي :

– في حديقة الفندق زائر يسال عنك ..

وما دار بخلدي ، على الاطلاق ، ان هذا الزائر هو اخف الزائرين روحا، وانه امين نخلة الذي ماكدت اعانقه حتى ابتدرني بقوله :

– لأول مرة يسمع مني السائق كلمة اسرع !

وبعد جلسة قصيرة دعاني الى مقهى البارودي في سوق الغرب براس الجبل .. وما كان الزاد على لذته ، ولا الفواكه المثلجة على طيب نكهتها ومذاقها ، بالذ من احاديث امين نخلة ونكاته ..

والذي علق بذهني من احاديثه الادبية في تلك الجلسة الممتعة مؤاخذته لاخواننا أدباء المهجر على تساهلهم اللغوي وجنوح بعضهم الى اقحام الاساليب الفرنجية في الشعر والنثر العربيين ، ولما التمست لهم بعض العذر بعدم اطلاعهم الكافي على الادب العربي القديم ، قال لي :

– ان مكتبة جبران في بشرى تضم امهات كتب الادب العربي القديم ..

***

وفي ربيع ١٩٥٦؟ زار امين نخلة بغداد ، فاهتزت الاوساط الادبية لزيارته ورحب به اخوانه ادباء مدينة السلام ترحيبا عظيما ، الى درجة ان الجواهري – ولم يكن وضعه المالي ليساعده على اقامة الولائم – اقام لامين نخلة دعوة كبرى في منزله المستاجر قرب ساحة عنتر دعى اليها صفوة أدباء وشعراء العراق ، وكان الجواهري – والحق يقال سخيا بكل معنى الكلمة في دعوته (اليتيمة) .

ولا تسل عن سخاء حافظ جميل وخالد الدرة في دعوتيهما لامين . واقام كاتب هذه السطور لامين دعوة في داره حضرها اكثر من عشرين أديبا وشاعرا وكان في طليعتهم الجواهري وحافظ جميل ، ولم يتخلف من المدعوين الا امين نخلة الذي اقيمت الدعوة على شرفه ! وعرفنا أسباب التخلف عندما رن جرس الهاتف وكلمنا رجل من النجف وبلغنا اعتذار امين واطيب تمنياته لاخوانه المدعوين بسبب اصرار اهل النجف الكرام على ان يبيت الليلة عندهم !

ولئن خسرنا الامين في تلك الليلة .. فقد ربحنا الجواهري وحافظا حيث تالقا في افق الشعر والشدا من شعرهما الاصيل الجميل ما رنح الاعطاف وارقص الجوارح ..

وزارني امين في بيتي بعد عودته من النجف فصحت اريحيته تقصيره !

نزل أمين في بغداد في فندق « تروكاديرو » قبل أن ينتقل الى فندق « سميراميس » فصار « تروكاديرو » محجة للشعراء والادباء . ولا أنسى ذكريات ليلة نابغية في غرفة أمين بهذا الفندق حيث تقاطر ادباء وشعراء المدينة ، وكان أمين متوعكا يشكو من مرارته ، مستريحا في فراشه بنصف اضطجاعة .

***

وفي اواخر (آب) اغسطس ١٩٥٧ دعت مديرية السياحة والاصطياف في



ذكريات مع أمين نخلة

لبنان خمسة من ادباء العراق لزيارة لبنان هم : أحمد حامد الصراف ، ومصطفى جواد ، وعبد الرزاق محيي الدين ، وكوركيس عواد ، وحارث طه الراوي • فحللنا في فندق «رون بوان» بعاليه معززين من قبل الصحافة اللبنانية وأدباء لبنان الذين تقاطروا علينا من كل حدب وصوب ، ولم يزرنا أمين نخلة الذي كان يصطاف بعالية أيضا ، فاهتز الصراف لهذا التهرب المقصود من أمين وارسل اليه بطاقة مفتوحة ضمنها عتابا لاذعا •• وبعد وصول العتاب اللاذع بيوم واحد جاء أمين الى الفندق يسأل عنا ، وكان رفاقي قد سبقوني بالنزول الى بيروت وكنت أنتظر سيارة للحاق بهم ، فاصطحبني أمين بسيارته الفارهة واتجهنا الى بيروت قاصدين دار الريحاني للطباعة والنشر ، حيث اتفقنا على اللقاء • ولم نكد نصل الى الدار حتى وجدنا حلقة من أدباء الشباب في لبنان ، وبعد السلام والكلام حضر الصراف ورفاقه ، وقبل أن يلقى التحية على أمين والحاضرين انهال على أمين عتابا ولوما وأنهى عتابه بقوله لأمين :

ـ ان كنت تلتزم بواجبات الصداقة فعلا لا قولا ، فادع جميع الحاضرين ، الآن ، على أكلة سمك بشرط ان يكون السمك من نوع «سلطان ابراهيم» والا فضحناك ! ••

فابتسم امين نخلة وقال :

ـ تفضلوا !

فاتجهنا معا الى أحد مطاعم الزيتونة الذى يطل على البحر ، فماذا حصل ؟

لقد امر امين ان يوضع (سلطان ابراهيم) في صحن الصراف اما صحون الجميع فقد كان نصيبها الاسماك الصغيرة ! ••

وهكذا اشترى امين سكوت الصراف الذى شغلته مغريات صحنه عن المطالبة بحقوق الاخرين ! ••

***

وفي شهر آب (اغسطس) ١٩٦٠ زرت لبنان ، مع اسرتي ، للاصطياف ، وتركت لامين نخلة بطاقة تحية ذاكرا له عنواني في « عين السيدة » • وانطوى اسبوع من غير أن يطل امين على الفندق ، فاقسمت الا أراه والا اسأل عنه في الزيارات القادمة ! واذا بميشيل فشرع صاحب الفندق يخبرني في صباح اليوم الاول من أيلول انه شاهد أمين نخلة في « دير الشير » بسوق الغرب ـ على بعد عشرات الامتار من عين السيدة ـ ويواصل فشرع كلامه قائلا :

وقد أوصاني أن أقول لك بأنه ينتظرك في مكتبة الدير في المكان الذى

اجتمع فيه بالمرحوم والدك قبل ربع قرن ..

فاحرجني بذكر المرحوم والذى وجدت من اللياقة ان اذهب اليه ، فاتجهت الى الدير الجميل ماشيا لقربه من الفندق ، ولم اكد المح امين حتى تعانقنا وانتهى الغضب ..

وطلبت من امين ان يضع مقدمة لديواني « تباريح » الذي كنت اهم بطبعه في دار الريحاني ببيروت ، فاستجاب لطلبي ، فتركت له الديوان عند صديق الطرفين البرت الريحاني صاحب الدار ، ثم عدت الى بغداد وكتبت لامين بعد مدة طويلة من عودتي مستفسرا عن مصير المقدمة فلم احصل على جواب ، ثم اردفت الرسالة باخرى فكان الصمت هو الجواب . فوسوس لي شيطان شعري بأن أسدد لامين سهام عتاب غير مسمومة ، وهكذا نظمت الابيات التالية التي قرأتها على مسمع صديق الطرفين حافظ جميل ، وسألته اذا كان من اللياقة ان يعاتب امين بمثل هذه اللهجة اللاذعة .. فأجابني حافظ والابتسامة تعربد على شفتيه :

– هذا اقل ما يقال في امين نخلة ، فلا تتردد في ارسالها اليه ، بارك الله فيك .. فارسلتها اليه ، وهذا نصها :

وعودك لم تثمر سوى حنظل المطل
اتحسبها يا شيخ ضربا من الهزل ؟
تقول انا الخل الوفي وهذه
فعالي، وهل فيكم أخو نخوة مثلي ؟
ولبتك عززت الكلام بفعلة
نراها فنغضي عن سراب من القول
شكا منك اخوان الصفاء جميعهم
على ان شكواهم تسامت عن الغل
فكم صاحب اهدى اليك وفاءه
وجاءك لا يرجو سوى بسمة الخل
تواريت عنه وانزويت كانما
تلقيت تهديدا من الخل بالقتل !
تشيد له لما يراك بشارع
جبالا من الاعذار اوهى من الرمل !
متى ترعوي يا شيخ ان عتابنا
شديد ,وما صغناه من معدن الجهل

وما كاد امين يتسلم هذه الابيات الصادقة حتى اجابني بالرسالة التالية من دمشق ومؤرخة في ١١/٥/١٩٦٠ .

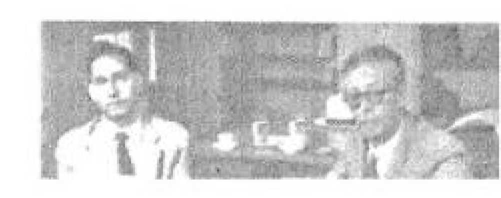
« اخي ...

انا منذ شهر وعشرين يوما على التقريب لا ازال بين دمشق وبلاد قطر والشارقة ودبي والبحرين على الخليج . وقد عدت يوم أمس الى دمشق فوجدت بين أوراقي التي ارسل بها الي من بيروت كتابيك ، ووجدت في احدهما أبياتك في العتاب ، فقلت في نفسي : يظهر ان الحبيب حارثا لا يعرف عذر الغائب ! الا انني سررت

بالابيات على قاعدة : « فقد سرني أني خطرت ببالك » .. وعلى انني كنت مدارا لخواطرك في هذه الاجادات الشعرية العالية التي جاءت تؤكد القول القديم « اعذب الشعر اكذبه » ! ويا حبذا هذه العذوبة ، ويا حبذا « موافقة » حافظ على ما ورد فيها ، فان في ذلك كله نثرا من مهب « زرود » ..

« اما المقدمة لديوانك فستكون بين يدي الاخ الريحاني بعد رجوعي من دمشق الى بيروت . وكأني بك قد نسيت ما ذكرت لي من أن الريحاني سيشرع في طبع الديوان في مستهل السنة الميلادية القادمة ، واين نحن بارعاك الله ، من رأس السنة الميلادية القادمة ؟ !

« هذا وانا مشتاق اليك ، والى الاخ الاحب الاغلى حافظ الذى اقبله في وجنتيه وما بين عينيه ، وسلمتما



ذكريات مع أمين نخلة

انت وهو ، وعشتما طويلا ان شاء الله ...

امين نخلة

***

ولئن وفى أمين ـ بعد هذا العتاب المرير ـ بنظم تصدير لديواني « تباريح » فليس معنى ذلك انه مفطور على الوفاء . فالقاعدة عند أمين ـ والحق يقال ـ التهرب من واجبات الوفاء ، فهو مشغول على الدوام بمنافع نفسه ، فلا عجب اذا ما اسخطت هذه الانانية أقرب الاحباب اليه . الم يتهرب من واجبات الوفاء تجاه صديقه وصديق والده الحميم الشاعر العراقي الكبير المرحوم السيد خيري الهنداوي الذى اذهله جحود أمين وتهربه من واجبات الصداقة فوجه اليه القصيدة اللاذعة التالية تحت عنوان « دغدغات » (١) :

امين نخلة والوفاء سجية
موصولة الحلقات بالاباء
هذا ابوك ابو الوفاء وخدنه
واخو الندى ومناط كل رجاء
فعلام تطرح المروءة جانبا
وتخون عهد مودتي واخائي
غادرتني متسكعا في غربتي
وهربت من وجهي بدون حياء
وتركت امالي عليك تواديا
من خيبة منيت بها شنعاء
اوقد امنت قوارصي ولواذعي
حتى اعتزمت قطيعتي وجفائي
لاسودن بك صحائف منشئا
نظما ونثرا محكم الانشاء
ولاجلبن عليك لا خيلا ولا
رجلا ولكن غضبة الشعراء
تمضي الشهور ولا اراك كانني
في مقلتيك قذى من الاقذاء
وتزورني عجلا وتكذب مرة
اخرى بموعد زورتي ولقائي
لولا الوفاء وما بقلبي من هوى
للوادبين لما أطلت ثوائي
ولكنت من بغداد في بحبوحة
للعيش يغبطني عليها الرائي
يلتف حولي معشر من خلتي
هم خيرة الادباء والفضلاء
تصفو الحياة بقربهم فكانما
انا منهم في جنة خضراء
قد كنت لي املا يرف غديره
في روضة التفكير والايحاء
حتى جفوت فعاد رفرف خلده
مستوحش الجنبات والارجاء
ساعود منك بخيبة ممزوجة
من مقلتي بدمعة حمراء

رحمك الله يا عمنا الهنداوي ، فهذا هو أمين الصديق كما عرفناه وخبرناه ، ولو كان أمين الشاعر الاديب كأمين الصديق ، لما اتعبنا انفسنا بالكتابة عنه !.



● خارث طه الراوي ●
● بغداد ●

---

(١) جريدة « الاخبار » البغدادية ـ الملحق بالعدد ٨/١٠٨ سنة ١٩٣٨

تسعدنا بفنها الأصيل .. فردوا لها بعض الجميل

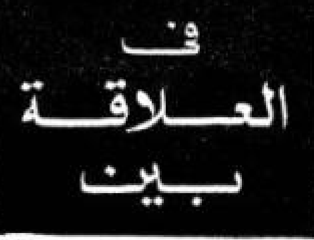


قيمة التذكرة جنيه واحد

يبدأ البيع ٢٣ يوليو ١٩٧٣ • والسحب ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣

تلك النظرية الجريئة







الرجل والمرأة.

● عادل شريف ●

لقيت الكاتبة الامريكية المشهورة « بيرل باك » : وجه ربها في السادس من شهر مارس الماضي .. وهذا اخر مقال كتبته مؤلفة « الارض الطيبة » ، واول امرأة تفوز بجائزة نوبل للآداب ...



● من اشهر روائيات القرن العشرين .

● قال عنها النقاد : « لو كتبت بيرل رواية « الارض الطيبة » وحدها ، لكفاها فخرا وانتاجا ، فهي من اشهر واحب قصص القرن العشرين كله » ..



بيرل بك فى جلسة حانية مع احبائها من الاطفال

لم أعرف سوى القليلات من نساء الغرب قبل أن استقر فى امريكا نهائيا منذ حوالى ثلاثين عاما . لقد ادت بى حياتى فى الصين الى التعرف على المرأة الآسيوية فحسب . وكانت المرأة الغربية ، بالنسبة لى شيئا جديدا ومثيرا ، فالحرية التى كانت تتمتع بها امر لم يكن مالوفا لى .. اذ كان فى استطاعتها ان تروح وتغدو ، وتتمتع بقدر هائل بل مدهش ومثير من المميزات التى كان بعضها يثير اشمئزازى ، كما كان تساهل الاباء والازواج امرا فظيعا بالنسبة لى . ولكونها امرأة فقد اعفيت من العمل الجسدى الشاق ولم ينتظر منها بذل جهد عقلى كبير .

● ولدت بيرل سيدنستر ايكر فى ٢٦ يونيو ١٨٩٢ ببلده هيلزبورو بولاية فيرجينيا الغربية .

● بدأت تعليمها فى شنغهاى واتمته فى كلية راندولف ماكون للبنات بمدينة ليتشبورج بولاية فيرجينيا عام ١٩١٤ .

● عادت الى الصين للتلحق بوالدها الذى كان يعمل مبشرا هناك .. وقامت بالتدريس فى مدينة شين شيانج وجامعة نانكينج .

● ظهرت مقالاتها وقصصها عن الصين فى مجلات امريكا منذ عام ١٩٢٣ .



تلك النظريـة الجريئة

ومن المتناقضات التى « اكتشفتها » أن المرأة تتمتع بفرص متكافئـة مع الرجل فى مجال التعليم والعمـل ، ولكنها لا تستفيد من التعليم والتدريب .. وبدلا من ذلك فانها تزوجت وكونت بيتا وكرست نفسها لمجموعة صغيرة هى .. عائلتها الجديدة !

واسارع الى القول بأنى من أنصار الزواج والبيت والاطفال قلبا وقالبا .. ولا اقلل مقدار ذرة واحدة من دور المرأة الهام كزوجة وأم ..

وهنا يبرز سؤال هام :

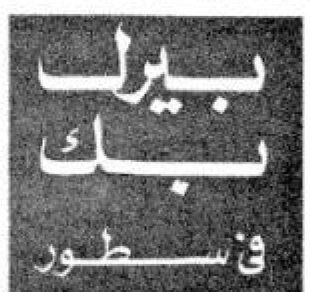
هل أعدت المرأة اعدادا كافيا لهذا الدور الهام ؟ .. وخاصة لو كان هذا الدور هو عملها الوحيد الرئيسى ؟

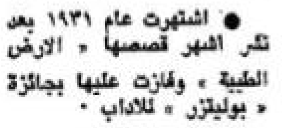
ان اعداد المرأة للحركة والحرية ثم حرمانها منهما لن يؤدى الا الى الفشل وخيبة الامل !

فالمرأة الخائبة الرجاء لا يمكن أن تكون زوجة او اما صالحة مهما احبت زوجها واولادها .

وقد لاحظت ان النساء قد أصبحن بخيبة أمل على الرغم من انهن ينكرن ذلك فى الغالب ، ورغم ما يؤكدن من أن الزواج كان اسمى اعمالهن ، وانه وظيفتهن الطبيعية !

بيد انه رغم كل تلك الحجج فقد كان من الجلى انهن غير راضيـات عن وضعهن كل الرضا ! ..





● اشتهرت عام ١٩٣١ بعد نشر اشهر قصصها « الارض الطيبة » وفازت عليها بجائزة « بوليتزر » للاداب .

● كانت بيـرل اول امرأة تفوز بجائزة « نوبل » للادب عام ١٩٣٨ .

● تزوجت عام ١٩١٧ من جون باك الذى كان يعمـل

والسيب : حياتهن المحمومة المشغبة بين المطبخ والمدرسة ، ووقتهن الذى يتحكم فيه الابناء والازواج ٠

والخدمة ٠٠ شيء جميـــل ونبيل ، ولكنها لا تكون محببة الى النفس الااذا قامت بها المراة وادتها في ســعادة ومرح وبهجة من اعماق القلب وبيال رائق ٠ وقد قدمت المراة خـــدماتها لعائلتها كواجب محتم ، وواجب يشبع منه الحب ويشى بالحب ، ولكن الجو الذى خلقته المراة وهي تؤدى خدماتها كان جوا ٠٠ منقطع الرضا !

تلك النظرية الجريئة

ومن ملاحظاتى الاولى كتبت مؤلفا صغيرا بعنوان « عن الرجال والنساء » لتصلنى الوف الرســائل من الجنسين من شتى اقطار الارض ٠ وبعد عشرين عاما من ظهور كتابى سئلت « هــل غيرت رأيك ؟ » وكان جوابى انه لو اتيحت لى الفرصـــــة لكتبت نفس ما كتبت مع اضافة جزء ثان لنفس الكتاب !

فالكثير مما كان قائما كحقيقة منذ اكثر من ربع قرن ما زال قائما كحقيقة حتى يومنا هذا ٠ فتعليم المراة لم يتغير او يتبدل فى الوقت الذى ازدادت فيه خيبة املها وضوحا رغم محـــاولات التقليل من سخطها ٠

فهى تعمل خـــارج البيت لتشكل حوالى ثلث القوة العاملة ، ومع ذلك بقى وضعها الاساسى على ما كان عليه مع اختلاف كبير ملحوظ مذهل ،فالمراة لم تتغير ٠٠ وان تغير الرجل ! ٠

فمنذ جيلين كان سلوك الرجل نحو المراة يتسم بالتسامح ، وان اتصـــف بالاستعلاء ! ٠٠ ففى ذلك الوقت كان عمل المراة الزوجة دليل عجز الزوج عن كفالة عائلته واعالتها ٠ ولم يصبح هذا حقيقة فى يومنا هذا ، فشباب هذه الايام يتوقع من الزوجات أن يسهمن فى نفقات الاسرة اذا اســــــتدعت

مبشرا فى الصين وطلقت عنه عام ١٩٣٤ ، ثم تزوجت فى ١٩٣٥ من ريتشارد والش ، وهو ناشر من نيويورك ولكنها احتفظت بلقب زوجها الاول ، واستمرت فى الكتابة باســم « بيرل باك » ٠

● فى عام ١٩٣٢ ظهــرت روايتها « الابناء » وتلتهـــا « البيت المقســم » فى ١٩٣٥ الذى نشرت فيه الثلاثية كاملة باسم « بيت الارض » ٠

● من قصصها « الــزوجة الاولى » ١٩٣٣ و « المواطــن الحـــر » ١٩٣٩ و « الالهة الاخرى » ١٩٤٠ و « نســل



تلك النظرية الجريئة

الضرورة ذلك ، واذا لم تكن هناك حاجة الى ذلك فانهم يشجعون زوجاتهم على القيام بالاعمال فى المجالات التى تناسبهن أو التى يملن اليها .

ويعنى ذلك انه قد أصبح للرجل تقييم عصرى جديد لما تستطيع وما يجب ان تقوم المرأة به !

وهذا التغيير الذى ظهر بعد الحرب العالمية الثانية كان نتيجة عوامل عديدة . فما اكثر ما يقال عن اثراء الجنس فى ادبنا واعلاناتنا وعاداتنا الاجتماعية بدرجة شديدة الوضوح . ولعل ذلك هو التطور الواضح الوحيد عن الماضى الذى كان فيه للمرأة الطيبة اهتمام قليل بالجنس أو معدوم ولكن ذلك لا ينفى ان المرأة الخبيثة لم يكن لها وجود فى ذلك الماضى ..

ولكن ما الذى حرك الثورة فى علاقة الرجل والمرأة ؟

انها تلك النظرية الجريئة التى قالت بان المرأة تستمتع بالجنس أسوة بالرجل ، وان اختلفت الوسيلة ، واكتشاف الرجل بأنه يستمتع اكثر واكثر اذا استمتعت به المرأة ايضا .

وبذلك اصبح الرجل والمرأة شريكين ليس فى التناسل والانتاج فحسب بل فى الاستمتاع بالخلق والسعادة التى يولدها الخلق . فالشباب من أزواج هذه الايام يريدون المشاركة فيما هو



التنين » ١٩٤٢ و « بعيد وقريب » ١٩٤٧ ، ومجموعة قصص قصيرة باسم « الطفل الذى لم ينم أبدا » ١٩٥٠ عن ابنتها المتخلفة .

● فى ١٩٥٤ نشرت قصة حياتها بعنوان «عوالمى العديدة» وفى عام ١٩٥٦ نشرت رائعتها « المرأة الامبراطورة » .

اكثر من لحظة الحمل . فهم يشاركون الى حد بعيد فى فترة الحمل ، ولحظة الميلاد ، ورعاية الطفل ، وتربية الابناء ونموهم . ولا اقول بأن جميع الرجال يشاركون فى هذه الفترات والمراحل ، ولكن الاصغر والاكثر شبابا يشاركون بالفعل ويبغون تلك المشاركة .

ويعتبر مجرد رغبتهم فى المشاركة أمرا هاما فى حد ذاته . فالرجل الحقيقى هو الذى لا يحس بأن تغييره للابس وليده المبتلة او غسيله للصحون أمر يهدر رجولته .

والاهتمام الجديد الذى يبديه الرجل بالمرأة قد يكون ركيزة تقدير جديد للجنس، ولكنه يتطور الى مفهوم ووعى يؤكدان ان المرأة مخلوق مساو للرجل

ومنذ أحس الرجل بأن المرأة تشاركه هذه الحاجة الاساسية ازداد ميله الى ان تشاركه جوانب الحياة الاخرى ، فقد اكتشف انه يميل الى مخاطبة ذكاء المرأة . فلكم كان ينفد صبره عندما كان حديثها يقتصر على توافه الامور ، والقيل والقال ، وأحداث اليوم المعتادة المملة ! .. ولم يحدث من قبل أن وجدت المرأة الذكية والمتعلمة رفيقا ممتازا كما تجد اليوم ..

ما وراء الباب المفتوح

ومن الحقائق المعاصرة التى تركت فى أبلغ الاثر تلك الحقيقة التى تؤكد أن الرجل فى الوقت الذى يحتاج فيه الى رفقة المرأة فى مجال الجنس ، فانه يحتاج اليها والى رفقتها أكثر وأكثر فى مجال الروح والثقافة والفكر .

ولكم اخشى على الدنيا اذا لم تدرك نساؤها هذا التغير فى مسلك الرجل. فالرجل لو خاب أمله فى المرأة فانها ستصبح مسئولة لو عاش الرجل مرحلة شك ويأس يلجأ فيها الى القسوة فى معاملتها

ولو وعت المرأة الفرصة والمسئولية

● كانت تحب الاطفال كثيرا وقد تبنت الكثيرين من اطفال الاسيويين والافريقيين . وعاشوا معها فى مزرعتها الكبيرة فى بنسلفانيا التى استقرت فيها فى امريكا بعد حياتها الطويلة فى الصين ، ارض الكثير من قصصها .

● عاشت فى مزرعتها الامريكية على غرار حياة عائلات الصين القديمة ـ والريف المصرى و « دوار » العائلة فى القرية ـ فكانت تبنى لكل من يتزوج من ابنائها منزلا صغيرا ملحقا بـ « البيت الكبير » .

● روت قصة حياة أبيها



المتاحتين لها الان ، واستغلت تلك الفرصة وحملت تلك المسئولية وارتفعت الى مستواها ، فانها ستدخل مرحلة جديدة من مراحل حياتها ، تكون فيها حريتها حرية مطلقة في عالم يعاني اختيارا مجهدا صعبا بين الخير والشر . ولو نضجت المرأة بسرعة لشاركت في اقدار العالم الذى نعيشه. بل والذى يجب ان نعيشه .

ان موقف التحدى الذى يتخذه الرجل حيال المرأة فى عالم اليوم بسيط وواضح . فالرجل يريد من المرأة ان تكون ذكية بقدر ما هى جميلة . وكل ادوات التجميل فى العالم لن تجدى اذا كان العقل الموجود فى داخل ذلك الرأس الجميل ـ المعنى كل العناية بتسريحة شعره ! ـ تافها أو صغيرا .. أو لو كان ذلك الرأس الجميل .. فارغا ! فالرجل الحقيقى فى يومنا هذا يريد امرأة حقيقية متكاملة !

وعليه ، فيجب اعادة تحديد معنى الفتنة والسحر والجمال .. ليتضمن المعنى سحر الذهن اليقظ الحى . والتفكير ، والتخيل ، والرؤية والتحليل . والاستمتاع بكل ما يمكن ان تقدمه الحياة . ومن ثم فان الزواج بالنسبة لنساء اليوم يجب ان يكون شيئا اكثر من الجنس والبيت والاسرة

ويا له من تحد ! ..

فالباب مفتوح على مصراعيه للمرأة لتدخل الدنيا ، ولتغزو العالم ولكن المشهد الضخم المذهل الكامن



« ايسالوم سيدنسترايكر » فى كتاب بعنوان « الملاك المقاتل » وامها « كارولين » فى كتاب اسمه « المنفى » وقد صدر الكتابان عام ١٩٣٦ .

● الفت كتبا عن الحياة فى امريكا ونشرتها باسم مستعار هو « جون سيدجز » ومنهـا

وراء هذا الباب بخيفها ، والخوف والاستياء امران طبيعيان وان كانا يخلوان من الذكاء • فكل خطوة نحو حياة جديدة تكون محفوفة بالخوف والصعاب • والطفل عند مولده يأتى الى العالم الاكبر ـ من بعد عالم الرحم الاصغر ـ بلا فرحة ، بل بصرخة غضب وخوف •• وعندما يأتيه الموت يكون الخوف اكبر واعمق •

وقد عاشت المرأة حياة سهلة رغدة •• وأقول ذلك آخذة فى اعتبارى كل ما لاقته من صعاب ومشاق وتعب وجهد وحمل وكد وكدح ، ولكن اشق عمل فى دنيانا هو تحمل المسئولية ، وقد حملها الرجل لا المرأة مع استثناءات قليلة معروفة •• فالرجل هو الذى حمل المسئولية على كتفيه وخرج من الباب المفتوح ، بينما بقيت هى آمنة تحت السقف مدركة انه سوف يعود ، وقامت ـ فى نفس الوقت ـ بغسل الصحون ، وعملها اليومى ، وانشغلت بعالمها المحدود •

وتكمن مشكلة المرأة فى ضرورة ازالة « حدود » عملها ، وتحطيم قيود واغلال عالمها المحدود ، فعلى المرأة أن تهتم بكل شيء فى الدنيا ، وبكل ما هو مفيد فى العالم ••

ولو حالت ادارتها لشئون بيتها دون تطورها ، فان أبسط الحقائق تؤكد ضرورة تغير المرأة بطريقة اداء واجباتها المنزلية • فذكاء المرأة وفكرها وعقلها •• امور مطلوبة اليوم فى كل ميدان من ميادين الحياة •

والمطلب قائم ••

والفرصة سانحة ••

ولا يمكن ان نلقا مشكلة منزلية يستحيل حلها ، لو عملت النساء معا واحسن التخطيط والتدبير • وعلى المرأة اليوم ان تعيد تقييم موقفها من ذلك الباب المفتوح على مصراعيه •• فالرجل يحتاج الى المرأة اليوم ، كما لم يحتج اليها من قبل !

« رجل المدينة » ١٩٤٥ و « الموكب البهيج » ١٩٥٢ و « اصوات فى المنزل » ١٩٥٣ •

● الفت الكثير من قصص الاطفال ومنها « جيراننا الاطفال الصينيون » ١٩٤٢ و « يوم مرح » ١٩٥٠ و « مرحبا ايها الطفل » ١٩٦٤ •

● كان آخر كتبها « الموت فى القلعة » الذى صدر فى عام ١٩٦٥ ، وكانت تهوى التأليف والكتابة منذ طفولتها •• وقد وصفت نفسها قائلة : « انني من المخلوقات السيئة الحظ التى لا تستطيع ان تؤدى عملها تماما ما لم تكتب ، او تكون قد كتبت ، او تشرع فى كتابة •• قصة •• !! » ••

أمة الخلود

لما يزل يقرع اسماع المدى رجع صدى هتافها
لما يزل يصفع وجه الليل كف الصبح من اشرافها
ايامها الفيحاء ما زالت يشع العطر فى أكنافها
ابراجها الشهباء ما انفك السنا يحبو على اكتافها
فى موكب لا ينتهى عبر الليالى والتخوم
فى قلعة تبنى على الارض بافلاذ النجوم
كانت وكان الحق من فرسانها
خاضت به الدنيا الى سلطانها
لا تسالوا الايام عن اشجانها
الياس شىء ليس فى حسبانها
اميرة الزمان لاتعرف الدموع
كم حطمت سنان وأوقدت شموع
بالحب والامان والعدل فى الربوع
فيهتف المكان وتنشد الجموع
انشودة الشمس التى اهدت الى الارض شذى سلافها
انشودة تحمل مجد الحب والسلام فى شفافها

***

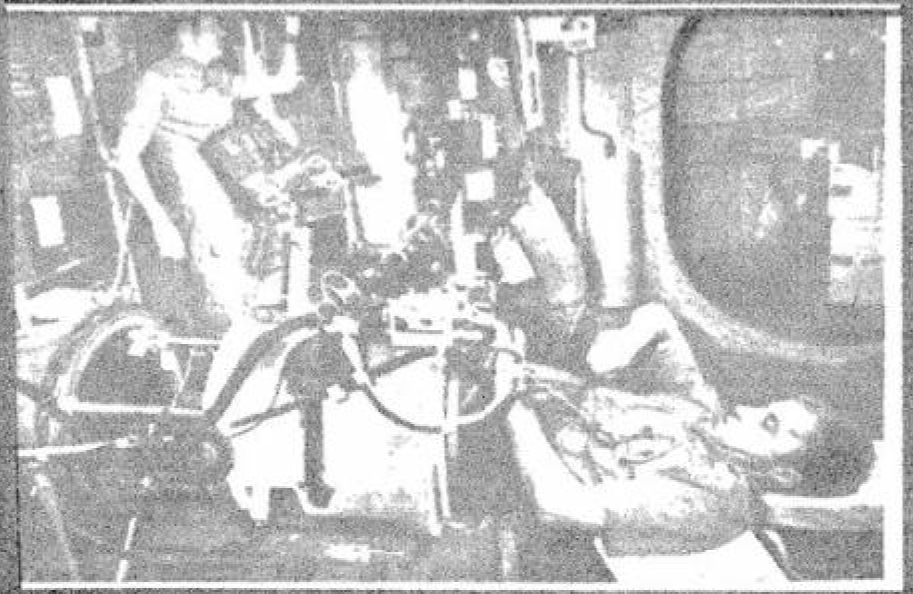
هل يذكر الضحى زمان كان يسعى فى حمى ركابها
هل تذكر الاقدار كيف اقبلت تجثو على اعتابها
كيف عناق النجم كيف قبلة الشمس على قبابها
وبأس اقوام مضوا يصارعون الهول فى شبابها
جبارة التاريخ كم شقت الى المجد الدروب
تمشى على وجه الردى العاتى وتلهو بالخطوب
تاهت على الاحرار من اقرانها
بالمعجز القدسى فى قرآنها

● محمود العتريس ●

لو نال مكر البغى من احيانهـــا
راحت تهز الأرض من أركانهـــا
رايتهـــا تثـــور فتشعل الطـــريق
وتسكب العصـــور فى لجـــة الحـــريق
فترقص العطـــور ويضحك البريق
وتقفز القصـــور الا من الصـــديق
فى « عبد شمس » ووقوف الشرق نشوان الصبـــا ببابها
وعـــزة العـــرب وأنـــوار الهـــدى تشرق فى اصـــلابها

***

رايتها عبر المدى تلملم الشتيت من امجـــادها
وتجمع النور الذى لا ينطفى رغم هوى حســـادها
فى مشعل الوحدة مجلو السنا فوق ذرى نجـــادها
تحميه من بطش الدجى سواعد الاحرار من أجنادها
عزم صلاح الدين والجيش واشراق البنود
الملة السمحاء لا تألوا الى النجم الصـــعود
ما دام سيف الحق فى ايمانهـــا
والعـــدل والاحسان من اركانهـــا
مهما ينال البغى من بنيانهـــا
فاليأس شيء ليس فى وجـــدانها
اواصر الحيـــاه وثيقـــة العهـــود
يجلهـــا البنـــاه جلالة الســـجود
ما يقطع الجنـــاه يوصله الجنـــود
وموكب مـــداه فى لا مدى الخلـــود
من الخليج للمحيط أمـــة البـــأس فى بلادهـــا
لا ترتضى دون لواء النصر خفاقا على اعيـــادها



فى معمل « سكاى لاب » الغرفة الطبية لاجراء الفحوص على تأثير حالة انعدام الوزن

الرواد الثلاثة يتناولون الطعام على مائدة خاصة فى المعمل الفضائى



• ميشيل تكلا •

أسطورة تدور في .. الفضاء

انه معمل ضخم ، ذلك الذى يدور حاليا على ارتفاع ٢٧٠ ميلا فى مدار حول الارض ... وهو برغم ضخامته ، يعد من مركبات الفضاء البالغة التعقيد التى استطاع انسان هذا القرن ان يبنيها ويطلقها الى الفضاء العريض .. فطولها ينيف على ١١٨ قدما ، ووزنها اكثر من مائة طن ، وتحتوى من الداخل على ثلاث غرف مفروشة ينام فى كل منها رائد من رواد الفضاء ، وقاعة لتناول الطعام وحمام به ماء بارد وساخن ، ونافذة عريضة يطلون منها على الكرة الارضية وقمرها الذى يدور حولها بانتظام ...



◆ يحمل المعمل الذى يدور فى الفضاء ٧٢٠ جالونا من الماء واكثـــر من الفى رطل من الطعام وعددا ضخما من الاجهـــزة العلمية والطبية لاجراء تجارب علمية دقيقة خلال عدد طويل من شــــهور الدوران حول الارض ..

والمعمل من الداخل والخارج يبدو كأنه اسطورة من الاساطير التى دونت فى اوديسيا الفضاء · والفرق بينه وبينها انه معمل حقيقى طائر يعـد الاول فى نوعه من المعامل الامريكيـة بعد المعملين اللذين اطلقهما الاتحـاد السوفييتى « ساليوت الاول » الذى انتهت رحلة رواده بكارثة فهبطوا الى الارض بعد ان فارقوا الحيــــاة ، و « ساليوت الثانى » الذى اطلــق الى الفضاء الخارجى فى اوائل شهر ابريل الماضى · ثم انفجر فى يوم ٢٥ ابريل وانقلبت المحطة على نفســها وانفصلت عنها عدة اجزاء كما انقطع عنها التيار الكهربائى وكان مقررا ان يتم اطلاق فريق من رواد الفضــــاء السوفييت للالتحام بالمحطة الفضـائية والانتقـــال اليها والدوران عدة ايام حول الارض · ولكن الكارثة التى حلت بالمحطة الضخمة عطلت سـفر هؤلاء الرواد بعد ان انفق الاتحاد السوفييتى على البرنامج ملايين الروبلات ..

اطلق معمل الفضاء الضخم (سكاى لاب) يوم ١٤ مايو بواسطة صاروخ ساتيرن العملاق الى ارتفاع ٢٧٠ ميلا عن الارض .. وبعدها بايام انطلق صاروخ آخر بمركبة من مركبات ابوللو وبداخلهـا ثلاثة من الرواد ، داروا حول الارض فى بادىء الامر ، وبعد سبع ساعات التحمت المركبة بالمعمل الطائر وانتقل منها الرواد الى داخله حيث يمكثون به ٢٨ يوما ، وهى مدة تزيد باربعة ايام عن المدة التى قضاها الرواد السوفييت فى معملهم فى عام ١٩٧١ ·

وقبل نهاية هذا العام سوف يرسل طاقمان آخران يتكـــون كل طاقم من ثلاثة رواد ليمكثوا بداخله ٥٦ يوما ، وتكاليف هذه البعثات الثــلاث تبلغ مليارين ونصف مليار من الدولارات ·

وقد تبدو هذه الرحلة التى يقوم بها رواد الفضاء مملة بالنسبة لهم وللناس على حد سواء ، ولن تكون مثيرة مثل رحلات ابوللو التى هبط فيها الرواد ست مرات فوق سطح القمر · ولكن الحقيقة ان مهمة هذا المعمل الطائر سوف تكون ذات اثر فعال ، وتأتى بنتائج باهرة لم يحققها الانسان من قبل · ومنها ان يعرف الانسان الى اى مدى يســتطيع ان يعيش ويعمل فى الفراغ خلال الفترات الطويلة من الزمن اللازمة للسفر الى الكواكب والاقمار البعيدة ..

يقول « روكو بترون » المدير السابق لبرنامج ابوللو : « كنا فى مركبات ابوللو مثل كرستوفر كولبس متجهين نحو المجهول .. اما فى معمل الفضاء فاننا نصبح كالذين يحاولون الاستقرار فى العالم الجديد .. !! » ·

والرواد الثلاثة الذين يعملون فى المعمل الطائر وهم تشارلس كونراد الصــغير ، وبول وايتز ، وجوزيف كروين – يوزعون العمـــل بينهم فى اقسام المعمــل الاربعة الرئيسية : فالمعمل الرئيسى او « الورشة » عرضها ٢٢ قدما وتحتوى على غرف المعيشـة والراحة والكتبة ، والقسم الثــانى

عبارة عن ممر بين « الورشة » ومركبة القيادة من طراز ابوللو ويحتوى على التلسكوب الخاص ببحوث الفضـــاء والقسم الثالث ويشتمل على مرصـــد ابوللو وهو مرصد شمسى فى مدار الارض وبه ثمانية تليسكوبات منفصلة مختلفة للمراقبة الفلكية ٠ والقســم الرابع عبارة عن مركبة هوائية تعمل كغرفة تكييف للخروج منها الى الفراغ والدخول اليها ٠ وتعد العصب المركزى للمحطة كلها ٠ وهى معدة بأجهـــزة حرارية وكهربائية ولاسلكية ٠ وكذلك مبرقة كاتبة تسجل كتابة أحـــدث التفاصيل عن خط السير والتى تنقل عبر الاثير من غرفة العمليات الارضية فى مدينة هيوستون ٠٠

حالة انعدام الوزن

عندما يصبح الرواد فى حالة انعدام الوزن فانهم سوف يسبحون من قسم الى قسم ويرتدون محـــركات نفاثة تدفعهم بسرعة عقدتين فى الساعة ٠ ولسهولة الاتصال بمركز الفضـــاء الارضى يستخدمون الاجهزة اللاسلكية المنتشرة علىجوانب المعمل، وفى الوقت نفســه تمكنهم الازرار الكهربائية من التحكم فى جو المعمل وتكييفه تكييفـا يناسبهم فيرفعون من درجة الحـــرارة أو يقللونها ٠ ولا بد من توليـــد طاقة مستمرة لادارة اجهزة المعمـــل لذلك فان اجنحته الضخمة الشمسية تحول اشعاعات الشمس مباشرة الى



قطاع من الورشة المدارية بالمعمل الفضائى سكاى لاب



كهرباء وتولد قوة قدرها ١٢٠٠٠ وات، وهي قوة كافية لادارة عشرة بيوت من بيوتنا الارضية ·

وعلى عكس مركبات ابوللو القمرية التي كان يزدحم فيها الرواد فانهم في المعمل الجوي يتمتعون بفراغات كثيرة ويعد كل واحد منهم وجبات الغذاء بالطريقة التي يفضلها بما في ذلك استخدام اجهزة لتسخين الطعام المجمد كاللحوم والاسماك ·

ولاول مرة في تاريخ مركبات الفضاء سوف تجرى بحوث دقيقة على مخلفات جسم كل رائد من الرواد وذلك بتجميدها وتحليلها كيميائيا عندما يعودون الى الارض · وسوف يرتدى الرواد ملابس مصنوعة من نسيج غير قابل للاشتعال · واذا ذهبوا الى النوم دخلوا في زكائب نوم خاصة مربوطة باحكام بجدران المركبة او سقفها ، ويرتدى احدهم رداء ليليا خاصا به اجهزة حساسة تمكن علماء مركز الفضاء في هيوستون من قياس موجات المخ اثناء الاستغراق في النوم · وقبل ان ينام الرائد يتصفح بعض المجلات او يقرأ في كتاب او يستمع الى موسيقى هادئة او يلعب الورق مع زميل من زملائه ··

وبجانب ما يقوم به الرواد حاليا من دراسات فلكية على جانب كبير من الاهمية وهم على هذا الارتفاع الهائل من الكرة الارضية ، يلحصون في الوقت ذاته الكرة الارضية واثر انعدام الوزن على المعادن السائلة او المنصهرة ·· كما يجرون تسع عشرة تجربة منها مراقبة ما يحدث على مزارع البكتريا عند صفر الجاذبية ·

ولعل اهم هذه التجارب هي استجابة الرواد لطريقة الحياة في الفراغ وما سوف يطرأ عليها من تطورات · فتحت مراقبة الرائد كروين – اول طبيب يؤدى عمله في الفراغ – يستخدم كل رائد دراجة خاصة لفحص وتسجيل التغييرات التي تحدث على عضلات جسمه اثناء القيام بهذه الرياضة · او يجلس كل واحد منهم على مقعد يدور بسرعة ويسجل ما يعترى جسمه من ارهاق ، او يدلف الى غرفة اسطوانية الشكل تشبه الى حد كبير الرئة الحديدية حيث تلتقط بعض صور لقلوبهم · ويقوم الرواد حاليا بوزن انفسهم كل يوم على ميزان خاص يحسب كتلة الرائد وذلك بتطبيق قانون نيوتن الذى يقول ان القوة تساوى الكتلة مضروبة في سرعتها ·

وبعد الفضاء اليوم الثامن والعشرين سوف يرتدى الرواد الزى الخاص بالفضاء ثم يزحفون الى مركبة القيادة ويهبطون بها الى المحيط الباسيفيكي تاركين وراءهم المعمل الضخم يدور وحده بانتظام عدة شهور حتى يحين موعد اطلاق عدد آخر من الرواد لاجراء تجارب جديدة على المعادن المصهورة وهم على هذا العلو الشاهق من الارض ··

دراسات فيزيائية وجيوفيزيقية

ان فكرة اطلاق محطات الفضاء المدارية تبلورت في اذهان العلماء منذ سنوات مضت ، بعد نجاح بحوث الفضاء المختلفة وهبوط الانسان على سطح القمر اكثر من مرة ·· وكان هدف الاتحاد السوفييتي استخدام هذه المحطات لانجاز بحوث

فيزيائية وجيوفيزيقية باعتبارها من المعامل السابحة فى الفراغ لدراسة الاشعة الكونية واحزمة الاشعاعات التى تغلف كوكبنا ، وكذلك للقيام باعمال الرصد اللازمة لدراسة الاعاصير المغناطيسية وسحب الغبار الكونى والرياح الشمسية ، ورصد الاجسام السماوية من وراء الغلاف الجوى ، ومتابعة مسار الاشعة فوق البنفسجية ، وامطار الجزئيات والشهب الدقيقة . اما هدف الولايات المتحدة فهو ارساء المعامل الطائرة الى ضعف الارتفاع الذى بلغته المحطات السوفييتية واثبات مدى قدرة الانسان على العمل فى الفضاء ولمدة تتراوح من ٢٨ الى ٥٦ يوما متصلة .

ولو عدنا الى الوراء قليلا لوجدنا انه فى اوائل الستينات اتجهت افكار العلماء الى احتمال اجراء تجارب بسيطة لمعرفة قدرة الانسان على التكيف بالفراغ بشرط ان تجرى فى داخل مركبات صاروخية تستطيع ان تعمل فى محطات فضاء اولية .

ورغم بساطة الفكرة فقد اقتنع بها عدد كبير من العلماء والمهندسين ، ومن ثم تدرج التفكير الى ضرورة انشاء معمل جوى يدور حول الكرة الارضية ، وبداخله ثلاثة من الرواد يقومون بكل التجارب اللازمة ويديرونه لمدة سبعة اشهر ، على ان تطلق المحطة بدون رواد فى اول الامر . ويصل اليها الرواد فى مركبات (سيوز) او (ابوللو) . ويدخل الرواد كبسولتهم الصغيرة التى ينقلها بها صاروخ الى مدار اعلى قليلا من مدار المعمل ثم يلتحم بالمعمل الطائر ومن مركبتهم ينتقلون الى داخله لانجاز تجاريبهم .

والتجارب التى سيقوم بها الرواد الامريكيون تعد مثيرة ودقيقة فسوف يقومون بصناعة بللورات من الماس مباشرة من بخار الكربون ، وانتاج كميات من البلوتنيوم اللازم للوقود النووى ، واقامة مزارع لنمو المضادات الحيوية للبنسلين بطريقة اسرع من تلك المستخدمة فى المعامل الارضية . واخيرا انتاج عدد من المعادن ذات القدرات العالية ، وسيقوم الرواد باجراء هذه التجارب المثيرة لاول مرة فى تاريخ الكون للعيش مع هذه المعادن الغريبة او الجديدة ، وانتاج عدد منها على درجة كبيرة من النقاوة .

لقد رأى العلماء انه يمكن استخدام وسائل جديدة لصناعة الاشياء التى لا يمكن صناعتها فى الكرة الارضية ، لانه لا يمكن تقليد انعدام الجاذبية على كوكبنا الارضى . وفى حالة انعدام الوزن التى سيمارسها رجل الفضاء يصبح من السهل عليه ان يسبك المعادن المنصهرة او صناعة بللورة من بللورات الماس الصافى ، وخلط المعادن بعضها مع بعض . وتحتاج الصناعات الحديثة الى بللورات كاملة تستخلص عادة من المادة المنصهرة ولكنها لا تكون تامة النقاء . اما فى صفر الجاذبية فيمكن التحكم فى المادة المنصهرة فى الفراغ الكامل لاختيار اضخم البللورات واحسنها ..

وفى المعمل الجوى الامريكى الذى يدور حاليا حول الارض على هذا الارتفاع الشاهق توجد افران خاصة تقوم بصهر المواد وذلك عن طريق عدد من المرايا تركز حرارة الشمس على فرن مركزى لصهر المعادن المطلوبة .. ولا يستطيع العلماء التكهن بما سوف تكون عليه هذه التجارب . او الفائدة من استخدام معدن جديد لم يكتب له البقاء بعد .

ومن هذه المعادن على سبيل المثال معدن الجاليوم الذى ينتج الموجات الدقيقة او نبضات الضوء ، وهو افضل من السيليكون والجرمانيوم ، وهما يستخدمان حاليا فى صناعة الترانزستور ، ولم يستطع العلماء تنقية هذا المعدن ولكن العالم روبرت مالزلسكى اجرى تجربة لاستخراج

بللورات المعدن عند صفر الجاذبية ، والكميات المطلوبة من هذا المعدن في الاجهزة الالكترونية دقيقة جدا ونادرة لذلك رأى العلماء ضرورة انتاجه على هذا العلو الشاهق من الارض ، فاذا تحقق ذلك فان مثل هذه السبائك التى تصنع منها معين الجاليوم قد لاتقدر بمال ٠

ولعل المشكلة الاخرى التى لم يتمكن العلماء من حلها فى المعامل الارضية هى مشكلة المركبات المعدنية القوية التى تتكون على هيئة سلوك معدنية طويلة مثل الياقوت الأزرق ، وبما انهـــا بللورات كاملة فهى اقوى من المواد الاخرى العاديةبعدة مرات ٠ فاذا خلطت هذه المركبات بمعدن مصهود فانها تقوى الخليط وتجعله شـــديد الصلابة ٠ ولكن من العسير اجراء ذلك ، لأن المركبات تنفصــــــــل عن الخليط اما فى حالة انعدام الوزن فان المركبـــات تندمج اندماجـــا تاما مع المعادن المصهورة وتكون سبائك ذات قدرة خيالية على تحمل درجات الحرارة العالية لاســـــتخدامها فى صناعة التوربينات أو افــــــــران المفاعلات النووية

ويتوقع العلماء نجاحا مذهـــــلا لتجارب المعمل الجوية ، فالبللورات التى تستخدم فى المركبات الالكترونية مثل اشعة ليزر يتكلف الرطل الواحد منها من اربعة آلاف جنيه استرليني

الى اربعين الفا ٠٠٠

الورشة المدارية

من اهم اجزاء المعمل الجـــــوى ، الورشة المدارية ، التى ستصبح المكان الذى يعيش فى داخـلـه رائد الفضاء وهو فى مداره حول الارض، كما ستكون بمثابة معمل يجرى فيه تجاربه ٠ وهذه الورشــــــة المدارية عبارة عن خزانات فارغة تكشف عن نفسها فى المرحلة الثانية للصاروخ الذى يستخدم لارســـــــاء مركبات ابوللو فى مدار الارض ، وبعــــد ذلك يقـــوم بقيادة نفس المركبة الى القمر ، وسوف تملأ هذه الخزانات بجميع الاجهزة اللازمة لحياة هؤلاء الرواد ، وبكل العقـــول الالكترونية الضرورية لاتمام التجارب العلمية ٠ كما سيحتوى على محركين نفاثين منفصلين بحيث يمكن تحويل الخزان السفلى الى مخزن للقمامة ، بينمـــا ينقسم الخزان العلوى الى قسمين : الاسـفل ويحتوى على منطقة الحياة والاعلى كمعمل اساسى ٠٠٠

ومنطقة الحيـــاة تتكون من ثلاث غرف للنوم والعمل والتخزين ودورة المياه ٠ وسوف يمد العمل لاول مرة رجل الفضاء بفراغ كبيـــــر للتحـرك بحرية تامة عندما يصل الى المدار ٠ ولن ياكل او ينام الرائد فى مقصورة القيادة ، بل يتناول طعامه فى غرفة خاصة بها مقاعد ومنضـــــدة دائرية مقسمة الى ثلاثة اقســـام ٠٠ وينام فى حجرة نوم خاصة وبدورة المياه ماء ساخن للاســـتحمام وفى المخزن مجموعة كبيرة من الطعام المحفوظ ٠ اما الاضواء الملونة فهى مريحة للعين ومصممة بطريقة تدخل على النفس نوعا من الطمـــأنينة والهـــــدوء ٠ ويســـــتطيع رائد الفضاء ان يجعل بيته الجوى نظيفا باستمرار ويسدل

ستائر سميكة على نوافذ وابواب كل غرفة حتى يشعر بالحرية التامة . وفي الحائط الخارجي للمركبة توجد نافذة يرقب بها رائد الفضاء الارض وهو جالس في غرفة الطعام

وفي المعمل الذي يدور حاليا حول الارض يعيش الرواد في حالة انعدام للوزن بصفة دائمة طول مدة بقائهم فيه . واثناء ذلك يفحص علماء الارض ردود الفعل التي تنشأ عن هذه الحالة كما يجرون عدة فحوص شاملة ومستمرة على صحة هؤلاء الرواد لاكتشاف اي خلل قد يطرأ عليهم اثناء حالة انعدام الوزن اي عند صفر الجاذبية . فاذا وجد العلماء انه يمكن للرواد ان يعيشوا ويعملوا لمدة طويلة تحت هذه الظروف ، فان محطات المستقبل قد لا تحتاج الى خطط معقدة لخلق جاذبية صناعية .

وبرغم ان الحياة في داخل هذا المعمل الجوي تعد في حد ذاتها من التجارب الاساسية التي يقوم بها الانسان على هذا البعد الشاهق من الارض ، فان هناك سلسلة من الملاحظات يجب تدوينها اولا باول ومنها :

مراقبة انعدام الجاذبية واثرها على خلايا جسم الانسان وعلى اعضائه الاساسية وتكوين العظام . وقياس طاقة الجسم المستخدمة ، وقياس احتمال جفاف الجسم وتجريده من الماء ، والتاكد من استطاعة الانسان العمل بانتظام في بيئة الفراغ المستخدمة بالنسبة له . كما ستختبر بعض التجارب الطرق التكنولوجية والاجهزة للعمل خارج محطة الفضاء ، ويشمل هذا البرنامج دراسة الفلك والتصوير الشمسي وجمع الشهب الدقيقة مع دراسة كاملة لاختبار قدرة المعادن على الانتفاخ وحمايتها من الحرارة بطلاءات خاصة .

وتوجد حول المحطة خزانات دائرية الشكل بها محركات للنفاثات الغازية الصغيرة التي تستخدم لحفظ مكان المحطة ، واجراء مناورات مدارية صغيرة، وهذه الخزانات وكذلك الجسم الخارجي للورشة المدارية مغطاة بدروع قوية لا تؤثر فيها الشهب والنيازك . وعلى جوانب الورشة توجد مركبتان هوائيتان مثبتتان على درجة ١٨٠ احداهما موجهة نحو الارض والاخرى نحو النظام الشمسي ويستطيع رائد الفضاء ان يجري تجارب في هاتين المركبتين من داخل الورشة ، وذلك بفتح الباب الخارجي واجراء التجربة مباشرة في الفراغ الخارجي .

وعلى جانبي الورشة ايضا توجد غرفتان شمسيتان على هيئة جناحين فعندما تصبح المحطة في ضوء الشمس تمد الغرفتان المحطة بالقوة الكهربائية اللازمة . واذا دلفت الى الظلام تقوم بطاريات خاصة بامدادها بالطاقة الضرورية .

ومن اهم اجزاء هذه المحطة تلسكوب ضخم يباشر عمله مع عدة تلسكوبات صغيرة يستطيع رواد الفضاء او علماء الارض عن طريقها مشاهدة الظواهر الشمسية التي لم يرها الانسان من قبل حيث تنعدم السحب عند هذا الارتفاع الشاهق من الارض . ويقدر العلماء انه في غضون سنوات قليلة سوف تمد هذه التلسكوبات المدارية الانسان بمعلومات هامة عن الكون لم يستطع العلماء جمعها خلال الثلاثة الاف سنة الماضية عندما شرع الانسان يدرس الفضاء ..




قصة
سحابة
زيت

● إحسان كمال ●

ارتفعت الاصوات من اكثر من جانب : « حاسب .. حاسب » !

وعندئذ فقط تنبه فراش القطار الى خيط من الزيت ينساب من الصندوق الكرتون الذى كان يهم برفعه فوق الشبكة ، فاعاده سريعا الى الارض بين تعليقات الركاب ، وسخط صاحب الصندوق :

ـ الم اقل لك بالراحة على الصندوق ؟ ..

.. من حسن الحظ ان الزيت المسكوب كله من نصيب الارض ، فلم يصب القاعد ولا الجالسين .. وكان لابد من انقاذ ما يمكن انقاذه الا انه لم يكن من المستطاع والصندوق مقفل معرفة الاتجاه الراسى لزجاجة الزيت .

من كان يصدق ان ذلك الصندوق يحوى كل تلك الاشياء ؟ .. لقد ملأت محتوياته الممر بين الاريكتين ، ومع ذلك مازالت الايدى تروح وتجىء بينه وبين الارض

ودخل اثنان ، رجل وامرأة .. يمسك كل منهما بنسخة مصغرة منه فى يده .. ووقف الرجل ينظر فى تذاكره يقارن بينها وبين الكراسى .. واكتشف انكراسيهم هى المقابلة لكراسى اصحاب صندوق العجائب ..

وكانت اصابع الزوج قد وصلت الى زجاجة الزيت اللعينة لاخذ يسويها واقفة ويحكم غطاءها ، وهو يعتذر للاسرة القادمة ،

وزوجته تشاركه الاعتذار ما وسعها .. لكن اسارير القادمين لم تلن .. والزوج يعاود الاعتذار فى رجاء :

ـ دقائق قليلة ونعبىء هذا كله فى الصندوق فتستطيعون الجلوس ..

وردت القادمةبتجهم :

ـ وكيف نستطيع الجلوس بعد ان دلقتم كل ذلك الزيت ؟ ... سيعلق فى احذية الاطفال وبعدها نحملهم فتتسخ ملابسنا ..

صاح الزوجان معا باستنكار :

ـ دلقناه؟... هل نحن الذين دلقناه ؟ ! ..

واستطرد الزوج وصوته يتغير من الاعتذار والرقة الى شىء من التحدى :

ـ لو كان الامر بيدنا لما حدث ذلك .. ولكنه امر خارج عن ارادتنا تماما ..

كان الحق معه .. فحبات العرق قد ملأت وجهه وزوجته كانت تركى كم هى ذليلة عملية نبش الصندوق ثم اعادة محتوياته ، وهم وقوف والزوجة تكاد تنتحم .

ونظرة سريعة داخل محتويات الصندوق كانت تحكى عن تعب اكبر ينتظرهم عند الوصول ، فكل شىء طاله الزيت .. مشابك الغسيل منقوعة فيه نقعا وشماعات اللابس والاطباق ، والاحذية ، وملابس الشغالة كلها بما فيها .. المايوه !.. انهم يعاملونها بلطف ، كأنها فرد من الاسرة وهى نظيفة وليس بها اى مرض ، وهم متأكدون من ذلك والا ما تركوها تحمل صغيرهم اغلب الوقت .. ومع ذلك فانهم لم يضعوا ملابسها مع ملابسهم فى الحقائب ووضعوها مع الحلل

◀ ◀ ◀




سحابة زيت

والاطباق ورشاشة الفليت والبصل والثوم و .. الزيت !

انتهت العملية الجراحية داخل جسم الصندوق لاستئصال العضو المصاب ، برئاسة ربة الاسرة ومعاونة الاب والدادة

بل والاطفال ايضا ، كل بما يستطيع .. اعادوا المحتويات بأكملها داخله ، ثم ربطوه بالضمادات ..

وخلفت هذه العملية ظواهر كثيرة .. خلفت ارهاقا شديدا على وجه كبيرة الجراحين ـ الزوجة ـ ومساعديها

.. خلفت السوائل الكثيرة اللزجة التى سالت وما تزال تسيل .. الزيت . وخلفت ورما كبيرا فى بطن المريض ، اذ لم تستطع الاسرة

اعادة ترتيب الصندوق على دواله كما رتبوه اول مرة ! .. لكن اخطر ما خلفته كان ذلك التوتر على وجوه الاربعة

الكبار .. فالزوجان صاحبا الصندوق لم يتعمدا مضايقة احد . لكنه حادث عرضى يشابه ما يصادف

الكثيرين ، وكان من حقهما ان يجدا من جاريهما العطف والمشاركة بدل الضيق والتهكم .. حتى ان السيدة لم تحاول ان تخفض من صوتها وهى

تقول لزوجها : « يبدو انهم كانوا متعجلين جدا على الاستمتاع بالبحر لصنعوا هنا فى أرض الديزل بحرا من الزيت»!

ثم انهما قدما اعتذارهما وبالغا فيه الا ان الاخرين لم يقبلوه . هل كانوا يريدون منهم تقديم الاعتذار على ورقة تمغة ؟ !

الزوجان الاخران ايضا ، كانا يريان انهما دفعا نقودا كى يستمتعا بالرحلة لا لكى يتعكننا فى اول ايام الاجازة .

وقد مرت عشر دقائق قبل ان يتاح لهما

الجلوس ، ولم يعد ممكنا وضع الصندوق على الشبكة ، فترك فى الممر يضايقهما فى

الذهابوالعودة من والى دورة المياه او «البوفيه» .. واخيرا تلك البركة

اللعينة من الزيت امام مقعدهما والتى لا بد

سيخوضها الاطفال فى جريهم وحتما سيتعبون فيحملونهم ومعهم ذلك الميكروب فى احذيتهم .

انها غلطة اصحاب الصندوق وعدم تحوطهم وقصر نظرهم فلماذا يتحملونها هم ؟ ..

قالت السيدة لشغالتها وهى تقصد الرد على جميع من حولها :

ـ كانت مخاطرة من أول الامر ان نأخذ هذا الزيت معنا هكذا .. لكن

احدا لا يستغنى عنه خاصة فى المصايف حيث السمك سيد المائدة ! ..

وفى محاولة لتخفيف الاثر ، القى الزوج بجرائد اليوم فوق بركة الزيت عسى ان تشربه

لكن يبدو ان عطشها لم يكن كبيرا فلم تشرب الا القليل وظلت بركة

الزيت تعلن عن نفسها من فوق صفحات

الجرائد التى لم يقرأ صاحبها منها حرفا ١٠ كفارة اخرى فرضها على

نفسه لكنها لم تلـــق تقديرا ..

***

وهكذا جلس الاربعة الكبار فى القطار وجهـا لوجه وهم يتأفقـــون ويجففـــون عرقهم ، الوحيدة الخلية البـال كانت الشـغالة .. من حظها جاء مقعدها فى الناحية الاخرى فجلست وفى حجرها اصــغر الاطفـــال تداعبه فى سعادة وهى تطرقـــع بلبانتها عاليا جـدا ، وكانها تنفس عن حرمانها بمضغ اللبـــان أمام سيدتها التى تقول لهـا دائما ان ذلك عيب .. ما هو العيب فى لبانة لم تشتم أحدا او تسىء الى أحد ؟ !

فى وقت واحد خطـر لكل من السـيدتين ان تتفرس فى ملامح الاخرى فتبادلتا نظرة لم تزد عن ثوان ، بدات مستطلعة ثم انتهت موتورة كانهـا مبارزة صامتة .. بعدها اشاحتا ببصرهما بعيدا وملامح كل منهمـــا ، خاصة حركة الشـــفة السفلى التى التـــوت متدلية ، تنطق بالتهكم والسخرية والازدراء ..

لم تعجب احـداهما الاخرى ! ..

قالت الاولى فى نفسها « عجبا .. ام لثـلاثة اولاد وتقص شـعرها « الاجرسون » كالبنات الصغيرات ؟ . هــل غرها قوامها القصـــير فظنت نفسـها طفلة .. عندما كانت واقفة بدت وكـان الارض قد اكلت نصفها . وعندما جلست لمست قـدماها الارض بالكاد ! .. ترى مــاذا اعجب ذلك الرجــل ذو القـــوام النموذجى فى هذه « اللعبة » ؟ ..

صاحبة الزيت ايضـا كان لها منطقها :

« يا الهى هل هذه سيدة او مصارع ؟ .. قوامهـا ليس فيه أنوثة .. طويلة عريضـــة كشيخ الخفـر ، بل انها تبدو اكثر شبها بلـوح العجين ! .. مســكين زوجها هـــذا الزوج النحيف ، كيف يقبــل العيش مع زوجة لا يملا عينيها فتتسـيطر حتى تلغى وجوده .. لا بد انه ضعيف الشخصية !

اشاحت بوجهها عبر النافذة .. المناظر هى هى ، مكررة مملة .. على اى حال ارحم من تلك النظرة القاسية .. المشبعة بالغيظ والاتهام .. ليست وحدها التى شعرت بالملل .. فها هم هناك على الطريق جماعة يحاولون ان يقتلوا مع مللهم العصافير البريئة، تنتظرهم بجوار الطريق سـيارة فاخرة ، فراغ ونقود .. الغـريب انه دائما حيث يوجد الاول توجد الثانية .. وكلما قل الفراغ قلت النقود !

بعـــد أن توارى الصيادون عادت منـاظر الحقول والترع وقوافل الماشية .. الفلاحـــون يعملـــون فى الارض ، ينظرون ناحيـــة قطار الديزل وكانهم مندهشون ما الذى يدعوه للسرعة هكذا ؟ ..

اعمدة التليفـــون والاشجار تجرى الواحدة خلف الاخــرى ، فى السفريات السابقة كانت تتخيل انه الشوق يدفع الشجرة جريا لتعــانق زميلتها . اليوم تخيلت ان بين الواحدة والاخرى ثارا تطاردها من اجله لتقتص منها .. !

الناس يدوسـون فى الزيت ويحملـــونه فى احذيتهم ليوقعوا بها فى باقى الطـرقات .. مع مرور الوقت وخطـوات المسافرين خف اثر الزيت كثيرا ، اصبح مجـرد





بقعة داكنة كانها ذكرى لكن التوتر الذى كان يغلف الوجوه الاربعة لم يخف وظل على ما هو عليه ، بل انه شمل الاطفال ايضا .. ان للاطفال دائما لغة دولية يتعارفون بها سريعا ، لكن وجوه الاباء والامهات لم تشجع احدا على التعارف .. لم يحاول اى منهم ان يتفرج على لعبة الاخر . طارق كان يود ان يحكي للاخرين كيف انه قد انتقل من السنة الاولى للثانية وان اباه قد سر منه فاهداه دراجة . كما ان عمه ايضا احضر له سبورة ليراجع دروسه عليها .. لم يقل شيئا ، اقفل فمه على ما عنده .

أخيرا خرقت جدار الصمت ، طفلة رأت فى يد زميلتها عروسة جميلة فطلبت منها ان تفرجها عليها ، لكن امها نهرتها مع انها والشهادة لله ـ العروسة ـ كانت تحمل في يدها قطة وليس زجاجة زيت ! ..

وفجأة رفت على وجه الرجل الاسمر ابتسامة خفيفة ، كانت اول ابتسامة تداعب ملامحه منذ انبثق من صندوقه اول خيط من الزيت .. الا سحقا لهذا الحادث .. ان عمله مرهق للغاية خاصة فى الشهور الاخيرة ، كان يخرج من منزله يوميا فى السادسة صباحا فلا يعود الا فى الثامنة او التاسعة مساء .. احيانا يمر عليه يومان لا يرى اولاده ، انه يستحق ان يستمتع بكل دقيقة من هذه الاجازة ..

كانت احسن طريقة لتناسى تلك المكنة على الريق هى تخيل النسمات العليلة والرمل الناعم والبحر الرائع تتتابع امواجه خلف بعضها كانها كرانيش من الدانتيل الابيض تحلى صدر قميص نوم من الشيفون الازرق : الاسكندرية .. تلك الجنة الساحرة ، واسراب الحوريات الفاتنات من كل سن وزى وشكل ولون ..

التفت نحو زوجته ليرى هل احست بخواطره .. انها جميلة وهو يحبها جدا ويخلص لها كل الاخلاص ولكن .. من قال ان ذلك الحب والاخلاص يتنافيان مع امتاع عينيه بخلقة ربه ؟ .. نظرات بريئة فيها تسبيح للخالق الذى ابدع بقدرته هذا التناسق .

تنهد بارتياح ، لم تحس الزوجة بشيء مما يدور فى خلده ، لا تزال ملقية ببصرها الى المناظر التى تتوالى على نافذة قطار الديزل ، تراها ولا تراها . فجأة اعتدلت فى جلستها واستعاذت بالله ، مرت امامها مجموعة مترامية من القبور ـ خاتمة المطاف ونهاية كل حي . لم يكن من الذوق ان تجعل تلك البلدة مقابرها امام شريط السكة الحديد يراها المسافرون فالمسافر لا يعلم اى قدر ينتظره او ينتظر من هو مسافر اليهم ، ولذلك

يودع الناس مسافريهم بأدعية حلوة تثب ... من الاعماق حبا وشوقا وتمنيات بالخير !!

عموما منظر المقابر له فائدة أيضا .. انه ردع النفس عن الغل والحقد والغضب مهما كان السبب . فالحياة قصيرة ومن لم يستمتع بها في رضا وقناعة وتسامح فسيخرج من الدنيا دون ان يزيد ما حصل عليه منها على متر من الارض ..

ارادت ان تقول ذلك لجارتها لكنها لم تجد الأمر لائقا .. ثم من يدريها ان الجارة لن ترد عليها في برود « متر ، متر .. ليكن ، لكنه سيكون نظيفا ليس به نقطة واحدة من الزيت ! » .

***

القطار يمضي في طريقه المرسوم غير آبه لتلك الازمة التي قامت بين بعض من راكبيه .. بعد دمنهور بدأ يهدىء من سرعته ثم وقف دفعة واحدة ...

لحظتها كان احد الاطفال يجري ، ووقفة القطار المفاجئة القته ارضا .. جاءت جبهته وهو يسقط على حافة شمسية وضعها راكب تحت المقاعد فصرخ متألما ..

قبل ان تقوم اليه امه بوزنها الثقيل كانت عائلة الاسرة الاخرى قد اسرعت اليه وركعت بجواره وهي تصيح بتلك اللهجة اللاذعة :

ـ معلهش . الشمسية خبطتك ؟ .. اضربها ؟ اهو ، اهو ..

أخذت تربت ظهره بيدها وهي تردد :

ـ خلاص ضربتها ..

استنى اما ابوس لك الخبطة عشان تخف .

وهي تميل عليه لتقبله سقط المشط من رأسها على الارض ، فاسرع الصغير رغم بكائه يلتقطه ويسويه لها فوق رأسها .. في ثانية واحدة زالت نظرات الضيق والغضب من العيون الثماني .. ذلك المنظر .. كأنه النقطة الساحرة التي تمحو البقع القائمة .. حلت محلها ابتسامات الحنان ..

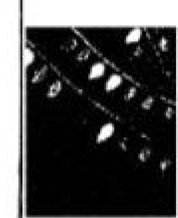
في نفس اللحظات بدأت تنساب نسمات عليلة دغدغت الوجنات وداعبت الشعور وخففت من سخونة الجسو والاعصاب ، معلنة قرب الوصول الى الهدف المنشود ، المصيف الساحر ، وانتهاء الرحلة بكافة متاعبها ..

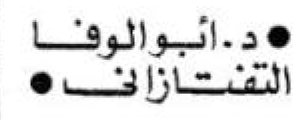
***

عندما بدأ القطار يدخل مشارف الاسكندرية كان وجه الرجل الاسمر قد ازداد رضا وطمأنينة بعد ان اكد له جاره ـ الذي اكتشف انه محام قدير ـ ان موقفه متين ومأمون في تلك المشكلة القانونية التي تشغل باله .. بينما زادت زوجته من سرعة سير قلمها على الورق وهي تكتب لزميلتها في السفر وصفا سهلا « لتورتة » لذيذة ..

بدأ القطار يهدىء من سرعته ووقف كل رجل بعد متاعه استعدادا للنزول .. تصافحت السيدتان وهما تتبادلان ابتسامة من القلب .. قالت زوجة المحامي لصاحبتها الصغيرة الثقة :

ـ حمدالله على السلامة ...







سلطان العاشقين

شرف الدين عمر بن أبي الحسن علي المعروف بابن الفارض - يعتبر أبرز صوفية الحب الالهي في تاريخ الاسلام
ولا اذكر ابن الفارض الا واذكر معه أستاذنا المغفور له الدكتور محمد مصطفى حلمي ، فقد قدم عنه بحثا علميا للدكتوراه (سنة ١٩٤٠) كشف فيه عن حياته ومذهبه في الحب الالهي، وقد حببني هذا البحث ، وانا طالب بقسم الفلسفة بكلية الآداب ، في التصوف الاسلامي ، ودفعني بعد تخرجي الي التخصص فيه ، ولعل هذا نفحة من نفحات الحب سرت الى من ابن الفارض وباحثه المتصوف





يعتبر ابن الفارض من أبرز الصوفية الذين انجبتهم مصر ، فهو مصرى المولد ، وان كان والده حموى الاصل ، والسبب فى انه عرف بابن الفارض أن والده كان فقيها متخصصا فى علم الفرائض ، وهو علم يعرف به كيفية قسمة التركة على مستحقيها ، واثبات الفروض للنساء والرجال ، وكان المتخصص فى هذا العلم يسمى فارضا .

ولد شاعرنا بالقاهرة سنة ٥٧٦ هـ بعد قدوم والده اليها من حماه وتوليته نيابة الحكم بها ، وقيل انه عرض على والده منصب قاضى القضاة فامتنع عن توليه ، وزهد بعد ذلك فى المناصب فاعتزلها واثر الانقطاع الى العبادة فى قاعة الخطابة بالجامع الازهر ، وظل كذلك الى ان توفى .

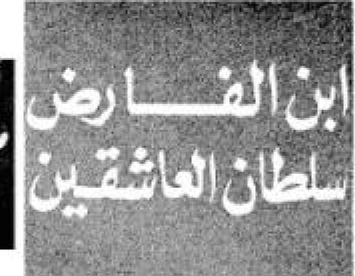
ويحدثنا ابن العماد فى « شذرات الذهب » بأن ابن الفارض نشأ تحت رعاية ابيه فى عفاف وصيانة وعبادة وديانة بل زهد وقناعة ، وانه اخذ علم الحديث عن ابن عساكر والحافظ المنذرى ، ثم حبب اليه بعد ذلك ـ ولعل هذا بتأثير من والده ـ سلوك طريق الصوفية ، فتزهد وتجرد .

ومن طريف ما يروى عن سبب زهد ابن الفارض انه دخل الجامع يوما لصلاة الجمعة والخطيب يخطب ، فوجد شخصا يغنى فانكر عليه بقلبه ونوى تأديبه ، فلما انقضت الصلاة خرج ابن الفارض ، فناداه ذلك الشخص ، وانشده :

قسم الاله الامر بين عباده
فالصب ينشد والخلى يسبح
ولعمرى التسبيح خير عبادة
للناسكين وذا لقوم يصلح

واتجه ابن الفارض بعد ذلك الى حياة العبادة والتأمل ، وكان من ابرز وسائلها عنده السياحة . وتعنى السياحة عند الصوفية الخروج الى اماكن نائية ، والعودة منها مرة اخرى الى المدينة ، فهى بمثابة الرحلات التى يقصد منها تهذيب النفس وتكميل الروح بعيدا عن ضجيج المجتمع .

وكانت سياحة ابن الفارض المفضلة فى وادى المستضعفين بجبل المقطم . وفى أحد الايام عاد من سياحته ودخل الى المدرسة السيوفية بالقاهرة فوجد على بابها شيخا بقالا بشره بأنه سوف يفتح عليه ، قائلا له : « يا عمر انت ما يفتح عليك فى مصر ، وانما يفتح عليك بالحجاز فى مكة شرفها الله



فاقصدها ، فقد آن لك وقت الفتح » .

ولهذا نجد ابن الفارض يغادر مصر الى الحجاز حوالى سنة ٦١٣ هـ ، وهناك أيضا ينقطع من حين الى حين بأودية مكة ، ويفتح عليه بكثير من المعارف والاسرار ، ويعبر عن ذلك الفتح بقوله :

يا سميرى روح بمكة روحى
شاديا ان رغبت فى اسعادى
كان فيها انسى ومعراج قدسى
ومقامى المقام والفتح بادى

وقضى ابن الفارض فى أرض الحجاز خمسة عشر عاما كان يحيا فيها حياة روحية خالصة ، اساسها الزهد والسياحة والطواف بالحرم والصلاة فيه ، وكان فى هذه الفترة يأنس بالوحش ويستوحش من الناس على نحو ما يعبر بقوله :

وجنبنى حبيك وصل معاشرى
وحببنى ما عشت قطع عشيرتى
وابعدنى عن اربعى بعد أربع
شبابى وعقلى وارتياحى وصحتى
فلى بعد اوطانى سكون الى الفلا
وبالوحش أنسى اذ من الانس وحشتى

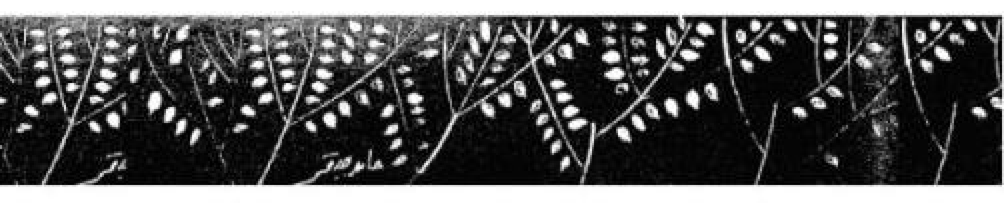
ظل سلطان العاشقين فى مكة حتى سنة ٦٢٨ هـ ثم عاد الى مصر ، الا أن ذلك الفتح انقطع عنه فأثار ذلك فى نفسه لوعة على ما فات من أيامه ، وفى ذلك يقول :

يا أهل ودى هل لراجى وصلكم
طمع فينعم باله استرواحا
مذ غبتم عن ناظرى لى أنة
ملأت نواحى أرض مصر نواحا
واذا ذكرتكم أميل كأننى
من طيب ذكركم سقيت الراحا
واذا دعيت الى تناسى عهدكم
ألفيت احشائى بذاك شحاحا

وبعد عودة ابن الفارض الى مصر عرف الملك الكامل الايوبى بمكانته ، فقد كان يوما فى مجلسه الذى كان يعقده للعلم والادب ، فتذاكر الحاضرون فى هذا المجلس القوافى الشعرية الصعبة ، فقال الملك : من أصعبها الياء الساكنة ، وطلب ممن فى المجلس ان يذكر كل منهم ما يحفظه من هذه القافية ، فلم يتجاوز أحدهم عشرة أبيات ، وهنا قال الملك انه يحفظ منها خمسين بيتا قصيدة واحدة وذكرها . الا أن القاضى شرف الدين كاتب سر الملك قال انه يحفظ منها مائة وخمسين بيتا وأنشد قصيدة ابن الفارض التى مطلعها :

سائق الاظعان يطوى البيد طى
منعما عرج على كثبان طى

ولما سأل الكامل عن ناظم هذه القصيدة قيل له انه ابن الفارض ، فأرسل كاتب سره يحمل الى ابن الفارض



الف دينار لينفقها على الفقراء الواردين عليه ، فأبى ابن الفارض قبولها ، فدعا هذا الكامل الى ان يقوم بزيارته ، فقصد اليه ومعه بعض خواصه ، لزيارته بالجامع الازهر ، ولكن ابن الفارض لم يكد يحس بقدومهم عليه حتى خرج من الباب الاخر الذى بظاهر الجامع ، وسافر الى الاسكندرية • وهذه الرواية ان دلت على شيء فانما تدل على شدة زهد ابن الفارض فى المال ، وايثاره الابتعاد عن اصحاب الجاه •

ولم يقض ابن الفارض فى مصر بعد عودته من مكة اكثر من اربع سنوات اذ توفى فى سنة ٦٣٢ هـ ، ودفن بالقرافة بسفح المقطم تحت المسجد المعروف بالعارض ، ولا يزال ضريحه موجودا الى الان ، أما المسجد الحالى الذى به الضريح فيرجع تاريخه الى سنة ١٨٨٩ م •

● الحب تجربة ●

كان حب ابن الفارض لله ثمرة معاناة حقيقية ، يقول الصوفية : « من ذاق عرف » ، ويعنون بذلك أن معارفهم وأسرارهم ، ومقاماتهم وأحوالهم ، ذوق خالص ، ولا بد لمن يريد الحكم عليها من تجربة صادقة •

وهناك رواية طريفة تروى عن الصوفى المعروف محيى الدين بن عربى، وهو معاصر لابن الفارض ، فقد جاءه يوما أحد تلاميذه يقول له : ان الناس ينكرون علينا علوم الاسرار الالهية ويقولون : ما دليلكم عليها ، فقال له ابن عربى : اذا سالك أحد هذا السؤال، فقل له : ما الدليل على حلاة العسل ؟ • فلا بد أن يقول لك : هذا علم لا يحصل الا بالذوق ، فقل له : هذا مثل ذاك !•

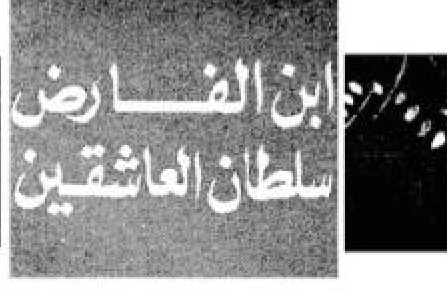
فالطريق الى تقييم حب ابن الفارض الالهى ، وحب من عداه من الصوفية ، هو التجربة ، الم يقل الشاعر :

لا يعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

ولكن أين نحن الان فى عصرنا من مثل هذه التجربة ؟ • اننا نعيش فى عصر مادى مسرف فى المادية ، ولم يعد الناس فيه ــ اللهم الا قلة واعية ــ يلقون بالا الى القيم الروحية ، وأصبح الغالب على حياة الناس فيه عدم الاستقرار النفسى الذى ينبعث من نظرهم الى كل شيء فى ضوء المادة ، وقياسهم كل شيء بمقياس الحس •

ويقيننا ان الناس لو انصرفوا قليلا عما شغلتهم به الدنيا الى تدبر ما فى الاسلام من المثل الروحية ، ولو امنوا بان وراء المادة والحس عالما آخر له روعته وجلاله ، وله قيمه ومعاييره ، لغيروا من حكمهم على الاشياء ، ولوجدوا الراحة النفسية بعد العناء ، ولاقبلوا على حياتهم فى تفاؤل وابتسام،





ولاتدفعوا الى العمل المثمر فى همة وثبات .

والحب الالهى ارفع تلك المثل الروحية، لانه يتعلق باسمى موضوع وهو الله تعالى ، وليس هذا الحب شطحا او خيالا ، وانما هو ثمرة حقيقية للايمان القوى والتدين العميق ، وينعكس اثره على حياة الفرد تهذيبا ، وعلى حياة المجتمع ارتقاء .

ولا ينبغى ان يتبادر الى الذهن ان الصوفية قد ابتدعوا الحديث عن هذا الحب ، اذ انه يستند الى شواهد قرآنية صريحة :

فقد ذكر الله تعالى الحب المتبادل بين العبد والرب فى قوله تعالى : « يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، اذله على المؤمنين ، اعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » (المائدة : ٥٤) .

ويربط الله بين الحب وقوة الايمان فى قوله تعالى : « والذين آمنوا اشد حبا لله » (البقرة : ١٦٥) .

ويربط تعالى بينه وبين حب الرسول وطاعته فى قوله : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » (آل عمران : ٣١) .

وأول من مهد طريق الكلام فى الحب الالهى رابعة العدوية المتوفاة سنة ١٨٥ هـ ، وجعلته أساسا لكل طاعاتها وعباداتها ، واعلنت انها لم تعبد الله خوفا من ناره ولا طمعا فى جنته ، وانما هى تعبده من أجل محبة جماله الازلى ، ورويت عنها فى الحب الالهى أشعار غاية فى الرقة والعذوبة ، وتابعها فى ذلك من جاء بعدها من الصوفية ، فتغنوا بالحب ، وجعلوه مقاما من مقامات السلوك الى الله ، وبعضهم يجعله أعلى هذه المقامات .

الا أن ابن الفارض فاق ـ كما ذكرنا من قبل ـ جميع أولئك الصوفية فى التغنى بالحب ، فوهب حياته كلها له .

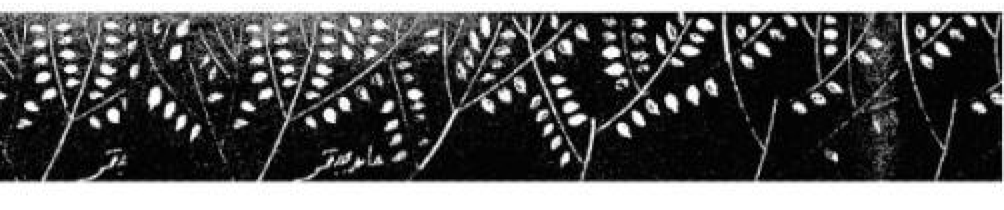
● الحب هو الحياة ●

لقد غلب على شاعرنا الصوفى الحب لله الى الحد الذى اعتبره مرادفا للحياة ، اذ لا حياة بدونه ، كما ان الموت به هو عين الحياة ، فيقول :

ان الغرام هو الحياة فمت به
صبا فحقك ان تموت وتعذرا

ويقول أيضا :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خاليا فالحب راحته عنا
واوله سقم وآخره قتل



ولكن لدى الموت فيه صبابة
حياة لمن أهوى علي بها الفضل

نصحتك علما بالهوى والذى أرى
مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

وإن شئت أن تحيا سعيدا فمت به
شهيدا وإلا فالغرام له أهل

فمن لم يمت في حبه لم يعش به
ودون اجتناء النحل ما جنت النحل

وعلى ذلك فالموت بالحب حياة ، والحياة بدون حب موت ·

ولعل ما يقصده ابن الفارض من أن حب الله هو الحياة ، أن هذا الحب هو أسمى عاطفة فى الانسان ، وكأنما خلق قلبه له ، وأن اتصال القلب بمحبوبه وهو الله حياة لهذا القلب ، وانقطاعه عنه موت له ، على أن فائدة هذا الحب لا تقتصر على الانسان كفرد ، وانما فى تتعداه الى المجتمع كله ، حين يصبح الحب مصدرا لكل فضيلة اجتماعية أيضا ، ذلك ان الحب الالهى يستتبع محبة الرسول (ص) ، ومحبة الاسرة ، ومحبة المجتمع ، وهنا يشيع الحب فى المجتمع بدلا من الصراع ، ويسود التفاؤل بدلا من التشاؤم ، وبذا يصبح الحب الالهى بما يستتبعه من أنواع الحب الاخرى بابا للخير كله ، فهو اذن حياة للفرد ، وحياة للمجتمع· ولا كذلك الامر اذا ساد الصراع وعم التشاؤم ، ففى ذلك موت للفرد وللمجتمع معا ·

● الفناء فى الحب ●

ومن شأن الحب الالهى عند ابن الفارض وعند غيره من الصوفية ان يقترن بحال الفناء · ويصور الصوفية حال الفناء بأنه الحال الذى يغيب فيه الصوفى عن ادراكه لذاته لفنائه فى المحبوب وهو الله ، ولا يعود فى هذه الحالة يشعر بنفسه ولا بشىء من لوازمها ·· وقد أشار الغزالى الى ذلك بقوله : « وهذه الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحال فناء ، بل فناء الفناء ، لانه فنى عن نفسه ، وفنى عن فنائه ، فانه ليس يشعر بنفسه ، ولو شعر شعوره بنفسه بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه ! » · على أن الصوفى لا يستمر له الفناء بل يعود منه الى الحال المقابل له وهو البقاء ، فيشعر بذاته وبالعالم الخارجى ·

ويرى ابن الفارض أن تحقق المحب





بشهود محبوبه وهو الله لا يكون الا مع الفناء عما فى الحياة الدنيا من زخرف وجاه ، بل وعما فى الحياة الاخرى من جنة ونعيم ، وعن جميع أوصافه وأهوائه وأغراضه ، وعندئذ يكون خالصا لله لا لشيء دونه واستمع الى ابن الفارض قائلا على لسان محبوبه :

فلم تهونى ما لم تكن فى فانيـــــا
ولم تفن ما لم تجتلى فيك صـــورتى
فدع عنك دعوى الحب وادع لغيـــره
فؤادك وادفع عنك غيـــــك بالتى
وجانب جناب الوصل هيهات لم يكن
وها أنت حى ان تكن صـــادقا مت
هو الحب ان لم تقض لم تقض مأربا
من الحب فاختر ذاك أوخـــل خلتى

ويعرف هذا الفناء عند ابن الفارض وغيره من الصوفية بالفناء عن شهود السوى ، على انه ينبغى التنبه الى انهم لا يقصدون به فناء ما سوى الله فى الخارج ، وانما هو عندهم فناء عن شهودهم له ، وما ذلك الا لاستغراقهم فى ذكر المحبوب وشهوده فغابوا عما سواه بالكلية .

وثمة فناء آخر عند ابن الفارض يعرف بالفناء عن ارادة السوى ، ومعناه أن يفنى فى مراد محبوبه ، فلا يعود له التفات الى مراده هو أو مراد غيره، ويتحد عندئذ مراده بمراد محبوبه ، والمقصود هنا المراد الدينى الامرى لا المراد الكونى .

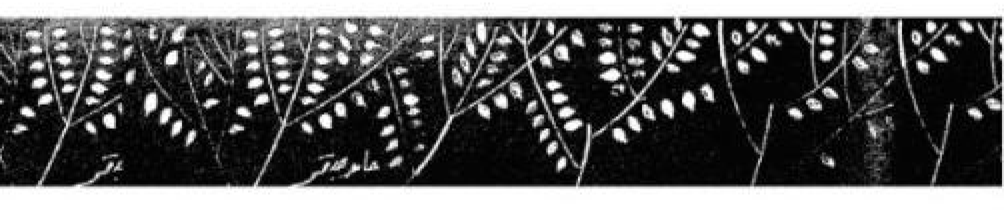
وهو يشير الى فناء ارادته فى ارادة المحبوب قائلا :

وكنت بها صبا فلما تركت مـــا
اريد ارادتنى لهـــــا واحبت

ويصبح المحب فى هذه الحالة راضيا عن محبوبه تمام الرضا ، مسلما له قياده ، فيخاطب محبوبه قائلا :

وعن مذهبى فى الحب ما لى مذهب
وان ملت يوما عنـــه فارقت ملتى
ولو خطرت لى فى ســـواك ارادة
على خاطرى سهوا قضـــيت بردتى
لك الحكم فى امرى فما شئت فاصنعى
فلم تك الا فيك لا عنـــك رغبتى

وأذكر فى هذا المعنى ايضا أبيـــاتا لشاعرنا كان المرحوم الشيخ على محمود



يتغنى بها وهى :

له دلالا فانت اهل لذاكــــــا
وتحكم فالحسن قد اعطاكــــــا
ولك الامــر فاقض ما انت قاض
فعلى الجمال قد ولاكـــــــا

وتلافى ان كان فيه ائتــــــلافى
بك عجل جعلت فداكــــــــا
وبما شئت فى هواك اختبـــرنى
فاختيارى ما كان فيه رضاكـــــا

● حب الجمال المطلق ●

ويتساءل البعض احيانا الا يمكن ان يكون ابن الفارض وغيره من صوفية الحب الالهى قد احبوا اولا حبا انسانيا ثم ارتقوا عنه الى هذا الحب الالهى ؟ ·

لقد نسب ذلك قديما الى ابن الفارض ومعاصره ابن عربى ، فقيــــل ان ابن الفارض كان يعشق الصــور الجميلة انسانية كانت او طبيعيـــة ، وقيل ان بعض اشعاره فى الحب لا يمكن تأويلها على طريقة الصوفية ، فلم يبق الا انها قيلت فى محبوبة انسانية ، وكذلك قيل ان ابن عربى احب فى مكة فتاة ، وان اشعاره فى ديوانه « ترجمان الاشواق » ما قيلت الا فيها ، واضطر ابن عربى ان يدافع عن نفسه بناء على سؤال بعض تلاميذه له ، فكتب شرحا على ديوانه هذا يبين معـــــانيه واسراره الصوفية ، وان ما تضمنه من الاشعار ليس غزلا انسانيا ، وطلب من قارىء ديوانه ان ينصرف عن ظاهر الالفاظ الغزلية ويقبل على ما وراء هـــذا الظاهر من المعانى الخفية ·

ومهمـــــا يكن من شىء فان الحب الانسانى عاطفة نبيلة ، والارتقاء منه الى الحب الالهى أمر ممكن ، ذلك انه يرقق المشاعر ويهذب الروح ويعينهـا على السمو والاتصال بالله اذ انه تعالى اسمى الموجودات واجدرها بالمحبة ، وكل ما عداه من الصور فان ، فلا غرابة اذا قلنا ان المحب لله ربما مر بتجربة حب انسانى أولا ، على ان هذا ليس هو القاعدة دائما ، فربما احب الصوفى الله مبـــــاشرة دون ان يمر بالحب





الانسانى العادى ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

على ان ابن الفارض يظهرنا على ان الصوفى صاحب نظرة واحدية الى الكون . فهو حين يرى الجمال ساريا فى الموجودات الجزئية ، فانه يتعين عليه ان يتجاوز هذا الجمال الجزئى الى الجمال الكلى ، او الجمال الفانى الى الجمال الباقى ، لان مصدر الجمال واحد وهو الله ، وكل صورة حسنة مردها الى هذا المصدر ، واستمع اليه قائلا :

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا
سر ارق من النسيم اذا سرى
وأباح طرفى نظرة املتها
فغدوت معروفا وكنت منكرا
فدهشت بين جماله وجلاله
وغدا لسان الحال عنى مخبرا
فادر لحاظك فى محاسن وجهه
تلقى جميع الحسن فيه مصورا
لو ان كل الحسن يكمل صورة
ورآه كان مهللا ومكبرا

وهو يقول أيضا :

وصرح باطلاق الجمال ولا تقل
بتقييده ميلا لزخرف زينة
فكل مليح حسنه من جمالها
معار له بل حسن كل مليحة

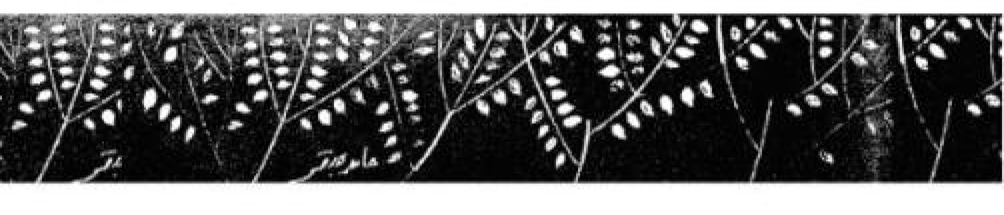
وهذا هو ما دعا ابن الفارض الى حب الصور الجميلة انسانية كانت أو طبيعية ، وهو لا يحبها لذواتها وانما لتجلى الجمال المطلق ، جمال الله ، فيها ، فيقول :

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق
كمجنون ليلى او كثير عزة
فكل صبا منهم الى وصف لبسها
بصورة حسن لاح فى حسن صورة
وما ذاك الا ان بدت بمظاهر
فظنوا سواها وهى فيها تجلت

وعلى ذلك فالحب العذرى الموجه الى الصور الانسانية المعينة لا يختلف فى حقيقته عن الحب الموجه الى الذات العلية التى تصدر عنها هذه الصور .

وهام ابن الفارض كذلك بحب الصور الطبيعية ، فكان يحب النيل والمتنزهات التى كانت عليه ، ومنها متنزه كان يعرف بالمشتهى فى الروضة ، وهو القائل فيه :

وطنى مصر وفيها وطرى
ولعينى مشتهاها مشتهاها



ومن أجمل ما يعبر به عن حبه لكل صورة طبيعية جميلة قوله :

تراه ان غاب عني كل جارحة
في كل معنى لطيف رائق بهج
في نغمة العود والناى الرخيم اذا
تالفا بين الحان من الهزج
وفي مسارح غزلان الخمائل في
برد الاصائل والاصباح في البلج
وفي مساقط انداء الغمام على
بساط نور من الازهار منتسج
وفي مساحب اذيال النسيم اذا
اهدى الى سحيرا اطيب الارج
وفي التثامى ثغر الكاس مرتشفا
ريق المدامة في مستنزه فرج

فالارتقاء من حب الصور الانسانية والطبيعية الى حب الله اذن أمر ممكن ، والتأمل في الصور الحسنة سبيل الى ما لا حصر له من المعارف والاسرار ، والى ذلك يشير بقوله :

فالعين تهوى صورة الحسن التي
روحي بها تصبو الى معنى خفي

وليس سبيل المحب لله الى المعرفة النقل أو العقل ، وانما هو الذوق ، وفي ذلك يقول :

فثم وراء النقل علم يدق عن
مدارك غايات العقول السليمة
تلقيته مني وعني اخذته
ونفس كانت من عطائي ممدتي

فالحب الالهي اذن مفتاح كل المعارف الصوفية ، فيشير الى ذلك قائلا :

ولي في الهوى علم تجل صفاته
ومن لم يفقهه الهوى فهو في جهل

● امام المحبين ●

غلب الحب الالهي على ابن الفارض كما رأينا ، وكان حبه من عظم الشأن حتى جعله يعلن على الملأ انه أمام لكل المحبين ، فيقول :

نسخت بحبي آية العشق من قبلي
فاهل الهوى جندي وحكمي على الكل
وكل فتى يهوى فاني امامه
واني برىء من فتى سامع العذل

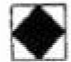
ويقول :

قل للذين تقدموا قبلي ومن
بعدي ومن اضحى لاشجاني يرى
عني خذوا وبي اقتدوا ولي اسمعوا
وتحدثوا بصبابتي بين الورى

بل انه يرى أن حبه لله يعادل حب المحبين جميعا ، كما أن جمال الذات الالهية يحتوى كل جمال آخر ، فيقول :

كل من في حماك يهواك لكن
انا وحدي بكل من في حماكا
يحشر العاشقون تحت لوائي
وجميع الملاح تحت لواكا

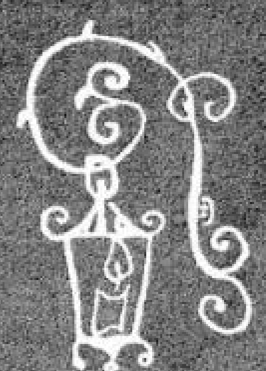
وهكذا عاش ابن الفارض حياة الحب الالهي ، وتغنى به في رياض التصوف حتى لقب عن حق بسلطان العاشقين ..



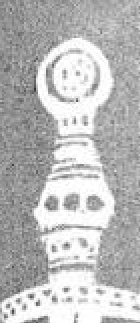
العودة

كامل أمين

ذكريات الصبا عليك السلام
والوداع الوداع يا احلام
شيعي الفارس العجوز غريبا
اكلته في الغربة الآلام
فقد الفارس الحصان على الدر
ب وعزاه سرجه واللجام
ملؤه في البلاء من عرق الجهد
وازواده عليه الصيام
وقعت ناقة البسوس عليه
ملقيا همها البدين السنام
اخذوه بثار راس (كليب)
واستضافته في النجوع السهام
عدت في عتمة الحياة جراحا
تلتقي بالحطام فيها الحطام
ظللت وجهي الغيوم غبارا
واطلت من حالقي الاعلام
وكاني كتيبة ركب المو
ت عليها وعج فيها القتام
منزو في الطريق العق جرحي
خائفا ان تراني الايام




خففي عن يدي سامحك الله
فقلبي على يدي غلام
انا بعض النهار تاه عن الشمس
وامي نجومها ايتام
لطمت وجهي الرياح وكم ذا
دللتني في حضنها الانسام
نازح في متاهة من جراح
زاد فيها الاسى وقل الكرام
وصديقي منذ الطفولة حزني
فيلسوف كأنه الخيام
ساحر كم احال لي الهم خمرا
والزوايا كأنها اوهام
عدت للبحث عن حياتي في او
راق طوتها في الاسطر الاعوام
وكأن السطور آثار ما ابقت
على الرمل خلفها الاقدام
كان في بدئها الطموح قشيبا
فاذا العث والغبار الختام
ليتني استطيع ارجاع يوم
ضيعتني الاوراق والاقلام





العـــــودة

ليس للشـــعر فى الصحافة بيت
فيه للشـــاعر الاصيل مقـــام
شـــعرنا فى اجازة ربـــع قرن
فيه أثرى الجـزار والغنـــام
كل برج يعشش البـــوم فيه
بعدما فر من أذاه الحمـــام
ضـــاع شـعرى كاللاجئين مع الر
بح وعـزت عليـه حتى الخيـــام
اصدقائى يحـــاربون قريضى
ولقـــانا العناق والابتســام
ياصـــديقى جنازة الشـعر مرت
شـــكرا لله ســـعيكم والانام
طيب الله فى الضـــياع ثراكم
ايهـــا الطيبون صلوا ونامـــوا
واتركوا من ذبحتمـو فى هـدوء
فالقرابين فى الســما لن يضـــاموا
ما الذى تبتغـــونه الآن منى
لا انا صـــخرة ولا مســتهام
انا اعرى من الجبـــال عروقا
ترتـوى من نزيفهــــــا الآلام
كلمـــاتى فى ارضـكم شـهداء
ويراعى المضرج الاســـــلام
اين أيام صـــبوتى وليـــالى
غمـــراتى • دارت بى الايام
نسيتنى جبال (بيســـان) ندبا
وفدائيـــا تعاورته الشـــام
يوم كانت ظلاى من عرق الخيل
وكاسى يديرها لى الحمـــام
من ازيز الرصـــاص غنيت شعرى
وطبولى تدقهـــا الالغـــام
ايهـــا الليل والنهـار حـرام
ان مثلى يموت حيـــا .. حرام

الـوزراء والعـلماء
فى نـدوة
الهـلال



من اليمين السادة/ د. محمود على حسن/ م. احمد عز الدين هلال/ عبده الواحد الوكيل/ د. مصطفى كمال طلبة/ صالح جودت/ د. اسماعيل صبرى عبد الله د. محمد كامل ليلة.



دور ١
البحث العلمى والتكنولوجيا
فى نهضتنا
الصناعية وتنميتها وتطويرها

إعداد: أنور المرصفى

الوزراء والعلماء

في ندوة



حفلت الندوة العلمية التى نظمتها مؤسسة دار الهلال باسم مجلة الهلال وكان موضوعها «دور البحث العلمي والتكنولوجيا فى نهضتنا الصناعية وتطويرها » بنخبة ممتازة من رجال الصناعة والبترول والجامعات والتعليم العالى ومختلف مرافق الانتاج

وقد راس هذه الندوة د. مصطفى كمال طلبة مدير أكاديمية البحث العلمي وحضرها السادة الوزراء د. اسماعيل صبري عبد الله وزير الدولة لشئون التخطيط ، والمهندس أحمد عز الدين هلال وزير البترول والثروة المعدنية ، والدكتور محمد كامل ليلة وزير التعليم العالى ، والدكتور مهندس محمود على حسن رئيس مجلس ادارة مؤسسة التعدين نائبا عن المهندس ابراهيم سالم محمدين وزير الصناعة

وحضر عن أكاديمية البحث العلمي:

د. عبد المنعم أبو العزم نائب مدير عام أكاديمية البحث العلمى والدكتور حسن مرعى ، والدكتور مصطفى حافظ ، والدكتور عماد الدين الشيشيني ، والدكتور اسماعيل عبده، والدكتور عبد الفتاح اسماعيل وكيل وزارة التعليم العالى ، والدكتور مهندس احمد توفيق وكيل وزارة الصناعة .

وحضرها عن قطاع البترول :

د. مهندس محمد رمزى الليثى رئيس مجلس ادارة مؤسسة البترول والمهندس احمد نصر الدين البرقوقى رئيس مجلس ادارة الشركة العامة للبترول ، والمهندس محمد توفيق شلبى رئيس مجلس ادارة شركة بترول خليج السويس ، والدكتور صبحى احمد على رئيس مجلس ادارة شركة انابيب البترول ، والمهندس سليم كرلس رئيس مجلس ادارة شركة السويس لتصنيع البترول .

وحضر عن قطاع التعدين :

د . رشدى سعيد رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة للمساحة الجيولوجية والمشروعات التعدينية .

وعن قطاع الصناعة :

المهندس حسن ناجى مستشار مؤسسة الغزل والنسيج ، والدكتور مهندس حسن عشماوى رئيس مؤسسة

الصناعات الغذائية ، والمهندس حسين صفوت رئيس مجلس ادارة النصر للزجاج والبللور ، والسيد / أحمد عوض الله رئيس مجلس ادارة الشركة الشرقية للدخان ،والمهندس على مرسى رئيس مجلس ادارة شركة الحديد والصلب ، والسيد / محمد شوقى غانم رئيس مجلس ادارة شركة النيل للزيوت والصابون ، والسيد / ابراهيم سرحان رئيس مجلس ادارة شركة الخزف والصينى ، والمهندس جعفر حسين جعفر رئيس مجلس ادارة شركة النصر للمواسير،والمهندس بهاء الدين عبد الرحمن رئيس مجلس ادارة شركة الغازات الصناعية ، والدكتور ابراهيم كامل رئيس مجلس ادارة شركة كفر الزيات للمبيدات والكيماويات ، والمهندس حسن عبد القادر رئيس الشركة المصرية للمواسير والمنتجات الاسمنتية ، والمهندس صلاح الدين الكيلانى رئيس مجلس ادارة شركة الطوب الرملى ، والمهندس محمد ابراهيم عطعوط عن شركة ايديال ، والدكتور محمد عبد الجليل عن شركة النشا والخميرة ، والدكتور أحمد راشد مدير معهد التبين والدكتور أحمد عمار عن هيئة قناة السويس، والمهندس وجيه كساب والمهندس أحمد عبد المعطى عن شركة النصر للتليفزيون ..

وحضر الندوة عن أسرة دار الهلال:

الاستاذ صالح جودت نائب رئيس مجلس ادارة دار الهلال ورئيس تحرير مجلة الهلال ، والاستاذ عبد الواحد الوكيل عضو مجلس الادارة المنتدب لمؤسسة دار الهلال ، والاستاذ لطفى رضوان مدير التحرير بمؤسسة دار الهلال ، وبعض افراد هيئة تحرير دار الهلال

الوزراء والعلماء

فى ندوة



فى بداية الندوة ، تحدث الاستاذ صالح جودت نائب رئيس مجلس ادارة مؤسسة دار الهلال ورئيس تحرير « الهلال » ، فقال :

• بسم الله الرحمن الرحيم

• باسم اسرة الهلال ، ارحب بكم فى هذه الدار التى هى داركم اولا فهى ليست ملكا لنا ، ولكنها ملك الشعب • وانتم قادة هذا الشعب ورواده ، وعلى ايديكم تسير عجلة الانتاج والبناء والتعمير •

ولعلنا - نحن الصحفيين - اكثر الناس باعا فى الحديث عن التكنولوجيا • ولذلك سوف نكتفى بدور المستمع ، ونترك الكلمة الاولى لاستاذنا الدكتور مصطفى كمال طلبة رئيس اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا يحدثنا عن دور البحث العلمى والتكنولوجيا فى نهضتنا الصناعية وتنميتها وتطويرها . ولعلها فرصة مناسبة ان نستمع اليه قبل سفره فى مهمته الجليلة فى الخارج • نسال الله ان يوفقه ، وهو فى العالمين فى خدمة هذا البلد وخدمة الانتاج لخدمة المعركة •

ويسعدنى فى هذه الندوة ، ان يكون معنا أيضا السيد الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير الدولة للتخطيط ، والسيد المهندس احمد عزالدين هلال وزير البترول والثروة المعدنية والسيد الدكتور محمد كامل ليلة وزير التعليم العالى ، والسيد المهندس محمود على حسن نيابة عن السيد المهندس وزير الصناعة ، والسيد المهندس حسن ناجى وهما من رواد الصناعة والانتاج فى هذا البلد •

وبعد أن نستمع الى الكلمات التى ستتفضلون بالقائها ، فان الندوة ستكون مفتوحة للاسئلة والمناقشات الحرة ، كما تعودنا فى هذا العهد المبارك المنتصر باذن الله •

التقدم العلمى يدعم التقدم التكنولوجى

وبعد ذلك بدات الندوة بحديث الدكتور مصطفى كمال طلبة رئيس اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا . فقال سيادته :



بسم الله الرحمن الرحيم

اسمحوا لى أولا أن أشكر أخى الاستاذ صالح جودت على كلمته الرقيقة ، كما اشكر دار الهلال لتفكيرها الجاد فى عقد هذه الندوة التى اعتبرها دليلا آخر على الايمان بالعلم ركيزة أساسية لبناء مصر الجديدة على النحو الذى نتطلع اليه جميعا •

كذلك اشكر السادة الاخوة الوزراء

والسيد المهندس محمود على حسن ، على استجابتهم الكريمة لدعوة المشاركة فى هذه الندوة . والواقع أنهم جميعا لم يعودونا التخلف أبدا عن المشاركة فى أى عمل علمى على الاطلاق .

وأحب فى بداية الجلسة ، أن نتفق على أسلوب عملنا فى الندوة ، لاننى على ثقة بأن الموضوع أوسع وأشمل . وقد نحتاج الى فترة طويلة جدا لنلم بشكل دقائقه ، والوقت كما أتصور محدود ، ولذلك فاذا اتفقنا على أسلوب فقد نستطيع أن نصل فى نهاية الندوة الى حصيلة طيبة من نقاشنا .

لقد كانت هناك فكرة بأن تمتد الندوة الى فترة أخرى بعد هذا المساء ، ولكننا استبعدنا هذه الفكرة تقديرا لظروف كل الوزراء المشاركين فى هذه الندوة وجميعهم ممن يحمل من الاعباء الثقال مالا يتيح لهم التفريط فى كثير من الوقت الذى تعتز به الدولة وتريده لخدمات الامة . وفى تقديرى أنه قد يكون من المناسب أن يتحدث كل من السادة الاعضاء المشتركين فى الندوة لمدة تتراوح بين خمس عشرة دقيقة وعشرين دقيقة حتى يمكن أن نغطى الجوانب المختلفة ، التى وضعتها دار الهلال بدقة وحنكة فى هذا المجال ، خلال ساعة ونصف ساعة أو ما يقرب من ذلك . وبعد استراحة لمدة عشر دقائق ، نعود مرة أخرى الى مناقشة مفتوحة ، وفى تصورى أننا قد نحتاج الى ساعة أو ساعة ونصف الساعة من الحوار البناء المقترح ، وبذلك يمكن أن تستمر الندوة حوالى ثلاث ساعات نستطيع خلالها أن نغطى الجانب الاكبر من جوانب هذه المهمة الكبيرة ، وهى مهمة دراسة دور البحث العلمى وواجبه فى الصناعة . فاذا وافق السادة الزملاء الوزراء على هذا الاسلوب ، فاننا يمكن أن نحقق به شيئا ..

ولقد وضعت دار الهلال لى واجبا أضخم من أن أستطيع الحديث عنه فى لحظات أو فى دقائق كما ذكرت . لقد حددت لى دور البحث العلمى وآثاره على الصناعة على المستوى العالمى والقومى .. نشاط البحث العلمى فى مصر .. دور الاكاديمية فى هذا المجال ، وجهودها فى القطاع الصناعى .. أنواع التعاون بين مراكز البحوث والقطاعات الصناعية المختلفة ..



د. عبد المنعم أبو العزم

أسلوب الاعلام عن التطور التكنولوجى والبحوث فى العالم . وبمعنى آخر كل ما يخص البحث العلمى فى جميع جوانبه . وسأحاول أيضا فى الفترة الزمنية التى اقترحتها أن أمر بعجالة وبخطوط عريضة على هذه النقاط .

النقطة الاولى ، وهى الخاصة بدور البحث العلمى وأثره على الصناعة على المستوى العالمى والقومى : اعتقد انه من تحصيل الحاصل ان اقول ان الصناعة أصبحت بلا شك تستند فى كل خطوة من خطواتها على البحث العلمى . فلا يمكن ان تكون هناك صناعة بالمعنى المفهوم او الدقيق الا اذا كانت مستندة استنادا قويا على البحث العلمى . ومنذ أيام قليلة كنا ، السيد الأخ الكريم وزير الصناعة والأخ المهندس محمود على حسن وأنا ، نفتتح مؤتمر مركز بحوث الصناعة فى الاكاديمية . وكان من بين ما ذكرته انه لولا التحام الثورة الصناعية بالثورة العلمية ما كان يمكن للانسان ان يصل الى كل هذه المنجزات التى حققت له الوصول الى القمر بعد ان دانت له اعماق البحار ..

ان الصناعة ترتبط بالبحث العلمى فى كل مرحلة من مراحلها ، ولا اظننى مغاليا فى هذا .. تستند الى البحث العلمى الأساسى - اذا كنا نتفق وارجو الا يكون بيننا جدل حول مسميات أنواع البحث العلمى لانه موضوع يطول الجدل حوله - واظن ان اخى الدكتور اسماعيل صبرى ربما يتفق معى فى هذا وكثيرون من السادة الزملاء الموجودين أيضا ، فى ان هذا الموضوع يمكن ان يثير جدلا حتى الصباح دون ان نتفق على شئ بشأنه . ولكننا نتكلم دائما عن البحوث الاساسية والبحوث التطبيقية والتطويرية .

الوزراء والعلماء

في ندوة



فالبحوث الاساسية قد تكون لمزيد من الحركة ، او بحوثا موجهة في سبيل خدمة بحوث تطبيقية · والبحوث الاساسية الموجهة يصل منها الباحث الى نتائج يمكن أن تتحول بعد ذلك الى بحوث تطبيقية ·· وهذه البحوث التطبيقية تصل الى نتائج على مستوى المعمل قد تتحول بعد ذلك الى ما نسميه البحوث التجريبية او البحوث نصف الصناعية · فاذا ثبت نجاح هذه التجارب ، فانها يمكن أن تنتقل الى المستوى الصناعي الفعلي ·

وهناك نوع آخر من الحقائق العلمية الاساسية يمكن ان يستفاد بها في محاولة تكوين وحدات او نماذج أولية من أجهزة معينة · وفي حالة نجاحها يمكن أن تتحول بعد ذلك الى المستوى نصف الصناعي لدراسة كل الاخطاء الموجودة في عملية تصميم او تصنيع النموذج الاول · فاذا نجحت التجربة ، يمكن أن تصنع على المستوى الصناعي ·· فالحقائق العلمية المجردة يمكن أن تصل في النهاية الى عملية صناعية كاملة ·

نوع آخر من البحوث ، هو البحث عن الخامات او المواد · وهذه البحوث قد تكون ذات طابع أساسي، ولكنها تنتهي الى ايجاد الخامات الرئيسية اللازمة لكل العمليات الصناعية بمختلف انواعها ·

نوع ثالث من البحوث العلمية ، هو البحوث الخاصة بتطوير المنتج الصناعي ليصبح في مستوى أرفع وقابلا للمنافسة في السوق العالمية ، وهذا لا يمكن ان يتاتى الا عن طريق البحث العلمي ·

نوع رابع من البحوث العلمية التي تستند اليها الصناعة ، هو الاستفادة من المخلفات الصناعية ·· تنتج منتجا معينا، والى جانبه عشرات من المخلفات الصناعية، وكثير منها كان في الفترة الاولى وقبل نمو البحث العلمي يذهب هباء وهدرا·· أما الآن ، فكل البحوث العلمية تتجه الى الاستفادة من كل مخلف من مخلفات الصناعة في انتاج نوع آخر جديد من المنتجات الصناعية أو التي تدخل في عملية صناعية جديدة، بحيث أن كل مادة تدخل في الصناعة يستفاد من البقايا الخارجة منها بالكامل ، الا ما يصعب على العالم الاستفادة به حتى الآن ·

نوع خامس من البحوث العلمية ، هو تطوير الاجهزة الموجودة في المصانع لتكون أكثر كفاءة في الاداء · وهذا أيضا لا يمكن أن يتم الا عن طريق البحث العلمي ·· نشترى المصانع وتطور الصناعة نفسها عن طريق ايجاد الوان جديدة من الاجهزة المنتجة لنفس المنتج في نفس الصناعة · ويستطيع البحث العلمي المتمرس او الباحث ، خاصة في عمليات التطوير ان يطور الاجهزة المستخدمة في هذا المصنع لتكون على مستوى أعلى من مستويات الاداء ·

نوع آخر – وكل هذا ليس على سبيل الحصر ولكن على سبيل المثال – هو بحوث التسويق ، كما يحلو للاخ الدكتور حسن عشماوي أن يسميها دائما · والمقصود بها البحوث الخاصة بالتعرف على احتياجات المجتمع من منتج معين ،وعلى أذواق الجماهير لتقبل منتج ·· وربما يكون هو بالذات حريصا على هذا النوع من البحوث لانه لديه الصناعات الغذائية ، حتى يلقى المنتج الرواج المطلوب في المجتمع ·

هذه بعض الوان من الارتباطات أو الآثار الخاصة بالبحث العلمي على الصناعة وهذا الكلام على المستوى القومي ، شأنه في ذلك على المستوى العالمي · وكل التقدم الصناعي الذي نراه في العالم هو نتيجة وجود القاعدة العلمية الوطنية ، المتمرسة، القادرة على مجابهة كل المشاكل الصناعية عن طريق البحث العلمي · وبدون وجود القاعدة العلمية الوطنية لا يمكن أن نعتمد في تطوير الصناعة على استخدام الخبرات أو جلبها من الخارج او شراء حق المعرفة وحدها

وكل تقدم علمي اليوم يؤدي الى تقدم تكنولوجي · وربما اصبحت العملية كالسلسلة او الحلقة ·· فكل تقدم تكنولوجي يؤثر او يستخدم كوسيلة من الوسائل في مزيد من المعرفة العلمية، وبالتالي الى مزيد من الانتاج لتكنولوجيات حديثة تزيد من القدرة على القيام بالبحوث العلمية ، وهكذا · وربما كان المثل الذي نضربه دائما هو الاقمار الصناعية والتكنولوجيا · فقد كان التفكير السائد عندما ظهرت الاقمار الصناعية هو انها مظهر من مظاهر الفخر والقوة والعزة لدولتي الفضاء الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية . ثم اتضح ان العلماء استطاعوا ان يجدوا في التكنولوجيا المستخدمة في هذه الاقمار وسائل للاستفادة بها في البحث العلمي ·تعطي نتائج مذهلة اليوم في البحث عن خامات الارض ، وهو ما نسميه بالاستشعار من البعد والتصوير على الابعاد الشاهقة في سطح الارض او القمر ، والتقاط صور نتيجة انعكاس الاشعة تحت الحمراء على الاجسام المختلفة الموجودة على الارض او القمر ·

هذه التكنولوجيا تستخدم الآن في البحث عن المعادن والمياه الجوفية ، وفي اكتشاف الامراض،وفي كثير من العمليات التي كانت تستغرق سنوات ، فاصبحت تتم اليوم في ساعات او ايام او في واحد الى مائة من الفترة الزمنية التي كانت تستغرقها في الماضي ·

فالتقدم التكنولوجي اذن يخدم البحث العلمي · ويعطيه الفرصة لمزيد من انتاج تكنولوجيات حديثة تستخدم في البحث العلمي لزيادة التقدم · وكل العمليات العلمية التي تمت أو البحث العلمي الذي يتم اليوم ، لا يقوم على أساس أنه مسألة تطور أو تقدم أو ضرورة · وانما يتم عن ايمان راسخ بأنه استثمار وله عائد ·

لقد أصبح البحث العلمي عبارة عن عملية اقتصادية ، كما ان معهد بحوث في الدول المتقدمة الآن يعتبر شركة اقتصادية · واظن ان الاخ المهندس أحمد هلال من كبار الدعاة لهذه الفكرة · وربما يحدثنا عنها الآن ·

ومن الامثلة على ذلك : معهد أنشيء في الاتحاد السوفيتي عن تكنولوجيا الاشعاع· يستخدم الاشعاعات النووية في عمله في الزراعة والصناعة والكشف عن الاخطاء الموجودة في بناء السفن وفي صناعة الاجهزة التي تستخدم في مجالات الزراعة والصناعة والطب وفي سلسلة أخرى من الاستخدامات ·· هذا المعهد مهمته عمل النموذج الاول · وقد تكلف ٤٠٠ مليون روبل دفعتها الدولة · ولكنها اعتبرت هذا المبلغ قرضا للمعهد يتولى سداده على فترة زمنية معينة ، بالاضافة الى سداد كل تكلفة العاملين في هذا المعهد من دخله الخاص ، أي من تعاقداته مع الشركات على انتاج آلاف الاجهزة المختلفة··والمعلومات التي قيلت لنا هي أن المعهد سدد المبلغ الذي دفعته له الدولة في عشر سنوات · الى جانب سداد جميع تكاليف البحوث ومرتبات القائمين بالعمل فيه ·· وهذا هو نوع الارتباط بين الصناعة والبحث العلمي الذي يمكن أن يثبت أنه استثمار وله عائد ·

جانب آخر يثبت ذلك ويؤكده ·· فكل البيانات الدولية ــ والدكتور اسماعيل صبري اقدر مني في معرفة هذه البيانات · تؤكد كلها ان الاستثمار في البحث العلمي يعطي ،في اغلب الاحيان عائدا حوالي ٢٥٪ في العام ، بينما معظم الاستثمارات الاخرى يتراوح عائدها بين ٦٪ و ٧٪ في العام ·· فالبحث العلمي اذن استثمار له وزن واضح،وله عائد مؤكد

واذا جئنا الى دور الاكاديمية وجهدها في القطاع الصناعي ونوع التعاون بين مراكز البحث العلمي والقطاعات الصناعية المختلفة ، فانني أتعرض لثلاث نقاط صغيرة

الاولى : تركيز مجلس الاكاديمية على تحديد المشكلات الصناعية ذات الطابع القومي ، او المشكلات الرئيسية التي تؤثر



د . احمد توفيق



الوزراء والعلماء في ندوة الهلال

تأثيرا مباشرا على الاقتصاد القومي ، والتي يمكن أن تحل عن طريق البحث العلمي والتعاقد مع فريق من الباحثين المؤهلين لحل هذه المشكلات أينما كانت مواقعهم . ولقد قام بهذا الدور مجلس بحوث الصناعة الذى يرأسه الدكتور محمود على حسن ، ويستطيع أن يحدثنا عن الانجازات التي تمت فى هذا المجال .

النقطة الثانية : هي تشجيع التعاقد المباشر بين الصناعة وهيئات البحث العلمي التي تتبع رئيس الاكاديمية لحل مشكلات معينة تحددها الصناعة . وأقول على سبيل المثال ان المركز القومي للبحوث لديه هذا العام ٣٥ تعاقدا مع أكثر من ٢٦ هيئة وشركة في مختلف قطاعات الصناعة لحل مشكلات محددة ، ربما بلغت قيمتها بتمويلها مائة ألف جنيه ، وهو مبلغ صغير ولكنه يعطي عائدا ضخما . وسأعطي مثلا صغيرا عن ذلك من خلال التجربة التي اجريت للحصول على الحفاز أو : catalyst في احدى خطوات صناعة الاسمدة الازوتية . فقد كنا نستورده من الخارج بخمسين ألف جنيه استرليني كل سنة . وبالتجربة شكل فريق من المركز القومي للبحوث مع رجال الصناعة المختصة ، واتفق على هذا البحث ثلاثة آلاف جنيه اجورا ومكافآت ، وامكن تصنيع الحفاز من المادة المحلية ، وتكلف ٢٥ الف جنيه مصرى مقابل ٥٠ الف جنيه استرليني . وبذلك رفعنا عن كاهل الدولة استيراد هذا المنتج بالنقد الأجنبي ، كما خفضنا التكلفة الى أقل من النصف .

الجانب الثالث من جوانب نشاط الاكاديمية في هذا المجال هو معاهد البحوث العلمية المشتركة مع الصناعات . وكان هذا هدفا كنت آمل أن يتحقق دائما ، وأن تكون هناك المشاركة الفعلية من ادارة وتوجيه وتمويل مراكز البحث العلمي الموجودة في الاكاديمية والتي تخدم الصناعة ، لا أن تكون المراكز تابعة لرئيس الاكاديمية يديرها العاملون وحدهم . وعندما تشعر صناعة ما بأن هناك مشكلة ، فقد ترسلها للمركز أو لا ترسلها أو يبحث المركز عن وسيلة للاتصال بالصناعة .. ولكن لتقوم المراكز التي خلقت لخدمة الصناعة بتكوين مشروعات مشتركة بين الصناعة وأكاديمية البحث العلمي .

ولقد كان باكورة ذلك – والحمد لله – ما تم أمس في اللجنة الوزارية للانتاج بانشاء مركز بحوث البترول بالاشتراك بين وزارة البترول وأكاديمية البحث العلمي . ورئيس مجلس ادارة هذا المعهد هو رئيس مؤسسة البترول ، وأعضاء مجلس الادارة هم أربعة من مؤسسة البترول أو من قطاع البترول يختارهم وزير البترول ، وأربعة أو خمسة من أساتذة معهد البترول ، أى أن صاحب الشأن في هذا المركز هو رجل البترول الذى لديه المشكلات اليومية ، والذى يستطيع أن يحدد واجبات هذا المعهد لحل مشكلاته كما يراها هو من وجهة نظره انها ذات أولوية أولى . ويعود طبعا لمقدرة هذا المعهد على الاداء وسيره أو عدم سيره في الخط .



د . حسن مرعي

بالمرحلة الثانية مباشرة ان شاء الله هي انشاء مركز بحوث وتطوير الصناعات المعدنية بالاشتراك مع مؤسسة الصناعات المعدنية برئاسة السيد الدكتور محمود على حسن • ونأمل فى ختام هذا الاسبوع أن يتم اعلان مشروع القرار الجمهورى الخاص به • وقد وافق السيد وزير الصناعة على هذا الاجراء • وبذلك يبدأ نوع جديد من العلاقة العضوية الفعلية بين مراكز البحوث والصناعة •

الجزء الثالث هو : اسلوب الاعلام عن التطور التكنولوجى الحديث فى العالم •• وهذه عملية متسعة جدا ، أضع فيها رؤوس موضوعات •

فالاعلام عن العلم يستند الى وجود مكتبات علمية مركزية • والعالم الآن يخرج ٦٠ الف دورية فى العام ، ومن المتوقع ان تصل الى ٨٠ الف دورية فى عام ١٩٨٠ • ولا يمكن لاى مكتبة فى العالم كله ان تحتوى هذا العدد من الدوريات، ولكن هناك حدا أدنى يجب أن يتوافر ، وقد اتفق علميا على ان يكون ما بين ٨ آلاف و ١٠ آلاف دورية • وفى المركز القومى فى مصر ٤ آلاف دورية ، نأمل أن تصل قريبا الى الحد الادنى المطلوب • أما الباقى فيمكن أن يكون عن طريق الشرائط والتسجيلات المختلفة والشرائط المثقبة •

الجزء الثانى مبنى على تجميع الوثائق أو حفظ المعلومات فى الحاسب الالكترونى واسترجاعها ، وهذا يستوجب وجود حاسب الكترونى من نوع محدد معين صالح لهذه العملية • وقد أدرج فى الخطة الخمسية لاكاديمية البحث العلمى •



د . عماد الشيشيني

النوع الثالث هو النشرات العلمية التى ينشر فيها الباحث العلمى انتاجه وربما تكون الصعوبة التى تواجه النشر الآن فى مصر هى صعوبة عملية الطباعة نفسها ، بسبب عدم توافر المطابع العلمية المتخصصة فى طبع المادة العلمية • ولذلك كان الاتجاه الى انشاء مطبعة علمية وتكوين كوادر متخصصة فى عملية الطباعة العلمية •

الجانب الرابع هو براءات الاختراع ، وهى اليوم لم تعد مجرد خاتم ، ولكن اصبحت مصدرا من المصادر الرئيسية للاعلام عن التطور العلمى • وهى الوسيلة الوحيدة التى تنبه رجل الصناعة الى اتجاهات التصنيع فى المستقبل اذا وجدت الكوادر القادرة على استنباط هذا من براءات الاختراع المتاحة • ولحسن الحظ أصبح عندنا فى الاكاديمية فى العام الماضى اكثر من خمسة آلاف براءة اختراع •

الجانب الاخير هو الاعلام على المستوى الواسع ، وخلق الثقافة العلمية لدى الجماهير للايمان بأننا فى عصر يستند فعلا الى العلم ، وحتى لا يفاجأ الانسان بأنه فى عصر يعيش فيه غريبا تكنولوجيا، بكل التطورات التكنولوجية الضخمة ، التى لم نعد قادرين على حساب سرعة تطورها •• وهذا هو الدور الرئيسى لوسائل الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة وتليفزيون •

واود ان اركز مرة اخرى على ما ذكرته فى حديثى ، وهو أن البحث العلمى ماهو الا استثمار يحقق عائدا • ومن أجل هذا فان العالم كله يعتبر أن عبء البحث العلمى يقع الجزء الاكبر منه على الصناعة والاتجاه فى العالم كله الآن هو أن يكون تمويل البحث العلمى يمثل نسبة ثابتة من الدخل القومى ، وصلت فى بعض الدول الى ٤٪ من الناتج القومى وليس الدخل القومى ، وهذا هو المتبع فى عدد كبير من الدول ، وهناك دول ليست غنية مثل دول أوربا الشرقية تنفق على البحث العلمى الى مدى يصل الى ٢.٧٪ من الدخل القومى ، وغالبية هذه الاموال تدبر من الصناعة ، لكن الامل معقود على هذا الارتباط العضوى بين الصناعة والبحث العلمى ، لكى يؤدى الدور المطلوب منه فى عملية التنمية •

الوزراء والعلماء

فى ندوة

الهلال



مفهوم جديد لدور البحث العلمى فى خدمة التنمية الشاملة

وتحدث بعد ذلك الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير الدولة للتخطيط ، فقال :

• عندما اتصل بى الأخ الدكتور مصطفى كمال طلبة وعرض على الاشتراك فى هذه الندوة ، رحبت بذلك ايما ترحيب ،لاننى رايت ان ذلك يتيح لى فرصة الاتصال بهذه النخبة الممتازة من رجال الصناعة ومن رجال البحث فى العلوم الطبيعية .

وعلينا عندما نتكلم عن دور البحث العلمى فى الامور الاجتماعية والاقتصادية وفى تنمية الصناعة ، ان نستبعد فورا مفهومنا عن اقتصاديات المشروع وامكانيات التطبيق وعائد راس المال وما الى ذلك من الامور المالية والتجارية المباشرة التى تمارسها كل منشأة صناعية ممارسة جدية .. فهذا ليس هو المقصود من حديثى عن اهمية البحث العلمى والجوانب الاجتماعية والاقتصادية فى تنمية الصناعة، ولكننى اريد ان اطرق آفاقا اوسع واعمق، من هذه الممارسة اليومية البسيطة .

وهناك حقيقة اصبح العالم كله يسلم بها كحقيقة علمية ـ وان كنا لم نستوعبها تماما فى مصر ـ هذه الحقيقة هى الوحدة الاساسية لكافة العلوم من حيث المنهج والاختصاص ، بحيث انتهت تماما التفرقة التقليدية بين العلوم الطبيعية والرياضية من ناحية ، والعلوم الاجتماعية والانسانية من ناحية اخرى .. الا اننا ما زلنا حتى الان نقسم الدراسة فى الثانوية العامة الى علمى وادبى ، ونعتبر ان من بين علوم القسم الادبى : التاريخ والجغرافيا والاقتصاد ، ثم القسم العلمى الذى يشمل

العلوم الطبيعية والرياضيات .

ولقد كان هذا التقسيم مألوفا في العالم منذ القرن الماضي ، وظل ساريا حتى الحرب العالمية الثانية ، وكان هذا النظام مبنيا على مغالاة معينة ، وهي ان العلوم الطبيعية والرياضية تتميز بالدقة ، ويمكن الوصول بها الى نتائج محددة تثبت معمليا او بالبرهان القاطع الذى لا يحتمل الجدل ، في حين ان العلوم الانسانية الاجتماعية تخضع للخيال والاجتهاد ، وتأبى الاثبات المعمل بطبيعتها ، ويصعب تحويلها من الكيف الى الكم ، وبالتالى لا يمكن ان يطبق عليها المنهج الرياضى .

هذا الكلام يؤسفنى ان اقول انه قد عفا عليه الزمن،وفي عصرنا هذا لا ينطبق اللقب العلمى بالمعنى الدقيق الا على كل ما يثبت بالبرهان العلمى القاطع ، وفى مقدمته البرهان الرياضى . بل انه يمكن ان نقول انه من اهم ما يميز التقدم او التحضر عن التخلف هو القدرة على التعبير الكمى عن الظواهر الاقتصادية والاجتماعية ، وتحويل الكيف الى كم بحيث يمكن ان نعالج هذا الكم بالاسلوب الرياضى .

واليوم ، فان الاقتصادى الذى لا يعرف الرياضة لا يستطيع ان يكون خبيرا بالاقتصاد ، لان الاقتصاد اصبح يعتمد أساسا على الاقتصاد الرياضى ، والاقتصاد القياسى . ونفس الشيء بالنسبة لعلم الاجتماع ، فقد اصبح جزءا أساسيا منه ، علم الاجتماع القياسى . بل استطيع ان اصل الى اكثر من هذا ، فاقول ان علوم اللغات نفسها أصبحت دراستها تقوم على أساس استخدام المنهج الرياضى .

وهناك وحدة أساسية فى العالم تبرر هذا اللقاء بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، وانه ما لم تمد هذا الجسر بين الباحثين في العلوم الطبيعية والرياضية من ناحية وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى ، فاننا لن نستطيع ان نحقق نهضة علمية حقيقية .. لان تلك ظاهرة ثابتة من ظواهر البحث العلمى المعاصر ، وهو انه بعد أن قطع العلم شوطا بعيدا للغاية فى التخصص، ثم المزيد من التخصص ومزيد المزيد من التخصص ، أصبح الاتجاه الحديث هو البحوث المتعددة التخصصات ، أو البحث الذى يجمع بين تخصصات متعددة فى فريق واحد من الباحثين ، لان الظواهر التى تعالجها هى فى طبيعتها متشابكة ومترابطة ، فاذا ما أردنا الالمام بها الماما كاملا ، فيجب ان ندرس كل جوانبها .. فقد كان التجريد مرحلة أولى فى البحث ولكن بالقطع فان اعادتها الى تشابكها الطبيعى ودراستها بمنهج الدراسة المتعددة التخصصات بفريق من الباحثين المتعددى التخصصات ، يعتبر عملا لمرحلة اكثر تقدما فى المعرفة البشرية . والافضل تطبيق لهذا — حتى لا نبعد كثيرا عن موضوعنا الاصلى — انه فى معالجة الامور الاقتصادية وامور التنمية بصفة عامة ، فان أفضل تكوين علمى ممكن هو ما يسمى بالمهندس الاقتصادى ، اى الشخص الذى بدأ حياته مهندسا ثم درس الاقتصاد وتخصص فيه، فالجمع مابين العلوم الاقتصادية والاجتماعية والعلوم الطبيعية يمكن من المنهج الرياضى ، فالمهندس اعطته تجربته الهندسية الاحساس بالواقع الملموس ، وهذا ما يميزه عن الرياضى البحت ، وفى نفس الوقت فان دراسته الاقتصادية أمدته بمعرفة بعض الظواهر التى يعالجها .

❋❋❋

اننا ونحن نبنى الصناعة نهتم بالتكنولوجيا .. ولكننا لا نبنى الصناعة لمجرد الصناعة ، ولا نبنى فى الهواء . ومن هنا يجب أن نبدأ بالبشر وننتهى بهم ، فالصناعة هى أولا البشر منتجين ، وهى اخيرا البشر مستهلكين ويقاس تقدم الصناعة فى اى بلد بنجاح عملية التطويع المتبادل ما بين التكنولوجيا والبشر الذين يعملون عليها .

ومن هنا فان الالتقاء ما بين البعد الانسانى والبعد التكنولوجى امر ضرورى للغاية فيما يتعلق بتطوير الصناعة .ولقد حاولنا ان نمارس ذلك عندنا بالفعل ، فهو متبع فى معهد التخطيط القومى،حيث توسعنا فى تعيين المعيدين من خريجى كليات الهندسة . ولكن بكل أسف فان نظام التعليم الجامعى عندنا لا يسمح لهؤلاء المهندسين بأن يحصلوا على الدكتوراه فى الاقتصاد . وانتى اثير هذه النقطة فى حضور السيد الدكتور كامل ليلة وزير التعليم العالى ، لعله يجد حلا لها ، لاننا فى معهد التخطيط نضطر لارسال هؤلاء المهندسين فى بعثات للخارج للحصول على

الوزراء والعلماء
في ندوة
الهلال

الدكتوراه في الاقتصاد من الدول الخارجية . بهدف تحويل هؤلاء المهندسين الى مهندسين اقتصاديين ، لاننا نرى انهم بهذا يعتبرون دعامة أساسية في عملية التنمية بصفة عامة ، وليست التنمية الصناعية فحسب .

***

واذا نظرنا لاهمية البحوث الاجتماعية والانسانية للصناعة ، فانا يمكن ان نقف لنعالج أمورا على مستويات متعددة .

المستوى الاول هو أن نحدد الصناعة التي نريد انشاءها . وهذا يجب أن يخضع لدراسات اجتماعية واقتصادية . أي انه قبل أن نسأل : ماذا نصنع ؟ وماذا ننتج ؟ . يجب ان نطرح السؤال الاول ، وهو : لمن ننتج ؟ ولمن نصنع ؟ . فان الاجابة عن هذا السؤال هي التي ستحدد نوع الصناعة ونحن جميعا درسنا أن الصناعة تتحدد على أساس المواد الاولية المتاحة أولا وقبل كل شيء ، ثم الخبرات والتكنولوجيا السائدة . وكنا نستبعد تماما من الصورة لمن ننتج . فاذا ما أخذنا بهذه النظرية ، فاننا نقلد من حيث لا ندري تجربة الدول الصناعية المتقدمة ، في حين نجد أن هذه الدول بدأت الصناعة والعالم كله من حولها متخلف ، وكانت امكانيات الاسواق أمامها مفتوحة بلا حدود ، سواء كانت السوق المحلية أم الاسواق العالمية . ولكن الوضع يختلف تماما بالنسبة للدول النامية ، حيث تبدأ الانتاج وقد سبقتها في هذا المضمار دول كثيرة وقطعت شوطا بعيدا في هذا المجال .

ومن هنا يجب علينا أن نعرف أولا قبل أن ننتج أى شيء ، لمن ننتجه ، ولماذا ننتجه ؟ هل ينتج للسوق المحلية ؟ وما هو الذي ينتج للسوق المحلية ؟ وما هو الذي ينتج للسوق الخارجية ؟ وعندما نتحدث عن السوق الخارجية فاننا يجب ان نتعرض لانواع هذه الاسواق ، فنحن قد ألفنا الحديث عن السوق العالمية ، والواقع انه ليست هناك سوق عالمية واحدة ، ولكن العالم مقسم واقعيا — وليس سياسيا وايدلوجيا واقتصاديا واجتماعيا ، الى مستويات مختلفة ، فالسلع التي تصدر للاتحاد السوفييتي مثلا تختلف عن السلع التي تصدر الى سويسرا او تشاد او اى دولة افريقية اخرى .

اذن ، يتعين علينا قبل أن ننتج أن نعرف لمن ننتج ، فهذا هو السؤال الاول الذي تتحكم الاجابة عنه في تحديد نوع الصناعة التي يمكن أن نقدم عليها .

المستوى الثاني الذي يلي تحديد الصناعة مسألة اختيار التكنولوجيا الملائمة . وهذه مشكلة أساسية من مشكلات الانتاج والتخطيط بصفة عامة ، لانه يمكن استخدام تكنولوجيا مختلفة لانتاج سلعة معينة . وهنا يحدث صدام تقليدي بين المهندس خالص التفكير الهندسي وبين الاقتصادي ، لان المهندس هنا يفضل أن يستخدم أسلوب التكنولوجيا الاكثر تقدما ، فهو بطبيعته الهندسية يفضل كل ما هو متقدم . الا أن الواقع أثبت انه ليس دائما كل ما هو أفضل تكنولوجيا ، يكون بشكل مطلق على المستوى العالمي أفضل اقتصاديا في ظروف بلد معين

اسمحوا لي أن أضرب مثلا على ذلك — وهذا المثل الهام يتمثل في قضية مطروحة على المستوى العالمي — فالعالم يحاول ان يقنع بها الدول النامية ، وهي مشكلة نقل التكنولوجيا . والفكرة مبنية على أساس ان الدول المتقدمة تنتج التكنولوجيا والدول النامية تستهلكها . وهنا ظهرت فكرة انتقال التكنولوجيا كما نفكر في انتقال رءوس الاموال ، ووصلت الفكرة الى اقتراح انشاء بنك عالمي للتكنولوجيا .



مجموعة من العلماء في ندوة الهلال منهم د. عبد المنعم ابو العزم ، ود. مصطفى حافظ ، د. احمد راشد ، مهندس احمد نصر الدين البرقوقي ، مهندس صلاح الكيلاني ، مهندس ابراهيم عطموط ، د. احمد توفيق

وفي رأيي أننا لو أدخلنا في اعتبارنا البعد الاقتصادي والاجتماعي ، نجد أنه سوف يغير من هذه النظرية تماما ، لان التكنولوجيا لازمة للمجتمع وفقا لاحتياجات هذا المجتمع وليس وفقا لامكانياته . وهذه في تصوري نقطة هامة جدا .. فاذا أخذنا مثلا صناعة السيارات ، فسوف نجد أن هناك أنواعا متقدمة جدا من السيارات المكيفة الهواء ذات المقاعد المريحة والامكانيات الضخمة . وهناك مصانع تمتلك الامكانيات التكنولوجية لانتاج هذه الانواع من السيارات ، الا أنها لا تنتجها لان المجتمع الموجود فيه هذه المصانع لا يحتاج الى مثل هذا النوع من السيارات . فالمصانع التي تنتج هذه السيارات تقوم في بلاد وصل مستوى المعيشة فيها الى درجة يجعلها تتطلب هذه الانواع من السيارات . ولكن اذا نقلنا هذه التكنولوجيا المتطورة الى دولة افريقية ، فسوف يكون هناك عدم تطابق مطلق بين الانتاج واحتياجات السوق المحلية لهذه الدولة . وحتى لو كان المقصود بهذا الانتاج هو التصدير ، فانه في هذه الحالة لن يستطيع المنافسة في السوق العالمية لانه سوف ينافس مصانع اخرى في دول أكثر تقدما منه ، وهي التي نقل عنها هذه التكنولوجيا .

ومن هنا ، فاننا اذا ادخلنا البعد الاقتصادي والاجتماعي في هذه العملية ، فاننا نجد على الفور أن مشكلة التكنولوجيا ليست مشكلة نقل التكنولوجيا وتطويعها ، بل ان الامر يتطلب أن تتناسب هذه التكنولوجيا مع ظروف الواقع صناعيا واقتصاديا واجتماعيا . وبهذا يتضح أن الدراسة الاقتصادية والاجتماعية تقدم بعدا آخر للتنمية الصناعية .

واذا كنا نقول أن الاقتصاد علم كلا العلوم ، فهو ككل علم له جانبان : جانب عالمي وجانب محلي . فالنظريات الاساسية في أى علم ليست لها جنسية ، ولكن متى بدأنا في تطبيق أى نظرية ، فان الظروف التي يتم فيها هذا التطبيق تضفي عليها في التطبيق شكلا معينا واسلوبا معينا . ومن هنا فلابد عند نقل نظرية معينة طبقت باسلوب معين في بلد معين لتطبيقها في بلد آخر ، أن نأخذ في الاعتبار هذه الظروف المحلية ، بل اكثر من هذا فان المشكلة تمس صميم الاصالة والحضارة القوميه للشعوب النامية .

فاذا ما نظرنا لتلك النظرة البسيطة التي تقول ان التنمية تعني التصنيع باعتبار هذا مقدمة أول . وكمقدمة ثانية تقول أن التصنيع الذي تم في الدول المتقدمة يجب نقله تماما . فلو أننا وضعنا

الوزراء والعلماء

فى ندوة

الهلال

هاتين المقدمتين مع بعضهما ، فسوف تنتهى الى نتيجة ثالثة .. ذلك أنه بفرض نجاح المقدمتين السابقتين ، فان ما تنتهى اليه سيكون مسخا من المجتمع الاوربى المتقدم ، وهو ما يسمى بمجتمع الاستهلاك بكل ما فيه من مشكلات مثل تفشى المخدرات والجرائم الخلقية وتفكك الاسرة وارتفاع معدلات الانتحار وكل الجوانب السلبية فى هذه المجتمعات .

لقد حضرت اجتماعا فى سنتياجو عاصمة شيلى . وقد اشترك فى هذا الاجتماع اربعون من خبراء التنمية فى بلاد العالم الثالث . وقد دعوا لهذا المؤتمر على أساس شخصى بحت دون ان يكونوا ممثلين لدولهم او هيئاتهم . وبعض هؤلاء الخبراء يعملون فى هيئات دولية، ومع ذلك جاءوا فى هذا الاجتماع وعبروا عن آراء يعارضون فيها آراء الهيئات التى يعملون بها .

وكان موضوع الاجتماع بحث ازمة التنمية فى العالم الثالث . وكانت فكرة هذا المؤتمر قد انبثقت عن مؤتمر البيئة الذى عقد فى العام الماضى . وقد وجد بعض الحاضرين ان قضية البيئة تطرح من وجهة نظر الدول المتقدمة على اساس الحد من الصناعة للحد من تلوث البيئة .. وهذا طبعا لصالح الدول المتقدمة لانها قطعت شوطا كبيرا من التصنيع ، ولكنه لا يتناسب مع ظروف الدول النامية . ومن هنا كان على الدول النامية ان تدرس كيف تستطيع تصنيع نفسها دون ان ترتكب الاخطاء التى ارتكبتها الدول المتقدمة . وعندما عقد هذا المؤتمر الذى حضره - كما سبق ان ذكرت - اربعون

د. حسن الشماوى / د. حسن مرعى / د. عبد الفتاح اسماعيل



خبيرا من اسيا وامريكا اللاتينيةوافريقيا، انتهى الى نوع من البيان سمى « قرار سنتياجو » تقول فيه الآتى :

« أنه بعد ٢٥ عاما من تجربة التنمية التى مرت ، وبعد الحقبة الاولى والثانية للتنمية للامم المتحدة ، نجد أن ٧٠٪ من أمم العالم وشعوب العالم الثالث مازالوا لا يحصلون الا على ٢٠ ٪ من دخل العالم السنوى ، وان متوسط دخل الفرد النقدى فى العالم الثالث يصل الى ١ : ١٤ من متوسط دخل الفرد فى الدول المتقدمة • وان فى العالم الثالث «٩٠٠» مليون شخص دخلهم اليومى ٣٠ سنتا أمريكيا • واذا كانت هذه نتيجة ما سمى بالتنمية خلال هذه السنوات ، فلابد أن ثمة عيبا فى الطريقة التى عولجت بها طريقة التنمية ».

وفعلا كان فى تقدير المجتمعين أن العيب الاساسى فى هذا ، هو أن الدول المتقدمة طرحت علينا نموذجا للتنمية وفرضت محاكاته ، وكان هذا النموذج غير متلائم مع الظروف المحلية والقومية فى الدول النامية • ومن ثم فانه لم يفد الاغلبية الساحقة من أبناء هذه البلاد • ومن هنا نشأت فكرة الدعوة لخبراء التنمية من أبناء العالم الثالث حتى يفكروا بأنفسهم ويحاولوا ايجاد النظريات الاقتصادية والاجتماعية للتنمية التى تستطيع أن تحقق فعلا الارتفاع بمستويات معيشة أوسع الجماهير •

أقول هذا مشاركا الزميل الدكتور مصطفى طلبة فيما ذكره من أن البحث العلمى استثمار ، وكل ما أريد أن اضيفه هنا هو أن البحث العلمى كاستثمار يجب أن يخضع لمعايير الاستثمار •• فحين تتقدم احدى المؤسسات الصناعية بمشروع استثمارى ، فاننا نحاسبها حساب الملكين • ونطلب معرفة كل تفاصيل المشروع • ولا شك أن هذا أمر ضرورى فى بلد محدود الموارد مثل بلدنا • واننا اذا ما حسبنا ما يصرف على البحث العلمى فى ميزانية الدولة والهيئات والمؤسسات والشركات والجامعات ••• الخ ، فسوف نجد أننا نصرف نسبة لا تقل كثيرا عن ٣٪ من الدخل القومى ، ولكن المشكلة فعلا هى مشكلة تنظيمية ، وهى : كيف يمكن الربط ما بين جهود البحث العلمى المتفرقة؟ فما زال البحث العلمى عندنا يسير الى حد كبير على أساس فردى ، فى حين أن البحوث العالمية كما أنها أصبحت استثمارا ، فانها أصبحت صناعة يقوم بها مجموعة من العلماء •

فما زال البحث العلمى عندنا يتجه نحو التخصص الضيق ، بينما الاتجاه العالمى يسير نحو تجميع باحثين من تخصصات مختلفة •

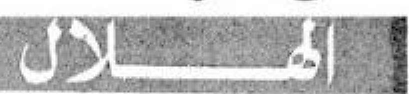
وما زال البحث العلمى عندنا أكاديميا يبعد عن الواقع • ولكى نكون منصفين ، فما زال أهل الواقع يستسهلون نوعا ما البحث الاكاديمى • ونحن نريد أن نتغلب على هذا بحيث نحقق الارتباط فى الصناعة بين البحث العلمى وبين مواقع الانتاج والخدمات ، وخير وسيلة لتنظيم ذلك هى البحوث التعاقدية • ولا شك أن كل المعاهد عندنا مارستها • ونحن شخصيا مارسناها فى معهد التخطيط القومى • ونأمل فى حدود السنتين القادمتين أن نتمكن من أن نقول لوزارة المالية والاقتصاد أن معهد التخطيط القومى يمول نفسه بنفسه ، أو على الاقل لا يحتاج الا لاعانة سد عجز بسيطة ، أى أن تمويله الاساسى يجب أن يحققه هو •

ولكننى أود أن أقول لحضراتكم بكل صراحة : أن ايراداتنا من البحوث ما زال ٣٠٪ منها يأتى من بحوث تكلفنا بها هيئات دولية • ومن هذا يتضح أن الهيئات المصرية نفسها ما زالت لا تقدر التقدير الكافى أهمية الربط بين البحث العلمى فى مجال تطوير التكنولوجيا وبين الصناعة اذ لابد أن يلتقى البحث العلمى الاكاديمى بالمشكلات الواقعية • وهذا لا يمكن أن يتم الا بجهد مشترك بين البحث العلمى والصناعة •

الجانب الثانى فى القول هو الربط ما بين البحوث فى العلوم الاساسية ••فى العلوم الطبيعية والرياضية من ناحية والبحوث الاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى ، لكى نصل الى الانسان المتكامل وليس الانسان الوحيد الجانب • ولقد طالب الميثاق بضرورة أن يكون الانسان سيد الآلة لا أن تكون الآلة سيدة الانسان • وهذه العبارة ستظل عبارة انشائية ، ولكى نحولها الى واقع لابد من دراسة ، ولابد من جهد ، ولابد للجوانب الاقتصادية والاجتماعية ــ بالمعنى الواسع الذى تحدثت

الوزراء والعلماء

فى نـدوة



عنه — أن تلقى ما تستحق من اهتمام ، وتجرى فيها البحـوث اللازمة فى نطاق البحث التطبيقى .

وفى ختـام كلمتى ، أود أن أعطى لحضراتكم مثلا بسيطا . فقد سـبق أن طلبت مؤسسة القطن قرضا من البنـك الدولى لتطوير المحالج . ولقد دهشـت حينما جعل المستر ماكنمارا من ضـمن شروط منح هذا القرض ، اجراء دراسـة عن مصير العمال الذين سيسرحون نتيجة زيادة الميكنة فى عملية الحليج . ولقـد تولى معهد التخطيط القومى اجراء مثـل هذه الدراسة . واذا كان تفكـير البنك الدولى أكثر محافظة من هـنـا ، الا أن المستر ماكنمارا كرجل رأسمالى متسـم التفكير ، علاوة على أنه انسان متفتح من الدرجة الاولى ، بدأ يدرك أهمية هـذه الجوانب الاجتماعية والاقتصادية . وجعل منح القرض مرهونا بمصير العمال نتيجة زيادة الميكنة . وبالتالى فان مثل هـذه القضايا يجب أن تكون مجال بحث .

وفى الحقيقة فاننى مستبشر خيرا بهذه الندوة ، كما اتمنى أن نلتقى فى ندوات أخرى ، وأن تكون هذه النـدوة بداية اتصالات بين مراكز باحثينا ومراكـز انتاجنا ، والا تشغلنا مشاغلنا اليومية عن أن نتصل بعضنا ببعض لنتدارس سويا مختلف المسائل التى تشغلنا وتهمنا جميعا .

وأرجو من الله العلى القدير أن يوفقنا جميعا الى ما فيه خير هذا البلد .



دور التكنولوجيا الحديثة فى البترول والثروة المعدنية

وتحدث بعـد ذلك السـيد المهندس أحمـد عز الدين هلال وزير البترول والثروة المعدنيـة فقال :

أرجو ألا تعقد مثل هذه الندوات مرة كل سنة ، بل تتكرر أكثر من ذلك حتى يكون هناك تحرك أكثر وأفضل للبحث العلمى .

أما الموضوع الذى كلفت بالحديث عنه ، فهو عن « التكنولوجيا الحديثة فى البترول والثروة المعدنية . وأثرها فى تنميـة موارد الدولة » .

والواقع أننى كتبت فى هذا الموضوع عشر صفحات . ولكننى أود أن أتحدث مع حضراتكم حديثا من القلب الى القلب كانسان مارس هذه العملية . وحينمـا أفكر فى قطاع البترول والثروة المعدنية والبحث والتكنولوجيا فيهما ، فاننى أتصور أن الاستراتيجية القومية لأى بلد هى فى مفهومها العام استخدام موارد أحسن استخدام للوصول الى الهدف المنشود فى المدة المحددة .

ما هو هدفنا فى هذا البلد ؟

هو تنمية الدخل القومى بحيث يتضاعف فى عشر سنوات .

فى الحقيقة أن الله أنعم علينا فى قطاع

البترول والثروة المعدنية بأشياء كثيرة ، فهو قطاع غني . ولكن الصعوبة فيه هو انه يمثل موارد غير مرئية ، اى تحت الارض ، ولذلك فهو قطاع فريد في نوعه، وله أهمية خاصة في هذا المجال .

النقطة الثانية التى أود أن أنتقل اليها، وهى : التكلفة فى قطاع البترول .

. فى الواقع أن التكلفة فى هذا القطاع تكلفة باهظة . وللوصول الى أحدث وسائل التكنولوجيا الممكنة لتخفيض قيمة او تكلفة البترول فى جميع خطواته ،فانه لابد من استخدام هذه الوسائل فى كافة مجالات هذه الصناعة ، وهى :

– مجال البحث والتنقيب – مجال الانتاج – مجال التكرير والتصنيع – مجال النقل والتوزيع – مجال التسويق – مجال التصنيع .

وسوف أتحدث فيما بعد عن الثروة المعدنية . وسأوضح لحضراتكم العلامات أو المؤشرات لحوادث وقعت فعلا ، تبين أهمية التكنولوجيا الحديثة واستخدامها فى هذه الصناعة . وسأتناول بالحديث أولا مجال البحث والتنقيب .

ما الذى فعلته التكنولوجيا الحديثة ؟

حيثما ألخص ذلك باختصار شديد ، فاننى أضرب لسيادتكم مثالين بسيطين :

● شركة من الشركات تأخذ قطعة من الارض ، وتبحث فيها عن البترول ، ثم تتركها بعد أربع سنوات ، وتقول : لا يوجد فيها بترول .

● شركة أخرى تبحث فيها لمدة شهرين ، ثم تستخرج منها بترولا .

وهذا هو الفارق بين التكنولوجيا الحديثة واستخدامها من شركة الى أخرى.

وهناك شركات كثيرة اشتركت فى عمليات البحث والتنقيب فى مصر ، منها شركات أمريكية وانجليزية وفرنسية ويابانية . وهى تستخدم فى ذلك أحدث ما عندها من وسائل التكنولوجيا بحثا عن البترول .

فقد اشتركت شركة فيليبس فى البحث عن البترول فى الصحراء الغربية ، ولم تجد فى منطقة رزاق ، ثم اعطيت هذه المنطقة الى شركة امكو ، وبعد بحث دام شهرين ، وجدت فيها هذه الشركة بترولا . وهذا يدل على أن هناك من يستخدمون تكنيكا جديدا ومتجددا ،ولذلك فقد وجدنا انه من صالح مصر استخدام اكبر عدد ممكن من الشركات ، لا بغرض الاستثمار الاجنبي فحسب – وهذا غرض رئيسى – بل لوجود تنافس بين التكنولوجيا الحديثة التى توصلت اليها كل شركة ، وبهذه الطريقة تتمكن مصر عن طريق التكنولوجيا الحديثة من الوصول الى الهدف المنشود فى الوقت المحدد .

وفى الحقيقة أننا استخدمنا التكنولوجيا

بعض من السادة رؤساء الشركات الصناعية والتعدين والبترول



الوزراء والعلماء في نـدوة الهـلال

الحديثة في السنوات الست الاخيرة .. ونتيجة للجهود الكبيرة التي بذلت في هذا السبيل ، تحقق عدد كبير من الاكتشافات البترولية الهامة .. ففي خليج السويس اكتشف حقل المرجان البحرى ، وهو اكبر الحقول المصرية - انتاجا ، وواحد من الحقول الكبرى في الشرق الاوسط . وفي الصحراء الشرقية تم اكتشاف حقل ام اليسر والعيون ، كما تم فيها أخيرا اكتشاف حقل شعير . وفي الصحراء الغربية اكتشفنا حقل العلمين وهو أول اكتشاف بترول في الصحراء الغربية ثم حقول أبو الغرادين ورزاق وبدما ومليحة .

وكل هذه الاكتشافات لم تكن بالامر الهين ، خاصة في الصحراء الشرقية . فقد قال السيد رئيس مجلس ادارة الشركة العامة للبترول أنه توجد عندنا طبقات ملحية كثيرة تعرقل عملية استخراج البترول في هذه المنطقة . وأرجو من سيادته أن ينفذ وعده الذى وعدنا به منذ عامين بوضع ورقة عمل للقيام ببحث تطبيقي عن مدى تأثير هذه الطبقة من الملح على ذلك .

ومن جهة أخرى ، فان مواقع بترول الصحراء الغربية عبارة عن مساحات شاسعة ونحن نريد استخدام احدث نوع من التكنولوجيا لتحديد حقول البترول في هذه الاماكن الكبيرة .. فقد نجد البترول على عمق خمسة آلاف قدم كما وجدته ليبيا ، وأحيانا على عمق عشرة آلاف قدم ، وأحيانا أخرى خمسة عشر ألف قدم .. فلابد اذن من استخدام أحدث وسائل التكنولوجيا للوصول الى ذلك بأقل تكلفة ممكنة تحقيقا للهدف المنشود . لاننا نريد أكبر كمية ممكنة من البترول لتصديرها وتصنيعها ، وهذا لا يتأتى الا عن طريق البحث العلمي .

أنتقل بعد ذلك الى الخطوة الثانية وهي : مجال الانتاج .

لقد أدخلت وسائل التكنولوجيا الحديثة في عمليات الحفر والانتاج ، وتمكنا من حفر آبار مائلة وصلت درجة ميلها عن الرأس الى ٧٥ درجة . وكان في هذه العملية اعجاز ، واننى لفخور جدا بأن الشركة العامة للبترول هي الشركة الاولى في الشرق الاوسط التي قامت بهذه العملية .

ولقد امكن للدقاق الحديث أن يستمر في الحفر ما يزيد على مائة ساعة قبل أن يتآكل ويستدعى الامر تغييره ، وذلك بدلا من الدقاق المألوف الذى كان يتآكل في حدود يوم واحد في الاعماق الكبيرة .

وفي روسيا وجدت أنهم صنعوا حفارا من الماس لكى يعيش مددا طويلة ، وهذه هي التكنولوجيا الحديثة في عملية الحفر عن البترول .

أما بالنسبة لاستخدام التكنولوجيا في



د. م. محمد رمزى الليثى
م . توفيـــق شـــوقى

الحفر البحرى ، فقد كان الحفر فى البحر يتم على أعماق ٢٠ او ٣٠ او ١٠٠ متر ، أما الآن فقد فاقت نتائجها كل تصور ، اذ يمكن فى الوقت الحالى حفر المواقع البحرية التى تغطى بحوالى ٥٠٠ قدم من المياه وتجرى البحوث والاستعدادات لتصنيع الاجهزة اللازمة لحفر مواقع تحت مياه يصل عمقها الى اكثر من ١٥٠٠ قدم ، وانى بذلك اوضح لسيادتكم كيفية تطوير العملية الفنية للتكنولوجيا الحديثة فى هذا العالم المتطور .

أما بالنسبة لعمليات التنمية والانتاج ، فقد أمكن الوصول الى استخدام التسجيلات الاشعاعية والصوتية للكشف عن الطبقات الحاملة للبترول ، مهما صغر سمك هذه الطبقات

والدنيا تنظر الآن الى ثلاث شركات كبيرة تقوم باستخدام الوسائل المختلفة للتكنولوجيا فى البحث عن البترول حتى عمق خمسة آلاف متر . والانسان هنا حينما يسمع ذلك ، يقول أين نحن من هذه التكنولوجيا المتفوقة .

ننتقل الى مجال آخر ، وهو : مجال التكرير والتصنيع ..

فيما مضى ، كنا نجد منتجات البترول الخام الرئيسية المعروفة لنا هى : الغاز والبوتاجاز ، والبنزين ، والكيروسين والسولار ، والديزل ، والمازوت .

أما الآن ، فاننا نريد أخذ أكبر عائد ممكن من البترول الخام . وكما قال الدكتور اسماعيل صبرى ، فاننا نريد تطويع عمليات البحث العلمى ، بشرط أن نعرف الخام المطلوب استخدامه للوصول الى الهدف الخاص بتغطية احتياجاته أو أهدافه

وفى الواقع أن مصر ليست متأخرة فى ذلك ، فمصنع تكرير البترول الموجود بالسويس — المتوقف الآن لظروف العدوان — يضم احدث أجهزة التصنيع والتفحيم .

وحينما اردنا استخدام عامل مساعد كانت هناك حيرة . ولولا تعاون المعهد القومى للبحوث مع شركة السويس ماكنا قد توصلنا الى تلك النتائج العظيمة التى توصلنا اليها .. وعلى ذلك ، فانه اذا لم يتم البحث العلمى بطريقة صحيحة ، فاننا سنتأخر ونتدهور الى الوراء . والعالم المتطور لا يسمح بذلك .

وبفضل الله ، تحققت ثلاثة اكتشافات بالنسبة للغازات الطبيعية والزيت الخام فى ابو الغراديق وابو قير على ساحل البحر الابيض المتوسط وابو ماضى وشمال الدلتا .. ومن جهة اخرى ، فان حقول الغاز تستخدم كبديل للمازوت فى محطات الكهرباء وفى بعض الصناعات كصناعة الاسمنت والحديد والصلب ، كما سيستخدم جزء من غازات ابو ماضى فى صناعة الاسمدة .

هذه هى التكنولوجيا الحديثة التى بدونها لا يمكن استخدام الغاز كمورد طبيعى للوصول الى الهدف المنشود

اننا نقول ان الغاز ثورة صناعية لن تسير الا بتأييد من التكنولوجيا الحديثة او البحث التطبيقى العملى .

ننتقل من هذا المجال الى مجال : النقل والتوزيع .

منذ عشرين عاما ، كانت حمولة اكبر ناقلة للبترول هى ٣٠ الف طن . أما الآن فقد أصبحنا ننقل ٣٠٠ الف طن و ٣٥٠ الف طن ، ونريد أن نصل الى نقل ٥٠٠ الف طن .

وجدير بالذكر ان قطاع البترول ، مسايرة منه لأحدث الاساليب العلمية عند وضع خطط النقل والتوزيع . قد بدأ حديثا فى استخدام البرمجة الخطية وتطبيقاتها على الحاسب الالكترونى ، بهدف الوصول الى الحل الامثل . وقد أدى ذلك الى استخدام الطاقات المتاحة فى النقل والتخزين على أكمل وجه وبأقل تكلفة ممكنة

ومن الوسائل الحديثة التى استخدمها قطاع البترول فى عمليات الشحن والتفريغ ، استعمال الشمندورات العائمة بدلا من اقامة الموانىء التقليدية . وهذا من شأنه خفض تكاليف الانشاء مع سرعة التنفيذ ، كما ان هذه الموانىء تتميز بامكانية استقبال ناقلات ذات حمولة كبيرة بالاضافة الى رسوها فى عرض البحر .

واود ان اشير فى هذا الصدد الى انه مما لا شك فيه ان خط انابيب البترول « السويس — الاسكندرية » سيضمن بقاء شرايين البترول العربى تحت اشراف الدول العربية ، ويقف فى مواجهة تسرب عائدات مرور البترول المنتج فى المنطقة العربية الى الدول الاجنبية . وبالاضافة الى ذلك ، فانه يحقق للاقتصاد المصرى فوائد كبيرة حيث تستعيد مصر النقد الاجنبى الذى تفقده نتيجة لدوران الناقلات التى لا يمكنها

الوزراء والعلماء

في ندوة

الهلال

المرور في قناة السويس – حاليا ومستقبلا – حول رأس الرجاء الصالح .

***

أنتقل بعد ذلك الى : مجال التسويق .

والواقع اننا كنا لنقل المازوت باللوريات . وقد استخدمنا في ذلك مواد عازلة حديثة أقل تكلفة وأكثر كفاءة . وبالتالي هناك زيادة في العائد من هذه الصناعة

وهناك صناعة أخرى تأخرنا فيها كثيرا . وهي المنتجات البتروكيماوية اللازمة للاستهلاك المحلي أو التصدير ..

فمنذ عدة سنوات ، عقد مؤتمر دولي في آسيا ضم دولا متقدمة ودولا متخلفة . وقد انتهى هذا المؤتمر الى اصدار قرار بعدم اقامة أي مصانع بتروكيماوية في الدول المتخلفة . وعلى الدول المتقدمة اقامة هذه المصانع ، واعطاء الدول المتخلفة المواد المنتجة للاستهلاك المحلي .

وفي الحقيقة ان الصناعة البتروكيماوية هي صناعة تعتمد اعتمادا كليا على التكنولوجيا والبحث التطبيقي

وأنتقل الآن الى الحديث عن الثروة المعدنية ..

في الواقع انني دهشت عندما حضرت اجتماعا للجيولوجيين . عندما وجدت أن آخر خريطة منشورة لجيولوجية مصر في عام ١٩٢٨ ، ولم يتم انشاء خريطة جديدة أخرى الا في عام ١٩٧١ ، عن طريق البحث العلمي وعن طريق استخدام المعلومات الموجودة .

ودهشت أيضا لأن ٢٢٪ من أرضنا – الجانب الغربي – لا نعرف أي شيء عن جيولوجيتها .

وهذه الحقائق تؤكد لنا انه لو كانت التكنولوجيا الحديثة موجودة ، لعرفنا ما هو الموجود في بلدنا .

لقطة يظهر فيها المهندس علي مرسي ، دكتور احمد راشد ، مهندس بهاء عبد الرحمن، مهندس صلاح الدين الكيلاني ، دكتور محمد عمار



وحينما نقول أنه في الصحراء الغربية تم اكتشاف رواسب كبيرة من الفوسفات في جزء من هضبة أبو طرطور بين الواحات الداخلة والواحات الخارجية ، فانه لابد لنا ان ندرس الى أى حد نركز .. الى كذا في المائة .. ستكون هناك خسارة كذا ، أو ربح كذا ..

هذه هي التكنولوجيا الحديثة في قطاع الانتاج للمعادن ..

وانني أقول ان التكنولوجيا لا تأتي، الا عن طريق الاحتكاك العالمي والبحث العلمي التطبيقي .

وفي الحقيقة فانني اشكر الدكتور مصطفى طلبة الذى تحدث في هذا الموضوع وحول البحث العلمي الى بحث علمي تطبيقي . وارجو ان يكون معهد البترول مثل المعهد القومي للتخطيط ، وأن نعطى فرصة خمس سنوات بحيث تكون هناك تعاقدات يساهم معها البترول من خلالها في تقديم الدراسات لكل الجهات التي تطلبها .

ومن جهة اخرى ، فان هناك بحوثا كثيرة يجرى اعدادها . وعلى سبيل المثال ، فقد أعد بحث لانتاج البروتين . وبحوث اخرى لتطوير المنتجات والاكتشاف والتسويق ..

كذلك فانه لابد من تخصيص البحث العلمي . فان كل الدول تنفق عليه بنسبة معينة من الدخل القومي ٨٥٪ في المراكز المتخصصة التي تتبع الصناعة ٥٪ في الجامعات ، ١٠٪ المعاهد العليا .

كما تعهد بالمشكلات الخاصة بالنواحي العلمية الى متخصصين فيها لدراستها واقتراح الحلول بشأنها .

وخلاصة القول ان البحث العلمي التطبيقي في مصر مسألة حياة او موت .. فبالنسبة لمصر يجب الا تنعزل عن مسايرة التقدم في هذا المجال ، بل يجب ان نستخدم الخبرة في العالم كله لخدمة البحث العلمي التطبيقي ، وان نعطيه كل ما يحتاجه من مال .. كذلك يجب ان نسير مع الركب في التكنولوجيا الحديثة في قطاع البترول والثروة المعدنية ..



التطور الصناعي واعتماده على البحث العلمي

ثم تحدث الدكتور محمود علي حسن نائبا عن المهندس ابراهيم سالم محمدين وزير الصناعة فقال:

• بعد الكلمات التي تفضل بها السادة الوزراء الذين تحدثوا قبلي ، فانني أرى انهم لم يتركوا لي في هذا المجال شيئا اضيفه ، ومما لا شك فيه ان هذا سوف يجعل مهمتي صعبة ، لذلك سأقتصر في حديثي على الربط بين مراكز البحوث المختلفة على مستوياتها المختلفة أيضا .

ولقد كان من المفروض ان يحضر السيد

الوزراء والعلماء

فى نـــدوة

الهلال

الاستاذ وزير الصناعة هذه الندوة لكى يتكلم فى موضوع الاقتراحات اللازمة التى تمكن قطاعات الصناعة المختلفة من الاستفادة الكاملة من جهود مراكز البحث العلمى ، وكان المفروض أيضا أن أتكلم أنا عن مراكز ومعامل البحوث بالشركات الصناعية ودورها فى تطوير الصناعة حاليا ومستقبلا ، ثم أسلوب الربط بينها وبين المراكز والمعامل ومعاهد البحث على المستوى القومى ، ولكن السيد وزير الصناعة اعتذر عن عدم امكانه حضور هذه الندوة لارتباطه بمواعيد سابقة وطلب منى أن أنوب عن سيادته بالقاء الكلمة التى كان من المفروض أن يلقيها ، ولقد وجدت أن الكلمتين مرتبطتان ببعضهما ، ومن هنا فقد دمجتهما فى كلمة واحدة أرجو أن تكون مختصرة وتؤدى الغرض الذى أعدت من أجله .

وقبل الدخول فى الموضوع أحب أن أتطرق الى مقدمة صغيرة ، أن التطور الصناعى عملية « ديناميكية » تتسم بالاستمرار وتعتمد أساسا على البحث العلمى كأداة مثلى وضرورية لاستنباط تكنولوجيات حديثة أو تطوير طرق انتاجية موجودة فعلا ، وفى الوقت الذى قام به البحث العلمى التطبيقى بالدور الرئيسى فى تطوير الصناعات فى البلاد المتقدمة لم تتح له الفرصة فى مصر بأن يقوم بدور مماثل لتطوير الانتاج الصناعى المحلى .

ويعتبر العامل الرئيسى فى ذلك تلك الفجوة الكبيرة التى كانت قائمة بين الدعامتين الاساسيتين فى عملية التطوير الصناعى ، وهما رجل البحث العلمى ورجل الصناعة وقد أدى ذلك الى أزمة ثقة بينهما كان من نتيجتها اتسام معظم البحوث المحلية بالطابع الاكاديمى البحت الذى لم يعد قادرا على الخروج من حيز المعمل الى

م . جعفر حسين جعفر / م. حسن ناجى / د. محمد عبد الجليل / م. شوقى غانم / السيد / ابراهيم سرحان



مجالات التطبيق الفعل على المستوى الصناعى كما كان من نتيجتها ايضا عزل رجـل الصناعة عن آخر التطـورات فى الاسس العلمية فى مجال عمله الى جانب تجميـده خبرته العلمية وعدم تطويرها على اساس علمى سليم او الاستفادة منها فى دراسة امكانية التطبيق الصناعى لنتائج البحـوث الاكاديمية .

من ذلك تتبين اهمية التعاون بين وحدات الانتاج ومراكز البحث العـلمى كاسس لتطوير الانتاج الصناعى فى مصر ، كما ان الخطط الموضوعة للتوسع فى الانتاج الصناعى فى مجالاته المختلفه لتؤكد من جديد حتمية الدور الذى يجب ان يقوم به البحث العلمى التطبيقى فى بناء مجتمع صناعى قادر على الصمود فى وسـط التطورات التكنولوجية الكبيرة فى المجتمعات الاخرى خارج حدوده ، ان نقطة البداية فى هذا المجال كان لابد وان تكون محاولة القضـاء على هذه الفجوة بين الباحثين العلميين ورجال الصناعة ، وقد تمت فى سبيل ذلك خطوة هامة هى انشاء اكاديمية البحث العلمى وتفرع منها مجلس بحوث للصناعة يشمل العلميين والصناعيين

وقد بدا ذلك فى التوصية الهامة التى اتخذها مجلس بحوث الصناعات ،والخاصة بمشاركة الاساتذة والعلماء فى صـورة تفرغ لمدة عام او عامين بالمصنع لمعايشة الانتاج فى شتى مراحله المختلفة والاشراف على تطوير البحوث فى المصانع المباشرة .

كما أن اقرار سياسة العقود المباشرة بين أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيـا والجهات البحثية المختلفة بالنسبة للبحوث ذات الطابع القومى او سياسة العقـود المباشرة بين جهات الانتاج وجهـات البحوث المختلفة بالنسبة للبحـوث التى لا ترقى للمستوى القومى والتى يمكن للشركات المستفيدة تمويلها يهدف اساسا الى الاستفادة الكاملة من جهود مراكـز البحث العلمى فى عملية التطوير الصناعى الى جانب فتح المجال للبحث العلمى لياخذ الطابع التطبيقى بالاضافة الى طابعـه الاكاديمى . ان كل الجهود يجب أن تبذل فى سبيل تدعيم الروابط بين رجال البحث العلمى ورجال الصناعة على اساس من حتمية التعاون بين كل منهما ، وكذلك فان اللقاءات المباشرة لمناقشة مشـكلات محددة أو اللقاءات العامة فى النـدوات والمؤتمرات العلمية لتعتبر مجالا لتبادل وجهات النظر فى حل أى مشكلة آخذة فى اعتبارها الرأى الاكاديمى الذى يمثله رجل البحث والناحية التنفيذية والتى تتمثل فى الخبرة العلمية لرجل الصناعة ،وبالتالى فان التغيرات المتوالية فى التنظيمات تسىء اساءة بالغة الى البحث العلمى لانعدام الاستقرار ، والآن نتحدث من اسـلوب الربط بين مراكز البحث العلمى داخل وخارج الصناعة ، فان التوسع الكبير الذى حدث فى مجال الصناعة فى الماضى ، وما يجرى اقامته فى الحاضر وما يخطط له فى المستقبل ، ليحتم ، بجانب الاهتمام بعمليات الانتاج ، تدعيم مجالات البحث وتتحدد مسئولية البحث العلمى فى ثلاثة مجالات اساسية وهى **أولا : حل مشكلات الانتاج ، ثانيا : تطوير الانتاج . ثالثا : تطوير وسائل الانتاج ومسايرة التطـور العلمى والتكنولوجيا العالية .**

وحتى نصل الى هذه الاهداف المرجوة لابد من تواجد مواقع مختلفة للبحـوث تتدرج امكانياتها ومسئولياتها الى أعلى ، وتكون البداية على مستوى كل موقع انتاجى ثم تنتقل الى مستوى الصناعة النوعية ، ثم تنتقل الى المستوى القومى . بذلك تبدأ بقاعدة عريضة وهى وحدات البحـوث بكل شركة واقامة مركز أو معهد مركزى لكل صناعة نوعية ، مثل مركـز بحوث الفلزات ، ثم ينسق بين معاهد البحوث المركزية والجامعات لتعمل على المستوى القومى ، على مستوى الاكاديمية ، وحتى تؤدى هذه الوحدات والمراكز عملها ومهمتها بكفاءة تامة وبدون تعارض أو تكرار للعمل لابد من تحديد مهمة ومسئولية كلا منها ، وتوضيح طرق الربط بينها بكل جلاء . والآن نتحدث فى نقطة اخرى **وهى مهمـة ومسئولية وحدات البحوث بمواقع الانتاج والامكانات الضرورية الواجب توافـرها**

الوزراء والعلماء
فى نــدوة
الهـــلال

لتقوم بمهمتها . لنتحدث أولا عن مهمة ومسئولية وحدات البحوث بمواقع الانتاج:

من الضرورى تواجد وحدة بحــوث بكل موقع انتاجى تكون مسئوليتها متواضعة فى بادىء الامر ، لاعطائها امكانيات النجاح ، ثم تنمو هذه المسئوليات بصفة مطردة . لعل هذا التصور تتحدد المسئولية فى حل مشكلات الانتاج اليومى بالواقع ومدى مطابقة الانتاج والمواصفات المطلوبة . اى يقتصر دورها على البحوث التطبيقية الدورية التى تتصل بانتاج الواقع ، أما البحوث الاكبر من ذلك التى تتطلب وتتاوجهدا وامكانات أكبر فتنتقل معــاهد البحــوث المركزية المتخصصة لكل صناعة نوعية .

ثانيا : الامكانات الاســاسـية الواجب توافرها لوحدات البحوث بمواقع الانتاج .

١ — امكانات بشرية «الباحثين» ويمكن ان تكون البداية بعدد يتراوح بين ٣ الى ٦ او أكثر بمعدل باحث لكل شركة على حسب كبرها وتعدد انتاجها .

٢ — امكانات مادية ، معدات أساسية ضرورية ، ولسوف تكون غاليتهــا معدات تتطلبها رقابة الجودة .

٣ — يجب ان يتأكد بطريقــة ادارية وصول تقارير ادارة التفتيش ومراقبــة الجودة وادارة الانتاج الى وحدة البحــوث بصفة منتظمة .

٤ — توافر المراجع العلمية فيما يختص بانتاج الشركة وتأكد وصولها بصفة دورية

ثم ثالثا : مهمةومسئوليةمعاهدالبحوث المركزية لكل صناعة نوعيــــة والامكانات الواجب توافرها : وعلى ذلك يمكن تحـديد مهمة ومسئولية معهد البحوث المركزى فى:

١ — القيام بالبحوث غير العــادية على مشكلات الانتاج التى تخرج عن نطاق امكانية



ومسئولية وحدة البحـــوث فى كل موقع انتاجى ، والمحولة من مواقع الانتاج .

٢ ـ القيام بالتجارب النصف صناعية .

٣ ـ القيام بالبحوث الاساسية ، واذا ما رؤى تطبيقها صناعيا ، يتم ذلك بالتعاون مع وحدات بحوث الانتاج .

٤ ـ اقامة مكتبة مركزية متكاملة تصلها جميع الدوريات العلمية الخاصة بهــذه الصناعة النوعية وتقوم هذه المكتبة بتوزيعها على وحدات البحوث كلا فيما يخصه على هيئة ميكروفيلم أو معاد طبعها .

٥ ـ توفير الامكانات لتدريب الباحثين والفنيين بموقع الانتاج .

٦ ـ معاونة وحدات الانتاج فى صيانة اجهزتها العلمية عن طريق الفنيـــين المتخصصين فى هذا المجال بالمركز . ومن الضرورى تدعيم مثل هذه المعاهد بأقصى درجة ممكنة على حسب خطة موضوعة بحيث يتحقق فى نهاية الخطة ما يلى :

١ ـ ان يشتمل المعهد على وحـدات نوعية لكل شخص مطلوب لهذه الصناعة .

٢ ـ ان تستكمل جميع الاجهزة والمعدات المعملية والنصف صناعية اللازمة لجميـع التخصصات المطلوبة .



م . على مرعى والسيد / احمـــد عوض الله

السيد / ابراهيم سرحان ، م . محمـد شوقى غانم

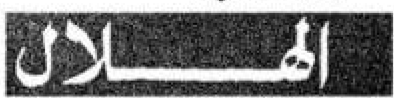


م . حسـين صفوت
م . حسن عبـد القادر



الوزراء والعلماء

في ندوة



٣ ـ استكمال العدد اللازم من الباحثين والفنيين .

٤ ـ مركز توثيق علمي متكامل .

٥ ـ امكانية الاستعانة بخبراء أجانب والأساتذة المصريين لمهمات محددة .

واستمرار الاحتكاك والاتصال والزيارات لمعاهد البحوث العلمية في الخارج .

ثم ناتي رابعا : الى الحديث عن أسلوب ربط البحوث على المستوى القومي فنقول انه يمكن تعريف البحوث على المستوى القومي بأنها البحوث التي تتصل بأكثر من صناعة نوعية تتطلب تعاون عدة جهات متعددة ولها أهمية قومية ومثل هذه البحوث دائما تظهر أو تصل اما من القمة أو من القاعدة . ولسوف تتحدد من القمة على حسب خطة التنمية للدولة كل فترة زمنية « خمس سنوات عادة » أو تتبلور من القاعدة عندما يجد موقع من المواقع مشكلة تهمه لكنها تدخل في نطاق عدة تخصصات لا تشملها دائرة هذه الصناعة النوعية ، لذلك يمكن تصور مهمة ومسئولية لجنة بحوث الصناعة « أو المجلس الاعلى لبحوث الصناعة » المثل بها المسئولون والمتخصصون وبأعلى مستوى في جميع مجالات الصناعات النوعية كالآتي :

١ ـ دراسة خطة التنمية للدولة وما تتطلبها من دراسات وبحوث ، لتحديد البحوث المطلوبة في نطاق كل صناعة نوعية .

٢ ـ دراسة المشكلات الواردة من القاعدة والتي تدخل في نطاق عدة تخصصات لا تضمها صناعة نوعية واحدة .

٣ ـ وضع خطة لاجراء هذه البحوث بحيث تتجانس وتتمشى مع خطة التنمية أو على حسب اهمية المشكلة وخطورتها

٤ ـ تكليف معاهد البحوث النوعية بما يخصها من بحوث في مجال هذه الصناعة .

٥ ـ اطلاقها الامكانات اللازمة لهذه المهمة وتذليل العقبات امامها حتى يمكنها الوفاء بالخطة الخاصة بها .

٦ ـ متابعة التقدم في البحوث كل فترة زمنية « حوالى ثلاثة أشهر » . ومن الطبيعي ان هذه كلمة مختصرة جدا عن موضوع الربط بين مراكز البحوث على مستوياتها الثلاثة ، الشركة ، والصناعة النوعية ، ثم على المستوى القومي ، وهذا ما يحاول مجلس بحوث الصناعة القيام به ، فعملية الربط على المستويات المختلفة يتبناها المجلس مع الاكاديمية بالنسبة للبحوث القومية . وبالفعل في الفترة الماضية قرر المجلس والاكاديمية اعتماد خمسة بحوث على المستوى القومي لا داعي لتكرارها مرة اخرى ، ويجرى العمل فيها بالاكاديمية عن طريق التعاقد بين فريق من الباحثين مع الاكاديمية .

وفقنا الله جميعا الى ما فيه خير هذه الأمة ، وشكرا .

فى العدد القادم

يستكمل **الهلال** فى عدده القادم نشر الجزء الباقى من هذه الندوة الكبرى حيث يقدم حديث الأستاذ الدكتور **محمد كامل ليلة** وزير التعليم العالى فى الندوة والمناقشات التى اشترك فيها مع السادة الوزراء رؤساء الهيئات والشركات، وكذلك الأسئلة التى وجهت للسادة الوزراء وإجاباتهم عنها

المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية



● النجاح هو أن تستطيع المؤسسة القيام بتأدية رسالتها بكفاءة ، أما قمة النجاح فهو امتداد دور المؤسسة لتغطية احتياجات الدول الصديقة ، ومجمل القول أن المؤسسة وشركاتها الـ ٢٥ تتربع على قمة النجاح بامكانياتها الضخمة ودورها الفعال في المجالات الاقتصادية والصناعية سواء في ج. م. ع. أو خارجها - وتضم المؤسسة قطاعات شتى تتدفق من خلالها منتجات تتمثل في السكر - الدخان والسجاير - الزيوت والصابون - المنظفات الصناعية - الأغذية الغازية - الحلوى والشيكولاته - المياه الغازية - الخلاصات الغذائية والعطرية - التجفيف - الالبان ومنتجاتها - النشا والخميرة والجلوكوز - منتجات الكروم والتقطير والبيرة - الملح .

وكل قطاع يسعى جاهدا لتطوير وتحسين منتجاته حتى يغطي السوق المحلية ويكفي حاجة السوق الخارجية فالسكر المصري والسجاير المصرية والمعلبات المصرية والحلوى والشيكولاتة المصرية - ومستحضرات التجميل والعطور والروائح العطرية - ومنتجات الكروم والتقطير من البلدة وخمور - والبيرة والمولت - وملح الطعام - كل هذه المنتجات لاقت رواجا منقطع النظير وخصوصا في الاسواق العربية والافريقية الشقيقة حتى اصبحت اسماء تلك المنتجات مقرونة باسم الجمهورية « جمهورية مصر العربية » التي ارتفع علمها الصناعي شامخا فوق كل صرح شامخ يرفرف بعزة وبكرامة ليشعر العالم أجمع أن جمهوريتنا تمد بخيراتها كل طالب ولا تبخل مطلقا على الاسواق الخارجية بكل متطلباتها واحتياجاتها من الصناعات الغذائية المصرية .

لقد حققت الثورة انجازات كبيرة في شتى قطاعات الصناعات الغذائية حتى أصبحت منتجاتنا تفوق مثيلاتها من المنتجات الاجنبية .

وبعد ، فهذه لمحات سريعة من نشاط تلك القاعدة العريضة في ظل ثورتنا المجيدة ، ولهذا فان عام ١٩٧٣ يبشر بانتاج يبلغ ٤٢٦ مليون ، ١٣٢ الف جنيه ، صادرات ١٨ مليون جنيه ، مبيعات محلية ٤٠٨ ملايين ، ١٣٢ الف جنيه .

هذه هي الصناعات الغذائية وهذه هي انشطتها .

دور البحث العلمى فى خدمة الإنتاج

● أن قضية البحث العلمى ذات ابعاد متعددة ، نظرا لانعكاس هذا الدور على الانتاج كما وكيفا

وهنا يتناول الاستاذ محمد شوقى غانم رئيس مجلس ادارة شركة النيل للزيوت والصابون ، دور البحث العلمى فى مجال خدمة الانتاج ، فيقول سيادته :

يعتبر البحث العلمى دعامة هامة من دعائم الانتاج ، حيث يعتمد عليه فى تطوير الانتاج وتحسينه لخدمة المجتمع ، وأن ما نراه من تقدم تكنولوجى فى مختلف النواحى انما يعود الفضل الاول فيه الى ما توصل اليه البحث العلمى نتيجة تفرغ جماعة من العلماء والباحثين للوصول الى الاهداف المنشودة .

وقد اهتمت الدولة بانشاء مؤسسات حيوية للقيام بالبحث العلمى فى مجال خدمة الانتاج ، مثل المركز القومى للبحوث واكاديمية البحث العلمى .

وأملنا هو ان تتجه جهودهما الى جوانب معينة فى مجال خدمة الانتاج . ومثال ذلك :

● احلال اصناف بديلة محل المواد المستوردة . وجدير بالذكر هنا أن بعض الجهود الذاتية لبعض المصانع قد نجحت فى هذا المجال ، مما ادى الى الاستغناء عن بعض المواد المستوردة .

● اجراء البحوث على المنتجات الحالية بغرض تحسين جودتها من ناحية وخفض تكلفتها من ناحية اخرى .

● تحضير منظفات صناعية من مواد لا تؤثر على اجهزة صرف المياه .

● اجراء مزيد من البحوث عن مادة الصوديوم تراى بولى فوسفات بغرض الوصول الى مواد بديلة ، او خفض نسبتها فى انتاج المنظفات الصناعية . وكذلك بحث مدى تأثيرها على الثروة السمكية نتيجة صرف مياه الغسيل فى الانهار والبحيرات وغيرها .

ويتناول الاستاذ شوقى غانم نقطة اخرى تتعلق بطرق البحث العلمى ، فيقول فى ذلك :

● نقترح أن تكون هناك وحدة للقراءة والاطلاع فى مراكز البحث ، تكون مهمتها الاطلاع على المجلات والنشرات ، ثم توزيعها على الوحدات الانتاجية التى تستطيع من خلالها اختيار ما يناسبها .

● انشاء وحدات بحوث على مستوى القطاعات ، حيث تتوفر لهذه الوحدات القدرة المادية والبشرية اكثر من قدرة وحدات البحوث على مستوى وحدات الانتاج .

● زيادة الاتصال بين العاملين فى مراكز البحوث ووحدات الانتاج عن طريق الزيارات المستمرة للمصانع ، للاطلاع على المشاكل وايجاد الطرق الكفيلة بالوصول الى حلول لهذه المشاكل .

● انشاء كراسى واقسام متخصصة فى الجامعات ، تقوم وحدات الانتاج بتمويلها والانفاق عليها ، وبذلك يتحقق الارتباط بين بحوث الجامعات ومراكز الانتاج .

ومن حيث عمليات التمويل ، فاننا نقترح أن تخصص نسبة معينة من المبيعات فى كل وحدة انتاجية توجه الى البحث العلمى ، مع اعطاء المرونة الكاملة بالنسبة لتجهيز المعامل واختيار الافراد ومكافآتهم مكافآت مجزية ، حتى يمكنهم التفرغ للبحث والوصول به الى نتائج ايجابية تخدم الانتاج فى كافة مجالاته .

محمد شوقى غانم

رئيس مجلس ادارة شركة النيل للزيوت والصابون


الخبرة العربية + أجود الأدخنة العالمية
= سجاير كليوباترا
كنج سايز
فم فلتر
الثمن ٢٣ قرشاً
خليط من أجود الأدخنة العالمية
إنتاج: الشركة الشرقية للدخان والسجاير (ايسترن كومباني) بالجيزة
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية

الصناعات الهندسية

المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية

تدعم منتجاتها بآخر مبتكرات العلم والتكنولوجيا

ان أكثر صناعاتنا اقترابا من المنتجات العالمية من حيث الجودة والاعتماد على آخر ما توصل اليه البحث العلمي والتكنولوجيا هي الصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية التي تجمع في المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية والتي تتمثل في ٢٢ شركة عامة يغطي انتاجها كافة احتياجات البلاد

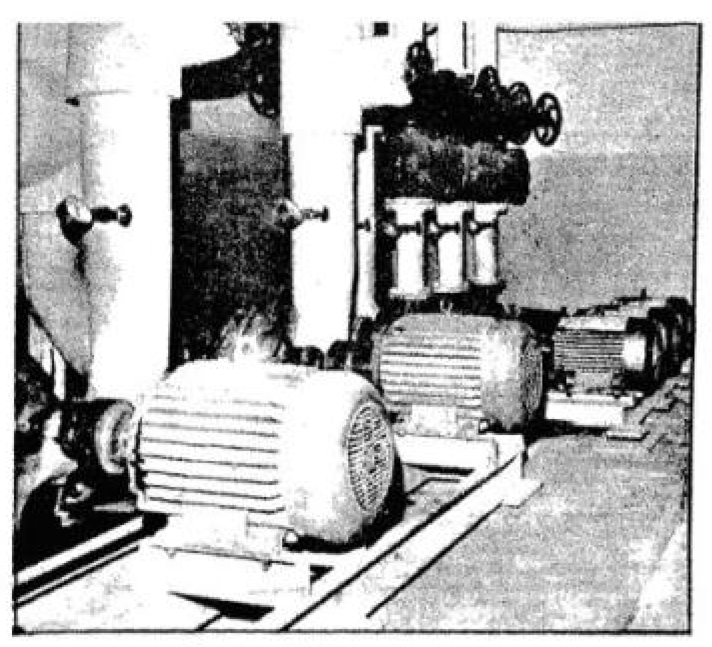
ولقد أخذت مؤسسة الصناعات الهندسية وشركاتها بمضمون ما قال المهندس ابراهيم سالم محمدين وزير الصناعة المصرية من « انه لضمان الجودة والدقة وخفض التكاليف في انتاجنا الصناعي ، تم توفير ثلاث دعامات رئيسية لصناعاتنا ، ولعل أولى هذه الدعامات هي التدريب المهني والتوحيد القياسي وتوفير المراكز المتخصصة في البحوث الصناعية التي تعمل على النهوض بأساليب الانتاج الصناعي على أسس سليمة تهيىء الظروف الفنية المناسبة لاستغلال الموارد والامكانيات المحلية على أكمل وجه » .

ولقد اتخذت المؤسسة وشركاتها بهذه الاسس وسخرتها في خدمة الانتاج الجيد ، فمضت على طريق النجاح .

ويقول المهندس محمد كمال الربادي رئيس مجلس ادارة المؤسسة : « لا جدال ان منتجات الصناعات الهندسية من أكثر المنتجات تعقيدا اذ تحتاج الى تطوير متواصل حتى تتمشى دائما مع أذواق جماهير المستهلكين في كل وقت . فضلا من مسايرتها مع متطلبات العصر والابتكارات والاكتشافات والبحوث العلمية وخاصة « اذا كانت طرازاتها سريعة التغيير نتيجة للمنافسة العالمية الشديدة كما هو الحال في السيارات والثلاجات والاجهزة الكهربائية المنزلية » .

ولا شك أن تصدير منتجاتنا من سيارات واتوبيسات وثلاجات وغسالات وادوات منزلية معدنية وراديوهات وتليفزيونات واجهزة تكييف وخلافه الى الاسواق العربية والاوروبية لدليل على تقدمها وتطورها رغم ظروف المنافسة التي تلقاها في هذه الاسواق .

ان اعتماد مؤسسة الصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية وشركاتها الـ ٢٢ على الانتاج القائم على البحث العلمي الصناعي والتكنولوجي الحديثة لهو الطريق الحقيقي الذي اوصل المؤسسة الى هذا النجاح الباهر وحققت لها هذا الكم الهائل من المنتجات الدقيقة التي تفخر بها الصناعة المصرية بالرغم من ان معظم الصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية المصرية حديثة في بلادنا ولم تكن موجودة قبل ثورة ٢٣ يوليو مثل صناعة السيارات والجرارات والقطورات وعربات السكك الحديدية ومحركات الديزل وبناء السفن والكباري وصناعة الاوناش والكابلات والمحولات الكهربائية والمراجل البخارية الى جانب المنتجات المعمرة ومنها الثلاجات والغسالات الكهربائية والتليفون واجهزة التليفزيون واجهزة تكييف الهواء وغيرها .



كباسات ترددية صناعة كولدير العالمية

كولدير

نموذج ناجح لشركة صناعية عربية تسير على طريق التكنولوجيا والبحث العلمي

● دعنا نقدم لك احدى شركاتنا الصناعية الهامة التى تعتمد اعتمادا كبيرا على استغلال أحدث ماوصلت اليه التكنولوجيا والبحث العلمى فى مصر والخارج .. تلك هى شركة النصر للهندسة والتبريد « كولدير » احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية ، فهى اول شركة عربية صميمة فى الشرق الاوسط تخصصت فى تكييف الهواء والتبريد منذ سنة ١٩٤٥ .

وقد استطاعت « كولدير » ان تطور انتاجها بما يتناسب مع حجم النهضة الصناعية التى شهدتها مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأن تستجيب فى هذا الانتاج لاحتياجات هذا التطور صناعيا واقتصاديا

وفنيا حتى أصبحت علما من أعلام الصناعة المتطورة في مصر .

وفي البداية عند تكوين الشركة فانها تخصصت في تصميم وتنفيذ عمليات تكييف الهواء والتبريد والتدفئة والترطيب والتجفيف والمياه المثلجة والساخنة . وكانت تعتمد اعتمادا كليا على الاستيراد وأصبحت الآن تصدر جانبا من انتاجها الى خارج جمهورية مصر العربية .

ولما كانت عمليات تكييف الهواء بالمفهوم الفني هي معاملته حراريا او كيميائيا بواحدة أو أكثر من المعاملات الآتية : التبريد والتسخين والترطيب والتجفيف ، تنقيته من الاتربة . فقد أصبحت صناعة التكييف تدخل في كثير من أمور الحياة مثل تحقيق راحة الانسان وظروف التصنيع وظروف حفظ المنتجات من مأكولات وغير ذلك .

لهذا فقد حرصت « كولدير » على أن تقدم أجود المنتجات لكل مجال من هذه المجالات الهامة والضرورية لظروف مجتمع صاعد كمجتمعنا . كما حرصت الشركة على تنويع منتجاتها التي تتم في مصانعها بساقية مكي بالجيزة حيث تنتج لكل الصناعات التي تحتاج الى عمليات التكييف على مستوى لا يقل جودة واتقانا عن مستويات البلاد الصناعية الكبرى ، معتمدة في ذلك على آخر ما توصل اليه العقل البشري العلمي في مجال البحث العلمي والتكنولوجيا .

وتقدم « كولدير » خدماتها عن طريق نشاطها في المقاولات المرتبطة بأعمال تصميم وتصنيع وتركيب وصيانة أجهزة ومهمات تكييف الهواء وخاصة في مجال صناعة الغزل والنسيج للتحكم في درجات الحرارة والرطوبة العالية . وأعمالها في مصانع شركة مصر للحرير الصناعي بكفر الدوار وشركة مصر للغزل والنسيج بكفر الدوار والشركة الأهلية للغزل والنسيج بالاسكندرية وشركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى وشركة النصر للغزل والنسيج بالمنصورة وشركة المنشار « سستيا » بالاسكندرية خير شاهد على ذلك .

كذلك تقدم نفس الخدمات في مجال صناعة الدخان والسجائر والسيجار ومصانع البلاستيك كما تقوم بتقديم خدماتها لغرف التحكم الكهربائية والالكترونية بمحطات الكهرباء والمصانع .

وفي مجال الصحة تقدم « كولدير » خدماتها لمصانع الادوية والمستشفيات وغرف العمليات وتعقيم الهواء وتنقيته من الاتربة والجراثيم . وقد قدمت هذه الخدمات لشركات كثيرة منها شركة القاهرة للادوية وشركة النيل للادوية وشركة مصر للمستحضرات الطبية بنجاح كبير .

وفي مجال التموين تقدم « كولدير » ثلاجات الاسماك واللحوم والخضراوات والفاكهة وثلاجات الالبان ومنتجاته وقد قامت الشركة أخيرا باقامة ثلاجة البطاطس بالمنيا وسعتها ٢٤٠٠ طن تقاوي بطاطس لحساب الجمعية التعاونية لمنتجي البطاطس .

وفي مجال السياحة والثقافة والاعلام تقدم « كولدير » خدماتها للفنادق والمطاعم

مخارج هواء



"كولدير" نموذج ناجح لشركة عربية صناعية

والاندية ومنها فندق النيل هيلتون وفندق شيراتون ومينا هاوس وكليوباترا وفندق فلسطين . وكذلك دور السينما والمسارح والاستوديوهات الخاصة بالسينما والاذاعة والتليفزيون ومنها سينما مترو وأوبرا وريفولي وكذلك مخازن حفظ الافلام .

وكذلك المكاتب وقاعات الاجتماعات ومنها مجلس الشعب ومجمع مجلس الشعب الجديد ونقابة عمال شبرا والمجمع العمالي بشارع الجلاء وشركة مصر للتأمين وبنك التسليف الزراعي ومطار القاهرة الدولي .

وقد امتد نشاط الشركة الى البلاد العربية ففي دولة الكويت قامت الشركة باعداد مبنى هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية ومبنى الارسال عبر الاقمار الصناعية . كما قدمت الشركة خدماتها لسفارة جمهورية مصر العربية بالكويت . وقدمت خدماتها أيضا في المملكة العربية السعودية بمطار الظهران وكذلك في جمهورية ليبيا العربية حيث قامت بتقديم خدماتها لسبع مستشفيات بالاضافة الى الخدمات التي قدمتها في جمهوريات العراق والسودان ولبنان وسوريا الشقيقة ..

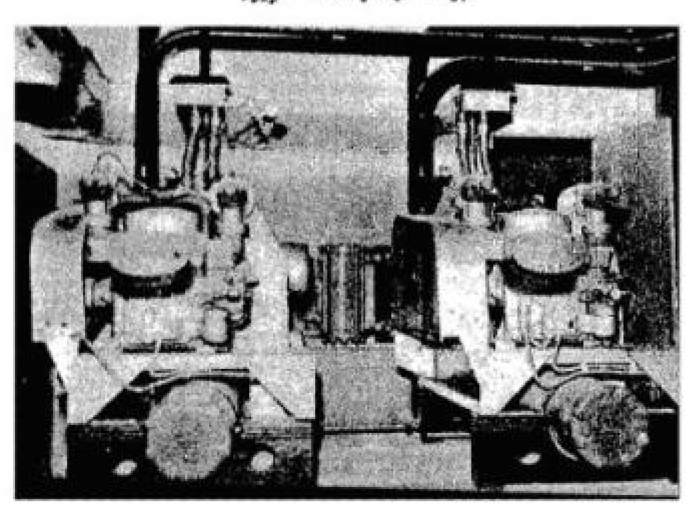
وتمتلك « كولدير » عدة مصانع هامة منها مصنع اجهزة التكييف ومنتجاته من مبادلات حرارية ومكثفات مائية ومبردات مائية وابراج تبريد ومكيفات هواء مركزية ومراوح طاردة مركزية ووحدات قائمة بذاتها وأجهزة الشباك ومبردات مياه الشرب .

ومنها مصنع المنتجات المتنوعة التي تشمل جميع اشغال الصاج وكبائن المصاعد ولوحات التوزيع الكهربائية وغلايات المياه .

ومنها مصنع النماذج حيث يتم عمل النماذج للمنتجات الجديدة قبل انتاجها بالمصانع الاخرى . ومنها مصنع الكباسات الكهربية لصناعة كباسات الثلاجات بتصريح خاص من شركة وستنج هاوس العالمية .

هذه صورة سريعة عن شركة النصر للهندسة والتبريد « كولدير » احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية والالكترونية .. الشركة العربية الصميمة التي تسير على طريق التكنولوجيا والبحث العلمي .

مبردات مياه ومكثفات الفريون



شركة النصر للدخان والسجاير ..

تخوض تجارب علمية دقيقة من أجل الوصول إلى إنتاج أفضل

● تعد شركة النصر للدخان والسجاير من اوائل الشركات المصرية التى استطاعت أن تفهم ما للبحث العلمى والتكنولوجيا من اثر بالغ الاهمية على جودة الانتاج وتقدمه فخاضت هذا المجال بكل ثقة وقوة حتى استطاعت ان تحقق نتائج باهرة جعلت منتجاتها من جميع أنواع الدخان كالسجاير بأنواعها المختلفة ودخان المعسل ودخان البايب والنشوق والسيجار والمدخنة تقف امام المنافسة العالمية وتحقق سمعة جيدة لصناعة الدخان المصرية .

وقبل ان نتحدث من مجالات البحث العلمى واهتمام الشركة به يجدر بنا ان نتحدث عن اهتمام الشركة بالعنصر البشرى بها ، لمما لا شك فيه ان المسئولين بشركة النصر للدخان والسجاير يؤمنون بان الاهتمام بالعنصر البشرى وتأدية الخدمات الانسانية له لهو دعامة أخرى الى جانب البحث العلمى ولهذا فان الشركة تقدم العديد من الخدمات للعاملين بها وعلى رأسها الخدمات الطبية الكاملة وبالمجان مع تقديم وجبات غذائية بسعر رمزى وصرف ملابس خاصة للعاملين الى جانب انشاء جمعية تعاونية خاصة بهم ونادى رياضى واجتماعى ومسجد لتأدية شعائر الدين وفرق فنية للتمثيل والموسيقى والكشافة وغيرها ومكتبة ثقافية واذاعة محلية داخلية للترفيه عن العاملين وللاعلام ومجلة حائط .

واذا تحدثنا من البحث العلمى ودوره فى شركة النصر للدخان والسجاير فاننا



تجارب علمية دقيقة من أجل الوصول الى انتاج أفضل

نلحظ ان الشركة قد أعطت اهتماما خاصا بدور البحث العلمي فقامت بانشاء معامل لممارسة هذا النشاط الهام ، وهي تحاول جاهدة أن تدعم هذه المعامل بأحدث الاجهزة العلمية في مجال الدخان . وقد استعانت الشركة في معاملها بمجموعة من الكيميائيين والمهندسين الزراعيين على مستوى عال من الكفاءة تم تدريب معظمهم بالخارج .

وقد استطاعت الشركة ان تقدم عدة انجازات علمية هامة مثل :

● ايجاد بدائل محلية لبعض المواد الخام المستوردة من الخارج في صناعة الدخان والسجاير مثل الصمغ العربي الذي يستعمل كمادة لاصقة في بعض مراحل الانتاج ، وكذلك مادة النطرون التي تستعمل في صناعة النشوق والمدغة

● الاشتراك في وضع المواصفات القياسية لجميع منتجات الدخان في جمهورية مصر العربية كذلك طرق الفحص والاختبار

● الارتفاع بقوة الملء للدخان المستعمل في صناعة السجاير عن طريق استحداث طرق جديدة لمعالجة الدخان الخام .

● تحليل مكونات الدخان الخام المزروع محليا ومعاونة الاقسام المختصة بوزارة الزراعة للارتفاع بنوعيات الادخنة التي تجرى عليها التجارب للوصول الى نوع مصرية ذات خصائص مميزة .

● استعمال أحدث الطرق العلمية في مكافحة امراض وحشرات الادخنة

● استحداث نظام متكامل للرقابة على جودة الانتاج وربط الجودة بالحوافز المادية التي تصرف للعاملين بالانتاج .

● الاشتراك مع المركز القومي للبحوث لايجاد حلول لبعض المشاكل التي تتعرض



لها الصناعة كالاستفادة من تراب الدخان « الناعم » وإعادة تصنيعه ».

● ادخال الطرق الحديثة والاجهزة العلمية للرقابة فى مواقع الانتاج للارتفاع بمستوى جودة الانتاج ».

ولقد حرصت شركة النصر للدخان والسجاير على الاشتراك فى العديد من المؤتمرات العلمية الدولية منها :

● المؤتمر الافرو أسيوى الاول لصناعة الدخان والسجاير الذى عقد فى القاهرة فى سبتمبر ١٩٧١.

● المؤتمر العلمى لآثار التدخين الذى عقد فى الاسكندرية فى مارس سنة ١٩٧٢.

● مؤتمر ضبط جودة الانتاج فى الصناعات الغذائية الذى عقد فى القاهرة فى مارس سنة ١٩٧٢.

وقد اشتركت الشركة فى هذه المؤتمرات بعدة بحوث هامة هى :

● التحليل الكيميائى وكيفية الاستفادة به لتحديد جودته

● التركيب الكيميائى للتبوغ المصرية بالمقارنة ببعض التبوغ الاوربية ».

● التركيب الكيميائى للسجاير المصرية بالمقارنة ببعض السجاير الامريكية المشهورة

● مقاومة حشرات التبغ

● اساليب ضبط الجودة والرقابة على المنتجات النهائية فى صناعة التبغ والسجاير

هذا وتتبع الشركة فى كل مصنع من مصانعها الجديدة بالجيزة والاسكندرية ومنوف وطنطا وابو تيج وفى كافة منتجاتها الاسلوب العلمى الصحيح الذى يحقق لها الوصول الى افضل المنتجات عملا بمجاراة التقدم العلمى المتبع فى مجال صناعة الدخان فى ارقى الدول التى تنتجه ».



نتائج هامة يحققها البحث العلمي في

شركات مؤسسة الصناعات الكيماوية

● كيف يسير العمل بواسطة البحوث العلمية في المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال تتطلب منا تعقب خطوات البحث العلمي في هذه المؤسسة خطوة خطوة .

فقد حرصت المؤسسة ايمانا منها بأهمية البحث العلمي على ايجاد وحدات بحوث مجهزة ببعض شركاتها واستكمال وحدات البحث العلمي في باقي الشركات وتدعيمها بالمعامل والاجهزة المطلوبة لاجراء البحوث

وفي ملخص موجز يمكن ان نورد بعض الانجازات التي تمت ببعض شركات المؤسسة نتيجة للبحوث العلمية الصناعية

● في الشركة العامة لصناعة الورق « راكتا » تم انشاء مصنع الشركة على أساس البحوث العلمية التي اجريت لاستعمال لب قش الارز بنسبة كبيرة في انتاج ورق الطباعة والكتابة . كما ان وحدة البحوث بالشركة تقوم باجراء الدراسات على عدد من الخامات السليولوزية المحلية بهدف استخدامها في صناعة لب الورق

● وفي شركة النصر للاسمدة والصناعات الكيماوية ، قامت وحدة البحوث بعدة دراسات لحل كثير من المشاكل الفنية المتعلقة بالانتاج ، وقد توصل قسم البحوث في الشركة الى صناعة العامل المساعد المستخدم في مراحل صناعة نترات النوشادر اللازم لصناعة السماد الازوتي .

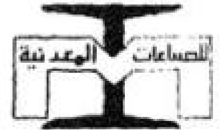
● وفي الشركة المالية والصناعية المصرية تنتج الشركة سماد السوبر فوسفات بتفاعل حامض الكبريتيك مع خام الفوسفات وينتج من هذه العملية كمية من مادة الفلور كان اكثرها يفقد مع مخلفات الانتاج من المياه وقد امكن نتيجة للبحوث زيادة نسبة الفلور المسترجع والتي امكن الاستفادة بها في تصنيع املاح الفلور محليا بدلا من استيرادها من الخارج

● وفي شركة ابو زعبل للاسمدة والمواد الكيماوية تمكنت وحدة البحوث من استنباط طريقة بسيطة لاعادة فاعلية العامل المساعد المنتور وهو خامس اكسيد الفاناديوم الذي يساعد على اتمام التفاعل الكيماوي في انتاج حامض الكبريتيك اللازم لصناعة السوبر فوسفات حيث تضعف قدرة العامل المساعد بمرور الوقت .

● وفي شركة صناعات البلاستيك والكهرباء المصرية قامت وحدة البحوث باجراء بحوث بشأن تصنيع الخامات المستخدمة في تصنيع الاسنان الصناعية من مخلفات بعض منتجات البلاستيك وتم تنفيذ معظم مراحل البحث بنجاح . كما تجرى حاليا بالشركة عدة بحوث منها دراسة تقليل نسبة اكسيد الانتيمون المضاف الى الرصاص الخام المستخدم في انتاج الالواح بطاريات السيارات لزيادة خاصية مقاومة هذه الالواح للتآكل الناشئ من الاحماض والتيار الكهربائي

● وفي شركة كفر الزيات للمبيدات والكيماويات امكن تحضير عدد من المبيدات الحشرية الزراعية والمنزلية باستخدام نسبة كبيرة من المواد الاولية المحلية مما ادى الى الاستغناء عن استيرادها من الخارج وتوفير العملات الاجنبية

وهكذا يؤدي البحث العلمي واجبه في شركات مؤسسة الصناعات الكيماوية .



دور الصناعات المعدنية في تحقيق التكامل الصناعي في بلادنا

● تقوم الصناعات المعدنية بدور رئيسي فعال في النهضة الصناعية في بلادنا . فهي تمثل الحلقة الوسطى في سلسلة التكامل الصناعي المصري ، باعتبار أن الغالبية العظمى من انتاجها تعتبر سلعا وسيطة ودعامة اساسية في قيام الصناعات المختلفة ، معتمدة في ذلك على خامات الثروة المعدنية التي تجرى عليها عمليات الاستخلاص والصهر والتشكيل لتصبح خامات اساسية وسلعا وسيطة ، وتعتبر بدورها مستلزمات الانتاج بالنسبة لكثير من الصناعات الحيوية .

فالصناعات المعدنية تقدم للصناعات الهندسية احتياجاتها من خامات الصلب والنحاس والالومنيوم وغيرها على هيئة الواح وقطاعات ، وذلك بالاضافة الى اجزاء نصف مشكلة ومشكلة بالكامل للسيارات من انتاج المطروقات والمسبوكات الزهر والسبك الآلي . وتقدم للسكك الحديدية القضبان والفلنكات من انتاج الحديد والصلب ، واكسات عجل عربات السكك الحديدية من انتاج المطروقات . كما تجرى تجارب لانتاج عجل السكة الحديد من الصلب المسبوك لشركة الدلتا . كما تقدم الالواح الصاج التي تستخدم في صناعة الثلاجات والغسالات وافران واسطوانات البوتاجاز والاثاث المعدني والاجزاء المسبوكة والمطروقة لنفس تلك الصناعات .

وتقدم للصناعات الغذائية . الصفيح المقصدر الذي يستخدم في صناعة عبوات الاطعمة المحفوظة ، كما تقدم اجزاء المعدات وقطع غيارها مثل الدرافيل الزهر لصناعة السكر ومعاصر الزيوت .

وتقدم لصناعات البترول الصاج الذي يستخدم في صناعة صهاريج البترول ، وحفارات البترول من انتاج المطروقات ، والحبال الصلب للاوناش .

وتقدم للصناعات الكيماوية الرصاص واكاسيد الرصاص بانواعها المختلفة ، التي تستخدم في صناعة البطاريات وصناعة البويات ، وجلخ الافران العالية الذي يستخدم في صناعة الاسمنت وكور طحن الاسمنت من انتاج المطروقات .

وتقوم بتوريد قطع الغيار اللازمة لصناعات الغزل والنسيج من انتاج المسبوكات والمطروقات والسبك الآلي .

وتقدم لقطاع الانشاء والتعمير اهم مستلزماته وهو حديد التسليح الذي يخدم النهضة العمرانية والصناعية ويدعم المجهود الحربي . كما تقدم الكمر والزوايا الحديدية التي تستخدم في صناعة الهياكل والمنشآت الحديدية في المصانع وهياكل الاوناش . وتقدم السلاسل المطروقة للسفن ، وكذلك المواسير الصلب والزهر لاغراض توصيلات المياه والصرف .

وتقدم لصناعة حلج القطن شنابر حزم البالات التي تستخدم في حزم بالات القطن .

وتقدم للاغراض الاستهلاكية الاواني المنزلية من الالومنيوم من انتاج شركة النحاس .

وقد استطاعت شركات المؤسسة المعدنية أن تقوم بدور حيوي في تغطية الاحتياجات المحلية ، نتيجة الجهود المثمرة والتخطيط الواعي للصناعات المعدنية . وتضم المؤسسة ٩ شركات هي : شركة الحديد والصلب . شركة مصانع النحاس . شركة مصانع الدلتا للصلب . الشركة الاهلية للصناعات المعدنية . شركة النصر لصناعة المطروقات . شركة النصر لصناعة المواسير الصلب ولوازمها . شركة النصر للمسبوكات . الشركة العامة للمعادن . شركة سيناء للمنجنيز .

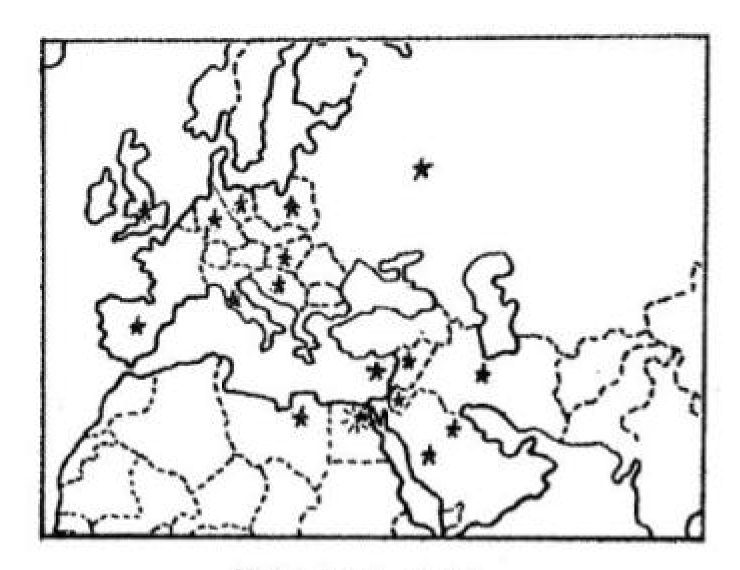
صناعة الحديد والصلب

دعامة النهضة الصناعية الشاملة وتطور على مستوى المنافسة العالمية

بدأت صناعة الحديد والصلب فى بلادنا منذ ١٣ عاما . واستطاعت خلال هذه الفترة أن تسد احتياجات الاستهلاك المحلى فى المجالات المختلفة . وان تأخذ بالاساليب العلمية والفنية والتكنولوجية المتطورة، مما أتاح لها ان تقف على مستوى المنافسة فى الاسواق العالمية ، وان تكون مجالا لتحقيق دخل من العملات الصعبة التى تستخدم فى التنمية الشاملة .



عنبر تجهيز المنتجات للتصدير



الدول التي تصدر اليها الشركة

تعتبر صناعة الحديد والصلب من الصناعات الثقيلة التي ترتكز عليها النهضة الصناعية الشاملة في أي بلد . وانطلاقا من هذه القاعدة ، فان شركة الحديد والصلب المصرية تسير بخطى قوية وجادة على طريق خدمة النهضة الصناعية في جمهورية مصر العربية ، فهي تغذي كثيرا من صناعاتنا الاساسية بما تحتاج اليه من الصلب . وفي مقدمة الصناعات التي تستفيد من هذا الانتاج ؟

- مشروع كهربة الريف .
- انشاءات مجمع الحديد والصلب .
- السكك الحديدية .
- الصناعات الغذائية .
- الانشاءات المدنية والهندسية .
- شركات البترول .
- شركات المواسير والطروقات .
- حديد التسليح للاسكان .
- الترسانة البحرية وصناعات السفن ..

واذا كنا نذكر هذه الصناعات على سبيل المثال لا الحصر ، فانه يبدو واضحا رغم ذلك أن صناعة الحديد والصلب المصرية تقوم بدور كبير في تنمية وتطوير المجتمع المصري ، ليس فقط في مجال استغلال خامات الحديد المتوفرة في بلدنا وانتاج الصلب ، بل انها الى جانب ذلك تحرص على توفير الانواع المختلفة من الصلب وتطويرها بما يساير التقدم العلمي والتكنولوجي في هذه الصناعة على المستوى العالمي المتطور . وخلال السنوات الماضية ، استطاعت شركة الحديد والصلب المصرية أن تحقق

صناعة الحديد والصلب

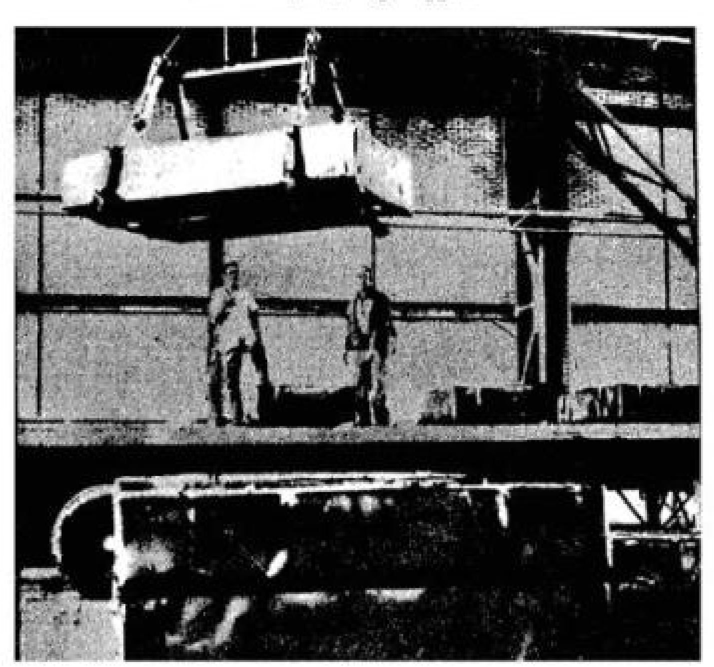
التطور المنشود الذى اتاح لها ان تأخذ مكانتها الدولية بما تقدمه من منتجات ذات مواصفات عالية .

والحقيقة ان هذه الطفرة التى حققتها شركة الحديد والصلب المصرية ، جاءت نتيجة لسياسة علمية مدروسة تدرك أن الاحتكاك بالاسواق العالمية يحقق لها أكثر من فائدة علمية وفنية . فهى من ناحية تكتسب سمعة فى هذه الاسواق ، وهى من ناحية اخرى تقف على وجهة نظر عملائها فى منتجاتها . ومن هذين العنصرين تتطور على المستوى الدولى ، وتأخذ بأحدث الاساليب العلمية والفنية فى الانتاج .

كذلك فان التصدير يخدم الاهداف الانتاجية لشركة الحديد والصلب ، وذلك بالتنسيق بين مراحل الانتاج المختلفة بالمصانع ، بحيث يتم تصدير فائض انتاج احدى المراحل من المرحلة التالية، وهنا يدخل العنصر الاقتصادى كعنصر اساسى وفعال فى مجال الانتاج الصناعى .

قد استطاعت شركة الحديد والصلب من خلال دورها فى التصدير الى الاسواق الخارجية ان تحقق مشاركة ايجابية فى توفير العملات الاجنبية اللازمة لتحقيق أهداف التنمية الشاملة فى بلادنا .

تحميل العربات بالمنتجات للتصدير



وأصبحت شركة الحديد والصلب المصرية تقوم الآن بانتاج أنواع الصلب المتطورة واللازمة لسد احتياجات الاستهلاك في مصر ، بعد ان طورت وحداتها القائمة واجرت التوسعات اللازمة ، بحيث أصبح يتم انتاج الانواع التالية من المنتجات الحيوية ، وهي :

- صاج البوناجاز .
- شرائط مدرفلة على الساخن
- شرائط مدرفلة على البارد .
- صاج مجلفن .
- صاج مقصدر .
- صاج مدرفل على البارد .

وذلك بالاضافة الى منتجاتها الاخرى مثل القطاعات الانشائية ومهمات السكك الحديدية وحديد التسليح اللازم للاسكان .

هذا وتتعاون شركة الحديد والصلب المصرية مع الاتحاد السوفييتي في مجال تشغيل مصانع درفلة الشرائط .. ومن ناحية اخرى فانها تقوم بتصدير الصاج المسحوب على البارد الى الاتحاد السوفييتي .

ويلاحظ ان كميات التصدير تتزايد عاما بعد عام ، بما يدل على تحقيق تطور كمي وكيفي في انتاج شركة الحديد والصلب المصرية .. وهنا نترك للارقام ان تتحدث بنفسها . فهي اقوى دلالة من اى منطق آخر .. تقول الارقام ان التصدير بدأ بـ ٤٠ الف طن في عام ١٩٧٠ .. وقد بلغت قيمتها مليونين و ٦٠٠ الف جنيه استرليني . ثم ارتفعت ارقام التصدير الى ٦٠ الف طن عام ١٩٧١ ، وبلغت قيمتها ثلاثة ملايين و ٩٠٠ الف جنيه استرليني . وفي عامي ٧٢ و ١٩٧٣ وصلت الكميات المصدرة الى ٨٦ الف طن . وتبلغ قيمة هذه الصادرات مبلغ خمسة ملايين و٩٠٠الف جنيه استرليني بالنسبة لكل سنة .

ومن ناحية اخرى ، فان شركة الحديد والصلب المصرية تتعاون مع شقيقاتها في الدول العربية الشقيقة في مجال تشغيل الوحدات الانتاجية لمصانع الصلب فيها . وفي هذا المجال . نجد على سبيل المثال ان شركة الحديد والصلب المصرية قد قدمت لمصانع الصلب بجدة حاليا ما تحتاج اليه هذه المصانع من كتل الصلب اللازمة للتشغيل ، حيث يتم تصدير خمسة آلاف طن من كتل الصلب نصف المشكلة ، تبلغ قيمتها ٨٥٠ الف دولار ..

وكل ذلك بالاضافة الى ما تقدمه مصانعنا من منتجات الى كثير من الشركات العالمية في مختلف دول العالم . وقد بلغ مجموع هذه الصادرات حوالى ٢٥٠ الف طن خلال الاعوام الثلاثة عشر الماضية . وقد تم تصدير هذه الكميات الى البلاد التالية : سوريا . ليبيا . الكويت . المملكة العربية السعودية . الاردن . لبنان . ايطاليا . انجلترا . المانيا الغربية . المانيا الشرقية . بولندا . يوغوسلافيا . الاتحاد السوفييتي . المجر . اسبانيا . ايران .

وهكذا تنطلق صناعة الحديد والصلب في بلادنا قوية متطورة ، لتقوم بسد احتياجات الاستهلاك المحلي باعتبارها ركيزة الصناعات الاساسية ، ولترقى الى مستوى المنافسة العالمية في هذا المجال الحيوي وتوفر للتنمية احتياجاتها من العملات الصعبة .

وما شهدته صناعة الحديد والصلب في بلادنا من تطورات حيوية خلال الاعوام الماضية ، يدل دلالة قاطعة على مدى ما يمكن أن تحققه في مسيرة المستقبل . وبالتالي انعكاسات هذا التطور على الصناعات المختلفة في بلادنا .

المؤسسة المصرية العامة لمواد البناء والحراريات
تقـــدم
إنجازات التقدم والعمران فى مصر



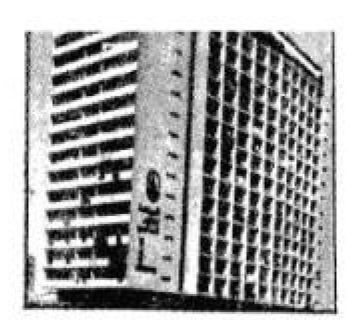
● عرفت مصر منذ ازمان بعيدة بعراقتها الاصيلة فى فنون العمارة وما يتصل بها من صناعات . فهى رائدة فى هذا الميدان .. اقامت من شوامخ البناء وابدعت من روائعه ما يساير الزمن منذ مولد التاريخ ، وظل الى اليوم معجزة خالدة تتحدى العصر

وقد أتيحت لصناعة واد البناء والحراريات منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ الفرص والامكانيات الكفيلة لتقدمها ومسايرة التطور العالمى ، وقد اكتمل لصناعة مواد البناء والحراريات شكلها العلمى المتطور منذ قيام المؤسسة المصرية العامة لمواد البناء والحراريات التى تضم ١٤ شركة هى :

● شركة اسمنت بورتلاند طرة المصرية
● شركة اسمنت بورتلاند بحلوان
● شركة الاسكندرية لاسمنت بورتلاند
● الشركة القومية لانتاج الاسمنت
● الشركة المصرية للمواسير والمنتجات الاسمنتية « سيجورات »
● شركة النصر لصناعة الزجاج والبللور
● الشركة العامة لمنتجات الخزف والصينى
● شركة النصر لانتاج الحراريات والفخار « سورناجا »
● الشركة المصرية للحراريات
● شركة الطوب الرملى
● الشركة المصرية للجباسات والمحاجر والرخام
● الشركة العامة للثروة المعدنية
● شركة فنالتكس للارضيات الفنيل
● مكتب بيع الاسمنت المصرى

وتخدم المؤسسة بانتاجها انجازات التقدم والعمران فى جمهورية مصر العربية وفى كثير من الدول العربية والافريقية بما تقدمه من الصناعات ذات التخصص النوعى التى تحقق فيما بينها التكامل والتناسق وهى :

● صناعة الاسمنت
● صناعة المواسير والمنتجات الاسمنتية
● صناعة الزجاج
● صناعة الخزف والصينى والحراريات
● صناعة طوب البناء والجير
● صناعة الجبس والرخام ومنتجات المحاجر
● صناعة الارضيات



عمارة رمسيس بنيت بالطوب الرملى

الطوب الرملى

صيحة القرن العشرين في صناعة طوب البناء والمبانى الجاهزة

● يعتبر الطوب الرملى احدث خطوة عصرية فى البناء . فتحمله للضغط يصل الى قوة تحمل الخرسانة ، مما يجعله صالحا للاستعمال كحوائط حاملة بدلا من الهياكل الخرسانية المسلحة لارتفاعات تصل الى عشرة طوابق . والى جانب ذلك فهناك ما يتميز به من موازين مستقيمة حادة تعطى مظهرا معماريا ممتازا ، ونعومة سطحه ومظهره الخارجى الجذاب الذى يحقق الاستغناء عن البياض الخارجى بما يوفر كثيرا من التكاليف . وطريقة انتاجه تسمح بالرقابة الفنية الدقيقة عليه بما يعطى أقصى جودة ، كما انها تسمح بانتاجه فى ١٢ ساعة .

وقد كانت شركة الطوب الرملى بالقاهرة هى اول شركة فى مصر تنتج الطوب بواسطة مكابس ميكانيكية . واقيمت فى القاهرة ومختلف محافظات الجمهورية عمارات مبنية بالطوب الرملى لفتت الانظار بجمالها واناقتها ، وتتضمن خطة الدولة اقامة مصانع للطوب الرملى فى كافة انحاء الجمهورية خلال السنوات القادمة ، بما يغطى احتياجات البناء فى كل مدينة وقرية .

ومن اهم خواص الطوب الرملى الجيرى لونه الطبيعى الفاتح وسطحه الناعم المصقول . وبذلك يعكس حرارة الشمس فى الصيف وينشر الاضاءة فى الداخل .

والطوب الرملى العادى يميل لونه الى البياض ، مما يجعل منظره بهيجا . ويمكن انتاجه بالوان مختلفة ثابتة ، وذلك باضافة اكاسيد المعادن اثناء اعداد الخلطة ، وبذلك يكتسب لونا زاهيا جذابا يفتح المجال امام المهندس المعمارى فى تصميم الواجهات والديكور الداخلى .

ومما يتميز به الطوب الرملى الجيرى من قوة وصلابة يعتبر عاملا هاما لضمان العمر الطويل للمبنى ، حتى لو لم تستعمل فيه الهياكل الخرسانية المسلحة .

وقد اثبت الطوب الرملى الجيرى عمليا حسن مقاومته للنار . ولذلك فانه يستخدم بنجاح فى بناء المداخن العالية وممرات الغازات الساخنة وغيرها .

وتقوم الشركة بانتاج نوع جديد من انواع الطوب الرملى الجيرى يطلق عليه اسم « الطوب الخفيف » ، وذلك بسبب خفة وزنه النوعى ، وان كانت صلابته وقوة تحمله تفوق الطوب الاحمر العادى . ويتميز بمدى الامكانيات الهائلة لتصنيعه .

ويلاحظ أن وزن المتر المكعب من مبانى الطوب الاحمر ١٨٠٠ كيلو جرام بينما وزن المتر المكعب من مبانى الطوب الخفيف أقل من ٩٠٠ كيلو جرام اى اقل من نصف وزن الطوب الاحمر وبذلك فانه يوفر فى الاساسات وفى حديد التسليح فضلا على انه يتميز بامكان بنائه كحوائط حاملة حتى اربعة ادوار دون أعمدة خرسانية ، كما أن له مقدرة هائلة على العزل الحرارى بما يلطف الجو الداخلى .

والطوب الرملى بنوعيه الرملى والخفيف يظهر مقاومة كبيرة لعوامل الطقس الشديدة والمتغيرة . ويدل على ذلك استخدامه فى كثير من البلدان المتقلبة المناخ ، واهتمام كبار المعماريين باستعماله فى تصميماتهم ، علاوة على أن سعر بيع الطوب الرملى يقل من سعر بيع الطوب الاحمر وانواع الطوب الاخرى .



أرق أنواع السجاير
سويس
فى علبتها الجديدة
كنج سايز
بفم فلتر
سويس
SUEZ
KING SIZE FILTER TIPPED
VIRGINIA CIGARETTES
انتاج : الشركة الشرقية للدخان والسجاير (ايسترن كومبانى) بالجيزة
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية

المؤسسة المصرية العامة للبترول وشركاتها



شارع عثمان عبد الحفيظ مدينة نصر القاهرة ص.ب ٢١٣٠ . تختص بصفة عامة باقتراح التخطيط العام للسياسة البترولية بما يكفل تنمية الثروة البترولية وحسن ادارتها واستثمارها في مراحلها المختلفة وتتعاون مع المؤسسة المصرية العامة للبترول ١٢ شركة تعمل في مختلف قطاعات البترول من بحث وانتاج وتكرير وتوزيع .. الخ

شركات البحث والانتاج

الشركة العامة للبترول : وتقوم بالتنقيب عن البترول واستخراجه

الشركة الشرقية للبترول : وتتولى القيام بأعمال البحث عن البترول واستخراجه

شركة خليج السويس (جابكو) : وتقوم بأعمال البحث عن البترول وانتاجه

شركة بترول الصحراء الغربية (ويبكو): وتتولى البحث عن البترول وانتاجه بالصحراء الغربية .

شركة بترول الفيوم (فابكو) : وتقوم بالبحث عن البترول وانتاجه .

شركة بترول النيل : وتتولى البحث عن البترول وانتاجه .

شركة بترول الدلتا « ديلبكو » : تقوم بعمليات التنمية والانتاج بحقل أبوماضي للغازات

شركات التكرير

شركة السويس لتصنيع البترول : تقوم بعمليات تكرير البترول ، بيت خبرة وتصميم منشئات التكرير والتصنيع المجهز لمعدات التكرير .

شركة النصر للبترول : وتتولى تكرير البترول والغاز والمواد الهيدروكربونية ، وصناعة جميع منتجاتهـا ومشـتقاتها والمنتجات المتصلة بها .

شركة الاسكندرية للبترول : وتقـوم بعمليات التكرير للزيت الخام وانتـاج المذيبات البترولية .

شركات النقل والتوزيع

شركة الجمعية التعاونية للبترول : تتولى تسويق المنتجات البترولية والكيماويات داخليا وخارجيا ، وامداد السوق الداخلية بالغاز السائل وأجهزة البوتاجاز وخدمة السفن بأعالي البحار .

شركة مصر للبترول : تقوم بتسـويق المنتجات البترولية والكيماويات داخليـا وخارجيا وخدمة الطائرات وسـفن أعالي البحار .

شركة أنابيب البترول : تقوم بنقـل المنتجات البترولية من مناطق معامل التكرير والناقلات بالسويس والاسكندرية بخطوط الأنابيب الى مراكز التوزيع الرئيسـية بالقاهرة والوجه البحري وتخزين هـذه المنتجات في المستودعات الرئيسـية ثم نقلها بالخطوط الفرعية الى مسـتودعات شركات التوزيع ومحطات القوى الكهربائية والشركات الصناعية .

مشروع البتروكيماويات : ويستهدف انتـاج مختلف المواد البتروكيمـاوية والوسيطة وتسويقها .

مشروع خط أنابيب السـويس الاسكندرية : تحت التنفيذ .

الشركة العامة للبترول ورسالة الإنتاج فى أهم الصناعات العربية

● تأسست الشركة العامة للبترول فى عام ١٩٥٧ وهى بذلك تكون أول شركة وطنية تمارس البحث والتنقيب عن البترول وتقوم بانتاجه واستغلاله. كذلك فانها تعد من أوائل الشركات الوطنية فى العالم النامى نشئا لهذا الغرض . وقد تكونت برأس مال قدره مليون جنيه، ثم زيد بعد ذلك الى ٧٫٨ مليون جنيه فى نهاية عام ١٩٧٢ » ويبلغ رأس المال المستثمر حاليا حوالى ٤٢ مليون جنيه .

وقد بدأت الشركة أعمال البحث فى أوائل عام ١٩٥٨ . وخلال الخمسة عشر عاما الماضية ، غطت فرق السيزموجراف الارضى ٣٠٣٤٢ كيلو مترا طوليا . كما قامت الفرقتان البحريتان بمسح ٨٣٦٠ كيلو مترا . وقد حفرت الشركة خلال هذه الفترة ١٨٧ بئرا انتاجية بلغ مجموع أعماق الحفر بها ٢٠٨٧٠٠ متر . وقد توصلت الشركة الى اكتشاف سبعة حقول منتجة على الشاطئ الغربى لخليج السويس ، هى : بكر وكريم وأم اليسر وعامر البحرى والسيون وشقير وخير . وبلغ اجمالى انتاج هذه الحقول ١٣٫٢٦ مليون متر مكعب من الزيت الخام ، منها ٧٫٦٧ مليون متر مكعب بيعت محليا و ٥٫٥٣ مليون متر مكعب صدرت الى بعض البلاد الأسيوية مثل الصين او الاوروبية مثل بلغاريا واليونان وتشيكوسلوفاكيا . هذا وقد بلغ الاحتياطى الثابت بحقول الشركة حوالى ٢٩ مليون طن .

وقد اتبعت الشركة فى تنفيذ عملياتها أحدث الأساليب العلمية والتكنولوجية فى صناعة البترول وانشأت لهذا الغرض معامل متخصصة تعد الاولى من نوعها فى الشرق الاوسط . ونذكر منها بصفة خاصة : معمل بحوث الرسوبيات .. معامل الكيمياء الجيولوجية . معمل المعالجة الالكترونية . معمل حبوب اللقاح كذلك فان الشركة تقوم بتنفيذ العديد من العمليات الفنية على الحاسب الالكترونى وخاصة عمليات برنامج اعداد التقرير الشهرى للانتاج ، وبرنامج حساب البترول المخزون بباطن الأرض ، وبرنامج تحليل القطاعات الكهربائية والاشعاعية والصوتية .

ومن ناحية أخرى . فان نشاط الشركة لم يقتصر على مجالات تخصصاتها ، وانما شاركت كذلك فى تقديم العديد من الدراسات والبحوث الاقليمية التى افادت علم الجيولوجيا على أرض مصر .

وبفضل هذه الجهود، احتلت الشركة مكانتها كأول شركة بترول وطنية بمنطقة الشرق الاوسط ولم يقف دورها عند حدود أعمال البحث والانتاج ، بل انها اصبحت بما توفر لها على مدار السنين من رصيد ضخم من الخبرات الفنية فى كافة التخصصات ، تقوم بامداد شركات البترول الاجنبية العاملة فى مصر ، وكذلك شركات المقاولة التى تعمل لحسابها ، بالاضافة الى الشركات الزميلة الاخرى بما تحتاج اليه من خبرات فى المجالات المختلفة .

ونذكر هنا ان الشركة قد لعبت دورا هاما فى مجال امداد الشركات فى الدول العربية الشقيقة باحتياجاتها من الفنيين عن طريق الاعارات أو التعاقد الشخصى .

ان ما حققته الشركة من نجاح وتقدم، انما هو نتيجة جهود ابنائها الذين يؤمنون بأن اهم هدف ينبغى تحقيقه هو كسر الاحتكار الاجنبى لصناعة البترول ، وزيادة الانتاج فى صناعة تحتل المرتبة الاولى فى البلاد العربية .

شركة السويس لتصنيع البترول

قلعة صناعة البترول فى الشرق

ان صناعة البترول تقف اليوم جنبا الى جنب مع قواتنا المسلحة امام العدو السافر لتحقيق النصر. ورغم ظروف حرب ٦٧ التى مرت بهـا الشركة ظلت تعمل بكامل طاقتها تحت ازيز الطائرات والانفجارات الدافع لتؤدى واجبها تجاه الوطن والمعركة حتى لحقها العدو بالغدر نتيجة قصفه بالمدفعية والطائرات .. واصر العاملون بالشركة على اكمال واجبهم فى قضية المصير .. وبذلوا كل جهودهم فى نقل بعض الاجهزة من السويس وتركيبها وتشغيلها بمستطرد .. ولم يبخلوا بالعرق فى تنفيذ معمل جديد لتكرير البترول فى محافظة الغربيـة . ولم يقف رجال الشركة عند هذا الحد .. بل تحركوا من المنطلق الجديد وتعاقدوا على الكثير من المشروعات التى انجزت باعلى كفاءة فى موعدها الزمنى المحدد كما ان الشركة لم تبخل بخبرائها وخبراتها التى مدت الكثير من الدول بهم، منها ،ليبيا والجزائر والسعودية وسوريا والكويت وابو ظبى ودبى واليونان وسيلان وغيرها.

والشركة وهى تعرض جهودها لا تفاخر بالكلمات ولكنها تترك الارقام تتكلم عن اعمالها .

اعمال التصميمات والانشاءات والتركيبات

- اعادة تصميم جهاز التقطير لزيادة كفاءته من ٣٠٠٠ طن/يوم الى ٥٧٠٠ طن/ يوم وتركيبه فى زمن قياسى لم يتجاوز تسعة اشهر .
- تصميم كامل لجهاز الاسفلت كفاءة ٣٥٠ طن/يوم وتركيبه فى زمن قياسى لم يتجاوز تسعة اشهر .
- تصميم كامل لوحدة التكرير بطنطا كفاءة ٢٥٠٠ طن/يوم
- التصميمات الخاصة بانشاء خطوط مواسير اقطار تصل الى ١٦ بوصة واطوال الى ١٥٠ كيلو مترا .
- تركيب وحدة تقطير الخام كفاءة ٤٥٠٠ طن/يوم فى زمن قياسى لا يتجاوز ١١ شهرا .
- تركيب وضغط واختبار جميع انواع المحركات والطلمبات الخاصة بجميـع المشروعات .
- مستودعات راسية وافقيـة تتراوح سعتها من ٥٠ الى ١٠٠٠٠ طن فى مناطق مختلفة بالجمهورية

اعمال التصنيع

ابراج ومجموعات خطوط واقطار مختلفة ٦٠ سم الى ٢٥٠ سم؛ مبدلات حرارية ،مردات ، مكثفات مختلفة المقاسـات ، الهياكل الحديدية للورش والمصانع والعنابر

مشروعات خارجية

• خاصة بجهات اخرى .

- تصنيع وتركيب ٤٩ مستودعا .
- مد خطوط انابيب متفرقة يلغ مجموعها ٣٢٩ كيلو مترا .وعمل الحماية الكاثودية لها .
- تركيب مصنع الصفيح بالقناطر والبدرشين .
- تركيب مصنع تعبئة الغـازات بالقناطر .

هذا وما زالت الشركة توالى الكثير من الانجازات الضخمة واضعة الخبرة والعرق لتحقيق الهدف الواحد الاسمى .. لتحقيق النصر باذن الله .

شركة مصر للبترول

تلبي كافة احتياجات الصناعة من المنتجات البترولية باستخدام البحث العلمي

● ان التطور التكنولوجي السريع في مجال الصناعة يستتبع بالضرورة تطورا مماثلا في المنتجات البترولية

وذلك بتطوير استخدام هذه المنتجات واستحداث منتجات بترولية جديدة لتغطية أية احتياجات جديدة . وتحقيقا لهذه الاهداف لقد قامت شركة مصر للبترول بجهود كبيرة وناجحة في مجال تطوير واستخدامات المنتجات البترولية مستعينة بالبحث العلمي .

وفيما يلي شرح مختصر لما توصلت الى تحقيقه شركة مصر للبترول عن طريق البحث العلمي :

معامل بحوث واختبارات الاداء

هذه المعامل مزودة بمعدات وآلات تماثل مختلف العمليات الصناعية ، ويتم فيها اختبار المنتجات البترولية اللازمة لمختلف الاغراض تحت ظروف تشغيل مشابهة لأقصى الظروف التي قد تتعرض لها هذه المنتجات اثناء التشغيل ـ وهذه المعدات والآلات مزودة باجهزة قياس دقيقة يمكن عن طريقها الحكم على مدى صلاحية اداء المنتجات المختبرة .

ولمعامل بحوث الاداء اربعة اهداف رئيسية ، وهي :

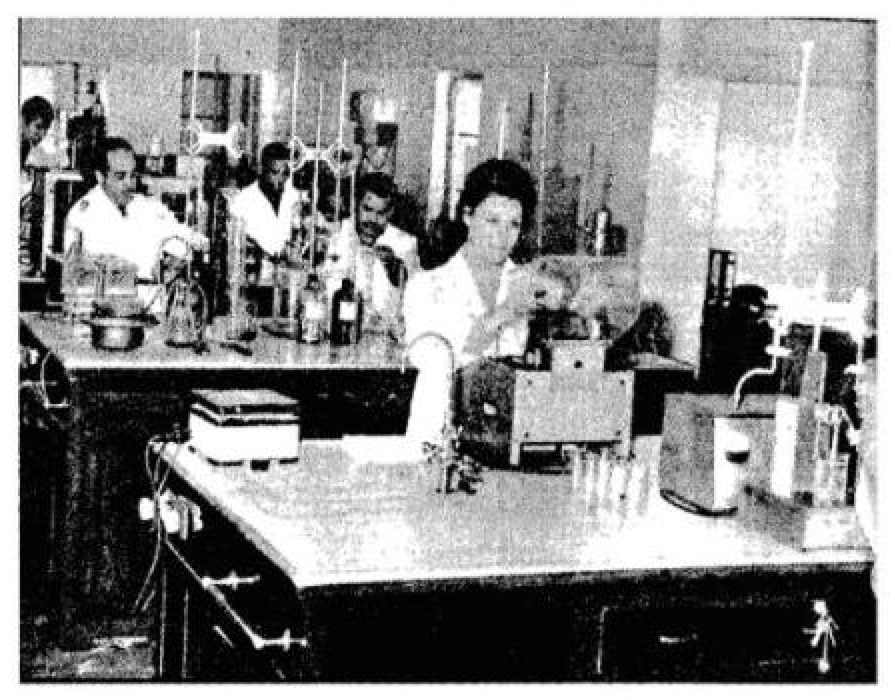
● مطابقة المنتجات لمواصفات الاداء القياسية .

● استنباط مواصفات اداء قياسية عربية .

● فحص اداء المنتجات وتطويرها واستحداث منتجات جديدة .

● التوسع في استخدام الخامات المحلية في الانتاج مع المحافظة على مستويات الاداء والجودة .

وتقوم هذه المعامل بتقديم جميع اجهزتها وامكانياتها الفنية والبشرية لخدمة معامل



جانب من معامل الابحاث بشركة مصر للبترول

التكرير وجميع الشركات والهيئات العاملة في حقل البترول .

تخطيط وتنظيم عملية التزييت في الصناعة

اهتمت شركة مصر للبترول بتطبيق احدث طرق تخطيط التزييت المبنية على أسس علمية متقدمة عند كبار عملائها ، وقد اثبت اتباع هذه الطرق التي يشرف على تنفيذها مهندسون متخصصون في هذا المجال نجاحا ملموسا ، وحققت الاهداف التالية :

- وفر في معدل استهلاك الزيوت والشحوم وتقليل الفاقد منها .
- وفر في استهلاك قطع الغيار .
- وفر في المجهود البشرى اللازم لعملية التزييت .
- زيادة عمر الالات والاقلال من الاعطال والعمرات الميكانيكية .
- الحصول على كفاءة تزييت عالية بأقل التكاليف الممكنة .



نظرا لتعذر نشر باقى الموضوعات الخاصة بالبحث العلمى والانشطة المختلفة فى الشركات الصناعية لضيق المساحة المسموح بها فى هذا العدد، فاننا نعد بنشرها فى العدد القادم باذن الله



نقشنا اسمك الغالي
على الخافق بالحب
وذا وجهك في عيني
ملء الروح والقلب
اراك اراك رغم البعد
معنى ماثلا قربي
واسمع همسك الحاني
وخفقة جرسه العذب
احسك في من حولي
وبين مسالك الدرب
فانت معي اذا اصحو
وفي تهويمة الهدب
انا او انت معنى وا
حد في منطق الحب ..!

● د. عاتكة الخزرجي ●

الغلاف الاول

الرئيس انور السادات
بطل دائما في
٢٣ يوليو و ١٥ مايو



والغلاف الاخير



فتاة الجزائر الحديثة
تجمع محصول الكروم
« بمناسبة عيد
استقلال الجزائر :
٥ يوليو » ..





بطولات نسوية

اطلب مع العدد

الزهور

الماضي الأدبي للهلال

الهلال

أغسطس ١٩٧٣

مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال العدد
الثامن ـ السنة
الحادية والثمانون ـ
أول أغسطس ١٩٧٣ ـ
٢ رجب ١٣٩٣ . .

رئيس مجلس الإدارة
فكرى أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة
صالح جودت

رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصر الدين عبد اللطيف

المشرف الفني
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

الاشتراكات

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ١٢٠ مليما ـ من الكميات المرسلة : فى سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا ؛ فى الأردن ١٥٠ فلسا ـ فى العراق ٢٠٠ فلس الكويت ٢٢٥ فلسا ـ فى السعودية ٥ر٢ ريال سعودى .

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى العربى والافريقى ١٢٠ قرشا صاغا . فى سائر انحاء العالم ٦ دولارات أو ٥ر٢ جنيه تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى ـ رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

فى هذا العدد

٤... كلمة الهلال
٥... د. سيد نوفل: زينوبيا ملكة تدمر وبطلتهـا الفاتنة
١٤. د. احمد الشرباصى : هند بنت عتبة بطلة فى الجاهلية والاسلام
٢٠. محمود حسن اسماعيل: موسيقا من الناس : النفس والكساسى « قصيدة »
٢٤. عبد الرحمن محمد النجار : عائشة زينة النساء دينا وشجاعة
٢٨. محمد عبد الغنى حسن : من بطولات المرأة العربية فى الاسلام : صفيةونسيبة وخولة
٣٦. ادوار حنا سعد : فى بيتى « قصيدة »
٣٨. د. محمد ابو الانوار : الخنساء عاشقة المجد
٤٨. د. احمد كمال زكى : غزالة الحرورية بين الاسطورة والواقع
٥٦. محمد صالح باخطمه : الحب والسياسة « قصيدة »
٥٨. امينةالسعيد : بطولات نسوية فى ثورة ١٩١٩
٦٦ د. ساميةاحمد اسعد: جاندارك بطلة وقديسة
٧٦. ماهر النديل : فلورنس نيتنجيل اعطت حياتها لانبل الاهداف الانسانية
٨٥. الحبيب شبيوب : صباح « قصيدة »
٨٦. محمد حسن : هيلين كيلر اعظم رمز للارادة الانسانية
٩٤. انورالجندى : الشاعر الذى عبر الى الشاطىء الاخر .. عزيز اباظة
١٠٤ رحلة الشهر
١١٦ د. سعيد عبده : شجرةآدم « قصة »
١٢٤ ميشيل كلا : العقاقير من الميكروبات
١٢٨ سمير وهبى : اللقاء الاخير مع عاشق الفن والجمال والاساطير
١٣٦ محمد عبد الغنى حسن : قرض الثنايا او نعمة على الشاعر
الشاعر عبد الرحمن صدقى « قصيدة »
١٣٩ عبد العليم القبانى : البوصيرى امام المادحين
١٤٦ محمود عبد العزيز محرم : الاسلام فى الصورة اللائمة لروح العصر
١٥٢ لوس يعقوب : سؤال بلا جواب « قصة »
١٥٦ نازك الملائكة : معارك ادبية : انا والشعر الحر
١٦٥ الوزراء والعلماء فى ندوة الهلال : دور البحث العلمى والتكنولوجيا فى نهضتنا الصناعية وتنميتها وتطويرها
اعداد : انور الرصفى

عزيز اباظة



د. سيد نوفل



نازك الملائكة





بسم الله الرحمن الرحيم

حدث فى القاهرة حادث فظيع ، فى عهد قاسم امين ، داعية تحرير المرأة .

آمنت بنات « المدرسة السنية » وهى المدرسة الثانوية الوحيدة للبنات يومئذ فى مصر ، بدعوة قاسم امين، وقررن – وكلهن صبيات دون السادسة عشرة – ان يرفعن الحجاب بمجرد ان يركبن العربة المدرسية التى تحملهن الى بيوتهن فى آخر النهار.

وسارت بهن العربة فى شارع المبتديان – نفس الشارع الذى تقع فيه دارنا ، دار الهلال – ورآهم الناس على هـذه الصورة ، فجروا خلفهن يقذفونهن بالطوب حتى ادموا وجوههن الصغيرة واجسامهن

وظهرت صحف الصباح التالى تصف الحادث تحت هذا العنوان :

« حادث فظيع فى القاهرة : بنات السنية يخرجن الى الشارع بمظهر المومسات » !

كل هذا .. لانهن رفعن الحجاب !

واليوم .. تسير ايها القارىء فى شوارع القـاهرة فتعجب اذا رأيت امرأة على وجهها حجاب ..

والفضل فى ذلك كله ، للراحلة الكريمة هدى شعراوى ، تلميذة قاسم امين ، وحاملة رسالته .. رسالة النور الى البيت المصرى ، والمجتمع المصرى

تحية لروح هدى شعراوى ، ولروح كل امـرأة فى كل زمان ، وفى كل مكان ، تضيف الى الدنيا يدا عاملة ، او خيالا مسعدا ، او فكرة بناءة ..

● صالح جودت ●

د. سيد نوفل



لا ريب أن التاريخ العربي ، وبخاصة القديم الجاهلي ، في حاجة قصوى الى مراجعته واعادة تدوينه .. ذلك بأنه قد شاعت فيه احالات وأوهام أعانت عليها عوامل شتى في مقدمتها العوامل الشعوبية التى حاولت تجريد العرب من الماضي الحضارى . ومن هنا سار القول ، على غير هدى ، بأن عرب ما قبل الاسلام لم تكن لهم مجتمعات حضارية ولا جيوش نظامية .. ومن هنا يحاول بعض كبار كتابنا المحدثين تصوير هزيمة العرب للفرس في فجر الاسلام على انها نصر لا يستند الى ماض تاريخي في التنظيم العسكري ، وان من مصادره استهانة الفرس بقوة العرب ...

زينوبيا

ملكة تدمر وبطلتها الفاتنة





وإذا كان الاسلام قد خلق الامة العربية خلقا جديدا ، وامدها بطاقات من القوة والاعجاز نشرت في ربوع العالم الحرية والعدل والسلام ، فان التاريخ القديم للمنطقة العربية يؤكد في مصادره الرومانية القديمة والغربية الحديثة ، فضلا عن العربية ان العرب كانت لهم دول وحضارات وجيوش وانتصارات على فارس قبل الاسلام ، وان انتصار العرب على الفرس في المدائن في فجر الاسلام سبقه انتصار زينوبيا الملكة العربية عليهم في الجاهلية ، وأن الروم حالفوا عرب الجاهلية ضد الفرس اعتمادا على قوتهم وحارب الجنود الرومان تحت قيادة عربية ، وان بني اذينة في تدمر أو الشام في القرن الثالث الميلادي اشبه ببني امية في الشام في القرن السابع الميلادي رغم اختلاف ظروف الرومان والعرب في العهدين ، وان العرب الذين هاجروا الى أقطار وطننا العربي الكبير في الجاهلية أقاموا دولا متقدمة حين توفرت لهم الوسائل اللازمة والطبيعة المواتية ...

وذلك أمر طبيعي فالرسالات الكبرى لا تنمو في أرض موات ، ولا تبلغ غايتها الا بدعاة وجنود أقوياء مؤمنين ، يحملون الامانة في صدق واخلاص ، ويبذلون كل تضحية وفداء في سبيل نصرتها . ويتوفر لهم من الاعداد والمعرفة ما يدفعهم الى صدق الجهاد والتضحية والفداء ...

● التجمعات الحضارية العربية ●

ويدل التاريخ المدون والاثار الباقية على انه كانت هنالك ثلاثة تجمعات حضارية قديمة في شبه جزيرة العرب امتثلت الحضارات العالمية وأعطتها قبل الاسلام ، ثم لعبت دورها الاساسي في تأسيس الدولة الاسلامية ، وفي رفع اعلامها على أرجاء المعمورة لفجر الاسلام وضحاه ...

وكان التجمع الاول في الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب حيث تعاقبت دول معين وسبا وحمير بحضاراتها الزراعية والتجارية ...

وكان التجمع الثاني في الشمال الغربي حيث قريش وحضارتها التجارية وثقافتها الادبية وقواعد الدولة النظامية ..

اما التجمع الثالث الحضاري القديم ، ولعله اهم هذه التجمعات في الجاهلية ومن اعظمها اثرا في تاريخ الدعوة الاسلامية ، فهو التجمع الذي كان قائما في شمالي شبه الجزيرة حيث قامت دول عربية للغساسنة والمناذرة والانباط والتدمريين ..

وقد أسس الانباط دولتهم في جنوبي الاردن الحالي ، الاقليم السوري التاريخي ... وكانت تعتمد على موقعها طريقا للتجارة ، وحاولت

الاحتفاظ باســتقلالها ، كما خضعت للبطالمة ثم للرومان ، ودامت منذ القرن السادس قبل الميلاد حتى القرن

الاول الميلادى ، وأقامت على كل حال حضارة عمرانية عربية الاصـــول لا تزال اثارها باقية الى هذه الايام .

● مملكة تدمر العربية ●

ومملكة تدمر ، حيث برزت الملكة زنوبيا ، من أهم التجمعات الحضارية

العربية فى شبه الجزيرة قبل الاسلام ... وتقع مدينة تدمر فى الشمال الشرقى من دمشق وعلى بعد مائة وخمسين ميلا عنها ، وبنحو مائة ميل عن حمص . وهى فى واحة بالصحراء اشبه ما تكون بجزيرة وسط المحيط .

وبهذه المدينة او الواحة ينبوعان مؤهما كبريتى صالح للشرب بعد ترسيبه ... ورغم تفاوت الحرارة الشديدة بين الليل والنهار ، وصيفها القائظ المضنى ، وشتائها البــارد الحافل بالثلوج ، فان موقعها الممتاز

جعلها نقطة التقاء بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وبخاصة القوافل السائرة بين الفرات ودمشق ، وهـو الذى جعلها تتداول المجد حينا من الدهر مع كل من البتراء وبطرا .

وكان الاغريق يســمونها بالميرا Palmyra نسبة الى بالما Palma او النخلة . كما يقــول المؤرخون العرب ان اسم تدمر محرف عن تمر

العربية او تمور او تمارا الساميتين بمعنى النخل ايضا ...

ويؤكد الباحثون الغربيون وجودها منذ القدم . ويستدلون على ذلك بأثار الملك الاشورى « تيجلات بيليسير » فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، ونقوشها التى تتحدث عن تدمر ...

والاية الثامنة عشرة فى الاصحاح التاسع من سفر الملوك بالتــوراة ، تتحدث عن مدينة (تمر) التى بناها الملك سليمان فى فلسطين الجنوبية ..

ومن هنا سارت الاسطورة العـــربية بأن الجن هم الذين بنوا تدمر الخالدة لسليمان اذ لا طاقة للانس بتشــييد مثلها ! .. كما يروى ابن الاثير ان

الملكة بلقيس زارت الملك سليمان فى تدمر ، ودفنت فيها ...

ومهما يكن من امر التـــوراة ، وما تزخر به من احالات وتحريفات ،

ومهما يكن من امر الاســـــاطير والاسرائيليات الشـائعة فى التاريخ

العــربى . فان التــاريخ الرومانى يتحدث عنها فى القرن الاول قبـــل الميـــلاد ، ويروى المؤرخ اللاتينى ابيانوس اسـتيلاء مارك انطونيوس عليها عام ٤١ ق . م . كما يتحدث تاريخ الرومان عن استقلالها الذاتى

فى القرن الثـانى الميـلادى وانه كان لها مجلس شيوخ او برلمان من اهلها مختص بسن القــوانين ، وله رئيس وامين ، كما كان لها سـلطة تنفيذية بيد شيخين يعاونهما مجلس من عشرة

اعضاء ، وسلطة قضائية بيد وكـلاء وموظفين معينين ..

● اقوى حكام تدمر ●

وكان بنو أذينة اقوى حكام مملكة

تدمر العربية ... وقد تولى أذينــة الاكبر الحكم وتدمر خاضعة لنفـوذ الرومان ظاهرا ، وان كان النفــوذ الحقيقى للامير العربى الذى تسـير

القوافل فى حمايته ... ولكن اذينة عمل للتخلص من جميع مظاهر الحكم الرومانى ، والميل نحو التحالف مع فارس عدوة روما ومنافســتها فى





السيطرة على عالم ذلك الزمان ·· وأدرك الروم اعداده ، فهاجموه بجيش كبير ، قتل اذينة وهزم جيشه فى أواسط القرن الثالث الميلادى ···

وخلف اذينة ولدين اسم احدهما « حيران » ، واسم الاخر « اذينة » كابيه · وقد اشرب اذينة الصغير بغض الروم ، وصمم على الانتقام لابيه منهم، فاوى الى الجبال وجمع عرب البادية من حوله ، وأعدهم للقتال ، واصبح نافذ الكلمة قوى الباس ·

وفى عام ٢٥٨ م خرج « فاليريان » الرومى لمحاربة سابور الفارسى ، ومر بتدمر وقدم الهدايا لاذينة ، وسماه قنصل روما ·· وحاول الاستعانة به فى الحرب ضد فارس · ولكن اذينة ابى ، وهزم « فاليريان » واسره الجيش الفارسى ···

وبعد ذلك حاول اذينة التحالف مع سابور كفالة لاستقلال تدمر ، ولكن سابور رفض محاولته واساء الظن بالامير العربى ···

وحينئذ لم يجد بدا من الاتجاه نحو التحالف مع الروم ، ورحب جالينوس ملكهم باتجاهه · وخرج اذينة فى حملة قوية ضمت العرب والارمن وقليلا من الروم ، وهاجم فارس ، واسترجع البلاد التى استولت عليها من الروم واستولى على (نصيبين) ، وحاصر (المدائن) مرتين ·

وبهذا اصبح اذينة الثانى سيد الشرق ، وشملت مملكته سورية كلها وجميع آسيا الرومانية ، ولقب الامير العربى « ملك الملوك » ··

● زنوبيا شريكة الأينة ●

على ان مصدر عظمة اذينة وقوته كان زينوبيا زوجته ، وشريكة حكمه ونضاله ··· فهذه الملكة العربية ، كما تقول دائرة المعارف البريطانية ، « كانت امرأة عظيمة ، مهيأة على خير وجه كى تصبح شريكة حياة اذينة ، ودعامة مكانته المرموقة ملكا للشرق ، وقد ظلت طوال حياته تعمل لدعم سياسته ·· »

وسيادة « اذينة » المطلقة على آسيا الرومانية ، من ارمينيا الى اعماق جزيرة العرب ، كانت تقتضيه الكثير من الحروب والغزوات الخارجية ، توطيدا للاستقرار فى مملكته ، ودفاعا عن الهجمات الخارجية عليها ·· وكان يشارك بنفسه فى اكثر هذه الغزوات التى تباعد بينه وبين قاعدة ملكه ··

لكن هذه المباعدة لم تكن تخلف فراغا، فقد كان ينيب عنه دائما فى حكومة تدمر امرأته « زينوبيا » ، وكانت بقوتها وثقافتها وحكمتها قديرة على سياسة شئون المملكة فى غيبته اقوى ما تكون السياسة واحكمها ··

وتقديرا لمكانتها وتقربا منها ، قدم لها امبراطور الرومان فى حياة زوجها لقب « سبتميا » اسمى القاب الشرف

الرومانية ، فكان يطلق عليها « سبتميا الزباء » او « سبتميا زينوبيا » .

وتصفها المصادر اللاتينية القديمة بانها تدمرية المولد ، سمراء اللون ، سوداء العينين ، نافذة اللحظ ، لؤلؤية الاسنان ، قوية البدن ، مهيبة الطلعة ، عالية الهمة والحزم ...

وكانت كلمتها فى حياة زوجها اعلى كلمة فى تدمر ، وكثيرا ما قادت الجيوش المحاربة بنفسها ...

وكانت زينوبيا تتكلم الارامية والقبطية المصرية وبعض اللاتينية واليونانية . وكانت جميع سجاياها تنم عن السجايا العربية القوية الاصيلة ..

وثقافتها فى تاريخ الشرق والغرب واسعة ، وفقهها الدينى ومناقشاتها العميقة لرجاله تدل على رقى الجوانب الانسانية فيها .. وتربيتها الحسنة القوية مأثورة لاولادها الثلاثة : هبة اللات ، وخيران ، وتيم‌الله .. بل انها لم تضن بالتربية المثالية كذلك على الابن الاكبر لزوجها اذينة من امرأة اخرى سبقتها ..

● زينوبيا بعد اذينة ●

وفى عام ٢٦٧ م حلت بزينوبيا ، الوفية لزوجها ومملكته ومثلها العليا ، نكبة لم تكن فى حسبانها ، ونالت من نفسها اعمق منال واشده .. فقد مات زوجها الملك اذينة وابنه الاكبر الذى كانت تدخره للازمات من بعده ..

لكنها واجهت الموقف مواجهة الابطال ، واثبتت ان التى رفعت قواعد تدمر فى حياة زوجها ، جديرة بأن تزيد هذه القواعد رفعة وعلوا من بعده ..

وهكذا خلف هبة اللات أباه فى ملك تدمر ، وقامت زينوبيا وصية عليه وصاحبة الامر كله فى المملكة .

ولم تكتف زينوبيا ، الملكة الطموح ، بمملكة اذينة ، تنشر على ربوعها أعلام الامن والاستقرار والرخاء ، بل ادركت واجبها تجاه هذه المنطقة العربية التى توثق بينها الروابط والمصالح والاخطار ، على مر العصور والحقب التاريخية ...

ولهذا جهزت جيشا جرارا قوامه الجنود العرب والارمن من سكان البادية والجبال ، اذ انها لم تكن تطمئن الى أهل المدن ممن افسدتهم رخاوة العيش والنزعات الرومانية المترفة . وضمت زينوبيا الى مملكتها مصر والشام والعراق وما بين النهرين وآسيا الصغرى الى انقرة ..

وقد ساعدها على ذلك طموحها وسجاياها العربية القوية ، وانشغال الرومان بالاضطرابات الداخلية التى سادت بلادهم .. فلما حكم « أورليان » .. وكفل الاستقرار الداخلى لروما ، جمع جيشا جرارا فى بيزانتين ، وتقدم به لمحاربة زينوبيا وهبة اللات فى عام ٢٧١ م .

ودارت بينهما معارك لم ينتصر فيها اى من الجانبين نصرا حاسما ، ولكنها كبدت زينوبيا خسائر جسيمة فى جيشها . لكن خطأ سياسيا هو الذى أودى بزينوبيا ومملكتها . فقد اعلنت اثر هذه المعارك فى تحد للرومان ان الجنود العرب القاعدة الاساسية لقوتها لم تحل بهم خسائر ، وان الذين



ماتوا هم اهل المدن والتـــرف من الجنود ..

وقد احنق هـذا القول اهل المدن فايدوا الروم ضدها ، خوفا من تغلب رجال زينوبيا المقـــربين ممن كانوا يعتبرونهم عربا جفاة عليهم .. ومع ذلك فان دهاء زينوبيا لم يجعل مهمة اورليان سهلة ، رغم الطابور الخامس الذى يحارب معه من داخل مملكـــة تدمر .. ولم يستطع الوصول الى النصر بقوته العسكرية ، وانما استطاع الوصول اليه بالخديعة وبتفريق كلمة العرب . فقد تمكن من حصار مدينة تدمر ، وشراء بعض اهلها بالمال ، والتمكين لاطالة الحصار حتى تم تسليم المدينة للغزاة الرومان ..

ودخل اورليان تدمر ، بعد سقوطها وسقوط حمص من قبلها ، ولم تجـد زينوبيا وابنها هبة اللات بدا من الفرار الى الصحراء متجهين نحو فارس طلبا لنجدتها . ولكن جيش الرومان تعقبهما .. حتى تم اسرهما على ضفاف نهر الفرات . وحمل الامبراطور اورليان ، فى عودته الى روما ، زينوبيا مغلولة يداها باطواق من ذهب ، تسير امام مركبته فى موكبه المنتصر الظافر ..

وحاولت تدمر من بعد ذلك ان تثور على الحكم الرومانى ولكن اورليان عاد اليها بجيشـــه ، وقضى عليها ، وخربها تخـــريبا ، ونقل ذخائرها ونفائس اثارها الى هيكل اقامه بروما لاله الشمس الشرقى تخليدا لنصره على زينوبيا وتدمر .

واما زينوبيا ، فقـــد عاشت مع ابنائها عيشة الاسر المنعزلة فى مدينة « طيـــور » الرومانية حتى انتهت حياتها المليئـــة بالنضال والبطولة المفعمة بالنصر والهزيمة ..

● حضارة تدمر الزاهرة ●

كانت حضارة تدمر صورة متقدمة للحضارة العربية بعد الاسلام . فقد التقت فيها عناصر الحضارات المصرية والصورية واليـــونانية والرومانية والفارسية أو الايرانية .وكانت كمدنية الانباط ، كما تتجلى فى البتراء ، تمثل الثقافة والتقدم اللذين يستطيع العربى بلوغهما متى اتيحت له اسباب العلم والازدهار .

وقد نالت حضارة تدمر ، وآثار زينوبيا ، عناية خاصة من علماء الاثار والحضارات القديمة .. واشهر من زارها ووصف آثارها الفيلســـوف الفرنسى (فولنى) فى اواسط القرن الثامن عشر ، كما زارها الكثيـــرون غيره وتفننوا فى وصف بهائها وتقدم

فنونها الهندسية والعمرانية ٠

واهم آثارها هيكل الشمس او هيكل بعل يحيط به سور ارتفاعه سبعون قدما ، وتنتظمه صفوف من الاعمدة الاسطوانية ، ذات النقوش البديعة ، والبالغة نحو اربعمائة عمود، وان لم يبق منها الآن سوى نحو مائة عمود٠

والرواق الاعظم الذى كان يضم نحو سبعمائة وخمسين عمودا ، يعتبر من اروع آثار تدمر ٠٠ والى جانب ذلك ، فالمدافن الفريدة الشكل ، التى تشبه الابراج المستطيلة ، وتبلغ نحو مائة مدفن ، كل منها من اربع طبقات علوها ثمانون قدما وعرضها ثلاثون ٠

واهمية هذه الآثار فيما عليها من نقوش وكتابات تمثل عظمة زينوبيا ، كما يشهد بذلك تمثالها الفخم ، وقد كتب عليه بالقلم التدمرى ، احد تفرعات الآرامية ، « تمثال زينوبيا ، بنت زباى ، الملكة الجليلة التقية ٠ وقد اقامه اعترافا بفضل سيدتهما القائد الاعظم زبدا وقائد تدمر المهيب زباى فى شهر آب (اغسطس) سنة ٥٨٢ وهذه السنة فى التاريخ السلوقى، تقابل سنة ٢٧١ فى التاريخ الميلادى»

وكانت تدمر مركز السياسة والتجارة فى الشرق للقرنين الثانى والثالث الميلاديين ٠ فدانت ملتقى تجارة العالم القديم بطريقيها المعروفين : الاول فى البحر الاحمر الى مصر والاسكندرية . والآخر من الخليج لبادية الشام الى مصر ٠٠ وقدر بلينيوس واردات تدمر الى روما وحدها بما قيمته ثلاثة ارباع المليون جنيه فى العام ٠

وحين افل نجم زينوبيا ، ودالت دولة تدمر ، ورثتها بترا فى غسان ٠ كما ورثت تدمر من قبل البتراء ٠٠

● زينوبيا فى تاريخ البطولة ●

ان سيرة زينوبيا ، كما نقلها المؤرخون الاجانب ، فريدة فى تاريخ العظمة النسائية حقا ٠ بل قيل انه لم تنبغ امراة مثلها شجاعة وباسا وحكمة ودهاء ، وانها جمعت الى شدة الاسر جمالا وفتنة لا يعدلهما جمال ولا فتنة ٠٠ وكانت تركب الخيل فى اسفارها ، وتأبى ان تركب الابل والهوادج على عادة النساء لعصرها ٠ وكان مجلسها بهيا حافلا ، تحضره وفود من ملوك الفرس والرومان والارمن ، وقد يشربون ويسكرون ، ولكنها لا تسكر أبدا ٠ وكانت تتحدث فى شئون الدولة والدين والعلم والتربية بما لا يستطيع غيرها ان يأتى بمثله ٠٠

وكانت الى سجاياها العربية الاصيلة تقتبس ما تراه ملائما من تقاليد الملك فى فارس والروم ٠

فكانت تدخل المجلس وعلى كتفيها الشملة الارجوانية وعلى رأسها التاج مثل قياصرة الرومان ٠ وكان لها ايوان كايوان الاكاسرة ، ولم يكن يدنو منها احد الا خر ساجدا امامها على عادة الناس مع ملوك فارس ، كما جمعت فى قصرها بعض الشيوخ وعهدت اليهم تدبير شئونه ٠ وكانت اذا مشت فى ساحة قصرها ، او دارت فى رواقها الشامخ ، احاطت بها الفتيات من بنات الاشراف ، وهى تزرى بهن جميعا فتنة وجمالا ٠٠





وكان الجند والشعب يخالونها الهة من الالهة العظيمة، حين تستعرض الجيش قبل الوغى ، وتحرضه على القتال ، وتبث فيه روح الصبر والثبات والباس حتى النصر ...

وتحتل زينوبيا في تاريخ البطولة العالمية مكانا رفيعا ..

وادوارد جيبون ، المؤرخ الانجليزى الشهير ، يترجم في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الثامن عشر لزينوبيا في موسوعته الام : « تدهور الامبراطورية الرومانية وسقوطها » . ويضفي على الملكة العربية الجميلة الحكيمة الباسلة من الوان البطولة والحكمة والعظمة ما يسير في العالم .

ووليام وير ينشر في عام ١٨٣٧ قصة تاريخية لزينوبيا في مجلة Micker Bocket Magazine فيتلقفها القراء في بلاد اوروبا وامريكا جميعا، وتسير سيرورة تؤدى الى ان تنشر مرة اخرى بعنوان رسائل من تدمر . وتزداد سيرورة فتنشر في كتاب مستقل على اوسع نطاق ، وتظل طبعاتها تعاد وتنفد على طول خمسين عاما في القرن التاسع عشر ، كما يقول كاتب الاسطر الخمسة عن زينوبيا في دائرة المعارف الامريكية ..

وقد احتلت زينوبيا في الادب العربي الشعبي مكانتها الطبيعي ، فسارت رواياتها البطولية مع روايات عنترة ابن شداد وسيف بن ذى يزن وصلاح الدين الايوبي وغيرهم من ابطال العرب الخالدين ..

ولعل الله يقيض لزينوبيا من يخلد ذكرها في تاريخ الادب ، مثلما قيض شكسبير وبرنارد شو واحمد شوقي لتخليد ذكرى كليوباترا . فحياة زينوبيا نقية رائعة لا تشوبها الشوائب التي علقت بملكة مصر الفاتنة لعهد البطالسة ..

● زينوبيا او الزباء ●

ترى جمهرة الباحثين من العرب والمستشرقين والغربيين ان زينوبيا تسمى بالعربية أيضا الزباء او زينب، وتدل الاثار التدمرية على ان زينوبيا هي الزباء ، وان اسمها الاصلي « بنت زباى » . لكن المستشرق الانجليزى رهموس يرى ان زينوبيا غير الزباء التي جاء حديثها في التاريخ العربي .

ومهما يكن من امر ، فان الادب العربي قد حفل بروايات عن الزباء ، تعوزها الاسانيد التاريخية وقد اوردها الجاحظ تفصيلا في كتابه : المحاسن والاضداد ، كما اوردها ابو الفرج الاصفهاني في كتابه الاغاني . وكذلك رواها ابن الاثير وياقوت وابن خلدون وابو الفداء .. ويلاحظ فيها جميعا الاختلاف في الكثير من احداثها وتفاصيلها .

ومنها ان « الزباء » واسمها « هند » او « نائلة » او « ليلى » ، على اختلاف الروايات ، ملكت الشام بعد ان قتل

جذيمة الابرش ملك الجزيرة عمها .. وبعث اليها جذيمة يطلب القدوم عليها لزواجها ، فرحبت بمقدمه وأظهرت

السرور برغبته . ونصحه مولى له يسمى « قصير بن سعد » بعدم السفر اليها خشية خديعتها له والغدر به انتقاما لابيها ، ولكن جذيمة لم يحفل

بقوله ، واستخلف ابن اخيه عمرو بن عدى على مملكته . ومضى جذيمة ومعه « قصير » الى الشام ، حتى لقى حتفه

فى قصر الزباء . وفر قصير على فرس جذيمة الشهيرة : « العصا » حتى لقى عمرو بن عدى وأخبره بمصرع عمه على يد الزباء ..

واحتالا « قصير » للايقاع بالزباء فجدع انفه ، وذهب اليها زاعما ان عمرو بن عدى هو الذى جدعه غضبا عليه لمصرع عمه ، وانه يلوذ بها

منه . وولته شئون قصرها . وبعد حول من الثقة استأذن « قصير » الملكة فى ان يذهب الى العراق

لاستحضار امواله ، فدفعت اليه مالا كثيرا وامرته ان يشترى لها ثيابا وجواهر ومسكا وغيرها ، فانطلق حتى

اتى عمرو بن عدى فاخبره فاعطاه ضعف ما يساويه مالها من مطالبها فاسترخصته ، واخذت ترسله مرة بعد

اخرى وهى تزيد فى المال وعمرو يزيد فى العطاء وقصير يزعم لها انه يشترى بمالها فى كل مرة ..

ووقع قصير بقلب الزباء فاسلمت اليه امورها، وبعثته فى الدفعة الرابعة بمال عظيم ليشترى اثاثا ومتاعا وفرشا وآنية .. وذهب قصير الى عدى وابلغه ان الثمرة قد حان

قطافها ، وان عليه ان يعود معه الى الشام ومعه الفا فارس بسيوفهم ،

تحملهم الابل فى جوالق نهارا ، ويخرجون منها للطعام والشراب والراحة ليلا ..

وسبق قصير الركب الى الزباء ، وكان المساء قد اقبل ، فطلب اليها ان

تصعد الى اعلى القصر لترى الاحمال العظيمة على الجمال . فلما نظرت الى الركب أنشدت :

ما للجمال مشيها وئيدا
اجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا باردا شديدا
فقال قصير فى سره :
بل الرجال جثما قعودا

واجابها قائلا : ما عليها من المتاع الثقيل النفيس .. وادخلت الملكة الجوالق انتظارا الى الصباح لتفتحها

وترى ما فيها من النفائس . فلما جن الليل خرج عمرو وجنوده من الجوالق فقتلوا جميع من فى القصر . وهربت الزباء الى سرب لتفر منه . لكن

قصيرا كان يعرف سر السرب ، فدل عمرو بن عدى عليه فاستقبلها بالسيف .. ولكن فص خاتمها كان مسموما لمواجهة مثل هذه الازمات ، فمصته

وماتت قبل ان يقتلها ، وقالت : « بيدى لا بيدك يا عمرو ولا بيد العبد .. »

ويبين من اختلاف الروايات ، وتباينها جملة وتفصيلا ، ومن اسلوب القصص والتلفيق البادى فى هذه الحكاية ، ان الزباء هى « زينوبيا »

ملكة تدمر . وليس ما يمنع ان تكون هنالك ملكة عربية اخرى اسمها هند او نائلة او ليلى نسجت حولها هذه الروايات، واطلق العرب عليها اسم«الزباء» تشبيها لها بملكة تدمر البطلة العبقرية الفاتنة ◆



هند بنت عتبة بطلة في الجاهلية والإسلام



هند امرأة عربية كان لها شخصيتها وآثارها قبل إسلامها، وكان لها قدرها وذكرها في الإسلام وهي امرأة تعد نموذجا للمرأة العربية بجاهليتها وإسلامها فهي ذات بأس واقتدار، حينما استبدت بها موروثات بيئتها، وتقاليد قومها، وهي ذات إدراك واعتبار، حينما استضاءت بنور الإيمان وهي ذات صولة في جاهليتها بمقاييس أهلها ومجتمعها، وهي ذات صولة في إسلامها بموازين الحق والقسطاس وإذا كانت قد شابتها قوة شخصيتها في ظلمات جاهليتها، فلقد زانتها قوة شخصيتها في أضواء الإسلام واليقين..



إنها هند بنت عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس بن عبد مناف الأموية القرشية، بنت زعيم في ناديها هو عتبة بن ربيعة، وزوجة زعيم في قريش هو أبو سفيان بن حرب، وأم زعيم في بني أمية هو معاوية بن أبي سفيان، وأمها سيدة من سيدات قومها هي صفية بنت أمية ابن حارثة بن الأوقص.

وقد توافرت لها صفات تزيدها حسبا على حسب، وترفع قدرها بين

نساء العرب . ففيها فصاحة وجرأة، وأنفة وتعاظم ، وحزم ، ورأى ، تقول الشعر وترسل الحكمة ، وتشمخ بأنفها معتزة بنفسها ونسبها ، وكان ابنها معاوية كان من ابصر الناس بها حين صورها فقال : « انها فى الجاهلية عظيمة الخطر ، وفى الاسلام كريمة الخبر » . وما أبلغ الامـــام ابن عبد البر حين أوجز وصفها فقال : « كانت امرأة لها نفس وانفة » .

ولعل اول ما يســـــتلفت انظارنا وافكارنا من اخبارها فى الجاهليـــة تلك القصة التى حاكها الادب العربى فى اخباره أو اساطيره . وهى قصة لا تعدم فيها دلالة عميقة ، ســـواء أكانت من واقع التـــاريخ أم رائع الخيال ، لانها تقنع بحقها حين تكون خبرا ، وتحاول تصوير الواقع ان كانت اسطورة .

حدث التاريخ الادبى فقال ان هند بنت عتبة تزوجت « الفاكه بن المغيرة المخزومى » احد فتيان قريش ، وكان له فى داره بيت ضيافة يغشاه الناس ويرتادونه بلا اذن ، وذات يوم كان الفاكه يستريح فى هذا البيت ومعه

زوجته هند ، ثم خرج عنهـا لبعض شأنه وتركها نائمة من وهج القيلولة ، فاقبل بعض من كان يغشى البيت ، فلما رأى هندا نائمة رجع من حيث جاء ، وشاءت حبكة القصة ان يعود الفاكه فيشهد الرجل منصرفا ، فيثور فى صدره الشك الاعمى .

ويدخل ثائرا على زوجته العربية الابية ، ويسائلها فى تأنيب : من هذا الخارج من عندك ؟

فتجيب : والله مــا انتبهت حتى نبهتنى ، وما رأيت احدا قط .

ولكن الغيرة التى لا تبصر دفعتـه الى قوله : الحقى بأبيك !
وفشا الخبر بين الناس .. واقبل عليها ابوها يقول لها : يا ابنتى ، احذرى العار وان كان كذبا ، بثينى خبرك ، فان كان الرجل صادقا دسست عليه من يقتله ، فيقطع عنك العار ، وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن ..

وهكذا كانت شرعة القوم يوم ذاك .
وأجابت هند : والله يا ابت ، انه لكاذب .

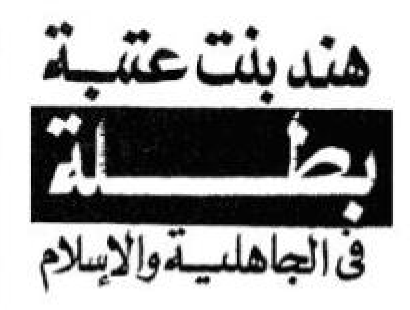
فذهب عتبة الى الفاكه يقول له : انك رميت ابنتى بشىء عظيم ، فاما ان تقيم بينة عـــلى ما قلت ، والا فحاكمنى الى بعض كهان العرب .

وخرج رجال ونساء الى اليمن ، وفيهم هند وزوجها وابوها ، فلمـــا اقتربوا من دار الكاهن ، تغير وجه هند ، لان عقلها وسمعتها وكرامتها ستوضع فى الميزان بعد قليل ، وانه ميزان غير معصوم من الخطأ والانحراف والميل ، وتزلزل كيان ابيها وقد رأى تغير وجهها ، فاقبل عليها قائلا :
ـ يا ابنتى ، الا كان هذا قبل ان يشتهر فى الناس خروجنا ؟ ..

واندفعت الحرة تدافع عن نفســها وتقول : يا أبت والله ما كان ذلك لمكروه عندى ، ولكنـــكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب ، واخشى ان يسمنى بسمة تبقى على السنة العرب .

وامام هذا المنطق الحق الصادع لم يملك الوالد ان قال : صدقت . واخبرها انه سيختبره ببعض الامتحان ، ونجح الكاهن ـ كما تقص الاسطورة ـ فى الاختبار ، واقبل على هند ، وقال لها وهو فى نشوة الانتصار على مســمع من الجميع انها طاهرة الذيل ، وانها ستلد رجلا يملك يسمى « معاوية » .
ونهضت هند كأنما نشطت من عقال، وخطت خطوات من دفع القدر عنها بلاء احاط بها ..

وهنا اقبل نحوها زوجهـــا الفاكه



ليأخذ بيدها ، فاذا الحرة الغاضبة لعرضها تنتزع يده من يدها ، كأنها الذى او القذى ، وتقول له : اليك عنى، والله لاحرصن على ان يكون ذلك الولد من غيرك ! ..

واذا كان لا بد للقصة من نهاية ، فقد حرص راوى القصة او الاسطورة على ان يختمها بقوله :

« فتزوجها ابو سفيان ، فولدت له معاوية بن ابى سفيان » !

بل ويجعل للخاتمة ذيلا ، فيضيف

ان هندا قالت لابيها : يا ابت ، انك زوجتنى من هذا الرجل ، ولم تؤامرنى فى نفسى ، فعرض لى معه ما عرض ، فلا تزوجنى من احد حتى تعرض على امره وتبين لى خصاله .

ارايت الى القصة .. لقد جاءت علينا بكثير من الاشارات والرموز الى ان هذه المراة كانت فى جاهليتها ذات نفس وانفة ، وذات قدر وخطر ، وذات ترفع وطموح .

ثم نرى « الطبقات الكبرى » لابن سعد لا تبخل علينا برواية طريفة عن قصة زواج هند بأبى سفيان بن حرب،

ترويها عن شيخ من بنى عامر ، وفى الرواية التى لا تخلو من فطنة الصنعة تقول هند لابيها : انى امراة قد ملكت امرى ، فلا تزوجنى رجلا حتى تعرضه على ، فقال : لك ذلك .

وبعد حين اقبل عليها يقول : انه قد خطبك رجلان من قومك ، ولست مسميا لك واحدا منهما حتى اصفه لك . اما الاول ففى الشرف الصميم والحسب الكريم ، تخالين به عوجا من غفلته ، وذلك اسجاح من شيمته ، حسن الصحبة حسن الاجابة ، ان تابعته تابعك ، وان ملت كان معك ، تقضين عليه فى ماله ، وتكتفين برأيك فى ضعفه .

واما الآخر ، ففى الحسب الحسيب، والرأى الاريب ، بدر أرومته ، وعز عشيرته ، يؤدب اهله ولا يؤدبونه ، ان اتبعوه اسهل بهم ، وان جانبوه توعر بهم ..

ثم وصفه بشدة الغيرة والرقابة وإباء الخضوع ، وهنا قالت هند عن اولهما : « اما الاول فسيد مضياع لكريمته » وانه متابع لها ، تضيع شخصيته فى شخصيتها ، واعرضت عنه وطلبت من ابيها الا يذكر اسمه، ثم قالت عن الاخر انه « بعل الحرة الكريمة » ، وقالت انها تحب هذا الوصف وانها ترغب فيه ، ثم سالت اباها : فمن هو ؟ .

فاجابها : ذلك ابو سفيان بن حرب . فطلبت الى ابيها ان يزوجها له فى عزة وكرامة .

وهكذا نرى هندا تركب الصعب من الامور ، وترفع راسها نحو القمم ، ولا ترضى بالزوج « الطيب » الذى يكون العوبة فى يدها ، بل تريده زوجا له شخصيته وكرامته وقوته ، وكدت اقول : وشراسته ! .

وتمضى هند فى حياتها الزوجية مع ابى سفيان فنراها تحرص على محامد الفعال اكثر مما تحرص على شهوة الرجال والنساء ، ولقد روى « العقد

القريد » ان ملك اليمن اكثـــر عشر جزائر لتذبح في مكة، وشرط ان يذبحها اعز رجل قرشي ، وكانت هند عروسا جديدة عند ابي سفيان ، فاذا هي تقول له : يها الرجل، لاتشغلنك النساء عن هذه المكرمة التي لعلها ان تفوتك !

ولو كانت امرأة اخرى من عامة النساء لحرصت على ان يخلص لهـا زوجها ، وتخلص له ، ليكون بينهما ما يكون بين عروسين من متعة لقاء •

ويقرب من هذا المعنى ويتصل به : ذلك الطموح الواسع الذي كانت تتطلع اليه هند ، وترى نفسها اهلا له ، حتى تدركها المبالغة في هذا الطموح ، ومن شواهد ذلك ان بعض الناس رآها ومعها ابنها معـاوية ، فتوسموا فيه التبوغ ، فقالوا لها عنه : ان عاش ساد قومه !

فلم يكفها هذا المديح ، بل قالت في اباء وتعظم وتطلع واسع : ثكلته ان لم يسد الا قومه !

ولم لا تقول هذا واكثر منه ، والمقول عنه هو ابنها ، ومن يفخر بالولد اكثر من فخر امه به ؟ • وهـا هي تزيد ثناءها على ابنها معاوية « حبتين او ثلاثا » ، فتقول عندما سئلت عنه : والله لو جمعت قريش من اقطارها ثم رمى به في وسطها ، لخرج من اى اعراضها شاء !

***

وهنك في حياة هند بنت عتبة صفحة قاتمة سوداء ، لا تمحى ولا تزول ، ولا يكفيها ماء البحر لازالتهـــا من الالباب والقلوب ، تلك الصفحة هي ما فعلته هند بأبي الشهداء وسيدهم حمزة بن عبد المطلب رضوان الله تعالى عليه •

نعم ان حمزة قد قتل « شيبة » اخا هند في غزوة بدر ، واعان على قتل ابيها « عتبة » ، ولكن هذا كان صراع ميدان ، وكل من في ميدان القتـــال حريص على قتل عدوه •

وقد يقال ان الثأر له اثره العميق في نفوس اهل الجاهلية ، وقد يقال : ان هندا امرأة ، والمرأة اسرع الى تحريك دوافع الثأر • ولكن ما فعلته هند بحمزة لم يكن قتلا ، ولم يكن اخذا لثأر ، بل كان اوجع من ذلك واشنع •

لقد خرجت هند يوم أحد تحرض قومها على القتال واخذ الثأر • وهذا في منطق الحرب غير مستغرب • ولقد اخذت تضرب بالدفوف مع نسائها ، ويرددن :

نحن بنـــــات طارق
نمشي على النمـــــارق
ان تقبلوا نعـــــانق
ونفرش النمـــــارق
او تدبروا نفــــارق
فراق غير وامــــق

وتردد أيضاً :

ويها بني عبد الـــــدار
ويها حمـــــاة الادبار
ضربا بكل بتـــــار !

وهذا غير مستبعد !

ولقد حرضت « وحشي بن حرب » عبدها ، ووعدته الحرية ان قتل حمزة واخذ لهابثارها ، وظلت تؤجج في صدره نيران العدوان ، وتقول له يوم احد كلما رآته : « ايه أبا دسمة ، اشف واشتف » !

وهذا في منطق اهل الثأر غيـــر مستنكر ••

ولكن الذي لا يطاق ولا يحتمل في شرعة الانسان ان تظهر كل هـــذه الشماتة من هند لمصرع سيد الشهداء حمزة ، وان تقبل بكل قسوة وشراسة على جثمان البطل الشهيد ـ وقد فقد الحياة بطريق الاعتداء الاثيم الخائن الغادر ـ فتقطع انفه ، وتقطع اذنيه ، وتشق بطنه ، وتنزع كبده ، ومضغتها

هند بنت عتبة بطلة في الجاهلية والإسلام

وحاولت ابتلاعها فلم تستطع ، فالقتها على الارض ، ثم اخذت تردد في ذلك شعرا يفيض بالحقد الاسود والضغينة النكراء •

ان هذه الصفحة السوداء جعلت هندا تبوء بلقب اذاها كثيرا ، وآذى اهلها طويلا ، فأخذ أعداؤها يقولون عنها : « هند آكلة الاكباد » • واخذ اعداء ابيها واعداء ابنها يعيرونهما ويغيظونهما بترديد هذا اللقب اللعين ، حتى بعد أن اسلمت هند واستقامت على الطريق •

اين هذه الصفحة السوداء من ومضة الانسانية التي نشهدها من هند في جاهليتها وشركها، حين ترى زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تهم بالهجرة من مكة الى المدينة ، بعد أن هاجر ابوها ، فتقبل هند عليها ـ كما في تاريخ الطبري ـ وتعرض عليها ان تعاونها بما تريد من مال او غيره ، وتناديها : « يا ابنة عمي » فتشكر لها زينب هذا الصنيع ؟ • اين هذا الظلام الدامس في يوم أحد من هذه الومضة يوم هجرة زينب ؟ •

***

لكن رحمة الله اوسع مما يتصور الجهلاء ••

وقد شاء القدر ان تعرف هند بنت عتبة طريقها نحو هذه الرحمة التي وسعت كل شيء •

لقد ظلت هند تكابر وتعاند، وظلت تمثل الانفة الجاهلية سنوات بعد سنوات ، حتى عزت كلمة الله ، واقبل الفتح المبين ، واسلم زوجها وركب الرسول الفاتح في الطريق نحو مكة ،

واهدر النبي الفاتح دماء افراد ذكرهم باسمائهم ، ومن بينهم هند بنت عتبة آكلة الاكباد ، التي غاظت المسلمين غيظا شديدا مريرا بما فعلته في جثمان حمزة الشهيد عليه الرضوان

وكانت هند من جهتها قد اخذت تتهنه من كفرانها ، وتكف من طغيانها، وتتلمس الطريق الى ايمانها • فماذا تصنع ؟ •

لقد شاهدت هند جموع المسلمين وهم يصلون حول الكعبة عقب الفتح فاثر فيها هذا المنظر الباهر اعمق تاثير وتفتح قلبها لنور الاسلام ، ولكنها كانت تخشى اهدار دمها على فم الرسول، فماذا تصنع؟ لم يخنها رايها ولا حيلتها •

قالت لبعض من حولها : اني اريد ان ابايع محمدا •

فقيل لها : قد رايتك تكفرين ؟ •

قالت : والله ما رأيت الله تعالى عبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة ؛ والله ما باتوا الا مصلين قياما وركوعا وسجودا •

قيل لها : فانك قد فعلت ما فعلت، فاذهبي برجل من قومك معك •

فذهبت الى عمر فذهب معها فاستأذن لها ، فدخلت وهي متنقبة ، والرسول لا يعرفها ، واعلنت اسلامها ، وباعلان كلمة الاسلام حصنت نفسها ، وعصمت دمها ، وحفظت حياتها •

يقول ابن عبدالبر في «الاستيعاب» : « ثم ختم الله لها بالاسلام فاسلمت يوم الفتح » •

ويقول النووي في « تهذيب الاسماء واللغات » : « اسلمت في الفتح بعد اسلام زوجها أبي سفيان بليلة وحسن

اسلامها » . واقرهما النبى على زواجهما .

ولبيعة هند امام الرسول حديث يساق

لقد دخلت عليه ـ كما يحدث الطبرى ـ متنقبة متنكرة بسبب ما صنعت فى حمزة ، ولانها كانت تخاف ان يؤاخذها على ذلك ، وبدأ الرسول يقول للنساء وهى بينهن : تبايعننى على الا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن . وهنا لم تملك هند نفسها أن قالت انها كانت تحس بأن زوجها ابا سفيان بخيل ، وكانت تأخذ من ماله ما تحتاج اليه

وهنا عرفها الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقال : وانك لهند بنت عتبة

اجابت : انا هند بنت عتبة ، فاعف عما سلف عفا الله عنك .

واستمر الرسول فى المبايعة قائلا : ولا تزنين .

وسارعت هند بتعليقها الرائع تقول : وهل تزنى الحرة ؟ .

وواصل الرسول مبايعته قائلا : ولا تقتلن اولادكن

فعلقت هند بقولها : قد ربيناهم صغارا ، وقتلتهم يوم بدر كبارا، فانت وهم أعلم ! .

وهنا ضحك عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فبالغ فى الضحك

ثم قال الرسول : ولا تأتين ببهتان تفترينه بين ايديكن وارجلكن .

فقالت هند : والله ان اتيان البهتان لقبيح .

ثم قال الرسول : ولا تعصينني فى معروف .

فعلقت هند بقولها : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك فى معروف !

ارايت كيف وقفت هند امام الرسول بشخصيتها القوية التى سواها الاسلام وعمرها الايمان .. وقفت تسائل وتحاور ، وتستفهم وتراجع .

وعادت هند الى بيتها عقب اسلامها، واذا هى تجد فى ركن من البيت صنما كانها لم تلحظه منذ حين ، فاقبلت عليه مغيظة محنقة ، كان لها عنده ثارا ، وتناولت قدوما ، وجعلت تحطمه قطعة قطعة ، وهى تخاطبه بقولها : كنا منك فى غرور كنا منك فى غرور !!

***

ومضت الايام ، وتوالت الاعوام ، وهند المسلمة تزداد مع الاسلام ثقافة وتجربة وخبرة بالناس والحياة، وكانت تنصح فتنظر فى نصحها الى المدى البعيد ، ومن أمثلة ذلك انها رأت عمر بن الخطاب يستعين بابنها معاوية فى بعض الاعمال ، فتقول لولدها : « يا بنى ، انه قلما ولدت حرة مثلك، وقد استعملك هذا الرجل ، فاعمل بما وافقه ، احببت ذلك ام كرهت » ! .

لا تنس ان تلاحظ هنا ايضا استمرار اعتزازها بنفسها وبابنها .

ومن كلماتها البليغة العميقة الدلالة قولها : « المرأة غل لا بد للعنق منه ، فانظر من تضعه فى عنقك » !

ومن دلائل قوة الشخصية عندها انها لم تستنكف ان تشتغل بالتجارة ، فقد استقرضت من عمر بن الخطاب اربعة الاف درهم تتاجر فيها ، وتضمنتها ، فاقرضها ، فخرجت تتاجر ، وباعت واشترت ، ووفت بوعدها كما يذكر الطبرى فى تاريخه .

وكما اعتسفت هند بنت عتبة حين اسهمت فى الحرب مع المشركين ، حاولت التكفير عما فعلت ، فاسهمت فى الجهاد مع المسلمين ، وقد اشتركت مع زوجها ابى سفيان فى غزوة اليرموك المشهورة ، وابلت بلاء حسنا .

وفى السنة الرابعة عشرة للهجرة لحقت بربها هند بنت عتبة ، التى كانت كما صورها ابنها : « انها فى الجاهلية عظيمة الخطر ، وفى الاسلام كريمة الخبر » ، عليها رحمة الله ...

◆

محمود حسن اسماعيل

موسيقا من الناس



النفس والكأس

« وتوالت على كأسها عصور الرق وهي
سادرة في نشوة الجمود ، لا تفيق للنور الجديد .. »

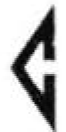
ارفضي الكاس ، وما فيها ،
وإن نادى الهوى ، لا تشربيه
وارفضي .. لا تقربيه !
وارفضي النشوة والتخدير فيه

وارفضى .. لا تنظريه !
وارفضى تحويمه حول الخلايا واطرديه
وارفضى .. لا تشتهيه !
وارفضى ذاتك ، ان تأسى على معتصريه
وارفضى .. لا تلمسيه !

❊❊❊

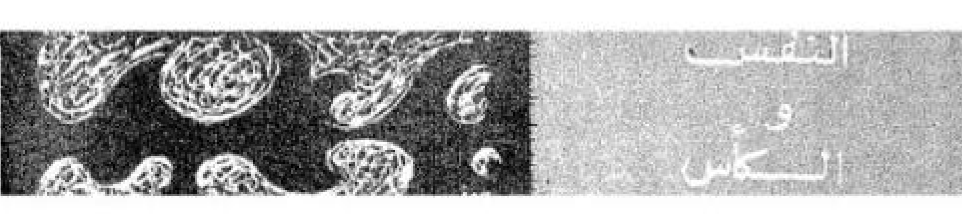
أرفضيه .. فهو لا كأس ، ولا خمر ، لكى ترتشفيه ..
أرفضيه !! فهو ليس الحب ، ليس السر كى تستلهميه
أرفضيه !! فهو ليس المجد ، ليس الخلد ، كى تستعظميه
أرفضيه !! فهو لا شىء ، ولا أحلام شىء كى تعيه !!
.. عبرت روحى بالدنيا ، وجابت كل حان ترتجيه ،
غير هذا القاتل الملعون فيه فالعنيه
واضحكى ان جف فى عزلته .. لا تنديبه
فهو سر الموت فى كل وجود مستعار يرتديه
وهو تابوتك .. يسقى الموت سحرا .. فانبذيه
واطرحيه ، واسحقيه
وانظرى اى أساطير من الزيف أضلت عاشقيه !
واذلت وارديه
واحالتهم سرايا غنم تجتر فى أعشاب تيه
تسبل الآذان رقا لهوان بيديها تحتويه ..
ذوبته من عصور القهر كأسا مطمئنا ترتويه
فيه .. ما يذهل سر العقل ، سر الروح ، حتى لايعيه
بنسخ التاريخ اسمالا ، ولغوا ، بصدى لن تفهميه
عاكف فى أمسه المشلول فى كل رداء يرتديه
واقف .. يرسف فى اغلال شىء .. كل شىء يزدريه
دائر .. فى حلقة دارت بها الدنيا على مصطحبيه
دائخ فى نشوة ، تجهل فى كل مدى ما تبتغيه
عاكف فى مربض للروح .. لا يدرى لها ما تصطفيه
يشرب الله خيالات .. وجل اللفظ عن محترفيه !!
فهو فى كل ضمير وطريق شقه فى سالكيه
وهو صدق الكلمة العذراء ، لا تعرف زورا تمتريه
زهو طهر النفس ، شماء فلا تعرف افكا تقتنيه
فارفضيه قدحا يمتد من كف الردى .. لا تشربيه !!

❊❊❊



أرفضيه .. فلكم غنالك لحن الوهم .. لا .. لا تسمعيه





نغم من ورق التوت ، واشباح المرايا ساخ فى مستهعيه
يسكر اللحد ، فيغدو لحد احياء لموت يجتنيه !
ويغني ضوء شمس ، لم يعد منها شعاع يرتئيه
ويسلي غفلة الايام ، يلهيها بشدو تصطليه
.. لم تزل قرطبة تصرخ ، والتاريخ يصغى لابيه
وهو يمشي فاغر الناى ، ويحكى كل شيء لبنيه ..
مثلما يسرد دمع العين بلواه الى مستنزفيه
شجر البان ذوى ، وانساب حاديه بذكرى غارسيه
وعلى الاقصى سبى الطير بالاغلال يشجي صائديه
وتراب الارض خزيان من الاصغاء يرثى منشديه ..
.. حلمات .. واحاج .. ومزامير شجت مغتصبيه
ورضاع الشعر انهار من الياس جــرت فى عازفيه
ورموز فجة الاضمار ، .. كاللص جنى من سارقيه
وشعارات ، ونهش والغ المشرب من قلب اخيه
ومتاهات لأسفار من الكلمة فى درب سفيه
الحجى ، والوهم ، والتطريب بالعار .. عذارى عاشقيه
وزجاج الكأس مذهول بليد الحس ، عما صب فيه !
فاجهليه .. وابغضيه ، واشربي كاسك من معترضيه !!

***

ارفضيه .. واجتويه
وانظري فى القاع .. ما كنت ؟ ويا ليتك لم تقترفيه .
.. أنفس مجزورة الوجه هوت في كل ضوء تصطليه
الرشا .. لم تبق فى اى ضمير اى شيء من ضمير يتقيه
مزقته ! واحالته فما يلعق وهم الرزق من مستجلبيه
واختفت فيه كافعى تنسخ السم وتروى محتسيه
وبنت قصرا ، وقبرا لخطا الشارب والساقى ..
.. فلا تستعجليه
واعشقى الفقر ، فان كان الغنى هذا ، .. فكل المجد
.. ان تحتقريه !!

ازدريه وارجميه
واحذرى ان تشربيه !

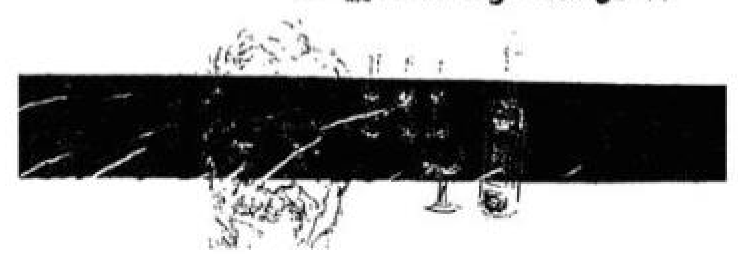
***

.. وكلام اخضر الحرف .. تشهت كل نفس عطرها من قاطفيه
راغ حول الاوجه السكرى .. وباب الحان يذرى داخليه
دلفوا منه مساكين لروض كاذب العطر .. شوى مستنشقيه
عبر الغش به فى هودج للروح منموم المنارات كريه ..
حشد الزهرة ، والحية ، والسجدة ، والزور ، الى مستهرفديه
وتلاشى فى سطوع الزيف ومضا معجزا .. لا لون فيه !
وادار النغم السارق والمسروق من طى خفى .. يقتنيه ..
علق المكر جناحيه ، على اقفاص امر فى حشاه ينتويه ..
حرفه حرفان : حرف فى لسان ينطق الباطل فيما يدعيه ،
وصدى حرف بكهف النفس ملفوف على نبرته .. لا تسأليه
فضمير نام فى صدر ضمير قام خزيان الرؤى .. لا تذكريه
واجهليه .. فهو سر الغفلة الكبرى ..
وان شئت هوانا شيعيه

وادفنى نفسك فيه ..
وانتهى من كل عشب تمضغيه ..
كاذب الخضرة والاغصان ، والماء الذى يسقيه يردى شاربيه !

***

آه .. لو المت احلامك من سرداب مجد قانع لم توقظيه !
آه .. لو نفضت اقداحك من كرم بخيل بالطلا .. لم تعرفيه !
آه .. لو اخرست رضاعين بالحرف .. وآه..آه لو لم ترضعيه!
آه .. لو كل ضمير فيك لم يضمر صدى من قاعه لم تعلميه !
آه .. لولا شبك كالوهم مدته عيون كالابات تدعيه !
آه .. [illegible] تجنبك النبت النأى طوافا ينادى ساكنيه !! ..
.. سمعوا شدوى .. و[illegible] زائف الانغام .. لاتستوقفيه!
.. ثم اصغى لى فراغ خلفهم يجرى .. ونأيى تيس [illegible] مستلهميه
فبكاسى الخمرة الحق ..
.. فان شئت هواها .. فاشربيه !!!



زينة النساء دينا وشجاعة

عائشة

في تاريخ البطولات العربية نبأ حرب نشبت بين أعظم شعوب العرب ـ عدنان وقحطان ـ طاحت فيها رؤوس، وسال فيها دم غزير، بسبب لطمة أصابت امرأة من زوجها ... ذلك ان ملوك اليمن كانت لهم سيادة العرب جميعا، وكانوا يرسلون ولاتهم وعمالهم يجمعون لهم الخراج، وكانت قبيلة ربيعة قد انتقضت على اليمن، فرماها الملك بوال عنيد شديد هو لبيد بن عنبه الغساني، فأقام فيهم، وتزوج امرأة منهم يقال لها عمرة بنت الحباب التغلبية فبينما هو يحدثها ذات يوم، اذ قال لها: مابال كليب ـ وهو عظيم ربيعة ـ ينصر مضر ويتهدد الملوك؟ فقالت: لا أعلم في ولد اسماعيل اذا لبدة هو اشد منه، فهاج ذلك القول لبيدا، حتى عمد اليها فلطمها، وقال لها: اترين أنك حرة؟ أنت أمتي، فاقبلي ما يأتيك منا معشر الملوك. فقالت: انا اكرم منك، ثم خرجت مغضبة حتى انتهت الى كليب زعيم قبيلتها وهي تقول:

ما كنت احسب والحوادث جمة
انا عبيد الحي من غسان
حتى علتني من لبيد لطمة
سجرت لها من حرها العينان
ان ترض تغلب وائل بفعالهم
تكن الاذلة عند كل رهان

فلما سمعها كليب خرج ومعه سيفه حتى وصل الى لبيد فأطاح برأسه واستمرت الحرب زمنا طويلا، انتصارا لكرامة المرأة ...

***

وهناك قبيلة بني تميم العربية الاصيلة، التي تجمعت فيها خلاصة الاداب واشتهرت بالشجاعة والنجدة،

● عبد الرحمن محمد النجار ●

سجلت المرأة العربية في تاريخ البطولات مواقف رائدة ، في ادبها ومروءتها ، وعفتها وشجاعتها ، والحفاظ على كرامتها .. وكانت تعتز بشخصيتها ، وترفض الضيم ولو صدر من اقرب الناس اليها وهو زوجها ..

ورعاية الجار والذود عن الذمار ، وجد فيها بيت له عراقته وامجاده .. انه بيت ابي بكر الصديق الذى يعتبر مثلا رفيعا في هذه الاداب جميعها ..

وفي هذا البيت الرفيع تجسدت خلاصة هذه الاداب ، وتجمعت كل صفات المجد والاباء في شخصية فذة عظيمة ، انها عائشة بنت ابي بكر ، وزادها شرفا وفضلا أن كانت اولى زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجه خديجة بنت خويلد ، وقد بنى بها وعمرها اربع عشرة سنة بعد هجرته الى المدينة ، وتميزت عن سائر زوجاته باربع خصال ذكرتها في حديث كريم ، حيث قالت رضى الله عنها : انى لافخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم باربع : ابتكرني ولم يبتكر امرأة غيرى — اى تزوجني بكرا — ولم ينزل عليه القرآن منذ دخل على الا في بيتي ، ونزل بعذرى قرآن يتلى ، واتاه جبريل بصورتي مرتين قبل ان يملك عقدى ..

وتميزت عائشة بانها كانت ترجمانا صادقا لحياة الرسول ، فنقلت احاديثه ، وعبرت عن خطرات ضميره ، ونشرت حياته الخاصة لتكون قدوة لامته ، وكان بيتها يستقبل طوائف المسلمين من كل الجهات للتعليم والاستفتاء وبخاصة ما يتعلق باحكام النساء ، واحوال رسول الله المنزلية .

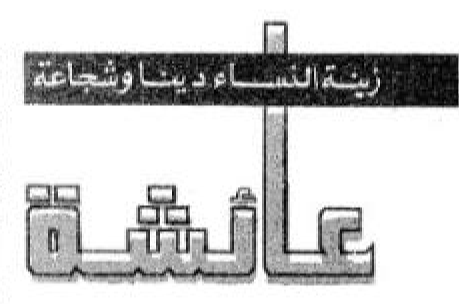
وقد نقل عنها وحدها ربع الشريعة ، وقال عنها احد الصحابة : ما اشكل علينا اصحاب محمد حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علما ..

وقال عنها عروة بن الزبير : لقد صحبت عائشة فما رأيت احدا قط كان اعلم منها باية انزلت ولا بفريضة ولا بسنة ولا بشعر ولا بيوم من ايام العرب ولا بنسب ولا بقضاء ولا بطب .

ولم يكن لها في عهد الرسول اى اثر سياسى ، وكذلك لم تتدخل في سياسة الحكم في عهد ابيها ابي بكر الصديق ، ولا في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

ولكن في اواخر عهد عثمان لما ساءت طريقة الحكم ، وتدخل في تسيير دفته اقاربه وانقطع عثمان للعبادة ، واخذ الولاة في الامصار يتصرفون في شئون الرعية كما يشاءون . تدخلت السيدة عائشة وطالبت عثمان بتغيير بعض الولاة ممن حامت حولهم الشبهات ولجأ اليها كثير من المظلومين يطلبون انصافهم من هؤلاء الولاة . واتخذت بذلك موقف المعارضة لما تراه يصيب الامة من اثر جموح بعض الولاة ..

ولما اشتدت المعارضة على سيدنا عثمان في المدينة ، واندس فيها بعض المستغلين ، خرجت الى مكة تريد الحج ، وبينما هي في مكة بعد اداء فريضة



الحج جاءها خبر استشهاد عثمان في يوم ١٨ من ذى الحجة سنة ٣٥ هجرية فحزنت حزنا شديدا لهذا النبأ ، وزاد من ألمها مبايعة على بن ابى طالب رضى الله عنه بالخلافة بعد استشهاد عثمان .. بدون القبض على القتلـــة ، ومحاكمتهم على جريمتهم ، فاتخذت موقف المعارضة ، واعلنت موقفهـــا بصراحة وشجاعة .

ولم تكن من الطراز الذى يظهـــر الولاء ويخفى فى ضميره الحقـــد والعداوة ، بل كانت واضحة وشجاعة فى اعلان رأيها ، واعلنت شعار : « ان لامبايعة لعلى الا بعد القبض على قتلة عثمان واقامة الحد عليهم » وخرجت من مكة الى العراق تقـــود تجمعا ضخما من المعارضين يتقدمهم طلحة والزبير بن العـــوام رضى الله عنهما ، تدعو لعدم المبـــايعة حتى يقتص من قتلة عثمان . والمســـافة من مكة الى العراق طويلة ، ولهـــذا ركبت جملا وتقدمت به جماهيـــر المعارضين حتى وصلت البصرة .

ولم يجد على بن ابى طالب رضى الله عنه ازاء هذا الخطر المتجمـــع ضده بدا من الكتابة الى السيدة عائشة شخصيا . قبل ان تنشب بينهما معركة لا يعلم احد مداها ، لقد كتب اليهـــا يقول : « اما بعد فانك خرجت من بيتك عاصية لله ورسوله ، تطلبين امرا كان عنك موضوعا ، ثم تزعمين انك تريدين الاصلاح بين الناس ، فخبرينى ما للنساء وقيادة العساكر ؟ وزعمت انك طالبة لدم عثمان ، وعثمان رجل من بنى امية ، وانت امرأة من بنى تميم بن مره ، ولعمرى ان الذى عرضك للبلاء وحملك على المعصية ، لاعظم اليك ذنبا من قتلة عثمان، وماغضبت حتى اغضبت ، وما هجت حتى هيجت، فاتقى الله ياعائشـــة ، وانعطى من هذا الخطاب » .

ولكن كان ردها على هذا الخطاب الذى صيغ بعنف وقسوة كتابا قصيرا، يدل على تحملها للمسئولية كاملة فقد قالت :

« يا ابن ابى طالب ، جل الامر من العتاب ، ولن ندخل فى طاعتك ابدا ، فاقض ما انت قاض والسلام » .

وفى البصرة قامت تدعو الناس الى المطالبة بدم عثمان ، واستجاب لها من استجاب وخرج عن طاعتها عدد منهم ، وشهدت معـــارك فردية بين جماعة من اصحابها ، والمعارضين لها، ومنهم رجل اسمه حكيم بن جبلة ، لقد كان معه ثلاثمائة رجل، وقد تعرض له طلحة احد معاونى السيدة عائشة ، وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول :

اضربهم باليـــــابس
ضرب غلام عـــــابس
من الحيـــــاة آيس
فى الغـــــرفات نافس

فضرب احد اصحاب طلحة ســـاقه فقطعها فحبا حتى اخذها ورمى بسومه ضاربه فصرعه وهو يقول :

يا فخـــــذ لن تراعى
ان معى ذراعـــــى
احمى بها كـــــراعى

وقال وهو يرتجز :

ليس على ان اموت عـــــار
والعار فى الناس هو الفـــرار
والمجد لا يفضحه الدمـــــار

وانتهى به الحال الى ان خر صريعا ..

ثم كتبت عائشة رضى الله عنها الى اهل الكوفة رسالة تستثيرهم وتدعوهم الى الانضمام الى تجمعها .. قالت :

«اما بعد ، فانى اذكركم الله عز وجل والاسلام ، اقيموا كتاب الله باقامة ما فيه ، اتقوا الله واعتصموا بحبله ، وكونوا مع كتابه ، فانا قدمنا البصرة ، فدعوناهم الى اقامة كتاب الله باقامة حدوده ، فاجابنا الصالحون الى ذلك ، واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح ، وقالوا : لنتبعنكم عثمان ، ليزيدوا الحدود تعطيلا ، فعاندوا • وشهدوا علينا بالكفر ، وقالوا لنا المنكر ، فقرانا عليهم : (الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) فاذعن لى بعضهم ، واختلفوا بينهم ،

فتركناهم وذلك ، فلم يمنع ذلك من كان منهم على رايه الاول من وضع السلاح فى اصحابى ، وعزم عليهم عثمان ابن حنيف الا قاتلونى حتى منعنى الله عز وجل بالصالحين ، فرد كيدهم فى نحورهم فمكثنا ستا وعشرين ليلة ندعوهم الى كتاب الله واقامة حدوده، وهو حقن الدماء ان تهراق دون من قد حل دمه ــ فابى واجتمعوا باشياء

فاصطلحنا عليها فخافوا وغدروا وخانوا ، فجمع الله عز وجل لعثمان رضى الله عنه ثارهم فاقادهم فلم يفلت منهم الا رجل » • وبهذه البلاغة اثارت اهل الكوفة ، وهيأت النفوس لمعركة حاسمة مع جيش على بن ابى طالب ..

●●●

وقدم جيش على ، وخرجت على جملها تقود جيشا ضخما فيه طلحة والزبير ، وسمى اليوم بيوم الجمل ، وبعد قتال شديد ، وهى صامدة لم يدخل قلبها وهن ، ولم تفكر فى ترك ميدان المعركة ، حتى قتل طلحة ، واصيب الزبير وكان يقود جمل عائشة • بجراح شديدة واقبل محمد ابن ابىبكر اخو عائشة فاحتملها، ولم تصب بسوء ، حتى جاء على بن ابى طالب ، فقال لها : استفززت الناس وقد فزوا ، فالبت بينهم حتى قتل بعضهم بعضا ، فقالت عائشة : يا ابن ابى طالب ، ملكت فاسجح ، نعم ما ابليت قومك اليوم ، وطلب على اعادتها الى مكة ، وارسل معها جماعة من رجال ونساء ..

ولم تخنها شجاعتها فى هذا اليوم الذى خرجت فيه من البصرة عائدة الى مكة ، فلقد خرجت الى الناس وهم متجمعون حول المكان الذى كانت تنزل فيه ، وقالت : يابنى ، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة ، فلا يعتدن احد منكم على احد بشيء بلغه من ذلك ، انه والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المراة واحمائها ، وانه عندى على معتبتى من الاخيار، وقال على : يايها الناس، صدقت والله وبرت ، ما كان بينى وبينها الا ذلك ، وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والاخرة ..

وبعد هذهالمعركة استقرت فى المدينة كما استقر على بن ابى طالب فى البصرة واتخذها مقرا للخلافة ..

لقد كان لها اثر كبير فى هز خلافة سيدنا على وتشجيع الخوارج عليه وظلت فى المدينة حتى بلغ عمرها نحو السبعين فلقيت ربها سنة ٥٨ هجرية لتلحق بحبيبها رسول الله الذى قال عنها فى حديث صادق : انها احب الناس اليه

عبد الرحمن محمد النجار

مدير المركز الاسلامى
بدار السلام ــ تنزانيا



من بطولات
المرأة العربية في الإسلام

لقد ظل الاسلام منذ قيامه سنوات لم يعلم فيها ان امرأة مسلمة خضبت يديها من دماء مشرك، الى ان جاءت السنة الخامسة من الهجرة، وكانت غزوة الخندق او «الاحزاب»، فرأينا سيدة عربية مسلمة استرابت برجل يهودى كان يطيف بحصن فيه نساء وصبيان من المسلمين، لعله يطلع منهم على عورة يخبر بها قومه، فامسكت هذه السيدة الشجاعة بعمود، ونزلت من الحصن، واخذت تضرب اليهودى حتى قتلته، وأراحت المسلمين من ريبه، وكفتهم شر مكيدته.

تلك السيدة الجليلة هي « صفية بنت عبد المطلب » ، عمة النبي عليه السلام، وأم الزبير بن العوام ، وأخت الشهيدحمزة بن عبد المطلب الذي لم يشف غليل « هند بنت عتبة » منه الا حين أخذت كبده فلاكتها بعد أن قتله « وحشي » في غزوة أحد ...

وتشاء الاقدار أن تعرض بطولة المرأة وبطولة الرجل في كفتي ميزان ، في حادثة واحدة ، وفي موقف واحد ،تخلى الرجل فيه عن الشجاعة التي لا ينتظر صدورها الا من مثله ، ونزل راضيا عن موقف البطل ، ليتركه لامرأة كان ينتظر أن تكون دونه شجاعة ، ولو بحكم الموروث من المسموعات عن شجاعة الرجال .

وهنا لا يتأخر التاريخ لحظة عن أن يسجل للمرأة شجاعتها وبسالتها واقدامها في موطن تخاذل عنه الرجال .. فاقرأ اي كتاب من كتب التاريخ او السيرة او الاخبار او المغازي او التراجم والطبقات ، فانك لا شك واقع فيه على حكاية «صفية بنت عبد المطلب»مع اليهودي الذي كان يتجسس لينال عورة من المسلمين .

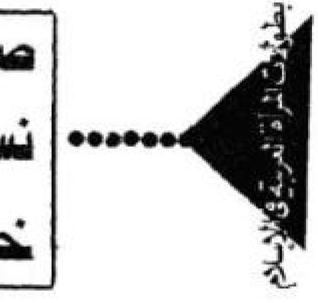
ولم يفت « ابن هشام » مؤرخ السيرة ان يسجل حادثة « صفية » مع اليهودي .. نقلا عن المؤرخ « ابن اسحق » ،ومن هنا تلقفتها كتب كثيرة ، وأصبحنا نجدها في اكثر من مصدر ، كان المؤرخ العربي كان حريصا على الا تضيع هذه الحادثة من امجاد التاريخ .

ويذكر المؤرخون عن هذه الحادثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج لقتال عدوه من المدينة ، رفع أزواجه ونساءه في حصن يدعى « فارعا » ، وكان هذا الحصن لحسان بن ثابت شاعر الرسول ، وكان من أحصن حصون المدينة . فمر رجل يهودي جعل يطيف بالحصن طوافا مريبا . وقد حاربت « بنو قريظة » وقطعت ما بينها وبين الرسول من عهد ، والمسلمون في نحور عدوهم لايستطيعون ان ينصرفوا الى ذلك الحصن ان أتاه آت . ولا حظت صفية بنت عبد المطلب مواضع الريبة تبدو على خطوات ذلك اليهودي المتجسس ، فاتجهت الى حسان بن ثابت وكان مع من كانوا في الحصن، فقالت له : يا حسان ! ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، واني والله ما آمنه ان يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود ، فانزل اليه فاقتله ! .. فقال حسان : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا ! ..

قالت صفية : فلما قال حسان لي ذلك ، ولم ار عنده شيئا ، احتجزت ـ أي شددت وسطي ـ واخذت عمودا، ونزلت من الحصن اليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته ، ثم رجعت الى الحصن ، فقلت : « ياحسان ! انزل اليه فاسلبه ! فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل .. فقال لها حسان : مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب !

هذا مقام حفظه التاريخ لصفية بنت عبد المطلب حين تنحى الشاعر حسان ابن ثابت عن الشجاعة التي لم تكن تسعفه أبدا في كل مواطنه ! فقد كان فيه ـ رضي الله عنه ـ جبن مأثور عنه، على الرغم مما كان في لسانه من صرامة وشدة ، وياليت الشجاعة التي كانت على لسان حسان كانت في قلبه ! اذن لوقع التوازن بين شجاعة القلب وشجاعة اللسان !

واذا كانت الشاعرية قد اجتمعت لحسان بن ثابت مع الجبن وانخلاع الفؤاد ، فان « صفية بنت عبد المطلب » قد جمعت بين الشعر والشجاعة في شخص واحد . فقد اثر لها اكثر من قصيدة في اغراض من الشعر ، وخاصة





الرثاء الذي كانت تجيد القول فيه . فمن قولها في رثاء ابيها عبد المطلب بن هاشم حين حضرته الوفاة :

أرقت لصوت نائحة بليـــل ... على رجل بقارعة الصعيـــد
ففاضت عند ذلكم دمـــوعي ... على خدي كمنحدر الفـــريد
على رجل كريم غير وغـــل ... له الفضل المبين على العبيـــد
رفيع البيت أبلج ذي فضـــول ... وغيث الناس في الزمن الحـــرود
كريم الجد ليس بذي وصـــوم ... يروق على المسود والمســود
فلو خلد امرؤ لقديم مجـــد ... ولكن لا سبيل الى الخلـــود
لكان مخلدا أخرى الليـــالي ... لفضل المجد والحسب التليـــد

ولما قتل اخوها الشهيد « حمزة » في غزوة احد بكته بقولها :

أسائلة أصحاب « احد » مخافة ... بنات ابي من اعجم وخبيـــر
دعاه اله الحق ذو العرش دعوة ... الى جنـــة يحيا بها وسرور
فوالله لا انساك ما هبت الصبا ... بكاء وحزنا محضري ومسيري
فبتت [illegible] عند ذاك ، واعطتني ... لدى اضبع تعتادني ونســور

ولما توفي أخوها ، [illegible] عبد المطلب ، رثته بقولها :

بكى زبير الخيـــر الا فات ان ... [illegible] على ذي كرم باكيـــه
قد كان في نفسي ان اترك المـــ ... ـــوتى ، و[illegible] فاقيه
فلم اطق صـــبرا على رزئه ... وجدته اقرب اخـــواتيه

واذا كانت « الخنساء » العربية شاعرة الدموع والبكاء ، فان صفية بنت عبد المطلب كانت مثلها في البكاء على الاعزاء . وهمـــا تجتمعان في الشجاعة وفي الشعر ، على حين انفرد حسان بالشـــعر ، وخلى الشجاعة لاصحابها ولو كانوا من بنات حواء !

ولقد جزعت صفية بنت عبد المطلب على ابن اخيها محمد عليه الصلاة والسلام حين بلغها نعيه ، فقد اخرج الطبراني عن جمـــاعة ، انه لما قبض النبي عليه السلام خرجت عمته صفية تلمع بردائها وهي تقول :

قد كان بعدك انباء وهنبثـــة (١) ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلهـــا ... واختل قومك، فاشهدهم فقد سغبوا

وقد روى صاحب «الذخائر والاعلاق» مرثية جيدة لصفية في النبي عليه السلام تقول فيها :

---

(١) الهنبثة = الداهية ، والامر الشديد يؤلم النفس .

مالعينى لا تجـــــودان ريا ... الا فقدنا خير البرية حيـــــا
يوم نادى الى الصلاة « بلال » ... فبكينا عند النداء مليـــــا
لم اجد قبلها ، ولســـت بلاق ... بعدها غصة امر عليـــــا
جل يوم اصبحت فيه عليــــلا ... لا يرد الجواب منك اليــــا
ليت يومى يكون قبلـــك يوما ... انضج القلب للحـــــرارة كيا
خلقا عاليا ، ودينا كريمـــــا ... وصراطا يهدى اليه ســــويا
وسراجا يجلو الظلام منيـــرا ... ونبيا مسددا عربيــــــــا
حازما ، عازما ، حليماً ، كريما ... عائدا بالنوال برا تقيـــــا
ان يوما اتى عليك ليـــــوم ... كورت شمسه ، وكان جليــــا

كما روى لها مرثية اخرى ، تقول فيها :

الا يا رسول الله كنت رجــاءنا ... وكنت بنا برا ولم تك جافيــــا
لعمرك ما ابكى النبى لـــــوته ... ولكن امرا بعده كان آتيــــا
افاطم ! صلى الله رب محمـــد ... على جدث أمسى بيثـــرب ثاويا
فدى لرسول الله امى ، واسرتى ... وعمى، ونفسى، والجدود، وخاليا
وكنت لنا حرزا حصينا نبيـــا ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا

هذه هى « صفية بنت عبد المطلب »فى بعض دموعها ، وفى بعض عواطفها، حين يلم الخطب ، وتنزل المصيبة بأحب الناس اليها . اما « صفية » فى رباطة جاشها ، وشجاعة قلبها ، وثباتها حين ينخلع قلب الجبان فقد عرفناها فى حادث اليهودى الذى رام ان يطلع على عورة من عورات المسلمين فى غزوة الخندق فكان نصيبه ان يصاب بمقتل على يديها لا على يدى حسان ، الذى ترك الموقف كله لامرأة شجاعة ... وحسبها ان يكون هذا القتل بيد امرأة مسلمة هو اول حادث يسجله التاريخ فيقول ان صفية بنت عبد المطلب (هى اول امرأة قتلت رجلا من المشركين .)

***

واذا كانت « صفية بنت عبد المطلب »تمثل الشـــجاعة النادرة فى موقف واحد ، فان الصحابية الجليلة ، والمجاهـدة الكبيرة (١) (نسيبة بنت كعب الانصارية) تمثل الشجاعة الدائمة فى كل موقف ، وتصور البطولة المتجددة التى لا تتخلى عن واجبها حين يدعوها الواجب ، فتجيبه بما تقدر عليه ، وبأكثر مما تقدر ...

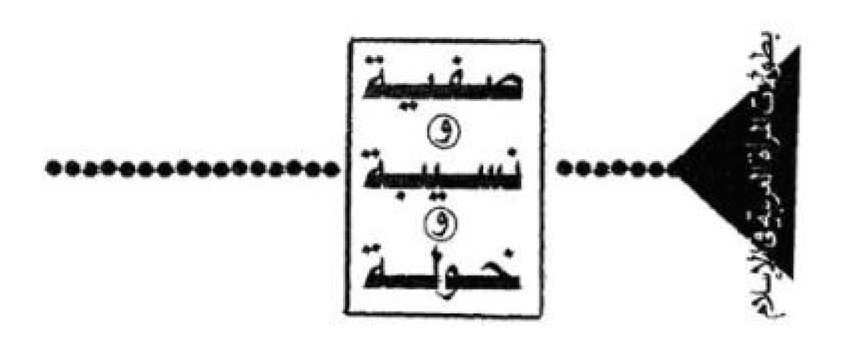
ومن اسبق مواقف « نسيبة بنت كعب » الى شجاعة القلب ، ومروءة النفس ، وصدق البلاء ، وسرعة النجدة، موقفها فى بيعة « العقبة الثانية » قبيل هجرة الرسول عليه السلام الى المدينة .. فقد كانت هى واسماء بنت عمرو ابن عـدى من بنى مسـلمة المرأتين الوحيدتين اللتين انضمتا الى سـبعين رجـلا من الانصار لمبايعة النبى عليه السلام .

وقد قال النبى لمبايعيه من الانصار فى تلك المناسبة التى شهدها امرأتان من نساء الانصار ، قولته المشهورة : الدم الدم ، والهدم الهدم ! انتم منى وانا منكم ، اسالم من سالمتم ، واحارب من حاربتم .

وكان من عادة الذين يبايعون محمدا عليه الصلاة والسلام ان يصـافحوه

---

(١) نسيبة : بفتـــح النون وكسر السين ، لا بضم النون وفتح السين كما جاء خطأ فى بعض المصادر ..



باليد ، اقرارا للبيعة ، وتوكيدا للعقد ... ولكنه خلى النساء ، واعفاهن من المصافحة ، تكريما للمرأة وتقديرا لحرمتها . فكان يأخذ عليهن العهد بغير مصافحة ، فاذا اقررن قال : اذهبن فقد بايعتكن ! ومن هنا لم يكن لنسيبة وزميلتها الانصارية شرف مصافحة النبى باليد ، وان كان لهما شرف اللقاء والمبايعة باللسان .

وسواء اكانت الزميلة الثانية فى بيعة العقبة الثانية هى « أسماء بنت عمرو » ام هى اخت نسيبة لابيها وامها ، فان الثابت اليقين ان « نسيبة بنت كعب » كانت احدى المرأتين المبايعتين ، لم يختلف على ذلك مؤرخ ، ولا راوية .

ولقد كان لنسيبة بنت كعب فى يوم « احد » موقف رائع لا ينساه تاريخ البطولة وهو يسجل الامجاد للابطال من الرجال والنساء على حد سواء .

وندع نسيبة نفسها ـ وكنيتها ام عمارة كما فى كتب المغازى والطبقات ـ تصور بنفسها ما دار فى وقعة احد قائلة : (انكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما بقى الا نفر ما يتمون عشرة ، وانا وابناى وزوجى بين يديه ، نذب عنه صلى الله عليه وسلم ، والناس يمرون منهزمين . ورآنى صلى الله عليه وسلم لا ترس لى معى ، فرأى رجلا موليا معه ترس ، فقال لصاحب الترس : الق ترسك الى من يقاتل ، فالقى ترسه ، فاخذته فجعلت اتترس به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانما فعل بنا الافاعيل اصحاب الخيل لو كانوا رجالة مثلنا اصبناهم ان شاء الله ، فيقبل رجل على على فرس .. فضربنى وتترست له ، فلم يصنع سيفه شيئا ، وولى ، واضرب عرقوب فرسه ، فوقع على ظهره . فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصيح : يا ابن ام عمارة! امك! امك ! فعاوننى عليه حتى اوردته شعوب (١) ..)

ولقد كانت ام عمارة اثبت على القتال فى يوم « احد » اكثر من الرجال .. وكان جيش المسلمين فى الموقعة يزدحم بامثال على ، وابى بكر ، وعمر ، وسعد ، وطلحة ، والزبير بن العوام ، والعباس ، وزوجها زيد بن عاصم ، وولديها عبد الله وحبيب ابنى زيد بن عاصم ، فكانت من ابرز الناس شجاعة ، واظهرهم بطولة ، واصبرهم على القتال . وكانت لا ترى الخطر يدنو من رسول الله عليه السلام حتى تكون مسرعة اليه تذود عنه ، وتتقيه وتفديه ، حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم فى تعداد مآثرها ، وذكر فضلها : « ما التفت يمينا وشمالا الا وانا اراها تقاتل دونى .. »

---

(١) شعوب = اسم من اسماء الموت ..

واذا كنا قرأنا قبل قليل وصف ام عمارة لنفسها بنفسها فى المعركة وهى تقاتل دون رسول الله ، فانه يكمل الوصف ان نقرأ هنا ما تحدث به ابنها عمارة حيث قال : (جرحت يومئذ جرحا فى عضدى اليسرى • ضربنى رجل كانه الرقل ـ اى النخلة العالية ـ ومضى عنى ، ولم يعرج على • وجعل الدم لا يرقأ • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعصب جرحك ! فاقبلت امى الى ، ومعها عصائب فى حقويها ، قد اعدتها للجراح ، فربطت جرحى ، والنبى واقف ينظر الى • ثم قالت : انهض بنى ! فضارب القوم ! فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ومن يطيق ما تطيقين يا ام عمارة ؟ قالت : واقبل الرجل الذى ضرب ابنى • فقال رسول الله : هذا ضارب ابنك • قالت : فاعترضت له ، فضربت ساقه ، فبرك • فرأيت رسول الله يبتسم حتى رأيت نواجذه • وقال : استقدت ـ اى اخذت بالثأر ـ يا ام عمارة ! ثم اقبلنا نعله بالسلاح حتى اتينا على نفسه • فقال النبى صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى ظفرك •• واقر عينك من عدوك ، واراك ثأرك بعينك ••)

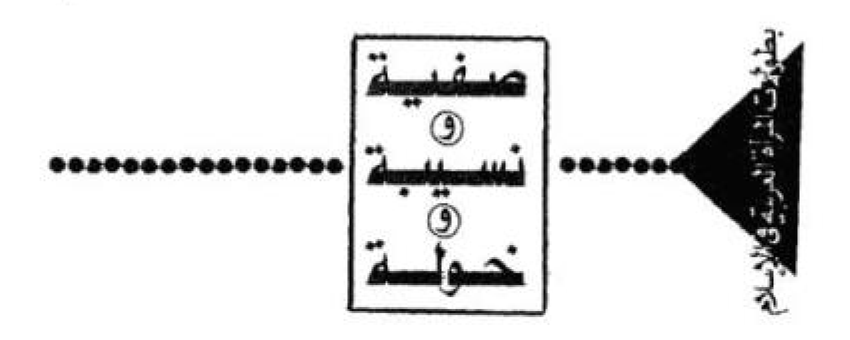
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلو له من وقت لآخر ان يعقد موازنة بين بطولة ام عمارة وبطولات غيرها من الرجال ، فيقول : (لمقام نسيبة اليوم خير من مقام فلان وفلان !) وقد رآها رأى العين يوم « احد » وهى تقاتل اشد القتال ، وانها لحاجزة ثوبها على وسطها ، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا •• وكان يقول عليه السلام : انى لانظر الى ابن قميئة ، وهو يضربها على عاتقها • ولقد بلغ من عظم ما تعرضت له من جراح ان احد جروحها فى يوم « احد » قد احتاج فى مداواته الى ما يقرب من سنة كاملة •

واذا كان النبى الكريم قد عقد موازنة صادقة بين بطولة ام عمارة وبطولات غيرها من الرجال ، فانها هى ذاتها قد طاب لها ان تعقد موازنة بين بطولة المرأة المسلمة ، والمرأة المشركة من قريش • فقد سألها سائل : يا ام عمارة ! هل كان نساء قريش يومئذ يقاتلن مع ازواجهن ؟ فقالت : اعوذ بالله ! لا والله ! ما رأيت امرأة منهن رمت بسهم ولا حجر •• ولكن رأيت معهن الدفاف (١) يضربن ويذكرن القوم قتلى بدر ، ومعهن مكاحل ومراود ! فكلما ولى رجل او تكعكع (٢) ناولته احداهن مرودا ومكحلة ، ويقلن انما انت امرأة • ولقد رأيتهن ولين منهزمات مشمرات ، ولها عنهن الرجال اصحاب الخيل ، ونجوا على متون خيولهم ، وجعلن يتبعن الرجال على اقدامهن ، فجعلن يسقطن فى الطريق •••

اما نسيبة بنت كعب ـ ام عمارة ـ فكان لها شأن غير شأن النساء من قريش • لقد كان الايمان يملأ قلبها ويدعوها الى ان ترد مورد الموت ، ومزالق الخطر صابرة مصابرة • فكانت تضرب فى نحور المشركين من قريش ، وترتمى بين صفوفهم كالصاعقة المحرقة ، لا تبالى بالموت ، ولا تأبه بالدم الثائر من جسمها •• حتى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولدها فى وطيس المعركة : بارك الله عليكم من اهل بيت ! فلما سمعت نسيبة هذه الدعوة المباركة تخرج من فم النبى قالت : ادع الله ان نرافقك فى الجنة ! فقال : اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة !

---

(١) جمع دف = وهو آلة يضرب عليها •
(٢) تكعكع = هاب وتراجع فى القتال ••



وهنا اطمأن قلب البطلة المجاهدة وقالت في رضا المؤمن : والله ما ابالي ما اصابني في الدنيا ..

ولم يقل موقف ام عمارة البطولي في عهد الخليفة الاول أبي بكر رضي الله عنه ، عن موقفها في عهد الرسول . فقد خرجت مع من خرج من المسلمين لقتال « مسيلمة الكذاب » في حرب اليمامة ، وذلك حين تهيأ بعث خالد بن الوليد الى اليمامة لقتال المرتدين .. فقد جاءت هذه البطلة التي اثخنتها الجراح الى ابي بكر تستأذنه في الخروج مع المجاهدين ، فأجابها جواب العارف الخبير : قد عرفنا جزاءك في الحرب ، فاخرجي على اسم الله ! ولم يكتف بالاذن لها ، بل اوصى بها خالدا .. وهنا بلغت القمة في الجهاد . فجرحت احد عشر جرحا ـ او اثني عشر جرحا كما يذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» ما بين طعنة وضربة ، وقطعت يدها ، وقتل ولدها ...

ولما انتهت حرب اليمامة بهزيمة المرتدين ، وانتصار المسلمين ، عادت نسيبة الى منزلها ، فجاءها فيه خالد بن الوليد يطلب من العرب مداواتها بالزيت المغلي ، فكان اشد عليها من القطع .. وكان خالد كثير التعهد لها . يعرف لها حقها وسابق فضلها ، ويحفظ فيها وصية خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يستكبر الخليفة ابو بكر ان يفد اليها زائرا وسائلا عنها ، وحفيا بها ...

***

ولا يطول بنا الانتظار لنقع على نموذج آخر رائع لبطولة المرأة العربية في عصر الخلفاء الراشدين ، فان (خولة بنت الازور الكندي) تضيف الى مواقف الشجاعة النادرة عند النساء موقفا جديدا رائعا .

انها أخت القائد العربي العظيم « ضرار بن الازور الكندي » . وبقية بنات الملوك من قحطان ، والفارسة العربية التي حيرت ببطولتها وفروسيتها وبسالتها كل من وقع عليها نظره في المعركة ..

ومن اروع مواقفها البطولية ما حدثه به الواقدي المؤرخ في « فتوح الشام » . فقد ذكر انه لما اسر اخوها ضرار بن الازور في وقعة « اجنادين » ، توجه خالد بن الوليد بطليعة من الجيش العربي لاستخلاصه من الاسر ، فبينما هو في الطريق اذ مر به فارس على فرس طويل ، وبيده رمح ، وهو لا يبين منه تحت لثامه الا حدق عينيه .. فلما نظره خالد قال : ليت شعري من هذا

الفارس ؟ وايم الله انه لفارس شجاع ! ثم اتبعه خالد والناس ، وسار الى ان ادرك المشركين ، وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة ، فزعزع كتائبهم ، وفرق مواكبهم ، فما كانت الا جولة جائل ، حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء ، وقد قتل رجالا ، وجندل ابطالا ، وقد عرض نفسه للهلاك ثانية ، ثم اخترق القوم ، غير مكترث ولا خائف ، ولا مبال بخطر المقام .

وهنا كثر قلق الناس عليه : وقال رافع بن عميرة : ليس هذا الفارس الملثم الا قائدنا خالد بن الوليد . ولكنهم ما لبثوا حتى اقبل عليهم خالد بنفسه . فسأله رافع : من الفارس الذى تقدم امامك ؟ فلقد بذل نفسه ومهجته . فقال خالد : والله انني اشد انكارا منكم له ! ولقد اعجبني ما ظهر منه ومن شمائله ! فقال رافع : ايها الامير : انه منغمس فى عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا . فقال خالد : يا معاشر المسلمين ! احملوا بأجمعكم ، وساعدوا الذائد عن دين الله ! فأطلقوا الاعنة ، وقوموا الاسنة ، والتصق بعضهم ببعض ، وخالد امامهم .

ونظر خالد الى هذا الفارس الملثم فوجده كأنه شعلة من نار ، والخيل فى اثره ، وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل .. فعند ذلك حمل خالد ومن معه . ووصل الفارس الى جيش المسلمين فتأملوه ، فرأوه وقد تخضب بالدماء . فصاح خالد والمسلمون : لله درك من فارس بذل مهجته فى سبيل الله ، واظهر شجاعته على الاعداء ! اكشف لنا عن اسمك ، وارفع لثامك !

فمال عنهم ولم يخاطبهم ، وانغمس فى الروم . فتصايحت الروم من كل جانب ، وكذلك المسلمون ، وقالوا : ايها الرجل الكريم ! اميرك يخاطبك وانت تعرض عنه ؟ اكشف عن اسمك وحسبك تزداد تعظيما ! فلم يرد عليهم جوابا ! فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه ، وقال له : ويحك ! لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك ! من انت ؟ فلما الح خالد خاطبه الفارس من تحت اللثامة بلسان التأنيث قائلا : انني يا امير لم اعرض عنك الا حياء منك ! لانك امير جليل ، وانا من ذوات الخدور ، وبنات الستور .. ! فقال لها : من انت ؟ قالت : انا « خولة بنت الازور » ! وانى كنت مع بنات العرب ، وقد اتانى الساعى بان « ضرارا » اسير ، فركبت وفعلت ما فعلت ، وما رأيت ايها الامير . قال خالد : نحمل باجمعنا ، ونرجو من الله ان نصل الى اخيك فنفكه ..

ولقد حملوا جميعا حملة صادقة على الروم ، وتتبعوا اخاها ضرارا فى كل ثنية حتى استنقذوه من يد الاعداء .

ولقد تكرر أسر ضرار بن الازور وتكرر وقوعه فى يد الاعداء اكثر من مرة .. وهنا كانت بطولة خولة وشجاعة قلبها تتجلى على اشدها . كما كان الشعر الرقيق عونها على تحمل الصدمة ، واحتمال النكبة . فلما أسر للمرة الثانية بكته بقولها :

ولم انس اذ قالوا « ضرار » مقيد ... تركناه فى دار العدو ويممنا
فما هذه الايام الا معارة ... وما نحن الا مثل لفظ بلا معنى !
سلام على الاحباب فى كل ساعة ... وان بعدوا عنا ، وان منعوا منا !

وكذلك كان شأنها فى اسره للمرة الثالثة فى وقعة « دير المسيح » ، حين كبرت وحملت ، وكبر بقية العسكر وحملوا ، حتى خلصوا ضرارا من الاسر وضمنوا للعرب والمسلمين العزة والنصر ...
وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ..

● إدوار حنا سعد ●



نهار من الكدح والشقوة　　　دءوب المشاغل والضجة
وساعاته جثم لا تـراع　　　لزحف العقارب والدقة
امضت وباق بها موعد　　　كباقي الثمالة والغصة
اشق اليه ستار الرذاذ　　　تخبط في الريح والظلمة
اطار خيالي الى منزلي　　　وخف بشوقي الى اسرتي
لدفء الحنان وطيب المكان　　　وانس البشاشة والرقة
الى دقة البـاب في اوبتي　　　الى نظرة الحب من زوجتي
الى زهراتي الصغار الثلاث　　　تدافعن بالشوق واللهفة
فالقيت عن كاهلي موعدي　　　وارخيت حبلي للمنية

***

خطوت لبابي واجتزتـه　　　وما أبعد البون في الخطوة
كاني افنت بمصراعـه　　　حجابا عن الين والشرة

ودنيا اضيع على متنها … كقطرة ماء على اللجة
وابت لدنيا رباطى بها … رباط المودة والرحمة

حلاها كنوزى واشجانها … شجاى .. وافراحها فرحتى
اذا رف تجرى بالوانها … وضاءت ببهجتها ليلتى

شعرت برغبولوف الحظوظ … بخطوى دون مدى همتى
.. بانى هـادرون لى ملكه … وانى قـادرون فى الثروة

***

تحلقن حولى ودار الحديث … شهى التعثر والثغثغة
رشاشا تناثر فى مسمعى … عن الدب والصف والقطة

وعش العصافير فى الشرفة … وبيت الزرافة فى النزهة(١)
وتسعى الوشاية ما بينهن … بما كان منهن فى غيبتى

وتخبو الخصومة فيما يقلن … خبو الشعاعات فى الغيمة
متاع من اللغو والثرثرات … تنبه باصدائها دهشتى

حسان برغم اختلاط النغام … ورغم التباين فى النبرة
كلحن تالف من نغمة … طروب الجناح ومن نغمة

***

ورف المساء كامثاله … وضىء البشاشة والرقة

تمر اماسينا الحاليات … وهن التوائم فى البهجة
كمسبحة فى بنان الزمان … مباركة الهمس والومضة

اذا ماتهاوت بها حبة … اهل سنا الومض من حبة
وطار بروحى لوادى الصلاة … جناح من الوجد والنشوة

دعوت لسانى فلم الفه … ورددها القلب فى الخفقة
سالتك يارب خبز الكفاف … فاغدقت بالخير والنعمة

ملات صحافى مما احب … وارجعتنى مشرق الصفحة
بهذى الرءوم على عشها … وتلك الغصون على كرمتى

نثرن النجوم على ليلتى … ولون صبحى بالخضرة
صلاتى بحمدك فى صمتها … صلاة البخور .. على الجمرة

---

(١) حديقة الحيوان بالاسكندرية .



الخنساء عاشقة المجد

د. محمد ابو الانوار

انها الخنساء اميرة شواعر العربية ، وشعلة الوفاء المحترقة ، وعاشقة المجد والنصر ، ورمز التضحية والفداء ..

من حول هذه الشخصية قضايا ومباحث غير قليلة وغير يسيرة ، هي عبء مؤرخ الادب وقدره ، ومقالتنا هذا لا يثيرها ، ولكنه يعرف موقفه منها ويستفيد بالاراء المشتجرة فيها ، ويقدر العناء المبذول من ورائها ، ويسهم بمخالفتها والاتفاق معها ، ولا يعنيه الا ان يقدم انطباعه ورؤيته لاهم الخصائص التى تميز الخنساء فى سياق الحديث عن بطولات لنماذج من النساء ، الخنساء بغير شك واحدة منهن ، وقصة مميزة بينهن، وتاريخ حى وضىء فى كتابهن

من الخنساء ؟ ..

انها تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ... بن يقظه .. بن امرىء القيس بن بهثه بن سليم .. بن قيس بن عيلان بن مضر . فتماضر اسمها ، وهى كلمة تعنى الوصف بالبياض ، والخنساء لقبها ، ويبدو انها كانت تحظى بقدر غير قليل من جمال الانف ، او جمال العينين او هما معا ، فالخنس انخفاض فى قصبة الانف مع ارتفاع قليل فى طرفها، والخنساء ايضا البقرة الوحشية .. وهى مضرب المثل فى جمال العيون وكحلها .

لتكن فتاة بنى سليم بيضاء الوجه جميلة الانف ساحرة العينين ، ولكن هل كانت الانوثة مشغلتها ورأس مالها ومناط سيرتها ؟ كلا ... لم يكن الامر كذلك ، بل كانت عبقرية الذهن وكرامة النفس ، ورهافة الحس وعلو الهمة اساس بنائها وجوهر عناصرها .

● فى مهاد البطولة والفروسية ●

فى حوالى منتصف القرن الاول قبل الاسلام ولدت تماضر فى بنى سليم ، وامتدت حياتها الى ان شهدت حرب القادسية ومات فيها بنوها الاربعة ، وظلت طوال أيام عمر بن الخطاب تجرى عليها أرزاقهم من أموال جند المسلمين ، ويقال انها توفيت فى أوائل خلافة عثمان بن عفان او فى خلافة معاوية ، لكن المهم ان التاريخ بعد حرب القادسية طوى صفحاتها وانهى دورها حيث لم تعد غير شيخة فانية .

والفتاة الخنساء نشأت فى بنى سليم وفى اعظم بيوتها وهم بنو الشريد ، ويبدو ان المجد العالى قد حظيت به بنو سليم على يدى اخويها « معاوية » و « صخر » فقد استطاع معاوية بقوته ومكانته ان يعقد جملة احلاف لقومه ، كحلفه مع جشم بن بكر بن هوازن ، وقد اثمر هذا الحلف صداقة قوية بين معاوية وبين الشاعر البطل دريد بن الصمة فارس هوازن وسيد ال جشم .

وقصة الحرب (فى يوم حوزة الاول) التى يرويها صاحب الاغانى تصور



الخنساء .. عاشقة المجد

فطولة معاوية وجسارته حيث خرج مع اصحابه من فرسان بنى سليم لغزو بنى مرة وبنى فزارة ، ولكنه وصحبه تطيروا فرجعوا عن القتال استجابة لعقيدتهم فى التطير والتشاؤم ، ومضى اصحابه الاثنين وتخلف هو فى تسعة عشر فارسا وطلبوا ماء فى الطريق ، فعلم هاشم المرى بخبرهم قريبا من الديار فخرج اليهم فى قومه ، وكانت معركة غير متكافئة ولكن معاوية قاتل وأبلى حتى لقى مصرعه ، وذهب حديث فروسيته أغنية بين قومه وعشيرته . وبكته وحرضت على الثأر له الخنساء قائلة :

الا لا ارى فى الناس مثل معاوية … اذا طرقت احدى الليالى بداهيه

فاقسمت لا ينفك دمعى وعولتى … عليك بحزن ما دعا الله داعيه

وقالت :

ابلغ سليما وعوفا ان لقيتهم … عميمة فى نداء غير اسرار

اعنى الذين اليهم كان منزله … هلا تعرفون ذمام الضيف والجار ؟

لا نوم حتى تقودوا الخيل عابسة … ينبذن طرحا بمهرات وامهار

او ترحضوا عنكم عارا تجللكم … رحض العوارك حيضا عند اطهار

كانهم يوم راموه باجمعهم … راموا الشكيمة من ذى لبدة ضار

حامى العرين لدى الهيجاء مضطلع … يفرى الرجال بانياب واظفار

وبرز فى بيت أبيها فارس اخر هو « صخر » وقد بلغ من عظمة نفسه وقوة بأسه انه لم يقبل ان يسب قتلة اخيه ، وعندما قيل له الا تهجوهم ؟ قال : ما بينى وبينهم اكبر من الهجاء والقذع، ولو لم أمسك عن سبهم الا صيانة للسانى عن الفحش والخنا لفعلت . وذهب الفارس الجديد يأخذ الثأر ويحرز النصر مرة بعد أخرى لا يهدأ ولا يستريح ، وفى كل مرة يجمع الاموال ويسوق السبايا من وراء انتصاراته على قتلة اخيه واحلافهم ..

وظل ذكره يعلو فى بطولة الحرب ومكارم الاخلاق حتى أصيب بطعنة فى جنبه اورثته مرضا خبيثا طال مداه عاما او بعض عام ، حيث نتأت فى جنبه مكان الطعنة قطعة لحم مثل الكبد ، واستسلم لمن اقترحوا عليه قطعها ليبرأ ، وكانت الخنساء تنتظر على احر من الجمر اخبار الجراحة الاليمة التى تجرى له حتى اذا خرجوا من عنده قالت لهم فى لهفة وتوجع : كيف كان صبره ؟ ويقال ان صخرا سمعها فاجاب :

فان تسأليني : هل صبرت ؟ فانني … صبور على ريب الزمان صليب

فى مهاد البطولة المرموقة ، واحضان الفروسية الظافرة ، والجلد الرفيع ، والمكارم العليا ـ التى كان لصخر فيها قصص وحكايا ليس هنا مجال عرضها ـ كانت الخنساء حسا يتقد ، ونفسا تترقب ، وروحا تتوقد .

● عروس لمجد قومها ●

من بطولات النفوس العليا ان يتجه المرء الى ما يرفع شأن قومه وعشيرته، وان يسقط من حسابه ما يتعلق بشخصه فقط ، شيء غير قليل من هذه الصفة كان يحكم مزاج الخنساء وفكرها عندما واجهت مسألة زواجها .

تقدم اليها سيد بنى جشم الشاعر الكبير والفارس الشجاع دريد بن الصمة

صديق أخيها معاوية وحليفه . فقد حدث ذات يوم ان كانت الخنساء تهنأ بعيرا لها (اى تدهنه بالقطران ليبرأ من مرض جلده) وكانت متبذلة المظهر . وما ان انتهت من عملها حتى خلعت ثيابها واغتسلت ، وكان الفارس الشاعر يراها وهى لا تشعر به ، وهكذا واتته الفرصة العارضة ليرى تلك الفتاة القوية المشوقة القوام على نحو لايتأتى لعروس ان يرى فيه عروسه ، وترنح الفارس الشجاع امام نبضات قلبه التى حمت بالشوق اليها والتعلق بها ، وانشد يقول بين رفاقه :

حيوا « تماضر » واربعوا صحبى ... وقفوا فان وقوفكم حسبى
اخناس قد هام الفؤاد بكم ... واصابه تبل من الحب
فسليهم عنى خناس اذا ... عض الجميع الخطب : ما خطبى ؟

ولم يكن خطبه غير الهوى الذى الح عليه ، ولم يلبث ان وجد الشاعر الفارس نفسه الغداة وجها لوجه امام ابيها فى حى بنى سليم ، وتلقاه والدها عمرو مرحبا متسائلا : اى ريح طيبة حملتك الى بنى سليم ؟ فأجاب : جئت خاطبا الخنساء . فقال أبوها : « مرحبا بك ابا قره ! انك للكريم لا يطعن فى حسبه والسيد لا يرد عن حاجته .. ولكن لهذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها » وهى عبارة تدل على منزع شخصيتها بين قومها وبنى جنسها .

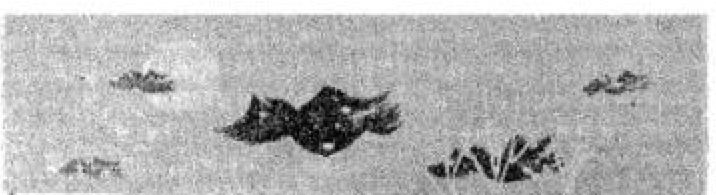
وعلى الفور دخل الوالد الى ابنته وقال لها : « يا خنساء أتاك فارس هوازن وسيد بنى جشم دريد بن الصمة يخطبك وهو من تعلمين » فتريثت قليلا ثم اجابت : « يا أبت اترانى تاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح (ومتزوجة) شيخ بنى جشم هامة اليوم او غدا » ـ تعنى انه شيخ متقدم فى السن ـ وخرج الوالد يقول لدريد فى أدب ورقة : « قد امتنعت ولعلها تجيب فيما بعد » فقال دريد : « قد سمعت قولكما » وانصرف وقال ابياتا يفخر فيها بنفسه ويترفع عليها ، منها قوله :

وتزعم اننى شيخ كبير ... وهل خبرتها انى ابن امس
وما قصرت يدى عن عظيم امر ... أهم به ولا سهمى بنكس

وعندما قيل للخنساء الا تجيبينه ؟ قالت : « لا اجمع عليه ان ارده واهجوه » وهى قولة فيها من عظمة الخلق ونبالة المروءة والثقة بالنفس ما يذكرنا بقولة أخيها صخر عندما ترفع عن هجاء قتلة أخيه .

وكان شقيقها معاوية صديقا وحليفا لبنى جشم وصديقا حميما لدريد بن الصمة ـ كما سبق القول ـ ويبدو انه توسط لدى أخته لتقبل هذه الزيجة فأجابته فى حزم قائلة :

اتخطبنى هبلت على دريد ... وقد اطردت سيد آل بدر
معاذ الله ينكحنى حبركى ... يقال ابوه من جشم بن بكر
ولو امسيت فى جشم هديا ... فقد امسيت فى دنس وفقر

الخنساء .. عاشقة المجد

ترى ، هل كانت الفتاة تحب فى بنى قومها ؟ ·

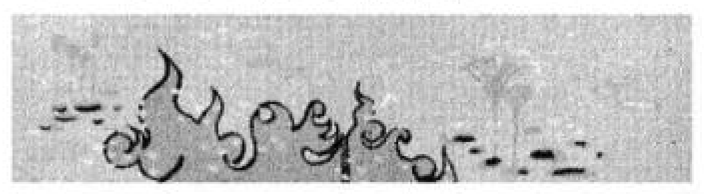
وهل كانت فى رفضها تدفع عن هذا الحب وتمهد له ؟ الجواب : لا · ولكنها فيما يبدو لى من تتبع أخبارها ودراسة نفسيتها كانت تعشق المجد كله لقومها وترى ان مكانها بينهم ، وليس يليق بها من أجل العرس مهما كان مغريا ان ترحل عنهم · انها من قبل رفضت سيدا آخر هو سيد آل بدر ، وهى تقول انها لا تترك بنى أعمامها كعوالى الرماح ·

ترى هل تعنى عبارتها انهم خيـر الناس وافضل الناس ولذا فهى لا ترضى بهم بديلا ، وهذا الصدق بطبيعة فهمهـا لمكانة قومها بين اندادهم · أو انهـا لا تحب ان تكون سهما طائشا لا يدرك موقعه ولا يصيب هدفه، وهى ان تزوجت فى غيرهم كانت كذلك ، واذن فمكانها الحق وموقعها الرشيد هنا بين قومها وفى بنى اعمامها ·

وينبغى الا تخدعنا عبارتها فى رفض دريد لأنه شيخ او فى طريقه القريبة من هذه الشيخوخة بانها امرأة تحرص على التمتع بزوج شاب ، لانه فيما يبدو لى ان الخنساء كانت ابعد هما من التفكير فى ملذات الانوثة ، اذ كانت تزحـم نفسها مفهومات اخرى هى الصـــق بالدلالة عليها ، وفى مقدمتها انها امرأة تعشق مجد قومها وتريد أن تكون بينهم، ولعلها أرادت من العبارة السابقة ان تقنع الاب والاخ بقبول عذرها فان تكافؤ السن حق من حقوقها لا ينكر عليها ، فهى عبارة أقوى فى الدلالة على الاقناع منها فى الدلالة على الطبـع والمزاج والرغبة ·

ولعله مما يؤيد ذلك انه لم تكن فى حياتها قصة حب ، ولم تتزوج بسبب منه ، ولم يكن الزواج بكل علائقـــه النفسية والشعورية هما من همومها ، بدليل أن ديوانها يخلو من التعبير عن هذه التجربة الانســـانية ، وأنه لأمر يدعو للغرابة من امرأة شاعرة مسرفة فى الحساسية ، ولكن هذه الغرابة توشك أن تتبدد اذا عرفنا ان طاقات نفســها ومشاعرها لم تكن لمطالبها الدنيا بل كانت لهموم عليا كشفت عنهـــا الايام التالية فى حياتها ·

على ان زوجها الاول ، عبد العـزى الرواحى · كان رجلا لا يعى مسئولية الزواج ولا يقوم بها ، وعاشت معه تعانى القلق والضيق والحاجة ، وكانت تذهب دائما الى اخيها صخر تشكو اليه ما تعانى فكان دائما يشطر ماله نصفين ويعطيها خيرهما ، وكان زوجها يأخـذ المال ليقامر به ويخسره ، ومرات كثيرة فعل معها صخر فعله الكريم ولم يتبرم منها او يبخل عليها الى حد ان زوجته



قالت له فى مرة رابعة قولا ليس فيه شطط او خطأ : قالت : « ان كنت لا بد قاسما المال بينك وبينها فاعطها اخس القسمين فان زوجها متلف والخيـــار والشرار من المال لديه سواء » . فانكر عليها صخر ذلك وكان جوابه :

والله لا امنحهـــــــا شرارها   وهى حصان قد كفتنى عارهـــا

ولو هلكت مزقت خمارهـــــا   واتخذت من شعر صـــدارها

على ان رفض الشــابة الزواج من الشيخوخة عندما تحركها لهفة الضياع الجائم والحرمان الماثل ، وطمع الاثرة والانانية فى نفس مهزومة ، انما هو رفض يعنى من مثل الخنساء واشباهها فى كل جيل الدفاع عن كرامة النفس واحترام الذات ، لان الشابة عندما تقبل مثل هذه الزيجة لا تكون فى واقع امرها غير متعة رخيصة مهينة لعلاقة لا تقوم على احترام المرأة بل على احتقارها ان هى قبلت ذلك غير مضطرة او كارهة . فالخنساء فى رفضها بمنطق الحيـــاة الانثوية تحترم ذاتها ووجودها ، وبمنطق شخصيتها وتكوينها النفسى والفكرى لا تعنى غير عشق المجد لقومها وعشيرتها، لانها تعرف قدر نفسها ، ومن ثم لا ترى مكانها بين غيرهم .

ولا بد ان نشير هنا الى ان هذا موقف من مواقف البطولة النفسية حينيحركها فى زواجها المبدأ الرفيع والغاية العليا التى تراها مجدا وفخرا لقومها، والجوهر المعالى لهذا المعنى هو ما ينبغى ان نلفت اليه انظار أجيالنا الزاحفة ، بانه لابد للفتى او الفتاة ان يجعل همه الاول رفعة قومه ومجدهم ، ومثل هذا الخلق يحفظ لكثير من بنينا وبناتنا كرامتهم ورفعة اوطانهم وشرف اسرهم ، واعنى بذلك براعة التوفيق بين الحق الطبيعى للذات والغايات القومية والاجتماعية الرفيعة والنبيلة للعشيرة والوطن ، ولا يصـــح ان يندفع شبابنا وراء رغباته الشخصية لا سيما الجامحة منها بحجة الذاتيـة والمادية التى ينبغى ان يحيا لها ويسعد بها ولعل فى موقف هذه الاعرابية درسا نافعا وقيمة نبيلة .

● عاشقة المجد والنصر ●

لا نكاد نعرف الخنساء فى ادبنـــا العربى الا ربة البكاء وشيخة الرثاء على شقيقها صخر ، وديوانها واخبارها العديدة لدى القدماء والمحدثين تتجاوز فكرة الدليل على ذلك الى واقع الظاهرة التى تفرض نفسها بالشيوع والاستقرار

والحق انها اشجت النفـوس واذابت الاكباد بحر بكائها وصدق رثائها الى ذلك المدى الذى نرى معه الرسول الكريم عندما وفدت عليه مع بنى سليم فى العام الثامن للهجرة للبيعة على الاســلام ، نراحوقد رقّقلبه لها واستنشدها شعرها فى صخر وراح يصغى اليها ويستزيدها بقوله « هيه يا خناس » ..

وابت عليه رحمته وانســانيته ان يلومها او يزجرها على حدادها واسرافها فى الحزن والبكاء ، وان كان عمر بن الخطاب قد قام بهذا الدور فيما بعد وكذلك عائشة ام المؤمنين ، وحتى فى موقف عمر وعائشة نشـــعر بالعطف والاشفاق عليها .

ويبدو لى انه لا بد من تأمل بصير للبحث عن التفسير الذى يوضح لنـــا هذا الاسراف الشديد فى الحـــزن الى درجة اهلاك النفس وتعـــذيبها بذلك الاصرار على الحداد القاسى من لبس الشعار ، وهو ثياب من الصـــوف الخشن ، وحلق الراس ولطم الخـدود واجهاد النفس والذهن بقـــول المراثى التى تفيض مع الدموع الغزار ســنين طوالا .

والتفسير الذى يبدو لى ليس مرجعه انها كانت ترتبط بصخر بالذات ارتباطا ماديا بمعنى انه كان كثير العطاء لهـا والحنو عليها ، وليس كذلك مبعثـــه هيامها بمكانته ومناقبه وتميزه بين قومه وعشيرته ، ليس شىء من ذلك وحده ، وليس هما معا .

الخنساء .. عاشقة المجد

ولكن المعنى الذى يبدو لى فى تفسير هذا الحزن الشلال انما هو معنى يستوعب كل هاتيك الامور ويضيف اليها .. ويصح ان يتخذ مفتاحا لفهم هذه الظاهرة فى تلك المرأة ، بل انه فى جوهره قطعة من بناء شخصيتها ونفسيتها ، بل لعله بؤرة هذا الجوهر ومنطلقه ..

وهذا المعنى هو ان هذه المرأة كانت مفتونة بحب المجد لقومها ولعشيرتها ، هيأها لذلك تلك النشأة التى غرس جذورها القوية فى نفسها ماصنعه معاوية ثم صخر من مجد لآل الشريد وبنى سليم ، وعندما قتل معاوية لم يبلغ بها الحزن عليه مثلما حدث بعد موت صخر ، ذلك لان صخرا قد تسلم راية المجد ورفعها عالية ، ومن هنا فان الغاية التى كانت تنشدها لقومها وتحيا بها ولها بينهم لم تضع بعد موت معاوية بل اخذت الراية فى ارتفاع اجل وعلو اسمى على يد صخر . الم تقل عندما قتل قيس بن الاصوار الجشمى هاشما بن حرملة قاتل اخيها معاوية :

فدى للفارس الجشمى نفسى — وافديه بمن لى من حميم
افديه بكل بنى سليم — بظاعنهم وبالانس المقيم
كما من هاشم اقررت عينى — وكانت لا تنام (ولا تنيم)

وفى هذا البيت الاخير نجد انها بالانتصار تقر عينها، وينام جفنها ويهدأ ليلها ولكن بموت صخر توقف مجد الفروسية الزاحف ان لم يكن قد تقهقر فى نظرها، ان صخرا بعد موت معاوية اسرف فى الغلب والانتصار من قتلة اخيه واحلافهم، وبموت صخر اخذت الخنساء تندب المكارم كلها والشجاعة كلها وتدعو لثار لا يطيقه غير صخر

ومن هذا المنطلق فى فهم شخصيتها ندرك لماذا لم يأكل الحزن قلبها على بنيها الاربعة الذين استشهدوا فى موقعة القادسية تحت راية الاسلام . لقد تساءل الدارسون كثيرا وهم على حق كبير فى تساؤلهم لم هذا الصمت وهى ام وشاعرة ؟ ! .

الجواب فيما يبدو لى انها تعشق النصر والمجد وهما عزاؤها وعشق نفسها مهما كانت التضحية فى سبيلهما ، ولذا نراها فى وصيتها الخالدة لبنيها ليلة المعركة تركز بعناية فائقة على فكرة الصبر والمصابرة فى القتال ، ولا يعنيها غير الظفر والنصر ، وتكتفى بقولها لهم : « ... فاذا رايتم الحرب قد شمرت عن ساقها فتيمموا وطيسها ، وجالدوا رسيسها ، تظفروا بالغنى والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة » .

وسواء اشتركت فى المعركة ام لم تشترك فانه عندما عادت جيوش المسلمين ترفع رايات النصر وتحمل اليها نبأ استشهاد بنيها الاربعة اجابت وكانما ملكت كل ما تريد : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم » ...

والان فجماع القول فى هذه الشخصية انها من اجل المجد لقومها ترفض الزواج خارج بنى عمومتها مهما صغر شانهم بالقياس الى من تقدموا اليها كسيد آل بدر وسيد آل جشم ، ومن هذا الموقع تبكى معاوية وتدعو للثار له ، فاذا ما كثرت انتصارات صخر نامت ليلها ، واذا ما ولى صخر ولا وريث لرايته

الخفاقة اكلها الحزن ودمرها وفجر شاعريتها ، وهي في ذلك تبكي مثلها الاعلى وليس مجرد شقيق تربطه بها منافع المادة وصلات القرابة ، وشعرها شاهد على صحة ذلك ولنأخذ نماذج من اشهر مراثيها :

اعيني جودا ولا تجمدا ... الا تبكيان لصخر الندى
الا تبكيان الجريء الجميل ... الا تبكيان الفتى السيدا
رفيع العماد طويل النجاد ... ساد عشيرته أمردا
اذا القوم مدوا بايديهم ... الى المجد مد اليها يدا
يكلفه القوم ما عالهم ... وان كان اصغرهم مولدا
جموع الضيوف الى بيته ... يرى افضل الكسب ان يحمدا
وان ذكر المجد الفيته ... تأزر بالمجد ثم ارتدى

وقولها :

المجد حلته والجود علته ... والصدق حوزته ان قرنه هابا
خطاب محفلة فراج مظلمة ... ان هاب معضلة سنى لها بابا
حمال الوية قطاع اودية ... شهاد انجية للوتر طلابا

وهناك نماذج من شعرها لا تستعمل فيها كلمة المجد ولكن فكرته لا تغيب بل نجدها جوهر المضمون الحي للنص عند قراءته ، وليس في جهد المقال ما يتحمل المزيد من النماذج .

ارأيت كيف ان فكرة المجد تملأ جوانحها وتتجسد لديها في صخر ، وانه فيما ترى وتشهد قد ذهب المجد بذهابه ، ولذا فانه عندما يأتيها الخبر بمقتل بنيها الاربعة تحت راية النصر توشك ان تكون كلمتها تعبيرا عن فرحتها حيث تنص على فكرة الشرف الذى نالها بسبب احراز النصر ، انه المجد الضائع قد عاد اليها في مشهد من مشاهده الحبيبة الى نفسها . انها بغير المجد والنصر لا ترى الوجود الا ضياعا لغاياتها وآمالها ، ومع الضياع لا تملك غير الالم والبكاء ، وقد كان السبب المثير لمأساة الضياع في نفسها موت صخر فهو في اعماقها رمز وتجسيد لتلك المطالب والامال العليا التى صنعت شخصيتها واستولت على كل ذرة في كيانها ، وقد كان الفقد لصخر فقدا لآمالها الكبرى ووجودها الاسمى ، ومن هنا كان منبع التفجير لشاعريتها الباكية الحزينة .

● شعلة الوفاء المحترقة ●

نماذج البكاء الرفيع المتفرد في صفحات الشعر العربي يغص بها ديوان الخنساء وكتب الاخبار حولها ، وفي النظرة القريبة اليها لا تراها غير شعلة من الوفاء والحب تحترق في سبيل حبها الذى تفى له وتحتفى به وهو صخر الذى ارتضينا ان نفهم حبها له على انه حب للمثل العليا والمجد الرفيع الذى عاشت له وبه بين قومها ، لقد قال صخر عندما انكرت عليه زوجه ان يعطى الخنساء خير ماله للمرة الرابعة قولته المشهورة عن اخته :

ولو هلكت مزقت خمارها ... واتخذت من شعر صدارها

وعندما سألت ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها الخنساء عن سبب لبسها الشعار واهلاكها لنفسها بالحزن المدمر اجابتها بقول صخر السالف ، وقالت : « والله لا اخلف ظنه ، ولا اكذب قوله ما حييت » فقالت لها ام المؤمنين : « ان الاسلام قد هدم كل الذى تصفين ، ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم البس صدارا عليه » فقالت لها الشاعرة : « رحمة الله واسعة » ثم غشى الالم على مشهد الحوار حيث سمت نفسها الشاعرة بقولها :

يذكرني طلوع الشمس صخرا ... واذكره لكل غروب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي ... على اخوانهم لقتلت نفسي

الخنساء .. عاشقة المجد

ويبدو ان القلب الكبير لام المؤمنين قد وسعها بالسكوت عنها والرثاء لها والدعاء من اجلها فهذا جهد الخنساء وطاقة نفسها ، ولكن عمر بن الخطاب وهو من هو صلابة في الحق وقدرة على الدفاع عنه والحصار من اجله ناقشها فكان من امرها انها كفت عن لبس الشعار وكشف الرأس وحلقه ولطم الوجه وكل مظاهر الحزن المؤسفة ، الا انها لم تكف عن البكاء وصبرت عمرا سواء .

ولكن يقظة نفسها ردتها حتى عن البكاء وبقي الحزن مجسدا في قلبها ، ولهذه اليقظة قصة طريفة فجرت في الخنساء لحظة التحول واقنعتها بالصمت عن البكاء ذلك انها خرجت يوما فاذا بامرأة تنوح فظنت ان بها مثل الذى بها فمشت الخنساء تبكى معها ، وكيف لا وهى ترى في كل بكاء شفاء ووفاء ، ولما انتهى البكاء سالت الخنساء صاحبتها على أى شيء تنوحين؟ فقالت : « على جرو كلب لى هلك منى » فاصابت الكلمة الخنساء بصدمة هائلة صنعتها المفارقة بين موقفها فى بكائها الرفيع على فقيدها الجليل ، وبين موقف الاخرى فى بكائها على جرو كلب ، فافاقت الخنساء قائلة : « لا بكيت بعد بكائى على جروها ابدا » ومن ثم الصمت الا تبكى على هالك والا تسال نائحة ما لها . تقول :

فالصمت لا ابكى على هـــالك   واسال نائحة ما لهـــا
فان تصبر النفس تلــق السرور   وان تجزع النفس اشقى لهـــا

وهكذا خلقت الخنساء بفكرها موقفا جديدا ، او كما يقول وليم سرجيوس : « الانسان كما يفكر يكون ، او انه بافكاره يخلق عالمه » .

● الشاعرة النافقة ●

اما انها شاعرة فليس هذا موضوعا يطرح للبحث او الدرس ، ولكن شاعريتها بالاحرى هى موضع الاهتمام ومنــاط التعليق ، وسواء كانت الخنساء تقول الشعر قليلا او كثيرا قبل موت صـخر فان مثلها لا يقول الا ما يحسن ولا يحلو الا ما يجيد ، ولقد بلغ من شان شاعريتها انها تقدمت الى الشيخ الجليل المهيب النابغة الذبياني امير دولة الشعر والقابض على صولجانه حيث يجلس فى القبة الحمراء المضروبة فى عكـــاظ وتتوافد القبائل والشعراء عليه ينتظرون منه الكلمة تعلى شانهم وتوثق تفوقهم ، ويكاد يجمع الرواة على ان النـابغة حكم للخنساء ـ بعد الاعشى ـ حيث قال لها : « اذهبى فانت اشعر من كل ذات ثديين ، ولولا ان هــذا الاعمى انشدنى قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم فانك اشعر الانس والجن .. » .

ولم تكن الخنساء تطمع فيما دون ذلك فانها شقيقة رجلين صنعا مجــدا عظيما لاهلهما وقبيلتهما ـ كما عرفنا من قبل ـ وهى قد رضعت معهما حب المجد وفداء البطولة وعشق السبق الذى يشار اليه بالبنان فلم تكن لتتقدم الى عكاظ الا وهى طامحة الى المجد الرفيع والشرف الاسمى .

واذا كان النـابغة هو من هو فى شعراء العربية فان مقام النبى محمد عليه الســلام اجل واسمى من ان يدانى ، وهو الذى اوتى جوامع الكلم وهو سيد البلغاء واحرى من يتذوق الكلمة الفنية فى مختلف مسالكها وشتى شعابها .

وفيما يروى صاحب خزانة الادب في محاورة بين عدى بن حاتم الطائي – عندما جاء مبايعا بالاسلام مع قومه – وبين النبي عليه السلام قال النبي له : « أما أشعر الناس فالخنساء » ·

ومهما يكن الرأى في الدراسة الفنية لشعرها لدى القدماء والمحدثين فانها صاحبة مكان مرموق في عصرها وبين أندادها · وقد تألم حسان بن ثابت عندما فضلها النابغة على جميع الشعراء عدا الاعشى ، وقال حسان معبرا عن غضبه للنابغة : « والله لأنا أشعر منك ومنها » فالتفت اليه النابغة قائلا : « يا ابن اخى ليس الامر كما ظننت ··· »

ثم التفت النابغة الى الخنساء قائلا : « يا خناس خاطبيه » · ومعنى ذلك ان النابغة يعرف جيدا مكانتها من تذوق الفن الشعرى وفهمه وتحليله والحكم عليه ، والا لما تركها في موقف المجادلة الفنية والمحاورة الادبية لترد حسان بن ثابت الى صوابه – وفى عكاظ – وهنا نلتقى بالشاعرة الظافرة ناقدة بارعة تسطر صفحة في تاريخ النقد الفنى والتذوق الادبى على البداهة والارتجال في هذا الموقف المشحون بالمنافسة وتقول لحسان : « ما أجود بيت في قصيدتك التى انشدتها ؟ » فقال :

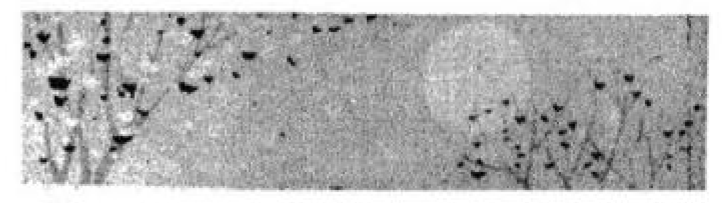
لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقالت : « ضعفت افتخارك وانزرته في ثمانية مواضع في بيتك هذا فقد قلت : (لنا الجفنات) والجفنات ما دون العشر ، ولو قلت الجفان لكان اكثر · وقلت (الغر) ، والغرة بياض في الجبهة ، ولو قلت البيض لكان اكثر اتساعا · وقلت (يلمعن) واللمع شيء يأتى بعد شيء ، ولو قلت يشرقن لكان اكثر لان الاشراق أدوم من اللمعان · وقلت (بالضحى) ولو قلت بالدجى لكان اكثر طراقا · وقلت (اسياف) والاسياف ما دون العشرة ، ولو قلت (سيوف) كان اكثر · وقلت (يقطرن) ولو قلت يسلن كان اكثر ، وقلت (دما) والدماء اكثر من الدم · فسكت حسان ولم يحر جوابا » ·

وسواء رضى قدامة بن جعفر عن هذا النقد الادبى وذلك الفهم الفنى الذى نسب الى الخنساء أو لم يرض ، فالمهم ان هذه الصفحة الفنية في الفهم الادبى لا تكاد تنكر على الخنساء ، وفى مجرد نسبة الموقف اليها ما يدل بوضوح على بصرها الفنى ومكانتها الادبية في ميقات التحدى لربان البلاغة والبيان ·

وبعد ، فانها في فنها الشعرى أميرة شواعر العرب ، وفى فكرها النقدى تقبض على زمام الذكاء واللماحية وصفاء الحس ، وهى من قبل هذا ومن بعده عاشقة المجد لا ترضى بغير النصر الرفيع بديلا وفى سبيله تهون لديها كل تضحية بالنفس والولد ما دامت راية النصر بيد قومها ، كل ما يعنيها ان يكون المجد ملء اثواب بنيها كما كان من قبل ملء أثواب أخيها على حد قولها :

وان ذكر المجد الفيته تأزر بالمجد ثم ارتدى



(١)

في بيان الجاحظ باب قصير عن النساك من أهل البيان ، وقد عمدت براعة المؤلف الى ذكر النساء اللائي شهرن بهاتين الصفتين ، فأشار الى رابعة العدوية صاحبة المجاهدات المعروفة ، وليلى الناعطية التي لم تضع على جسدها منذ بلغت سوى ثوب واحد ، والبلجاء



د. أحمد كمال زكي

التي قطع الامير عبيد الله بن زياد يديها ورجليها ورمى بها في السوق .. وقطام وكحيلة اثنتين خرجتا في ولاية ابن عامر للبصرة فعير الخوارج بهما ، كما لم ينس هذه الحرورية التي تزوجها شبيب الشيباني افصح رجالات الخوارج واشجعهم ، حتى انه كان عندما يصيح في جنبات الجيش - اذا اتاه - لا يلوى احد على احد !

لم ينس غـزالة التي ولدت في الموصل وخرجت مع شبيب زوجها على عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ هجرية (٦٩٥ ميلادية) ، ولئن سكت الجاحظ عنها بعد ذلك مكتفيا بما اورده عن

واعادوا النظر فيما كتبوه عن الاعلام، لكانوا قد غيروا كثيرا مما نقـرؤه لهم . فمن ناحية رفع الحجـر عن ضروب من الحساسيات كانت تخيف جماعة من جماعة او ترضى طائفة على حساب طائفة ، ومن ناحية اخرى لم يفهموا في الواقع منطق التـاريخ وحتمياته ، وان يكونوا قد سجلوا - في مختلف السير - مجمـوعة من العناصر والعوامل الاجتماعيـة والنفسية كانت من غير شك بمثابة اشواء على طبيعة العصر واسلوب تفكيره .

وانا ازعم ان غـزالة التي لفتت الجاحظ بفصاحتها لم تكن هي غزالة

بـين الأسطورة والواقـع ◄

شبيب فارس الفرسـان واحد ابطال العالم - كما يقول الزركلي - فقد فاق الناس غيره في سيرتها ، حتى قال ابن خلكان انها كانت من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم ، وقرن شمس الدين الذهبي انها عـرفت بالشجاعة ، ونقل المقريزي ان زوجها استخلفها لشجاعتها ، فدخلت الكوفة وقامت خطيبة ، وقاتلت جند الحجاج مدى شهر كامل ، فانشـد ايمن بن خريم :

اقامت غزالة سـوق الضراب
لاهل العراقين شـهرا قميطا

يريد شهرا كاملا ، روعت خلاله سكان البصرة والكوفة ، وكان يطلق عليهم اهل العراقين . وما اظن ان مؤرخينا القدماء لو بعثوا في عصرنا

التي لفتت الذهبي ببطولتها ، فبين الرجلين ما بين الغـزالتين من فهم للواقع وقدرة على التكيف مع المجتمع في احد الازمنة ، فهي في طور ما من حياتها كانت صاحبة بيان رفيـع ومجاهدة ترضى القانتين ، فلما عقد عليها شبيب - وكان طويلا اشمط وشجاعا لا يشق له غبار - انقلبت حياتها راسا على عقب ، وتعقـد سلوكها الانساني ، لكنها برغم هذا التعقد فقدت صفتها الاساسية التي رآها الجاحظ مجرد قدرة على البيان كانت تمهد لصفتها الاساسية التي رآهـا الذهبي قدرة على الطعان .

هذا بالاضـافة الى ان الموجهات الشعورية تمثل عادة اهمية بالغـة بالنسبة للمرأة على الاقل . فهي امام

غزالة الحرورية بين الأسطورة والواقع

عملاق فريد تمكن من ان يزلزل اركان الدولة الاموية أيام عبد الملك بن مروان . ولا شك أن عملقته وجدت فى جراتها البيانية المجال لاثارة جراتها القتالية . حتى ليبدو الامر كما لو لم يكن ثمة انفصال بين الجراتين . وقد تكون لنظرية التحليل النفسى فعالية كبيرة فى تقويم غزالة كزوجة للبطل الاشمط العملاق ، الا اننا ننحيها جانبا لنقرأ التاريخ .

فغزالة هنا حلقة من حلقات البطولة النسائية ، لا بالمعنى الضيق بحيث توضع فى صف واحد مع هند بنت عتبة التى لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب فى يوم أحد ، أو مع عمرة بنت علقمة الحارثية التى حملت لواء قريش حين لم يقدر على حمله مقاتل فى اليوم نفسه ، او مع أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية التى كانت تسقى الماء فى أحد فلما دارت الدائرة على المسلمين رمت بالسقاء وباشرت القتال تحامى عن الرسول — وهو جريح — بالسيف والقوس كاشجع الابطال .

مثل هذا النوع من البطولة كان يعرفه العرب جميعا ، لانهم طوال جاهليتهم كانوا يجرون على عادة اصطحاب النساء فى مؤخرة الجيش ، فيقمن بالخدمة والتشجيع . حتى اذا وقع ازواجهن او اولادهن فى مأزق الهزيمة تولين القتال معهم ، فيشتد الازر ، وتقوى الجماعة .

ومثل هذا النوع من البطولة — مرة اخرى — رصده التاريخ من وجهه الظاهر، وترك ماوراءه من قيم انحدرت لحياة المسلمين من زمان موغل فى القدم . ويبدو ان المؤرخين تعمدوا تركه فى وقت كان لا بد أن تنسى فيه تقاليد يعد وجودها خطرا على الاسلام، او بعبارة اخرى لم يشأ الاخباريون المسلمون ان يتحدثوا عن كل ما يمجد جاهلية العرب ، باعتبار انها ركن هام من اركان الوثنية التى نص القرآن على تحريمها ، وجد فى طمسها المتحمسون خشية ان تظل قائمة فتزاحم الاسلام . ومن ثم لم يفهم — على نحوه الصحيح — جانب احتماعى تحدث عنه شعراء الجاهلية واجازه الرواة لانتفاء وجود شىء يعارض العقيدة الجديدة ، فى الظاهر ، غير ان الدراسات المتأخرة فى ضوء الانثروبولوجيا والميثولوجيا للشعر الجاهلى تبين المسافة البعيدة بين ما فهمه المسلمون الاول وما نفهمه نحن اليوم .

(٢)

اذن ماذا نعنى ببطولة غزالة كرصيد تاريخى لم يفهم الفهم الصحيح ؟

لقد كانت شجاعة وخطيبة .. وهذا ما لاشك فيه ، او هذا ما قررته اثبات التاريخ المختلفة .. ولكن الى اى حد كانت هى علامة على البطولة اذا قيست بالمرأة التى تغنى بها الشعراء وسكت عنها الرواة المسلمون ؟ وأنا اخشى ان يسرع بعضنا

الى ترديد ما روج عن بعض الاعراب من واد للبنات دلالة على حقارة مكانتهن ، ولا سيما ان القرآن الكريم نهى فى موضع عن قتل الاولاد « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق » وفى موضع اخر وقف عند البنات الموءودات فقال : « واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » على وجه التبكيت والتقريع · فربط المفسرون بين الآيتين خطأ ، لان القصد فى الوضع الاول العقب كله ، وفى الثانى اشارة الى البنات فقط وكن فى طقوس عقيدية قديمة يذهبن — عن طريق الواد — الى الله ، وقد نبه الزمخشرى الى ان من الاعراب قديماً من كان يقول ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به ، لانه تعالى احق بهن ·

على أن بنات الله فى الميثولوجيا كن بعض الكواكب والنجوم كالشمس ذات انواط او ذات حميم والشعرى وعثتر او الزهرة او الشارق · ولقد كان القمر او هبل الها سناويا · أبناؤه البشر فى عصر الوثنية الذهبى أى قبل عصر الاضمحلال الذى سبق الاسلام · وكانت الشمس كالربة عثتر — التى هى عشتار عند البابليين — هى الام السماوية حامية المرأة على الارض وواهبة القداسة لها ، واختصت عثتر بالحمل والوضع ·

وفى نقش سبئى من صرواح نجد رجلا وامرأة يقدمان لعثتر نذرا أربع دمى ذهبية ، لانها وهبت لهما ثلاث بنات وولدا واحداً ، وفى نقش سبئى آخر نرى احد الاشخاص يقدم للربة « عزيز » ولعلها العزى — أى القوية — تمثالا من الذهب يمثل امرأة بخصوص ابنته التى كانت مريضة ويلتمس هو شفاءها ·

ومما لا شك فيه ان الطقوس الدينية هى التى تحدد دائما العلاقة الخارجية بين الانسان والكون ، وعند عرب الجاهلية الذين كان يتغلغل الشعور الدينى فى حياتهم كانت المرأة تحتل مركزا خاصا مميزا ··

واذن يكون من العبث ان نزعم ان المرأة كانت مهانة فى العصر الجاهلى، لكن هذه الحقيقة لاتعنى قط انها كانت بطلة على نحو نحو ما · ومع التسليم بصحة هذا الاستنتاج — برغم اننا نجد فى الاساطير الجاهلية وقائع بطولة « لبنات الله » و « العزى » و « الشمس » التى كانت تسمى اللات — فاننا نجد المرأة تلعب دورا اساسيا فى تقاليد الشعر الفنية ، وهذه التقاليد تبدو فى صور — تشبيهات او مجازات او استعارات — هى فى الحقيقة رموز لطقوس موغلة فى القدم

فالمرأة التى يتحدث عنها عمرو بن كلثوم فى معلقته كمؤخرة لجيش عشيرته تقوم على خدمته وتشجيعه هى نفسها فى القصائد الاخرى للشعراء الاخرين أم اوفى ، مالكة الديار ، وام عمرو ربة الحكمة والصبر ، وليلى الهة العشق والغوى، وسلمى رمز العفة ، واسماء ربة المراعى المتقلبة التى ذكرها زهير بن ابى سلمى فى قوله « اخلفتك ما وعدت » و « فاستبدلت بعدنا دارا يمانية » ،· ونلاحظ ان شعر المرقش فى اسماء — وهى ليست المرأة الوحيدة فى شعره — يمثل ظاهرة التقلب التى عرضت فى ميميته المشهورة :

هل بالديار أن تجيب صمم
لو كان رسم ناطقا كلم

لكن المرأة قبل ذلك كله ، اى قبل ان تصبح مجرد تقليد فنى — حتى من خلال التشبيهات التى تضرب فى اعماق الوجود الانسانى الساعى الى تصيد الحقيقة — كانت غزالة وشمسا ، فيقول النابغة :

قامت تراءى بين سجفى كلة
كالشمس يوم طلوعها بالاسعد

ويقول قيس بن الخطيم :

فرأيت مثل الشمس عند طلوعها
فى الحسن او كدنوها لغروب

ويقول طفيل الغنوى :

غزالة الحرورية بين الأسطورة والواقع

عروب كان الشمس تحت قناعها
اذا ابتسمت او سافرا لم تبسم

ولعلنا نذكر اننا قلنا ان الشمس عبدت مع القمر عند الجاهليين ، يؤيد ذلك قول الله تعالى « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن » . فهل نظن ان الشاعر الجاهلى كان يجرؤ على تشبيه المرأة بربتـه الشمس ان لم تكن المرأة التى يذكرها فى قصائده – على غير ما يبدو فى الظاهر – ذات قداسة عنده ؟

واذا اردنا المزيد رأينا ربط المرأة بالغزالة ظاهرة شائعة ، فلماذا شاعت ان لم تكن ثمة ارادة عقيدية معينة ؟ ومن العبث متابعة الشاعر الجاهلى فى تشبيهه المرأة بالغزالة والمهاة ، فذلك واضح ، بل اكثر منه نجد هناك مبادلة مكانية بين الشمس والغزالة . وقد حرصت اللغة على تأكيد هـذه العلاقة ، فاذا الشمس – معجميا – هى الشارق وهى الغزالة ، واذا الناس يقولون وكذلك الشعراء « قرن الشمس » ويصفون غديرة المرأة الحلوة بقرن الغزالة ، ويربطون بين عينى هذه وعينى تلك .

وعلى الرغم من ضآلة الغزالة ، فقد كان لها بعد أو عمق طوطمى فى الحياة الجاهلية ، وذكر بعض مؤرخينا ان بنى الحارث كانوا اذا وجدوا غزالا ميتا يحزنون عليه ويدفنونه بعد تكفينه ، ثم ينوحون عليه سبعة أيام . وفى سيرة ابن هشام ان عبد المطلب – جد الرسول – وجد فى بئر زمزم يوم حفرها بعد ان طمت تمثالى ذهب لغزالين مقدسين ، فلم يكن عجيبا ان يعمد امرؤ القيس الى وضع الغزلان فى محاريب الملوك ، فقال :

وماذا عليه ان ذكرت اوانسا
كغزلان رمل فى محاريب اقيال

ووجود الغزلان فى المحاريب دلالة قوية على ارتباط الغزالة بالعقيدة الجاهلية ، ومرة اخرى أيجرؤ شاعر جاهلى على ربط المرأة بالغزالة المعبودة الا اذا كانت هذه المرأة شيئا آخر غير ما ظنه الرواة المتقدمون ؟ ان ثمـة باحثا اجنبيا – هو ديتلف نيلسن – يقول فى كتابه القيم « التاريخ العربى القديم » ان العرب صوروا الشمس بحسناء عارية، وجعلوا للشمس قرونا كقرون الغزلان ، واليهود – فى عهد متأخر – استبدلوا بالغزال الشمس فى محاريبهم المقدسة .

وعلى هذا النحو تبدو المرأة شمساء، والشمس غزالة ، كما تبدو المرأة غزالة ووراء ذلك كله حكايات مثيرة عن طقوس غامضة وسحر ومغامرات فى سبيل الخلود ، مع دسائس ومكائد تحشد فيها المرأة وتسهم فى اشاعة السلام على ما نرى فى بعض مايرويه وهب بن منبه وعبيد بن شريه فى « التيجان » وما انتفعت به بعض السير الشعبية التى تشيع فى مقدمتها « سيرة سيف بن ذى يزن » .

وهنا لا نعجب قط عندما تصلنا انباء عن نساء مقدسات ونساء ساحرات ، ونساء يتحكمن فى الرجال ويحكمن عليهم ، ونساء اخريات يشفين النول ، ويزعمن الاتصال بالسماء عن

طريق السحر ، فيتكهن ويتنبأن ويصبحن موضع استشارة قبائلهن . وفي الردة يتنبأ اكثر من واحدة ، ويتعب ابو بكر معهن ، ويهاجم خالد بن الوليد بعض معاقلهن ويهدمها عليهن .

ومرة ثالثة هل كان في وسع الرجل الجاهلي ان يرفض سلطان المرأة عندما كانت تضعه في يدها طالما كان ينظر اليها تلك النظرة المقدسة ؟ أكبر الظن لا ، والان يصبح من السهل ان نقبل تاريخيا النساء الاعلام ، والنساء الحكيمات ، والنساء اللاتي كن يقاتلن في الحروب وهن يتمتعن بقسط موفور من رصيد قديم للاحترام .

(٣)

والشيء الذي لا شك فيه ان القرآن اذا كان قد رفع عن المرأة قدسية العبادة ، فقد حفظ لها كثيرا من التقدير . ومن ثم استمر جيل الشهورات يعملن في جميع الميادين ، ودعنا من جرائد الاسماء التي يسوقها الرواة للنساء المسلمات فتلك لا مشاحة فيها . ولنصل الى غزالة شبيب فاذا فيها من غزالة الجاهليين اشياء ، فقد كانت قريبة من الله ، كانت جميلة ايضا . رأتها جهيزة ام شبيب — وكانت هذه بدورها شجاعة تشهد الحروب — فوصفت لها ابنها فقالت « والله انه ليكون صاحب هذا الامر لو اراد » وكانت جهيزة عاقلة . فسألتها : « وكيف يا أمة الله ؟ » قالت وهي تطيل اليها نظرة عاقلة . اذا جعلني مع رجاله واشرت عليه في أمرهم » .

وكان ذلك منها اشارة الى شيئين : الى رغبتها في ان يعقد عليها شبيب الخارجي ، والى رغبتها في ان تخرج معه .

وعندما زفت اليه واراد الاهلون أن يقيموا المأدب صاحت : لننتظر مائدة الله ! وكانت اذ ذاك قد جعلت الخروج مساويا لانكار الظلم ودعوة محددة الى التحرر . فلما سمعت بصالح بن مسرح التميمي في أرض الموصل والجزيرة يدعو الى الخروج ، قالت لجهيزة : أزفت يا أم ساعة الجهاد ! فقالت : انها كذلك والله !

وكتب شبيب الى صالح يقول « انك كنت تريد الخروج ، فان كان ذلك من شأنك اليوم ، فانت شيخ المسلمين ، ولن نعدل بك احدا » فكتب اليه صالح : « لم يمنعني من الخروج الا انتظارك فاقبل الينا ، فانك ممن لا يستغنى عن رأيه » .

فلما قرأت غزالة كتاب صالح قالت : « ان الله يدعوك الى خير عبادة فهلم يا ابا الضحاك وانا معك » .. ودعا شبيب نفرا من خلصائه فيهم اخوه مصاد بن يزيد بن نعيم الشيباني .. وكذلك امه ، وقصد الجميع الى « دارا » حيث صالح واعلنوا الخروج وشرعوا يحاربون عمال الدولة الاموية .. واختار الحجاج بن يوسف الثقفي امير البصرة اشجع قواده الحارث بن عميرة وجند له ثلاثة آلاف من اهل الكوفة ، وبعث بهم للقاء الخوارج ، فقتل صالح ، وتولى شبيب القيادة بدلا منه . ومنذ توليه والنصر حليفه ، وكان اذا ارجف الناس بوصوله الى بلد ما هرب من به من جند الحجاج .

ولقد كان لا بد ان يأتي دور الكوفة ونذرت غزالة اذ ذاك ان هي دخلت البصرة ان تصلي في مسجدها الجامع وتصعد منبره لتخطب ، وراحت تحث شبيبا فاتجه صوب المدينة ، ولكن الحجاج كان قد سبقه اليها ، ولم يعبأ شبيب ، ووجد من غزالة رغبة في مواصلة ضرب الحجاج داخل ذلك المعقل الحصين ، فاقتحم اسوار المدينة ووصل بجنده الى قصر الامارة وضربه بعمود كان في يده ثم علا مصطبة قبالته وهو ينشد هاجيا الحجاج :

عبد دعي من ثمود أصله
لا بل يقال أبو أبيهم يقدم

وهنا ارتفع صوت غزالة ، جامعة فيه كل رصيد المرأة العربية من قوة وفتوة وإجلال وتسلط : الى انا يا مسلق الاجفان !

وكان الحجاج أخفش قميئا ، غير انه كان يملك قلبا جريئا ، ومع ذلك فقد رأى ان من الحكمة ان يبتعد عن غزالة · فضلا عما قد يحرضه لقاؤه لها من السخرية ـ ونصره عليها مشكوك فيه لوقوف زوجها معها ـ فانه لم يكن من الغباء بحيث يقارعها حجة بحجة ويباريها فى مجال قديم هو يعلم قبل غيره انها تجيد الكر فيه ·

اثر الحجاج ان ينزوى فى القصر فتهيأت الفرصة لغزالة ان تفعل ما تريد فدخلت المسجد الجامع مع شبيب ، وكان على شبيب جبة طيالسية فوقها نقط من اثر مطر ، وهدر بصوته فى المصلين فارتجت ارجاء المسجد له ، ثم اعطى الزمام لغزالة وخرج فأدت الصلاة واطالت ما شاءت حتى انها قرأت فى صلاتها سورتى « البقرة » و « آل عمران » ، وصعدت المنبر وخطبت ، ثم خرجت تخترق صفوف أعدائها ولم ينلها أى مكروه ·

ومن المؤكد ان الحجاج قد صعقه كل ما جرى ـ وهو الامير العاتى ـ فجمع اشهر قواد الدولة كزائدة بن قدامة الثقفى وزحر بن قيس وعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وزياد ابن عمرو العتكى · وهنا وجد شبيب بعد شهر من احتلاله الكوفة ان من الخير التقهقر الى القادسية ، ومنها وثب على هؤلاء الفرسان واحدا اثر واحد فمزقهم جميعا ·

وكتب الحجاج الى عبد الملك يستنجده فأمده بجيوش من الشام ، وطلب من الحجاج ان يولى عتاب بن ورقاء الرياحى قيادة هذه الجيوش · ولما سمع شبيب بذلك ارسل أخاه « مصاد » الى المدائن ووقف هو فى ستمائة امام جيش الدولة الكبير ، وتمكن من ان يجد من اتباعه العون ، ولكن العون الاكبر كان يجده من غزالة حينا وامه جهيزة حينا آخر ·

ومرة اخرى اتجه الى الكوفة فاقتحمها ، وانفق فيها ثلاثة ايام بنى خلالها مسجدا فى السبخة ، وقتل ثلاثة من اعظم قواد الحجاج ، فلم يجد هذا مفرا من الخروج اليه بنفسه ، فقصده وهو فى مسجده يصلى ، فتجمع اعوان شبيب وقادهم ثلاثة ـ غير الخارجى الاكبر ـ مصاد وغزالة وجهيزة ، كل فى جماعة تهلل وتكبر ، وحاولوا ان يفعلوا شيئا ، ولكن انى لهم والثعلب الماكر قد اتخذ لكل شىء عدته · فلم تكن الا جولة واحدة ، وانكسر مصاد ، وصرعت بعده امه جهيزة ، ولم تجد حماسة غزالة ولا شجاعتها شيئا فسقطت فى دمائها فى الوقت الذى كان فيه شبيب زوجها فى الطريق الى خارج الكوفة ليغرق بفرسه فى النهر ·

ولما عرف الحجاج محصلة المعركة سجد لله ، وخطب خطبة قصيرة ، ولم يعرض لقتلى الخوارج من النساء ،

ولكنه ساق القتلى من الرجـال الى الجحيم ، ورجع الى قصره وهو يظن انه تخلص من امرأة حيرته طويلا . ولكن صوتا يدوى بعد ذلك يعيره بما خافه . وكان هذا الصوت لعمران بن حطان انشد بعد ان جد الحجاج فى مطاردته كخارجى خطير :

أسد على وفى الحروب نعـامة
ربداء تجفل من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الوغى
بل كان قلبك فى جنـاحى طائر

(٤)

تلك هى غزالة .. فماذا نقول فيها ؟

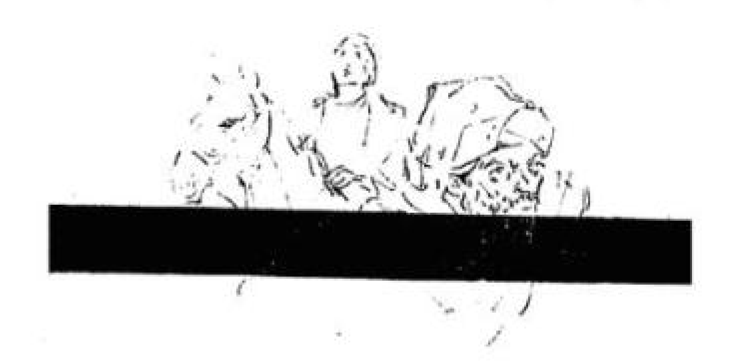
لا شىء أكثر من انها كانت انسانا كادحا وساعيا ، وكانت ايضا كائنـا غرضيا بميراث تاريخى مثقـل بالخرافات والسحـر ، ويسلم ببعض المقدسات التى لا تظهر فيها آثار العبادة لشخص بقدر ما تظهر فى رأى .

ولربما كان ينبغى أن نلح بشـدة على الطبيعة الغرضية لسلوك غزالة ، فهو فى الحقيقة أمر حاسم فى تشكيل حياتها على ذلك النحو اللامتناهى من المخاطر . ومن اجل مبدأ آمنت به كانت تردد دائما قول صالح بن مسرح التميمى « تيسروا للخروج من دار الفناء الى دار البقاء ، ولا تجزعوا من القتل فى الله ، فان القتـل أيسر من الموت والموت نازل بكم » .

ويوم سقطت تحت قدمى خالد بن عتاب الرياحى ـ قائد الحجاج ـ كانت تعطى الشهادة على انها أوفت عـلى الغاية ، وحققت غرضا ربمـا كانت فيه أهمية المحددات اللاشـعورية لسلوكها تعادل تماما محدداتهـا الشعورية ، فتم التوافق بين الفكرة والتطبيق ، وتم بذلك التوافق بين الاسطورة والواقع .

واذا غزالة فى آخر الامر عند قوم شهيدة حق وواجب ـ فكل للآخـر ضرورة أو سبب ـ وعند قوم آخرين محصلة تاريخ عميق وعتيق ، تستبدل فيه التقدير بالقداسة، وتحتفظ بالجمال والعفة ، وتتيه ببيان وعزيمة وشجاعة لا بأس مطلقا اذا وصفت بها الغزالات الاخرى ، كأم اوفى او أم عمرو . ولا بأس من ناحية أخرى اذا اخـذت من الشمس بهاءها وعظمتها ، واخذت من القمر كبرياءه واعتداده .. ولـكن بشرط ، هو ان تظل المرأة الخارجيـة الحرورية ، التى اعجبت برجل فشاغلته ليشغل بها ، وليحقق معها ما كانت ترسـمه للعالم من عدالة وحرية وجمـال ...







قصتي أغرب ما غناه مفتون ، وما راو رواه
قصة الظامئ للنور وفي النور ارتعاش من رؤاه
قصة التائه في الكون ، فلم يهدأ ولم يبلغ مناه
قصة رددها الليل وغناها ، على طول مداه
قلت .. فلأنأ عن الأوهام ولآخذ من الأمر مراسه
ولأجرب .. ربما تفنى همومي في أفانين السياسة
ولأغامر .. ربما أغنم من عمري عن الخوف اختلاسه
غير أني لم أجد أمرا بها سهل الدراسة
لم أجد إلا تهاويل تواريني وفي الغيب بقيه
هل رأيتم غير ميزان الردى يغتال أمن البشريه
إنهم سموه ميزان القوى ظلما وإفكا وبليه
إنهم ما بحثوا إلا عن الذئب الذي اغتال الضحيه



هل رأيتم غير دنيا مزقت ارجاؤها ، ضلت هداها
قسموها بين ضدين ، وكل منهما يبغي اتجاها
واحد في الشرق ، والاخر في الغرب ، وكل يتباهى
بالردى والذرة الحمقاء والدنيا قد اسودت رؤاها

هل رأيتم غير العمار تبددت تقطع الافق ارتيادا ؟
هل علمتم انهم قد وضعوا القوة والسطو عمادا ؟
هل سمعتم غير صيحات على رجفتها العالم مادا ؟
نحن في بضع سويعات سنفني عالما ضل الرشادا ؟

يشرب الفائز نخب النصر لا يدرى بأن النصر مر
ربما انفجرت الدنيا .. فلم يلف بها حالا تسر
انها الايام .. كم دارت وولت بعده يسر
يتساوى الغنم والغرم لدى الحرب ففي الحالين ضر

انا لا اومن بالقوة الا في العيون العسليه
فهي كم رفرفت الآهة بالبهجة في النفس الشقيه
كم بها افئدة هامت ، فعاشت في خيالات نديه
ومعنى سعدت ايامه شوقا ، وما عزت هديه

كم عظيم صغرت علياؤه منها ، فلم يدرك سبيله
كم صغير رفعت منه فاضحت كل دنياه جميله
وراى فجرا من الآمال لما تشهد الدنيا مثيله
انها قصتي الكبرى .. وفيها قصة الحب الطويله



● أمينة السعيد ●

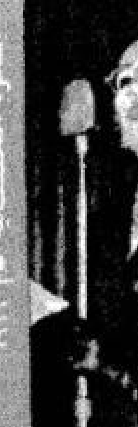


هدى شعراوي : الهبت المشاعر بوطنيتها الصادقة



هدى بركات : دور وطني رائع في سبيل الوطن





احسان القوصي : شاركت في المظاهرة النسائية عام ١٩١٩



استر فهمي ويصا : شجاعة نادرة امام رصاص الانجليز

بطولات نسوية في .. ثورة ١٩١٩

من بواعث فخر المرأة المصرية أن المكاسب الاجتماعية التي أحرزتها لم تأت عفوا .. أو على سبيل الصدقة والإحسان .. كذلك لم تأت نتيجة لظروف طارئة ضاغطة مثلما حدث في الغرب حين قامت الأوربيات والأمريكيات بمظاهرات عاصفة لجأن فيها إلى العنف الشديد فحطمن فوانيس الشوارع والعربات والمنشآت العامة ، ولم يهدأن حتى استجيب مطالبهن ، أو استجيب الجانب الأهم منها على الأقل .

لا ، لم يحدث شيء من هذا في مصر ، إنما أتت المكاسب نتيجة لحركة نسائية قوية انبثقت من قلب الحركة الوطنية ، وصنعتها مشاركة النساء للرجال في معركة الصراع الوطني وتقديم التضحية والفداء ..

صفية زغلول .. لعبت أدوارا هامة في تاريخ الكفاح الوطني

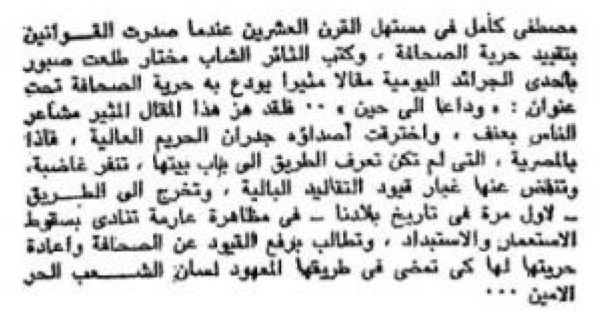
بطولات نسوية في ثورة ١٩١٩

ان الحركة النسائية عندنا كما يثبت تاريخها المجيد ، ذات اصالة وعراقة، وفيها تتوافر جميع مقومات النجاح ، فكان من الطبيعي ان تنضج على مضى العهود ، وان تؤتي في الوقت المناسب ثمراتها الطيبة .. ولعل اروع ما يذكر للمصرية في هذا المجال ، انها خاضت معركة النضـــال الوطني قبل ان تحصل على اى حق من الحقوق ، او يعتـــرف لها بأدنى دور اجتماعي خارج أسوار البيت الذي كانت تعيش وتموت فيه ... وكان دافعها الوحيد الى المشاركة في التضحية والفداء وطنيا بحتا يقوم على الايمان الراسخ بأرضنا الطيبة ، وحق هذه الارض التي عاش عليها آباؤنا واجدادنا الوف السنين في التطهـــر من دنس الاستعمار والتخلص من نير الظلم والاستبداد بجهود أبنائهـــا البررة الرجال منهم والنساء ...

ولقد بدأت الانتفاضة الأولى للحـــركة النسائية ايام الزعيم



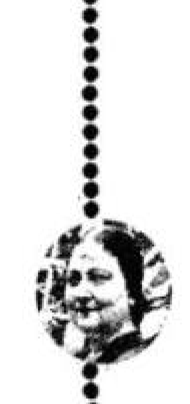




مصطفى كامل فى مستهل القرن العشرين عندما صدرت القــوانين بتقييد حرية الصحافة ، وكتب الثائر الشاب مختار طلعت صبور بإحدى الجرائد اليومية مقالا مثيرا يودع به حرية الصحافة تحت عنوان : « وداعا الى حين » ·· فلقد هز هذا المقال المثير مشاعر الناس بعنف ، واخترقت أصداؤه جدران الحريم العالية ، فاذا بالمصرية ، التى لم تكن تعرف الطريق الى باب بيتها ، تنفر غاضبة، وتنفض عنها غبار قيود التقاليد البالية ، وتخرج الى الطــريق ــ لاول مرة فى تاريخ بلادنا ــ فى مظاهرة عارمة تنادى بسقوط الاستعمار والاستبداد ، وتطالب برفع القيود عن الصحافة واعادة حريتها لها كى تمضى فى طريقها المعهود لسان الشــعب الحر الامين ···

وكانت تقود هذه المظاهرة ست فتيات لم تبق على قيد الحياة منهن الى الآن سوى واحدة اطال الله عمرها وهى السيدة نفيسة طلعت صبور شقيقة الثائر الشاب مختار الذى كتب مقال « وداعا الى حين » ·· واشتركت معها فى القيادة اختها عريفة طلعت صبور ، كذلك جميلة عطية والاخوات الثلاث وجيدة وامينة وفهيمة ثابت ··

كانت قيادة المظاهرة تتالف من اولئك الخمس المتحمسات ··
ومن ورائهن سارت جمهرة ضخمة من النساء يهتفن بســقوط الاستبداد والاستعمار ويطالبن بعودة حرية الصحافة ·



ولقد شعرت السلطة الحاكمة المستبدة بمدى خطورة مشــاركة النساء والرجال فى الحركة الوطنية ، فتصدت الشرطة لهن ، ولجأ رجال الامن الى العنف والتحقير والتطاول فى تفريق شملهن ··· غير ان هذا الاسلوب زاد النساء حماسة على حماسة ، فقســمن انفسهن الى مجموعات صغيرة تولت توزيع المنشورات المعــادية للاستعمار ، وتعليق الملصقات الوطنية على الجدران فى جميــع الاحياء ، والقسام دون الحكومة لحث الموظفين على الانضمام الى حركة الاحتجاج على تقييد حرية الصحافة ··

•••

وكان الزعيم مصطفى كامل ومريدوه وفى مقدمتهم الشاب الثائر مختار طلعت صبور يقفون وراء هذه الحركة النسائية المباركة ، يشجعونها ويدفعونها الى المضى فى طريق الجهاد ··

وجدير بالذكر ان الزعيم الخالد كان يكتب بقلمه وبيده الخطب الحماسية ، ويعطيها لقائدات الحركة كى يلقينها فى المحافل العامة ويستنفرن بها همم الرجال ، ويوقظن الحماسة الوطنية فى نفوس الكبار والصغار ··

بطولات نسوية في ثورة ١٩١٩



وعندما انتقل مصطفى كامل الى جوار ربه ، اتى رجال السياسة بالفتاة نفيدة طلعت صبور وحملوها العلم فسارت به فى مقدمة موكب الجنازة حتى وصلت الى المقبرة فى حى الامام الشافعى .

ومن جميل ما يذكر لثورة ١٩٥٢ انه حين تقرر نقل جثمان مصطفى كامل من مقبرته الاصلية الى ضريح الزعيم الدكتور احمد ماهر ، ذهبت السلطات تبحث وتنقب عن حاملة العلم يوم وفاته ، ولما وجدتها اسند الى السيدة نفيدة طلعت صبور وهى فى شيخوختها ان تقوم بنفس الواجب مرة اخرى ، فحملت العلم ومضت به مع الجثمان حتى مثواه الجديد ...

•••

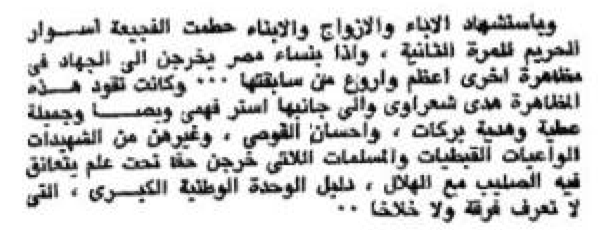
ومما يدل على فرط ايمان المصرية القديمة بقضايا بلادها ان القائدات الخمس للمظاهرة النسائية الاولى ، مضين فى طريق الجهاد على توالى العهود ، فانخرطت نفيدة طلعت صبور فى صفوف الهلال الاحمر ، وأسهمت بدور مشكور فى محاربة الاوبئة التى اجتاحت بلادنا فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، ولم تتوقف عن البذل والتضحية الا بعد ان اثقلت السنين ظهرها ، واعجزتها الشيخوخة عن المضى فى رسالتها ..

كذلك فعلت اختها الكبرى عريفة طلعت صبور فقد انضمت الى صفوف سعد زغلول وشاركته هى والاخوات الثلاث وجيدة وامينة وفهيمة ثابت الجهاد فى دنيا السياسة من خلال وطنهن بيسالة الوفد المركزية للنساء ، وظللن يعملن فى خدمة وطنهن ببسالة وتفان الى ان حانت ساعتهن وانتقلن كل بدورها الى رحاب الله .



اما جميلة عطية فقد انضمت الى صفوف هدى شعراوى ، وبرزت بجانبها فى عام ١٩١٩ حين قامت الثورة الوطنية الكبرى على اثر نفى سعد وزملائه خارج البلاد . فقد هب المصريون عن بكرة أبيهم يصرخون بالاحتجاج ، ولجأ المستعمر الى العنف كى يسكتهم ، فرد الشعب المصرى على العنف بالعنف ، وكان القتال المرير الذى سقط فيه خيرة الرجال من شباب مصر الناهض ، وتخضبت ارضنا الطيبة بدمائهم الذكية ..



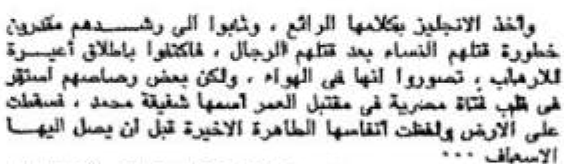


وباستشهاد الاباء والازواج والابناء حطمت الفجيعة اسوار الحريم للمرة الثانية ، واذا بنساء مصر يخرجن الى الجهاد فى مظاهرة اخرى اعظم واروع من سابقتها ... وكانت تقود هذه المظاهرة هدى شعراوى والى جانبها استر فهمى ويصا وجميلة عطية وهدية بركات ، واحسان القوصى ، وغيرهن من الشهيدات الواعيات القبطيات والمسلمات اللاتى خرجن حقا تحت علم يتعانق فيه الصليب مع الهلال ، دليل الوحدة الوطنية الكبرى ، التى لا تعرف فرقة ولا خلافا ..

وكان المستعمر قد تلقى درسا لا ينسى بخروج النساء الى المعترك الوطنى ايام مصطفى كامل ، فاستقر رأيه على الحيلولة دون تكرار التجربة مرة اخرى خاصة وانها جاءت اوسع شملا واصلب رأيا واكثر عنادا فى خدمة الوطن ..



وأحاط الجنود بالمظاهرة النسائية ، ووجهت البنادق الى صدور المتظاهرات وكان التركيز اساسا على هدى شعراوى التى كانت تقف فى المقدمة وتلهب مشاعر الرجال قبل النساء بهتافاتها الحماسية الرائعة .. وعندما رأت استر فهمى ويصا وميض الشر فى عيون جنود الانجليز، وتأكد لها أنهم يبيتون شرا لهدى شعراوى اندفعت من بين الصفوف الى الامام ، وفتحت صدرها للبنادق ، وخرجت تقول للمستعمرين باللغة الانجليزية التى تتقنها : هاكم صدرى فاطلقوا على الرصاص اذا كنتم رجالا حتى يعرف العالم كله انكم دون البشر وأحط فى وحشيتكم من الحيوانات » .



واخذ الانجليز بكلامها الرائع ، وثابوا الى رشدهم مقدرين خطورة قتلهم النساء بعد قتلهم الرجال ، فاكتفوا باطلاق أعيرة للارهاب ، تصوروا انها فى الهواء ، ولكن بعض رصاصهم استقر فى قلب فتاة مصرية فى مقتبل العمر اسمها شفيقة محمد ، فسقطت على الارض ولفظت انفاسها الطاهرة الاخيرة قبل ان يصل اليها الاسعاف ...

ولم يكتف الانجليز بذلك ، انما لجأوا أمعانا فى التنكيل الى تطويق المظاهرة النسائية ومنعها من الحركة لمدة سبع ساعات كاملة تحت شمس الصيف المحرقة مما ادى الى اصابة كثيرات بالاغماء ، ثم قبض على الزعيمات ، واودعن السجن تحت الحجز، ولم يطلق سراحهن الا عندما تقدم قادة الثورة ودفعوا الكفالة ، واخرجن المتظاهرات ..



غير ان القتل والسجن والاضطهاد والتعذيب ، لم يزد هدى وصاحباتها استر فهمى ويصا ، وجميلة عطية ، وهدية بركات ومن ورائهن المصريات من جميع الفئات . الا عزما واصرارا على مزيد من الجهاد .. وبالفعل انشأن جمعية المرأة الجديدة بزعم انها لخدمة الفقيرات ، والحقيقة انها كانت الملجأ السرى لزعماء الثورة من

بطولات نسوية في ثورة ١٩١٩

الساسة والمجاهدين .. وفي هذا الملجأ السرى كان الرجال يجتمعون كل ليلة خفية عن الأنظار المتربصة بهم ، ويكتبون المنشورات .. ويوزعون أوامر الجهاد على المجاهدين .. ويسجلون الاوامر السرية ويطبعونها ..

كل هذا كان يحدث في مقر الجمعية النسائية ، ثم تكلف النساء بحمل الاوراق والمنشورات السرية ونقلها الى مواقعها ، فكانت هدى واخواتها يخفينها تحت « الحبرة » التى يلبسن الى ذلك الوقت يتحجبن بها ، ويسافرن بها من بلد الى بلد ، ومن مديرية الى مديرية ، ومن كفر الى كفر .. مقدرات تمام التقدير خطورة العمل الذى يقمن به ، ووحشية العقاب الذى يلقينه اذا اكتشف امرهن ..

وعندما انتهت الثورة بانتهاء الظروف التى دعت الى قيامها ، لم تترك هدى وصاحباتها مواقعهن السياسية ، وظللن يخدمن الوطن في ظل لجنة الوفد المركزية للسيدات والاتحاد النسائى المصرى الذى تغير اسمه وأصبح الآن « جمعية هدى شعراوى » ..

ولقد كرم الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٦٧ الباقيات على قيد الحياة من زعيمات الثورة الوطنية ومنحهن وسام الكمال وهو ارفع اوسمة الدولة للنساء ـ الى السيدات : استر فهمى ويصا ، وجميلة عطية ، واحسان القوصى ، وهدية بركات التى شاء القدر ان توافيها المنية قبل الاحتفال بساعات ، فوضع الوسام على نعشها وظل فوقه يشع نور الفخر والعزة الى ان ارقدت في مثـــواها الاخير ...

كذلك فعل رئيسنا المفدى انور السادات ، ففي عيد العمـــل الاجتماعى الاخير كرم الباقيات من الزعيمات السياسيات القديمات، وقلد السيدتين مارى كحيل ، وسيزا نبراوى وسام الكمال فازدادت المصرية بهذه اللمحة الكريمة شرفا على شرف ..

●●●



ولا شك اننا لا نستطيع ونحن نتكلم عن البطولات النسائية في ثورة ١٩١٩ وما بعدها ، ان نغفل اسم مجاهدة كبيرة لعبت أدوارا هامة في تاريخ الكفاح الوطنى لبلادها ، وهى السيدة صفية زغلول زوجة الزعيم الخالد ورفيقة كفاحه والام الروحية للشعب المصرى ... فلقد ظلت على مضى هذه الفترات الصاخبة من تاريخ كفاحنا الوطنى ملتزمة موقعها في بيت سعد .. لم تخرج منه ولم تشارك



فى مظاهرات ، ولكنها كانت فى الحقيقة مصدر الوحى والالهام ، تمنح الشجاعة وتدفع الى التفانى فى الكفاح ·· ومن ايات ما فعلته يوم اعتقل سعد واصحابه الى مالطة عام ١٩١٩ انرفضت مرافقته رغم احتياجها اليه واحتياجه اليها ·· واختارت بمحض ارادتها ان تبقى لتضفى بوجودها الحماسة الوطنية على قلوب المصريين ··

ولقد خصصت الدور الارضى من منزلها لاجتماعات الزعماء ولجان الطلبة ، ومن هناك ايضا مثل جمعية المراة الجديدة كانت الخطط السياسيةتوضع والمنشوراتوالاوامر السياسيةتعد وتوزع بواسطة من سبق ذكرهن من السيدات ، فهدى شعراوى واستر فهمى ويصا وبقية الزميلات كن اعضاء فى لجنة الوفد المركزية للسيدات مثلما هن اعضاء فى جمعية المراة الجديدة ، ومن الموقعين اديرت دفة القتال ···

وفى عام ١٩٢١ اعتقل سعد للمرة الثانية ، وارسل اولا الى جزيرة سيلان ثم جاءت الانباء بتدهور صحة الزعيم نتيجة لرداءة الجو فى تلك المنطقة من العالم·· فطلبت صفية زغلول من السلطات الانجليزية ان تسمح لها بالالتحاق بزوجها ، غير ان المستعمرين لخبث طويتهم ظلوا يراوغونها ، حتى ضاقت بهم ذرعا فقررت البقاء لتقود الحركة الوطنية من بيتها وتؤلب عليهم الجماهير ··



ونشرت فى ذلك الوقت نداء الهب مشاعر الناس ظهر بالصحف فى اليوم الاول من يناير عام ١٩٢١ ورأى الانجليز ان الطاقة الوطنية قد تضاعفت نتيجة لهذا النداء ، وقدروا خطورة بقائها فى مصر ، فصدر الاذن بعد ذلك باربعة ايام فقط بسفرها الى زوجها ··· لكنها عرفت من هذا الحادث اهمية بقائها ، فرفضت السفر بعد ان كانت تسعى اليه ، وآثرت ان تظل فى مصر لكى تدير الدفة من قلب ارض الوطن ·· ولم ترض بالالتحاق بسعد الا بعد ان نقل الى سيشيل ، وجاءت الانباء بمزيد من تدهور حالته الصحية، واحتياجه الشديد لرعاية مخلصة امينة ··

عندئذ فقط سافرت صفية زغلول الى منفى زوجها الحبيب ، وتوفرت على خدمته بكل ما تملك من وقت وطاقات وكانت حريصة دائما على ان تعد له بنفسها الطعام المناسب لحالته الصحية ، وان تحميه من كافة المتاعب والمضايقات ·· وبقيت هناك الى ان رفع عنه الحصار ، وعاد بجوارها الى مصر عودة المنتصرين



وما هذه فى الواقع سوى نبذ قصيرة من ايات جهاد ام المصريين التى لم يرض شعبنا بام غيرها · لا قبلها ولا بعدها ، فمنها كان يستمد الوحى خاصة بعد وفاة زوجها ، حيث عاشت السنين فى بيت سعد تلهم المصريين وتقويهم وتمنحهم البركة فى صراعهم المرير من اجل الحرية ···



جان دارك : رمز البطولة والوطنية

جان دارك

● د. سامية أحمد أسعد ●

أوحت حياة « جان دارك » رمز البطولة والوطنية في فرنسا بعديد من المؤلفات التاريخية وسلسلة من الأعمال الفنية لم تنقطع حتى يومنا هذا ..

وكانت أول وثيقة أدبية عكست أسطورة البطلة قبل موتها قصيدة – جان دارك – ألفتها هي كريستين دي بيزان « ١٣٦٢ – ١٤٤٠ » ، ومجدت فيها انتفاضة فرنسا ، وتحررها من الخصومات والحرب الأهلية ، وغنت فيها عذراء أورليان . وعذراء أورليان هنا ليست محررة الأراضي الفرنسية فقط ، بل هي رمز للبطولة النسائية التي طالما تغنت بها الكاتبة ودافعت عنها في مؤلفاتها في فترة كان الحب العنصر فيها موضع انتقاد وسخرية .



تعتبر قصيدة « كريستين دي بيزان » هي الاثر الادبي الوحيد الذي تمت كتابته في حياة البطلة جان دارك ، ووصل الينا، وقد كتبته ك · دي بيزان بعد تتويج الملك شارل السابع ، فعكست الموقف التاريخي انذاك : وقوف الملك عند أبواب باريس، حيث يستطيع ان يدخل دون أن يلقى أية مقاومة · لكن الكاتبة تهيب به أن يقر السلام · وتقارن جان دارك بنساء أخريات عهدت اليهن السماء بمهمة انقاذ شعوبهن ، وتفرح مباخرة لهزيمة الانجليز ، وتصف تتويج الملك ، وتدعوه الى التسليم ·

ثم توالت القصائد والمسرحيات التي تلعب شخصية البطلة القديسة فيها الدور الاول · لكننا لن نقف عندها جميعا ، بل نختار اشهرها واجودها من الناحية الادبية ·· لذا ، نقفز قفزة واسعة عبر القرون ، لا السنين ، لكي نصل الى القرن الثامن عشر ، حيث كتب الفيلسوف الكبير فولتير قصيدة بطولية عنوانها « عذراء أورليان » (١٧٥٥) · لكنه أعطى الموضوع والشخصيات صبغة خاصة ، قوامها السخرية القاسية ·

والقصيدة محاكاة تهكمية لقصائد الفروسية المستوحاة من «الاريوست» ، الذي كان يعجب به فولتير ··

وفي القصيدة : هبط القديس سان دنيس من السماء لكي يبحث في فرنسا عن عذراء قد تجعل الحرب تنتهي لصالح هذا البلد ، ما دامت نتيجة تلك الحرب مهددة بالخطر ، نظرا لاهمال الملك شارل الذي يولي كل اهتمامه لحظيته « أنييس سوريل » · ويجد القديس ضالته المنشودة في شخص فتاة تخدم في أحد الفنادق الريفية · ويبذل القديس كثيرا من الجهد لكي يحمي الفتاة ويحافظ على عفتها ··

وتسلمت جان ، بعد فحصها ، شهادة خاصة تثبت انها عذراء ، ولكنها اذا لم تبق عذراء لمدة عام ، ضاعت فرنسا · لذا ، نراها تقاوم مختلف الوان الاغراء : أحد الشياطين يجعلها مادة لاهتمامه ورغباته ، لكنها تفضل ان تعرض حياتها للموت على الاستجابة له ··

ثم يهددها خطر آخر : هجمات الراهب الساحر جروبيوديون الذي



بطلة وقديسة

تقتله فى بسالة .. ثم تنجو بمعجزة من هجمات العاشق الانجليزى الشجاع شاندوس . وعندما ينتهى العام المشئوم ، تستسلم للهوى بين ذراعى « دونوا » ، الفارس الفرنسى المغوار

والى مغامرات جان الكوميدية ، يضيف فولتير مغامرات اخرى تنم عن الزندقة . هذه على سبيل المثال ، قصة اتييس سوريل ، محظية الملك . فقد ظنت ان الملك خانها ، بينما ذهب هذا الاخير مع جان دارك للقيادة للجيوش الفرنسية المحاصرة فى اورليان فتتبعه ، وتسرق اسلحة العذراء ورداءها . لكنها ، لسوء الحظ ، تقع بين ايدى الانجليز الذين يقودونها الى خيمة الفارس شاندوس . وتضطر للاستسلام لغرامه الملتهب وهى تبكى .

ثم تهرب الى احد الاديرة طمعا فى الراحة والسلام .. لكنها تحيا مغامرة جديدة : عندما يهجم بعض الجنود الانجليز على الدير ، وتصل العذراء وتقتل المعتدين .. وهناك مغامرات اخرى فى هذه القصيدة الهجائية التى لا تحترم شيئا ، ولا تعمل حسابا لاحد

و « عذراء اورليان » ، فى الواقع قصيدة رائعة اطلق فيها الكاتب العنان لسخريته اللاذعة ونزعاته الخاصة .

ولقد تضاربت حولها الاراء . رأى فيها علماء الاخلاق عملا اباحيا . لكن الشىء الغريب حقا ان من بين من هاجموا اباحيتها رجالا مثل مكاز انوفاء .. بينما اعجب بها اخرون ــ الشاعر جوته مثلا ــ بلا تحفظ .

***

وسرعان ما عادت العذراء المحاربة الى الجو الدينى مع الكاتب الالمانى الكبير « ف . شيلر » ، فى مسرحية من خمسة فصول مثلت لاول مرة فى ليبزج عام ۱۸۰۱ ، قال المؤلف عن مسرحيته انها « رومانسية » لكى يبرز جو المعجزة الذى يحيط بوجه البطلة ونوعية الموضوع . لكن الرومانسيين لم يجدوا اى شبه بين الشخصية التى تخيلها شيلر ومفاهيمهم الشعرية .. والواقع ، ان هذه الدراما تشبعت بنزعة شيلر الى المثالية . ولا شىء مشترك بينها وبين الشعر الرومانسى الذى كان يكتب آنذاك ..

وتصور المأساة الصراع الداخلى بين الحب والواجب ، بين الرغبات الحسية والاضطلاع بمهمة سامية املتها السماء .. ومن الصدام بين هذه القوى المتعارضة، تنشأ المأساة .. ولا ترتكب البطلة خطأ بمعنى الكلمة ، لكن ، عليها ان تنتصر على نفسها ، لكى تظل وفية لمثلها العليا ولكى تسترد بتكفيرها عن لحظة ضعف ، القوة التى تطهرها وتجعلها جديرة باتمام رسالتها .

ولكى يصل الى غايته، يعالج شيلر الواقع التاريخى بمنتهى الحرية : جان راعية صغيرة من دونريمى ، هادئة ، بريئة حساسة ، تعيش فى عزلة وتميل الى الحلم والتأمل • مما أفضى بها الى الاتصال بعالم ما وراء الطبيعة •

وتعهد العذراء مريم الى جان بانقاذ بلدها من الغزو الانجليزى وتحرير الملك • ولكى يتأتى ذلك ، عليها ان تتنازل عن كل ألوان الحب الانسانى، والا ترحم العدو ، ايا كان : « لا ينبغى ان يمس قلبك حب انسان ، بمسه بنيران المتع الانسانية الآثمة •• عليك أن تقتلى بسيفك اى مخلوق يضعه اله المعركة فى طريقك » •

وتظن جان انها من القوة بحيث تغلق قلبها امام الحب الانسانى وتظل وفية لرسالتها السماوية • فترفض الزواج من «ريمون» ، وتغادر القرية التى ولدت فيها ، وتلتقى بالاعداء ، وتقدم نفسها للملك ، والملك شارل ضعيف ، حائر ، مل هذه الحرب الطويلة ، ولا هم له الا حبه « لانييس سوريل » ، وعندما يلتقى بجان ، تتم المعجزة، ويستعيد قوته ونشاطه• ويقرر مهاجمة العدو ، ويضع الفتاة على رأس الجيش •

وتخوض جان المعركة ، وتتخطى كل العقبات ، وتهزم العدو ، وتحرر أورليان • ويصمت صوت قلبها ، صوت المرأة • وتظل على عهدها ، فترفض الزواج من المتقدمين لها • وعبثا يطلب الاعداء عفوها ورحمتها حتى تالبو ، الفارس الذى لا يقهر ، خر صريعا تحت ضربات سيفها •• وتظل رابطة الجاش ، حتى امام الفارس الاسود الرهيب الذى يحاول ان يوقفها على طريق النصر • لكن ، ها هو ذا « ليونيل » ، انبل الفرسان الانجليز ، يقترب• وتهجم جان عليه : وفى اللحظة التى تتأهب فيها للاجهاز عليه ، تتأثر بالتعبير الذى ارتسم على وجهه ، فتقصى سلاحها وتعفو عنه • لقد أحبت عدو بلدها هذا ••• وهكذا انهزمت فى خوض المعركة بين حبها الانسانى ورسالتها السماوية •

وفى مدينة ، رانس ، اثناء تتويج



جان دارك

بطلة وقديسة

الملك ، يعجب بها الجميع ، ويهتفون لها . لكن خطيئتها تثقل عليها . وتتخلى عنها القوى الالهية . ويتهمها

أبوها ، ويطاردها الجميع ، ويتهمونها بالسحر . ويأسرها الانجليز في احدى المعارك . لكنها تحطم قيودها بمعجزة،

في اللحظة التي توشك فيها فرنسا أن تخسر المعركة. وتنضم الى القاتلين وتموت ميتة الابطال .

ولقد عرف « شيلي » كيف يسيطر على موضوعه ويركزه في مجموعة من اللوحات المترابطة .. وتختلف البطلة

هنا عما كانت عند فولتير . فلقد جمعت بين جمال الانثى ورقتها، وقوة المحاربة التي لا تقهر . لكن التوازن

لا يتحقق دائما بين الصورتين : صورة جان القديسة ، وجان الانسانة المحبة.

***

واذا انتقلنا الى القرن العشرين ، وجدنا الشاعر الفرنسي شارل بيجي، يهتم بشخصية جان دارك ، ويجعل منها رمزا للتصوف ، بعد ان كانت تجسيدا لافكاره الاشتراكية . و « جان دارك » التي كتبها « بيجي » دراما من

ثلاثة فصول نشرت عام ١٨٩٧ . كان الشاعر الذي بلغ العشرين من عمره قد اخذ اجازة من مدرسة المعلمين العليا، عام ١٨٩٥ ، وذهب عند أمه في اورليان ، وأخذ يكتب مسرحيته في الوقت الذي اهتم فيه باحدى الجماعات الاشتراكية . والكتاب مهدى

الى « كل من عاشوا ليداووا الداء العالمي ، وأولئك الذين « عرفوا الدواء.

أي الذين عاشوا حياة انسانية والذين ماتوا ميتة انسانية من أجل اقامة الجمهورية الاشتراكية العالمية ». وكان

« بيجي » آنذاك قد ابتعد عن تربيته المسيحية ، ووضع أمله في المعركة الوحيدة المكثفة ضد الشر . وكان وجود الشر في العالم مصدر قلقه العنيف . ولقد وضع هذا القلق وهذا الامل في قلب جان دارك .

كان الكاتب قد قرأ الوثائق التاريخية .. لذا ، تسير الاجزاء الثلاثة المكونة للدراما مع الاحداث الحقيقية خطوة

خطوة . وكثيرا ما يأخذ النص عن الكلمات التي سجلها المحضرون في القضيتين ، والحوار كتب نثرا . لكن

تتخلله هنا وهناك مونولوجات شعرية بعضها قصائد قصيرة رائعة ، نذكر

من بينها « وداع جان لنهر لاموز » :

« وداعا ، لاموز ، يا من هدهدت طفولتي وحلوت عليها .

يا من تسكنين الغيطان ، حيث تنسابين هامسة .

وداعا ، لاموز ، لقد بدأت رحلتي الى بلدان جديدة لا تنسابين فيها .

***

هانذا ذاهبة الى البلدان الجديدة . سأخوض المعارك وأعبر الانهار .

لسوف اتدرب على اعمال جديدة
لسوف ابدأ هناك مهام جديدة ٠

بينما تنسابين ، أيتها الجـــاهلة العذبة
وتمرين كالمعتاد في الوادي السعيد
حيث تنبت الحشائش الحية ٠

***

اي لاموز ، يا من لا يغضب محبتك
٠٠ يا من أحببتها
ستتسلين في الوادي السعيد ٠
ستنسابين غدا حيث كنت تنسابين بالامس ٠

ولن تعرفي الراعية التي كانت تلهو وهي طفلة

وتحفر بيدها في الارض قنـــوات انهارت الى الابد ٠

***

ذهبت الراعية تاركة الاغنام
ذهبت من تغزل تاركة مغزلها
هانذا راحلة ، بعيدا عن مياهك الطيبة

هانذا راحلة بعيدا عن ديارنا ٠

***

اي لاموز ، يا من لا تعلمين شيئا
عن العذاب الانساني ،

اي لاموز ، يا من لا تتغيرين ، يا من تحنو على كل طفل ٠

انت يا من تجهلين انفعال الرجل ،
يا من تمرين دائما ولا ترحلين ابدا،
يا من تجهلين كل شيء عن اكاذيبنا الزائفة ٠٠٠٠٠

***

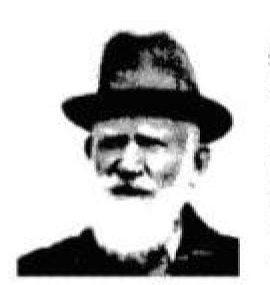
متى اعود هنا واغزل الصوف ؟
متى ارى امواجك المارة ببيتنا ؟
متى نلتقي ؟ وهل سنلتقي ؟

***

يابيت والدي، حيث غزلت الصوف،
حيث جلست الى جوار النار ، في امسيات الشتاء الطويلة ٠

كنت اسمع اغاني اللورين العجوز
حان الوقت لكي اقول لك وداعا
سأسمع كل مساء وانا مارة
بالديار الجديدة اغاني لن اعرفها
سأذهب كل مساء بعد المعارك
الجديدة الى ديار لن اعرفها » ٠

تتناول أجزاء هذا العمل هو الجزء الاول كله ، وأجزاء من التضحية ، ودماء البطلة في النهاية ٠ ولقـــد عرف « بيجي » كيف يبعث الحياة في شخصـــية جان دارك ٠ تارة تراها تتحدث الى صديقتها الصـــغيرة التي تتكلم بلغة الاطفال وبساطتهم و تارة تتحدث مع راهبة تتصدها بالحــذر والحيطة ٠ ونبتعــد هنا عن الدراما التاريخية ٠ وينظر الكاتب الى جان



برنارد شو : كيف اعاد التاريخ
مجد البطلة القديسة

جان دارك بطلة وقديسة

دارك التي ترفض انتصار الشر في الارض نظرة مسيحية · حتى انه نقل

بالحرف الواحد ، بعد ذلك بثلاثة عشر عاما، الكلمات التي نسبها الى القديسة في « سر محبة جان دارك » ·

تعذبت جان دارك في دونريمي عندما رأت الحرب تعيث فسادا في العالم ، بينما تستمر التفرقة بين المصائر ، بين

المختارين والملعونين، لذا ، تهب نفسها للقتال لكي تطرد الشر من الارض · بل تذهب الى حد طلب اللعنة ، اذا شاء

الله ان يقبل تضحيتها هذه مقابل تحرير كل الملعونين · لكنها ، فيما بعد ، تخوض تجربة الهزيمة المريرة ،

لا الهزيمة العسكرية وخيبة الامال ، وانما خيانة البشر ، وانتشار الشر في نفسها · لقد اضطرت ان تكذب

على ذويها لكي تغادر البيت · واقتدت هذه الكذبة الوحيدة كل شيء · ولسوف تؤرقها حتى الساعات الاخيرة من حياتها ، في زنزانتها في « روان » ·

ولعل « بيجي » الشاعر الفرنسي الوحيد الذي احيا وجه جان دارك · وعاد اليه مرارا ، وافرد له مكانا لا في قصائده ومسرحيات « الاسرار » التي كتبها فحسب ، وانما في كتاباته النثرية ايضا ·

***

ولا شك ان ظهور جان دارك على

المسرح السياسي والاجتماعي في فرنسا كان لحظة حاسمة في تاريخ هذا البلد · كان من الطبيعي اذن ان

يسترعي انتباه ليون بلواه (١٨٤٦ ـ ١٩١٧) الذي خصه بدراسة غريبة هامة عنوانها « جان دارك والمانيا »

ومع « ل · بلواه » ، نترك عالم الادب الخالص ، وندخل عالم التاريخ ·· كان الكاتب قد بدأ دراسة عن جان دارك قبل حرب ١٩١٤ ·

كان ينوي ، باستناده الى هذا المثال المميز ، ان يثبت مرة اخرى صحة رؤياه للتاريخ · ونشبت الحرب

التي كان قد اعلن عنها مرارا · وكان ينتظرها بشيء من نفاد الصبر · لكنها اشاعت الاضطراب فيه اكثر مما

اشاعته في غيره ، وجاءت الكارثة لتؤكد نبوءاته ، ولم تأخذه على غرة كما فعلت مع كثير من معاصريه ·

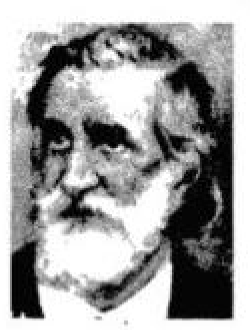
واتخذ كل ما كان صورا متخيلة شكل الاحداث الحقيقية · وبالتالي ، طرا على الكتاب الذي بداه « ل بلواه »

تغييرا عميقا · فمزج الموضوع التاريخي بالتعليق على الحرب · واشتمل على تفسير مبتكر لمهمة جان دارك ·

صحيح انه تأثر ببساطة البطلة التي يعد مجيئها معجزة · صحيح ان الاعجاب تملكه ـ كما سبق ان فعل « بيجي » ـ اذ رأى العلم والمقدرة يتقمصان فجأة لدى هذه الشابة الجاهلة

•• وعرف كيف يســـــتخدم النبرة الحنون للحديث عن هذه المعجزة ، وابراز الروابط التي نشأت بين جان وشعب فرنسا ، بالرغم من عدم ثقــة الشخصيات الكبيرة فيها • لكن نزعته الروحانية جعلته يلقى على قصــــة العذراء ضوءا خاصا • فلم يفته ان يربطها بأفكاره المعتـــادة عن المرأة ونهاية العالم • كان لابد ان تظهـر جان فى لحظة معينة لكى يلتقى بلدها بمصيره الطبيعى •• لكنها تلعب ، فى الوقت نفسه ، دور المؤشر والدليل ، كان « ل • بلواه » موقنا ان كل شيء فى التاريخ يتم على يدى المرأة ، واكد ان جان دارك ، كما رآها ، اشـــارة محسوسة الى « صراع البشر والشياطين وانتصار البشر »

وبعد « ل • بلواه » اوجه الشبه عابثا من وجهة النظر هذه • فيقول ، على سبيل المثال ، ان جان ماتت محروقة لانها كانت على صلة بالنار ، رمز الحب الرهيب •• وجدير بالذكر ان النار ، فى مؤلفات بلواه ، ترمز فى ان واحد الى احتراق النفوس التى وصلت الى اعلى درجات التـــامل ، والحريق الذى سيحول العالم عندما تحل نهايته • لكن هـــذه التعليقات الجريئة تمنع « ل • بلواه » من ان يرى واقع جان دارك كمخلوقة متواضعة



فيردى : اوبرا التالية استوحاها من بطـــولة جان دارك

••• باختصار ، فان كتاب « ل • بلواه » يعد نظرية روحية بمناسبة الحديث عن لحظة تاريخية بعينها •

***

والدراما التاريخية التى كتبها ج • برنارد شو ـ ستة فصول وخاتمة ـ من أشهر الاعمال الادبية التى تناولت قصة البطلة القديسة • مثلت المسرحية لاول مرة فى نيويورك عام ١٩٢٣ ، ونشرت عام ١٩٢٤ • تغلبت البطلة على شكوك الضـــباط الفرنسيين ، وجعلتهم يقودونها الى شـــارل ، ملك فرنسا الذى لم يتوج بعد • وتنتزعه من كســـله المشين ، وتجعله يأذن لها بقيادة الجيش الفرنسى وتحـــرير اورليان • ثم تحث « دونوا » على خوض المعركة التى تســـلم المدينة للفرنسيين • ويرى الانجليز والحـــزب البورجينيونى فى جان دارك خطرا ، لا على قضيتهم فحسب ، بل على سلطة كبار الاقطاعيين ايضـــا ، ما دامت لا تعترف بضرورة وجود سـلطة بين الله والشعب • فضلا عن ان الحديث عن القوى الوطنية قد بدا فعلا •

من ناحية اخرى ، يحس « كوشون » اسقف بوفيه ، نوعا من الهرطقة عند جان ، ما دامت ترفض الوساطة بين الله وبينها •

وهكذا يتحالف اعداء العــذراء السياسيين مع من يعادونها لاسـباب دينية ، وبعد تتويج الملك شارل السابع فى كاتدرائية « رانس » ، لا تعتبر ان مهمتها قد انتهت • وتود ان يواصل الفرنسيون الحرب ، لكن رغبتها لاتجد صدى عند الاخرين فهى لا ترى من حولها الا اللامبالاة ، والجبن ، ونكران الجميل • ولو انها سقطت بين أيدى



بطلة وقديسة

الاعداء ، لما اهتم بها احد ، لا الملك الذى لم يعد لديه مال ، ولا الجيش الذى تشغله اهتمامات اخرى ، ولا الكنيسة التى تتهمها بالكفر . لذا ، يبيعها البورجينيون للانجليز ، بعد اسرها، وبعد شهور امضتها فى الاسر، يحاكمونها امام محكمة التفتيش .

وتبين القضية الفرق بين حسن نية المحكمة ، بل حسن نية « كوشون » نفسه ، ورغبة الانجليز الاكيدة فى تحويلها الى جريمة قتل سياسية تتخفى تحت ستار الدفاع عن الدين ، والمتهمة هنا انسانة جاهلة . بسيطة ، محبة لوطنها ، مؤمنة ، رشيدة ، ومع هذا ترد على قضاتها بطريقة تسىء اليها . ويحاولون انقاذها من عذاب النار ، فيطلبون منها ان توقع وثيقة تعدل فيها عن اعترافاتها . وتوقع جان . لكن ، عندما تعلم انهم سيحكمون عليها بالسجن المؤبد ، تمزق الوثيقة . فهى لاتستطيع ان تتنازل عن رؤية السماء، والحقول ، والازهار ، والتجول مع جنودها فى السهول وفوق التلال . وتقاد الى المحرقة .

هنا ، ينبغى ان تنتهى المسرحية . لكن الكاتب يضيف اليها خاتمة خيالية .. لقد مضت خمس وعشرون سنة على وفاة جان . ثم نراها تظهر للملك فى الحلم ، تصحبها اشباح الذين مثلوا الادوار الرئيسية فى المسرحية . وتعلن شخصية تنتمى الى عصرنا عن تنصيب جان قديسة . فينحنى الجميع امامها ، ويهتفون لها لكن ، عندما تسال هل ستبعث وتعود الى العالم ،يظهر عليهم الاضطراب ، وتستولى عليهم الدهشة . فتبقى وحدها وتقول : « يا الهى ، يا من خلقت هذه الارض الجميلة ، متى تستعد لاستقبال قديسيك ؟ »

وقد حاول شو ايضا ان يصور البطلة على انها امراة عادية ، لا قديسة ، فلاحة بسيطة ، جاهلة ، ترى الاشياء كما هى ، لا كما يريد ان يراها الجنرالات والاساقفة . وجو المعجزة الذى يحيط بالفتاة لا ينتج عن نور سماوى او خدعة مقصودة : تميل جان الى تجسيد دفعاتها الخاصة، واعتبارها اصوات بعض الكائنات الغامضة التى تسدى النصح اليها . وهى اول من يؤمن بالمعجزة .

يقول شو ان لكل عصر خرافاته والخرافات العلمية ليست اكثر تكام او تطورا من الخرافات الدينية. ويحصى فى مقدمته الشهيرة ، كل المعتقدات التى نشرتها الحضارة البورجوازية فى القرن التاسع عشر والعشرين .

هذا هو المفهوم الاساسى لتفسير

شخصية جان دارك . ويرى فيها «شوء اولا وقبل كل شيء ، تعبيرا خالصا عن تلك الحيوته البدائية التي تسير قدما نحو هدفها ، غير آبهة بالابنيـــة الاجتماعية . فضلا عن ان جان تبدو عنده وكأنها تمهد للنوعين من الهرطقة تميزت بهما نهاية العصر الوسيط .

ونختتم جولتنا بصورة لجان دارك ربما بدت غريبة الى جانب الصـــور التي رأيناها حتى الان ونقصد بهـا « جان دارك » التي كتبها بريخت فيما بين١٩٢٩ و ١٩٣١، وقدم فيها محاكاة تهكمية « لعذراء أورليان » . عبثـا ضحت جان المتشـــــة الى جيش السلام « عندما حاولت ان تمد يد العون الى العمال ، وتعرف من المسئول عن البطالة والفقر والبؤس . وتقوم بجهود تجعلها تربط بين مستويات المسرحية الثلاثة : جزار وشيكاغو ، و « جيش السلام » ، وجماهير العمال .. لقد ظنت أنها قادرة على التأثير على زعيم الجزارين الذي يستمع اليها ويتظاهر بالعمل للصالح العام ، بينما يتلقى أوامره من « وول ستريت » في الواقع .. ويتلاعب بالسوق . وما تبذله جان من جهد يميزها عن « جيش السلام » الذي ينادي بعدم التدخل بين العمال وأصحاب العمل وفي الخضوع للنظام القائم . وتلحق جان بالعمال. في المرة الاولى ، لا تقدم للعاطلين منهم الا الحساء والوعظ والارشاد . وفي المرة الثانية تشهد فساد الفقـراء وتدرك أن حطتهم مرجعها البؤس ، وفي المرة الثالثة ، تشارك العمال في معركتهم. لكنها تفشل في مهمتها لانها ترفض العنف .

ولنشر ، في النهاية ، الى حركات اساسية تعد علامات على الطريق الذي سارت فيه جان ، من هذه العلامات ، الاحسان ، قوة البصيرة ، فهي تتجه الى زعيم الجزارين مباشرة كما اتجهت جان دارك من قبل الى الملك مباشرة ... ومنها العزم : فهي تخلع ثيـاب « جيش السلام » ، وتلبس زي الفلاحة، بعكس ما فعلت جان دارك . لكن حركةصغيرة لم تستطع السيطرة عليها، قد اثبتت أنها مجاهدة سيئة .. تلك الحركة هي ارتجاف جسدها عندما تمر بتجربة البرد . مما يجعل احدى العاملات تقول لها :

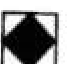
« أنت لا تفهمين شـــيئا لانك لم تمكثي فترة كافية هنا ، في البرد » .

***

هكذا تخطت جان دارك حاجـــز الزمن . هكذا ظلت حقيقتها اسطورة تنتشر وتزداد شعبية . ولقد تناولها كل عصر من خلال الفنون التي ازدهرت فيه . حتى القرن التاسع عشر ، تألقت في القصيدة . ثم التقطها المسرح وما زال . ولم تنسها السينما أيضا . ولعل الكثيرين يذكرون فيلمين عالميين .. احدهما مثلته الممثلة العالميـــة انجريد برجمان ، والاخر اخـــرجه المخرج الدانمركي الكبير كارل دراير ولم تنسها الموســيقى . ويكفي ان نذكر ان الموســيقار الكبير فيردي كتب عنها أوبرا غنـــائية (١٨٤٥) تألق فيهـــا وجه البطلة القديســـة ...

● ماهر قنديل ●

فلورنس نيتنجيل أعطت حياتها لأنبل الأهداف الإنسانية



كانت المستشفيات بانجلترا في منتصف القرن التاسع عشر شيئا بالغ البشاعة .

رائحة المستشفى الكريهة هي أول ما يلقاك منه .. لا تكاد تستقبل باب أحد العنابر حتى تصفعك رائحته بالغثيان ، واضطراب الاحشاء . ولا تكاد تتقدم قليلا حتى ترى الاسرة وقد تلاصقت ، وارتفع من بينها صخب المرضى وأنينهم .. كان الالم يطحنهم ولا من مجيب ، وكانت المشاجرات تنشب بينهم ، فلا يفضها في كثير من الاحيان الا رجال الشرطة !

وكان من المألوف الا يستطيع المريض ان يغتسل بالماء . كان يأتي الى المستشفى قذرا ، ويبقى فيه كما دخله ، ان لم يكن الى حال أسوأ . وكان يغطى جسمه بالاسمال التي يتناقلها المرضى ، الواحد بعد الاخر ، دون تنظيف او تعقيم .

والى جانب ذلك كانت سمعة المرضات في الحضيض .

كتبت « نيتنجيل » نفسها تقول :

« كان من الافضل ان تكون المرضات من النساء اللاتي نبذهن المجتمع » .

وكانت المرضة تنام في العنبر الذي تشرف عليه .. وهكذا كانت تختلط



بكل المقاييس ستظل الانسة .. فلورنس نيتنجيل .. عظيمة بين العظيمات اللاتي يفخر بهن جنسنا البشرى فى كل زمان ومكان .
لقد اعطت حياتها الطويلة المباركة فى سخاء ليس بعده سخاء للانسان . كل انسان ، رجلا كان او امرأة ، طفلا او شابا ، صبيا او شيخا .. فكل انسان عرف المرض ، ودخل المستشفى ، ولقى الرعاية والعناية على يد ممرضة تلبس الثياب البيضاء ، مدين لـ « فلورنس نيتنجيل »القديسة التى نهضت بمهنة التمريض من الحضيض الذى كانت عليه فى ايامها الى القمم الرفيعة التى بلغتها فى ايامنا ...

بالرجال ذلك الاختلاط المشين الذى ظلت ذكراه تطارد هذه المهنة النبيلة حتى اليوم !
وفى هذا الميدان الصعب اتخذت « فلورنس نيتنجيل » ارض معركتها .
وكانت معركة غير متكافئة ..
هى وحدها فى جانب .. والاسرة والمجتمع بما لهما من تقاليد راسخة وقيم ثابتة ، فى الجانب الاخر .
وظلت المعركة مشبوبة اللهب مستعرة الاوار ، سنوات وسنوات ..

ولو ان « فلورنس » كانت فتاة عادية لاستسلمت للقوى العاتية التى تحيط بها ، والظروف المعوقة التى تطوق حياتها . ولكنها كانت من ذلك الطراز الذى خلق للرسالات الكبرى .
الايمان الذى لا يتزعزع . والارادة المصممة التى لا تعرف الهزيمة ولا الاستسلام .

ودخلت المعركة متسلحة بايمانها وعلمها وخبرتها ، وكتب لها النصر .
واصبحت مهنة التمريض من اقدس المهن التى يقوم بها الانسان ، واحتلت المرضة مكانتها المرموقة بين العاملات من بنات جنسها فى كل مكان .
ولكن .. ما هى القصة من اولها ؟

فى فلورنسا

اذا كان الانجليز اليوم لا يجدون غضاضة فى اطلاق اسم « فلورنس » على الفتاة الانجليزية ، فان هذا لم يكن شيئا مألوفا فى سنة ١٨٢٠ ، حينما ولدت فتاتنا الجميلة .
لم تكن فتاة قبلها فى بريطانيا تسمى بهذا الاسم .
ولقد كانت تسميتها فى الواقع بنت الظروف التى ولدت فيها ..
لقد كانت امها « فانى » وابوها « وليم نيتنجيل » فى رحلة يتجولان فيها فى ارجاء اوربا . وكانت اوربا فى ذلك الوقت ، اى فى عام ١٨٢٠ ، لا تزال تحتفل بالحرية التى جاءت فى اعقاب حروب « نابليون » . وكان صدى هذه الحرية فى نفوس الكثيرين هو الرغبة فى التغيير . وكان السفر والتنقل بين بلاد القارة هما بعض اشكال هذا التغيير .
وكانت « فانى » . فى تلك السنة حاملا للمرة الثانية . وضعت فى المرة الاولى فتاة سمتها « بارثينوب » نسبة الى مكان مولدها باليونان .
وفى هذه المرة اختارت مدينة

فلورنس نيتنجيل

أعطت حياتها لأنبل الأهداف الانسانية

« فلورنسا » بايطاليا لتكون محلا لاقامتها فى اثناء حملها الثانى . فقد كانت « فلورنسا » معروفة بين مدن اوربا بانهـا اكثرها مرحا وادخالا للبهجة على النفوس .

وما كاد يحل اليوم الثانى عشر من شهر مايو سنة ١٨٢٠ ، حتى وضعت الام مولودها الثانى ، وكان فتاة لم تتردد فى اطلاق اسم المدينة عليها ، فسمتها « فلورنس » .

ومضت السنوات ، واصبح الاسم الشاذ فى ذلك الحين ، اسما لعشرات الالوف من الفتيات الانجليزيات وغير الانجليزيات ، اكبارا لصاحبته ، واجلالا لنضالها من اجل الانسان .

الاب والام

وحين جاءت « فلورنس » الى عالمنا كانت امها « فانى » فى الثانية والثلاثين ، واضحة الجمال ، موفورة الصحة ، سخية متدينة ، سيدة مجتمع لامعة ، تعرف كيف توفر اسباب الراحة للناس ، عبقرية فى ادارة منزلها وترتيبه ، واعداد الولائم الفاخرة والحفلات الصاخبة التى تضم علية القوم فى المجتمع الانجليزى .

وكان ابوها من زعماء المنادين بالغاء الرق ، والمناضلين عن عمال المصانع الكادحين .

وفى سن الثلاثين تعرفت على « وليم ادوارد نيتنجيل » ، وكان فى الرابعة والعشرين من عمره ، زميلا لاخيها الاصغر « اكتافيوس » فى المدرسة . اما « وليم » فقد كان فى شبابه فارع الطول واضح النحافة . وكان من خريجى « كامبريدج » . وقد عرف بسرعة بديهته ، وسعة ثقافته ، وحسن منظره ، ودماثة طبعه . وقد كان من هواة الفنون ، جمع الى ثرائه ذوق الفنان وتكاسله وسحره .

وفى سنة ١٨١٧ تمت خطبته لفانى وبعد ستة اشهر تزوجا ، وابحرا من انجلترا فى رحلة الى اوربا حيث قضيا ثلاث سنوات فى ايطاليا .

وكان من اهداف « وليم نيتنجيل » ان يصبح احد سادة الريف الانجليز ، فكان يسلك سلوكهم .. يصطاد الطيور والاسماك والحيوانات ، ويسهر على مستاجرى املاكه ، وكان من بين الاحرار ، ينادى بالاصلاح البرلمانى .

كتب الى زوجته « فانى » سنة ١٨٣٠ : « لشد ما ابغض المحافظين . ان معبوديهم هما الخمر والمال » .

وقد رشح « وليم » نفسه ليكون عضوا فى مجلس العموم عن دائرة « اندوفر » سنة ١٨٣٥ ، ولكنه فشل فى الانتخابات .. لانه رفض أن يرشو الناخبين ! وهكذا انصرف عن السياسة الى الادب والعلم . وكانت له مكتبة كبيرة فى بيته ، كثيرا ما كان يقضى فيها اوقات فراغه .

وما كادت « فلورنس » تبلغ السادسة عشرة حتى كانت رفيقة ابيها فى مكتبته . فى حين كانت « بارثينوب » اختها الكبرى رفيقة امها فى غرفة الاستقبال

فتاة مرهفة

والحقيقة ان « فلورنس » كانت اجمل من شقيقتها ، كانت طفولتها

تبشر بحسن يفوق المعتاد ، دقيقة التكوين ، رشيقة القوام ، ذات شعر كستنائي لامع غزير ، وقسمات مرهفة رقيقة .

ومع انها قد قضت طفولتها في اللهو والمرح .. فكانت تلعب في الحدائق ، وتركب الجياد الصغيرة ، وتقتني العديد من الكلاب والقطط والطيور ، الا انها ما كادت تكبر قليلا حتى كشفت عن طبيعة متقلبة ، شديدة الانفعال .. كانت تقبل على الحياة الاجتماعية بكل ما فيها من حيوية وتألق ، ثم سرعان ما تلوذ بالعزلة مكتئبة حزينة . كتبت في مذكراتها تقول : انها في سن السادسة احست ان حياة القصور التي تحياها حياة بغيضة ، وليس لها في نفسها سوى الاحتقار .

ولعل رهافة حسها قد جاءتها من عدوى العصر التي انتشرت بين سيدات الطبقة الراقية في انجلترا واوربا ، وكانت ثمرة من ثمرات الحركة الرومانسية في ذلك الوقت . فقد كان المثل الاعلى لسيدات هذه الطبقة ان يسلكن سلوك بطلات « بايرون » و « شاتوبريان » .. كن يطلقن لعواطفهن العنان بسبب التافه من احداث الحياة اليومية . فعناد طفل ، او عدم وصول خطاب مرتقب ، او سوء تفاهم مع صديق ، مثل هذه الاحداث العادية كان كافيا لان يدفع السيدة او الفتاة الى نوبات من الاغماء او الحركات العصبية .

وكانت النساء يفاخرن بكونهن شهيدات لحساسيتهن المفرطة .

ومع ان « فلورنس » كانت ذات عقل يتميز بالصفاء والواقعية ، فانها كانت عاطفية تميل الى الاسراف في الكشف عن حساسية بالغة ، على سنة العصر ، او « موضته » ..

هاتف السماء

وبينما كان « وليم نيتنجيل » يستعد للسفر الى اوربا ، للترويح عن بنتيه ، ولزيادة معرفتهما ، واعدادهما للمستقبل الذي ينتظرهما بين الطبقة الارستقراطية الانجليزية ، اذ بالآنسة « فلورنس » تتلقى دعوة سماوية .

قالت في مذكرة خاصة من مذكراتها الكثيرة التي سجلت فيها خواطرها واحداث حياتها :

« في السابع من فبراير عام ١٨٣٧ دعاني الله سبحانه لخدمته » .

ولم تكن الفتاة قد اتمت السابعة عشرة من عمرها ..

والذي تؤكده « فلورنس » اكثر من مرة في مذكراتها ان الدعوة لم تكن مجرد وحي باطني . وانما كانت شيئا محسوسا . ادركته باذنيها . صوتا يأتيها من خارج نفسها ، ويخاطبها بألفاظ بشرية .

وقد قيل ان هذا الصوت ليس سوى مظهر من مظاهر احلام اليقظة الذي يكثر وقوعه في سن المراهقة ، ولكن « فلورنس » تنفي هذه الفكرة بعد ذلك بأربعين عاما . فقد كتبت عام ١٨٧٤ تقول : « ان الاصوات خاطبتني خلال حياتي اربع مرات : مرة في اليوم السابع من فبراير سنة ١٨٣٧ ، وهو تاريخ دعوتي . ومرة عام ١٨٥٣ قبل ان اتوجه لاشغل اول مركز لي بمستشفى السيدات الفقيرات بشارع هارلي ، ومرة قبل حرب القرم عام ١٨٥٤ ، ومرة بعد وفاة سيدني هربرت عام ١٨٦١ » .

والحقيقة ان حيرة الفتاة كانت بالغة .

كان هاتف السماء يدعوها الى خدمة الله . ولكن اى خدمة تستطيع ان تقوم بها ؟ .

ان حالتها تختلف عن حالة « جان

فلورنس نيتنجيل

أعطت حياتها لأنبل الأهداف الأنسانية

دارك » ، فجان قد عرفت ما يراد لها منذ اول لحظة ، وهو تحرير بلادها من الانجليز · اما « فلورنس » فلم تكن تعرف شيئا عن حقيقة رسالتها ·

واوشكت هذه الحيرة ان تدمر نفسها ، لذلك لاقى اقتراح أبيها بالسفر الى أوربا ترحيبا منها · وفى ايطاليا استمتعت كل الاستمتاع بالطبيعة الجميلة، وعرفت فى نفسها ميلا حقيقيا الى الموسيقى · كما اصبحت حرية ايطاليا من اهم القضايا التى تشغل فكرها ، بل انها تحولت فى نظرها الى تجسيد للصراع بين الخير والشر ·

وفى باريس ترددت على الصالونات الادبية ، وسمعت « شاتوبريان » فى احدها وهو يقرأ مذكراته ·

فلورنس والحب

اما عن قلب الفتاة ، فقد بقى مغلقا دون الحب الجارف العميق الذى تعرفه الفتيات فى مثل سنها لاحد افراد الجنس الاخر ·

واذا كنا نجد لديها ميلا الى ابن خالتها « هنرى نيكلسون » فلم يكن هذا الميل فى الواقع الا وسيلة للابقاء على علاقتها باخته « ماريان » · فقد كانت « فلورنس » تحب هذه الفتاة من كل قلبها · كتبت ذات مرة تقول : « لم أحب قط فى حياتى بمثل هذه العاطفة القوية غير واحدة هى ماريان » ·

وعندما طلب منها « هنرى » ان تحدد موقفها منه اخبرته بانها لا تفكر فى الزواج · وانتهى الامر الى القطيعة مع صديقتها « ماريان » · بل ان الامر لم يقف عند هذا الحد ، فقد انقطعت العلاقة بين الاسرتين · ولقيت « فلورنس » من المتاعب النفسية بسبب قطيعة « ماريان » ما انهك قواها ، وارق لياليها ·

ومضت الايام ··· وبدا ان الجراح قد بدات تلتئم ، ولكن الايام كانت تدخر عاصفة اخرى لتهب على القلب الذى اوشك ان يغلق ابوابه فى وجه الحب ··

ففى احدى امسيات مايو سنة ١٨٤٢ قدمت « فلورنس » الى « ريتشارد مونكتن ميلز » فى حفل عشاء اقامته اسرة «بلمرستون» · وكان «ريتشارد» من نجوم المجتمع الانجليزى فى الثالثة والثلاثين ، مولعا بالادب والشعر ·· كان اول من جمع ونشر ديوان الشاعر الانجليزى المعروف « كيتس » ، وكانت وجبات الافطار التى يقدمها فى بيته ذائعة الصيت · سئل « كارليل » ذات يوم عما يتوقع حدوثه عند عودة السيد المسيح فاجاب : سيكون اول شىء يتلقاه دعوة من مونكتن ميلز لتناول طعام الافطار على مائدته ! وقد كانت نزعاته الانسانية معروفة لكل من عرفه او اتصل به ·· احب الاطفال ، وبذل الكثير من الجهد لتحسين معاملة صغار المجرمين ، واليه يرجع الفضل فى اعداد اصلاحيات خاصة بهم ، تبعدهم عن كبار المجرمين ·

وقد هام « ريتشارد » بفلورنس حبا

•• وقد كانت تحس بشيء من الصدى لهذا الحب فى قلبها ، ولكنها كانت تفكر فى الرسالة التى اختارها لها قدرها ، وكانت تعتقد ان الحياة التى ستحياها مع « ريتشارد » لا بد ان تقف فى طريق هذه الرسالة • فرفضت عرضه للزواج منها •• وتعرضت مرة اخرى للسخط الشديد من اسرتها •

دراسة التمريض

وفى ربيع سنة ١٨٤٨ اشرقت عليها المعرفة بأن مهمتها منوطة بالمستشفيات بين المرضى •

وقد كتبت فى مذكراتها الخاصة : منذ بلغت الرابعة والعشرين لم يكن هناك أى ابهام فى خططى أو آرائى فيما يتعلق بالعمل الذى اخترت لاقوم به ••

وفى هذه الفترة التقت بدكتور « صموئيل هاو » وهو امريكى محب للانسانية • كان فى زيارة انجلترا فى ذلك الحين ، وعندما التقت به « فلورنس » ، ارادت أن تستمد منه شيئا من الشجاعة والتشجيع • فسألته :

ـ دكتور هاو •/• أتظن انه من غير المناسب وغير اللائق بفتاة انجليزية ان تكرس حياتها للاعمال الخيرية بالمستشفيات وغيرها ، كما تفعل الاخوات الكاثوليكيات ؟ أتظن هذا سيكون امرا رهيبا ؟ ••

فأجاب دكتور « هاو » :

ـ يا عزيزتى الآنسة نيتنجيل •• سيكون الامر غير عادى ، وكل ما هو غير عادى فى انجلترا يظنه الناس غير لائق ، ولكنى أقول لك ـ سيرى قدما ـ اذا كان لديك عمل تؤدينه فى هذا السبيل • واستلهمى ضميرك ، وعندئذ ستجدين انه ليس ثمة شيء قط غير مناسب أو لا يليق بالسيدات • ومادمت تقومين بواجبك لصالح الآخرين ، فتخيرى ما تشائين ، وسيرى على ضوئه الى حيث يقودك • والله معك •

وكان الوهم السائد فى جميع انحاء العالم ان المؤهل الوحيد الضرورى للعناية بالمرضى هو الانوثة •

وحتى « فلورنس » نفسها كانت تعتقد ـ تحت تاثير هذا الوهم ـ ان كل ما يحتاجه المريض للتخفيف من تعاسته هو الرقة والتعاطف والطيبة والصبر • ولكنها سرعان ما ادركت بعد خبرتها القصيرة فى تمريض بعض المرضى من افراد الاسرة أن المعرفة والبراعة الفنية هما وحدهما اللتان تخففان الالم وتوفران الشفاء ، ولذلك رأت من الضرورى لها ان تتعلم كيف تقوم بالتمريض • ولذلك فكرت فى الذهاب الى مصحة « سلسبرى » ، وكانت لا تبعد كثيرا عن محل اقامتها • ولكنها ماكادت تعلن عن رغبتها حتى ثارت امها ثورة عارمة واتهمتها بأنها على علاقة « يندى لها الجبين » علاقة حب خفية مع « جراح خسيس » • ووسط طوفان من الدموع كانت « فانى » ـ امها ـ تبكى حظها العاثر مع تلك البنت العاقة •• وكان ابوها يسائل من حوله : ألهذا المصير قد علم ابنة فاتنة ؟ •• أهذا ختام اللغة اللاتينية واليونانية ، والشعر والفلسفة ، وسياحة ايطاليا وثياب باريس ؟ •

والواقع ان اسرة « نيتنجيل » كانت معذورة • فصورة المستشفيات فى تلك الايام كانت تثير الفزع ، وسمعة الممرضات كانت تبعث الاشمئزاز والاحتقار •• فهل يمكن ان تقبل لابنتها المثقفة الجميلة مثل هذا المصير ؟

ولكن « فلورنس » على الرغم من ذلك كانت تعرف طريقها ، وتتبين هدفها فى وضوح •

بدأت تدرس تقارير المستشفيات سرا • كانت تستيقظ قبل الفجر ، وعلى

فلورنس نيتنجيل

أعطت حياتها لأنبل الأهداف الانسانية

ضوء الشموع كانت تدرس وتدون ملاحظاتها دون ان يشعر احد . فاذا دق جرس الافطار هبطت الى الطابق الاسفل لتتناول طعامها مع الاسرة ، وكأنها لم تغادر فراشها الا منذ لحظات .

وذات يوم اهداها « الشيفالييه بانزن » الكتاب السنوى لمؤسسة راهبات « كيسرزورث » بالمانيا .. فما كادت تقرؤه حتى أيقنت انه المكان الذى تنشده ، والذى تستطيع ان تتعلم فيه كل شىء عن التمريض .. واذا كانت هناك اعتراضات توجه الى عملها بالمستشفيات الانجليزية ، فان مثل هذه الاعتراضات لا يمكن ان توجه الى العمل بهذه المؤسسة .. فالجو الدينى ، وما يحف الراهبات من جلال يضفيان على العمل هناك قداسة لا تقترب منها الشكوك ، ولا تحوم حولها الشبهات .

ومع ذلك لم تستطع ان تذكر شيئا من خواطرها لامها .. ودار فى اعماقها صراع عنيف انتهى بها الى المرض . وهنا نصح بعض الاصدقاء لابيها وامها ان يصحبا معهما « فلورنس » فى رحلة استجمام لايطاليا .

وفى روما التقت « بسيدنى هربرت » وزوجته « ليزا » . وكانا من الع الشخصيات فى المجتمع الانجليزى . متمسكين بالدين ، جعلا حياتهما وقفا على مساعدة الناس ، وبخاصة الفقراء . وقد استطاع الزوجان بعد عودتهما الى لندن ان يكونا واسطة تعارف بين « فلورنس » وكثير من رجال السياسة والعلم واصحاب النفوذ فى الدولة . وقد ساعدها بالفعل بعض هؤلاء على تحقيق هدفها فى دراسة التمريض فذهبت الى المانيا وفرنسا ومقاطعات بريطانيا النائية .

وفى ابريل سنة ١٨٥٣ عينت « فلورنس » مشرفة على دار لتمريض السيدات .. ولكن تعيينها لم يتم الا بعد أنت على حسابها الخاص بوكيلة متقدمة فى السن ، حتى يكون هناك شىء من التوازن بين شيخوخة الوكيلة وشباب المديرة الصغيرة وحسنها المزعج الخطر !

وفى عملها الجديد اولت « فلورنس » المطبخ والغسيل معظم عنايتها ، فاثبتت بذلك حصافة ، ونظرة عميقة الى المشاكل الحقيقية التى تواجه مثل هذه المؤسسات .

وقد كان لها فضل عظيم آخر فى ادارة تلك الدار ، فقد فتحت ابوابها لكل النساء ، دون تفرقة بسبب الجنس او الدين . ومثل هذا الموقف كان يعد فى ذلك الحين عملا ثوريا تنبغى مقاومته .. وقد لقيت بالفعل معارضة شديدة ، ولكن النصر كان حليفها فى النهاية .

فى حرب القرم

واخيرا جاءت الفرصة الذهبية التى استطاعت فيها « فلورنس » ان تنتزع اعتراف الجميع .. الخصوم والاصدقاء بالدور الحقيقى للممرضة والتمريض .

ففي سنة ١٨٥٤ نشبت حرب القرم بين انجلترا وفرنسا وتركيا من ناحية وروسيا من ناحية اخرى .

وكانت انجلترا لا تزال منتشية بخمر النصر في « ووترلو » ، فدخلت المعركة على انها مجرد نزهة عسكرية .. ولكن ضحاياها من القتلى والجرحى فاقت كل ما كان يقدره الحالمون .

وقد ساءت حال الجرحى في المستشفى المركزي الذي انشأه الجيش الانجليزي بسكوتاري قريبا من البسفور .. وكان « سيدني هربرت » قد عين في ذلك الحين وزيرا للحرب ، وهو صديق « فلورنس » منذ التقت به في ايطاليا ، فارسل اليها يهيب بها ان تتجه على رأس فريق من الممرضات لتقدم خدماتها للهيئات الطبية العسكرية وتدخل نظام التمريض النسائي في الجيش البريطاني ، وكانت هذه اول مرة يعرف فيها الجيش هذا النظام .

وكانت « فلورنس » يومئذ في الرابعة والثلاثين ، تفيض حيوية وتتدفق نشاطا . وقد رأت ببصيرتها الثاقبة ان نجاحها في تلك المهمة سيكون رد اعتبار لمهنة التمريض ، ورفع شأن الممرضات .

والواقع ان [illegible] في « سكوتاري » كانت بالغة السوء ، فلم يكن يخطر ببال المسئولين ان الحرب تحتاج الى اسرة وادوية وملابس داخلية وضمادات واوان للتطهير والتعقيم . وهكذا ذهبت الجيوش الانجليزية لا يصحبها الا طبيب ضابط برتبة كبيرة وقليل من الاطباء الشبان وبضع الات للجراحة . لا حشايا للاسرة ولا وسائد ، ولا ملاءات ولا ملابس داخلية .

وكان الجرحى ينقلون من ميدان المعركة الى المستشفى العسكري على ظهور السفن . وكانوا ينامون على الخشب بلا ثياب ولا غطاء في معظم الاحيان .. وهكذا لقي عدد كبير منهم حتفه ، والقي به الى قاع البحر .

وعندما تصل السفينة الى الشاطيء كان الجريح لا يحمل على « نقالة » وانما يحمله زملاؤه الناقهون ، او يجرونه على سطح التل الذي اقيم عليه المستشفى .

اما المستشفى نفسه فكان اشبه شيء بالجحيم الذي يروي « دانتي » انه قرأ على بابه : ايها الداخلون ، ودعوا امالكم !

فالداخل - كما يقال - مفقود ، والخارج مولود .

ولم يكن نظام المستشفى يعرف شيئا عن استخدام المنشف والصابون والطسوت ، ولم يكن يعترف باشياء اسمها الاطباق وأدوات الطعام .

وكان من وراء هذا تراث عميق من الروتين الحكومي الذي لا يسهل التغلب عليه .

وقبل ان ترحل « فلورنس » الى ارض المعركة سالت عن مدى الاستعداد في المستشفى ، فطمانوها وقالوا لها ان كل شيء على ما يرام ! ولكن حاستها المرهفة هدتها الى شراء كمية هائلة من المؤونة والعقاقير من « مارسيليا » استطاعت ان تنقذ بها حياة الكثيرين .

ولم يرق نشاط « فلورنس » رئيس القسم الطبي ومعاونيه ، فوضعوا العراقيل في طريقها ، ولكنها لم تأبه بهم ، ومضت في خطتها المرسومة ، وتبرعت بسبعة الاف جنيه من مالها الخاص ، وساعدها المتحمسون لرسالتها من الانجليز ، فاشترت الملاءات والملابس الداخلية والاربطة والصابون . واستاجرت بعض المنازل لتعمل فيها زوجات الجرحى بغسل الملابس ورتقها .

ولم تكن مهمتها في المطبخ باهون من مهمتها في عنبر التمريض . اصطدمت بالروتين الجامد . كانت لائحة الجيش تنص على عدم تخليص اللحم من العظم ، كما تنص على تقسيم اللحم حسب الحجم ، وكل ونصيبه ..

فلورنس نيتنجيل

أعطت حياتها لأنبل الأهداف الانسانية

قد يصيب هذا قدرا كافيا من اللحم في حين يكون نصيب الآخر من العظم الخالص ! ولا شيء من ان يموت الناقه بسبب سوء التغذية .. ولم تلتزم « فلورنس » باللائحة ، وفرضت وجهة نظرها على المعارضين .

ورغم صرامة « فلورنس » وحزمها في معاملة الجرحى ، فانهم كانوا يلمسون فيها حرارة الاخلاص ونبل الهدف ، فكانوا يحترمون توجيهاتها ، ويمتثلون لاوامرها ، ولا يسمحون لانفسهم بتبادل الالفاظ النابية التي كانت شيئا مألوفا بينهم .

وهكذا لم تنقض على وصولها ستة أشهر حتى كان كل شيء في المستشفيات المركزية على ما يرام .. فنقلت نشاطها الى مستشفيات الميدان المتنقلة .. وكانت مهمة بالغة الصعوبة .. واصيبت « فلورنس » بالحمى وأوشكت على الموت . وبعد شفائها نصحها الاطباء بالعودة الى لندن ، فأبت الا ان تبقى في « سكوتاري » .. وهناك لقيت من كيد رئيس القسم الطبي مايندى له جبين كل مشتغل بالطب او الجندية ..

طوبى للرحماء

وانتهت الحرب ولكن « فلورنس » لم تعد الى بريطانيا الا بعد اربعة اشهر من الصلح .

وعندما عادت واصلت كفاحها .. كانت تعقد الاجتماعات ، وتزور الملكة ، وتتردد على رئيس الوزراء ، وتشن الحملات على كبار الموظفين الذين يقفون في وجه الاصلاح ، وتكتب تقريرا في ثمانمائة صفحة عن مأساة « سكوتاري » ما زال يعد أوفى سجل لمشاكل التمريض في الميادين . وتحت تأثير نشاطها الذي لا يهدأ تألفت لجنة عليا لاتمام الاصلاح الذي كانت تنشده ، وانشئت مدرسة « فلورنس » لتخريج الممرضات .

وكان اسمها قد ملأ العالم كله ، واصبحت مستشارة عالية في شئون التمريض وهندسة المستشفيات واعدادها ، يطلب رأيها الالمان والامريكيون ، والفرنسيون والهنود . وظلت تعمل مستشارة فنية للوزارة البريطانية حتى بعد وفاة صديقها « سيدني هربرت » .

وقد كرمها امبراطور المانيا ، وكرمتها ملكة انجلترا ، فاهدتها ايقونة من الماس كتب عليها :

« طوبى للرحماء » ..

وماتت « فلورنس » في ١٣ اغسطس سنة ١٩١٠ ، وقد اوصت الا يقام لدفنها اي احتفال . وامتثلت الحكومة البريطانية لوصيتها ، فلم يحمل نعشها سوى ستة من جنود الجيش . ولم يكتب على قبرها سوى كلمات معدودات : (ف . ن ــ ولدت في ١٨٢٠ وتوفيت في ١٩١٠) ..

وهكذا ودعت الدنيا قديسة وهبت نفسها لانبل الاهداف الانسانية ، فاحتلت مكانها الرفيع في امجد صفحات التاريخ التي يعتز بها كل انسان . وطوبى لروحها بين الخالدين ...



صباح

• الحبيب شيوب •

آذن الليل بالرواح فاسكبى اللحن يا«صباح»
واعيدى واصدحى طال شوقى الى الصداح
وامنحى خافقى الرضا .. انخنت خافقى الجراح
انما انت كوكب فى دواجى الهموم لاح

وعلى الحب بلبل دون شدوه البطاح
وخيال مجنح .. يعجز الالسن الفصاح
جال فى ذهن شاعر وهب العمر للملاح
عاش ماعاش مغرما ما على مغرم جناح

حسبه ان قضى سهرة وكلها انشراح
الهوى يغمر الجوا نح ، والحسن مستباح

فتولت شجونه وامحى الهم ، فاستراح
قل لحيران مدنف زعزعت فلكه الرياح

اغنم الانس ، انه قدر عابر متاح
واطرح عارض الاسى فالاسى ان تشا نزاح
لذة العيش صفوه لا تضيعه فى النواح

• ونس • • الحبيب شيوب •

هيلين كيلر
أعظم رمز للإرادة الإنسانية



رغم أنها كانت مكفوفة البصر والسمع واللسان ، فلم تيأس ، وانطلقت العالم بانتصارها على الظلام والصمت والعزلة ... العالم المظلم الصامت الذي عاشت فيه لم يسحق روحها الكبيرة لحظة واحدة ، ولم تضق به يوما ، ولم يكسر ابدا شوكة حماسها وايمانها بالحياة .. قرأت أكثر من أي مبصر ، وتمتعت بالموسيقى رغم الصمم ، وقهرت البكم .. كانت تبدأ برنامجها التليفزيوني الاسبوعي قائلة : « انا عمياء ولكنني ابصر .. انا صماء ولكنني اسمع » حتى لقد أصبحت اعظم رمز للارادة الانسانية ، « واعظم شخصية في هذا القرن » كما قال عنها مارك توين .. و « آية من آيات الله العلي القدير » كما قال الدكتور طه حسين .

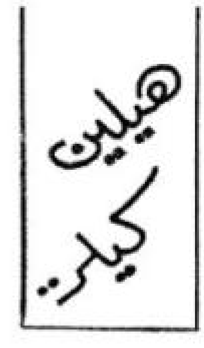


ولدت هيلين كيلر سوية مثل جميع الأطفال الاسوياء . لم يكن في حواسها اي قصور : فقد بدأت تنطق في شهرها السابع ، ومشت في سن مبكرة .. كانت كتلة من الحيوية والنشاط ، تجري وراء الفراشات المتعددة الالوان ، وتحاول الامساك بظلال الاشجار وهي تتلاعب على وجه الارض كلما هزت الريح الاغصان .

وفجأة اصيبت بالحمى القرمزية ، وحين سكنت الحمى فجأة كما بدأت ، لاحظت امها ان عيني الابنة لا تطرفان عندما تقوم بتنظيفهما في الحمام ، وعرفت من الطبيب ان ابنتها فقدت البصر .. ثم لاحظت ان الطفلة لا تستجيب لرنين الجرس ، ثم تبينت انها اصبحت صماء .. ولم يكن هناك مفر من ان تصبح بكماء ايضا ، وهي في الثالثة من عمرها ، فقد نسيت الكلمات القليلة التي كانت تنطق بها وعمرها سنة ونصف سنة !

تقول هيلين كيلر في كتابها « قصة حياتي » : « لست أذكر ما حدث لي في الشهور الاولى عقب مرضي ، كل ما اعرفه انني كنت اجلس في حجر امي ، واضم نفسي الى صدرها ، ويداي تتحسسان كل شيء ، وترقبان كل حركة ، وقد شعرت ان لا بد لي من وسيلة اتصال بمن حولي ، وعن طريق اليدين تعلمت أسلوبا جديدا في الحكم على الموجودات والتعرف عليها ، وباليدين ايضا بدأت اعبر عما اريد بطريقة فطرية .. وقد استعين بحركات الرأس للتعبير عن الرفض او القبول . وكم كانت أمي شجاعة حكيمة صبورا ، فقد واجهت حقيقتي بجلد وبدأت تعليمي » .

ونمت هيلين بسرعة ، وكانت قوية





صورة تذكارية .. هيلين كيلر فى زيارة للمتحف المصرى

البنية جميلة التكوين ، ولكن روحها المرحة كانت تنوب فى نوبات هياج شديد ، فقد كان فشلها فى افهام من حولها ماتريد ، يؤدى الى نوبات ثورية عارمة : كانت تلقى بنفسها على الارض ، وتطلق صيحات لا يمكن السيطرة عليها •

وكتبت هيلين بعد ذلك تقول : « كنت اشعر ان هناك أيادى خفية تمسكنى ، وكنت اجاهد بجنون لاحرر نفسى منها، فقد احسست اننى اختلف عن الاخرين ·· كنت الاحظ ان امى وصديقاتها يتفاهمن بتحريك شفاههن ، فحركت شفتى دون جدوى ، فغضبت وثرت ·· ورحت اصرخ دون ان يسمع احد صراخى ، الى ان ينتابنى التعب والارهاق فاسكت » •

وكانت الام الرقيقة تفزع من هذا السلوك العنيف ، الذى يتناقض مع الجمود الذى يصيب عادة اى طفل مثلث العاهات مثلها • وحين اوشكت امها على اليأس قرأت كتاب ديكنز « مذكرات أمريكية » ، ومن الكتاب عرفت قصة الصماء البكماء العمياء لورابريدجمان ، التى أستطاع معهد بركنز ان يفيدها ، وعلى الفور توجهت الام بابنتها الى المعهد ، فاوصى بأن تتولى تعليمها فتاة ايرلندية كانت قد تخرجت لتوها فى المعهد ·· هذه الفتاة هى آن سوليفان ، التى اصبحت فيما بعد رفيقة هيلين كيلر قرابة نصف قرن •

تقول هيلين كيلر : « كان اهم يوم فى حياتى هو يوم قدوم « آن » عندنا »

عندما وصلت آن سوليفان الى بيت هيلين ، اذهلتها هيئة الطفلة الجميلة، والذكاء البادى على وجهها ، وما كادت تهبط من العربة حتى هرعت اليها هيلين ، وتحسست ثوبها ووجهها ،

وحاولت ان تفتح حقيبتها ، واثارت ضجة على عتبة الباب عندما حاولت امها منعها ·· ولكن هيلين تقول غير هذا : « عندما اقبلت — آن — احسست بها تقترب منى ، فمددت ذراعى اليها، فحملتنى وضمتنى اليها فى حب وحنان ·· وركزت « آن » همها فى ان تعلمنى كلمة « لعبة » ، فاعطتنى احدى اللعب ، وراحت تخط على يدى حروف الكلمةمرارا وتكرارا حتى ضقتبذلك· والقيت باللعبة فتحطمت ، واحسست بشىء من الرضا لاننى تخلصت مما يضايقنى » ! ·

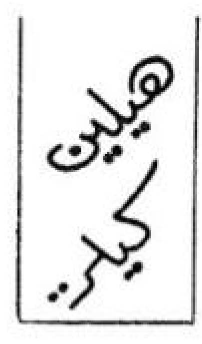
وكانت هذه اول معركة بين الطفلة ومعلمتها ، تبعتها معارك كثيرة ·· كانت معارك بين الارادات استغرقت عدة ايام ، كان الصراع فيها بدنيـا وعقليا فى آن معا ، وكثيرا ما اضطرت « آن » لامساك هيلين بقوة لاخمـاد مقاومتها العنيفة ·· وقالت « آن » فيما بعد : « كانت روحها القلقة تتلمس طريقها فى الظلام ، فاخذت يديها غير المدربتين ، غير القانعتين ، تدمر كل ما تلمسه ، فلم تكن تدرى ماذا يمكن ان تفعل بالاشياء غير هذا » ·

وبعد اسبوعين بزغ بصيص من الضوء ، خرجت « آن » مع تلميذتها الى الحديقة ، وراحتا ترطبان وجهيهما وايديهما بالماء البارد ، وبينما الماء يتدفق على يدى الطفلة اليمنى ،كانت « آن » تخط فى يدها اليسرى حروف كلمة « ماء » ·· وتصف « آن » هذه اللحظة بقولها : « يبدو ان الكلمة لاءمتها ، فقد جاءتها غريبة جـدا بسبب الاحساس بالماء البارد وهو يتدفق على يدها ، فالقت ، ناء على الارض، ووقفت كانسانة ماخوذة ، وما لبث وجهها ان اشرق بنور جديد » ·· اما هيلين فتصف هذه اللحظة بقولها : « لقد تكشف لى — فى هذه اللحظة — سر اللغة بطريقة ما ، وادركت عندئذ ان كلمة « ماء » تعنى ذلك الشىء البارد الرائع الذى تدفق على يدى ·· وايقظت هذه الكلمة روحى ، واعطتنى النور والامل والبهجة ، بل انها اطلقت روحى حرة ، وعدت الى البيت وانا اشعر بأن كل ما هو حولى ينبض بالحياة » ··

عادت هيلين الى البيت وقد اصابتها حمى من التأثر ، فاخذت تلمس كل شىء وهى تنتقل من مكان لاخر باحثة عن الاسم بطريقة ملموسة ، وخلال ساعات قليلة عرفت ٣٠ كلمة جديدة · ومن هذه البداية انطلقت الى الامام بسرعة مذهلة · تقول آن : « عندما كانت اصابعها تستقر على الاشـياء وتعرفها كانت تصـيح فى سرور ، وتحتضننى فى فرح طاغ » · وفى نهاية الشهر الثالث كانت هيلين تعرف ٤٠٠ كلمة وكثيرا من الاصطلاحات ، وفى ذلك الصيف استمرت « اللعبة » لعدة ساعات فى كل مرة !

واعادت « آن » تلميذتها الى معهد بركنز عندما بلغت الثالثة ، وهناك تفتح لها عالم جديد ، فقد وجدت كتبا كثيرة للقراءة بطريقة « برايل » ، ووجدت نفسها مع اطفال اخرينيعرفون الكلام بطريقة الايدى ، وسرعان ما كشفت عن قدرات مدهشة ، فدرست الحساب والجغرافيا وعلم الحيـوان والنبات ·

وفى نفس الوقت بذل والـداها مجهودات ضخمة للقضاء على صمم ابنتهما منها زيارة لخبير السمعيات ، المخترع المشهور الكسندر جراهام بل ، فىمعهده بمعهد معلمىالصمم، وتصف هيلين هذه الزيارة بقولها : « وضعنى « بل » على حجره ، وقدم لى ساعة جيبه ، فرحت اتحسسها باصـابعى كمانتى فى التعرف على كل شىء · وكانت ساعة ذات جرس ، فجعـل



الجرس يدق ، ولكنى عجزت عن سماع رنينه .. وظل يغمرنى بالعطف والرعاية ، ويواصل اجراء التجارب على اذنى .. ولكنه بعد قليل اعرب عن يأسه ، .. ولكن هيلين لم تيأس كما سيأتى بعد ، وحين زارته مرة اخرى بعد ان تغلبت على الصمم قال بل : « ان هذه الفتاة قدمت لنا درسا فى قوة العزيمة » ! .

***

كانت هيلين وهى فى العاشرة تقرأ فى نهم بطريقة « برايل » ، وتستطيع التخاطب بطريقة الابجدية اليدوية ، وفى ربيع سنة ١٨٩٠ سمعت عن الصماء البكماء العمياء النرويجية « راجنهيلد كاتا » التى تعلمت كيف تتحدث ، فأسرعت هيلين تكتب فى يد مدرستها عبارة : « اريد أن أتكلم » . وصحبت « ان » تلميذتها الى مدرسة هوراس مان للصم فى بوسطن ، فشرعوا يعلمونها كيف تستطيع ان تتحسس بيديها حركات الشفاه والفك الاسفل اثناء النطق . وكانت اول محاولة لها صوتا غريبا ، ثم صوتا قريبا مما صنعته المدرسة حتى انه بدا كأنه صدى له . وتقدمت هيلين بذكائها الفارق ، وبينما كانت عائدة فى الاوتوبيس الى بيتها بعد الدرس السابع ، التفتت هيلين الى « ان » وقالت فى همس اجوف : « اننى لست بكماء الان » !

وكانت تلك اول مرة تستخدم فيها الكلام فعلا فى نقل فكرة ما ، وقد تم ذلك بعد مرور شهر واحد على درسها الاول فى النطق . وتلقت هيلين احد عشر درسا فى المعهد ، ولكن تلك كانت مجرد بداية لكفاحها الطويل مع الكلام، فقد ظلت تعمل يوما بعد يوم لتحسين نطقها ، فكانت تكرر الكلمات والعبارات ساعات طويلة ، مستخدمة اصابعها لتحس بالذبذبات فى حلق ان سوليفان ، وحركة لسانها وشفتيها وتعبيرات وجهها اثناء الكلام . ولم تتوقف قط عن العمل على تحسين صوتها لكى تلقى كلمات امام الناس ، وتدير اغلب محادثاتها بالكلام المباشر .

ولاحظ المقربون اليها ان نطقها قد تحسن بصورة ملموسة وهى فى عقدها السادس .. وكان اتقانها الكلام اعظم نجاح فردى فى تاريخ التعليم .

مهرت هيلين الصماء بالبراعة فى قراءة الشفاه عن طريق الذبذبات : كانت تستطيع « سماع » ما يقوله الاخرون بوضع الاصبع الوسطى على الاذن ، والسبابة على الشفتين ، والابهام على الحنجرة . وبهذه الطريقة كانت هيلين تسمع ما يقوله الرئيس السابق فرانكلين روزفلت ، وبالطريقة نفسها سمعت اجمل فكاهات مارك توين .. واشعار كارل ساندبرج ، فضلا عن اعذب الالحان الموسيقية .

***

وكانت هيلين كيلر اول فتاة ذات ثلاث عاهات تلتحق بالجامعة ، ولكن

الكلية اثارت خيبة فى نفسها ، فرغم انها كانت تسير فى الدراسة على ما يرام ، الا انها كانت تفتقر الى الوقت للتأمل ، ولم يكن فى استطاعتها تدوين مذكرات خلال المحاضرات لان يديها كانتا مشغولتين « بالاســـتماع » ، فكانت عندما تعود الى البيت تدون

كل ما يمكنها تذكره ، وكانت تستخدم الة كاتبة بطريقة « برايل » لتسجيل المعلومات الخاصة بالجبر والهندســة

والطبيعة ، ولكنها كانت تكره الحساب، كما كانت الامتحانات كابوسا ، ولكنها كانت تجد متعة فى بعض العلوم ٠

ومع ذلك عملت هى ومعلمتها بحماس وطلبت كتبا كثيرة بطريقة برايل ، وظلت تقرأ حتى ادمت اصابعها ٠

وتخرجت هيلين بدرجة الشرف وهى فى الرابعة والعشرين من عمرها ، وتدفقت عليها الطلبـــــات من مختلف الاماكن لتحاضر وتروى تجربتها، فضلا عن طلبات الكتابة للصحف ٠ والفت هيلين عدة كتب ترجمت الى اكثر من ٥٠ لغة ، من بينها « قصة حياتى » ،

و « التفاؤل » ، و « دنيـــــاى التى اعيشها » ، و « من براثن الظلام » ، و « كيف اصبحت اشتراكية » ، فضلا

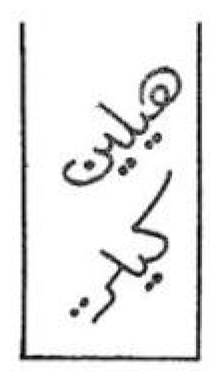
عن ديوان شعر « اغنية الحـــــائط الحجرى » وفيلم سينمائى عن قصة حياتها ٠٠ قامت بدور فيه ! ٠

وهيلين كيلر تتقن ٥ لغات (بطريقة الاشارة بالاصابع) ، وهى اول سيدة تحصل على درجة الدكتوراة الفخرية فى تاريخ جامعة هارفارد كله ٠ وقد كرست هيلين حياتها لدراسة مشكلات

مكفوفى البصر ، ومعاونتهم على الحياة الحافلة المثمرة ، ولهذا الغرض سافرت الى جميع بلاد العالم ، ومن بينهـــا مصر ، تلقى المحاضرات وتجمع المال

هيلين كيلر المعجزة ، مع د . طه حسين





لمساعدتهم .. وتحمل الامل والشجاعة الى الملايين .

ولم تقعد العاهات الثلاث هيلين كيلر عن ممارسة الرياضة ، فتعلمت السباحة .. وان كان نزولها الى البحر اول مرة قد اثار مفاجأة كبرى فى نفسها ، اذ لم يكن يخطر على بالها ان هناك ملحا فى المحيط .. وهيلين تجيد الرقص ولعب الشطرنج والتجديف وقيادة قوارب الشراع وركوب الخيل والدراجات !

ولعل اكبر صدمة لهيلين كيلر كانت وفاة معلمتها ان سوليفان سنة ١٩٣٦، السيدة التى قالت عنها انها « النور الذى اضاء دنياى » ، بعد سلسلة طويلة من العمليات الجراحية فى عينيها .. وكانت هيلين كلما سئلت عن سر حبها لآن، قالت : « اننى ادين لها بكل شىء ، لانها نقلتنى من مرحلة المجاورات الى مرحلة الاناسى » .. وحين توفيت هيلين كيلر ، كانت قد اتمت كتاباً عن السيدة التى تدين لها بكل شىء .. ان سوليفان .

وليس ادل على اعجاز هيلين ، من قولها فى اصدق كتبها واوسعها انتشارا « العالم الذى اعيش فيه » :

« ان العمى ليس بشىء .. وان الصمم ليس بشىء ، فكلنا فى حقيقة الامر عمي وصم عن الجلائل الخالدة فى هذا الكون العظيم .. ولكن الطبيعة تترفق بناء حتى حين تبدو فى اشد مظاهر قسوتها ، قد منحت كلامنا ، نحن الذين لا نملك سوى خمس حواس ضئيلة عاجزة ، حاسة سادسة ، وهى وحدها التى تستطيع ان ترى ما لا تراه العيون ، وتسمع ما لا تسمعه الاذان، وتدرك ما لا تدركه العقول .. هذه الحاسة التى تغنينا عن الحواس الاخرى هى دليلنا فى هذه الحياة ، وعزاؤنا فى هذا العالم » ..

●●●

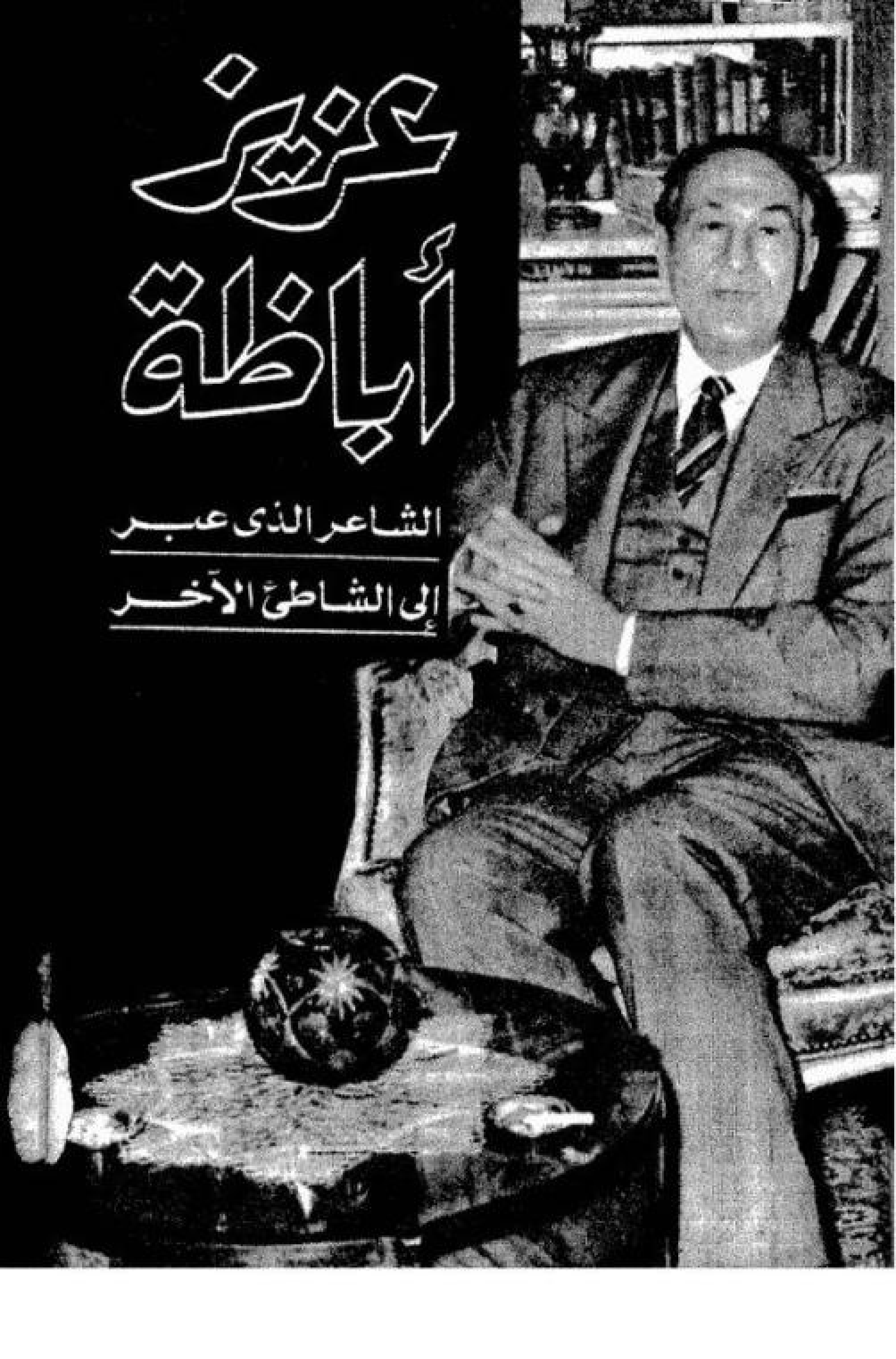
ولقد كانت هيلين كيلر تختلف عن كل العميان ، فهم جميعا يغلب عليهم التشكك فى نوايا الناس ، بسبب سجنهم الابدى فى عالم الظلام ، ولكن هيلين تثق بالناس ، وتكره العقد النفسية ، وتحب ان تأخذ من الحياة جانبها الحسن .. وتتفاءل دائما .

قالت : « ليس صحيحا ان حياتى برغم القيود التى طوقتها ، كانت حياة تعسة شقية . ان لكل شىء جماله .. حتى الصمت والظلام .. وقد تعلمت فى اية ظروف وفى اية احوال ، ان اكون راضية سعيدة .. اننى اشعر بالوحدة احيانا وانا اجلس فى انتظار « اغلاق باب حياتى »، فخلف هذا الباب نور ، وموسيقى ، وصداقة ، وحب »

ولقد اجتازت هيلين كيلر هذا الباب .. توفيت فى يونيو سنة ١٩٦٨ .. قبل شهر واحد من بلوغها سن الثامنة والثمانين .. وطويت صفحة اعظم رمز للانسانية العظيمة فى قرننا الحالى .



قد تكون سعيد الحظ : وتفوز بإحدى جوائز يانصيب
دار أم كلثوم للخير
قيمة الجوائز
٣٠٠ ألف جنيه
موزعة على
٣٠٣٤ جائزة مالية
٢٠٠٠٠ جنيه
قيمة الجائزة الأولى
التذاكر ثلاث فئات
تذكرة فئة ١٠٠ قرش
تذكرة فئة ٥٠ قرش تربح ½ جائزة
تذكرة فئة ٢٥ قرش تربح ¼ جائزة


عزيز
أباظة
الشاعر الذى عبر
إلى الشاطئ الآخر

حياة عريضة يحدوها الإيمان بالفصحى وأمجاد الإسلام

● أنور الجندى ●

منذ لمع نجم الشاعر عزيز اباظة فى سماء الشعر بديوانه (اناث حائرة) بعد ان أوفى على الاربعين من عمره ، وهو ما زال فى صعود وتألق ، فقد تصدر العديد من المناصب الرفيعة فى مجاله الادبى ، فهو رئيس لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والاداب ، وهو عضو المجمع اللغوى والحائز على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٥ .

وهو فى خلال هذه الفترة (١٩٤٣ ـ ١٩٧٣) التى لا تتجاوز الثلاثين من الاعوام قد استطاع بحق ان يملأ الدنيا ويشغل الناس ، فقد أسهم فى الشعر والمسرحية الشعرية ، ودافع عن اللغة العربية الفصحى وعمود الشعر ، وشهد عشرات المهرجانات والمحافل الادبية فى بغداد ودمشق وزار الاندلس والحجاز والكويت ، ورحل الى كثير من اقطار اوربا ، وقدم عديدا من الاعمال الادبية فى كل هذه المجالات .

وفى السنوات الاخيرة كانت علامات المرض قد بدأت تزحف وكان لا يزال متطلعا الى اعمال جديدة حتى لفظ انفاسه خلال شهر يونيه الماضى ، فكان ثالث ثلاثة من اعلام الشعر قضوا نحبهم فى الفترة الاخيرة حيث سبقه فى الشهر الماضى الاستاذ على الجندى ، وسبقه من قبل المرحوم عبد الرحمن صدقى ، وكلاهما له به امتداد ادبى وصلة فكر ..

ولقد تفشت حياة عزيز اباظة الانسان سحبا من حياة الوظيفة والسياسة الحزبية ولكنها لم تستطع ان تحجب صورة عزيز اباظة الشاعر الذى وهب نفسه خلال الاعوام الثلاثين الاخيرة للشعر واللغة العربية ..

علامتان مميزتان تطبعان حياة «عزيز اباظة وشعره» لا يكاد يخطئهما النظر فى مراجعة عامة لاثاره ، هما : « ايمانه بالفصحى لغة القرآن » ايمانا غير محدود ، وفخره بامجاده العربية الاسلامية بطولة وتراثا وميراثا متجددا يفتح الافاق للامة المجيدة الى التماس مكانتها الحقة فى عالم اليوم .

وكل ما سوى ذلك من انتاج الشاعر عزيز اباظة فهو روافد واضافات تجرى حول هذين المحورين الكبيرين فهو شاعر الفصحى، مؤمنا بها مستمسكا بلغتها الاصيل ، فى كل اثاره ، وهو الدائم المجلى عنها فى كل المواقف وخاصة فى المواقف التاريخية



الشاعر الذى عبر إلى الشاطئ الآخر

الحاسمة مهما كلفه ذلك من مشقة أو خصومة ·· ثم هو المحب الصادق لتاريخ امته وبطولاتها على مختلف صورها والوانها ما بين صور البطولة فى الحكم او استعادة المجد ، او عظمة الحب والوفاء · وهو فى مسرحياته : قيس ولبنى ،والعباسة ، والناصر، وغروب الاندلس · وما أعده من مسرحيتـــه عن صلاح الدين

الايوبى ، يعطى هذا الطابع القوى : طابع الايمان بهذه الامة ودعوته الى استعادة مجدها ومكانتها ·

● امجاد العرب والاسلام ●

وليس موقف اعظم من وقفته امام مسجد قرطبة وقبالة مئذنتها حيث خيل اليه ، ان قلبها ما زال يعتصره الالم وان حزنها على عصرها الذهبى ثائر لم يخمد ··· وتذكر قصر الزهراء الذى كان قطب السياسة العالمية فى عصر عبد الرحمن الناصر ، وتذكـــر قرطبة وعلومها وآدابها وحضارتها والوفود التى كانت تتقاطر عليها لترتوى من مناهلها (١) فقال فى قصيدة (وقفة على قرطبة) :

يا جارة المسجد البـــــاكى ومئذنة
الله كان يناجى فى مشارفهـــــــــــا
ماذا دهاها فأمست وهى ناهــــــــدة
فى غير ما ألفته فى معاطفهـــــــــا
وقفت فى ظل الزهراء مختلفـــــــها
والنفس تهب لغات من عواصـــــفها

(١) التعليق للدكتور أحمد الحوفى ـ القومية العربية فى الشعر الحديث ···


شوقى : رائد المسرحية الشعرية فى الادب العربى



شكيب ارسلان : وقفة امام اطلال قرطبـــة

ارنو فيرتد طرفي راعشا وجـــــــلا
كهائب اللجة الكبرى وخائفهـــــــــا

ثم هو يعاود الوقفة امام اطلال الزهراء خاشعا اجلالا لشمس غربت ، مائج القلب بافكار وعواطف هائبا التملي بهذه الاطلال هيبته من البحر الهائج ، لان امواج الذكريات تتوافد عليه زاخرة فلا يطيقها :

وقفت في طلل الزهراء مختشــــــعا
والنفس نهب لعدت من عواصـــــفها
ارنو فيمتد طرفي راعشا وجــــــلا
كهائب اللجة الكبرى وخائفهـــــــا
طوفت بالطلل الأسوان اســـــــاله
اين الخلافة في حضني خلائفهـــــــا
اين ابن بجدتها شعت حضـــــارته
سنا على سالف الدنيا وآنفهـــــــا
الناصر الظافر المغشى جـــــــانبه
في حيثما دب ســــاع في تنائفها (١)

لقد وقف (عزيز اباظة) حيث وقف : شكيب ارسلان واحمد زكي باشا شيخ العروبة وحيث وقف شوقي ..

ومن حيث يمضي عزيز اباظة في هذا الاتجاه تحس انه امتداد لشوقي ولهذا الرعيل من شعراء الاصالة العربية ، ثم هو امتداد ايضا للمسرحية العربية .

ولا ريب ان هذه المدرسة الشعرية العــــربية منذ عهد رائدها (محمود سامي البارودي) لا تزال ولودا تقدم رجالها جيلا بعد جيل ، وهي على الرغم من تجددها في تيار مطران وتيار الديوان ومدرسة ابوللو ، لا تزال تحتفظ لنفسها بطابعها الخالص المؤثر للجزالة العربية في الديباجة وصدق الايمـــان بالامة وتاريخها وامجادها وفصحاها .

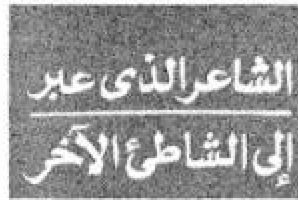
● مفهوم الشعر الاصيل .. ●

وقد توالت اسماء اسماعيل صبري ، وشـــوقي ، وحافظ ، ومحمد عبد المطلب ، واحمد محرم ، والكاظمي ، والرصافي ، والرافعي ، وعلى الجارم ، وعلى الجندي ، والاسمر ، والحوماني ، ... وكان عزيز اباظة : ذلك الوليد المفاجيء في الخمسينات بعد ان امضى صدر الشباب كله حين جاء ينفث نفثته الحزينة الباكية : بديوانه (انات حائرة) عام ١٩٤٣ ثم ما لبث ان اتخذ مكانه في مجال الشعر كواحد من مدرسة البعث البارودية الشوقية ، ثم لم يلبث ان اصبح رائدا من رواد القصة المسرحية او المسرحية الشعرية ..

ثم كان له دوره التاريخي الواضح في الدفاع عن العــربية الفصـــحى وعمود الشعر في مرحلة دقيقة تداعت فيهـا القيم واضطربت واهتز مفهوم الاصالة وغلبت موجة عاصفة وجدت لها

---

(١) التنائف : جمع تنوفة وهي الصحراء او الارض الواسعة





من بعض الصحف مجالا ، وفى بعض شباب الجيل بروقا يغشى العيون عن الحقائق .

ولا تزال مذكرة لجنة الشعر فى المجلس الاعلى للفنون والاداب برئاسة « عزيز اباظة » من الوثائق التاريخية الجديرة بالنظر والتقدير ..

وقد كانت خلاصة رأيه كما تحدث به :

« مفهوم الشعر عندى هو فى نطاق ما قاله احد كبار نقاده وأظنه (هازلت) ان لم تخنى الذاكرة فقد قال ان الشعر — وهو يقصد الشعر الجيد بطبيعة الحال — هو كلام من دم ونبض وايمان ، وانا افهم الشعر على هذه الصورة وافهم الشعر كذلك على انه هبة السماء للارض ، وعلى انه أكرم واسمى اداة تصل بين جمال الحياة الانسانية وجمال الله .

« وافهم الشعر كذلك على انه : التعبير الصحيح الرائع لاكرم عواطف الحياة واحاسيسها ، وكل تعبير بفن غيره يقصر عنه وان بلغ اقصى غاية الجودة .

« وافهم الشعر كذلك على انه معنى جميل ولفظ اجمل يتلابسان فى اعطاف موسيقى رقيقة او دسمة ولكنها موسيقى لا غنى عنها والا فلا شعر ، وافضل ولو كره الكارهون ، موسيقى الخليل بن احمد .

« ومفهومى للتجديد فى الشعر ان هذا الجديد هو الذى يعبر به الشاعر عن نفسه لا عن غيره ، فكما ان الوجوه والقسمات تختلف فان احاسيس النفوس تختلف كذلك وكل تعبير ذاتى عنها هو نوع من انواع التجديد » .

ثم يقول (عزيز اباظة) استطرادا فى شرح مفهومه للشعر العربى الاصيل : ان الشعر الخالى من الوزن والنظم لا يمكن ان يعتبر شعرا ، لقد تساهلنا جدا فيما يتعلق بالقافية ، واصبح من حق الشاعر ان ينتقل من قافية الى اخرى كيفما يشاء ، ولكنى ارفض ان يكون شعر بلا وزن . والتفعيلة لا تحدث موسيقيتها الا بانضمامها الى تفاعيل اخرى يضمها « بحر » وبحور الشعر لها مجزوءات ومجزوءات المجزوءات . أما ما يقولونه فهو فى حقيقته نثر ، قد يكون نثرا جميلا ولكنه يظل مع ذلك نثرا .

وليس هناك فن بلا قيد : فن من غير قيد يعنى الفوضى ، والمقدرة فى الفن — كما يقول نيتشه — ان تستطيع الوثب بين هذه القيود لتصل الى الانطلاق .

لست ضد اى تجارب ولا اى تجديد ، كل ما اريده ان نسمى الاشياء بمسمياتها فحين اجد شاعرا يقول : (رأيت وجه الله

فى واجهة احد المخـــازن ... الخ) فانى لا املك نفسى من ان اتساءل مخلصا اين الجمال فى هذا الكلام واين الوزن (١) ...

● اللغة العربية الفصحى ●

اما موقف عزيز اباظة من الفصحى فانه من المواقف الحاسمة ايضا فى مرحلة من ادق مراحل الحملة عليها ومعارضتها بالكلمة والصورة والكاريكاتير .

وهو لا يتردد فى ساعة الاحتفال بمنحه جائزة الدولة التقديرية ان يقول فى مجمع الدولة والعلم وعلى مشهد من المهرجـــــان الكبير :

« ان فى الشرق العربى كله ـ وبلادنا جزء منه ـ جماعات ليست كثيرة العدد ولكنها كثيرة المد ، لعلها ترى ان الخير لا يقوم الا على انقاض الجليل الكريم من ماثورات امتنا العربية المجيدة : تلك المأثورات التى لم يزدها توالى السنين الا توثقـا واستقرارا وانماء وازدهارا ، وعندى وعند جمهرة هذه الامة ان الغض من هذه المأثورات كبيرة من الكبائر ، فكيف اذا كان هـذا المأثور هو لغة القرآن الكريم : كتاب الاعجاز الخـــالد الذى يقول الله فيه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ..

« وكيف اذا كان هذا المأثور هو لغة خاتم النبيين التى شعشع فيها أنوار احاديثه تحمل الكمال والهدى للناس كافة ، وارسلها فى اسلوب ـ كما يقول القدامى ـ ليس فيه عروة مفصولة ولا كلمة مفسولة .

« وكيف اذا كان هذا المأثور هو لغة حكماء العرب ، ومقعدى شرائعها ، وفلاسفتها ، وكتابها ، وشعرائها ، والشعر بعد كتاب الله واحاديث رسول الله هو ديوان العرب ومعجمهم المحفوظ بحكم تداوله على الشفاه ، وخفته على السن الرواة ، وكيف اذا كان المأثور هو اللغة التى لا تربط العرب جميعا الا روابطها ولا تلم شملهم جميعا يوم سعدهم ويوم بأسهم الا وشائجها ، هـــذه الجماعات فى خفاء ووضوح ، تقذف العامية على الفصـــحى ، وتسلك العامية فى اطواء الفصحى وذلك بحجة التطوير .

« وانى لاشهد انى لا اعرف عاقلا له صلة بالادب او العلم الا وهو مؤمن اعمق الايمان ان كل علم او ادب او فن ليس متأبيا على التطوير ، لان سلامته وبقــاءه فى التطوير ، ولكن التطوير غير التدمير وان حماية مقدساتنا هى اكرم على الله وعلى الناس من حماية حرية الهدم باسم حرية التفكير والتعبير . ان التجديد الذى يأمله اهل العلم والادب ويباركونه هو التجديد المتجه صوب التجويد لا صوب التقصير والتبديد .

انه لا ادب ولا فن ولا شعر ولا اية صورة من صور الجمال ، مستطيع ان يسمو سموه او يعلو علوه الا اذا برىء من غواشى الفوضى فتدافع اذ يتدافع بين نظم تربطه وضوابط تضبطه ، ومالى

---

(١) عن حديث له مع فؤاد دوارة (ك) عشرة ادباء يتحدثون .

عزيز أباظة

الشاعر الذى عبر إلى الشاطئ الآخر

التحرر من القـــول بأن القيم الجمـــالية العظمى التى كرم الله بنفحاتها الانسان وطهر بإشراقها الانسانية وجعلها مقاييس لكماله - عز وجل - هذه القيم الجمالية كلها ما هى الا قيود : فالتقصد قيد والتآلف قيد والصبر قيد والعفة قيد والصلاة والصوم قيد ، ان قوة الاصيل وهوان الدخيل لعاصفان ان شاء الله بهذه الاوحال ومحققان بهداية الله وتوفيقه تلك الامال » .

وبهذا استحق عزيز اباظة ان يقول عنه الدكتور مهدى علام فى مستهل ترجمته فى كتابه « المجمعيون » : انه احد الشعراء الذين يقفون حتى اليوم مدافعين عن مدرسة الشعر العربى الاصـــيل والمحافظة على عمود الشعر ، ليس بمقالاته ومحاضراته فحسب ، بل باعماله الفنية المتعددة سواء فى الشعر الغنائى او فى الشعر المسرحى » ...

● رثاء الزوجة فى الادب العربى ●

ولقد كان عزيز اباظة واحدا من شـــعراء ثلاثة ابدعوا رثاء الزوجة فى الادب العربى الحديث تقدمهم البارودى :

ايد المنون قدحت اى زنـــــــاد
وأطرت اية شعلة بفـــــــؤادى
اوهنت عزمى وهو حملة فيلـــــق
وحطمت عودى وهو رمح طــــراد

اما ثالثهم : عبد الرحمن صدقى فيقول فى ديوانه (من وحى المرأة) :

ايا غرفة مرموقة لصــــــق غرفتى
مطفأة الانوار رهنا بظلمـــــة
ارى بابك المطروق بالامس موصـــدا





البارودى : أبدع قصائد رثاء الزوجة



حافظ ابراهيم : اعتبر المسرحيات الشعرية مغامرة مع عزيز اباظة

ومخـــــدع زوجي انت ، بل انت جنتي
فادعو بزوجي وهي جد سميعـــــــة
لا بمعرى ولكن الصدى رجع دعـــوتي
لقد كنت يا زوجي لدى الصــبح موقظي
وكنت حسيبي في خـــروجي واوبتي
فما لي لا القـــــاك يومي وليلتي
وبابك من بابي على قيد خطـــــوة

أما عزيز اباظة فانه يقول :

يذكرنيك كل جليـــــــل امر
وكل يســـــيره فتذوب نفسي
اذا سكب الصــــــباح فانت همي
واذا وقب المســــاء فانت انسي
جمعت على الهوى طرفي نهـــــاري
كاني لم ارع بنــــواك امسي
رعاك الله ما فـــــارقت روحي
وان فارقت بعض الــــوقت حسي
فذكر القصر ذا الابهاء تعلــــو
قواعده على كــــرم وترس
يرف رفاهة وســـــنى وبشرا
كما زفت عروس يوم عـــرس
ويمرح اهله في ظـــــل سرو
وشملا غير منشـــعب وانس

ولا ريب انها ظاهرة جديدة في الادب العربي المعاصر وقد ناقشها الدكتور محمد مندور في كتابه (الشعر المصري بعد شـوقي) الحلقة الثالثة يقول : « وديوان (أنات حائرة) يشهد بأن صاحبه اكثر محافظة وحفاظا على التقاليد من صاحب (من وحي المرآة) ولا ادل على ذلك من ان نلاحظ ان (عزيز اباظة) عندما رأى ان يلتمس لكربه متنفسا في السفر الى بعض بقاع الارض ســاقه احساسه الى الارض المقدسة : الى مكة والمدينة ومناسك الحج حيث

انشد مجموعة القصائد التي يتكون منها الجزء الاخير من ديوانه وفيها تختلط المشاعر الدينية والذكريات المقدسة بلواعج الفقيـــدة وذكريات حياته معها ··· بينما يخصص صاحب ديوان (من وحي المرآة) الجزء الاخير من ديوانه للرحلة الى ايطاليا التي ربما يكون قد ساقه اليها عمله عندئذ كمدير لدار الاوبرا المصرية ولكنه مع ذلك لا يخلو من دلالة على اتجاهه الروحي) ·

● البحتري : المثل الاعلى ●

لا ريب ان عزيز اباظة قد نشأ في احضان عصر شوقي وحافظ وهو قد عرفهما وحاورهما ، وكان له بهما صداقة ومودة ولقاءات ممتدة ، بل لقد جمع عشر كراسات من مختارات الشعر العربي من املاء حافظ ابراهيم خلال سنوات متعاقبة خلال زياراته للقـــرية الريعماية او لمنزل اعمامه في حارة قوارير بحي الناصرية ···



يقول : فى مندرة هذا البيت التقيت باعلام لا يمكن ان ينســاهم تاريخ الفن والادب فى بلادنا فقد كان من اصدقاء اعمامى الخلص : محمد السباعى ، وعبد العزيز البشرى ، وحافظ ابراهيم ، وامام العبد ، وصادق عنبر ، وكنت احضر مجالسهم واستمع الى ما يدور فيها من مناقشات ٠

ومن حسن الحظ ان بعض اصدقاء الاسرة من الادباء وغيرهم كانوا يحضرون لتمضية جزء من فصل الصيف فى قريتنـــــا (الريعماية) وفى هذه الاجازات قرأت على عبد العزيز البشرى معظم كتب الجاحظ ، وقرأت مع حافظ ابراهيم ديوان الحماســة لابى تمام ٠

وفى هذه الفترة عرفت صديق الحياة : البحترى ٠٠

يقول : تاثرت جدا بالبحترى ، فهو شاعرى المفضل واســتاذى الاول ٠٠ احببت فى شعر البحترى : المعنى واللفظ والموسيقى ، وانا اعتبر الموسيقى عنصرا من اهم العناصر التى تجعل للشعر قيمة ومكانة ودورانا ، وهذا العنصر بارز جدا فى شعر البحترى ٠٠

● شوقى والمسرحية الشعرية ●

ويقول عزيز اباظة فى ذكرياته المروية (١) عن اتصاله بشوقى : « حين عاد شوقى من الاندلس كان يسكن الى جوار قريبى (محمد اباظة) فرجوته ان يصحبنى لزيارته وكنت فى أوائل عهدى بمدرسة الحقوق ، وقد زرت شوقى زيارات متعددة وكنت اعرض عليه كثيرا مما كنت اكتبه » ٠٠

ثم يصل عزيز اباظة الى المسرحية الشعرية وكيف جمعت بينه وبين شوقى ، يقول : كنت احضر مسرحية (مجنون ليلى) مع شاعرنا الكبير شوقى وكان معنا فى المقصـــورة ، توفيق دياب والاستاذ الجديلى ، والاستاذ رامى ، وبين الفصلين الاول والثانى وجدتنى اقول لشوقى انه يحسن صنعا اذا كتب مسرحية شـــعرية عن « قيس ولبنى » فسالنى عن الســـبب ، فقلت له ان عناصر (الدراما) متوفرة فى هذه القصة وباستطاعته ان يعمل منها شيئا قد يفوق ما عمله فى (مجنون ليلى)

واشترك فى فكرتى : توفيق دياب والجديلى ، وشوقى صامت

● مفهومه للمسرحية والشعر ●

وقد شرح عزيز اباظة منهجه فى المسرحية الشعرية فقال :

« النهج الذى انهجه دائما فى مسرحياتى التى اســـتمدها من التاريخ القديم مستهدفا الى جانب الامل فى جـــلاء البطولات

(١) عشرة أدباء يتحدثون : فؤاد دوارة

والحضارات الاسلامية احداثا تجرى فى ايامنا وغايات تتصل بتناول بعض هذه الاحداث معالجا الحاضر فى انماط من الفن أبر كلفا باخراج الالفاظ الشريفة من جذورها مسقطا الكلمة مهما تكن انيقة اذا احسست انها متداولة تداولا ، يلقى عليها ظلال الابتذال معنيا بنصاعة الاسلوب وجمال الجرس عناية فائقة ..

• ولا شك ان الشعر هو اسمى مراتب الفن الكلامى ، والمسرحية تتيح للشعر ان يفسح لنفسه طريقا بين مشكلات الناس وتتيح للناس ان يجدوا متنفسا يلجأون اليه ان احاطت بهم الدنيا بقسوتها الضارية فيجدون ثمة بين ارواح الفن راحة لنفوس اضناها العيش وكلوم ادمتها الحياة ..

وهو يقول : ان الدوافع التى دفعتنى الى الكتابة للمسرح كثيرة : اهمها اننى احب المسرح واقدر رسالته وقد حدث اننى وجدت المسرحية الشعرية موشكة على الفناء بعد حياة قصيرة جدا ، قطعتها فى كنف شاعرنا الخالد (شوقى) فى اواخر ايامه ووجدت الميدان خاليا فاقتحمته وكان فى مرجوى ان أبذل بعض المحاولات •

● من وقائع حياته ●

وهكذا مضت حياة عزيز اباظة الى غايتها : خصبة عريضة حافلة منذ مولده فى قرية الربعماية (شرقية) عام ١٨٩٩ ومنذ ان اتجه الى كلية الحقوق واحس ذلك الهاتف : فى بيئة عرفت كثيرا من الادباء والصحفيين ، ثم كان الشعر فى ملامحه الاولى ساذجا بسيطا ، وكان حافظ وشوقى فى مواجهة الشعر دوما ، وكانت لقاءاته باولئك الاعلام الذين عرفهم فى مطالع حياته وسماعه للشعر القديم وقراءاته تحت اشرافهم لديوان الحماسة (حافظ ابراهيم) الاغانى (عبد العزيز البشرى) كتب النحو واللغة والتراث العربى (الشيخ محمد الخضرى) - كل ذلك كان مقدمة وارهاصا لما جاء بعد ذلك بسنوات وسنوات حينما هزت النفس الفاجعة : فاجعة وفاة الزوجة الحبيبة التى كانت للشاعر كل شيء فى حياته ..

لقد عمل عزيز اباظة مديرا لمديريات القليوبية والفيوم والمنيا واسيوط والبحيرة واختير عضوا بمجلس الشيوخ ، وعمل فى عشرات الاعمال الاقتصادية ، ولكن روح الشاعر ظلت محلقة منطلقة ...

له من الانتاج الادبى : أنات حائرة ، قيس ولبنى ، العباسة ، الناصر ، شجرة الدر ، غروب الاندلس ، شهريار ، اوراق الخريف ، قافلة النور ، قيصر .. وكانت آخر آثاره من اشراقات السيرة الذكية (ملحمة عن الرسول) ..

ولقد كان العقاد صادقا حقا حين استقبل عزيز اباظة فى مجمع اللغة العربية فاشار الى طابع حياته ممثلا فى هذه العبارة « انه اهتم بالقدرة ولم يهتم بالتقدير ، فلم يعرف الراصدون هذا الكوكب الا وهو فى برجه الاسنى قد جاوز جانبى الافق واصعد فى سمت السماء » ...



ألقاء الإسلامي بالجزائر

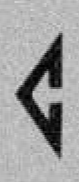
كنت أتمنى أن ابدأ رحلة هذا الشهر ، بالحديث عن رحلة الجزائر ، التي قضيت فيها جل الشهر الماضي ، مشاركا في اللقاء الإسلامي الكبير الذي عقد في المدينة الجميلة « تيزي أوزو » واشتركت فيه صفوة من أعلام الفكر الإسلامي ، لولا أنني عدت من هناك وقد دارت عجلات المطبعة على هذا العدد الذي بين يدي القارىء

فليكن لقاؤنا للحديث عن هذه الرحلة ، على صـــفحات العدد القادم بإذن الله

حكايـة وفد لبنان

● قرأت في « المصور » مقالك عن مؤتمر الأدباء الذي عقد في تونس ، وموقف وفد لبنان منه ، تحت عنوان « مؤتمر للأدب والشعر أم مؤامرة على مصر »

وقد نزل مقالك بردا وسلاما على جميع القلوب ، لكن عدم تسميتك للمعني بالأمر جعل بعض الناس يكثر من التأويل والتخمين ، وقولك بأنكم ـ أنتم أعضـــاء الوفد المصري



ـ فكرتم في الانسحاب ـ قد يوحي بأن تونس كانت هي المعنية بالنقد ، وانها صاحبة هذا الموقف ضد مصر

ولكن قولك في نهاية المقال : « وسمعنا الى جانب اصواتهم الرخيصة اصواتا شريفة عالية ، كصوت الاستاذ محمد المزالي وزير التربية القومية التونسي ورئيس المؤتمر »

وبالمناسبة ، اقول لك ان الاستاذ مزالي (بدون : ال) قد عين قبيل انعقاد المؤتمر وزيرا للصحة ، وانه الى جانب ذلك رئيس اتحاد الكتاب التونسيين منذ تكوينه ، ومدير مجلة « الفكر » التي دخلت الان سنتها الثامنة عشرة بدون توقف ، وعلى صفحاتها لمعت اسماء ادباء جيل الاستقلال وما قبله بقليل

أما حديثك عن « الملزمة المتحركة » التي يكيفها صاحب المجلة اللبنانية المقصودة ـ وهو رئيس وفد لبنان ـ حسب مزاج الدولة التي يرسل اليها مجلته ، فقد حدثني عنها اليوم احد ادباء ليبيا ، وذكر لي انه شهد في مؤتمر ادبي عقد بالعراق ، اديبا عراقيا يؤكد هذه الحكاية . كما اكد لي آخرون ان صاحب تلك المجلة كان يعمد ـ ابان محنة الانفصال المصري السوري ـ الى تحرير ملزمة تبارك الانفصال يضعها في الاعداد المرسلة الى سوريا ، واخرى تستنكره ، يضعها في الاعداد المرسلة الى مصر .

« وتساءلت بعد ذلك ،لماذا يتخذ اصحاب المبادىء المهلهلة والمواقف المهزوزة مواقف باسم دولهم ، فينسحبون من مؤتمر عربي على صعيد عال، لا بأسمائهم الخاصة ، ولا باسم مجلتهم .. بل باسم بلادهم التي يتباهون دائما بانها من معاقل الحرية الفكرية » .

« هل استشاروا دولتهم او سفارتهم او شعبهم في اتخاذ مثل هذا الموقف ؟

وهل كان جميع اعضاء هذا الوفد موافقين على الانسحاب ؟

ثم لماذا الانسحاب بعد ما وقع التصويت وباءت مقترحاتهم بالفشل ؟

« اين الروح الدستورية ، واين حرية الفكر ؟ وهل ارغام المؤتمرين على الاستجابة الى مقترحهم يعد حرية فكرية ؟ وهل اجماع المؤتمرين على رفض مقترحهم يعد اضطهادا فكريا ؟!

« انني اقف حائرا امام هذا المنطق العجيب . ولكن الامر واضح .. ان فلانا وعلانا وترتانا « من كتاب العرائض في مصر ، السارحين في شوارع القاهرة والجالسين في مقاهيها او متحلقين في صالونات فنادقها الفاخرة بملء حريتهم » على حد قولك .. هؤلاء الذين اثاروا حماس هذا الوفد اللبناني ضد مصر ، وضد تونس أيضا ، لانهم ارادوا لهذا المؤتمر الفشل

« ولست ادري لماذا لم يتحركوا من قبل ؟

« الجواب الذي يردده الكثيرون، ان اكثر هؤلاء يتعاملون مع صاحب تلك الدار التي تصدر تلك المجلة . وينشرون كتبهم


محمد المزالي





فيها ، وينشرون مقالاتهم فى المجلة • أما الكتاب الاحرار الذين طالما عانوا صنوف الاضطهاد الفكرى فى مصر فى العهود الخالية ، فلا يهم صاحب تلك الدار من امرهم شيئا ، لانه لا يؤمن بما يؤمنون

• على أية حال ، فقد ترك انسحاب الوفد اللبنانى من المؤتمر كثيرا من الاستياء فى تونس ، لان موقفه كان يسر العدو ويكمد الصديق •

● تونس ● نور الدين صمود ●

شكرا للشاعر الاديب التونسى نور الدين صمود على كلمته النبيلة ، ولا شك ان كل قارىء لما نشرته عن هذه المأساة الهازلة فى « المصور » و « الكواكب » و « الهلال » قد ادرك تماما ان موقف تونس ، حكومة وشعبا ، كان نبيلا غاية النبل ، وكذلك كانت مواقف سائر الوفود ، ما عدا موقف وفد لبنان ، الذى لا يمثل فى الواقع لبنان ، ولا روح لبنان ، ولا ادب لبنان •

البارودى .. شاعر العاطفة

● كان عدد يونيه من « الهلال » خاصا بأدباء العاطفة • وكان بديهيا الا يذكر البارودى كأحد شعراء العاطفة •
ولكننى عندما اطلعت على ديوان البارودى ، هزتنى اشعاره فى الغزل لما فيها من صدق الحس وتجسيد التجربة ودسامة الابيات لما تحمله من موسيقى داخلية مصدرها الصدق النفسى والشعورى لدى الشاعر • انظر مثلا هذه الابيات :

فبقلب كل فتى غـــــرام كامن
ويعطف كل مليحة خيـــــــلاء

فدع التكهن يا طبيب فانمـــــــا
دائى الهـــــوى ولكل نفس داء
جودى على ولو بوعــــــد كاذب
فالوعد فيه تعلة ورجــــــــاء

واذا قرأنا ابياتا اخرى نجد التجربة الشعرية ماثلة امامنا تفصح عن صدق الشاعر مثل :

ذهب الهوى بمخيلتى وشــــبابى
واقمت بين ملامة وعتـــــاب
هى نظرة كانت حبالة خــــدعة
ملكت على بديهتى وصـــــوابى
نصبت حبائل هدبها فتصـــــيدت
قلبى فراح فريسة الاهــــداب
... ما كنت اعلم قبل طارقة الهـــوى
ان العيون مصائد الالبـــــاب
ومن العجائب فى الهـــوى ان الفتى
يدعى اليه باهون الاســــــباب

والغزل كثير فى شعر البارودى واحيانا تكون له قصـــائد مستقلة لها مطالعها الرقيقة :

سلوا عن فؤادى قبل شد الركائب
فقد ضاع منى بين تلك المــــلاعب

●

سمع الخلى تأوهى فتلفتـــــــا
وأصـــابه عجب ... فقال : من الفتى

●

ادر الكاس يا نديم وهـــات
واسقنيها على جبين الغـــــداة

●

ارى نفحة دلت على كبدى الوجدا
فمن كان بالمقياس اقربكم عهـــدا

ومن يقرأ شعر البارودى الغزلى يجده يفيض رقة وعذوبة وقد تخلو اشعاره من الكلمات الصعبة التى تحتاج الى معاجم لغوية . اللهم الا فى البداية حيث يكون فى ذهن الشاعر بعض الكلمات الراكدة التى اصبحت من تراثنا القديم . كبعض المأثورات اللفظية .

وعندما يخطو الشاعر فى نظمه لتجربته الشعرية ينسى اصراره على رصف الكلمات الصعبة ويسيطر عليه جو التجربة النفسية . فيتفجر تيار خياله متدفقا كالنهر بين ضفتى صدق التجربة ورقة الشعور ... وهكذا تطالعك أبيات البــارودى الصادقة . وكأنها قيلت خلال ايامنا الحاضرة يفهمها كل من أوتى ولو حظا قليلا من العلم بالادب . نقرأ مثلا :

هذى لحاظ الغيد بين شـــعابكم
فتكت بنا خلسا بغير مهنـــــد
من كل ناعمة الصــــبا بدوية
ريا الشباب سليمة المتجـــــرد



هيفاء ان خطرت سبت واذا دنت
سلبت فؤاد العابد المتشدد
يخفضن من ابصارهن تختلا
للنفس فعل القانتات العبد
فاذا اصبن اخا الشباب سلبنه
ورمين مهجته بطرف أصيد
واذا لمحن اخا المشيب قلينه
وسترن ضاحية المحاسن باليد

وقد يلوم البعض شاعرنا الفارس الثائر على شعره الغزلى ويقولون : كيف كانت أوقات الشاعر تسمح له بقرض الشعر الغزلى ؟ ومن حوله حروب وثورات وقيادة وزعامة اعداء كثر .. ويرد الشاعر نفسه فيقول :

دعنى من اللوم ان كنت امرأ فطنا
فاللوم فى الحب معدود من الحسد
ان الفتاة التى هام الفؤاد بها
اخفت على سبيل الحزم والسدد

ويعود الشاعر ليعتذر عن صبابته ولهوه وذلك لحسن الغانية التى دعته الى الهوى قلبى :

فتاة كان الله صور لحظها
ليهتك اسرار القلوب به عمدا
لها عبثات عند كل تحية
تسوق اليها من فرائسها الاسدا
وكيف يفيق القلب من سورة الهوى
وقد مده سحر العيون بما مدا

وصفحات الشعر الغزلى فى ديوان البارودى كثيرة وممتعة تحتاج الى بحث هادىء ورزين ، ليخرج هذه الكنوز للنور ويجلوها للعيون .

ونختم حديثنا بهذه اللوحة الرائعة عن الجمال الانثوى وتأثيره فى نفوس العشاق :

د. اسماعيل صبرى



هى نظرة كانت لريعة صــــــبوة
والقحظ اضعف ما يكون واقـــــــــدر
ظلموا الاسنة خـــــــــاطئين وليتهم
علموا بما صنع السنان الاحـــــــور
ما كنت اعلم قبل وحى جفـــــــونها
ان العيون الجوزية تســـــحر

أليست هذه الدرر الغزلية حرية بوضع البارودى فى قائمة وقمة شعراء العاطفة ؟

● القاهرة ● محمد حسن داود ●

ـ كان البارودى، كشوقى وحافظ واسماعيلصبرى وغيرهم من رواد عصر النهضة ، غزليات وعاطفيات كثيرة ولكن قمته كانت فى الحماسة والفخر والوطنية . ولم يكن الشاعر الغزل المتفرغ للغزل كغيره ممن ذكرناهم فى عدد « ادباء العاطفة » شكراً للاديب على لمحته الوفية لذكرى الرائد الاول للشعر المعاصر ...

بائس يرثى لبائس

بمناسبة عدد « الهلال » عن « اصحاب البصيرة » يذكرنا الزميل محمد محمود رضوان بقصيدة للشاعر البائس عبد الحميد الديب ، رحمه الله ، يصف فيها كيف هزته ـ على بؤسه ـ مأساة ضرير راه فى ملجا ، وراى المجتمع ـ مجتمع سنة ١٩٣٨ ـ يقسو عليه كل القسوة . يقول الديب :

سجنوا عليك الكون ام ســـجنوكا ؟
لو انصــــفوا فى ظلمهم قتلوكا
تخذوا عذابك او نعيمك شــــهوة
ولقاســــموك كانهم خلقوكا
نم يا ضرير ، ففى عماك ســـعادة
الا ترى عينـــــــاك من ظلموكا
الا ترى اثر الطغاة وجــــورهم
عرضا ذبيحا او دما مســــفوكا
الا ترى الدنيا شـــخوص رواية
ضلت وضلوا شرعة وســـلوكا

استغاثة ... بالشعر

وعلى ذكر الديب ... عثر صـــديقنا الاديب الكبير فتحى رضوان بين اضابيره على ابيات طريفة كان الشاعر البائس قد بعث بها اليه فى موقف من مواقف حاجته ، يقول فيها :

عبد الحميد الديب





مولاى ، قد حجز الغريم ولم أجد
الاه من بيع الأثاث مجيري
وغدا سيفضحنى ويفضح عيشتى
نذل يبيع أريكتى وسريرى
والناس قد جمعوا الينا ، شامتا
أو باخلا بحيا بغير ضمير
ليروا مبيتى فى العراء ، وزوجتى
حيرى لبؤس مصيرها ومصيرى
فاقل عثارى واحتسبها منة
من ذا سواك على الخطوب نصيرى

الشاعر محمد على كلاى

لعل الكثيرين من القراء لا يعرفون ان البطل العالمى محمد على كلاى ـ الامريكى الملون المسلم ـ شاعر مجيد ... الى حد ان جامعة اكسفورد البريطانية ، وهى من اعظم جامعات العالم ، قد عرضت عليه ان يكون استاذا محاضرا للشعر بالجامعة

وهذه وظيفة شرفية تمنحها الجامعات الكبرى فى اوربا وامريكا لكبار الشعراء العالميين . ولا تقتضيهم الا ان يسهم الواحد بتقديم ثلاثة مواسم قصيرة للقراءات الشعرية ، او للحديث عن الشعر ، فى ثلاث فترات مختلفة من العام الدراسى

وقد صرح « بادى موناجام » مدير اعمال محمد على كلاى للصحف منذ ايام بان صاحبه قد احس بالزهو حينما تلقى هذه الدعوة من الجامعة ، ولكنه اعتذر من عدم الاستجابة اليها ، لانه مشغول دائما ... فاذا لم تكن امامه مباريات ، فامامه رسالة اخرى يخصص لها كل أوقات فراغه ، هى النضال فى



محمد علي كلاي

سبيل قضية اضطهاد الملونين في امريكا، ونشر رسالة الاسلام بينهم . وقبوله لهذه الوظيفة في اكسفورد ، معناه ان يضطر للسفر الى انجلترا ثلاث مرات في السنة ، وهذا يعطل رسالته

شعب كامل من الشعراء

ما زال الشعر يثير اهتمام الشبان . ففي باريس اسست مجموعة من الجامعيين مجلة شعرية بعنوان « صورور » Soror تنطق باسمهم وتنادي برغبتهم في عالم جديد ونظرة مختلفة الى الحب والثورة والفكر .

هؤلاء الشبان هم ابناء ايار ١٩٦٨ ، يستلهمون كتاباتهم من ثورة فيتنام ، من موت تشي جيفارا ومن القضية الفلسطينية . ومن « ثقافة جديدة » تنمو وتتصهر ، تغذيها تأثيرات عديدة : التصوف ، المخدرات والبوب ميوزيك .

وبالرغم من امكانياتهم الضئيلة ، فانهم يبحثون عن « شعر يكلمهم » ، ويقترب من رغبتهم في العيش الحر والتفتح على الحياة ، ويعكس في ان معا رفضهم وحسرتهم في مجاراة عالم مشبع بالعنف وبمثالية قاتلة ..

* * *

اسهم في مساعدة المجلة ماديا الجامعة وبعض دور النشر . ولكن «صوروره التي تحييها الكلمات الحلوة والجوع الشهواني والحياء ، تغلفها رومنطقية مقنعة وروومنطقية دائمة .

لذلك فهي تحتقر كل نظام لغوي قائم كما تقدم معاناة الشبان الذين يغتصبون الكلمات بفرح ويحتقرون القواعد التي وضعتها الكلاسيكية الجامعية .

ومعاناة الشبان الشعرية لم تتوقف عند حدود اصدار المجلة فقط ، بل تعدتها الى نشر مجموعات شعرية لشعراء شبان ، اسهم كل منهم في تغطية تكاليف طباعتها .

وقد صدر حديثا عدد خاص عن الشعب العربي المناضل .

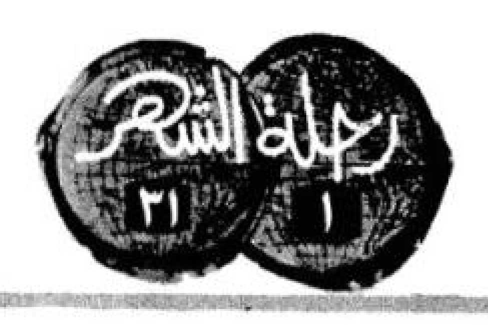
غير ان هم هؤلاء الشعراء الشبان هو في تفجير الاشكال التعبيرية وفي تحريك الامكانيات . اما شعارهم فهو « شعب كامل من الشعراء » .

« الانوار » « عن الموند »

مقاطع شعرية من «صورور»

العصفور ياتي الى فجر وطنه
والاخرون ياتون على دربه يشربون
المستنقعات تبني جسرا
والاخرون يرقصون
على الهواء الاخضر





اذا احاط السواد سمائى
ذلك ان العصفور
اصبح متوحشا وساما
واذ يدنو من طفلنا الميت
لا يعد الخبز خميرة لضحكاتنا
حول المصباح المشتعل
عندئذ تسقط الكلمة
على ارض يابسة مقلوبة
تحت الحبر المتوهج ·

الأرباح الطفيلية فى الشعـــر

فى حركة التصحيح الثـــورية المصرية حملة على الارباح الطفيلية ·· ارباح السماسرة والوسطاء الذين يقحمون انفسهم على كل صفقة ، ويأخذون من البائع والمشـــترى ، ويجمعون الثروات الطائلة بغير انتـــاج ولا جهد ولا عناء ·· ثم لا يظهرون امام مصلحة الضرائب !

فى الادب الايرلندى حملة على امثـــال هؤلاء الطفيليين الجشعين

يقول الشاعر الايرلندى ، منددا بتجارة البيض ، التى تنتقل البضاعة فيها من يد وسيط الى اخر الى ثالث ··· الخ ·· حتى تصل الى يد المستهلك متأخرة ومكلفة وفاسدة ··· يقول للوسيط :

« ما جدواك بحق الشيطان ؟
« انك لا تنتج شيئا
« انك لا تضع البيض
« لست الا اداة ارسال
« لو كانت عند السيد ـ ا ـ

« بيضة مقسومة لى
« فانه يسلمها الى ب ...
« و ب ... يسلمها الى ج ...
« و ج ... يسلمها الى د ...
« و د ... يسلمها الى هـ ...
« و هـ ... يقدمها لى أنا
« من الذى يدفع الثمن ...
« بعد ا و ب و ج و د و هـ
« لكى يضع نهاية القصة ؟
« اما كان من الاجدى ...
« لو ان ا ... وترهمى
« تعاملا وجها لوجه
« دون ان يدفعا اتاوة لكل هؤلاء ...
« الذين يحرمون الفلاح ! من رزقه المشروع
« ثم يجيئوننى فى النهاية ...
« بالبيضة الفاسدة التى اشكو منها ؟ »

الشاعر السودانى محمد سعيد العباسى

.. وشـــــئون أخــــرى

أخى صالح جودت ...

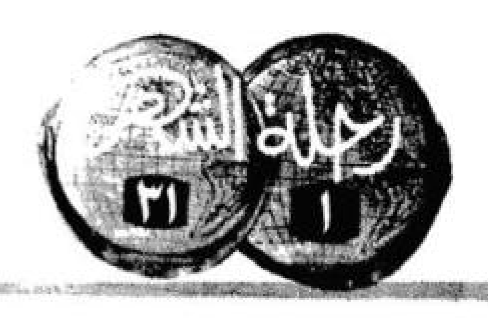
كانت « رحلة الشـــهر » ــ وما تزال ــ أول شىء اقرؤه فى « الهلال » . ولا ادرى لماذا ؟ لعلى أقرأ فيها وفاءك وصفاءك كما عرفتك من بعيد ومن قريب . وقد عز على ان يكون مقال الاخ الاديب السودانى المعروف الاستاذ حسن نجيلة ــ تعليقا على كتابك « بلابل من الشرق » ــ شيئا يمس وفاءك لشعراء السودان الشقيق ، وعلى رأسهم الشاعر الفحل : محمد سعيد العباسى .

وكم كان جميلا ونبيلا منك ايها الصـــديق الكريم ان يكون إعتذارك من عدم الحديث عن الشاعر السودانى العباسى فى كتابك ، راجعا الى انك لم تقع على ديوان له حتى الآن ... ولن يضيرك ايها الاخ ان الظروف لم تسعفك بنســخة من ديوان هــذا الشاعر ، وان اصداء شعره القوى الرصين لم تصل الى اذنيك ، فالشـــاعر العالم العراقى « محمد رضا الشبيبى » ــ وهو من هو ــ لم يكن يعرف شيئا عن الشاعر محمد سعيد العباسى ولا عن شـــعره ، الى ان عرفه بهما الاديب السودانى حســـن نجيلة نفسه فى أعقاب حديث له بتليفزيون بغداد ..

وكان الاولى بالاخ الاستاذ حسن نجيلة ان يلتمس لك العذر ما دام هو نفسه يروى فى مقاله بان الشبيبى ــ على كثـــرة قراءاته ، وطول عمره ــ فاته ان يتعرف الى هذا الشـــاعر السودانى العظيم .

محمد فريد ابو حديد





ولقد ذكر الاستاذ حسن نجيلة ان ديوان العباسى مقدم بكلمة ملصقة من قلم المرحوم الاستاذ الكبير محمد فريد أبو حديد ٠ وازيد هنا يا اخى ان ديوان العباسى مطبوع فى مصر ، وقد صدر عن دار الفكر العربى سنة ١٩٤٨ ، وقد قدم الشاعر نفسه ، وذكر طرفاً من سيرة حياته فى اول الديوان بعنـــوان (شىء من تاريخى) ٠ على انه قد صدر ديوانه بصـــورة فوتوغرافية لشيخ معمم هو الاســتاذ عثمان زناتى ، وكتب تحتها الاهداء الشعرى الاتى اليه :

فبارحمـــــــــــــــة الله حلى بمصر
شريح الزناتى علمـــــــــــــــــالبه
غذانى بادابه يافعـــــــــــــــــــا
وقد شاد بى دون اترابـــــــــــــــه
ويا شيبة الحمد ان القـــــــــــــــــر
يض اعجز طوقى واعيــــــــــــــانيه
اعرنى بيانك اســــــــــــــــمع به
الاصم ، وانطق به الراغبــــــــــــــه

واغلب ظنى يا اخى « الصالح » الوفى ان مئات ومئات من قراء ديوان العباسى قد مروا باسم « الشيخ عثمان زناتى » وبصورته ولم يعرفوا عنه شيئاً ، لان الرجـــل ـ على ادبه وفضله ورصانة شعره وشرف معانيه كان ممن ظلمهم الزمان وطواهم النسيان ٠

لقد كان الشيخ عثمان زناتى شاعرا كبيرا فى عصره ، وكان مدرسا للادب العربى بالمدرسة الحربية ، قبل ان يصبح اسمها « الكلية الحربية » ٠ وهو من علماء الازهر الذين القت بهم الاقدار للتدريس فى المدارس اولا ، وفى المدرسة الحربية اخر الامر ٠ وقد كان شقيقا لاستاذنا الكبير الشيخ « احمد زناتى بك » الذى كان وكيلا لدار العلوم فى عهد نظارة أحمد برادة بك لها ٠ وكنا نسمع من شعره قدراً لا بأس به ، ونحفظ له بعضه لما امتاز به من قوة النظم ، وشرف المعنى ، وأباء النفس ٠٠ ولست ادرى ان كان هناك من اخواننا الادباء من يذكر له

ابياته التي يقول فيها :

ارقت واصحابي خليـــــون نوم
وما انا ذو ثار ولا انا مغـــــرم
ولكن هما بين جنبي هـــــاجه
على ذوو القربى عفا الله عنهـــم
فان يك حلمي مد أعناق جهلهـــم
فلا زلت فيهم يجهلـــون ، واحلم ...

او بيتيه اللذين يقول فيهما :

وفي الكاس من ماء الخدود عصـــارة
اباح الهوى للعاشقين شرابهـــــا
وماكنت ادرى قبلها ان وجنـــة
تنفس فيها عاشق فاذابهــــــا

هذا هو الشاعر المصري الشيخ عثمان زناتي الذي ساقنا الى الحديث عنه الحديث عن الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي

هذه واحدة ... اما الثانية فلست ادرى باى لسان اشكرك على انك ذكرتني - في خلال ردك على الاستاذ نجيلة - في عداد الشعراء الذين احببتهم ولم يتسع امامك المقام للحديث عنهم ، ولا ابادلك هنا ثناء بثناء ، او اقارضك شكرا بشكر .. فانت تعلم حبي لك ، واهتمامي بك ، واحتفالي بشعرك وادبك في ندوات « جمعية الادباء » الزاهرة ، وعلى صفحات مجلات كثيرة ، اخرها مجلة « الاديب » ، وكان ذلك قبل ان تخطو خطاك الناجحة الموفقة الى دار الهلال بزمان طويل ...

وهاتان ثنتان .. اما الثالثة فلا ادرى يا اخى كيف تجعل « كليشيه » رحلة الشهر مؤرخا من الواحد الى الحـــادى والثلاثين في كل شهر مهما كان مدار ايامه .. فاستوى في حسابكم شهر يونيو مع شهر يوليو على فرق ما بينهما من عدد الايام ..

واخشى انك في فبراير من العام القادم سنة ١٩٧٤ ستبقى على ايامه واحدا وثلاثين يوما بدلا من ثمانية وعشرين .. وفي هذا مجافاة للواقع ، ومغالطة للتاريخ ، واغفال لعدد السنين والحساب ...

فما ضر يا اخى لو جعلتم كليشيه رحلة الشهر يتراوح بين ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ يوما على وفق الشـــهور ، ومطابقة لواقعها ؟

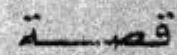
لا شك انك مصغ الى صوت الحق في هذه القضية ...

والله حافظك للمخلص   محمد عبد الغني حسن

ـ شكرا من الاعماق على هذه الرسالة التي تتمثل لي كانها قصيدة من قصائد الوفاء المأثور عن شاعرنا محمد عبد الغني حسن

اما « الثالثة » ... التي تدل على تفوقه علينا في كثير ، ومن هذا الكثير دقة الملاحظة ، فنأسف لها ، وسنتداركها في المستقبل باذن الله ...

● ص . ج ●



شجرة آدم

د. سعيد عبده

الربيع يضحك في كل مكان، وسعف النخيل يتراقص تحت همسات النسيم، والامواج تتعانق جذلانة على صفحات دجلة والفرات، فرحة بلقائها في شط العرب - بعد الفراق الطويل ... وفريق من اعضاء الحلقة الدراسية التي اقامتها جامعة البصرة بالاشتراك مع الهيئة الصحية العالمية، حول تنظيم النسل وصحة

الاسرة ، واقفون على سياج ، يحيط بجذور عتيقة لشجرة سدر قديمة (نبق) دبت فيها الحياة تحت قبلات الربيع ، فانبعثت منها رغم ، العتق ، والبلى، والقدم ، افرع صغار . ومن حولها في كل مكان تصطفق المياه ، وتتعدد الجزر الخصبة الدائمة الاخضرار .

ان هذه البقعة التي تجري من تحتها الانهار تسمى الان ، جنة عدن ، والقول ان هذه الجذور العتيقة هي جذور الشجرة التي هبط عندها ادم وحواء.

يوم هبطا الى الارض ، عراة الا ماخصفا على جسديهما من ورق الجنة ، جياعا الا من ذلك المحرم الذي أكلاه ، وتركا انا نحن ابناؤهما واحفادهما ان نضرس به ، ونتحمل ما نتحمل الان ، وما قبل الان ، ومابعده من هموم دنيانا المتعبة، ومن لؤم اسرائيل ومن وراء اسرائيل ... وسامحها الله ، امنا حواء ، لا اسرائيل بطبيعة الحال !

وفجأة اختفت تلك العالم أو معظمها من مسرح بصري ، وأنا واقف اتأمل في الجذور العتيقة ، وعلى انقاضها قامت شجرة باسقة ، وارفة الظلال، وظهر كوخ من أعواد القصب ، جلس أمام بابه المكون من شقائق متصلة من جذوع النخل ، رجل مهيب الطلعة ، فارع الطول ، مرسل اللحية ، طيب الملامح ، وصبية صغيرة ، باهرة المحيا ، جميلة القسمات ، وكلا الاثنين ـ ادم وحواء ـ يتأملان في جثة صغيرة جدا لطفل وليد فارق الحياة ، وقام ادم بعد لحظات ، فأخذ الجثة وملحقاتها بين يديه ، وقذف بها الى مياه شط العرب ، ملتقى نهري دجلة والفرات

***

انجبت حواء طفلها الاول ،وهي في الرابعة عشرة من عمرها ، وما كان ثمة قوانين تحمي البنت ، في مثل هذه السن الصغيرة ، من اخطار الزواج ، والحمل المبكر ،والانجاب قبل الاوان .

وحين اقول انها انجبت في الرابعة عشرة ، فبمفهومنا نحن عن السنين لا بمفهوم الذين قالوا أن ادم عاش تسعمائة وخمسين سنة ، ولا بد أن تكون سنتهم شهرا قمريا ، مما يجعل عمر آدم ثمانين عاما .

وهو العمر المعقول الذي يمكن ان يكون ادم قد عاشه من قبل ان يطويه التراب .

وكان الطفل في حالة ضعف شديد حين ولد ، مثل كل الاطفال الذين يولدون من امهات لم يبلغن سن العشرين ، فلم يعش اكثر من بضع ساعات، وما كان موته لشدة ضعفه فحسب ، ولكن كذلك لان امه لم تكن تعرف كيف ترضعه ، فاسهم في قتله العطش والجوع .

وحين اخذها المخاض في طفلها الثاني كانت قد كبرت نوعا ، وادركت اشياء كثيرة لم تكن تدركها من قبل، فوضعت طفلها بسلام ، بعد آلام طفيفة ، لم تدفعها الى الولولة أو التلوي من الالم ، كما يفعل بناتها اليوم ، وكأنهن مشدودات الى آلات تعذيب ، بفعل خوف المرأة الحديثة من الاستماع لبالغات الولادة ، النسابع من الامهات والخالات والجدات ، ولم يكن مثل هذا الخوف قد عرف طريقه الى قلب

شجرة آدم



حواء ، فما كانت حواء يزعجها شيء الا ان تموت هذه الكتلة الحية من اللحم ، التي هبطت من بطنها ، كما ماتت

اخت لها من قبل ، ويضيع عليها حملها ومخاضها هباء .

لقد رأت حواء الفارق بين هذا الطفل الذي يصرخ بقوة ، وبين مشيمته الخرساء ، فتقطعت الحبل الذي يربطها بشفرة من الحجر ، وربطت جذاذته

بعضها على بعض ، حتى توقف ذلك السائل الاحمر الذي كان

يسيل منها، وراحت تهدهد ولدها ، وتغنى له بعض الاغاني التي بقيت أصداؤها في اذنيها من تسابيح الملائكة في جنة رضوان .

وجاءت حداة ، فانقضت على المشيمة ، وطارت بها الى حيث تطعم منها فراخها الصغار .

ان حواء التي لم تنس فجيعتها في طفلها الاول ، ولا صورة وجهه الذابل ، المغضن ، وهو يلفظ اخر انفاس الحياة ، راحت تفكر جدياً فيما يمكن ان يكون السر في صراخ ولدها هذا الجديد .

لم تكن حواء قد درست التشريح ولا عرفت الصحة ، ولا طب الاطفال ، ولا قال لها أحد ان أول صراخ الطفل هو محاولة فطرية لفتح رئتيه للهواء .

وبينما هي تتامل الطفل في حيرة واشفاق شعرت بالعطش ، فاغترفت بيدها بضع حفنات من ماء شط العرب ، ولم يكن قد تلوث بعد من فضول الانسان والحيوان ،

ولا من الاوساخ والاقذار التي تلقى فيه بلا رحمة ولا ايمان .. كان ماء شط العرب حينئذ صافيا ، شفافا ، ازرق كأنه

السلسبيل ، وحتى فضول ادم وحواء ، والقلة من الوحوش والطيور والدواجن التي كانت موجودة يومئذ على وجه الارض، كانت حين تصل الى هذه الكتلة الضخمة

من ماء الشط ، تتعرض لعوامل التخفيف والترسيب ، وفعل اشعة الشمس ، وتأثير الاوكسجين الذائب في الماء ، فتستحيل بسرعة الى مفرداتها غير المؤذية ، ويبقى الماء في صفائه ونقائه. خاليا من الجراثيم ،

خاليا من تلك الروائح التي تشبه روائح السمك المتن ... كان حمل الاقذار والفضول

الذي يلقى على اكتاف شط العرب ، وفروعه الصغرى بخاصة ، اخف كثيرا من ان تنوء به قواه .

واحست حواء حين اطفأت سعار عطشها براحة ، وساءلت نفسها : لماذا

لا اسقي هذا الكائن الصغير من هذا الماء الزلال ؟

وسقته حفنة منه ، فكف عن البكاء هنيهة. هدأ فيها ونام ، ولكنه لم يلبث أن أفاق وعاد للصراخ .

وعاودت الحيرة حواء ، فالتقطت برتقالة من شجرة قريبة ، وقطرت له في فمه شيئا من عصارتها ، فهدأ ، وتلمظ في طلب المزيد ، فزادته ، فنام .

وفي هذه المرة ، نام فترة أطول ، ففرحت حواء ، وظنت انها وصلت في طعام وليدها وشرابه الى حل موفق سعيد ، ولكنه خيب ظنها حين استيقظ فجأة وعاود الصياح

ان حواء لم تكن تعرف ان البرتقال يحتوي على سكر الفاكهة ، وعلى فيتامين « ج » وعلى بعض الاملاح المعدنية ، وكلها مفردات لا بد منها لتغذية الاطفال . الا ان هذا العصير تنقصه المفردات الاهم في الغذاء ، كالمواد البروتينية التي تبني الجسم وتنميه ، والمواد الدهنية التي تشعر بالشبع ، وتساعد السكر على امداد الجسم بالدفء ، والطاقة اللازمة لاداء هذه الحركات العنيفة ، التي كانت تقوم بها يداه وقدماه اثناء الصراخ. وبقية الفيتامينات والاملاح المعدنية التي تساعده على النمو وتحميه من الامراض ، كفيتامينات « ا» و« دال » و« باء » والكالسيوم والفوسفور والحديد ..

***

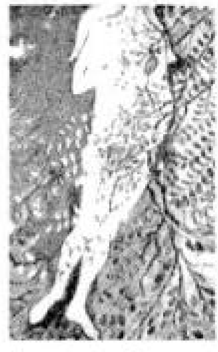
ان صراخ الطفل في هذه المرة كان مزعجا بحق لا لحواء وحدها، ولكن لادم كذلك ، ففقد صبره ، وخرج مغضبا من الكوخ ، صافقا وراءه الباب بعنف ، لان صراخ الطفل حرمه من ان يقيل .

لم يعد امر هذا الصراخ امر رئتين تتفتحان ، لقد كان الطفل يصرخ فعلا من العطش والجوع ... وما كان يمكن ان يكون ثمة سبب اخر ، فما كانت الحشرات المؤذية قد خلقت بعد ، ولا كان من الممكن ان يكون بكاؤه تخمة أو مغصا او تلبك امعاء ، فهو لم ياكل شيئا ذا قيمة قط ، ولا كان يرقد على فراش خشن، يمكن ان يتلوى فيه مضجعه ، فما كان فراشه الا صدر امه الحنون ، ولا كان من المحتمل ان يكون قد بلل ثيابه الداخلية ، فلدغت فضوله جلده الرقيق ، لانه كان عاريا من كل ثياب .

بيد ان تفكير حواء لم يكن يسير في هذا الاتجاه ... انها كانت في تيه من الحيرة لم يخرجها منه الا شعورها هي بالجوع . وكانت لديها بقية من وجبة الغذاء التي قدمتها لزوجها ، مكونة من حساء الارز الذي كان ينبت في هذه الانحاء، ومن البقلة الحمقاء (الرجلة) ومن شحم الغزال الذي اصطاده ادم منذ بضعة ايام . وكانت حواء قد تعلمت من التجربة والخطأ ان مثل هذه الوجبة اذا اضيفت اليها بيضة او بيضتان من بيض الدجاج ، تغني غناء اللحم في الطعام ، حتى لكانها هو ... وخيل لها وهي تاكل ان تهرس للطفل الذي لا اسنان له بعضا من هذا الخليط ، لعله يرضيه .

وحدث ما توقعته . فسكت الطفل بعد ان شبع ، وانفرجت اساريره ونام .

شجرة آدم



وفرحت حواء فرحة غامرة وانبثق في وجدانها ينبوع حنان دافق نحو هذا الطفل، النائم كالملاك المتنفس في هدوء وانتظام ، المفترة شفاهه بلا وعي عن ابتسامة حلوة بين الحين والحين ٠

***

ان أمنا حواء – ولو أنها كانت استاذة في الجهل ، اذ لم تكن في ايامها مدارس ولا جامعات بالعراق – الا أنها كانت على حظ طيب من الذكاء الفطري ، يتلألأ في دياجي جهالتها العمياء

ان هذه اللمحة من الذكاء جعلتها ، حين أحست وخزات الم في صدرها ، وفي ثدييها بالذات ، جعلتها تنتبه الى أن ثدييها قد تضخما الى حد كبير ، وأن حلمتيها تسيل منهما قطرات من سائل أبيض ، ذاقت بعضه فوجدت له في فمها حلاوة ولذة وعصرت احدى الحلمتين فانبثق منهما شخب طويل من هذا السائل الحلو اللذيذ ٠

وراحت حواء بهذه اللمحة من الذكاء تقارن بين حجم الحلمة وثغر وليدها ، فاذا هما يتلاءمان تلاؤم العود واللحاء ، فوضعت الحلمة في فم وليدها برفق ، فتلمظ قليلا ، وانتفض وهو نائم ، ثم أطبق عليها شفتيه اطباق مخالب الحداة على فريسة ، وراح يحتلبها بشراهة ، وعنف حتى افرغ ما في الثدي من حليب ، وراح يبكي في طلب المزيد !

واعطته ثديها الاخر، فلم يتركه حتى شبع ، وتجشأ ، ونام ٠

وفي هذه المرة استمر نومه بضع ساعات ٠

وحين أفاق وجدت حواء أن ثدييها قد امتلا بالحليب ، فاعطتهما له، فلم يقم عنهما حتى شبع ونام ٠

وعلى مر الايام عرفت حواء ما لم يعد يعرفه كثيرات من حفيداتها الان ، ان خير زاد للطفل هو حليب الامهات ، وان اعطاء الطفل فترة من الزمن بين كل رضعتين يمنح الثديين فرصة ليمتلئا بالحليب ، ويمنح معدة الطفل فرصة لتستريح من عملها في هضم الرضعة السابقة، وكذلك يصبح خير أمان للطفل من عسر الهضم الناشيء من ادخال الطعام على الطعام ، وما يجره عسر الهضم في أعقابه من متاعب والام وامراض ٠

وبهذه الخبرة الذكية اهتدت حواء الى ارضاع ولدها هذا – قابيل – ست رضعات في اليوم، اولاهن حين تصحو على صوت الديكة ، واخراهن حين تنام ، وهو نفس العدد من الرضعات الذي تجهله

الان اكثر الامهـــات ، والذى ينصح به كـــل اطباء الصــحة واطباء الاطفال .

***

واستمرت الريح تجرى رخاء حتى بلغ قابيـــل الشهر الخامس من عمره فبدأ حليب حواء يجف، وثدياها يضـــمران ، واخذت تشـــعر فى احشائها بارتكاض جنين جديد .

وعاد الطفل للصراخ، فراحت تعطيه فى موعد الرضعة ما يجود به ثدياها ، ثم تكمـــل له الرضـــــعة من حســـاء الارز والبيض والبقلة الحمقاء، فيشبع الطفل ويتام . وما اشد ما كانت تسعد حـــواء حين تنظر الى تلك الحمرة الجديدة التى تخضبت بها وجنتاه ، من فعل حســاء الخضر وصفار البيض، الغنيين بالحديد الذى تبدأ حاجة الطفل اليه فى هذه السن بالذات والذى يسهم فى تركيب يحمـــــور الدم ، اى الهيموجلوبين، اى مادته الحمراء التى تعتبـــر زورق الاوكسجين .

وشيئا فشـــيئا فطمت حواء قابيل بســـلام ، وشاء حظه السعيد ان يكون فطامه فى الشتاء، فنجا مما يصحب فطام الطفل فى الصـــيف من اذات . وتخطى قابيـــل طفولته، وحبا الى صباه بسلام .

***

ووضـــــعت حواء طفلها الثالث «هابيل» ولم يكن فى هذه المرة طفـــلا واحدا بل كان اثنين ، توام ، ذكـــرا وانثى ، وكذلك كـــان الخامس والســـادس ، ثم السابع والثامن ، وهكذا دواليك ، لا تكاد حواء تفرغ بطنها من حمـــل ، حتى يمتلىء بحمل جديد ، وبعد عدة سنوات اصبح كوخ ادم الذى انشــئت له عدة ملحقات ، اشبه مايكون بروضة اطفال او بعض زنانير .

وحين بلغت حـــواء الخامسة والثلاثين كانت قد ولـــدت اثنى عشر بطنا ، انجبت فيهـــا عشرين من البنيـــن والبنات ، مات اكثرهم من قلة التغذية ، ومن ســـوء الفطام ، لان مصـــنع الحليب فى صدر حواء ، اصـــابه العطب من توالى الحمل والميلاد والرضـــاع ، وتهـــدل ثدياها حتى اصبحا اشبه بجـــرابين مدلبين من الجلـــد ، فارغين حتى من الهواء،

***

ولعل شرا من هذا فى نظر حواء ، التى كان ينبغى وهى فى الخامسة والثلاثين ان تكون فى عنفوان شـــبابها وفى ذروة جمالها وفتنتهـــا كامراة ، انهـــا نظرت مصـــادفة ، وفى يوم سكنت فيه الريح ، الى وجهها مرتســـما على صفحة ماء شط العرب، وهى تملا جرتها منه ، فاصيبت برعب شديد من بشاعة وجه الغولة الذى طالعهـــا على صفحة الماء !!

وادركت حواء لـــماذا استقل ادم دونها بكوخ جديد ...

وادركت لـــماذا اخذ تغيبه عن الكوخ يطول من الايام الى الاسابيع ثم الى الشهور ، فاذا عاد تلمس اقل هفـــوة منها او من احد اولادها او بناتها لينفجر ويثور، وحين يجد هفـــوات يتجنى عليهـــا وعليهم الذنوب والهنوات .

***

بيد ان هذه السنوات الاحدى والعشرين بين الخامســــــة عشرة والخامســـة والثلاثين كانت تحدث فيها اشياء اخـــرى ، غير ذبول جمال حواء ، وضـــمور شـــبابها قبل الاوان ، وفتور العـــلاقات بين

شجرة آدم



الزوجين ... الأشياء كانت تحدث للاولاد .

قابيل حين رأى أخاه الصغير «هابيل» يحظى بما كان يوجه اليه من عطف وحنان ، دون ان يشرح له احد لماذا يحدث ذلك ، دبت فى صدره عقارب الغيرة ، وراح يتحين الفرص ليفقأ بأصابعه عين هابيل !

وكذلك اخذ كل ولد ينظر الى اخيه الذى يليه .

وزاد اشتعال الغيرة فى صدور الاولاد ، ان اباهم كان احيانا يدلل هذا على حساب ذاك ،

لا على سبيل المثوبة على شيء طيب فعله ، ولكن على سبيل عقوبة الآخرين على عصيان ارتكبوه !

ورغم ما كان يبدو على وجه آدم من سمات الطيبة والسماحة والرفق ، الا انه كان حين يغضب ، يصبح مخيفا ، ويستحيل صوته الهادىء الى زئير ، ويضرب بقسوة حين يخالف احد الاولاد عن امره ، حتى ليشج رأس الواحد منهم بعصاه ، دون ان يبين له كنه الذنب الذى جناه .

وبدأ الاولاد يكذبون فرارا من العقاب ...

وراح بعضهم يشى ببعض ، فيتقبل آدم الوشاية ، ويعاقب بعنف ، ودون تحقيق أو سؤال .

وانتشرت السرقات ، لأن أحدا من الأولاد لم يدرك أن ثمة حدودا بين ملكيته وملكية الآخرين .

وساد الخوف البيت ، وانعدمت الطمأنينة والسلام ، وحرم الأولاد لا من حقهم فى المحبة والعطف والامان فحسب ، ولكن كذلك من حقهم فى حرية اللعب وحرية التعبير .

لقد كان آدم يؤمن بأن على كل ولد من اولاده ، ان يدرك ما يخطر على باله هو ، وان ينظر الى الدنيا بعيونه هو ، وخضع الأولاد صاغرين لهذا القانون الصارم الظالم وهم صغار .

ولكنهم حين كبروا بدأت عيونهم تحسر حين يشرع ابوهم العصا ، وينطلق منها شرار مخيف !

***

وحين كبر قابيل أحب الانثى التوأم لاخيه « شيث » وكان هابيل يحبها كذلك .

واشتد بينهما النزاع ...

وعرضا المشكلة على أبيهما ، فقضى بأن يقدم كل منهما قربانا لله ، فأيهما تقبل الله قربانه تزوج من الفتاة .

وتقبل الله قربان هابيل ...

وفي اليوم التالي وجد هابيل قتيلا على يد اخيه ، وكانت الجريمة الاولى التي ارتكبها الانسان ...

وزمجر آدم ، وارعد وابرق ، واراد ان يبطش بولده القاتل ، ولكن نظرة الى عضلات

قابيل ، والى شياطين الشر التي ترقص في عينيه رقصة الموت ، جعلته يكظم غيظه .

ربما لأول مرة ، ويهز رأسه ، ويدير ظهره لولده ويخرج من الكوخ وهو يتمتم :

ـ لقد كبر الاولاد ... واذا كبر ابنك فاجعله اخاك !!

وذهبت مثلا ! ..

وتعلم منذ اليوم ان يفكر طويلا قبل ان يشرع العصا على اى ولد من الأولاد .

***

ومع ذلك فان السلام لم يعد الى البيت .

ان البيت الذى يفقد السلام يفقده الى الابد ...

لقد تمزق شمل الاسرة تماما ، بين القسوة والتدليل .

ادم لم يجد له من سلوى غير الدموع يذرفها على ما يناله من عقوق الاولاد !!

وعقوق الاولاد هو الترجمة الوحيدة لفشل الاباء في تنشئة البنين .

ورجل آخر في موقف ادم كان يمكن أن يرتكب حماقات أكثر ، واشد نكالا من ذرف الدموع . كان يتزوج من اخرى غير حواء ، ولكن هذه الاخرى لم يكن لها وجود ، وما كانت توجد مراقص ، ولا ملاه ، ولا خمور ، يمكن ان يغرق آدم في احضان نسائها ، وحميا كئوسها ، ما ينوء به من اشجان .. وليكن ما يكون .

والاولاد اصبحوا كالسمك في بحر ، يأكل كباره الصغار ... وحواء تلهيها الهاها عن أولادها النظر الى وجه الغولة الذى يطالعها على صفحات الماء الساكن ، والأسى القاتل على الجمال الذى جف ، والشباب الذى ضاع ...

وفي نوبة من نوبات يأسها صرخت حواء :

ـ « ربــاه ! .. ما افدحه من ثمن لتلك القضمة من التفاحة

التى اغرانى بها الشيطان ! » .

وخرت مغشيا عليها .

وحين عاد آدم وجدها قد قضت نحبها ، وفارقت الحياة .

***

كانت فوق جذور شجرة آدم ، ونحن وقوف عليها ، حيث يلتقي دجلة والفرات ، لوحة مكتوب عليها :

« هنا كان مهبط آدم وحواء من الجنة ، وهنا صلى ابراهيم الخليل عليه السلام منذ الفي سنة قبل الميلاد » .

وخيل لى حين التفت من هذه السرحة من سرحات الخيال ، ان الأحرف تتراقص على اللوحة ، ويختلط بعضها ببعض ، ثم تنتظم في ترتيب جديد ، أصبح يقرأ على الوجه التالى :

« هنا مثوى آدم وحواء اللذين اعطيا أسوأ الأمثلة لذريتهم ، في الزواج المبكر ، وتواتر الحمل والولادة بلا نظام ، وسوء تنشئة الاولاد » .

• ميشيل تكلا •

العقاقير من

• البابليون سجلوا قائمة طويلة من العقاقير للوقاية والعلاج

• المصريون استخلصوا من الأعشاب ومن الحشرات موادا للقضاء على الأمراض

• البنسلين والمضادات الحيوية أنقذت إنسان القرن العشرين

حدث في مدينة اكسفورد بانجلترا منذ ثلاثة وثلاثين عاما ، ان اصيب شرطي بمرض غريب اقعده عن العمل · فقد امتلأت رقبته ووجهه ببقع غريبة ، وانتفخ حتى اغلقت عيناه ، رغم انه كان قبل عام ١٩٤٠ رجلا موفور الصحة قوي البنية ، وحدثت هذه البقع نتيجة لعدة خدوش احدثتها شفرة الحلاقة ، ونما على وجهه ميكروب عنقودي أو سبحي ، كان يعتبر من أخطر الميكروبات السامة التي تكاثرت في مجرى دم الشرطي ·

وكانت عقاقير السلفا هي الاسلحة الكيميائية الوحيدة الموجودة في ذلك الوقت ، فاعطي الشرطي سلفا بايريدين لكنها لم تثمر في علاجه ، وتكاثرت الميكروبات · فاوقف العلاج بالسلفا · وعمد الاطباء الى نقل كميات من الدم الى عروقه ، اخذت من أشخاص اضحاء · **ففشلت المحاولة الجديدة ، وعجز الاطباء عن علاجه ··**

وفي الوقت الذي اشرف فيه الشرطي على الموت ، كانت مجموعة من العلماء تربي نوعا خاصا من الفطر ، وتحاول فصل المادة الغامضة التي تكونت عندما نما ، ولما كان الاسم العلمي لهذا الفطر هو « بنسيلين نوتاتيوم » فقد اطلق العلماء على المادة اسم « بنسيلين » · وكانوا يعرفون عنها الشيء القليل ، ولكنهم لاحظوا ان « البنسيلين » استطاع ان يقتل عددا من الميكروبات السابق ذكرها ·

وفي يوم ١٢ فبراير عام ١٩٤١ اذاب العلماء « البنسيلين » الاصفر في ماء ملحي ، وحقنوا به الشرطي في مجرى الدم على عدة فترات · وبعد اربع وعشرين ساعة بدأت البقع تختفي من وجهه ، وهبطت درجة حرارته ، وعندما شفي الرجل تماما تأكد العلماء

.. الميكروبات

ان اكتشافهم للعقار الجديد لا بد ان يغير تاريخ الطب فى العالم ...

قبل هذا الاكتشاف بمائة عام لم يعرف الانسان ان الميكروبات كانت تسبب الامراض ، حتى ظهر فى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر علماء افذاذ مثل لويس باستير ، وروبرت كوخ ، فهما طبيعة الميكروبات ، وعملا على قتلها . ومع ذلك فان اطباء التاريخ القديم ، او العصور الاولى للانسان ،كانوا على علم ببعض النظم التى يجب اتخاذها لمقاومة الامراض .

ففى العراق مثلا عثر على قائمة كاملة للمواد التى كان يستخدمها البابليون منذ ٤٠٠٠ سنة مكتوبة على قالب من الطوب . ومن بين هذه القائمة اسماء نباتات ، وجلد ثعابين وطيور لمقاومة امراض معينة . وبعد خمسمائة سنة كان سكان مصر يستخدمون النباتات بوفرة فى علاج الامراض ، وكذلك بعض مواد استخرجت من الحشرات .

وفى عام ١٥٤٢ الف الطبيب «اندريا فاسيليوس» الايطالى والاستاذ بجامعة بادوا بايطاليا كتابا عن الجسم البشرى ، اثار ضجة فى الكنيسة الكاثوليكية ، بعد ان اجرى عدة تجارب وبحوث على جثث الموتى . وبعد ذلك فتح باراكلسس الطريق امام علم العقاقير . وكان هذا العالم يعتقد اعتقادا راسخا ان الطبيعة هى الدواء الحقيقى للانسان، وان المواد الكيميائية مثل السلفا والزرنيخ والزئبق هى العقاقير المثالية التى يجب ان يستخدمها الاطباء فى علاجهم للامراض .. وعندما وضع نظريته العلمية هذه ، تحول الطب من حالة الجهل التى كان عليها ، الى الطريقة الصحيحة لاستخدام العقاقير لعلاج الامراض .

وفى عام ١٨٣٧ كتب العالم الفرنسى « كانياردى لاتور » بحثا شيقا عن خميرة البيرة بعد مراقبته الطويلة للميكروبات وهى تتكاثر . ومن بعده ابرز « باستير » للعالم حقائق مثيرة عن عمل الميكروبات ، وقفز الى نتيجه بارعة غيرت وجه التاريخ بقتله الميكروبات فى زجاجة بها سائل وذلك بتسخينها ، فتوصل الى الطريقة الصحيحة لتنقية الطعام .

وعن طريق فهم « باستير » لطبيعة الميكروبات استطاع الطبيب الانجليزى المشهور « جوزيف ليستر » ان يطهر الجروح بحامض الفنيك ، ويغطيها بقماش ، وبلغ من شدة حرصه انه كان يرش غرفة العمليات بنفس الحامض ليقضى على الميكروبات .

والى الطبيب الالمانى «روبرت كوخ» يرجع الفضل فى اكتشاف مرض الحمرة الذى قتل قطعان الخرفان فى المانيا ، عندما اهداه احد اصدقائه ميكروسكوبا فى احد اعياد ميلاده ، واستطاع كذلك بفضل مثابرته ان يعزل

العقاقير من

ميكروب الدرن والكوليرا، فسلم الناس من شرهما ...

تصنيف الميكروبات واكتشاف المضادات العضوية

عندما مات « باستير » في عام ١٨٩٥ كان علم البكتريا قد رسخ في الدوائر العلمية ، وامكن للعلماء تصنيف الميكروبات وتقسيمها الى ثلاث مجموعات :

المجموعة الاولى : ميكروبات وحيدة الخلية ، وهي تشبه الاسماك الصغيرة ذات الرءوس الكبيرة والذيول الطويلة

المجموعة الثانية : ميكروبات تشبه النباتات مقسمة الى بكتريا كالفطريات وحشائش الالفا البحرية .

المجموعة الثالثة : الفيروسات وهي مركبات كيميائية معقدة ، لا تستطيع ان تنتج نفسها ، ولكنها قادرة على مهاجمة الخلايا ، وتجبرها على انتاج الفيروس . واخيرا تنفجر الخلايا وتموت وتطلق اعدادا عظيمة من الفيروسات التي تقوم بمهاجمة الخلايا الاخرى .. وبذلت جهود اخرى على مرور السنين للتمييز بين ميكروب وآخر ، كما قسمت الميكروبات ايضا الى نوعين ، نوع يعيش ويتكاثر في وجود الاوكسجين والاخر يعيش بدونه .

وعن طريق جهود العلماء واستطاعتهم عزل الميكروبات ومعرفة طبيعتها ، اكتشف ميكروب مرض الزهري في عام ١٨٧٩ ، وبعد عام اكتشف ميكروب التيفويد والبرص والملاريا . وفي عام ١٨٨٢ عزل كوخ ميكروب الدرن وبعد عام آخر اكتشفت البكتريا التي تسبب مرض الدفتريا والكوليرا .

وفي عام ١٨٨٤ اكتشف ميكروب التيتانوس الطويل العمر والميكروب الذي يسبب التهاب الغشاء السحائي ، وهو الغشاء المغلف للمخ والحبل الشوكي . وتوالت الاكتشافات عبر السنين للميكروبات التي سببت الامراض الخطيرة التي لم يعرفها الانسان لعدة الوف من السنين .

المضادات العضوية لقتل الميكروبات

ظل العلماء يجرون تجاربهم على الميكروبات التي تهاجم الانسان والحيوان والنبات ، حتى ظهر العالم واكسمان الذي ركز اهتمامه في استخدام مواد خاصة لقتل الميكروبات في عام ١٩٤٥ ، واطلق على هذه المواد المضادات العضوية للميكروبات أو Antibiotics » ، وظل هذا العالم طوال عشر سنوات كاملة يكتب تقارير ويقدم بحوثا هامة عن مقاومة بعض ميكروبات التربة وتأثيرها على أنواع معينة من البكتريا . واطلق اسم Antinomycin على اول مضاد عضوي للميكروبات ، ثم اعقبه باكتشاف مضاد آخر اسمه « ستروبتوتريسين » ولكن المضادين كانا سامين بدرجة خطيرة ، وعن طريق المضاد الاخير اكتشف « الاستربتومايسين » في علاج مرض الدرن .

.. الميكروبات

وفي السنوات العشر التي اعقبت استخدام عقاقير الـ Streptomycin استطاع العلماء فحص ثلاثة الاف نوع من مضادات الميكروبات لم يستخدم منها غير خمسة عشر نوعا في العقاقير منها الاوريومايسين والترامايسين والكلوروميستين التي لعبت دورا كبيرا في القضاء على امراض عديدة ٠

البحث عن مضاد عضوى للقضاء على مرض السرطان

هل استطاع علماء الطب ايجاد مضاد عضوى يقضى على مرض السرطان ؟

الحقيقة انه رغم تقدم العلوم الطبية في عصرنا هذا فان البحث لا يزال جاريا على انواع مختلفة من البكتريا والفطريات ٠ وعن طريق هذه البحوث نشأ علم جديد اسمه Microgenetics يبحث في دراسة الطرق التي تنتقل بها صفات الميكروبات من جيل لاخر ٠ وقد استطاع العاملون في هذا المضمار ان يخلقوا ميكروبات تختلف في صفاتها عن ابائها وامكن الوصول الى هذه النتائج بتعريض الميكروبات الى اشعة اكس » او أنواع أخرى من الاشعة ومعالجتها بالمواد الكيميائية ٠

والعلماء الضالعون في دراسة مضادات الميكروبات يركزون اهتمامهم اليوم في ابراز الجوانب الخفية للعقاقير بحيث تصبح اكثر اماناً عند استخدامها على نطاق واسع في اقصائها على الميكروبات ٠٠

لقد ظلت الامراض القديمة لعدة قرون تسبب البؤس والشقاء والموت للانسان في جميع بلاد العالم . حتى استطاع العلماء أن يسيطروا عليها ويتحكموا فيها بفضل فهمهم الصحيح لطبيعة الميكروبات ٠ وعن طريق اصرار العلماء في بحثهم عن أصل وطبيعة الميكروبات أمكن استخراج عقاقير انقذت البشرية ، من وطأة الامراض ٠

والشيء الذي يقلق العلماء في عصرنا هذا كثرة اصابة الانسان بمرض السرطان ٠ لذلك نجدهم يتكاتفون ويتبادلون المعلومات في كل بلد من بلاد العالم في محاولة جريئة لحصره والقضاء عليه ، بعد ان فتك بالبشر في السنوات الاخيرة فتكا ذريعاً ٠٠

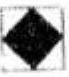
والسرطان يصيب الانسان والحيوان والنبات ويحدث عن تغير خبيث يصيب الخلايا ، ولايعرف سبب هذا التغيير في نمو الخلايا وتكاثرها بطريقة غير منتظمة، وتغزو مايجاورها من انسجة ثم تنتشر عن طريق الاوعية الليمفاوية والدموية الى الغدد الليمفاوية ذاتها والى اعضاء اخرى من الجسم كالرئتين والعظام والكبد والمخ ٠

ويعالج السرطان عادة بالعمليات الجراحية او بالراديوم او بالاثنين معا ٠٠ ويحاول حاليا العلماء اليابانيون ايجاد وسيلة فعالة في علاجهم لسرطان الثدى وانواع الاورام الخبيثة الاخرى وقد تقدمت بحوثهم في السنوات الاخيرة تقدما ملحوظا سوف تجنى البشرية ثمراته قبل نهاية هذا القرن الذى عانى فيه الانسان كثيراً من قسوة السرطان وضراوته ٠٠٠ ◆



اللقاء الأخير مع عاشق الفن والجمال والأساطير

• سمير وهبي •



بدأ عبد الرحمن صدقي رحلته مع الادب منذ صباه المبكر عندما كتب ، وهو ما زال في الرابعة عشرة من عمره ، في مجلة « عكاظ » التي نشرت له باكورة شعره .. وفي مجال الفن ، عمل بمراقبة الفنون . وكانت تابعة وقتئذ لوزارة المعارف ، وانتقل منها الى دار الاوبرا

كان فقيد الشعر والفن والادب ، عبد الرحمن صدقى اديبا من الرعيل الذى ربى نفسه بالثقافة الرفيعة ونهل منها بمجهوده الشخصى ، بعيدا عن الاجواء الاكاديمية والشهادات ، وهو بذلك يشترك مع فطاحل آخرين شقوا طريقهم بانفسهم حتى وصـــلوا الى مراتب مرموقة فى الادب بمجهودهم الفردى .. ومن بين هؤلاء على سبيل المثال ، عباس محمود العقاد ، على ادهم ، دريني خشبة ، اسماعيـــل مظهر ، سلامة موسى ، عبد اللطيف النشار ، عثمان حلمى وغيرهم .

يعمل سكرتيرا لها ، ثم وكيلا ، فمديرا عاما .

واستغرقته الحياة ، ولكن دون أن تبعده عن القراءات الجادة وعن الانتاج الادبى الرفيع . وتأثر فى شــبابه بالمازنى ، ثم بالعقاد الذى ارتبط معه بصداقة كبيرة ، الى حد انه ذكره فى



زوجة الشاعر : كتب منها ديوان شعر كامل

روايته (سارة) .

وأولع عبد الرحمن صدقى بقـراءة الشعر الجيد ، سواء العربى القديم أم الاجنبى ، وتأثر بكل من ابن الرومى والشريف الرضى والمتنبى ، مما كان له اكبر الاثر فى رصـــانة لفظه وجزالة اسلوبه .

وعندما توفيت زوجتـــه الاولى ، مارى ابنة المهنـــدس الايطالى نيقو كاتيلا ، وكانت تشـاركه اهتماماته الادبية ، نعاها فى ديوان كامل سماه « من وحى المرأة » تحـــدث فيه عن لوعتـــه فى الحب وفى الموت ، وقد وصفها فى عشرات من المواضع مسجلا ذاته ومدى فجيعته فى فقدها :

لقد كنت يوما اية الخالق البـــارى
وكونا عظيما من شـــعور وافكار
فامســــيت مثعى فى صحيفة اخبار
وبضعة اشـــعار وصورة تذكار

غير ان الله عوضه عن صبره ، فارسل له حورية جميلة ، من طليطلة رأى فيها رمز « الانوثة الخالدة » ووصف تجـــربته معها فى ديوان « حواء والشاعر » ، قال منها :

على اننى لم ابرح الغرب خاليـــا
لقد ساق لى المقدور حورية البحر
باندلس كانت منابت كرمهـــــا



مع ..
عاشق الفن والجمال والأساطير

ومن هذه الجنسات قد عتقت خمرى لمنتها بلاد الشرق ، لم تغسريت فما نسيت ما كان للشرق من سحر تجوب البحار السبع لم ترس فلكها وارست مراسيها اخيرا على ثغرى !

● سألته : هل انت قاهرى المولد ؟

فاجاب : فى الحقيقة لست قاهرى المولد ، وانما عشت دائما فى العاصمة منذ طفولتى المبكرة · وتفصيل ذلك ان والدى كان يعمل بالمنصورة فولدت هناك . ولكنى لم ابق فى تلك المدينة الا سنتين فقط · ثم انتقلت العائلة الى العاصمة · وقبل مولدى مباشرة . كانت البلاد موبوءة بالكوليرا ، وبسببها فقدت أمى والدتها العزيزة بعد أن تعذبت طويلا من الكوليرا · فلمـا توفيت ، تألمت أمى عليها شديدا · لانها شاهدت بنفسها عذابها فى اثناء المرض ، خاصة وأنها أعز انسان لها ، ولما كانت حاملا بى انذاك ، فقد نالنى نصيب من هذا الالم الذى أصاب أمى · لقد اصيبت أمى بمرض عصبى شديد ، على أثر وفاة والدتها ، واعتقد بان قدرا منه انتقل الى بطريق الوراثة

الواقع انى كلما عدت الى شعر الصبا اجد انه مصبوغ بالنورستانيا ، ومن ابرز دلائلها : الخوف من الحياة ، أو من توقع حوادث لا تحدث · انها مخاوف فى حد ذاتها منطقية جدا ، ولكنها لا تقع ·

● هل تتذكر من كانوا زملاءك خلال دراستك الثانوية ؟

ـ اذكر منهم الاديب المفكر على ادهم · ومحمود زكى ، وهو مستشار ، وطاهر راشد وهو مستشار ايضا وله مراسلات مع عباس العقـاد ، ومع عبد الرحمن شكرى · وتلقى منهمـا ردودا على خطاباته · وكانوا جميعا ممن يهتمون اهتماما شديدا بالادب وبالقراءة الجادة ·

● واول وظيفـة لك ، كانت بمراقبة الفنون فيما اظن ·

ـ لا ·· لقد سبقتها وظيفة اخرى فى مراقبة الامتحانات ، حيث قضيت سنوات قليلة قبل ان انتقل الى مراقبة الفنون الجميلة ·

● ميولك الادبية ·· هل ترجع الى الوراثة ؟

ـ فى الواقع ان ابى كان لا ينام ليلا قبل ان يقرأ جـزءا من رواية بوليسـية لنقولا كارتر وامثاله ، والمعروف اننا نرث الطباع من الاب ·· اما الام فهى التى تورث ذوقهـا الفنى بالتربية لابنـائها ، حتى لو كانت نصف متعلمة كما كان الشان مع والدتى · فقد أورثتنـا ـ انا واشقائى ـ المواهب الادبية والفنية · كانت تقرأ قراءات خفيفة · غير ان احكامها فى مجـال الجمال الفنى تصطبغ بالصدق والاصالة ، فتميز

بحاستها الشيء الجميل والشيء غير الجميل ، بصرف النظر عن مضمونه الاخلاقي . فتقول مثلا : هذه الصورة جميلة أو قبيحة ، ولا تقول هذا حلال أو حرام !

● حدثنا عن محاولاتك الادبية المبكرة ؟ .

ـ انها دراسات واشعار نشرتها في المجلات الادبية . وبدايتي كانت مبكرة ، لاني أسهمت في تحرير مجلة « السفور » التي كان يصدرها عبد الحميد حمدي ، وهي المجلة التي كتب فيها طه حسين ، ومصطفى عبد الرازق أول انتاجهما . وكان لي صديق ، هو حسن محمود تزوجت شقيقته من صاحب المجلة . وكثيرا ما ترك لنا عبد الحميد حمدي المجلة ، فحررنا عدة أعداد بأكملها . اما مسالة الاصالة الادبية ، فأجد جذورها في أسباب شخصية . وتفصيل ذلك .. اني كنت في صباي ، (ويشترك أبناء جيلي كله في هذا) أنظر الى الجنس على انه رجس . ولعل هذا ناشيء عن شدة تمسكي بالدين ، وكنا نخشى المرأة ، أو على الاقل كنا ننظر اليها نظرتنا الى اللغز أو السر الغامض ، فانطويت على نفسي وكبرت المرأة في نظري . وتعودت أن انظر اليها في حياء شديد . وهذا الحياء بدوره جعلني اناقش نفسي دائما وأقارن تصرفاتي بتصرفات غيري من الشباب الذين يحسنون وسائل المباداة الغرامية . وكنت الوم نفسي سرا على فشلي المتكرر في هذا المجال . وهذا ما جعلني أطيل التفكير في نفسي وفي تحليلها ، وأطيل التفكير أيضا فيما أقرأ ، فتنعكس آثار هذا التفكير الطويل فيما أكتب .

سألني اخيرا أحد الاشخاص : « كيف يتسنى لك ان تجمع بين المتناقضات في كتاباتك ؟ كيف تكتب عن « جوته » وتأثره العميق بالشرق والاسلام ، وهو كتاب به روحانية شديدة وصوفية عالية . ومن قبله اغرقت نفسك في ابي نواس وفي « الحان الحان » ، ومن قبله بودلير وازهار الشر .. ثم تاجور . ان كتبك تفتقد وحدة الهدف .. » .

وكان ردي عليه : « لاني انا هذا كله ، انا كل هؤلاء . ولا يمكنني ان اكتب شيئا دون ان يكون انعكاسا لما اختبرته بنفسي قبلا » .. ان رذائل هؤلاء وفضائلهم موجودة عندي .. انها موجودة عندي بالقوة كما يقول ائمة المنطق العرب ، وان كان الطبع الخيّر غالبا .

● يبدو ان هذا ينطبق ايضا على مؤلفين كثيرين . خذ مثلا شكسبير . انه احسن من وصف الجريمة . في رواية « ماكبث » وصف الجريمة بطريقة توحي بانه فعلا كان يعاني من ميول شريرة متأصلة فيه ، وكان بداخله عقارب حية ..

ـ ان شكسبير هو فعلا أعظم من وصف النفس البشرية . وهو متفوق فعلا في وصف الجريمة ، الا ان عنده من الطبع ما امكنه أن يتغلب على تلك الميول الشريرة ، والا لكان مصيره السجن ، وكل الانفعالات التي وصفها كانت تعتمل في نفسه ويحس بها . ولو غفلت ارادته عن نفسه ، لكان





مع..
عاشق الفن والجمال والأساطير

له شأن آخر ، وقد وصفه تولستوى بأنه رجل غير اخلاقى . ولكن هذا ليس عيبا على الاطلاق ، لانه فنان ومسألة الاخلاق تخرج عن نطاق تفكيره ..

● **ان ملاحظاتك عن شكسبير تذكرنا برأى كتبه برنارد شو . قال : لو أراد الناس أن يترجموا الى افعال كل ما يمر بمخيلتهم ، لكان نصف البشرية فى مستشفى المجاذيب ، والنصف الآخر فى السجون ! » ..**

— تصور ان العرب سبقوا برنارد شو الى هذا المعنى .. ان لابن الرومى ابياتا يصف فيها النفس البشرية بما لا يخرج عن هذا المعنى . انشد يقول :

قد خلق الانسان من طينة
يصدق فى القلب لها الثالب
لولا علاج الناس اخلاقهم
اذن لفاح الحمأ اللازب

والحمأ هو الطين . ومعنى الكلام ان الانسان مجبول على الشر ، ولولا ان الناس حريصون بعض الشىء على معالجة أنفسهم من الشرور ، لانكشف الستر وظهر الانسان على حقيقته المفجعة .

وبهذه المناسبة أحب ان اقول بانه لا يوجد شعور نفسى لم يخطر على بال العرب القدامى .. انظر الى هذا الشطر من بيت لعمر بن أبى ربيعة :

« وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا » .. فهو يريد ان يقول بأن فتاته جميلة الى درجة انها لا تستطيع ان تخبىء فتنتها ! لهذا السبب تجد دائما بنات البلد يحاولن طول الوقت ، وهن ماشيات فى الطريق ، عدل الملاية وهن فى الحقيقة يردن اثارة الناس بجمالهن ورشاقتهن !

● **ما هو الفرق فى تقديرك بين الاديب القديم والاديب الحديث من حيث التكوين ؟ .**

— انه فرق هائل . أكاد أقول هوة بعيدة المدى . ان الدولة مهتمة اليوم جدا بمسألة انتشار التعليم الجامعى ، وهى تعمل جاهدة لزيادة عدد حملة الشهادات العالية . وهو أمر نشكر عليه . ولكنها وسيلة قاصرة فى نظرى . ان سلسلة كتب « افريمانز » تحمل على غلافها الداخلى شعارا مأخوذا من جملة قالها كارلايل . وهذا الشعار يقول : « ان أحسن جامعة فى العالم هى مجموعة من الكتب » .

ولقد بدأت انتاجى الادبى بقرض الشعر ولم اكتب النثر الا فيما بعد . والسبب يرجع الى شدة تأثرى بما قرأت فى الف ليلة وليلة ، وقد وجدت فى كثير من صفحات تلك القصص الشعبية استشهادات كثيرة من الشعر الجيد ، فتأثرت به . لان الاستعداد

الشعرى كان موجودا اصلا فى نفسى ، خذ مثلا تلك الابيات الرائعة ، وهى موجودة فى احدى قصص الف ليلة وليلة ، وهى لابن الرومى :

اعانقها والنفس بعد مشوقة
اليها وهل بعد العناق تدانى
الثم فاها كى تزول حرارتى
فيشتد ما القى من الهيمان
كان فؤادى ليس يشفى غليله
سوى ان يرى الروحين تمتزجان

وكل هذا نجده فى كتاب شعبى ، ولهذا السبب أحببت الشعر .. وفى بداية حياتى وقعت تحت يدى كتب للسباعى الكبير ، والمنفلوطى ، فاحببت الاول ، ولكنى لم أمل اطلاقا الى الثانى ، ولم اشعر تجاهه بأى تجاوب .

● **بمن تاثرت من الادباء فى بداية حياتك الادبية ؟**

ـ فى مطلع حياتى ، كانت الحياة الادبية قد كرست علمين لها . احمد شوقى لدولة الشعر ، والمنفلوطى لدولة النثر . وقد قرأت للاثنين ، غير انى لم استطع ان اتجاوب مع المنفلوطى ، بسبب اسلوبه الوعظى المباشر ، والافتعال الشديد الظاهر فيه .

● **بعد هذا العمر الطويل الذى قضيته فى الادب والفكر ، ما هى فلسفة حياتك ؟**

ـ اولا . انى اجد فى نفسى الكثير من المتناقضات ، فانى ما زلت خائفا من الحياة . خائفا من الامراض ومن الحروب . ولى قصيدة عبرت فيها عن تلك المخاوف ، وعنوانها : « فى عالم الخوف » . ان الحياة ، كما قال العقاد ، كنز وحارس الكنز دائما فى خطر . لذلك نرى الناس حريصين على الحياة . عندما اشتبه على أحد الاطباء ان بعينى « كتاركت » كنت أجن وفكرت فى الانتحار ، رغم انى اشك فى جرأتى على وضع حد لحياتى ..

وثانيا ، ان دراستى للاديان قد جعلت التركيز فى العقيدة بالله لها امتياز . وأنا سعيد جدا بمكتشفات العلم الحديث ، لانها فتحت آفاقا واسعة امام الانسان المفكر بحيث أصبح يقف مذهولا أمام كل ما يدور حوله من مكتشفات يقف امامها خاشعا .. بل أصبحت ايضا تفوق تصوره البشرى ، وامام مثل تلك القدرة الفائقة للخالق ، أصبح لا يتساءل ، حتى اذا ما اصابه شر . واضحت تلك القدرات الساحقة مشهورة وملموسة ، الامر الذى يجعلنى الان أفرق بين الله القادر ، والاله الاخلاقى .. فالانسان امام فكرة الله فى ذهول .. ولو أخذ الناس يفكرون فى جدية لوجب ان يكون عهدنا عهد ايمان قوى .. لان القضية الكبرى ثابتة . بما لا يقبل اى شك ..

● **ما هى النصيحة التى تود ابلاغها لشباب اليوم والى القراء المثقفين ؟**

ـ **مسالة القراءة الجادة .. يجب عليهم ان يتعمقوا فى معانى الكلمات التى يقرأونها ، وفى فترة شبابى كنا نسمع عن ممثل اسمه زاكونى قام بادوار هاملت ، وبادوار فى روايات أخرى ، مثل الموت المدنى والاشباح لابسن . وقبل ان نذهب الى المشاهدة**





مع -
عاشق الفن والجمال والأساطير

كنا نحصـــــل على الرواية باللغة الانجليزية ثم نقرؤها •• وبعد الانتهاء من الحفلة نجتمع في منزل احـــد الاصدقاء لنناقش ما رأينا ••

وعندما تعرفت على المازنى نصحنى بقراءة « الشريف الرضى » ، ومختارات البارودى ، وقد جمع فيه هذا الاخير أحسن الشعر العربى ورتبه فى أبواب وقد ساعدتنى هذه القــــراءات على صقل اسلوبى ومده بالجزالة وفتح عينى على اسرار اللغة العربية • ثم ان التعمق فى دراسة اللغات الاجنبية جعلنى افتش فى اللغة العربية لأجد الكلمات التى تقابل الالفاظ الاجنبية • فمثلا كلمة Sentimentalism ليست « العاطفة » ، وانما هى « ترقيــــق العاطفة » واللغة العربية ليس بهـــا مترادفات وانما بها « فروق » تبين الفرق بين لمع وتألق وومض •• هناك كلمة تدل على الســـحابة القريبة ، واخرى للسحابة التى تسرى فى الليل وفرق كبير بين سقط وتساقط •

نصيحة اخرى احب ان اوجههـــا للشـــباب اليوم • هى الا يكتفوا بالقراءات السطحية •

ونصيحتى للشـــباب ان يقرأوا الشروح التى تتناول مداخل العلم او الفلسفة او الادب ، وهى كتب شبيهة بما كان يعرف قديما باسم « معارج الوصول » لينزأرها تنهيئه اذهانهم وشحذ عقولهم للمعرفة ••

● حدثنا عن ديوانيك ••

– انى اعتقد ان الشعر هو الفن الكتابى الوحيد الذى ينسى الشـاعر فيه نفسه ويتعرى امام الجمهور • فانا لا اظن ان ابا نواس مثلا كان يمكن ان يجاهر بكل ما جهر لو انه كان يكتب نثرا • كما لا اعتقد ان الجمهور كان يقبل منه ما قاله فى شعره لو انه قيل نثرا • ذلك ان نفحة الشعر وما يحدثه من انفعـــــال ينسى الشاعر والقارىء ايضـــا كل شىء ، الا ان الشعر الجميل دائما له انفعـــالاته الصادقة وانه يعرف حقائق نفسـية كثيرة فى غيبة الحس هذه •

وقد بدأت حياتى شاعرا ، اما النثر فلا بد ان يحاول الناثر ان يكتب على سجيته حتى يأتى نثره فنا • وقـــد تعلمت الشعر من الشواهد الشعرية المبثوثة فى كتاب الف ليلة وليلة • ولعل كثيرين غيرى تعلموا الشـــعر ايضا على يد شـــهر زاد •• وكان شعرى فى حياتى يأتى بمناســـبة وقائع حدثت فعلا وتأثرت بها • وقد افضيت الى الشعر بهذه الانفعالات الخاصة • اما موضوعه فكان الحياة او الموت وهما موضوعان على طرفى نقيض ، وقد نشرت بعضه فى مجلة

(عكاظ) لصاحبها الشيخ محمد فهيم ، وربما ايضا في مجلة (الثمرات) لصاحبها الاستاذ حسن السندوبي ، ثم بمعاشرتي بعد ذلك للمازني وللعقاد من بعده ظهرت عندي ملكة النقد واغرمت بها وعندما واجهت اكبر حادث فيحياتي العاطفية بوفاة زوجتي (ماري) والتي اقترنت بها بعد ان جاوز سني الاربعين ، حاولت وقتئذ ان اعبر عن نفسي نثرا فلم اجد في القلم الذي يعبر عن ثورتي لهذهالفجيعة ما يعبر عن ثورتي فانصرفت الى الشعر ، وكانت لي في ذلك تجربة عميقة ، لان صعوبات التعبير من خلال قيود النظم العربية كانت تهيج انفعالي اكثر فاكثر ولا تزال تتكدس هذه الانفعالات وتقوى حتى تنطلق معنى ولفظا في وقت واحد ، فلا اكاد انتهي من البيت حتى تذرف الدموع من عيني لامتلائي بالعاطفة التي املت الشعر .. وهكذا عرفت قيمة القيود في الفن لانها تنضج المعنى الى الحد الذي يخلق هو نفسه اللفظ الملائم للحال . وبذا لا تكون اللغة مجرد الفاظ من الكليشيهات المرصوصة توضع كلما جاءت مناسبة قريبة لها .

هكذا جاءت عودتي للشعر ..

ان الفجيعة فجرت شاعريتي والفت ديوانا كاملا في زوجتي المتوفاه ، وهو ليس مراثي زوج لزوجته ، والا لما اهتم احد بقراءته ، وانما هو في الواقع رسم للحياة التي عاشها اثنان على وجه الارض في اكمل سعادة رأيت الاقدار ان تسمح لهما بانتهاز السعادة . لقد تحدثت فيه عن غرامنا بالطبيعة وجلوسنا على شاطىء النيل معا واستغراقنا في الكتب ، اذ كنا نقرأ الفن بالعقول والعلم بالقلوب :

نضاعف بالكتب الحياة فحظنا
من الحسن والتفكير حظ مضعف
ونعرض للعقل الفنون فتنجلى
وندرس بالقلب العلوم فتلطف

وأول قصيدة من هذا الديوان تحمل طابع الاناث ، وهي الوحيدة من وزنها . ولما نشرت رددها شعراء العاصمة وخاصة كامل الشناوي الذي كان يلقيها في مجالسه :

كان لي في آخريات العمر
بيت عدمته
احرام ان سعدنا
كان ذا حلما حلمته
سنوات اربع ؟ ام
خيالا ما زعمته
كل ما اعرف انى
كان لي بيت عدمته

وفي طيات الديوان وصف للحب والموت ورحلة قمت بها الى ايطاليا والطبيعة التي وصفتها في شعري ليست وصفا جغرافيا وانما تجعل من المنظر نفسه حالة نفسية .

لي ديوان آخر عنوانه (حواء والشاعر) عبارة عن دراسة نفسية متكاملة للأنوثة الخالدة التي تتجسد في بنات حواء على اختلاف الانماط في الحسن والشمائل . وتحدثت فيه عن زوجتي الثانية .. وتحدثت فيه عن أمي أيضاً وقد افزعها ان اموت عقب مرض شديد الم بي وهكذا تناولت ايضا فيه تجربتي مع « المرأة الام » .



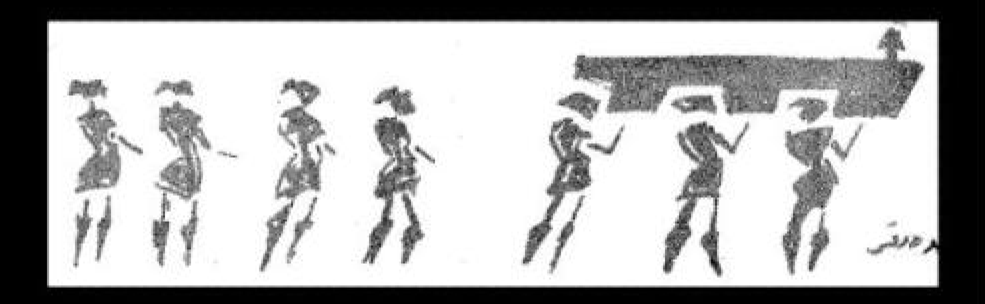


دمعة على الشاعر الناشر عبد الرحمن صدقي

ملكت بحبك المأثور رقى ... فكيف ملأت بالأحزان افقى ؟
اضفت الى سهام الدهر سهما ... اصاب حشاشتى فى غير رفق
الم تكف الفجيعة فى «غنيم»(١) ... فجئت تزيد فى جرحى بعمق ؟
مصابى فيك فوق مدى اصطبارى ... ورزئى فيك فوق مجال طوقى
لقد انفدت فى الاحداث صبرى ... وما ابقيت مثقالا «لصدقى»
الا فليرمنى زمنى بما لا ... تطيق كواهلى ، ويطوق عنقى
فقد اصبحت من غرض المنايا ... قريبا فى الاصابة والتلقى . !
اخى صدقى : فقدتك فى اوان ... اساق الى المنية اى سوق

---

(١) هو المرحوم الشاعر محمود غنيم . توفى فى سبتمبر ١٩٧٢ .



اصاب من الحوادث كل يوم ... بما قد ليس يمنعه التوقي
ففي صدري من الدنيا نصال ... اراع بهن رشقا بعد رشق
وما طعم اللذاذة في حياة ... اجرع ماءها رنقا برنق ؟
تركت بها وحيدا عن صحابي ... بعيدا عن بني .. فيا لضيقي
اذا افردت عن قوم كرام ... فانت بغربة عن كل خلق ..

***

ولم تكف الفجيعة فيك حتى ... فجعت بما يكاد يقد رتقي
ففي « الغضبان » لم تذر المنايا ... وفي «الجندي» (١) ماكانت لتبقي
فقدناهم ونحن على احتياج ... الى عرق من الفصحى ، وعرق
لقد كانوا البقية من كرام ... تشاب حداثة منهم بعتق
لقد شادوا الجديد على قديم ... وما مازوا الحقبق عل الأحق
قديمك شق مجدك من جديد ... أنعمر شقنا بخراب شق ؟

***

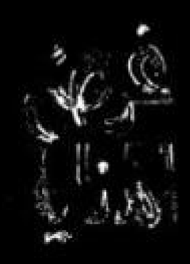
اخي ! ولانت في الاداب صنوي ... وخلقك في الصبابة غير خلقي
رأيتك في الوفاء عديم ند ... وفي قدر الجمال كثير ذوق
ترى في كل « حواء » مجالا ... لكل صبابة ، ولكل خفق
كمثل النحل .. ترتشف المجاني ... وترجع في الجنى بالله رزق !
وما انا مدع مالم تقله ... ولا ملق بما لا كنت تلقى ...
اخذتك من كلامك يا صديقي ... ومن آثار منطقك المحق !
وقد غنيت حبك في القوافي ... وسجلت الهوى في كل رق(٢)

***

مصابك مخلف نارا بقلبي ... وخطبك تارك غصصا بحلقي
لقد آنست فيك اخا رقيقا ... يميل الى بالخلق الارق
يبادلني البشاشة من بعيد ... ويتبعني الكرامة وهو لصقي

---

(١) هما المرحومان الشاعران : عادل الغضبان وعلى الجندى .
(٢) الرق بفتح الراء : الصحيفة يكتب فيها



ويضحك لي اذا عبست همومي ... بوجه ضاحك القسمات طلق
وينصفني اذا ما جار دهري ... علي ، وانكر الخصماء حقي ..
وكم من لجنة (1) فيها افترقنا ... ونحن على الوفاق بغير فرق
تقاسمنا الهوى منه ، ومني ... فاهوى نطقه ، ويحب نطقي
وما احلى القلوب وقد تصافت ... اذا اجتمعت على حق وصدق
وكم من مجلس فيه التقينا ... فكان مسبقا من غير سبق
ويرسل نكتة والجو رعد ... فتومض بيننا ايماض برق
ويبعث بالدعابة تلو اخرى ... ويلقى طرفة ، ويظل يلقى ..
له بصر باسمار الليالي ... وعلم بالحديث المسترق
تواتيه الفكاهة من بعيد ... وتستدنيه من غرب لشرق
ويسقينا الهوى مزحا ، وجدا ... كعادات الليالي حين تسقي ..
ويمتعنا بكل حديث خمر ... ويطرفنا بكل حديث عشق
فحينا من « فلورنسا » حديث ... واحيانا حديث عن « دمشق »

***

أيا جيل الاصالة كيف أفضت ... بنا الايام للجيل الارق ؟
فانت بقية من جيل قوم ... مضافع في مجال القول ، شدق
أشداء على بحث دقيق ... ذوي صبر على الادب الادق
لقد بلغوا الذي بلغوا بسعي ... وداب في قراءتهم ، وحذق
وهل دان العصي بغير جهد ... وهل لان الحديد بغير طرق ؟

***

دعوت لجيلنا النامي بصبر ... واقدام على الدرب الاشق
فهل أبصرتمو يوما طريقا ... يرام بغير تعبيد ، وشق ؟
وهل ورد ينال بغير شوك ... وابواب تفتح دون دق ؟ ؟ ؟

---

(1) كان الراثي زميلا للمرثي في لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والاداب ، وفي لجان ادبية أخرى .

إمـــــام المـــادحين

● عبد العليم القباني ●

المادحون وارباب الهـــوى تبع لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم
مديحه فيك حب خالص وهـ ـى وصادق الحب يملى صادق الكلم

« شوقى »

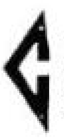
الشعراء المسلمون الذين مدحوا الرسول الكريم ، على مدى العصور ، اكثر من ان تحصيهم عدا ..

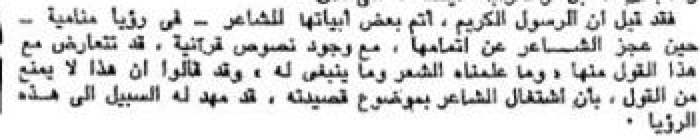
وهناك دواوين كاملة، من اشعا رهم فى هـــذا الباب، لا يزال النـاس يتناقلونها عبر الازمنة والامكنة ، تنبىء بما للرسول ـ صلوات الله عليه ـ من مكانة فائقة فى قلوب المسلمين ، من أهل المشرق والمغرب ...

ومن بين هؤلاء جميعا ، يلمع اســم « البوصيرى » ككوكب متالق ، فى سماء الشعر الدينى ـ المديح منه بصفة خاصة ـ فلا يكاد يعدله كوكب آخر . بل ان الناس ، لا يذكرون من شعر « حسان بن ثابت » وهو « شاعر النبى » ، مثل مايذكرون من شعر « البوصيرى » الذى تتغنى بعض الطوائف بشعره فى حلقات الاذكار ، فى شتى البلاد العربية ...

ولا تزال قصيدته « البردة » مثلا ، يشار اليها ، وتتقاصر الاقلام ان تبلغ مداها ..

ولقد اهتم الناس بها ، منذ ان نظمها صاحبها ، واحاطوها بجو من القـداسة والاجلال ، بل والقرابة ايضا ، الى الآن ..





فقد قيل ان الرسول الكريم ، اتم بعض ابياتها للشاعر ـ فى رؤيا منامية ـ حين عجز الشــاعر عن اتمامها ، مع وجود نصوص قرآنية ، قد تتعارض مع هذا القول منها « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » ، وقد قالوا ان هذا لا يمنع من القول ، بأن اشتغال الشاعر بموضوع قصيدته ، قد مهد له السبيل الى هـذه الرؤيا .

البوصيري

إمام المادحين

وقيل ايضا ان صاحبها ، توسل بها الى الله ، لشفاء من فالج (شلل) كان قد اصابه في جانبه الايمن ، وانها كذلك اعادت الرؤية الى نفر كانوا قد اوشكوا على فقدان نعمة البصر ، وقد اورد هذه القصص عدد من المؤرخين ، من بينهم « ابن شـــاكر الكتبي » في « فوات الوفيات » و « الصفدي » في كتابه « الوافي بالوفيات » و « ابن تغرى بردى » في « المقتفى » ولا تزال حكاية شفاء المرضى تلقى رواجا عنـــد بعض الناس الى الآن ·

● مباراة بين الخطاطين ●

ولم تنل قصـيدة عربية قط ما نالته قصيدة « البردة » بين الخطاطين من شهرة واهتمام ، فقد تبارى في كتابتها ، عدد لا يحصى من اساطين فن « الخط العربي » ، وتفنن بعضهم فوشاها برقائق من الذهب الخالص ومن هؤلاء الخطاط الكبير « بيضاء وخارى » الذى قام سنة ١٢٧٣ هـ بكتابتها كاملة ، بالخط الفارسى الجميل ، الموشي بالذهب ، في اطارات مستطيلة ذات ارضية زرقاء ، توج بها الجدران الاربعة لمسجد البوصيرى الكبير المطل على البحر بالميناء الشرقى لمدينة الاسكندرية ···

كما ان هناك نســـختين ثمينتين مكتوبتين بالذهب ، على أرضـية من اللازورد ، محفـــوظتين بمكتبة بلدية الاسكندرية، الاولى برقم ٢٢٤ «أ» وعليها عبارة تقول انها « برسم لخزانة مولانا السلطان الملك الظاهر ، خدمة المملوك توزى الملكى الظاهرى ··· »

والثانية برقم ٢٢٥ « أ » ومكتوب بآخرها انها « برسم الست المصـــونة الكبرى عائشة ابنة اسماعيل الخازن ، صان الله جمالها ـ آمين »

هذا غير عدد لا يحصى من الطبعات المنتشرة ، في مشارق الارض ومغاربها ، وعشرات من الشروح الموجزة والمطولة ، منها ما عرف طريقه الى النور بالطباعة، ومنها ما لايزال مخطـــوطا في خزائن المكتبات العامة والخاصة ، وهناك في مكتبة الاسكندرية بعض الشروح المخطوطة التى يرجع تاريخ كتابتها الى القـــرن التاسع الهجرى ·

● سبب التسمية بالبردة ●

ويرجع الباحثون سبب تسمية قصيدة « البوصيرى » بالبردة الى عدة اسباب اهمها أن « البوصيرى » راى في المنام ـ وكذلك راى بعض الصوفية ـ ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، خلع عليه بردته ،عندما انشده اياها ، كما خلعها الرسول من قبل ، في اليقظة ، على « كعب بن زهير » حينما انشـده قصيدته التى جاءه معتذرا بها والتى مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليـــوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبـــــول

ومن ثم سميت قصيدة البوصيري « بالبردة » ، كسالفتها قصيدة «كعب»، واشهر الاسباب بعد ذلك انها سميت « البرءة » لانها كانت سببا في شفائه لما توسل بها ، وان التحريف من « البرءة » الى « البردة » امر متوقع ومفهوم ٠

● اشهر المعارضات ●

شغلت هذه القصيدة ، عددا كبيرا ، من الشعراء ، عبر تاريخ الشعر العربي، فتسعها وسبعها وخمسها كثيرون ، وعارضها ـ اى نسج على منوالها معانى ووزنا وقافية ـ عدد كبير كذلك ، وفي مقدمة الذين عارضوها من شعراء العصر « محمود سامى البارودى » بقصيدته التى مطلعها :

يارائد البرق يمم « دارة العلم »　　　واحد الغمام الى حى « بذى سلم »

وتقع فى ٤٤٧ بيتا وقد طبعت على حدة سنة ١٣٢٧ هـ

وكذلك « احمد شوقى » فى « نهج البردة » التى تغنى سيدة الغناء العربى « ام كلثوم » بعض ابياتها والتى مطلعها :

ريم على القاع بين «البان والعلم»　　　أحل سفك دمى فى الاشهر الحرم

وتقع قصيدة « شوقى » فى ١٨٠ بيتا من أجود الشعر ، واحفله بالتراكيب الموسيقية ، وقد نشرت لاول مرة سنة ١٩١٠ م ثم نشرت فى كتاب مستقل عليه شروح بقلم العالم الجليل الشيخ « سليم البشرى » ٠

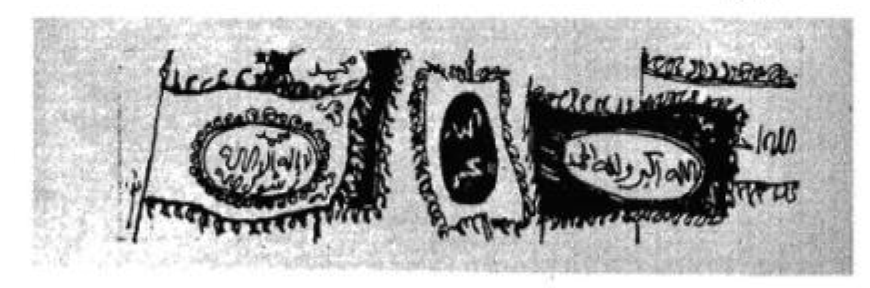
٠ وتبدأ قصيدة « البردة » بافتتاحية غزلية تشير الى معالم فى ارض الحجاز، مهد النبوة ، وموطن الدعوة ، وبذلك اوجدت جوا نفسيا ، ملائما لاستقبال القصيدة التى مطلعها :

أمن تذكر جيران « بذى سلم »　　　مزجت دمعا جرى من مقلة بدم ؟
ام هبت الريح من تلقاء « كاظمة »　　　وأومض البرق فى الظلماء من اضم

ويجيب البوصيرى على هذه الاسئلة ، بمقطوعة بالغة الرقة ٠٠ منها قوله :

نعم سرى طيف من اهوى فارقنى　　　والحب يعترض اللذات بالالم
يالائمى فى الهوى العذرى معذرة　　　منى اليك ولو انصفت لم تلم
محضتنى النصح لكن لست اسمعه　　　ان المحب عن العذال فى صمم

وخلص « البوصيرى » من هذا ٠ الى الحديث عن « الشيب » ، ذلك النذير الذى لا يتهم ، ومن ثم جعله مدخلا الى سلسلة من النصائح المنظومة فى نسق جميل ٠



البوصيرى

إمـــام المـادحيـن

ثم تحدث فى اجـادة وروعة عن الرسول ومولده ، ومعجزاته ، وهجرته، والقرآن الكريم ، والاسراء والمعراج ، والغزوات النبوية ، وينتهى فى قصيدته التى بلغت ١٦٠ بيتا الى الامل فى ان يغفر الله له ذنوبه :

يانفس لا تقنطى من زلـة عظمت   ان الكبائر فى الغفـــران كاللمم

ويمنعنا ان نأتى بالامثلة الشعرية على الابواب التى اســـلفناها ، ان القصيدة فى متناول الجميع ·

● بداية الرحلة ●

« البوصيرى » محمد بن سعيد بن حماد ، ويكنى بشرف الدين ، من بنى « حبنـــون » الذين هم فرع من قبيلة « صنهاجة » الكبرى ، التى عاشـت ببلاد المغرب ·

أمه من « دلاص » وأبوه من «بوصير» التى تقع بين « الفيوم » و «بنى سويف» وقد ولد شاعرنا ، يوم أول شوال سنة ٦٠٨ هـ فى عصر اشتدت فيه ضراوة الحروب الصليبية ، ولا توجد لدينـــا المراجع التى تلقى الضوء على طفولته ، اما حياته الدراسية فى هـــذه المرحلة فاغلب الظن انها لا تخرج عن الطريقة التى يتبعها رفاقه من أبناء القرى ، الذين اراد لهم ذووهم ، أن ينالوا حظا من التعليم ·

وفى القاهرة ، التى انتقل اليها ، طلبا للعلم ، أو للرزق، او لكليهما معا، استغل موهبته فى اجادة الخط ، فاشتغل بكتابة شواهد القبور ، كما عمل مدرسا فى كتاب ، ثم اعانه بعض ذوى النفوذ، فانتقل الى « بلبيس » من اعمـــــال الشرقية ، ليشغل وظيفة كتابية هناك ·

وهناك دارت رحى حرب ضروس ، بينه وبين زملائه من الموظفين ، اذ بدأ يحارب انحرافاتهم بشعره ، ويسجل كثيرا من مثالبهم ، ويدعـــــو الى اصلاحهم ولو باستعمال القوة ، ويمدح بعض الحكام الذين يقومون باصلاحات اجتماعية ، الى غير ذلك مما بينتـــه بالتفصيل فى كتابى « البوصيرى ـ حياته وشعره » (١) ثم عاد الى القاهرة حيث افتتح مكتبا لتحفيظ القرآن الكريم ، غير انه ما لبث أن ضاق بهذا المكتب ذرعا ، فعاد الى الوظيفة الحكوميـــــة « بالمحلة الكبرى » ثم انتقل الى « سخا » ·

ولم اعثر على نص يفيد انه عمـــل موظفا بالاسكندرية ، الا اننا نعرف انه تتلمذ ـ فى الطريقة الصوفية الشاذلية ـ على السيد ابى العباس المرسى ، ثم عرفناه بعد ذلك شاعرا مادحا صوفيا اجتماعيا ويمتاز شعره ـ فيما عـــدا

(١) نشرته دار المعارف ١٩٦٨ ·

المدائح - بالمداعبة ، وبالروح المصرية، وبالنقد القاسي ، وبالمطالبة بالإصلاح الاجتماعي ، وبالتصوير الدقيق الساخر لحياته الخاصة ايضا ٠

● شعره فى المدائح النبوية ●

ومن بين ابواب شعره المختلفة ، يبرز بوضوح ، باب المدائح النبوية التى هى لباب شعره ، وجوهره - فيما يرى مؤرخوه جميعا - اذ كانت هى الاساس الذى قامت عليه شهرته ، وهى التى شقت طريقه الى عالم الخلود وتنقسم هذه المدائح الى قسمين ، اولهما ما نظمه « البوصيرى » قبل ادائه لفريضة الحج ، وثانيهما ، ما نظمه بعد ادائه لهذه الفريضة ٠

ويمكن - الى حد ما - تمييز قصائد القسم الاول ، بما فيها من أبيات تعبر عن التشوق الى الحج ، او الى زيارة الرسول ، تلك التى يختتم بها كل قصيدة من قصائد هذا القسم ، فقصيدته الحائية مثلا ، والتى مطلعها :

امدائح لى فيك ، ام تسبيح ؟   لولاك ، ما غفر الذنوب صفوح

يختتمها بقوله :

شوقا الى حرم « بطيبة » (١) امن   طابت بذلك روضة وضريح
انى لارجو ان تقر بقربه   عينى : وبؤسى قلبى المجروح

ويختتم قصيدته ، ذخر المعاد على وزن بانت سعاد ، بقوله :

نذرت ان جمعت شملى ببابك او   شفت فؤادى به قوداء شمليل (٢)
ابل من « طيبة » بالدمع طيب ثرى   لغلتى وغليلى ، منه تبليل

وتقع القصيدة الاولى فى ٥٨ بيتا ، بينما تقع الثانية فى اكثر من ٢٠٠ بيت اما القصيدة الثالثة من هذا القسم ، وعدد ابياتها ٩٨ بيتا ، فقد نظمها سنة ٦٥٤ هـ بمناسبة احتراق المسجد النبوى، على اثر سقوط مسرجة القيم، ومطلعها :

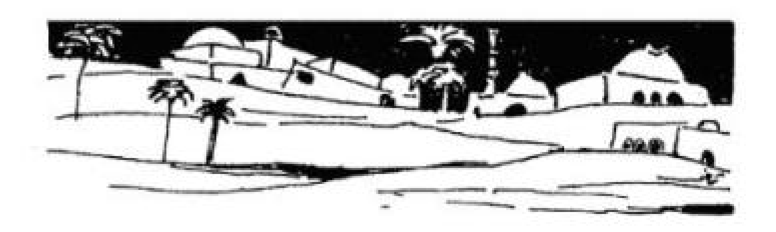
الهى ، على كل الامور لك الحمد   فليس لما اوليت من نعم ، حد

وبعد ان يصف النار، وسرعة انتشار الحريق ، يبدى عجز العقل البشرى احيانا ، عن تبرير بعض الاحداث ٠٠ ومنها هذا الحدث العظيم ، فيقول مثلا :

فلله سر الكائنات وجهرها   فكم حكم تخفى ، وكم حكم تبدو
وقدما حمى من «صاحب الفيل» بيته   ولما اتى « الحجاج » امكنه الهد

---

(١) طيبة من اسماء المدينة المنورة (٢) قوداء = الناقة العظيمة ، شمليل = السريعة



البوصيري

إمام المادحين

يشير بذلك الى هزيمة « ابرهة » وقتله بفعل الطير الابابيل ، والى محاصرة « الحجاج » لعبد الله بن الزبير ، وكان محتميا بالكعبة ، وهدمه اياها ، حينما امتنع بها « عبد الله » .

والقصيدة الرابعة نونية القافية ، وعدد ابياتها ستون بيتا ، وهى حافلة بالمصطلحات الصوفية الواضحة ...

● قصائد القسم الثانى ●

أما القسم الثانى من قصائده النبوية .. فيبدأ من رحلته للديار المقدسة وأوله القصيدة التى انشدها امام القبر النبوى وعدد ابياتها ١١٥ بيتا ومطلعها :

وافاك بالذنب العظيم المذنب	خجلا ، يعنف نفسه ، ويؤنب

ويختتم هذه القصيدة ، ببيتين من ابيات الصلاة على النبى ، وقد اشار فى البيت الاخير منهما ، « الى اشتياقه لوطنه » ، وهو شعور بالوفاء ، غريب فى مثل هذا الموقف ..

وتعقب هذه القصيدة ، قصيدة أخرى فى ٩٨ بيتا مطلعها :

ازمعوا البين وشدوا الركابا	فاطلب الصبر وخل العتابا

عاد « البوصيرى » الى القاهرة ، بعد هذه الرحلة المباركة ، ثم خرج على الناس بطائفة من شعر المدائح من أرقها قصيدة بائية ذات رنين موسيقى واضح ، واسلوب رشيق وتقع فى ١٠٧ من الابيات .. ومطلعها :

بمدح المصطفى تحيا القلوب	وتغتفر الخطايا والذنوب
نبى كامل الاوصاف تمت	محاسنه فقيل له الحبيب
رحيب الصدر ، ضاق الكون عما	تضمن ذلك الصدر الرحيب
على قدر يمد الناس علما	كما يعطيك ادوية طبيب

● اروع قصائده ●

على ان اروع قصائد هذه الفترة ، بل اروع قصائده على الاطلاق ، قصيدتان هما من ابدع ما نظم الشعراء العرب فى موضوعهما اما الاولى فقصيدة « البردة » وقد تقدم الحديث عنها .. واما الثانية ، فقصيدة همزية القافية ، طويلة ، اذ تقع فى ٤٥٧ بيتا وقد سماها « ام القرى فى مدح خير الورى » وقد اهتم بها كثير من الشراح فوضعوا لها عشرات من الشروح بين مخطوط ومطبوع ، ويفتتح «البوصيرى» هذه القصيدة بقوله :

كيف ترقى رقيك الانبياء	يا سماء ما طاولتها سماء
انما مثلوا صفاتك للناس	كما مثل النجوم الماء
انت مصباح كل فضل فما	تصدر الا عن ضوئك الاضواء
لك ذات العلوم من عالم الغيب	ومنها لآدم الاسماء

وبعد ان يتناول « البوصيري » تفاصيل حيـــاة الرسول منذ ولادته ونشأته طفلا وصبيا ، وزوجا ، ورسولا ويصف ما لاقاه فى سبيل الدعوة ، من عنت ومتاعب ، ثم يتحدث عن هجرته الى المدينة المنورة ، ويدخل فى حوار جدلى مع الديانات السابقة ، ويصف بعد ذلك رحلته ـ أى الشاعر ـ الى الحج وصفا شائقا يتميز بالوجـــد والانفعال والحيوية : فنستمع الى مثل قوله :

فرأينـا ارض الحبيب يغض ·· الطرف منها الضيـاء واللألاء
فكان البيداء من حيث قابلـت ·· العين روضة غنـــاء
فترى الركب طائرين من الشوق ··· الى طيبة لهم ضوضـاء
كل نفس لها ابتهال وسـؤل ودعاء ورغبة وابتهـــال

وبعد ان يتحـدث عن آل البيت ، يتشبث بالامل فى عفو الله ويقول :

صاح لا تأس ان ضعفت عــن ·· الطاعة واستأثرت بها الاقوياء
ان لله رحمة واحق النـــاس ··· منه بالرحمة الضعفـاء

● خاتمة المطاف ●

وقد توفى الشاعر البوصيرى سنة ٦٩٦ هـ على ارجح الاقــوال · وله مسجد مشهور بالاسكندرية·· وان كان التاريخ لم يقطع تماما بانه هو المدفون فيه ، اذ ان اقدم المصادر لم تشر الى مكان دفنه برغم ما جاءت به من تفاصيل ، بل ان احد المؤرخين ، وهو الرحالة العياشى المغـربى الذى زار مصر خلال القرن العاشر الهجرى قال انه زار قبره بالامام الشافعى بالقاهرة ··



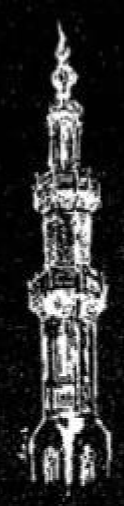
مسجد الإمام البوصيري بالإسكندرية

الإسلام

في الصورة الملائمة لروح العصر

● محمود عبد العزيز محرم ●

باسلوب واضح ، وعبارات قريبة ، وعرض لين متساوق قدم الدكتور عوض الله حجازى . عميد كلية أصول الدين بجامعة الازهر ، كتابه عن ((ابن القيم وموقفه من التفكير الاسلامى)) .
والكتاب ، على كثرة ما فيه من الاقوال المفيدة والمأثورة ، عرض طيب لآراء وأقوال بن القيم ، ولآراء وأقوال العلماء والفلاسفة والمتكلمين والمعتزلة وأصحاب الفرق والنحل المختلفة ، التى أطلع عليها واستقى منها الشيخ الجليل أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية .
وقد ظهر ابن القيم فى عصور الاجترار الثقافى التى تبدأ تقريبا فى خواتيم القرن السادس الهجرى . وقد اطلع ـ على عادة العلماء والمتادين فى عصره ـ على كل ما كتبه السابقون فى ميادين الثقافة الاسلامية ، خاصة ما كتبته الفرق ، وأصحاب المذاهب ، وكتاب الفلسفة ، والمتكلمون ، والفقهاء ، والمحدثون .



◆ لم يكن عصر ابن القيم الجوزية عصر ابتكار ونشاط وتفتح ، وانما كان عصرا سـلفيا حريصـا على جمع وتبويب واعادة كتابة كل ما تركه السلف من الوان الثقافات . ذلك ، لانه لم يكن قادرا

على دفع عجلة الثقافة ، ولا أن يغزو الافاق المجهولة في حياة البشر . وكان هذا العصر هو العصر الذى تعرضت فيه البلاد ، والثقافة ، للغزو الخارجى من قبل الصليبيين والمغول ، وتعرضت للخلافات والانقسـامات الداخلية . فبينما المغول في بغداد ، اذ الصليبيون

في الشام ، والمماليك في الشام ومصر، والبربر في شمال افريقية ، والفتنة الطاحنة في الاندلس . واحرق واغرق المغول خزائن الكتب في بغداد . وقام بعض امراء المسلمين بما يشبه مافعله المغول فاحـرقوا كتب الفلسفة وكتب

المتكلمين . واسـتعان العلماء المتناظرون المتدابرون ، واصحاب الاهواء والنحل ، بسلطان الامراء ،

ليكبتوا مناظريهم ، ويغلبوا رأيهم . الامر الذى دعا احد السـلاطين ان يبكت العلماء فيقول « لقد كنا نختلف فنحتكم الى العلماء . واليوم يختلف العلماء فيحتكمون الينا » ، وانتصر صلاح الدين الايوبى للمذهب الاشعرى .. وانتصر له محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين في الشمال الافريقى ، اذ انه كان تلميذا للامام الغزالى ، الذى كـان بدوره من المتنصرين والمنافحين عن المذهب الاشعرى .

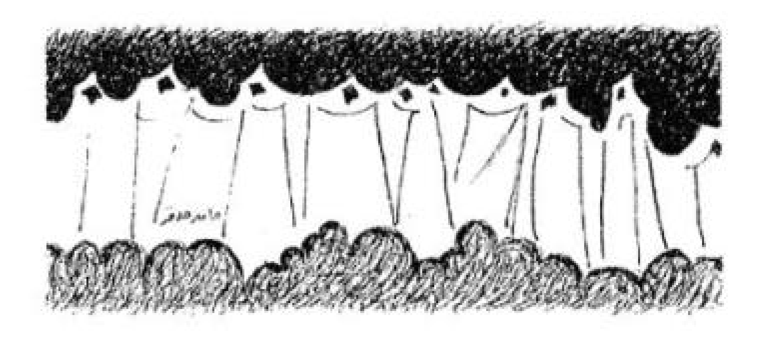
وقد ادى كل هذا الى انحطـاط المجتمع . وكثر اللصوص واستفحل امرهم ، كما كثر قطاع الطرق . وزاد النهب والسلب في البلاد . وعمـد الناس الى الغش في البيع والشراء، والتطفيف في الكيل والميزان ، واحتكار الاقوات . وبهذا وغيره جدت الاحداث الخطيرة التىصرفت رواد المعرفةوالفكر والثقـافة والفلسـفة عن ان ينشطوا

الى امام ، بل التفتوا الى الخلف ، حفاظا على الثقافة الاسلامية والعربية من جهة ، وعجزا عن ان يأتوا بجديد من جهة اخرى ، فالفوا دوائر المعارف العظيمة ، وظهر العلماء الموسوعيون ، واخذ العلماء والباحثون يعيشون على التراث القديم فالفوا وقارنوا وشرحوا

وعلقوا ورجحوا من المذاهب والاقوال ما يروقهم . ومع كثرة التدوين العلمى في هذه الازمة التى امتدت قرونا فانه لم يكن هناك اى ابتكار او تجديد ، انما كانت الثقافة كلها رجيعا .

***

في جـانب من هذا الخضم كانت الحركة العلمية لابن القيم وقد أوشح







الاستاذ مؤلف الكتاب ان ابن القيم لم يكن صاحب مذهب ، ولم ينتم لمذهب معين من المذاهب الاسلامية السابقة عليه ، بل انه اخذ منها جميعا ، واستفاد من آرائها ، وانه قد اختار من هذه المذاهب وانتخب منها ما قام الدليل على تأييده فى نظره ، وقد اجتهد غاية جهده فى ترجيح الرأى الذى ذهب اليه ، وعضده بالدليل ، ولم يأخذ برأى الغير حجة مسلمة ·

وابن القيم ليس اول من نهج منهج الاختيار والترجيح فى الاسلام · وهو لم ينجح فى جميع آرائه التى اختارها ورجحها · ومع ذلك فهو منهج سليم وقويم ، وله قيمته وتقديره ، فقد كان يسرد جميع الاراء الواردة فى المسالة التى يتعرض لها ، ثم يناقشها ، ويختار منها الراجح فى نظره ، او يلفق بين عنصرين من مذهبين مختلفين ·· لم يكن ملتزما بمذهب الاشاعرة ، او الكرامية، او الجهمية ، او الفلاسفة او المتكلمين ، او المعتزلة ، فى اى مشكلة من المشكلات التى يعالجها فى تآليفه الكثيرة المتنوعة، بل كان يعرض آراء الذين تعرضوا للمشكلة ، مهما كان بينهم من خلاف او اتفاق ، ثم يرجح الرأى الذى يختاره ، حتى لو كان هذا الرأى لفريق مرجوح لا ترضى عنه الامة ، مثل الكرامية او الجهمية

بهذا الاسلوب تناول ابن القيم مشكلة وجود الله ، ومشكلة الصفات الالهية ، ومسألة وجود الشر فى العالم ، ومسألة الحسن والقبح ، والنفس الانسانية ، والمعاد ، وأبدية الجنة والنار ، وكلها من المشكلات التى تركت بصمات قوية فى تاريخ الفكر الاسلامى · وهى المشكلات التى بسطها مؤلف الكتاب فى فصول متتابعة ، وافية ، ليصل فى نهاية كل فصل الى الرأى الذى اختاره ابن القيم ، ويبين ان هذا الرأى مسبوق ، وانه هو بعينه رأى هذه الفئة او تلك، او انه توليفة من آراء لفئات مختلفة ·

والمقارنة فى حد ذاتها عمل ايجابى وخلاق ، لانها تحتاج الى الملم واسع بالافكار واراء الجهات المعنية ، وتحتاج الى قدرة على العرض ، وتحتاج الى القدرة على المناقشة والترجيح ، بكل ما يتضمن هذا العمل من صدق وامانة · وقد تكون مثل هذه المقارنات قادرة على النشاط والتطور بالحركة الفكرية والثقافية اذا ساعدت على ذلك الظروف الاجتماعية · لانها ـ والحالة هذه ـ تجد من العلماء من يستنبتها ويتعهدها · ولكن تربة المجتمع لم تكن صالحة لهذا الاستنبات ·· فلم تؤت هذه المجهودات ثمارها · بل انحدر المجتمع الى اسوأ وهبط الفكر وجمدت الثقافة فى احجار غير مشعة ·

***

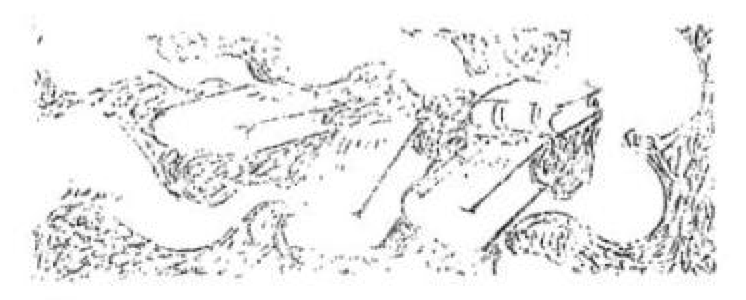
ويمتاز بحث الدكتور عوض الله عن ابن القيم بالوضوح والعطاء · ويمتاز بالثراء والشمول فى كل النقاط التى تناولها · ويمتاز بالبناء على قاعدة منهجية قسمت البحث الى بابين ، ومقدمتين ، وثبت بمراجع البحث ، وقائمة ببعض التصويب · الباب الاول موزع على ستة فصول ، تشمل عص-

ابن القيم ، والترجمة له ، وأسلوبه في الكتابة ، وطابع الانتخاب وأسبابه في التفكير الاسلامي ، وموقف ابن القيم من عقيدة السلف ، واعتماده على ظاهر الكتاب والسنة ومحاربته التأويل . والباب الثاني موزع على الاستدلال على واجب الوجود ، وصفات الله ، والصفات الخبرية ، وحكمة وجود الشر في العالم ، والحسن والقبح ، والمعاد ، وأبدية الجنة والنار . واذا كان من بعض أسلوب ابن القيم أن يناقش من سبقوه بالكتابة في هذه الموضوعات فقد كان من أسلوب الدكتور عوض الله ان يناقشه فيما رجح واختار . ونضرب مثلا لذلك مناقشته للأدلة التى أوردها ابن القيم لتوضيح الفرق بين أبدية الجنة والنار (من ص ٣٠٢ الى ص ٣٠٦) .

وفي ص ٢١٨ ينقل المؤلف كلاما لابن القيم في كتابه (مدارج السالكين) يذكر فيه ان الاشياء غير المحبوبة ، والشرور ، والكوارث التى تصيب الناس ، وابليس ، قد خلقها الله لفوائد ، منها حصول العبودية المتنوعة التى لولا خلق ابليس لما وجدت ، ومنها عبودية التوبة ، ومنها استخراج ما هو كامن في نفوس العباد من الخير والشر .

ولكن الدكتور عوض الله يرجع في ص ٢٢١ وص ٢٢٢ ليقرر أن ابن القيم لم يبين الفائدة من خلق ابليس. ولم يتعرض لها في كتابه كما هي عادته من التوضيح والبيان ، بل اكتفى بالقول بأن لله تعالى حكما لا يعلمها الا هو ، وانه لم يخلق ابليس عبثا . وهنا يوضح المؤلف بعض حكم الله تعالى من خلق ابليس ، كأن يكشف لعباده قدرته على خلق المتضادات ، المتقابلات ، مثل ابليس الذى هو اخبث الذوات ، وجبريل الذى هو من اطهر الذوات واشرفها ، وكأن يكشف عن اثار اسمائه المتضمنة كلاه وعفوه ومغفرته ، وكأن تحصل العبودية المتنوعة . وهذا الذى ذكره المؤلف قد استقاه من كتاب (مدارج السالكين) لابن القيم ، بل ان ابن القيم ذكر بعضه صراحة ، واشار الى البعض الاخر ، كما نص على ذلك المؤلف نفسه .

ويستدل ابن القيم على ان النفس جسم بالاية الكريمة (وهو الذى يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم اليه مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون. وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ، حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ، وهم لا يفرطون) . وهو استدلال بعيد لا يحقق رجاء ابن القيم في هذه الاية .. ويرى المؤلف ان هذه الاية لعلها





في الصورة الملائمة لروح العصر

قد سيقت مساق المجاز ، لا تدل على ان النفس جسم كما يذهب ابن القيم ، بل لتدل على ان النفس متصرفة فى البدن على جهة التدبير وقت الحياة ، وأن هذا التدبير ينقطع انقطاعا تاما فى حالة الموت ، وانقطاعا وسطا فى حالة النوم •

وهذا التوجيه للآية الكريمة ليس بشيء ، سواء نظرنا الى توجيه ابن القيم ، او توجيه الدكتور عوض الله الذى يرى ان النفس لعلها تنقطع نصف انقطاع عن البدن فى حالة النوم •• والجود منهما معا ما ذكره النسفى فى تفسير هذه الآية من أن الذى يقبض بالليل ويبعث بالنهار ، انما هما المعانى والقوى التى تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر وغيرهما من الحواس ، أما الروح التى بها الحياة فانها لا تقبض الا عند انقضاء الاجل

•••

وهناك مشكلة تثار من حين الى حين بين علماء الالهيات من المسلمين • وهى اذا ما كان الصحابة رضوان الله عليهم قد سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء من ذات الله وصفاته • « وقد تنازع الصحابة فى كثير من مسائل الاحكام ، وهم سادات المسلمين واكمل الامة ايمانا ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا فى مسألة واحدة من مسائل الاسماء والصفات والافعال » • والرسول يقول ناهيا اصحابه عن هذه المسالك الشائكة « تفكروا فى مخلوقات الله ولا تتفكروا فى ذات الله فتهلكوا » هل كان هذا النهى من اجل ان يحمى الرسول اصحابه ان تزل بهم اقدامهم ؟ او أن النهى كان تعقيبا على تساؤلات واضحة او مبهمة من بعض المسلمين ؟ او ان المسلمين الاولين لم ترتق عقليتهم الى حد الاغراق فى مثل هذه الالوان الزاهية من التفكير ؟ والم يختلج فى نفوس بعضهم شيء حين علموا ان الله ليس كمثله شيء ، ثم علموا أن له يداء وان له وجها ، وان له عينا ، وانه يضحك ويغضب ويجلس على الكرسى؟ انى احس ، مجرد احساس ، انه كانت هناك تطلعات ، ولو ضئيلة ، فى هذا المجال ، ولكن لانه من الممكن ان يكون ذلك بابا من أبواب الفتنة ، ولان المسلمين بتوجيه الرسول واصحابه من بعده آمنوا يقينا ولابسوا الاسلام واقعا ، فقد نهى النبى عن التفكير فى ذات الله وامر بالتفكير فى مخلوقاته •

وظل العلماء يجدون حرجا ، وظل التسائلون يجدون حرجا ، من طرق هذا الوضوع • وفرق بين ان تستشعر الحرج فتسكت او تتكلم على هيبة وبين ان يختلج فى ذهنك ونفسك ما تريد ان تسأل عنه ثم لا تسأل ويكفى ان نذكر هنا انه قيل لابى عبد الله بن حنبل – وهو متأخر نوعا – : ينزل ربنا الى السماء الدنيا ؟ فأجاب : نعم • فلاحقه السائل : نزوله بعلمه ام بماذا ؟ • فغضب ابو عبد الله غضبا شديدا وامر السائل ان يسكت ••

•••

ولو ذهبنا نتقد الجوانب الاجتماعية فى هذا البحث الذى قدمه الدكتور عوض الله لما وجدنا شيئا • ذلك انه وقف بحثه على الجوانب الاعتقادية الالهية والغيبية ، بعد ان قدم لها التقديم الملائم ، عن عصر ابن القيم

وعن حياته ومذهبه ومؤلفاته وعلاقاته بعلماء عصره .

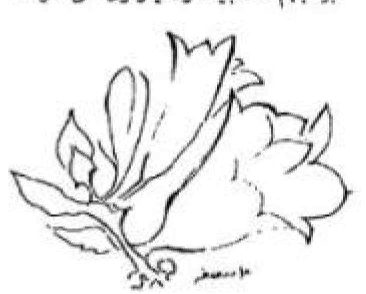
ولست اغض من هذا البحث ، غير انى اجد فى نفسى الحاجة الى ضرورة تفسير واقع المجتمع ، وملابسات الحياة ، وروابطها ، وحل مشاكلها ، فى ضوء من التفكير الاسلامى . ارى انه لا بد من ابناء الثقافة وتقريبها الى الحياة التى نمارسها ، لا تطوعها للمجتمع ، ولكن نطوع المجتمع لها . وحتم ان يعمل علماؤنا العارفون ليكون الدين عمليا ، لا فلسفات ولا غيبيات ، فقد مضى العهد الذى كان يفسر الانسان فيه حياته بالاوهام والاباطيل ، ليأمن جانب القوى الغيبية التى كان يخافها ويخشاها . وتطورت الفلسفات من البحوث الفكرية الخالصة الى الفلسفات العملية التى تشرح وتوضح المواقف الحادثة فى الجماعات البشرية .

وفى الوقت الذى كان الدين الاسلامى يمارس فيه كحياة ، لم يكن هناك وجود يذكر للبحوث التى اتخذت لها اسماء فيما بعد كأبدية الجنة والنار او الذات هى عين الصفات . ثم تجد الحياة بالمسلمين الى حد ان يعنوا بالغيبيات والالهيات ، وتكون شغلهم الشاغل ، ويتركوا المبادىء والقوانين التى تفسر حياة الناس وتضبطها ، فينفصلوا عن دينهم عمليا ، وتظل الحرب ناشبة بين الاشاعرة والمعتزلة والفلاسفة والمعطلة والمجسمة ، فى ابراجهم العاجية ، ولا ينزلون الى سواد الناس وجمهورهم . صحيح ان المثقفين هم الذين يقودون المجتمع وينيرون له المشاعل ، ولكن المجتمع لا يتحرك ولا يتطور الا بسواده وطبقاته الدنيا والمتوسطة التى تكون عصب الحياة فيه . وان لم يكن المثقفون قادرين على ان يقدموا له افكارا حيوية تمس جوانب حياته ، فانهم بالتالى يعجزون عن اداء رسالتهم ، ويضعف تأثيرهم فى الناس من حولهم ، ويغلقون عليهم النوافذ والابواب ، لا يتنسمون الهواء الذى يتنسمه شعوبهم ، ولا يشقون شقاءها .

والمسلمون الان فى حاجة الى صيغة جديدة لجوهر الدين الاسلامى تفسر ما يجب ان يكون عليه الواقع الاقتصادى والاجتماعى والسياسى لهم فى هذا العالم الذى تتطاحن فيه المذاهب المعاصرة من دون هوادة او خلل . وهذه الصيغة تجىء بعرض المبادىء الاجتماعية والاقتصادية والحربية والقانونية ، فى معاملات الحرب ، والبيع والشراء ، والتجارة والصناعة ، وعلاقات الناس وروابطهم ، عرضا جديدا يقربها من اذهان الناس ونفوسهم .. الحرب التى تشن ضد الاديان الان بزعم انها غيبية ، وانها لا تعالج مشكلات الجماهير ، وانها تخدر الناس وفى نفس الوقت يقدم اصحاب هذه المبادىء الضالة وغيرهم مذاهب ونظما لحل المشكلات التى تلابس الناس على الصعيد الوطنى وعلى الصعيد العالمى .

ونحن نحب ان ينحو علماؤنا هذا النحو ، فيقدموا الاسلام نقيا فى جوهره ، جميلا فى مظهره ، فى الصورة اللائقة لروح العصر وتطور الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بدلا أن يطرقوا ابواب الفلاسفة والمتكلمين القدامى من وقت الى اخر ..

● محمود عبد العزيز محرم ●
● ميت غمر ●





◆ لولا ، وسامي ، وطنط بولي .. ثلاثي مرح .. اختلفت الأعمار . وتقاربت القلوب في حب متآلف كبير .. !

طنط بولي تعدت الثلاثين ... طويلة رشيقة ، كلها سحر وجاذبية ، نشيطة ، حلوة ، ولكنها لم تتزوج .. ! تعمل وتكسب ، ويتمنى كل رجل ان يتزوجها ، ولكنها لا تتزوج .. والكل متآمر الى طنط بولي على أنها تخفي ، غامض لا يكتشف ...

- لم لا تتزوج طنط بولي .. كل تساؤل يحمل هذا السؤال .



وكل تلميح يشير الى هذا المعنى . ولا جواب عن سر عدم زواج طنط بولي للآن ... !

كيف يكون هناك جواب ، وهي نفسها لا تعلم له جوابا ، ولا تدري السبب في عدم زواجها للآن . وبعد كل هذه السنين . وبالرغم من كثرة من تقدموا لها فلاعيب يشينها ، بل هي مثيرة ، شيقة تشتهيها العين والنفس ، يغازلها كل الرجال . ويطلبون ودها ، وهي مع الكل سواء .. لا تخص أحدا باهتمام . ولا تبدي اعجابا برجل ..!

تتزين . تتابع أحدث خطوط الموضة ، أنيقة . لا اهتمام لها الا بعملها ...

ولولا ... وسامي ؟ ...

ربما تظنون ان

« لولا » وسامى هما شخصان فيهما من الامل لتكوين مودة ، أو صداقة ، أو حب ، أو أمل ، فى زواج ..! ولكنكم تخطئون اذا ما ظننتم هذا ..! فان لولا طفلة فى السابعة ، وسامى فى الخامسة .. وهما كل احبائها ...

« لولا » قطعة من الحلوى السائلة .. تذوب ذوبانا . متناهية الرقة . منمقة التقاطيع هاشة ، باشة ، .. نحيلة ، طويلة ، شعر ناعم يتهدل على كتفيها ... تأخذها فى احضانك لتذوب بين ذراعيك ..

وهذه هى حبيبة طنط بولى، قطعة منها كبرت بين يديها وفى احضانها ... احست بها فى احشائها ، مع انها ليست بنت احشائها !... ولكنها ابنة الاخ ..!

« سامى » خليط من المصرى والالمانى . « نسبة الى الام » لمحات ذكاء خارق تلوح على محياه ... قفزاته العفية . حيويته المتدفقة ... نموذج لجمال طفل متمتع بامكانيات حياة سعيدة. تعلق ببولى اخيرا . لان «لولا» تحب بولى ، وسامى يحب « لولا » ، فبالتبعية ... يتغلغل حب بولى فى نفس سامى ، ويكتمل الثالوث ...!

مسكينة طنط « بولى » ، كان من الممكن ان يكون هذا الثالوث عائليا . مكملا لأسرة واحدة . وكان من الممكن ان يكون ابوهم رجلا من الرجال العديدين الذين تقدموا لها ، ولكن .. لم يكن هذا ممكنا .... !

واستعرضت بولى فى خيالها كل من كان ممكنا ان يكون ابا « للولا » وسامى ، ممن مروا بها فى حياتها . وما زالت تتذكرهم ...!

كمال .. مفتش البوليس ... عينان خضراوان على بشرة سمراء ... ! قوام معتدل . هادىء الطبع، كان يعمل فى الدنيا ، وسينتقل الى بلدان كثيرة بحكم مهنته ... واصرت « بولى » على عدم ترك عملها بالقاهرة . ولم يتم الزواج ... !

دكتور « رودلف » طبيب بالقاهرة ، فلا محل الان للشكوى أو الرفض . ولا توجد لبولى اية حجة للتنصل من هذا الخاطب المرموق ..

ويسمع بكاء « بولى » وعويلها ، واصرارها على عدم اتمام هذا الزواج ... انها لاتتصور أن يكون زوجها بهذه الصورة المقيته ، كرة أرضية متحركة ! وكرش ضخم يفسح له الطريق ،ووجه مكتنز باللحم والشحم ..!

ولم يتم الزواج ..!

سؤال بلا جواب

ويملأها في العمل ... ؟ هذا لا يملأ عينيها ..! هذا لا يجبرها على احترامه .. وهذا .. وهذا .. وذاك الى ما لانهاية..!

ثم هذا الذي استمر معها في خطبة طويلة المدى ... ما اسمه..؟ آه .. انه يدعى سعيد ..!

هذا الابله . جعلها تكره في صورته كل الرجال . من شدة حبه لها ... كرهته ..!

من فرط ليونته وسلبيته نفرت منه .. من اهتزاز شخصيته ، شعرت بنفسها طاغية بجواره . كل أمر : « اللي تشوفيه » ..! كل قرار : « زي ماانت عايزه » ..! لا يعرف كيف يتصرف . كيف يدبر ... كيف يقرر . انسان يعيش على هامش الحياة . بلا طموح . بلا أهداف !

وكان الوفاق بينهما عسيرا ، والتقاء الفكر محالا وتقارب الاهواء من الصعوبة بحيث كان كل يوم يمر على ارتباطهما ، يزيد من تباعدهما — من ناحيتها فقط — اما هو فكان فرحا ، جذلا ، طروبا ... لم يشعر بمدى قسوة ارتباطه بها على نفسها ، وبمدى ضغطه على مشاعرها الحرة الطليقة ... لم يستطع ان يفهمها ، ان يجذب مشاعرها ، بقدر ما استطاع ان ينفرها منه .. ! وارتباط كهذا خير له التحلل من التماسك ... والانفصال هو الطريق السليم لارتباط غير متكافىء..!

وفي يوم قرارها بحل هذا الارتباط ، واعادتها له كل هداياه . ان بهذا الامر يترك في نفسها جرحا عميقا ..!

احست بانها قد ظلمت هذا الشخص .. احست بجريمة ارتكبتها في حق مخلوق أحبها . واحبها فعلا ، ولكن بطريقته الخاصة ... فانه لشدة حبه لها ، وتمسكه بها ، وخوفه من فقدها اسلم لها قياده ، واعطاها حريتها في كل تصرف ، وكل تدبير ... وهذا لاعتقاده انه بهذه الطريقة ، سيحوز على رضاها . ولكنها اتت بنتيجة عكسية ..!

ولامت نفسها كثيرا ، وحزنت كثيرا ، لانها دخلت في تجربة كان من الممكن تفاديها ..

وشعرت بانها قد أذنبت واخطأت ، فليست مشاعر الرجال لعبة في يديها ، ومطية لأهوائها ، وكان من الممكن تفادي الدخول في هذه التجربة القاسية ، لولا غرورها واصرارها على معرفة مدى ما يمكن ان تحققه الخطبة الطويلة من تفاهم ودراسة ..!

لقد اجرمت في حق هذا الرجل الطيب القلب ، واعطت لنفسها حرية بلا حدود . واثرت هذه التجربة تأثيرا سيئا في نفسيتها ، وحطمت من معنوياتها ، وبعدت بها من الاقدام على أى تجربة اخرى بغرض اختبار مدى نجاح

الزواج ، وارتضت لنفسها وحدة وعزلة ، ولم تتخذ لها صديقا من الجنس الاخر ، لئلا تدخل فى تجربة اخرى تترك آثارا سيئة فى نفسها اكثر مما بها .. ولم تحاول حتى التفكير فى هذا الموضوع ابداء فانها كلما حاولت الارتباط بشخص ما ، تلوح لها نظرة «سعيد» الحزينة . بدموعها الموجعة ... فتهرب بنفسها سريعا من الخوض فى اى تجربة اخرى .. !

وتعيش بولى حياتها . ونظرات التساؤل تلاحقها وتحوطها ... والتعجب لعدم زواجها ... ولا تعرف هى كيف تجيب ، لانها هى نفسها لاتجد اية اجابة عن هذا السؤال ...!

ويستقر خيالها عليه هو .. انه الوحيد الذى يمكنه ان يكمل اطار الصورة الحلوة لهذا الثالوث ، زوجا لبولى ، وابا للولا وسامى ، سياجا حبيبا يحوطهم ، يريح العين والقلب . ويرضى زهو الانوثة وفرح الحياة فى نفس بولى ... لا سواه ولا عداه ، من يمكنه ان يحتل هذه المكانة التى ظلت تحلم بها بولى ، وتحلم .. .. وتحلم حتى جرت بها السنون .. وجعلت الاعين تتساءل ، والنظرات تتعجب لعدم زواج طنط بولى للآن ..!

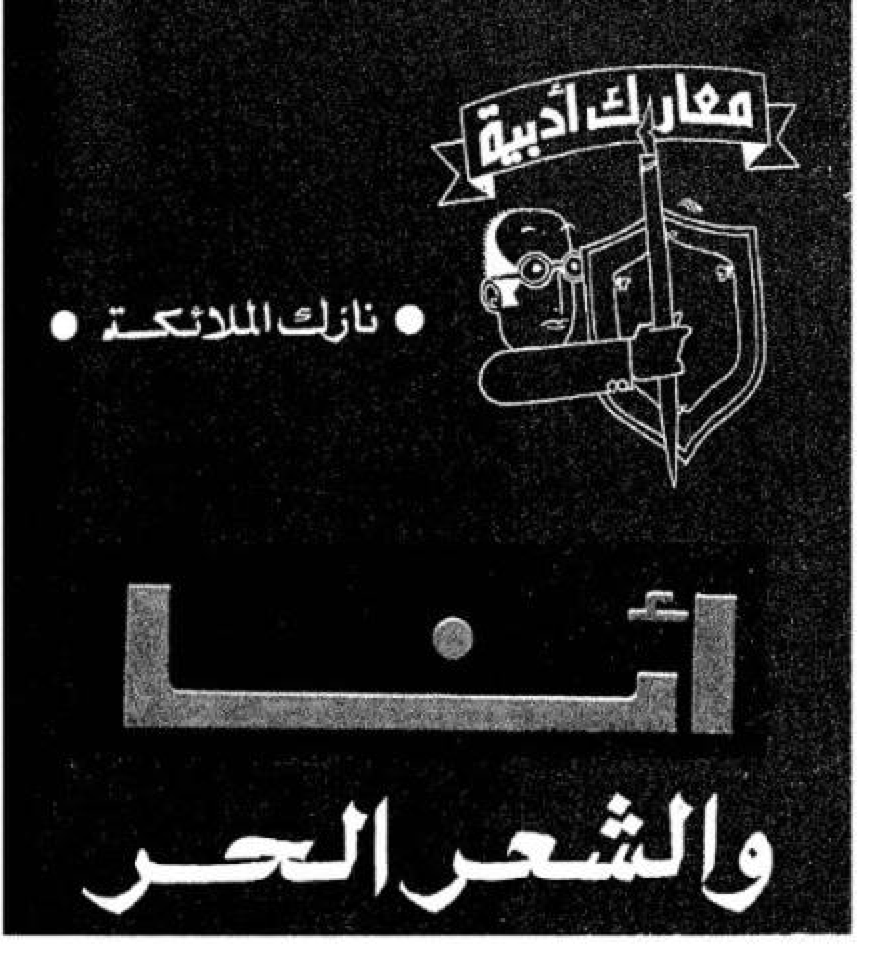
نعم ... فلقد كان حبها وخفقة قلبها ونشوة روحها ..! فى ملمسه الحياة . وفى نظرته الامل ، فى قربه الهناء ... احست به طعم الحياة ... أحست به دنيا جديدة .أبوابها كانت مغلقة من زمن..

احست به نبضا فى شريانها ، أحست به مكملا لكيانها ، بعيدا او قريبا ... دائما معها ، فلا تغيب صورته من ذهنها ، ولا تبسم شفتاها الا لذكراه ، تتخيل منه ايماءات ونظرات تمتعها . وتقوى دائما من رابطة التوافق العجيب بينهما ..!

وتتعلق نظراتها بمرح لولا وسامى . وتتراءى لها صورته الحلوة بينهما ، انها الصورة الحقيقية الوحيدة فى حياتها .. الصورة النابضة ، والمكملة ليكون ياسر ربا لهذه الاسرة ..!

وتنهمر دموع الحنان والحنين ، لأمل تمنت ان يتحقق ، بالرغم من قسوة الظروف التى تفرق بينهما ... اختلاف فى كل شىء . فى العقيدة . فى الجوهر . فى ارتباط سابق لياسر يصعب عليه الفكاك منه .

ولكن .. ؟ هل تستطيع التحكم فى مشاعرها ، فى عواطفها ، فى الحياة التى توجهها الدقة ، دقات القلب، خفقاته .. ربان قلبها حول دفة عواطفها له .. واستقرت على شاطىء عينيه ، وهدات على مرسى قلبه ..! ولم يكن لها خيار فى هذا حين هدات مشاعرها بقربه .. واستكانت واستراحت .. وراته مكملا لاطار صورة جميلة تضمهم : بولى ، ولولا ، وسامى، فى احضان الحب الكبير ، الذى لم يكتمل ... ولم يتحقق. ويبقى السؤال الحائر ... بلا جواب ...



عندما صدر كتابي « قضايا الشعر المعاصر » في طبعته الاولى عام ١٩٦٢ بدات شائعة غريبة تجوس الجو الادبي في العالم العربي ، وراح عشرات من الكتاب يرددونها دونما تثبت ، فيقولون جميعاً أن نازك الملائكة قد تراجعت عن دعوتها للشعر الحر ولم تعد من انصاره • وقد تردد صدى هذه الشائعة في كثير من المجلات العربية من المغرب الى دمشق ، ومن الجزائر الى بغداد ، ومن القاهرة الى الرياض وفي كل بلد عربي • وكان واضحا لكل أديب مطلع على كتابي « قضايا الشعر المعاصر » وعلى مجموعاتي الشعرية المتوالية ان هذه الشائعة باطلة فلا حقيقة وراءها ولا سند لها •

ولعل الذين بدأوا الشائعة كانوا يتراوحون بين أديب رصين ولكنه لا يتثبت مما يقرأ وأديب ثان لا يحسن القراءة الجدية ، وأديب ثالث يتعمد الاساءة الى لاسباب لا يعلمها الا الله • اما الذين تلوا هؤلاء فقد تناقلوها شائعة يقراونها

فيرددونها فى الصحف دون ان يرجع اى منهم الى انتاجى فى الشعر والنقد ليمحص ما يتهمنى به ·

وقد فات هؤلاء كلهم أن ينبهوا قراءهم – بدافع الامانة والموضوعية – الى ان كتابى «قضايا الشعر المعاصر» كان اول كتاب تناول حركة الشعر الحر ، فدرسها من جوانبها كلها ، وكانت فيه محاولة جادة مخلصة لوضع اول عروض لهذا الشعر الجديد ·

ففى الكتاب المذكور أحصيت الأوزان العربية التى يمكن نظم الشعر الحر منها ، وبينت امكانيات « الضرب » ، واطوال الاشطر ، وتأثير « الوتد » · وقد اعتمدت فى ذلك كله على حبى للشعر الحر ، وحماستى له ، وعلى دراستى لعلم العروض ، وعلى سمعى الشعرى · وقد عنيت عناية كبيرة بدراسة الاخطاء العروضية التى يقع فيها بعض شعراء الشعر الحر ، ودعوت الى تصحيحها على اسس محددة دعوت اليها ، موضحة ان الشعر الحر لا يعفى الشاعر من معرفة العروض العربية كما يظن بعض الناس ·· لانه قائم على تفعيلات الخليل نفسها ، وعلى أصناف الضروب التى احصاها فى عروض الشعر العربى ·

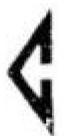

نازك الملائكة رائدة الشعر الحر

وكنت بكل هذا احاول ان اقنع المتزمتين من انصار شعر الشطرين الدارج ،أن شعرنا الحرالجديد موزون وزنا كاملا ، ولا يخرج على موازين الخليل اللهم الا فى أسلوبنا فى ترتيب التفعيلات وفى اختلاف عددها من شطر الى شطر · فاذا كنت فعلت كل هذا فى « قضايا الشعر المعاصر » فكيف يمكن لاى اديب منصف ان يزعم اننى تراجعت عن الشعر الحر ونبذته واصبحت من اعدائه ؟

***

يضاف الى هذا اننى ادرجت فى كتابى المذكور فصلا مهما كل الاهمية عنوانه (الجذور الاجتماعية لحركة الشعر الحر) وفيه ذكرت نواقص شعر الشطرين التى دفعتنى الى الخروج عليه والدعوة الى شعر جديد يخلو من تلك النواقص · ولئن كنت لم اتحدث عن نفسى فى هذا الفصل بضمير المتكلم ، فقد اخترت ان اذيب شخصى فى اطار قولى « الشاعر العربى المعاصر » لاننى ادركت ان كل شاعر استجاب لدعوتى تلك لم يستجب لاننى انا صاحبة الدعوة ، وانما لان هذا الاسلوب الشعرى الجديد يلبى ضرورة شعرية ملحة فى نفس الشاعر الحديث حتمتها ظروف اجتماعية وفكرية وروحية ·

والواقع اننى كنت فى ذلك الوقت ، قد آمنت ايمانا راسخا بأننى لو لم اكن قد بدات حركة الشعر الحر بالدعوة الرسمية اليها عام ١٩٤٩ – فى مقدمة مجموعتى « شظايا ورماد » لكان بداها زميلى بدر شاكر السياب رحمه الله، ولو لم نكن انا وبدر قد بدأناها لكان بداها شاعر عربى آخر غيرنا · لان الشعر الحر كان فاكهة قد ان اوان قطافها من شجرة الشعر العربى المعاصر ·· وهذا هو التفسير الوحيد لاستجابة الشعراء المعاصرين الى الحركة فور صدور مجموعتى « شظايا ورماد » · لان الشعر الحر لو لم يوافق حاجة





أنــا ... و الشعر الحر

حيوية في نفوسهم وعقولهم لمــا استجابوا له بتلك الحرارة والحماسة. وانما فضلي الوحيد انني سبقت غيري في رفع صوت هذه الدعوة وتثبيته ، وكانت رؤيتي للشعر الجديد من العمق والوضوح بحيث اثرت في كل شاعر حديث قرأ (شظايا ورماد) الصادرة عام ١٩٤٩ ــ تلك التي ما كانت تظهر حتى بدا تيار من الاستجابة ، واذا الصحف العربية تبدأ بنشر قصائد حرة لشعراء من مختلف اقطار ارضنــا العربية . وكان غير قليل من هــذه القصــائد الأولى يحمل لافتة اهداء تشير الي . ولم اكن على معرفة باي من أولئك الشعراء اللطفــاء الذين اهدوني قصائدهم الحــرة الاولى مشكورين .

واقول أيضا : اذا كان الفصــل المهم الذي تعقبت فيه معايب شعر الشطرين موجودا في كتابي « قضايا الشعر المعاصر » فكيف يمكن ان يستند اليه اي اديب في ان ينســب الى ما سموه بتراجع نازك الملائكة عن دعوة الشــعر الحر ؟ واذا كنت قد تراجعت عن دعوتي ، فلماذا ــ بالله عليك ايها القارىء الكريم ــ اجهدت نفسي في كتابة أكثــر من مائة صفحة وضعت فيها عروضا كاملا لهذا الشــعر الجديد وتناولت قضــاياه المختلفة ؟ أليس هذا سؤالا جادا يجب ان يوجهه أي ناقد مسئول الى نفسه قبل ان يزعم للقــارىء بانني نبذت الشعر الحر ؟

واما ان مجموعاتي الشــعرية المتوالية تحتوى كلها على الشعر الحر، واما انني اذعت ونشرت شعرا حرا حتى بعد صدور اخر مجموعة لي سنة ١٩٦٨ فهذا دليل اوضح واكبر ولكن بين ادبائنا ــ مع الاســف ــ من لا يشعرون بمسئولية القلم ، ولذلك يبيحون لانفسهم ان يغفلوا النصوص او يبتروها حسب اهوائهم لمجرد ان يســيئوا الى الاديب الذي يحملون عليه (١) ..

ومع ذلك فالامانة والموضوعية تقضي بأن اصارح القارىء بأن اول فصل في كتابي « قضايا الشعر المعاصر » كان يحتوى على عبارة مبهمة لعلهــا هي التي روعت الشعراء المتحمسين للشعر الحر وهي قولي (ان الشعر الحر يجب الا يطغى على شــعرنا المعاصر كل الطغيان) والواقع انها عبارة بريئة وليس فيها ما يخيف . فلو راجع قارىء بحوثي في النقــد الادبي لعرف لي سمة او خاصية ادبية ملازمة هي انني احرص على ان اكون دقيقة دقة صارمة في صياغة كل عبارة اكتبها ، اخاف ان يشط حرف واحد

---

(١) صدرت لي مطولة شــعرية عنوانها «مأساة الحياة واغنية للانسان» عام ١٩٧٠ ولكنها قصيدة واحدة طويلة وليست مجموعة شــعرية ولذلك لم اذكرها . وهي في الاصل منظومة قبل عام ١٩٤٧ فليس فيها شعر حر .

مما أقول فيوسع المعنى الى جهة لا أقصدها . لذلك اعتدت ان أتأنى في الصياغة فأقصد كل لفظة في العبارة قصداً تاماً . وعلى هذا الاساس فلننظر في عبارتي المشار اليها .

لقد قلت ان الشعر الحر يجب الا يطغى على شعرنا المعاصر . ولو كنت وقفت هنا لكان المعنى انني اريد ان يكون شعر الشطرين هو الطاغي الغالب تاركة للشعر الحر مكاناً صغيراً فحسب . ولكن ليتذكر القارىء قولي بعد ذلك مباشرة ، كل الطغيان ، فهاتان كلمتان ملطفتان اشد التلطيف وهما تغيران المعنى تماماً . وقد قصدت بهما انني لا أوافق المتزمتين المندفعين من شعراء الشعر الحر الذين يريدون ان يمحوا شعر الشطرين محواً كاملاً ويحلوا الجديد محله . وانما اردت بعبارتي تلك ان نبقي مكاناً لشعر الشطرين . وكان دافعي الى هذا التحذير ما لاحظته من تطرف كثير من شعراء الشعر الحر في تحقيرهم لشعر الشطرين وازدرائهم له . وهذا عندي ليس موقفاً مقبولاً ، ولم اكن أقصده عندما أعلنت الدعوة الرسمية للشعر الحر عام ١٩٤٩ والدليل على ذلك انني لم اترك شعر الشطرين قط . فقد كنت ولا أزال اومن بضرورة بقاء النوعين معاً يتلازمان في حياتنا الادبية تلازم توأمين جميلين نحبهما معاً وندللهما معاً .

***

كذلك تقتضي الامانة الادبية ان اضيف ان هذا الفصل الاول الذي درست فيه تاريخ الحركة الجديدة – بمقدار ما كنت أعرف عنها اذ ذاك – قد احتوى على ثلاثة مآخذ اخذتها على الشكل العروضي في شعرنا الجديد ، وقد توصلت اليها بممارستي لنظم هذا الشعر ، وبملاحظتي المستمرة لما ينشره الزملاء من ذلك الشعر . وقد عددت هذه المآخذ الثلاثة عداً علمياً موضوعياً متجردة من اهوائي .

وأظن ان الذين اشاعوا فكرة تراجعي قد استندوا الى هذه المآخذ .. لانهم يتوهمون ان نصير الشعر الحر لا يمكن ان يرى له عيوباً . فاذا احصى مثل تلك العيوب ، فهو بالضرورة متراجع الى معسكر (الاعداء) .

والواقع ان هذا التصور وهمي ومغلوط ، فان العاشق الموله يحب حبيبته على علمه بنقائصها وعيوبها . وما كان وجود المعايب يحول في اي وقت من الاوقات دون حبنا لاحبائنا واصدقائنا . ولولا ذلك لما استحق الحب اي انسان لاننا مخلوقون اساساً من النقص .

وكذلك الشعر الحر فان له نقائص ومعايب ، وتعدادي لهذه النقائص والمعايب لا يعني انني تركته ، وكذلك امري بازاء شعر الشطرين فان معايبه لم تدفعني يوماً الى نبذه .

والواقع ان اي شكل من اشكال الشعر ليس منزهاً عن العيوب ، فلكل شكل حسناته وسيئاته . وعلى اساس هذه الحقيقة ادخلت في كتابي ، قضايا الشعر المعاصر ، الفصلين المشار اليهما في احدهما احصيت معايب الشعر الحر ، وفي الآخر تابعت معايب شعر الشطرين . وانا احبهما واستعملهما كليهما ولم انبذ ايا منهما يوماً .

كذلك ينبغي لي ان اقول ان أعذالي الكثار هؤلاء ، لو كانوا منصفين للاحظوا ان عدد المآخذ التي اوردتها على شعرنا الدارج القديم كانت اربعة ، بينما عدد مآخذي على الشعر الحر كانت ثلاثة فقط ، وللاحظوا كذلك الحماسة الحارة التي تحدثت بها عن معايب شعر الشطرين التي دفعتني الى تبني دعوة كاملة للخروج عليه الى شكل شعري أرحب مدى .

ثم اني أحب ان الفت النظر الى



أنا... و الشعر الحر

نقطة ثانية لاتقل اهمية عن عدد المآخذ الموجهة الى كل من الشكلين القديم والجديد ، وهى اننى كتبت بحثى الاول الذى عـــددت فيه مآخـــذى على الشـــعر الحر عام ١٩٥٤ وقد نشرته مجلة « الاديب » البيروتية فى حينه ، بينمـــا كتبت البحث الثانى (المآخذ على شعر الشطرين) بعد ذلك بثلاث ســـنوات والقيته محـــاضرة عامة فى كلية التربية ببغـــداد . ومعنى هذا واضـــح . فانا قد احسست بمعايب الشعر الحر سنة ١٩٥٤ ودفعتنى الموضوعية الى نشرها مع اننى كنت اذ ذاك فى ذروة استعمالى للشعر الحر ـ اذا صح ان له ذروة .

وبعد ذلك بثلاث سنوات توصلت الى صيغة ادبية لمعايب شعر الشطرين ، وكنت شاعرة باننى عجزت فى مقدمة « شظايا ورماد» عن ايراد ادلة مقنعة اثبت بها ان شعر الشطرين لم يعـد كافيا لاستيعاب كل تجارب الشـــاعر العربى المعاصر . فلا بد من تطعيمه بشكل جديد قد يبعث فيه الحياة هو نفسه . والواقع ان انصار الشطرين ـ او بعضهم فى الحقيقة ـ قد ردوا على الدليل الذى اوردته ردا مقنعا ، ومعهم الحق ، فان دليلى الاول كان داحضا . ولكن هذا لم يكن يعنى ان شعر الشطرين مبرأ من العيوب وانما يدل فقط على ان بنت الســـادسة والعشرين ـ التى كنتهـــا يوم كتبت مقدمة شظايا ورماد ـ ما زالت اقل تجارب من ان تستطيع ايراد الادلة القوية على ضرورة قيام الشعر الحر ، فانى لم استطع ذلك الا سنة ١٩٥٧ بعد مرور عشر ســـنوات على اول قصيدة حرة نظمتها وهى « الكوليرا » .

واذا كان النقاد والقراء قد توهموا ان تعدادى لمعايب الشعر الحر دليل على تراجعى سنة ١٩٥٤ (١) ـ فاننى قد اصبحت عام ١٩٥٧ اشد حماسة للشعر الحر بحيث رايت نقائص شعر الشطرين رؤية واضحة وابرزتهـــا للقارىء فى تدفق حار مندفع . ولم يصدر « قضايا الشعر المعاصر » الا سنة ١٩٦٢ وفيه ادرجت الفصلين معا. كل فى موضعه ، لاننى كنت قد نضجت وادركت ان لكل من الشكلين : الشعر الحر وشعر الشطرين مزايا وعيوبا فلا احد منهما خلو من المزايا ولا احد منهما فوق العيوب . وهذه نظـــرة موضوعية خالصة وقد الفت عبـــر حياتى الادبية ان اكون بعيـــدة عن الاهواء الجارفة جهد الطاقة ، ولم

(١) الحقيقة ان اسطورة تراجعي عن دعوة الشعر الحر لم تبدأ بالشيوع سنة ١٩٥٤ عندما نشر مقالى أول مرة وانما ظهرت بعد صدور المقال فصلا فى كتابى « قضايا الشعر المعاصر » عام ١٩٦٢ .

يزل مثلي الاعلى في الكتابة يستند الى هذه الصفة .

لتلك الاسباب التي اوضحتها بدأ الادباء يتقولون بانني قد تراجعت عن دعوة الشعر الحر (١) وكان الرعيل الاول منهم واعيا الى حد ما للاسباب التي دفعته الى اتهامي بالردة . لانه يظن ولو ظنا بانه مستند الى كلامي في الفصل الاول من « قضايا الشعر المعاصر » اما الرعيل الثاني والثالث والعاشر والعشرون فقد التقط اكثرهم التهمة عن طريق السماع او قراءة الصحف. فراحوا يرددون ما يسمعون دونما تثبت ومن دون ان يعترض على احدهم حس العدالة والحق فيقول لنفسه : أليس على قبل ان اردد الاتهام ، ان ارجع بنفسي الى الكتاب لاتثبت من صحة ما اكتب ؟ ثم ان نازك الملائكة لها شعر منشور في المجلات وفي الكتب أفليس على ان اقرأه لارى هل هي حقا قد نبذت الشعر الحر وعادت الى شكل الشطرين عودة لا رجعة فيها ؟

ولو فعل هؤلاء الادباء ذلك ، لو رجعوا الى شعري ، لوجدوا ان ما يكتبونه باطل . ففي مجموعاتي الشعرية كلها يلتقي الشعر الحر بشعر الشطرين . فضلا عن انني – بعد مجموعتي الاخيرة شجرة القمر الصادرة سنة ١٩٦٨ – قد واصلت اذاعة الشعر الحر ونشره في المجلات الادبية .. واخر قصيدة حرة لي قد اذعتها من تليفزيون الكويت في اواخر سنة ١٩٧٢ وعنوانها « للصلاة والثورة » وهي قصيدة طويلة من بحر الرجز شعرا حرا على الاصول الدارجة لهذا الشعر ، ولم انشرها بعد ...
كما اذعت من اذاعة الكويت قصيدة حرة ثانية من بحر الرمل . ونشرت لي مجلة الاداب عام ١٩٧١ قصيدة حرة عنوانها « الضيف » . وفي مهرجان الشعر المنعقد ببغداد عام ١٩٦٩ القى اكثر الشعراء المشتركين قصائد شطرين وكنت قد القيت قصيدة حرة الى درجة انني عندما نزلت من المسرح اقبل على اديب من انصار الشطرين يعاتبني قائلا : « كل الشعراء القوا قصائد شطرين الا انت ، مع ان شعركم الحر هذا اصلح للقراءة منه للالقاء » .

وقد يقول القارىء : يكفينا دليلا على نبذها للشعر الحر انها تحصي لنفسها قصائد حرة قليلة نشرتها منذ ١٩٦٨ حتى اليوم والله يعلم كم قصيدة من شعر الشطرين لها . وجواب هذا انني قد مررت بفترة من الصمت والقحط الشعري طولها ثلاث سنوات لم اقلم خلالها لا بيتا ولا شطرا ولا عبارة موزونة . وانما انصرفت انصرافا كاملا الى كتابة بحوث النقد. وكان لهذا الجدب الشعري اسباب متشعبه متداخلة ليس هذا مكان استعراضها . والمهم ان الشعر عاد وتفجر في حياتي اشد تفجر بعد ذلك .

واذا كنت قد رفضت نشر هذه القصائد الجديدة فلانني افضل القاءها في الاذاعة وفي امسيات شعرية .. ثم نشرها في مجموعة شعرية جديدة ارجو ان تصدر في العام القادم . وسيكون اكثر شعر هذه المجموعة من الاوزان الحرة لا من شعر الشطرين ولهذا ايضا اسباب فنية فالشاعر الواعي يختار متعمدا احد الاشكال لقصيدته اما شعر الشطرين ، او الوشح او شعر المقطوعة ، او الشعر

---

(١) ارجو ملاحظة معنى قولي « صغار الشعراء » فانا لا اريد به شعراءنا اليافعين فالشاعر قد يكون في السبعين من عمره ويكون شاعرا صغيرا مع ذلك لانه ضحل الموهبة ميت الصياغة . يقابله في الجهة الثانية شاعر في الخامسة والعشرين ولكنه موهوب يبشر بشاعر كبير .



أنــا... و الشعر الحر

الحر او سواه . والشكل مرتبط تماما بمضمون القصائد وان كان صغار الشعراء يجهلون هذا (١) وحسبنا ان نستشهد بالشاعر المبدع نزار قباني فهو يتنقل بين الشكلين .

أحب ان اقف الآن عند دليل ثان استند اليه الذين زعموا ويزعمون انني تبرأت الشعر الحر ، وذلك الدليل اشتقوه من مقدمة ديواني « شجرة القمر » . وخير مثال للاسلوب الذى يكتب به طائفة من هؤلاء الكتاب هذا المقال الذى نشرته مجلة الزهور (ملحق الهلال) فى عددها السادس ، يونيه (حزيران) ١٩٧٣ بقلم السيد مصطفى الجرف ، فقد قال هذا الكاتب سامحه الله :

« فهاك هى الشاعرة نازك الملائكة . تقول فى مقدمة ديوانها « شجرة القمر » الذى صدر سنة ١٩٦٨ : « وانى لعلى يقين من ان تيار الشعر الحر سيتوقف فى يوم غير بعيد ، وسيعود الشعراء الى الاوزان الشطرية بعد ان خاضوا فى الخروج عليها والاستهانة بها » .

والواقع انى لن الوم اى قارىء غير مطلع اذا ما قرأ عبارتى هذه ، فوثق ثقة كاملة بأننى قد نبذت الشعر الحر واصبحت من أعدائه المناوئين . ولكن ماذا سيقول هذا القارىء عن هذا الكاتب لو انا اكملت له عبارتى كما جاءت فى تلك المقدمة واذا ما شرحت له السياق الذى وردت فيه ؟ لقد قلت بعدها مباشرة من دون اى فاصل : (وليس معنى هذا ان الشعر الحر سيموت ، وانما سيبقى قائما يستعمله الشاعر لبعض اغراضه ومقاصده دون ان يتعصب له ويترك الاوزان العربية الجميلة) . والواضح اننى بهذا الموقف هنا كنت ارد فى غيظ ظاهر على المتطرفين من انصار الشعر الحر الذين باتوا يتخذون من احتقار الشعر الشطرين مذهبا يتباهون به ، منادين بالقضاء على شعرنا ذلك قضاء مبرما

والدليل البسيط على ما اقول ــ اى على اننى لم اقصد بكلامى اية دعوة لنبذ الشعر الحر ــ اننى قلت بعد ذلك مباشرة (ومما احب ان اعلن عن اسفى له أننى فى شعرى الحر ــ القصد المنشور منه فى شجرة القمر ــ لم اعن عناية اكبر بالقافية فكنت اغيرها سريعا واتناول غيرها) حتى اقول : « ولهذا بت ادعو الى ان يرتكز الشعر الحر الى نوع من القافية الموحدة ولو توحيدا جزئيا فبذلك تزيده موسيقى وجمالا » ومعنى هذه العبارة واضح ، فأنا اولا ما زلت ادعو الى الشعر الحر بنص العبارة ، ولكنى ادخل عليه عنصرا جديدا قادتنى اليه تجربتى الطويلة فى ممارسة الشعر الحر ، هو العناية بالقافية .

وليلاحظ القارىء قولى عن الشعر الحر « يزيده موسيقى وجمالا » لأن لفظة الزيادة تعنى منطقيا وجود الموسيقى والجمال اصلا فى طبيعة الشعر الحر ، وهذه الموسيقى وهذا

الجمال ستزيدهما القافية المتكررة .

وهل يريد القارىء دليلا اكبر على ان ما أراد الكاتب الفاضل مصطفى الجرف ان ينسبه الى من نبذ للشعر الحر لم يكن صحيحا ؟ انني في مجموعتي « شجرة القمر » نفسها قد ادرجت سبع قصائد حرة الوزن . وقد مر انني وعدت في المقدمة ان ازيد العناية بالقافية في شعري الحر التالي، وقد برزت بوعدي كما سيشاهدالقارىء في مجموعتي القادمة ان شاء الله . ولكم كنت سأشكر الكاتب الفاضل لو انه لزم الامانة الادبية فأتم عبارتي التي نسخها مبتورة فلا يكون كمثل من يستشهد على عدم وجود الله سبحانه بالكلمات « واشهد ان لا اله » حاذفا بقيتها « الا الله » . على ان الواقع ان السيد مصطفى الجرف لم يكن يقصد الاساءة الي عندما بتر عبارتي فهو يؤمن ويعتقد ان الارتداد عن الشعر الحر فضيلة يمدح بها الشاعر . وانه ليؤسفني انني لا امتلك هذه الفضيلة ولم تكن لي يوما . لا بل انني انكر اشد الانكار انها فضيلة .

وختاما أحب ان اعلن – وارجو ان تكون هذه آخر مرة – انني لم ازل احب الشعر الحر واتحمس له واستعمله بلا انقطاع منذ عام ١٩٤٧ حتى اليوم . ولم تمر علي فترة تركت فيها نظم الشعر الحر مطلقا . وكل ما في الامر ان في نفسي شيئا من غيظ من شعراء الشعر الحر المتطرفين الذين يهاجمون شعر الشطرين ويهزءون به ويسمونه « تقليديا » . والواقع انني احمل في نفسي غيظا مماثلا من انصار الشطرين المتطرفين الذين يسخرون من شعرنا الحر ويزعمون او يتوهمون انه بلا وزن .

وقد يتساءل القارىء – وهو سؤال وجيه – لماذا احرص على الرد على الفئة الاولى دون ان احاول مناقشة الفئة الثانية ؟ لماذا ارفع صوتي مناصرة شعر الشطرين بينما اترك الشعر الحر دونما مناصرة ؟

والجواب ان سر ذلك ارتباط اسمي وسمعتي الشعرية بالدعوة الى الشعر الحر بحيث تلقيت وما زلت اتلقى الكثير من مهاجمات انصار الشطرين وسخريتهم ، فانا نصيرة الشعر الحر فلا حاجة بي الى الدفاع عنه . ذلك فضلا عن ان كل مراقب نزيه ينظر الى الموقف الشعري القائم يدرك ادراكا واضحا ان الشعر الحر هو المنتصر الغالب وهو الذي يملك المستقبل بحيث اصبح شعر الشطرين هو فرخ الحمام الضعيف الذي يحتاج الى الدفاع والمناصرة . ولذلك ارفع صوتي واحث شعراءنا اليافعين على ان يعودوا اليه ويستعملوه الى جانب الشعر الحر ، كما يفعل محمود درويش وسميح القاسم وغيرهما . فان اوزان الشطرين جميلة في ذاتها وفيها امكانيات كبيرة .

وقد يكون من نافلة القول ان اشير الى ان صورة شعر الشطرين لدى كثير من الشعراء التقليديين قبيحة منفرة وليست هي التي ادافع عنها وادعو اليها . وانما اريد ان يسري دم حار جديد في شعر الشطرين يهبه الحياة والاصالة ويعيد له مكانته التي فقدها في قلوب اليافعين .

وساختم هذا البيان بمثل كلماتي التي قلتها في مقدمة «شجرة القمر» : « اننا عائدون الى شعر الشطرين ، كما اننا عائدون الى فلسطين ان شاء الله ، ولسوف يسير الشكل الجديد والشكل القديم يدا بيد ، يسعدان الملايين من عشاق الشعر العربي ، ويهبان حياتنا الفكرية والروحية ابعادا واعماقا جديدة

● نازك الملائكة ●
● الكويت ●


البطاريات
السائلة
المتفوقة
لوتس
LOTUS
بوليدن
(سابقا)
تنتجها الشركة بترخيص خاص
من شركة نوال السويدية
وتصدرها إلى
دول وسط أوربا
بطاريات جافة
فيكتوري
جميع المقاسات ١٫٥ ڤولت
بطاريات جافة ماجد
جميع المقاسات والطرازات
لمختلف الأغراض
الشركة العامة للبطاريات
احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية
الادارة : شارع الشهيد الحي - العرائش - جيزة * العنوان التلغرافي : جنباط - جيزة
الموزعون : الشركة المصرية للمعدات الكهربائية « شاهر - سنتريك »

الوزراء والعلماء
في ندوة
الهلال



إعداد: أنور المرصفي

الوزراء والعلماء

في ندوة

الهلال

٢

دور البحث العلمى والتكنولوجيا في نهضتنا الصناعية وتنميتها وتطويرها

الجامعات والمعاهد العليا ودورها

خطوط عريضة

تحدث بعد ذلك الدكتور محمد كامل ليلة وزير التعليم العالى فقال :

ان الموضوع الذى طلب الى ان اتحدث فيه ، يتعلق بدور الجامعات والمعاهد العليا فى اعداد الكوادر التى يمكن ان تضطلع بمهام البحوث اللازمة لسد احتياجات البحث العلمى وتطبيقاته فى القطاع الصناعى .

وفى الحقيقة اننى عندما دعيت لحضور هذه الندوة العلمية ، رحبت به لكنى سأتكلم على اساس معين ، ذلك ان جميع الزملاء الذين تحدثوا فى الموضوعات التى طرقوها هم من المتخصصين .. فالسيد الزميل الدكتور اسماعيل صبرى تحدث عن التخطيط ومن البحوث العلمية الاجتماعية والاقتصادية فى تنمية الصناعة وهو خبير فى هذا المجال

والسيد المهندس احمد عز الدين هلال خبير ايضا فى المجال الذى تحدث فيه

والدكتور مصطفى طلبة غنى عن التعريف ، فقد تكلم فى صميم ما يقوم به فى مجال العلم

اما بالنسبة لى ، فاننى من غير المتخصصين فى هذا المجال . ولكن هذا



جانب من ندوة الهلال يظهر فيه الدكتور محمد كامل ليلة والدكتور اسماعيل صبري عبد الله والاستاذ صالح جودت والدكتور مصطفى كمال طلبه والاستاذ عبد الواحد الوكيل والدكتور أحمد عز الدين هلال والدكتور محمود على حسن

فى تلبية احتياجات البحث العلمى

لا يمنع من ان اتكلم فى مسائل عامة وفى الخطوط العريضة الخاصة بهذا الموضوع .

فى الواقع اننى اسمع كلاما كثيرا جدا عن العلم والتكنولوجيا ، وعن اهميتهما ، وعما يجب علينا نحو الاخذ بالاساليب التى توصلنا الى التقدم والتفوق فى هذا المجال ، لكى نصل الى تطبيقات ونتائج عملية يفيد منها المجتمع .. وكل هذا فى اعتقادى من المسلمات ، ولا يختلف عليه اثنان ، فاهمية العلم لا يمكن ان تكون محل جدال والدراسة فيما يتعلق بالبحث العلمى والاساليب السليمة بشأنه والرغبة فى الوصول الى النتائج المرجوة وفى تحقيق التقدم ، والتطور فى مختلف مرافق الحياة بالنسبة لنا ... كل هذا قائم وموجود .. وحضراتكم من صفوة العلماء وتعرفون كل شىء .. فكل شىء معروف ومفهوم ، والمطلوب هو « التنفيذ » . وحينما نصل الى مرحلة التنفيذ ، ننظر الى الدول المتقدمة فى مجال العلم والتكنولوجيا ، وما الذى تفعله فى هذا المجال لكى تتقدم وتتطور عن طريق البحث العلمى .. وهنا نجدها ترصد للبحث العلمى .. اموالا طائلة ، ثم انها تجعل للعلماء الباحثين سلطة فى

الوزراء والعلماء

فى ندوة

الهلال



د. محمد كامل ليلة

مجال البحث ، ثم بعد ذلك هى تغدق على العلماء من المرتبات وما يشجعهم اتجاه البحث ، ثم انها تمنع العراقيل من طريق البحث العلمى كالروتين وغير ذلك ، ثم بعد ذلك تكرم العلماء وترفع معنوياتهم مؤكدة أن على اكتافهم وبفضل افكارهم ونتائج جهودهم تتقدم الدولة وترقى فى مختلف المجالات

هذه هى الوسائل التى تلجأ اليها الدول المتقدمة فى العالم .. فما الذى نفعله نحن لنصل الى ما وصلت اليه هذه الدول ، أو حتى لا نريد أن ننقله مما وصلت اليه ؟

ان عملية النقل نفسها فى حاجة الى تمويل .. والمشكلة فى الواقع بالنسبة لنا وبالنسبة لظروفنا واضحة تماما .. ان امكانيات البحث العلمى ليست على المستوى المطلوب .. فنحن نطلب بحوثا وتقدما ومضاعفة لجهود العلماء ، وبعد ذلك نطلب أموالا ومعامل وتجهيزات ، فنصطدم بعقبة المال . وذلك لان امكانياتنا محدودة بالقياس لغيرنا

نحن نعرف كل ما ينبغى .. وكل شىء جاهز ومعد ، والعلماء موجودون ... ولكننا نريد مقومات البحث .. نريد مجهود الباحثين . واذا ما توفر المال والعلماء ، فاننا نريد الا تضيع البحوث فى اطار الاجراءات الروتينية التى تثبط همم الباحثين، وتدفعهم الى العزوف عن البحث ، لانها تحد من نشاطهم بل انها احيانا تدفعهم الى مغادرة الوطن الى جهة اخرى .

هذه مشكلات لا يصح تجاهلها ، فكل شىء معروف لدينا . والمسألة هى أننا نريد ان نطبق ما نعرفه لكى يكون واقعا عمليا يستفيد منه المجتمع فى مجال الصناعة والزراعة وفى مختلف مرافق الحياة .

وعلى هذا الاساس ، اتكلم عن دور الجامعات فى اعداد الكوادر العلمية .

من الواضح أن هناك الآن سباقا ضخما جدا بين الدول الكبرى بالذات فى مجال العلم والتكنولوجيا ، ويتجلى هذا السباق بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى .. ونجد ظاهرة قد تبدو غريبة ، هى أن هناك دولا هزمت فى الحرب العالمية الثانية كالمانيا واليابان ، ومع ذلك استطاعت هاتان الدولتان ان تحققا تقدما علميا مذهلا ، تفوقتا به على الدول المنتصرة .

والواقع ان هذا التقدم المذهل ، انما هو نتيجة لتقدير العلماء وتوافر الاموال ونتيجة لما سبق أن مهدت به لحديثى الى حضراتكم .

انى الاحظ أننا عندما اردنا ان ننظم مسائل البحث العلمى ، انشأنا مجلسا اعلى للعلوم ، ثم بعد ذلك وزارة للبحث العلمى ، ثم بعد ذلك الاكاديمية ... وهذا التطور والتغيير يؤدى الى عدم الاستقرار .. وكل نظام جديد يحتاج الى فترة زمنية حتى يستقر ، ثم تبدأ بعد ذلك عملية التنظيم الادارى ، والمكان الذى يوجد فيه هذا المجلس او الوزارة وتوفير متطلباته .

أن عدم الاستقرار يعوقنا عن الوصول الى الهدف المرجو المطلوب فى الوقت المناسب وعن الافادة من جهود العلماء فى مختلف البحوث التى يقومون بها .

والجامعات دورها غير منكور فى مجال البحث العلمى ، وللمعاهد العليا ايضا دور كبير .. ولكن المهم هو ان تتيح للجامعات والعلماء فيها – ما امكن –

ان يقوموا بالبحوث في جو ملائم ومناخ صحي ، بمعزل عن العراقيل الكتبية والمشكلات الاخرى المادية والمعنوية

نحن نقول ان لدينا كثيرا من العلماء الباحثين على مستوى رفيع نفخر به في كل مكان ومجال ، يقفون على قدم المساواة في تخصصات كثيرة مع العلماء في مختلف دول العالم الراقية ، ولكن العقبة هي ان العلماء في الدول الاخرى يجدون اسباب البحث متوافرة ،ولدينا لا توجد اسباب البحث مهيأة ميسرة بالصورة التي نرجوها ».

عندنا حاليا كادر من العلماء مهمته ان يخلق كوادر من العلماء الشباب حتى يستمر البحث العلمي ، وتتعاقب اجيال العلماء ، وتكون العملية متجددة ، فيما يتعلق بخلق كوادر جديدة للبحث العلمي .. وبعد ذلك نربط هذا بالزراعة والصناعة في مجال التطبيق .

كيف نربط العلماء الباحثين في الجامعات بالمؤسسات والمراكز الصناعية المختلفة ، حتى يكونوا على علم بالتطور في الواقع العملي ، وحتى تستفيد منهم المراكز الصناعية ، وتعرض عليهم مشكلاتها . وتطلب منهم علاجها في معاملهم وفيما يكتبون .. الى غير ذلك من وسائل الربط بين العلماء في الجامعات وبين المراكز الصناعية ؟

يمكن ان نعينهم أعضاء غير متفرغين في المؤسسات وفي مراكز الصناعة ، حتى يكونوا على علم بالتطور الذي يجري في هذه المجالات ، وحتى يتحقق ما اثاره الدكتور اسماعيل صبري ولا يكون هناك تباعد بين العلم والواقع . . نريد أن يكون هناك ربط ضروري بين الاساتذة ومراكز الصناعة المختلفة، ليكونوا على علم بما هو مطلوب لمراكز الصناعة . ويتجهوا في بحوثهم هذا الاتجاه لتزويدها بما تحتاج اليه من ابحاث ، وفي الوقت نفسه يمكنهم الاستفادة من هذه المشكلات وهم يعملون على بحثها وايجاد الحلول لها والتوصل الى نتائج بشأن القضاء عليها

ان لدينا معوقات مادية ، تتعلق بكفاءة بعض التجهيزات المعملية وقصور المراجع وتقف الميزانية عقبة في هذا المجال .

ولا يمكن ان نطلب من شخص ان يبحث دون ان تكون لديه معلومات ومراجع واعتقد ان هذه العقبة معروفة للجميع وليست في حاجة الى بيان .. فعندنا زيادة في اعداد الطلبة في الجامعات بالنسبة لاعضاء هيئة التدريس ، لان الاستاذ في كلية العلوم او كلية الهندسة الذي يدرس لمائة طالب ، اذا ما عهد اليه بالتدريس لحوالي ٥٠٠ طالب ، فمن الواضح تماما ان الجيل الذي يتخرج لن تكون هناك ادنى صلة بينه وبين استاذه ، ولن يستطيع ان يتفهم المسائل حق فهمها ، ومن ناحية اخرى فانه لا يمكن ان يطلب من الاستاذ ان يوثق عرى الاتصال مع ١٥٠٠ طالب، وبالتالي فلا يمكن ــ بهذه الصورة ــ الوصول الى شخص كفء يجري اعداده ليكون عالما باحثا . لابد الآن أن نحكم الصلة بين الاستاذ والطالب ، ولنحكم الصلة بين الطلبة المقبولين في الجامعات وفي الكليات العملية وبين اعضاء هيئات التدريس ».

هذه مشكلة من المشكلات التي تعتبر عقبة في عملية اعداد الكوادر من العلماء الباحثين .

ثم ان الاعتمادات المالية غير كافية ايضا للبحث العلمي ، وميزانية الجامعات ضئيلة ، وظروفنا الآن تفرض علينا ذلك . ولكن هذا ظرف استثنائي ، والحديث لا ينصب على الظروف الاستثنائية لاننا نناقش مسائل عامة .. اذا كانت هناك عقبة في طريق تنفيذ برنامج معين الآن فهي تدخل في نطاق الظروف الاستثنائية .. وعندما نتخطى هذه الظروف ، فان الحل يكون معدا نلجأ اليه ، وننطلق فيه ، ونمارس البحث بالصورة الموجودة في مختلف دول العالم المتقدمة والراقية .

مشكلة اخرى تصادفنا ، هي مشكلة الاعارات .. فالاستاذ لظروف عديدة .. واعتبارات كثيرة ، يجوز أن تكون سليمة أو غير سليمة يسعى الى الاعارات، ويمكننا بالنسبة للعلماء الباحثين ان نمنعهم من الاعارة، على ان نبقيهم في معاملهم

الوزراء والعلماء

في ندوة

الهلال

وتعتبرهم مثل العارين وذلك بأن ترفع مرتباتهم او تقرر لهم مكافآت بصورة او بأخرى حتى لا نفقد علماءنا ويستفيد الآخرون بعلمهم ، وتكون الخسارة علينا في نهاية الامر ..

هذه المشكلة لابد ان نبحثها ، فهي مشكلة مادية او نفسية .. استاذ عاجز من أن يواصل البحث ، امامه عرض مغر ، ولذلك نراه يفضل ان يطلب اعارة او ان يخرج بأية طريقة .. الآن ، فما سبيلنا لكي نحتفظ بهذه الكفاءات ، ونستفيد بها في بلادنا وفي مصانعنا ، ان السبيل الى ذلك يتعلق اساسا بالناحية المادية .

هناك ايضا شراء الاجهزة واصلاحها ، وهي عملية معقدة ، فحتى نشترى جهازا يستغرق الامر وقتا طويلا ، كذلك الحال عندما يتعطل جهاز ويراد اصلاحه . وذلك نتيجة لكثرة الاجراءات التي تستغرق لاتمامها مدة طويلة مما يؤدي الى تعطيل العمل .

كذلك من المشكلات التي تصادف الباحثين مسألة المباني .. فالمباني التي تجرى فيها البحوث كثيرا ماتكون غير صالحة وغير معدة لكي تكون معامل اومراكز للبحث والمفروض ان تكون المعامل وحدات مهنية ، ولكل تخصص معين مبناه ،

ويكون المكان مهيئا ملائما للبحث لان هذا المكان ينعكس اثره على العالم الباحث . وفي علم الادارة يقال ان الاماكن لها تأثير ضخم فيما يتعلق بكفاءة العمل وكفاءة الاداء ... فعندما

يكون العمل معدا للعمل بأسلوب علمي ، فان هذا يجعل الباحث يقبل على العمل ولا يمل من الاستمرار فيه اوقاتا طويلة

ولكن بعض المعامل لا يمكن البقاء فيها فترة طويلة وهذا يجب ان يكون محل دراسة .

ثم ان المجلات العلمية الموجودة عندنا والتي تنشر فيها البحوث لتدعيم واعداد الباحثين مجلات كثيرة ومتشابهة . ومن الواجب ان تجمع مادامت متشابهة لتكون هناك مجلة قوية لا تنشر فيها الا البحوث التي تعرض على لجنة علمية متخصصة راسخة في العلم . ان اغلب البحوث التي تنشر هي ، كما فهمت ، لاعضاء هيئات التدريس الذين على وشك الترقية . ان مجلاتنا لاتأخذ الصورة التي يجب ان تأخذها ، رغم ان عندنا علماء كبارا وباحثين على مستوى رفيع يمكن ان ينشروا في مجلاتنا بحوثا قيمة .. ولذلك فانه اذا ماوجدت هيئة اشراف لا تسمح الا بغير المفيد ، ووجدت حوافز ومكافآت فان ذلك يجعل الناس يبحثون وينشرون بحوثهم دون ان يعتبروا ذلك مضيعة للوقت بغير فائدة ، خاصة انهم لو نشروا بحوثهم في اية مجلة خارجية فانهم يتقاضون عن ذلك أجرا . ونحن اذا اتبعنا بشأن مجلاتنا هذه الملاحظات التي سردتها ، فانها تصبح ذات سمعة عالية في الخارج ، ويكون لنا بالتالي وضع عالمي معروف .

كذلك فان الفنيين الذين يوجدون في المعامل ، هم قلة غير مؤهلة تأهيلا كافيا ويجب ان يسمح للجامعة نفسها باعدادهم ان الحاصل على الثانوية العامة يمكن ان يعين في احد معامل الجامعة ، ويحصل على تدريب بعده للعمل في تخصص معين في احد المعامل . وبذلك يكون هذا الشخص قد ربى تربية معينة

تمكنه من القيام بدور فعال في نطاق هذا العمل بالذات .

من الممكن اذن ان تمد الجامعة الفنيين .. كل عدد من الباحثين يمدون مجموعة الفنيين التي يحتاجون اليها

بالاسلوب الذي يجدون هم انفسهم انه يوصل الى تحقيق الغرض .

وهناك المعوقات الادارية ، او الروتين ان الروتين كلمة مفترى عليها ، لانه في حقيقة معناه هو التنظيم واتخاذ اجراءات معينة لمنع الانحراف في اداء العمل

بكفاءة وفعالية ، ولكن الاغراق في هذه الاجراءات خوفا من الانحراف يهدر العمل ويعقده ولا يمكنه من الوصول الى غايته .

ان النظام ووضع الاجراءات الادارية مطلوبان لاداء العمل ، ولكننا في الواقع

في مجال البحث العلمي نجعل الكلمة العليا والاخيرة للاداريين وللوائح الادارية والمالية .. واذا ماكانت الكلمة الاخيرة

لغير العلماء ، فلن يستطيعوا ان يحققوا المطلوب منهم او ينفذوا ما هو ملقى على

كواهلهم بل يعجزون عن اداء المهمة ويخفقون في النهوض بالرسالة المطلوب اليهم ان ينهضوا بها برغم توفرهم لها .

ان العلماء مظلومون .. والظالم هو الاجراءات الادارية التي يمكن التغلب عليها داخل الجامعة باسلوب او باخر .

ان العلماء والباحثين يلجاون الى الجهات المختصة لطلب أجهزة أو مواد او مجلات علمية أو كتب ، فيواجهون

بهذه الاجراءات التي يشعر معها الاستاذ منهم بالضياع ، وبان كيانه مهتز ، وان كلمته غير مسموعة ..

استفسارات ، ومراقبات ، ومراجعات ، كما لو كان الامر محاولة لكشف شخص يريد ان يسرق ... ريبة وتخوفا ..

وهكذا يمر عام او اكثر ، ويضيع البحث ، وتتبخر النتيجة التي تريد أن نصل اليها .

هذه المعوقات كلها لا يمكن انكارها ، ويجب ان تتغير . ان التغيير سهل ، ولكن المهم في الامر هو أن نبدأ فيه .

ليس الحل في وضع قوانين ، فالقوانين السليمة موجودة واللوائح موضوعة ، ولكن هناك اشخاصا

يعطلون العمل احيانا حتى يظهروا أهميتهم ... ان الازمة ليست في القوانين او اللوائح ، ولكن فيمن يطبقون هذه القوانين ويفسرون تلك اللوائح . ان القوانين هدفها تحقيق نتائج طيبة تخدم الصالح العام ، واللوائح مقصود بها النظام غير المرهق الذي لا يشل العمل ولا يضيع الجوهر . لايصح أن نأخذ بمظهر خداع وشكليات ونقضي على الجوهر الذي يجب ان يصان .

اذا كان من يطبق او ينفذ ليس على علم بالصالح العام ، وليس على ادراك بخطورة ما يتبع من اجراءات معوقة للعمل ، فان هذا سيكون انعكاسا

جاهلا على عمليات البحث العلمي التي ننظمها بقوانين ولوائح .

والاحظ ايضا انه بالنسبة للبحث العلمي فان نظام الجامعة قد يتيح حدوث مشكلات في الاقسام . ذلك انه لكي تحدد

السياسة العامة لقسم من الاقسام ، فان أعضاء هذا القسم يجتمعون ويكون بينهم تكتل ، على انه مادام رئيس القسم يريد كذا فنحن نصنع عكس

ما يريد !.. لابد ان يكون هناك مسئول في هذا المجال ، ولابد من اللجوء الى الاسلوب المثالي الذي يجعل أعضاء القسم جماعة مترابطة هدفها البحث

العلمي وليس مجرد اثارة المشكلات التي تحدث داخل الاقسام ، والتي تتجه بالقسم كله من البحث العلمي الى التفرغ لحل هذه المشكلات .

نلاحظ أيضا أن من يبذلون نشاطا ملحوظا ، ومن لهم بحوث على المستوى العالي ، ومن كرسوا وقتهم للبحث

الوزراء والعلماء في ندوة الهلال

العلمي ، فانهم وربما لايكافأون ولايلتفت اليهم .. هذه مسألة من الممكن التعرض لها والكشف عنها بامانة ، ومكافأة المجتهد تحفز الآخرين على ان يصلوا الى ما هو مطلوب منهم .

مسألة أخرى تتعلق بالنواحي المعنوية ، وهي تتصل باعداد الباحثين . ان اللجان العلمية التي تقيم اعضاء هيئات التدريس تختلف معاييرها ووجهات نظرها . ويترتب على ذلك وجود نوع من المشكلات ، وينعكس هذا على اعضاء هيئة التدريس الذين يتعرضون لهذا الامر ويتركون البحث العلمي ،

ما دام المعيار في التقييم ليس واحدا .. وهذا الموضوع يحتاج الى بحث حتى تتفادى المشكلات التي تنجم عنه سواء من جانب اللجان العلمية او من جانب

أعضاء هيئات التدريس الذين يخضع انتاجهم ـ عند الترقية ـ للتقييم والتقدير اللجان العلمية .

والواقع أن هذه المشكلات جميعها تنعكس بآثارها على اعداد الكوادر العلمية ..

ولا بد من العمل على التخلص من هذه المشكلات وهي لا تستعصي على الحل واوجز ما سبق ذكره فيمايلي .

● يجب أن نحدد اعداد الطلبة في سياسة القبول . أهذا ممكن أم لا ؟

● وبالنسبة للدراسات العليا ، فلابد ان نهتم بها ونركز عليها ، لانها المجال الحيوي لاعداد كوادر من العلماء الشباب الباحثين .

● تدعيم الاقسام بجهاز اداري متكامل يساعد العمل ولا يعرقله .

● توفير الفنيين اللازمين في المعامل ، على المستوى الذي يساعد العلماء والباحثين .

● دعم المباني الموجودة ، وتهيئة الجو اللازم للبحث العلمي .

● عدم الربط بين اللقب العلمي والترقية المالية . ومن لم يجب التشدد في منح اللقب العلمي اذ لن يكون هناك ضرر من الناحية المالية .

● يكون للأساتذة مجالس متخصصة لعرض خبراتهم على مراكز الصناعة ، ولتلجأ اليهم هذه المراكز

وتنبههم الى المشاكل التي لديها ، وهكذا يتحقق التلاقي والتمازج والتعاون

● الربط بين اكاديمية البحث العلمي وما يتبعها من مراكز وبين الجامعات

ليقوم العاملون بها بدور في التدريس في الجامعات لسد العجز الموجود في هيئات التدريس .

● اتاحة الفرص لاعضاء هيئات التدريس لكي يستفيدوا من معامل هذه الهيئات وما فيها من مكتبات .

● عمل تقييم دوري للأساتذة والاقسام العلمية . فاذا ما وجد تفوق أو اجتهاد من جانب البعض ، وجب منحهم مكافآت مادية وتشجيعهم أدبيا ومعنويا .

● محاولة انشاء مجلس للبحث العلمي العربي . فعندنا علماء كثيرون وثروات بشرية عظيمة ، وفي البلاد

العربية الاخرى اموال طائلة . ويمكن عند لجميع العنصرين ان نصل الى مراكز بحوث في اروع صورة ، ويمكن عندئذ ان نصل الى ما وصلت اليه الدول الاخرى .

والواقع اننا اذا ما عرفنا العقبات وعرفنا العلاج ـ وهذا ليس بالامر الصعب ـ ، فان جيل العلماء والباحثين الحالي سيؤدي دوره في خلق جيل آخر ، فتتعاقب الاجيال .

ولكي يكون الربط مجديا بين النشاط العلمي في الجامعات وبين الصناعة ،

فانه مطلوب منا ان نربط الاساتذة بمراكز الصناعة ، فيجب ان يكون هناك اتصال بين العلم النظري والواقع ، دون ان يترك الامر للمصادفات او الصداقات ، بل يكون اساتذة الجامعات في مراكز الصناعات بصورة او بأخرى ، يتعرفون على مشاكلها على الطبيعة ، ويوجهون تفكيرهم في بحوثهم نحو ايجاد الحلول لهذه المشاكل . وبهذا الاسلوب يمكن اعداد الكوادر العلمية في الجامعات وربطها بمراكز الصناعة ، ونجعل الجامعة في خدمة المجتمع . والجامعة ان تخدم المجتمع ، تستفيد ايضا واستفادة الجامعة من المجتمع تعود بالتالي على المجتمع .

هذا ما يمكن أن اقوله في خطوط عامة مريضة في مجال اعداد كوادر العلماء الباحثين في الجامعات .

وكما بدأت ، اعود فاكرر على عملية التنفيذ ، وأقول أن التنفيذ مرتبط بوجود الاموال اللازمة وضرورة تنظيم وحسن استخدام المال للوصول من وراء البحث الى ما يتنبه الوطن من علماء في الزراعة والصناعة وغيرهما من مختلف المجالات .

مناقشات الندوة

صالح جودت

بعد انتهاء كلمة الدكتور محمد كامل ليلة ، قال الاستاذ صالح جودت : أرى ان تستمر المناقشة بدلا من الحصول على استراحة حتى لا ينقطع حبل الاتصال بيننا وبين الاساتذة المتحدثين .

« وبدأت المناقشة وكان اول الاسئلة موجها الى الدكتور محمد كامل ليلة وزير التعليم العالي حيث جرت المناقشة على النحو التالي » :

احمد حمادي

لقد أشار الدكتور مصطفى كمال طلبة في حديثه الى براءات الاختراع ، وبراءات **الاختراع تنقلت بين العديد من الوزارات فقد كانت تتبع وزارة التموين ، ثم انتقلت** الى وزارة الصناعة ثم الى وزارة البحث العلمي .


احمد حمادي


د. مصطفى كمال طلبة



د. اسماعيل صبري

الوزراء والعلماء في ندوة الهلال

والذى اريد أن أستفسر عنه من السيد الدكتور مصطفى طلبة هو هل الناحية الفنية هي التى تبحث في موضوع براءات الاختراع أو أن العملية تتم دون بحث فنى فانا أرى أن هذه العمليات يجب أن يبحثها جهاز يجمع بين أعلى مستوى قانونى وأعلى مستوى فنى . ثم بالنسبة لما أثاره الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله من أن دول العالم الثالث والدول المتخلفة رأت أنها يجب الا تنقل التنمية نقل مسطرة من الدول المتقدمة ، وأن خبراء الدول النامية يبحثون حاليا عن نظرية تصلح لتقدم التنمية في بلادهم ، فهل سننتظر نحن في مصر الى أن يتوصل الخبراء الى هذه النظرية أم أننا سنبدأ في البحث عن نظرية أو أساس للتنمية يتفق وواقعنا المحلى ؟

د. مصطفى كمال طلبه

ان براءات الاختراع بالفعل كما قال الاخ احمد طلت تتنقل بين جهات متعددة شأنها شأن أمور كثيرة الى أن انتهى بها المطاف الى وزارة البحث العلمى قبل أن اتشرف باستلام عملى بالاكاديمية بفترة قصيرة . ولقد وجدت بالفعل أن التركيز في بحث هذه الاختراعات كان ينصب على الجانب القانونى . ولقد رأيت أن يتولى شئون البراءات عندنا مكتب شأنه شأن المكاتب الموجودة في جميع أنحاء العالم . وبهذا قسم هذا المكتب الى قسمين :

مكتب قانونى ، ومكتب فنى ، والمكتب القانونى قائم ومؤهل فعلا لانه يعمل في مجال براءات الاختراع منذ فترة طويلة ويتنقل معها وبالنسبة للمكتب الفنى ، فلقد اخذنا نعمل منذ نحو سنة ونصف على تدعيمه بتعيين المهندسين فيه ، وبارسال بعثات الى الدول التى سبقتنا في هذا المضمار ، وبالفعل قدمت لنا بعض هذه الدول منحا لتدريب مهندسينا لاستقراء هذه البراءات للحصول على بيانات منها ، واسلوبنا في العمل في هذا المكتب هو تدعيم الجانب الفنى .

احمد حمادى

انى أود أن الفت النظر الى الجانب القانونى وأهميته في عملية تسجيل براءات الاختراع بحيث لا تقتصر العملية – كما يجرى عليه العمل حاليا – من تسجيل روتينى لكل اختراع يقدم .

د. مصطفى كمال طلبه

انى لم اكن اقصد بحديثى عن الجانب القانونى مجرد منح البراءة ، وهذا الجانب

كان متوفرا بمكتب منح البراءات ، ولكن الصعوبة كانت تتمثل فى بحث البراءة من الناحية الفنية ، وكنا نستعين فى هذا العمل بالفنيين من خارج مكتب براءات الاختراع كأساتذة الجامعات أو مراكز البحث . بحيث يجرى بحث البراءة من الناحية الفنية ولمعرفة ما اذا كان قد سبقها اختراع مشابه أم لا ، ونحن نريد أن ندعم مكتب البراءات بهؤلاء الخبراء بحيث يدرسون البراءةمن الناحية الفنية ، وبحيث يكون جهازنا مستعدا ومدعما حتى لا تظل تعتمد على أساتذة الجامعات ورجال البحث العلمى بحيث يدرس الجانب الفنى للبراءة قبل اصدار الجانب القانونى .

د . اسماعيل صبرى عبدالله

الرد على ما أثاره الاخ أحمد يتلخص فى نقطتين :

الاول : هى ان لقاء خبراء دول العالم الثالث لم يكن يستهدف اصدار نظرية جديدة للتنمية بل كان يستهدف دعوة خبراء التنمية والمعاهد العلمية التى تعمل للتنمية فى العالم الثالث لكى يبحثوا سبل التنسيق بينهم معتبادل الخبرات البحثية بحيث يمكن للعالم الثالث أن يواجه العالم المتقدم ، على أن يكون التفكير الاساسى نابعا من هذه الدول .

والثانية : هى أن الذى كان محلا للهجوم هو نموذج التنمية الذى كانت تدعو الى الدول الصناعية المتقدمة والهيئات الدولية وبالذات البنك الدولى . وهذا النموذج يتلخص فى النقاط الآتية :

اولا : اهم شىء هو زيادة الدخل القومى بدون اى تحديد لمحتوى هذه الزيادة فى الدخل لان الدخل القومى يمكن ان يزيد بوسائل كثيرة ومختلفة جدا .

وثانيا : أننا أخذنا هنا بمفهوم زيادة الدخل القومى من جانب محتوى معين ,قلنا استصلاح الاراضى مثلا .. أو التصنيع الى آخره .

وثالثا : كانوا دائما يقولون : أجلوا مشكلة عدالة توزيع الدخل الى أن يزيد الدخل ، وقد ثبت أن الدول التى تسير على هذا النظام وصلت الى أن زيادة الدخل تجمعت فيها فى أيد قليلة لا يستفيد منها غالبية الشعب .. **ولكن عندنا الكفاية والعدل ، الى جانب الزيادة فى الانتاج وفيه عدالة التوزيع .. وهناك امثلة كثيرة** من هذا النوع . **وفى الواقع ان مصر لها تجربة تعتبر متقدمة فى مجال عدم التقيد بذلك . لان المفهوم اليوم ليس مجرد تقدم تجربة ، انما تقدم الجهود الفكرى والعلمى والبحثى الذىيتاهل لهذا كله،فالهدف هو التقدم بحيث لايكون هناك فقدانللشخصية**

محمد عبد الحميد

لفت نظرى فى الكلمة التى القاها السيد وزير الدولة للتخطيط انه اشار الى وجوب عمل توصيف للطالب الذى ينتمى للقسم الادبى وللطالب الذى ينتمى للقسم العلمى كما ان كلمات السادة المحاضرين لم تتضمن الاشارة الى الاهتمام بالعلوم الانسانية



محمد عبد الحميد

الوزراء والعلماء في ندوة الهلال

وفي رأيي أن التطور العلمي والتكنولوجي يؤكد ضرورة الاهتمام بالعلوم الانسانية **فهناك علاقة وثيقة بين العامل الذي يرتدي البدلة الزرقاء والفني الذي يرتدي البالطو الابيض والعامل الباحث ، فالاهتمام بالعلوم الانســانية لابد ان يلازم التطور العلمي والتكنولوجي في بلدنا .**

وانني أتوجه بهذا المفهوم للسيد وزير التخطيط ليقول رأيه في ذلك . وأيضـا الى الدكتور مصطفى طلبة بوصفه رئيسا لاكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيـا ورئيس أو أمين الشعبة القومية لليونسكو ومن المهتمين بالنواحي الثقافية والانسانية .

د . اسماعيل صبري عبدالله

في الواقع انني لم اهون من جانب العلوم الانسانية بل بالعكس فانني أدعو الى الاهتمام الجاد بها وبدراستها بالمناهج العلمية التي اثبتت صلاحيتها في العـلوم الطبيعية . فنحن نريد الاهتمام بالعلوم الانسانية وفي نفس الوقت نريد عمل صلة وثيقة بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية كما نريد تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في العلوم الانسانية ، واسمحوا لي ان أقدم لسيادتكم مثالا بسيطا في هذا المجال ، عندنا معيار أساسي للتفرقة بين القسم الادبي والقسم العلمي ، فالطالب الذي ينتمي للقسم الادبي لا يعرف علم الرياضة . وفي الواقع ان هذا المفهوم مفهوم متخلف تماما بمعنى ان الدول التي تدرس فيها الثانوية العامة تحرص على أن تدرس للذين يدرسون الادب الكلاسيكي في شعبة الاداب علم الرياضة أيضا ؛ وهذا اداة البحث العلمي لو وضع في خدمة العلوم الانسانية فانها تستطيع بلا شك أن تتقدم . وبالعكس فانني ادعو أيضا الى الربط بين التقدم العلمي من الناحيتين ، وحينما اسمع عن تطور التعليم العالي مستقبلا فانني أنظر دائما الى ضرورة ان تكون هناك دراسة للعـلوم الانسانية في الكليات العملية .

د . مصطفى كمال طلبه

أود ان أطمئن السيد الزميل ، ففي تنظيمات البحث العلمي السابقة كنا نتكلم دائما عن العلوم الطبيعية التي أشار اليها الدكتور اسماعيل صبري ولكن عند انشاء الاكاديمية كان هناك اصرار من كل زملائي الذين يعملون في مجال العلوم الاقتصادية

والعلوم الاجتماعيه أنها تدخل ـ كبحوث ـ فى اطار الاكاديمية وعلى هذا الاساس فمن ضمن المجالس النوعية المتخصصة الموجودة فى الاكاديميه « مجلس بحــوث العلوم الاجتماعية » حتى يكون هناك تفرقة بينها وبين عمل المجلس الاعلى لرعاية الفنــون والاداب والعلوم الاجتماعية .. فهى تعمل بحوثا فى النواحى الاجتماعية وباسلوب علمى

ومن جهة أخرى فان أول قرار اتخذه المجلس هو كيفية تطبيق المنهج العلمى فى دراسات العلوم الاجتماعية فى مجلس البحوث الاجتماعية .. أكثر من هــذا فان كل مجلس من المجالس النوعية فى العلوم الاخرى التى تطلق عليها العلوم الطبيعية يمثل فى كل واحد منها باثنين أو ثلاثة فى قطاع العلوم الاجتماعية ، اما خدمة اجتماعية واما اجتماع واما اقتصاد ، وذلك حسب العمل الموجود فى كل مجلس من هذه المجالس.

فالرد الذى اشار اليه الدكتور اسماعيل صبرى سبق أن أصر عليه ـ أيضا ـ الدكتور عبد العزيز حجازى والدكتور عصمت عبد المجيد حينما كان وزيرا للدولة فالثلاثة كانوا يصرون على هذا الاتجاه ، والحمد لله فقد نجحنا فى تحقيقه .

صالح جودت

فى الواقع أن الدكتور اسماعيل صبرى كان واضحا فى حديثه ، ولم يهون من شأن العلوم الانسانية ، واعتقد أنه كان على حق فى مزج التعليم العلمى بلون من العلوم الانسانية ، وكذلك مزج العلوم الانسانية بلون علمى ، وهذا يثرى النوعين معا ، وحينما نستعرض أسماء الذين خدموا الادب فى مصر والعالم نجد انهم قاموا على أساس علمى .

وعلى سبيل المثال عندنا فى مصر الدكتور ابراهيم ناجى والمهندس على محمود طه والدكتور حسين فوزى والدكتور محمــــد كامل حسين وفى وقت من الاوقات اقترح الدكتور السعيد مصطفى السعيد حينما كان مديرا لجامعة القاهرة أن الطالب الذى يريد دخول كلية التجارة أو الزراعة او الطب لابد اولا من التحاقه بكلية الاداب لمدة سنة حتى يكتسب بعض العلوم الانسانية ثم يدخل بعد ذلك ما يشاء من الكليات التى يرغب فيها .

المهندس على مرسى

لى تعليق بسيط .. فى آخر الكلمة الطيبة التى القاها الاخ الدكتور اســماعيل صبرى قال ان البحث العلمى لم يكن بالشكل او الحجم أو السرعة المطلوبة وعــدم اعطاء العناية الكافية للبحث بالنسبة للصناعة ، وفى الواقع اود ان ادفع عنا هذه التهمة ، ولا شك أن اخواننا الذين يعملون فى مجال الصناعة سواء الموجودين منهم فى هذا الاجتماع أم غير الموجودين اوفياء على هذا ، فلم يغفل القائمون بالعمل فى قطاع الصناعة دور البحث العلمى فى ذلك كما أن الذين يعملون فى البحث العلمى لم يبعدوا منطلقا عن المجال التطبيقى لبحوثهم والدليل على ذلك أنه تم نقل عدد من الذين يعملون فى البحث العلمى ليعملوا فى قطاع الصناعة ، كما حدث العكس أيضا. فقد نقل عدد من الذين كانوا يعملون فى قطاع الصناعة الى الجامعات والبحث العلمى، وكانت هناك عملية تبادل بمنتهى الراحة ومما لاشك فيه أن المناخ الفكرى والثقافى



أ. علي مرسي

الوزراء والعلماء في نـــدوة الهـــلال

كان متوافرا لذلك ، وسأعطى لحضراتكم مثالا بسيطا فى أحد النواحى التى تحدث عنها الدكتور محمود على حسن ·

فمنذ عام ١٩٦٢ قررنا فى مجمع الحديد والصلب انشاء مجمع للبحوث العلميـة وفى عام ١٩٦٧ طلبنا ـ وباصرار ـ انشاء معهد التبين للدراسات العليا المعدنية ، وفعلا انشىء وتكلف أكثر من مليون جنيه وتضمن قسمين ، قسم دراسى وقسم بحث لعمل البحوث ، واستكمالا له المعهد الذى ذكره استاذنا الدكتور مصطفى طلبة وسيتم استكمال معهد البحوث بالتعاون مع وزارة الصناعة والاكاديمية ومنظمة اليونيدو · بهذا الشكل يكون لدينا مركز علمى بحثى اشعاعى فى منطقة الصناعات المعدنية بحلوان ولا شك أن ذلك سيفيد الصناعة كثيرا وأخيرا فان قطاع الصناعة ورجالهـا مجندون للبحث العلمى وخدمته ·

د · اسماعيل صبرى عبدالله

فى الحقيقة أن الاخ على مرسى زميل قديم ولنا تجربة عمل مشترك فى المؤسسـة الاقتصادية ·· وربما فيما مضى كنا نحاول أن نتجاوز عن موضوع تقسيم العـلوم الانسانية والعلوم الطبيعية ·· وأنا شخصيا كنت أطلب من الاخ على مرسى والاخ احمد توفيق معرفة كيف تسير الشركات الصناعية ، وكنا نتناقش معا فى النواحى الاقتصادية الخاصة بذلك ، ولكن النقطة التى أشار اليها الاخ على مرسى ما زال ل تحفظ عليها ، فنقل أستاذ هندسة لشركة صناعية أمر سهل · وعودته مرة أخرى الى استاذ هندسة أمر سهل أيضا ، لكن لو نقل هذا الاستاذ الى كلية علوم فستجد أن هناك صعوبات موضوعية لا ذاتية · فما بالك لو حدث نفس الشىء لاسـتاذ من أساتذة العلوم الانسانية ·

أنا نجد أن الصعوبات تنحصر فى أن حصيلة التعليم التى يحصل عليها الشخص الذى يريد الحصول على الدكتوراه فى الفيزياء او الرياضة أو الاقتصاد البحث يسير فى هذا التعليم على طريقة معينة ويحتاج بعد ذلك الى الرجوع الى الكتب والاعتماد على بعض المراجع ويكون اتجاهه طبيعيا ، كما أن الموضوع او المجال الذى يعمل فيه رسالة دكتوراه لابد أن يعمل فيه اضافة صغيرة لنظرية موجودة أو تعليق عليها ·· فحينما تنقله من هذا الجو لتقول له « شوف الدنيا فيها ايه ؟ » فان النقل فى هذه الحالة تكون فيه صعوبات ويحتاج الى نوع من الحوافز ونوع من التنظيم لان هذا النقل فى هذه الحالة لا يمكن أن يتم تلقـائيا فالذى يده فى النار غير الذى يده فى الماء · والعامل الذى فى المصنع يحتاج الى أشياء محددة ولا تهمه النظريات · ان هناك بعض الذين حصلوا على الـ B.H.P من الولايات المتحدة الامريكية يحضرون الينا فى معهد

التخطيط فأقول لهم اذا كنتم تريدون الاعتماد على قراءة الكتب ثم تلقون منها محاضرة او اثنتين من وقت لآخر وتضيفون شيئا جديدا الى سلسلة « الكرفات » التى عملها الذين من قبلكم فأنصحكم بالرجوع الى الجامعة لا الى معهد التخطيط لان هذا معهد بحث من أجل التنمية كما أن هناك أيضا مشكلة فى العلاقه ما بين البحث العلمى ومركز الصناعة ، ويجب التغلب عليها وأعتقد أن الصيغة التعاقدية هى الوسيلة الوحيدة للتغلب على المشكله الحقيقية الموجودة فى ذلك ٠

الدكتور حسن عشماوى

فى الواقع أننا استمتعنا جدا من الاحاديث الشيقة والمعلومات الكثيرة جدا التى استمعنا إليها ٠٠ فمما لا شك فيه أنه لا توجد صناعة بلا علم ، كما أن أى تقدم صناعى يجب أن يكون مبنيا على التكنولوجيا والتكنولوجيا الحديثة ، وكل هذه الامور مسلم بها ٠٠ وبالنسبة لبلد مثل بلدنا ٠٠ هل من الافضل أن ننتج تكنولوجيا منقولة؟ او تكون لنا تكنولوجيتنا ؟ وكما قال الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله لمن ننتج ؟ هل ننتج للمستهلك المحلى ؟ أم ننتج للمستهلك المحلى وأيضا للمستهلك الخارجى ؟ ومن هو المستهلك الخارجى الذى يقبل هذه السلعة وبأى سعر نستطيع ان نعطيها له ؟..

طبعا الدول الاخرى سبقتنا فى مجال الصناعة بمائة سنة فهل نبدأ فى تقليد هذه الدول ونتقل منها تكنولوجيتها الحديثة ثم نطوعها الى ظروفنا المحلية على أساس اننا بعد أن ننتج ذلك تكفى احتياجاتنا المحلية على مستوى الجودة المطلوبة ، وفى نفس الوقت نشق طريقنا الى هذه الدول بعد هذا الانتاج ٠٠ على أساس التصدير وهى المحصلة النهائية للحصول على النقد الاجنبى الذى نستطيع به أستكمال دورتنا الصناعية ونحضر بها مستلزمات محلية .. لاننا اذا لم نستطع التصدير فسوف لا نستطيع الحصول على عملة اجنبية وبالتالى فان دورتنا الصناعية ستقف ٠٠

فى الواقع أن هذه نقطة هامة تحتاج منا الى تفسير النقطة الثانية فقد ذكر ساليوم الدكتور اسماعيل صبرى أنه حينما طلبت مؤسسة القطن قرضـا من البنك الدولى لتطوير المحالج ربط ذلك باجراء دراسة عن مصير العمال نتيجة لزيادة الميكنة لعملية الحليج ٠٠

ولقد وضح على مستوى الصناعة أن من أقل تكلفه عمالة تتحمل بها الصناعة فى العالم هى اليد العاملة المصرية لا لارتفاع نسبة الاجور ولكن لكثرة عدد العاملين فى قطاع الصناعة ووجود عماله زائدة وهذه من ضمن المشاكل الكبرى التى تصادفنا فى مجالات التكلفة الصناعية وفى مجالات امكانيات التصدير وامكانيات المنافسة ٠٠٠ وسأعطى لحضراتكم احد الامثلة ٠٠ فاننا نجد ان الدول التى تطبق أحدث انواع التكنولوجيا وتستخدم الكومبيوتر فى كل شىء والتى استطاعت ان تصل الى مستويات فى انتاجها الى تكلفة منافسة نتيجة استخدام احدث انواع العلم الحديث ونتيجة لاستخدام احدث انواع التكنولوجيا وبالرغم من ذلك فان العمالة الموجودة فى الخارج تصل فى بعض الاحيان الى ١ الى ٥٠ من العمالة الموجودة عندنا ٠٠ واود أن اضرب مثالا بسيطا آخر قلته لبعض اخواننا هنا ٠٠ فلقد زرت أحد المصانع التى تنتج ١٢٠٠٠ر٠٠٠ طن زيت كل عام فى حولندا من عصر فول الصويا ٠٠ وهذا المصنع ينتج



د. حسن شهاوى

الوزراء والعلماء في ندوة الهلال

مقدار ما تنتجه جمهورية مصر العربية من الزيت . عندنا في مصر ٢٤٠٠٠ عامل يعملون في صناعة الزيت .. صحيح أن بعضهم يعملون في صناعات أخرى خلاف انتاج الزيت ولكن الغالبية العظمى منهم يعملون في انتاج عصر الزيت وهم حوالي ١٦٠٠٠ عامل أي الثلثين .. وهذا المصنع الذي زرته ابتداء من رئيس مجلس الادارة الى الجماعة الذين يحملون العربات والمراكب وقاطرات السكك الحديدية وهم ٦٣ شخصا فقط امام حوالي ١٥٠٠٠ عامل .

في الواقع أن هذه المسألة جعلت هولندا وهي دولة غير منتجة لأي نوع من البـذور الزيتية ـ الدولة الاولى في العالم لتصدير الزيوت والدهون والشحومات .. ولكنهـا توصلت الى ذلك بالتكنولوجيا الحديثة والابحاث العلمية بمستوى تكلفة منافسة ..

وفي الخطة الاولى لتنمية الصناعة كنا نبحث عن الصناعات التي تستوعب يد عاملة أكثر .. وأنني أعتقد أن الدكتور اسماعيل صبري لو فكر في هـذه المسـائل على مستوى التخطيط الاقتصادي ، ستعمل له صداع ، فلابد من معرفة الخطوات التي يمكن أن نتخذها ازاء هذه الاوضاع .. كيف نستطيع الدخول على مستوى التجارة الدولية ، وصناعتنا بهذه الاعداد المتضخمة .. وننافس الاسواق الخارجية

النقطة الثالثة التي أود أن أتكلم عنها هي فيما يختص ، بالبحوث العلمية ، .. فمما لا شك فيه أن البحوث العلمية موجودة في عملنا ويجب الا تكون بمعزل عن المشاكل الاقتصادية التي نمر بها .. وهذه العملية بدأنا فيها منذ وقت بعيد .. فلقد كنت في الجامعة ثم نقلت الى قطاع الصناعة وما زلت على صلة بالجامعة .. فانني أتصل بزملائي واخواني في الجامعة وأنقل لهم مشاكلنا .. وأرجو أن تكون جميع البحوث والرسائل التي تسجل للحصول على درجة الماجستير او الدكتوراه ، على أساس حل بعض المشاكل الموجودة .. كما أن نظام التعاقد مع اخواننا رجال البحث العلمي في المركز القومي للبحوث موجود ، ووصلنا الى نتائج .. وبعض هذه النتائج فريدة في نوعها الا أنها لم تظهر على مستوى العالم . على سبيل المثال استطعنا أن نستخرج من قشر البصل الخارجي ، مادة البكتين ، وهي مادة نستوردها من الخارج بالعملة الحرة وبسعر اربعة جنيهات الكيلو وهذا مثال بسيط يوضح نوعا من البحوث التي اتجهنا اليها والتي سيكون لها أثر اقتصادي عظيم على الدولة ..

النقطة الرابعة ـ فيما يختص بالموضوع الذي تكلم عنه السيد / الدكتور محمد كامل ليله وزير التعليم العالي الخاص بهجرة العلمـاء والاعارات التي تعطى لبعض السادة اعضاء هيئة التدريس .. أننا نكون في حرج حينما نمنعهم من ذلك لأن العرض

بالخارج يكون مغريا جدا لكن الوضع الاقتصادى للدولة يحتم ويفرض نفسه على أى وضع خاص وسأضرب لحضراتكم مثالا بسيطا .. فحينما أرادت الولايات المتحدة الامريكية أن تحارب الصين حربا اقتصادية .. وبعد أن استقلت فى حرب التحرير سنة ١٩٤٩ .. أرادت الصين الاستعانة بالمواطنين الصينيين الموجودين فى امريكا ليعودوا الى الصين ولكن امريكا وهى بلد الحريات منعت المواطنين الصينيين الامريكيين من العودة الى أرض الوطن لانها عرفت ان هؤلاء الاشخاص سيكونون اساسا من أسس التقدم الكبير لانهم من الجائز ان يساهموا فى بناء الصين بسرعة .. وهذه كانت من ضمن الحرب الاقتصادية التى حاربت بها الصين .. اما نحن وبكل صراحة ومع الاسف الشديد نقدم علماءنا اما مجانا بالهجرة او بأجور منخفضة فى حالة الاعارة ولا ننظر الى التكلفة الكبيرة التى تحملتها الدولة فى انشاء هؤلاء العلماء .. لا توجد اى دولة فى العالم تسلم علماءها وخبراءها بهذه الطريقة او بهذه الاسعار الرخيصة ..

فيجب أن نبحث هذه المسألة على اى مستوى .. فاننا نجد أن الدول الاجنبية ترحب بعلمائنا اشد الترحيب وتستقبلهم احسن استقبال وتعطى لهم كل المغريات ونحن نفقدهم .. فعلماؤنا موجودون فى امريكا والمانيا واوربا ويشغلون مراكز كبيرة هناك ونحن نحرم منهم فى وقت نحن احوج مانكون اليهم فيه .

موضوع اخر تكلم عنه الدكتور محمد كامل ليلة وزير التعليم العالى بخصوص تشجيع الباحثين ، فقد قال سيادته بأنه يجب ان نشجع الباحثين وننشر بحوثهم ونعطيهم المكافآت اللازمة لذلك ، وفى هذا الصدد فانى اقول : انه توجد لدينا بحوث منذ عشرة اعوام .. موجودة فى الادراج ولم تر النور حتى هذه اللحظة لان اصحابها لا يجدون مكانا لنشرها وكنا نلجأ الى النشر فى الخارج وكانوا يرحبون بذلك ، اما العملية الان فقد زادت عن حدها واصبحت الدوريات العالمية تشترط دفع اجر على ما ينشر فيها . ولا يوجد فى مصر من يستطيع أن يدفع بالعملة الصعبة قيمة نشر هذه البحوث ، وبالتالى فان الدوريات الخارجية لاتنشر لنا تقريبا ، أما عن النشر الداخلى فاننى اؤكد للسيد الوزير ان أيا من الباحثين والعلماء يعتبر ان نشر بحوثه مكافأة كبيرة جدا له .. اقول هذا الكلام نيابة عنهم لاننى جربته بالفعل .. المهم أنه يجب ان يكون هناك اعلام عن نتائج البحوث التى تعمل ، فنحن نعمل فى البحث العلمى منذ عشرات السنين وهناك نتائج كثيرة توصلنا اليها ولكن المهم أن تعطى هذه النتائج الى مراكز الانتاج لتطبيقها والاستفادة منها .. نقطة أخرى قالها السيد وزير التعليم العالى خاصة بالاجهزة العلمية ، فان استخدام هذه الاجهزة فيه شئ كثير من عدم الانضباط فعندما يخرب جهاز اما «يركن» ثم نطلب جهازاً جديدا بدلا منه لاننا لانجد من يصلحه .. ولقد كان هناك رجل ايطالى على ما اعتقد خبير فى اصلاح هذه الاجهزة يعمل بالمركز القومى للبحوث ولكنه الان غير موجود .. ان الاجهزة الغالية الثمن تترك دائما لاى طالب بحث ليجرى عليها التجارب ، مع أن دولا اغنى منا تحرص على هذه الاجهزة وتخصص لها اشخاصا يسألون عنها ويعملون عليها ، وليس من الضرورى أن المتقدم للماجستير يتعلم تكنيك الجهاز الذى يعمل عليه ، فهو يحتاج الى نتائج فقط يمكن ان تأتى له من المسئول عن الجهاز فيستخدمها ويشير اليها فى رسالته .

الوزراء والعلماء في ندوة الهلال

محمد شوقي سالم



د • مصطفى كمال طلبه

لقد أشار الدكتور هشماوى الى نقاط عدة سيعلق الدكتور اسماعيل صبرى على بعضها ، وربما هناك نقطتان أو ثلاث يلزم ان أعلق عليها .. ففيما يتعلق بالنشر فانا اتفق تماما على ان الحافز والمكافأة للباحث العلمى هي أن يجد مكانا للنشر .. ولدينا فى الاكاديمية من المجلات التى اشار اليها الدكتور حسن نحو ١٥ مجلة تحمل اسم مصر ؛ بعضها لا يخرج من المطبعة قبل سنة ونصف أو سنتين بسبب الضغط الموجود على المطابع من جانب ولعدم وجود التمويل الكافى لدفع تكاليف المجلة .

وحل هذا هو ان الجمعيات العلمية وهى قادرة وتضم خيرة علمائنا وبعضها يخرج مجلات اعلى مستوى من المجلات التى تصدرها الاكاديمية . ويمكن بجهود فردية من العلماء فى هذه الجمعيات ان يكون لدينا مجلات للنشر المحلى تفى بحاجة الباحثين لو دعمت عملية الطباعة والتمويل ؛ وبالنسبة للاجهزة العلمية ؛ كان كلام الدكتور حسن واضحا لعدم وجود الافراد القادرين على استخدام الجهاز ؛ وعدم تركه لكل فرد يعبث به ؛ ثم عمليات الصيانة والاصلاح ثم الفردية فى استخدام الاجهزة وحبسها من الاخرين كل هذه عيوب يجب القضاء عليها . فنحن نحاول منذ ١٨ شهرا أن نحصر الاجهزة العلمية الغالية الثمن غير المتكررة حتى نعرف الموجود منها فى البلد ونسبة استخدامها ولا نستطيع ذلك بسبب ان كل باحث لا يريد أن يظهر مالديه من اجهزة وخوفا من ان يحصل عليها شخص آخر .. كل هذه كما قلت مشكلات يجب ان تحل جذريا ولو عن طريق القانون .

د • اسماعيل صبرى عبدالله

انى أوافق على الجزء الوجيز من كلام الدكتور عشـــــماوى . أما الجزء الخاص بالتكنولوجيا وكيف ننافس فى الاسواق العالمية ونحن ننقل من غيرنا فأقول ان هناك مشكلة تتعلق بالعلاقة المتبادلة بين التكنولوجيا والبشر . واضرب مثلا لذلك : فى مجال استخدام الكومبيوترز .. نحن بمقياس الدول المتقدمة نعتبر فقراء فى اعداد الاجهزة المستعملة ؛ ولكن المهم فى الامر هو أعلى معدل استعمال للكمبيوتر عندنا هو عشر ساعات مع أن المفروض انه يعمل ثلاث سنوات بمعدل ٢٤ ساعة يوميا ثم يتم تغييره . اذن فلا يكفى ان استورد الجهاز الحديث . ولكن لابد ان يكون عندنا بشر يأخذ من هذا الجهاز أعلى عائد ممكن . لذلك نعمل دائما موائمة مستمرة بين التكنولوجيا المتقدمة والامكانيات البشرية المتوفرة لدينا .. وهناك نقطة أخرى أنه

لا يمكن ان نصمم صناعتنا على أساس التصدير ٠٠ ولكن المفروض أن يكون التركيز على صناعات معينة يكون لها طاقة تصديرية أساسية ، ولابد من الدخول فى المنافسة العالمية ، هناك صناعات هى أساس للانتاج المحلى ، ويجب مراعاة ظروف البلاد ، فهناك بلاد عدد سكانها كبير ، واخرى عدد سكانها قليل ، فالاول لابد من ان تستخدم التكنولوجيا الكثيفة ولابد أن تحول اليد العاملة فيها من عبء الى مورد ٠ ولاضرب مثالين متناقضين أيديولوجيا ٠٠ اليابان والصين ٠

فالاول راسمالية الى اقصى حد والثانية شيوعية الى اقصى حد أيضـــا ومع ذلك فكليهما تحاول تحويل اليد العاملة فيها من عبء الى مصدر ثروة ، فاليابان أكبر منتج عالمى للعب الاطفال و ٢٥٪ من لعب الاطفال فى الولايات المتحدة مستوردة من اليابان، ومع انه من الممكن أن تنتج اليابان هذه اللعب بآلات حديثة الا انهم ما زالوا هناك يعتمدون على الانتاج الاسرى اليدوى فى هذا المجال ٠ اما الصين فقد عملت خط تشغيل يتضمن افرانا تعمل بفحم الخشب لانتاج اللعب طالما ان الايدى العاملة كثيرة ،وكذلك انتجوا نوعا من الصلب يمكن أن يستخدم فى الصناعات التى لا تحتاج الى نوع من الصلب المتين ٠٠ وهكذا جنبا الى جنب مع استخدام التكنولوجيا الحديثة استخلصت الامكانيات المتاحة لتحويل الايدى العاملة الى طاقة منتجة بدلا من ان تصبح عالة على المجتمع ٠ وليس معنى التكنولوجيا المحلية ان يكون لنا فى كل فرع من فروع الانتاج أو الصناعة طريقة خاصة ، والا كان هذا سخفا ، ولكن بالبحث والدراسة والامكانيات البشرية المتاحة وبمواردنا وبرجال الصناعة الموجودين عندنا يمكن أن نعمـــل شيئا مميزا بنا نحن ٠٠ أننا متقدمون مثلا فى صناعة الغزل والنسيج ، ورغم ذلك فلم ينزل الى السوق العالمية قماش مصرى ٠ ولكن كلما أنتج العالم نوعا جديدا انتجناه نحن وهكذا فان كل الانواع التى ننتجها بدأت فى الخارج ٠ ان اليابان عندما بدأت الصناعة اخرجت للسوق العالمية الحرير اليابانى ، اما نحن فمازلنا رغم خمسين عاما فى صناعة الغزل والنسيج نقلد ٠٠ والا فماذا قدمنا ؟

لابد ان نفعل شيئا ، هذا ما كنت اقصده عندما تكلمت عن التكنولوجيا المحلية ٠ اما بالنسبة للعمالة وتكاليف الانتاج فاعتقد شخصيا انه بالنسبة للوحدات الاقتصادية، يجب الا تحمل بالعمالة الفائضة ، وهناك قاعدة معروفة انه حيث التكنولوجيا لا تأثير لها على نوعية المهارة ، يستخدم عمال كثيرون ، وعلى مستوى الدولة كلها فان خطة فائض العمالة المؤهلة غير صحيح ، فهناك سوء توزيع شديد للعمـــالة . وهنـــاك تخصصات كثيرة ناقصة ٠

فهناك أعداد ضخمة من الوحدات الصحية الريفية مغلقة لعدم وجود اطباء لها ٠ ولا أتصور أن يقال أن فى مصر ١٢ مهندســـا للبترول فائضين عن الحاجة ، أو أن لدينا خمسة من المتخصصين فى الفيزياء النووية لا نجد لهم عملا لذلك فهم يعملون **فى اعمال متباينة وبهذه المناسبة فنحن نعمل دراسة الآن عن وضـــع العـــرض والطلب** للعمالة فى مصر من كافة التخصصات الرئيسية ليس فقط فى الجامعات ولكن أيضـــا على المستوى المتوسط والعمالة غير المؤهلة أيضا وسنحاول لاول مرة أن نعد حصرا لغاية سنة ١٩٨٠ ــ وقد تولت وزارة الخزانة مع الجهاز المركزى للتنظيم والادارة الجزء



د. أحمد عز الدين هلال

الوزراء والعلماء في نـدوة الهـلال

الخاص بالجهاز الاداري في الدولة . وتولى معهد التخطيط الجـزء الخاص بالقطاع العام . وسوف تجمع هذه النتائج كلها ولاول مرة ، وبذلك تدرس العرض والطلب بالنسبة للعمالة على مستوى شامل . وهناك مثلا خريجو بكالوريوس علوم واجتماع يعملون في مؤسسة الصناعات الغذائية وفي الوقت نفسه ينقص وزارة التربيـة والتعليم ٣٠ ألف مدرس ، والواقع انه الى جانب التزام الدولة بأن توفر عملا لكل خريج فهناك التزام أن يعمل كل خريج في المكان الذي تريده الدولة . وقد يقال ان هؤلاء الخريجين ليسوا من التربويين فليكن ، ولكن لماذا لا يدرسون تربية لمدة سنة ليحولوا الى مدرسين تربويين ؟.

محمد شوقي غانم

لقد ألقى الدكتور مصطفى كمال طلبة الضوء على أكاديمية البحث العلمي ومراكزه، وأود أن استفسر من سيادته عما اذا كان بالاكاديمية مركز لبحوث التسويق ، لاننا في شركتنا واجهتنا مشكلة أردنا أن ندرس فيها السوق فلم نجد خبراء في هذا المجال ، الامر الذي دفعنا الى ارسال بعثة للخارج للدراسة لمدة ثلاثة أشهر ، ثم عادت البعثة ومعها خبير خارجي قام بدراسة عادات الغسيل في بلادنا لان معرفة هذه العادات كانت ضرورية لبحثنا وساعدتنا كثيرا في وضع مادة في الصابون تساعد على زيادة الاقبال عليه ، وفي تصوري انه لابد أن يتوفر بأكاديمية البحث العلمي وحدة لبحوث التسويق لما له من أهمية في بلادنا خاصة بالنسبة للصناعة وتصريف المنتجات التي تصنع . ثم هناك سؤال آخر أتوجه به للسيد الدكتور وزير البترول والثروة المعدنية خاص بما ذكره سيادته عن عدم تجمد المازوت لاننا في شركتنا نعاني من هذه المشكلة بعد نقل المازوت من عربات السكك الحديدية الى الصهاريج التي تنقله للمصنع . ثم هناك نقطة أخرى تتعلق بوفرة الفوسفات عندنا فهناك مادة تستخرج من الفوسفات تحتاج اليها في صناعة المنظفات الصناعية ، فهل يمكن أن تبحث استخراج هذه المادة من الفوسفات عندنا حتى توفر العملة الصعبة التي ندفعها لاستيراد هذه المادة .

د . مصطفى كمال طلبه

بالنسبة لما أثير عن بحوث التسويق فانه لا يوجد بأكاديمية البحث العلمي مراكز بهذا الشأن وان كنت أعلم أن معهد التنمية الادارية به قسم ووحدة خاصة ببحوث التسويق ولكن المشكلة هي الاعلان عن هذه المراكز بحيث يكون الجميع على علـم بالاماكن التي تجرى فيها البحوث المختلفة ، وفي هذه الحالة يمكن للهيئات المختلفة اذا ما احتاجت لبحث من نوع معين أن تلجأ رأسا الى الجهة التي تقوم بهذا البحث. ولقد اعتبرنا هذا ضمن مهمتنا في الاكاديمية فهمنا بتجميع كل ما في البلد من مراكز بحوث بحيث ينشر هذا على الجميع للاستفادة به عندما تحتاج المؤسسات والشركات الى بحث معين .

المهندس احمد هلال

بالنسبة لموضوع المازوت فقد كنا نستخدم فى خطوط الانابيب أو اللوارى مواد عازلة وكان هذا يكلفنا كثيرا ، ولقد تمكنا من التوصل الى استخدام مواد عازلة حديثة اقل تكلفة واكثر كفاءة بحيث يمكن أن يشحن المازوت لمسافة محسوبة ويظل خلال هذه الفترة سائلا ومن هنا فان البحث العلمى قام بواجبه فى هذا الشأن والسؤال هنا هل توجد مادة فى العالم تضاف الى المازوت حتى تجعله سائلا ؟ انى اقول ان هذه المادة لم توجد بعد ، وقد امكن التوصل لهذه المادة بالنسبة للسولار والديزل الا أنه لم يمكن التوصل اليها بالنسبة للمازوت • وبالنسبة لما أثير عن استخراج مادة من الفوسفات فاود أن أوضح أن مهمة الثروة المعدنية تتمثل فى الكشف عن الخامات واستخراجها اما استنباط أى مواد أخرى منها فانه يدخل فى اختصاص وزارة الصناعة ، فأى مصنع يستطيع أن يستلم هذا المادة الخام ويستخرج منها المادة التى يحتاج اليها ومع هذا يمكن عمل دراسة لاقتراح الاخ لمعرفة مدى استنباط هذه المادة من الفوسفات •

د • احمد توفيق

انى أرى أن الثروة المعدنية فى بلادنا لا تأخذ حظها من التكنولوجيا الحديثة المطبقة فى مختلف دول العالم المتقدمة سواء فى الكشف عن الثروة المعدنية أو استخراجها سواء من الارض أو من البحار •

المهندس احمد هلال

هيئة البحوث الجيولوجية عندنا يرأسها رجل عالم فى هذا المجال هو الدكتور رشدى سعيد ، والسؤال هنا هو هل نحن فعلا نطبق التكنولوجيا الحديثة فى مجال الثروة المعدنية أم لا ؟

انى اقول اجابة على هذا السؤال اننا نطبق التكنولوجيا الحديثة فى هذا المجال وفقا لامكانيات البلد المتاحة والدكتور وزير التعليم العالى فى كلمته الان وضع تحت عبارة الامكانيات المتاحة الكثير والكثير ، ومن الطبيعى اننا نعمل فى اكتشاف الثروة المعدنية على سطح الارض وبعد أن ننتهى من مسح كل الارض المصرية يمكن أن ننتقل للبحث فى قاع البحار •

المهندس حسن ناجى

أشار الدكتور اسماعيل صبرى فى كلمته الى أن صناعة النسيج لم تتطور وأننى اقول انها لم تتطور بالفعل وذلك بسبب ما حدث لها فى السنوات الاخيرة اذ لم تكن نجد الاعتمادات اللازمة لاستيراد الآلات أو للاحلال والتجديد فى الآلات الموجودة ،ولقد بدأنا الان فى محاولة لتعويض هذا التخلف ونأمل فى المستقبل أن نحقق الكثير فى هذه الصناعة ، ومع هذا فاننى يمكن أن اقول ان هناك انسجة معينة تعرف بأنها صناعة مصرية وهى موجودة فى العالم ويقبل عليها الاجانب ، مثل « التل » والاقمشة « البروكار » وهذه الاقمشة تتميز بأنها أقمشة مصرية ويقبل عليها السياح كثيرا ، كذلك الاقمشة التى تستخدم فى اقامة الخيام ، وأننى أتفق مع الرأى الذى يطالب بضرورة اعطاء شىء من الاهتمام لهذه الاقمشة التى تمثل التراث المصرى •• وهناك نقطة أخرى أود أن أستفسر عنها من الاخوة الاساتذة الوزراء وهى :

ما هو موقف التكنولوجيا الحديثة بالنسبة للعمالة المكثفة التى تعانى منها الصناعة،

الوزراء والعلماء في نـدوة الهـلال



د. أحمد توفيق

لقد اثيرت هذه النقطة في بعض اجتماعات مكتب العمل الدولى . وهناك نقطة في هذا المجال أود أن أذكرها هنا ، فقد يقال أنه لا داعى لاستخدام التكنولوجيا الحديثة في الصناعة عندنا بسبب وجود العمالة المكثفة، ولكننى اقول أن استعمال هذه التكنولوجيا سوف يمكننا من متابعة التطور العالمى في هذه الصناعة ، وعليه فاننى ارى انه يجب علينا الا نبتعد عن التكنولوجيا الحديثة بل يجب أن نتابع تطورها في العالم .

والنقطة الاخرى التى أود أن اركز عليها تتعلق بالاشخاص أنفسهم ، وأننى اركز على هذه النقطة في مؤسسة الغزل فنحن نفرق بين كفاية مؤسسة واخرى بقياس درجة كفاءة الاشخاص الذين يعملون في كل منهما كذلك فان اى مجتمع يتميز عن المجتمع الاخر بنوعية الافراد الذين يعيشون فيه ، والادارة الحديثة تركز الآن على البشر وعلى ضرورة الاهتمام بهم .

ومن هنا فاننا لو اهتممنا بالبشر ووضعنا اسلوبا او بحثا علميا لتطوير البشر ، فاننا بهذا نحقق اكبر خطوة للامام لان البشر هم الذين يقدرون التنمية وهم الذين يديرون المصانع والآلات ومن هنا فاننى اود أن أركز على البحوث العلميـــة لتطوير البشر انفسهم في جميع المستويات .

وهناك علوم جديدة للمهارات السلوكية للافراد نسمع عنها في الخارج واشياء اخرى لم نكن نراها من قبل هذه العلوم يجب أن تاخذ منا جزءا من العناية والاهتمام في البحث العلمى ، وبهذه الطريقة فاننى أعتقد اننا يمكن أن نصل لنشر الوعى بين الناس باهمية البحوث العلمية وتطويرها في جميع النواحى وهناك نقطة أخرى اريد أن اطمئن السادة الزملاء اليها وهى امكان التلاحم بين العلميين في الجامعة وفي البحث العلمى وفي مؤسسة الغزل والنسيج . **فقد تم فعلا منذ فترة طويلة هذا التلاحم وقد بدأنا في مؤسسة الغزل والنسيج في تكوين لجنة للبحوث العلمية منذ وقت بعيد ،** وكان من الطبيعى انها تضم هذه الجهات الثلاث ، واعتقد اننا استفدنا كثيـــرا من اساتذة الجامعات والبحث العلمى ، وهناك حوافز مادية لعمل مواد للتجهيز للاقمشة توفر مبالغ كثيرة ، وعندنا عقود مع بعض الزملاء والعلماء منذ فترة بعيدة وأننى اقدم الشكر لهم فقد قدموا الينا خدمات ما كان يمكن تقديمها لولا الشعور العميق بالمسئولية وبالرغبة في التطور .

د . مصطفى كمال طلبه

في الحقيقة ، أود بهذه المناسبة ان أسجل الشكر الخاص للمهندس حسن ناجى على ايمانه العميق بالبحث العلمى . **كما اننى اقول بامانة انه كان من اوائل الرواد الذين ربطوا الصناعة بالبحث العلمى الى المدى الذى أعطى فيه دعما للمركز القومى للبحوث** كما ان المجال مفتوح للبحوث التى يمكن أن تخدم صناعة الغزل والنسيج دون أن يربطهم باتجاهات محددة انما اشترط فقط ان يكونوا متجهين في هذا الاتجاه فاننى أسجل هذا الشكر بهذه المناسبة لاستاذنا الكبير حسن ناجى .

عبد الفتاح اسماعيل

نظرا لتاخر الوقت فساقصر كلمتى على زاوية واحدة استقيها من السادة الزملاء

جميعا ، فلقد تحدثنا من خلال التنظيمات الحالية للبحث العلمي سواء في الاكاديمية أو في قطاع الصناعة مما يطمئننا على تعدد أساليب الاتصال بين البحث العلمي وقطاع الصناعة الا أننا نسير في الحقيقة في اتجاه سليم . أرجو أن ينتج عنه كل خير ، ولكنني أود أن أضيف اضافة بسيطة الى وسائل الاتصال هذه ، طبعا من خلال الكلام

الذي سمعناه .. هل تتحرك مشكلة الباحث أو يتحرك الباحث الى المشكلة .. من خلال كل هذه التنظيمات التي أشار اليها الدكتور مصطفى كمال طلبة والدكتـــور محمود على حسن وما ألمح اليه أيضا الأخ الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله والدكتور على مرسى فالاضافة التي أود اضافتها هي : تحرك الباحث نفسه عبر المجتمع . طبعا البشر هم عملية أساسية في هذا المجتمع ، **فالباحث العلمي منبعه الاساسي كما تعلم**

كلنا هو الجامعات .. فمن الجامعات الى المجتمع أو من منبع العلم مثلا الى مصبه كما يمكن أن نسميه بهذه التسمية . وانني اعتقد أننا لو اضفنا الى هذه الوسائل سالفة الذكر ، أن يتحرك الباحث العلمي نفسه بعد اعداده بالكوادر العلمية في الجامعات

وأن يتدرب على أساليب البحث العلمي ، كل هذا سواء في الجامعات أو مراكز البحوث العلمية التي تؤهله أيضا لعمليات التدريب كشيء أســاسي ، وكما قال الدكتور اسماعيل صبرى أن مثل هذا النقل بين البشر لا يتم تلقائيا .. وهنا افضل أن اقسم تلقائيا هذه الى قسمين :

قسم أشار سيادته اليه وهو تطوع الباحث نفسه للعمل في مجال البحث التطبيقي .. فعندنا مستويات عديدة من عمليات البحث العلمي في الجامعات يليها مراكـز البحوث القومية ثم مراكز البحوث النوعية .. الى كل التنظيمات التي أشار اليها الأخ

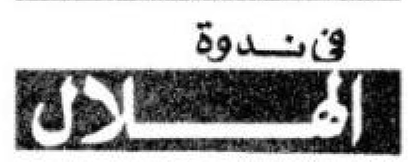
الدكتور محمود على حسن ، وأضيف اليها بندا رئيسيا أشار اليه وهو أنه على الباحث العلمي أن يمارس الانتاج كأحد وسائل معايشة الانتاج ربما كعالم أو أكثر ، وفي هذا الصدد فانني أقترح أن يتوافر في كل باحث علمي تؤهله الجامعـــة عن طريق الحصول على درجة علمية لكي يستمر في عمله في الجامعة شيئان :

أولا : أن يكون قادرا على البحث العلمي .

ثانيا : أن يكون قادرا على التدريس فبعد الدراسة يجب ألا تحتفظ الجامعة الا بمن يتحقق فيه هذان الشرطان ، لأنه بعد ذلك سيصبح بعد ذلك مؤهلا تماما للبحث منه للدراسة أو أصلح من التدريس ، ويمكنه بعد ذلك أن يعمل في مراكـــز البحوث القومية ثم مراكز البحوث النوعية لمدة خمس سنوات وبذلك يكون لدينا أيضا نوعان من الباحثين .. نوع قادر على قيادة البحث العلمي ونوع آخر قادر على البحث العلمي متمكن في حد ذاته من خلال مجموعة أو فريق أو بنفسه وبالتالي فان تلك المراكـز تحاول أن تحتفظ بهؤلاء القادرين على قيادة البحث العلمي ، والجزء الباقي يكون قد

مر عليه عشر سنوات في البحث العلمي فيلتحق بالصناعة في مجال أقرب ما يـكون لمجال تخصصه ، وبهذه الطريقة يمكن أن تدعم الصناعة عن طريق مراكز البحوث ، ومثل هذا الباحث العلمي يـكون قد عرف سر الصناعة أولا من حيث أنها متصلة بتخصصه حين يعمل .. وقد يعمل في مجال الانتاج في مرحلة من المراحل ثم في البحث لأنه سيكون لديه القدرة على أن يسهم مع زملائه العاملين في الصناعة في تبيان المشاكل الخاصة بها والعمل على حلها فهو يعرف أين تحل هذه المشكلة وبمن ..






د. عبد الفتاح اسماعيل

وبذلك يستطيع الباحث العلمى أن يصل الى الصناعه بنفسه عن طريق تحرك البشر ما بين المنبع فى الجامعة ومصبه فى المجتمع ، ولا مانع بعد ذلك ـ وبعد أن يقضى خمس سنوات فى الصناعه ـ أن يعود مرة أخرى الى الدورة من اولها فى الجامعات ٠

فكلما كان العمل العلمى أو اتصالات البشر أقرب الى الطبيعة أو اقرب الى التحرك البيولوجى كانت أكثر تحقيقا للهدف ٠ وهذه النقطة تحتاج الى توفير شيئين ٠٠ هما رغبة الباحث نفسه فى الانتقال من مجال الى آخر ٠ ولكن رغبة الباحث فى مجتمعنا لابد أيضا ان تكون متفقة مع الصالح العام ٠ فاذا تعارضت هذه الرغبة مع الصالح العام ٠ او مع الكفاءة الشخصية للفرد فى مكان معين فلتتح له الفرصة للانتقال الى مكان آخر ٠ والجانب الاخر من الكلام للدكتور اسماعيل صبرى الخاص بعملية النقل الوظيفى فى اعتقادى انه لابد من تقنين مثـــل هذه الامور بجهـــود مشتركة ما بين

الجامعات او وزارة التعليم العالى والقائمين على مراكز البحوث والقائمين على الصناعة، فاننا نجد الان ، عقبات لاحد لها فى تحركات البشر ، فلكى ينتقل الانســـان الى الجامعة يجد عقبات ولكى ينتقل من الجامعة الى مراكز البحوث يجد عقبات ولكى ينتقل من مراكز البحوث الى الصناعة يجد عقبات وبالعكس فاننا نتداول دائما فى مثل هذه العقبات ولا داعى للاستفاضة فى ذكرها ، فلابد للتقنين فى مثل هذه الظروف ، واود ان اضيف الى ذلك عنصرا هاما الا وهو البشر وتحـــــركه عبر المجتمع ، كلمة اخيرة فقد فرضت على المعادلة وحدها أن أكون آخر متحدث ، واننى اتوجه بالشكر الى دار الهلال التى اتاحت هذا اللقاء الجدى الذى اعتبره عنصرا من العناصر التى تعرض لها الاخ الدكتور طلبة ولم يفض فيها كثيرا وهى عملية الاعلام ٠ واذا كانت عملية الاعلام والاتصال بين المشتغلين بالصناعة والبحث العلمى امر هام ٠ فان الصورة التى سوف نخرج بها من هنا اكثر اتصالا مما كنا قبل دخولنا ، لاننا استفدنا حقا منها ، ثم اتوجه بالشكر الى اعضاء الندوة لقد كانت هذه الليلة من امتع الليالى التى اعطتنا صورة مشرقة لمستقبل بلدنا على طريق العلم والبحث العلمى المدعم بالايمان نرجو من الله ان يوفقكم جميعا كمسئولين نعمل كل منا بأمانة واخلاص فى ســـبيل تحقيق تلك الامانة وتلك الخطط وهذه البرامج وهذا النوع من الاتصال الذى يحقق عائدا قويا وشكرا لكم ٠

صالح جودت

فى ختام هذه الندوة اقول ان هناك ظاهرة صحية جميلة تبشر باننا نعيش فى عصر جديد فلا زالت هناك أيد كثيرة ترتفع بالاسئلة وقد ضاق الوقت للاستجابة لها ٠ وهناك ايضا طلبات تلح فى عقد ندوات أخرى مشابهة ومتخصصة ٠

ونرجو ان تنشر هذه الاعمال العلمية الخالصة بالقدر الذى يستطيع أن يستفيد منه ويستوعبه القارىء العادى ٠ ونكون بذلك قد حققنا ما اشار اليه الدكتـــور اسماعيل صبرى عبد الله فى مزج العلوم الانسانية بالعلوم الطبيعية ٠ باسم دار الهلال اتقدم بالشكر الى الاساتذة الوزراء والى السادة رؤساء المؤسسات والشركات وكل من شارك فى هذه الندوة بالحديث او السؤال اوجه لهم الشكر ٠

الجمعية التعاونية للبترول

تساير التطور العالمي بإنتاج أحدث أنواع الوقود وزيوت التزييت

● تلعب الاضافات الكيمائية دورا هاما حيث ان لها تأثيرا كبيرا على رفع جودة الوقود وزيوت التزييت لتواجه التقدم المضطرد في صناعة السيارات وقد حرصت الجمعية التعاونية للبترول على ان تقدم احدث انواع الوقود وزيوت التزييت التي تتناسب مع هذا التطور الحديث ..

وبعد اجراء عدة دراسات وبحوث على الاضافات الحديثة تمكن الفنيون بالجمعية بالاشتراك مع خبراء شركات الاضافات العالمية في الولايات المتحدة الامريكية واوربا الى انتاج احدث انواع البنزين وهو بنزين التعاون « سوبريم » وزيت التعاون سوبر ديولي متعدد الدرجات ٢٠/٥٠ وكذلك ٢٠و/٤٠

وفيما يلي نوضح مزايا هذه الانواع الحديثة :

اولا : بنزين التعاون « سوبريم »

١ ـ ينظف المحرك ويحتفظ به نظيفا

● المحافظة على نظافة الكاربرتير .

● يحافظ على نظافة صمامات التهوية الجبرية لعلبة الرتق P.C.V Valves . وبطيل عمر استخدامها .

● يمنع تكوين الرواسب على فتحات دخول الشحنة Intake Manifolds

● يحافظ على نظافة وسلامة خزان الوقود ويطيل عمر استخدامه .

٢ ـ يمنع الصدأ .

٣ ـ يقلل البرى والتآكل للصبابات .

٤ ـ يقلل من مصاريف صيانة المحرك .

٥ ـ يعمل على اطالة عمر المحرك .

٦ ـ يوفر في استهلاك الوقود .

٧ ـ يناسب السيارات الحديثة ،

والدليل على تفوق هذا النوع من البنزين واقتصاديته فعلا هو زيادة الاستهلاك زيادة كبيرة الى ان حقق اعلى معدل استهلاك بين جميع الانواع فاصبح الاكثر انتشارا فعلا ..

ثانيا : زيت التعاون « سوبر ديولي » متعدد الدرجات :

١ ـ يقابل اعلى مستوى اداء عالمي حديث وهو SE وهو اعلى من SD, MS الموجود حاليا في السوق.

٢ ـ هذا الزيت يغير لزوجته من درجة ٢٠ في درجات الحرارة المنخفضة الى درجة ٤٠ او ٥٠ في درجات الحرارة المرتفعة »

٣ ـ هذا الزيت يساعد على سهولة بدء ادارة المحرك في درجات الحرارة المنخفضة وخاصة في فترة الصباح ..

٤ ـ يحافظ على نظافة المحرك في جميع ظروف التشغيل »

٥ ـ يقي المحرك من الصدأ والتآكل.

٦ ـ يتم تشغيله لفترة اطول من اى زيت آخر مما يقلل الاستهلاك .

٧ ـ يقلل من تكاليف صيانة المحرك، ويطيل عمره »

٨ ـ يستعمل في اعلى درجات الحرارة صيفا واقصى درجات البرودة شتاء ..

٩ ـ يستعمل لجميع انواع السيارات بنزين وديزل »

١٠ ـ الاضافات الموجودة في هذا الزيت من احدث الانواع حيث انها تشمل الاضافات المنظفة والمشتتة ذات نسبة الرماد المنخفضة Low ash Detergent dispersant والتى تحمل الكربون الناتج من احتراق الوقود والمواد الغريبة في حالة معلقة بالزيت حتى يتم تصفيته فيترك الالة نظيفة . وكذلك يحتوى هذا الزيت على اضافة منع التأكسد Anti oxidant لتمنع اكسدة الزيت ، واضافة منع البرى Anti wear لكي تمنع برى الاجزاء المعدنية في الالة ، واضافة منع الصدأ Anti Rust ومنع تكوين الرغاوى Anti Foam

ان الجمعية التعاونية للبترول بما تقدمه من اصناف جديدة دائما انما تساير التطور في صناعة السيارات وهى بذلك تخدم الاقتصاد القومى وذلك ايمانا منها بأن التطور التكنولوجى واجب كل شركة تسويق

نشاط متعدد الجوانب
أنجب شركة جديدة

أن تتفوق شركة ، فهذه قصة نجاح عادية ، أما أن تلد الشركة المتفوقة شركة أخرى تمشي على درب النجاح بنفس الخطوات القوية ، فهذا هو قمة النجاح .. القمة التي لا تعلوها قمة أخرى .

والشركة الام اسمها : الشركة العربية للراديو الترانزستور والاجهزة الالكترونية وقد بدأت نشاطها في مدينة الاسماعيلية منذ عام ١٩٦٢ .

أما الوليدة الجديدة ، فهي شركة التركيبات والخدمات الصناعية . وقد أعلن قرار مولدها في مارس ١٩٧٣ . ومقرها مدينة القاهرة .

وقبل أن نقف على نشاط الشركة الام والشركة الجديدة ، فان خلف هذا النجاح وذلك التفوق قصة جديرة بأن تروى .. لتكون نموذجا لما يمكن أن تحققه الانطلاقة القوية والصادقة في الميدان الصناعي ، وما يمكن أن تؤديه تلك الانطلاقة من خدمات شتى في مجالات مختلفة وحيوية .

لقد بدأت الشركة العربية للراديو الترانزستور والاجهزة الالكترونية نشاطها برأس مال قدره مائة ألف جنيه . وقد اشترت هيئة قناة السويس جميع أسهم هذه الشركة ، وقدرها ٥٠ الف سهم ،

وكان ذلك في عام ١٩٦٢ ، حيث مارست الشركة نشاطها في الاسماعيلية لتسهم في تلبية احتياجات المواطنين من أجهزة الراديو والتليفزيون . ولتحقق الاكتفاء ذاتيا في هذه الصناعة الحيوية .

على أنه في بداية عام ١٩٦٣ ، تبعت هذه الشركة وزارة الثقافة والارشاد القومي ، حيث أصبحت احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للاذاعة والتليفزيون ، باعتبار أن نشاطها الرئيسي يدخل في دائرة الاذاعة والتليفزيون . وبعد أن تقرر فصل الشركات الصناعية من المؤسسات التابعة لها لتكون تابعة لوزارة الصناعة باعتبار أن هذه الوزارة هي المسئولة عن النشاط الصناعي في مجالاته المختلفة فقد أصبحت الشركة العربية للراديو الترانزستور والاجهزة الالكترونية احدى شركات المؤسسة المصرية العامة للصناعات الكهربائية والالكترونية .

وفي عام ١٩٦٦ ، أدمجت في الشركة العربية لصناعة الراديو الترانزستور والاجهزة الالكترونية ، القطاعات التالية :

● مصنع ميكو للراديو والبيك اب ، نقلا من شركة فيليبس .

● مصنع الترانزستور ، نقلا من شركة الترانزستور والكهرباء المصرية »

ولما كانت شركة الترانزستور والكهرباء المصرية المندمجة تشمل قطاعا للمشروعات يختص بأعمال التركيبات الكهربائيـــة والميكانيكية والانشاءات الفنية ، ويمارس هذا القطاع نشاطا على مستوى عال من الكفاءة. ولما كان دور النشاط يغـاير بطبيعته النشـاط الرئيسي للشركة الأم .. لذلك رؤى فصل قطاع المشروعات من الشركة العربية للراديو الترانزستـــور والاجهزة الالكترونية ، وجعله بامكانياته والعاملين فيه نواة لانشاء شركة جديدة، هي شركة التركيبات والخدمات الصناعية وتحقيقا لهـــذا الهدف ، فقد وافقت المؤســسة المصرية العامة للصــــناعات الهندسية والكهربائية والالكترونية عـلى أن تسهم بنسبة رأس المال في هـــذه الشركة الجديدة ، كذلك فقـد وافق مجلس الوزراء في مارس من هذا العام على انشاء هذه الشركة .

نشاط الشركة الأم

ونحن اذا استعرضنا مجالات نشاط الشركة الأم ، وهي الشركة العربيـــة للراديو الترانزستور والاجهزة الالكترونية فاننا نجد أنها منذ بداية نشاطها في عام ١٩٦٢ تقوم بعديد من الانجازات الحيوية التي يمكن تركيزها في النقاط التالية :

● انتاج أحدث اجهزة التليفـزيون مقاسات ١٦ و ١٧ و ٢٠ و ٢٤ بوصة.

● انتاج أجهزة مختلفة ومتطورة من الراديو الترانزستور والكهربا .

● انتاج مواسير البرجمان الخاصة بالتوصيلات الكهربائية .

● انتاج اللمبات الخانقة للميـــاه الفلورية « البلاست » .

● تركيب لافتات النيون والديكورات الخاصة بالمعارض الدولية .

والميكانيكية للمشروعات الصناعية .

● تنفيذ شبكات الكهرباء للضغوط

● تنفيذ التركيبات الكهربائيـــة المختلفة ، وكذلك تدعيم شبكات المدن والمشاركة في تنفيذ مشروع كهربة الريف،

وبالاضافة الى ذلك ، فقد أوشكت الشركة على الانتهاء من دراسة مشروع انتاج الادوات الكهربائية الخاصة بانارة المنازل والمصانع . وسوف يبدأ تنفيذ هذا المشروع الجديد اعتبارا من أوائل عام ١٩٧٤ ، وذلك بهدف سد احتياجات الاستهلاك المحلي وكذلك احتيـــاجات الدول العربية الشقيقة من هذه الادوات التي سيتم انتاجها تحت اسم « الجمهورية

وعلى امتداد قيام الشركة ، فقـد



نشاط متعدد الجوانب أنجب شركة جديدة

استطاعت ان تنفذ العديد من الاعمال الناجحة التى تؤكد مستوى الكفاءة العالية المتوفرة فيها . ومن ضمن الاعمال التى قامت بها :

● الاعمال الميكانيكية الكهربائية لمجمع الحديد والصلب .

● فك ونقل معدات مصنع الصبانة والتجهيز بالاسماعيلية ، واعادة تركيب هذه المعدات فى كفر الدوار . وقد وصل وزن معدات المصنع الى خمسة الاف طن ..

● تركيب مكثف مياه بمرسى مطروح وهو أكبر مكثف من نوعه فى جمهورية مصر العربية حيث تصل قدرته الانتاجية الى حوالى ٢٠٠٠ طن فى الساعة .

● قامت الشركة كذلك بتنفيذ تركيبات شركة مصر للكيماويات بالاسكندرية .

والى جانب ذلك . فهناك اعمال اخرى كبيرة يجرى العمل فيها فى الوقت الحاضر . وأهم هذه الاعمال :

● محطات وقود على مستوى الجمهورية بالنسبة للقوات المسلحة .

● انارة وتدعيم شبكات الانارة فى قرى ومدن محافظات دمياط وكفر الشيخ والقليوبية ومرسى مطروح .

● القيام بالاعمال الكهربائية فى عدد كبير من المصانع والشركات . نذكر منها الشركة الاهلية للمعادن بأبى زعبل ، وشركة وسائل النقل الخفيف ، وشركة الاسكندرية للمنتجات المعدنية ، ومصنع الطوب الرملى ، وشركة النصر لصناعة السيارات .

وخلف هذه الانطلاقة الكبيرة التى شهدها اكثر من ميدان ، قاعدة عمالية مدربة على اعلى مستوى من الكفاءة ، لتقوم بدورها كاملا . والمعروف ان الشركة تنظم دراسات تدريبية للعاملين فيها تمتد بضعة اشهر قبل الالتحاق بالعمل ، وذلك لضمان مستوى الكفاءة ولتحقيق المعرفة بجوانب العمل المختلفة ويتولى فريق من المهندسين العاملين بالشركة مهمة اعداد هذه الاجيال الجديدة من العمال بالقاء المحاضرات النظرية وتطبيق التدريبات العملية ، ليلتقى العلم مع الخبرة على طريق الكفاءة القادرة على تحقيق النجاح والتفوق .

نشاط الشركة الجديدة

اما بالنسبة للشركة الجديدة الوليدة وهى شركة التركيبات والخدمات الصناعية ، فقد تقرر ان تكون هدفها الرئيسى هو القيام بأعمال التركيبات اللازمة لجميع المصانع وبخاصة تلك التى تتبع القطاع العام . وتتولى الشركة القيام بالمهام الرئيسية التالية :

● تركيب المعدات والالات والمهمات فى الشركات الصناعية .

● تركيب الاوناش والافران التى تحتاج الى خبرات خاصة .

● تركيب خطوط المواسير الصلب ولوازمها .

● تركيب الوحدات المتحركة مثل طلمبات المياه وكباسات الهواء وملحقاتها

● القيام بجميع الخدمات الصناعية وخدمات المرافق من تصنيع وتركيبات لشبكات الانارة الداخلية والتوصيلات المتعلقة بالقوى الكهربائية للالات والمعدات وغير ذلك من المهام التى يتطلبها العمل فى المرافق المتعلقة بالمصانع .

● تركيب مجموعات توليد الكهرباء بنوعيها البنزين والديزل ، وكذلك ملحقاتها .

وهكذا تنطلق الوليدة الجديدة على طريق التفوق الذى سارت فيه من قبل الشركة الام ، وحققت منتهى النجاح منذ بداية مسيرتها وحتى الان .. وعلى طريق المستقبل .

العالم يتحدث عن صناعة الغزل والنسيج

المؤسسة المصرية العامة للغزل والنسيج

وشركاتها الـ ٢٨



تقدم لك:

صناعة الغزل والنسيج مفخرة مصر الصناعية وإحدى دعائمها الكبرى وعماد الصناعة الوطنية الحديثة

وبأيدى ٢٢٠ ألف عامل في قطاع الغزل والنسيج حققوا الأرقام الآتية:



١٩٣

عيونك

عيونك فيها ضياء وفى
ومن نظرة . . أسكرت ناظرى
وأما أراك ، تزغرد روحى
ويضحك قلبى فى جانبى
وحين تعانق كفك كفى
أحس بقلبك بين يدىَّ
وطرفك ، رغم التمنع ، دوما
يبوح بشىء ، ويكتم شى
كأن بهدبك شيئا يقول :
تعالَ الى . . . تعالَ الى

● زحلة ● ● رياض المعلوف ●

هدى شعراوى
بريشة الفنان :
جمال قطب





الصيف على
شواطىء الجزائر

الصيف على شاطئ الجزائر

في العدد القادم: أحاديث من الجزائر




الهلال
عدد خاص
أصحاب الأساليب
اطلب مع العدد
الزهور
الملحق الأدبي للهلال

الهلال

سبتمبر ١٩٧٢

مجلة شهرية تصدر
من دار الهلال العدد
التاسع – السنة
الحادية والثمانون –
اول سبتمبر ١٩٧٢ –
٢ شعبان ١٣٩٢ هـ

رئيس مجلس الإدارة
فكرى أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة
صالح جودت

رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نبيه الدين عبد اللطيف

المشرف الفنى
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

الاشتراكات

ثمن العدد ، فى جمهورية مصر العربية ١٢٠ مليما – من الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا ، فى الأردن ١٥٠ فلسا – فى العراق ٢٠٠ فلس – فى الكويت ٢٢٥ فلسا – فى السعودية ٢٫٥ ريال سعودى .

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا فى » جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٢٠ قرشا صافيا . فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



٤ .. كلمة الهلال
٥ .. د . عبد العزيز كامل : كيف تحقق وحدة الامة الاسلامية
١٦. د . احمد الشرباصى : اسلوب الامام على
٢٨. د . سيد نوفل : ابو عثمان الجاحظ فى اسلوب الاديب المجدد والعالم الفيلسوف
٤٠. ادوار حنا سعد : فجاة يسدل الستار « قصيدة »
٤٢. د . محمد احمد خلف الله : القاضى الفاضل كاتب الشرق والغرب فى زمانه
٥٠. د . بدوى طبانه : بديع الزمان الهمذانى الاديب الساخر الذى دفنوه حيا
٦٢. د . عبده بدوى : سوف ابقى « قصيدة »
٦٤. د . عبد الحميد يونس : الكاتب الاول عبد الحميد الكاتب
٧٢. د . محمد ابو الانوار : عبد الله بن المقفع .. الرجل الاسلوب
٨٢. محمود المتريس : الاغنية الاخيرة «قصيدة»
٨٤. محمد عبد الغنى حسن : اصحاب الاساليب الحديثة
٩٨. د . عبد الحليم منتصر : من اصحاب الاسلوب العلمى
١٠٦ حافظ محمود : المعالقة الستة .. اصحاب الاسلوب السياسى فى تاريخنا الصحفى المعاصر
١١٨ نصر الدين عبد اللطيف : ثلاثة من فرسان الاسلوب الضاحك
١٢٨ رحلة الشهر
١٣٦ احمد زين السقاف : أروى الصليحية
١٤٠ معارك ادبية : انها وقيعة بين الموتى
١٤٢ عبد الحميد جودة السحار : الجسر «القصة»

د. عبد العزيز كامل



د. سيد نوفل



د. عبد الحليم منتصر



بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة الهلال

قيل للأستاذ العميد ، الدكتور طه حسين :

ـ ما موقع القرآن الكريم بين الشعر والنثر ؟

فقال :

ـ العربية ثلاثة : شعر ونثر وقرآن

يعنى ان القرآن تنزه عن الشعر والنثر ، وجاء اعلى منهما مرتبة واجل ذكرا

ويختلف مؤرخو الأدب بعد ذلك فى الموازنة بين الشعر والنثر ، فيقول بعضهم ان شرف الشعر على النثر انه يصلح للغناء ، ويقول كذلك انه من شرف الشعر على النثر ان الشعر يحفظ والنثر لايحفظ بدليل ان تسعة اعشار الشعر قد بقى ، ولم يضع منه الا العشر .. بينما ضاعت تسعة اعشار النثر ، ولم يبق منه الا العشر

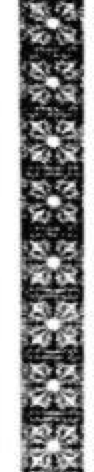
ولكن هذا العدد الذى بين ايدينا ، عن اصحاب الاساليب فى النثر العربى ، ينهض دليلا على ان بعض النثر قد يرقى الى مستوى الشعر ، وقد يصعد الى ما فوق مستوى الشعر .. وان الشعر ـ كما قال بعض مؤرخى الادب الفرنسي ـ هو الليل بكل ما فيه من بدائع الاحلام ، وان النثر هو النهار بكل ما فيه من روائع الاعمال

● صالح جودت ●

د. عبد العزيز كامل
نائب رئيس مجلس الوزراء
للشئون الدينية ووزير الأوقاف

كيف نحقق وحدة الأمة الإسلامية؟

بين يدى حديثى اليكم ارجو ان اضم صوتى الى اصواتكم فى تحية الى الجزائر رئيسا وحكومة وشعبا ، ان يسروا لنا هذا اللقاء ، الذى يعتبر بحق صورة من صور وحدة الامة الاسلامية : وحدة تتمثل فيها اقطار الاسلام وقضاياه ، والتواصل المثمر بين اجيال متتابعة على اساس من الحوار ليكون الغد افضل من اليوم .



وحـــدة الأمة الإسلامية

ونستطيع أن ندرس موضوعنا من ثلاثة جوانب :

اولا : الجانب المنهجي

بين التشابه والتباين :

فى اية دراسة عن الوحدة تقابلنا مجمـــوعتان من عناصر الدراسة : اولاهما عناصر التشابه بين مكونات الاقليم او القطر او موضوع الدراسة ايا كان ، والثانية عناصر التباين بينه وبين غيره .

وتطلع الانسان الى التشابه والتباين امر فطرى يحاول به أن يمد نظـره الى ماوراء الافق القريب الذى يعيش فيه .

وأنت اذا ما نظرت الى اى فردين من سلالة واحدة استطعت أن ترجعهما اليها مع وجود تباين بينهما . كذلك فى اى أقليم طبيعى ، هناك تباين بين اجزائه ، ومع هذا تنسب الجزءين الى الاقليم الكبير .

مثال ذلك : هنا فى الجزائر .. تشـــابه فى المناخ بين مدينة تيزى أوزو التى يعقد فيها مؤتمرنا ومدينة الجزائر العاصمة : يتشابهان فى المطر الشتوى والجفاف الصيفى ، وبهـذا تدخلهما معا فى اقليم البحر المتوسط

ولكن هناك تباينا بينهما فى كميـــة المطر والحرارة على مدار السنة .. ومع هذا فان كلا من المدينتين يقـع فى اقليم واحد ، هو اقليم البحـــر الابيض المتوسط .

وفى الفن الاسلامى من المغرب الى الصين تستطيع أن ترد اية قطعة ترجع اليه ، الى اصولها مع فروق اقتضاها تباين البيئات فى حدود الوطن الكبير .. مع أنها جميعـــــا فى اطار الفن الاسلامى .

فهدف الدراسة فى المنـــــاطق او مجالات البحث التى تبدو متشـــــابهة ـ بعامة ـ ليس مجرد «اظهار اوجه الخلاف» ولكن «مدى هذا الاختلاف» ؛ فاذا ما اظهرت الدراسة التفصيلية أن هذه الفروق ضئيلة ، امكن القـــول بالتشابه . اى أنها متشابهة فيمـــا بينها ومتباينة عن غيرها .

فالفروق موجودة فى الحالتين ، وانما العبرة فى مداها :

فان كان قليلا قلنا بالتشابه ، وان كان كبيرا قلنا بالتباين .

وهذه النقطة من أخطر ما يقابلنـــا منهجيا وتطبيقيا . وعلى أساسها يمكن «توجيه» الدراسة والربط بين العناصر الموضوعية والتخطيطية فى حياة أمة أو اقليم، تخطيطا تتفاعل فيه العناصر والعوامل من أجـــل صناعة هيئـــة حضارية جديدة .

وعلى هــــذا ـ كما يقـــــول «هارتسهورن» ، وهـــو مختص فى مناهج البحث الجغـــرافى : «ليس التشابه نقيض التباين ، وانما هـــو مجرد تعميم، يتغاضى عن بعض الفروق الصغيرة بينما يؤكد الفروق الكبيرة»

التشابه الكامل بين أى جزءين فى أى اقليم أو شعب أو أمة أسطورة ، واذا ما تتبعنا التقسيم فى محاولة للوصول اليه ، ما استطعنا الانتهاء الى شىء ·

وجه الاقليم : نظرة تطبيقية :

وليس هناك وجه ثابت ثبوتا مطلقا لاى اقليم أو امة · واذا كان لبعض الملامح صفة تقرب من الثبات النسبى ففى بعضها الاخر ملامح أخرى اكثر استجابة للتغيير ·



١ ــ واذا ما حاولنا تطبيق ما انتهينا اليه من التشابه والتباين ، على قضايانا الكبرى ، مثل « وحدة الامة الاسلامية » لوجدنا أن الدراسات التى تستهدف الفرقة بين المسلمين تحاول ان تبرز الفروق ــ مهما تكن صغيرة ــ وأن تركز عليها ، مقللة ما استطاعت من مكانة أوجه الشبه · بينما الدراسات التى تستهدف وحدة الامة الاسلامية ، تركز على أوجه الشبه · واذا ما عرضت لأوجه التباين فانها تبرز كيف تتعايش فى ظل أوجه الشبه الكبيرة ·

٢ ــ فى العالم الإسلامى فى افريقية، يحاول الاستعمار ان يفرق بين الزنوجة والعروبة، بين افريقية جنوب الصحراء ومن فيها من المسلمين ، وبين اخوانهم من العرب شمال الصحراء · وفى الشمال يحاول التفرقة بين المشرق والمغرب العربى · وفى نطاق المغرب يحاول التفرقة بين الهجرات التى جاءت الاقليم قبل الاسلام فيطلق عليها اسم القبائل او البربر ، وبين العرب الذين جاءوا بعد الاسلام ·

ولعله قد آن الاوان ان نطلق على القبائل القديمة التى سكنت المغرب « العرب العاربة » · فهذا اصدق دلالة على اصلها ، ولنتخلص من لفظة البربر كما تخلصت منه اوربا · وكان الرومان ــ كما تعلم ــ يطلقونه على غيرهم ممن يسكن اوربا أو شمال افريقية ·

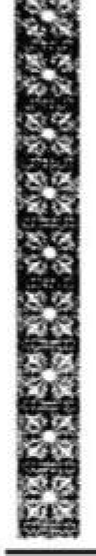
٣ ــ وفى المشرق العربى حدث التقسيم بين الترك والعرب ، وتتابع التمييز والتقسيم ، واخذت وحدات سياسية جديدة صغيرة فى الظهور · وتكاثرت الحدود السياسية بصورة لا تكاد تجد لها نظيرا فى العالم ·

***

وتحريك الضوء على أوجه التباين والتشابه ، له دوره الكبير فى الدراسة · وأنت فى دراستك ، وفى حدود الوقت المتاح لك ــ مهما تكن موضوعيا ــ لن تملك الا الاختيار من المادة العلمية المتاحة لك · وأنت فى اختيارك تملأ اطارا للبحث اخترته فى حدود معرفتك ، وتسير الى هدف تعمل له ·

هذا جانب منهجى وددت أن أبدأ به ، ويستطيع كل منا أن يطبقه على ما بين يديه وفى مكتبته من دراسات عن وحدة الامة الاسلامية أو العربية، فيجد معظمها لا يكاد يخرج عن أحد هذين الخطين :

اما تركيز على التشابه واما تركيز على التباين ، حسب الهدف الذى يستهدفه الكاتب ·



وحـــدة الأمة الإسلامية

ثانيا : الجانب الموضوعى

● الارض : من ناحية المكان تعيش الامة الاسلامية فى وطن كبير نواته فى قلب العالم القديم حتى اننا نستطيع القول بانه قارة وسطى بين القارات الثلاث ، ومما يسترعى الانتباه ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته ـ أن ينشأ الاسلام فى هذا الوطن المتوسط ثم ينتشر منه ـ اكثر ما ينتشر ـ على خطوط التجارة فى العالم القديم ، يحمله الدعاة والتجار والملاحـــون ، ويستطيعون الوصول به الى المشارق والمغارب ، ويتوغلون به فى شـــمال أوربا وآسيا وقلب افريقيا ، ثم يهاجرون به الى العالم الجديد ، فتراه ممثلا فى جاليات فى أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا ٠

واذا ما اردنا أن نتصور نمطـــا متكاملا يختزل كثيرا من التفاصـيل لقلنا ما يأتى :

هناك نواة يتمثل فيها الاســـلام وتتكلم اللغة التى نزل بها القرآن ٠ وحولها دائرة فيها الاسلام دين غالب، ولغة القرآن لغة عبادة لا لغة حياة ٠ وحولها اطار ـ يمثل شبه الظل لأرض الإسلام ـ فيه جاليات اسلامية تمارس حياتها فى أمن تتباين درجاته ٠ ثم على أطراف العالم الاسلامى جاليات او جزائر اسلامية منقطعة عن الجسم الكبير ـ الا برباط العقيدة ـ وبعض هـــذه الجاليات معـــرض للقهر او للذوبان فى الحيـــاة الجديدة بكل اندفاعاتها ومطالبها ٠

وهناك تصور ثان نستطيع ان نقسم به أرض الاسلام الى ثلاثة نطاقات كبرى :

أولها : النطاق الاساسى : الممتد من المحيط الاطلسى غربا الى اندونيسـيا شرقا ، ويشمل العالم العربى والاقطار الاسلامية غير العربية ٠ وهذا الاسلام دين الغالبية وان اتخـــذ بعض أهله لانفسهم لغاتهم الاصلية او لغة حديثة ٠٠ وزيادة المسلمين فى هذا النطاق ترجع اساسا الى الزيادة العـــددية والنمو الطبيعى ٠

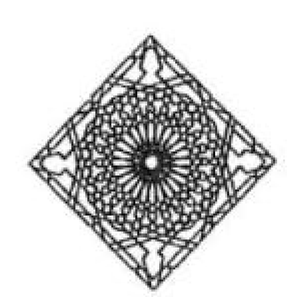
الثانى : نطاق التراجع ، ويقع الى شمال النطاق السابق ٠ والقصـــد بالتراجع هنا مفهـوما تاريخيا كبيرا يشمل ما تركته الحروب الصـــليبية وبعض الحركات القومية والاتجاهات المادية ٠ هذا النطاق يشمل اجزاء من جنوب اوربا ووسطها ، ووسط اسيا ٠ والذى اقصده بالتراجع هنا مقـــارنة بما كانت عليه الامة الاســـلامية فى فترات ازدهار قامت فيها هذه الاقطار باضافات بناءة فى الفكر والحيـــاة الاسلامية ٠

الثالث : نطاق التقـــدم ، ويقع الى جنوب النطاق الاساسى ويمثل ـ الى حد كبير ـ المجال الذى يتقـــدم او يستطيع أن يتقدم فيه الاسلام ، وأهم أجزاء هذا النطاق افريقية المدارية ٠

ومع كثرة القول بأن الاسلام يتقدم فى هذا النطاق ، الا ان هذا القول لا يمكن قبوله على اطلاقه ، فأمام ضغوط الحياة المادية ، وتوفر مدارس الارساليات التبشيرية ، حدث نوع من التزيف فى المجتمع الاسلامى يقتل فيه بعض دمائه وابنائه لتصب فى شرايين اديان اخرى . هناك فى هذا النطاق قرى مسلمة ترك اهلها أو كثير من اهلها دينهم وتحول ابناؤها الى مدارس الارساليات التبشيرية .

ولا نستطيع أن نلوم انسانا نشطا فى عمله ، وانما علينا أن نراجع اساليبنا فى الحفاظ على ابنائنا وحسن اعدادهم فى هذه الاقطار للحياة بالعلم والايمان .

هذا الامتداد الاسلامى مهدد من الجنوب : استطاع الاستعمار أن يدور حوله وأن يضغط من الجنوب ضغطا قويا يحاول به وقف المد ثم تحويله الى جزر اسلامى . ولنا أن ننظر الى ما يحدث فى منابع النيل الاستوائية وما يليها غربا ، والى ما يحدث فى ارتريا ، وأن نربط هذا بما يحدث فى الاطراف القصية كالفلبين حيث يصل الجزر الاسلامى الى حد الابادة الجسدية والتصفية .



واذا كان النطاق الجنوبى واطراف العالم الاسلامى تلقى هذا التهديد الذى يختفى احيانا فى ابتسامة مدرس أو علاج طبيب ، أو يبدو كالحا فى تصفية جسدية ، فان القوى الغازية قد استطاعت تحت ستار الصليبية والصهيونية أن تغرس الخنجر الاسرائيلى فى قلب النطاق الاساسى . واستطاعت لاول مرة فى التاريخ أن تشطر الجسم المتصل الى شطرين عن طريق احتلال فلسطين وسيناء وصحراء النقب . ومن هذا المركز المتوسط تحاول الصهيونية والاستعمار مد نفوذهما الى مناطق البترول والاستقرار البشرى . يضاف الى هذا الضغوط التقليدية التى يلقاها النطاق الرئيس عن طريق الشمال وعن طريق العالم الجديد .

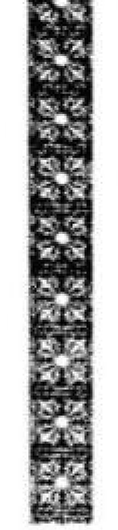
● **الناس** : واذا كانت هذه صورة ارض الاسلام فان صورة المسلمين لا تقل خطرا ولا اثارة عنها . لقد اشرنا الى بعض ملامحها فى حديثنا عن الارض .

ونستطيع أن نضيف الى ذلك مجموعتين من التشابه والتباين :

اولا : التشابه :

١ ـ هناك اولا : وحدة العقيدة وبساطتها وسهولة تعلمها وكيف تلخصها الشهادتان : لا اله الا الله محمد رسول الله .

٢ ـ وهناك ثانيا : العبادات ، وانماطها واحدة من صلاة وصيام وزكاة وحج . ويستطيع المسلم أن يمارسها فى اى مكان فى وطنه الكبير .. الارض مسجد وطهور ، القبلة محددة ، الآذان متحد ، المناسك معروفة ، وحديث النبى عليه الصلاة



وحدة
الأمة الإسلامية

والسلام بين ايدينا « ايها الناس خذوا عني مناسككم » وقوله « صلوا كما رأيتموني اصلي » ولهذا التشابه ، وما كانت — ولا تزال — تقوم به المساجد من تيسير اقامة الشعائر وايواء الغريب ، وما كنا نلحقه بها من دور ضيافة يتعاون اهل القرية او المحلة في اكرام من يفد اليها — لهذا كله اثره في دعم روابط الوحدة والاخوة بين المسلمين بحيث كان المسلم يستطيع السفر من اقصى المغرب الى المشرق في ضيافة ورعاية واخاء لا يحس غربة نفسية الا ما تقتضيه طبيعة النفس من الف المكان والحنين الى الوطن .

٣ — **الاخلاق** : ونبينا يعلمنا « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » وهي تبدأ من معاملة الفرد لنفسه واهل بيته والحيوان الاعجم الذي يرعاه ، وتتسع دائرتها الى الجيرة واهل المدينة ، الى الامة الى النظرة الانسانية الشاملة التي نحسها في الحديث الشريف « اللهم ربنا ورب كل شيء ، انا شهيد انك الرب وحدك لا شريك لك ... اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة » (رواه ابو داود) .

٤ — **المعاملات** : واصولها العامة ، وبعض تفاصيلها التي يقيم بها الاسلام دعائم المجتمع ، ثابتة . والقاعدة الاصولية عندنا هي « اجمال ما يتغير وتفصيل ما لا يتغير » ومن هنا جاءت العقيدة والعبادات — بخاصة — واضحة ومحددة ، بينما جاءت الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مبادىء وكليات مرنة تستطيع ان تستجيب لحاجيات الحياة في تجددها وتدفقها .

ثانيا : أوجه التباين :

هذه النقطة الاخيرة تقودنا الى اوجه التباين بين الاقطار والعصور وهي دليل صحي على حيوية الاسلام وسرعة استجابته لحاجات الحياة دون ان يفقد شخصيته . وتفيدنا النظرة التاريخية في توضيح مجالات التباين :

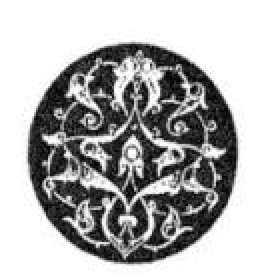
١ — فمن منطقة القلب الذي نبض بالاسلام اول ما نبض في مكة والمدينة ، حدث انتشار تفاعل فيه الاسلام مع ارض وناس كانوا تحت سيطرة الفرس والروم . وتخطى هذا الى ارض كانت تحت سيطرة الهند والصين او قبائل التتار في وسط اسيا ، او كانت لها حضاراتها القديمة في مصر والمغرب العربي وقلب افريقية .

٢ — كان من الطبيعي ان تحتفظ هذه الاقطار — ببعض ما فيها من حضارات قديمة ولغات وشعوب — ببعض ما عندها وهي تكتسب الاسلام : بعضها اكتسب الاسلام دينا والعروبة لغة — كما سبق القول — والبعض اكتسب الاسلام دينا والعروبة لغة عبادة . وتباين احتفاظ هذه الشعوب

بما كان عندها من دين ، واستطاعت بعض طقوسها القديمة أن تجد طريقها الى الحياة متسترة فى بعض أثواب من الدين الجديد • وعند هذه المرحلة تتعدد زوايا الرؤية :

١ ـ بعض الكتاب أخذوا يؤكدون ما يسمى بـ « الاسلام الاقليمى » وأن الاسلام فى كل اقليم يأخذ طابعا يتأثر بالديانات والحضارات القديمة فى هذا الاقليم • وأخذوا يلقون الضوء على « الاقليمية الاسلامية » ، وهنا يعود بنا القول الى ما قدمنا به لهذا البحث فى موضوع التباين والتشابه • هذا الاتجاه الفكرى تستطيع أن تلمسه ـ على سبيل المثال ـ فى بعض كتابات الكاتب الانجليزى سبنسر ترمنجهام عن افريقيا •

ولا يمكن أن ننفى فكرة التأثر والتأثير اطلاقا ، وتقمص بعض القديم ثوب الجديد • أو بعض أثوابه ، ولكن الذى ينبغى العناية به هو مدى هذا التأثير ، وبالتالى مدى التباين ثم الالحاح الفكرى عليه أو على أوجه التشابه •



ب ـ وبعض الكتاب يأخذون الوضع المقابل ، ويؤكدون صور التشابه وأثر الاسلام فى أخلاقيات الشعوب التى تقبلته دينا ثم حملته الى من وراءها

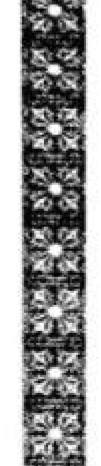
•• وتستطيع أن تجد نموذجا لذلك من كتاب سير توماس ارنولد « الدعوة الى الاسلام » • وهو من أفضل ما كتب فى هذا الموضوع وله ترجمة عربية

٣ ـ وقد ساعد على تعميق الفروق، الدعوة الى القوميات المحلية ، بكل ما تحمل من اعتزاز بالماضى • وقد يشمل الاعتزاز بالماضى اعتزازا بالدين ودعوة الى الاصالة ، ومن هنا تجد احياء للدين فى كثير من أقطار العالم الثالث • ولكن قد تحمل أيضا تمجيدا لحضارات قاومت الاسلام واستطاع هزيمتها سياسيا وعسكريا • وعادت لتطل ـ لا على صعيد البحث العلمى ـ ولكن على صعيد مزاحمة الفكر الاسلامى ذاته •

٤ ـ ولنا أن نضيف الى هذا العمق الحضارى تعدد الالسنة والاجناس وتنوع البيئات فى أرض الاسلام مما شجع على بقاء بعض المذاهب والطوائف فى شبه عزلة فى معاقلها الجبلية أو النائية •

واذا ما رجعنا الى الخرائط التى ترسمها الدوائر الاستعمارية، أو النظم التى وضعتها فى بعض الاقطار الاسلامية لتأكيد الطائفية وتعميق الاخاديد بين أبناء الوطن الواحد لرأينا كيف يحاول الاستعمار التمزيق وزرع الشقاق ، مما يقتضى منا جهودا مضاعفة فى العمل •

٥ ـ يضاف الى ذلك تعدد الأنظمة السياسية. والاقتصادية التى يعيش- فى ظلها المسلمون فضلا عن الجاليات والاقليات الاسلامية ، بحيث أصبح غير قليل من أقطار الاسلام يدور فى



وحدة الأمة الإسلامية

افلاك سياسية لها قدرة جذب جبارة ٠ والمسلمون يفعلون هذا طوعا او كرها ثم يدافعون عنه ، كأنما يدافعون عن حرية اختيارهم فى عالم اصبحت بعض المبادىء فيه كالسلع التجارية تصدر من قطر الى قطر ، وتجد لها من الدعاية ما يحملها عبر البحار والقارات ٠

٦ ـ ويرتبط بهذا ايضا المستوى العلمى والتكنولوجى الذى يعيش فيه غير قليل من شعوب الاسلام ٠ وهو مستوى يجعل كلا منها يبذل محاولة للارتفاع ٠ وقد تعوقه قيود من الحاجة ٠٠ او قيود من الترف والوفرة ، تلقى على الاعين غشاوة فلا ترى الحقيقة ٠٠ هذا الانفاق الاستهلاكى او الترفى، او تكديس الاموال فى أيد أجنبية تحركها ، ولا يملك بعض المسلمين منها الا ارقاما تبين رصيدهم فى البنوك ٠٠ وهذا الفقر القاتل ٠٠ وهذه الاعباء الثقيلة التى تنوء بها الكواهل فى معارك التحرير ٠٠ كل اولئك من الوسائل التى تباعد بين المسلمين وبين وحدتهم المبتغاة وتجعل

لكل منهم طريقا الى مستقبله ، وقد يلتقى مع غيره فى القول ٠

ولكن القضية عندنا ـ واقولها فى وضوح ـ هى الفجوة الواسعة بين القول والفعل ٠٠٠ العقبة عندنا فى الكلمات العقيم ٠٠ وما اشد حاجتنا الى كلمات ولود ٠٠ كلمات تلد فعلا وصورة جديدة للمجتمع والامة الاسلامية ٠ ولنتأمل معا هذه الصورة الكريمة للكلمة الولود المثمرة فى قول الله تعالى :

« الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء ٠ تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون » (ابراهيم ٢٤ ـ ٢٥) ٠

نحن فى عصر التجمعات الكبرى ، واقوى دول العالم الان من الشرق الى الغرب ، اليابان والصين والاتحاد السوفييتى ومجموعة غرب اوربا والولايات المتحدة الامريكية ٠ وقد تتباين هذه الدول فى المساحة ومدى توفر المواد الاولية ، ولكنها تلتقى عند مستوى علمى مرتفع وتنظيم دقيق وعقيدة فى الحياة هى عندهم امر بقاء او فناء ٠

والى جنوب هذا النطاق العملاق نطاق آخر من التفتت النسبى،اصطلحوا على تسميته بالعالم الثالث ٠ ولنا أن نقارن بين امريكا اللاتينية وأمريكا الشمالية ، او بين العالم الاسلامى والدول الافريقية والاسيوية والوحدات الكبرى الى الشمال ٠

وليس لنا من حياة الا فى حدود وحدتنا فى عالم العمالقة ٠ لا مجال للاقزام او الوحدات المفتتة الصغيرة فى هذا العالم ٠ ولا نستطيع عمليا

ان نتابع الحياة ونحن وحدات صغيرة وشظايا بشرية يمكن ان تستقطبها الوحدات الكبرى ٠

في ارضنا مصادر الطاقة وموارد اولية غنية ٠ ولنا موقع متوسط وتاريخ طويل ومصالح مشتركة ، ونقابل عداوات مريرة ٠ فالوحدة لنا قدر ومصير ٠ انها الحياة ٠

الجانب الثالث : مقترحات عملية

هذه المقترحات لاتعدو أن تكون تأكيدا وترجمة عملية لأوجه التباين وتنظيما



للجهود الاسلامية على الصعيد المحلي والعالمي ٠

اولا : الهيكل التنظيمي :

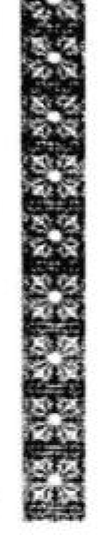
١ ـ على مستوى كل قطر ، تتعدد أجهزة العمل الاسلامي ٠ ومن المتعين كخطوة أولى ان تتوحد أجهزة العمل داخل كل قطر ، او ان تكون هناك ـ كحد ادنى ـ منظمة للعمل الاسلامي على الصعيد المحلي ، يتم وفقا لها تنسيق الجهود الداخلية أولا ، تمهيدا لتحديد صلة هذه الاجهزة المحلية بمستوى العمل الاسلامي العالمي ٠

٢ ـ هناك اكثر من لقاء على المستوى العالمي : هنا في الجزائر وفي طرابلس وفي القاهرة وفي الأرض المقدسة (مهبط الوحي) ٠٠ وكلها على مختلف موضوعاتها واهتماماتها تعمل على الصعيد العالمي وحتى الان ـ ومع الجهود المبذولة ـ لا نستطيع القول بأن هناك لقاء منتظما بين المسئولين عن هذه المؤتمرات واللقاءات الاسلامية العالمية ٠ وانني اتقدم باقتراح محدد في هذا الصدد هو: عقد اجتماع دوري سنوي يضم المسئولين عن اللقاءات والمؤتمرات المنتظمة لتنسيق الجهود فيما بينها ودراسة وسائل تنظيم وتكامل نشاطتها

ولا شك أن تنفيذ مثل هذا الاقتراح سيؤدي الى القضاء على التكرار واقتصاد الوقت والنفقة والجهد بقدر ما سوف يثري العمل الاسلامي ويضاعفه ٠

٣ ـ هل نستطيع بهذا ان نصل الى ما يمكن ان نسميه « المجلس الاسلامي الاعلى » لتنظيم أمر النشاط الاسلامي، ان مجلسا كهذا ـ الذي ارجو ان نسير اليه ـ يمكن ان يقترح استراتيجية عليا للعمل الاسلامي تكون دليل عمل يمكن أن تسترشد بها الدول والمؤسسات الاسلامية لخدمة الاسلام داخل دياره وخارجها ٠

٤ ـ لقد أقام المجتمع الاسلامي « المؤتمر الاسلامي » وتلك خطوة جديرة بالحمد ، واصبح لوزراء خارجية دول العالم الاسلامي لقاء منتظم ثم جاء بعد هذا لقاء وزراء الاوقاف في الكويت في الربيع الماضي، ولم يكن جزءا من اطار مخطط٠ والذي اقترحه الان هو ايجاد كيان ينسق وينظم على المستوى الرسمي هذه الجهود جميعا دون ان يكون في هذا



وحدة الأمة الإسلامية

اى قضاء على شخصيتها · واذا كنا بدأنا بوزراء الخارجية ومن بعدهم وزراء الاوقاف · فيمكن ان تتتابع الاجتماعات فى شئون الاقتصاد والاجتماع والتعليم ، حتى نصل الى اجتماع وزراء الحرب والدفاع عن ارض الاسلام ·

ان الملل الاخرى قد اخذت بهذا السبيل من التنظيم ، والتنظيم من صميم ديننا ··

ثانيا : الجانب التخطيطى والتنفيذى

١ ـ فى ظل هذا التنظيم الاسلامى المقترح يمكن ان تتحدد مجالات العمل ·· فاذا ما كان اجتماع وزراء الخارجية قد انتظم ومن بعده وزراء الاوقاف ·· فليأت دور رجال التشريع والاقتصاد والتربية مسيرة الى وزراء الحرب والدفاع عن الاسلام ·

٢ ـ واقترح ان يكون التعاون الاسلامى العالمى فى اول امره محدود المدى لتغطية تجربة نجاح تدعو الى مزيد من الامل ، ولا تحمله من اول الامر ما لا طاقة له به · وان يكون التعاون ـ ابتداء ـ فى القدر المتفق عليه · وان يكون البحث فى هذه المجالات ، دون عرض لاوجه الخلاف او الحديث فيها · مثال ذلك : لو بدأنا فى قضية فلسطين برعاية منتظمة لابناء فلسطين والارض السليبة تقوم على اساس الحفاظ عليهم ودعم حب الوطن الاصيل فى نفوسهم وتأكيد روح العودة فيهم لكان فى هذا خير يدعو الى مزيد من الجهد الايجابى · وقد يكون ما تنتهى اليه ـ كمرحلة اولى ـ تنسيقا بين جهود قائمة وملء للثغرات موجودة ، ولا يحول هذا دون اى نشاط ايجابى اوسع مدى تمارسه هيئات قائمة الان ·

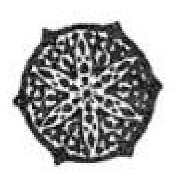
مثال اخر : لو وجهنا جهودنا فى قضية مسلمى الفلبين الى الحفاظ على ارضهم فلا تغتال باسم التوسع الزراعى والتنمية ، والحفاظ على ابنائهم باعطائهم فرصا اوسع فى التعليم الحديث مع دعم العقيدة الاسلامية فى نفوسهم ، ولو تعاونا معهم على تمويل مشروعات عمرانية هناك لفعلنا خيرا كثيرا ، يستطيع ان يجعل نشاطهم بعد هذا ذاتى الحركة ·

٣ ـ ان يكون العمل الفكرى والتنفيذى ثابت الخطو واضح المعالم ·· لننظر الى ما يفعله اعداؤنا وكيف جاءوا فلسطين لينتزعوا ارضنا الغالية وليجمعوا السكان اليهود من اقطار العالم وليوجدوا الانظمة

والعلاقات الدولية • ذلك لان القضية عندهم قضية • ارادة الحياة • اولا ، قبل أن تكون مجرد وجود عناصرها •

٤ ـ ونحن محتـــاجون فعلا مع التخطيط الطويل الى تقسيمه الى مراحــل ، والى توزيع اقليمي له ، بحيث لا يصبح العمل مرتبطا بافراد ، بقدر ارتباط الافراد بفكرته والايمان به ، والتوفر على انجاحه •

٥ ـ أن ننشىء مركز توثيق اسلامي عالمي لهذا كله يجمـــع المعلومات الصــحيحة ويوزعها وينظم الخطط ويتابع تنفيذها •



٦ ـ أن تربى الاجيال الجـديدة المؤمنة بذلك ، وان يؤمن لها العاملون ظهرها في العمل ويكفى ما تلقاه من أعدائها •

وصفوة القول في ابواب العمـل ومقترحاته اننا نريد تنظيمـا على مستوى عالمي ، كما صنعت الاديان الاخرى ، وقنوات اتصال بينه وبين المنظمات التي تحمل صفة العالمية في كل قطر اسلامي ، ونظاما سليماً على مستوى كل قطر ، واقتصادا في الجهود ••وتخطيطا طويلا يرتبط به العاملون فيه ، وتتحرك معه المستويات المحلية حركة تنظم العمل الاسلامي العـالمي في مرونة واســتجابة لاحتياجاته المتطورة •

خاتمة

وقبل ان ابرح مـكاني هذا ، هل تاذنون لي بكلمة وداع ، فقد اقتضت ظروف عملي ان اعود الى القاهرة قبل نهاية الملتقى •

وداع الى الجزائر رئيسا وحكومة وشعبا •• الجزائر ارض الايمـــان والجهاد والاستشهاد واعادة بنــاء الحياة •

الى هذه الجبال الخضر التي شهدت ايات البطولة ، وضمت رفات الشهدا

الى هذا الجيل الجديد من ابنائنـا الذي انبتته العقيدة والتضـحية السخية وارادة الحيـاة ، فارتفعت هاماته فوق الاحزان الى مســتوى المسئولية كزرع اخرج شطاه فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ به الكفار •

الى هذه الولاية الطيبة «تيزي‌اوزو» واجهزتها الشعبية والســياسية والتنفيذية ان افسحوا لنا الصــدور والدور •

والى الصديق الاستاذ مولود قاسم وزير التعليم الاصلي والشئون الدينية وزملائه ومعاونيه •

والى لقاء في ملتقى جديد ادعـو الله أن تكون فيه اقرب الى أهدافنا ، استردادا لفلسطين الغالية وارضنا السليبة وبناء مجتمعنا وشـبابنا على اسس راسخة من الاسلام والتخطيط والعمل الخالص ••

د. أحمد الشرباصى

أسلوب الامام على

الاسلوب عند الادباء هو طريقة تنسيق الربط بين الالفاظ والمعانى ، لاعطاء شحنة فكرية معينة ، ويعبر الامام عبد القاهر الجرجانى عن ذلك بكلمة « النظم » . ويقول المعاصرون ان الاسلوب هو الصورة اللفظية التى يعبر بها عن المعانى ، ويصف « الزيات » الاسلوب بانه الهندسة الروحية لملكة البلاغة التى تربط بين الفكرة والكلمة ، او الموضوع والشكل ، لان الكلام كائن حى ، روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فاذا فصلت بينهما اصبح الروح نفسا لا يتمثل ، والجسم جمادا لايحس والاسلوب يتكون من الافكار ، والصور الجزئية ، والعبارة ، والايقاع، والعاطفة ،وهذه العناصر تتعاون على ايجاد الصورة الادبية

والامام على بن أبى طالب -رضى الله عنه وكرم الله وجهه - هو شيخ البلاغة العربية المسلمة ، وهو طليعة فرسان الخطابة والبيان ، بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكأن الامام على قد أدركته بركة دعاء الرسول له حين قال عنه : « اللهم اهد قلبه ، وثبت لسانه » ·· وهذا ضرار الصدائى يقول فى وصفه : « كان والله بعيد المدى ، شديد القوى، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجــر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه » ·

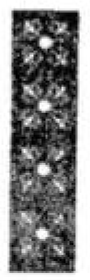
ودراسة أسلوبه ليست أمرا سهلا ، لأكثر من سبب ، فالمأثور عنه ، أو المنسوب اليه ، قدر ضخم ، فهذا هو المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ يذكر أن الامام عليا ترك من ورائه ما يقرب من خمسمائة خطبة ، منها القصير ومنها الطويل ··· ولقد عنى القدماء بجمع المنسوب الى الامام حتى جمعوا الكثير، فهناك أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ · وعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ ، ثم هناك أكبر القوم جهدا فى جمع تراث الامام وهو الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوى المتوفى سنة ٤٠٦ هـ وجامع الكتاب المشهور « نهج البلاغة » المنسوب الى الامام على ·

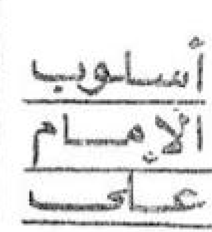
ويزيد أمر هذه الدراسة صعوبة أن هناك أشياء منسوبة الى الامام ، وليس لدينا على صحة نسبتها اليه يقين ، مثل المقامات التى تخلو من حرف الألف ، والمصطلحات المتعلقة بعلم الكــلام أو نحوه · والتمييز بين الصحيح وغيــر الصحيح من كلام الامام قضية أدبيــة ثار حولها عجاج النقاش فى القــديم والحديث ·

كما أن الامام رضوان الله عليه كان يميل فى طائفة من كلامه الى الاشارة والرمز ، فله - كما يقول ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة - مقاصد فى كلامه يشير اليها ، ومعضلات يكنى عنها ، وخفايا يحجم بذكرها ، وهنات تجيش فى صدره فينفث بها نفثة المصدور ، ولذلك يحتاج كلام الامام الى من يتدبره ويتأمله ، ويسبر أغواره ، ويعــرف أسراره ، لا أن يكتفى بالتعليق على مفرداته ، أو شرح الغريب من كلماته ··

***

ولقد تضافرت عوامل كثيــرة على تحقيق القوة والروعة لأسلوب الامام على ، فقد كان كثير التلاوة والتدبر للقرآن الكريم المعجز ، وكان حافظــا القرآن فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهو من قبل فرع دوحــة النبوة ، وربيب النبى ، وابن عمه ، وزوج ابنته ، وأقرب الرجال منه ، وأحد كتاب الوحى اليه ، ورفيق دعوته، والنبى هو صاحب البيان الأول بعد بيان القرآن المعجز · ولذلك يقــول بعض الكاتبين من شيعته : لا بدع أن يكون الامام نادرة من نوادر الفرســان فى فصاحة اللسان وكرم الجانب ، لأنه من بنى هاشم، بل أكرمهم نسبا ، وأطيبهم عرقا ، وأرفعهم سناء وحسبا ، وبنــو





هاشم ـ كما وصفهم الجاحظ ـ هم ملح الارض وزينة الدنيا وحلى العالم .

وينهض أسلوب الامام على جملة عناصر ، منها الحكمة الدينية ، وغزارة العلم بأمور الدين ومسائل الشريعة والفقه ، وتعدد روافد الثقافة ، فقد درس القرآن والدين والبلاغة النبوية والنحو والحساب ، وأحسن الجمع بين فحولة البداوة وتهذيب الحضارة ، وصبغ كلامه بصبغة الانشاء الفنى ، واذا حاور او ساجل او راسل بدا مسددا مؤيدا ، يجمع بين سطوة الحق ، ومتانة الحجة ، وقوة البيان .

ومن الملامح العامة فى أسلوب الامام انه يعنى برسم « الصورة الادبية » فى كلامه ، فيبرز المعنى العقلى أو الحسى فى صورة محسة ، تتخذ لنفسها هيئة وشكلا ، وبذلك يمتزج اللفظ بالمعنى ، أو الشكل بالمضمون ، وكأنهما بدن وروح .

ومن أمثلة ذلك قول الامام :

« الا ان الخطايا خيل شمس (جمع شموس) حمل عليها اهلها ، وخلعت لجمها ، فتقحمت بهم فى النار . وان التقوى مطايا ذلل (جمع ذلول) حمل عليها اهلها ، واعطوا ازمتها ، فاوردتهم الجنة » .

ويعلق الزيات على العبارة فيقول انك تجد صورتين : صورة الفرس الشموس ، لم يروض ولم يلجم ، فيندفع براكبه جامحا ، لا ينثنى حتى يتردى به فى جهنم وصورة الناقة الذلول ، تسلس خطوها ، وخف عنانها ، فتنطلق بصاحبها فى رسيم كالنسيم حتى تدخل به الجنة .

ثم تجد عاطفتين : عاطفة النفور من الالم الذى يشعر به الخاطىء ، وقد جمحت به خطاياه الرعن فى أوعار الارض ، حتى القته فى سواء الجحيم ، وعاطفة الميل الى لذة المتقى الوادع ، وقد سارت به تقواه سيرا لينا ، حتى أبلغته جنة النعيم .

ذلك من جهة الموضوع ، وأما من جهة الشكل فتجد اختيار الالفاظ المناسبة للفكرة ، كالمطايا وما يلائمها من الانقياد والايراد هنا ، وكالخيل وما يواتيها من الشماس والتقحم هناك . والفروق الطبيعية بين الفرس والناقة فى هذين الكائنين لا تخفى على ذى لب . ثم تجد بعد ذلك التأليف المتوازن المحكم الرصين وهذه المقابلة البديعة بين جملة معان لا تكلف فى صوغها ولا تعسف .

وكلام الامام على لا يطرق موضوعا واحدا ، ولا يأخذ طريقا واحدا ، بل من كلامه الخطب والاوامر ، والكتب والرسائل ، والنصائح والمواعظ ، والمحاورات والمساجلات ، والكلمات الحكيمة الوجيزة المركزة ... وهو اذا خطب اخذ بمجامع القلوب ، واذا أمر اسمع واقنع ودفع ، واذا كتب كشف ووصف وانصف ، واذا وعظ أو نصح أو ناجى ربه خيل اليك ـ كما يذكر الشريف الرضى ـ انه لاحظ له غير الزهادة ، ولا شغل له بغير العبادة ،

ولا يكاد يوقن أنه كلام ذلك المجاهد الذي يغمس نفسه في أتون الحرب ، أو يسبح ملاحظا مشكلات السياسة والحكم وقيادة الناس .

وهذا نموذج سريع من كلامه في مفتتح لخطبة الدينية وعظاته الاسلامية ، يقول فيه :

« الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدى حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا وقت معدود ولا أجل ممدود . فطر الخلائق بقدرته ، ونشر الرياح برحمته ، ووتد بالصخور ميدان أرضه » .

فانت ترى هنا وجازة الجمل ، وسهولة السجع ، وعدم التزامه أو الالحاح فيه ، وانت ترى كيف جمع بين حمد الله والثناء عليه وتقاصرهمم العقول عن ادراكه ، وتوالي نعمه وافضاله .

وفي موطن آخر يقف الامام وظلمات الليل تحيط به ، ورهبة الخوف من الله تشمله ، ويأخذ في مخاطبة الدنيا التي تحاول بكل ما استطاعت ان تلفته - ولو قليلا - الى مفاتنها ومباهجها، وليس لها الى ذلك سبيل ، فيقول :

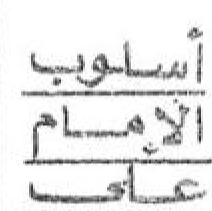
« يا دنيا اليك عنى . غرى غيرى ، الى تعرضت أم الى تشوفت ، هيهات ، قد باينتك ثلاثا لارجعة لى اليك ، فعمرك قصير وخطرك حقير ، وخطبك يسير ، آه من قلة الزاد وطول الطريق ووحشة السفر » .

وقد تعمدت ان اكتب كلمات هذه المناجاة متتابعة الالفاظ ، لاعود فاكتبها مقطعة أو مجزأة ، لتتجلى بتقطيعها روعة تقسيمها ، هكذا :

« يا دنيا ...
اليك عنى ...
غرى غيرى ...
الى تعرضت ؟ ام الى تشوفت ؟ ...
هيهات ...
قد باينتك ثلاثا ...
لا رجعة لى اليك ...
فعمرك قصير ...
وخطرك حقير ...
وخطبك يسير ...
آه من قلة الزاد ، وطول الطريق ، ووحشة السفر » !! *







أرأيت هذا التقسيم البارع ، القائم على التقطيع السريع المتتابع ، التنوع المطول ؟ ان المقطع يأتي في كلمة كما ترى أو كلمتين أو ثلاثا ــ الا النادر ــ ومع ذلك يستقل المقطع بنفسه ، ويعطي معنى يمكن السكوت عنده والاكتفاء به، ومع ذلك أيضا يرتبط المقطع بما قبله وبما بعده ، في وحدة فكرة ، ووحدة صورة وتلاحم أسلوب ! ·

وعلى قريب من هذا المسلك نجـــد الامام يعطي راية القيادة ابنه محمد بن الحنفية في احدى المعارك ، ويوجه اليه وصيته وأوامره ، فلا يزيد على قوله : « يا بني ، تزول الجبال ولا تزل، عض على ناجذك ، اعر الله جمجمتك ، تد في الارض قدمك ، ارم ببصرك اقصى القوم، ثم غض بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه » ··

انها قائمة أوامر ، يستـقل كل أمر منها بنفسه ، وفي الوقت ذاته يلتحم بجاره ، فمن الممكن ــ بل من المستحسن ــ أن نكتب العبارة على هذه الصورة :

« يابني ···
تزول الجبال ولا تزل ···
عض على ناجذك ···
اعر الله جمجمتك ···
تد في الارض قدمك
ارم ببصرك اقصى القوم ···
ثم غض بصرك ···
واعلم أن النصر من عنـــد الله سبحانه » ···

انها وصاة لا يستغرق القاؤها نصف دقيقة ، ولكن دقائق معانيها ومغازيهـا ومراميها يمكن أن تستغرق كتابا بقلم كاتب من كتاب الحروب وخبراء الجندية

ومثل هذا الصنيع تستطيع أن تلقاه مع وصية الامام حين خـــرج يودع الصحابي الجليل ابا ذر الغفاري حينما نفاه الحاكمـــون الى « الربذة » فقال له :

« يا ابا ذر ، انك غضبت لله فارج من غضبت له · ان القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك · فاترك في ايديهم ما خافوك عليه ، واهرب بمـــا خفتهم عليه · فما احوجهم الى ما منعتهم، وما اغناك عما منعوك · وستعلم من الرابح غدا والاكثر حسدا · ولو أن السماوات والارض كانتا على عبد رتقا، ثم اتقى الله ، لجعل الله له منهمـــا مخرجا · لا يؤنسك الا الحق ، ولا يوحشك الا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ، ولو قرضت منها لأمنوك » !!

كنت اسمي هذا الاسلوب بالاسلوب المتصل المنفصل ، الذى تعتبر كل جملة

فيه قائمة بذاتهـــا ، ولكنها تتداخل وتتكامل مع جاراتها ، ومثل هـــذا الاسلوب لا يتهيأ الا للقادر على البيان،ذى باع طويل فى تصريف فنـــون الكلام !! *

واذا كانت الوصية الماضـــية كادت تخلو من السجع ، وترتضى اعتزازها بتلك المقابلة التصويرية بين فريق الحق وفريق الباطل ، فاننا نرى فى اسلوب الامام فى مواطن اخرى ذلك الســـجع السريع المتتابع ، كقـــوله يذم بعض الناس :

« اخلاقكم دقاق ، وعهدكم شقاق ، ودينكم نفاق ، وماؤكم زعاق » !

***

وهناك لون من اسلوب الامام على ، يمتاز بدقته وعمقه ووجازته ، وتناولت مختلف الموضوعات الدينية والدنيوية ، والذاتية والاجتماعية ، والمادية والمعنوية وهو تلك الكلمات القصيرة الوجيـــزة الحكيمة ، التى تنطوى كل عبارة منهـا على عبرة او عظة او حكمة ، ولقد جمع الشريف الرضى فى كتاب « نهج البلاغة » مئات من هذه الكلمات ، ختم بها ذلك الكتاب الضخم ، وان كان هناك شك فى نسبة طائفة من هذه الكلمات الى الامام ، فانها فى مجموعها تجرى فى ذلك السنن الذى جرى فيه معظم خطبه وعظاته ، وهذه نماذج محدودة من تلك الحكم العميقة :

١ ـ الناس ابناء الدنيا ، ولا يلام الرجل على حب امه *
٢ ـ المسئول حر حتى يعد *
٣ ـ لكل امرىء فى ماله شريكان : الوارث والحوادث *
٤ ـ اتقوا معاصى الله فى الخلوات فان الشاهد هو الحكم *
٥ ـ يوم العدل على الظالم اشد من الجور على المظلوم *
٦ ـ من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته *
٧ ـ ما قال الناس لشىء : طوبى له ، الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء *
٨ ـ الغنى الاكبر اليأس عما فى ايدى الناس *

واذا كان الامام قد نثر المئات من كلماته ، وجعل كل حكمة منها تسير بين المشرق والمغرب مسير المثل الشرود، فانه فى بعض الاحيان يجمع المجموعة من كلماته الحكيمة فى عقد واحد ، ينتظمها كلمة بجوار كلمة ، ومن امثلة ذلك القطعة التالية :

« من نظر فى عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ، ومن رضى برزق الله لم يحزن على ما فاته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن كابد الامور عطب ، ومن اقتحم اللجج غرق ، ومن دخل مداخل السوء اتهم *

« ومن كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه





أسلوب الإمام على

قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار ٠
« ومن نظر فى عيوب غيره فانكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه ، والقناعة مال لا ينفد ».
« ومن اكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ».
« ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه » ٠

***

لقد حث الامام كثيرا على الجهاد ، ودعا الى الفداء والوفاء ، وحين نطالع خطبه فى الحث على الجهاد يخيل الينا انها دوى مدافع وقعقعة سلاح، ولذلك قال بعض الكاتبين عنه : « ونظرة فاحصة الى خطبه الحماسية تريك انها شحنات من المروءة والدين ، وممزوجة بانفعالات الحق ، وعواطف التقوى والصلاح ، تشتد فتخالها أسنة مشروعة وتلين فتحسبها براعم ندية ، وتهدأ فترى خلالها أحواضا حافلة بالازاهير، وتثور فتحس لها فعل العواصف والاعاصير ، وترضى فاذا هى لوحات فنية ذات الوان من الجنان ، وتنفعل فاذا هى سياطة ملتهبة ذات ذوائب من النار » ! ٠

استمع اليه مثلا وهو يحث على الجهاد فيقول : « اما بعد ، فان الجهاد باب من ابواب الجنة ، فتحه الله لخاصة اوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل وشمله البلاء » ٠

واستمع اليه اذ يقول مستنفرا : « اين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه ، وقرأوا القرآن فأحكموه ، وهيجوا الى القتال فولهوا وله اللقاح (النياق) الى أولادها ، وسلبوا السيوف اغمادها ، وأخذوا بأطراف الارض زحفا زحفا ، وصفا صفا ، بعض هلك ، وبعض نجا ، لا يبشرون بالاحياء ، ولا يعزون بالموتى » ؟ ! ٠

***

ويتحدث العقاد فى « عبقرية الامام » فيذكر انه ولا ريب أول من عالج الرسائل والعظات والخطب فى الامة الاسلامية معالجة اديب وأول من اضفى عليها صبغة الانشاء الذى يقتدى به فى الاساليب ، لان الذين سبقوه كانوا يصوغون كلامهم صياغة مبلغين . لا صياغة منشئين ، ويقصدون الى اداء ما أرادوه ، ولا يقصدون الى فن الاداء وصناعة التعبير ٠

ولكن الامام تعلم الكتابة صغيرا ، ودرس الكلام البليغ من روايات الالسن وتدوين الاوراق ، وانتظر بالبلاغة حتى خرجت من طور البداهة الاولى الى طور التفنن والتجويد ، فاستقام له اسلوب مطبوع مصنوع ، هو اول اساليب الانشاء الفنى فى اللغة العربية ، وأول أسلوب ظهرت فيه آثار دراسة القرآن والاستفادة من قوته وسياقه ، وتأتى له بسليقته الادبية أن يأخذ من فحولة البداوة ومن تهذيب الحضارة ، ومن انماط التفكير الجديد الذى أبدعته المعرفة الدينية والثقافة الاسلامية، وكتابه « نهج البلاغة » أحق كتاب بهذه التسمية بين كتب العربية ، واشتماله على جزء مشكوك فيه ، لا يمنع اشتماله على جزء صحيح النسبة اليه ، صحيح الدلالة على أسلوبه ٠

ويرى العقاد أن كل نمط من انماط كلام الامام علي شاهد له بالملكة الموهوبة في قدرة الوعي وقدرة التعبير ، فهو ولا شك من أبنـــاء ادم الذين علموا الأسماء ، وأوتوا الحكمة وفصـــــل الخطاب . وأسلوب الامام لا تخطىء فيه مرة جزالة البادية ، وصقــــل الحاضرة ، وحسن البداهة ، وامتزاج الصناعة بالطبع الذى لا تكلف فيه .

ولذلك لم يكن غريبا ولا عجيبا أن نجد الأستاذ الامام محمد عبده يقول : « ليس في اهل هــذه اللغة الا قائل بأن كلام الامام علي بن ابي طالب هو اشرف الكلام وابلغه – بعد كلام الله تعالى ، وكلام نبيه صلى الله عليـــه وسلم – واغزره مادة ، وارفعه اسلوبا واجمعه لجلائل المعاني .

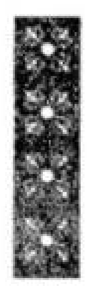
فاجــدر بالطالبين لنفائس اللغة ، والطامعين في التدرج لمراقيهــا ، ان يجعـلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم ، وأفضل مأثورهم ، مع تفهم معانيه في الاغراض التي جاءت لاجلها ، وتأمل الفاظه في المعاني التى صيغت للدلالة عليها ، ليصيبوا بذلك افضل غاية ، وينتهوا الى خير نهاية » .

ولقد احتل كتاب « نهج البــلاغة » مكانة رفيعــة بين كتب الادب الديني والحكمة الاسلامية ، ومن شواهد هذه المكانة عكوف طائفة من أعلام هذه الامة على شرحه وتفسير كلماته ، مثل سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندى المتوفى سنة ٥٧٣ هـ ، وفخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، وعبد الحميد بن أبي الحديد المدائني المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ . وأوسع هذه الكتب شهرة هو شرح ابن ابي الحديد .

وهناك ناحية تتعلق بكتاب « نهـــج البلاغة » ، ولها صلة بأسلوب الامام علي ، وهي ناحية الخلاف حول نسبة ما في هذا الكتاب الى الامام علي ، وهذا هو ابن ابي الحديد يقول : « كثير من ارباب الهوى يقولون : ان كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث ، صنعه قوم من فصحاء الشيعة ، وربما عزوا بعضه الى الرضي ابي الحسن او غيره ، وهؤلاء أعمت العصبية أعينهم ، فضلوا عن النهج الواضح ، وركبوا بنيات الطريق ، ضلالا وقلة معرفة بأساليب الكلام » .

ثم يشرع ابن ابي الحديد في الدفاع عن صحة نسبة الكتاب من طريق دراسة الاسلوب ، فيتكلم عن « الحاسة الفنية » التي هي الميزان الصحيح للتمييز بين اسلوب واسلوب ، ونتاج فكرى وآخــر فيقول : « من قد انس بالكلام والخطابة وشدا طرفا من علم البيان ، وصار له ذوق في هذا الباب ، لا بد أن يفرق بين







الكلام الركيك والفصيح ، وبين الفصيح والأفصح ، وبين الأصيل والمولد . وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء . أو لاثنين منهم فقط ، فلا بد أن يفرق بين الكلامين ، ويميز بين الطريقتين .

« ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده ، لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبي تمام نفسه وطريقته ومذهبه في القريض ؟ .

« ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة اليه ، لمباينتها لمذهبه في الشعر ، وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس كثيراً لما ظهر لهم أنه ليس من ألفاظه ولا من شعره وكذلك غيرهما من الشعراء ، ولم يعتمدوا في ذلك الا على الذوق خاصة » ؟ .

ثم يتخذ ابن أبي الحديد من هذا المبدأ وسيلة لبلوغ هدفه ، فيقول : وأنت اذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحداً ونفساً واحداً ، وأسلوباً واحداً ، كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهية وكالقرآن العزيز ، أوله كأوسطه ، وأوسطه كآخره ، وكل سورة منه ، وكل آية مماثلة — في المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم — لباقي الآيات والسور ..

« ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً ، وبعضه صحيحاً ، لم يكن كذلك ، فقد ظهر لك بالبرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا الكتاب أو بعضه منحول الى أمير المؤمنين عليه السلام » .

ونطالع في كتاب « مدرسة الاستاذ الامام وأثرها في اللغة والأدب » أن أول من ذهب الى التشكيك في شأن كتاب « نهج البلاغة » ، ونسبة جميع ما فيه الى الامام علي هو أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن خلكان الاربلي المتوفى سنة ٦٨١ هـ . ثم جاء من بعده الصفدي فشك شكه ، ثم تبعهما آخرون

وقد بنى المتشككون تشككهم على أسباب منها ما في الكتاب من تعريض بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما فيه من سجع وتنميق لفظي ، وصنعة بيانية لم يألفها عصر صدر الاسلام ، ومنها ما في الكتاب من دقة وتفصيل في وصف الأشياء واستعمال الألفاظ الاصطلاحية في العلوم والفنون التي لم تكن قد نشأت بعد ، وكذلك استعمال الطريقة العددية في شرح المسائل وتقسيمات الفضائل أو الرذائل ، كقوله : « الاستغفار على ست معان » . وقوله : « الايمان على أربع دعائم .. » وقوله : « الصبر على أربع شعب » ... الخ . ومنها ما في الكتاب من عبارات قد يشتم منها معنى الادعاء لعلم الغيب .

وهناك كثيرون ردوا على هذا التشكيك ، ولكن يهمنا أن نتعرف الى رأي كاتب كبير معاصر ، هو الاستاذ العقاد ، فهو يقول أولا : « من المحقق الذي

لاخلجة فيه من الشك عندنا ان النبوءات التي جاءت في نهج البلاغة عن الحجاج ابن يوسف وفتنة الزنج وغارات التتار وما اليها هي من مدخول الكلام عليه، ومما أضافه النساخ الى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير او طويل » . ثم يستعرض موضوعات نهج البلاغة ويعلق عليها قائلا :

« وربما تشكك الباحث في نسبة بعضها الى الامام لغلبة الصبغة الفلسفية عليها ، وامتزاجها بالاراء والمصطلحات التي اقتبست بعد ذلك من ترجمة الكتب الاغريقية والاعجمية ، ولا سيما الكلام على الاضداد والطبائع والعدم والحدود والصفات والموصوفات

« ولكن الذي يقرره الباحث ، ولا يشك في نسبته الى الامام ، او في جواز نسبته ، قسط واف لتحقيق رأى القائلين بسبق الامام في مضمار علم الكلام ، واعتراف المعترفين له بالاستاذية الرشيدة لكل من لحق به من اصحاب الاراء والمقولات ، وهو على جملته خير ما يعرف به المؤمن ربه ، وينزه به الخالق في كماله » .

والنفس اميل الى رأى العقاد في هذا المجال ، وهو يؤيد ما ذهب اليه السيد محمد رشيد رضا الذي يقرر ان بعض ما في « نهج البلاغة » موضوع ومكذوب على الامام .

(● وللامام على ديوان من الشعر ينسب اليه ويحسب عليه ، مع أن ابا عثمان المازني يقول ـ كما جاء في معجم الادباء ـ : لم يصح عندنا ان على بن ابي طالب ـ رضي الله عنه ـ تكلم من الشعر بغير هذين البيتين :

تلكم قريش تمناني لتقتلني   ولا ـ وجدك ـ ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتي لهم   بذات روقين لا يعفو لها اثر

وقوله : « ذات روقين » اى داهية عظيمة .

ويتوسع بعض الباحثين فيقول أن الذي تصح نسبته من الشعر الى الامام على هو عشرات من الابيات ، لا عشرات من القصائد كما جاء في الديوان المنسوب اليه ، ولما كان الامر كذلك اصبح من غير الانصاف ان نتعرض لاسلوب شعره ما دام الزائف منه قد اختلط بالصحيح .

ومن نماذج شعره قوله يصف قبيلة همدان في وقعة صفين :

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنا   فوارسها حمر النحور دوام
واعرض نقع في السماء كانه   عجاجة دجن ملبس بقتام
ونادى ابن هند في الكلاع وحمير   وكندة في لخم وحى جذام
تيممت همدان الذين هم هم   اذا ناب دهر جنتي وسهامي
فجاوبني من خيل همدان عصبة   فوارس من همدان غير لئام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها   وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام
فلو كنت بوابا على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلى بسلام

وقوله يعتز بالاسلام ، ويفخر بنسبته الى الرسول عليه الصلاة والسلام :






محمد النبي اخي وصهري … وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي … يطير مع الملائكة ابن امي
وبنت محمد سكني وعرسي … منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا احمد ولداي منها … فايكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طرا … صغيرا ما بلغت اوان حلمي
وصليت الصلاة وكنت فردا … فمن ذا يدعي يوما كيومي ؟

ويروى أن الصحابة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأذن لعلى فى هجاء المشركين ، فقال لهم : ليس بذاك ، واشار بأن يتولى ذلك شاعر الاسلام حسان بن ثابت ، وهذا نفهم منه — كما يستنتج العقاد — ان الامام لم يرزق ملكة الاجادة فى الشعر ، ومجموعة شعره — سواء اصحت بسبته اليه أم لم تصح — ليس فيها ما يجعله من المجودين بين الشعراء ٠

ومع هذا أوتى الامام على بصرا بنقد الشعر ومذاهبه ، فكان يعرف اختلاف مذاهب القول ، واختلاف وجوه المقابلة والتفضيل على حسب المذاهب٠ ومن شواهد ذلك انه سئل : من اشعر الشعراء ؟ ٠ فقال : ان القوم لم يجروا فى حلقة تعرف الغاية عند قصبتها ، فان كان ولابد فالملك الضليل (يعنى امرأ القيس) ٠

وهذا أول تقسيم لمقاييس الشعر على حسب (المدارس) والاغراض الشعرية بين العرب ، فلا تكون المقابلة الا بين اشباه وامثال ، ولا يكون التعميم بالتفضيل الا على التغليب ٠

وثمة ظاهرة تدل على مكانة الاسلوب الادبى الذى استقام للامام على ، وواسع اثره فى الادب والادباء ، وهى ظاهرة استمداد الادباء والشعراء من بيان الامام وكلامه ، فهناك فى مشارق الارض ومغاربها الوف مؤلفة ، يعكفون على كتاب نهج البلاغة ، يوسعونه حفظا وفهما ، ويكررون النقل عنه والاقتباس منه ٠

وهذا الاستمداد ليس ابن عصرنا فقط ، ولكنه امر معروف مشهور منذ قديم ، فقد ذكر التاريخ الادبى أن عبد الحميد الكاتب الذى بدئت به الكتابة ، كان يحفظ سبعين خطبة من خطب الامام علي ، ويقول ابن نباتة : « حفظت من الخطابة كنزا لا يزيده الانفاق الا سعة وكثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ على بن ابى طالب »٠

ولقد كان الحجاج — وهو من هو فى الخطابة — يقلد الامام عليا فى اسلوبه احيانا ، ومن امثلة ذلك ان الامام قال فى اول خطبة له بالمدينة بعد خلافته ، لتهدئة الفتنة وتحذير الطغاة :

« ان الله داوى هذه الامة بدواءين: السوط والسيف ، لا هوادة عند الامام فيهما ، استتروا فى بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ، والتوبة من ورائكم ، من

ابدى صفحته للحق هلك » ٠

فجاء الحجاج وتاثر بذلك فقال في خطبة له : « ان للشيطان طيفا ، وان للسلطان سيفا ، فمن سقمت سريرته صحت عقوبته ، ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه ، ومن لم تسعه العافية ، لم تضق عنه الهلكة » .

والشعراء أيضا قد تاثروا ببيان الامام علي وكلامه ٠

ها هو ذا يعزى قوما عن ميت مات لهم ، فيقول : « ان هذا الامر ليس لكم بدأ ، ولا اليكم انتهى ، وقد كان صاحبكم هذا يسافر ؟ فقالوا : نعم ٠ قال : فعدوه في بعض سفرته ، فان قدم عليكم والا قدمتم عليه » ٠

ويقول الامام علي في كلماته البليغة : « لكل امرىء شريكان : الوارث والحوادث » ويأتي من بعده الشريف الرضي وينتفع بالكلمة العلوية في قوله :

خذ من تراثك ما استطعت فانما   شركاؤك الايام والوراث
لم يقض حق المال الا معشر   نظروا الزمان يعيث فيه فعاثوا

ويقول الامام فيما يقول من تلك الكلمات البليغة : « ماء وجهك جامد ، يقطره السؤال ، فانظر : عند من تقطره » ؟ ، ويأتي احد الشعراء فينتفع بهذا المعنى في قوله :

اذا اظماتك اكف اللئام   كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى   وهامة همته في الثريا
فان اراقة ماء الحياة   دون اراقة ماء المحيا

ويقول الامام أيضا : « الغنى الاكبر اليأس عما في أيدي الناس » ٠ وينتفع بهذا المعنى عبد الله بن المبارك حين يقول :

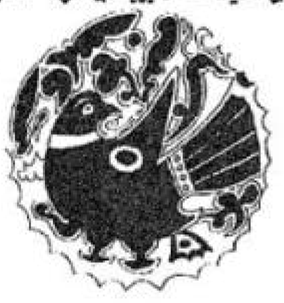
قد ارحنا واسترحنا   من غدو ورواح
واتصال بأمير   ووزير ذي سماح
بعفاف ، وكفاف   وقنوع ، وصلاح
وجعلنا اليأس مفتا   حا لابواب النجاح

ويقول الامام : « اذكروا انقطاع اللذات ، وبقاء التبعات » ، فيأتي شاعر ويقول :

تفنى اللذاذة ممن نال بغيته   من الحرام ، ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها   لا خير في لذة من بعدها النار

وهكذا يتسع الاستمداد بين الادباء والشعراء من بيان الامام علي رضوان الله تعالى عليه ، ولو ان باحثا اديبا تتبع مواطن هذا الاستمداد في كتب النثر والشعر ، على بصيرة واناة ، لاستقام امامه بحث يصلح لدرجة الدكتوراة ٠

ان أسلوب الامام علي باب مستقل متميز الملامح والمعالم في تاريخ الادب العربي ، وما قدمت من حديث عنه لا يزيد عن كونه اشارة تشير الى طريق ممتد طويل ٠



د. سيد نوفل

أبو عثمان الجاحظ في أسلوب

الأديب المجدد والعالم الفيلسوف

لا يحار الكاتب عن عبقري عربي مثلما يحار الكاتب عن الجاحظ ... فهذا العبقري الفذ قد اكتملت فيه مناحي الفكر العربي في أبهى عصوره، وتوفر له من أسباب النبوغ والتفرد ما لم يتوفر لسواه ... ولهذا يقف الكاتب أمامه في إعجاب به وإكبار لمناحيه جميعا، لا يدري أيها يأخذ وأيها يدع، أو أيها يوجز وأيها يفصل. فعظمة الجاحظ الفكرية متشعبة الدروب آخذة الشجون .. لقد أحاط بمعارف عصره وأضاف الكثير إليها، حتى سماه بعض المستشرقين « أرسطو العرب ». وسبق معاصريه وتقدم زمانه آمادا واسعة ...

وأثره الخالد في أدب الكتابة العربية: « البيان والتبيين » لا يمكن أن يرقى إليه « الكامل » للمبرد، ولا « الأمالي » للقالي، ولا « أدب الكاتب » لابن قتيبة، ولا « أدب

الكتاب » للصــــولي ، ولا « كتاب الكتاب » لابن درستويه ، ولا اثار اى من المؤلفــين الاولــين فى ادب الكتابة العربية .

وهو الى جـانب ذلك عـالم يؤمن بالتطبيق والتجربة ، ولا يرضى عن الاحكام القائمة على النظر والسماع وحدهما ... وهو فيلسوف تعمق فى دراسة الفلسفة القديمة ، واصبح من اعلام المتكلمين وزعماء المعتزلة فى البصرة ...

وهو من علماء تقــويم البلدان الافذاذ . وصف العواصم الكبـرى لعهده : مكة والمدينة ومصر وبغـداد والبصرة والكوفة ودمشق ، ولكنــه عنى بتبيان أحوال الشعوب أكثر من عنايته بتبيان أحوال البلدان ...

ودرس الطبيعة والحيــوان ، عاملا لاظهار وحدة الطبيعة ، وأن أجزاءها التى تبدو للرائى مختلفة متباينة هى فى الحقيقة متساوية القيمة والخطر .. ودرس الانســان والمجتمع بشتى طبقاته ، ويعتبر مؤسس علم الاخلاق مثلمـــا يعتبر مؤسس علم البلاغة العربية ... وهو حر الى ابعد افاق الحرية ... وأسلوبه يمكن أن يسمى فى ايجاز . أسلوب الاديب الحر ، والعالم الفيلسوف ...

● بين البيئة والشخصية ●

ومهما قيل فى الشخصية واثرها فى المفكر والفنــان ، وانه لو القى فى صحراء جرداء او جزيرة مقفرة وسط المحيط لامتاز وأبدع ... ومهما قيل من أن المفكر والفنان نتاج البيئة وحدها ، وأن امتيازهما فى أن كلا منهما يرى ما لا يراه الغير ، ويشعر بما لا يشعر به سواه ، ويعبر فى سحر لا يتهيأ الا للقليل من النــاس مهما قيل من ذلك كله ، فان الجاحظ ، شأن كل عبقرى ، هو نتاج بيئتــه وشخصيته معا ...

وســـواء ولد الجاحظ فى نهاية الثلاثينات او فى الاربعينات أو فى الخمسينات من القرن الثانى الهجرى على اختــلاف الروايات ، فأن من المتفق عليه انه مات فى الشهر الاول من سنة خمس وخمسين ومائتين هجرية ، او فى الشهر الاخير من سنة ثمان وســتين وثمانمائة ميلادية ، وأن حياته التى طالت نحو مائة عام قد امتدت من منتصف القرن الثانى الى منتصف القرن الثالث الهجرى ،وأن هذه الاعوام المائة كانت أبهى العصور الاسلامية ادبا وعلما وفلسفة وحرية، وانها تمثل نضج الامة العـــربية الاســلامية ، وان البصرة حيث ولد الجــــاحظ كانت هى والكـــوفة الوطن الاول للعلم والفلسفة والادب ، وانهما كانتا المصدر الخصيب للحياة الزاخرة التى حفلت بها بغــداد فى نهاية القرن الثانى ، واصبحت بحق عاصمة السياسة والمعرفة فى الدولة العباسية . وانتقل اليها الجاحظ مثلما انتقل غيره من اعلام الفكــر والادب لعصره ...

ولد عاصر الجاحظ أحد عشر أو اثنى عشر خليفة عباسيا .. ولد فى خلافة المهدى ، وامضى صدر شبابه فى خلافة الهادى ... وتفتحت عيناه على الحكم الاسلامى ترتفع فيه اعلام العدل والمساواة والحرية بين المسلمين جميعا ، ويتولى فيه الفرس والترك

الأديب المجدد والعالم الفيلسوف

ارفع المناصب فى الجيش والحكومة مثلما يتولى العرب ، وتنعم الدولة العربية وينعم معها العالم بالامن والسلام ، وتسير فيها نهضة ثقافية كبرى تكتمل فى عصر الرشيد حيث

يبدا ظهور الجاحظ وتالقه فى بغداد ، ويبلغ سلطان العرب والمسلمين اقصى

المدى ٠ لكن الجاحظ يعاصر كذلك اثار الفتنة التى غرسها الرشيد

العظيم ، حين سمى الخلافة من بعده لابنه الامين فلاخيه المامون فلاخيهما

القاسم ، كما قسم الدولة قبيل وفاته بين هؤلاء الابناء الثلاثة ٠٠٠

وهكذا يشاهد ابو عثمان فى مرحلة نضجه الفكرى الصراع بين

الامين والمامون ، ويرى سلطان المعتزلة مبسوطا على الحركات الادبية

والعلمية والفكرية ، كما يرى من بعد ذلك علو كلمة الفرس ، ثم سيطرة

الترك فى خلافة المعتصم وابنه الواثق ٠٠٠ وكذلك يرى المتوكل وهو يلقى مصرعه على ايدى الترك الذين نازعوه السلطان وغلبوه عليه ٠٠٠

ويظل الجاحظ يعانى الام الفالج والنقرس مثلما تعانى الدولة العربية الاسلامية فى ايام المنتصر والمستعين ،

الى ان يودع الحياة فى عهد المعتز فى رواية او فى عهد المهتدى فى رواية اخرى ٠ لكن الحياة لا تودعه ، وانما

تظل افكاره حية نشطة ، عاملة عملها ، منتجة اثارها حتى تحدث ثورات سياسية مثل ثورة الزنج وما رفعته

من شعارات ، وثورات فكرية وعلمية وادبية فى مختلف الاقطار والعصور العربية ٠

● مواهب الجاحظ الذاتية ●

وهذا العصر الذى اتسم بحرية الادب والفكر ، واتسعت فيه ميادين

الفلسفة والعلم والثقافة ، واكتملت فيه الترجمة للاثار العالمية القديمة ،

ويبلغ فيه المد العربى الاسلامى اقصى المدى ـ هذا العصر قد انتج اعلاما

فى تاريخ الفكر العربى والعالمى ، مثل ابو عمرو بن العلاء ، والحسن بن

وهب ، واحمد بن يوسف ، وسهل بن هارون ، وسليمان بن وهب ، ويونس ابن حبيب ، وابن الرومى ، والبحترى

لكن احدا من اعلام عصر الجاحظ وبيئته ، لم يجدد فى الحياة الادبية

ما جدد الجاحظ ، ولم يطوع النثر العربى للفنون المختلفة التى كان

يختص بها الشعر من قبل ما طوع الجاحظ ، ولم يخلد لذلك فى تاريخ البشرية خلود الجاحظ ٠٠٠

ومصدر ذلك استعداد الجاحظ الخاص ، مواهبه او ملكاته الذاتية

.. وهي مواهب وملكات ليس من اليسير الاحاطة بها ، أو تعلم وصفها

وأول هذه المواهب الفتنة الشديدة بالاطلاع والهوى الجامح بالقراءة ، مع ذاكرة واعية وذهن صاف ... وهي موهبة نشأت معه ، وظهرت على اتمها في طفولته رغم فقر أسرته ، ووفاة أبيه بحسر الكنانى في ريعان الشباب واسلام الجاحظ في طفولته الاولى الى أمه ، يعتمد في حياته عليها وعلى وسائلها المحدودة .

فهذا الطفل الفقير اليتيم ، الذي اشتغل ببيع الخبز والسمك في صغره مساعدة لامه ولنفسه ، لا يستهويه الطعام والشراب واللعب شأن اترابه، وانما يستهويه لوح الكتاب الذي يتعلم فيه ، والدفاتر والكتب التي تصل اليها يده ، يلتهمها التهاما ، ويستغرق فيها استغراقا ، ويطلب منها المزيد دائما .. ويتردد على مسجد البصرة ويستمع الى علمائه ، وتفتنه مناظراتهم . ويتبين فيه بعض المناصرين للعلم آيات النبوغ ، فيشجعه وييسر له الحصول على المعرفة ، ويقدم له بعض العون المادى ...

لكن الشاب حين تكتمل مقدرته على الكسب ، ويظل سادرا في هواه وفتنته بالمعرفة غير حافل بالعيش ومطالبه الملحة الدائبة ، تضيق امه به ذرعا ، وتلقاه بما تراه له أهلا ... ويبدو ذلك حين يطلب منها مرة الطعام ، فتحمل اليه طبقا فيه اوراق وكراسات مما اعتاد ان يحمله ويملأ به البيت الصغير . وتدعوه الى الطعام ... ويسألها الجاحظ في دهشة وحيرة ، ما هذا الذي تقدمين لآكله ؟! فتجيبه الام في دهشة وحيرة لا تقلان عما لديه منهما : انى أقدم اليك ما تحمله الينا كل يوم وساعة ! ...

ويخرج الفتى من المنزل الى المسجد كئيبا مهموما ، يخشى أن تصرفه مطالب الحياة الدنيا عن اهدافه السامية ... لكن الله كان رحيما بأبى عثمان وبمستقبل الفكر العربى الذى حمل الجاحظ أمانته . ذلك أن مويس بن عمران ، الذى اعتاد ير الجاحظ بالقليل ، يراه ويرى غمه البادى على وجهه ، فيسأله ويجيب الجاحظ ، راويا قصته مع أمه ، شاكيا ضيق ذات يده ... وحينئذ يصحبه مويس الى بيته ويطعمه ، ويقدم له خمسين دينارا يشترى الجاحظ ببعضها الكثير لامه ، ويقدم اليها الباقى نقدا ذهبيا يكاد يطير لمرآه لبها ..

ومن بعد ذلك تفرغ أبو عثمان للمعرفة والانتاج ، واخذت أبواب

الشهرة والغنى تنفتح أمامه ، وزاد مرور الايام أمه رضا به وسعادة حتى ودعته وودعت الحياة معه . ومضى هو فى الحيـــاة ينتج وينعم ويعانى ، وينال من الجاه والمال كل ما يبتغى ...

ويروى ياقوت فى معجم الادباء ان ميمون بن هارون سأل الجاحظ : ألك بالبصرة ضيعة ؟ فتبسم الجـــاحظ وقال : انما أنا وجارية وجارية تخدمها وخادم وحمار ! اهديت كتاب

الأديب المجدد
والعـــالم
الفيلسوف

الحيـــوان الى محمد بن عبد الملك فأعطانى خمسة آلاف دينار ، واهديت كتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولى ، فأعطانى خمسة آلاف دينار ، واهديت كتاب البيان والتبيين الى ابن ابى داود فأعطانى خمسة آلاف دينار . فانصرفت الى البصرة ومعى ضيعة لا تحتاج الى تجديد ولا الى تسميد ...

وكذلك يروى عنه انه كان يقتنى الخدم الذين يخدمون اهل اليســار وأشباه الملوك .. ولكنه ظل مع ذلك من مولده الى نهاية حيــاته أديبا عالما ، لا يعدل بالادب والعلم جاها ولا مالا ولا سلطانا .

وقد سأل رجل أبا عثمان عن حاله بعد أن تقدمت به السن ، فقـــال الجاحظ : « ســألتنى عن الجملة ، فاسمعها منى واحدا واحدا .. حالى ان الوزير يتكلم برأيى وينفذ امرى ويواتر الخليفة الصلات الى ، وآكل من لحم الطيـــر اسمنها والبس من الثياب الخرها ، واجلس على الين الطيرى ، واتكىء على هذا الريش .. ثم اصبر على هذا حتى يأتى الله بالفرج ! » . فقال له الرجل : الفرج ما انت فيه .. فقال الجاحظ : « بل احب ان تكون الخلافة لى ، ويعمل محمد بن عبد الملك بامرى ، ويختلف الى ... فهذا هو الفرج ... »

● روح السخرية والفكاهة ●

وفى هذا القول من أقوال الجاحظ تظهر احدى ملكاته الفائقة وهى روح السخرية والتهكم ، المستندة الى فقه الطبيعة البشرية ومقوماتها .. فمع أن هذا القول قد يكون من قبيــل الاضحاك الذى تفنن الجاحظ فى دروبه، فهو يصور فى صدق طبيعة الانسان الذى تتعاظم أمانيه واحدة بعد أخرى، وتتسع بالنجاح آفاق مطالبه ...

وشوارده الكثيـــرة فى كتابه « البخلاء » تدل على هذه الملكة أعظم دلالة . ونكتفى منها بنادرة واحدة



تبين ان هذه الملكة قد نمت معه بمرور الايام ، وانه ظل الى آخـر ايامه مفتونا بالضحك ، يرى فيه خير علاج للعانى .

فالجاحظ يتحدث عن محفوظ النقاش الذى صحبه فى ليلة مطيرة من المسجد الجامع ، وشدد عليه فى المبيت بمنزله القريب من المسجد ، ذاكرا ان لديه النار وأجـود اللبأ والتمر . ثم يقول : « فملت معه ، فابطأ ساعة ، ثم جاءنى بجام لبن وطبق تمر . فلما مددت يدى قال : يا أبا عثمان .. انه لبأ وغلظة ، وهو الليل وركوده ، ثم ليلة مطر ورطوبة .. وأنت رجل قد طعنت فى السن ، ولم تزل تشكو من الفالج طرفاه وما زال الغليل يسرع اليك ، وانت فى الاصل لست بصاحب عشـاء ... فان اكلت اللبأ ولم تبـالغ ، كنت لا آكلا ولا تاركا ، وحرشت طباعك ، ثم قطعت الاكـل اشهى ما كان اليك . وان بالغت بتنا فى ليلة سوء من الاهتمام بأمرك . ولم نعد لك نبيذا ولا عسلا .. وانما قلت لك هذا الكلام ، لئلا تقول غدا : كان وكان ، والله قد وقعت بين نابى أسد ... لانى لو لم أجئك به وقد ذكرته لك ، قلت : بخل به وبدا له فيه . وان جئت به ولم أحذرك منه ولم اذكر كل ما عليك فيه ، قلت : لم يشفق علىّ ولم ينصح ... فقد برئت اليك من الامرين جميعا ... وان شئت فأكلة وموتة ، وان شئت فبعض الاحتمال ونوم على سلامة » .

ويختم الجاحظ روايته للنـادرة قائلا : « فما ضحكت قط كضحكى تلك الليلة ... ولقد اكلته جميعا فما هضمه الا الضحك والنشاط والسرور فيما اظن . ولو كان معى من يفهم طيب ما تكلم به لأتى على الضحك ، او لقضى علىّ ... ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الاصحاب » ...

● البحث عن الحقيقة ●

وفى هذه الرواية تبدو موهبة من مواهب الجاحظ النادرة لعصره وفى الادب العربى بعامة ، وهى موهبـة الاستقصاء فى الرواية والتتبـع لمختلف الخواطر ، ولكل صـغيرة وكبيرة فى الموضوع ، وتجليته وحدة متكاملة الجوانب ، متسقة الاداء ... وهى موهبة لم يجن عليها ما عرف فى تاليف الجـاحظ ومعاصريه من الاستطراد والانتقال من موضوع الى آخر .

ومن ملكات الجاحظ النادرة كذلك البحث عن الحقيقة ، والاستناد الى الشك فى هذا البحث ، والبعـد عن

سهولة التصديق المؤدية الى الاحالة ... وهى ملكة ولد بها ، وزادتها الايام قوة وتثبيتا ، وبواته مكانة العالم التجريبى فى ايام عزت فيها هذه المكانة ...

فالجاحظ يروى أنه وهو لا يزال طفلا يتعلم فى أحد كتاتيب البصرة ، سمع كلاما من اهالى حى القصابين حيث يعيش ، فظل فى دهشة منه ، وظل يبحث عن حقيقته حتى تبين أنه من الخرافات السائرة لعهده .

ويقول : « رايت كلبا مرة فى الحى ونحن فى الكتاب فعرض له صبى يسمى مهديا من أولاد القصابين ، وهو قائم يمحو لوحة ، فعض وجهه ، فنقع ثنيته دون موضع الجفن من عينه اليسرى، فخرق اللحم الذى دون العظم الى شطر خده ، فرمى به ملقيا على وجهه ، وجانب شدقه وترك مقلته صحيحة ، وخرج منه من الدم ما ظننت انه لا يعيش معه . وبقى الغلام مبهوتا قائما لا ينبس ، وامسكه الفزع ، وبقى طائر القلب ... ثم خيط ذلك الوضع ، ورايته بعد ذلك بشهر ، وقد عاد الى الكتاب وليس فى وجهه من الشتر الا موضع الخيط الذى خيط . فلم ينبح الى ان برىء ، ولا هو ولا دعا بماء ، حتى اذا رآه صاح : ردوه على ... ولا بال جروا ولا علقا ، ولا اصابه مما يقولون قليل ولا كثير ... »

فهذا طفل عجيب حقا ، يلاحظ الاشياء فى دقة ، ويتتبع ما يسير من خرافات حول من يعضه الكلب ، ويمضى فى تتبعه أياما وشهورا حتى يتبين زيفها وبطلانها ...

وبهذا الاسلوب يفند الجاحظ ، ما تزعمه النساء واشباه النساء — كما يقولنا — من ان الخفاش اذا عض صبيا لم ينزع سنه منه حتى يسمع نهيق حمار وحشى ... ويسخر من ذلك سخريته مما يقوله من يسمون علماء ان حية يقال لها النساس تلد ولا تبيض ، وان انثى النمور لم تضع تمرا قط الا ومعه افعى ، وان الكمأة تستحيل الى افعى بعد المطر ... ويبرأ الى الله من عيب هذه الاحاديث

● الحرية عند الجاحظ ●

والحرية من المقومات الاولى لحياة الجاحظ وفنه ... وتظهر هذه الحرية على اتمها حين يناقش رأيا فى الدين او الاخلاق أو السلوك او فى أى من شئون الطبيعة والحيوان

الأديب المجدد

والعالم

الفيلسوف

والانسان ... أنه يورد الرأى الذى يخالفه فى اقوى بيان وأوفى حجة ، ثم يناقشه بمثل ما أورده او أعظم . كما تظهر حين يتحدث عن الاشـــياء واضدادها . وكتابه المحاسن والاضداد مثل لذلك . وقد يساله مرة أحـــد اصحابه ان يحدثه عن الخمر مثلا فيمتدحها فى استفاضة ... فيراجعه الصاحب طلبت ذمها ، فيكتب رسالة أخرى فى ذمها لا تقل عن الاولى بيانا واعجازا ... ومثل ذلك حديثه عن القيان او الديك والكلب ، او المعلمين، او البخل والكرم او اى من امور الحياة والانسان .

ويروى انه تقلد الرياســـة لديوان الرسائل فى عهد المأمون . ولـــكن الوظيفة تعارضت وطبيعته الحرة ، فتركها بعد ثلاثة ايام فقط ، ولم يعـد اليها طوال حياته كلها ...

وقد يقال ان لدمامته ، او لحقـــد الكتاب عليـــــه ، او لروح الهزل والسخرية المتأصلة فى نفسه اثرا فى هذا الابعاد . لكن الفتح بن خاقان يصور الجاحظ عزيز النفس ، موفور الكرامة ، يابى ان يذل لانسان . كما ان الجاحظ نفسه صور ايمـــانه بالحرية ، واعتزازه بها فى كثير من رسائله ...

بل انه قد وصف الوظائف التى وصف فى كثير من اقواله . ومنهـا بعد حديثه عن الذين لا يقـــاربون السلطان وعزتهم :

« وليس هكـذا من لابس السلطان بنفسه ، وقاربه بخدمته ، فان اولئك لباسهم الذلة ، وشـــعارهم الملق وقلوبهم ممن لهم خول مملوءة . قد لبسها الرعب والفها الذل . وصحب ترقب الاحتياج تكدير وتنغيص ، خوفا من سطوة الرئيس وتنكيل الصــاحب وتغيير الدول وحلول المحن . فان هى حلت ، وكثيرا ما تحل ، فتاهيك بهم مرحومين ، يرق لهم الاعداء فضــلا عن الاولياء . »

وكذلك يمدح التجـــار ، ويشبههم بالملوك ، ويشيد بعزتهم وكرامتهم .

ومن ذلك قوله : « التجار اودع الناس بدنا واهناهم عيشـا وآمنهم سربا ، لانهم فى افنيتهم كالملوك على اسرتهم، يرغب اليهم اهل الحاجات ، وينزع اليهم ملتمسو البياعات . لا تلحقهم الذلة فى مكاسبهم ، ولا يستعبدهم الشرع لمعاملاتهم ... »

● أسلوب الجاحظ العلمى ●

لا ريب ان الجاحظ من العلمـــاء المعدودين فى تاريخ العلم البشرى ، وخاصة علم الطبيعة وعلم الانسان . ويقع فى مقدمة آثاره كتابه الخالد : « الحيوان » ، ورغم ان مسائل العلم وردت فيه متفرقة بين مسائل الادب واللغة والبلاغة ...

ورغم ان المستشرقين قد حـــاول الكثيرون منهم الانتقـــاص من قدر الجاحظ العلمى ، وتركيز عنايتهم به على النـــاحية الادبية والكلاميـــة والفلسفية ، فان المستشرق ر. هارتمان يعترف بان كتاب « الحيـــوان » للجاحظ قد حفل بنظريات علميـــة فى دور التكوين ، مثــل التطـــور

والتأقلم ، وعلم النفس الحيواني ، وان هذه النظريات المبكرة عند الجاحظ قد اكتملت في ايامنا هذه ، او بعد الجاحظ باكثر من احد عشر قرنا ... وينبغي ان نذكر كذلك للجاحظ كتبه : « الزرع والنخل » و « الصرحاء والهجناء » و « السودان والبيضان » و « المعادن » ، وغيرها مما لم يصل الينا سوى اخباره او بعض مقتبسات منه .

وقد عالج الجاحظ في « كتاب النساء » موضوعات يعتبرها الباحثون المحدثون من موضوعات علم النفس ، مثل الفرق بين الذكر والانثى ، واستعداد كل منهما ، ونوع الحياة التي تلائمه اكثر من غيرها . وفي كتاب « الحيوان » ذاته نجد كثيرا من مثل هذه الموضوعات . بل انه قد عالج في كتابه « المسائل » موضوعات انسانية تعتبر متقدمة كثيرا عن زمانه مثل الغيرة ، وهل هي من طبيعة الانسان أو من صنع الدنية ، وهل ينبغي أن نفرق بينها وبين الانفة والحمية ... ؟

وكان اسلوب الجاحظ العلمي مكتملا في قواعده الاساسية . وقد اوجزه الجاحظ في انه « جمع معرفة السماع وعلم التجربة ، واشرك بين علم الكتاب والسنة ، وبين وجدان الحاسة واحساس الغريزة » . وهذا الايضاح في مقدمة كتاب « الحيوان » يدل على استعانة الجاحظ بالعقل والحواس والتجربة . وقد عبر عن ذلك كثيرا في مثل قوله « « ليس يشفيني الا المعاينة ... وكل قول يكذبه العيان هو افحش خطا ، واسخف مذهبا ، وادل على معاندة شديدة او غفلة مفرطة » .

وقد جمع الجاحظ الى المعاينة التجربة ، واكد ان الخبر لا يصدق الا اذا اثبته العيان وحققته التجربة ... كما نبه الى اتخاذ الشك سبيلا الى اليقين . وقال : اعرف مواضع الشك والحالات الموجبة له لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له . وكانما كان الفيلسوف « باكون » و « ديكارت » في القرن السابع عشر يرددان اقوال الجاحظ في القرن التاسع ...

وكان الجاحظ في كثير من معالجاته العلمية يضفي عليها لونا فلسفيا دينيا مثل قوله عن تناصر الحياة :

« ومن العجب في قسمة الارزاق

الأديب المجدد
والعالم
الفيلسوف



ان الذئب يصـــيد الثعلب فياكله ، ويصيد الثعلب القنفذ فياكله ، ويريغ القنفـــذ الافعى فياكلها ، كمـــا يريغ الحيـــة ما لم تعظم . والحية تصيد العصفور فتاكله ، والعصفور يصـــيد الجراد فياكله ، والجراد يلتمس فراخ الزنابير ، والزنبور يصـــيد النحلة فياكلها ، والنحلة تصـــيد الذبابة فتاكلها ، والذبابة تصيد البعوضـــة فتاكلها ، ثم يعقب على ذلك فى بلاغة واستفاضة ...

ومهما يكن من أمر فقـــد كان الجاحظ عالما متقدما فى تاريخ العلم، قرأ وسمع ، وشك وارتاب ، وجرب وعاين ، وركب كل صعب وذلول فى سبيل الحقيقة حتى كشف الكثير من أسرارها ...

● فن الجاحظ الادبى ●

اذا كان الجاحظ متقدما عن زمانه فى العلم وجميع فنون المعرفة ، فانه كان واسع التقدم فى الادب ...

ومن تجديداته الكبرى أن جعـــل النثر العربى يتناول جميع فنـــون الشعر من الهجاء والوصف والرثاء والمدح وغيرها ، ويحتل المكانة الادبية الاولى فضلا عن مكانته العلميـــة المستحدثة ..

ومع استخدام الجـــاحظ لالوان البيان من التشبيه والمجاز والكناية، بل انه مؤسس علم البلاغة العربية (١) ـ فانه يتبع ما يسمى حديثا اسلوب التجريد فى الادب . فهـــو يسمى العورات باســـمها ، ويحمل على المتزمتين قائلا ان اسلوبهم شكل « من التصنع .. ولؤم مســـتفحل ونذالة متمكنة » .

ويتصل بهذا حرصه على التمييز بين اسلوب الاعراب فى فصـــاحته ، واسلوب المولدين فى لكنته ، ونقله عن كل منهما دون تصنع ، فضـــلا عن تمييزه الواضح بين الاســـلوب العلمى فى صراحته والاسلوب الادبى فى سموه ، واسلوب اهل الكـــلام ، واسلوب الفلاسفة .

واعظم من ذلك حرصـــــه على موسيقى العبارة ، وروعة الاداء ، والايغال فى ايراد التفاصيل الاخاذة الدالة على اكتمال المشاعر والمعارف والتمكن من اللغة ، والحـــرص فى الوقت ذاته على الايجاز وعدم التزيد ... فتكرار الجاحظ وتقريره، الحيبان، من المتعذر على ناقد ان يرفع لفظـــا يستغنى عن عبارة فيهما .

(١) الدكتور سيد نوفل ـ البلاغة العربية فى دور نشأتها ـ مكتبـــة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ ص ١٦٢ ـ ١٦٨ ..

الأديب المجدد

العالم

الفيلسوف

لكن التقدم الكبير الذى احرزه الجاحظ هو اعتباره الادب فنا من الفنون الجميلة ، وانه مثل التصوير والصبغ ، وانه لذلك ليس معانى وكفى ...

ويخالف أبا عمرو فى اعتبار المعنى مقياسا للبلاغة ، فيقول تعليقا على بيتين من الشعر : « وانا قد سمعت أبا عمرو ، وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ، ونحن فى المسجد يوم الجمعة ، ان كلف رجلا حتى احضر دواة وقرطاسا حتى كتبهما له . وانا ازعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا ، ولولا أن ادخل فى بعض القيل لزعمت أن ابنه أشعر منه ، وهما قوله :

لا تحسبن الموت موت البلى
وانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا
افظع من ذا لذل السؤال

• وذهب الشيخ (أبو عمرو) الى استحسان المعانى ، والمعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى ، والبدوى والقروى ، وانما الشأن فى اقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته ، وسهولة المخرج ، وفى صحة الطبع وجودة السبك . فانما الشعر صناعة، وضرب من الصبغ ، وجنس من التصوير (١) » .

فابو عمرو ينظر الى هذين البيتين، فيرى أن معناهما — وهو أن المسألة أشد وقعا على النفس من الفناء ، اذ كلاهما موت ، ولكن الاول شر من الثانى لذلة المسألة — يرى أن هذا المعنى جميل جدير بالتدوين ، ويغلب عليه طبع اللغوى فلا ينظر الى ما فوق المعانى وسلامة التعبير .

لكن الجاحظ يرى أن البلاغة فن كالصبغ والتصوير ، وان المعانى تشبه المواد التى يصطنعها الفنان ، والالفاظ تشبه الشكل الذى تؤلف عليه الصورة ، والعبرة بالتأليف والشكل الناطق لا بالمواد والالوان . ذلك بان المواد فى متناول الناس جميعا ، ولكن الفنان الحق هو الذى يتخذها اداة لتمثيل الحياة ومعانيها فى صور بارعة .

وهذا لا يعنى أن الجاحظ ينكر المعانى وخطرها فى باب البلاغة .. فما كل مادة بصالحة للاصطناع ، ولا كل لون بملائم للاتخاذ فى كل حال . وكثير من الناس يستنبط مواد ويبتدع الوانا . ولهذا تراه يذكر من المعانى الغريب العجيب ، والشريف الكريم ، والبديع المخترع ، وكيف يتنازعها الشعراء ، ويدعى كل أنها من بنات فكره ووحى خياله . وان من هذه المعانى ما يخرجه الشاعر اخراجا لا يبارى ، فينصرف الشعراء عنه ويتحاشونه . ويورد فى هذا الباب قول عنترة :

(١) الحيوان ، ج ٣ ص ٤٠ ..

جادت عليها كل عين ثــــــرة
فتركن كل حديقة كالدرهــــــم
فترى الذباب بها يغنى وحــــده
هزجا كفعل الشارب المتـــرنم
غردا يحك ذراعه بذراعـــــــه
فعل المكب على الزناد الاجـــزم

ويقول الجاحظ : يريد فعل الاقطع المكب على الزناد ، والاجذم : المقطوع اليدين · فوصف الذباب اذا كان واقفا ، ثم حك احدى يديه بالأخرى ، فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين، يقدح بعودين ، ومتى سقط الذباب ، فهو يفعل ذلك ·

ولم أسمع فى هذا المعنى بشـــعر أرضاه غير شعر عنترة ·

فالجاحظ : قد استحسن المعانى مصــــوغة هذه الصـــــياغة البديعة الدقيقة ، ومخرجة هذا الاخراج الفنى ·· لكنه يبغض المبـــــالغة والغلو والتهويل ، ويراها دليل الاستهجان ، والايغال فى البداوة ، وينكر هـــذا اللون من شعر الاعراب القائم على مرافقة الغول والذئب ، ومحالفـــــة الجن ، ويعده ضربا من الغبـــاوة وسوء التمييز (١) ·

وتبدو عناية الجاحظ بالالفـــــاظ والمعانى معا فى مواضع كثيرة من كتبه · فتراه كثيرا ما يضم المعانى الى الالفاظ فى الحديث عن البلاغة وتاثيرها فى النفوس ·

ومن هذا قوله : « واحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيـــره ، ومعناه فى ظاهر لفظه ··· فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغـــا ، وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ، ومنزها عن الاختلال مصـــــونا عن التكلف ــ صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة (٢) » ·

واوضح هذا المعنى فى فصل عقده تحت عنوان : « فصل فى صفة من يقدر على الابانة » ، جاء فيه : « وليس يقدر على ذلك الا امرؤ فى طبيعتـــه فضل من احتمال غيـــرته ، وفى قريحته زيادة من القوة على صناعته، حتى لا يضع اللفظ الحر النبيل الا على مثله من المعنى ، ولا اللفـــظ الشريف الفخم الا على مثله من المعنى ·· نعم : وحتى يعطى اللفظ حقه من البيان ويوفر على الحديث قسما من الصواب ، ويحقق للكـــلام حظه من المعنى ، ويضع جميعها مواضعها ، ويصلها بصفاتها ، ويوفر عليهـــــا حقوقها من الافصاح والاعراب (٣) » ·

فالبلاغة عند الجاحظ فى الاسلوب والنظم ، ولكن المعانى ينبغى ان تكون كذلك شريفة فما كل معنى يصـــــالح للتاليف البليغ ، والنظم البديع ···



(١) الحيوان ، جـ ٦ ص ٧٨ ·
(٢) البيان ، جـ ١ ص ٤٧ ·
(٣) هامش الكامل ، جـ ٢ ص ٢٢٧

● إدوار حنا سعد ●



في رثاء الشاعر الكبير عزيز أباظة

فجأة يسدل الستار

عالق في قمة البيان — يبدع الفرد الحسان
وارث الشعر والشروا — ية عن ساحر الزمان
صوته الرعف الذي — ـق وحدته ... شقعان
كان نجما بمهرجا — ن ، وأسرى لمهرجان
كيف .. والحشد في انتظار — سيد الشعر والحوار

فجأة يسدل الستار

رائد المسرح المثالي — بالعمق والجمال
فنه سمو شخصه — فارع ساحق الجلال
راسخ الجذر معرق — رائع السمت والظلال
مورد لسائل بالرجا — م .. وما ضاق بالسؤال
وعلى رفعة القمم — والعصر والعظام

فجأة يسدل الستار

قمة وحدناه كوكبا — يرجع ... قمة الإلهام
الله القلب الشمعات — جلوة الفكر والقلم
قد عرفناه ما عرف — نا سوى سائل النغم
قمة الشعر والإحسا — س والفن والشيم
كيف .. يا جاهل الرثاء — أيه العصر في الوفاء

فجأة يسدل الستار

شربا الشاعق الطلـ — ـق بالجهد والسحاب
مصر في كل ما انحنى — وفي كل ما كتب
لجة بين النجم — جهلت راية العرب

قمة الخلد صوته — قمة الإيثار والسطعب
كيف يا ساحر الرحاب — يهدي الحق والكتاب

فجأة يسدل الستار

كيف تنساه القرا — يطلع الفكر والقصيد
والمقالات بهيا — والقول والفكر السديد
عن حمى الضاد والقرا — ت ، ومن عزة البلاد
ونفس الله فالقلوب — موجة السيف والزناد
كيف والضاد لم تزل — تحمد الفن والرجل

فجأة يسدل الستار

مازلنا نعيش ... والصدى — يملأ النفس والعطش
الله في البعد لا نعي — وفي الصبر لا نهش
آه من ريشة القضا — ء تهاوى إلى الفرش
آه من السهوة التي — وقت لنا وارتعش
ناديا غريبة المزار — والدجى يبلغ النهار

فجأة يسدل الستار

فجأة يسدل الستار — فجأة يرفع الستار
عنه في جنة الرضا — ناعما طيب الجوار
وبالمواهب جلتنا — قمة لم تستزل انار
قمة المجد والجلال — واحدوثة الفخار
ولسنا يخفت التسبيح — وهو في صفحة الزمن

كوكب خالد المدار

● الإسكندرية ● — ● إدوار حنا سعد ●

د. محمد أحمد خلف الله

القاضي الفاضل
كاتب الشرق والغرب
في زمانه

لقبه القاضي الفاضل ، واسمه
عبد الرحيم بن علي ، ولقب
ابيه القاضي الاشرف ، واسمه
علي بن محمد ، ولقب جده
القاضي السعيد ، واسمه محمد
ابن الحسن اللخمي ، وهذه
الالقاب الثلاثة لم تحتبط ، فانها
جاءت على الاساليب العربية

في التلقيب . فقد كان ابوه قاضي عسقلان ، وكان جده من شهود القضاء اما هو فكان كاتبا بدار القضاء بالاسكندرية . وعمله وعمل جده مما يكسب الخبرة في ميدان القضاء ــ تلك الخبرة التي تؤهل للترشيح لوظيفة القاضي وتجيز في الوقت نفسه التلقيب بالقاب القضاة .

ولد عبد الرحيم بن علي بن محمد بن الحسن اللخمي بعسقلان في ابريل من سنة ١١٣٥ ميلادية تقريبا . وهي احدى مدن فلسطين ..

وانتقل في طفولته الى مدينة بيسان ، وهي مدينة بالاردن .

ثم وفد الى القاهرة وهو في الخامسة عشرة من العمر، واطلق عليه الناس يوم ذاك لقب البيساني ، فكانوا يقولون : عبد الرحيم البيساني .

والنسبة الى اكثر من بلدة من الامور المعروفة في تاريخ الرجال ـ وبخاصة رجال الحديث ، فكانوا ينسبون الرجل الى البلدة التي ولد فيها ، والى البلدة التي تعلم بها واقام فيها ، والى البلدة التي قدم منها ، ومن هنا نرى نسبة الرجل لاكثر من بلدة . وانه ليقال في عبد الرحيم هذا : عبد الرحيم العسقلاني ، وعبد الرحيم البيساني ، نسبة الى بلدة المولد ، والى بلدة الاقامة .

والسبب في قدومه القاهرة ان والده خشي ان ينساله العنت من المرتضي الطرابلسي والي عسقلان بسبب من العداوة التي كانت بينهما ، وانها قد تحول بينه وبين تولي منصب القضاء فنصحه بالسفر الى مصر ليختط طريقه في الحياة .

قدم عام ١١٤٨ ميلادية تقريبا ، وقدم نفسه الى رئيس ديوان الكاتبات

ويروي ابن الاثير في كتابه « الوشي المرقوم » قصة القدوم الى القاهرة عن القاضي الفاضل نفسه فيقول : حدثني عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله بمدينة دمشق في سنة ٥٨٥ هـ وكان اذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال :

« كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية ـ الفاطمية ـ غضا طريا ، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رئيس يراس مكانا وبيانا ، ويقيم لسلطانه بقلمه سلطانا

فارسلني والدي ...

وامرني بالسير الى ديوان الكاتبات .. وكان الذي يراس به في تلك الايام رجلا يقال له : ابن الخلال .

فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه، وعرفته من انا وما طلبتي ، رحب بي وسهل ، ثم قال : ما الذي اعددت لفن الكتابة من الالات ؟

كاتب الشرق والغرب

قلت : ليس عندى شيء سوى انى احفظ القرآن وكتاب الحماسة .

قال : فى هذا بلاغ .. ثم امرنى بملازمته .

فلما ترددت اليه ، وتدربت بين يديه ، امرنى بعد ذلك ان احل شعر الحماسة فحللته من أوله الى آخره .

ثم امرنى ان أحله مرة ثانية ، فحللته .

على ان القاضى الفاضل لم يقف عند حد الموفق يوسف بن الخلال ،وانما اتصل بغيره من الكتاب والادباء المصريين .

اتصل بابى الفتح محمود بن اسماعيل بن قادوس ، وكان القاضى يسميه : ذا البلاغتين — يريد بلاغة الشعر والنثر .

واتصل بأبى على الحسين بن عبد الصمد بن الشخباء العسقلانى .

وتتلمذ على يد هؤلاء الثلاثة .

وتلمح من شعره ، ومن مغادرته القاهرة الى الاسكندرية بعد ست سنوات ، أن مقامه بالقاهرة لم يطب. فهو يقول فى شعر له :

ارى الكتاب كلهم جميعا
بارزاق تعمهم سنينا
ومالى بينهم رزق كانى
خلقت من الكرام الكاتبينا

***

ترك القاضى القاهرة الى الاسكندرية وهناك اتصل بقاضيها والناظر بها : ابن حديد .

كان ابن حديد يعرف والد القاضى الفاضل بالسمعة ، لذلك لم يكد يقدم له نفسه حتى استكتبه ، وقرر له راتبا يتقاضاه .

وفى الاسكندرية برزت مواهب القاضى الفاضل وأخذت تعبر عن نفسها فى الرسائل الدقيقة ، العميقة ، التى كان يكتبها على لسان قاضى الاسكندرية وواليها ، ليبعث بها الى دار الوزارة، ودار الخلافة ، بالقاهرة .

اثارت هذه الرسائل انتباه من فى القاهرة — وبخاصة الوزير : العادل

رزيك بن الصالح طلائع . فبعث الى والى الاسكندرية وقاضيها أن يرسل اليه كاتب هذه الرسائل ، فبعث به .

وولاه رزيك رئاسة ديوان الجيش

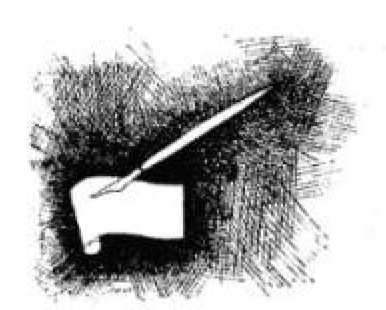
ومنذ ذلك التاريخ والقاضى الفاضل لم يهدأ له بال ، ولم يستقر على حال ، فقد كانت مهمته فى رياسة ديوان الجيش ، ثم فى رياسة ديوان الانشاء شاقة وعسيرة .

لقد كانت الحياة العامة فى ذلك الوقت فى اضطراب دائم ، وفى هم مقيم . وكانت الاحداث فى ذلك الوقت تلم بمصر من خارج ، ومن داخل .

كانت الاحداث الخارجية تتمثل فى نوعين كبيرين من الاحداث :

أولهما : الحملات الصليبية المتتابعة التى تستهدف اقامة مملكة للفرنجة ببلاد الشام وبخاصة أرض فلسطين وساحل البحر الابيض . تكون مدينة بيت المقدس عاصمة لها .

وكان الصليبيون الذين يغذون فى حملات متتابعة يرون أن هذا



الامر لن يتم لهم الا بانهزام المسلمين فى مصر وبلاد الشام ، والا باحتلال الثغور الشامية والثغور المصرية الواقعة على البحر الابيض المتوسط

وثانيهما : ـ تلك القطيعة التى كانت قائمة بين مصر وبلاد الشام ، بسبب الاختلاف فى المذهب الدينى ، وفى النظم السياسية .

كانت مصر فى ذلك الوقت تدين بالمذهب الشيعى ، وتدعو للخليفة الفاطمى ، وكانت بلاد الشام تدين بالمذهب السنى . وتدعو للخليفة العباسى .

وكان كل واحد من النظامين يرى أنه الاصلح ، وأنه الاحق بالبقاء . ومن هنا كانت القطيعة ، وكان التناقض .

غير أن تتابع الاحداث لم يلبث أن قضى على هذا الخلاف ، وأزال ذلك التناقض .

كان لا بد من الالتقاء والتفاهم ، وكان لا بد من توحيد الجهود فى سبيل صد هذا العدو الغاشم ، فتم التفاهم وتوحدت البلاد ، وكان النصر كما سنرى .

وكانت الاحداث الداخلية تتمثل أيضا فى نوعين من الاحداث .

الأول منهما : المؤمرات التى لا تنتهى بين رؤساء الجند .

لقد كانوا من الوافدين الى مصر ، من المرتزقة ، وكان الرؤساء منهم يطمحون فى مناصب الوزارة ، فأخذ بعضهم يكيد لبعض ، وبعضهم يتآمر على بعض .

كاتب الشرق والغرب

وحدث فى مدة رياسة القاضى الفاضل للديوان ، أن :

دبر شاور مؤامرة لقتل رزيك وتم القتل ، وتولى شاور الوزارة

ثار ضرغام على شاور ، وفر شاور الى بلاد الشام ، وتولى ضرغام الوزارة .

وانقطعت امال القاضى الفاضل التى كان يرجو تحقيقها على يد الوزير رزيك ، وحين بدت هذه الامال تأخذ طريقها فى الظهور ايام شاور بسبب الصلة الوثيقة بين القاضى الفاضل وابن شاور ثار ضرغام واعتقل فيمن اعتقل القاضى الفاضل .

والثانى منهما : ازمة عدم الثقة بالحاكمين ، فقد كان اهل مصر اذ ذاك لا يثقون بالجند المرتزقة ولابرؤسائهم .. وكانوا يرون فيهم جميعا اناسا يسعون فى سبيل مصالحهم الخاصة ، وفى سبيل الاطماع الشخصية من تولى الوزارة وما اشبه . ومن هنا كان كيد بعضهم لبعض ، وتآمر بعضهم على بعض . أما الدفاع عن مصر وصد الصليبيين عنها فهو الامر الذى لم يكن يعنيهم لا فى قليل ، ولا فى كثير

وقد كان الصراع بين ضرغام وشاور عاملا قويا فى كشف رؤساء الجند امام المصريين .

لقد فر شاور الى الشام مستعينا بنور الدين محمود صاحب حلب ، والشخصية الاسلامية الاولى فى مواجهة الصليبيين، فى التغلب على خصمه ورد الامر اليه واعادته الى الوزارة .

وحدث فى نفس الوقت تراسل ضرغام مع الصليبيين للتصالح معه والابقاء عليه فى الوزارة ، ورد كيد خصمه شاور .

ولم يكن الخليفة الفاطمى صاحب حول أو طول ، وانما كان ضعيفا مستسلما لمن يتولى الوزارة من رؤساء الجند .

كشفت هذه الاحداث الحاكمين من وزراء ، وأمراء ، وخلفاء ، امام الشعب المصرى ، فانفض عنهم واعلن عدم ثقته بهم لعجزهم عن مواجهة اعداء البلاد من الصليبيين ، واتجه بقلبه نحو نور الدين محمود .

وحدث ان عرف نور الدين محمود ، كما عرف الخليفة الفاطمى بالموقف الذى يقفه ضرغام من طلب المعونة من الصليبيين . فكان ذلك هو السبب فى التعاون بين الحاكم السنى فى الشام والحاكم الشيعى فى مصر .

وكتب الخليفـــة الى نور الدين مستعينا فى الوقت الذى بعث به نور الدين بجند الى مصر لرد شاور الى منصبه ، ولصد الصليبيين .

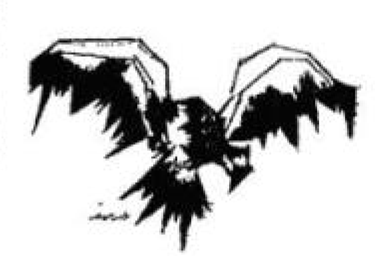
وجاء على رأس الجند أسد الدين شيركوه الذى لم يلبث ان تولى الوزارة .. وكان معه بن اخيه صلاح الدين .

وبرز هنا تناقض من نوع جديد . فالخليفة شيعى ، ووزيره سنى ، وظل الامر على ذلك الى أن توفى أســد الدين شيركوه ، وحل محله فى الوزارة ابن اخيه صلاح الدين .

لقد قضى صلاح الدين على هــذا التناقض يوم أن خلع الخليفة الفاطمى ودعا فى المساجد للخليفة العباسى ، وكان ذلك بأمر من نور الدين محمود .

وحين توفى نور الدين محمــود استقل صلاح الدين بمصر ، وانشأ الدولة الايوبية .

ووحد صلاح الدين بين بلاد الشام ومصر ، وضم بعض البلدان العربية الاخرى الى مملكته ، وصارع بعــد اقامته الوحدة الصليبيين فصرعهم ، وانتصر عليهم .



واثناء سير هذه الاحداث جميعها كان القاضى الفاضـــل هو الرئيس للديوان .

ولعب القاضى الفاضل دوره بمهارة فائقة ، وحاز ثقة كل الذين عمــل معهم من الفاطميين والايوبيين ، ولم يكن ذلك الا لانه أدرك بوعى تام أن وظيفته ليست الا تبين الحق ، ثم تبنى هذا الحق .

لقد كان فى هذا الصراع واقفــا الى جانب الحق الذى كان يراه فى المصلحة العامة ، وفى صد الصليبيين المغيرين على البلاد .

وحين أدرك ضعف الخليفة الفاطمى أخذ يحرض نور الدين محمود على أن يصبح حاكم مصر ، وكتب له قصيدة يقول فيها :

وما بعد مصـــر للغنى متطلب
وما بعد هذا المال مال فيكتسب
ولو أنه فى الباس يمضى او الندى
لهان ولكن فى الاغانى وفى الطرب

***

وحين تحـولت الدولة الى النظام الســنى أدرك أن ذلك لن يتم الا بتغيرات جذرية فى المؤسسات الثقافية، فساعد على احداث تغيــرات فى المؤسسات الشيعية لتصبح سنية ، وانشأ مؤسسات جــديدة أطلق على بعضها اسم صــلاح الدين ، وعلى بعضها اسمه هو ، لتساعد فى السرعة باحداث التغيير .

ثم هو الذى كان يكتب رســائل الفاطميين ، ورسائل صلاح الدين ، وكان لا يألو جهدا فى تبين الحق ، وفى تبنيه .

ولم يكن ذلك منه اعتمــادا على الاسلوب الادبى ، وانما كان اعتمادا

كاتب الشرق والغرب

على رجاحة العقل ونضج الفكـــر ، والادراك الصحيح السليم للمسائل ٠

انه من حيث الاسلوب واحد من اصحاب مدرسة البديع الذين يعتمدون فى كتابتهم على الوان البـديع — وبخاصة الجناس ٠ كما يعتمدون على التنظير والاقتباس من اى الذكـــر الحكيم ٠

انه لم يات بجديد الا انه فيمـا يحكى المؤرخون للادب قد ادخـــل التورية فى النثر بعد أن كانت مقصورة على الشعر ، وذلك ليس بالامر الذى يرفع له ذكرا بين اصحـاب مدرسة البديع ٠

ان الوضوح الفكرى ، وان الصدق فى القول والاخلاص فى العمل ، وان ادراكه التـام لقضـايا العصر ولخصائص مدرسة البديع ، ان كل ذلك هو الذى جعله فى القمـة من كتاب عصره ٠٠٠

يقول فيه القاضى النويرى : الى القاضى الفاضل انتهت صناعة الانشاء ووقفت ، وبفضله اقرت ابناء البيان واعترفت ، ومن بحر علمه رويت ذوو الفضائل واغترفت ، وأمام فضـله القت البلاغة عصـاها ، وبين يديه استقرت به نواها ٠٠

فهو كاتب الشرق والغرب فى زمانه وعصره ، وناشر الوية الفضل فى مصره ، ورافع علم البيان لا محالة ، والفاضل بغير اطالة ٠

ويقول فيه صلاح الدين الايوبى : ما فتحت البلاد بالعساكر ، وانمـا فتحتها بكلام الفاضل ٠

وكان يقول له : ما لى عنك مندوحة ، انت كاتبى ووزيرى ، وقد رأيت على وجهك البركة ٠

ويقول ابن فضل الله العمرى فيه : كان القاضى الفاضـــل هو الدولة الصلاحية ٠ كان كاتبها ووزيرها ، وصاحبها ومشـيرها ، والحاكم فى كلها ، والمجهز لبعوثها ٠٠٠

***

لقد شهد له كل هؤلاء بالتفـوق والامتياز

وأساس هذه الشهادة عندنا ليست فى الاسلوب الادبى وحده ٠ ليست فى انه من مدرسة البديع التى تعتمد الصناعة اللفظية فقط ، وانمـا هى عندنا قائمة على الاسلوب الفكـرى أيضا — ذلك الاسلوب الذى يستمد مقوماته وخصائصه من رجاحة العقل،

ويعد النظر ، والوعى التام بثقافة العصر فى كل ميدان من ميادين الحياة ·

ولقد كان الرجل رئيسا للديوان ، ويغلب عليه العمل السياسى ، واجاد فى هذا العمل الى الحد الذى بهر الوزراء والخلفاء فاستعانوا به وشهدوا له ·

ويكفينا فى هذا المقام ان نورد بعض الفقرات من تلك الرسالة التى كتبها عن العاضد الخليفة الفاطمى فى عهده لصلاح الدين بالوزارة ·

ان هذه الرسالة تكشف عن حسن المام القاضى الفاضل بسياسة الامور فى كل مجال من مجالات الحياة ·

يتحدث الى صلاح الدين عن الاموال العامة وكيفية الوقوع عليها فيقول :

والاموال فهى زبدة حلب اللطف لا العنف ، وجمة يمتريها الرفق لا العسف ، وما برحت اجد ذخائر الدول للصفوف ، واحد اسلحتها التى تمضى وقد تنبو السيوف ، فقدم للبلاد الاستعمار تقدم لك الاستثمار ، وقطرة من عدل تزخر بها من مال بحار ·

ويتحدث اليه عن المواطنين فيقول :

والرعايا ، فهم ودائع الله لامير المؤمنين وودائعه لديك ، فاقبض عنهم الايدى وابسط بالعدل فيهم يديك ، وكن بهم رءوفا وعليهم عطوفا · واجعل الضعيف منهم فى الحق قويا والقوى فى الباطل ضعيفا ، ووكل برعايتهم نظر اجتهادك ، واجعل السنتهم بالدعاء من سلاحك وقلوبهم بالمحبة من جنانك ·

ولو جاز أن يستغنى عن الوصية قائم بأمر أو جالس فى صدر ، لاستغنيت عنها بفطنتك الزكية وفطرتك الذكية ، ولكنها من امير المؤمنين تذكرى لك وانت من المؤمنين ·

***

ولعل خير ما نختتم به هذا المقال هذه الكلمة التى قالها بعد أن دب الشقاق والخلاف بين امراء الدولة الايوبية ـ وبخاصة بين الافضل والعزيز ولدى صلاح الدين بعد وفاة والدهما ·

ولقد تقدم القاضى الفاضل لاصلاح ذات البين بينهما ولكنه فشل فآثر اعتزال العمل ، واعتزال السياسة ·

هذه الكلمة هى : « اما هذا البيت فان الاباء منه اتفقوا فملكوا ، وان الابناء منهم اختلفوا فهلكوا » ·

وظل القاضى الفاضل معتزلا الحياة العامة الى ان ادركته الوفاة فى يناير سنة ١٢٠٠ ميلادية تقريبا ·

وترك القاضى الفاضل بعده ولده القاضى الاشرف بهاء الدين ابا العباس احمد ، وكان المجتمع القاهرى يحفظ فيه مكانة ابيه ·

وتوفى القاضى الاشرف بالقاهرة سنة ١٢٤٧ م تقريبا ، ودفن بسفح المقطم الى جانب قبر ابيه رحمهما الله رحمة واسعة ، واسكنهما فسيح جناته ···

د. بدوى طبانه



وسدوه الثرى ، وهالوا عليه التراب .. من غير أن تعقد عليه مناحة ، أو يلطم خد ، أو يخمش وجه ، أو ينشر شعر ، أو يمزق ثوب ، أو يشق جيب ، أو يدعى ويل ، أو يسود باب.

وبكل ذلك كان أوصى بديع الزمان فى آخر ما خطه قلمه ، ليحمل من فعل شيئا من ذلك وزره ، ويبرأ هو ممن بدل من وصيته ، ويحمله اثم ما بدل !

ذلكم هو احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الذى كنوه « أبا الفضل » ولقبوه « بديع الزمان » !

يحس الكاتب بكثير من الحيرة ، وهو يحاول الكتابة عن هذا العلم الكبير من اعلام واصحاب الاساليب فى تاريخنا الادبى الطويل ·

ويكمن سر الحيرة فى اختيار المحور الذى يرتكز عليه الكاتب فى بحثه ، وتعتمد عليه دراسته · أهو محور الشخصية – شخصية بديع الزمان – وهى احدى الشخصيات العجيبة فى تاريخ الادب العربى ، من ناحية خلائقه وسجاياه ، ومن حيث سلوكه فى الحياة ، وطراز تعامله مع الناس على نحو غريب تجتمع فيه التناقضات ، وتكثر فيه المفارقات ·· وتلك الصفات التى تكونت منها تلك الشخصية الفريدة جديرة بالتناول والدراسة الفاحصة عن عواملها وآثارها ؟

أم هو محور الفن الادبى الذى صال فيه بديع الزمان وجال ، والقلم الذى تناول فأبدع ، وبسحره أمتع ، وباقناعه أوجع ؟

ومع ما فى تاريخ البديع وسيرته مما يدعو الى البحث ، واستكناه تلك الشخصية وحقيقتها ، وحاجة ذلك الى تخصيص الكتابة وتخليصها مما عداها ·· ومع ما فى أدب البديع مما يدعو الى العناية بالدرس المستفيض والنقد المنصف الذى يضعه موضعه من الادب المأثور ويضع صاحبه فى الموضع الجدير به بين أدباء الزمان ···

مع هذا وذاك لا يستطيع الكاتب ان يفصل بين الشخصية وآثارها ، كما لا يستطيع الفصل بين الفن وصاحبه ، اذ كان الاسلوب هو الرجل كما يقولون ، واذ كان ما اثر فى فن البديع وما حفظ من ادبه يمثل صورة صادقة واضحة المعالم لشخصية صاحبه وأخلاقه ، وما استقر فى اعماق نفسه من السجايا ، وماوجه سلوكه فى الحياة ، وتحكم فى علاقاته مع خاصة أهله ، ومع من لقى وعاشر من سراة الناس وعلمائهم وادبائهم وخاصتهم وعامتهم ·

***

يقول التاريخ ان حياة البديع كانت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى لم تسبقه بيوم ، ولم تتجاوزه يوما ، وان كان المؤرخون لم يذكروا له تاريخ ولادة ، ولكنهم حددوا تاريخ وفاته سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، فقالوا انه حين بلغ أشده ، وأربى على أربعين سنة ، ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه سنة ٣٩٨ هـ ··

وقد يستفاد من هذا أن ولادة البديع بهمذان كانت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة أو قبلها بقليل · ويرجح ولادته فى تلك السنة ما ورد فى بعض نسخ كتاب « تاريخ همذان » لابى شجاع شيرويه بن شهر دار مما نقله عن بعض أصحابه أن البديع ولد فى جمادى الآخرة من تلك السنة ، وان كان قد ورد فى بعض نسخ هذا الكتاب أن ولادته كانت سنة ٣٧٥ · والفرق بين الروايتين كبير يصل الى سبعة عشر عاما ، ولا يوافق اجماعهم على وفاته سنة ٣٩٨ بعد أن أربى على الاربعين ! ولاقولهم انه فارق همذان سنة ٣٨٠ وهو مقتبل الشبيبة غض الحداثة ، وهما وصفان لا يناسبان صبيا عمره خمس سنوات على القول بأن مولده كان سنة ٣٧٥ هـ ·

كان بديع الزمان نضو أسفار ، وجواب آفاق ، يقطع الفلوات راكبا وراجلا ، جاريا وراء الشهرة وذيوع الصيت ، وباحثا عن المال الذى كان متهوما بحبه ، شغوفا بجمعه واكتنازه

.. مرتادا ذوى النعمة واليسار ، كالطير يسقط حيث يلتقط الحب ، حتى قال الرواة انه لم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة الا دخلها ، وجنى ثمرها ، ولم يبق ملك ولا امير ولا وزير الا واستمطر بنوئه ، وسرى فى ضوئه ، فحصلت له نعمة حسنة ، وثروة جميلة .

وانتهى به المطاف الى مدينة « هراة » ، فالقى بها عصا التسيار ، وهى المدينة العظيمة الحافلة المشهورة من مدن خراسان التى يقول ياقوت فى وصفها بمعجم البلدان انه لم ير بخراسان مدينة أجل ولا اعظم ولا أفخر ولا أحسن ، ولا اكثر اهلا منها ، وفيها بساتين كثيرة ، ومياه غزيرة ، وخيرات كثيرة ، محشوة بالعلماء ، ومملوءة باهل الفضل والثراء ..

واتخذ البديع « هراة » دار قراره ، وصاهر بها أحد وجوهها ، وهو : الفاضل الكريم الاصيل ابو على الحسين ابن محمد الخشنامى ، وانتظمت أحواله بمصاهرته ، واقتنى بمعونته ضياعا فاخرة !

وقد بقى بديع الزمان فى مسقط رأسه « همذان » حتى سنة ٣٨٠ هـ ، وتلقى فيها علوم اللغة وفنون الادب على جماعة من العلماء ، وعلى رأسهم امام كبير من أئمة العربية هو الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس ، وكان مقيما اذ ذاك بهمذان قبل أن يحمل منها الى « الرى » ليقرأ عليه ابو طالب ابن فخر الدولة بن بويه ، وكان الصاحب بن عباد يتتلمذ أيضا لابن فارس ، وكان يباهى بهذه التلمذة ، ويقول عنه دائما « شيخنا أبو الحسين » .. وقد اهدى ابن فارس الى الصاحب كتابه المعروف فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها وعنونه باسمه « الصاحبى » تأكيدا لمحبته وتقديرا لنبوغ تلميذه .

وقد ذكر العلماء من صفات هذا الشيخ الجليل انه كان اية من ايات العلم ، كما كان اية من ايات الادب وعلو النفس ، وعرف عنه كذلك انه كان كريما جوادا الى درجة انه ربما كان اذا سئل يهب ثيابه ، وفرش بيته !

وانما سقنا هذه الكلمات القصار عن ابن فارس ، وليس الحديث عنه ، لسببين : اولهما : تلمذة بديع الزمان له ، واغترافه من بحر علمه الواسع ، ومعينه الفياض فى علوم اللغة وميادين الادب ، التى خلف فيها اثارا خالدة منها كتابه « الصاحبى » الذى اشرنا اليه ، وهو من اقدم ما عرفته العربية من الدراسات اللغوية المتبحرة العميقة ، ومنها كتابه « المجمل فى اللغة » ومنها معجمه الكبير « معجم مقاييس اللغة » وكتابه « مقدمة فى النحو » وكتابه « ذم الخطأ فى الشعر » وكتابه « اختلاف النحويين » وكتابه « الاتباع والمزاوجة » ..

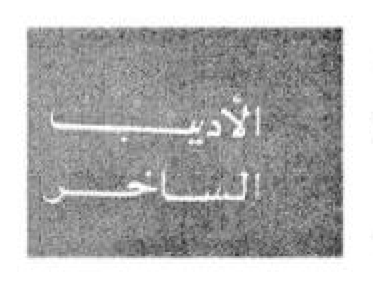


وقد افاد بديع الزمان من علم هذا الامام الكبير ، وتهيأت له من مجالسته ومن دراسة كتبه تلك الثروة الطائلة من الثقافة اللغـــوية والادبية التي استطاع بها أن يكون علما من الاعلام في لغة العرب ، وآية من آيات التمكن منها ، والقدرة على التصرف فيهـا فيما شاء من الاغراض والمقاصد ، وبدت آثارها واضحة في أسـلوبه الكتابي الذي يفيض بآثار التمكن ، وامتلاك ناصية اللغة ، مما لم يتيسر بهذه الصورة لأكثر أقرانه من الذين زاولوا فن الكتابة ، وعـدوا من أصحاب الاساليب في تاريخنا الادبي الطويل •

والسبب الآخر : أن بديع الزمان اذا كان قد افاد من علم أستاذه ومعرفته على ذلك النحو الذي أحله هذه المنزلة الرفيعة في فن الكتابة ، فقد يكون من العجب العجاب أنه لم يفد من أخلاق شيخه ، ولا من نعوته الفاضلة شيئا •• بل لقد كان الرجلان من حيث الناحية الخلقية والفضائل النفسية على طرفي نقيض ! وكل ميسر لما خلق له ، ولما طبع عليه !

فاذا كان ابن فارس قد عرف كما ذكرنا بالترفع والاباء ، فلا يذهب من همذان الى الري الا محمولا لا ليعلم ابن فخر الدولة ، فان بديع الزمان قد جبل على قطع الفيافي والقفار في سبيل الشهرة أو في طلب المال مبتذلا كرامته اذا كان الابتذال السبيل الذي يرى أنه يوصله الى ما يشـتهي من أعراض الدنيا •

واذا كان الشيخ قد اشـــتهر بالتواضع ، وهو فضيلة العلمــاء وحليتهم ، فقد عرف تلميــذه اذا أعانته المواقف بالتعالي الذي يصـل في كثير من الاحيان الى ما يمكن ان يوصف بالتبجح او الوقاحة !



واذا كان الاستاذ قد عرف بالادب والوفاء ، فقد كان بديع الزمان كثير الاساءة الى الفضلاء ، والتنكر لمن مدوا اليه يد العون والاحسان •

واذا عرف عن الشيخ احتقار الدنيا، فقد عرف صاحبنا بالحرص عليهـا والجري وراء أسلابها وغنـائمها ، يركب في سبيلها الصعب ، ويمتهن كرامة الاديب •

واذا كان الشيخ جوادا كريما يهب اذا سئل ثيابه وفرش بيته ، فقد كان تلميذه شحيحا لئيما ، يبخـل على نفسه ، ويضن على خاصة أهله بما يقيم أصلابهم بعد أن أصبح من ذوي اليسار ، ومن أصحاب الاموال التي تنوء بحملها الرجال ، والضياع التي يعمل فيها مئات من العمال •

فما أبعد الفرق بين الاســـتاذ والتلميذ ! ••

ولا يحسبن القـــارىء اننا بذلك نحاول أن ننقص من شأن هذا الاديب

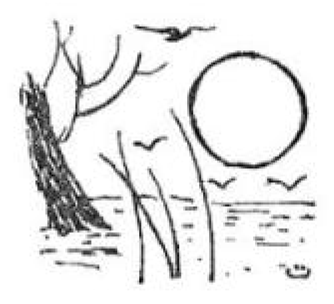
الكبير ، أو أننا نتجنى عليه أو نحاول أن نبخسه حقه ، أو ننتقص من فضله ، فما كان ذلك غاية لنا فى أية كلمة من كلماتنا ، ولا فى أى بحث من بحوثنا ، ولكننا باحثون عن الحقيقة ، وهى أعز علينا من كل انسان ، وهى أولى ما يجب من الرعاية والاعتبار ، وغايتنا الكبرى أن نصل بين شخصية الاديب وفنه ، اذ لا مناص من البحث عن العوامل الفعالة فى أدبه ، وعن حقيقة المشاعر التى وجهت هذا الادب . وستجد فيما كتب بديع الزمان بنفسه عن نفسه يؤكد كل وصف مما وصفناه به .

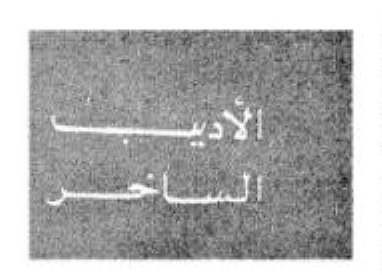
***

وقبل أن نتحدث عن أدب بديع الزمان لا بد من الاشارة الى شىء مما حدثنا به المؤرخون عن مواهب الرجل، وهى أحاديث تتفق فى جملتها على ما تميز به من الفطنة والذكاء ، وعلى القدرة العجيبة على حفظ ما يقرأ وما يسمع وان طال ، وعلى اعادة ما سمع أو قرأ فى سرعة عجيبة لا ينقص مما قرأ أو مما سمع حرفا ، وكذلك ما عرف عنه من حضور الذهن وصفاء القريحة والقدرة على ارتجال المنظوم والمنثور من غير عناء أو مكابدة . حتى قال أبو منصور الثعالبى فى صفته « لم نر نظيره فى الذكاء وسرعة الخاطر ، وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس ولم ندرك نظيره فى طرف النثر وملحه ، وغرر الشعر ونكته ...

قال : وكان صاحب عجائب وبدائع، فمنها انه كان ينشد الشعر لم يسمعه قط وهو اكثر من خمسين بيتا الا مرة واحدة ، فيحفظها كلها ، ويؤديها من أولها الى آخرها لا يخرم حرفا ، وينظر فى الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ، ثم يهذها عن ظهر قلبه هذا ، ويسردها سردا .. وكان يقترح عليه عمل قصيدة ، وانشاء رسالة فى معنى بديع ، وباب غريب ، فيفرغ منها فى الوقت والساعة . وكان ربما كتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخره ثم هلم جرا الى أوله ، ويخرجه كأحسن شىء وأملحه ، ويوشح القصيدة من قوله بالرسالة الشريفة من انشائه ، فيقرأ من النظم والنثر ، ويروى من النثر النظم ، ويعطى القوافى الكثيرة ، فيصل بها الابيات الرشيقة ، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر ، فيرتجله أسرع من الطرف على ريق لم يبلعه، ونفس لا يقطعه ، وكلامه كله عفو الساعة، وفيض اليد ، ومسارقة القلم، ومسابقة اليد للفم .

وكان يترجم مايقترح عليه من الابيات الفارسية المشتملة على المعانى الغريبة بالابيات العربية ، فيجمع فيها بين الابداع والاسراع الى عجائب كثيرة لا تحصى ولطائف تطول ان تستقصى





وحسبنا هذه الاوصاف التى تدل على تلك المواهب العجيبة والقدرة الغريبة على صناعة الادب والتمكن من القلم ، ولا نظن الثعالبى قد بالغ فى وصف من هذه الاوصاف التى

تؤكدها كتاباته ومناظراته ، وشعره العذب الرصين ، ولعل هذه الصفات البديعة كانت هى السر فى اللقب الذى اشتهر به ، وهو « بديع الزمان » ولم نسمع عن أحد من الموهوبين انه

بلغ ذلك المبلغ الذى بلغه « بديع الزمان » ! • واذا كان الثعالبى قد وصف الهمذانى بهذه الاوصاف ، فانه لم يرو شيئا منها سماعا ، وانما كان

ذلك من معرفة بالرجل ، فقد لقيه ورآه عن كثب ، وكتب عنه ، فهى كتابة العارف الخبير •

ولكنا نقول ان سلوك الرجل واخلاقه لم يكونا كفاء لمواهبه العجيبة وقدراته النادرة • ولم يكن للزمان

او للمكان دخل فى تلك الاخلاق التى توجه سلوك الناس ، وكثيرا ما يكون

فى الزمان الواحد والمكان الواحد ، وتحت تأثير الظروف المتحدة أو العوامل المتشابهة الفاضل الكريم والى

جانبه الوغد اللئيم • وتلك طباع البشر، وفيها يتفاضل الناس، وبضدها تتميز الاشياء • والبقعة من الارض

تؤتى ثمراتها مما هو حلو المذاق ، وما هو مر زعاق !

وقد ارتحل البديع من همذان الى الرى ، ليرد مورد الوزير الخطير كافى الكفاة الصاحب بن عباد الذى

كانت حضرته مجتمعا يشخص اليه ذوو المواهب من العلماء

والادباء يغمرهم بحفاوته ، ويغدق عليهم من صلاته ، ويستحثهم

على الشخوص عليه •• وقد عكف البديع على مكتبة الصاحب ، فتزود مما حوت من اصول العلم والادب ••

وقد أفاد البديع من صحبة الصاحب مالا ، كما أفاد من مكتبته علما وأدبا

•• حتى كانت بين الرجلين جفوة رحل بعدها الى جرجان ، فاقام بها مدة على مداخلة الاسماعيلية ، والتعيش

فى اكنافهم ، واختص بشيخهم أبى سعيد محمد بن منصور ، ونفقت بضاعته لديه ، وتوفر حظه من عادته

المعروفة فى اسداء الافضال على الافاضل • ولكن البديع كان لا يستقر

على حال ، فعزم على الشخوص الى نيسابور ، وأعانه أبو سعيد على

رحلته وزوده بحاجته ، فوردها سنة ٣٩٢ هـ •

وفى نيسابور كانت ثمرات أسفاره ورحلاته قد نضجت ، وبرزت آثار مواهبه ومعرفته بالعلم والادب ،

ودراسته لطبيعة الناس واحوال الحياة وتناقضات المجتمعات التى عاش فيها ،

والرجال الذين يممهم ، فأملى فيها كما يقولون أربعمائة مقامة ، وقد أخذوا هذا العدد واعتمدوه من كلام البديع

عن نفسه في بعض رسائله حيث يقول انه « أملى من مقامات الكدية أربعمائة لا مناسبة بين المقامتين لا لفظا ولا

معنى » ·· وان كان لم يصل الينا من هذه المقامات سوى اثنتين وخمسين مقامة !

وفي نيسابور ايضا التقى البديع بشيخ الكتاب في عصره ، وهو الاستاذ أبو بكر الخوارزمي الذي كان يشار

اليه باطراف البنان ، وكان لا يجرؤ على مساجلته انسان · ولكن البديع

استطاع ان يحتـــال عليه بكتابات ضارعة ، ورسائل متواترة ، حتى

وصل الى حضرته ، واستطاع ان يجر الشيخ الى مســـاجلته ومناظرته في

مجالس شهدها علية القوم ، وفي تلك المجالس صال البديع وجال ، وتطاول على الشيخ الذي كان قد اسن ، وكان

بديع الزمان في ميعة الصبا وعنفوان الشباب ، طار على اثارها ذكره ، وذاع صيته وانهالت عليه الاعطيات

والهبات ، وخلا له الجو بمـــوت الخوارزمي ، فتنقل في عرض البلاد وطولها ، حتى لم يبق ــ كما يقول

الثعالبي ــ من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة الا دخلها ، وجنى ثمارها ولا ملك ولا امير ولا وزير الا واستمطر

بنوئه ، وسرى في ضوئه ، فحصلت له نعمة حسنة ، وثروة جميلة ، حتى

القى عصا التســـيار كما قلنا في « هراة » ··

ويقال انه جن في آخر حياته ، وظل مجنونا حتى مات ، كما قيل انه

مات مسموما ، وكما قيل انه أصيب بسكتة ظنه القوم بها قد مات فدفنوه، وانه نبش قبره بعد حين فالفى في

ركن من أركانه في هيئة الجالس ، وقد قبض على لحيتـــه نادما على

ما أسلف في حياته ، وعلى ما اعتدى عليه من كرامات الناس !

***

وهكذا طوى الزمان صفحة حياة

بديع الزمان بخيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وبقيت صفحة أدبه ناصـــعة

مشرقة في تاريخ الادب العربي بمـــا خلف من رائق الشعر ، وفائق النثر

الذي يتميز بخصائص فنية عرف بها، وعد في طليعة اصحاب الاساليب في

ادبنا العربي · ويتمثل ذلك النثر في

رسائله الكثيرة ، ومقاماته المشهورة، وقد دبجت هذه الرسائل والمقامات بريشة فنان صناع ·

ويعنينا قبل كل شيء ان نؤكد هذه



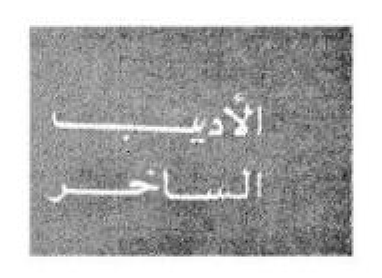
الحقيقة ، وهي أن تراث بديع الزمان - المنظوم منه والمنثور على السواء - يمثل تمام التمثيل صورة واضحة المعالم لشخصيته، ومرآة انعكست على صفحتها دخيلة نفسه ، وطبيعة مزاجه ، وآثار ثقافته · ثم هو بعد ذلك صورة واضحة للمثل التي رسمها لحياته ولسيرته في الحياة التي بلغ بها ما كان يريد من الجاه وذيوع الصيت في عالم الكتابة ، وما يشتهي من النعمة في عالم المال والثراء ··

وقد وفى البديع لهذه المثل ، ولم يحد عن طريقها قيد أنملة ، حتى اذا تنكب به طريق، فما أسرعه الى التماس غيره ، وسلوك سواه ، مما يراه أيسر مسلكا ، وأقرب الى تحقيق بغيته في الحياة ·

ولم تكن المصانعة والمداهنة ، ولا الكذب ولا النفاق ، ولم يكن التقلب بين المذاهب ، والاستكانة أحيانا والتعالي المصطنع لم يكن شيء من تلك الاخلاق، بل لم تكن تلك الصفات كلها رذائل من وجهة نظر بديع الزمان، لانه كان يؤمن بالمبدأ المعروف «الغاية تبرر الوسيلة» وهو المبدأ الذي طبقه في حياته ، ودارت حوله أكثر معاني أدبه · وفي ثلاثة من الابيات من انشائه ختم بها « المقامة القريضية » يصرح بهذا المبدأ الذي جعله فلسفته وأساس سلوكه في الحياة ، وهذه الابيات هي قوله :

ويحك ! هذا الزمـــان زور
فلا يغرنك الغـــرور
زوق ، وطرق ، وكل ، واطرق
واسرق ، وطبـــق لمن تزور
لا تلتزم حالة ، ولـــكن
در بالليالي كمـــا تدور

ويصور نظرته الى الناس ، وتمويهه عليهم ، في ثلاثة أبيات أخـــر في « المقامة الازاذية » يقول فيها :



أفنى العمر تشـــبيها
على الناس وتمويهـــا
أرى الايام لا تبـــقى
على حال فأحكيهـــا
فيوم شرهـــا فيَّ
ويوم شرتي فيهـــا

وهو لا يثبت على رأي ، ولا يستقر على حال ، وانمـــا يلبس لكل حالة لبوسها ، كما يقول :

ان لله عبـــادا
اتخذوا الغمر خليطـــا
فهم يمسون اعـــرا
با ويضحون نبيطـــا

ثم ان هذه الاخلاق لا تزايله ، فلا يشاء أن يدع المسكنة ، ولا أن يكف عن السؤال ومصانعة ذوي اليسار ، مصطنعا مذاهبهم ، ومتكلفا بخلهم ، حتى بعد أن حسنت أحواله ، وأصبح في نعمة ســـابغة ، وثروة طائلة ، فيقول :

لا يغـــــــــرنك الذى
انا فيه من الطلـــــــب
انا فى ثروة تشـــــــق
لها بردة الطـــــــرب
انا لو شئت لا تخـــــــذ
ت سقوفا من الذهـــــب
انا طورا من النبيـــــط
وطورا من العـــــرب !

هذه هى اخلاق البديع صريحة ، وهذه مثله سافرة ، وتلك فلسفته التى تصور سخريته بالحياة ، وسخريته بالناس فى زمن تكدست فيه الثروات فى أيدى عدد قليل من الطبقات من الخلفاء ورجـــال الدولة من الوزراء

والولاة وحاشيتهم ، وأمثـــالهم من كبار التجار وأرباب الضياع ، وبقى

السواد الاعظم من ابناء الشعب يعانى آلام المسغبة وضروب الحرمان ممـــا يتمتع به هؤلاء من الحياة النـــاعمة المتــــرفة ، وكان الادباء من الذين يحرصون على حياتهم ينتجعون اولئك المترفين ، ويعيشون على الفتات الذى يتناثر من موائدهم .

وكان صاحبنا يعرف من اين تؤكل الكتف ، فعرف كيف يسخر باديه ومواهبه من اولئك المترفين ، وعرف الطريق الذى يصل منه الى قلوبهم ،

وكيف ينفذ بفنه الى خزائنهم ليسلل بالحيلة والدهاء ما كنسوه فيها من الكنوز والثروات ، وذلك بان يقصد

مجالسهم ، ويتم مجتمعاتهم ، ثم يعــرض عليهم من آيات علمه ، ويسحرهم بفنون أدبه ، حتى يحملهم على الاعتراف بنبوغه وعبقـــريته ، وحينئذ يتشوق المجتمعون الى التعرف على هذه الشخصية المجهولة الفذة

التى سحرت ألبابهم ، بما نثرت امامهم من آيات العلم ودلائل المعـرفة ، وما

عرضت عليهم من فنون الادب ، فلا يعرفهم بشخصه ، ولكن يعرض عليهم

فاقته وخصاصته ، ويشكو اليهم سوء الحال وكثرة العيال ، حتى ترق له قلوبهم ، فيتسابقون الى اعطائه ، ويتنافسون فى الاغداق عليه، ثم يولى

هاربا حتى لا يفتضح امره ، ولا تعرف شخصيته ، حتى تتاح له الفـــرص المماثلة ..

تلك صـــورة موجزة لسيرة بديع الزمان وسلوكه ومآربه فى الحياة . وهى الصورة نفسها التى خلعها على « ابى الفتح الاسكندرى » الذى جعله

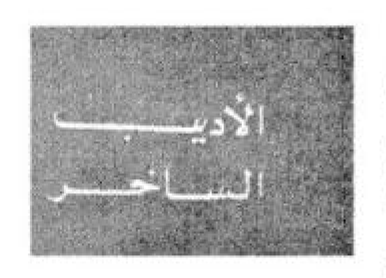
بطلا لمقاماته ، يرتاد مجالس الخاصة من السراة والاعيان ورجال المال ، ليروى لهم من علمه ، وينشدهم ما شاء

من شعره ونثره الذى يرتجله ارتجالا، فيسحر النفوس ، ويأخذ بمجـــامع

القلوب ، ويســـتخدم هذا وذاك فى الكدية والاستجداء ...

وقد استطاع بديع الزمان أن يجعل





من هذه « المقامات » فنا أدبيا جديداً من فنون الادب العربى عرف به ، ونسب اليه - ثم قلده فيه بعض الكتاب من بعده ، فلم يبلغوا مبلغه من الاجادة والاتقان ، ومن أشهر هؤلاء المقلدين أبو القاسم الحريرى الذى أصابت « مقاماته » شهرة كبيرة وذيوعا فى عالم الادب .

ويقول بعض مؤرخى الادب أن أبا بكر بن دريد قد سبق بديع الزمان الى كتابة « المقامات » وانه مبتدع هذا الفن فى الادب العربى ، وأن بديع الزمان لم يكن اماما فيه ، ولكنه نحا نحـــو ابن دريد فى كتابتها ، فلما أعوزهم الشاهد على ما زعموا قالوا ان مقامات ابن دريد قد ضيعها الزمان، وأن فقدها كان احدى حسنات الزمان، على بديع الزمان التى حسن بها حظه، وبزغ نجمه فى عالم الادب .

ومعنى « المقامة » فى الاصـــل اللغوى موضع القيام ، ثم استعملت بعد ذلك فى المجلس وجماعة الجالسين فيه ، ثم فيما يقال فيه من الكلام . قال الشريشى شارح المقامات الحريرية « والمقامات المجالس ، واحدها مقامة والمقامة الحديث يجتمع له ، ويجلس لاستماعه ، ويسمى مقامة ومجلسا ، لان المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس ، ولان المحدث يقوم ببعضه تارة ، ويجلس ببعضه اخرى »

واذا كنا نريد أن نحدد « المقامة » بين اجناس الادب المعـــروفة فهى اقربها شبها بالقصة القصـــيرة التى تعتمد على التركيز ، وتدور أحداثهـــا حول شخصية البطل ، وهى كما قدمنا شخصية « ابى الفتح الاسكندرى » وهو ـ كما صورناه فيما سبق ـ أديب عالم واسع المعرفة يقرض الشـــعر ويصوغ النثر ، ويخلب الجالس بروعة منطقه ، وسحر بيانه ، ويســـتدر عاطفتهم بهلهلة ثيابه ، وسوء حاله، او هو شخصية البديع نفسه .

وتندر فى المقامة الشخصيات الثانوية وفيها الحدث الذى تدور حوله المقامة، ولا يخرج عما سبق بيانه ، وفيهـا ما يشبه العقدة، وهى ذروة الحدث التى تتشوف النفوس عندها الى الحل ، ثم فيها ذلك الحل ، وهو معرفة شخصية البطل المجهول التى أراد أن يخفيهـا طوال الحديث ..

وفى كل مقامة راوية يروى أحداث الاقصوصة ، وهذا الراوية هو وحده « الشخصية الخيالية » التى اخترعتها مخيلة البديع ، وما عداه لا يعـــدو الواقعية فى شىء ..

ويبدو البديع فى تلك المقامات فى طليعة المهرة من الوصافين ، وذوى البراعة من المصورين ، والصـــور القلمية التى يرسمها بالكلمات الانيقة،



والتعابير الرشيقة للاشــــخاص أو للاحداث لا تكاد تجد لها نظيرا في الدقة وحسن الاخراج • وقد أعانه على هذا الابداع الامساك بعنان اللغة، وامتلاكه ناصيتها ، وذلك الثـــراء الملحوظ من مفرداتها ، والقدرة الفائقة على تطويعها لمقتضيات الاحـــوال ، ومجاراتها لطبيعة الموضـــوعات التي يفتن فيها • كما أعانه على ذلك الابداع في الوصف ما عرف به البديع من دقة الملاحظة ، ونفاذ الخاطر ، والطبــع المواتي على التصوير والاستقصاء ، معـــا لا تكاد تجد له نظيرا عنـــــد المبدعين من حملة الاقلام •

واذا كان البديع قد عرف بالصنعة التي كانت سمة العصر الذي عاش فيه وطبيعة القرن الرابع فيه ، فان الصنعة في كتابة البديع لا تعني شيئا غيـر الاناقة المطبوعة التي يتميز بها الفن الادبي من سائر ألوان التعبير اللغوي •• واذا كان كذلك يلتزم الســجع ، وتقصير الجمل في جل ما كتب ، فانك لا تجد في تلك الجمل القصار ، ولا في ذلك السجع الذي التزمه في رسائله وفي مقاماته لفظة الا وهي مستقرة في موضعها الذي يقتضـــيها ، وفي المعنى الذي يتطلبها •• ولا تلحظ في ذلك البيان المصنوع أو الكلام المسجوع اثرا من اثار التعمل ، ولا سمة من سمات التكلف التي قد تلحظ شيئا من اثارها في كتابات غيره من الادباء المطبوعين •

واليك نموذجـــا من أقصر مقامات البديع ترى فيه معالم هذا الاسلوب وخصائصه الفنية • وتلك مقامتـــه العشرون التي ســــــماها « المقامة القردية » وفيها يقول :

« حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا أنا بمدينة السلام ، قافلا من البلد الحرام ، أميس ميس الرجلة ، على شاطىء الدجلة ، أتأمل تلك الطرائف، وأتقصى تلك الزخارف ، وانتهيت الى حلقة رجال مزدحمين يلوي الطـــرب أعناقهم ، ويشق الضحك أشداقهم ، فساقني الحرص الى ما ساقهم ، حتى وقفت بمسمع صوت الرجل دون مرأى وجهه لشدة الهجمة ، وفرط الزحمة ، فاذا هو قراد يرقص قرده ، ويضحك من عنده ، فرقصت رقص المحرج ، وسرت سير الاعرج ، فوق رقاب الناس يلفظني عاتق هذا لسدة ذاك ، حتى افترشت لحية رجلين ، وقعدت بعد الاين ، وقد اشرقني الخجل بريقه ، وارهقني المكان لضيقه ، ولما فرغ القراد من شغله ، وانتفض المجلس عن أهله ، قمت وقد كساني الدهش حلته، لأرى صورته، فاذا هو والله أبو الفتح الاسكندري ، فقلت : ما هذه الدناءة ويحك ! فانشأ يقول :

الذنب للايام لالـــــــــــــي
فاعتب على صرف الليـــــالي

بالحمق ادركـــــــت المنى
ورفلت في حلل الجمــــــال

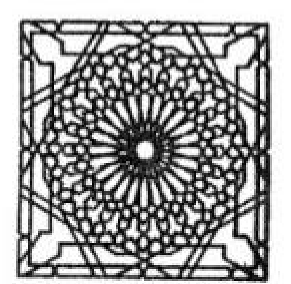
وأسلوب البديع في كتابه المقامات كما رأيناه هنا هو أسلوبه في سائر ما كتب من رســـــائل ، وفيه تلك الخصائص الفنية التي ذكرناها ٠

وتمتاز معانيه بالاغراق والغلو الذى يجاوز حد الاعتدال ، وذلك لتقرير معانيه وتأكيدها ، ونلمح آثار ذلك الغلو فيما كتبه مادحا أو مستعطفا أو هاجيا أو واصفا ٠ كما نجد أخلاقه بادية في كتابته فهو ذليل بين الضراعة، اذا كان المقام يقتضى ذلك ، أو اذا كان

يريد انتهاز سانحة أو اهتبال فرصة ، وسنرى أثر ذلك في أولى رسائله الى الاستاذ ابي بكر الخوارزمي الذى يلتمس فيه زيارته وورود مجلســـه

وفيها يقول : « انا لقرب الاستاذ كما طرب النشوان مالت به الخمر ، ومن الارتياح للقائه كما انتفض العصفور بلله القطر ، ومن الامتزاج بولائه كما

التقت الصهباء والبارد العذب ، ومن الابتهاج بمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب ٠٠٠ »



كما نجده مستعليا شديد المغالاة اذا أحس بالغلبة كما يبدو ذلك في رسائله التي نال فيها من ذلك الاستاذ نيلا اليما بعد أن قضى لبانته وادرك مأربه في الغلبة وذيوع الصيت ٠

وكان بديع الزمان ضنينا شحيحا حتى على أحق الناس برعايته وأولاهم ببره ، بعد أن ابتسم له الزمان واصبح من ذوى النعمة والثراء في هراة التي قر بها قراره ٠

وقد كتب منها لأبيه الذى كان لا يزال مقيما بهمذان يطلب اليه الرحلة الى هراة مع أخيه وأمه ليروا آثار هذه النعمة التي اصابها وليروا أنه اصبح يملك الضياع الواسعة والقين من الثيران والفا من العمال يعملون في ضياعه ، فلم يستجب الاب لدعوته وكتب اليه على لسان أمه يسأله العون على نوائب الزمان وأسباب الحرمان ، فلم يجبه الى طلبه بل كتب رســـالة مقذعة نال بها من أمه وأسرف في النيل منها غاية الاسراف كما تعود ذلك في اقذاعه ونيله من أعلام الرجال وأساطين الادب ٠

وكأنه اتخذ من تلك الهبة الالهية ومن ذلك الفن الانساني الرفيع اداة يرهب بها كل من يتحدى ارادته ومن يعترض سبيله في الوصول الى ما يشتهي من أغراض الدنيا ٠

وذلك ما يؤخذ على هــذا الاديب الكبير الذى نجد في ادبه ذلك الهجاء المقذع الذى لا يعف فيه عن ذكــــر السوءات ولا كشف العورات ، بل اننا في كثير من الاحيان نجده يصرح بما يقبح ذكره ولا يكنى عنه بما يدل على ما يريد ٠٠

وما كان قلم البديع ليعجــز عن بلوغ ما يريد ٠٠

د. عبده بدوى

سوف أبقى

ارجعتـــــنى لاخضرار الارض والـــــزمن
وللحنـــــان الذى ينـــــدى على المـــــدن

وللجـــــلال بمصر .. وهى ما برحت
ـ رغم الشحوب الذى فى الوجه ـ تعرفنى

قد اســـــلمتنى يداها وهى والهـــــة
لبحر حـــزن بلا قاع ، ولا ســـــفن

ما ضمنى فى الشط هدب مجهـــد حذر
او مـــال نحـــوى انســـــان ليـــكفلنى

او قالت امـراة ـ والخـــوف يعصرها ـ
لا تقتلـــــوه عسى يا قـــــوم ينفعـــنى

او جاذبتنى شـــــطآن بنضرتهـــا
فـــكل شىء مع التيـــــار يســـــلمنى

وكم بكيت ـ وكف المـــوت فى عنقى ـ
بيتا صـــغيرا من الصفصـــاف واللبن
ونجمـــــة ، وســـــحابات ملـــــونة
وربوة بشـــجى الشـــعر تنشـــدنى

.. فقد بكمت وصار الشـــعر من زمن
هو الوزير الذى اشكو ... فيفهمنى !

***

واليـــــوم تنبت فى جنبى اجنحـــــة
وتســـتدير ، وتعلـــو ، ثم ترفعـــــنى

فى داخـــل جنة تنـــداح فرحتـــها
والشمس تومض بعد اليـــاس والحـــزن

٠ ٠ لا ارتجي غير عش طـول اغنيـة
وعـرض فرحـة عصـفور على فنن

وان اقول فلا تنصـب فى غضـب
كف تشـد لسانى ، ثم تسـكتنى

لا يطـرق الهم بـابى ، او يتـابعنى
بين الشرايـين وجـه مصمت وثنى

اصحو على فـكر كالطـير واثبـة
وان غفـوت ففى ياقـوتة الوسـن

٠ ٠ فهل يميل جناحى نحـو اودية ؟
وهل يحط ـ مع الاشـواق ـ بالسكن ؟

***

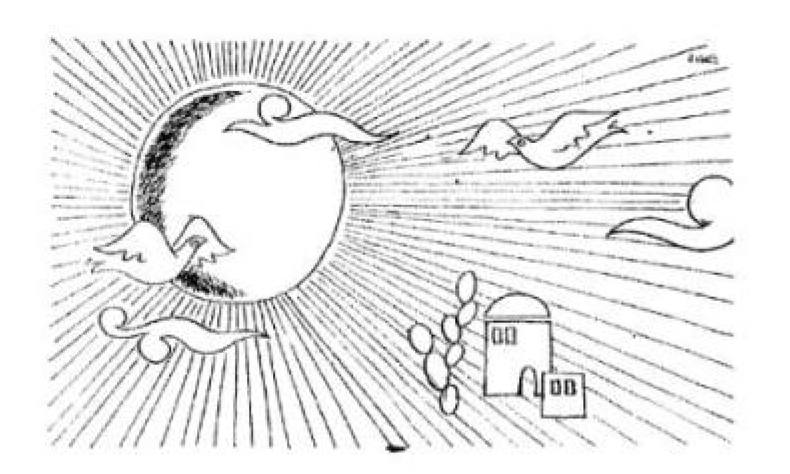
يا صـاحب الوجه فيه اخـوتى وابى
وفيه كل الـذى فى النـور من حسن

فتحت بابك والابـواب محـكمة
من بعد سبع عجـاف عشن ياكلـنى

٠ ٠ واليوم مهما يكن من عصف عاصفة
لن اضرب البحر كى ينشـق فى محنى

ولن اودع اياما هنا سـلفت
فى ذلك الركن من نفسى ٠ ٠ ومن وطنى

فسـوف ابقى كالافكار مخلدة
وكالسـنا ، والندى ، والفجـر ، والزمن



■ د. عبد الحميد يونس ■

لكل معلم من معالم التاريخ مكانة تميزه ، وتذيعه بين الاجيال وقد يكون هذا المعلم ظاهرة او موقفا او شخصية . وليس من شك فى ان «عبد الحميد الكاتب» معلم من معالم التاريخ العربى او الاسلامى على طوله فى الزمان واتساع رقعته فى المكان. واقتران

الكاتب الأول

عبد الحميد الكاتب

اسمه بلقب « الكاتب » يؤكد هذه الحقيقة ، ذلك لان مهنة الكتابة والاشتهار بها والتخصص فيها كانت فى ذاتها مرحلة من مراحل التطور الحضارى فى تاريخ الدولة العربية والخلافة الاسلامية . ولقد سبق عبد الحميد رجال كانوا بالنسبة اليه بمثابة التمهيد او الريادة . ولم تكن العبارة المشهورة فى كتب الادب وهى «بدئت الكتابة بعبد الحميد» تنطوى على شىء من المبالغة، وانما كانت تلخيصا صادقا لواقع حضارى..

ليس من غرضنا ، ونحن نواجه هذه الشخصية الرائدة والفذة في الادب العربي ، أن نتتبع بالتفصيل أو الاجمال شخصية الكاتب ، منذ بدأت الدولة الاموية ، الى أن اسلمت القياد الى بنى العباس ،

وحسبنا أن نسجل أهمية الكاتب بالنسبة الى الدولة ، لا في كتابة الرسائل فقط ، ولكن في توطيد أركان

الحكم ، وفي توثيق أواصره ، وفي الحرص على أصوله ومبادئه ، وفي الحفاظ على القيم الانسانية والمثل الاخلاقية ، ولذلك اقترنت مهنة الكتابة ، ولا تزال تقترن ، بالدولة · ويعد الكاتب بهذه المثابة ممثلا للهيئة

الاجتماعية في الحكم والتوجيه معا ، ولا تزال مصطلحات الوزارة مستعارة من الكتابة في كثير من الدول المعاصرة واللغات الحية اليوم ·

ولا تمدنا الوثائق الشخصية أو العامة أى قبس من النور يضيء سيرة

عبد الحميد الكاتب ، ذلك لان العصر لم يكن يحفل بالمواقف والعلاقات الذاتية الا بمقدار ، بل ان الكاتب الذى يعيش على التسجيل والتعبير انما

استخدم التدوين ، تعبيرا عن غيره ، فقد كان يكتب باسم الحاكم ، عاملا كان أو خليفة ، وقلما عبر عن مواقفه ومشاعره ، وهو اذا فعل فانه لم يكن

بنفسه ، ولو الى لحظة واحدة ، أنه انما يوجه رسالته الى أكثر من مخاطب ، لان ما يكتبه مثال يحتذى ونموذج يتردد بين كاتبين وقارئين ومستمعين ·

واذا كان الغموض يكتنف سيرة عبد الحميد كما اكتنف سير معاصريه ، فان هناك ثلاث حقائق بارزة ، تستحق التنويه :

الاولى : انه فارسى الاصل ، وانه من الموالى ، ومعنى هذه الحقيقة انه كان يمثل رافدا حضاريا في نهر الدولة الجديدة ·

والثانية : انه قضى الجانب الاكبر من حياته في الشام ، حيث نشأ ونبغ ، واكسبته هذه البيئة المقوام الثقافى الذى أثر في توجيه حياته ·

والثالثة : انه عاصر فترة عصيبة من فترات الحكم الاموى ، وخدم بصفة خاصة آخر الخلفاء الامويين مروان ابن محمد ، ومات في سبيله · وهو في ضوء هذه الحقائق الثلاث على اجمالها يمثل ظاهرة فنية وثقافية وحضارية ·

ولم تستطع المراسم الديوانية باصولها وقوالبها أن تذيب شاعرية عبد الحميد في محنته الكبرى فقد ذكرت كتب الادب أن عبد الحميد الكاتب بعث برسالة مؤثرة الى أسرته بعد معركة الزاب وهزيمة الخليفة الاموى مروان بن محمد وفيها يقول :

« اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالمكاره والشرور ، فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ، ومن عضته بنابها ذمها ساخطا عليها ، وشكاها مستزيدا لها · وقد كانت اذاقتنا افاويق استحليناها ، ثم جمحت بنا نافرة ، ورمحتنا مولية ، فملح عذبها ، وخشن لينها ، فابعدتنا عن الاوطان ، وفرقتنا عن الاخوان ،

فالدار نازحة ، والطير بارحة · وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعدا ، واليكم وجدا ، فان تتم البلية الى آخر مدتها ، يكن آخر العهد بكم وبنا ، وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار ، والذل شر جار ·· نسأل الله الذى يعز من

يشاء ويذل من يشاء ان يهب لنا ولكم الفة جامعة فى دار أمنة ، تجمع سلامة الابدان والاديان ، فانه رب العالمين وأرحم الراحمين » .

ولا يذكر عبد الحميد الكاتب الا مقترنا باسم معاصره المشهور عبد الله بن المقفع ، ولكم عقد البلاغيون والنقاد الموازنة بين أسلوبيهما ولكننا نسجل موقفا دراميا آخاذا ، يرقى على مناهج التوثيق للنصوص والاخبار ..

فقد روى أن ابن المقفع كان يكتب لداود بن هبيرة عامل العراق من قبل مروان ، وطوت جحافل العباسيين العراق وقتلت داود وأهله ، ولم يجد ابن المقفع بدا من الفرار الى البحرين .. وتذهب الرواية الى أن عبد الحميد الكاتب فر الى صديقه ابن المقفع بعد معركة الزاب وأقام معه فى داره . وانتشرت عيون العباسيين تبحث عن عبد الحميد واستطاعت أن تعرف مخبأه ففاجأته فى دار صديقه ابن المقفع . وتمضى الرواية فتقول أن الجند واجهت الصديقين متسائلة أيكما عبدالحميد ؟ فقال كل منهما : « أنا هو » . وكاد الجند يصرعون ابن المقفع لولا أن صرخ فيهم عبد الحميد أن يتمهلوا حتى يستوثقوا من أوصاف الشخص الذى جاءوا فى طلبه . واستطاع الجند التعرف على عبد الحميد وقبضوا عليه وقتل عام ١٣٢ هـ .

بلاغة العرب وبلاغة العجم

ويكاد مؤرخو الادب العربى ونقاده عندما يعرضون لفنون النثر فى عصر بنى أمية أن يجمعوا على عقد موازنة بين عبد الحميد الكاتب وابن المقفع لكى يتبينوا مدى تأثر كل منهما بمناهج الفرس وأساليبهم فى التعبير والصياغة ، وهم لا يختلفون فى أن كلا منهما قد تأثر بالمزاج الفارسى ، ولكن ابن المقفع كان أقوى من صاحبه تأثرا بهذا المزاج فى التفكير والتعبير معا ، وأن عبد الحميد استطاع أن يذيب العناصر الفارسية فى الفطرة الاصيلة للبلاغة العربية . ولقد جرت العادة أن تفضى مثل هذه الموازنة بين الكاتبين الكبيرين عبد الحميد وابن المقفع الى موازنة أوسع بين بلاغة العرب وبلاغة العجم .

ومقومات أسلوب عبدالحميد لايمكن أن تتضح الا على أساس المعايير التى استخدمت فى تلك الموازنة الموسعة بين بلاغة العرب وبلاغة العجم . والمعيار الذى يجمع فى أعطافه سائر المعايير فى تلك الموازنة هو غلبة الفطرة أو الاصالة عند العرب، وغلبة الصنعة أو التقنية بالمصطلح الحديث عند العجم . ويبدو أن الباعث على هذا التفريق كان استجابة لمواجهة ما يشبه « مفرق الطريق » فى التاريخ العربى ، مما يذكرنا بما نعقده فى

الكاتب
الأول



هذه الايام من مناظرات بين الاصالة من ناحية ، وبين المعاصرة من ناحية اخرى • وظهور هذين الكاتبين فى مرحلة تحول هو الذى عمل على تقوية هذه المواجهة لمفرق الطريق بين الفطرة والتقنية •

بيد ان ارتباطهما بالدولة وما ينبغى لها قد طوع الكتابة لوظائف جديدة لم يكن للعرب بها عهد من قبل •• وليس من شك فى ان فنون الكتابة قد استوعبت بعض خصائص الادب المجهور او الملفوظ ، وليس من شك كذلك فى انها استحدثت اساليب جديدة ، تكافىء التدوين ، ولابد عند الموازنة بين الفطرة وبين التقنية او الصنعة ان ندخل فى حسابنا الاغراض الجديدة التى ظهرت فى فن الكتابة ، وهى اغراض ترتبط بمراسيم الدولة وفنون تدبير الحكم اكثر من ارتباطها بأى شىء آخر • ومن هنا تجاوز اكثر الذين عقدوا تلك الموازنة ، القصد فى الاحكام لانهم لم يدخلوا فى حسابهم خصائص الكتابة وطاقتها والفرق بينها وبين الجهر المستعين بالايماءة والاشارة والحركة فى بعض الاحيان • ولقد ذهبوا الى ان الايجاز من مقومات الفطرة العربية والاصالة البدوية ، وان الاطناب من خصائص العجم ومن اليهم • والواقع ان جانبا من الاطناب اقتضته طبيعة التدوين الى جانب الاغراض الجديدة المستحدثة فى النثر العربى وقتذاك •

ومن اعجب القصص الذى الف اقتناعا بخصيصة الاطناب فى كتابة عبد الحميد وتأكيدا لها ما روى من ان ابا مسلم الخراسانى عندما قويت شوكته وانتشرت دعوته كتب عبد الحميد اليه - على لسان الخليفة الاموى مروان بن محمد كتابا يغريه فيه بالانضمام الى جانب الامويين ، وحمل الكتاب على جمل لكبر حجمه ، وقال عبد الحميد للخليفة ، وهو يزهو بقدرته على تدبيج الرسائل : « لقد كتبت كتابا متى قراه بطل تدبيره ، فان يك ذاك والا فالهلاك » •

وتقول القصة ان ابا مسلم لم يشف باله بقراءة الكتاب وانما امر باحراقه

ويرتبط الاطناب فى فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب بالحضارة ، التى كانت الدولة الاموية قد قطعت فيها شوطا ، وادى ذلك بالضرورة الى الاخذ بأسباب التوضيح والتحديد فى المعانى والمقاصد ، والنأى عن الغموض والالتباس ، ولذلك اخذ عبد الحميد ، وهو كاتب الخليفة بهذا الاتجاه ، وافاد - الى حد ما - من بلاغة العجم • ويقول الاستاذ محمد كرد على فى ذلك :

« ••• ولقد احتاج العرب ، بعد

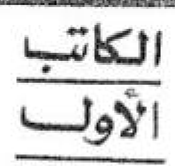
توسعهم في الملك ، الى تقرير المسائل على جليتها ، لا يعتورها لبس ولا اشكال · ومن مواجب الحضـــارة الاســــهاب ، ومن دواعي البداوة الاقتضاب فعبد الحميد اذن تشـبع بروح الدولة وروح حضارتها ، التي بلغت في ايامه أعلى قممها ، ورسم ببراعة صورة ما أحاط به واقتضاه الحال ·· » (١)

وهناك ملاحظة ، تدعو اليهـــا دراسة فن الرسائل عند عبد الحميد الكاتب وهي اهتمامه بالايقاع المنتظم والمتوازن في عباراته ، ولم تكن هذه الخصلة نتيجة الاحتفال بالشعر في الحياة العربية وتأثرها فحسب ، وانما كانت ثمرة من ثمرات الاخذ باسباب الحضارة ايضا ، ونحن نجد الايقاع المتتابع والمنتظم في الكثير من رسائل عبد الحميد ، بل نجد السـجعات والفواصل ، التي تدعم التناغم في أسلوبه ·

وعندما نواجه العناصر التي امتاز بها أسلوب عبد الحميد فان الواجب يقتضينا ان نتذكر أن هذا الاسلوب لا يمكن أن ينفصل عن سائر الفنون التي أعطت العصر الاموي طابعـــه الخاص به · لم يعد من الصـــواب أن نحكم على الازدواج أو الترادف أو السجع ـ مثلا ـ بمعزل عن فنون العمارة والغناء وما اليهما من تعبير وتشكيل · والاخـــذ والعطاء بين الثقافات والحضارات لا يفرض على الباحث أفكارا مسبقة ، ولا يجحد فضل شعب أو عصر · وليس من المبالغة أن نصف نثر عبد الحميـد بأنه من آداب الملوك ، لانه في أكثر أبداعه كان ينشيء لهم وباسمهم ، وسلوكه معهم قد فرض عليــه من التوازن في السلوك ، ومن الاناقة في الزي ، ومن الانتظام في الحركة ما يجعل نثره يمتاز بهذه السمات ، التي زاوجت بين الزخرف واللفظ والقصد، فكان أسلوبه يميـــل الى الاطالة ويتوسل في بعض الاحيان بالزخرف من سجع وترصيع ، ويأخذ في الوقت نفسه باختيـــار الالفاظ الرشيقة والعبارات المصقولة ، ويلجأ الى كثرة العطف والتـرادف توضيحا للمعنى وتأكيدا للقصد · أما التحميـدات الطويلة فسواء اقتبس منهجها عن الفارسية أو لم يقتبس ، فانها كانت من شارات التعبير الملكي أو الاميري·

ولقد مر بنا أن أكثر رسائل عبد الحميد كانت باسم الخليفة أو بأمره ·· ولعل هذه الفقرة التي يشيع فيها الزخرف اللفظي تمثل تقنية هـذا الكاتب الى جانب الاسلوب الحضاري العام في الفترة التي عاشها ، ولقد وجهها باســـم الخليفة الى بعض الخارجين عن طاعته :

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، ص ٦٠٠ م ٩ ·



« أما بعد : بلغني كتابك . تذكر أنك تحمل المرد على الجرد ، فسترد عليك جنود الله المقربون ، وأولياؤه الغالبون ، ويرد عليك مع ذلك حزبه المنصور من الكهول ، على الفحول ، كأنها الوعول ، تخوض الوحول ، طوال السبال تختضب بالجريال ، رجال هم الرجال ، بين رامح وناشب ، ليس معهم الا كلب محارب ، ولا يتكلون عن الاصحاب . قد ضروا بضرب الهام .. واعتادوا الكر والاقدام ، ليسوا بذوى هيئة ولا احجام ، يغضون بالسيوف ويخالطون الزحوف ، في أعناقهم الحتوف ، يزأرون زئير الاسود ، ويثبون وثوب الفهود ، ليس فيهم الا شاك محتبك في الحرب مجرب ، قد شرب على ناجذ الحرب واكل ، ذو شقشقة وكلكل ، كأنما الشرب وجهه نقيع الحناء ، قد رئم الحرب ورضعها ، وغذته والفها ، فهي امه وهو ابنها يسكن اليها ويأنس بقربها ، فهو بطلبها ارب ، وعلى اهلها حرب ، لا يروعه ما يروع ، ولا يزيغه ما يزيغ الغمر الجبان ، حين يشتد الوغى ، وتخطر القنا ، وتقلص الشفاة ، وتسفر الكماة ، فعند ذلك تسلمك المرد ، وتكشفم عن الجرد . فتأهب لذلك أهبتك ، واخطب له خطبتك ، من المساكين والعوكة ، ثم كيدوني جميعا فلا تنظرون ، فما اسرنا اكثارك الجموع ، وحشدك الخيول ، فانك لا تكثف جمعا ، ولا تسرب خيلا ، الا وثقتنا بأن الله سيمدنا من ملائكته ، ويزيدنا من نصر ، بما قد جرت به سنته ، وسلفت به عادته » .

كاتب سر الدولة

ان كل من يؤرخ للمجتمعات ، على اختلاف ثقافاتها وحضاراتها ، لا يمكن أن يغفل شخصية القائم على الكتابة ، نيابة عن الحاكم ، او تمثيلا للدولة . ولقد سبق أن ذكرنا أن لقب « الكاتب » الذى اقترن به اسم عبد الحميد انما يدل على أن « الكتابة » كانت قد أصبحت من الناحية الرسمية دعامة من دعامات الخلافة أو الملك ، وشارة من شارات الحضارة ..

وكان من الطبيعي أن يؤصل الرواد من الكتاب المعبرين عن الهيئة الاجتماعية ، الممثلين للدولة ، الكاتبين باسم الخليفة أو ولى الامر أو الوالى ، القواعد والاخلاقيات التى ينبغى أن يلتزمها كل من يرقى الى هذه المرتبة ، ويشرف بتلك المهنة . وفى تاريخ الفكر العربى مصنفات تترجم لنوابغ الكتاب ، وتسجل ما ينبغى للكتابة من قواعد واصول ، وما لابد أن يتحلى به الكاتب من فضائل فى القول والعمل جميعا .

وما من كتاب من هذه الكتب الا بدأ بالآداب التى رسمها عبد الحميد

لكاتب الدولة • وهي تضع هـــذه الاداب في مكان الصدارة ، لا لان القواعد والاصول التي سجلها كانت من أوائل النصائح التي توجه الى الكتاب من الناحية التاريخية فحسب، ولكن لانها كانت ثمرة تجـــربة وحصيلة ثقافة أيضا •• تجربة رجل كابد مهنة الكتابة للدولة في مرحلة من أدق مراحلها ، وحصيلة ثقافة التقت فيها روافد من امم ســابقة اشتهرت بالحضارة كالفرس واليونان

واذا كان عصر عبد الحميد وابن المقفع قد شهد ظهور رسائل متعددة في فن تدبير الملك وآداب السلوك وأساليب التـربية بالقصص ، فان ذلك يؤكد حاجة النزوع الحضـــاري وقتذاك الى تسجيل المبادىء الاساسية التي تشبه الدســـتور في تنظيم العلاقات والافعال • وليس من شك في أن رسالة عبد الحميد ، الكاتب الاول ، الى الكتاب وثيقة من أنفس الوثائق التي تنطق بمكانة الكاتب من الهيئة الاجتمـــاعية ، كما تعلن عن مســـئولية الكاتب وسلطان الكلمة المكتوبة في الوقت نفسه •

وليس أدل على مكانة كاتب الدولة من هذه العبارة التي افتتح بها عبـد الحميد رسالته الى الكتاب :

« أما بعد ، حفظكم الله يا أهـل صـــناعة الكتابة ، وحاطكم ووفقكم وارشدكم ! فان الله عز وجل جعـــل الناس بعد الانبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن بعد الملوك المكرمين – أصنافا ، وان كانوا في الحقيقة سواء ، وصرفهم في صنوف الصناعات ، وضروب المحاولات الى أسباب معايشهم ، وأبواب أرزاقهم ، فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الادب والمروءة والعلم والرواية• بكم تنتظم للخـلافة محاســـنها ، وتستقيم أمورها ، وبنصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ، وتعمـــر بلادهم » •• !!

وعلى الرغم من وجوه الخلاف بين مهمة الكاتب في تلك المرحلة التاريخية، وبين مهمته في العصور التي اعقبتها فان الكثير من الاخلاقيات التي أوردها عبد الحميد لتكون دستورا للكاتب ظلت بمثابة النموذج أو المثال الذي يعمل الكاتب جهده لبلوغه أو القرب من مستواه ، وهو يطلب من الذين يتحلون بشرف هذه المهنة أن تكون لهم رؤيا تقوم منهم مقام قرون الاستشعار عند بعض الكائنات الحية ، وذلك الى جانب التسلح بالعلم والفضل ••

وقد استطاع النثر بفضل الكتابة والكتاب أن يقف الى جانب الشعر الذي ظل الفن الغالب على الانسان العربي دهـــرا ، ووقف الكاتب في الصف الاول من المجتمع العربي • ولقد كانت الذاكـــرة ، الى جانب خصائص الشعر ، المعينة على الحفظ

الكاتب الأول



والترديد ، هى التى حافظت على عيون القصيد ، حتى اذا عرفت الحياة التدوين ، واستغنت هونا عن الذاكرة، استقر النثر فى مكانته الممتازة لارتباطه بتوثيق الاوامر وحفظ المصالح وتدبير الامور المرتبطة بالحياة اليومية . ومن اليسير أن يوازن المرء بين مكانة الشاعر ومكانة الكاتب بالنسبة الى الهيئة الاجتماعية، ممثلة فى الدولة ، وبالنسبة الى جد الحياة ولهوها . ونحن لا ننكر أن الشعر ظلت له وظائفه الحيوية والاجتماعية والقومية ، ولكننا نسجل فقط ظاهرة ارتقاء النثر بفضل كتاب سر الدولة الى مكانة ممتازة ، لا تقوم على العصبيات والانساب بقدر ما تقوم على العلم والاحساس بقوة الكلمة ومسئولية كاتبها . ومن أجل ذلك اقترنت صفة الكاتب بهذا الرائد الاول فى تاريخ الكتابة العربية وهو عبد الحميد

واتصال الكتاب بالدولة جعلهم بفضل مهنتهم يختلفون من حيث الوظيفة عن أكثر أفراد الحاشية، لانهم مطالبون بالنصيحة الجادة ، والعمل الرشيد . أما غير الكتاب فقد يتحولون الى الندمان ارضاء للسلطان وتزجية لفراغه . ولقد تشبث بعض الشعراء بعصبياتهم القبلية ، واستمروا فى مناقراتهم ونقائضهم ، وغلبت الغنائية العاطفية على شعراء آخرين ، يعتصم بعضهم بالعذرية ، أو الحب الافلاطونى ، ويتلهى بعضهم الاخر بتسجيل مواقف ، يغلب عليها اللهو ، وتدفع اليها الفتنة ...

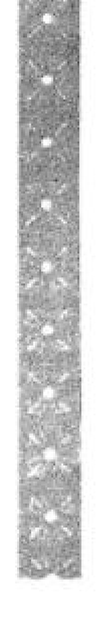
أما كتاب سر الدولة ، وأولهم عبد الحميد ، فكانوا يناقضون شخصية المتشبث بالقبلية أو المتغنى بالمثال الذى يتجاوز الواقع ، أو الفارغ الذى يقضى على فراغه باللهو ، وكانوا لا يتخصصون فى المنادمة ، ولا يأخذون من مجالسها الا بمقدار ، كما تدل على ذلك سيرة نموذجهم الاول عبد الحميد .

وهذه الشخصية استطاعت ان تتجاوز حدود عصرها ، وأن تظل بخلائقها وبالاصول التى وضعتها للكتاب مثالا حضاريا ، يستحق الاحترام والتقدير . وما بقى من رسائله الديوانية والاخوانية لا يكشف عن اسلوب العصر الاموى فحسب ، ولكنه يصور الملامح الحضارية للدولة العربية او الاسلامية قرونا متطاولة بعد وفاته .. والحق ان الكتابة ، فى تاريخ العرب ، قد بدأت بعبد الحميد ، ولكنها لم تقف بابن العميد ...

د. محمد أبو الأنوار

عبد الله بن المقفع

"الرجل.. الأسلوب"



●● هذا الرجل سيرة واسلوب ..

السيرة تعنى مجموعة المواقف والاتجاهات والصفات التى تخص شخصا بعينه ، وفى كل سيرة لا بد من سمات تميز صاحب السيرة فى عقله وشعوره ، وخلقه ومزاجه ، وما يتبع ذلك من انماط سلوكه واتجاه غاياته واهدافه .

والاسلوب ـ الذى نعنيه هنا ـ هو مجموعة السمات التى تميز صاحبها عن غيره ، انه النمط الخاص الذى يستغرق صاحبه مهما تغيرت الظروف والاحوال والملابسات التى يعايشها ، والغايات والمناسبات التى تحركه ، فالانسان الذى تميزه صفات فى عمله ، وفى منزله ، وفى ناديه ، وبين رفاقه ـ لا بد ان يجد من يريد فهمه وتحليله خيطا واحدا ممتدا يحكم هذه الشخصية ويميزها ، هو مفتاح الفهم لها والحكم عليها ، فى كل مجالات حياتها ، وملابسات سلوكها ●●

ان جميع الوسائل الفنية التى يلجأ اليها الاديب فى الافضاء بافكاره ومشاعره تمثل ذاته اقوى تمثيل ، ما دام اديبا يصدر عن عقله وشعوره وخلقه ومزاجه، ولذا فاننا اذا قرأنا آثاره الادبية نجد فيها كل سماته النفسية والفكرية والشعورية ، وهنا تصدق كلمة « بوفون » فى دقتها وروعتها « الاسلوب هو الرجل » ، وبذلك فان الاسلوب يعنى فى النهاية الانطباق التام بين السيرة ، وما يعادلها أو ما يترجمها ويجلى منابعها التى تصدر عنها ، وغاياتها التى ترمى اليها ، وشاراتها التى تختص بها ..

وينبغى أن نتذكر جيدا فى هذا السياق أن الكلمة الادبية التى تصدر عن تأمل لها وايمان بها تتعدى كثيرا جوانب الدلالة المعجمية ، وتنأى أن تقاس بمقاييس الحياة اليومية من حولها : لانها تهدف الى ما هو اكبر وأعظم ، ذلك انها تمثل الوجود الحى للبعد الداخلى للانسان فى موقف معاناة ... وكان ابن المقفع يدمن التفكير والتأمل حتى فيما يرويه عن الاخرين أو ينسبه لهم ، وكان يجتر ذاته اما عن طريق ما قاله الاخرون وتأمله ، واعجب به ، أو عن طريق لمح معان وافكار اخرى يقدمها من عنده ، ومن كل ذلك فان الكلمة التى تفيض بها نفسه انما هى تعبير حى عن الاعماق البعيدة والسمات الخاصة التى تميز شخصيته .

● تلميذ فى حاضرة العلماء ●

ولد ابن المقفع على وجه التقريب عام ١٠٦ أو ١٠٧ للهجرة ، وقتل بين عامى ١٤٢ ــ ١٤٥ ، ويقال انه عاش اربعين عاما أو قريبا منها ، وكان مولده بقرية من قرى فارس اسمها « جور » وهى المعروفة حاليا « بفيروز اباد » وكان اسمه بالفارسية (زوربة ابن داذويه) ومعنى اسمه (المبارك) فلما أسلم تسمى بعبد الله وتكنى بأبى محمد ، ويقال أيضا انه ولد بالبصرة، على أنه من المعروف أن بقعة الاهواز التى منها قريته الفارسية قريبة من البصرة ..

وتروى أسباب مختلفة حول اصابة يد أبيه بالعطب أو التقفع ، من بينها أن الحجاج بن يوسف الثقفى كان قد ولاه خراج فارس فاحتجز شيئا من أموال الخراج ، فضربه الحجاج ضربا شديدا حتى تقفعت يده ، ومن هنا سمى كاتبنا بابن المقفع ...

المهم أن نشأته كانت بالبصرة ، وكانت البصرة انذاك حاضرة العلماء والادباء ، ومعروف أن بها أرض « المربد » حيث المناشدة والمفاخرة والتهاجى ، ويكفى أن نعلم أن البصرة قد نبغ فيها عديد من الشعراء والعلماء منهم : بشار بن برد ، وصالح بن عبد القدوس ، والرقاش ، والخليل بن احمد ، وسيبويه ، وغيرهم من ائمة الادب واللغة ، وفيها كان الحسن البصرى يعقد حلقاته ، وفيها اعتزله واصل بن عطاء .

نشأ ابن المقفع فى هذه البيئة العالمة المتأدبة ، وكان ولاؤه فى آل الاهتم وهم أهل لسن وفصاحة، ومنهم الشاعر الشهير عمرو بن الاهتم الذى ما زال شعره الجاهلى يزحم النفس بالاعجاب ، ويقهرها بما فيه من مثل عليا وغايات نبيلة ، وهو الذى تتمثل الاجيال قوله :

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها
ولكن اخلاق الرجال تضيق

ومن نشأة ابن المقفع بالبصرة وفى آل الاهتم ندرك أن طريقه الى التأدب العالى قد وجد ، ولم يبق أمام اكتماله ونجحه الا أن يكون صاحب موهبة فى نفسه واستعداد فى طبعه ، وقد كان ذلك موفورا لديه الى حد بعيد

الرجل الأسلوب

كما اثبتت الايام . وليس لدينا في كتب التراجم ما يدلنا على اساتذته وشيوخه ، ولكن ابن النديم اشار الى رجل هو ثور بن يزيد الاعرابي ، وقال ان ابن المقفع اخذ عنه ، وهي اشارة لا تعطي شيئا ذا بال ، ويبدو ان ابن المقفع وجد في البصرة منهلا عذبا واساتذة كثرا ، ولكنه من الوجهة العملية كان استاذ نفسه فهو يقول مثلا :

« شربت الخطب ريا ، ولم اضبط لها رويا ، ففاضت ثم فاضت .. وقد سئل مرة فقيل له من ادبك ؟ فقال : « نفسي ، كنت اذا رايت حسنا اتيته واذا رايت قبيحا ابيته » .

وكان الرجل بحكم نسبه واسرته يعرف الفارسية ، ويدين بالمجوسية ، ومن ثم كان واسع الاطلاع على آداب الفرس وبياناتهم المتعددة فجمع بذلك بين الثقافتين العربية والفارسية ، ومن هذا الملتقى جاء دوره الجديد في تاريخ الادب العربي ، ويحسن بالقارىء الذي يهمه تحرى تفاصيل واسعة عن نتاج ابن المقفع الادبي ان يراجع الفصل الذي كتبه المرحوم الدكتور عبد اللطيف حمزة حول « تحقيق آثار ابن المقفع » من عربية وفارسية ..

عندما عظمت تبعات الحكم في عهد بني امية كان الكتاب للولاة كالوزراء لهم ، ولما استقر الامر لبني العباس تقررت قوانين الوزارة وسمى الوزير بهذا الاسم ، وكان من قبل يسمى كاتبا أو مشيرا . وأبو سلمة الخلال أول من وقع عليه اسم الوزير وشهر بالوزارة في دولة بني العباس كما يقول ابن خلكان ، وكان من أهم مميزات الوزير أن يكون مطلعا كاتبا بليغا ، ومن ثم نرى أنه كثيرا ما كان يختار الوزير من بين الكتاب ..

يقول المرحوم الدكتور أحمد أمين : « وكانت ... طائفة الكتاب تؤلف وحدة على رأسها الوزير ، وتتدرج في الرقي الى الوزارة معتمدة على كفايتها وبلاغتها » وقد حدث أن وقع عمرو ابن مسعدة على رقعة رفعت الى جعفر ابن يحيى ، فأعجب جعفر بتوقيع عمرو ، فضرب يحيى بيده على ظهر عمرو وقال : « أي وزير في جلدك » .

● صناعة الكتابة وفن الأدب ●

كان على الكتاب بحكم مواقعهم من دواوين الخلافة ومناصب الوزارة أن يأخذوا أنفسهم بالجد كله في طلب الثقافة ، وعلى الاستعداد لابداء الرأي الجيد والملاحظة الرشيدة ، واللفتة السديدة ، ولا بد لهم من القدرة الدائمة على استيعاب الافكار وتمثل المشاعر المختلفة التي تظهر في دواوين الحكم للتمكن من التعبير عنها بأصح الطرق وانسبها من وجهة نظر الحكام .

وكان الواحد منهم يمكن لنفسه بقدر ما يملك من البراعة في ذلك كله ، بل كانت هذه البراعة تفتح لهم أبواب الترقي الى الوزارة ، لكل هذا كان الكاتب انسانا مشدود الاعصاب دائما ، لا بد له أن يأخذ نفسه بتوقع الاشياء قبل وقوعها . وأن يكون ذا بصر بكل ما خفي ودق ، وكان يأخذ نفسه بالتعليم الدائم والاطلاع الواسع ويحرص على أن يلم من كل فن بطرف ، ولا مناص له من أن يكون ذا معرفة عالية باللغة وأدائها فانها وعاء الفكر ، ومسرح الخيال ،

ومستودع الشاعر عندما يراد ابرازها وتشخيصها على النحو الصحيح .

وقد احس ابن قتيبه بخطر المهمة الملقاة على عاتق الكتاب فألف كتابه « ادب الكاتب » ومثل ذلك فعل ابو بكر الصولى ، ثم كان كتاب « صبح الاعشى فى صناعة الانشا » ، كل ذلك يدل على ان صناعة الكتابة كانت من التبعات العلمية والنفسية الهامة التى تحتاج الى جد وجهد ، وانها صناعة فنية فرضت نفسها بما لها من اهمية وتميز ...

وعلى مؤرخ الادب دائما ان يلحظ العلاقة بين مهمة الكاتب فى سعتها وتشعبها وبين معنى الادب فى شموله وسعته فى تراثنا الادبى ، فان وظيفة الكاتب التى اوجبت عليه ان يلم من كل فن بطرف هى التى جعلت الناس يقولون : « الادب هو الاخذ من كل فن بطرف » وكان ذلك ايضا سببا من الاسباب التى زحمت كتب الادب بعديد من المعارف المتنوعة ، كما نرى ذلك فى « البيان والتبيين » للجاحظ، والكامل للمبرد ، وعيون الاخبار لابن قتيبة ، ومن هنا اتسع المعنى الذى تعنيه كلمة « ادب » فى تراثنا العربى.



ومن اهم اسباب هذه السعة صناعة الكتابة فى خطرها وسعة مهمتها ، وكثرة تبعاتها .

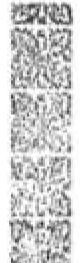
● مكان فى الصفوف الثوانى ●

واضح لمن يقرأ تراث ابن المقفع أن الرجل كان يجمع بين ثقافتى العرب والفرس ، وله فيهما مؤلفات ومترجمات .. وجدير بالذكر أن نشير هنا الى أن الثقافة الفارسية كانت لها صلات بحكمة الهنود وفلسفة اليونان ، ومن هنا فان ذهن ابن المقفع قد تلقح بمعارف عديدة اتاحتها له صلته الواسعة بالثقافتين العربية والفارسية .

وقد بدأ ابن المقفع وظيفة الكتابة وهو فى سن العشرين تقريبا ، وحينما كان عبد الحميد بن يحيى يكتب بالشام لمروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية، كان ابن المقفع يكتب ليزيد بن عمر ابن هبيرة ، ثم لاخيه داود بن هبيرة بالعراق ، ولما انتصر بنو العباس قتل داود فى جملة من قتل ، ونجا كاتبه ابن المقفع من سيف ابىجعفر المنصور، واستطاع ابن المقفع بعد ذلك ان يأخذ مكانه عند أعمام السفاح الثلاثة سليمان ، وعيسى ، واسماعيل أبناء على بن عبد الله بن عباس .

وقد تأدب على يدى ابن المقفع من أبناء اسماعيل بن على عندما كان واليا على الاهواز ثم الموصل ، ومن ثم نجد الجاحظ يعد ابن المقفع من المعلمين ثم البلغاء المتأدبين ، وكانت كتابة ابن المقفع لعيسى بن على أيام ولايته على « كرمان » وعلى يديه اسلم ، ثم كتب لسليمان بن على ايضا أيام ولايته على البصرة (١٣٣ - ١٣٩ هـ) حين عزله أبو جعفر المنصور وولى مكانه سفيان بن معاوية الذى قتل ابن المقفع كما سيأتى ..

واضح اذن ان ابن المقفع رغم مكانته العالية فى الكتابة فانه لم يأخذ



الرجل الأسلوب

موقعه في الصفوف الاولى ، بل كان في الصفوف الثواني ، في حمايه بعض الولاة يكتب لهم ، ويحيا في كنفهم ، ولكنه لم يأخذ مكانه في بلاط الخلافة العباسية نفسها، وهذا التخلف في المكانة السياسية التي كان جديرا بها هي التي دفعته الى أن يشغل نفسه بالترجمة والتأليف معا ليشيد مكانتـــه في عالم الكتابة ، ويلفت الانظار اليه ، وليقفز به تفوقه الى الصفوف الاولى في بلاط الخـــلافة الجديدة المنتصرة .

وقد ركز ابن المقفـــع على خطين كبيرين: اولهما : التميز بطابع الحكمة التي تدل على عقل كبير وخلق قويم ، وفهم لاسرار المعاني والقيم والعواطف التي تستقيم بها الحياة او تشقى .
وثانيهما : قدرته الفــائقة على فهم معارف الحكم والسياسة . وخلاصة هذه الدلالة بشقيها أن ابن المقفع قدم فيها مؤهلاته العالية التي تؤكد مكانته مفكرا حكيما ، ثم كاتبا سياســـيا ومصلحا اجتماعيا ، وهو بذلك ، في تصورى ، كان يقدم الدليل على انه جدير بتولى ارفع المناصب في الوزارة، بله الكتابة .

● بين الزندقة والسيـــاسة ●

الكتب القديمة التي تنـــاولت ابن المقفع كثيرة، وكذلك المؤلفات الحديثة، والنغمة الغالبة فيها « انه قتـــل لزندقته » ، وهذا موضوع شائك معقد، ويبدو لى ان الرجل قد ظلم فيه الى مدى غير قليل ، واحب ان أســـجل هنا جملة ملاحظات هامة لعلها تضيف جديدا الى هذه النقطة من تاريخه .

أولا : القول بانه أسلم سياسية رغبة منه في تولى المناصب قول مشكوك فيه ، ان لم يكن مردودا عليه لاسباب منها انه كان الاولى به ان يسارع الى الاسلام ما دام حريصا على أن ينال من ورائه احراز المناصب خاصة في عهـد بنى أمية حيث كان التعصب للعروبة والدين اقوى منه عنـــد بنى العباس .

ثانيا : كتابات الرجل تدل على روح متدينة ، وقد تعقبت هذه الظاهرة في كتبه : « الادب الصغير » و « الادب الكبير » و « رسالة الصحابة » فوجدت فيها افكارا وعبارات تدل على روح قويمة التدين بل متصـــوفة احيانا ، والرجل الذى يحترم الدين وتغلب على نفسه ومزاجه افكار هى من صميم الدين وآدابه لا يكون من السهل عليه أن يتحول عن دين يؤمن به الى دين آخر لا يؤمن به ابتغاء لنفع عاجل ، علما بانه كان يزدرى المنفعة العاجلة، وكان شديد الكرم يجود بماله ونفسه في سبيل أصدقائه ، فكيف به في سبيل عقيدته ؟ ! .

ثالثا : كان ابن المقفع غنيا مترفا سخيا ، ولم يكن بحاجة الى المال ، والفقر بطبعه يعبث بالقيم ، ويرغم على كثير من المفاسد

رابعا : هناك أسباب ســـياسية واضحة ادت الى مقتله :

ا ــ كانت كتاباته مهتمة بالنقـــد السياسى والاصلاح الاجتماعى ، وهذه امور لاتعجب الحكام في فترات التحول، وعصور الاستبداد ، ويكفى ان نقرأ له رسالة الصحابة فانها تحتوى فكرا سياسيا شديد الخطر في النقـــد والتوجيه ..

ب ــ خطاب الامان الذى كتبه لعبد الله بن على الذى كان واليـــا

على الشام وخرج على المنصور ، وادعى الخلافة لنفسه ، ثم فر عبد الله واحتمى بأخويه سليمان وعيسى بالبصرة ، وطلب أخواه الامان له ، وكان ابن المقفع يكتب لعيسى بن عبد الله فطلب اليه أن يكتب هذا الامان ، ويشدد فى الاحتراس ، فاخرج ابن المقفع فيما كتبه المنصور ، بل اعتدى عليه الى مدى بعيد من اهدار الكرامة واستباحة الحرمات ، وكما يقول الجهشيارى : كان الذى شق على ابى جعفر المنصور ان قال ابن المقفع فى هذا الامان الذى يوقعه بخطه ابو جعفر : « وان أنا نلت عبد الله بن على ، أو احدا ممن اقدمه معه بصغير من المكروه ، او اوصلت الى احد منهم ضررا سرا او علانية ، على الوجوه والاسباب كلها .. فانا نفى من محمد بن على بن عبد الله ، ومولود لغير رشدة (أى ولد سفاح) وقد حل لجميع امة محمد خلعى وحربى ، والبراءة منى ، ولا بيعة لى فى رقاب المسلمين ، ولا عهد ولا ذمة .. (وهو : أى المنصور) كافر بجميع الاديان .. محرم الاكل والشرب والمناكح والمركب والرق والملك واللبس على الوجوه والاسباب كلها.

وكتبت بخطى (أى هذا العهد) ولانية لى سواه ، ولا يقبل الله منى الا اياه ، والوفاء به » .

واللهجة كما ترى شديدة الاجتراء والعدوان بل بها من الاهانة والاحتقار لابى جعفر ما لا يقبل أو يطاق ، ولذا سأل أبو جعفر من كتب هذا الامان فقالوا له : ابن المقفع ، فقال ابو جعفر : « فما أحد يكفينيه ؟ » وبهذه الكلمة أصدر أبو جعفر حكمه بقتل ابن المقفع .

هـ ـ تلقف كلمة أبى جعفر رجل بينه وبين ابن المقفع ثأر قديم هذا الرجل هو سفيان بن معاوية بن يزيد ابن المهلب ، حيث كان ابن المقفع يكتب للمسيح بن الحوارى ، وهو وال على نيسابور ، وحدث أن عبدالله بن عمر ابن عبد العزيز ولى عليها سفيان بن معاوية ، ولما اتجه اليها ليتسلم الولاية من المسيح بن الحوارى قاتله هذا الاخير ونال منه بحيلة وخدعة تعتمد على استبطائه حتى يتهيأ المسيح بن الحوارى لحربه ، وقام بهذا الدور ابن المقفع وانهزم سفيان بن معاوية بسبب ذلك وكسرت ترقوته فأضمرها لابن المقفع ، ثم واتت الفرصة للنيل منه عندما غضب المنصور عليه بسبب عهد الامان السالف الذكر ..

وعندما ظفر به سفيان عبر عن ضغينته أسوأ تعبير حيث أمر بتنور فسجر ثم أمر بأعضاء ابن المقفع أن تقطع عضوا فعضوا ثم توضع فى النار لتحترق على مرأى من صاحبها، واذا كان ابن المقفع يسب سفيان من قبل بقوله « يا ابن المغتلمة » فان سفيان كان يسبه عند مقتله بقوله « يا ابن الزنديقة » .

د ـ الولاة قديما كانت أيسر الحجج التى يتذرعون بها لقتل من يريدون رميهم بالزندقة . وكان الاتهام بالخروج على الدين دائما حجة سهلة للسيطرة على عقول الجماهير لاسيما

الرجل الأسلوب

في البيئات التي تحترم الدين وتقدسه وبدلا من أن يعلن الخليفة أو الوالي أنه قتل فلانا لأمور شخصية أو سياسية فالأولى أن يكون القتل دفاعا عن الحرمات العامة وفي مقدمتها العقائد الدينية ، ولعله مما ساعد على ذلك أن ابن المقفع كان صديقا لمجموعة من المتحررين ، وبعضهم متهم بالزندقة ، وكان ابن المقفع أيضا رجل تغلب عليه النزعة العقلية ، وهو ليس من الفقهاء أو المفسرين ·

على أن الموقف السياسي ليس بحاجة الى مثل هذه الالتباسات ، فكثيرا ما أكلت السياسة الفقهاء الورعين باسم الزندقة ، ويغلب على الظن أن الكتب والأخبار التي تتوقلت أيام العباسيين، وبعدهم ربدت ما كانت تقره السياسة وتسمح به ، وجاء المحدثون وفي مقدمتهم المستشرقون فروجوا لهذه المسألة ، وتبعهم في ذلك دارسون عرب مسلمون دون أن يتنبهوا الى أن بعض المستشرقين من اليهود - وما أكثر من كتب منهم عن ابن المقفع - يعمدون بطريقة وأخرى الى تصوير الشخصيات اللامعة في التاريخ العربي بأنها كانت تكره كل ما هو عربي ، واسلامي ، ويفسرون ما ظهر من ولائها ورضاها بأنه يرجع الى أسباب أخرى تتراوح بين دفع الضر وجلب الخير ، وأنها في حقيقة أمرها كانت تعمل في الخفاء والعلن ضد الإسلام والعروبة ما أمكنها ذلك ·

والخلاصة أن الرجل كان أديبا سياسيا، ومصلحا اجتماعيا ، ومفكرا حكيما ، وكان مقتله لأسباب سياسية شديدة الوضوح، ويجب أن نتذكر جيدا أن الحرية الفكرية في عهد بني العباس لم تقتل الزندقة الا عندما كانت عملا سياسيا موجها ضد أمن الدولة ·

● بين الشكل والمضمون ●

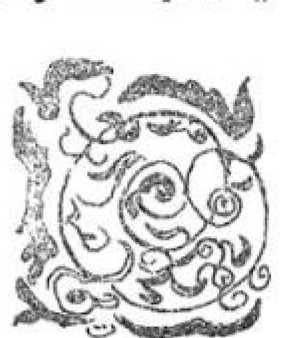
وصف الجاحظ ابن المقفع بأنه كان جوادا فارسا جميلا · ولا تهمنا الأوصاف الشكلية كثيرا ، وان كانت هناك علائق قوية بين الشكل والمضمون في بني الانسان - بل وفي الحيوان أيضا - وهي علائق ودلالات يلمحها الفطن الأريب الذي يأخذ نفسه بدراسة الناس ومراقبتهم ، ومحاولة النفاذ الى أعماقهم ، ثم التأمل في العلائق والروابط التي تمتد بين سجاياهم وطباعهم من جهة ، ونمط خلقتهم الظاهرة وأوصافهم العامة من جهة أخرى ، لكن الذي يهمنا بصفة محددة هو السمات النفسية والفكرية والشعورية للشخص موضوع الدراسة ·· وسوف نعرض هنا بعض السمات الهامة لجوانب من نتاج ابن المقفع الفكري نقف من ورائها على المعرفة الحقيقية له :

يخصص ابن المقفع المقالة الثانية من كتابه « الأدب الكبير » للحديث عن الصداقة والأصدقاء ، وهذه المقالة تمثل النصف الثاني لهذا الكتاب ويبدؤها بقوله : « ابذل لصديقك دمك، ومالك ، ولمعرفتك رفدك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحننك ، ولعدوك عدلك وانصافك، واضنن بدينك وعرضك على كل أحد »

ويقول أيضا : « اجعل غايتك تشبثك في مؤاخاة من تؤاخي ومواصلة من تواصل توطين نفسك على أنه لا سبيل لك الى قطيعة أخيك، وان ظهر لك منه ما تكره ، فانه ليس كالمملوك الذي

تعتقه متى شئت .. ولكنه عرضك ، ومروءتك ، فانما مروءة الرجل اخوانه واخدانه ... واذا نظرت فى حال من ترتئيه لاخائك ، فان كان من اخوان الدين فليكن فقيها غير مراء ولاحريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرا ليس بجاهل ولا كذاب ولا شرير ولا مشنوع (اى يجر على نفسه ما يجلب التشنيع والتعيير) فان الجاهل اهل ان يهرب منه ابواه ، وان الكذاب لا يكون اخا صادقا ، لان الكذب الذى يجرى على لسانه انما هو فضول كذب قلبه ، وانما سمى الصديق من الصدق ، وقد يتهم صدق القلب وان صدق اللسان ، فكيف اذا ظهر الكذب على اللسان ، وان الشرير يكسبك العدو ولا حاجة لك فى صداقة تجلب العداوة . وان المشنوع شانع صاحبه واعلم ان انقباضك عن الناس يكسبك العداوة ، وان انبساطك اليهم يكسبك صديق السوء ، وسوء الاصدقاء اضر من بغض الاعداء ، فانك ان واصلت صديق السوء اعيتك جرائره ، وان قطعته شانك اسم القطيعة ، والزمك ذلك من يرفع عيبك ، ولا ينشر عذرك ، فان المعايب تنمى والمعاذير لا تنمى » .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن هذه الكلمات التى سطرها قلمه وفاضت بها نفسه أيدها مسلكه فى عديد من



المواقف المهلكة للنفس والمتلفة للمال، فمن أخباره المشهورة أن عبد الحميد ابن يحيى امام الكتابة فى عهد بنى امية لجأ الى ابن المقفع بالبحرين بعد مقتل مروان بن محمد ففاجأه الطلب، وهو فى بيت ابن المقفع ، وعندما دخل الجند عليهما اخذ كل منهما يقول : انا عبد الحميد خوفا على صاحبه ، واوشك الجند ان يأخذوا ابن المقفع فصرخ عبد الحميد قائلا : ترفقوا فأن لكل منا علامات فوكلوا بنا بعضكم ، وليمض الاخرون منكم الى من وجهكم ليذكر له العلامات ففعلوا وأخذ عبد الحميد وقتل سنة ١٣٢ هـ .

وكان ابن المقفع كريما سخيا ، يروى ابن قتيبه فى عيون الاخبار أن ابن المقفع بلغه أن جارا له يبيع داره لدين ركبه فقال : « ما قمت اذن بحرمة ظل داره ان باعها معدما وبت واجدا ، وحمل اليه ثمن الدار وقال لا تبع » ..

ويروى الجهشيارى قصصا وحكايا عن تضحياته بالمال فى سبيل اصدقائه الى حد أنه أشترى ضيعة لصديقه عمارة بن حمزة والى الكوفة عندما راه مضطرا لبيع ضيعته فأمسكها عليه واشترى له ضيعة مجاورة لها بثلاثين الفا حيث لم تكن تستقيم ضيعة عمارة آلا بشراء جارتها وتم هذا دون علم عمارة ، ثم علم ابن المقفع بعد ذلك مباشرة حاجة عمارة الى المال فبعث اليه ثلاثين الفا اخرى، ويكفى ان تعلم أنه كان يجرى على جماعة من وجوه اهل البصرة ما بين الخمس مائة الى الالفين فى كل شهر ، الى غير ذلك من الاخبار والحكايا وعندما نقرا ادب ابن المقفع بعيدا عن اخباره فاننا نطلع فيه على عديد من محامد الاخلاق .

وهكذا يتضح لنا أن الرجل كان يتمتع بمزايا متنوعة من سمتى الكمال

الرجل الأسلوب

والجمال فى سلوكه الاجتماعى الذى يجنح الى المثل الاعلى من الايثار والتضحية وغيرهما ، وهذه الميزات من الجمال والكمال تنبع من خلائق نفسه ، ومسرى شعوره ، ومنابع فكره، واذن فالجمال صفة تمتد فى تكوينه لتشمل منه الشكل والمضمون معا ، اى ان عبارة الجاحظ كما تصدق على شخص الرجل تصدق على مضمونه الانسانى .

وينعكس كل هذه الخلائق فى نفسه وطبعه ومزاجه أسلوبه الادبى فى مبناه ومعناه، ففى أسلوبه من جمال الجرس، وانسجام الهيئة ووضوح الرونق ، ما يطالعك به الوجه الحسن فى وضاءته وانسجام هيئته وتميز رونقه، وأبرز سمات هـذا الاسلوب تلك الفواصل السلسة المتقاربة التى تعتمد على السجع المطبوع أحيانا ، وعلى الازدواج الحبب ، والمقابلة الدقيقة التى تزيد المعنى وضوحا وتمنح النظم نغما فى ظاهره وباطنه ، كل ذلك فى بساطة تدل على طبع متمكن من فنه بعيد عن الصناعة والتكلف .

فاذا تقدمنا خطوة أخرى نحو المعنى وجدنا دقة التعبير فى اصابة المعنى الواسع بالكلم القليل مما يدل على براعة التسديد ودقة الاحكام التى يتميز بها مزاج الفارس المعلم ، على اننا اذا انتقلنا الى موضوعاته السياسية وجدنا من سمات الفروسية ما هو أشد وضوحا وأغزر دلالة حيث تطالعنا روحه الشجاعة تهجم على أخطر المسائل فى النقد السياسى والعدل الاجتماعى كل ذلك فى بصر رشيد ، وحكمة هادئة واعية رغم صراحتها وبراعتها فى التشخيص والعلاج .

● مع احدث النظريات المعاصرة ●

ولنستمع الان الى بعض كلماته فى السياسة ، يقول فى المقالة الاولى من كتابه « الادب الكبير » وهى فى آداب السلطان : « ان ابتليت بالسلطان فتعوذ بالعلماء » وهذه الكلمة على بساطتها فى عصرها تتفق مع أحدث النظــريات التى تقضى بهـا علوم السياسة المعاصرة فى ان الحاكم لا بد له ان يعتمد على مجموعة من الاجهزة العاملة المتخصــصة كل فى موقعه الصحيح ، وعليه ان يطلع دائمــا على نتائج بحوثهم للمواقف المختلفة .. ويبقى دوره دائما فى الاختيـار واتخاذ القرار حيث لا يتســع وقت الفرد الواحد لبحث كل شىء ودراسته، فكلمة ابن المقفع ثمرة تأمل صحيح نافذ ، ولو كان ابن المقفع ناقلا لها فان الاصالة لا تعنى الخلق والابتكار فقط ، ولكنها تعنى أيضا التخير، ودقة الفهم مع سلامة الاستنتاج وبراعة الاستخدام .

ويواصل ابن المقفع القول : « واعلم أن من العجب أن يبتلى الرجل بالسلطان فيريد أن ينتقص من ساعات نصبه وعمله ، فيزيدها فى ساعات دعتـه وفراغه وشــهوته وعبثه ونومه ، وانما الرأى له والحق عليه أن يأخذ لعمله من جميع شغله ، ويأخذ له من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولهوه ونسائه قدر ما يكون به اصلاح جسمه وتقوية له على اتمام عمله »

وهكذا ينكر ان تكون السلطة بابا للراحة والدعة وهى بالحق كله كذلك مسئولية ثقيلة تفرض على رجالهـا التضحية والدأب الموصول ، وكأنما كان يغمز ابن المقفع بعض الولاة فى عصره . هذه هى الكلمات الاولى فى هذه المقالة ، وفى تضاعيفها بعد ذلك

عجب كثير يطالعك ، وفكر مستنير يستحق الكثير من التجلة والاحترام ·

فاذا أضفت الى هــــذه المقالة ـ ولابد أن تضيف ـ الكلام عن « رسالة الصحابة » فانك واجـــد فيها فكرا سياسيا من الطراز العالى الذى يلقه النظريات ويحدد المسارات الدقيقـة للعلاقات والمبادىء الشائكة المتشابكة مما يدل على حصافة وشدة تأمل ، وثقافة واعية بصيرة ، انه يثيـــر قضيتين متعارضتين يحللهما وينقدهما ثم يحدد المخرج الذى يراه ·

أما الاولى فما يقوله فــريق من الناس : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ومما يعلق به عليها قوله : « فاذا كان الامام يعصى فى المعصية ،



وكان غير الامام يطاع فى الطاعة فالامام ومن ســواه على حق الطاعة سواء » ، وأما القضية الاخرى فقول الاخرين : « نطيع الائمة فى كل أمورنا ولا نفتش عن طاعة الله ولا معصيته » وهو يقول معلقا عليها : « وليس هذا القول بأقل ضررا فى توهين السلطان وتهجين الطاعة من القول الذى قبله ، لانه ينتهى الى القطيع المتفاحش من الامر فى استحلال معصية الله جهارا صراحا » ·

ثم يحدد المخرج من هذا التعارض، وذلك التناقض فيقول : « فاما اقرارنا بانه لا يطاع الامام فى معصية الله فان ذلك فى عزائم الفرائض والحدود التى لم يجعل الله لاحد عليها سلطانا ·· وأما اثباتنا للامام الطاعة فيمـا لا يطاع فيه غيره فانّ ذلك فى الرأى والتدبير ، والامر الذى جعـــل الله أزمته وعراه بايدى الائمة ·· وليس يفترق هذان الامران الا ببرهان من الله عز وجل ، وذلك أن الله جعـل قوام الناس وصلاح معاشهم ومعادهم فى خلتين : « الدين والعقل » ·· وهنا ينفذ الى طبيعة العــلاقة بين الدين والعقل فى مسائل الحياة ، وهو فى ذلك يعالج قضية ما زالت الى اليـــوم موضوع جدل عميق لا ســـــيما بين شباب العالم الذين يطلعون علىمذاهب ونظريات معاصرة تنتصر للجــــوانب المادية والفكرية البحتة ، وتنكر التعلق بما وراء ذلك من تعــــاليم الاديان وآدابها ·

يقول ابن المقفع فى مقام بيان درجة العقل ومنزلته من الشرع « ولم تكن عقولهم ـ وان كانت نعمة الله عز وجل عظمت عليهم فيها ـ بالغة معــرفة الهدى ولا مبلغة أهلها رضوان الله ، الا ما اكمل لهم من النعمة بالدين الذى شرع لهم ، وشرح به صدر من أراد هداه منهم ، ثم لو أن الدين جاء من الله لم يغادر حرفا من الاحكام والرأى والامر ، وجميع ما هــو وارد على الناس وحادث فيهم مذ بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم الى يوم يلقونه، الا جاء فيه بعزيمة لكانوا قد كلفوا غير وسعهم ، ولضيق عليهم فى دينهم، وأتاهم ما لم تتسع اسماعهم لاستماعه ·· ولا قلوبهم لفهمه، ولحارت عقولهم والبابهم التى امتن الله بها عليهم ، وكانت لغوا لا يحتــاجون اليها فى شىء ·· »

وهكذا نرى الفكر السياسى البارع والفقه الدينى والدستورى الرشـــيد كل ذلك فى عبارة اتخذت من الحكمة زادها ، ومن الترسل السهل الممتع رواءها فهو لم يقصـد فيها الا الى الافهام والاقناع قبل أى شىء آخر · ولا ينبغى للدارس أن ينسى هنا أن

الرجل الأسلوب

« كليلة ودمنة » افضل ما تكون فى امور السياسة وآداب السلطان ، ذلك انها تتجه الى النقد الصريح لسياسة الضغط والارهاب وسلب الحريات ، وهى ايضا دعوة صريحة الى الاصلاح العام فى شئون الحياة ، ومن عناصر توفيق هذا العمل الادبى اجراء الحوار فيه على السنة الحيوانات لما فى ذلك من وقاية ناجحة يأمن بها الناقد على نفسه فى الوقت الذى يهجم فيه على كل ما يريد ، كما ان فى أسلوب القص والمحاورة القدرة على جذب القراء لما فيه من لذة التسلية ومتعة الاسترواح الى جانب صحة الفهم والتمييز للحقائق مجردة عن اشخاص بأعيانهم

ويجب الا ننسى هنا أن اختيار المرء دليل عقله فما الظن اذا كانت الترجمة على يدى ابن المقفع فى بعض جوانبها جهدا من الابداع والخلق ، وانها فى الجملة صدى لفكر تفيض به نفسه ومشاعر تمتلىء بها احساساته · ويكفى أن يقرر التاريخ أن هذا الرجل كان صاحب فكر سياسى واتجاه اصلاحى ، وانه قد بذل جهدا كبيرا فى الكشف عن افكاره وآرائه ·

ويبدو لى أن هذا الرجل كان يحب دائما أن ينسب الكثير مما يقوله الى الاقدمين دون أن يهتم بتسمية من يعنيه يقول مثلا : « وقال اهل الفضل والصواب » وغايته من ذلك أن يدل على سعة اطلاعه واحاطته بعلم السابقين ، وأن يعطى لما يقوله قيمة مقدسة حتى لا يتعرض لمناوءة الجهلة الادعياء والدساسين الكائدين ، لانهم عندما يرونه ينسب القول لنفسه يجترئون عليه ، اما هذه النسبة الغامضة أو العامة التى تسود فى كتاباته فانها تحول بينهم وبين ما يريدون ·

• المبادىء والغايات العليا •

وبعد ، فقد عاش هذا الرجل للمبدأ الذى يؤمن به ، يذيعه ، ويدافع عنه الى ان اكلته حوادث السياسة · وانك لتجد فى كتاباته نبل الفكرة وعمقها ، فاذا اضيف الى هذا انها تعالج موضوعات لخطيرة وكبيرة عرفنا اى مفكر ، وأى مصلح ، وأى همة عالية كانت تعيش فى كيان هذا الرجل ··

وان اجمع ما يتصف به اسلوبه فى ابعاده المختلفة انه « اسلوب القوة » ، وهذه السمة صدى لقوة النفس والفكر والخلق ، وبسببها كانت جزالة اسلوبه ووجازة كلمه الذى يستوعب المعنى العميق الواسع فى ثياب الحكمة العالية ، وبسببها ايضا كان تمكنه من حسن التحليل وبراعة التقسيم ، وصحة الترتيب للافكار والمعانى فى عبارة مساوية ، وسهولة محببة وصفها هو مرة فقال : « البلاغة هى التى اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها » ·

وقد عبر عن بغضه للتعقيد والغرابة فقال « اياك والتتبع لوحشى الكلام طمعا فى نيل البلاغة فان ذلك هو العى الاكبر » · وكان ايضا يتجنب الاسفاف ، ويقول : « عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة »

وختاما يمكن القول بان هذا الرجل نموذج للاديب المثقف الذى يحترم فكره وفنه ، ويعى رسالته الجادة فى الحياة ، ويدفع فى سبيلها ماله ودمه ·· ويخلص لفنه فلا ينافق به ، ولا يستثمره فى غير الغايات العليا والمبادىء النبيلة ···

محمود العتريس

اغنيتي اغنية

كلا ..... وعمرك .. كلا — ذاك الزمـان . . . تولى
وكيف ارضاك ... بعضا — وقـد اردتك . . . كلا
ان كنت اخفيت علمــا — او كنت ... ابديت جهلا
فقد تغاضيت ... صبرا — مني ... عني ... ولعلا
فاقصري عن عتــابي — كفاك مينا ... وختـلا
لا تظلـمي اغنيــاتي — فانها منك ... خجـل

***

اجل ... تغنيت . لـكن — للحسـن ... لما تجلى
في مـوكب عبقــري — من الفتون . . . اهـلا
اسـمى من الفجر طهرا — ومن مني العمر . . . اغلى
وكان قلبي .. صـبيا — وكـان حبك ... طفـلا

***

اجل ... عشـقتك يوما — وكنت للعشـق اهـلا
وكـان حبك ... عندى — ماء ... ونورا .... وظلا
حفظته من شـبابي — وصنته ..... ان يضـلا
كم كـاد يبدو جميـلا — ماكنت ابغيـه .... لولا
لولا ... غـرور الاماني — ووهم ... فيك حـلا

***

ذهبت بالوهـم حـيري — وعـدت ... بالوجد ثملى
وكم سـلكت ... دروبا — عنهـا الوفـاء ... تخلى
رجعت بالحلو ... لـكن — ضـيعت .. ماكان احلى
ولست اتـكر ... اني — قد ابتغي فيك .. وصـلا
لكنهـا ... كبريـائي — تابي من الحب ... فضـلا

***

يابضعة ... من شبابي — فانت ... بالنصـح اولى
مازال عمـرك ... يزهو — حسنا .. كما كان قبـلا
تهفـو النفـوس اليــه — ايان طـاف . . . وحلا
اما انــا ... فـزماني — قد فاتني .. علا .. ونهلا
وبات .. ينشـد مولى — وليس حسـنك مـولى
فاقصري .. عن عتـابي — كفاك ... مينا ... وختلا
لا تظلمي . . . اغنيـاتي — فانها .. منك .. خجلى

● الاسكندرية ● — ● محمود العتريس ●

أصحاب الأساليب الحديثة

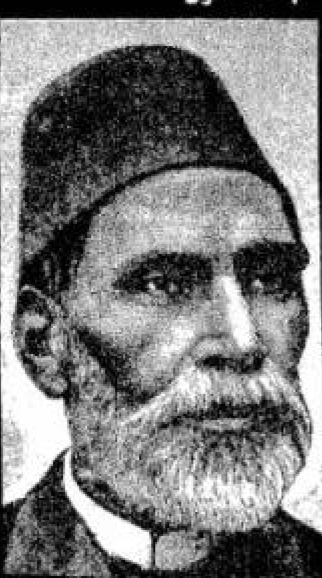
مصطفى صادق الرافعي



د. طه حسين



عبد الله فكري





احمد حسن الزيات

جبران خليل جبران

قد يكون غريبا لاول نظـرة على الاسماء الخمسة التى تتوج هذا العنوان لهذا المقال أن يكون على رأسـهم « عبد الله فكرى » ، الاديب الشاعر الناثر الذى كان ناظرا « وزيرا » للمعـارف فى وزارة محمود سامى البارودى سنة ١٨٨٢ ، فالمعروف عن عبد الله فكرى انه كان كاتبا يقلد طريقة ابن العميد فى الكتابة ، وانه كان يلجـا الى استعمال كثير من المحسنات البديعية كالطباق والجناس والتورية، وانه كان يوشى كلامه بالسجع الذى تقصر فيه الفقرات حينا ، وتطول حينا آخر ، وانه كان يعمد الى الصور التعبيرية القديمة التى استعملها كتاب العصور القديمة وشعراؤها، فيضعها فى كلامه، كأنها قوالب محفوظة لا محيد عنها ، ولا مفر منها ...

ومع هذا كان عبد الله فكرى على رأس أصحاب الاساليب الحديثة فى العقد السابع من القرن التاسع عشر ، لانه كان على الرغم من تقليده صاحب مذهب حديث ، ولأنه نفض من الكتابة فى أخريات القرن الماضى ما كان قد علق بها من اوضار العصور التركية المتأخرة ، فأعاد اليها قديم رونقها ، وسالف ديباجتها ، واحيـاها على طريقة كتاب الاصـالة فى القرنين الثالث والرابع ، كما احيا صديقه وزميله « محمود سامى البارودى » الشعر وبعثه ناصع الديباجة ، قـوى البيان بعيدا عن ركاكة العصور التركية وتفاهة أغراضها .

والحق ان عبد الله فكرى كان اماما فى حركة الاحياء والبعث النثرى ، كما كان البارودى اماما فى حركة الاحياء والبعث الشعرى . ولم تكن حركتهما تجديدا بالمفهوم الدقيق للجدة والتجديد بقدر ما كانت اعادة واحيـاء للقديم الاصيل على نهج من الاصالة والرواء



والمطابقة لحاجات العصر ومتطلباته .

والحق انه قد ظلت الكتابة العربية بضعة عقود من القرن التاسع عشر وهى سائرة فى الوهدة التى اصارتها اليها حركة الانحطاط فى العصر التركى اكثر من ثلاثة قرون . فلقد زاحمت اللغة التركية اللغة العربية فى المجالات الرسمية واعدتها بالركاكة وعدم الابانة ، وملأتها بالدخيل الذى أفسد معجمها . حتى لقد ظهر ذلك واضحا فى (١) مؤلفات ذلك العهد ، وفى صحافته . وحسب المتصفح « للوقائع المصرية » ، وهى الصحيفة الرسمية لمصر ، ان يجد فيها اللغة العربية على حال من الضعف لم يمكن فيها التدلى الى اقل منه ، وان يجد الركاكة ظاهرة حتى على اقلام الكتاب المشهورين ، وان يجد التركية تحتل مكانا بجانب العربية . فلما جاء عبد الله فكرى - وكان الديوان قبله تركيا - شاء الله ان تتم على يديه حركة « تعريب » الديوان . ومن هنا كان عبد الله فكرى رائدا .

ولقد ادرك بذكائه أن التعريب للديوان لا يبدأ الا من بداية جيدة ملائمة لظروف عصره ، فلم يبعد بالاحياء الى عصر البيان الاول ، كعصر عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، والجاحظ ، ولكنه وجد ان مدرسة القرن الرابع الهجرى - بما فيها من بعض الزخارف والحلى اللفظية - هى أكثر المدارس ملاءمة لروح عصره . ومن هنا كان احياؤه لطريقة « ابن العميد » بملامحها المميزة ، ولم يشأ ان يجرى على محاكاة العصور المتأخرة عن عصر ابن العميد ، لانها كانت اقرب الى الصنعة والتصنع منها الى الفطرة الموشاة ببعض الصناعة .

ولقد سارت طريقة عبد الله فكرى فى الكتابة ، واحتذاها أعلام عصره ،

---

(١) انظر نماذج من هذا النثر الركيك المتهافت فى بحث الدكتور طه حسين عنوانه : (لغتنا الرسمية منذ نصف قرن) - حديث الاربعاء حـ ٣ ص ٤٦ .

وخاصة رسائله الاخوانية التى شاعت بين ادباء ذلك العهــــد . وسرعان ماوجدنا مفكرا عالما كالامام الشيخ محمد عبده يرتضى فى رسائله طريقة عبد الله فكرى ، وما هى فى الحق الا تجديد لطريقة القرنين الثالث والرابع، فيسجل له السيد رشيد رضا فى كتابه « تاريخ الاستاذ الامام » اكثر من اربعين رسالة ، منها رســالته الى الشاعر محمد حافظ ابراهيم ، بمناسبة اهدائه اياه الجــزء الاول من كتاب (البؤساء) الذى ترجمه عن فيكتور هوجو ..

ولقد عرف العلامة « احمد فارس الشدياق » لعبد الله فكرى فضله فى الاسلوب الجديد للكتابة الديوانية ، فاشار اليه فى كتابه « سر الليال » بقوله : (وممن بزغ فى هذا العصر ، وحق له ، الفخر فى الانشــــاءات الديوانية ، وهى عندى أوعر مسلكا من المقامات الحــــريرية ، الاديب الاريب الفاضل العبقرى عبد الله بك فكرى المصرى ، فلو ادركه صـــاحب « المثل السائر » . لقال : كم ترك الاول للاخر . فسبحان المنعم بما شاء على من شاء ، ومن اجل تلك النعم الانشاء) ..

على أنه لايفوتنا فى هذا المقام شهادة أخرى أدلى بها رائد من رواد الأدب والبيان فى ذلك الزمان ، هو المرحوم الشيخ « حسين المرصفى » أســتاذ البارودى وشوقى ، وصاحب « الوسيلة الادبية » حيث قال فى الوسيلة : (هذا وانفع ما أراه ينبغى لك أن تتخــذه دليلاً يرشدك الى كل وجه جليل من وجــوه الفنون التى تحاول فيها ان تكتب الكتابة الصناعية ، المناســبة لوقتك الذى تأمل ان تعيش فى رضا أهله عنك ، واعترافهم بظهور ما يعود منك عليهم نفعه ـ منشآت الاميــر الجليل ، صاحب الوقت ، الذى لو تقدم به الزمان لكان له بديعان ، ولم ينفــرد بهذا اللقب علامة همذان ، عبد الله فكرى بك) ..

ومن الحق ان نقول ان عبد الله فكرى لم يجر فى نثره كله على طريق (الكتابة الصناعية) التى قوامهـــا السجع والمحسنات ، وايثــــار جانب اللفظ على جانب المعنى ، فقد كانت له كتابات مرسلة ، ولكنها كانت على قلتها دليلا على انبثاق حركة التحرر البطىء الوئيد من قيود النثر القديم .

ولم يكن من المعقول ان يدعو عبد الله فكرى الى (التحرر) وهو محيى الطريقة « الفاضلية » وامامها ، وقد عز عليــه ان يتخلى عن لوائها الى طريقة أخرى كان الدعاة لها من غير مدرسته . ونجد لعبد الله فكـــرى رسائل قليلة قد تحــــررت تماما من السجع ، والحلية اللفظية ، والمحسنات البديعية ، منها بيانه الذى القاه فى مجلس النواب ، ورسالته الى الوزير رياض باشا من جوتنبرج ، يصف له أعمـــــال الوفد المصرى فى مؤتمر المستشرقين ، على أن هذه الرسالة الطويلة لم تسلم مقدمتها من السجع ، وخاصة وهو فى معرض الدعاء والولاء لأمير مصر .

ويلفت النظر الى بيان عبد اللهفكرى فى مجلس النواب عن التعليم ، فقــد كان نثرا مرسلاً دقيق المعانى ، خاليا من كل حلية أو سجعة ، وكان شيئًا جديدًا فى النثر العربى فى القــرن الماضى .

ولعل ايراد فقرة منه يوضح لنــا الاسلوب الحديث الذى اصطنعه عبــد الله فكرى فى الكتابة العربية ، قال : (من هذا يتضــح لحضراتكم ان الله



لا يعوقنا عن القصد شيء ، فالمعدات الممكنة حاضرة والاسباب اللازمة قريبة المنال ، فما يلزمنا الا العزم والسرعة والاقدام ، حتى نصل الغاية التي ادركها الذين نروم مجاراتهم في هذا السبيل ولا تطمعن في ادراك هذه الغاية بغير ثبات واجتهاد ، فان من يشتهي ان ينال الشيء بدون معاناته كمن يشتهي ان يتناول التمر بيده وهو مضطجع في مرقده .. والذي يبشرنا بنجاح الامال اننا راينا التفات حضراتكم لهذا الامر، وتوجه خواطركم الى هذا الموضوع ، فلم يبق الا الجد والاستمرار ، وتقرير الطريقة المستقيمة لتعميم المكاتب في البلاد ، من غير مبالاة بالمتاعب ، ولا نظر في النفقات والمصاعب) .

على ان الرائد الاول في التخلص من السجع ، جملة في العصر الحديث، هو الشيخ محمد عبده ، وقد فعل ذلك في اواخر حياته ، وان كان ظل اكثر حياته الاولى مداوما على السجع ، مهتما به . ولعل الذي سهل على الامام محمد عبده هذا التخلص ، انه لم يكن مغاليا ولا مسرفا في استعمال بقية الزخارف البيانية الاخرى ، مما سهل عليه آخر الامر ان يجري على طريقة المترسلين .

ولقد حاول « حفني ناصف » ان يغري الشيخ محمد عبده بالاستمرار في استعمال السجع ، فكتب اليه رسالة مسجوعة رد عليها الامام بقوله : (عزيزي حفني ! تسجع لي في كتابك ، وتطمع ان اسجع لك في جوابك ، كانك لم تسمع اني تبت عن السجع ، حتى لو ساق اليه الطبع؛ فماذا اصنع بك ، وقد تقضت توبتي بادبك !؟)

● الرافعي بين القديم والحديث ●

لم يكن موقفنا من «عبد الله فكري» وحده غريبا حين عددناه من اصحاب الاساليب الحديثة في الكتابة ، فان موقفنا من « مصطفى صادق الرافعي » اشد غرابة .. كيف نعد الرافعي من اصحاب الاساليب الحديثة مع انه مغرق في الاتباعية وفي المحافظة على القديم الى ناصيته ؟ .

أليس من الاغراق فى القديم عند الرافعى أن يعمد الى أسلوب « كليلة ودمنة » فى دفاعه عن الاسلام والقرآن وفى مهاجمته العنيفة للدكتور طه حسين بمناسبة قضية الشعر الجاهلى ؟ لقد أودع الرافعى كتابه (تحت راية القرآن) صورا من أدب كتاب « كليلة ودمنة » ، وجعل نهجه كنهجه فى الحديث على ألسنة البهائم والطير • وقد يكون تقليد طريقة الحكايات الحيوانية رجوعا من الرافعى الى الأدب القديم ، ولكن لاشك أن الطريقة فى ادارة الحوار على هذا النحو الفكه المقنن يعد شيئا حديثا فى النثر العربى الحديث • وقد أدرك الرافعى نفسه ما فى محاكاته لاسلوب « كليلة ودمنة » من طرافة وجدة ، فقال من فصل عنوانه « قال دمنة » : (يكتب الى بعض الافاضل من العلماء والكتاب يسألون عن نسختى من « كليلة ودمنة » ، ويطلبون الى الا اكتمها عنهم ، ولا استبد بها من دونهم ، وان افضى اليهم فى كل مقالة بمثل منها • ويقولون : هذا هو الجديد فى الادب العربى ، لا ما يحملوننا به من فصول مترجمة ، ومقالات مسروقة ، وآراء منتحلة •••)

ولقد احتوى كتاب « تحت راية القرآن » للرافعى على طائفة من المقالات الطريفة البارعة ، على اسلوب كليلة ودمنة ، ولكنه كليلة ودمنة العصرى لا القديم • ومن هذه المقالات : « واضرب لهم مثلا » و « ذو الاقفال » و « فيلسوفة النمل » ، و « قال دمنة » و « المجدد الجرىء » ، ولن تجيز لانفسنا هنا أن نعيد ذكرى معركة ادبية قاسية انتهى زمانها ، او نعيد بعض الرشاش من قذائفها • ولكن يكفى أن نقول ان اسلوب الرافعى على طريقة كليلة ودمنة كان شيئا جديدا طريفا فى النثر العربى الحديث ، فمن شاء أن يرجع الى هذه المقالات كاملة بصورها ، وطرافتها ، ورشاشها ، وقذائفها ، فليرجع الى كتاب (تحت راية القرآن) ليرى فيه طلبته ••

ولم يكن الرافعى صاحب اسلوب حديث فى خصومته للدكتور طه حسين وحده ، ولكنه فى خصومته العنيفة الللدود لعباس محمود العقاد ، كان صاحب اسلوب حديث متميز • وتكشف مقالاته التى نشرت فى مجلة «العصور» تحت عنوان « على السفود » عن لون من ادب المعارك النثرية ، لم نعهد له نظيرا الا فى «ادب النقائض الشعرية» بين جرير والفرزدق ومن حولهما من الشعراء الذين سبقوا الى المعركة سبقا ••

واذا كان الرافعى صاحب مذهب بيانى معروف ، فمن الحق أن نعرف معالم هذا المذهب • ولعله هو اكثر الناس قدرة وابانة لهذا المذهب وقد عبر عن ذلك فى صدر الجزء الاول من كتابه « وحى القلم » بقوله : (وفى الكتاب الفضلاء باحثون مفكرون ، تأتى ألفاظهم ومعانيهم فكرا عقليا غايته صحة الاداء ، وسلامة النسق ، فيكون البيان فى كلامهم على قدرة كوخز الخضرة فى الشجرة اليابسة هنا وهنا ، ولكن الفن البيانى يرتفع على ذلك بأن غايته قوة الأداء مع الصحة ، وسمو التعبير مع الدقة ، وابداع الصورة زائدا جمال الصورة •• اولئك فى الكتابة كالطير له جناح يجرى به ويدف ولا يطير ، وهؤلاء كالطير الآخر له جناح يطير به ويجرى •• ولو كتب الفريقان فى معنى واحد لرأيت المنطق فى احد الاسلوبين وكأنه يقول : أنا هنا فى معان وألفاظ •



وترى الالهام فى الاسلوب الاخــــر يطالعك انه هنا فى جلال وجمال وفى صور والوان ٠٠)

ولقد حاول الرافعى ـ على الرغم من حفاظه وتشبثه بالقديم ـ ان يكون حديثا فى اسلوبه الكتابى ، ولكن يبدو ان الهدف اخطأه ، او اخطأ هو الهدف ٠٠ فهو قد تحرر فى نثره من كل صناعة لفظية ، او حلية زخرفية ، او محسن بديعى ، ولكنه فى محاولته من الانطلاق والتفلت من أسر الالفاظ ، وقيود العبــارة ، قد وقع فى أسر ازدحام المعانى وتعميقها ، حتى قاده ذلك الى نوع من التعقيد والغموض فى اسلوبه لا يخفى على قارئيه ٠٠ ولا يعاب الرافعى من ناحية قوة ألفاظه ، وشدة صلابتها ، واحكام نسج عبارته، فهو فى هذا قادر ومتمكن ٠ وقد اعانته معرفته الوثيقة بالعربية والبيان العربى على اشراق التعبيــر ، ولكن كثيرا ما يتسرب الغموض الى كتابته حتى ليعز على القارىء البصير ان يدرك مراميه بسهولة ، وان ينفذ الى اهداف قوله ٠ ولعل الاستاذ « انيس المقدسى » فى كتابه « الفنون الادبية واعلامها » على كثير من الحق حين يقول عن الرافعى فى هذا الصدد : (والذى يبدو لنا أن هــذه الصعوبة راجعة بالاكثر الى تعمله لاستجلاب المعنى الغريب ، وحرصه على غير المعتاد من اللفظ او التركيب) ٠

ولقد يكون الغموض سمة أسلوب الرافعى حين يحتشد لحشد الافكار فى مقالاته الادبية الفنية ، كما نراه فى كتبه «السحاب الاحمر» و « حديث القمر » و « أوراق الورد » ، ولـــكن ما علة غموض اسلوبه حين يكتب بحثا فى التـــاريخ او الادب ؟ ففى كتابه (تاريخ آداب اللغة) تصادفنا بعض تعبيرات نحس امامها بحاجة الى وقفة مستأنية لندرك بها بعض ما يريد ٠٠٠

لعل غلبة المعـــانى والأفكار وازدحامها فى ذهن الرافعى ، قـــد احسنت الى صوره البيانية مرة ، قدر ما نالت من الوضوح عنده مرة أخرى، فهناك فضل ، على قدر ما هنا من نقص ٠٠ وهو تعادل فى الميزان تجعل من هذا الكاتب الاسلامى رائدا فى الاسلوب من رواد هذا العصر ٠

ولقد تمرس الرافعى باساليب امراء البيان فى العصور الاولى للادب العربى فهو عليم بمسالك القول ، وخبيـر بمسارب الكلام عند عبد الحميد الكاتب

وابن المقفع ، وابن قتيبة ، والجاحظ ، وابي حيان التوحيدى واضرابهم، وقد كان في مقدوره ان يكون نموذجا عصريا حديثا لواحد من هؤلاء ، ولكنه ابى ان يذيب شخصيته في غيره ، وآثر ان يكون لنفسه كيانا قائما مستقلا ، هو كيان (الرافعي) لا غير

ولقد كتب الرافعي رسائل في الحب والغرام ، ولكنها لا تدل على تجربة ذاتية ومعاناة للحب ، قدر ما تدل على المقدرة على تحليل الحب والغرام

والتمكن من البيان والفن القولي ، ولو على حساب التضحية بالعواطف والمواجد والاشواق ···

وتحس « المعاناة » في اسلوب الرافعي · واذا كان يستلهم المعاني احيانا من منابع بعيدة غريبة ، فانه يستنزل الافكار احيانا من قمم شواهق فتحس وكأنه يقتلع الافكار من صخر ! فترى الاجهاد على افكاره وعليه هو

نفسه ، وتحس لهاث الكاتب حين تتقطع به الانفاس · ولذلك لا تجرى اساليبه دائما على استواء ، فهو حين يغرب ، غيره حين يسهل ويتضح

·· وقد كان بمعانيه وافكاره المزدحمة في شغل عن اصطناع زخارف القول ، حتى الجناس لم يعجبه، وحتى السجع

لم يرق له ، مع ان السجع كان لا يزال فاشيا في العقدين الاولين من القرن العشرين · ولعل من تأثره بسجع ذلك العصر ما قاله مخاطبا الشباب المصرى العائد من الغرب مأخوذا بسحر مدنيته : (الا ليتكم جئتم للبلاد من اوربا بمحاريث ، بدلا من هذه المواريث ، وجئتم بالسماد ، بدلا من هذا الوساد ـ والمواريث والوساد كنايتان عن الزوجات الاجنبيات ـ وبالبهائم للسواني ، لا بالحلائل والغواني ···)

● التكرار عند طه حسين ●

سمع الكاتب الاديب ابراهيم عبد القادر المازني صديقه ورصيفه الدكتور طه حسين يقول مرة في معرض الحديث عن اسلوبه ـ أي اسلوب طه ـ انه لا يطمع من الشهرة في اكثر مما وفق اليه من كثرة المقلدين الذين يتأسون به ، ويحتذون مثاله في طريقة الاداء وفي تأليف الكلام ·

والحق ان شهرة الاساليب وشيوعها قد تكون مقياسا على نجاح الكاتب ومدى التأثر به ، والنسج على منواله، ولكنها لا تكون بحال من الاحوال مقياسا على أصالة الاسلوب نفسه ، أو علو منزلته · فالمرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي كان كاتبا اغرى اسلوبه الشباب وشداة الادب وقتا

غير قصير ، ولكنه كان اسلوبا ـ على الرغم من احتفاله ـ يعتمد على رنين الالفاظ ، وجرس العبارة وحلاوتها ، اكثر مما يعتمد على الفكرة المدروسة والمعنى العميق ·

ولم يدع المازني ما قاله الدكتور طه حسين عن شهرة أسلوبه واحتذاء كثير من المقلدين لطريقته ، يمر دون اعتراض عليه او مناقشة له ، فقد كتب فصلا بعنوان « الاساليب والتقليد » في كتابه (قبض الريح) يرد به على طه حسين قائلا : (وعندى ان الاساليب التي يسهل محاكاتها هي اخلى الاساليب من الميسم الشخصية، والميزات الخاصة ، التي يختلف بها كاتب عن كاتب، او بعبارة اخرى هي التي لا تنطبع عليها صورة بارزة مؤكدة من شخصية اصحابها) والحق مع المازني في هذه النظرة · ونحن معه في ان شاعرا في العربية « كالمتنبي » ، وكاتبا في الانجليزية



مثل « كارليل » لا يستطيع احد ان يقلد اسلوبهما او يكتب على غرارهما، مع علو كعبهما فى البيان فى لغة كل منهما • على حين تسهل محاكاة كثير من الشعراء والكتاب الذين لم يرتفعوا الى مرتبة الاصالة وقوة الشخصية الادبية •

ولا شك ان اسلوب الدكتور طه حسين كان شيئا جديدا ومتميزا فى الكتابة العربية كحديثه ، وهو لون ينادى على نفسه ، وتستطيع معه ان ترده الى صاحبه حتى ولو لم يذكر اسمه • فلو سيق اليك ، او القى عليك ، نص من نصوص « طه حسين » فى مقالاته الادبية او مذكراته ، أو قصصه ، لما عز عليك أن تقول : هذا لطه حسين ، لان كل سمة من سمات اسلوبه تنادى عليه •

ولا شك ان اسلوب طه حسين قبل سفره الى فرنسا يختلف عن أسلوبه بعد بعثته ، وبعد طول قراءته للأدب الاجنبى ، ولا شك ان جمعه بين الادب العربى والادب الفرنسى قد اضفى على اسلوبه مزاجا خاصا ، فيه من لغة العرب البيان ، والاشراق ، واللمح ، وفيه من الفرنسية الوضوح، والابانة، والدقة •

وعلى الرغم من نصاعة اسلوب طه حسين وعذوبته وروعة التصوير البيانى فيه فانه لم يسلم من بعض المآخذ توجه اليه ، وتعد عليه • فقد قالوا انه يبدأ الفصل او الجملة بضمير لم يسبق فى الكلام ما يعود عليه ، مع ان الضمائر فى العربية لها معاد تعود اليه • كقوله فى اول سطر فى كتابه « الايام » : (لا يذكر لهذا اليوم اسما •• ولا يستطيع ان يضعه حيث وضعه الله من الشهر والسنة •• واكبر ظنه ان هذا الوقت كان يقع من ذلك اليوم فى فجره او فى عشائه ••) وهذا نسق من القول عند الفرنجة لم تألفه العرب •

وكبدئه الكلام فى اول الجملة بواو العطف ، مع انه لا مجال هناك للعطف، ولم يسبق فى الكلام ما يعطف عليه • وهو ضرب كذلك من التعبير لم تعرفه العرب •••

وقالوا انه كثير العطف حيث لا مقتضى هناك للكثرة ، وكثير التكرير للالفاظ والترديد للعبارات فى غير حاجة الى التكرار ، كقوله فى الأيام : (ثم أدار المفتاح فانقطع جريان الماء، ثم رد على الابريق غطاءه ، ثم هزه هزا رفيقا ليبلغ ما فيه من الماء

السخن اجزاءه كلها ، ثم قام فالقى ما فى الابريق بعد تفلته ، فما ينبغى ان يجد الشاى برد الخزف او برد المعدن لان ذلك يفسده ، ثم انتظر بهذا الشاى ثوانى ، ثم صب عليه الماء فى رفق دون ان يملأ الابريق الى غايته ، ثم انتظر به قليلا ، ثم عمد الى علبة الشاى الاحمر فاخذ منه مقدارا ووضعه فى الابريق ، ثم صب الماء فى الابريق حتى يمتلىء ، ثم رفع الابريق فى تلطف ورفق فوضعه على النار ، ثم حطه عنها ، ثم اهاب باصحابه ان قدموا اكوابكم) فان هذا العطف المتكرر المتوالى باداة العطف : « ثم » قد افسد الاسلوب وهبط به من البيان المشرق الى الثرثرة (١) الدارجة ..

وكان المازنى من أوائل الذين لفتوا النظر الى عيوب الاسلوب عند طه حسين ، وعلل لما فى كتاباته من عطف ، وترديد ، وتكرير ، ونغمة خطابية غير كتابية ، بتعليل معقول ، وعلل كذلك لما فى اسلوبه من رتابة قد تفضى الى الملل ، فقال من نقد لكتابه : حديث الاربعاء» : (.. ولما كان - يعنى الدكتور طه - قد ألف ان يملى كتبه ورسائله ومقالاته ، فان كتبه وحديثه حين يجد فى مستوى واحد ، كائنا ما كان ذلك المستوى . فلست تفتقد فى احاديثه ما تجده فى كتابته من الخصائص والشيات ، ويندر فى غيره مثل ذلك . ومن شان الاملاء أن يحول دون مط الكلام ، وأن يجعل الجمل قصيرة فلا تطول مسافة ما بين أولها وآخرها ، وان يغرى بالتكرير والاعادة الى حد ما ، كما هو الشأن فى الخطابة ، ومن هنا كان أسلوب الدكتور طه خطابيا ، أى قل ان الصيغة الخطابية فيه أغلب من الصيغة الكتابية ، وخصائص تلك ومميزاتها أوضح . فهو فى الاغلب والاعم يوجه الخطاب الى القارىء كما تفعل حين تحادث جليسا لك ، ويقصر جمله ، ويؤكد عباراته بالتكرير والاعادة ، ويلتمس التأثير من طريق ذلك ..)

ولقد كان المازنى - رحمه الله - كثير الصراحة حينما تعرض للحديث عن أسلوب طه حسين وما يراه فيه من عيوب ، فرد عيب التكرار والحشو عنده الى العاهة البصرية التى جعلته من أصحاب البصائر القوية النافذة ، والى أنه اشتغل بالتدريس ، والتدريس مهنة تعلم صاحبها التبسط فى الايضاح ، والاطناب فى الشرح والتكرير ..

على ان الحب الخالص عند بعض المحبين المخلصين للدكتور طه حسين ، قد دفع الاستاذ انيس المقدسى لان يعترف بأن عيوب الاسلوب عند طه حسين هى (خروج عن أسس البلاغة) (ولكنك لا تجد خروجا عن سنن البلاغة قد اصبح بنفسه بلاغة تحتذى كهذا الاسلوب . فما هو الا حديث ممتع ، لما يحتويه من طلاوة وروعة فى التعبير والتصوير . فلا غرابة ان يستحسنه الناس ، ويقبلوا على قراءته بشغف وشهية ...)

● الزيات .. الكاتب المتأنق ●

وقع لى اخيرا وأنا أزور العراق ان القى الى كتاب كريم الله الاستاذ

---

(١) وصف الدكتور طه حسين نفسه بقوله : (.. وماذا تريد ان أصنع وأنا رجل ثرثار بطبعى !) . انظر حديث الاربعاء - حـ ٢ ص ٦١ .



جمال الدين الالوسى عن « أدب الزيات فى العراق » ، وقد طالعت كتابه هذا بنهم ، كما طالعت كتابه الاخر الذى أهدانيه وعنوانه « طه حسين بين انصاره وخصومه » · ولا تزال اصابعى متشبثة بكتاب « أدب الزيات فى العراق » ، فقد قرأت فيه فصلا عن اسلوب الزيات كتبته الشاعرة الرقيقة الدكتورة عاتكة الخزرجى الاستاذة بكلية الاداب بجامعة بغداد · وقد

وقفت عند قولها عن أدب الزيات : (فالرجل فى الادب امام من ائمة النثر الفنى ، وهو ذو اسلوب أيسر ما يوصف به انه السهل الممتنع ، والقريب المحال ، والمطمع المعجز · وناهيك باسلوب هذه سماته ، وتلك مميزاته · وانى لارجو الا اكون مجانبة للحق أن قلت لك انّ الزيات اوضح من الرافعى ، واسمح من العقاد ، واوجز من طه حسين · على ان اسلوب الرجل يضم محاسن هؤلاء الثلاثة جميعا : أعنى متانة الرافعى ، وعمق العقاد ، وسماحة طه حسين ، مضافا اليها سمته هو ··)

وكان من قدرى ان اكتب عن خمسة من اصحاب الاساليب الحديثة احدهم « الزيات » · وان أجمع فى هذا المقال لمجلة « الهلال » بين « عبد الله فكرى » فى محافظته واعتداله · وبين « الرافعى » فى قوته وصلابته ومتانة بنائه ، واغراب معانيه ، وبين « طه حسين » فى سماحة عبارته وانطلاقها ويسرها ، وانفتاحها كأنها حديث القلب الى القلب ، وبين خيال « جبران » ومجازاته ورمزيته وتفلته من قيود اللغة ، وثورته على المألوف المتعارف فى كل شىء حتى فى الاساليب ··

ولا بد قبل الحديث عن اسلوب الزيات فى الكتابة أن نتعرف الى رأية هو فى « الاسلوب » · وهى قضية لم يدعها الزيات تمر وهو يؤلف الفصول لكتابه : (دفاع عن البلاغة). الذى كان فى الحق هجوما على جماعة المستهترين باللغة الفصيحة ، وأساليب البيان العربى ، وقواعد البلاغة ، وفى مقدمتهم سلامة موسى ، وجماعة الرمزيين وفى مقدمتهم بشر فارس ··

والاسلوب عند الزيات (هو طريقة خلق الفكرة وتوليدها وابرازها فى الصورة اللفظية المناسبة · هو تلك الجهد العظيم الذى يبذله الفنان من ذكائه ومن خياله فى ايجاد الدقائق والعلائق والعبارات والصور فى الافكار والالفاظ ، او فى الصلة

بين الافكار والالفاظ · ولهذا الجهد جهتان : جهة موضوعية تتصـــــل بالنظام ، وهو حسن الترتيب ، وصحة التقسيم ، واحكام وضـــع القطع فى رقعة الشطرنج التى نسميها جملة او فقرة او فصلا او مقالة · وجهة اخرى شكلية تتصل بالحركة ، وهى خلـــق الكلمات والصور والتاليف بينهما على نمط يحدث الحياة والقوة والحرارة والضوء والبروز والاثر ··)

والزيات فى اسلوبه النثرى يوائم دائما بين الفكرة والصورة اللفظية ، ويعادل بينهما بالقدر الذى يخرج به الكلام مستويا على حد البيان العربى المشرق ، فلا يطغى واحد منهما على صاحبه ، لان الفكرة لو زادت على العبارة لخرج الكلام جافا جاسيا غير ذى رونق ، وربما لحقته العلة من ضعف اللغة والنحو والبيان ، فكان شيئا غير ذى غناء ولارواء · ولان العبارة لو زادت فى الاحتفال بهـــا والتهيؤ لها على الفكرة لاصبح الكلام ناقص المعنى ولو كان عليـــه رواء التعبير · وعنصرا الفكرة والصورة عند الزيات يكونان الاسلوب الفنى ، كما يتكون الماء القراح من الهيدروجين والاكسجين » (وكما استحال فى فن الطبيعة أن يتكون الماء من أحـــد عنصريه ، فقد استحال فى فن الانسان أن يتكون الاسلوب من أحد جزءيه)·

واسلوب الزيات فى نثره ، وفى مذهبه الذى جرى عليه وصنعه مزيجا من اساليب الفصـــاح ، يجمع بين صفات يراها الزيات أساسية لفنية الاسلوب، وهى الاصالة، والوجازة ، والتلاؤم · والاصـــالة تشتمل على خصوصية اللفظ وطرافة العبـــارة · وملاك الاصـــالة الا يكتب الكاتب كما يكتب الناس ، فلا يستعمل العـــام من اللفظ ، ولا المحفوظ من التعابير ، ولا المشاع من الاستعارات · فان ذلك الاسلوب غير الاصيل ـ وان كان يرضى أرباب اللغة وأصحاب النحو ـ فانه مضطرب الدلالة ، مختلط الالوان ، تفه المذاق ، لانه اســـلوب صنعته الحافظة ، واصـــدرته الذاكرة ، ولم يصدر عن الذهن ، ولانه اسلوب نقل عن الناس ولم ينقل عن نفس صاحبه· والمقصود بخصوصية اللفظ ان يكون تام الدلالة على المعنى المراد ، وان يكون واقعا موقعه المناسب ، فـــلا تستطيع ان تبدله او تنقله · واذا كانت الاصالة صفة الاسلوب الجوهرية، فان الوجازة هى حد البلاغة ، بل هى سمة من سمات العربية ، وتمثل لنا اية القرآن الطوفانية : (وقيل يا أرض ابلعى ماءك، ويا سماء اقلعى، وغيض الماء ، وقضى الامر ، واستوت على الجودى ، وقيل بعدا للقوم الظالمين) أعلى مراتب البلاغة فى اعلى درجات الايجاز ، مع عدم الاخـــلال بمعنى ضرورى يطرأ على الخاطر ··

أما التلاؤم فهو عند الزيات الموسيقية او الهرمونية ، ولا بد للكاتب ان يؤلف فى كتابته بين الكلمات العذبة ، والفقر المنسقة ، والجمل الموزونة ، والاصوات المؤتلفة · والذين يدعوننـــا الى ان نكتب كما نتكلم بدون تنميق ولا تنسيق، فانما يزورون حقيقة الفن فيهم بنقيصة العجز منهم ··

ووجه الجمال الاخاذ فى أســلوب الزيات انه طبق هـــذه القواعد التى وضعها للاسلوب حين كان يكتب ·· بل لعله استظهر هذه القـــواعد من خصائص اسلوبه هو نفسه ، فلم يكن بلاغيا متزمتا ذا نصوص محفوظة ، ولم يكن فكريا مهملا للصورة البيانية



الجميلة او مفرطا فيها ، ولكنه كان صاحب مزاج معتدل ، وقوام مستو في الكتابة ، فجاء أسلوبه على أنق ما تأتي عليه الاساليب العربية في خلال التاريخ الطويل للنثر العربي ·

● جبران الكاتب المجنح ●

من خصائص أصحاب الاساليب – سواء كانت في القديم ام الحديث – ان اسماءهم لا تزال مرتبطة بأساليبهم، لم ينفصلوا عنها ، ولم تنفصل عنهم· فنحن نقول في القديم : اسلوب جاحظي واسلوب بديعي ، واسلوب توحيدي نسبة الى ابي حيان التوحيدي الاديب الفيلسوف ، واسلوب فاضلي نسبة الى القاضي الفاضل الكاتب الانشائي المعروف · ونحن نقول في الحديث : اسلوب رافعي ، واسلوب زياتي ، واسلوب جبراني ، نسبة الى جبران خليل جبران ، كما قالها معنا الشاعر صلاح لبكي في كتابه « لبنان الشاعر » ·

ولقد احسنت الكاتبة الانسة « مي » وصف طريقة جبران في التعبير بقولها انه (يلخص الجملة والمعنى رسما على هامش القرطاس ، او يشرحه في صورة عجيبة) ··

وصور جبران التعبيرية هي اخص خصائص هذا الاسلوب الجبراني المجنح · انها شيء جديد وطريف ومبتكر في الكتابة العربية · لقد خرج في صوره البيانية على قواعد البلاغيين ، واصول البيانيين ، ولم يجر على نهج واحد من مناهجهم المعروفة ، ولكنه اتخذ لنفسه نهجا خاصا غريبا في التعبير ، لم تعرفه العربية منذ دونت في كتاب · انه يعتمد في اسلوبه على صور خيالية يجسد فيها المعاني اشكالا حية متحركة غادية رائحة ، فهو اسلوب حركي مجنح ·

واذا كان الزيات قد اشترط للاسلوب الجيد عنصر « التلاؤم » او الموسيقية ، فان جبران خليل جبران قد جعل الموسيقية عنصرا من عناصر بيانه ، ولكن الموسيقى عند الزيات هادئة ، رزينة ، عاقلة ، على حين هي عند جبران موسيقى منفعلة ، مرتعشة ، ملونة ، رنانة ··

ولعل صلاح لبكي كان بالغا حد الصدق حين وصف أسلوب جبران بانه (تنكب عن المألوف من الجناس والمجاز · ومحاولة لتحميل الكلمات فوق ما تعودت حمله من المعاني ، ولتجريدها من التفاهة والفضول) ·

وما لنا نذهب الى غير جبران لنستعير منه حده للاسلوب الفنى فى الكتابة ؟ لقد كفانا هذا الشاعر الكاتب الرسام المهجرى مئونة البحث عن تحديد للاسلوب الفنى حين قال : (ليس الفن بما تسمعه بأذنيك من نبرات وخفضات اغنية ، او من رنات اجراس الكلام فى قصيدة ، او بما تبصره بعينيك من خطوط والوان وصورة . بل الفن بتلك المسافات الصامتة المرتعشة التى تجىء بين النبرات والخفضات فى الاغنية ، وبما يتسرب اليك بواسطة القصيدة مما بقى ساكنا هادئا مستوحشا فى روح الشاعر ، وبما توحيه اليك الصورة ، فترى - وانت محدق بها - ما هو ابعد واجمل منها)

ولعل صورة بيانية واحدة نسوقها هنا من صور جبران الكثيرة المنبثة فى خلال كتبه التى اربت على العشرين، تبين لنا اسلوب جبران فى نثره المجنح .. لقد وصف مدينة نيويورك عندما يطلع الصباح عليها بقوله : (قد جاء الصباح ، وانبسطت فوق المنازل المكدسة اكف النهار الثقيلة . فازيحت الستائر عن النوافذ ، وانفتحت مصاريع الابواب ، فبانت الوجوه الكالحة ، والعيون المعروكة . وذهب التعساء الى المعامل ، وداخل اجسادهم يقطن الموت بجوار الحياة وعلى ملامحهم المنقبضة قد بان ظل القنوط والخوف ، كأنهم منقادون قهرا الى عراك هائل مهلك . ها قد غصت الشوارع بالمسرعين الطامعين ، وامتلأ الفضاء من قلقلة الحديد ، ودوى الدواليب ، وعويل البخار ، واصبحت المدينة ساحة قتال ، يصرع فيها القوى الضعيف ، ويستأثر الغنى الظلوم باتعاب الفقير المسكين ..)

وتستطيع ان تجمع عددا من العناصر يحتويها اسلوب « جبران » . تستطيع ان تقول انه يحلق بخياله حتى فى نثره ، مما جعل كتابته ضربا من الشعر ، سموها فى عصره بالشعر المنثور ، فهى شعر بغير وزن ولا قافية .. وتستطيع ان تقول ان كتابته معرض موسيقى زاخر بمقاطع متباينة لا عدد لها ، كقوله فى مقالة « مساء العيد » : (قلت ومن انت ؟ قال وفى صوته هدير مياه غزيرة : انا الثورة التى تقيم ما اقعدته الامم . انا العاصفة التى تقتلع الانصاب التى انبتتها الاجيال . انا الذى جاء ليلقى فى الارض سيفا لا سلاما ..)

وتستطيع ان تقول ان اسلوبه يعتمد على العاطفة المتأججة كأنها تتقلب على لذعات جمر . وتستطيع ان تقول فى اسلوبه انه متهكم ، وساخر ، ولاذع ، ومتمرد ، وجرىء ، وصريح ، ومتجدد ، انه لا يحب الوقوف ولا الركود .

وحسبه انه ظل زمانا وهو فى مهجره البعيد بالعالم الجديد يفتن كثيرا من المقيمين بالوطن العربى الكبير المترامى الاطراف ، ما بين مغرب ومشرق ، فيمتثون اسلوبه ، ويحاكون عباراته كما اجتذب اسلوبه فى الانجليزية كثيرا من الناطقين بالانجليزية ، فأصبح فى الاثنين : العربى والانجليزى ، ذا مكان مميز ملحوظ ..

ان عناصر الجمال والجاذبية فى اسلوب « جبران » تتلخص فى القاعدة التى وضعها هو فى كتابه « رمل وزبد » ، وهى قوله : (اذا وجدت فى نفسك ميلا للكتابة - ولا يعلم سر هذا الميل الا القديسون - فلتكن فيك المعرفة ، والفن ، والسحر : معرفة موسيقى الالفاظ ، وفن البساطة والسذاجة ، وسحر محبة قرائك) ..

من أصحاب



فؤاد صروف



يعقوب صروف

طلبت الى « الهلال » الغراء ، ان اكتب عن الاسلوب العلمى ، لدى هؤلاء الاعلام ، ولعلها ارادت ، ان تتخذ منهم نموذجا يحتذى ، للعلماء الادباء ، أو الادباء العلماء ،

ممن كان لهم اثر بارع فى نشر الثقافة العلمية الرفيعة فى الوطن العربى ،

انهم يمثلون جيلا ضرب اعلى الامثال فى نشر العلم بلغة عربية فصيحة ،

وفى اسلوب سهل ممتنع ، خال من العجمة والرطانة .. من امثال سلامة موسى ، ومصطفى نظيف ، واحمد عيسى ، ومحمد شرف ، وعلى مشرفة ، وحسن صادق ، ومحمد ولى ..

وغيرهم كثير ، ممن كتبوا فى التطور ، والطاقة الذرية ، والالكترونيات ، والنسبية ، والفلك والجيولوجيا ، وعلم الاجنة ، وهجرة الطيور والاسماك ، والتشريح ووضعوا معاجم المصطلحات العلمية ، واضاءوا الطريق امام اجيال الكتاب والباحثين ،

وكانوا بحق من الرواد الاوائل الذين نقلوا لجمهور القراء المثقفين ، المسائل العلمية العويصة بلغة سهلة جذابة خالية من التعقيد والالتواء ..

لقد حملوا المشعل ، الذى حمله من قبلهم اعلام افذاذ من العلماء العرب فى العصر الاسلامى ، من امثال ابن الهيثم ، والجاحظ ، وابن مسكويه ، وابن الصورى ، وابن العوام ، والخوارزمى ، وابن يونس ، والبتانى ، وابن النفيس ، والزهراوى ، والرازى ، وابن سينا ، ومن اليهم ممن كتبوا فى

الأسلوب العلمى



د. احمد زكى

● يعقوب صروف
● فؤاد صروف
● أحمد زكى

د. عبد الحليم منتصر

فى الحديث عن الاسلوب العلمى لدى هؤلاء أو أولئك أن نحدد مفهوم الاسلوب العلمى والطريقة العلمية، التى يظن أنها من مبتكرات العصر الحديث وينسبها مؤرخو العلم الى السير «فرانسيس باكون» . مع أن العلماء العرب الذين اشرنا الى بعضهم كانوا يتبعون الطريقة العلمية، بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فمنهم من سار عليها، ومنهم من سبق «باكون» فى ادراكها، بل من تفوق عليه فى ادراك ما لم يدركه «باكون» من عناصرها، فقد تميز اسلوبهم العلمى، بالدقة فى التفكير، والوضوح فى الرياضيات والفلك والطب والنبات والحيوان والتشريح والبصريات وما الى ذلك من علوم طبيعية سواء كانت أساسية أم تطبيقية من طب وهندسة وزراعة وصيدلة وبيطرة . هؤلاء الذين تركوا مؤلفات علمية فى هذه العلوم، كتبت باللغة العربية، هى التى ترجمت الى اللاتينية واللغات الاوربية الاخرى، وظلت كتبهم المراجع المعتمدة لدى أهل الصناعة فى جامعات اوربا طيلة قرون، ولامراء انها كانت الاساس الذى قامت عليه النهضة العلمية الاوربية .

• مفاخر علمائنا العرب •

على انه يجمل بنا قبل أن نسترسل

من أصحاب الأسلوب العلمي

العرض ، والسلامة في الاستقراء والاستنتاج .

ومن يقرأ كتاب « الجبر والمقابلة » للخوارزمي يعجب لجمعه بين الادب والعلم . فالمادة الرياضية ، يعرضها الخوارزمي في اسلوب علمي ادبي اخاذ ، لا ركاكة فيه ولا تعقيد ..

ومن يقرأ للبيروني ، يجد الاسلوب العلمي الواضح ، الخالي من الالتواء ، وكذلك الحال في اسلوب الجاحظ ،

ولابن بدر كتاب في الجبر ، يجد فيه القارىء ، تسلسلا في ترتيب البحوث ، وشروحا للمبادىء الاساسية ، وابداعا في عرض المسائل ، وذكر خطوات الحل

وابن النديم ، يعرض الفكرة بلا مواربة ، ويدفع الى صميم الموضوع ، في دقة وايجاز ، وضبط واحكام . يسيطر على ذلك كله روح علمي صحيح ، يتحرى الصدق في الكتابة والامانة في النقل .. كذلك يمتاز اسلوب الفارابي بالايجاز والعمق .

ولعل مما يشهد لهؤلاء العلماء العرب ، اجماعهم على تفضيل ارسطو .. وما ذلك الا لان طريقته التجريبية واسلوبه العلمي قد لاءم اذواقهم .. وكذلك كان ابن سينا يسير في اسلوبه على اساس منطقي ، لانه كما يقول الآلة العاصمة للذهن من الخطأ ، فيما نتصوره ونصدق به ، والموصلة الى الحق باعطائه اسبابه ، ونهج سبله .

يقول ابن الهيثم في مقدمة كتابه المناظر ، « ان غرضه في جميع ما يستقريه ويتصفحه ، استعمال العدل لا اتباع الهوى ، وانه يتحرى في سائر ما يكتبه وينتقده ، طلب الحق ، لا الميل مع الاراء ، حتى يظفر بالحقيقة ويصل اليقين » .. ويقول : « اذا وجدت كلاما حسنا لغيرك ، فلا تنسبه لنفسك ، واكتف باستفادتك منه ، فان الولد يلحق بابيه ، والكتاب لصاحبه ، وان نسبت الكلام الحسن الذي لغيرك لنفسك ، فسينسب غيرك نقائصه ورذائله اليك » .

● مسايرة روح العصر ●

هؤلاء الذين ذكرنا من علماء العصر الحديث ، هم ورثة اولئك من اعلام العصر العربي الاسلامي ، وان اسلوبهم العلمي ، ليمتاز بمسايرته روح العصر ، وباستقائه من مختلف المصادر العربية والافرنجية ، وبتمشيه مع احدث النظريات والاراء العلمية ، وبمتابعته للاحداث والتطورات العلمية

.. وملاحقته لانباء العلم والاختراع ، التى تطالعنا كل يوم ، بل كل ساعة بجديد . وما اشك فى أن الكتابة عن الاسلوب العلمى لدى من ذكرت ، او من اكتب عنهم ، ليحتاج الى جهود عصبة من أولى العزم ، من البحاث والمحققين ، يعكفون على دراسة انتاجهم العظيم ، واستخراج ما يضمن كنوز وثروات علمية وادبية ، ولعل دراسة اعمال كل منهم انما تحتاج الى دراسة واحد من طلاب الدرجات العليا يقدمها فى اطروحة او رسالة باشراف استاذ محنك واسع الاطلاع ، عظيم القدر فى المعرفة الأدبية .

ان ملاحقة انتاج امثال يعقوب صروف ، وفؤاد صروف ، وأحمد زكى ، على مدى قد يصل الى نصف قرن من الزمان ، فى « المقتطف » و « الهلال » و « العربى » ، ومالا يكاد يقع تحت حصر من صحف ومجلات علمية وأدبية ، ما دبجته براعاتهم من مقالات ودراسات وبحوث وكتب ، لما يعجز العصبة الكريمة التى ذكرت ، أو على الاقل يحتاج منها دراسة بضعة أعوام ، قبل أن تخرج على الناس بماينصفهم ، ويضعهم فى مقامهم الصحيح اللائق بهم ، ويقومهم التقويم الدقيق ، الذى يليق بدراسة مستأنية، ويتفق مع مكانتهم العلمية المرموقة .

فى سبتمبر سنة ١٩٥٧، عقد المؤتمر العلمى العربى الثالث فى بيروت، وكان هذا الوقت يقع ضمن السنة الجيوفيزيقية، التى حددها العلماء لدراسات علمية وكونية واسعة ، يعكفون على اجرائها فى كل رجا من ارجاء العالم، يرصدون ويسجلون فى نفس الوقت فى كل من هذه الاماكن التى حددوها على سطح الارض ، سواء على قلل الجبال أو سفوحها او على شطآن البحار او اعاليها حيث اقاموا اجهزتهم وادواتهم .. وتهيأ سدنتها للرصد والتسجيل لكل الاحداث الكونية والظواهر الجوية وتحركات ومسارات الكواكب والنجوم

.. وكان محاضرنا فى هذا الموضوع العويص هو الاستاذ فؤاد صروف .. وقد قدمه الى الحاضرين والمؤتمرين، بأنه واحد من العصبة الكريمة من آل صروف التى يدين لها شرقنا العربى



بنشر العلم والثقافة العلمية باللغة العربية ..

• لغة طيعة رائعة •

وقد كان الاستاذ فؤاد صروف حقيقة على مستوى المؤتمر العلمى ، وعلى مستوى الموضوع الذى اختاره للمحاضرة ، وذلك رغما عن تشعب مناحى الموضوع ووعورته ، وحاجته

من أصحاب الأسلوب العلمي

الى الالمام الدقيق بنواح مختلفة من فروع المعرفة العلمية .. بدأ بتعريف الريادة والرواد ، وما يتجشمونه من متاعب وصبر على المكاره ، ولولا ريادتهم ما كشفنا من بحار وجبال وصحار ، وما بهذه أو تلك من ركاز معادن أو آبار نفط ، أو الوف من انواع النبات والحيوان . فان اقدامهم على المجهول، وصبرهم على المكاره ، وتضحيتهم بالراحة والطمانينة أو حتى بالحياة نفسها ، والنتائج التى اسفرت عنها رحلاتهم ومغامراتهم ، انما تنقر فى نفوس البشر على وتر مرنان ، فينظر الناس اليهم نظرة الاعجاب والاكبار ويتناقلون اسماءهم واخبارهم ، ويضعونهم فى مرتبة تكاد تكون فوق البشر من امثال فاسكو دى جاما، وماركو بولو، والمسعودى، والادريسى، والحموى، وأبو الفداء ، وكولومبوس، وماجلان ، ولفنجستون ، وشفيلفورث، وبيرى ، وسكوت ، وبيرد ، وغيرهم كثير .. وكذلك مرت القرون، والرواد يمضون مشاة وركبانا بقوافلهم فى الارض ، وزوارقهم وسفنهم فى البحار

ويمضى فى القول، بأن الصورة التى بايدينا لسطح الارض ، انما هى من صنعهم ، ولكنها الى عهد قريب ذات بعدين فقط ، فهم يبحثون عن البعد الثالث لهذه الصورة الرائعة ، ومن أجل هذا الاستطلاع ورغبة فى هذه المعرفة ، نظموا السنة الجيوفيزيقية ، فان البشر يعيشون على سطح قشرة رقيقة من الارض ، لا يكاد يعرف كثير عما يجرى على مسافة كبيرة فوق القشرة أو تحتها ، وتكاد معرفته على ضآلتها تنحصر فى طبقة من الهواء لا تعدو بضعة اميال ، وطبقة تحت السطح لا تعدو بضعة أميال أيضا ، من اجل ذلك انشأوا هذا المشروع الذى بدأ فى أول يوليو سنة ١٩٥٧ ،وانتهى فى آخر ديسمبر سنة ١٩٥٨ . أملين فى استقصاء الحقائق والارصاد وربطها ، بعضها ببعض واستخراج أحكام عامة منها ، على أن تتعاون دول الارض فيه ، مما يعد أكبر مغامرة علمية منظمة فى حضارة الناس الى يومئذ .

ويتابع الاستاذ صروف بعد هذه المقدمة الشعرية الرائعة ، أهداف هذه السنة من رصد الكلف الشمسى والظواهر المغنطيسية والكهربائية على ايدى عشرة الاف عالم منتشرين فى مشارق الارض ومغاربها ، وانطلقت

القذائف الصاروخية المزودة بالمعدات والاجهزة العلمية للرصد فى طبقات الجو العليا ..

ثم ينتقل الى وصف هذه السنة الجيوفيزيقية ووصف هذه الدراسات. وكيف ان الدول التى اسهمت فيها انشأت مئات المحطات للرصد والقياس، فضلا عن قياسات فى جوف الارض لدراسة الامواج الزلزلية وجعل يصف ماسماه بالمختبرات الطائرة فى اسلوب علمى اخاذ ، ويتحدث عن الاقمار الصناعية وما ينتظر ان تؤديه من خدمات علمية انه حديث الخبير القدير على شرح دقائق الموضوع فى لغة طيعة رائعة لا يمل القارىء أو السامع متابعتها .

ولا نستطيع أن نلم فى هذه العجالة بما دبجته براعة الاستاذ فؤاد صروف، من مقالات وأحاديث وكتب ليس الى حصرها من سبيل ، فهو يكتب فى الفلك كأحد علمائه ، وفى علوم البحار كالربان الماهر ، وفى الجيولوجيا كأستاذ أصيل فيها ، انها المعارف العلمية فى أدق صورها وابسط وأجمل عرض لها .

● فى ميدان الثقافة العلمية ●

أما الدكتور يعقوب صروف ، فيكفى أن يتصفح المرء بعض مجلدات مجلة « المقتطف » ، التى ظلت رائدة فى ميدان نشر الثقافة العلمية عشرات السنين ، يطالع قراؤها مئات المقالات والدراسات العلمية الرصينة التى أشرف على تحريرها الدكتور يعقوب من مثل : الفضاء بين النجوم ، وهل هو فراغ تام أو فيه بقايا سديم كونى، وحالة مصر الصحية فى الوقت الحاضر (١٩٣٢) ، وآراء وحقائق جديدة فى علوم الاحياء . ومسألة السكان فى مصر ، وانه ليتساءل ماذا يحدث لسكان مصر اذا مضوا يتزايدون على



مقتضى هذا المتوسط ، ويجيب : يحدث ان يصبح سكان القطر بعد مدة ٧٥ مليونا ، فكأنما كان يتنبأ بهذا الانفجار السكانى الذى نعانى منه ، وانه ليدعو الى الحد منه .

ثم يتحدث عن مصر وأصول الحضارة . وعن مسئولية العلم عن فوضى العالم ويقول ان رجال الفكر يتوجسون شرا أن تكون هذه الازمة نهاية الحضارة الراهنة وارتداد العالم مئات الاعوام . ثم عن نوابغ العرب فى العلوم الرياضية . والعلم يكشف

من أصحاب الأسلوب العلمي

العلم والزراعة والعلم والصناعة. مما يمكنان نقول معه بحق انها كانت تمثل أرقى مستوى في الصحافة العلمية .. ولا شك عندي في انها كانت تضارع مثيلاتها من المجلات العلمية في الدول المتقدمة ، وما ذلك الا بفضل الدكتور يعقوب صروف ، الذي يتميز باسلوبه العلمي البعيد عن المجازات والكنايات او الغموض،وتتجلى براعته في ابتكار الترجمة العربية الصحيحةللمصطلحات العلمية الحديثة، وكان يلاحق ترجمتها او تعريبها اولا باول ، ويعرف قراءه باحدث التطورات العلمية .

• اسلوبه العلمي المتميز •

اما استاذنا الدكتور احمد زكي ، فهو أمة وحده ، وأسلوبه العلمي نسيج متميز بذاته، وهو معلم مطبوع، بل انه لشخصية فذة نادرة المثال في شروحه وتعليقاته ، وكتاباته الرائعة وهو مثال للكاتب العلمي ، الذي لا يزال بالفكرة ،حتى يغرسها فيءنفس قارئه غرسا ، وله طريقته الخاصة في العرض والتحليل في جميع الموضوعات العلمية التي يتناولها ، وهو مع انه يكتب لقطاع عريض جدا من قرائه في الوطن العربي ، فما اشك في أن كل قرائه يفهمونه في سهولة ويسر ، لا يجدون أدنى مشقة في فهم ما يريد أن يعرضه من مسائل علمية ، مهما تكن صعوبتها ودقتها .

انه الاستاذ الاصيل في فنه ، الدقيق في شرحه ، الرءوف بتلاميذه وقرائه،

خفايا الجرائم ، وأثر المجهر والكيمياء في كشف الجرائم .

ويكتب عن القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي . ثم عن العوامل الوراثية والغدد الصماء، وعن رواية الالكترون وأبطالها ، والمادة والاشعاع وتحطيم الذرة واطلاق قوتها ، وتصوير العوامل الوراثية ، ومصل ضد الروماتيزم المستعصي ، وتشتية الحيوانات وتصييفها .والاشعة الكونية . والعلم والحرب المقبلة ، والحرب الكيمياوية . وعن الوراثة والبيئة . والحرير الصناعي، والتولد الذاتي ، والزيوت والادهان وخواصها الطبيعية ومذهب داروين (١٩٠٨) الى غير ذلك من موضوعات علمية ، لا تكاد تقع تحت حصر ، الى جانب الابواب الثابتة من نحو اخبار

الذكر انه مر بالمعمل، وانا بين تلاميذه، اجرى تجربة كيميائية ، لم احسن الاحتياط فيها ، فاشتعل الجهاز، واذا به يقبل علي ، لا معاتبا ، ولكنه يقول مشجعا : « برافو ، لا يمكن ان تكون كيميائيا ناجحا ، الا اذا اخطات خطأ وتعلمت منه » ٠

ويكفى ان تتصفح عددا واحدا من اعداد مجلة العربي الغراء، التى يشرف على تحريرها واصدارها ، او تقرأ



كتبه العديدة من امثال « مع الله في السماء » او غيره لتجد فيه الاستاذ العالم الاديب ، والاديب العالم ، كيف يقطع مقاله بالعناوين الفرعية الكثيرة ، وكيف يزينه فى الحين بعد الاخر بالرسوم التوضيحية الجميلة ، وكيف يكتب فى الفلك وفى الحيوان والنبات والمعادن كاتبا يشرح تفاعلا كيميائيا ، انه يعرض ظروف التفاعل وشروطه واحماضه وقلوياته، وعناصره ومقاديرها ، ونتائج هذه التفاعلات ومقاديرها ٠

وانه ليعرض لاعوص مسائل الجيولوجيا أو الذرة أو الحشرات أو الكواكب ، أو غيرها فاذا به يعرضها فى سهولة ويسر، حتى ليستقر فى ذهن قارئه انه قد احاط بدقائقها وقد ملك ناصية القول فيها ، ولم يترك زيادة لمستزيد ، وانه قد اسلس قيادها والان العصى منها ، وهذه ميزة تفرد بها أحمد زكى من بين كتابنا المعاصرين ٠ ولا يخفى اسلوبه على قارئه ابدا ٠

واذكر أننى حكمت فى كتاب الفه أحد شباب العلماء ، قلت للكاتب أن هذه الفقرات ماخوذة من أستاذنا الدكتور أحمد زكى ، وتقتضيك الامانة أن تشير الى ذلك ٠٠

وبعد : فلا ادعى انى قد اضفت جديدا فى التعريف بالاسلوب العلمى لهؤلاء الاساتذة الاجلاء ، وكما قلت فى صدر هذا الحديث ، ان دراسة اعمال هؤلاء تحتاج الى جهود شباب العلماء يعكفون على دراستها سنين متتابعةثميتقدمون بعدها برسائل مستانية، ولعل الاساتذة المختصين ان يوجهوا طلاب الدراسات العليا فى الكليات المختصة الى مثل هذه الدراسة٠ وهذا اقل ما يجب نحو هؤلاء العلماء الافاضل الاجلاء ٠ والله ولى التوفيق

حافظ محمود

العمالقة

أصحاب الأسلوب السياسى

فى تاريخنا الصحفى المعاصر

•• الناس كالالحان ، كل انسان له نغم .. واساليب الكتاب هى انغام تفكيرهم .. وفى هذا المقال نتحدث عن أصحاب الاسلوب السياسى فى صحافة ما بين الثورتين : ثورة سنة ١٩١٩ وثورة سنة ١٩٥٢ ونخص بالحديث منهم ستة رجال ، تعلمت منهم الاجيال

ان الستة الذين سنتحدث عنهم فى هذا المقال هم السلم الموسيقى الذى ارتقاه تفكيرنا الصحفى وصنع من آثارهم القلمية واساليبهم الصحفية عرشا لمهنة الصحافة اقرب المهن الى الجهاد الوطنى والعمل السياسى معا ••



•• الستة

أمين الرافعي

١٨٨٦ — ١٩٢٧



كلما ذكرنا « الصحافة » ذكرنا الصراع الفكرى الذى كان يدور حول التساؤل :

هل الصحافة تجارة ، أم الصحافة رسالة ؟ ».. وليس من شك أن الرجال الستة الذين اخترنا الحديث عنهم فى هذا المقال يقف تاريخهم الصحفى الى جانب الصحافة التى هى رسالة ..

وفى رأيى أن قمة هذه الرسالة تتمثل فى شخص الصحفى أمين الرافعى ..

لقد تخرج فى مدرسة الحقوق . فكان فى المقدمة من زملاء دفعته ، وكان هذا التفوق يؤهله لأولى درجات المناصب فى القضاء ، لكنه كان ، منذ سنى دراسته الحقوقية قد ربط نفسه

بصحافة مصطفى كامل ، وهى صحافة لا تعرف الا التضحية ٠

كان أول مقال كتبه حملة غارمة على « سياسة الاعتدال » ٠٠ فلما انقضى عام ١٩٠٩ وهو يجلس في كرسى مصطفى كامل الصحفى استقبل سنة ١٩١٠ بمقال ، كأنه يخاطب به الاجيال ، فقد قال : « برهنوا للملأ ان الأمم الخليقةبالحرية فى استطاعتها ان تتحمل الالام والاهوال والخطوب حتى تصل الى استقلالها ، واعلموا أن الامم التي تريد الحياة كبيرة يجب أن تربيها المصائب وتهذبها النائبات » ٠

هكذا كان أمين الرافعى ، وهكذا كان أسلوبه السياسى نذير جهاده لهذه الامة ٠ هكذا كان فى جريدة «اللواء» خليفة لمصطفى كامل فى صحافته ٠٠ فلما سقط « اللواء » أخرج جريدة « الشعب » ٠٠ وأبى ان يسقط لواؤها تحت سيطرة الحكم البريطانى العرفى الذى أعلن على مصر فى نهايات الحرب العالمية الاولى ، فاذا به صاحب القلم الاوحد الذى يغمد قلمه صونا لكرامته ، واذا به يعلن أروع احتجاج على هذا التدخل البريطانى بايقاف جريدة الشعب الى نهاية الحرب ! ٠٠

فلما انتهت الحرب العالمية الاولى ، وقامت ثورة سنة ١٩١٩ شهر قلمه من جديد ، وأصدر جريدة الأخبار ٠٠

وعلى صفحات « الاخبار » قام الرافعى بألمع حملة فى تاريخ الصحافة المصرية، وهى حملةنوفمبر سنة ١٩٢٥ التى دعا فيها الساسة وأعضاء البرلمان المنحل ان يعقدوا برلمانهم فى موعد انعقاده الدستورى ما دامت الحكومة اذ ذاك قد خالفت هذا النص من الدستور ٠٠

وانعقد « البرلمان المنحل » فى فندق الكونتننتال وكان لانعقاده دوى عظيم فى الداخل والخارج اضطر القصر والحكومة الى اعادة «الحياة النيابية ٠٠ وكان الفضل فى هذا لمقالات أمين الرافعى ٠٠

ماذا أخذ الرافعى من هذا « الفضل » ؟

لا شىء الا سلسلة من الامراض نتيجة التزامه بألا يدخل جريدته قرش واحد لا يرى انه قرش شريف ٠٠

لكنه حين مات شابا اهتزت لموته الامة ، حتى لقد رثته الاحزاب التى كان يعارضها واعلنت الحداد لموته ٠٠ وكانت هذه الظاهرة الجماعية عوضا عما فقده فىالحياة، واعترافا بأسلوبه السياسى ٠٠ أسلوب ان الصحافة رسالة وليست تجارة ٠٠



الدكتور هيكل

١٨٨٨ ــــــ ١٩٥٦

بدأ هيكل حياته القلمية كاتبا سياسيا على صفحات « الجريدة » التى كان يصدرها لطفى السيد .. كانت أولى مقالات هيكل دعوة للحياة الدستورية .. فلما أنشىء حزب الاحرار الدستوريين فى سنة ١٩٢٢ اختير هيكل لرياسة تحرير جريدة « السياسية » لسان هذا الحزب، وظن الظانون ان هيكل قد غير أسلوبه السياسى الذى كان يتحدث به على صفحات الصحف الاخرى من قبل ، لكن هذا غير صحيح .

لقد كان أول رئيس لحزب الاحرار هو عدلى يكن « باشا » منافس سعد زغلول زعيم ثورة سنة ١٩١٩ ، وكان عدلى يكن يشترط ان تكون مقالات جريدته هادئة هادفة ، لكن رئيس التحرير الشاب الدكتور محمد حسين هيكل فى سنة ١٩٢٣ لم يستطع ان يقابل الاحداث بالاسلوب الهادىء الذى كان يريده عدلى يكن ، فاذا بعدلى يكن يستقيل من رياسة الحزب ، واذا بهيكل يعلق على هذه الاستقالة بمقال يقول فيه :

« فلنمض فى طريقنا ندافع عن الحرية ، وعن العدل ، وعن القانون ، لهذا قام الحزب ، ولهذا يجب ان يبقى .. دون نظر الى الاشخاص الذين ينضمون اليه او الذين يتركونه » .

فى هذه العبارة القصيرة كل الاسلوب السياسى لهيكل .. الدفاع عن الحرية .. وعن العدل .. وعن القانون ..

لقد كانت الازمة التى سببتها جريدة السياسة للحزب هى أزمة المقال الذى كتبه الدكتور محمود عزمى ، مساعد الدكتور هيكل فى جريدة السياسة ، واعتبره القصر الملكى « عيبا فى الذات الملكية » .. وقدم عزمى من أجله للمحاكمة .. ثم اقتضت سياسة القصر صد الناس عن التفكير فى « العيب فى الذات الملكية » بمصالحة جريدة السياسة ، فاستدعى رئيس الحزب هيكل ، لمقابلة الابراشى « باشا » مستشار الملك فؤاد .. وعرض الابراشى على هيكل ان يتصالحا وينزل القصر عن دعواه ضد عزمى اذا وقع محمود عزمى على كلمة ترضية للملك الاسبق فؤاد ونشرتها جريدة السياسة ..

واستمر الابراشى فى حواره قائلا : تذكر يا دكتور ان المسألة تخص صاحب الجلالة الملك .. فاجاب هيكل : لكنها فى الناحية الاخرى تمس صاحبة الجلالة الصحافة ..

هذا أسلوب من أساليب هيكل فى الدفاع عن العدل والحرية .. أما دفاعه عن القانون .. فقد كان هذا هو كل اشكال حياته ..

كانت دراسته قانونية ، وكان عقله مرتبا ترتيبا قانونيا ، ولهذا لم يستطع التآلف مع الجماعات

العمالقة الستة



الجماهيرية التي تضع القانون أحيانا في المرتبة الثانية ، وهذا هو سر انضمامه لحزب الاحرار الدستوريين ، وسر الاشراق العجيب في كل مقالاته السياسية .

كان الدكتور هيكل يهاجم خصومه في الرأي بكل هذا العنف السياسي .. لكنك لا تستطيع أن تمسك في مقالاته – مقالاته العنيفة – بكلمة واحدة تقع تحت طائلة القانون – لطالما قدم الى المحاكمات بسبب مقالاته ، لكن القضاء كان يبرئه دائما لالتزامه بالقانون في كل ما يكتب وان كان عنيفا .. بل ذات مرة لم يكتف القضاء بتبرئته ، وانما ادان أيضا أولئك الذين أقاموا عليه الدعوى !

كان هذا في سنة ١٩٢٤ وجريدة السياسة تنشر سلسلة من المقالات تتهم فيها الحكومة اذ ذاك بعدم النزاهة .. فلما سرت أنباء هذه المقالات في جميع أندية البلاد اضطرت الحكومة أن تقيم الدعوى على الدكتور هيكل ، فاذا بالقضاء يبرئه ، هو وكل محرري جريدته تبرئة أدانت الحكومة ... وسقطت الحكومة .. وكانت هذه أبرز موقعة استطاعت بها صحافة الجيل الماضي ان تسقط وزارة ..

عبد القادر حمزة

١٨٨٠ ــــ ١٩٤١

الحق اقرر أن عبد القادر حمزة قد بدأ صحافته « معتدلا » ، لكنه كان في اعتداله « ثائرا » .. وثورة عبد القادر حمزة قبل ثورة سنة ١٩١٩ كانت ثورة اجتماعية .

كان عبد القادر حمزة محاميا ، ورأى في ساحات القضاء من مشكلات المجتمع الداخلية ما يخيف .. أحس عبد القادر في شبابه ان سلامة « الجبهة الداخلية » ضرورة حتمية لتأمين مسار الجهاد السياسي . فوطن النفس على ان يخلع « روب المحاماة » وان يعمل صحفيا يدافع عن فكرته .

كان عبد القادر من اقليم البحيرة، فقرر ان ينشىء جريدة يومية يعبر بها عن آرائه في اقرب مكان الى اقليمه – في الاسكندرية .. وفي الاسكندرية ، أصدر عبد القادر جريدة « الاهالي »

ولقى من معارضة صحف القاهرة لاسلوبه « الاجتماعى » الشىء الكثير

ثم حانت الفرصة التى تجعل من هذا الاسلوب الاجتماعى اسلوبا سياسيا تميز به عبد القادر حمزة ، اسلوب الكاتب « الموضوعى » الذى يعالج اطول الموضوعات باقل الكلمات .. وكانه كان يختار كلماته اختيارا يتفق مع هذا الاسلوب ، فلم يزد له مقال قط على « عامود » وبضعة اسطر ..

وقامت ثورة سنة ١٩١٩ فاذا بهذا الكاتب الهادىء الرزين الرصين يتحول بقلمه الى قذيفة ضد الاحتلال .. ونقل جريدة « الاهالى » الى القاهرة لتكون قريبة من قلب المعركة . فاذا بسعد زغلول يستدعى اليه عبد القادر حمزة ويعرض عليه أن تكون صحيفته هى صحيفة « الوفد الرسمية » ، لكن عبد القادر فضل ان يكون قلمه حرا طليقا مع التزامه بكل مبادىء الثورة الالتزام الذى عصف بجريدة الاهالى من جانب الطغيان ..

وهنا يبدو واضحا جلد عبد القادر حمزة . فبكل ما عرف عنه من هدوء الطبع فى مظهره ، تجاهل ما حدث لجريدته « الاهالى » وانشا جريدته الثانية « البلاغ » ... وزيادة منه فى الالتزام بمبادىء الثورة جعل شعارها كلمة غزيرة المعنى من كلمات سعد ، هى « الحق فوق القوة ، والامة فوق الحكومة » .

كانت مقالات عبد القادر حمزة أى كان اسلوبه السياسى يدور حول هذا المعنى .

حتى اذا ما دارت الايام ، ومضى جيل سعد ، وجاء من بعده الجيل السياسى ، الذى عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ مع الانجليز ـ كان عبد القادر حمزة اول كاتب صحفى سياسى فتح أبواب الهجوم على المعاهدة ، مضحيا فى هذا الهجوم بصداقته للوفديين خلفاء سعد زغلول .

ولم تكن المسالة من جانب عبد القادر مجرد هجمات صحفية ، انما كان اسلوبه السياسى يرتفع بموقفه الصحفى الى مرتبة الدراسة العلمية للموقف السياسى ..

توفيق دياب

١٨٨٧ ـــ ١٩٦٧



درس فى كلتا مدرستى الحقوق والمعلمين . لكن طموحه قد ذهب به بعيدا الى لندن ليدرس العلوم السياسية . ثم عاد الى مصر فى سنة ١٩١٢ بدراسات ثلاث : التربية والقانون ، والسياسة .. لكنه قد غلف هذه الدراسات جميعا بدراسة الخطابة والالقاء !

العمالقة
الستة

عاد ليدرس « الخطابة » في الجامعة المصرية القديمة .. فلما ضاقت به أو ضاق بها افتتح معهدا حرا لتدريس فن الخطابة .. وكانت الخطابة بالنسبة للجيل الاول من القرن العشرين في مصر أداة السياسة الاولى ..

ثم اغلقت الحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٤ معهده فاحترف الصحافة .. الى ان حط به الرحال في تحرير جريدة « السياسة » عند انشائها في اخريات سنة ١٩٢٢ ..

وفي سنة ١٩٢٤ افتتح اول برلمان مصري في القرن العشرين ، فكان توفيق دياب هو أول « ناقد برلماني » على صفحات جريدة السياسة .

لم يكتف توفيق دياب « المندوب الصحفي » بوصف جلسات مجلس النواب ، بل انه ولاول مرة في صحافتنا ، كان ينتقد ما يدور في هذه الجلسات .. ولم يحتمل احد اقطاب المجلس نقدات دياب ، فاذا به يخرجه عنوة من قاعة المجلس .. واذا بتوفيق دياب يصف هذه الواقعة في جريدة السياسة بمقال عنوانه « شخص الضعيف وكحيل العين » !

لقد وضح في هذا المقال ، وفي عنوانه بالذات ، الاسلوب السياسي لتوفيق دياب ، اسلوب الكاتب المهاجم الذي لا يعرف المهادنة في القول .. حتى لقد كتب بعد هدوء هذه المعركة الصحفية وانتصاره فيها مقالا على صفحات « السياسة الاسبوعية » في سنة ١٩٢٦ بعنوان : « هل من مناجز ؟ » .

كان دياب يبحث عن المعارك ليخوضها .. وقد حانت فرصة معركته الكبرى في أخريات سنة ١٩٢٨ حينما أوقفت وزارة محمد محمود الحياة النيابية حينا ..

لقد كان رئيس الوزراء هو رئيس الحزب الذي يملك الجريدة التي ينشر بها دياب مقالاته ، فاذا به يستقيل منها احتجاجا على وقف الحياة النيابية ولو الى حين .. ولم يكتف بهذه الاستقالة ، بل استقال ايضا من وظيفة كبيرة بادارة الجامعة كانت قد اعطيت له ، وخرج توفيق دياب الى ميدان المعارضة ..

لم يكن دياب في تلك الاثناء ذا مال .. لكنه اشترك مع صديقه محمود عزمي الذي شاركه نفس الموقف ، ليصدرا معا جريدة « وادي النيل » في سنة ١٩٢٩ .

كان هذا المشروع الصحفي المشترك من أعجب المشاريع الصحفية .. كانت جريدة وادي النيل في الاسكندرية ، فكان احد الزميلين يعمل بمكتبها هناك والاخر يعمل بمكتبها في القاهرة .. التحرير في الاسكندرية . والاخراج في القاهرة .. فلما طغت السلطات على امكانيات توزيعها ، اتفق الرجلان مع الوف المحال ، كمحلات الحلاقة والمقاهي ومسح الاحذية لكي تكون مصادر توزيع لجريدتهما .. ولم يكتفيا بهذا ، بل وضعا في كل محل صندوقا صغيرا يودعه من يشاء

الاشتراك فى جريدتهما قيمة الاشتراك اليوم فتصله أعداد الجريدة ابتداء من الغد ! ..

كان شيئا جديدا فى الصحافة ، لكنه لم يستمر طويلا : ففى سنة ١٩٣١ استطاع توفيق دياب ان يعقد اتفاقا مع حزب الغالبية « حزب الوفد » على ان يصدر بلسانه جريدة جديدة فى القاهرة .. وكان اسم هذه الجريدة « الجهاد » . واتخذ توفيق دياب لجريدته الجديدة شعارا من شعر شوقى هو :

قف دون رايك فى الحياة مجاهدا
ان الحياة عقيدة وجهاد

والواقع ان هذا الشعار كان يتمشى تماما مع الاسلوب السياسى لتوفيق دياب .. اسلوب رجل المعارك .

لقد تبنى توفيق دياب فى جريدة «الجهاد» معركة الشباب فى سنة ١٩٣٥ ، وهى المعركة التى جرح فيها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وهو طالب صغير .. وكان دياب يضع فى مكان الافتتاحية الجريدة التى يكتبها وصفا شاملا لهذه المعركة باسماء كل من خاضوها من الشباب ، ومنهم عبد الناصر .

هذا هو الاسلوب السياسى لتوفيق دياب ، والواقع أن اسلوبه التحريرى كان متأثرا بقوته الخطابية .. لقد كانت مقالاته الافتتاحية خطبا يلقيها على سكرتيره الخاص ، فكانت هذه المقالات ، او الخطب ، تثير حماسة الجماهير .. الى أن قامت الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ .. فتعطلت بقيامها المنابر السياسية ، ومنها مقالات دياب . واحتجبت جريدة الجهاد .. لكن بعد أن كون كاتبها توفيق دياب مدرسة التحرير الخطابى التى سيطرت على جناح الصحافة الحزبية الى ان ألغيت الاحزاب فى يناير سنة ١٩٥٣ ..

فكرى أباظة

من مواليد ١٨٩٧

فى حماسة الثورة سنة ١٩١٩ حمل المحامى اللامع الشاب فكرى اباظة قلمه وذهب به الى جريدة الاهرام ..

كان المقال الاول الذى نشره فكرى اباظة على صفحات الاهرام فى ٥ ديسمبر سنة ١٩١٩ مفاجأة لاصحاب الاساليب الصحفية السياسية .. كان دراسة تغوص فى أعماق السيطرة الاجنبية على مصر قبل قيام الثورة .. فيومئذ كتب يقول ردا على مقال لجريدة التيمس اللندنية :

« خيل الى أن التيمس تفترض ضمنا ان عدد الانجليز فى الوظائف الكبيرة

العمالقة الستة

بمصر ضئيل ، أو على الأقل لا يذكر بجانب المصريين .. بحثت وبحثت حتى وصلت الى نتيجة وقفت أمامها مذهولا متحيرا .. فى مكتبات الوزارة كتيب صغير ، غير الكتيب الاصفر ، حصرت فيه أسماء الموظفين المصريين والاجانب . حدقت فى كتيب منهما ، واخذت أجمع واطرح ،واضرب واقسم ... وكانت النتيجة ٧٤٥ انجليزيا ، ٩٩ اجانب ، ١٥٠ مصريون .. أى ان عدد الانجليز ثلاثة اضعاف المصريين .. وقد وفد علينا فى هذين اليومين جيش جرار من شبان انجليز زاحمنا حتى فى اصغر وظائف مصرنا العزيزة .. وسارت حكومتنا مع الوافدين على النصف الثاني من المبدأ المشهور «احرار فى بلادنا ، كرماء لضيوفنا» فالحقتهم بالوظائف الفنية ، وغير الفنية .. وترتب على ذلك خروج عدد من الموظفين المصريين، التجأوا للمحاكم طالبين العدل ، وكان دفاع الحكومة ولا يزال يتلخص فى كلمتين : « رفتناه للاستغناء » .. ولو انصفت لقالت : « رفتناه للاستبدال » ...

هذا هو الاسلوب السياسى لفكرى اباظة .. البساطة التى تناهت فى بلاغة الحقائق المدعمة بالوقائع والارقام ..

لمع فكرى اباظة ككاتب سياسى من لون جديد منذ مقاله الاول .. ولكى يدرك الجيل الناشىء كيف لمع فكرى بهذا المقال البسيط نعود بهم الى تعليقات صحف بريطانيا على ثورة سنة ١٩١٩

لقد كانت جريدة التيمس اكبر الصحف الانجليزية تقول ان ثورة مصر اذ ذاك « ثورة افندية يريدون وظائف » فاذا بهذه اللمحة الذكية فى أول مقال سياسى لفكرى أباظة تعكس الآية وتثبت لكل الناس ان العكس هو الصحيح .. وان طلاب الوظائف فى مصر هم شباب الانجليز لا المصريين .

ولما ترددت اصداء هذا المقال فى كل الاندية ، ابرق تقلا « باشا » صاحب جريدة الاهرام الى الاستاذ فكرى اباظة المحامى بالزقازيق ليقابله فى اقرب فرصة بالقاهرة .. وفى هذا اللقاء عرض صاحب الاهرام على فكرى ان ينضم الى تحرير الاهرام بالشروط التى يريدها ..

كان هذا فى يناير سنة ١٩٢٠ ولم يكن فكرى اباظة المحامى الشاب اللامع يتصور ان يترك المحاماة الى الصحافة ، فاعتذر .. وانتهى الاتفاق الى ان يزود فكرى جريدة الاهرام بمقال اسبوعى ..

وفى مقالات فكرى على صفحات الاهرام برز أسلوبه ، ليس اسلوبه



محمد التابعى
من مواليد ١٨٩٦

القاسم المشترك الاعظم بين هذه المجموعة هو محمد التابعى الذى عمل مع كل اولئك العمالقة فى الصحافة ، وكان صديقا لكل منهم .. لكن عمله معهم وصداقته لهم لم تؤثر قط على اسلوبه الخاص ، لانه كان صاحب مدرسة صحفية مثل بعضهم واكثر من البعض الاخر ...

كل علم من هؤلاء الاعلام الخمسة كان له ماض غير صحفى ، اما التابعى فقد كانت الصحافة هى كل ماضيه كما هى كل حاضره ..

وتبدأ قصة التابعى الصحفي من « قهوة الفن » بشارع عماد الدين ، كان هذا المقهى ملتقى اهل الفن ونقاد الفن ، وكان التابعى ، اول نشأته الصحفية ناقدا فنيا لجريدة الاهرام ، وفى ظنى ان كل نقاد الفن منذ نصف قرن حتى الان مدينون بالشىء الكثير

السياسى فقط ، بل اسلوبه الصحفى ايضا . وكان لهذا الاسلوب شكل ومضمون ...

من ناحية الشكل ابتكر فكرى اباظة اسلوب الكتابة بالنقط وعلامات التعجب والاستفهام التى تغنى عن الشرح ..

وقد اصبحت لهذا الاسلوب الاباظى مدرسة واسعة النطاق فى حياتنا الصحفية منذ خمسين عاما حتى الان

ومن ناحية المضمون تخصص فكرى اباظة فى تقديم الموضوع السياسى فى اطار قد يكون اجتماعيا وقد يكون عاطفيا ...

فأنت حين تقرؤه وهو يتحدث عن مشكلة زيادة النسل ، قبل غيره ، منذ عشرات السنين ـ تشعر أنه يجس صميم السياسة بغير امعان فى السياسة ..

وانت حين تقرؤه فى قصة غرامية مع فتاة اوربية تحس من خلال عواطف الحب بمشكلة سياسية هى مشكلة ازمة الثقة بين الشرقيين والغربيين !

لقد انتقل فكرى اباظة بأسلوبه من جريدة الاهرام الى مجلة « المصور » عند انشائها سنة ١٩٢٦ . ونجح اصحاب دار الهلال فى اجتذابه الى العمل الصحفى ، فاذا به يقود ، بأسلوبه السياسى ، مدرسة صحفية جديدة قوامها التعالى على التحرب فى التفكير ..

ذلك ان فكرى ، وقد كان من اقطاب الحزب الوطنى ، لم يقحم حزبيته قط فيما يكتب حتى الان .. وبعد الان باذن الله ...

العمالقة

الستة

لقلم التابعي ...

نشأ التابعي شابا يحب الابتكار ، حتى التوقيع الذى كان يوقع به مقالاته الفنية بجريدة الاهرام كان شيئا جديدا كان يسمى نفسه « حندس » ، وقد أثار هذا الاسم تساؤلات كثيرة فى الاوساط الصحفية والفنية ، وكانت هذه التساؤلات سببا من أسباب شهرة التابعى ..

وذات يوم من سنة ١٩٢٤ التقى التابعي الشاب بشاب آخر فى « قهوة الفن » ، الشاب الاخر هو عبد المجيد حلمى أول من انشأ مجلة متخصصة فى شئون المسرح ، وكان اسمها « المسرح » ، وكان هذا اللقاء هو الاساس فى ظهور هذه المجلة ..

اتفق الشابان على اصدار هذه المجلة ، الملكية لعبد المجيد حلمى ، والجهد لمحمد التابعي .. ثم اتفقا على أسلوب جديد لكتابة الخبر والتعليق ، وهو الاسلوب الذى اشتهر به الصاحبان .. الاسلوب الذى يمكن ان نسميه « الاسلوب الكاريكاتورى »

فكما ان الرسام بالكاريكاتير يلتقط لمحة مميزة للشخصية التى يرسمها ، كذلك كان هذان الشابان يكتبان ..

ومات عبد المجيد حلمي فى فجر شبابه ، وظل هذا الاسلوب مرتبطا باسم التابعى وقلمه ، وقد انتقل التابعى بهذا القلم وهذا الاسلوب الى مجلة روز اليوسف عند انشائها سنة ١٩٢٦ .

والذين يتابعون تاريخ الصحافة المصرية المعاصرة يعرفون ان مجلة روزاليوسف نشأت مجلة فنية لأدب المسرح ومسرح الادب ، لكن حدثا هاما قد أحدث بها انقلابات .

ففى خريف سنة ١٩٢٧ اهتز الميزان السياسى بوفاة سعد زغلول ، وأحس خلفاؤه ان بهم حاجة او رغبة فى تطوير صحافتهم لمواجهة صحافة معارضيهم، فتخيروا مجلة روزاليوسف « الفنية » لهذه المواجهة .. وتحولت مجلة روزاليوسف من مجلة فنية الى مجلة سياسية يحررها محمد التابعى، وهذا هو الجديد القديم فى صحافة محمد التابعى .

فبشيء يشبه العبقرية تحول التابعي بأسلوبه فى النقد الفنى الى اسلوبه فى النقد السياسى !

لقد اعتبر التابعى كل الساسة والزعماء أبطالا فى مسرحية يجرى عليهم من النقد ما يجريه على أبطال المسرحيات ـ وبنفس الاسلوب .. وظهر فى صحافة مصر اسلوب صحفى سياسى جديد ..

كان التابعى يصف الساسةوالوزراء الذين ينتقدهم اوصافا فنية جديدة غير مسبوقة .. كان يسمى احد الوزراء « وزير الفاصوليا » ووزيرا اخر « وزير الاذية وقطع العيش » .. بل لقد ذهب فى أسلوب النقد الصحفى السياسى الى ان سمى احد رؤساء الوزارات « وزير الاسبرين » كما كان يسمى رئيس وزراء اخر ، وهو اسماعيل صدقى ، « وزير الكليشيه » ... بل لم يكن الساسة الذين يؤيدهم ينجون من تشبيهاته المفزعة ، حتى لقد كان يسمي مصطفى النحاس رئيس حزب الاغلبية « حامل عمامة التقى والورع » !

واحسب وانت تراجع معى هذه الاوصاف التى ابتكرها التابعى قد احسست بما فيها من لمحات كاريكاتورية بارعة .. ولهذا يعتبر التابعى صاحب اكبر مدرسة كاريكاتورية فى الصحافة المصرية ، اذ لم يكن أى رسام يجد اية صعوبة فى افراغ مقالاته فى رسوم لاذعة ..


ساهم في أكبر مشروع خيري ..
يانصيب
دار أم كلثوم للخير
جائزة أولى
٢٠٠٠٠ جنيه
قيمة الجوائز ٣٠٠ ألف جنيه
موزعة على ٣٠٣٤ جائزة مالية
تذاكر مقسمة على ثلاث فئات :-
١٠٠ قرش و ٥٠ قرشاً و ٢٥ قرشاً
السحب يتم يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ على التذاكر المباعة فقط
يمكنك الحصول على تذاكر اليانصيب من بنك القاهرة والبنك الأهلي المصري
وبنك مصر وبنك الاسكندرية وفروعها بالقاهرة والأقاليم وسائر المتعهدين





حسين شفيق المصرى

ثلاثة من فرســـان ..

حتى الآن ، ومنذ أمد بعيد فى عمق الزمـــان ، لا تزال الـــكلمة الضاحكة فى حياة المجتمع الانسانى ـ موهبة ثمينة ! .. ان رصيد الاجيال من تراث عمالقة الكلمة الساحرة يقل فيه نصيب التاريخ ومعطياته من نجوم الكلمة الضاحكة . . . بيد أن هناك فترة مصرية خصبة لم يتح بعد للتاريخ أن يستوعب كنوزها ويجلوها ... ففى اعقاب ثورة سنة ١٩١٩ ، تهيأ لمجتمعنا «عصر النهضة» مع احتدام صراع العقول والاقلام فى معارك الوطنية والسياسة ، وقضايا الفكر والأدب والشعر، فتفجرت المواهب وأثمرت الأدب الضـــاحك ، ولمع أصحاب الأساليب المبدعة ، ســـخرية ، ولذعا ، وفكاهة مصرية تتميز بخصائصها الفريدة ، وتتألق بين فنون الأدب الانسانى والعالمى.



عبد العزيز البشرى





ابراهيم المازنى

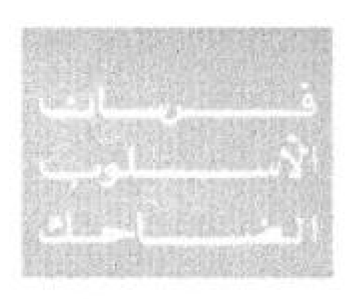
.. الأسلوب الضاحك

أبو نواس الجديد

ليس من شرعة العدل فى موازين الادب الضاحك ، أن يقال ان حسين شفيق المصرى كان صاحب أسلوب . فانما هو فى الواقع صاحب أساليب منوعة ومبتكرة لكل منها خصائصه الفريدة المتميزة . وكل منها مدرسة وحده ! ..

كان حسين شـفيق المصرى فنانا اصيلا ، خصبا ، متـدفقا ، متعدد الجوانب والمواهب ... ولد لأب تركى وأم يونانية ، ونشأ وعاش « ابن بلد » قاهرى ، يضرب فى اعماق المجتمع المصرى خلال النصف الاول من القرن العشرين، يتابع تحصيل العلم والمعرفة، ويستلهم تجارب الايام والليـالى فى الشوارع الضيقة والحوارى ومقـاهى وأسواق الدرب الاحمر ..

ومن ملامح صورة حياته فى كتاب « الظرفاء » ، فقد « كان والده محمد



بك نور نموذجا للتركى المتعجرف المتلاف ، يملك عزبة فى قليوب ، وعندما مات كان قد فقد كل شيء تقريبا ، الارض والقصر والخيل ، ..

ومع البداية الاولى لعهد الشباب ، استقبلته الحياة استقبالا خشنا ، فقد تقلب حسين شفيق المصرى فى أعمال مختلفة ومهن كثيرة ، وتنقل من كاتب محام الى مصحح فى الجرائد ، قبل أن يخلص للعمل بالصحافة محررا وشاعرا وكاتبا مجددا غزير الانتاج ، يتميز بأسلوب فريد فى مرحه ولذعه وسخريته، ويبرع فى استخدام الفكاهة والنكتة كسلاح عظيم الخطر فى معارك السياسة والفن والادب ، وقضايا المجتمع ...

●●●

الكتابات ، والخواطر الشائقة ، والصور القلمية، والافكار التي ابتكرها حسين شفيق المصرى ـ كانت فتحا جديدا فى عالم الادب الضاحك ، أبواب الصحافة السياسية والفكاهية ... ومن أبدع وأشهر مأثوراته فى مجلة « الفكاهة » التى أصدرتها دار الهلال سنة ١٩٢٦ ، والتى كان يرأس تحريرها قصائده الرائعة فى الشعر الفكاهى الذى ابتكر له اسما طريفا فأطلق عليه « الشعر الحلمنتيشى » ...

لقد بدأ بالمعلقات السبع المشهورة فى تاريخ الشعر العربى ، ثم اتبعها بالمأثورات من روائع الشعر ، فكان يأخذ البيت الاول فقط من « المعلقة » أو القصيدة المشهورة ، ثم ينظم من نفس البحر والقافية قصيدة كاملة من الشعر الفكاهى تملأ النفس اعجابا ، وطربا ، ومرحا ، وتثير فيها أجمل ما تثيره الفكاهة الرفيعة الهادفة ...

قال الشاعر الحصرى فى قصيدته المشهورة :

يا ليل الصب متى غــــده ؟ أقيام الساعة موعـــــده ؟!

وأكمل حسين شفيق المصرى يقول :

الحب يعضعض فى كبـــدى ويشيل القلب ويهبـــده !
والصبر على بدنى ثـــوب سكين الشوق تهـــريده ...
والود شعير أزرعـــــه وحسودى يبجى يحصـــده !
وعمود الامل بعيـــل اذا حضر الرقباء فاسـتـــنده !
يا غلبى ، يا خيبة امـــلى يا شدة ما اتكبـــده ... !

وقال عنترة بن شداد العبسى فى قصيدته المشهورة :

حكم سيوفك فى رقاب العـــذل واذا نزلت بدار ذل فارحـــل

فكتب حسين شفيق المصرى مكملا :

ارحلا عن الدار التى أصحابهـــا لا يطعموتك من لذيذ المأكل ! ..
بئس الطعام الفول وهو مدمس مهما تحاول بلعه لا ينـــزل !
أصوم ، ويحك ، ثم آكل جبنة ان الصيام له طعـــام فللى !

وقال شرف الدين عمر بن الفارض فى قصيدته المشهورة :

سائق الاظعان يطوى البيد طى منعما عرج على كثبـــان طى

فأكمل حسين شفيق المصرى يقول :

وإذا لاقيت من أهواه قبل | للذى أهواه من يهـواه حى
أننى اشتقت اليـه ، وأرى | من هواه النار تشوى القلب شى
فى فؤادى لحبيبى عـزبة | زرعت شوقا وفيها الـدمع رى
وبأرض الحب أشجار لهـا | ثمر يأكله المشـتاق نى !

***

ومن الشخصيات الفكهـة التى ابتكرها حسين شـفيق المصرى شخصية الشاويش شعلان عبدالموجود .. وكان يكتب على لسانه محاضر تحقيق على نحو ما يعرف فى أقسام الشرطة، ولكنه يخرجها حافلة بالصور المرحة والفكاهة والنقد الاجتماعى .. كتب على لسان الشاويش شـعلان يقول فى محضر التحقيق :

« فى تاريخه أبناه وأعلاه .. أنا الشاويش شعلان عبد الموجود ... فى الساعة كذا وأنا قاعد فى القسم ، حضر قدامى جدع طويل عريض زى الشحط ، متهم فى جناية خطف فرخة ... وبدأنا نعمل المحضر اللازم ، آه يا نارى ... ! »

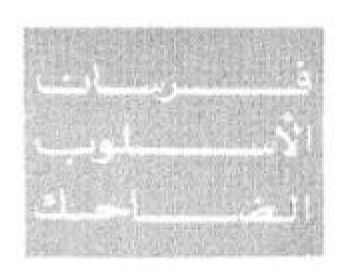
وكان من أبرع وأمتع الابواب التى يكتبها فى الفكاهة ، باب « محكمتنا العرفية » وفيه يحمل حملة شعواء على كل مظاهر الفساد فى حيـاة المجتمع ، ويهاجم الشركات المستغلة، والاستبداد والخوف والجهل فى عنف ، وبأسلوب فنى ساخر ، يمتع ويثير ويقنع ...

ومن أبوابه المبتكـرة فى الفكاهة أيضاً باب للنقد الاجتماعى الساخر الجرىء ، يكتبه كل أسبوع تحت عنوان : « نظرات معتوه » .. وكذلك باب « ما قولكم » الذى كان يرد فيه على أسئلة القراء بأسلوب يجمع بين الجد والهزل والدعابة ، ولا يخلو من عبرة التجربة والنصيحة الواعية ...

***

لقد خلف لنا حسين شفيق المصرى ــ ابو نواس الجديد ــ كنوزا باهرة من فنون الشـعر والزجل والفكاهة وأساليب الادب الضاحك ، لا تزال حتى اليوم نابضة بالحيوية والتوهج وإذا كانت القضية أو القضايا بين الشعر العمودى والشـعر الحر ، لا تزال تثير بيننا المناقشات والجدل، فقد عبر حسين شفيق المصرى عن رأيه فى هذه القضية بأسلوب نافذ مفحم . أغلب الظن انه لم يكـن من محبى الشعر الحر أو مؤيديه ، ولكنه لم يهاجمه ، ولم يعترض عليه ، وانما عمد الى أن ينشىء نماذج تتوافر فيها كل خصائصه وملامحه المميزة ، وبذلك كان ينال من هذا الشعر الحر ــ أو كما كان يسميه الشعر المنثور ــ ويسخر منه بأكثر مما يكون لاقى معارك الهجو والهجوم ! ..





من قصائد هذا الشعر المنثور كتب حسين شفيق المصري تحت عنوان : « وراء الغيب » :

ها هي الأبدية فاتحـــة ذراعيها لاحتضان الأجيال ..
وها هي أمواج الحياة تتكسر على شاطىء الكينونة الدائمة !
وفي هذا المحيط الاثيري يسبح كل شيء ...
وكل شيء يرسب ويطفو في هـذا الاوقيانوس اللانهائي ...
والذين يصلون الى الشـــاطىء تحتضنهم الابدية ، وتأخذهم الى العالم اللامعروف ...
وهنـــاك ، وراء الغيب ، تقابلهم الطبيعة مبتسمة
ويجلس الكل على يسارها ، الا المحبين ...
فانهم يجلسون على اليمين ! ...

وقصيدة أخرى عنـــوانها « ليلة الزفاف » :

الحياة تبتسم بشفتيها القرمزيتين
والسعادة مقبلة تجرجر أذيال الفخر السندسية
ذات النقوش البديعة ...
والهناء واقف باسط ذراعيه يريد احتضان الفتاة البللورية الجبين !
. . . .
ما أجمل هذه النجمة المنفردة في الشمال الشرقي
فوق منزل حبيبتي ...
ما اسمك أيتها النجمة البراقة ؟
اني أطير اليك بروحي لاقبل فمــك الضيائي !
تلألئي أيتها النجمة كالوجه الجميل عند ابتسامة الفوز والغبطة .
وليدم صفاؤك في السماء ! ..

و ... سواء كان حسين شـفيق المصري قد تعمد بهذا الاسـلوب ان يهاجم الشعر الحر ، او المنثور وينال من شعرائه ، ام لم يكن متعمدا وكانت كتاباته في هذا المجال مجرد فيض من فيضه المتدفق المتجدد ـ فانه بهذه الطريقة العملية وبهذا الاسلوب الساحر الساخر ، يقدم لخصوم الشعر الجديد سلاحا اكيد المفعول نافذا في صميم العمق البعيد !

شـــيخ الـــكاريــكاتــير

لم يكن ينقصـــه شيء من عناصر الاجادة والتجويد في الفكاهة والكتابة الضـاحكة بأســـلوب متميـــز يختلط فيه الجـــد بالمزاح واللذع .. فقد كان البشري قطنا ، حاضر البديهة ، دارسا مرهف الحس ، يعرف كيف يصـــوب فكاهته وسخريته الى نقط الضعف في عادات المجتمع ، ورسم الشخصيات، فاذا هي تبرز نابضة ، تقطر فلسفة،

وعمقا ، وطرافة ، وفهما أصيلا لطبائع البشر ودخائل النفوس ..

كان البشرى واسع الاحاطة بثقافة عصره ...

ولد عام ١٨٨٦ ، وشب فى رعاية والده العالم الكبير سليم البشرى ، الذى تولى منصب شيخ الازهر مرتين فى حياته ـ ثم التحق بالازهر، وتخرج فيه مزودا برصيد موفور من الثقافة الدينية ودراسات القرآن والحديث والفقه والتفسير ، وعلوم اللغة والبلاغة والبيان ...

وبالاضافة الى ذلك ، فقد اتجه البشرى الى دراسة الادب فى شغف وعاطفة جارفة ، فعكف على قراءة دواوين الشعراء ومؤلفات الكتاب ، وكانت كتب الجاحظ ـ كما يقول الدكتور جمال الدين الرمادى ـ من أحب الكتب الى نفس البشرى ، ككتاب الحيوان ، والبيان والتبيين ، والبخلاء ، وغيرها من الكتب والرسائل ..

وقد آثر البشرى الوظيفة ، منذ تخرجه فى الازهر وحتى لقى وجه ربه عام ١٩٤٣ ، فلم يحترف الصحافة أو الادب ، واشتهر فى الاوساط الادبية واندية الفكر ، كمحدث فكه لبق بارع النكتة حلو الحديث ...

يقول الكاتب الناقد أنور الجندى :

« ... وامضى البشرى ثلاثين عاما وهو يكتب ، ولكنه كان مقلا متأنقا ، لا يوقف نفسه على الكتابة ، وانما



يرسلها ارسالا تأتى أحيانا على فترات متباعدة أو متقاربة ... »

والآن ... اين يقف عبد العزيز البشرى بين ادباء جيله ... وما هو مكانه فى الادب العربى المعاصر ؟ ..

يقول الدكتور شوقى ضيف فى كتابه « الفكاهة فى مصر » :

« الحق أن البشرى اديب معروف ، يحسن صناعة الفكاهة قولا وكتابة غاية الاحسان ، ولا نبالغ اذا قلنا انه ترك لنا بكتبه متحفا للضحك من كل شكل ومن كل لون لذعا ومرحا ودعابة ... »

والدكتور جمال الدين الرمادى فى كتابه « عبد العزيز البشرى » ـ يقول :

« كان عبدالعزيز البشرى اديبا رائق الاسلوب ، ساحر العبارة ، ساخر المعنى ، يمثل الروح المرحة فى أرق صورها وأرقى مظاهرها .. »

« والكتب التى الفها البشرى ، أو المقالات التى جمعها، كانت فريدة فى بابها .. فكتابه « فى المرآة » كان فتحا جديدا فى هذا اللون من الكتب فى تصوير وتحليل الشخصيات .. وكتابه : « المختار » طريف ، يضم بحوثا خصبة فى الادب، وتراجم ممتعة لأدباء اتصل بهم وتأثر بهم ونقل عنهم .. اما كتابه « قطوف » ففريد فى بابه ، لانه يضم دراسات اسلامية ممتعة ، وانتقادات اجتماعية طريفة ، وآراء فنية رائعة ، لا تصل الى ما وصلت اليه من روعة لو كتبها غير عبد العزيز البشرى من الكتاب او الادباء ... »

ولكن الكاتب الناقد انور الجندى يقول :

« لم يتهيأ البشرى لكى يكون كاتبا اديبا ... ولعله كان يؤمن فيما بينه وبين نفسه انه ليس بكاتب ، وان كان قد ترك آثارا لا تزال حية باقية ..

« وقد برع البشرى فى تصوير المجتمع واحداثه وكل ما يتصل بالناس



فيه ، ولقدرته على ايراد النكتة أو تشقيق السخرية مدى بعيد في خلود آثاره ، لولا ذلك التكلف الذى يبدو على اسلوبه بين حين الى حين، وعندما يريد أن يحيى لفظا ميتا ..

وقد فرض البشرى نفسه على الادب ، كاتبا من البلغاء ، ذوى الديباجة الرصينة والاسلوب البيانى الى صف الرافعى ، والزيات ، والمازنى .. ولو قد أتيح للبشرى أن يوغل فى الصحافة كما حدث للمازنى او المنفلوطى ، اذن لتحول اسلوبه الى شىء من اليسر والتبسط .... »

على أن كتابات البشرى ، صورة من طبيعته الانسانية ، ففيها مزيج من الجد والفكاهة ، واسلوبه يجمع بين الرصانة والبساطة .. كتب مرة يصف صديقه الأستاذ فكرى اباظة ، فقال :

« متكور الوجه ، أضيق العينين فى ضيق محاجر ، مقرون الحاجبين ، لو رأيته مع أخوة لحسبته بعض تلك النباتات التى تخرج وحدها لم يتعهدها منجل البستانى بالتسوية والتهذيب »

وفى كتابه « المرآة » كتب يصف صديقه الأثير شاعر النيل حافظ ابراهيم ، ويداعبه فقال :

« ... جهم الصوت ، جهم الخلق، جهم الجسم ، كأنما قد من صخرة فى فلاة موحشة ، ثم فكر فى آخر لحظة أن يكون انسانا ، فكان والسلام ..

« أما عيناه فكأنهما دقتا بمسمارين دقا .. واما لون بشرته والعياذ بالله، فكأنما عهد به الى نقاش مبتدىء ، تشابهت عليه الأصباغ والالوان ، فذاب أصفرها فى أخضرها ، فى أبيضها ، فى بنفسجها ، فخرج من هذا كله لا يرتبط بواحد منها بسبب ! ..

وهو اذا أطلقته فى البر ، حسبته فيلا .. واذا أطلقته فى البحر ، حسبته درفيلا ! .. »

ومع حرص البشرى على أن تلتقى البساطة والرصانة فى أسلوبه وكتاباته فقد كان يحمل على المتقعرين فى الفصحى والمتشبثين بالغريب من الفاظها .. فهو يسخر منهم ، ويقول :

اذا ابيتم الا يتندر الناس الا بالفصيح، فعليكم أولا بتحفيظ الامة كلها المعلقات السبع ، والمذهبات السبع ، والمنتقيات السبع ، والملحمات السبع .. وانا زعيم لكم بأن الناس لن يعودوا يسمعون فى أعراس أولاد البلد فى قافية أسماء الشوارع، مثلا : اللى على جنتك .. اشمعنى ؟ .. الضرب الاحمر ! .. وسيسمعون بدلها ان شاء الله : هذا البادى على جثمانك .. ما باله ؟ .. من أثر المشق بالسياط !! .. »

إبراهيم الساخر

على امتداد رحلة عمره ، بين اغسطس ١٨٩٠ واغسطس ١٩٤٩ .. اعطى المازنى للشعر والفكر والادب ثلاثين عاما كاملة ، عاشها مشرع القلم ، ينظم ويؤلف ويترجم ، ويكتب فى الوطنيات ، والسياسة ، والقصة ، ومشكلات المجتمع والمرأة ، والحب ، والزواج والعاطفة ..

كانت البداية مع ارهاصات الثورة

المصرية سنة ١٩١٩ ، فقد ترك الاشتغال بالتدريس فى مدارس الحكومة وبعدها المدارس الاهلية . ليلتحق بالعمل فى جريدة « وادى النيل » سنة ١٩١٨ كاتبا ومترجما ··

وعندما اشتعلت الثورة ، نزل المازنى الى الميدان بقلمه ، يشارك مع الثائرين فى كتابة المنشورات السرية التى تزيد الثورة اشتعالا ، ويكتب فى صحيفتى « الاخبار » و « الافكار » مقالات ملتهبة يوقعها بامضاء « مطلع » ، حتى اتهمته السلطات بالدعوة لاثارة الشعور العام وهددته بالنفى والتشريد ·· وبعد أن توقفت « الاخبار » عن الصدور عام ١٩٢٥ ، تفرغ المازنى للكتابة والتاليف مع الاشتغال بالصحافة حتى آخر اللحظات فيما بقى من عمره ··

وفى حياة المازنى ثلاثة أحداث ضخمة ··

يقول الاستاذ انور الجندى : « أول هذه الاحداث وفاة أمه ، ثم حادث أصابة ساقه ، ثم وفاة زوجته الاولى كان يحب امه فى عنف ، وبصورة لم تعرف الا عند جبران ·· : « ان



موتها هدنى ، فقد كانت أما ، وأبا ، وأخا ، وصديقا ··· »

أما اصابة ساقه فقد كانت له منها عقدة الرجانب عقدته من قصر قامته، وقد عولجت ساقه ، « ولكن العلاج الذى استمر ثلاثة اشهر ، كان فيه بعض الخطأ ، فانحرفت عظمة الساق عن استقامتها ، فقصرت عن اختها ، فكان هذا العرج ··

« وكان هذا فى سنة ١٩١٤، فتغيرت الدنيا فى عينى ، وزاد عمرى عشر سنوات فى لحظة، وادركتني الشيخوخة فى عنفوان شبابى ، فاحتشمت ، وصدفت مضطرا عن مناعم الحياة وملاهى العيش ، وغمرت نفسى مرارة كان يخيل الى انى أحسها على لسانى »

« ثم كان الحادث الثالث ، وفاة زوجته التى كان يحبها اعظم الحب ، فحزن عليها حزنا شديدا ·· : « ·· وهانا الان بين الاحياء لا يدرى الناس انى مت منذ سنين ، وانى قبر متحرك كشمشون ملتون ، او جثة لم تجد من يدفنها ، او صورة باهتة لما كنته فى حياتى ··· »

وخلال حياة المازنى ، حياته كلها ، كان لهذه الاحداث الثلاثة اثرها الواضح والمستتر فى شخصيته، وعلى السطح وفى الاعماق من فكره وادبه ·

●●●

على ان المازنى لم يخس بهيض ساقه كثيرا ، فشخصيته ــ كما تقول الدكتورة نعمات فؤاد ــ انما تستمد قوتها واسرها من روحه الادبية وثقافته الممتازة ، لا من مظهره الجسمانى أو هيئته ، لهذا كله لم تخلف العلة فى نفسه المرارة التى

فرسان الأسلوب الضاحك

خلفتها في نفس « بيرون » ، واثارت نقمته على الحياة والناس ..

بل لعل ساقه التي هيضت في شبابه ، كانت من أسباب انزوائه واعتزاله وتفرغه للقراءة ، مما اتاح له أن يظفر بقدر ضخم من الثقافة واعمال الفكر والتامل وان يكون واحدا من الرواد الذين مهدوا لنهضة ادبنا المعاصر ، يتميز انتاجه الضخم بالاصالة والدقة والعمق ، والاسلوب المتفرد الفكه الساحر والساخر ..

ولعل اول واجمل ما يملأ الخاطر من آثار المازني ، هو اسلوبه المشرق المحبب الى النفس ، والنابع من ثقافة عريضة ، وموهبة قادرة على اذابة العامية في الفصحى ، وسخرية ناعمة تجلوها روح الفكاهة المصرية عذبة خالصة ...

وفي كتاباته يبدو المازني منطويا على حزن دفين ، ولو انه يصور نفسه فيما يكتب باسما ساخرا ، لا يحفل بأمر من أمور الدنيا وما تأتي به صروف الاحداث والاحزان ، ويستقبل الحياة طروبا ضاحكا ، يتحدث عن الدنيا كأنما قد نفض يده منها فلم يعد يطمع في شيء مما تحفل به من جمال ومغريات .. بل انه يروى عن نفسه انه في صباح يوم عرسه دخل الى مكتبته واعتكف فيها طول يومه غير مبال بهذه الانسانة الجديدة !

واسلوب المازني متميز في ادبنا الحديث ، يمكن اكتشافه ولو لم يوقعه صاحبه ، عباراته سلسلة شائقة ، وجمله قصيرة متلاحقة ، وتشبيهاته متجددة ، دقيقة ، وطريفة .. فهو يقول ! « اقدم من هرم خوفو ! .. » و « .. : « معدتي طاعنة في السن كمخلاة قديمة ! » ..

ويقول : « الزواج يشبه لبس الحذاء ، والاعزب كالذي اعتاد الحفا ... »

و « كانت لا تريد ان تتزوج ، وصدقت فما تزوجت لانها ماتت »

و « كان شديد السكر ، حتى انه كان يمشي متزنا ! .. »

و « كانت مشاكله كثيرة ، حتى انه لم يكن يملك الا ان يبدو سعيدا ! .. »

ولقد سخر المازني في كتاباته ، من كل شيء ، حتى من نفسه .. ولكنها كانت سخرية سمحة ، تنثر البهجة والبسمات ، وتعطي أدبا مصريا خالصا ممتعا ، وباقيا .. ورغم تأثره الواضح بكتابات « مارك توين » الكاتب الامريكي الساخر – كما ذكر هو في كتابه « صندوق الدنيا » – فقد كان في فكاهته وسخريته فنانا رائدا خلاقا ، وكان في ذات الوقت عميق الغور ، واسع الافق ، انطبعت في نفسه – كما يقول الكاتب الناقد انور الجندي – صور الحياة المصرية في مختلف مظاهرها ، غاية في القوة والوضوح ، « فما اظن كاتبا استطاع تصوير هذا الشعب في افراحه واحزانه واعياده ومواسمه – كما فعل المازني .. »


شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
تعتبر شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية



في الملتقى الإسلامي بالجزائر

وعدت القراء في العدد الماضي ، ان احدثهم هذا الشهر عن رحلتي الى الجزائر

وكنت أمل ان يكون حديثي عن الجزائر موسعا ، يشمل هذه الارض المجاهدة المباركة شبرا شبرا ، بكل ما تحتوى من أدب وفن وفكر ، اذ كنت اتصور – وانا اتلقى الدعوة من السفير العزيز مزهودى – سفير الجزائر بالقاهرة – اننى مدعو الى جولة فى انحاء هذه الجنة الخضراء

ولكنني فوجئت هناك بالحصار فى شبر ضيق من ارض الجزائر ٠٫٣٠ فى بلدة هادئة بعيدة عن حركة الحياة ... هى بلدة « تيزى أوزو » حاضرة منطقة القبائل ، وهى بقعة جبلية وجل سكانها من البربر الذين لا يحسنون اللغة العربية ، وان كانوا فى اصولهم من العرب العاربة

كان هذا الحصار ، فى الملتقى الكبير الذى عقد بهذه البلدة ، للتعرف على الفكر الاسلامى

وهكذا اتيح لى هناك ان استمع الى اصوات علماء الاسلام ومؤرخيه من مصر والمغرب وتونس ولبنان وسوريا واليمن وأندونيسيا والسنغال وجزر القمر ٠ وحتى استراليا

دون ان احقق ما كنت احلم به من لقاء ادباء الجزائر وشعرائها ورادة الفن فيها

على اية حال ... لم اخرج من هذا الملتقى صفر اليدين ، ولم اعد للقراء بخفى حنين

فالواقع اننى عشت اسبوعين متصوفا فى لقاء روحى كبير ، استمعت خلالهما الى ثمان وعشرين محاضرة فى مختلف الشئون الاسلامية ، يضاف اليها عشرة تعقيبات على الاقل ... وعشرات من الاسئلة والاجوبة ... بعد كل محاضرة

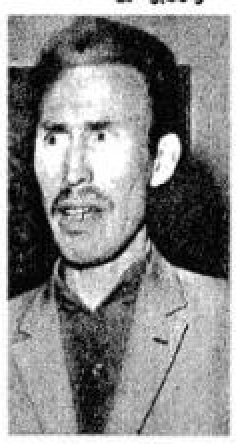
وتعرفت الى ذلك الوزير الشاب الملتهب غيرة على الاسلام، الاخ مولود قاسم ، وزير التعليم الاصلى والشئون الدينية ، وهو مجاهد صاحب صحيفة من صحف الشرف فى كتاب الثورة الجزائرية ، وافتتنت بجديته - الى حد الصرامة - فى سبيل انجاح المؤتمر ، وفى سبيل تعميق رسالة الاسلام فى اعماق الشباب الجزائرى . وهو يعد الآن مشروعا ضخما لانشاء جامعة اسلامية حديثة ، على غرار الجامعة الازهرية ، تنتشر كلياتها الدينية والعملية والعلمية ، فى جميع انحاء الجزائر

اقول ... لم اعد للقراء بخفى حنين

بل عدت وبين يدى ثروة روحية نادرة ، اطرح منها فى هذا العدد ، المحاضرة الجليلة التى القاها صديقنا المؤمن الدكتور عبد العزيز كامل ، نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف ، والتى اعدها من اجمل معالم الرؤية الاسلامية الواعية

وتبقى بعد ذلك بقية رائعة من هذه الثروة الروحية ، اثرت ان اخصص لها العدد القادم من « الهلال » ... الذى يصدر فى شهر رمضان المبارك ، لتكون مادتها زادا روحيا دسما للمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، وهم صائمون لله ، مولون وجوههم شطر بيته الحرام فى كل صلاة، يبتهلون اليه ان ينصر هذه الامة ، ويحقق لها ما تصبو اليه من عزة ومنعة ... وانه لسميع مجيب

الرئيس . .
هوارى بومدين



د. عبد العزيز كامل



ظواهر جزائرية

وهناك ظواهر جديرة بالاعجاب فى الجزائر ...
الكل يعملون ... البناء والانشاء والتعمير على قدم وساق ... السباق نحو الحضارة جدى وجبار ... الثورة الزراعية تنشىء الف قرية جديدة ، وتدعو الشباب ـ من الجنسين ـ الى المساهمة فى بناء هذه القرى وتثقيف اهلها وترغيد عيشهم ، فيستجيب لهذا النداء مليون من الشباب !
الى جانب هذا .. نجد ظاهرة مؤسفة ، لا ذنب للجزائريين فيها .. انما الذنب كله ذنب الاستعمار الذى اناخ بكلكله على صدر هذا الشعب مائة وثلاثين سنة .
الجميع ... باستثناء قلة لا تكاد تراها العين .. يتكلمون بالفرنسية فى كل مجتمع ، وفى كل طريق ، وفى كل مرفق
اللغة العربية لا يكاد يرتفع لها صوت الا فيما ندر
وكلما سمعت كلمة عربية هناك ، استمطرت الرحمات على جدثى الشيخين الجليلين ،عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمى ، رائدى جمعية العلماء ، التى كان لها ـ الى جانب فضل الثورة ـ فضل الحفاظ على الدين ، ومحاولة الحفاظ على اللغة العربية ما وسعهما الجهد
لقد كان الاستعمار الفرنسى ضاريا فى بسط سلطانه على الجزائر ... ولكنه كان اشد ضراوة على اللغة العربية ، حتى انسى القوم لسانهم العربى ، وقصرهم على لسانه الاعجمى
ومهما يكن من امر ، فليس لنا ان نقف امام هذه الظاهرة موقف المتشائمين . فان حركة التعريب وان تكن وئيدة الخطا فى مكتب الدولة ، الا انها واثقة الخطا فى سيرها نحو مستقبل جزائرى عربى
فالجيل الجزائرى الجديد جميعه يتعلم الآن اللغة العربية ـ كلغة اساسية ـ كما يلقن الدين ـ كعنصر اصيل ـ فى المدرسة الابتدائية وبعض المراحل التالية ...
وسوف يستمر على هذه الجبلة حتى يصل الى الجامعة
ومعنى هذا ، اننا ، بعد عشر سنوات ، ستواجه بجيل جديد من شباب الجزائر ، اللغة العربية هى لغته الاساسية ... لغة المجتمع والعمل والحياة ... وله بعد ذلك ان يتعلم ما شاء من اللغات


البشير الابراهيمى

الأخضر السائحي والهيبز

ومن الظواهر المؤسفة التي بدأت تنتشر في كثير من المجتمعات العربية ـ ومنها المجتمع المصري ـ وإن كانت أكثر وضوحا وانتشارا في الجزائر ، ظاهرة « اليونيسكس » ... أي الجنس الموحد ... أعني محاولة الشبان تقليد الشابات في شعورهن وازيائهن .. ومحاولة الشابات تقليد الشبان كذلك ... حتى يلتقي الجنسان في جنس واحد !

في اليوم الاخير لي هناك ... التقيت في العاصمة الجزائرية بالاديب الذي كنت أبحث عنه ... الاستاذ الاخضر السائحي ... وهو شاعر وناثر وقصاص واذاعي لامع ، تشتهر برامجه الاذاعية بحلاوة النكتة وطرافة النقد

وطاف بي الاخضر السائحي بين ارجاء العاصمة وضواحيها وهو يقص على نوادر حلوة ونقدات لاذعة ... انقل منها الى القراء هذه الارجوزة اللطيفة عن حكاية « الهيبيز » :

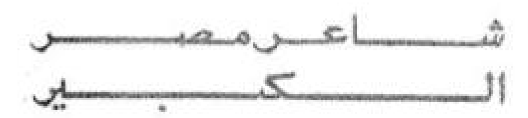
تسألني عن موضة الشعور
وكيف صارت صفة الذكور
وعن لباس وحد الجنسين
وما بالمعنى من الاثنين

واشكل الأمر من التغيير
واختلط التأنيث بالتذكير
كلاهما يخطر في السروال
ويلبس النعل بكعب عالي
يعلق الصليب فوق النحر

ويضغط الحزام حول الخصر
الأمر سهل ... انه التساوي
وهو كما ترى من المساوي
وربما زاد من الجنون

فعادت النساء بالذقون
وثارت النهود في الرجال
فليس هذا الأمر بالمحال
فنحن في عصر الصعود للقمر
لا فرق فيه بين انثى وذكر

رحلة الشهر





الشاعر الراحل
عزيز اباظة

ودع الدنيا شاعر مصر الكبير عزيز اباظه ....

ذهب الى ربه راضيا مرضيا ، بعد ان ملأ الحياة الادبية خصبا وثراء ، وواصل رسالة امير الشعراء على المسرح ، بروائعه الشعرية « قيس ولبنى » و « العباسة » و « وردة » وغيرها

واصطدمت بخبر وفاته عقب عودتي من الجزائر ، فقدت بفقده ابا واخا وصديقا اثيرا عرفته زهاء ثلاثين سنة ، كنا نلتقى فى اولها غرارا ، ثم كثرت لقاءاتنا منذ سنوات قريبة فى بيت صديقنا الشاعر الكبير عبد المنعم الرفاعي – حينما كان سفيرا للاردن بالقاهرة – وفى بيت صديقنا الموسيقار الاديب حمد الرجيب ، سفير الكويت بالقاهرة

وكان عزيز اباظه يحرضنى كلما لقينى على نظم المسرحيات الشعرية » فلما يئس منى ، لضيق وقتى والحاح مطالب العمل على ، عرض ان نشترك معا فى مسرحية شعرية واحدة

وبدأنا فعلا نفكر فى هذا العمل المشترك ، واحسب انه كان سيكون أول عمل مشترك من نوعه بين شاعرين

واخترت الموضوع ...

وكان عن الفتح العربى لمصر ، وقصة المقوقس وعمرو ابن العاص ، تتخللها قصة حب بين ابنة المقوقس وابن القائد الرومانى

ورسمنا خطوطنا الاولى .. ثم شدتنى مطالب الحياة اليومية مرة أخرى ، فلم نواصل المسيرة بكل اسف ، حتى رحل عزيز اباظة عن الدنيا ، واحسب ان الفكرة قد رحلت معه

كان آخر لقاء لنا فى تونس ، فى الايام الحلوة التى انعقد فيها مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر ، رغم ان بعض المفسدين من الهراطقة ارادوا أن يفسدوا علينا حلاوة تلك الايام

وكانت الاشـــجان قد تجمعت عليه في عاميه الاخيرين ، لظروف خاصة ، ولكن غمرة المهرجان ، وروعة قصـيدته هناك بكل ما استقبلت به من حفاوة (وقد نشرناها بالهلال) خففتا من أشجانه ، ولا سيما أن الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه — الذي تفضل فأهدانا وسام الثقافة — اهدى عزيز اباظه ، وساما آخر فوق هذا الوسام ، في يوم سابق ، وعاد شـاعرنا الكبير من رحلة تونس يحمل وســامين لا وساما واحدا

وعدت من الجزائر الى القاهرة ، فوجدت نبأ لقائه لوجه ربه ، ووجدت معه سيلا من البرقيات والرســائل تعزيني فيه

كانت اولاها من صـــديقنا الشاعر عبد المنعم الرفاعي ، يقول فيها :

« فجعت بالنبأ الحزين بوفاة الاخ الكريم والصديق الغالي عميد الشعر وركن الادب عزيز اباظة ، فشعرت بوفاته انني فقدت شيئا كبيرا من ذاتي · ولئن بعثت لاسرة الفقيد الكريم بالتعزية الحارة الصـادقة ، فانى لاعزيك انت يا اخى فى هذا الاسى المشترك ، فلقد جمعتنا واياه معا الايام والليالي، ويفرقنا عنه الان غياب طويل »

ومن بين الرسائل الوفية التي تلقيتها من المملكة العربية السعودية ، رسالة عزاء من الشــــاعر راضي صدوق ، يطويها على هذه الابيات الحزينة :

ماذا يقول الشــعر والشعراء ؟
لم يبق فى شفة الزمـــان غناء
جئنا نوقع بعض الحان الهــوى
فتمنـــع الالهـــام والايحـــاء
وتنكر العمر الفتى ، ولم تعــد
في الجانحين قصـــائد عـذراء
خجلت حروفي أن ترف على فمي
والشعر اجفل والرؤى صـــماء
النجم يخجل أن يشـــع بضوئه
والفجر يـــسطع نوره الوضـاء

***

عفو الامير اذا اتيتـك منشـدا
يغري لســـــاني غـــرة ووفاء
عذري اذا اغفى القصيد على فمي
أن العزيز قصـــيدة عصــماء !
غنيت احـلام الشباب ، ورنمت
لك في صحائف مجـــدنا أصداء

رحلة الشهر

اعطيت روحك للقصيد ، ولم تزل
تحدو البلابل ، ما ثناك عياء
الحب يسكن في ضميرك كالشذا
فاسكب لحونك فالنفوس ظماء
ما العمر الا رحلة .. ربانها
الحب..والاحلام .. والشعراء!
ايقظت عبد الله امجاد الالى
شادوا « عكاظ » كانهم احياء
انى اكاد ارى الجموع تقاطرت
والشعر يصدح والورى اصغاء
فكانما الماضي اطل بزهوه
وهفا لحاضرنا .. فكان لقاء !
كل يوقع لحنه مترنما ..
تصغى له الآكام والصحراء
حتى اذا رويت بعطر حروفه
طربت ، فرقرق في رباها الماء
وربت ، كأن الشعر بعض وجودها
واستيقظت من صمتها الحصباء
***
المجد مجد الشعر ، انا امة
الشعر فيها جبهة وسماء
فاذا شدوت فانك ابن تليدنا
رواك من نبع التليد صفاء
فارفع نشيدك ، فالطبيعة ملهم
يوحى ، وهمس الصادحات نداء
فلأنت ، عبد الله ، شاعر خفقة
يجلو حروفك رونق وبهاء

وذهبت الى الاسكندرية ...
وعلى شاطئها ، جلسنا – رامي وانا – نبكي عزيز أباظه ونتذكر أيامنا معه
ثم اطرق رامي هنيهة ، وخطر له خاطر حزين لم يستطع ان يكتمه
قال : اية لعنة اصابت لجنة الشعر ؟

احمد رامي



وذكرني بما كدت أنسى ..
ذكرني بأن لجنة الشعر بمجلس الفنون والاداب فقدت في خلال السنوات القليلة الأخيرة ثمانية من عمدها الراسخة :
عباس محمود العقاد وعزيز اباظه وقد كانا مقررين للجنة بالتوالي
ومحمود عماد وعبد الرحمن صدقي ، وكلاهما من مدرسة العقاد ...
وعلى الجندي ومحمود غنيم ، وكلاهما من مدرسة الفقهاء ، وشعراء دار العلوم أصحاب الديباجة ...
وعلى أحمد باكثير وعادل الغضبان ... وكلاهما ممن كتبوا المسرحية الشعرية !
خاطر حزين ، لاعزاء لنا فيه الا اننا بهم لاحقون ،وانهم بشعرهم خالدون ، وانهم أحياء عند ربهم يرزقون ...

فائدة لغوية

يسألني قارىء عزيز من سوريا العزيزة عن معنى (حيص بيص) ...

يقال « وقع القوم في حيص بيص » بفتح الحاء والباء والصادين ، او كسر الحاء والباء وفتح الصادين ، أو بفتح الحاء والباء وكسر الصادين ، ويقال ايضا « وقع القوم في حاص باص » بكسر الصادين ، اى وقعوا في ضيق وشدة

وفي رواية ان اصلهما « حيص بوص » وجعلت الثانية « بيص » لتكون على لفظ سابقتها . والحيص هو ، الرواغ والتخلف ، والبوص السبق والفرار

● ص.ج ●

أحمد زين السقاف



ملكة عربية تقول: «ان المرأة التى تراد الفراش لا تصلح لتدبير الملك» .

في سنة ١٩٦٥ زرت صنعاء زيارة عمل بوصفي العضو المنتدب للهيئة العامة للجنوب والخليج العربي بوزارة الخارجية بالكويت ـ تلك الهيئة التى تتحمل أعباء الواجبـ الاخوى نحو اليمنين الشمالي والجنوبي وامارات ساحل عمان ، وكنت سعيدا بتلك الزيارة الى ابعد الحدود ، فاليمن تاريخ مثير لم يكتب عنه الا اليسير ...

وذات يوم من ايام تلك الزيارة انطلقنا من صنعاء نحو الحديدة ـ عبد الله الكرشمي من رؤساء الوزارة السابقين ، واحمد بركات ، ومحسن مرى من الوزراء السابقين وانا ـ فى سيارة من سيارات مكتب دولة الكويت فى صنعاء . وفى منتصف الطريق تقريبا عرجنا على بلدة مناخة للاطلاع على سير العمل فى بناء مدرسة من المدارس الكثيرة التى تقوم بتنفيذ بنائها فى اليمن الهيئة العامة للجنوب والخليج العربى ، وامتد بصرى نحو جبل مقابل لمناخة ، وسالت الرفاق عن اسم الجبل فقالوا انه جبل « مسار » ، فقلت من هذا الجبل خرج على بن محمد الصليحى ينادى بالذهب الاسماعيلى سنة ٤٣٩ هـ ، وعلمت فيما علمت ان مناخة وما جاورها من قرى وجبال تسمى منطقة حراز ، وسكان هذه المنطقة يعرفون الى اليوم بالحرازيين .

وسالت القوم عن أروى الصليحية فلها فى التـــاريخ شأن عظيم يرتبط ارتباطا وثيقا بدولة الفاطميين فى مصر، فعلمت منهم ان مكانتها فى نفوس اليمنيين كبيرة وأن الكثيرات من بنات اليمن يحملن اسمها تفاؤلا بها وتخليدا لذكرها العطر الفواح . وصممت بعد ذلك على تتبع أخبار هذه المرأة العربية الفذة ، وقد جمعت من اخبارها أشياء كثيرة ملؤها العفة والعزيمة والذكاء والدهاء والحسم والتصميم والعـــدل والاصلاح .

وفى مجلة البيان الصادرة عن رابطة الادباء فى الكويت بحث شامل عن الدولة الصليحية وعن الملكة اروى نشرته فى نوفمبر عام ١٩٦٩، وكان ممن تكـــرم بالاشادة بالبحث الاديب الكبير الاستاذ صالح جودت ، ومنذ اكثر من أربعة اسابيع — وكنت فى زحمة العمل — تلقيت برقية من الاديب الكبير يطلب مقالا عن أروى الصليحية لمجلة الهلال، فاكبرت فيه هـــذه الهمة ، ذلك أن الكثيرين من رؤساء تحرير المجلات الثقافية قلما يتابعون الكتاب بالرسائل او البرقيات ، والحصول على مقال جيد أو قصيدة ممتازة فى هذا العصر غير متيسر بالاساليب القديمة ، حين كان رئيس التحرير يكتفى بالاتصال قبل صدور العدد الاول بالكتاب والشعراء ثم ينتظر فى كل شهر ما يأتيه منهم للنشر ، فمتاعب الحياة تحول دون الكتابة، والعمل الوظيفى بالذات لايسمح بالوقت الكافى لتحبير مقال او خلق قصيدة ، وليس فى المكافآت التى تقدمها المجلات ما يغرى ببذل الجهد مهمـــا كانت العقبات ، فكان — والامر كذلك — لا بد من المتابعة ومتى وصلت المتابعة الى البرقيات كما فعل رئيس تحـــرير الهلال الهمام فان الاعتذار عن الكتابة يصبح بالغ الصعوبة .

وهكـــــذا رأيت نفسى مع بلقيس الصغرى وفاضحة الملوك ، مع أروى الصليحية التى لقبها اليمنيون ألقابا كثيرة أعجابا منهم وتقديرا ، اكتب من سيرتها واخبارها شيئا يستمتع به قراء الهلال .

●●●

ولدت أروى بنت أحمد الصليحى سنة ٤٤٠ هـ وتزوجت وهى فى سن الثامنة عشرة من أحمد المكرم نجل مؤسس الدولة الصليحية على بن محمد الصليحى، وبعد مقتل أبيه تولى الحكم وصمم على الانتقام من الثائرين الذين فتكوا بأبيه فقاتلهم فى شهامة — وكانوا يتخذون مدينة زبيد عاصمة لهم — وانتصر عليهم ولكنه أصيب بالفالج ، فكان ينتفض رأسه وتتقلص عضلات وجهـــه ، فوقفت أروى الى جانبه تشاطره هموم الحكم وتضطلع بالمهمات معه ، ولم ترض عن صنعاء عاصمة للملك ، ففكرت فى نقلها الى اللواء الاخضر كما يسميه اليمنيون اليوم لواء « اب » بكسر الاول ، واتخذت من بلدة جبلة فى ذلك اللواء — واللواء تقسيم ادارى بمعنى المحافظة — عاصمة للبلاد .

ولنقل العاصمة قصة طريفة ملخصها أن الملكة اروى ارادت أن تقنع زوجها بضرورة نقل العاصمة من صنعاء الى جبلة بلواء « اب » فقالت له ذات يوم : « يا مولانا أدع نواحى صنعاء للسلام عليك » ، فأمر الملك بذلك ، ولما احتشدوا قالت له : اشرف عليهم .. ولما اطل لم يقع بصره الا على

حامل رمح أو متقلد سيف او محتزم بخنجر ، ولما انتقل الى جبلة وكان يزورها أحيانا قالت ادع اهالى جبلة وما جاورها للسلام عليك . ولما فعل وقدموا واحتشدوا حول القصر قالت له « أشرف عليهم » .. فاطل ولم تقع عيناه الا على حامل

سمن أوبر أو عسل أو سائق خروف أو قائد بقرة ، فقالت له : ان العيش مع هؤلاء أفضل ، لان ذلك أقر للمملكة وثبوت قواعدها وهي متوسطة بين اليمن الاعلى والاسفل .

وحين توفى أحمد المكرم سنة ٤٧٧ هـ كانت الملكة أروى فى السابعة والثلاثين من العمر وكان لها من الاولاد على ومحمد وفاطمة وأم همدان ، وبعد وفاة زوجها تكلمت الامر حتى جاءها

مرسوم المستنصر بالله الفاطمى من القاهرة باقامة طفلها على مقام أبيه وكان دون العاشرة ، وكان المستنصر بالله يعلم أن الملكة أروى هى الحاكم الفعلى لليمن ، وان اختيار غيرها من صناديد الصليحيين قد يضطرها الى اتخاذ موقف معارض .

وكان من الطامعين فى الملك الامير أبو حمير سبا بن أحمد الصليحي، وقد تمكنت الملكة بدهائها من استمالته ،

ولم تطل الايام بالملك الطفل فمات ، فقويت بموته مطالبة أبي حمير بالملك، ولكن الملكة أروى صدته بقوة ، ولم يجد بدا من التقدم اليها يطلب يدها للزواج فرفضت الطلب ، وهى قبل ذلك قد صدت زوجها حين شاطرته

الحكم قائلة « ان المرأة التى تراد للفراش لا تصلح لتدبير الملك فدعني وما انا بصدده » .

ولما يئس أبو حمير كتب للمستنصر بالله الفاطمى طالبا تدخله فى الامر ، فكتب اليها المستنصر بالله يأمرها بقبول الزواج وقد خاطبها رسول المستنصر وهو واقف بين يديها بقوله « أمير المؤمنين يقرأ السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن عمدة الاسلام ذخيرة الدين عصمة المؤمنين

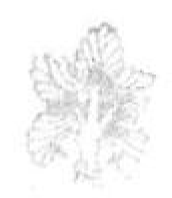
كهف المستجيبين ، ولية أمير المؤمنين، كافلة أوليائه الميامين ، ويقول لها « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » ، وقد زوجك مولانا

أمير المؤمنين من الداعي الاوحد المنصور المظفر عمدة الخلافة، أمير الامراء ابى حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحى على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينا وخمسون الفا أصنافا من تحف ولطائف وطيب وكساوى »

فوقع عليها أمر المستنصر بالله الفاطمى وقوع الصاعقة ، ولكن وزراءها والمقربين اليها ما زالوا يخففون الامر عنها حتى قبلت وتم عقد الزواج ، فسار اليها أبو حمير فى جموع غفيرة وأقام شهرا قرب

القصر فانفقت على عساكره أضعاف اضعاف ما قدم لها من مهر ، ولم تقابله ولم تجتمع به . فارتحل نادما على ما أقدم عليه . وقد عرف عن هذا الامير انه كان تقيا ورعا فاضلا وقد توفى سنة ٤٩١ هـ .

أروى الصليحية



وحين كثرت متــاعب الملكة أروى اضطرت الى الاتصال بالقاهرة تطلب اعارتها مستشارا لشــئون الدولة فارسلت اليها الدولة الفاطمية الامير على بن ابراهيم بن نجيب الــدولة بصحبة عشرين فارسا من امهــر الفرسان ، وكان هذا الامير متفقها فى اصول الدعوة الفاطمية وفى المذهب الاســماعيلى ، ولما تشرف بمقابلة الملكة عينتــه قائدا للجيش فاحرز انتصارات باهرة واخضـع المتمردين على الدولة ، ولقد ساءت العلاقة بينه وبين الملكة أروى فيما بعــد ، فاستدعاه الآمر بأحكام الله الفاطمى، فالقى القبض عليه فى جبلة ووضـع فى قفص وسلمته الملكة أروى لرسول الآمر الفاطمى سنة ٥٢٤ هـ فاخـذ الناس ينظرون اليه وهو محمول فى قفص، وكان يقول لهم « ما تنظرون ؟ أسد فى قفص ! »

واستعانت الملكة بعدد من المقربين اليها ولكنها لم تجد فى واحد منهم كفاية ابن نجيب الدولة ودرايته ونباهته .. ولاقت الملكة ما لاقت من المحن والمشكلات حتى وافاها الموت فى غرة شعبان سنة ٥٣٢ هـ عن عمـر ناهز التسعين عاما ، وبموتها تبعثــرت المملكة وتقلص نفوذ الصليحيين .

وقد قامت هــذه الملكة العظيمة باصلاحات كبيــرة فى اليمن لم يقم ببعضها كثير من الملوك فى ذلك الحين فاهتمت بالزراعة والتجارة والمواصلات والعلوم الدينية والعربية ، وبتحسين الثروة الحيوانية ، فقد عرف عنهـا انها وقفت أراضى شاسعة واسعة لشراء فحول البقر الممتازة رغبة منها فى تحسين نسل الابقار، كما وقفت اراضى أخرى كثيرة لرعى الماشية ، وقد علمت أن هذه الاراضى ما زالت الى اليـوم معروفة بوقف السيدة أروى الصليحية

ولم تتوان فى تعبيد الطــرق فى الجبال الوعرة لتسهيل التجـارة بين مدن اليمن ، وأهم طريق عبدته طريق نقيل سمارة الواقع بين تعز وصنعاء، وانشات المدارس وبنت المساجد ووسعت جامع صنعاء الكبير بجناح ما زال يعرف باســمها الى اليوم ، وبنت جامعا كبيرا فى جبلة عاصمة مملكتها كما استعانت بالخبراء من الخارج .

هذه نبذة مختصرة اشد الاختصار عن حياة ملكة عظيمة وسيدة فريدة من سيدات الجزيرة العــربية نشأت نشأة صالحة تحفظ القــرآن وتروى الشعر وتلخص بأسلوبها العربى المبين اخبار الشهيرات من نساء العرب حتى ذاع صيتها وهى صغيرة ، فتزوجت ملكا وجد فيها الساعد الأيمن فى ادارة الملك وحين توفى لم ينهض اى صنديد من الصناديد فنازعتها الملك اعتــرافا بكفايتها وقوة شخصــيتها وحسن تصريفها للامور ، فعسى أن تستفيد بناتنا اليوم من سيرة هذه البطلة لاسيما بنات الجزيرة العربية المتطلعات نحو العلم والمدنية والحضـــارة ، والآمال لا تتحقق الا بالجد فى هذه الحياة ...

● أحمد السـقاف ●
● الكويت ●



الاستاذ الكبير رئيس تحرير الهلال تحية طيبة مباركة مع وافر التقدير والاعزاز

عندما صدر كتاب الهلال « العدد ٢٧٠ - يونيه ١٩٧٣ » بعنوان (الزجل العربي) ، بادرت باقتناء هذا الكتاب وضمه لمكتبتي لانني ممن يتذوقون هذا الفن الشعبي ، ولمناسبات عديدة ودية جمعتني بكاتبه الاستاذ محمد عبد المنعم (أبو بثينة) ترجع الى اكثر من اربعين عاما مسجلة ببعض الصور .. ولكني لما قرأت الكتاب شعرت بمرارة لما جاء في الصفحات من ١٢٥ الى ١٢٨ فقد خرج الكاتب - سامحه الله وانار بصره وبصيرته - عن اطار الرواية التاريخية الى محاولة شفاء الغليل والانتقام من رجل اصبح في ذمة الله . وشعرت بمرارة اكثر لسوء استغلال صفحات (كتاب الهلال) الثمينة في اكثر من موضع باسلوب من التفاخر والاعتزاز بالنفس .

لقد حدثت خصومات كثيرة في تاريخ الادب تخللتها مناوشات ومساجلات أصبح تاريخنا المعاصر لا يتقبلها ويعافها ، بل ويبرأ منها ، فالصحافة اليوم صحافة الشعب بعد تحطيم الاحتكارات والفردية المستغلة .

وبالنسبة لما جاء في الصفحات من ١٢٥ الى ١٢٨ فقد ذكر أبو بثينة كتابين في الزجل يرى انهما عملان تافهان . والكتابان :

احدهما « أدب الشعب » بقلم حيرم الغمراوي - صدر في أواخر ١٩٥٢ في سلسلة (كتب للجميع) ولكنه لم يتحدث لا مدحا ولا قدحا عن أبي بثينة وانما اثنى على حسين مظلوم رياض كرائد من رواد فن الشعب الاوائل ..

والكتاب الثاني « تاريخ أدب الشعب » للاستاذين حسين مظلوم ، ومصطفى الصباحي ، وقد صدر في أول يناير ١٩٣٦ . وفيه عبارات ومعلومات عن أبي بثينة لم يرض عن نشرها ..

ولكننا ، لماذا يثير « أبو بثينة الآن موضوعا يكاد يكون مجهولا لشباب

انها وقيعة بين الموتى !

اليوم من الزجالين ؟ ... لقد مضى على صدور الكتاب ثمانية وثلاثون عاما ، ومضت على وفاة صاحبه سبعة أعوام .. وقد كانت أمام أبي بثينة فرص كثيرة وامكانيات اكثر للرد ، او للنيل من حسين مظلوم .. فلماذا سكت أبو بثينة حتى الآن ؟ .. ولماذا لم يتكلم الا بعد موت الرجل ؟ ... ولماذا يستغل صفحات كتاب الهلال لنبش القبور ، والتفاخر بأنه هو الموهوب الاول ؟ !

واذا كان أبو بثينة قد عمد فى الرواية الى التلميح دون التصريح ، فان ما يضيق به صدره أمر ليس فى حاجة الى تفسير أو ايضاح لرواد الزجل ، ومع الاسف فقد صب غضبه على الذين كانوا يحبون حسين مظلوم

ان كتاب « الزجل والزجالون » لابى بثينة ، الصادر فى أواخر ١٩٦٣ فى سلسلة كتاب الشعب العدد ١٣٠ هو صورة معنوية — مع تعديل فى الأسلوب — لكتاب « ادب الشعب » لحسين مظلوم ، وقد نشرت صور الزجالين جميعا بريشة الرسام (وهى غير متقنة) لعدم وجود الاصل . وهذا دليل واضح على ان الكتابين احدهما اصل والثانى صورة ..

***

بعد وفاة حسين مظلوم اراد أعضاء رابطة الزجالين وفاء منهم وتقديرا ، اقامة حفل تأبين له . ولكن ابا بثينة رفض باصرار ، وأخيرا انتصرت ارادة الاعضاء ، ووافق ابو بثينة ولكن على ان يكون حفل التأبين خاصا بالزجالين الراحلين . وكنت اظن ان الخصومة لم يعد لها مكان بعد ان انتقل طرفاها الى الرفيق الاعلى (والطرفان هما حسين شفيق المصرى وحسين مظلوم) . أما أبو بثينة فهو طرف ثالث متفرع من الطرف الاول .

يقول أبو بثينة ان كتاب « أدب الشعب » لحسين مظلوم صدر للحط من قدر أبي بثينة .. وها هو الكتاب يشهد على نفسه بأنه موسوعة تاريخية للزجل أصبحت مرجعا له قيمته لدى الباحثين والمرتشفين من منهله العذب ، ومنهم أبو بثينة ، كما ذكرت آنفا . وذلك بالادلة القاطعة .

ويقول أبو بثينة ان حسين مظلوم لم يذكر بكلمة طيبة المرحوم بيرم التونسى ، ولكن الصفحات من ٢٧٥ — ٢٧٩ تهدم هذا الادعاء وأيضا المرحوم بديع خيرى ، والصفحات من ٢٩٨ — ٣٠٣ تهدم هذا الادعاء أيضا ، فقد وفاهما مظلوم حقهما من التقدير والتكريم . كما ينطق الكتاب الذى دخل التاريخ من أوسع الابواب ..

انها وقيعة بين الموتى .. فهل بعد ذلك يستطيع ابو بثينة أن يتحدث عن مزيفى التاريخ ! ..

فى ابريل ١٩٤٤ أصدرت دار النشر للجامعيين (مكتبة مصر) رباعيات الخيام نظم حسين مظلوم بالزجل ودون تحيز فقد نفدت فور صدورها .

انني على استعداد تام ماديا وأدبيا لاصدار رسالة مطبوعة وبطريقة مهذبة اتناول فيها بالتعديل الادبى الصريح الدعم بالحق هذه المسألة وضعا للامور فى نصابها . وعلى استعداد لتقديمها لكل من يحمل نسخة من كتاب الهلال ولمن يرغب .

وبعد ...

فانني اشفق على ابي بثينة من هذه الكبوة التى سيكون لها شأنها كمعيار موازنة لشخصيته فى نظر الزجالين عموما ، وهم الذين يكنون التقدير والتكريم لشخصية المرحوم حسين مظلوم كرائد من رواد ادب الشعب ..

وأخيرا ، شكرا لكتاب الهلال الذى احسن الظن بنية الكاتب . فكانت مناسبة لرد فرية اسميها جوازا زلة ادبية مع تقديرى التام لكتاب الهلال وللهلال ، قمة المجلات الثقافية فى وطننا العربى الكبير ..

● رجب محمد رفاعى ●

● القاهرة ●

قصة

عبد الحميد جوده السحار

كان الجو ربيعا والنسيم يهب رخاء ، والخضر تكسو الشاطىء والنوار الاصفر يبدو فى ضوء القمر كفصوص من ذهب ... وراحت الحيوانات يمرحن فى سلام قد انتزعت البغضاء من نفوسهن : الارنب تجرى هنا وهناك وقد تهللت بالسرور .. والثعلب تتالق عيناه ببراءة تعكس طمانينة قلبه .. والذئب تتوج شفتيه ابتسامة حلوة وهو يغدو ويروح آمنا بين الاغنام .. والحمار قد رفع صوته بالغناء يشنف الآذان ..

ورمى الثعلب بنظره بعيدا فراى الشاطىء الآخر للنهر ، ما اكثر ما رآه قبل ذلك ، ولكن طرات على راسه فكرة فى هذه الليلة ، فدار ناحية الحيوانات التى كانت تغدو وتروح على ضفة النهر خالية البال ناعمة بما هى فيه من دعة ، قد ملأها شدو الحمار نشوة وهام بها فى رؤى مجنحة عذبة ، ونادى بصوت عال داعيا الى اجتماع عاجل للتشاور فى امر هام ، فاذا بالاصوات تخفت ، واذا بجموع الحيوانات تهرع اليه وتلتف حوله وقد اعارته سمعها ..

وقام الثعلب خطيبا فيهن فقال وهو يشير الى الضفة الاخرى :

ـ هناك على الضفة الاخرى مستقبلنا ، فالارض هنا قد ضاقت بنا وبابنائنا وذريتنا ، هناك النعيم ينتظرنا ، هناك ..

وقبل أن يتم خطابه ارتفعت اصوات البط والوز وقد اندفعت زرافات صوب النهر :

ـ هذا هو الراى ! الى هناك .. الى هناك!

والقت مجموعات منهن بانفسهن فى النهر ورحن يسبحن فى فرح وقد هتك سكون الليل صيحات الابتهاج للقرار الحكيم ، واذا بالثعلب يصيح فيهن فى غضب أن ارجعن ، فعدن وقد





ارتسمت على وجوههن دهشة ، فما كن يدرين سر غضبه وقد كن أول من اجاب ،واذا بالثعلب يقول لهن فى سخرية مريرة :

ـ نعلم أنكن تجدن السباحة ، وانكن قادرات على ان تصلن وحدكن الى هناك فما قيمة ان تصلن واخوانكن هنا عاجزون عن ان يلحقوا بكن ؟ ..

علينا أن نفكر فى أن نصل جميعا ، وأن نصل فى يسر وأمان ، وألا يتخلف احد منا .. أن تكون خطتنا ملائمة لأضعف من فينا .

فقالت وزة :

ـ وما الرأى ؟

فقال الثعلب :

ـ نقيم على النهر جسرا يعبره أولنا وآخرنا ، أقوانا وأضعفنا فتبلغ املنا .

فارتفع صوت تيس فى :

ـ سنحتاج الى أخشاب وحديد واسمنت والى كل ما تبنى به الجسور ، فمن أين لنا بكل هذه المواد ؟

فقال الحمار فى بساطة :

ـ من مكاتب الحكومة التى احتكرت صرفها .

فقال التيس وهو يدير عينيه فى الجموع :

ـ اننا هنا أمشون سعداء ، استحلفكن بالله ان ترضين بعيشكن هذا وأن تدعن هذه المغامرة .

فارتفعت الاصوات من كل جانب :

ـ لا .. لا .. سنبنى الجسر ، سنبنى الجسر .

فقال الثعلب :

ـ من يوافق على بناء الجسر فليرفع يده ..

والقى على الجموع نظرة خاطفة وقال فى انتصار :

ـ اجماع ...

فاذا بالحمار يطلب الكلمة ويقول :

ـ انني لا أوافق ، لا لانني لست مؤمنا ببناء الجسر ولكن لانه ليس فى الديمقراطية اجماع وأنا احب أن احافظ على الديمقراطية الصحيحة

فدوى المكان بالتصفيق والقى الثعلب على الحمار نظرة استهزاء .. حتى اذا ما عاد الهدوء الى المكان قال :

ـ خطتنا أن يذهب احدنا فى الصباح الى مكاتب الحكومة ، ويشترى الخشب والاسمنت والحديد و ..

واذا بالذئب يتكلم لاول مرة ويقول مقاطعا فى عنف :

ـ أعترض على استعمال كلمة خطة وأطلب استبدالها بتدبير .

فقال الثعلب وهو يتصنع الهدوء :

ـ وما الفرق بين التخطيط والتدبير ؟ ..

فقال الذئب وقد تلألأت اسنانه البيضاء فى ضوء القمر :

ـ التخطيط هو أن تدخل عند تقريرك جميع



الاحتمالات حتى القدر ، وهـــذا ليس فى طاقة أحدنا ، أما التدبير فهو ان ندبر امورنا على قدر علمنا واجتهادنا • ان الله هو العالم بكل شيء يدبر الامر ، فلـــو كان التخطيط صحيحا لكان اسـم المخطط من اسمائه الحسنى ولتمت اسماؤه مائة •

واراد الثعلـــب ان يخمد المناقشة قبل ان يندلع لهيبها ويفلت من يده الزمام ، فقال :

ـ تدبيرنا ان ننتدب احدنا للذهاب الى مكاتب الحكومة غدا •

فقال الحمار :

ـ انا لها •• انا لها

والتفتت الارنب الى الحمار وقالت :

ـ بل انا أسرع منـك واليـق لهـذه المهمـة ، انتظر حتى يأتى دورك عند حمل الاثقال •

فاذا بأصوات ترتفع فى المكان :

ـ الارنب • الارنب•

ولم تشأ الارنب أن تضيع وقتا ، فراحــت تعدو ناحية المكاتب حتى اذا ما فتحت أبوابهـــا فى الصباح كانت أول من يلجها •

وترقبت الحيــوانات عودة الارنب فى قلــق ورجــاء ، وسرعان ما جاءت مطأطئـــة الراس تجر نفسها جرا ، واذا بكل الحيوانات تخـف اليها حتى النعاج، وقال الثعلب فى لهفة :

ـ ماذا وراءك ؟

فقـــالت الارنب فى مرارة :

ـ لما دخلت عليهـــم القيت عليهم تحيـــة الصباح فى رقة ، فاذا بهـم يزورون عنى فى صلف ، فاندفعـــت الى مكتب رئيسهم اشكوهم، وقبل ان افتح فمى بكلمة صاح فى أن أخرج قبل ان يدق عنقى ، فكيف ادخل عليه دون استئذان

وهممت بأن افر متوجهه مذعورة فاذا باثنين من حراسه الغلاظ يحملاننى ويلقيان بى خــــارج المصلحة كلها •

فقال التيس :

ـ ما كان اغنانا عن هذه الاهانة ، اننا هنا قانعون بعيشنا •

فاذا باصوات مرتفعة تقول :

ـ هذه استكانة ، هذا استسلام، لن نرضى بهذا الخنوع •

فتقدم الحمار وقال :

ـ دعونى اذهب ••

فقال الثعلب وقـــد ابتسم ابتسامة ثقة :•

ـ انا اعرفكن بهؤلاء الناس ، انهم يحبـــون المداهنة واللف والدوران فاذا باصوات تصـيح من كل جانب قائلة :

ـ انت لها • انت لها

فقال الثعلـــب فى غرور :

ـ انا لها •• انا لها

وراح الثعلب يعدو

وهـــو يتلفـــت فى حذر ، وأخذت الحيوانات

يتحدثن عن دهائه ومكره وقدرته على أن يصـــل

الى هدفه فما ذهـــب للتفاوض الا وقد عـاد

مزهـوا بنصره ، وعن كميات الاخشـــــاب

والحديد والاسمنت التى سيعود بها • واستولت

الحماســـة على بعض

الحيــــوانات فاسرعن يحفرن للاعمــــدة التى ستقام على الشاطىء •

وارتفعـــت الشمس

والحيوانات فى الحــر

ينتظرن • ولاح الثعلب

فى الافق البعيد، انه عاد وحده بلا أخشـــاب ولا

حديد ولا اسمنت ، انها أول سفارة له يعود منها بالاخفاق •

وتقدم الثعلـب باسر الوجه فى عينيه دموع وسرعان ما انفجر غاضبا وقال :

ـ انهم لا يفهمون الا لغة القوة ، ليس لهم الا الذئب •

الجسر

ودار الحمار على عقبيه وانسحب بعيدا وهو يستشعر أسفا ، ليت قومه يفهمون ولا يضيعون وقتهم دون طائل .

ونفخ الذئب صدره وشمخ وراح يعدو بكل قوته الى مكاتب الدولة ، وقد كشر عن انيابه وعقد العزم على ان ينهش قلب كل من يقف فى سبيل طلبه ، انه لم يأت متسولا بل جاء يشترى بماله ، وأن ينال حقه وحق مجتمعه .

ونكص الذئب على عقبيه واقبل مطرق الرأس تجلله الهزيمة ، وأسرع اليه الثعلب وقال له :

ـ ماذا جرى ؟

ولم يحر الذئب جوابا .. والتفت الحيوانات به واخذن يسألنه عما فعل هناك ، فلما ألححن عليه فتح فمه ليتكلم ، فاذا بهن يفطن الى كل شىء قبل ان ينطق حرفا، انهم انتزعوا أسنانه من فمه ، وقبل ان يفقن من المفاجأة تقدم الحمار وقال :

ـ انا لها . انا لها .

فقال الثعلب دون مبالاة :

ـ اذهب ..

وغاب الحمار عن اعينهن واخذن يتساءلن بعد ان رد اليهن طابعهن ترى كيف يعود الحمار فقال الكلب :

ـ سيعود بلا ذيل .

وقال التيس :

ـ سينزعون عقله .

وقال الكلب ساخرا :

ـ هل كان له عقل لينزعوه .

وتجاوبت فى الفضاء ضحكات ، وقالت النعاج :

ـ الرأى ما رأى التيس نكف عن كل ما يجلب لنا الاهانات ونرضى بما نحن فيه .

وهل هناك حياة أسعد من حياتنا ؟

وارتفعت أصوات من كل جانب :

ـ هذا هو الرأى .. هذا هو الرأى .

ولاح فى الافق ركب هائل لم تر مثله عين والحمار على رأس الركب مزهو بنصره ، ولم تستطع الحيوانات ان تنتظر حتى يصل الى حيث كن يرتقبنه ، بل أسرعن اليه مهطعين ، واذا بالتيس أول الهاتفين بحياة الحمار ، واذا بالنعاج والخراف يرددن الهتاف ، واذا بكل الاصوات تشدو بأهازيج النصر .

وتقدم الثعلب من الحمار يسأله فى دهشة :

ـ كيف استطعت ان تقنعهم ؟

ـ كان الامر ابسط مما تظنن .

فارتفعت الاصوات من كل جانب :

ـ كيف ؟. كيف ؟.

فقال الحمار فى بساطة :

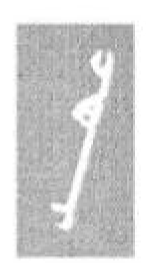
ـ كل من فى المكاتب اخوتى ، فكان التفاهم بيننا سهلا .

والتفت الثعلب الى كميات الاخشاب والحديد والاسمنت التى تكاد تملأ الافق وقال :

ـ ولكن هذه المواد تزيد كثيرا على ما نحتاج اليه ..

فقال الحمار فى تواضع :

ـ لما سألونى هل سنبنى الجسر بعرض النهر او بطوله ،قلت لهم بل بطول النهر .



يا ذاكرا للعهد كيف اليوم قد أنسيت عهدك؟
الله يشهد انني قد صنته في الحالين وده
اني وان شط المزار وذقت مر العيش بعدك
لتلوح لي خلال النوى دنيابها الفاك وحدك
انا انت لو بعض الذي عندي ايامولاي عندك
جار الزمان فقل له مولاي قد جاوزت حدك
أوفليجر ماشاء ولتقصد بنا ماشئت قصدك
ما للزمان والمكان ومن يسد بنا مسدك
يا مالكا ملك القلوب فلا تضع بالله عهدك !

● د. عاتكة الخزرجي ●

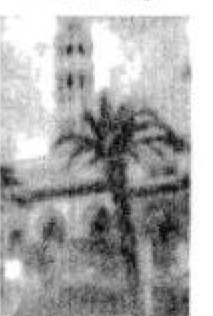
الغلاف الأول



من اصحاب الاساليب
تصميم الفنان : حامد صقر

الغلاف الأخير

أحد مساجد « تيزي اوزو » بالجزائر







الهلال
عدد خاص
دولة الإسلام
اطلب مع العدد
الزهور
الملحق الأدبي للهلال

الهلال

أكتوبر ١٩٧٣

مجلة شهرية تصدر
من دار الهلال العدد
العاشر – السنة
الحادية والثمانون –
أول أكتوبر ١٩٧٣ –
٤ رمضان ١٣٩٣ ..

الاشتراكات

ثمن العدد ، فى جمهورية مصر العربية ١٢٠ مليما – من الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا ، فى الأردن ١٥٠ فلسا – فى العراق ٢٠٠ فلس – فى الكويت ٢٢٥ فلسا – فى السعودية ٢٫٥ ريال سعودى .

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٢٠ قرشا صاغا . فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

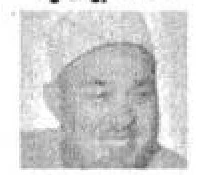


٤ كلمة الهلال
٦ تحية الرئيس محمد أنور السادات للملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي بالجزائر
٨ مولود قاسم : كلمة افتتاح الملتقى
١٤ محمد أبو زهرة : ضاعفوا العقوبة على الأقوياء وخففوها عن الضعفاء
٢٠ الامام موسى الصدر : كيف نرقى بالتشريع المعاصر الى روح الشريعة الاسلامية ؟
٣٠ عبد المنعم خلاف : مفتاح العمل لبناء الوحدة الاسلامية
٢٨ عثمان الكعاك : صفحات سوداء من تاريخ المبشرين
٥٠ محمد الجيار : رسالة الى غالية «قصيدة»
٥٢ د. محمد عبده يماني : المعادلة الحرجة في حياة الامة الاسلامية اليوم
٦٠ علال الفاسي : التبشير أخطر أسلحة الاستعمار
٧١ راشد عبدالله الفرحان : في مواجهة تحديات أعداء الفكر الاسلامي
٧٤ رحلة الشهر
٨٥ سليم الزركلي : الهرم « قصيدة »
٨٦ نصر الدين عبد اللطيف : قصة حياة رائد القصة .. محمود تيمور
٩٧ الحبيب شيبوب : شعراء تونسيون
١٠٢ محمد حسن : البحث عن القارة السابعة
١١٠ سعد درويش : مرثية حب « قصيدة »
١١٢ محمود البدوى : الكمنجة « قصة »
١٢٠ عدنان الداعوق : حتى يبقى العشب أخضر
١٢٧ عبد العليم القباني : غزل « قصيدة »
١٢٨ غبريال وهبة : الشقيقان « قصة »
١٣٦ معارك أدبية :
عبد الرزاق الهلالي : الحق أحق أن يتبع بين الدكتورين شريف وسوسة
محمد محمود رضوان : هذه ليلته أم ليلة الملاح ؟
رشاد على أديب: الى كوكب الشرق«قصيدة»

مولود قاسم



محمد أبو زهرة



محمود تيمور



بسم الله الرحمن الرحيم



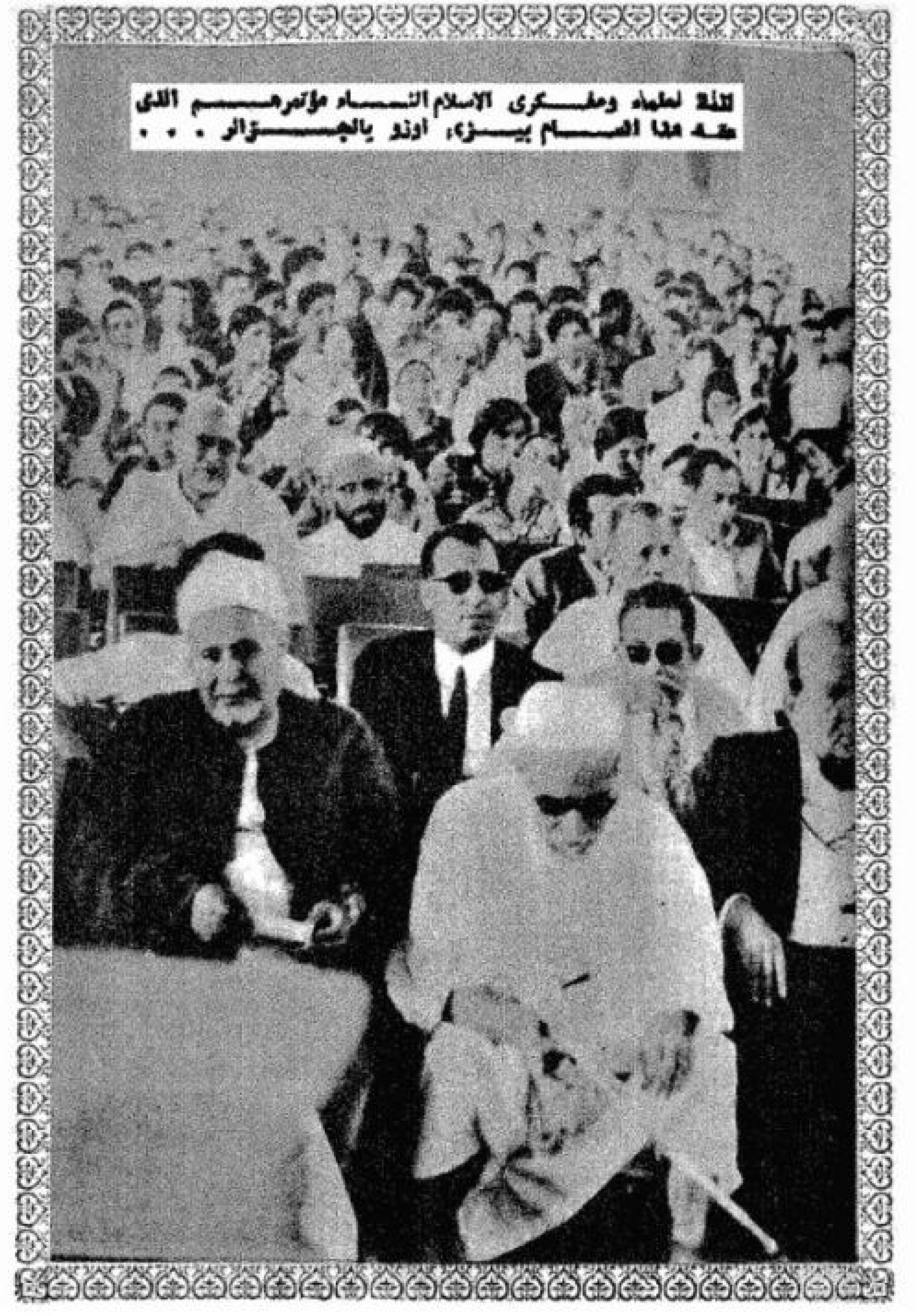
كلمة الهلال

فى مطلع هذا الشـهر المبارك الذى نزل فيه القرآن هدى للناس ، نضع بين يدى القارىء هذا العدد عن دولة الاسلام ، وفيه لمحات وضيئة من بحوث ملتقى الفكر الاسلامى، الذى عقد بالجزائر هذا العام ، وشهده علماء المسلمين من مشـارق الارض ومغاربها ، الذين احتشدوا ليرسـموا صورة مشرقة لدولة الاسلام المأمولة .

واذا كانت احلامنا لا ترقى الى تحقيق الدولة الاسلامية فى صورتها المثـلى فى جيل او جيلين ... فاننا ندعو المسـلمين الى مراجعة حديث الدكتور عبد العـزيز كامل ، الذى نشرناه فى «الهلال» الماضى ، ليكتفوا من احلامهم فى الدولة الاسلامية - على الاقل - بما يستطاع تحقيقه فى هذا الجيل ، من انشاء جهاز عسـكرى يحمى الامة الاسلامية من عدوان المغيرين عليها ، ويعتبر العدوان على اية دولة اسـلامية ، عدوانا على المسلمين عامة فى سائر انحاء الارض

كتب الله للمسلمين الخير ، وعقد لهم النصر .

● صالح جودت ●



ثلة لعلماء ومفكري الاسلام اثناء مؤتمرهم الذي
عقد هذا العام بتيزي، وزو بالجزائر . . .

تحية الرئيس محمد أنور السادات للملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

في مدينة تيزي أوزو بالجمهورية الجزائرية

١٠-٢٠ جمادى الثانية ١٣٩٣ - ١٠-٢٠ يوليو ١٩٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية طيبة مباركة ابعثها اليكم في ملتقاكم السابع للتعرف على الفكر الاسلامي ، الذي أصبح علامة منيرة في طريق العمل الاسلامي على الصعيدين الجزائري والاسلامي .

فهذا المؤتمر يضم كل عام صفوة من العلمـــــاء جاءوا يحملون اقدس رسالة وهي رسالة العلم .

وهو يضم ممثلين للجيل الجديد الذي نرجو أن يكون اسعد منا حظا واقدر على حمل الامانة ، وفي هذا تواصل بين الاجيال وتدريب كريم للقيادات الشابة .

وهو يعنى بقضايا حيوية تربط بين الدين والحيـــاة بكل ماتحمل الحياة الاسلامية المعاصرة من مسئوليات وما نحتاج اليه من خلق كريم ويقظة فكرية ودأب على العمل الجاد الهادف .



ومن هذا التواصل بين الاجيال الجديدة والعلماء ، وبين الدين والحياة وبين الكلمة والعمل يسلك الملتقى طريقه الصاعد الى أفق أوسع فى خدمة العقيدة والمجتمع .

أدعو الله أن يجعل كل هذه الجهود مددا لرفعة الاسلام والمسلمين واقامة الحياة على سلام عادل نسترد فيه ارضنا المغتصبة ومقدساتنا السليبة ونعيد به السلام الى أرض السلام .

وتحية الى أخى الرئيس هوارى بومدين ، والى حكومته الموقرة ، والشعب الجزائرى الشقيق ، والى علمائنا وشبابنا فى مسيرتهم الراشدة الى الايمان والعلم والعمل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



مولود قاسم
وزير التعليم الأصلي
والشئون الدينية بالجزائر

كلمة افتتاح

الملتقى

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين. أود في بدء هذه الكلمة أن أرحب بكم باسم الرئيس بومدين والحكومة والجزائر كلها ، وفي هذه الربوع بالذات ، عند سفح هذه الجبال الشامخة الشماء ، التي صارعت الغزو والاحتلال ، وكافحت الاستعمار والاذلال ، على مر العصور واختلاف الغزاة ، هذه القلعة من قلاع الاحتجاج والاشهاد ، بالتضحية والاستشهاد ، في وجه كل ثمود وعاد.

انها جبال جرجرة التي تحمل قمتها لالا خديجة اسم أم بطلة كانت امرأة من عظام الرجال ، لالا فاطمة نسومر التي كافحت الجيش المعتدي سنة ١٨٥٦ – ١٨٥٧ ، الذي كان يقوده سبعة جنرالات على رأسهم

الحاكم العام الفرنسي في الجزائر المرشال راندون ، وجرعتهم مر العذاب ، واعطتهم، على رأس جيشها من المسلمين ، صورة حية عن الفداء والجهاد !

تلتقي اليوم ، والامة الاسلامية ـ واقول الامة الاسلامية ـ التي كانت خير امة اخرجت للناس ، تركز عليها او على ما تبقى منها ، كل وسائل التخريب ، والتمزيق ، والتضليل !

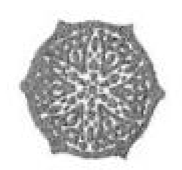
نلتقي لنتدارس نقاطا من صميم ما تعاني منه هذه الامة.. نقاطا تتصل بصلب حياتها ، اذا لم تعالج عجلت بموتها !

(١) فتشريعها ، المنتظر منه أن يبرز لها شرعيتها ويضمن لها ، اذا ما طبق سلامتها وتماسكها ، بل ونموها وازدهارها ، ابعد ما يكون ، في أغلب جوانبه ، عما شرع الله لها من الدين واقرب ما يكون الى ابعادها عن قواعدها واصولها ، وهي روح القوانين ، وشريعة الجهد والجهاد والاجتهاد !

(٢) ووحدتها ، التي كانت قوتها ووجودها ، خاطرت بها عن غفلة وسذاجة من قوم تبع لكل من يريد هلاكها ووادها ، بعد أن أعد لذلك بالتآمر على فك عراها وتفتيتها ، وراحت تصفق لكل غراب ناعق ، لسم خصومها لاعق ، غربان مختلفة الالوان والصفات ، ولكنها في هذا موحدة الاهداف والغايات ، فتحاقدطورانيوها وقحطانيوها ، فمزقتها الشعوبية ، وكادت لها الدونمة ، واشهد لها لورانس بالشجاعة والعبقرية ، ووقع عبد الحميد لرفضه ان يوقع ، فسقطت معه القبلة الاولى ، واصبحت الامة في غمة ، وضحكت من جهلها الامم

لقد نشرت اخيرا جدا مجلة « درشبيجل » الالمانية مقالا عن الاسلام جاء فيه أن « خلافة جديدة توحد المسلمين من المغرب الى اندونيسيا ستبقى حلما من احلام المغالين ، وامنية من اماني الطوباويين » .

هل يبقى الامر في عصر التجمعات الكبرى ، عبر الاجناس والقارات ،



والاديان واللغـــات ، على ما هو لامة الاسلام من التشـتت والتفرق ، والتنازع والتمزق ، وهى التى ينبغى ان يجمعها كل شيء ، والا يفرق بينها اى شيء ؟

هل من جواب على التحدى ؟ هل سيبقى العقد هكذا منتثرا ، والمجد الى الابد مندثرا ؟

(٣) وسلامة عقيدتها وصحـــــة ايمانها ؟ الم يعبث العابثون بعقول الكثير من ابنائها وبناتها ، بعد ان ظننا انها ـ اى هذه الامة باستعادة الاســـتقلال ، الذى كان تآمر عليه المبشرون مع الجنرالات بالتمهيـــد للاحتلال ـ ستضع عندها حدا لعبث التبشير ، فتستاصل جذوره ، وتجتث اصوله وبذوره ؟

هل ننسى فى الجزائر مثلا ما قام به دوفوكو من دور فى هذا المجال الذى ادى به الى ما تعرف من مآل ؟ ولافيجرى بعده ، الم يجهد نفســـه فى تنصير اليتامى فى ١٨٦٦ اثر المجاعة ، وان لم تكن لمســاعيه كل النجاعة ؟

كثير من السذج لدينا يستخفون بمحاولات الذين هم بالضلال والردة مبشرون ، ويقولون خطأ عنهم انما هم لجهودهم مبذرون !

ولكنهم ينسون ان احد اســـــاطين التبشير وهو زويمر هو الذى قال ان الغاية من التبشير ليس التمســـيح بالضرورة ، ولكن يكفينا ان نذبذب المسلمين ، ونشـــككهم فى عقيدتهم ونزعتهم وثقتهم بانفسهم واصالتهم ٠

لقد اكدنا مرارا لمختلف رجـال الدين المسيحى فى الخارج ، والذين زارونا بمبادرة منهم ، من بروتستانت وكاثوليك وارثوذكس ٠٠ ان الاسلام ان كان سمحا ، فهو لايتسامح فى نفسه ، واننا مســــتعدون دائما لمساعدتهم فى مهمتهم ٠٠٠ ولكن لدى ابناء دينهــــم ، وعليهم ان يتركوا ابناءنا وشانهم !

ومع ذلك لا نزال نتلقى اكواما من الرسائل من دوائر تبشيرية مختلفة ، ومن بلدان متعـــددة ، شرقية وغربية ياتى الينا اباء الاطفـــال الذين ترسل اليهم بالبريد ، او توزع عليهم قرب المدارس ، ياتون الينـا

محتجين علينا بأننا لا نفعل شيئا لوقف هذا السيل العارم من هذه المحاولات الاجرامية ، للتغرير بالاطفال العزل الابرياء !

(٤) وابناء هذه الامة فى الخارج ،وما يتعرضون له من مثل هذه المحاولات وعن غيرها مما هو أكثر اغراء لهم ، وضغطا عليهم ، ماذا يمكن هذه الامة ، أو ما تبقى منها أن تقوم به ازاءهم ؟

فهناك ملايين من المسلمين فى أوربا ، وامريكا واستراليا ،وابناؤهم يزداد عددهم باطراد

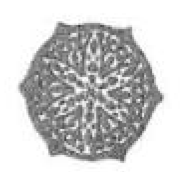
اما من نواد ثقافية ؟ اما من مدارس ابتدائية ، وثانويات مزدوجة اللغة ؟ هذا ما قررت بعض الدول الشروع فيه ، وعزمت على انجازه ، ولكن يدا واحدة لا تصفق، كما يقال٠٠ وهل من تنسيق ، وتعاون ،والاقلاع عن الاهمال والتهاون على الاقل فى هذا المجال ؟ هل من تدخل فعال من جمعيات خيرية ، وبوادر فردية ، تدعيما لجهود الدول والمؤسسات ؟

(٥) وأخيرا ، وليس آخرا ، تعانى هذه الامة المسكينة من نفسها ربما اكثر مما تعانى من غيرها ، وماربك بظلام للعبيد ! نعيب على الغير ، ولكن العيب فينا ، نعيب على جيل اليوم ، وعلى الزمن ، وعلى القرن الرابع عشر الهجرى ، أو العشرين الميلادى ، والعيب كله فينا ، وأبو الطيب هو الذى قال :

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا !

وأظن أن عنوان محاضرة استاذنا الدكتور عثمان أمين ، الذى اقتصر على الجزء الثانى من صدر البيت يشير الى نفس الموضوع ، وان لم تتصل بالنص بعد !

وفعلا ، الا تبحث هذه الامة فى مجموعها عن حتفها بانفها ، والا تخرب بيتها بيديها ، والا تعرض دولها وطهارة أطفالها للسموم والجراثيم ، بما تعرضه فى اجهزتها الرسمية من خلاعات ، ونابيات ،فى





شكل افلام تدعو الى الالحاد والانحلال، وتدفع الاحداث الى الجنوح ، بل والكبار الى الاجرام كما راينا امثلة لذلك نستطيع أن نذكرها بالاسماء ؟

ونود أن نقول هنـــا بدون اية مبالغة ان بعض الاشرطة التى تعرض فى « تلفزات » كثيـــر من البلدان الاســـلامية تحث حثا مباشرا على الانحلال والاجرام ، هذان التوامان المشئومان !

الا نستفيد من تجارب الدول التى تصدر الينا مثل هذه الاشرطة ؟ ام نريد ان نعرض انفسنا لما تعانيه ،وان لم تكن لنا نفس الوســـائل لمعالجته ، او التخفيف من حـــدته اذا ما نما واستشرى !

لقد جاء فى جـــريدة « لوموند » بتاريخ ٣٠ مارس ١٩٧٢ أن امريكا تنفق ما يعادل ٧٥٠ مليار فرنك قديم سنويا على مكافحة الاجرام ٠

هل لذة الشعور ، ومتعة الاشرطة البوليسية والاجرامية ، تستحقان ان ندفع من اجلها هذه المبالغ على فرض توافرها لدينا ، ونعـــرض مجتمعـــاتنا للهزات والزوابع ؟ هذا هو السؤال !

لقد جاء فى احدى الصـــحف الاوربية اخيرا أن فرنسيا رفع قضية على شركة للطيران لانها عرضت ،فى طائرة لهـــا وهى فى الجو ، شريطا مخلا بالاداب شاهده مكرها وبجانبه ابنته الصغيرة ٠

قد يكون هذا المسعى منه ناشـــزا فى نظر الكثير ٠ ولكن الا يستحق منا المناصرة والتقدير ؟ ام نحن نحب النشوز فى السلبيات فحســـب ، لان المنحدر دائما اسهل ، والانسان الى الشر بطبعه اميل ؟

ان اجهزة الاعلام وسائل هائلة، وجامعات شعبية خصـــبة او قاتلة ، اذ تنفذ الى صميم الديار والاسر ٠ فماذا نريد أن يكـــون برنامجها ؟ وماذا نريد أن نجعله بواســـطتها من امتنا ؟

هذا هو السؤال الذى ينبغى ان يلقيه المسلمون على اجهزة اعلامهم ومسئوليهم ، لان المصيبة عامة طامة لاغلب اجزائها التى زرناها ،

او قرانا عنها وتقرأ عنها اليوم ، وما اكثرها تلك التى تستحق اللوم والعقاب !

ان المسئولية لن يعود لها معنى اذا لم يكن امام المسئولين سائلون . واذا ماتحس الخير والشر فى النفوس، وانعدم روح الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اكتفى رجال الدين بالفتاوى الادارية ، والدعاء بالخير

وطول العمر لاصحاب الساعة ، واقتنع رجال الفكر والفن بالتسبق ، والتزويق والتصفيق !

اليست هناك أشرطة علمية ، تاريخية ، موسيقية راقية ، تربوية، تملأ بها البرامج ، وتغذى بها العقول ، وتستطيع الاسرة مجتمعة ان تشاهدها بدون أى تخوف أو احتياط ؟

هناك بلدان أوربية تمنع بعض المناظر لا فى شوارعها فحسب ، بل حتى على شواطئها ، وفى نواديها، وتعاقب عليها العقاب الشديد .

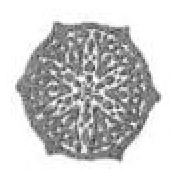
ونحن نرى هذه المناظر ليس فقط فى شوارع الكثير من البلدان الاسلامية التى نعرفها ، ولكنها تتبع الانسان حتى الى المنزل ، وتنفذ الى صميم الاثر !

***

وفى الاخير ، هل نحن مسلمون بصدق ، او فقط عن وراثة وتقليد ؟ هل نحن فى الاسلام ، او ننتمى اليه فقط من بعيد ، بالذكريات والنسب المقطوع ، كابناء الدوقات، والمركيزات ، والاميرات والملوك ،

والاباطرة ، والقياصرة ، الذين زال ملكهم ، وطردوا من بلادهم يعيشون فى المنفى ، وليس لهم من ملك ابائهم وامهاتهم الا اللقب الشرفى الموروث؟ اسمحوا لى ان اختم هذا « الوعظ والارشاد » ، كما يرى البعض ،

بذلك التحذير الذى استخف به الالمان فى احدى مراحل تاريخهم ، وندموا على ذلك من الندم . وهو Wehret den Anfaengen اى « حذار من البداية ! »



محمد أبو زهرة
أستاذ الشريعة وعضو مجمع
البحوث الإسلامية (مصر)



ضاعفوا العقوبة على الأقوياء وخففوها عن الضعفاء

جاء محمد صلى الله عليه وسلم رسولا من رب العالمين فاشرقت الارض بنور ربها .. ولا نريد فى هذا المقام أن نتكلم فى العقيدة التى دعا اليها فى وسط الوثنية وعبادة الكواكب والنيران ، ووثنية اليونان والرومان ، والثالوث الذى كان عند الافلاطونية الحديثة والذى قبسته منها بعض الملل التى كانت فى الاصل ديانة توحيد ..

لا نتكلم فى شىء من ذلك لانه أمر معروف للعامة والخاصة من الذين عرفوا الاسـلام وادركوه ، ولا نتكلم فيه لانه ليس من موضوعنا فى الظاهر انما الموضوع مقصور على التكليفات ..

ان العملية التى جاء بها القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبينته السنة النبوية . ويلاحظ ان هـذه التكليفات اوامر ونواه جاءت من السماء ليس لبشر أن يناقضها أو يغير فيهـا ويبدل ... انما له فقط حق استخراج معانيها من الفاظها ، وتحقيقهـا وتطبيقها على اقوم سـبيل واعدل طريق مستقيم من غير نقص منها ، ولا مزيد عليها ، ولا تحـريفها عن مواضعها .

جاءت هـذه الاوامر والنواهى وقد كان القانون الرومانى فى اوجه، وصقلته التجارب فى نحو ثلاثة عشر قرنا من وقت انشـاء روما ، كان للفرس نظام ، وللهند وراءها نظام الطبقات الذى يحـدد النـاس بأربع طبقات : طبقة البراهمة ، اى علماء اللاهوت وقد خلقوا من رأس براهما الههم ... وطبقة المحاربين ، وقد خلقوا من سواعد براهما .. وطبقة التجـار والصـناع ، وقد خلقوا من ساق براهما ... وطبقة الخدم وقد خلقوا من اقدامه ، ووراء هؤلاء : الانجاس الذين لايحسبون ...

جاء التكليف الاسـلامى فى زمن سادت فيه النظم ...

ولعل اقواها فى الصياغة القانونية واحكمها القـانون الرومانى الذى لا يزال المصدر الثانى او الاول فى قانون نابليون .

وانه بالموازنة بينه وبين الشريعة الاسـلامية فى المبادىء الانسانية المقررة الآن فى داخل الدول الاوربية والامريكية ، نجد المفارقة واضـحة والموازنة بينهما كالموازنة بين نظام همجى يتحكم فيه الانسـان فى أخيه الانسان من غير أن تكون للضـعيف حقوق امام القوى ، ونظام يقـرر الحقوق والواجبات من غير تفرقة بين قوى وضعيف ، ولا شريف وغيـر شريف ، ولا لون ولون ، فالشريعة تقـر ذلك والقـانون الرومانى لا يعرفه ، فالمرأة تعامل كالرقيق فهى أمة فى بيت أبيهـا ، وأمة فى بيت زوجها ، واذا قتلها لا يسال لم قتلها، لان الزواج فى هذا القانون عقد رق ، والابن لا يملك أن يتصرف فى ماله او أن يتصرف ما دام أبوه حيا ولو بلغ الستين ، الا أن يأذن له ابوه ، فالولاية عن النفس عند الرومان ، وفى قانونهم الذى يقدمه الفرنسـيون الى اليوم رق ، وليس سدا للنقص يزول بزواله ،او معاونة العاجز يزول بزوال عجزه ..

وقد تعددت اسباب الرق فى القانون الرومانى ، حتى ان الرجل اذا خرج من ارضه كان عرضة لان يسترق من يكون من قوم آخرين ، ولقد جـرى الرق على شيخ من شيوخ الفلاسفة ، وهو افلاطون ، فقد اسـترق عند اقرانه خارج قومه ، حتى اسـتعاد حريته بالفداء .

كل هذا واضعافه فى الاشـياء والنظـام فى قانون الرومان ، أما الإسلام فقد الغى كل اسباب الرق ولم يبق الا سببا واحدا ، وهو الحرب العادلة اذا كان الاعداء يسترقون فيكون شىء من قبيل المعاملة بالمثل . لقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا ان الله مع المتقين » .

ولنزن القـانون الرومانى وقانون فارس ، وطبقات الهنود ، لنزن هذا،

ضاعفوا العقوبة على الأقوياء

ولننظر الى الشريعة وروحها ، فان الافضل لا يستمد من المقابلات والموازنات انما يستمد من ذاتها .

ان الفضل للشرائع ذاتي وليس باضافي حتى نوازن بينه وبين غيره من النظم .

● مقاصد الشريعة الاسلامية ●

أول مقصد من مقاصد الشريعة الاسلامية ـ التي هي روحها ومغزاها ـ هي الكرامة الانسانية ، وقد بدا تكريمها للانسان في عقيدتها ، وفي تكوينه ، وفيما له من حقوق ، وما عليه من واجبات فالعقيدة الاسلامية تقوم على التوحيد ، اى وحدانية الله تعالى في ذاته وفي صفاته وفي عبادته والاعتماد عليه وحده والاستغناء عمن سواه كبيرا أو صغيرا شريفا أو ضعيفا ، وانه لافضل لمخلوق عليه ، وانما الفضل لله وحده ، فلا عزة الا منه ولا تكريم الا منه ، ولا فقر الا اليه « يأيها الناس انتم الفقراء الى الله ، والله هو الغني الحميد » .

فالعقيدة تربي العزة ، ولو كان المؤمن عبدا حبشيا .

والتكوين الانساني فيه بيان انه اكرم خلق الله عند الله تعالى : الم تر أن الله تعالى أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم لمقام الادراك ، والعلم بالاشياء ، « وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة ، فقال انبؤني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، قال يآدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال : الم اقل لكم ، انى أعلم غيب السموات والارض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ، واذ قلنا للملائكة أسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين » .

ولقد صرح الله سبحانه وتعالى بتكريم الانسان فقال تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وان الانسان يكرم لانه انسان ، فلا فرق بين ابيض واسود واحمر في الكرامة الانسانية ، واختلاف الالوان من آيات الله سبحانه وتعالى في خلقه ، ولذا قال تعالى : « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم » .

والكرامة يستحقها لا فرق بين غني ولا فقير ولا أمة غنية بمواردها وصناعاتها وموقعها الجغرافي ، واخرى ليست فيها هذه المزايا ، ولا بين أمة فيها علماء ، واخرى ليس فيها علم ، وعلى العلماء أن يعلموا الجهلاء من غير أن يستعلوا عليهم ، ولقد روى أن عليا ابن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه

قال : لا يسأل الجهلاء لم لم يتعلموا حتى يسأل العلماء ولم لم يعلموا .

ولان الكرامة حق فطرى للانسان ، سوى في استحقاقها أهل الاديان المختلفة لافرق بين مسلم وكافر ، ، ولقد روى البخارى أنه مرت جنازة يهودى فوقف لها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فقالوا انها جنازة يهودى فقال الرسول الحر : اليست نفسا .

● العدالة فى الاسلام ●

ان العدالة سمة الاسلام وشعاره ، والشريعة الاسلامية ميزتها العدالة ، قد جاءت بها وقررتها مع العدو والولى على السواء ، ويقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى ، واتقوا الله ، ان الله بما تعملون خبير » أى لايحملنكم البغض الشديد لقوم على الا تعدلوا ، فالعدل اقرب للتقوى .

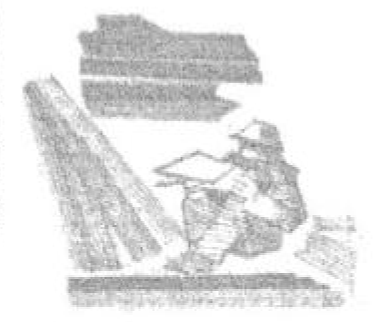
واذا كان قد روى عن المسيح انه قال : « استغفروا لاعدائكم » فالاسلام يقول : « اعدلوا مع اعدائكم » وان ذلك هو الممكن . والاسلام لا يستنفر الاعداء الا اذا اعتقدوا الحق ، وتركوا الباطل ، ولقد روى ان اكثم بن صيفى حكيم بنى تميم لما بلغته دعوة الاسلام ارسل بنيه ليسألوا النبى صلى الله عليه وسلم عما يدعو اليه ، فقرأ عليهم النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

ولما بلغوا اباهم رسالة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتلوا عليه الآية الكريمة ، قال حكيم بنى تميم انه ان لم يكن دينا كان فى الاخلاق أمرا حسنا ، كونوا يا بنى فى هذا الامر اولا ولا تكونوا أخرا ..

هذه هى روح الشريعة ومغزاها ، العدالة التى لا تفرق بين عبد وولى ولا أبيض واسود ، ولا عربى واعجمى ، وقد طبقت فى عهد الرسول الامين وعهد الراشدين تطبيقا دقيقا ، حتى ان رسول الله سيد الخلق اجمعين ، ليطلب ان يقتص منه ، وهو الطاهر المطهر .

وان من أبرز صور العدالة فيها ، العدالة بين الحاكم والمحكوم ، فالحاكم فرد من الافراد ويؤخذ منه اذا ظلم ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يقتص من الوالى اذا ظلم واحدا من الرعية ، وينبه عماله الى ذلك فى أوامر صارمة قاطعة . لقد جمع ولاته فى موسم الحج . وقال لهم : وما ارسلتكم لتضربوا ابشار الناس ، ولكن ارسلتكم لتعلموهم امر دينهم ، والله لاأوتى بعامل ضرب الناس فى غير حد ، الا اقتصصت له منه .

ولقد قال عمرو بن العاص لرجل من المؤمنين : يا منافق . فقال : ما نافقت مذ أسلمت ، وشد رحاله الى عمر ، وقال لامير المؤمنين : « لقد نفقنى الامير وما نافقت مذ اسلمت فارسل الفاروق الى عمرو بن العاص : يقول فلان انك نفقته وما نفق مذ اسلم ، فاذا وصلك ، فمكنه من ان يضربك .. فعاد الرجل الى الملأ الذى سمعه ينفقه ، فسألهم اراوا الامير ينفقه ، فقالوا كلنا نسمعه . فتلا كتاب امير المؤمنين على عمرو، فقالوا اتضرب الامير ؟ فقال الرجل : ليس هنا لامير المؤمنين امر ، فطاطا عمرو للرجل راسه ليضربه ، فهز الرجل السوط ، وقال : الان عفوت-



ضاعفوا العقوبة على الأقوياء

وانه من المقرر فى الفقه حقيقتان يجب ذكرهما لعرفة مدى العدالة الاسلامية ، ومدى المساواة العادلة

الحقيقة الاولى : أنه اذا ارتكب الامام الاعظم ما يوجب حدا ، وجبت اقامته عليه ، ولم يخالف فى ذلك أحد الا أبو حنيفة وحده ، والقاضى يقيم حق الله عليه والا كان اثما ، لان القاضى نائب عن المسلمين وليس بنائب عنه ، وكونه مولى من قبله لا يجعله نائبا عنه اذ ان التولية لدى الاهلية تمكين من القيام بالواجب ، وليست أى نيابة له بدليل انه لا يعزل بموته :

واذا ارتكب الوالى المولى من قبل الامام الاعظم ما يوجب حدا فانه بالاجماع يقام عليه الحد .

والحقيقة الثانية : انه قرر الفقهاء بالاجماع انه اذا ارتكب الامام الاعظم أو عماله ما يوجب قصاصا وجب القصاص منه ، وعلى عامة المؤمنين ان يعاونوا المجنى عليه من القصاص فى غير هوادة ، لانهم اولياء دمه يشاركون ولى الدم فى الولاية اذا عجز عن الاخذ بحقه ، وذلك لما جاء فى قوله تعالى : « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا » .

فقرر الفقهاء بالاجماع انه فى حال اعتداء ولى الامر اعتداء يوجب القصاص قرروا أن لولى الدم المطالبة ، وقد فرضوا انه قد يعجز عن القصاص لنفسه ، فأوجبوا على المسلمين المطالبة بذلك حتى يحملوا القائم على الامر أن ينزل الى القصاص منه ، وفى ذلك تطبيق دقيق لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يدى الظالم ، ولتأطرنه على الحق إطرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم » .

● العدل مع الضعفاء ●

وهنا نجد الشريعة التى نزلت بالقرآن حامية الضعيف بأمرين :

أولهما أن القاضى الاسلامى قد رسم عادل الانسانية بعد النبيين وعمر بن الخطاب ، فى كتاب القضاء الذى بعثه الى ابى موسى الاشعرى ، قال : « سو بين الخصمين فى مجلسك وكلامك واقبالك واشارتك ، حتى لا ييأس ضعيف من عدلك ، ولا يطمع قوى فى ضعفك » .

ولا تنسى الانسانية أن على بن أبى طالب ابن عم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وزوج ابنته سيدة نساء المؤمنين تخاصم مع يهودى امام عمر الفاروق ، فسمع أمير المؤمنين كلام اليهودى ، ثم التفت الى على وقال : وما قولك يا أبا حسن ؟ فقال : تركت الخصومة ، فقال عمر : لانى سويتك باليهودى ؟

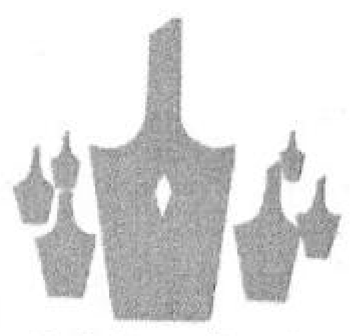
قال امام المجاهدين : لا ، بل لانك لم تسو بيننا ، لقد كنيتنى ، ولم تكنه ، والنداء بالكنية تكرم ...

فكان المجاهد الاول بعد الرسول يرى انه كرمه ، ولم يكرم خصمه ، فلم يسو بين الخصمين في كلامه ٠

ولقد نص الفقهاء في آداب القضاة على انه يجب التسوية عند المقاضاة بين الخصمين في الامور

الاربعة التي رويت عن الفاروق ، حتى انه يروى أن الرشيد قد تخاصم أمام الامام يوسف القاضي صاحب

أبي حنيفة مع يهودي ، فأجلس الرشيد ولم يجلس اليهودي ، فاعتقد انها ليست عادلة أمام الله ، فكان



يستغفر عن ذلك ، ويعتذر بأن الذي دفعه هو مقام الخلافة ٠

ونحن نقول انه ليس بعذر ، فما كان الرشيد بخير من علي ، ولا بخير من عمر ، انما هو الباب الذي

فتح ولم يغلق الى اليوم ، حتى صار أمر المسلمين بدداً ، وفسدت الامة - ثاني الامرين - الذي حمت به الشريعة الضعفاء أنها جعلت

عقوبة الضعيف على النصف من عقوبة القوي، وكان الضعفاء في العصر الاول هم الرقيق ، والاقوياء هم الاحرار ٠ وقد جعل القرآن الكريم عقوبة الاماء على النصف من عقوبة

الحرائر ، وقد قال الله سبحانه وتعالى في الاماء « فاذا أحصن فان أتين بفاحشة ، فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » أي أن حد الزنا مائة جلدة ، فيكون على الحرة مائة وعلى الأمة خمسين ٠ وكذلك العبد ، وكذلك كل الحدود المقدرة ، فمن شرب المسكر ثمانون جلدة على الحر ، وعلى العبد يكون أربعين وهكذا ٠٠

وذلك لان الجريمة والعقوبة تسيران سيراً طردياً مع الكبر والضعف في الشريعة ، فالجريمة تكبر بكبر المجرم ، وتضعف بضعفه، والعقوبة تتبعها ، فتكبر بكبره ، وتضعف بضعفه ، وذلك لان الجريمة مهانة انسانية ، والمهانة من المهين اجتماعيا وفي نظر الناس قريبة ، فتهون بهوانه ، وهي من الكبير اجتماعيا كبيرة ، فتكبر تبعا لمقامه، هذا نظر عادل رفيق بالضعفاء ٠

ولنضرب لذلك مثلا للمفارقة بين حكم الله وحكم الرومان واتباعهم ، قد رأيت أن الشريعة الاسلامية بنص القرآن ومضمونه تجعل عقوبة العبد في الزنا وغيره على النصف من عقوبة الحر ٠

اما القانون الروماني ، فانه يقول كما جاء في مدونة جستنيان ان العبد

اذا زنى بحرة قتل ، اما اذا زنى عضو الشيوخ ، فانه يغرم غرامة بسيطة ، (مدونة جستنيان ترجمة المرحوم عبد العزيز فهمي) ٠

وقد سكت القانون عن الحرة المزني بها ما حكمها ، لم يعتبرها مجرمة وربما كانت هي التي همت به واغرته ودفعته ولا حول ولا قوة الا بالله من ظلم الانسان للانسان ٠

« للبحث بقية »



الإمام موسى الصدر
رئيس المجلس الإسلامي
الشيعي الأعلى - لبنان

كيف نرقى بالتشريع المعاصر إلى روح الشريعة الإسلامية

١ - روح الشريعة الاسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الاسلامي

في حدود معلوماتنا المتواضعة، وبعد الدراسات المضنية، وجدنا ان واقع التشريع في العالم الاسلامي في هذا الوقت بعيد كل البعد عن روح الشريعة الاسلامية في الاساس وفي المصادر وفي المبادىء العامة، وحتى في كثير من التفاصيل.

واذا كان بينهما من لقاء فهو محصور في بعض الفروع وفي كثير من المظاهر، وهذا التشابه قائم بنفس المقدار او اكثر بين تشريعاتنا وبين مختلف التشريعات المدنية المعاصرة والسالفة.

ومن المحزن ان نعترف بهذا الواقع ونحن نتذكر الآيات القرآنية الكريمة في سورة الحجر « لا تمدن عينيك الى ما متعنا به آزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ، وقل انى انا النذير المبين » • كما انزلنا على المقتسمين • الذين جعلوا القرآن عضين • فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون • فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين • انا كفيناك المستهزئين • الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون » •

ان بعض الانتباه الى هذه الآيات مع ترتيبها ثم وقفة تأمل امام الكلمات : « تمدن عينيك الى ما متعنا به آزواجا » و « الذين جعلوا القرآن عضين » و « واعرض عن المشركين » والوعد بكفاية المستهزئين « الذين يجعلون مع الله الها آخر » •

إن الدقة فى هذه الامور توضح المفهوم القرآنى عن الشرك (فى مصطلح الاحاديث الشرك الخفى) وان التوحيد الكامل هو فى التسليم لجميع ما امر به ، وان تجزئة القرآن نوع من الشرك وجعل مع الله الها آخر هو المطاع فى بعض المواقف ، وان المظاهر التى يعيشها الاخرون الذين لا يؤمنون بالله او بعبارة اخرى النجاح الظاهرى الذى يكتسبه الملتزمون بقوانين غير القوانين الالهية ان هذه المظاهر رغم اغرائها لا يمكن ان تشكل طموح الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمؤمنين الذين يلتزمون باحكام الله جميعـــا رغم اتهامهم « بالرجعية » وغيرها ورغم تعرضهم للاستهزاء •

والحقيقة ان المفهوم القرآنى للشرك او للكفر بالله لا ينحصر فى العبادة لغير الله ، والا فما معنى الآية المباركة : « أرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم » هل هناك من يصلى ويسجد لهواه ؟ بل الاله فى المصطلح القرآنى هو قدس اقداس الانسان الذى يدفعه فى حركاته ونشاطه بصورة مباشرة او غير مباشرة وهو الذى يجعل الانسان من نفسه ، وفكره وعواطفه وحركاته وسيلة لكسب رضاه ولتلبية رغباته •

وهذا المعنى هو المعنى الذى يقرب بل يوحد بين معنى التوحيد ومعنى الاسلام ، اذ الاسلام هو التسليم الكامل عقلا وقلبا وجسما لله ، فالتسليم فى مقام العمل أى اسلام الجوارح هو جزء من مفهوم التوحيد •

والايات التالية تلقى اضواء على هذا الفهم العميق • فلنتلوها بتأمل :

سورة النساء الاية ١٥٠ : « أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا • اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » •

فلنكرر : « ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين



ذلك سبيلا » الا يعنى الكفر ببعض الاحكام ، عدم اعتراف بصلاحيتها والاقتباس من المصادر الاخرى ؟

ثم نتلوا ايضا « ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ، هؤلاء هم عين ، الذين يكفرون بالله ورسله ، فالايمان بالله بالعقل وبالقلب « أى العقيدة والاخلاق » دون الايمان بالجسد أى الالتزام بالاحكام ، كفر بالرسل وفى مقياس القرآن كفر بالله والرسل

وهنا يظهر بوضوح ماستقرؤه في سورة المائدة وفى الايات ٤٣ و ٥٠ حيث ان الحكم بغير ما انزل الله حول القيود والقصاص يعتبر في منطق القرآن ظلما وكفرا وفسقا وكذلك اتباع اهواء الاخرين وعدم الخضوع لاحكام الله في الانجيل وفى القرآن مرفوض وفسق .

الايات سورة المائدة ٤٣ الى ٥٠

« انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ، فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون . وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص . فمن تصدق به فهو كفارة له . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون . وقفينا على اثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة واتيناه الانجيل فيه هدى ونور مصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون . وانزلنا اليك بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا . ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم . فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك .. فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون » .

ومجمل القول ان الاحكام في الشريعة الاسلامية « مثل جميع الشرائع السماوية » جزء لا يتجزأ من الوحدة المتكاملة التى نسميها « بالاسلام » .

والاسلام رغم تقسيم تعاليمه فى الدراسات والكتب الى الثقافة والعقيدة والفقه والاخلاق ، رغم ذلك وحدة متماسكة مترابطة الحقول متفاعلة الاجزاء . فالثقافة او ما نسميه الرؤية الاسلامية للوجود قاعدة لعقيدته ، وكلتاهما اساس الشريعة فى فقهها واخلاقها . ومن جانب آخر فالشريعة تصون العقيدة وتوضح الرؤية ، وكل

قسم من الشريعة ذو تأثير عميق على القسم الاخر .

واليكم بعض الصور لهذا الترابط :
القرآن الكريم يعطي مفهوما عن الله هو أوسع وأشمل من كافة المفاهيم التي قدمت من قبل الاديان السابقة « ملك الملوك » « الاب » ومن قبل المفكرين والفلاسفة « واجب الوجود » « الوجود المطلق » .

هذا المفهوم الذي له الاسماء الحسنى وهو منتهى كل كمال والاول والاخر والظاهر والباطن ، والسموات مطويات بيمينه ، وهو أقرب من حبل الوريد ويحول بين المرء وقلبه وغير ذلك ، هذا الذي نعده ركن الثقافة الاسلامية أساس العقيدة وعلى المسلم ان يدرك هذا ويؤمن به عن دليل ويعيشه بكل وجوده ، ولا يقبل الاسلام بغير هذا ابدا ، ولا يعد الذي فكر وآمن بغيره مسلما . وهكذا يقدم الاسلام مفاهيم عن الكون والحياة والموت والانسان والمجتمع وغيره . وهذه المفاهيم أسس التفكير والايمان والعمل في الشريعة الاسلامية .

والايمان بالله الواحد الاحد الذي لم يلد ولم يولد بدوره ينعكس على موقف المسلم من اخيه المسلم ومن الانسان كل انسان ومن مجتمعه .

والعبادات بما لها من شروط وفي مقدمتها الاخلاص لله في النية نتيجة طبيعية لهذا الايمان وفي نفس الوقت تصون الايمان وتنميه في النفس وتقلص النزعات الدافعة للتحرك في نفس الانسان المسلم .

وتأثر الاخلاق الاسلامية بهذا وذاك ظاهر ، حيث ان الكبر مرفوض ، والثقة بالله ، لا بالنفس ، والتواضع وحسن الظن والتسامح والطموح الكبير والامل الدائم والكرم والشجاعة ، هذه الاوصاف تستقي من الايمان الاسلامي ومن الرؤية الاسلامية ومن العبادات والاعمال المرغوبة في الفقه الاسلامي وهي بدورها تؤثر فيها .

ان الصورة الحقيقية للاسلام هي في كونها لوحة مترابطة الاجزاء لكل حكم مكانه ولكل تعليم اثره البالغ . وتجزئة هذه الصورة للدراسة لا يمكن ان تفصل بين حقولها ولا تمكن المسلم من الاحتفاظ الكامل ببعض مع ترك البعض الاخر .

٢ ـ التفاوت في الاساس

يصرح القرآن الكريم في اول سورة البقرة أن الاساس الاول للتقوى هو الايمان بالغيب . ويأتي من بعده متسلسلا اقامة الصلاة والانفاق مما رزق الله . وهذا التسلسل يتضح في مختلف التعاليم الاسلامية ويؤكد أن الحكم الاسلامي ينطلق من أساس الايمان بالغيب .

والحقيقة ان الفارق المميز بين الحكم الديني وبين الحكم الوضعي هو الايمان بالغيب . بل هذا هو الفرق بين التعاليم الدينية وبين العلوم المختلفة وبينها وبين آراء الفلاسفة وبينها وبين علم الاخلاق وغيره .

والغيبية في أساس الحكم الديني هي سبب القداسة والخلود والاطلاق . والحاجة الملحة في نفس الانسان الى الغيب والى الاطمئنان والاستقرار في كافة شئونه الحياتية ، تلبى بواسطة هذه الصفة .

ان هذه الحاجة تنبع من الاحساس الطبيعي بضرورة المعايشة مع المطلق ، والا فهو يعيش مضطربا في ذاته



متردداً في سلوكه ضعيفاً في عزماته ومواقفه .

اما العلوم ، والفلسفة والتكنولوجيا والقوانين الوضعية وكل ما هو من صنع الانسان فهو متزلزل ، حيث انه متكامل ومتغير ، لذلك فهو لا يغني الانسان عن شعوره بالحاجة الى المطلق ، يحس بصحبته الدائمة في ساعات الحرج وعند انهيار الاسباب والتردد في بداية السلوك .

ويشير القرآن الكريم الى هذه الزاوية من حاجات الانسان بقوله : « الا بذكر الله تطمئن القلوب » ..

ومن المؤكد ان هذا الاحساس بالمعايشة لا بد له من التكريس عند ممارسة الحياة العادية والعبادات في الاسلام بتوقيفيتها وعدم تقبلها للتطوير اثر حتمي لخلق هذه المعايشة .. وهي بدورها تصونها وتنميها . بل الثابت في جميع الاحكام الشرعية حتى المعاملات والاعمال العادية امكان اقترانها بقصد القربة ، بل الافضل ذلك كما ورد في وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا بدوره يؤكد حتمية استناد الاحكام الى الغيب حيث ان لا قربة دون الغيب ، ومن جهة اخرى فانها تتفاعل مع المعايشة المطلوبة ، حتى لو كان ذلك ضمن اطار عام فيكون الانسان عند اتخاذ مواقف يحس بانه ينفذ بصورة مباشرة او غير مباشرة فعل ايمانه بالله وتسليمه لامره ونهيه .

ان الغيبية وما وراءها من صفات لا تتنافى على صعيد التطبيق مع التطوير والاهتمام الكامل بالضرورات الاجتماعية المتغيرة ، وبكلمة ، فان سماوية الحكم لا تتناقض مع ارضية التطبيق عند حاجة الانسان له .

وهنا يتضح مفهوم الاجتهاد في الشريعة والفرق بينه وبين التشريع المتعارف في المؤسسات المخصصة للتشريع .

ان الاجتهاد هو في المصطلح استفراغ الوسع لاستنباط الحكم الشرعي من مصادره . وهذا يعني ان المجتهد يبذل قصارى جهده في المصادر والنصوص لكي يكشف الحكم للواقعة التي يحتاج الى معرفة حكمها ، فهو يضم الى الحكم الديني فهمه واستنباطه النابع من خبرته وممارسته وملكته النفسية به ، يدخل كل هذا في استنباط المجتهد .

ان الاجتهاد تحرك وتطور ونظرة الى الارض ضمن الاطار الغيبي المطلق السماوي للحكم ، فالاطلاق والغيبية لا يفقدان الحكم تطوره وانطباقه على حاجات الانسان كما ان التطور والاهتمام بالحاجات لا يفقدان الحكم قدسيته وغيبيته .

اما التشريع فهو دراسة الموضوع وابعاده والظروف المحيطة به ووضع حكم له مستند الى مصلحة عامة او خاصة .

والتشريع على هذا يضم جزءاً من فهم المشرع الى المصالح المتوافرة في الموضوع وهو – اي التشريع – نظرة

الى الارض بينما الاجتهاد انتباه الى السماء ويشتركان فى انضمام جزء من ذات المجتهد والمشرع ومن فهمه واستنباطه .

٣ ـ التطور فى الشريعة

وقد وضع الاسلام ضمن شريعته مبادىء تمكن الانسان من تطوير الحكم الشرعى حسب مقتضيات الزمان والمكان وغيرهما دون ان يفقد الحكم قداسته وغيبيته .

ويدور التطور هذه على أنواع :

النوع الاول : موضوعات الاحكام واجزائها وشروطها التى تقبل التطوير فى مدلولاتها عند مختلف الظروف والاحوال ذلك مثل موضوع حكم تعدد الزوجات فى القرآن الكريم « وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى » وهذا الشرط قابل للتعميم فى الحالات الاجتماعية المتنوعة كظروف ما بعد الحرب وفى بعض المجتمعات الخاصة والمفهوم من الآية ان هذا الحكم ليس حكماً مطلقاً فى جميع الحالات .

واذا فسرنا الآية الكريمة بانها فى صدد بيان حل لمشكلة الخوف من عدم القسط فى شئون الايتام وليست فى مقام تقييد الحكم الا لمنع الزيادة عن اربع ، اذا فهمنا الآية بهذا المعنى نقول : ان القرآن لم يذكر الى الآن اى نص يبيح التعدد المطلق والسيرة المطهرة وسلوك الاصحاب والائمة سيرة عملية لا اطلاق لها مثل الادلة اللبية فى مصطلح الاصوليين ، يمكن اختصاصها باسباب خاصة وبشروط معينة .

ومثل شرط العدالة فى العشرة فهى تختلف باختلاف حقوق المرأة التى تحدد امكانية قيام الزوج بمسئولياته امام اكثر من زوجة .

نقول هذا حتى ولو كانت الروايات فسرت العدل فى العشرة فان شأن المرأة فى الطعام والكساء والسكن يختلف أيضاً ويتطور .

ومثل موضوع الفقر فى الزكاة حيث انه يتطور حسب الحاجات المتزايدة ومتوسط الدخل الفردى . فكلما تحسنت أوضاع المعيشة ، وارتفع المستوى المتوسط توسع مفهوم الفقر . وهذا يعنى ان الزكاة تدارك مستمر لنقص الاوضاع المعيشية لدى الفقراء وتقريب دائم لمستوى دخل الطبقات المختلفة .

ومثل موضوع الرشد فى آية البلوغ والذى يجعل عمر البلوغ المدنى يختلف عن السن التى يبلغ الشاب درجة المسئولية الجزائية .

ان الآية الكريمة تقول « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم اموالهم » واستئناس الرشد بعد البلوغ الجزائى ضرورى للتأكد من وصول الشاب درجة البلوغ المدنى ، وهنا يدخل تقدير الحاكم المسلم عندما يريد وضع القانون لتحديد سن المسئولية المدنية وبالتالى يدخل امكان التطوير .

والامثلة على هذا كثيرة جداً اكتفينا بالقليل منها . وابرزها مبدأ تطبيق الزكاة ، فبامكاننا اليوم ان نرفع مستوى حياة الفقراء بواسطة تأمين العلاج والعلم والضمان الاجتماعى لهم وهذا اقرب للكرامة وادق فى هذا العصر .

النوع الثانى : مبادىء موضوعة لاجل التطوير بالذات مثل قاعدة « المؤمنون عند شروطهم » وقانون « اوفوا بالعهود » وغيرهما ومن خلال هذه القواعد يمكن تطوير صور الزواج وشروط الطلاق وادخال تعديلات واسعة فى قانون الاحوال الشخصية .

فالزواج ، اقترح الاسلام له صورة أصلية هي المتعارفة لدى المسلمين . ويمكن وضع صور جديدة للزواج من خلال وضع شروط ضمن العقد تحد من استرسال الرجل في الطلاق وعند الامتناع عن الطلاق ، وتحدد أيضا المكان والمال المكتسب خلال العمل والاموال الموجودة في البيت ، ويمكن وضع شروط يستصعب على الزواج معها من تحدد الزوج كما يمكن تحديد وضع الاولاد عند الطلاق .

ان هذه الشروط يمكن ان توضع ضمن استمارات تعرض على الزوجين حال الزواج لاجل التمسك بها أو التخلي عنها . فاذا ذكر في عداد الشروط ان الزوج اذا أراد ان يطلق دون مبرر صحيح فعليه ان ينفق على المطلقة ما دامت غير مزوجة ، وعليه ان يدفع مبلغا كبيرا . ان هذا الشرط من طبعه تحويل كل طلاق الى المحكمة لمعرفة الموضوع ووجود المبرر الصحيح، ثم انه يحول دون استرسال الزوج في الطلاق . ومن جهة ثانية اذا وضعنا ضمن العقد وكالة الحكمين أو المحكمة عن الزوج في الطلاق في حالات معينة فان تعنت الزوج في امتناعه عن الطلاق يخف بل يتعالج نهائيا .

النوع الثالث : مراعاة العناوين الثانوية فانها من اهم شئون الاكتشاف وتطوير الاحكام الشرعية ، فالتاميم مثلا لا يمكن قبوله كمبدأ في الشريعة الاسلامية حيث انه يقوم على اساس عدم الاعتراف بالملكية الشخصية ، ولكن الشريعة عندما تلاحظ ان مصالح الامة تعرضت للخطر فلا تقف لحظة واحدة لحفظ مصالح الفرد فتحكم عندئذ بالتاميم . وهنا ينفتح باب واسع آخر لاجل تلبية الحالات الحادة والمستعجلة وغيرها ضمن الاطار الشرعي المتحفظ .

ان هذه التطورات ضمن الاطار العام للحكم الديني تمكن المسلم من معايشة التطورات الحديثة ومعالجة الحاجات والمشكلات الاجتماعية المتزايدة دون ان يشعر بانه ينفذ حكما غير حكم الله ومع احتفاظ الحكم بقداسته الكاملة .

وهنا يتضح الفرق في الاساس بين الحكم الشرعي وبين الحكم الوضعي وما عليه عالمنا الاسلامي اليوم ، حيث ان الاحكام والتشريعات فقدت قداستها لانها لم تستند الى اساس غيبي .

٤ ـ الفرق في المصادر

ان مصادر الاحكام الاسلامية تختلف كليا عن المصادر المعتمدة لتشريع القوانين في العالم الاسلامي في هذا الوقت رغم ما يوجد في كافة الدساتير والقوانين الاساسية . ان دين الدولة الاسلام ، وان الاسلام مصدر رئيسي من مصادر التشريع . ان هذا كله لا يغير حقيقة الامر .

فالحكم الاسلامي يبحث عنه وعن تفاصيله في القرآن والسنة المطهرة ،

ثم في اجماع الامة ، وهذه المصادر لا تراجع من قبل الباحثين عن وضع القوانين بل البحث يتجه في المبادىء الدولية الحقوقية وفي تجارب الامم الاخرى وفي الدستور وفي بلاغات الثورة وتضع المجالس التشريعية تفاصيلها • ثم تصدر مراسيم لاصل تنفيذها ولا يصلح أى قانون للتنفيذ ما لم يصدر المرسوم بشأنه ومع رعاية شروط معينة

والمصادر تقتبس على ضوء المصالح والحاجات من الاحكام الاسلامية كما تقتبس من سواها • يقال ان نابليون في رحلته الى مصر حمل معه الفقه الاسلامي في القضايا المدنية واعتمد عليها في قوانينه الشهيرة • ان هذا الاقتباس لم يجعل القوانين النابوليونية احكاما شرعية

ان الفقيه المعاصر عليه ان يرجع الى المصادر القانونية المعاصرة ايضا لكي يصدر الفتوى ولكن الرجوع هذا محاولات لاكتشاف الموضوع وادراك ابعاده على العكس من الحكم الوضعي

وهناك فرق اخر في هذا المجال وهو ان اختيار الحكم الشرعي من مصادره الزامي على العكس من اقتباس الحكم الوضعي •

الذي يجعل القانون المقتبس منوطا بارادة السلطات المشرعة دون الزامها على اصداره • يبقى المصدر الاخير من مصادر الشريعة الذي هو مصدر القوانين الوضعية في نفس الوقت ، وهو العقل ، ولكن العقل في الشريعة اساس العقيدة والمسائل العقائدية في الغالب ، ثم انه يعتمد لاكتشاف الحكم الالهي استنادا الى مبدأ « كل ماحكم به العقل حكم به المشرع » ، اما الاحكام الوضعية فمن اوسع مصادرها حكم العقل واراء العقلاء على انها تلبية لحاجات الانسان ، وبالتالي فهي احكام موضوعة من قبل الانسان •

---

٥ ـ المبادىء العامة

عند مقارنة التشريعات المعاصرة مع روح الشريعة نجد فارقا في المبادىء العامة ايضا رغم ان هذا الفارق هو نتيجة طبيعية للتفاوت في الاساس •

أ ـ فالفقه الاسلامي يعتمد في عباداته ومعاملاته على النية اعتمادا مطلقا بينما التشريعات الحديثة تقلص من دور النية بشكل ملموس • والنية في الاسلام هدف وروح للعمل • والنتيجة الباقية منه يحاسب الانسان بحسبها ولا يقبل أى عمل من دونها • ولها في المعاملات من عقود وايقاعات دورها الاساس تكتفي بتذكير الناس الى الفرق بين الاضطرار والاكراه وصحة العقد مع الاول دون الثاني ، نكتفي بهذا اختصارا ثم نعيد الى افكارنا اهتمامات الاسلام بالمسائل النفسية والدوافع ومسائل الاخلاق •

ب ـ تضع الشريعة الاسلامية حدودا لمفهوم الملكية وتلغي الملكية عن بعض الاشياء والمالية عن بعض الاشياء وعلى هذا الاساس تتأثر المعاملات تأثرا بالغا في هذا المجال •

فالخمر وآلات اللهو وما لا يستعمل الا في المعاصي ولا يتمتع به في الحلال لا تعد في الاسلام مالاً ، فلا يجوز بيعها وشراؤها واستئجارها •

كما ان الملكية تحتاج الى سبب ثابت فلا يكفي التسجيل للارض في تملكها بل الحيازة ايضا لا تملك • انما الاحياء سبب لملكية الارض ثم المبادلة والميراث •

جـ ـ والانسان فى المعاملات يقوم بدور كبير وفى التشريعات الحديثة تقوم المؤسسة مقام الانسان تدريجيا . اما الاسلام فعلى الرغم من اقراره بل اكتشافه لاول مرة الشخص المعنوى فانه يعلق على الشخص الحقيقى فى المعاملات والايقاعات والشـــهادة والقضاء أهمية كبرى تجعل منه الركن الاساسى .

د ـ والعمل الذى هو اساس لبناء العلاقات الاجتماعية مفهـــومه لدى الشرع غير مفهومه فى القــــوانين الوضعية وهذا التفاوت فى المفهـوم يشكـــل فرقا أســـاسيا فى القوانين والانظمة .

ان العمل فى المفهوم الدينى رسالة ووظيفة ، لذلك فهو حس مطلق يربط أعضاء المجتمع بعضها ببعض ويربط الاجيال المتلاحقة ربطا عضويا .

ان العمل ليس بضــــاعة تباع وتشترى كالامتعة والاشياء الخارجية، بل هو واجب . يقدم المجتمع الاسلامى لعامله الواجب لحفظه وحفظ اسرته وشئونه حسب ظروف المجتمع والمرحلة الاقتصادية التى يمر بها ، وهـــذا البحث من كنوز الفكر الاسلامى وهو مفتاح توزيع الثروة العادلة فى نظام الاسلام الاقتصـــادى توزيعا عادلا موجها مطورا يشد الافراد والاجيال فى رباط مقدس .

والعمل فى مفهومه القانونى كمية من الطاقة المجسدة تقدم مقابل اجر معين . والتقابل يقتضى المساواة فى القدرة والجودة او الرداءة . والعمل فى هذا المفهوم بضاعة بحتة تبحث الانظمة الشيوعية والراســمالية عن تقييمها ووضعوا على نتـائج التقييم جميع قوانينهم الاقتصادية وغيرها .

و ـ والكمال فى المفهـوم الدينى مقترن مع الحق وليس المهم ان نكتسب القدر الاكثر من المكاسب بل المهم عدم مفارقة الحق مع العلم ان المبدأ فى المفهوم القـــانونى الوضعى هو تامين الوصـــــول الى الدرجة الاعلى من المطالب حتى على حساب الاخرين . وما تسميه اليوم بالتربية فى الانسان والتنمية فى الاشياء هو ما عبرنا عنه بالكمال فى المصطلح الدينى والواجب على المسلم من المهد الى اللحد .

وهـــذا مصـــدر الطغيـــان والظلم والثورات والصراع الاجتماعى المرير . والقانون الوضعى المنبثق من الواقع البشرى يكرس هذا .

أما الدين فساحة كمال الانســان فيه فسيحة لا يصطدم تحقيق طمـوح الفرد مهما بعد بطموح الاخـرين . ولا لصالح الجماعة بمصالح جماعات أخرى . فرضا الله لاحـــد له ولا يشغله شأن عن شأن .

ز ـ والربا فرع خاص من هـــذا المبدأ ، ناهيك عن تحكم قانون العرض والطلب بصورة مطلقة فى التشريعات

القانونية . حتى فى الانظمة الشيوعية ولكنه يتحول الى ميادين اوسع .

ح ـ وهناك مبدأ الجزاف واعتماد الحظ وجهالة العوضين او الغرر . فهو بفروعه مرفوض فى المعاملات الاسلامية دون التشريعات القانونية التى تكرس فى العالم الاسلامى انواعا كثيرة من هذه المعاملات كما نجد انواعا من اليانصيب ، هذه المقامرة التى تسلب المسلم جميع انواع العطاء حتى فى الصدقات الصغيرة لتحولها الى تجارة

اما التفاصيل فى الفروع فوجود احكام وقوانين غيـــــر موافقة مع الشريعة بل مناقضة معها اكثر من ان تحصى وهذا اثر طبيعى للفـــرق فى الاساس والمصادر والمبـــــادىء العامة .

٦ ـ هنا احب ان اقف امام مثال واضح يلقى الاضواء الكاشفة على الواقع الاسلامى وهو مثل الربا .

ان اكثر الدول الاسلامية بعـــدما وجـــدت الحاجة الملحة الى القرض لاجل الانماء وبعد ما وجدت ان حرمان صاحب المال من الربح غير ممكـــن اقرت الربا بصورة صريحة اوفى اطار من استحياء .

فمن محاولة لاصدار « فتاوى » بالسماح للربا فى الانتـــاج لا فى الاستهلاك الى حلية الربا مع فائدة قليلة او ابراز معاملات ربوية فى صــــور غير صريحة مثل اوراق الاستثمار فى بعض الدول الاسلامية .

هذه المساعى تكشف بوضوح مدى القانون فى العالم الاسلامى مع العلم ان المحاولة لاكتشاف بديل عن الربا كالمضاربة من المصادر الاسلامية لم تجر والدراسات التى وضعت لها او لاقتراح بنك لا ربوى ما جربت من قبل المعنيين فى العالم الاسلامى ابدا رغم الاموال الطائلة التى تصرف فى مختلف الشئون الدينية وفى مجالات الدعوة والثقافة وغيرها .

٧ ـ وفى نهاية المطاف لا بد من طرح السؤال المطلوب طرحه فى هـــــذه الدراسة وهو اننا رغم الواقع ورغم الظروف المحلية والعالمية المعاكسة . كيف يمكننا ان نختصر الطـــريق ونقرب البعيد ونسلك خطا يوصـــل التشريع المعاصر فى يوم ما الى روح الشريعة الاسلامية ؟

وفى الجواب ، علينا ان نعتـرف بصعوبة المسلك وضرورة توفير النية الحازمة ومن ثم يصـــار الى تكليف هيئة من علمـــاء الدين تضـــع الهيكل التشريعى العام ثم تلتقى مع الخبراء فى القانون ومع المعنيين بالشـــئون العامة لكى تبحث معهم ويدرســــون جميعا تطبيق المبادىء العامة ووضع التفاصيل على ضوء الواقع والظروف المحيطة به واستنباط الاحكام الاولية للامور واصدار الاحكام المرحليـــــة لدى الحاجة . ثم السعى الى تطبيق هذه النتائج فى اطارات محـــدودة لاكتشاف النـــواقص واختبار الافكار ـ على الارض ـ فى هذا القرن ومراقبة هـذه التجـارب ومن ثم تحويلها الى قوانين وتقديمها للمجتمعات الاسلامية مع الاحتفاظ بالاساس وبالمصـــادر والمبادىء دون التفريط باحدها مهمـا صغر فى تقييم الناس له .

وبعد .. فان الطريق رغم وعورتها ســالكة ، والمشكلة رغم صعوبتها لا تستعصى على الحل .

« والذين جاهـــدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » .

مفتاح العمل لبناء الوحدة الإسلامية



عبد المنعم خلاف

لا أريد أن أنساق مع رأي الذين يرجعون أسباب تفتت وحدة المسلمين الى مؤامرات أعداء الإسلام .. وإني أعتقد أن تلك الفرقة ترجع الى تقصير المسلمين أنفسهم في تفقه وتدبر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بالحذر من مكائد الأعداء لهم وتسلطهم ووطئهم ، وبإعداد ما يستطيعون من قوة أساسية ومقننة . ومنه التراجع الى التخالف والشقاق والتنازع فيما بينهم .. كما يرجع الى تحولهم عن حقيقة الصراع الطبيعي الدائم بين الإخلاص والظلام والكاذب والحق ...

وكان جديرا بهم أن يستشعروا على اليقظة والحذر والاستعداد الدائم للأعداء بكل ما يستطيعون من قوة كما يأمرهم القرآن (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) و (خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) و (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) و (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر) و (لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) و (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ..) .

وكان حسب المسلمين في أن يدركوا مسئولياتهم عن صيانة الإسلام وصيانة [illegible] أن يحققوا [illegible] كلمة الإسلام [illegible] ([illegible]) التي هي البلاغ المبين وتمكين [illegible] الدائم [illegible] في [illegible] الحياة ، واتخاذ أسباب الوقاية من كل سوء يروع الناس [illegible] من داخلها ، أو يرهقها ويروع المجتمع في [illegible] أمنها واستقرارها ..

ومنه أن جهل المسلمين معاني كلمة ([illegible]) كما أرادها الله [illegible] الحذر منه تعالى [illegible] (ويحذركم الله نفسه) ([illegible]) ([illegible]) [illegible] والنفس من أسباب الشر والسوء ، [illegible] المسلمين الذين [illegible] الدائم من [illegible] الإسلام .

والحق أن من يغفل عن نفسه ويواجه [illegible] جدير أن يحل عليه الضياع والهلاك من كل باب أو ثغرة ، وصدق القائل :

لا يبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

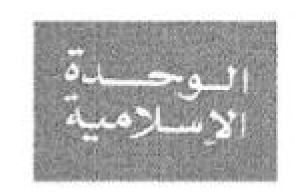
وصدق الآخر :

ومن رعى غنما في أرض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

وفي سبيل استئصال جذور الوهن النفسي لمقاومة الأعداء والحذر من خطر مكائدهم الخائنة ، نستطيع بحسن السياسة والقيادة الإسلامية [illegible] ([illegible]) و ([illegible]) [illegible] .

وفي الواقع [illegible] على التوجيه الفعال من الإسلام للناس [illegible] في هذا المجال كما سبق الحديث عنه ، [illegible] المنحرف المتطرف .

وكان يكون من الادراك والبصيرة [illegible] الإسلام أن يعي المسلمون [illegible] الإسلام . وأن يحرصوا على أن [illegible] أنفسهم [illegible] من هذه الأحقاد والأطماع ، وأن يدركوا أن [illegible] دائما الى أن [illegible] على الإسلام حتى يقضوا عليه .. كما يقول القرآن (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم ..) و (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) ..



ولكن المسلمين بعد عهد الدولة الاسلامية الراشدة قد غفلوا عن ادراك هذه البديهيات التى ارشدهم الله اليها وحذرهم من مخالفتها ضمانا لدوام وحدتهم وقوتهم واعتصامهم جميعا بحبل الله ·

***

ومن هنا اردت ان ابين طبيعة الاسلام وايحاءاته والزاماته بالتوحيد لله الخالق وبالوحدة بين المسلمين وتحذيراته من كل ما يحدث فى بناء تلك الوحدة من ثغرات يتطرق منها الضعف والفساد والتفكك ومكايد الاعداء ··

فاقول وبالله التوفيق :

١ ــ الاسلام دين طابعه التوحيد والوحدة ، لان ركنه الاساسى هو الايمان بالله الاحد ، وبوحدة الناس والخلق جميعا فى ظلال خالقيته تعالى ورحمته وعدله ، وبوحدة المؤمنين والمسلمين فى ظلال القرآن الكريم ورسالات الله وشرائعه على مدى العصور ·

فاما توحيد الله عز شانه فحديثه يعرفه كل قارىء لكتاب الله الناطق وهو القرآن الكريم ، وكتابه الصامت وهو هذا الكون الهائل الكبير ذى الايات والكلمات الالهية العملية التى لا تنفد ! ·· وذو اليد الواحدة فى الصنعة والتقدير والوزن (وهو الله فى السموات وفى الارض) ــ (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم) ــ (الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ــ (وخلق كل شىء فقدره تقديرا) ــ (وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) ــ (انا كل شىء خلقناه بقدر) ــ (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) ··

واما وحدة الناس والخلق عامة فى ظل رحمة الله وعدله وخالقيته وسلطانه وقدرته فيعرفه كل قارىء لقوله تعالى (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) ·· وقوله (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا · ان اكرمكم عند الله اتقاكم) · وقوله (الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ··) ·

واما وحدة المؤمنين من جميع الاديان الالهية فيعرفه كل قارىء لقوله سبحانه (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم · وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون) · وقوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) ·

واما الوحدة بين المسلمين فحديثها يعرفه كل من عرف تاكيد القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وحرصهما على اعتصام المسلمين جميعا بحبل الله ، وهو القرآن ومنع التنازع فيما بينهم ، وتشديدهما على عدم مفارقة الجماعة والشذوذ عنها ، وعلى حمايتها وصيانتها من كل اسباب التمزق والفرقة والشتات ومن الثغرات التى ينفذ منها

الوهن والضعف وكيد الاعداء ·

وقد أسهمت نصوص القرآن والحديث في وجوب التزام هذه الوحدة في كل شأن من شئون الجماعة ، بحيث لا يكون هناك خلاف ولا مراء حتى ولو كان على تفسير القرآن الكريم ··

وحسبنا أن نورد هنا هذا الحديث العجيب الذي رواه صحيح الامام مسلم بسنده عن مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام انه قال : « اقرءوا القرآن ما ائتلفتم عليه ، فاذا اختلفتم فقوموا عنه » ·

وهكذا يسد الاسلام مسالك الخلاف بين المسلمين حتى ولو كان على فهم القرآن ·

وهذا حديث خطير الشأن ، جليل القدر في بيان حرص مولانا الرسول على صيانة وحدة المسلمين والنأى بهم عن أسباب الخلاف مهما كانت ·· وفي ادراكه عليه الصلاة والسلام مداخل الشيطان بالفرقة والتنازع الى نفوس الناس ولو عن طريق الدين ·

ولو أن المسلمين التزموا هذا الحديث وعضوا عليه بالنواجذ ما أوصلهم الجدل والمراء حتى على صغائر الامور الى تفرقهم فيما بعد عصر النبوة والخلافة الراشدة شيعا وأحزابا ، وصل الحال الى أن يضرب بعضها رقاب البعض الاخر ويكفر بعضها بعضا ، ويقطع الارحام التى أمر الله بها أن توصل ·

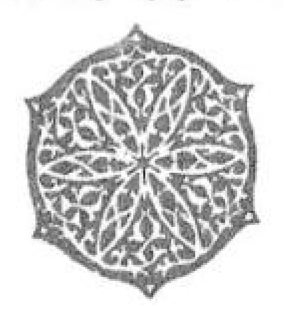
والحق أن هذا الحديث يجعل الوحدة الاسلامية وصيانتها من كل ما يحدث فيها أية ثغرة فوق كل اعتبار آخر · ولو كان هذا الاعتبار هو البحث عن الصواب فى مفاهيم الدين·

***

ولقد شدد الاسلام النكير والنهى عن التنازع بين المسلمين فى حالتى السلم والحرب ، وشدد التحذير من عواقبه في مثل قوله تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين) · وقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) · وقوله (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) · وقوله (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص) ·

ومن هنا يكون اول واجبات مفكرى الاسلام الان لاستعادة بناء الوحدة الاسلامية ان يرابوا ما بين فرقهم وشيعهم من صدوع ، وان يسدوا الثغرات التى يتسلل منها الافتراق والوهن وكيد الاعداء وفساد ذات البين، وأن يكون شعارهم الذى يرفعونه فوق شئون حياتهم كلها : « اجتماع واتحاد ولو على شر ، أهون ضررا على الجماعة من افتراق على خير » ·· وان يجعلوا الفهم الاسلامي للوحدة ، وحرص القرآن والحديث على توطيدها وتحصينها فى قلوب المسلمين مفتاح العمل والسعى لاقامة (الوحدة الاسلامية) بكل اجهزتها ، وان يضعوا ذلك امام الساسة وجماهير المسلمين وبخاصة شبابهم المثقف

٢ ـ واذا كان العالم المسيحى على قوة دوله وشعوبه قد أخذت طوائفه وكنائسه تتقارب وتتجمع مع شدة ما كان بينها من اختلاف وشقاق، وتنازع عنيف وحروب دامية ، سعيا منها الى التنسيق أو التوحيد وتبادل الرأى فيما يواجهها جميعا الان من مشكلات ومهام وقضايا ، كما حدث





في دورات المؤتمر المسكوني ، وتبادل الزيارات بين البابارات ورؤساء الكنائس وكبار موجهي الحياة المسيحية

واذا كان العالم اليهودي كذلك ، قد وحد رأيه واجتمعت كلمته وخططه من قديم على ابراز كيانه وفرض سلطانه على فلسطين وما حولها ، بل على العالم كله . لافساد حياته وتدمير اماله في حياة السلام والمساواة والعدالة الممثلة في (الامم المتحدة) .

واذا كان العالم الالحادي يتجمع كذلك ويخطط لنشر الالحاد والقضاء على الايمان بالله الخالق واهدار المؤمنين به فما بال أمم العالم الاسلامي ، وهي أولى الناس بالوحدة ورفع شعاراتها التي طبع الله نفوسها عليها كما سبق القول ، لاتسعى الى وحدتها السعي الحثيث المدرك لخطورة الظروف العصيبة والمؤامرات الظاهرة والخفية على حياتها ومستقبل ديارها ومواريث دينها وحضارتها المعنوية والمادية ، مع أنها في اشد الحاجة الى التجمع والتوحد والتعاون على مواجهة التحديات ودفع المؤامرات وتعريف غيرها من الامم بنفسها او دينها ؟ ! .

صحيح أن وحدة الشعور بين جماهير العالم الاسلامي لا تزال حية، وان ارادة تلك الجماهير حاضرة لكل ما تتطلبه الظروف منها من تأييد وتضحيات اذا احسنت قياداتها توجيهها وأن الشعوب الاسلامية برغم سقوط (الجامعة الاسلامية) والخلافة وزوالها ، لاتزال مشبوبة الحنين ملهوفة التطلع الى اقامة تلك الجامعة التي يدركون انه لا وجود لوحدتهم الا بقيامها ، تمهيدا لاقامة رمزها وهو الخلافة التي يتحتم أن تسبقها وتحيط بها (هيئة عليا) من قمم العالم الاسلامي في الدين والفكر والحكمة والسياسة والقيادة ، ليناط بها التفكير والتخطيط والعمل العصري الذكي لقيام مقدمات الجامعة الاسلامية من جديد ولمواجهة التحديات ودفع الاخطار والمؤامرات التي تحاول الاجهاز على الاسلام وطمس معالمه وآثاره .. كما يناط بها تقديم الاسلام من جديد الى اهله والى الناس كافة تقديما عصريا مبينا ما فيه من امتياز وتفرد وسبق الى أصول كل فكر وعمل نافع صالح ، ومن قدرة على مواجهة (مشكلات الفكر والاعتقاد) و (مشكلات العيش) في هذا العصر وفي كل عصر ...

٣ ـ ويدفعني التفكير في هذه الفقرة الى التساؤل التالي الذي مبعثه الحيرة والتعجب من بطء المسلمين المعاصرين، لماذا تبطىء الدول الاسلامية في اعادة الاسلام الى مكانه الصحيح من توجيه حياتها والسيطرة الكاملة عليها بكل السرعة الممكنة ؟؟ بعد ان زالت عنها وصاية الاستعمار المعادي للاسلام . أليست تلك الامم مقتنعة بتفرد الاسلام وامتيازه، وانه لو لم يكن دينا موحى به من الله الخالق لكان المذهب العقلي الوحيد الذي لا مفر للتفكير السليم من أن يسلكه لحل مشكلات الفكر والاعتقاد ومشكلات العيش ، ولقدرته الكاملة على مواجهة الحياة الانسانية وحاجاتها بالحل والاقناع والاشباع ؟ ..

أجل لماذا نبطىء نحن المسلمين هذا البطء المهلك في نفض عقولنا وحياتنا من كل ما رسب فيها أو علق بها من آثار الاحتلال العسكري والثقافي المعادي للاسلام ..

وقد التقط الغرب بذور حضارته المالية وغراسها من مشاتل الحضارة

الاسلامية فى مكة والمدينة ودمشـــق وبغداد ونيسابور والقــدس والقاهرة واستانبول والقيروان وقرطبة وغرناطة

وانه لمن اكبر آفات الامم الاسلامية المعاصرة انها لا تفكر فى أعدائهـــا كما يفكر اعداؤها فيها ، ولا تحاول أن تعرف ما يدور فى تفكير هــؤلاء الأعداء بالنسبة لها . وهذا مما أشار اليه القرآن الكريم فى قوله (هاأنتم أولاء تحبــونهم ولا يحبــونكم . وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ..) ـ (لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا . ودوا ما عنتم ..)

٤ ـ ومن هنا كان من ألزم الواجبات على قادة العالم الاسلامى أن يسرعوا الى ايجاد (هيئة القمم العليا) التى سبق القول عنها ، من أعلى رجـــال الفكر الدينى والحضارى والســياسة والقيادة والاخلاق الاسلامية ، ليفكروا ويخططوا ويوجهوا المسلمين جميعـــا ويشعروهم بوحدتهم وبخطورة مايريده أعداؤهم فلا يقنع أى شعب منهم بأن ينهض وحده تاركا أشقاءه من الشعوب الاسلامية الأخـــرى متخلفين قابعين لاصقين بالتراب . كأنه ليس مسئولا عنهم ... أو كأن نهضته هو وحده تغنيه عن نهضة أشقائه المسلمين فى كل مكان .. وأنها تعفيه أمام الله من تبعة انزلاق غيره من الشعوب الاسلامية على منحدر الضياع والزوال بالجهل والتخلف والتحلل من قيم الاسلام .

أجل لا بد أن تكون (هيئــة القمم الاسلامية العليا) من أعلى مستويات القيادة والريادة وفقه الاسلام وممارسة عبقرياته الفكرية والخلقية والعملية فى خوض صراعات العصر ومذاهبــه ، بحيث يمثلون فى مجموعهم ظلالا من خلافة مولانا رسول الله عليه الصلاة والسلام فى سعة معرفته بالله تبارك وتعالى ورحابة افقه وعلمه وســماحة روحه وعظمة خلقه وتعدد جـــوانب شخصيته الفائقة المتكاملة ، وقــدرته على بناء الاشخاص والدول ...

ولعل فيما نحا اليه الأزهر أخيرا من اقامة جامعة متكاملة الدراســات لشئون الدين والحياة ما يقضى على هذه الانفصالية غير المعقولة بين رجل الدين ورجل الحياة . لأن الاسلام لم يعرف هذه التفرقة فى عهد مولانا رسول الله وخلفائه الراشدين .. اذ كان الرسول وأصحابه أعظم نماذج الحياة المتكاملة بالجسم والروح واحســـــان العمل والتجارة والسياسة والعسكرية والحكم والادارة والقضاء ، الى آخر شئون الحياة الاجتماعية المتشـــابكة . وقد قامت بهم دولة الاسلام الاولى التى لم تر الدنيا لها مثيلا فى تكامل شخصيات رجالها وحسن خـــلافتهم لله العليم الخبير بكل شىء ..

٥ ـ وانى أعتقـــد أنه بعد موجة التقارب المسيحى الجديد بين الطوائف والمذاهب المسيحية للتعاون والتخطيط المشترك فيما بينها على تحقيق مطالب عقائدها ومصالح شعوبها ومواجهـــة غيرها بالعمل الطبيعى المنتظر من كل متدين يعتقد أن من التزامه الدينى أن ينصر دينه ويعمل على نشره ويحاول حمايته ... كما يشير الى ذلك القرآن فى أمر مولانا الرسول بأن يقول لقومه فى معرض التحدى بدينه والثقة فى عقبى انتصاره (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون



من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) – (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوى ومن اهتدى) · وذلك اقصى ما يتصور من مباديء الدعوة الى اطلاق حرية العمل امام الجميع لنصرة عقائدهم · بدون حجر او تضييق على المخالفين فى الدعوة الى معتقداتهم بالاساليب المشروعة ·

وبعد مد الموجة اليهودية التى يخطط الصهيونيون لاغراق العالمين العربى والاسلامى بها ، ويحضرون لظهور ملكها الكاهن الاعظم الذى يحكم العالم كله ، ويدمرون مراكز القوى المسيحية والاسلامية المضادة لهم ·

وبعد مد الموجة المادية الالحادية التى تنكر الايمان بالله الخالق وتحبس نظر الناس وتفكيرهم على مسائل العيش المادى وحدها ، وترفض التفسير الدينى للكون والحياة وتعتنق التفسير المادى للتاريخ وحركاته وتحمل الانسان على أن يقنع من حياته على هذه الارض بأن ينال كفايته من حاجات الجسد وحدها كأى حيوان بدون تطلع الى حل مشكلات الفكر والاعتقاد فيما يحكم الكون الكبير من الكمال العقلى والخلقى الذى ينبث فى كل جزء من اجزائه ، ويتجلى فيما يسيره من علم ونظام وحكمة وقدرة ورحمة ونعمة وجمال وايمان واصرار وثبات وعزة وقهر وقداسة وكبرياء ·

اقول : اعتقد انه بعد مد هذه الموجات الثلاث وتخطيط قادة كل منها وعزمهم على غزو الحياة الانسانية بمفاهيمهم (وايدلوجياتهم) الخاصة ·· لن يعدل من غلو الموجة الاولى وهى المسيحية ، ولن يقاوم عنف الموجة الثانية ودمويتها وعنصريتها وعدوانيتها وتوسعها ورجعيتها ورفضها لسير التاريخ بالانسانية منذ ان طرد اليهود من فلسطين – وهى الموجة الصهيونية – ولن يوازن الموجة الثالثة وهى الموجة الالحادية ·· لن يواجه هذه الموجات الثلاث الا تصدى الاسلام لها جميعا بربانيته الموحدة ، وماديته العلمية القرآنية ، وروحيته وعقلانيته وعدالته الاجتماعية ، وسماحته الانسانية ، وقدرته الفائقة على حل مشكلات الفكر والاعتقاد ومشكلات العيش ··

ولن يمكن المسلمين من هذا التصدى لهذه التحديات الا قيام (الجامعة او الوحدة الاسلامية) باجهزتها لتنهض بعزائم التصحيح والتنقيح والتقريم لانحرافات العقائد المغلوطة والمدخولة وبعزائم الكفاح للموجة الدموية العنصرية الصهيونية العاملة على تخريب كل شيء اذا لم تحتكر هى وحدها السيطرة على كل شيء بأسلوب تفكيرها فى أسطورتها عن شمشون الجبار وهدمه المعبد على رأسه وعلى رءوس أعدائه صائحا : « على وعلى أعدائى » ···

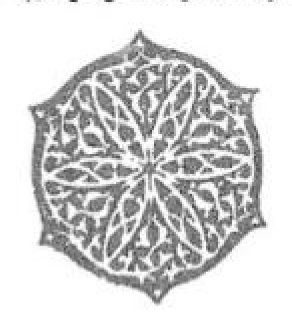
✿✿✿

٦ – ويحتاج المسلمون فى استرداد ايمانهم بضرورة قيام تلك الجامعة الاسلامية الى صحو عميق وادراك بصير لمكانتهم ومكانة الاسلام بين الشعوب والمذاهب ، والى تحصين انفسهم من كل دس وكيد وتآمر على تفريقهم وتشتيت شملهم ، والى اعداد حثيث لقواهم الايجابية والسلبية بالعمل الذكى ، وبالحذر والاحتراس الدقيق من اى امر يفضى بهم الى التفرق والتشتت وحدوث ثغرات ينفذ منها الوهن والضعف الى كيانهم ·

كما يحتاجون الى سد ثغرة على

قدر كبير من الخطورة ، وهي شعور شبابهم بعقد النقص والانحطاط عن غيرهم من شباب أمم الحضارة الغربية الحالية . ولا يكون سد هذه الثغرة الا بتوقيف الشباب وارشادهم الى العراقة والاصالة الحضارية التي لشعوبهم اكثر مما لغيرها من الشعوب الاخرى ، والا باقناعهم بامتياز الاسلام كدين فكر وحضارة ، وسبيل عدالة وانسانية عليا لا مثيل له . وبتوحيد تفكيرهم ومقاييسه وذلك بجمعهم على الفهم العلمي للقرآن ووعي مضامينه وعدم الخروج عن منطقه العربي المبين الى الشطح أو التهويم او الدردشة أو التأويل البعيد ، أو غير ذلك مما يبعده عن صحو العقل العربي الذى نزل اليه القرآن ، ولم يكن يهتدي ويسترشد ويحكم الا بمنطق الفطرة المستمد من السنن الالهية الثابتة التي تحكم ظواهر الطبيعة المادية .

والى هذه المعاني يشير قوله تعالى (وكذلك انزلناه حكما عربيا) (انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقوله (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) وقوله (كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) وان اكبر ثغرة في بناء الوحدة العقلية والنفسية للمسلمين المعاصرين هي خلو عقولهم من منطق القرآن بعلميته الواضحة وماديته الربانية الصارمة ، وخلو قلوبهم من روحية القرآن الذى يهدى للتى هي اقوم .



وان الذين يعيشون حياتهم العقلية والقلبية بالقرآن يعيشون في قمم الذكاء والعلم والشرف والنبل والكمال العقلي والخلقي ، لانهم يتلقون القرآن كما كان يتلقاه مولانا الرسول من لدن حكيم عليم خبير . ويعيشون به دائما في حضرة الله العليم الذى عنده مفاتح الغيب ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض .

والقرآن هو الذى اقام بناء وحدة الامة الاسلامية وحصنه وأحكمه ولم يترك فيه ثغرة يتسلل منها اى فساد أو عامل هدم أو ضعف .. ولذلك خرجوا للعالم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا في مواجهة معارك الاسلام ومعارك الحرب ، وقد اجتاحوا بقرآنيتهم امم الحضارة والثقافة والديانة التي كانت تعاصرهم وكانت سيدة الارض في ذلك الحين ، فلم يسعها الا ان تسلم لهم قيادها عن طواعية واختيار وتدخل في دين الله وتترك لهم حكمها بالقرآن ... فلم تلبث ان جمعت حضارته الروحية والعقلية الى حضارتها المادية ، فرأت الدنيا اروع نموذج متعادل متوازن من الحياة الروحية المادية لم تر له نظيرا من قبل ، ولن ترى له نظيرا من بعد الا في هدى القرآن .

ولقد كان اجتياح المسلمين بالقرآن لأباطيل امم الارض جميعها، واكتساحه في ثمانين عاما فقط لغثاء حياتها الدينية والفكرية والحضارية ـ كبرى المعجزات في التاريخ . ويصح أن نجعلها قمة معجزات القرآن العملية، اذ انه اخضع بها اعناق تلك الامم الجبارة الكبرى بالاقتناع بما فيه من سماحة وعدالة وإخاء ومساواة بين البشر جميعا .

وان معجزة اجتياح العرب لاقطار الارض بالقرآن هي الاطار العملي التطبيقي الذى احاط بالاعجاز النظرى بذات القرآن ونصوصه وصياغته الالهية الفذة المرضية لجميع العصور .

عثمان الكعاك
"تونس"



التبشير كمعنى اصلى اشتقاقى هو الدعوة الى ما جاء به الانجيل من عقائد وتعاليم ، لان الانجيل معناه كتاب « التبشير » بحيث ان اصدق ترجمة لكلمة تبشير هى حمل الناس بصورة او باخرى كافراد او كجماعات من عقيدة وثنية او اسلامية او بوذية او غيرها ، الى العقيدة المسيحية .. ويتبع ذلك طبعا علم منهاجى يسمى « التخطيط التبشيرى » ويجوز ان نسميه « البعاثة » كصناعة باصول ومنهاج للبعثات التبشيرية .

هذا علم قديم عند النصارى قام به الحواريون أصحاب عيسى أولا ، ونظمته البابوية باعتبار ان وراثة القيام بالدعوة التبشيرية النصرانية راجع الى الكرسي الرسولي اي الى كرسي الرسول بطرس الذي يجلس عليه البابا ويقوم بجميع الوظائف التي يقتضيها • وفي مقدمتها التبشير وتنظيمه •

ولذلك وجب أولا ، وبالذات ايجاد « مذهب » و « منهاج » و « علوم » للتبشير وتحميس الناس لبعث أولادهم لهذه المدارس حتى يتخرجوا في الدعوة •• وأول امر هو تعليم لغات الشعوب التي سيرسل اليها المبشرون ، اللغات الاصلية كالعربية والصينية والهندية والمالوية اليابانية واللهجات للاندساس بين القبائل الافريقية السوداء أو البيضاء او الامريكية الحمراء والسوداء او الاوقيانوسية بوجه أعم • وانبنى من ذلك مكتبة كبرى فيها كتب النحو والمعاجم ونصوص القراءة وتاريخ آداب اللهجات وهذه هي نقطة الانطلاق للاستشراق والاستعراب باعتبار المشرق البلاد الاساسية التي يجب ان تبث فيها الدعوة باعتبار ان العربية هي لغة المسلمين ، والمسلمون هم الذين تجب مقاومتهم وابادتهم اولا وبالذات •

اما نقطة الانطلاق الثانية فهي البحث عن تاريخ هذه القبائل والمجموعات والشعوب لا التاريخ الحقيقي ولكن التاريخ المقلوب • بل ان مذهبهم في ذلك هو قول الشاعر :

وان رأوا سبة طاروا بها فرحا
وما رأوا حسنا الا وقد كتموا

ثم ان التبشير كان أكبر ممهد للاستعمار ، بل ان الاستعمار قام على كاهله وبوساطة تعليمه وتعاليمه واعلامه •

فكان رد الفعل من المسلمين بزيادة التمسك بالاسلام ، ومن غير المسلمين من الوثنيين باعتناق الاسلام •

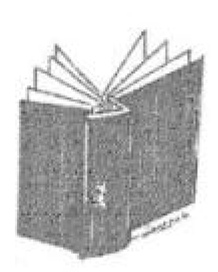
● والاسباب الداعية الى التبشير كثيرة ●

أولها : أن الاديان تنقسم الى انتشارية كالاسلام والنصرانية ، والى لازمة لجنس من الاجناس كالموسوية ، واذن فالمسيحية تبشيرية في أصل جوهرها •

ثانيها : فكرة الحوارية او الرسالة فالمسيحية قامت على الحواريين اي الرسلين المسيحيين مثل بطرس بروما ويعقوب باسبانيا وغيرهما ، والرسالة في نظرهم غير محددة بمكان ولا بزمان ، بل يجب أن تكون في كل زمان وفي كل مكان •

ثالثها : العقيدة السائدة أن من ادخل غير مسيحي في المسيحية دخل الجنة ، فكثر المبشرون لذواتهم اولا ثم لهذه الجحافل من الشعوب النصرانية التي غمرتها المادة وارادت ان تنجي ارواحها وليس لها الوقت ولا الاساليب التقنية فلجأت الى المبشرين واغدقت عليهم الاموال •

رابعها : ان كثرة المذاهب النصرانية





انتشارا هي الكثلكة . وكان من اكبر انصارها على الاقل القديس اوغوستينوس الذى ولد بتاغاست (سوق اهراس) بالجزائر ودرس بقرطاجنة وسمى اسقف عنابة .

وقد تولى ثلاثة اعمال :

العمل الاول : ترسيخ الكثلكة فى نفوس البربر .

العمل الثانى : دعوة الناس الى اعتناق المسيحية .

العمل الثالث : مقاومة الهرطقة . أى المذاهب الشاقة ، وقد كانت يومئذ كثيرة بالمغرب واهمها (الدوناتوسية) .. وهى شيعة مشاقة ابتدعها دوناتوش المولود فى نوميديا فى القرن الرابع للمسيح ، اى الذى كان معاصرا لاوغوستينوس . ومنهم اوبتانوس الميلى ، وقبره لا يزال فيما اعتقد بمدينة ميلة البعيدة بنحو ٥٠ كم شمالى غرب قسنطينة ، فكيف يمكن للبلاد التى انجبت هذا الرجل ان تكون بأيدى المسلمين مثل سوريا ولبنان والاردن وفلسطين ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والاندلس سابقا وايطاليا الجنوبية وجنوب فرنسا ؟

وبناء على ذلك فقد تركز التبشير على هذه العقيدة ، ولهذا امر سحنون ابن سعيد بنقل قبور القديسين النصارى الى أوربا خاصة قبر القديس قوبريانوس وغيره لان هذه القبور ستجر « مسمار جحا » بل قد صارت فعلا طوال ١٣٢ سنة « مسمار جحا » .

● والتبشير انواع كما يلى ●

اولا : التبشير الصريح ، وهو اما علمى ، والعلمى يكون :

١ ـ نقاشيا ، فلهذا جاء رامون لول الى بجاية ليجادل المسلمين فى دينهم وجاء الاب برجيس الى تلمسان ليجادلهم أيضا .. وهذا النوع ليس له جدوى مطلقا لان أصول الاسلام صريحة وخلقية ومنطقية ، وليس فيها التواء او جفاء أو سر او مغيبات .

ب ـ سفسطائيا تشكيكيا : بقلب الحقائق والتحقير من شأن الحضارة الاسلامية ، مثل ما فعل الاب لامانس فى كتاب له بناء على معنى الهجرة ، واستند الى ان معناها الهرب . والهارب جبان .ولا يكون نبى جبانا، الى غير ذلك من السفسطائية .واللفظ الصحيح هو ، خرج النبى صلى الله عليه وسلم ، هاربا بدينه . فوقف الاب لامانس فى « ويل للمصلين » كما قال ابو نواس :

ما قال ربك ويل للذى سكرا
بل قال ربك ويل للمصلينا

ولم يكمل الاية الكريمة « الذين هم عن صلاتهم ساهون » فلجأ الى طريقة فى المغسطاه معروفة تسمى « الاقتضاب »

أما التشكيك فانه خطر جدا ، لان أغلب المعلمين فى العالم العربى من غير المسلمين ممن يجعلوننا نشك فى أهلية لغة القرآن لايجاد الفاظ للمصطلحات العصرية .

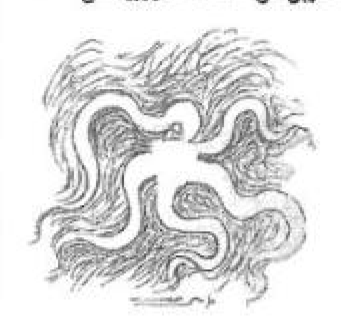
ونحن الذين اعطينا اللغات الاوربية المصطلحات التقنية التى كانت تعوزها والتى لا تزال تستعملها ، فهل تعجز لغتنا التى كانت « البنك اللغوى للتكنولوجيا » ان تعبر الان عن ذلك ؟!

وكذلك قالوا ان المسلمين عاجزون عن العلوم الرياضية والعقلية والفلسفية .

يا للعجب .. رمتني بدائها وانسلت ، من اخترع الصفر ، والمنازل القيمية في الارقام والمثلثات ، والخوارزمية ، والجبر ، والساعة ، وبيت الابرة ، ودفة السفينة ، والاسطرلاب والخريطة البحرية ؟ .. من اكتشف الدورة الدموية والتلقيح .. ومن فصل الطب عن الصيدلية ؟.. من ابتدع علم الاسرة التجريبي ؟ .. من اكتشف العطور والصابون وصناعة السكر ؟ . من نشر باوربا تربية دود القز ، والارز والقطن والنارنج والليمون ، والاشجار الغالية المثمرة ؟

من كانوا اساتذة الفونس العاشر المدعو بالحكيم ، والبابا سلفستر الثاني ؟ .. من اسس أول جامعة طبية باوربا ؟ من ترجم كتب العرب في الطب والفلك والنبات الى اللاتينية من نشر الفن المدجن الاسلامي في معمار الكنائس والاديرة والقصور والبساتين بأوربا وأمريكا ؟ ...

من استنبط القهوة ونشرها مع السكر ، والحصان العربي في امريكا؟ من اخترع المدفع والاسلحة النارية والبلطة التي حافظت على اسمها العربي في اللغات الاوربية الخ ...



بل من أعجب ما يكون انى كنت ابحث عن اشتقاق كلمة (Losange) الفرنسية وهي شكل هندسي يسمى بالعربية المعين او اللوز ، فمعظم معاجم الاشتقاق ذكرت انه اشتقاق مجهول ، فبحثت في الانجليزية (Lozenge) فجاء في القاموس انه : اولا مقطر حبات بشكل لوزى مخلوطة بعقاقير لعلاج السعال .

ثانيا : يطلق أيضا على الشكل الهندسي المعروف . واذن فكلمة Lozange . هي لوزينج الجاحظ في كتاب البخلاء في قصة الرجل المصاب بالسعال والذى كان بخيلا فوصف له اللوزينج ، فاستثقل المؤونة ووصف له ماء النخالة يحسوه حسوا فشفى بحمد الله ...

وذكرت قصة اللوزينج لاحد كبار الذرة من التونسيين فسكت وكان لسان حاله يقول ، الله يحبس علينا العقل والدين ، ثم خرج ورجع بعد لحظات وبيده علبة مكتوب عليها بالانجليزية (Cough lozange) اولوزينج الكحة فكيف يقال بعد هذا ان الاسلام خال من العلوم وعاجز لغة وتاسيسا وذهنية عن الاتيان بها والاجادة فيها ؟

***

والتبشير الصريح يكون ايضا بالعنف ويتمثل في الحروب الصليبية وديوان التفتيش ووسائل اختطاف الصغار الذى ابتكره الاسبان طوال قرنين بوهران ، ووقعة تجاره (Lucera) بايطاليا التى جمع بها جميع المسلمين الصقليين واحرقوا عن بكرة ابيهم ، والقرصنة البحرية التى نبغ فيها البيزنطيون النصارى وفرسان رودس ، وفرسان مالطة . وغزوات الاساطيل الانجليزية والامريكية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية والايطالية ، ثم حروب تنصيب الاستعمار وحروب مكافحة الاستعمار ، فقد خرج الاسلام من كل

ذلك « صح سالم » يمتلك الاماكن الاستراتيجية العالمية والخامات الضرورية للحضارة ، فهذه معجزة فى القرن العشرين ...

ودعنا من الشك فى انفسنا وفى امكانياتنا وفى لغتنا وفى حضارتنا بل فى رسالتنا الحضارية ورسالتنا الدينية العالمية • وحى على خير العمل

ثانيا : التبشير المختفى :

وهو الذى يكون ظاهره رحمة وباطنه عذابا ، كأن يلجأ الاباء البيض او غيرهم الى حمل صناديق اسعاف والتجوال فى القرى والمداشر والدواوير والمشاتى ليعالجوا المرضى ويؤانسوهم فيفهم المسلم فى ضميره الباطن او فى قرارة نفسه ان النصرانية دين الرحمة والحب وجبر الخواطر وتطبيب الابدان والنفوس •

وكأن يلجأ «القرير» او «السورات» الى انشاء مدارس صناعية تعليمية ، دائما فى القرى والمداشر والدواوير ، فتعلم « السورات » البنات الشبكة والصناعات اليدوية وتعلمهن ما تيسر من اللغة ــ ولا سيما اللغة العربية ، وهذا دائما من باب « ظاهره رحمة وباطنه عذاب » لان المستعمرين ومن ضمنهم المبشرون لا يسلمون بأن العربية لغة ثقافية وتفكيرا وتعبيرا معاصرا فمعرفتها لا تكون لـ (L'Intélligentzia) وهى النخبة العليا المبكرة التى يخشونها •

على ان النزر اليسير من العربية الى جانب الوفر الكثير من الفرنسية يجعل المفاضلة لهذه الاخيرة ،فتشك البنت فى لغة القرآن الكريم وتزهد فيها .. واذا اذنبت بنت كعدم حفظ درسها او الثرثرة فى القسم ، فان « السورة » توقفها تحت صنم مريم العذراء وتأخذ فى بيان رحمة السيدة البتول التى تشفع فى المذنب مهما اقترف من جريمة • فاذا البنت تتجه بعينيها اليها كالمستشفعة واذا بها تشفع فيها ، وهذا بيت القصيد ، فيدخل الشك قلب البنت ويتملك قلبها حب ما كانت تجتنب وكره ما كانت تحب ، هذا فى نظر « التخطيط التبشيرى » على الاقل •

ولاشك ان هناك من زاغ قليلا وكثيرا ولكن الحصيلة تافهة ، ولعل ذلك راجع الى الثغرية وهى أن بلداننا على الثغور ، وقد رأينا الاسد كيف اكل « الدابة » وقد اكلنا عن انفسنا وابتلعنا كما ابتلعت الاندلس وجنوب ايطاليا ، فكانت ثغريتنا تجعلنا اكثر تماسكا بالدين وبالعربية وبالحضارة الاسلامية • ورحم الله سحنون الذى اجتنب « مسمار جحا » ورحم الله المرابطين والناغرين والغاورين الذين كونوا لنا حصانة ليست فوقها حصانة •

ومع وجود الترياق فلا يجب ان نتجرع السم فى الدسم • فالدواء الذى يقدمه هؤلاء هو كالحب الذى يقشر للعصفور لا يقصد به خيره بل غيره • وهذا التعليم الطائفى طواف حول الحمى ومن طاف حول الحمى اوشك ان يقع فيه ...

ولكى نعلم جيدا ما هو التبشير يجب ان ندرس :



● اولا : ما هو التبشير ؟ ●

هو دراســـة جميع العلوم التى تســـاعد المبشر على اداء وظيفته التبشيرية . وهذا يتلخص فى :

(١) معرفة لهجات أو لغات الامم والشعوب التى ستجرى عليها عملية التبشير لذلك كثرت مدارس تعليم اللهجات الافريقية والاســـيوية والامريكية والاقيانوسية . وكثـــرت التآليف التعليمية التى وضـــعها المبشرون وغيـــر المبشرين من كتب نحو وحواش معاجم . وكثر المبشرون فى مدارس اللغات كمدرسة اللغات الشرقية بباريس أو مدرســـة اللغة والاداب العـــربية التى كانت بتونس ومعرفة هذه اللغات واللهجات ترمى الى ثلاثة أهداف :

الهدف الاول : معـــرفة اللغة او اللهجة لسهولة القيام بعملية التبشير ولحصول الاعجاب بالمبشر من حيث انه يعرف الفصحى والعامية .

الهدف الثانى : معارضة الفصحى بالدارجة مثلما هو الحال بالاضافة الى الفصـحى والعامية العربيتين . او معارضـــة لغة بلغة كالعربية بالبربرية حتى يحصل تحطيم العربية التى هى لغة القرآن والحديث ويحصل الفصل بينهمـــــا وبين العامية ، والاهتمام بالبربرية باعتبار انهـــا لغة الســكان الاولين وأن لها ادبا وشعرا ومسرحا وقصصا وفصـــاحة وبلاغة وبيانا

وبلغ من امرهم انهم اسسوا فى بعض البلدان معهدا للدراســـات المغربية وهذا المعهد لا يدرس الفصحى ولا الفصحى الى جانب العامية ولكن العامية ليس الا ، ونشرياته تريد ان تكون دراســـات فولكلورية ولهجوية



ومصادرية (بيبلوجرافية) واحيانا فقط تكون عن شخصية ادبية او علمية عربية ممتازة . وصـــار هذا المعهد وامثاله فى نظر البعض ولا ســـيما فى نظر المستشرقين نوعا مركـــزا للبحوث العلمية الاســـلامية يجمع الوثائق ويدرسها ويصنفها ويعطيها لمن يريد وحتى لمن يطلبهـــا . وهى قد تصادف الحقيقة وقد لا تصادفها وانما هم يفعلون هكـــذا واللوم ليس عليهم ، فهذه مهمتهم ، ولكن اللوم الاكبر على المسلمين الذين لم يؤسسوا معاهـــد وثائقية ولا مراكز للبحوث الاسلامية فيأخذون دراســـــات الاسلام والمسلمين عن معاهد المبشرين وبلغ من الامر اننا ليســـت لنا وكالة أخبـــار اسلامية عن الشركات الاوروبية أو الامريكية . وصرنا لانعلم كثيرا ولا قليلا عن اخبار الاقليات الاسلامية الموجودة فى أوربا وآسيا او افريقيـــا او حتى احوال الدول الاســـلامية الكبرى كاثيوبيـــريا والباكستان والهند الاسلامية وغيـــر ذلك .

الهدف الثالث الحيلولة بين التعليم الاسلامى عن طريق رجاله والحلول محلهم فى التعريف بأحوال المسلمين . وما تقوله عن العالم الاســـلامى ، تقوله عن البوذية والبرهمـــــانية او الوثنية الافريقية والامريكية فيما ســـبق عهد كولمبس . وبقـــاء عالم

جديد وعقائدية جديدة وشعوبية ذات أطراف شائكة تندس بعناوين خلابة وجاذبية مغرية لتضرب الوطنية السليمة في الصميم .

وهذا الهدف ظهر بجلاء في القرن الماضي خلال حروب الجزائر فجاء (Go bineau

واعلن ان البربر ليسوا عربا ، وجاء De la Rochemontex واعلن لهم غاليون Gaulois وجاء Chantres et Bertholon

واعلنا ان الاقيسة الانثروبولوجية تفيد ان الدماغ البربرى والدماغ العربى يفترقان .

ولما كان البربر غاليين ولما كان الغاليون هم الفرنسيون الان فقد وجب ان يصيروا فرنسيين . ولما وجب أن يصيروا فرنسيين فالمرحلة الاولى هى التجنيس والمرحلة الثانية هى التنصير اذ لا يعقل ان يفرق بين الفرنسية والنصرانية

على هذا داب القوم فى ليبيا Beguinot وفى الصحراء بلاد الطوارق Le père de Foucauld وفى تونس Lucien Saint وفى الجزائر وفى المغرب الاقصى . فكانت اوامر التجنيس بتونس الى جانب التبشير . وكان التعليم بقسمين فى الجزائر والمغرب فهناك التعليم الفرنسى العربى والفرنسى البربر . وكان الظهير البربرى فى المغرب الاقصى وكادت الفتنة تستعر لولا أن انقلبت الاية فكان البربر من



اشد انصار الاسلام والقضايا الوطنية فى كامل الاقطار المغربية ، بالقلم والخطاب والصحافة وفى الجهاد فى الجبال والوهاد والصحارى والمغاور ، بدون فرق ولا تمييز بين مواطن عربى ومواطن بربرى .. والبربر عرب من بنى قحطان من اليمن فهم من العاربة قد جاءوا من اليمن فهم حميريون من ابناء يعرب بن قحطان . هكذا ذكر الطبرى وابن حزم وابن خلكان وابن خلدون ، وهكذا ذكر نسابو البربر كسابقى البربرى وغيره (انظر كتاب البربر – تونس ١٩٥٧) .

وهكذا التهبت النار فى البلاد السوداء فجاءت قضية بيافرا ، وجاءت قضية اوغندا ، وجاءت قضية جنوب السودان ... وهكذا جاءت قضية قبرص والاسقف مكاريوس ، وقضية باكستان وانديرا غاندى ، وقضية الفيليبين ، وقضية انفصال ماليزيا عن اندونيسيا ، وهلم جرا ...

(١) **معرفة الاديان** : حتى يمكن التلاعب ، ومعرفة تاريخ الشعوب ، وحتى يمكن ان تدس الدسائس ، الدسائس الانفصالية ودسائس تحطيم القيم ، ودسائس نسبة الخير الى غير المسلمين ونسبة الحطة الى المسلمين او الى غيرهم من ارباب الاديان التى يراد التبشير فى أهلها .

(٣) **دراسة نفسية هذه الشعوب** : حتى يعلم المبشرون من اين تؤكل الكتف وكيف يدخلون الديار من غير ابوابها والقلوب من غير مسالكها ، وحتى يكون دينهم كلمة حق أريد بها باطل .

(٤) **تعلم وسائل الدعاية** : وطرق الاعلام حتى ينبثوا فى جميع الاوساط

(٥) **البحث عن نقاط الضعف** : فى المسلمين ونسبتها الى الاسلام نفسه .



(٦) **المقارنة** : بين عظمة البلاد في العهد الروماني وانحطاطها في العهد الاسلامي . وهذا كذب في كذب لان الذين قاموا بعظمة البلاد قبل المسلمين وفي العهد الروماني هم ابناء البلاد انفسهم من بربر وكنعانيين ، أي بونيقيين ، فطيراستوس الذي وضع اساس المسرح الروماني قرطاجني لا روماني ، وشالفيوس يوليانوس المشرع الروماني الاكبر هو بربري من بئر بورقبة ، والاباطرة الذين جلسوا على عرش روما هم من ليبيا **(سبتموس سافارس ، الاسكندر سافاروس) ومن تونس (غورديانوس الاول والثاني والثالث) وهم الذين بنوا قصر الجم .**

والذي فتح فرنسا للرومان هو البينوس السوسي

وزعماء النصرانية بالمغرب قبل الاسلام من صميم البلاد المغربية كالقديس اوغيستنوس وأرتوبيوس وترتوليانوس والقديس قبريانوس والقديسة مونيكا وهلم جرا ، والرومان اخذوا دستورهم ونظام حكومتهم عن الجيروزية البونيقية القرطاجنية واخذوا البلديات المنتخبة عن البونيقيين وهم عرب من بني كنعان، واخذوا الفلاحة الراقية عن موسوعة ماغون القرطاجني الفلاحية بعد ان ترجموها الى اللاتينية ، وعنها اخذ قاطون الفلاحي وبلينوس وكلوملس فاين عظمة الرومان التي تزعمون ؟

ان المسلمين هم الذين اخترعوا الصفر والارقام وابتدعوا الجبر والمثلثات ، وعلموا البابا سلفستر الثاني وادفونش العاشر الذي اخذ حساباته الفلكية عن ابن الزرقال واخذ الموسيقى عن موسيقى العرب .

والرومان لم يعرفوا الدورة الدموية التي عرفها المسلمون ، ولا اخترعوا الساعة التي اخترعها المسلمون للصلاة ، وبالضبط العباس ابن فرناس المتوفى سنة ٨٧٣ نقد صنع الميقاتة وقصد بها معرفة أوقات الصلاة وكتب عليها او بالاحرى على لسانها :

الا انني للدين خير اداة
اذا غاب عنكم وقت كل صلاة
ولم تر شمس بالنهار ولم تنر
كواكب ليل حالك الظلمات

واهداها للخليفة محمد بن عبد الرحمن الاموي بقرطبة ... والعباس بن فرناس هو بربري من تاكرنا بالاندلس ، فهذا البربري الذي تريدون ان تفرنسوا او تنصروا اخوانه هو الذي اخترع الساعة للصلاة ، وهو اول من طار في الفضاء ، وأول من اخترع البلور الصناعي Cristal

وطارق بن زياد الذي فتح الاندلس بربري ، ويوسف بن تاشفين الذي أعاد فتحها وعبد المؤمن بن علي الكومي الذي أعادت دولته فتحها ثانية ، كلاهما بربري .

فمقارنتكم صعبة ومختلة ولا نصيب لها من الحقيقة .

والذي بنى مدينة لبيدس ماغنا هو سبتيموس سافاروس وهو بربري ليبي ، وكان الرومان اذا احتاجوا الى طبيب ماهر او محام مدره استقدموه من المغرب ، وكان المغرب هري روما ، فاين العظمة والمقارنة ؟

هذا هو علم التبشير على وجه



العموم ، وله كتب وقواعد واصول ومذاهب وتقنيات نستطيع ان ندرسها بدقة لمعرفة الخطر الذى كنا فيه والذى لا يزال بعض رواسبه ، ونتعلم اركان هذا العلم والتواءاته ومتاهاته واغراءاته ومغالطته وسفسطائيته ، حتى نتوقاها .

***

هذه هى الناحية السلبية من موقف المسلمين ازاء التبشير . فما هى الناحية الايجابية ؟

هى ان للبيت ربا يحميه ، فالاسلام فى احلك عصور الاستعمار كان اكثر انتشارا بين السودان والصفران والحمران والبيضان من النصرانية نفسها ، وقد كتب فى ذلك ارنولد فى كتابه «الدعوة الى الاسلام» الذى ترجمه الى العربية الدكتور ابو ريده ابدع ترجمة .

ولكن هذا لا يكفى ، فلابد من مقاومة التبشير بالتبشير . واول من فعل ذلك هو ابن حزم الظاهرى فى كتابه (الفصل بين الفصل) ثم اتى بعده عبد الله الترجمان المعروف فى تونس بسيدى تحفة المدفون بقبة على يمين الخارج من السراجين تحت توتة وهو صاحب كتاب (تحفة الاديب فى الرد على اهل الصليب) وهو فى الاصل من اكبر رجال الماكيروس النصرانى لكنه درس وقارن فاعتنق الاسلام على يد الامام ابن عرفة والف كتابه هذا ... ثم جاء الشيخ رحمة الله الهندى فالف كتابه فى الرد على النصرانية ، وهناك بعض الجمعيات التى تبشر بالاسلام مثل الاحمدية ، وهناك بعض البعثات من الطلبة المسلمين المنتسبين الى البلدان التى فيها اقلية اسلامية او فيها اغلبية ولكن ليس بها مدارس ، وهذه البعثات توجد بكثير من الجماعات الدينية الاسلامية .

ولكن هذا لا يكفى . فلابد ان تدرس فى المؤتمرات الاسلامية :

(أ) ـ ايجاد اتحاد مدرسى اسلامى يؤسس مدارس اسلامية حيث لاتوجد مدارس فى بعض البلدان الاسلامية .

(ب) ـ ايجاد جامعة اسلامية عامة لاخراج الاساتذة الذين يعلمون الاسلام على اصوله الصحيحة ويبثونه بين الناس بدون احتكار الى طرق ملتوية فالاسلام يعلن عن نفسه بنفسه وتقنع اصوله وتعاليمه من نفسها بدون احتياج الى دعاية خاصة ، ولكن يحتاج الى معلمين يدعون اليه بدون زيادة او نقصان .

(ج) ـ ايجاد وكالة اخبارية اسلامية تستقى الاخبار من مصدرها الاول ـ « من رأس العين » وتوزعها .

(د) ـ جمع مكتبة عما كتبه الاوربيون عن البلاد الاسلامية وترجمتها وتصحيح ما فيها مثل كتاب (Monsell) عن البلاد السوداء ، وكتاب (Cabaton) عن مسلمى الهند الصينية .

(هـ) ـ ايجاد سلسلة من الكتب فيها كتاب او كتب عن كل قطر اسلامى ذى اغلبية او اقلية اسلامية . فلا نبقى نتستقى اخبار الفلبين الاسلامية من السنيور مركوس فنقف من ظروف هذه البلدان مواقف مخجلة .

(و) ـ ايجاد مجلة اسلامية جامعة شهرية مطولة رخيصة الثمن تصدر

هي عينها في الاقطـار العربية وفي الاقطار الناطقة بالضاد بالعربية وفي الاقطار التركية بالتركية وهلم جرا .

(ز) ـ ايجاد حولية للعـالم الاسلامي مثل حولية ماسينيون ولكن بدون ماسينيون ولا الماسينيونية .

(٣) الجمعيات والطائفيـات

التبشيرية . وهي تنقسم الى عهدين :

ما قبل القرن السادس عشر الميلادى وما بعد القرن السـادس عشر الميلادى .

فمنذ القرن السادس عشر اى منذ ظهور الاصـلاح الذى ابتدعه لوثر ونشوء مذهب البروتسـتانت صار هناك :

(أ) ـ بعثات تبشيرية كاثوليكية .

(ب) ـ بعثات تبشـيرية بروتستانتية .

فلنتحدث اولا عن البعثـات التبشيرية الكاثوليكية ، واولها :

ـ بعثة الاباء اليسـوعيين (١٥٤٣) فهؤلاء ادخلوا النصرانية الى الصين واسسوا بامريكا الجنوبية جمعيات التحويل الى النصرانية لتحويل الهندان أو الهنود الحمـر الى النصرانية ، ولتحـويل الزنوج الافريقيين المسلمين الى النصرانية ولتحويل المجنين المسلمين الذين اتوا من الاندلس فـرارا من ديوان التفتيش ولبنـاء كنائس امريكا الجنوبية والشـمالية والوسطى واديرتها وقصورها ، ولكن هجـرة العرب الى امريكا جعلت المسلمين العرب وغير العرب يسمون بالعربية ويؤسـسون المدارس والنوادى والصحف والمشـاريع والمسارح والمطابع ويتبوأون اكبر المقاعد في جميع مصارف الحياة .

وهجرة الادمغة جعلت مسـلمى الهند وباكستان واندونيسـيا وايران وتركيا والعراق وسـوريا ولبنان والاردن وحتى القـارية يهـاجرون الى هناك .

وظهور الاحمدية والقـاديانية قد كون دعاية اسلامية فاسست الجوامع، وكذلك ظهور « المسلمين السود » الذين يتزايدون بين عشية وضحاها تزايدا على نسبة هندسية ..

وقد جعـل الاسلام ينتشر هناك والعربية تزدهر والادب العربي يكون المثل الاعلى من الاداب العـربية في الاقطار الاخرى

واليسـوعيون يوجدون على الخصوص بلبنـان حيث لهم جامعة القديس يوسف ومجلة المشرق وحيث كان الاب لويس شيخو اليسوعي الذى الف كتاب « مجاني الادب » وشروحه (في عشرة اجزاء) ولا سبيل الى الاستغناء عنه ، فماذا نصنع ؟

واصدر الاب بلو اليسوعي معجمه العربي الفرنسي والفرنسي العربي ، واصدر غيره معجم (المنجـد) كما اصدر الشـرتوني (اقرب الموارد) واصدر البسـتاني (دائرة المعارف) فماذا كنا نصنع نحن معشر المسلمين ؟ كنا وما نزال نقسم الشـعرة على اربع كما يقول





الامام مالك بن انس رضى الله عنه وأرضاه ...

***

واهتم البابوات بالتبشير ، فنشر البابا غريغوريوس الخامس عشر الطائفة الرومانية للدعاية وهو اول من فعل ذلك ، وهى طائفة تهتم بالتبشير فى البلدان الخارجة عن الكاثوليكية ، وأسس البابا اوريانوس الثانى المدرسة الرومانية للدعاية لتكوين المبشرين اللقنيين (١٦٢٧) ·

وفى سنة (١٦٣٤) تأسست فى باريس جمعية البعثات التبشيرية فى الخارج وجعلت لها معهدا تعليميا ·

ولم تلاق هذه البعثات نجاحا فى كل مكان ففى اكثر البلدان ، خاصة فى الشرق الاقصى لاقت مقاومة واضطهادا وابادة طويلة الامد قضت على النجاح القليل الذى احرزته فى اول امرها · فالخلافات التى شجرت بين الطائفيات والافكار الفلسفية التى ظهرت فى القرن الثامن عشر والقلاقل التى اثارتها فى اوربا الثورة الفرنسية عرقلت اكمل عرقلة مساعى هذه البعثات ·

لكن لما أتت سنة ١٨٣٠ أى سنة احتلال الجزائر اعتبر ذلك انتصارا للنصرانية على الاسلام ، فحول الكثير من الجوامع الى كنائس وفتح الباب على مصراعيه للبعثات التبشيرية فانبعثت كما تنبعث الكمأة اثر امطار الخريف · منها : آباء الروح القدس : وهى طائفة تبشيرية متوفرة الوسائل مهمتها التنصير ·

طائفة : الذين أهدوا أنفسهم لخدمة مصالح التبشير وادارتها · وتسمى طائفة (مريم المتبتلة من كل دنس) اسسها بمدينة ايكس بفرنسا المونسنيور مازنو سنة ١٨١٦

طائفة الاباء البيض : هذه الطائفة هى اشهر الطائفيات بالاضافة الى افريقيا خاصة شمال افريقيا ، اسسها الكاردينال لافيجرى سنة ١٨٧٤ فمن هو لافيجرى هذا ؟ هو قسيس فرنسى ولد بمدينة بايون بفرنسا سنة ١٨٢٥ ومات بالجزائر سنة ١٨٩٢ ، درس أولا الاداب اللاتينية بمعهد الدراسات العليا للاباء الكرمليين · ثم التاريخ الاكليروسى بكلية اللاهوت بالسربون ١٨٥٤ ـ ١٨٥٦ ، ثم اسس مشروع مدارس الشرق لتأييد البعثات بالمشرق ثم كان حاضرا عند حوادث لبنان ١٨٥٩ ـ ١٨٦٠ وهذا له معناه ومحواه عند اولى الابصار ، ثم سمى اسقف نانسى ١٨٦٣ ثم رئيس أساقفة الجزائر ـ ومن هنا بدا الخبر ١٨٦٧ فاسس ديار اليتامى الاهلية ـ واستصدر قانونا لجمع اللقطاء ويتامى المجاعات والوافدات · فكان يرسل بهم الى سان جوزاف دوتيبار قرب تيرسق بتونس ، ثم لما صار فى قرطاجنة كان يجمع لقطاء تونس فيرسل بهم الى الحراش بالجزائر · وهكذا استطاع ان يؤسس القرى العربية النصرانية من هؤلاء اليتامى لانها كانت منعزلة عن بقية العالم المحيط · ولكن الاتصال لابد ان يكون وهناك الوشمة يعرف بها المسلم من غير المسلم ، فاذا كانت له وشمة تعرفه اخوانه المسلمون فارجعوه الى الصراط المستقيم ·

على أنه ليس نصرانيا ذا نصيب كامل، فاذا تخرج فى الكهنوت ومنح حق ادارة القداس يوم الاحد لم يحضر أى احد من المعمرين أو من بقية النصارى القدماء يومئذ فيسال عن السبب فيجاب لانه من اصل «أهلى» فلا يحضر قداسه من يسد اهليا فيعدل عن النصرانية

ولما استولى الفرنسيون على تونس وكان للكاردينال دور اساسى فى ذلك يسمى أول أساقفة أفريقيا وميتروبوليت قرطاجنة ، أى أن النظام الكهنوتى الذى كان فى قرطاجنة على عهد النصرانية ايام الرومان عاد الى ما كان عليه ٠

ولكن أعظم مشاريعه التبشيرية تاسيس طائفية الاباء البيض التى عمت افريقيا الشمالية بمؤسساتها ومدارسها وخلاياها ومنشوراتها ٠ ومات الكاردينال بالجزائر سنة ١٨٩٢ وفكر الاباء البيض وغيرهم فى اقامة تمثال له بتونس سنة ١٩٢٦ وتكاثرت المظاهرات الصاخبة ، ولكن التمثال اقيم ٠ واين ؟ داخل باب المدينة الاسلامية وفى فم الشارع المؤدى الى جامع الزيتونة والذى سمى بنهج الكنيسة !

وهناك أيضا الاب دوفوكو وهو « رسول الصحراء» ومبشر الطوارق ولكنه قتل فى الصحراء وطويت صحيفته الى يوم القيامة ولم يتنصر الطوارق الملثمون ، بل هم مواطنون ليبيون وجزائريون صالحون ذوو نصيب كامل من العروبة والاسلام والوطنية المغربية ٠



ويطول بنا المقام فى الحديث عن هذه الاشياء ، لكن لب الموضوع هو وجوب ايجاد تبشير اسلامى تقنى منظم داخلى وخارجى ، فالتبشير الداخلى يهتم بالتعريف بالاسلام الحقيقى وحضارة الاسلام ودور الاسلام الحضرى وكون الاسلام شركة كبرى لتوزيع الحضارات الحقة على العالم القديم والجديد ، فلابد من ان تهتم بذلك وسائل الاعلام فى كل قطر اسلامى ، ولابد من ايجاد كرسى لتاريخ العلوم عند المسلمين وتاثيرها فى أوربا وأمريكا ، ولا بد من أن يهتم كل قطر اسلامى بالتعريف بميزان حرارته الاسلامية والدور العظيم الذى قام به فى حضارة الاسلام ونشر الحضارة الاسلامية فى المشارق والمغارب ٠

وأما الدعاية الخارجية فهى تهتم بأمرين :

الامر الاول : انها تطير لنصرة الاقليات الاسلامية الواقعة تحت نير الجلادين الاسيويين أو الافارقة أو الاقيانوسيين او الامريكيين ، فتؤسس لهم مدارس وتطبع لهم كتب لتعليم العربية وحفظ القرآن ، واحوال الدين الاسلامى ، وتاريخ حضارة الاسلام وتهتم ببعثات بدراسة تاريخ علماء هذه الاقليات ومعالمها ودورها العظيم الذى لعبته فى حظيرة الاسلام وحضارته ، وتنشر عنها كتبا للتعريف بها ، وتتولى وسائل الاعلام الاصيلة الاخبار عن كل امر يهمها ٠

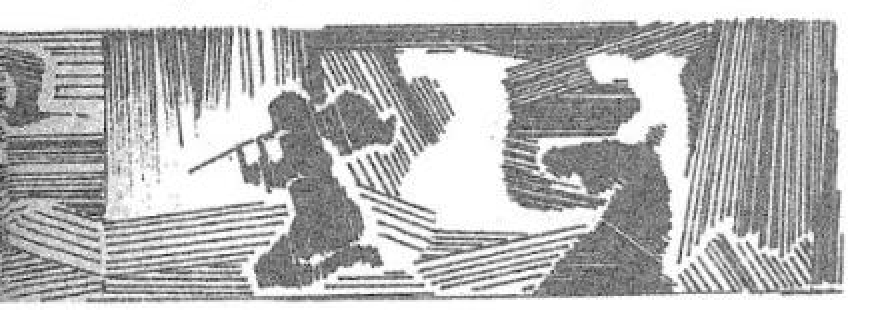
الامر الثانى : جمعيات تبشيرية فى البلدان غير الاسلامية او فى الاقطار التى بها اغلبية غير اسلامية٠ فتدرس التخطيط التبشيرى النصرانى وتتخذ لانفسنا تخطيطا اسلاميا واضحا ومجديا ٠٠

رسالة إلى..

عيناك .. خلف الوعد .. والملتقى لمن انى الليل .. ولا تقبلين ؟
الصيف يمضي .. كالصدى .. مرهقا يلملم الاشـواق للمتعبين
يا وحشة الفجر اذا ماسقى ازهاره الظماى لفجـر العيـون
عيناك .. اصغى فيهما مطرقا لدعوة الشـمس الى النائمين ..
لن تنطفي ذكراك في خاطرى حتى ولو شـابت بحبى السـنون
اصحو على عطرك في مخـدعى والصدر مشتاق لصـدر حنون
اضم صدرى .. باحثا فى دمى عن همسة ذابت بسحر الجفون
رضوى .. وانت العطر .. والمنتهى عودى لبيت غارق فى السكون
عيناك .. تابت مهجتي فيهما عن لهفة الاعطار بين الغصـون
عيناك للدنيا ضفاف السنا والفل اهـدب من اليـاسمين
لم تتركي .. بعد النوى لى فما فمى على ثغرك ... غاق الحنين
لونت خديك بلثم الهوى كحلت جفنيك بحـلمى الحـزين
حريتى عيناك .. لكنني اودعت عمرى فيهمـا .. كالسـجين
اسلمت قلبى فيهما راضيا .. ان يغرق البحـر شراع السـفين

***

.. وفي مكان ... كم ذهبنا له ازوره وحدى .. بقلبى الطعين





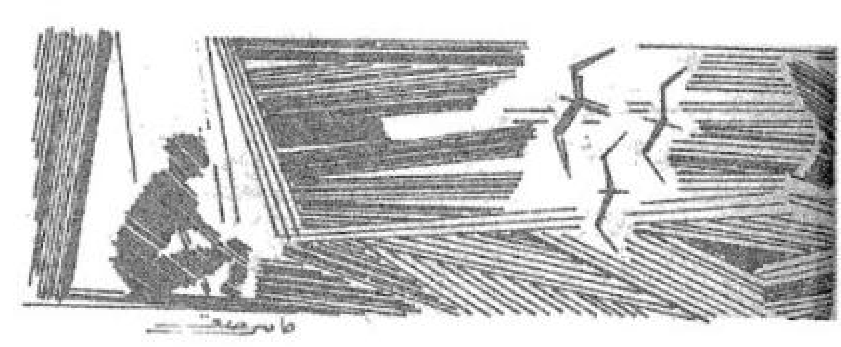
احببت فيه كل زواده ابحث عن عينيك بين العيون
والمقعد الخالي ... عليه ارتمى قلب سريع النبض .. لا يستكين
اكاد القى عطرك المختفى .. كخطوة مرت .. بلا زائرين

فى لفتة الربيع وراء المدى فى كل عطر فاتة العابرون
وتقبل الانسام مهموسة كأنها آخر ما تهمسين
منديلك الحانى طوى دمعتى كضمة الام لطفل حزين

هل يسهر العشاق من بعدنا والليل .. هل .. فيه بقايا حنين ؟
فى حبك الهادىء قلبى سرى يرنو الى النار التى تسكنين
هنا تنامين بصدرى انا .. فى مهجع من لهفتى تسهرين

وتحت شباكك .. اصغى الى دقات قلبينا .. معا فى السكون
لو مسك الليل باحزانه تراك مثلى فى الدجى تفزعين
عذراء حلمى .. الف ليل مضى وفيك فجرى غامض لا يبين

عودى ربيعا خالدا فى دمى يكسو بدفء الحب عرى الغصون
غنيت للناس ... فضاع الصدى وانت دون الناس لى تسمعين
هاتى الليالى ... لحظة .. لحظة فكل ما مر بنا يهون



د. محمد عبده يمانى
"المملكة العربية السعودية"

المعادلة الحرجة

فى حياة الأمة الإسلامية اليوم

اعنى بموضوع «المعادلة الحرجة » فى حياة الامة الاسلامية »منطقة التوازن التى يجب ان تعيشها الامة الاسلامية بين المثل القيمة الكريمة لهذا الدين الاسلامى، وبين الواقع المرير لهؤلاء المسلمين اليوم بين الدين الذى جاء ليجعل هذه الامة امة وسطا وبين الواقع الذى اخذ بهذه الامـــة الى منحدرات الجهل والضياع والتخلف الذى تعيشه •

اما المنطقة الحرجة ، فهى تدور حول مفهوم الآية الكريمة :

« وكذلك جعلناكم امة وسطا * لتكونوا شهداء على الناس * ويكون الرسول عليكم شهيدا * »

لابد اننا نوافق جميعا على ان الامة الاسـلامية تعيش اليوم فترة هامة جـــدا ، لان هـــذه الفترة تتميـــز بوعي ثقافي ، وتتميز بما يمكن ان نسميه بفترة الصحو الاسلامي (اليقظة) ، اي اننا بدأنا نشعر بواقعنا ، بدأنا نشعر باننا أمة متخلفة ، وهذا هو بداية الوعي ، لاننا بدأنا نشـخص الداء ، وانتقلنـــا من فترة التخلف المركب الى التخلف البسيط ، الذي يسهل علاجه ، لان هناك تخلفا مركبا لامة متخلفة وهي تجهل انها متخلفة، فذلك تخلف مركب . اما أن تكون امة متخلفة ثم تدرك واقعها ، فيكون ذلك من مسببات ايجاد العلاج اللازم ، ومن مسببات يقظة الفكر وشحذه في سبيل الوصول بهذه الامة الى علاج مواطن الضـعف ومواطن التخلف ومواطن التقهقر فيها .

والحمد لله اننا نعيش هذه الفترة من الصحو ، وهذا يبشر بخير كثير ، والحقيقة اننا بحثنـا في واقعنا عن اسـباب هذا التخلف ، فانتهى بنا البحث الى أن الامر ينقســم الى قسمين :

القسم الاول : تخلف بسبب امور فينا ، وهذا هو الاخطر

والقسم الثاني : تخلف بســـبب امور تقع علينا .

اما عن القسم الاول ، وهو الامور التي تقع فينا :

أي ان التخلف كان بسـبب امور من واقع الامة الاسلامية نفسها ، ومن ابرز المشكلات التي وقعت فينا هي :

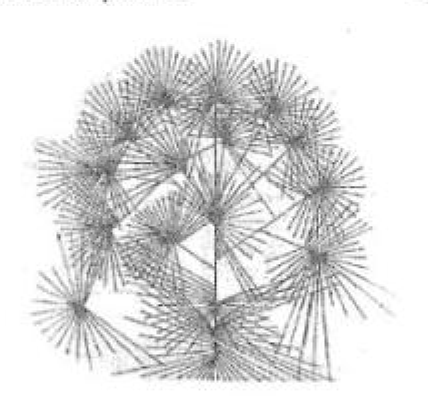
فقدان الحيوية في الامة والركود الفكـري والعلمي الذي أصـــابنا والاقبـــال على الدنيا اقبالا بدون « ضوابط » ونظرتنا الى الاسلام على أساس انه عبادة فقط ، فهدمنا بذلك الاسس الاساسية التي ارتكز عليها الاســلام وجاء بها كنظـــام كامل للحياة .

وانقسمت الامة الى : فريق مفرط كل التفريط

وفريق متزمت كل التزمت

وضاعت تلك الميزة للامة الوسط التي ارادها الله ســبحانه وتعالى تجمع بين الدنيا بماديتهـا ، والتي تعيش في الحيـــاة كأنها تعيش ابدا لتعمر وتبني ، وقيمهـــا التي تعدها اعدادا قويما لسعادة آخرة لا حدود لنهايتها .

وبدل أن يســتمر البحث العلمي واليقظة الاسلامية في الاتجاه العلمي الصحيح ، انتقلنا الى الحديث عن الاشخاص وعن الافراد والاختلافات التي وقعت فيهم ووقعت بينهم ، مع أن الاسلام أمرنا بالسكوت عما شجر .





بينهم . ثم انتقلنا الى الحديث فى الامور المختلف عليها وفى المتشابهات وبددنا الطاقات ، فانقطعنا بذلك عن روح البحث العلمى الصحيح . وبالتالى تفرقنا الى شيع ومذاهب مختلفة ، واصبحت كل فرقة تنظر الى الفرقة الاخرى نظرة مستقلة كل الاستقلال ، وانتشرت فينا مذاهب لم تكن من الاسلام فى شىء ، فاستوجب الامر علاج هذه الامراض التى انتشرت فى المجتمع وصدعته ، وضاع مفهوم الاسلام والقدوة الحسنة فى نفوس الشباب المسلم الذى سعينا الى بنائه بناء اسلاميا صحيحا ، فضاع بين التزمت والجمود ، وبين الانحراف والانحلال . وفقد القدوة الحسنة او الامة الوسط التى ارادها الله سبحانه وتعالى .

●●●

واما عن القسم الثانى : الامور التى تقع من الغير ...

من خصوم الاسلام كالغزو الفكرى وهم معذورون لان حياتهم بواقع التاريخ لا تقوم الا على انقاض الاسلام ... وفى واقع التاريخ ما يؤيد فكرتهم وتخوفهم من عودة الاسلام الى سابق قوته حين اكتسح حضاراتهم ، واقام ثقافته الطموح على انقاض ثقافتهم ، وايقظ شعوبهم واذاقهم لونا حلوا من العدالة الحقة والمساواة التامة ، ولذلك كانت الصليبية للوقوف امام هذا التيار السماوى الجارف . ومن يومها فكروا أو خططوا لاضعاف هذه القوة وتفتيت هذا التكتل بما انتهوا اليه اليوم .

ولكننا غير معذورين لاننا لو كانت عندنا المناعة الاسلامية وفق منهج الله لما استطاعوا ان ينالوا منا ، لان الفاعل شىء . والقابل شىء اخر ... ووجدت عندنا القابلية للتخلف ولاستقبال غزوهم ... فاذا عرفنا ان المسائل فى تخلفنا مردها الينا :

(١) انعدام مناعة
(٢) رضانا بهواننا

وعلى مقدار تشخيصنا لدائنا ولاسبابه ، يجب أن يكون العلاج . اذن ، فلنبدأ بذواتنا ، لان سنة الله فى خلقه : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .

اذن ، فان اردنا بعثا جديدا فلنتبع الخطوات الاساسية التى خطاها هذا الدين فى اوله بما يشير اليه الاثر القائل « لا يصلح اخر هذه الامة الا بما صلح بها اولها » .

اذن فاساس الامر ان نبدأ بذواتنا ، وان يحكم منهج الله سلوك الفرد فيما ولايته فيه على نفسه وعلى أولى الامر ان ينفذوا منهج الله فيما جعلت لهم الولاية فيه .

واول شىء فى تقويم ذواتنا ان تصحح مفهوم الاسلام للعقول المعاصرة فان فترات الضعف التى مرت بالمسلمين جعلتهم يتصورون مفهوم الاسلام على أنه سلوك تعبدى فقط يشبه الرهبنة أو الكهانة ... وحين يصحح مفهوم الاسلام على انه نظام كامل للحياة نستطيع أن (نوجد) للطموحين فى ماديات الحياة كنوز دينهم فى هذه الناحية، ونعطيهم القيم التى يجب أن تحوط

ذلك الطموح المادى ...

وحينئذ تصح المعادلة . ونعرف جيدا موقع الاسلام بما سبقه من خلل فى المعادلات الانسانية الدينية . فقد جاء الاسلام وفى العالم يهودية انحرفت عن منهج الله الى عالم المادة الصرفة ، حتى غالوا فى المادية غلوا جعلهم يطلبون أن يروا الله جهرة ... ومسيحية قابلت ذلك بروحانية صرفة لترد هذا الجموح المادى . حتى يمتزج العنصران .

ولكن النزاع بين الدينين جعل كل دين يستقل بمنطقه . وانفصلت اليهودية عن المسيحية ، والمسيحية عن اليهودية . فاختلت المعادلة . وجاء الاسلام ليصحح للانسانية المعادلة



الضرورية : « مادية بقيم ، وروحانية بحركة » . وهذا الذى يعنيه الحق :

« وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ..

ولذلك نرى القرآن يعرض المؤمنين بالاسلام عرضا يجمع الاتجاهين . ولله علم سبحانه أن اليهود سيحرصون على ماديتهم ، وأن المسيحيين سينعزلون بروحانياتهم ، فبين الله فى كتابه العزيز ما ضربه مثلا لليهود فى التوراة مبينا فى هذا المثل الكمال الاسلامى الذى يقابل النقص اليهودى ، فقال سبحانه :

« محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم . تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم فى وجوههم من اثر السجود . ذلك مثلهم فى التوراة »*.

فكأنه سبحانه ضرب المثل لامة محمد فى التوراة مما يجعلهم متمسكين بالمنهج الروحى الذى فقدته اليهودية . وهو المعنى التعبدى فى كونهم ركعا سجدا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود .

وحين قال سبحانه « ومثلهم فى الانجيل » جعل المثل للمسلمين انهم منطلقون فى مادية الحياة بقيمها الروحية السابقة ، لان ذلك العنصر هو الذى تفقده المسيحية الآخذة من الانجيل ، فقال سبحانه :

« ومثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

●●●

اذن ، فالوسطية فى الاسلام هى التى تجمع طرفى المعادلة بدون افراط ولا تفريط ، وبذلك يكون الاسلام هو التشريع الالهى الذى غطى كل متطلبات الملكات النفسية ، ولم يشرع لملكة واحدة على حساب ملكات اخرى ، وبذلك يكون الانسان سوى التركيب منسق الطاقات .

ويجب الا يغيب عن بال الباحث أن منهج اليهودية الذى انحاز بدينه الى عنصر واحد من عناصر الحياة ، ليس هو المنهج الالهى لهذه اليهودية، لانه لو ظل المنهج الالهى منهجها لما احتاجت الى أن تعدلها السماء بمنهج مسيحى ، وكذلك المسيحية لم



تبق كما انزلهـا الله ، بل طرأ على الديانتين تحريف وتبديل وكتمان ، فكان ولا بد أن تصحح السماء أخطاء انحراف أهل الارض ، فجاء الاسلام ليجمع منهجه قانون النفس الانسانية كما قلنا سابقا :

« مادية بقيم ، وروحانية بحركة »

ولذلك كان الاسلام منهجا متكاملا، ختمت به رسالات الله الى الارض :

« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاســلام دينا » .

وتحقيقا لبقاء الاســلام كما هو دون نسيان أو كتمان او تحريف او زيادة مما منيت به الديانتــــان العظيمتان . اللتان سبقتا الاســلام ، فقد تكفل الحق سبحانه وتعالى بحفظ كتابه :

« انا نحن نزلنا الذكــر ، وانا له لحافظون »

ولم يجعله سبحانه وتعالى منوط الحفظ بالمكلفين ، كما كان بالنسبة للكتب السابقة التى يقول . الحق فيها :

« انا انزلنا التوراة فيهــا هدى ونور . يحــكم بها النبيون الذين اسـلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله » .

وفرق بين اسـتحفاظ يطلب الله الحفظ فيه من البشر ، وبين حفــظ يتكفل به هو جل شانه .

وبهذا تهيأ للاسلام ما لم يتهيأ لغيره من الديانات الاخــرى : حفظ منهج ، واكتمال تشريع ، وشـــمول مبادىء ... فليس أمام المسلم اذن الا أن يصـــب سلوكه فى قالب هذا التشريع الخالد الباقى التام .

***

واذا أردنا أن نســتقرىء واقع الحيــــاة فى تاريخ مباشرة الاديان لمهمتها فى الارض وجدنا واقعــــا يستلفت النظر . فالاسلام حين باشر مهمته فى تنظيم حركة الحياة البشرية أخرج للعالم حضارة زاهية زاهـــرة اســتوعبت كل مجالات الحيــاة بلا غرور ولا تحـــكم ولا طغيان ولا جبروت ، لان القيم كانت تحرس هذه الحضارة ، والروحانية تشف فيهــا انسانية وإخاء ومســاواة فى الوقت الذى كانت فيه اوربا المسيحية تغط فى سبات عميق من الجهل وتظل فى ظلماتها ، فتخلفت اوربا تخلفـــا نعتره أنفسهم بالقرون المظلمة ،وذلك حين كانت تحكم الكنيســـــة كل انطلاقات العقول وطموح المواهب . فكم من علمـــاء قتلوا ، وكم من مصلحين طوردوا ...

والنتيجة التى نحب أن ننتهى اليها بهذا العرض ، هو أن الاسلام حينما قاد حياة المسلمين وساس كل أمورهم، أخذوا حظهم من الرقى والحضارة ، فلما عزل الاسلام عن سياسة أمورهم أصابهم ذلك التخلف .

● الإسلام والفكر حول الاسلام ●

ندرك تمــامـا كأمة مسلمة أن الاسلام نظام متكامل للحياة ، وهذا أمر لا خلاف فيه حتى بالنســـبة

للمستشرقين الذين درسوا الاسلام واعترفوا بهذه الحقيقة الثابتة . فما دام الاسلام نظاما متكاملا وثابتا، وقوانينه ثابتة ، ولم يطرأ عليه فى نصوصه الاصلية ما يحرف أصل العقيدة . فمثلا : كل التشويهات التى دخلت على الاسلام فى الفترات التى تميزت بالتقهقر والتخلف فى الامة الاسلامية ، ثبت أن القرآن لم يدخل عليه بالاجماع أى تغيير أو تبديل ، وقد أظهرت التحقيقات العلمية من جانب المستشرقين أنفسهم أن القرآن بقى محفوظا بالصيغة التى نزل بها على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا مجال اذن للطعن فى نصوص القرآن الكريم .

ولما يئس أعداء الاسلام وخصومه من النيل من النص القرآنى باثبات تحريف فيه ، عمدوا الى المسلمين انفسهم ، فاحتالوا لابعادهم عن ذلك النص المدقق المحفوظ ، فقامت دعوات، ومن الاسف انها على السنة قوم من المسلمين انفسهم تدعو الى رسم الكتابة العربية بأحرف لاتينية ، ولكن يقظة المسلمين الغيورين وقفت أمام هذه الدعوة بصمود وايمان حتى كشفت نوايا هؤلاء السيئة فى ابعادنا عن لغة القرآن ، فاحتالوا مرة أخرى بدعوة الى التدوين والتأليف بالعامية، وبذلك نبعد عن النص الفصيح . فيستغلق فهم النصوص القرآنية ، وذلك هو المراد الاساسى فى عزل المسلمين عن لغة قرآنهم .

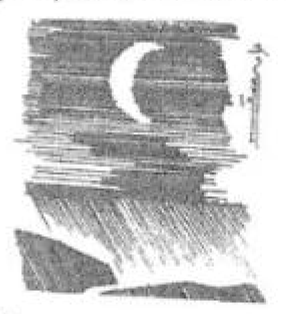
ولكن الله الذى تكفل بحفظ الكتاب شاء أيضا ابطال هذه الدعوات المسمومة لنظل على صلة بلغة قرآننا. صلة تيسر فهمنا له وفهمنا عنه واستنباطنا منه ، وبذلك تبقى لنا مقومات اسلامنا فلا تتطلب الا أن نطبق منهجه ، ونحكم حياتنا بنصوصه وأصوله ، وذلك هو لب ما ندعو اليه فى كل لقاء اسلامى .

وكذلك الامر بالنسبة للاحاديث النبوية ، فقد تم تحقيقها تحقيقا علميا ، واستبعد كل ما هو مشكوك فيه ، وميزت الى طبقاتها المختلفة : الصحيح أو الحسن أو الضعيف أو الغريب أو المكذوب .

وهذا التمحيص والتدقيق العلمى جعل المسلمين يتفقون فى المذاهب الاربعة الى اخراج أحاديث ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فما دام القرآن ثابتا ونصوصه صحيحة ، والحديث المتوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا ثابتا ومحققا ،

وفى الاسلام رجال مايزالون على مستوى كبير من البحث والتدقيق فى أصول الشريعة ، وممن يعتمد عليهم عند التشريع ، وكذلك يعتبرون قدوة حسنة ، انالاسلام ثابت وقوانينه ثابتة ، وبقى للفكر من حول الاسلام أن يتطور ، لان الفكر بطبيعة الحال تؤثر فيه الظروف المتباينة من عصر لعصر والثقافات المختلفة والاختلاط بالامم ، وغير ذلك .

واذا كان الاسلام ثابتا وصالحا لكل زمان ومكان ، فانما يكون كذلك بحركة الفكر الاسلامى حوله، وتجددها وحيويتها . وبهذا تتضح لنا حقيقة هامة نفرق فيها بين الاسلام كنظام ،





وبين الفكر حول الاسلام ، ولا بد أن ننتبه الى أنه يجب ألا نطلب من الاسلام أن يخضع لواقع الحياة ، بل ننظر الى الواقع على ضوء الاسلام ، فما كان منسجما مع قانون الاسلام وتشريعه يكون للفكر دوره فى التطبيق والتجديد والبحث فيه ، وما كان متعارضا مع الاسلام أصلا ، فلا مجال للفكر الاسلامى للبحث فيه أو تقنينه أو تطويره لاننا يجب الا نهبط بمنهج السماء الى رغبات أهل الارض فتصبح الارض هى المشرعة، ثم ننطلق من ذلك

الى القول بانه قد عمت البلوى واضطررنا الى ذلك . وما بدأت فترة الانحطاط فى العالم الاسلامى بامور كبيرة ابتداء، وانما بدأت بامور بسيطة وتشويه لا يكاد يذكر ، ثم تدرج الامر وتدرج الانحــراف حتى وصلت الامة الى التفريط الذى ادى بها الى الهاوية .

وما دمنا قد انتهينا الى أن الاسلام هو الدين الذى تتجلى فيه حقيقة التوازن بين ملكات النفس المختلفة لانه منهج الله الذى خلق هذه النفس ، فان أول ما يجب على المصلح العناية به هو أن يجلى مفهوم الاسلام هذا للعقول الناشئة تجلية تدفع عنه الجمود المتهم به .. وترد عنه الانطلاق الذى ينحرف عنه ... ويجب أن يلاحظ المصلح الظروف العصرية التى لا يمكن اغفالها ، وذلك لان المؤثرات فى النفس المعاصرة قد تعددت وسائلها، وتنوعت أساليبها ، فلم يعد البيت **وحده قادرا على صياغة روح اسلامى فى نفوس ناشئته ، ولم تعد المدرسة وحدها هى صائغة المفاهيم والانطباعات .. لان وسائل الاعلام الاخرى بلطف مداخلها وزخارف عرضها ، وفتنة مشوقاتها ــ تهدم كل ما يبنيه البيت وما تصنعه المدرسة .**

اذن ، فلابد من مساندة كل وسائل الاعلام .. حتى تتوحد الانطباعات ولا تتذبذب المفاهيم ، وبذلك تضمن تضامن وسائل العلاج ، ويجب أيضا الا يغيب عن بالنا أهمية القضاء على ازدواجية المفاهيم التعليمية ، فلا نسمح مثلا بتشويه التاريخ الاسلامى ، حيث توضع أزهى عصوره ضمن العصور المظلمة فى أوربا ... وكذلك لا يصلح أن يدرس التلميذ المسلم النظريات التى لم تصل الى حقائق علمية كنظرية النشوء مثلا ، الا ومعها من الردود الاسلامية ما يضمن له ثبات العقيدة حتى لا يتشكك فى أصول دينه ولا مسلمات عقائده .

● مناهج الدراسات الاسلامية ●

لعله من الافضل هنا أن ننوه عن حقيقة هامة تتعلق بمفهوم التربية الاسلامية ، هذه الحقيقة هى أن معظم المناهج الوضعية ان لم اقل كلها تتفق على تعريف التربية بانها (اعداد المواطن الصالح) ثم تختلف هذه المناهج بعد ذلك بحسب ثقافة واضعيها وأهدافهم فى تحديد صفة هذا المواطن الصالح ، وفكرة المواطنة هنا فكرة ضيقة لانها تحصر صاحبها فى حدود ضيقة من الارض ،

لكل شخص وطنه ، ولكل وطن حدوده

اما التربية الاسلامية ، فانهـــا تسعى لتحقيق هدف أكبر وغاية اهم وهى اعداد الانسان الصالح) ... الانسان من حيث هو انسان فى كل زمان ومكان ، لا من حيث هو مواطن فى هذه البقعة من الارض او تلك ، وهى بذلك تتناول الانسان من جميع جوانبه الفكرية والجسمية والعاطفية ، ولا تبنى جانبا على حساب الاخر ، بل تعنى بجميـع جوانبه لتجعل منه الانسان الصالح فى كل زمان ومكان.

والسؤال الذى يطرح نفسه الان .. ما هو الدور الذى حققته منـــاهج التربية الاسلامية فى سبيل تحقيق هذه الغاية ؟ ..

ان الناظر الى احـــوال العــالم الاسلامى عامة ، والى الدراســـات الدينية لابناء المسلمين فى المدارس ، يلمس أن هناك فرقا كبيرا بين جوهرها الذى يبعث على الاشراق والامل ، وبين واقعها الممل الجاف فى المدارس، والذى يشعر ابناؤنا من خلاله انهم يدرســون مواد بعيدة كل البعد عن واقع حياتهم المتحرك .

والحقيقة أن نظم مواد الدراســة ومناهج التدريس ، وطـريقة اعداد المدرس الذى يدرس المواد الدينيــة تحتاج كلها الى اصلاح . ان عيبـا رئيسيا من عيوب دراســاتنا الدينية انها لا تزال تدرس بنفس الطـريقة التى كانت تدرس بهـــا منذ قرون طويلة ، وهذا لا يعنى اننـــا نعيب طريقة الســـلف .. ولكن متطلبات الحياة ومفاهيم وطرق التدريس تختلف من جيل الى جيل . فمفاهيم طالب الامس تختلف عن مفاهيم طالب اليوم .. والشرك الذى كان بالامس : شرك الجهمية والمعطلة وما اليها ، اصبح اليـوم انظمة اجتمــاعية وسـياسية واقتصادية تحكم بغير ما انزل الله ، وصار نظريات علمية مزيفة ، تتحدث عن أصل الانسان والكون والحياة ، فتنسبها الى غيـر ارادة الله لانهـا لا تدخل الله فى حسابها (سبحانه وتعالى) .

اننا مع الاسف نسيء تنظيم المواد الدينية ومناهجها فى بعض مدارسـنا حين نحشو اذهان الطلاب بالكثير من المواد بقصد افادتهم متجاهلين فى ذلك تركيبهم السيكولوجى وقدراتهم العقلية .. كما ان كثيــــرا من المواد التى يدرسونها مع الاسف تكون بعيدة عن حاجاتهم المباشرة وواقع حياتهم، وهذا ما يسبب لهم الحيرة وكراهية المادة ويحملهم على الاستظهار غير المصحوب بالفهم .

ولا شك أن تعميق حب المادة فى نفس الطالب اهم بكثير من تكديسها ، لانه متى أحبها فهمها وتابعها ــ ولن يحبها الا اذا وجد فيها ملامسة لحياته وتجاوبا مع واقعه. وعليه يجب علينا أن نعرفه بموقف الاسلام من قضايا الحياة الكبرى ، وان نكشف امامه انحرافات الفكر الجاهلى المعاصر ، وبذلك يمكن أن تحيا دراســة الدين وتتحرك .

وان تحقيق هذا المنهج لا يتحقق الا بوجود المدرس المسلم الناجح الذى يجعل من نفسه قدوة حسنة لابنائه ، ومن معلوماته مادة حيـــة متصلة بمشاعر التلاميذ ووجداناتهموافكارهم.

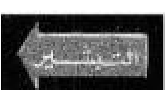
كما لا يتحقق ايضا الا بوجود البيت الاسلامى الصحيح الذى يحقق تعاليم الاســـلام فى ذاتية افـــراده ، وفى اخلاقهم وتعاملهم مع الاخرين .

وبعد ، فان خلاصـــة القول ان الواجب يحتم علينا العمل على اعادة هذه الامة الاسلامية الكــريمة الى مسارها الصحيح ، وان ننتبه الى الهوة العميقة بين حقيقة الاســلام كتشريع ، وبين واقعالمسلمين اليوم .

إن تاريخ أوروبا في علاقاتها بالعالم العربي والإسلامي هو أن تعمل بكل ما في استطاعتها على استعادة الأرض الإسلامية والهيمنة عليها، مستعملة في ذلك كل الوسائل العسكرية والتبشيرية والتغلغل الاقتصادي والثقافي. وقد كتب الأستاذ «موكاريو» في مجلة المغرب الكاثوليكي سلسلة مقالات عن تاريخ الرهبانية الشمالية المسيحية عنيها بالتعجب مما سماه بالتعصب الإسلامي الذي أصبح تسخير البربر والعرب المستوطنين في الشمال الأفريقي والجهود التي بذلوها هم أنفسهم لاحتلال اسبانيا وجنوب فرنسا مؤكدا بأنه طيلة المدة السابقة للاستعمار لم يكن يوجد بالمغرب العربي من المسيحيين إلا بعض الأسارى أو بعض الجنود الذين كان ملوك الموحدين يستكتبونهم القتال معهم في اسبانيا.



علال الفاسي
من علماء القرويين - الرباط



أخطر أسلحة الاستعمار

بعد أن رشدت هزيمة المسلمين في يوم نافاس دوطولوسا التي كانت ضربة قاضية على ائتلاف المسلمين باسبانيا سنة ١٢١٢م، بدأ المسيحيون يطمعون لاحتلال المغرب والهجوم عليه. فقد استغل فرديناند الثالث ملك قشتالة وليون طلب المرتضى أبو حفص المأمون منه مساعدة ١٢٢٩ ـ ١٢٣٢ مساعدته على احتلال المغرب فأمده بجيش قوامه ١٢٠٠٠ مقاتل، وذلك مقابل شروط التزم بها المأمون وهي:

١ ـ أن يعطي المأمون لفرديناند عشر قلاع يختارها ملك قشتالة.

٢ ـ إذا فتح المأمون مدينة مراكش وجب عليه أن يبني كنيسة للمسيحيين.

٣ ـ يمكن للجنود الإسبانيين أن يجاهروا بشعائر دينهم ويستعملوا النواقيس لدعوة المسلمين معهم.

٤ ـ إذا أراد بعض المسيحيين أن يسلم لم يسمح له بذلك، ويسلم للنصارى ليحكموا عليه بأحكامهم.

٥ ـ وإذا أراد بعض المسلمين أن يتنصر، لا يتعرض له أحد في ذلك.

هذه الحادثة التاريخية تبين كيف أن تهالك بعض الرؤساء على السلطة جعلهم يقبلون مثل هذه الشروط، ومع أن هؤلاء الجنود المرتزقة قد بذلوا جهدا كبيرا لحساب المأمون، فإن قيام الدولة المرينية واقتصاءها على بقايا الموحدين في موقعة أم الرجيع سنة ١٢٦٩ قضى على هذه المحاولة ولم يعد يوجد في المغرب جنود مسيحيون.

وليست هذه المحاولة إلا مثالا لبعض الوسائل الاستعمارية القديمة التي كانت تبذل في الغزوة الأولى للوصول إلى التغلغل في بلدان المسلمين بدعوى المساعدة، والغرض هو القضاء على الإسلام ومسائل السيادة في البلدان الأخرى لينكروا من قلتها وأورونا على القضاء عليها.

وإذا كانت الحروب الصليبية ووسائل التغلغل عن طريق المساعدات العسكرية لدولة المسلمين لم تجد شيئا في تغيير التمسك الأهلي بالإسلام، فليس في المغرب العربي فقط، بل في سائر العالم الإسلامي، فقد اتجه المسيحيون إلى تنظيم الإرساليات التبشيرية التي تطورت في أشكال مختلفة، ويقال أن «ريمون لول» الإسباني أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها، فتعلم اللغة العربية وأخذ يتجول في بلاد الإسلام ويناقش العلماء ويرسل النشرة الإسلامية.. وقد ألف «ابن بولس» كتابا عن تاريخ التبشير لخصته مجلة العالم الإسلامي وعربه محب الدين الخطيب في أول كتابه (الغارة على العالم الإسلامي).

ونحن لا نريد أن نتعرض لما قاسه



به الارساليات المسيحية فى العالم الاسلامي منذ تاريخ ما بعد الحروب الصليبية ، فان المرحلة الحالية ابتدات فى المغرب بشارل دوفوكو سنة ١٩٠٥ ، وفى المشرق بـ « زويمر » الذى كان اول من ابتكر عقد مؤتمر هام يجمع ارساليات التبشير البروتستانتية منذ سنة ١٩٠٦ ·

● « دوفوكو » او اليهودى المتجول ●

منذ سنة ١٩٠٥ استقر الاب دوفوكو فى الهكار « بتمانرست على بعد ٧٠٠ كيلو من عين صالح ، وسط الطوارق الذين هم من رجال الصحراء المقاومين لكل تسرب اجنبى داخل اراضيهم ، ولكنه استطاع بوسائل الاغراء لرؤسائهم والمجاملة لهم ان يجعلهم يقبلون جواره ويشاورونه فى بعض شئونه حتى أصبح يعرف، فيما يزعم المؤرخون ، (بالمرابط) ·· وقد قال عنه حكام تلك الناحية وضباط الامور الاهلية بها (انه يساوى اكثر من طابور احتلال كامل)

ولكن اندلاع الحرب وتقهقر الايطاليين الى الداخل فى طرابلس الغرب ، اعطى للسنوسيين فرصة مضاعفة نضالهم الوطنى ضد المحتلين ، الذين من بينهم الفرنسيون المستقرون فى الطوارق المجاورة لطرابلس ، حينئذ خرج « دوفوكو » من جلده الروحانى الذى كان يظهر به ليصبح الجاسوس الذى يسجل الاخبار ويبلغها لرجال الاستعلامات العسكرية ·· وازاء ذلك هجم المجاهدون عليه واعتقلوه ، وبعدما انتهت معركة كانت قائمة بين المغاربة وبين الضباط الفرنسيين ، اطلق مواطن طوارقى رصاصة فى رأس دوفوكو حيث قضى نحبه ·

وقد بذل « دوفوكو » جهده لاقناع حكومته بان تنصير المسلمين هو الوسيلة الوحيدة لتعبيدهم لفرنسا بصفة دائمة ، يدل على ذلك ما كتبه فى مذكرته بتاريخ ١٦ يوليو ١٩١٦ ، الذى ننقل ترجمته العربية من مقال للاخ الدكتور عز الدين العراقى كتبه لمجلة « البينة » التى اصدرها ، يقول « دوفوكو » :

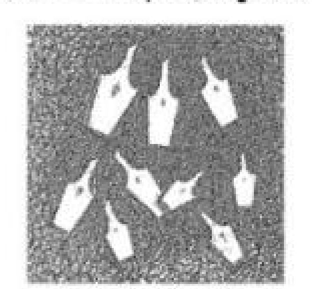
« اعتقد انه اذا لم يتم تنصير السكان المسلمين فى مستعمراتنا بشمال افريقيا ، فان حركة وطنية ستقوم بها على غرار ما حدث بتركيا ، وان نخبة من المثقفين ستتكون بالمدن الكبرى متأثرة بالفكر الفرنسى دون ان يكون لها احساس الفرنسيين ولا طيبوبتهم ، وان هذه النخبة ستحتفظ بمظاهر الاسلام ، رغم ضياع روحه ، لتؤثر بها على الجماهير ، ومن جهة اخرى فان جمهور الشعب من البدو والرحل سيبقى جاهلا عديم الصلة بنا متمسكا باسلامه حاقدا على الفرنسيين ، محتقرا لهم بدافع من وازعه الدينى واشياخه ومعاملة الفرنسيين من رجال السلطة ومعمرين وتجار ممن لا يلمس فيهم دافعا على محبتنا ، ولهذا فان الروح الوطنية ستتغلب فى نفس النخبة المثقفة التى عندما تتاح لها الفرصة (بسبب صعوبات داخلية او خارجية تحدث لفرنسا) ـ فانها ستسخر الاسلام لتحريض الشعب الجاهل على الثورة»

وتحاول خلق امبراطورية افريقية مستقلة اسلامية .

« ان ثلاثين مليونا من البشر يسكنون في مستعمراتنا بشمال غرب افريقيا بما فيها الجزائر والمغرب وتونس وافريقيا الغربية ، وان هذا العدد سيتضاعف بعد خمسين سنة وتصبح هذه البلدان غنية مزدهرة ، وقد تعود سكانها على استعمال اسلحتنا وتكونت منهم نخبة بمدارسنا، واننا اذا لم نجعل منهم رعايا فرنسيين فانهم سيطردوننا ، وان الوسيلة الوحيدة ليصبحوا فرنسيين هي أن يصيروا نصارى » .

ومن هذه السطور نستنتج صدق ما استنتجه الباحثون قبلنا من أن الاب « دوفوكو » هو صاحب الدعوة الى فرنسة المغاربة عن طريق تنصيرهم وابعاد اللغة العربية عنهم ، تلك السياسة التي ظهرت في اشكال مختلفة في كل من تونس والجزائر والمغرب ، فسياسة التجنيس وأخضاع المتجنسين من التونسيين للتبعية الفرنسية

والقضاء الفرنسي حتى فيما يرجع للاحوال الشخصية ، مظهر من مظاهر هذه السياسة التي خطط لها «دوفوكو» .. اذ هو يعلم أن المسلم المتجنس يعتبر مرتدا عن الاسلام ويسهل عليه أن يتتبع متى حكم عليه بالردة



للديانة التي تنتمي اليها الجنسية التي أصبح منها ..

وفي الجزائر بذل كل مستطاعه للحيلولة دون فتح المحاكم الشرعية في الطوارق وتمكلت وتوات . وقد نقل الأخ العراقي بعض ما كتبه « دوفوكو » في هذا الموضوع كقوله :

« ان سكان امبراطوريتنا الافريقية على انواع مختلفة ، فمنهم البربر وهم اقرب الناس الينا ، ومنهم العرب وهم اقل استعدادا للتقدم » ..

وقال معلقا على تأسيس مدرسة : « لا شك ان هذه المدرسة لن يدخلها الا عدد قليل من الاطفال العرب . لكن الاطفال البرابرة الذين ينحدرون من سلالة طيبة هي على كامل الاستعداد للتاثر بالفكرة اللاتينية التي عرفتها من قبل ، سيدخلونها كلهم » ...

● تخطيط السياسة البربرية ●

وتقوم السياسة البربرية كما خططها « دوفوكو » ومردو مدرسته من المستعمرين على الاساس الذي ذكرناه، وهو الفرنسة عن طريق التنصير ، ولهذا الغرض فلابد من تحقيق ثلاث شعب تعمل متواصلة فيما بينها لغرض واحد .

الاولى : مقاومة المحاكم الشرعية واحياء ما يدعونه من اعراف قبلية كيفما كان امرها ، لان ذلك في نظر هؤلاء المبشرين المستعمرين هو الوسيلة للوصول الى جعل الناس يقبلون قانونا مدنيا متطورا نحو القانون الفرنسي لان الاعراف الجاهلية لايمكن ان تعيش ، ولابد ان تحاول البحث عما هو احسن ، فاذا لم تجد بجانبها الشريعة الاسلامية فستاخذ القانون الفرنسي بدلا لها ولو على جهة التطور التدريجي ، وبذلك يصبح القانون المغربي يستمد تاريخيا من الاعراف غير المدونة وعمليا من قانون

فرنسا والعالم اللاتيني .

الثانية : القضاء على اللغة العربية بخلق المدرسة البربرية التي يقـــع التعليم فيها بالفرنسية وحدها ، ومنع تلامذتها من الكلام بالعربية ، وجعـل اللهجات البربرية تكتب بالحـــروف اللاتينية .

الثالثة : الحيلولة دون اتصـــال سكان الجبال والمواقع البعيـــدة عن المدن بالفقهاء وحفاظ القرآن والقضاء على الكتاتيب القرآنية ، والاكثار من مراكز التبشير ومن الكنائس حتى يحل الراهب محل المرابط بشرط الا يتاح لشيوخ الطرق الصوفية ولو كانوا من اصدقاء فرنسا ولا يتــاح للاشراف كذلك التجول فى هذه المناطق المحروسة والتى ستصبح حمى لفرنسا والنصرانية

وعلى هذه السياسة مضت فرنسا فى المغرب وفى الجزائر وتونس مع بعض الفوارق التى يقتضيها المكـان تجرد بلادنا من الاتصـــال بالشرع الاسلامى وتغرس بشـــتى وسائلها القانون الفرنسى فى محاكمنا ومعاهد تكويننا قانونا ، ولقد قال لوســيان سان : (ان غرس قانون فى البـلاد المحمية والمستعمرة هو احـدى وسائل سيطرتنا الدائمة) .

وكذلك عملت على اضعاف العربية او ابعادها من مدارسنا حتى اصبحت غريبة فى بلادها ، فهى اما معدومة تماما فى مدارس السياسة البربرية ومدارس البعثات الفرنسية والاتحـاد الاسرائيلى ، واما ذات حصص لا تكاد تذكر فى المدارس التى تدعى فيهـــا الازدواجية فى المدن الكبيرة .

واما التعليم الاسلامى فقد اضعفت وسائله فى المدن والقرى على الســواء ومهدت السبيل لبناء الكنائس ومراكز التبشير وعقد مؤتمرات المفارســيه فى كل المناسبات ، والاســتعانة بالاستعمار الاستيطانى على اجـلاء العـــديد من الفلاحين من قبائلهم والفصـــل فيما بينهم ، مع تكليف المعمـــرين بأداء المهمة التبشـــيرية والمسيحية داخل البلد .

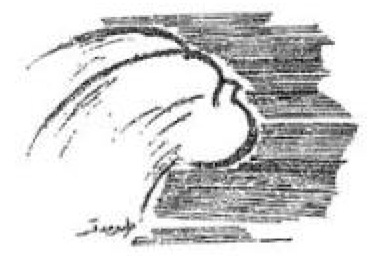
ومن هنا نرى ان غاية التبشـير الصليبى ليست كما يمكن ان يريده الدين الخالص ، ولكنها عمل تخريبى يراد منه هدم المجتمع غير المسيحى وخصوصا الاسلامى ، بمحو لغتـه وثقافته وشريعته ومعتقداته واحـلال المصالح الغربية ، أوربية وامريكية ، الدينية والدنيوية محلها .

وقبل ان نبين كيف استمر هـــذا العمل بعد الاستقلال ، نلخص توجيهات التبشير المسيحى فى المشرق العربى والاسلامى مثلما فعلنا فيما يرجـــع للمغرب العربى .

● العمل التبشيرى فى الشرق ●

ان تاريخ الارســاليات الكاثوليكية والبروتستانتية فى المشرق العـــربى طويل الذيل ، يرجع الى عهد الحروب الصليبية وما قبلها وما بعدها ولكن المرحلة التاريخيـــة التى ابتدأت فى القرن العشرين تحـولت الى تخطيط حكومى وكنسى كما هو بالنســـبة للمغرب ، ولا شك ان شيخ اجتماعيات الاسلام فى فرنسا هو المســـيو « ادشاتولييه » الذى كون لجنـــة البحوث المغـــربية وتجول فى انحاء الدولة العثمانية وكتب عن العـــالم الاسلامى فصولا تنبأ فيها بما يكـون عليه امر هذا الخط الاسلامى الطويل بالنسبة للاســـتعمار وما يعقبه من





تحرر ، وهو الذى أسس مجلة العالم الاسلامى التى تعتبر مجموعتها موردا هائلا لأخبار السياسة العربية والإسلامية الاستعمارية لفرنسا وللعالم الغربى كله .

وقد قال فى احدى مقالاته فى هذه المجلة حسب ترجمة (الغارة على العالم الاسلامى) : « ينبغى لفرنسا أن يكون عملها فى الشرق مبنيا قبل كل شىء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته ، ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل الا نقتصر على المشروعات الخاصة التى يقوم الرهبان المبشرون وغيرهم بها لأن لهذه المشروعات أغراضا اختصاصية ، ثم ليس للقائمين بها حول ولا قوة فى حياتنا الاجتماعية التى من دأبها الاتكال على الحكومة وعدم الاقبال على المشروعات الخاصة التى يقوم بها الافراد فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة للغرض العام الذى نتوخاه ، وهو غرض لا يمكن الوصول اليه الا بالتعليم الذى يكون تحت الجامعات الفرنسية ، نظرا لما اختص به هذا التعليم من الوسائل الفعلية والعلمية المبنية على قوة الارادة .

« وانا أرجو ان يخرج هذا التعليم **الى حيز الفعل ليبث فى بين الاسلام التعاليم المستمدة من المدرسة والجامعة الفرنسية » .**

ثم يقول فى مقال آخر مؤيدا هذه الفكرة : « وحسبنا ان يستلفت ارسالية التبشير الكاثوليكية فى بيروت لتكون موضوع التفكير والتأمل فى فرنسا اذ بالرغم من كون (كلية القديس يوسف اليسوعية) التى تدير اعمالها هذه الارسالية لا تأثير لها على النشوء الفكرى فى المحيط الاسلامى ، فان التعاليم التى تنشرها وتبثها كان لها الحظ الأوفر فى انتشار الافكار الفرنساوية فى سورية والفكر المصرى»

الى أن قال : « الا ان لارساليات التبشير مطامع أخرى كما يتبين من الجملة الاتية التى استخرجها من رسالة أرسلها الى من جزيرة البحرين (قرب عمان) فى اغسطس سنة ١٩١١

حضرة القسيس المحترم صاموئيل زويمر منشىء مجلة العالم الاسلامى الانجليزية ، وهو يبنى فيها صروح آمال شامخة على أعمال المبشرين البروتستان قال :

« ان لنتيجة ارساليات التبشير فى البلاد الاسلامية مزيتين ، مزية تشييد ، ومزية هدم ، أو بالاحرى تحليل وتركيب » والامر الذى لامرية فيه هو ان حظ المبشرين من التغيير الذى أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الخلقية فى البلاد العثمانية والقطر المصرى وجهات أخرى ، هو اكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه ولا ينبغى ان نعتمد على احصائيات التعميد فى معرفة عدد الذين تنصروا من المسلمين لاننا هنا واقفون على مجرى الامور ، ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الاسلامى من قلوبهم ، واعتنقوا النصرانية من طرف خفى »

وعلى الرغم من الانتقاد والمناقشات التى لا طائل تحتها «التى



قالها السيد « شاتولييه » فى حق ادعاءات القس « زويمر » فانا أرى شخصيا انهما متفقان فى الهدف والتخطيط ، اذ كلاهما يعلم أن (تعميد) المسلمين وارتدادهم أمر صعب المنال بالنسبة للاغلبية الساحقة منهم ، وكلاهما يريد أن « ينصر »

الاسلام نفسه باشغال الافكار المسيحية على المعتقدات والتعاليم كما ظهر من كلامهما ، ويزيد السيد « شاتولييه » تنبيه الى ان العمل الارسالى وحده لا يكفى بل لا بد من أن تقوم الحكومة المعنية بالدور الفعال فى المنطقة التى تعمل ارسالياتها فيها لتسهل على القائمين بها مأموريتهم وتمهد لهم التسرب لافكار المسلم عن طريق اللغة والدرسة والقانون والتقاليد كما يتحدث بذلك هو وامثاله فى عدة موضوعات من كلامه .

قال زويمر : وقد ادرك اهمية هذه الفكرة القسيس يانغ صاحب التقرير عن التبشير فى جزيرة العرب فجعلها نصب عينيه فى كل الاعمال ، ولكننا نتساءل عما اذا كان قد حان الوقت للعمل بها وعما تكون نتيجة التبشير اذن .

وقد استمرت المؤتمرات المسيحية تنعقد لهذا الغرض بين الكاثوليكيين من جهة وبين البروتستانت من جهات .. وقد اكتشفت أنه لا بد للنجاح من تحقيق وحدة العمل التبشيرى وتنسيقه مع اعمال الحكومات ، وقد بحث ذلك مؤتمر ادنبرج وقرر ضرورة تعاون الارساليات المختلفة ليتسنى لها تأسيس كنيسة واحدة وسط كل أمة غير مسيحية .

● المؤتمر الاستعمارى ●

وفى المؤتمر الاستعمارى الذى انعقد بعد ذلك اتضحت الاهداف الملخصة فى نقطتين : الاولى ترجع للشئون الصناعية والاقتصادية ، والثانية ترجع الى وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية الى الاعمال الاخلاقية والدينية ، وقد أكد باكر « ان الحكومة لا بد لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين فى المدارس العلمانية ، ما دام هؤلاء المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية » .

واضاف : « ونحن نعترف بهذه الحقيقة بالرغم من اعتقادنا بان المدارس العلمانية تزيد الاسلام نموا وارتقاء ، واذا نحن طالبنا الحكومة بتقدير مصالحنا ومقاصدنا فيجب علينا بداهة ان ندرك اهمية هذه المعضلة من حيث واجبات الحكومة ومصالحها ايضا » .

وانتهى المؤتمر الى اتخاذ القرار الذى جاء فيه :

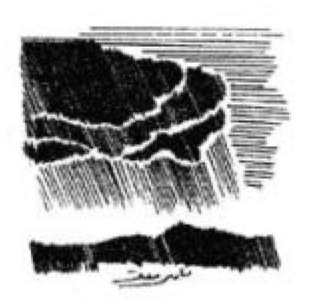
« ان ارتقاء الاسلام يهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم ، لذلك فان المؤتمر الاستعمارى ينصح الحكومة بزيادة الاشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة ، والمؤتمر الاستعمارى مع اعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد تماما فى الشئون الدينية يشير على الذين فى أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام ، وان يزيلوا العراقيل من طريق انتشار النصرانية ، وان ينتفعوا من أعمال ارساليات التبشير التى تبث مبادىء المدنية خاصة خدماتهم التهذيبية والطبية ، ومن رأى المؤتمر ان الخطر الاسلامى يدعو

الى ضرورة انتباه المسيحية الالمانية لاتخاذ التدابير من غير تسويف فى كل الارجاء التى لم يصل اليها الاسلام بعد ».

ومن هذا وذاك يتضح ان الكنيسة كانت دائما فى جانب الاستعمار، واذا اردنا مزيدا من الحجة على ذلك فيكفى ان تتذكر ما قام به الكاردينال لافيجرى فى تشجيع وتعضيد الاستعمار فى الجزائر الشقيقة حتى كتب يقول : « انه يقوم باكثر مما يقوم به جيش تام العدة » .

وهكذا نجد التوافق التام بين الساسة الاستعماريين والمبشرين الصليبيين من اى مذهب كانوا ، التوافق فى المبدأ ، والتوافق فى الاساليب :

فى المبدأ : التنصير قبل الحضارة



وقبل الادماج فى الدولة المستعمرة .. وفى الاساليب : تسخير كل الاعمال لفائدة الاستعمار والنصرانية ...

وذلك بالقضاء على اللغة العربية الفصيحة ، واحلال اية لهجة محلها قبل ان تصبح لغة المستعمر اللغة السائدة فى البلاد المستعمرة .

وبالتعليم ذى البرنامج التمسيحي الصريح او برنامج الهدم للعقيدة والاخلاق الاسلامية وبث التقديس للامة الفاتحة وحضارتها وثقافتها !

وبالتشريع المدنى القاضى على الشريعة الاسلامية واحلال المحاكم الاجنبية او المختلطة او حتى المحاكم التى تحمل النسبة للمستعمرة صوريا محل القانون الاسلامى والمحاكم الاسلامية !

وبالتقاليد والعادات الاجنبية حسنة كانت او قبيحة !

وباستعمال وسائل اللهو والمغنين والمغنيات وكل ذوى الاخلاق الساقطة من اجانب ومواطنين لافساد الخلق القومى والقضاء على روح الامة وكيانها !

وباحداث الحروب المختلفة ، باسم الطائفية والسلالية والقومية الضيقة !

وباسم الفكر الحر والاقتداء بكل ثورة هدامة ولو كان الدعاة اليها من غير المؤمنين بها .. وبالتحالف مع الصهيونية بعد خلقها وتشجيعها على فكرة المطالبة بالوطن القومى فى فلسطين والهجرة الدائبة اليه !

وبالعمل باسم الدستور والحرية والديمقراطية على الانقلابات المحلية والغاء الخلافة العثمانية وبث المبادىء الماسونية الخربة فى ارجائها الفسيحة لجعل الجمهور يتقبل ذلك الهدم باسم التحرر والانقاذ !

وباحداث العداوة والبغضاء بين العرب والعثمانيين وبين المسلمين ومواطنيهم فى الهند !

واخيرا تاجيج نيران الحروب الدولية والقاء الاهالى فيها باسم العمل على الوصول الى الحرية الغربية التى تحتوى فى نظر المستعمر على كل ذلك البرنامج اللعين !

● بعد الاستقلال ●

والان وقد اعترف الكثير من البلدان التى خرجت عن الخلافة العثمانية بالاستقلال كما اعترف لبلدان الشمال الافريقى بذلك ، فهل

توقف التبشير والاستعمار عن نشاطه ؟ أو أصبحنا امام استعمار جديد واسلوب جديد فى الاستعمار وفى التبشير ؟

بل أصبحنا ، واأسفاه ، نطبق تلك الاساليب التى كان يعمل لها المستعمر فى جو من البغض الشعبى ورد الفعل الوطنى فى جو من الرضا والانعطاف ؟

لقد ورثنا سياسة التعليم الاستعمارية كشىء مقدس ، فاللغة الفرنسية عندنا وفى لبنان لا تزال لغة اساس فى التعليم فى مختلف المدارس الوطنية والاجنبية باستثناء بعض المؤسسات الامريكية التى تعطى للانجليزية تلك الاولوية ... لا تزال الانجليزية كذلك لغة التعليم فى كثير من المدارس العليا ... هذا فى الشرق العربى ، اما افريقيا وآسيا فاللغة الاجنبية تحل المقام الاول فى الادارة والتعليم والحياة العامة ، وذلك هو الشأن فى المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا ، على الرغم مما تبذله من جهد وما تدعيه الحكومات من عناية بالعربية ولقد أصبح جزء من شبابنا كافرا بلغتنا مقتنعا بان لغات المستعمرين اصلح لنا للتفتح على العالم والتوسع فى معرفة ما استجد من الاشياء .

اما العلوم الاسلامية فقد ضعفت مراكزها او اقفلت فى كل مكان ، والمصيبة ان ذلك يقع باسم التجديد والتنمية الثقافية أو باسم الجمع بين الاصالة وبين العصرية ، والكتاتيب والمدارس القرآنية التى كان يعمل « شارل دوفوكو » واضرابه على القضاء عليها ، كادت تنتهى ؟

وعلى العموم يمكن القول ان الفشل الذى أصاب المبشرين والمستعمرين فى ابان الاحتلال ، قد اصبح اليوم ينقلب الى بعض النجاح الذى لا ينبغى ان يبالغ فى تقييمه، ولكن يجب الحذر منه قبل فوات الاوان

لقد تكلمت عن السياسة التعليمية التى لم تتغير كثيرا فى مدارسنا ومعاهدنا وفى ضياع التعليم الاسلامى ولا سيما فى روافد المعاهد الدينية .

وتكلمت عن بقاء الفرنسية لغة الادارة والتعليم والحياة العامة على الرغم من رغبة شعبنا ومن نصوص الدستور والقانون الاساسى للدولة اللذين تما برضا الملك واللذين لا لا يعارض احد فى أن مبادئهما الاساسية متفقة مع ارادة الشعب كله

وبقى أن اقول ان السياسة البربرية التى رمت الى احلال القانون الفرنسى أو المستمد منه محل الشريعة الاسلامية قد تحقق بارادتنا وباعمالنا ، فالدراسة القانونية سائرة على النهج الفرنسى ،والمحاكم فى معظم فروع القضاء تمضى على القوانين المدنية والجنائية والتجارية والبحرية المستمدة من القانون اللاتينى فى الغالب ، ولم يبق للشريعة الا بعض الفروع كالاحوال الشخصية والعقار غير المحفظ والعقود الاهلية .

فهل بعد هذا يمكننا أن ندعى التحرر من الخطة التى وضعها الاستعمار والتبشير ، وتحالف عليه عملاء الصهيونية والشيوعية الملحدة.

وكدليل على ذلك نذكر مثالا واضحا من بلاد اندونيسيا الشقيقة، تلك البلاد التى يقطنها أزيد من مائة وعشرين مليونا اغلبيتهم الساحقة

من المسلمين ، فلقد تعرض ابناؤها لحملة تنصيرية يعود تاريخها الى ما قبل الحرب العالمية الاولى ، وكانت تقوم فيها هولندا بعزل السكان عزلا تاما عن الاتصال ببعضهم البعض وبالعالم الاسلامى وبالكتب الاسلامية .

ولقد استقلت اندونيسيا بفضل جهاد ابنائها ، واختارت اغلبية الشعب اغلبية نواب من حزب مشومى الذى يقوم على اسس اسلامية وطنية ويرأسه صديقنا محمد ناصر حفظه الله ، ولكن دسائس الهند وهولندا زودت سوكارنو وانصاره باموال ضخمة فى الانتخابات الثانية فاصبحت الاغلبية للحزب الوطنى الذى يرأسه حسنى ، ومع ان هذا الرئيس مسلم وطيب القلب فان سلوك سوكارنو حمل المسلمين المخلصين والاشتراكيين على الثورة والانضمام الى المسلمين الذين اعتصموا بالجبال مطالبين بحكم اسلامى سليم .

وللتغلب على حزب مشومى فقد قام سوكارنو بعقد اتفاق مع حكومة الصين الشعبية على تجنيس ملايين الصينيين المقيمين فى اندونيسيا ، وبما أن الحزب الشيوعى الاندونيسى قد تقوى بذلك فقد أصبح الحزب الثالث فى البلاد ، وهكذا تحالف سوكارنو مع الشيوعيين واسس جمعية اسلامية سماها جمعية العلماء ، واصبح يحكم البلاد بممثلين لهذه الفئات الثلاث بينما منع الحزب الاشتراكى وبقية الاحزاب وضيق على الجمعيات والاندية الاسلامية باسم المحافظة على النظام .

وانتهى الامر بان ثار الطلبة المسلمون على الحكم وعلى سوكارنو وحلفائه الشيوعيين وكان الواجب ان يرد الامر الى الشعب ليختار حكومته ونوابه ، ولكن تاييد الجنرالات لثورة الطلاب واستيلاء السيد سوهارتو الذى رضى عنه الجميع فى اول الامر على رئاسة الدولة وقيادة الشعب ، اعطى للبلاد حكما ليس باليمينى ولا باليسارى ، وخوفا من امريكا وتدخل الغرب اتاح الحكم الحالى اليوم باسم حرية العقيدة للتبشير المسيحى ان يأخذ طريقه . ويقول تقرير وصل لرابطة العالم الإسلامى ان حملة التنصير اليوم ، اشد واقوى فى اندونيسيا مما كانت عليه ايام الحكم الهولندى .

ويفسر هذا التقرير ذلك بما ننقله عنه فيما يلى :

ذلك ان الفاتيكان قد عين كاردينالا و٢١ اسقفا للابقاء على حركة هذه الارساليات التبشيرية ونشاطها ، ولقد شنت الكنيسة الكاثوليكية مؤخرا حملة واسعة فى المناطق التى يكون المسلمون اكثرية سكانها ، وهى حملة مدعومة بقوى هائلة من المدد والعون الماديين والماليين من البلدان الغربية ، ولقد وضعت طوائف بروتستانتية مختلفة متحدة فى مجلس الكنائس الاندونيسى ، مشروعا يمتد من عشر سنوات الى عشرين سنة ، وجمعت كل هذه الخطط والمشاريع فى كتاب عنوانه (واجبنا فى اندونيسيا اليوم) فى هذا الكتاب يمكننا ان نجد البرامج والطرق والاساليب ، على اساس من البحوث والتحاليل العلمية ، التى يمكن ان تستعمل



كتليل ومرشد لشن حملة تنصير شاملة في اندونيسيا المسلمة . وهذه الخطوط انما وضعت بالاستناد الى خبرة الغرب التقنية والعلمية، وتجارب البعثات التبشيرية الاجنبية ، ويمكننا على الفور ان نفهم نتيجة هذا التخطيط العلمي ، فنشاطات تلك الارساليات التبشيرية البروتستانتية ازدادت زيادة ملحوظة يوما بعد يوم ، وشيد العديد من المدارس والمستشفيات والكنائس وهذه المؤسسات سريعا ما تصبح مراكز لهذه الارساليات التبشيرية . وهي اماكن يقصد منها شراء ضمير الشعب واكتساب متنصرين جدد، ومن بين هذه الطوائف تمثل « الجمعية العالمية للمبشرين البروتستانتيين » و « المدانيون » تحديا اعظم ، فهم يعملون بطريقة اكثر عدوانية نحو المسلمين ، فيزورون بيوت المسلمين عندما يكون الزوج غائبا ويحاولون اجتذاب الزوجة بمختلف ضروب الاغراء

ان الخطر الحقيقي من حملة التنصير كائن في أنهم يعتبرون المسلمين أهدافا لارسالياتهم ، انهم ينظرون الى المسلمين نظرتهم الى الوثنيين والهمجيين ، ومن هنا فان الواجب يقضي بالا يسمح لهم بالعيش بالسلام مع معتقدهم الخاص، قال أحد الكهنة الكاثوليك : « بكل اسف يتعين علي ان اقول ان تقريري هو مختلف فقط عما لديكم ، وبصراحة اقول انْ موقفي من تلك الدين يجب ان يوجه ضد الكائنات البشرية بوجه عام .

● خاتمة ●

يتضح لنا مما ذكرنا سابقا أن حملة تنصير في اندونيسيا ليست حدثا منعزلا مستقلا ، بل جزءا من حركة اوسع هدفها النهائي تنصير العالم باكمله . ولتحقيق هذا المشروع العالمي فقد اعطى بعض المفاهيم البريئة ، مثل فكرة التسامح الديني تفسيرا جديدا يتفق مع مخططات المبشرين ، وهذا الضرب من التفسير يستتبع بالضرورة الحاق الظلم بغير المسيحيين ، وبالمسلمين كما هي الحال في أندونيسيا ، وهكذا فاننا اذا أردنا أن نضع اصابعنا على اولئك المسئولين فعلا عن التوتر وعن كل ما يعكر صفو العلاقات الدينية في اندونيسيا ، فان اللوم يجب أن يقع على المسيحيين والعالم المسيحي من ورائهم .

تلك هي الخطوط العريضة للاستعمار الغربي بانواعه وباجهزته الصليبية والصهيونية والشيوعية . فليس لاوربا ولا امريكا اليوم عقيدة مؤمنة صادقة لا في دين ولا في ايديولوجية ولكن الدين الخاص عندهم هو تقسيم العالم واستعباده .

فهل يتنبه المسلمون لما يراد بهم؟ وهل يوحدون كلمتهم ويجتمعون على عمل بناء لدرء الخطر ، ولارغام هؤلاء المغرورين من دعاة الاستعمار الجديد على التعاون الحقيقي بين كل الناس على ما فيه سلام البشرية وخيرها وحريتها ، حتى يتحقق الغد الافضل الذى ما كانت الديانات والعقائد الا للتبشير به ودفع الجميع للعمل له .«»



راشد عبد الله الفرحان
وزير الأوقاف والشئون
الإسلامية «الكويت»

في مواجهة تحديات أعداء الفكر الإسلامي

يتميز الفكر الاسلامي عن غيره من الاديان والنظريات ، لأنه الدين الذى جاء لجميع البشر ليعالج مشكلات الانسان الذى ينبغى ان يعيش على وجه الارض كريما عزيزا (ولقد كرمنا بنى ادم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) - (الاسراء) .

لقد اتسم الفكر الاسلامى بالوضوح والسهولة واليسر ، فالعقيدة الاسلامية لا تعترف الا بإله واحد وتنكر تعدد الآلهة ، والايمان بالكتب السماوية والانبياء والرسل واجب ،

تحديات الفكر الإسلامي

ولكن محمدا (ص) هو خاتم الانبياء والرسل ، والقرآن ناسخ لجميع الكتب ، وكلا من ادرك الاسلام وجب عليه الايمان وحمل دعوة الاسلام للآخرين .

وفي الوقت الذي يضع الاسلام للناس نظاما يسيرون عليه (هو الشريعة) لمعالجة مشكلاتهم وتسيير حياتهم ، يقرر أن الدين والدولة شيئان متلازمان ، على الدولة أن ترعى الدين ، وبالدين تصان الدولة، وأن الناحية الروحية تعتبر عاملا مؤثرا في حياة المسلم وتصرفاته ،

وهي غريزة من احدى غرائز الانسان، فالمسلم لا يحتاج الى واسطة في عبادته وصلته بربه ، فلا رهبانية ولا كرسي اعتراف (أعبد الله كانك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك) .

وفي الوقت الذي يقرر فيه الاسلام العدالة الاجتماعية : حرية الفكر والتعبير ، وان الانسان يجب أن يعيش ويعمل لمصلحة المجموع ، نرى أصحاب النظرية الراسمالية لا يقيمون وزنا لمصلحة الكثرة من الفقراء في سبيل مصلحة فرد من المحتكرين والاغنياء ، كما نرى أن الشركات الاحتكارية هي التي تسير السياسة وتسيطر على الحكام في البلاد الغربية ، أما اصحاب النظرية المادية من الشيوعيين والوجوديين الذين يزعمون أنهم ساووا بين الناس في الرزق ، قد حجروا على الانسان حرية التعبير ومنعوه نعمة التفكير ، وسيطرت قلة من الحزبيين الملحدين على مجموع الشعب المغلوبين

وهم بذلك لا يفرقون بين الانسان ذي الميول والاتجاهات والمشاعر والغرائز، وبين الجماد أو الحيوان البهيم أو الآلة الصماء التي تحرك فتعمل .

***

ان الاسلام عقيدة ونظام ، وهو ذلك الفكر الذي خرج على العالم فاوجد دولة وحضارة ، بل بمكننا القول بانه خلق انسانا جديدا قد تكون من الروح والجسد .

فقد خاطب القرآن القلب والفكر والعقل (افلا تذكرون) في ٢٧٥ موضعا ، ووردت كلمة العلم والحث عليه في ٧٦٠ موضعا

وحث القرآن الناس على النظر : (قل انظروا ماذا في السموات والارض) في مائتي موضع ، وطلب القرآن من الناس السير والنظر : (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدء الخلق) في اثنتي عشرة آية

وحث القرآن الناس على العمل : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) ٣٨٠ مرة

أن هذا التميز في الفكر الاسلامي من غيره هو الذي جعله ينساب في نفوس الناس وتتقبله ملايين البشر والشعوب ويدخل الناس في دين الله افواجا ، ويصل الى اقاصي بلاد العالم .

والى جانب هـــذا فقد حبا الله العالم الاســــلامي والعربي موقعا جغرافيا وسطا ممتازا بين الامم ، والفاض عليه من نعمه ثروات المعادن والبترول والغاز والزراعة والحيوانية ما يجعل مصانع دول الغرب توصد ابوابها لو توقف تصـــدير هـــذه الثروات ٠

اما مركزهم السياسى فانهم يشغلون ثلث اعضـــاء المنطقة الدولية الى جانب اربعين مليونا فى الاتحــــاد السوفييتى و ٧٥ مليـــون مسلم فى الهند ، واغلبية ساحقة فى افريقيا السوداء ٠ ولا يخلو بلد فى العالم اليوم فى الشرق أو الغرب من مسلم يوحد الله ٠

ان هذا التميز فى الفكر الاسلامى وهذا الموقع الممتاز للمســلمين هو الذى جعل اعداء الاســلام يحيكون المؤامرات ضد وحدة الامة العربية الاسلامية ، فبالأمس كانت مؤامرات السبئية واليهودية ثم الشـــعوبيين والزنادقة والقرامطة والباطنيــــة ، حتى تعرض الاسلام الى حركتين من اخطر الحركات فى التاريخ ، حركة من الشرق تزعمها التتار فاحبط الله كيدهم فى عين جالوت ، وحـركة من الغرب تزعمها الصليبيون الذين كسر صلاح الدين شوكتهم فى حطين الى جانب محنة الاندلس ٠

وعندما شـــعر الكفـــر بأن قواته العسكرية لا تكفى وحدها اســـتعان بقوتين خطيرتين هما الاســـتشراق والتبشـــير ، الاول لتشويه الثقافة الاســلامية ، والثانى لهدم العقيدة الاسلامية ٠٠٠

واليكم ما قاله (بلفور) صاحب الوعـد المشـئوم ، والذى كان انذاك رئيس شرف للجنة تبشيرية : « ان المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المســتعمرة وعضدها فى كثير من الامور »

لقد ظل الكفر ينفذ مخططه الرهيب فى تحطيم معنويات المسلمين بالغزو الفكرى وركز هجومه على المصـدر الذى يمد المسـلمين بالقوة ، وهو القرآن الذى رفعه (جلادستون) بيده ونادى فى مجلس العموم البريطانى: (لن يقر لنا قرار بين المســلمين ما دام فيهم هذا الكتاب) ٠

***

فى الشــهر الماضى وقع فى يدى كتاب بعنــوان (القرآن ، عقيدته وتعاليمه) منسوب الى محيى الديئوف سفير الاتحاد السوفييتى فى سوريا مرسل من سفارة الاتحاد السوفييتى فى باكستان ، وهذا الكتاب كله هدم للقرآن وعقيدة الاســلام وتعاليم المسلمين وانكار لنبوة محمد (ص)، وان كل ما جاء عن النبى (ص) هو مجموعة من الخـــرافات ٠٠٠ وقد تحققت من الموضـــوع من حكومة الاتحاد السوفييتى رســميا ، فنفت صدور مثل هذا الكتاب عنها ٠

***

ان هذه الجهات رغم تناقضـــها والاختلاف فيما بينها قد اتفقت كلمتها على محاربة المســلمين فى كل مكان وهدفهم الاول هو السيطرة على العالم الاسلامى ماديا وفكريا والقضاء على عقيدته وحضارته واقامة وحدته ٠

ان الجواب الصحيح على تحديات اعداء الاســلام ـ فى الداخـــل والخارج ـ هو التنظيم ووحدة العمل الاسلامى المشترك ، رسميا وشعبيا



محمود تيمور في ذمة الله


محمود تيمور

قبل ان تجف دموعنا على علم الشعر عزيز اباظة ، فجعنا القدر في علم القصة ، محمود تيمور ، الذي وافته المنية في الشهر الماضي وهو يصطاف ويستشفي بمدينة لوزان بسويسرا!

عرفت محمود تيمور في الثلاثينات من هذا القرن ، اذ كان من جلساء ندوتنا في مقهى « ريجينا » التي كانت تضم ابناء المدرسة الحديثة ـ الحديثة يومئذ ـ كل ليلة ، ومنهم ، من الراحلين ، محمود طاهر لاشين ، وخيري سعيد ، ود. ابراهيم ناجي ، ومن الاحياء د. حسين فوزي ، وابراهيم المصري ، وعلي ادهم وغيرهم

وطالما شهدت هذه الندوة معارك ادبية طاحنة ، ولكن تيمور ، رحمه الله ، لم يكن بطبيعته ممن يشتركون فيها ، فقد جبل على الرقة والنعومة والسماحة ، فاستأثر بحب الجميع ، ولم تتعرض له الاقلام بالنقد طول حياته

وقد ورث محمود تيمور اتجاهه الادبي عن ابيه ، المرحوم احمد باشا تيمور ، وعن اخيه المرحوم محمد تيمور . ومارس في مطلع حياته الادبية كتابة القصة القصيرة ، ثم تدرج الى الرواية ، وكتب المسرحية ، وفي الاونة الاخيرة من حياته كرس جل جهده لخدمة اللغة عن طريق تعريب الفاظ الحضارة في ظل مجمع اللغة العربية

اكرم الله مثواه ، جزاء ما احسن الى الادب ، وما بذل في سبيل لغة الكتاب من حسنات باقيات على الزمن

رحيل الهزار

الاستاذ أنور أحمد ، الصديق الوفى للشاعر الراحل عزيز اباظة ، الذى لازمه ملازمة الظل وهو على سرير المرض فى ايامه الاخيرة الى ان صعدت روحه الى بارئها مستغرق هـذه الايام فى جمع التراث الشعرى للشاعر الراحل ، ما نشر منه وما لم ينشر ، لتقوم بنشره احدى دور النشر اللبنانية فى ثلاثة مجلدات انيقة ... كما نشرت مجموعة مسرحياته الشعرية من قبل

وقد تلقينا من الشاعر العراقى ، الاستاذ صبرى الزبيدى ، هذه الابيات الحزينة فى رثاء الشـاعر الراحل ، بعنوان « رحيل الهزار » :

إلى روح فقيدنا الشاعر الكبير عزيز أباظة


عزيز أباظة

نعزى النيل ... ام نرثى القوافى ؟
وقد رحل الهزار ... وهل يوافى

احقا .. لم يعد ياتى ؟ .. والـوى
عن النيل النمير ... الى الفيافى

واين صداحه العـذب المغنى ...
ترجع سـحره خضر الضفاف

***

نعيت ... فلف دجلتنـا وجـوم
وروع للمصـاب حمى الرصافى

ذكرتك والمحافل زاخـرات ...
وشـعرك وارف الـكلمات ضافى

حرصت على جزالته ... لتوحى
بان « الضـاد » دانيـة القطـاف

رحلة الشهر

لموهوب يمد الشعر وحيا ...
فيغنى الكون بالصور اللطاف

لقيثار ... يشف القلب ، حتى
يلامسه ، ويعلق بالشغاف

ويسكر كل ذى لب معنى ...
بشعر فاق سلسال السلاف

***

اترحل يا عزيز ؟ وفى الحنايا
هوى من « شهريارك » غير خافى

« وتغرب مثل اندلس » لقبر
وتذرو عمرك العبق السوافى

لحى الله الزمان ... فكم تمادى ؟
بخطف عنادل الشعر العفاف

هى الدنيا .. فاين صداح «الشوقى»
واين حكيمها رب القوافى

يبيت الساهرون على خصام
لينتزعوا الشوارد وهو غافى

فنم فى واحة الرحمن ... واخلد
وعند الله خاتمة المطاف

ديوان النشار وقضايا أخرى

ما زلت احتفظ بوعدكم تعقيبا على كلمتى السابق نشرها بعدد « الهلال » الصادر فى ابريل ١٩٧٢ .. والذى نوهتم فيه بانه كان يسعدكم أن تكونوا محامى ديوان النشار بلجنة الشعر بالمجلس الاعلى .. واليوم وقد تحقق املنا لا املكم بانضمامكم للمجلس الاعلى مع سرورنا البالغ ، لقد جد فى موضوع ديوان النشار ما يستحق اهتمامكم خاصة وانه رحمه الله كان يعتبركم الرائد الاول للشعر العربى الحديث .. وخلاصة الامر

أنني كنت منذ حين قريب أعكف على الاطلاع بدوريات دار الكتب واستوقفني مقال للمرحوم الاستاذ عبد اللطيف النشار بجريدة السفير الصادرة في ٩ مايو ١٩٦٧ ـ يقول فيه ـ : « قال الاستاذ عبد اللطيف فايد في رسالة تركها لي بدار «السفير» بالقاهرة أنه سأل الاخ عبد العليم القباني شاعر الاسكندرية عن ديوان أو ديواني (جنة فرعون ، نار موسى) وأن السيد عبد العليم القباني لم يرو ظماه عن السؤال ثم استقل الترام مودعا وذهب »

ويستتلي النشار موجها الحديث للسيد عبد اللطيف فايد المدرس قائلا : « ومنذ أربعين عاما طبعت ديوانين لا ديوانا واحدا ·· احدهما جنة فرعون ، والآخر نار موسى ثم اعدت طبعهما في كتاب واحد ، ثم استغنيت عن المطابع وكتبت ، أو على الاصح استكتبت خطاطا ، مجاميع أخرى جديدة وقديمة ، وجلدتها وأودعتها بدار الكتب ، وكنت في ذلك الوقت تابعا لمنهج كل الشعراء العرب ، الذين سبق وجودهم وجود المطبعة ، ودخلوا المكاتب من باب المخطوطات ، ثم خرجت دواوينهم من أبواب المطابع ··· » ثم يقول : « وفي مأمولي أن يتفضل السيد المحترم ، وكل سيد محترم ، يريد أن يقرأ جنة فرعون ونار موسى أن يزور دار الكتب قسم المخطوطات وينسخ منهما ما يشاء ··· يعني ما يستحقوش ؟

« بعد مائة سنة مثلا ، وارجو ان يكون ذلك في حياتي التي بلغت الان الخامسة والسبعين ، وهي لا تزال يانعة ··· لا تزال برعما من البراعم سيأتي من يكلف نفسه مشقة الانتقال الى دار الكتب ، قسم المخطوطات ، ثم يعكف في صومعته سنوات يدرس الفلسفة ليفهم هذين المرجعين من مراجع فلسفتي »

ثم يقول : « اما جنة فرعون فهي الاحلام الباطلة ، يعلل بها المغرور نفسه ، لان فرعون كان يحلم بالجنة ويطالب الناس بالكمال الذي لا يطالب نفسه به ·· فيغرق »

« واما « نار موسى » فهي مواجهة الحقائق التي لا يمكن ان تواجه ابدا ، حيث يقول المخلوق للخالق :

ـ ارني انظر اليك ···· فيقال له : ـ انك لن تراني ، ولكن انظر الى الجبل ، فان استقر مكانه الى آخر الآية الكريمة



« وأنا فى دور الشك كتبت الديوانين اللذين يسجل أحدهما أن أحـــلام التفاؤل باطلة . وأن الجرأة على تحقيق المثـــل العليا مدعاة (ليخر المرء فيها صعقا) كموسى عليه السلام ..

وكنت أعتقد أنه لا يمكن أن أكون مبطلا كفرعون ، ولا كليما كموسى ... وكان ذلك يضايقنى ، ثم استوى فكرى على أنى لا فرعون ولا موسى ، ولكن أنا الوجودى :

اطلقت نفسى على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشـــم

وقد ســارعت بمجرد انتهائى من قراءة هذا المقال الى المسئولين بقسم المخطوطات بدار الكتب اسألهم ان يتفضلوا باطلاعى على مخطوط ديوان النشار بعد ان احطتهم علما بما قرأته بعدد جريدة « السفير » ســالف الذكر الا اننى فوجئت بالمسئولين يقررون لى أن هذا المخطوط لم يتيسر الاهتداء اليه نظرا لان المرحوم النشار لم يوضـــح بمقاله سالف الذكر رقم الايداع أو عنوان الديوان الذى اختاره له النشار عند الايداع أو حتى تاريخ الايداع ...

هذا وقد سبق لجامع ديوان النشار الاســـتاذ مصطفى حافظ ان بذل جهدا جبارا فى سبيل العثور على نسخة من ديوانى « جنة فرعون » أو « نار موسى » دون جدوى . وكان قبل ذلك قد عمل بنصيحتكم بعـــدد « الهلال » السابق ذكره والتى وجهتموها اليه بالعمل على الاتصال بالاستاذ الكبير المغفور له عزيز اباظه الذى لقى منه كل ترحيب وتشجيع .

وبعد ان تكامل لديه ما يناهز (٤٥٠) صفحة من شـــعر النشار الذى جمعه ابتداء من عام ١٩١٠ الذى بدأ منه النشار كتابة الشعر حتى تاريخ وفاته فى فبراير ١٩٧٢ - اصبح يهمه بلا شـــك مادة الديوانين المذكـــورين وتحقيقهما بعد الرجوع للمجموعات الشعرية التى ذكر النشار انه قد أودعها فعلا بدار الكتب . وكلنا نعلم ان النشار رحمه الله كان يتحرى دائما الصدق والدقة المتناهية فى كل ما يكتب ، بل اننا قرأنا فى حينه مقال الاستاذ عبد العليم القبانى بعدد ســـابق من « الهلال » والذى تحدث فيه عن شعراء البحر . وقال فيه ان النشار رحمه الله ذكر له أنه أودع ديوانه بدار الكتب .

لكافة ما تقدم ، نرجو توجيه النداء على صفحات « الهلال » وهى اكبر المجلات الادبية فى العالم العربى وأعلى منبر يمكنت أن نسمع صوتنا منه للاستاذ عبد اللطيف فايد لكى يخبرنا

بمعلوماته عن مجموعة النشار وما اذا كان قد كلف خاطره بعد قراءته مقال النشار وقام بالاطلاع فعلا على المجموعة الشعرية التي أودعها النشار بدار الكتب · وينكر لنا ـ هو أو غيره من المطلعين على المخطوطات بدار الكتب رقم أو تاريخ أو عنوان هذه المجموعة ليسهل البحث وتتم الفائدة المرجوة ـ تحقيقا للغاية العلمية المنشودة ولاتاحة الفرصة أمام الاستاذ أحمد مصطفى حافظ . جامع ديوان النشار والذى قام من قبل بجمع ديوان « فضل » دون انتظار لأى جزاء من احد لقاء ما يبذل من مجهود لسنوات طوال وفاء منه لذكرى أصدقائه من الشعراء الكبار أمثال فضل والنشار ···

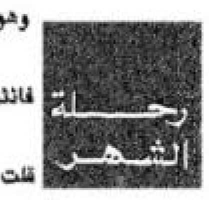
ولا يفوتنا فى ختام هذه الكلمة ان ننوه بالتشجيع الكبير الادبى والمعنوى الذى يوليه الاستاذ الاديب محمد بدوى الخولى محافظ السويس وهو المتبنى لمشروع اصدار ديوان النشار استجابة من سيادته لرجاء حار تقدم به اليه لفيف من الادباء برابطة الادب الحديث فى الشتاء الماضى أثناء ندوة نوقش فيها ديوان « فضل » تحت رعاية سيادته ·

***

هذه كلمة اولى لى اخطها لسيادتكم وارجو الا اكون قد اثقلت عليكم ، وهناك كلمة اخرى أرى انه لا بد لى من الكتابة اليكم تصحيحا لمفهوم خاطىء لقضية الشعر الجديد وما اثير حوله من اختلاف حول تاريخ بدئه واول من كتبه بالصيغة الجديدة اذ ان كثيرا من النقاد يقولون ان أول من كتبه هو المرحوم الشاعر بدر شاكر السياب ، بينما آخرون يقولون انها نازك الملائكة الشاعرة العراقية ، وآخرون يقولون أنه محمد فريد أبو حديد ، وغيرهم يقولون انه على أحمد باكثير الشاعر الحضرمى فى أوائل الاربعينات ···

وردا على ذلك كله اذكر لسيادتكم اننى كنت أيضا أقوم بالتجوال بين صفحات دار الكتب القديمة فوقع نظرى على قصيدة بمجلة « الحرية » البغدادية عدد ١٥ ايلول « سبتمبر » عام ١٩٢٤ ـ للاستاذ المرحوم ابراهيم عبد القادر المازنى عنوانها : (مع ابن لى ··· بعد وفاة أمه) يقول فيها :

لم اكلمه ولكن نظرتى
سالته اين امك ؟
اين امك ؟



وهو يهذى لى على عادته
مذ تولت ... كل يوم !
كل يوم !
فانثنى يبسط عن وجهى الغضون
ولعمرى كيف ذاك ؟
كيف ذاك ؟
قلت لما مسكت وجهى يداه
« اترى تملك حيله ؟ »
اى حيله ؟ »
قال « ما تعلى بذا يا أبناه ؟
قلت « لا شىء أردته »
ولثمته !

وبعد ذلك لى سؤال أوجهه لدعاة الشعر الجديد ونقادنا عامة عن رأيهم فى ريادة الشعر الجديد ولمن يعقد لواؤها ؟

● محمود فهمى يسرى ●
● ماجستير فى العلوم الافريقية ●

ـ أثار الاديب صاحب هذه الرسالة أكثر من قضية ... القضية الاولى ، هى قضية النشار ، وأنا أعلم أن كثيرين من أبناء الاسكندرية ، من محبى النشار وأصدقائه ومريديه يحتفظون بالكثير من شعره . فليت الاستاذ غنيم ، مدير قسم ثقافة الحرية بالاسكندرية يتبنى قضية ديوان هذا الشاعر الرائد ..

اما قضية الشعر الجديد ، فقد قلت من قبل انه ليس جديدا ، وانه ظهر فى العصور الوسيطة ، وسماه مؤرخو الادب بالهزروف ، اى الظليم ، وهو ذكر النعام ، لانك تراه كالجمل وليس بجمل ، وكالطائر وليس بطائر

وقال هؤلاء المؤرخون ان الهزروف « كلام قاله بعض العرب ، لا هو بالشعر ولا بالنثر ، وانما هو كالدابة حينما تقف على ثلاث »

ومنذ نحو قرنين من الزمان ، ظهر فى العراق ضرب من هذا الشعر اسمه « البند » وما لبث أن مات

وفى أوائل هذا القرن ،كتب منه جبران وأبو شادى وغيرهما بعض نماذج

فالمعركة اذن ليست حول جدته ، وانما هى حول كونه شعرا او لا شعر .

ابن الشاطئ اسمه شتات

قبل ان اذهب الى الجـزائر ، كنت لا افتأ انقب عن الادب الجزائرى فى كل مكان ، والتمسه فى الصـحف الواردة من هناك ، ولا سيما مجلة « المجاهد » الاسبوعية

ومن الظواهـر الادبية التى طالما وقفت امامها بكثير من الاعجاب فى هذه المجلة ، قصـائد لشاعر يوقع باسم « ابن الشاطىء » · وقد نقلت لقراء « الهلال » و « الزهور » بعض قصائده دون ان اعرفه ، لما يتميز به شعره من دفء عاطفى وطنى

ثم بدا « ابن الشاطىء » يكتب لنا ···

ثم وجدته امامى فى مدينة « تيزى اوزو » ··· التى انعقد فيها الملتقى الاسلامى ، فعرفت اسمه لاول مرة

اسمه « اسماعيل شتات » ··· وهو فلسطينى شاب ، مشرد عن وطنه وان كان يعيش فى الجزائر ، وهى جـزء من وطنه العربى الكبير ·

وهكذا ترى لحظ شتات ، من اسمه نصـيبا ، فهو مشتت الوجدان بين الجزائر وفلسطين

اما زوجته الرقيقة ، وهى شـاعرة أيضا ، فوجدانها فى الاخرى أكثر تشتتا ، لانها سورية ، تزوجت فلسطينيا ، لتعيش معه فى الجزائر

وقد انتهى ابن الشاطىء منذ ايام من تاليف كتاب يستاهل اهتمام المشارقة ، عنوانه « مرايا ادبية من المغرب العربى » يستعرض فيه التيارات الادبية المعاصرة فى ذلك الجزء العزيز من الوطن العربى ، الذى أبعده عنا الاستعمار سنوات طويلة

بطـــولات نســائـيـة

● عدد « الهلال » عن البطولات النسوية كان رائعا حقا وبه من قصص البطولة ما تفخر به الانسانية ، من الشـخصيات العربية والاجنبية على السواء

، ولكنى آخذ عليكم عدم ايراد السـيرة الزكية لكثير من البطولات النسوية فى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، كفاطمة الزهراء وزينب وخديجة

● نبيل عبد المحسن ● ● المنامة ـ البحرين ●

ـ لم يفتنا فى ذلك العدد من « الهلال » أن نتخير من بطولات نساء آل البيت ، سيرة السيدة عائشة رضى الله عنها · ولا شك ان الحديث عن زوجات النبى وبناته سيرة عطرة ، ولكن هناك كتبا كاملة فى مثل هذه الموضوعات ، ونحن كمجلة ، نلتقط مجرد نماذج ، ولا نستطيع ان نلم بكل شىء ، والا تحولت المجلة الى كتاب ·

بـــريـــد الـــزهـــور

كان من اول اهتماماتي ، عندما توليت امانة مجلة « الهلال » ان اجتذب اقلام المغاربة ، لاضعها تحت انظار المشارقة ، حتى يتعارف ابناء الفكر في الشطرين العربيين

واحسب انني نجحت في هذا العمل ، بدليل ان ثلاثة ارباع بريدي اليوم ، تاتي من تونس والجزائر والمغرب

وظاهرة اخرى جديرة بالتســجيل ، هي انه منذ انبثاق « الزهور » ··· واكثر البريد يتجه الى « الزهور »

عشرات ومئات من الرسائل كل يوم ·· اكثرها من المغرب واقلها من المشرق ، تفد باسم « الزهور » وتحمل قصصا وقصائد من كل لون ··· مما يدل على اندفاع الشـباب ـ ولا سـيما الشباب المغربي الجديد ـ نحو الادب

● من هذه الرسائل ، رسالة طريفة من الاديب « وطاس علي ـ الجزائر » تحمل معها قصيدة من نظمه · ويقول الاخ وطاس انه أرسل قصيدة من قبل ، فلم تنشر ، وها هو ذا يعيد الكرة ، لانه يؤمن بانه اذا كان قد خسر معركة ، فانه لم يخسر الحرب ، وسيستمر حتى النهاية

مع الاسف ··· شــعر الاخ وطاس تنقصه عدة الشعر ، ولا سيما اللغة والديباجة · فاذا كان يريد ان يســتمر الى النهاية ، فعليه ان يقرأ كثيرا في الشعر القديم حتى يثرى ديباجته ، وان يتعمق في النحو حتى يتجنب زلل اللغة

● ورسالة من « محمد علي الرباوي ـ المغرب » يسالني فيها كيف التعصب للشعر العمودي ثم افتح صفحات « الزهور » للشعر الجديد ؟

والاخ الرباوي شاعر موهوب ، لا ينظم الشعر الجـــديد والحمد لله · ولهذا اقول له ان تجربتنا العمودية راسخة منذ اكثر من الف سنة · أما الشعراء الجدد ، فيقولون : دعوا الزمن يثبت بقاءنا او فناءنا ، ولكن لا تكتموا أصواتنا

وهانحن اولاء نطلق أصواتهم ، وأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض

● ورسالة من المقاتل « ابراهيم احمد الخلقي » ··· فيها ثناء مقدور على « الهلال » و « الزهور » ··· مع ملاحظة ··· هي ان « الزهور » تولى جل عنايتها للجيل الثاني ، دون الجيل الثالث من الادباء الصاعدين

وهذه ملاحظة ظالمة ، فالواقع اننا ـ فيما نتلقى من نتاج الادب والشعر والقصة ـ لا ننظر الى السماء مطلقا ، ولكن نبحث عن الاصالة ··· نبحث عن المواهب والموهوبين ··· نبحث عن العمل اللامع ، حتى ولو كان صاحبه يكتب لاول مرة



● وعشرات من الرسائل الشابة من مختلف البلاد الشقيقة ، يسال اصحابها عما اذا كانت صفحات « الزهور » مفتوحة للجميع

ونحن نقولها مرة اخرى وثالثة ... ان الزهور ملك للشباب لا لنا . لكنها ملك للشباب الموهوب ، ولا نستطيع ان نحكم على اى نتاج قبل الاطلاع عليه . فاذا لم ننشر اى نتاج ، فليثق صاحبه اننا لم ننشره لسبب واحد ، هو انه لا يرقى الى مستوى النشر

تصـــويبات ومقـــترحات

لتسمح لى أن أعلق على بعض ما نشر فى مجلتنـا الغراء الهلال » وأقدم بعض المقترحات ...

اولا : فى العدد السابع يوليو سنة ١٩٧٣ قرانا مقالا من ترجمة سيادتكم تحت عنوان « آخر فرصة أمام البشرية » للكاتب هيرمان تسيوك .. والذى قلت فيه : « لقد وقف العالم منذ ٦ اغسطس سنة ١٩٤٥ على أبواب عصر جديد : ففى ذلك اليوم تفجرت القنبلة الذرية الاولى فوق هيروشيما ، وكانت نتيجتها ان هلك مائة مليون من البشر فى دقائق معدودة » !

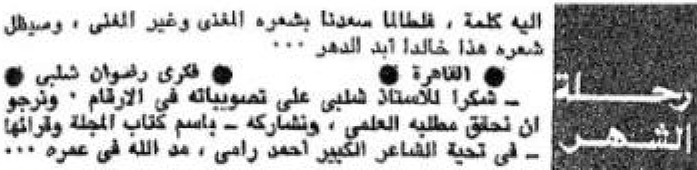
ونقف معا عند هذا الرقم ، فاليابان كلها يا سيدى لم تكن تبلغ فى عام ١٩٤٥ المائة مليون نسمة واعتقد ان العدد كان مائة الف نسمة وليس المائة مليون نسمة .. اليس كذلك ؟

ثانيا : كتب الاستاذ محمود يوسف فى نفس العـــدد تحت عنوان « رفاعة الطهطاوى فى ذكراه المئوية » ويتحدث فى آخر المقال عن مكتبة رفاعة الطهطاوى فيقول ان حفيده تبرع بمكتبته لتكون نواة لمكتبة عامة انشاتها بلدية سوهاج عاصمة المحافظة التى ولد فيها « طهطا » ويبلغ عدد كتبها واحـــدا وأربعين واربعمائة وثمانية الاف كتاب ، منها أربعة وستون الف كتاب من المخطوطات التى تقع فى حوالى ثلاثة الاف مجلد .. ونقف معا أيضا أمام هـــذا الرقم العجيب : ٨٤٤١ كتابا ، منها ٦٤ الف كتاب .. غير معقول يا سيدى اليس كذلك ؟

ثالثا : اقترح ان تصدر « الهلال » عددا خاصا عن العظماء من العلماء الذين افنوا حياتهم فى خدمة البشرية .. تحت عنوان « علماء عظماء » واظن أن هذا ممكن ...

واقترح ان تزيد « الهلال » عدد صفحاتها العلمية،وياحبذا لو خصصت صفحة او صفحتان لباب تنشره بعنوان « دائرة المعارف » وتحرر مادته على هيئة دائرة معارف ...

رابعا : فى شهر اغسطس الماضى ، وفى اليوم الخامس عشر منه على الاخص ، بلغ شاعرنا العظيم الاستاذ الكبير احمد رامى ٨١ عاما من عمره ، أطال الله عمره ، فنرجو أن توجهوا


رحلة الشهر

اليه كلمة ، فلطالما سعدنا بشعره الغنى وغير الغنى ، وسيظل شعره هذا خالدا أبد الدهر ...

● القاهرة ● فكرى رضوان شلبى ●

ـ شكرا للأستاذ شلبى على تصويباته في الارقام . ونرجو ان نحقق مطلبه العلمى ، ونشاركه ـ باسم كتاب المجلة وقرائها ـ فى تحية الشاعر الكبير احمد رامى ، مد الله فى عمره ...

إضافات إلى المكتبة العربية

● اغنيات على شواطىء الحب : ديوان أنيق من الشعر الغنائى الحالم المسلسل ، للشاعر فؤاد طمان

● جلجامش فى العالم السفلى : مسرحية شعرية مستوحاة من الملحمة الاسطورية الاشورية ، ليوسف أمين قصير (مطبعة شفيق ـ بغداد)

● الركض تحت الشمس : مجموعة من القصص القصيرة لاحمد الراوى (دار العلم للطباعة ـ القاهرة)

● رياح المدن الزجاجية : مجموعة أقاصيص ، بطلها دائما واحد ، هو فتى العصر ، بكل ما يحمل من حب ومن غضب ، لسالم العزاوى (مطابع الجمهور ـ الموصل)

● فساد الامكنة : رواية استوحاها المؤلف بعد مقام سنة فى جبل « الدرهيب » بالصحراء الشرقية ، فجاءت عملا فريد اللون ، لصبرى موسى (الكتاب الذهبى)

● رواد المسرح المصرى : صفحات من تاريخ فجر النهضة المسرحيـــة فى مصر ، لمحمد كمال الدين (المكتبة الثقافية ـ القاهرة)

● ملحمة الخلود : ملحمة من الزجل العـــراقى ، لكامل منصور الكعبى (مطبعة الجامعة ـ بغداد)

● كندا حلم المهاجرين : صـــور صادقة للحياة فى كندا فى العين المصرية للصحفى اللامع مفيد فوزى (اقرأ)

● رسالة الى افلاطون : نظرات جديدة فى الفلسفة والتربية القومية ، للدكتور صلاح عبد (دار السياسة ـ الكويت)

● اغنيات الدم والسلام : ديوان من الشـــعر الوطنى ، للشاعر السعودى عبد السلام هاشم حافظ (مطبعة دار البيان ـ القاهرة)

● شاهدت لك فى أوربا : لقطات وشيئة من الحياة فى أوربا من مختلف زواياها ، لرءوف وصفى (دار مصر للطباعة)

● نداءات الشباب العربى : مجموعة من المقـــالات الواعية فى النقد الاجتماعى ، للدكتور زكريا ابراهيم (مكتبة مصر)

● جراحات قلب : ديوان من الشعر المتعدد الالوان، لطارق الطاهرى (مطبعة البصرة)

● ص . ج ●

■ سليم الرافعي ■



« امام جـزء من شبحه وقفت وسألته الا يحجبني »

سالوه ـ وهو في موقفه ـ
ما مراد الفكر من سر الهرم ؟
هيكل فوق الصحاري ساهر
مستدق الراس مرهوب القدم
ذهبت اضلاعه فارعة
وتمادي جسدا لما جثم
عزة مغلوبة في صمته
وصراخ في سراديب الصمم
وشرايين حياة جمدت
الهبتها شهوة دون الم

قال : لا اعلم ـ الا انني
ابدي الذات قدسي الهمم
لم اكن للشعب يوما صنما
« مصر » لا تؤمن يوما بصنم
فوق صحراء توسدت العلا
وانتظرت الشعب خلاق القمم

انا روح الشعب في معترك
صغت نفس الشعب من وحي الشمم
ان في الصخر مواثيق مضت
قد رفعت الراس منها في علم
يوم عاهدت بني مصر على
ان يعيدوا الروح في تلك الرمم



سالوه ـ وهو عملاق ـ متى
ايها الخالق ميعاد القسم ؟
قال : وادي النيل يحيا ابدا
لا يفيض النيل في وادي العدم
ايها العملاق ! .. لا تخلق سوى
علم للشعب من لحم ودم !

● طرابلس ـ لبنان ● ● سليم الرافعي ●


نصر الدين عبد اللطيف
قصة حياة

ودخلت عالمه الرحيب ، اتملى عطاء موهبته الخصبة المباركة الثمار .. اطوف بما الف وصنف وابدع .. واجتلى ملامح شخصيته السمحة المرهفة ! ..

كان دمثا ، مجاملا ، جم الوداعة والصفاء .. وكان عفة عطر اللسان والقلم ؟

لقد جئت استلهم منه ما اكتب عنه ، عن رائد القصة المصرية ، اديب العربية وعاشقها ، العظيم الراحل : محمود تيمور .. ولكنى لم البث ان اكتشفت ان شوامخ عصره

كتابا ، مفكرين ، ونقادا ـ قد تناولوا شتى جوانب شخصيته وفنون ادبه ، فابدعوا واوفوا .. حتى لم يعد ثمة جديد، لمن يحاول ان يأتى ، بعدهم ، بجديد ! ..

وعندما انتهى بى الرأى الى ان اقنع برصد الحقائق وصور الواقع فى سيرة حياته الحافلة ، تسجيلا لوجه التاريخ والادب ـ تبين لى انه قد تحمل عنى هذه المهمة ، فقد سجل بقلمه ترجمة ذاتية كاملة ، مفصلة المواقف والاحداث

وكان يتابع بالتسجيل تطورات حياته ، واعماله الادبية ، اولا باول ، وعاما بعد عام ، منذ البداية والى ما قبل يوم الرحيل ! ..

ماذا بقى لى اذن اكتب او اقول ـ فى موكب الوداع ؟! ..



رائد القصة





من حياة اديبنا الراحل محمود تيمور .. مجموعة من

مع الخطوات الاولى فى الطريق الى رحلة تسجيلية حول أدب محمود تيمور وسيرة حياته ـ برز لى من زحام الخواطر والافكار سؤال عجول ، لم ينتظر حتى يجيء دوره فى الختام :

● قبل أن يغيب عن الحياة وجه تيمور ، كان قد دخل التاريخ .. فأين مكانه الان هناك ، فى تاريخ الفكر والادب ؟ ..

قلت ، مجيبا : ربما يكون هناك ، فى تاريخنا الادبى ، اكثر من مقعد ينتظر تيمور .. على انه الان يحتل ، بالفعل ، مقعد : « الرائد الاول للقصة المصرية ، والقصاص الاول الذى انشأ فنا مصريا متكاملا ... »

ثم توقفت .. وعينى على صفحة من كتاب « ملامح وغضون » حيث كتب عميد الادب العربى ، أستاذنا الدكتور طه حسين ، بأسلوبه الشائق وخاطب تيمور :

« ... وسبقت أنت الى شيء لا أعرف أن أحدا شاركك فيه فى الشرق العربى كله الى الان .. واذا ذهب أحد مذهبك أو جاء أحد فيما بعد بخير مما جئت به ، فلن يستطيع أن يتفوق عليك ، لانك فتحت له الباب ، ومهدت له الطريق ، ويسرت له السعى ، واتحت له أن ينتج وأن يتفوق .. ؟

« ... هذا الذى تفوقت فيه وامتزت ، وسجلت به لنفسك خلودا فى تاريخ الادب العربى لا سبيل الى أن يمحى ، هو القصص على مذهبه الحديث فى العالم العربى » ...

... وتركت للدارسين والنقاد ، وللتاريخ ـ الوفاء بامانة « السؤال » عن مكان تيمور ومكانته فى تاريخنا الادبى ، وعدت الى رحلتى التسجيلية حول تراثه الفنى وشخصيته ، ورحلة عمره ...

● عاش حياته الادبية مرتين ●

الظاهرة المميزة ، واللافتة ، فى شخصية تيمور ، انه كان دقيقا ، صبورا ،منظما الى حد يثير الاعجاب والعجب !

بهذه الدقة والصبر والتنظيم ، كان




الصور تبين مراحل عمره منذ طفولته حتى شبابه

موفور الانتاج ، متعدد الجوانب ، يؤلف القصة والمسلاة والرواية والمسرحية ... ويكتب المقال فى شتى فنون الادب ... وينشيء المصنفات فى بحوث اللغة وتعريب « الفاظ الحضارة » ... ثم يضيف الى ذلك كله ترجمة ذاتية عن حياته وأعماله الادبية ، يزودها بالاضافات الجديدة كل عام ، ويرصدها فى نشرة خاصة يوزعها على من يطلبها ومن لا يطلبها من الكتاب والنقاد والصحفيين وجمهرة الاصدقاء !

وبهذه الدقة والصبر والتنظيم ، أيضا ، كان يعيش حياته الادبية مرتين ...

مرة وهو يصوغ افكاره سطورا على الورق وفصولا تنشر فى مجلة او كتاب ...

ومرة أخرى عندما يمارس عادته الحبيبة فيكتب كيف خطرت له هذه الافكار ، وما صادفه وحدث له اثناء كتابتها ، ثم يقدمها هى الاخرى لتنشر فى مجلة او كتاب يختار له العنوان المشهور « اعترافات » او « كيف اكتب قصصى » ! ...

واذا كنا نعجب ، الآن ، عندما نلتقى فى تراثه القصصى الكبير بالقصة ، وبقصة كتابته لتلك القصة — فلقد كان الزملاء والاصدقاء فى عصره اكثر اعجابا بهذه « الظاهرة التيمورية الادبية الفريدة » التى يلتقون بها عندما يهدى اليهم تيمور كتابه الجديد ، ثم يتبعه بعد ذلك بكتاب جديد وضعه عن كتابه الجديد !

ومن خلال وقفة قصيرة حيال هذه « الظاهرة التيمورية الادبية الفريدة » تتكشف دلالات كثيرة ، فى مقدمتها انها تعكس احدى السمات البارزة فى ادب تيمور وفى شخصيته وهى : البساطة والوضوح ...

والحق انه فى مؤلفات تيمور ، وكتاباته ، وكل عطاء حياته الادبية المديدة ، تبدو هذه السمة البارزة والمميزة ... فقد كان تيمور ، بالطبيعة والايمان والاقتناع ، يؤثر الصفاء فكرا واسلوبا ... بكل البساطة والوضوح ، وبالقلب المفتوح ...

كشف اوراقه للجميع ، للقراء ،

ونقاده ، وللتاريخ ...
قدم القصة ...
وقصة القصة ...
وقصة حياة مؤلف القصة ...
وترك وراءه لكل ســؤال عنه ، جوابا مسجلا بخط يده !

● بقلمه .. كتب رحلة عمره ●

لقد كان من المحتم ـ وأنا أعرض لحياة تيمور وأدبه بتحقيق تسجيلي ـ أن تكون البداية حديثا عن نشأته الاولى ، عن الافكار والقـــراءات والمؤثرات التى أسـهمت فى تكوين شـخصيته وحركت فى أعماقه غرس الموهبة ، وعن أول تجربة قصصية جرى بها قلمه على الورق ..

... ولكن رائد القصة المصرية وقصاصها الموهوب ، لم يفته أن يكتب قصة حياته ...

فقد سجل تيمور بقلمه رحلة عمره مع الايام والليالى والمواقف والتجارب والأحداث ، بأســتاذية فى الامانة والصدق والتواضع ، وبيان شـائق يلمس الاعماق فى مشـاعر الكاتبين والقارئين ! ...

« نشأت فى بيت أكثر ما فيه الكتب

فقد كان أبى المرحوم أحمد تيمور ولوعا بجمع ما تمخضت عنه القرائح العربية فى كل علم وفن ، ولا يكاد يدع منها مطبوعا أو مخطوطا فى الشرق والغرب ... ولعله كان بالمخطوطات أشد ولعا ، وحرصه على اقتنائها أبعد مدى ...

ومرت الايام تبـــاعا ، والخزانة التيمورية ـ التى تحتل الان مكانا كريما من دار الكتب المصرية ـ تكبر وأنا أكبر معها ، وازداد من تقدير لها .. وكان أبى ينفق أطيب وقته بين حجراتها ، ويرصد أعظم جهده فى سبيلها، حتى لقد خيل لى وهو يتنقل بين أصونتها ورفوفها ـ أنه قد غدا فيها كتابا حيا ينطق بما بين دفتيه !

ولما اشتد عودى ، وأحسنت القراءة والكتابة ، ألفيت أبى يهدى الى مجلدا ضخما من كتاب « ألف ليلة وليلة » فى طبعة مهذبة محلاة بالتصاوير ، فما هى الا أن أقبلت على الكتاب ، أسبح فيما حوى من حكايات شائقة ، وكنت أجمع من يرغب فى الاستماع من عشيرة البيت ، فأعيد عليهم تلاوة ما قرأت ...

ولعل السر فى اعجابى بـ « ألف ليلة وليلة » فى تلك المرحلة من حياتى هو مشابهتها « للحواديت » ، وهى القصص الخرافية التى استمعنا اليها من العجائز ، يسامرننا بها فى عهد الطفولة الاولى ، فكأنما كنت بقراءة « ألف ليلة وليلة » أستعيد سذاجة ذلك العهد المحبب الانيس ، وما بنا الا من يشعر بحنين الى بواكير أيامه وهو حديث عهد بالحياة ...

● مع الابطال فى مغامرات الخيال ●

لم يكن كل ما يعجبنا فى « ألف ليلة وليلة » مجرد شبهها بالقصص البطولية السائجة ، فقد راقنا منها مع ذلك اتساع الخيال ، وخلابة الاحداث، وطرافة الصور ، والجـــو الشرقى الساحر الذى يمت الى نفوسنا بأوثق الاسباب ، ذلك الجو الحافل بالمغامرات التى تهفو نفوسنا الى مزاولتها ، نشرك الابطال فيما يقومون به من



بكل البراءة والرقة .. تيمور يداعب حفيدتيه اللتين وعبهما كل حبه وحنانه ...

اعمال ، وما يخوضون من اخطار .. نرتفع مع « الرخ » الى السموات العلا ، ثم نهبط من « وادى الثعابين» الى « مغارة الموتى » ... واذا نحن ننفذ منها الى « مدينة النحاس » نهيم فى صمتها الرهيب ، ثم لا نلبث أن نئوب الى الاهل والاحباب محملين بالذهب والفضة ، محلين باللآلىء واليواقيت ! ..

● الموهبة وعناصر الخلق ●

لا ريب أن فى « الف ليلة وليلة » مما يذكى فى نفس القارىء موهبة التخيل ، ويمده بعناصر الخلق القصصى ...

ولم يكن عبثا أن يقول « فولتير » انه قرأ « الف ليلة وليلة » مرات قبل أن يجرى قلمه بكتابة قصة ، وانه تمنى أن يفقد ذاكرته ليستطيع أن يقرأها من جديد بمثل اللذة التى قرأها بها اول مرة !

لقد اثار كتاب « الف ليلة وليلة » ميلى الى قراءة أمثاله ، فامدتنى مكتبة ابى بما اطمح اليه .. واذكر انه كان فيما قرأت يومئذ من كتاب الاسمار ونوادر الاخباريين كتاب « اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس » ، وكتاب « نفحة اليمن بما يزيل الهم والشجن » وغيرهما من النظائر والاشباه ..

وامتدت عينى الى ما تحويه خزانة ابى من روايات عصرية مترجمة ، فوجدتنى اجنح الى ايثار « القصص البوليسى » ، اعنى قصص الحيلة والجريمة ، فاذكر منها الآن روايات

« نقولا كارتر » و « شرلوك هولمز » ، و « ستكار » ـ فافتنت أيما فتنة بما يبديه الابطال من ذكاء وسعة خاطر وحضور بديهة ، وقدرة بارعة على التخلص من المآزق ..

كذلك أعجبت بما تثير القصص من مفاجآت مثيـــرة تملك على القارىء انتباهه ، وتحمله على متابعة القراءة فى شوق موصول ...

● فشلت باكورتى فى الكتابة القصـــصية ●

فى صيف من الاصـــياف ، وأنا مغمور بما قرأت ، وما وعيت ، من هذا اللون القصصى الغربى ـ سافرنا الى الضيعة فى الريف ، والحيـــاة هناك هادئة يتسع فيها وقت الفراغ

رائد القصة

والجو هنا مهيأ للتأمل والانطـــلاق فى آفاق الخيال ....

فالفيتنى أخلو الى نفسى ، وأغلق الباب دونى ، وأجلس الى أوراقى وأقلامى أدبج قصة هندية الاحداث ، بطلها ضابط انجليزى يجنى على فتاة وطنية ، فينبرى أهلوها يثأرون لها وينتقمون ممن أساء اليها .

وجعلت للقصة عنوانا عظيما هو : « الشرف الرفيـــع » وما فاتنى أن أرصع القصة ببيت « المتنبى » :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

ولما أتممت تحبير القصة ، هرعت بها الى أبى ورجوت منه أن يبعث بها الى احدى الصـــحف لكى تنشرها باسمى ، فالقى أبى على القصة نظرة خاطفة ، ثم ابتسم لى ، وربت على كتفى ، وقال :

ـ حسنا ما كتبت ، وسأنظر فيما رغبت فيه من نشر القصة ...

وانقضت أيام ، وأنا أرقب ظهور القصة العظيمة وطال ارتقابى ،حتى الهتنى عنها الشواغل ...

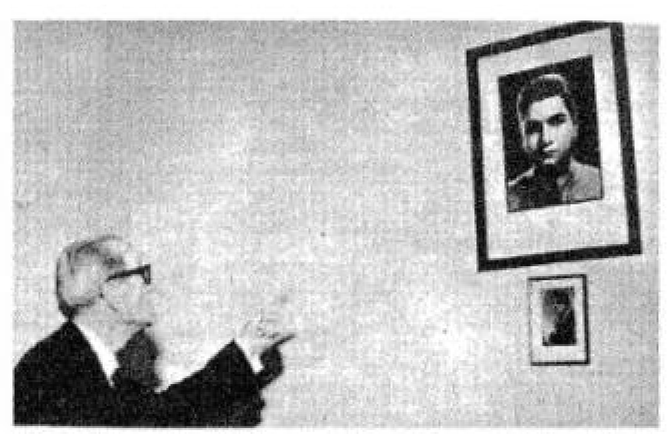
وبعد حين صـــادفت باكورتى القصصية مسجاة فى زاوية من مكتب أبى تشكو الصد والاعراض ...

فادركنى عليها الشفاق ، وهممت أن أتناولها ، ولكن اكبـــارى لأبى منعنى أن أفعل ، فانتظرت حتى لقيته، وفاتحته فى الامـــــر ، فطلب أن أعاود تجربة الكتابة مرة أخرى ، لعلى أبلغ من التوفيق ما لم يتح لى فى التجربة الاولى ! ..

واذا كان أبى صاحب الفضـــل الاول فى اذكاء موهبتى الكتابية بما يسر لى من المطالعة فى صبـــاى الباكـــر ، فان الذى بعثنى على أن أكتب فى جد وتصميم هو شـــقيقى المرحوم محمد تيمور ، اذ وجه موهبتى توجيها اســـتفاد من ثقافته وخبرته وذوقه ، وكان يومئـــذ قد عاد من فرنســـا بعد أن قضى ثلاث سنوات يتـــزود من الادب العصرى الاوربى ما طاب له أن يتزود ...

● الهبوط من سماء الخيـــال المجنـــح ●

فى البداية ، كنت اذا تحـــرك قلمى على الـــورق الفيتنى اوثر ذلك اللون الذى كان يســـمى حينئذ



صورة فريدة للاديب محمود تيمور يتأمل صورة ابنه الذى فقده فى ريعان شبابه

و « الشعر المنثور » . ابث كلماته ما يضطرم به وجدانى من عواطف ومشاعر وخطرات ، ولم يكن ذلك الشعر يخلو من وشائج هى فى باب القصة ادخل منها فى باب المقال ...

على انى كنت فى هذا الاتجاه متأثرا – لاشك – بما تروج لى انذاك لذلك العهد من لوامع أدب المهجر باقلام « جبران » و « الريحانى » ، و « نعيمة » ومن اليهم ممن فرقوا الى العربية أدبا عاطفيا انسانيا جديد الروح ...

وفى ذلك الوقت كنت استنير بهدى شقيقى ، فنصح لى فيما نصح بأن اطالع « حديث عيسى بن هشام » للاديب العربى الصميم محمد المويلحى ، وقصة « زينب » للكاتب الاجتماعى المفكر محمد حسين هيكل، فلمحت فيها مسحة تختلف عن الادب « الرومانسى » الذى كنت غارقا فيه ... مسحة تهبط بالقارىء من سماء الخيال المجنح حيث يعيش الناس كالملائكة فوق الضباب ، الى الارض التى ندب فيها ، فنرى الناس من حولنا بشرا مثلنا على فطرتهم التى خلقوا عليها ...

● مشاهد الحياة ولوامع الافكار ●

ولم تقف مطالعتى عند الادب العربى قديمه وحديثه ، ما ألف فيه وما ترجم اليه فقد كانت معرفتى بالانجليزية والفرنسية قد نمت نموا يمكننى من أن اقرأ الادب الغربى فى هاتين اللغتين ...
وأرشدنى شقيقى الى قراءة ما كتب « موباسان » الفرنسى و« تشيخوف » الروسى فى مجموعاتهم القصصية ، فقرأت لهما أوقل عببت من اقاصيصهما عبا .

ويبدو لى أن تأثرى بما قرأت من أدب اللغتين الفرنسية والانجليزية قد أغضب على شيطان « الشعر المنثور » وهو يتخلى عنى ...
وجرى قلمى بقصة قصيرة هى

رائد القصة

« الشيخ جمعه » ، وعلى اثرها كتبت قصة أخرى هى « يحفظ بشباك البريد » وقد اتيح لها أن تترجم بعد ذلك بسنتين الى الانجليزية فى كتاب يضم نخبة من القصص فى مختلف بلاد العالم ، ولعلها كانت طليعة ما ترجم من الادب المصرى العصرى الى لغة اجنبية ...

وفجعنى القدر فى شقيقى محمد تيمور سنة ١٩٢١ وهو من شبابه فى عنفوان ، وحوله هالة من الامانى تتألق ، ولا تعرف مصيرها من بعده ، اتخبو بموته ، ام تتاح لها حياة وبقاء ؟ ..

« دارت عجلة الحياة تدفع بى فى طريقها المدود ، فاخذت جراح الفجيعة تندمل

وان كانت الذاكرة باقية بقاء الروح فى الجسد الحى ...

ووجدتنى انشط لبعض العمل ، فلملمت ما تشعث من قواى ، وخطوت على الدرب فى تؤدة وحذر ، مهتديا بهدى شقيقى الراحل ، وما ان اقبل عام ١٩٢٥ حتى كان قد تجمع عندى ما يصح اخراجه فى مجموعة قصصية ، فسارعت الى طبع كتابى الاول « الشيخ جمعة وقصص اخرى » واتبعته بكتابى الثانى « عم متولى » ...

واذا انا الزم نفسى التجرد للكتابة لا اكاد انتهى من مجموعة حتى اكون قد نسجت الخيوط لمجموعة اخرى .. وتراءت لى مشاهد الحياة ، وشخصيات الناس ، وأحداث المجتمع، ولوامع الافكار ، كأنما هى بضاعة قابلة للعرض فى مخيلتى الفنية داخل الاطار القصصى ، أو كأنما هى الواح محشوة امام عينى ، وعلى ان انتقى منها ما انقله فى حروف وكلمات ...

بعد مجموعتى القصصية الاولى توالت خطواتى على الطريق . حتى اخرجت من كتبى القصصية ما يبلغ الخمسين ، منها ما ترجم الى لغات شرقية ، ومنها ماترجم الى لغات غربية .

● قصيرة «ومطولة» ومسرحة ●

لقد اعطى تيمور للقصة وفاء العمر كله ...

على امتداد نشاطه الادبى الموصول لاكثر من خمسين عاما ، لم تنطفىء فى قلبه لحظة شعلة الحماسة والايثار للقصة ... ولم يتوقف قلمه عن العطاء فى شتى فنون القصة ..

كتبها قصيرة ، ومطولة ...

وكتبها للقراءة وللمسرح ...

واستلهم فى كتابتها روح العصر، واحداث التاريخ ... وطوف بالمدينة وبالريف ، وبالبادية ...

مشى بكتاباته القصصية فى دروب الواقع خطوات ، وحلق فى آفاق الخيال مرات ومرات واستجاب لهواتف المسرات والاحزان ، وكشف من سرائر النفوس ، وعالج من مشكلات الحياة والمجتمع ...

ولقد تنقل بكتاباته من مرحلة الى مرحلة ، ولكنه لم يتجمد عند مذهب ادبى بعينه ، ولا قنع بلون من الوان الاداء الفنى يتوقف عنده ... وقد أعانه على ذلك كله ما اكتسب من خبرة بالحياة وتجربة فى المجتمع ، ومن دأب على الاطلاع فى مختلف فروع الثقافة . ومن رحلات متجددة فى الشرق والغرب تجلو الفكر وتثرى الوجدان ...

● بداية مرحلة ادبية جديدة ●

فى حياة تيمور شيء آخر وكان له اثره فى تكوين شخصيته فقد مرض بالتيفوئيد ، فى مطلع شبابه ... وكانت وطأة المرض شديدة على ، فلزمت الفراش ثلاثة أشهر قضيتها فى الوان شتى من التفكير واخلاط من الاحلام ... لما ابللت من مرضى وأردت استئناف دراستى العالية — وكنت قد بدأتها فعلا — حال دون ذلك ضعف بنيتى ،

وشعرت باشتداد ميلى الى الادب ، رسمت له دراسة شبه منظمة ، فكأنى قد اردت بهذه الخطة اســتكمال النقص الذى لحقنى من انقطــاع دراستى العليا ...

ومما لاريب فيه أن حادث المرض كان بداية طور جديد فى حياتى الادبية نقلنى من دور التردد الى دور التيقن ومن دور الالمــام والهوادة فى التحصيل الى دور الجد والاستيعاب

● انت وانا وحدنا ●

على ان حدث الاحداث فى حياة تيمور ، كان عندما امتحنه القــدر بوفاة ولده محمد ســعيد وهو فى سن العشرين ، فقد هزه ذلك الحادث هزا عنيفا ... بيد انه لم يلبث أن تجلد واستمسك ، ثم استغرق فى ابداع كتابه الخـالد « أبو الهـول يطير » وفيه يبدو تيمور فى صورة الصوفى المؤمن ، حين يطلق نفسه من قيوده ، ويصور آلامه فى حنـان « ... لقد تطايرت من بيننـــا ، يابنى كما يتطاير العطر من قارورة رفعت سدادتها فلم نراك بابصارنا، ولكننا ظللنا نشمك طيبا تشيع فيما حولنا من اجواء ...

« اى بنى ... ها هو ذا كل شيء قد اختفى من حولنا ، فلم يعد الا انت وانا وحدنا ... انت ، انت الوحيــد الذى ما زلت اراه ، انك لتملأ على الرحاب والافاق ، وانى لاحس وجودك احساسا كله صــدق ويقين ... حقا ان الموت لاعجز عن ان يفرق بين حبيبين ... »

● الحياة : الحب والجمال ●

عاش تيمور حتى اخر لحظات العمــر ، مشرع القلم ، يكتب فى شتى فنون الادب يزود فن القصــة

تيمور امام مكتبه مع براءات الجوائز العديدة التى منحتها له الدولة ..



رائد القصة

باضافات جديدة متميزة ...

وكان الهدف الاصيل للأديب – فى رأيه – هو ان يكشف عن الانسان بمعناه الشامل ، فى خيره وشره ، فى سطوته وضعفه ، الانسان الذى حمل امانة الحياة ليمارس بهـا ملكاته فى دنياه ...

فالأديب الحق ، بما وهب من رهافة الحس ، وبما جبل عليه من فطرة الخير هو الذى يتخذ هـذا الهدف واعيا او غير واع ، سبيلا الى تطوير الانسـان حتى يكون انسان عالم افضل ، انسانا مثاليا ، فى مجتمع مثالى تسـوده روح التعاون الصـادق ، وتتحقق فيه المسـاواة ويرفرف عليه الاخاء والرخاء ...

وابهى جوانب الحياة ، فى رأى تيمور ، هما : الحب والجمال ...

« ... ان هـذه الذرات التى يتكون منها جميع ما فى العالم من كائنات ، مكونة من كهارب يسـير بعضها حول بعض ، وتسـير حول نفسها ، وكانت هى اوفى ما وصـل اليه النظام والتناسق ، اى فى ارقى ما وصل اليه « الجمال » ... وهى فى حركاتها متماسكه بقوة الجاذبية اى بقوة « الحب » ...

ومع مسـيرة الجهاد فى حياته الادبية المديدة ، ظفر تيمور بتقدير الهيئـات الادبية فى مصر ، وفى كثير من بلاد العالم .. توج المجمع اللغوى انتاجه ومنحه جائزة التتويج عام ١٩٤٧ ، وظفـر بجائزة الدولة للاداب سنة ١٩٥٠ ، وحصـل على جائزة واصف غالى بباريس سـنة ١٩٥١ عن كتابه المترجم الى الفرنسية « عزرائيل القرية » ... واختيـر عضوا فى مجمع اللغة العربية سنة ١٩٥٠ ، كما اختير عضـوا فى المجلس الاعلى للفنـون والاداب والعلوم الاجتمـاعية ، وكذلك عين عضوا بالمجمـع اللغوى العراقى ، والمجمع اللغوى المجرى ...

ومنح جائزة الدولة التقديرية فى الاداب سـنة ١٩٦٢ ، كما منح وسام الاستحقاق من الطبقة الاولى سنة ١٩٦٢ ، كما انعم عليه بوسام العلـوم والفنون من الطبقة الاولى سنة ١٩٦٣

وكتب عنه كبار المسـتشرقين وفى مقدمتهم المرحوم « اغناطيوس » كراتشكوفسـكى » الروسى ، وكان عميـد المسـتشرقين فى أوربا وكذلك المستشرق المجـرى الدكتور عبد الكريم جرمانوس ...

وترجمت آثاره الى اللغـات : الانجليزية والفرنسـية والالمانية ، والروسـية ، واليوغسـلافية ، والهنغارية « المجرية » ، والايطاليـة والقوقازية ، والصينية والاسبانية .

● ولم تنته القصة ... ●

والان ... تنتهى هنا الصفحات، ولم تنته قصة حياة رائد القصة ...

هل كان من الممكن ان نكتب فى هذه المساحة المحدودة قصـة حيـاة الانسـان الفنان محمود تيمور الذى كتب لنا وللاجيال من بعـدنا اربعا وعشرين مجموعة قصصية ، واحدى عشرة رواية ، وست عشرة مسرحية واربعة كتب من ادب الرحلات واربعة اخرى من الصور والخواطر واحدى عشرة دراسة لغوية وادبية ؟!







في السنة الاخيرة من القــرن الماضي ، وفي قرية من قرى الساحـــل التونسي تسمى (المكنين)* ومن اسرة متواضعة ، انحدر سعيد ابو بكر الشــاعر التونسي اللامع الذى احب منذ صباه فنون الادب واغرم بها ، وتجلى نبوغه المبكر في المرحلة الاولى من تعليمه الابتدائي الذى اجبرته ظروف قاهرة على الانقطاع عنه والخـــروج لعترك الحياة ومواجهة تكاليفها القاسية

وبقدر ما كان الرصيد الدراسي نزرا عند سعيد كان رصيده من الشـجاعة الادبية ضخما وافرا .. وحسبك ان تعلم قصة اتصاله بعلامة الساحل واسـتاذ الجيل المغفور له الشيخ راجح ابراهيم ، وهو عالم واسع الاطلاع وخطيب لا يشق له غبار ، ووطني صدق ما عاهد الله عليه ، وكان يمتهن المحاماة في مدينة (سـوسة) الغنـاء ، وكان اهل الادب وحملة الاقلام يتخذون من مكتبه ملتقى ومستقرا لهم ، ويجعلون منه ناديا طالما تحدثت عنه الصحف ونشرت من مساجلاته الكثير .

وتناهى الى مســمع سعيد أبي بكر ـ وهو لم يجتز الســادسة عشرة من عمره ـ حديث المنتدى ، فشد الرحال اليه ، واقتحم على الشيخ (راجح) مكتبــــه ومنتداه ... فاصطفاه وقربه واتخذه سكرتيرا له ، ومكنه من مطالعة ما يرد عليه من فحول القريض وأساطين البيان ، وافسح له المجال لنشر بنـات افكاره في كافة الجرائد على اختـــلاف مشــاربها ونزعاتها ، نظــرا للمكانة المرموقة التي يحتلها الشيخ عند اصحابها ، ولما يمدهم به كلما حاق بهم مكروه

واذن فلا غرابة ان يظهـــر سعيد أبو بكر على المسرح الادبي اثر الحرب العالمية الاولى وتستقبله النخبة بترحاب بالغ ، مفسحة له ، مقدرة نبوغه ـ خاصة



والشيخ راجع راعيه واخـذ بيده ..فاستطاع ان يكون فى تلك الفتـرة الدقيقة من حياة بلادنا التونسية خير ترجمان عما يجيش فى قلوب ابنائها ، وما تطفح به من الام وامال ٠

ومن الانصاف ان نقول ان (سعيدا)ـ مع المرحومين الشيخ محمد الخضر حسين التونسى شيخ الازهر الاسبق ٠ والفائز القيروانى ـ يعتبـر من الرواد الذين نظموا الشعر على طريقة شعراء المهجر ، لانه من المؤمنين بكل جـديد مفيد ، الداعين الى الثورة على قيود الشعر وادخال اوزان جديدة فيه ٠٠٠ **ولو قدر لشاعرنا البقاء طويلا فى دنيا الشعر وعالم القريض ، لاتى بالخوالد ٠٠ ولكن ظروف عيشه الشديدة الوطأة على نفسه الوثابة ، واشتغاله بالصحافة لكسـب قوت يومه ، وغيـر ذلك من العوائق ، جعلت لطموحه حدا ، واجبرته على الصمت وهجر ربة الشعر فحرمت الاذان من سماع صيحاته المدوية التى تهز النفوس الخـامدة ، وتوقظ الهمم الراكدة ٠**

وكانى بك تود الوقوف ـ ولو قليلا ـ مع شعر سعيد ابى بكر قبل الاشارة الى جوانبه الاخرى فى ميدانى الصـحافة والاصلاح الاجتمـاعى ٠ فهانا ابادر باسعافك بعضا مما جاء فى قصيدته (الق الرزايا) التى نظمها عندما وجه المستعمرون افتك سهامهم للحركة الوطنية ابان استهلالها لما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها ـ بسجن بعض رجالها وتشريد البعض الاخر :

ايه يا الق الرزايا والنقـم ... لا تخن عهـدى
ها هنا وحدى اناجيك ٠ نعم ... ها هنا وحـدى
حسب ما تحويه من صاب ٠ وما ... فيك من علقـم
فوق شعب يستلذ الالـما ... والدجى المظلـم
لست بالاسى المداوى ، انما ... شمك المرهـم
ان تكن خافت نواهيك الامم ... دون ان يجـدى
ها هنا وحدى اناجيك ٠ نعم ... ها هنا وحـدى
انت شوك ناعم فى لمسـه ... طيب الا وجـاع
انت يوم مطرب فى حسـه ... شنف الاسمـاع
انت موت مخرج من رمسـه ... ميتا قد ضـاع
ان يكن فيك انتقالى للعـدم ... والهنا بعـدى
ها هنا وحدى اناجيك ٠ نعم ... ها هنا وحـدى

ومن خلال هذه الابيات تدرك شـدة حب شاعرنا سعيد لوطنه وتفانيه فى هواه وتحمله للتضحية بحياته ، ان كان فى ذلك سعادة له وانعتاق من الاغلال المكبلة لانطلاقه ٠

وكانى بك تتساءل بعد ما علمت عن سعيد ابى بكر ونشاته وادبه : **ما هو**

القصيد الذي لم له نجمه ولفت الانظار اليه ؟ • فاجبيك قصيده الذي عنوانه (رفقاً بالانسان) وقد خاطب به (جمعية الرفق بالحيوان) التي تقيم الدنيا وتقعدها كلما مس أي حيوان اذى ، او ناله مكروه ••• أما ابن آدم المسكين الذي يسجن ويعدم ، لا لجرم اقترفته يداه ، بل لانه يطالب بحقه في العيش حرا كريمـا ابن آدم هذا لا تقيم له (جمعية الرفق بالحيـوان) وزنا ، ولا تحرك ساكنا للدفاع عنه •

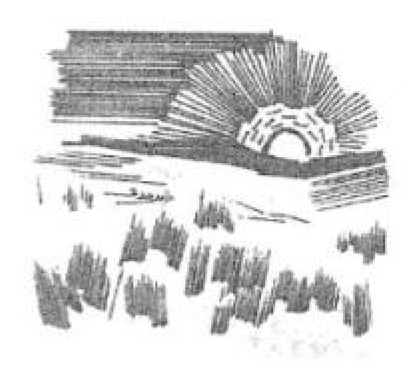
والذي حدا به الى نظم هذا القصيد ، ان (جمعية الرفق بالحيوان) المتحدث عنها ، نشطت نشاطا متزايدا بتونس سنة ١٩٢٢ ، السنة التي عين فيهـا (لوسيان سان) مقيما عاما لفرنسا ببلادنا ، فجاءنا بمهزلة (المجلس الكبير) الذي يذكر التونسيون جرائمه جيـدا ويروونها جيلا بعد جيل ، وصادف ان وقعت انذاك حادثة وحشية رهيبة ذهب ضحيتها تونسي بريء ذهب دمه هدرا •

فاستنكر التونسيون تلك الفعلة ، وطالبوا بانزال العقاب الصارم على مرتكبيها ، ولما لم تحرك جمعية الرفق بالحيوان ساكنا ، ولم تنبس ببنت شفة للمطالبة باحترام حياة الانسان وحمايته من الموت • خاطبها شاعرنا سعيد أبو بكر بقوله :

جمعية الرفق بـ (النسور) و (الديك)
ماذا عن الرفق بالانسان يلهيـك ؟
يهنيك عيشهما والامن فوقهمـا
مرحى ، فهل عيشه في الضنك يرضيك ؟
يلقى (ابن آوى) لديك المشفقين ، فهل
يلقى (ابن آدم) حظا في مساعيك ؟
كفكفي دمع الكلاب وامسحي دمع الحمير
واذا المرء اشتكى الجوع في الوقت العسير
فاطعمي (القطة) لحما • ربمـا
لم يذق ما دونه منذ سـنين

***

لا تسعديه • اذا الانسان متنقـم
منه اخوه وهذا ليس يشقيـك
يبكي بنو الشرق • والاسواط تجعلهم
صرعى • واصواتهم هيهات تبكيـك
والغرب مبتسم للقـاهم • واذا
القى السلاح البرى يثني ويطـريه





فاخبرى الناس بأرواحهم اين المصـــير
واجعلى منك الى جنسك الاسمى نصـير
ان فى الشرق شعوبا ارهقـــــوا
ليت شعرى ، هل تجـــاهلت الاثنين ؟

وبهذا القصيد وغيره تبوأ (سعيد) عن جدارة مقعده بين شـعراء بلادنا التونسـية · ولئن كانوا ينظمون فى الاحداث الهامة المعلقات ، ويسجلونها فى نفس طويل ، فان انفـــراده عنهم وتفوقه عليهم ، يتضح ايما وضوح فى (زهراته) العبقة ، وهى مقطوعات كان ينشرها تحت عنوان (زهرة بعد زهرة) مسجلا بها حادث الاسبوع ، او نكتة الساعة ، فتلقى قبولا واستحســـانا عظيمين ·· وترويها الالسنة ، وتتلقفها الاسماع · ومن هذه الزهرات نختار لك ما نظمه بعنوان « انشودة الدستورى » مصورا حيرة المستعمرين من استماتة الشعب التونسى وصموده امام عسفهم المختلف الانواع ، واصراره القوى على عدم الاستسلام لجلاديه الطغاة ، وفيها يقول :

انزل الاوصـــاب يا افق الاذى ... ان ما انزلتـــــه لم يكفنى
واجعلى يا ارض ما القيـــاته ... منك ســـما ، اننى لا انثنى
انا (دستورى) وما انزلتـــه ... من ضروب العسـف لا يرجعنى

ويركب الفرنســيون رءوسهم ، ويسطرون الخطط الجهنمية لالحاق تونس بفرنسا (الام) ··· فيســخر من شنشنتهم فى تهكم مرير ، قائلا :

ايها القائمون بالعمل المقـــوت ... هلا فحصتموه مليـــــا ؟
ليس بالسهل (هضم) تونس حقا ... بعد ان قام شعبها وتهيــــا
مزقوها اذا استطعتم ·· ولكن ... دون (الحاقها) بلوغ الثريـــا

ولعلك تريد ان تعرف ماذا كان موقف الحاكمين منه ، وهل امتد بطشهم اليه ؟

الواقع ان أيدى السوء لم تنل منه بسبب ما كان يميل اليه من مداراة ، ونقد مرير ينشره محاذرا ، متخـــذا التعمية مطية لافهام سامعيه الذين يفهمون مراميه بلا كبير عناء ·

وكما اثمرت صيحاته فى بث الوعى ومصارعة الطغيان ، اثمرت كذلك فى اخراج المرأة التونسية من غيابات التأخر والعادات التى لم تعد ملائمة لعصرنا·· فاستمع اليه يحثها على اداء واجبها فى اخراج ناشئة يكون على يدها خـروج الشعب من الظلمــــات الى النور · والانطلاق به فى فضاء الحرية الرحيب ، اذ ليس لعلله طبيب سواها ، ولا منقذ غيرها :

اواه ··· ايتها الحسناء ، ليس لنـــا
الاك منقذة من ذلك العـــــوج

هاك الشبيبة لا تستغلى عمـــــلا
قبهم ، فما صبحنا فيهم بمنبلـــــج
واستصحبى الحزم فى أخراج ناشئة
واستصحبى الحذق فى غزل وفى نسج
كونى لزهرتهم طلا يبللهـــــــا
حتى تضوع ما نرجـــوه ، من أرج
كونى لهم باعث التهذيب فى صـــغر
يخطو بأمتنا للنقه والفـــــرج
قولى لهم · قوموا العوج ، تكتسبوا
يوم الجزاء ثناء غير ذى عـــوج

واذا شئت المزيد · فما عليك الا ان ترجع لديوانه ومنشوراته ، فهى زاخرة بأدبه الحى ولن تكتمل فى ذهنك الصورة الحقيقية لشاعرنا سعيد ابى بكر الا بعد ان تعلم انه اصدر ديوانه (السعيديات) ·· وهو على عتبة الثلاثين من عمره ·· وقام برحلات عديدة الى جارتينا الجزائر والمغرب ·· وتمكن فى احداها من الوقوف على امجاد الاجداد بالبـلاد الاسبانية · واخرج سفرا عن رحلتـه تلك ، حوى ما شاهد · وما استلهم · وهو يقف على الاطلال الدوارس من عزنا الاسلامى الافل فى الاندلس الضائعة ·

وبعودته من هذه الرحلة تنفتح صفحة اخرى لسفر حياة سعيد ابى بكر: صفحة الصحفى الجرىء ، الذى سخر قلمه للتعريف بالادب التونسى · وخدمة المجتمع بما يساعده على التطور واللحاق بركب الحياة ·

ومن فوق اعمدة (النهضة) عرف التونسيون (سعيداً) محـررا · ثم متنويا متجولا فى انحاء الجمهـورية يستطلع احوالها ، ويقف على معـالم الانبعاث فى مدارسها الوطنية الحـرة المسيرة بأيد وطنية مخلصة ·· ليكتب ويتنبأ بمستقبل اسعد لبـلاد احبها ، وكرس حياته لخدمتها وبفكره وقلمه ·· فى مجالات متعددة ·

وجهاد (سعيد) الصحفى لم يقتصر على ما ذكـرته لك ، بل تعداه الى الاستقلال بعمل صحفى كان جديدا ، هذا العمل هو اصداره لمجلتى (العالم) و (تونس المصـورة) وكلتاهما من الصحف المصورة التى لم ترهما اعين القراء عندنا الا بفضل ابتكاره وصموده

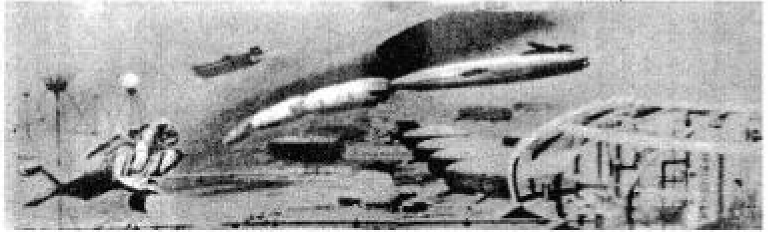
وتداهمنا الحرب العالمية الثانية ، فتخرس الالسـنة وتكف الاقلام عن صريرها ، حتى اذا وضعت اوزارها ، وبدت الحركة من جديد ، شمر هو ايضا من جديد عن ساعد الجد ، واستأنف اصدار (تونس المصـورة) فى ثوب قشيب · وعاد لمجلة الشعر فاصاخت الاسماع لمبتكراته التى طال حنينهـــا اليها ···

وتشاء ارادة الله الا يفـارق الدنيا الا بعد ان يلج ميدان التاليف المسرحى، ويؤلف رواية (الزواج الدامى) التى لم تمثل وهو على قيد الحياة : بل مثلت وهو فى العالم الاخر ·· الذى انتقل اليه فى ٢٩ يناير ١٩٤٨ ·· اثر سكتة قلبية مباغتة ، بعد خـروجه من المطبعة · وانتهائه من تجهيز العدد الاخير من مجلة (تونس المصورة) التى طويت معه الى الابد ···

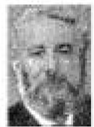
● الحبيب شيبوب ●

● تونس ●

العلم يغوص فى أعماق البحار



البحث عن القارة السابعة



جول فيرن

مجال التسابق الدولى القادم ليس فى الفضاء ، حيث يتعذر على الانسان استنشاق الهواء ، أو القطب الجنوبى ، حيث البرودة القارسة والعواصف الشديدة الهوجاء ، وانما أعماق المحيط ، حيث تكمن القارة المفقودة ، أغنى قارات العالم ، هناك سيعمل الانسان على عمق ستة أميال من سطح البحر : يزرع ويرعى الحيتان ، يربى السمك ، ويبحث عن الثروة المعدنية . وفى السباق الرهيب القادم تكمن الإثارة ، والمغامرة ، والغموض ، والمجهول ... والجبال المتقطعة الظل ، وأساطير عرائس البحر ، والوحوش البحرية الغامضة ، فى عوالم لم تطأها قدم انسان من قبل !

محمد محسن

منذ أكثر من قرن ، فتن الكاتب الفرنسي العبقري جول فيرن ، العالم بقصته « ٢٠ الف فرسخ تحت الماء » ، حيث صور خياله العبقري رحلة الغواصة نوتيليوس ورجالها الذين يستكشفون الاعماق ، ولكن ما كان قصة خيالية بالأمس يتحقق الان ...

أولئك الذين يمارسون هواية الغطس لديهم فكرة عن جمال الاعماق ... وأولئك الذين يمارسون حرفة الغطس يعرفون الكنوز التي تطويها الاعماق ... ولكن كل هذا الغوص لم يتعد المناطق « الضحلة » حتى الان ، اما الاعماق فلا تزال سرا مغلقا ... وان كانت وسائل الانسان العلمية قد أطلت عليه ، فقدمت للبشرية امكانيات هائلة للثروة والغذاء والحياة !

ومن الغريب أن عالم الانسان المأهول لا يتعدى ربع مساحة عالمه ، أما البحار والمحيطات التي تشغل ٧١٪ من مساحة عالمه ، فقد حال بينه وبينها شبح الغرق الرهيب ... هذه « القارة » المائية الهائلة ، بدأت تكشف أسرارها الان ...

وعملية كشف الاسرار هذه تتطلب جهود علماء الطبيعة والكيمياء وعلم الاحياء والجيولوجيا والهندسة مجتمعة في علم جديد اسمه « علم المحيطات » . عالم الطبيعة يفكر في استغلال مياه المحيط الهائلة في ري الصحاري ، وعالم الكيمياء قد يكشف اسرار الحياة المالحة ، والجيولوجي فقد يجد الجواب على لغز اصل الارض ، ويستغل مناجم المحيط الهائلة ، والبيولوجي يهمه نبات البحر وحيوانه ، في عالم يخيم عليه شبح الجوع ... وكل هؤلاء يلجأون للمهندس البحري ، ليبني لهم سفنا تمكنهم من ارتياد الاعماق ...

ورواد عالم المحيطات روس وامريكان وانجليز وفرنسيون وألمان

البحث عن القارة السابعة


نموذج للغواصة جول فيرن نوتيليس التي اطلقت خرافة البحث في اعماق البحار

ويابانيون وسكندنافيون . والعلم نفسه قد يكون في المستقبل مظهرا للتعاون البشرى في سبيل خير الانسانية ، وقد ينقلب الى صراع رهيب للسيطرة على ثروات البحر . وقد اجتمع مندوبو ٨٦ دولة في جنيف ، لدراسة هذه المشكلة ، ولكنهم للأسف لم يتفقوا .. وكانت النتيجة أن حددت كل دولة مياهها الاقليمية كما يحلو لها : ٢٥ دولة حددت مياهها الاقليمية بثلاثة اميال ، وحددها آخرون باثنى عشر ميلا .. أما بيرو فحددت مياهها الاقليمية بمائتى ميل !

ولكن هذا الصراع على صيد السمك ، حفز الدول في مطلع القرن العشرين الى تحديد صيد بعض الحيوانات البحرية ذات الفراء الثمين ، بعد ان كانت هذه الحيوانات تنقرض . وفي عام ١٩١٩ تكونت جمعية عالمية لعلوم البحار ، لدراسة الأخطار البحرية ... وبعد الحرب العالمية الثانية زاد اهتمام دول العالم بالتعاون البحرى ، وقامت الامم المتحدة ببعض الجهد في رسم خريطة سمكية، فضلا عن الارصاد الجوية وتلوث البحار .

ولقد كان العلماء هم اول من ادركوا ان المحيط اوسع من أن تسيطر عليه دولة واحدة ، لذلك اجتمع الفان منهم عام ١٩٥٩ في مؤتمر عالمي للمحيط ، اسفر بعد ذلك عن اجراء دراسات قيمة في المحيطين الاطلنطي والهندى . وخرج العلم بالفقه الانساني الواسع ، عن تعقيدات السياسة ، واعلن ان الصالح العام ابقى ، وبدلا من ان يصبح المحيط مقبرة للسفن والرجال ، يصبح كنزا مباحا للجميع .

ومن الطبيعى أن يرتبط علم المحيط ارتباطا وثيقا بالغوص تحت الماء ، ومحاولة البقاء هناك أطول مدة ممكنة ... وأول محاولة للغوص تحت الماء كانت منذ ٢٩٠٠ سنة ، حيث كان غواصو اللؤلؤ في آسيا يغوصون بحقائب مملوءة بالهواء ومتصلة بأنابيب الى فم الغواص .. أو بمجرد انابيب تمتد الى سطح الماء . وفي عام ١٤٩٠ اخترع ليوناردو دافنشي أول جهاز غطس ، وفي عام ١٦٨٠ اخترع الايطالي جيوفاني بوريللي جهازا للغطس يعتمد على حقيبة هواء تشبه حقيبة الاسبيريين ، وفي سنة ١٨١٩ اخترع الالماني اوغسطس سيب اول خوذة غطس يدخلها الهواء بالضخ من سفينة على السطح ، وفي سنة ١٨٣٧ ادخل بعض التحسين على الجهاز ليستخدمه الغواصون بعد ذلك قرنا كاملا ، وان بقي للجهاز خطران ... خطر الموت بفعل الطفو المفاجيء ... وخطر الموت بفعل الغطس المفاجيء ... ثم ادخلت تحسينات كثيرة بعد ذلك على الجهاز بحيث اصبح اليوم يستخدم بأمان ... وافضل جهاز للغطس الآن هو الـ « سكوبا » ، وهو بذلة من الجلد تقى الغواص من برودة الاعماق ، وانابيب الهواء المضغوط تحمل على الظهر لتزود الغواص بحاجته من الهواء ... والسكوبا تمكن الغواص من العمل على عمق ٢٠٠ قدم ، لعدة ساعات !

وأول غواصة اخترعها الهولندى كورنيليوس فان دريبل سنة ١٦٢٠ ، وكانت من الخشب والجلد والقار بالتجديف اليدوى ، لتغوص ١٥ قدما تحت سطح الماء . وخلال حرب الاستقلال الامريكية ، اخترع الامريكي دافيد بوشنيل « بيضة » تغوص يدويا باستيعاب الماء ، لتبقى تحته لمدة نصف ساعة ، ثم تطفو بالتخلص من الماء ... ولم تفلح « البيضة » في سنة ١٧٧٦ في اغراق سفينة حربية بريطانية راسية في ميناء نيويورك ، ولكنها افلحت في

البحث

عن

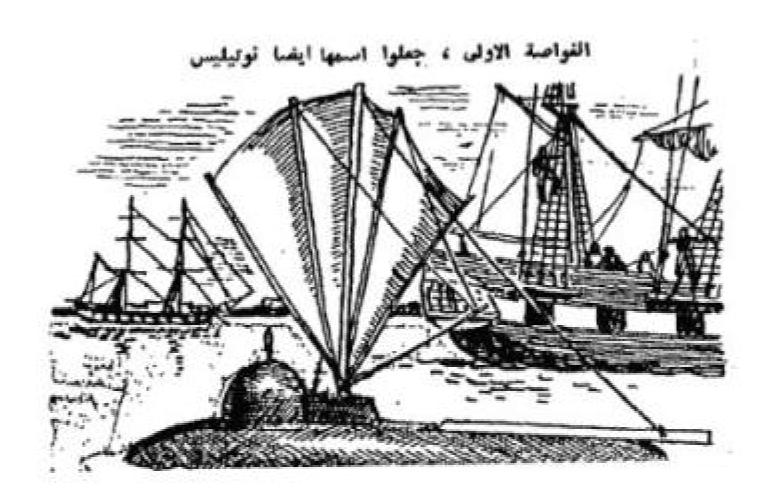
القارة السابعة

ان تكون أول غواصة في التاريخ ...
وفي سنة ١٨٠٠ اخترعت الغواصة نوتيليوس – والاسم مستمد من قصة جول فيرن – التي افلحت في اغراق سفينة امام عيني نابليون ثم طورت الحرب فكرة الغواصة حتى ظهرت الغواصة الذرية نوتيليوس – والاسم مستمد ايضا من قصة جول فيرن – في سنة ١٩٥٥ ،ففتحت آفاق الاعماق للعلم بلا حدود

غير ان العلماء لا يزالون يفضلون « كرات الغطس » – باذي سفير – التي تغوص الى عمق ٢٠٢٨ قدما ، وتتصل بسفينة السطح بحبال، وانابيب للهواء ، وخطوط للتليفون ، وبها نوافذ تمكن العلماء من مراقبة كل شيء حولهم ... ويفضل واحدة من هذه الكرات،، شاهد العلماء لأول مرة الاسماك المضيئة ، التي اثارت اهتمام العالم باحياء الاعماق المائية. وفي سنة ١٩٤٠ ظهرت كرة « جديدة » هي « باذي سكاف » ، هبطت في سنة ١٩٥٤ الى عمق ١٣٢٨٧ قدما قرب سواحل داكار ، وفي سنة ١٩٦٠ هبطت الى عمق ٣٥٨٠٠ قدم في المحيط الهادي ... وتعتبر « الباذي سكاف الفرنسية » « ارشميدس » اقوى هذه الكرات واعمقها غطسا ...

وهناك ايضا سفن الغوص المتحركة « الالومينوث » غاصت الى عمق ١٨ الف قدم ، وقطعت ١٠٠ الف ميل من اعماق المحيط في ٣٦ ساعة ، وكانت دراسة الاعماق تجرى فيها من النوافذ ، وبالتصوير التليفزيوني .. ولها ذراعان لجلب عينات من قاع المحيط لدراستها في المعامل على سطح الارض ... هذا فضلا عن « سيارة الاعماق » الامريكية ، ذات الاذرع ، وهي قادرة على جلب عينات وزنها ٥٠٠٠ رطل من عمق ٢٠ الف قدم ، ولها اجهزة تقوم بالقياس والتسجيل والتصوير !

الغواصة الاولى ، جعلوا اسمها ايضا نوتيليس



واول بحوث حقيقية فى اعماق المحيط اجراها الامريكى ماثيوفونتين مورى ، الملقب بابى الاعماق ، وكانت دراسته على الاسماك والنباتات البحرية فى الاعماق الضحلة ، ولأن أجهزة الغطس العميق لم تكن قد اخترعت بعد . وكان المعتقد أن الاعماق تحت الف قدم لا تحوى حياة ، ثم زعم البريطانى جون روس انه اصطاد سمكا صغيرا من عمق ٦٠٠٠ قدم سنة ١٨١٧ . غير ان مؤسس علم المحيط هو السويسرى لوى أجاسيز ، الذى اقنع الولايات المتحدة سنة ١٨٤٨ بانشاء أول معهد للاحياء المائية فى ولاية ماساشوستس ... واول رحلة علمية بحرية قامت بها السفينة البريطانية تشالنجر سنة ١٨٧٢ ، واستغرقت ثلاث سنوات ونصف سنة فى بحار العالم، وضعت خلالها اساس علم البحار ، وجمعت اكثر من ٤٧١٧ « عينة » جديدة من احياء البحار..

وتبع ذلك رحلات كثيرة : رحلة السفينة النرويجية فرام سنة ١٨٩٣ ، التى قطعت خلالها ١٠٢٨٠ ميلا فى ثلاث سنوات حول القطب الشمالى ، ورحلة السفينة الالمانية ميتيور التى قامت بين سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٧ بدراسة كاملة للمحيط الاطلنطى .

واول صورة للاعماق التقطها عالم الاحياء الفرنسى لوى بوتان سنة ١٨٩٠ ، وخلال التصوير عانى من المشاكل التى لا يزال يعانى منها مصورو الاعماق اليوم ، وهى الظلام ، وثقل الماء ، وتغير المقاييس، فالاشياء تبدو تحت الماء اكبر من حقيقتها بمقدار الثلث ، واقرب من حقيقتها بمقدار الربع ، فضلا عن تحرك الماء المستمر . وفى سنة ١٩٢٦ التقط الامريكيان لانجلى ومارتن ، اول صورة ملونة للاعماق ، وجرى التصوير ليلا ، بمعونة مركب كيماوى مضيء ، لأن ضوء النهار يخفى الالوان كلما زاد العمق ، فالاحمر يختفى تماما على عمق ١٠٠ قدم ، والاصفر يختفى على عمق ٣٠٠ قدم ... وعلى عمق ٤٠٠ قدم لا تجد سوى الالوان الزرقاء والخضراء !

وفى سنة ١٩٥٦ التقط اول فيلم سينمائى للاعماق ، بمعونة اضواء اسطع من الشمس ، ثم استخدم الانجليز التصوير التليفزيونى للبحث عن غواصتهم الغارقة فراى تحت الماء ... ثم استخدم فى مراقبة الاحياء المائية بعد ذلك . وبمعونة الكاميرا ، امكن اثبات ان الاعماق تحوى حياة ، فعلى عمق ٢٤٦٠٠ قدم من ساحل العاج اثبتت الصور ان هناك حياة

وكان الاعتقاد السائد ان قاع المحيط سهل منبسط ، حتى اثبتت الدراسات التى اجريت بأجهزة السونار لقياس الاعماق ، وجود سلاسل جبال « شاهقة » ، واخاديد عميقة ، وانهار « من الطين وحول قارات العالم حزام عرضه ٣٠ ميلا من الاعماق الضحلة ، وفجأة يهبط القاع الى اعماق سحيقة . وفى الاعماق الضحلة ثروة حيوانية هائلة ، وفى الاعماق السحيقة ثروات معدنية هائلة ، ايضا . وبطول المحيط الاطلنطى من الشمال الى الجنوب ، تمتد سلسلة جبال ارتفاعها ١٤ الف قدم وطولها اكثر من ١٠ الاف ميل ... وفى المحيط الهادى ايضا سلسلة جبال ارتفاعها ١٤ الف قدم ، تبرز بعض قممها على سطح المحيط على شكل جزر مثل هاواى وجوام . وجبال المحيط الهادى « حية » حافلة بالبراكين ، اما جبال الاطلنطى فهى خامدة . ووسط كل هذه الجبال اخاديد عميقة ، تصل احيانا الى عمق ٣٠ الف قدم ... وتبعث الاعتقاد بأن قارات العالم تتباعد عن بعضها !

وعلى قاع المحيط اشياء غريبة : صخور القتها انهار العالم فى القاع ،

البحث عن القارة السابعة

واخرى طارت من افواه البراكين ، ومعادن واسنان اسماك ، وقطع معدنية مضيئة هبطت من الفضاء الخارجي .

وصخور القاع مختلفة الالوان والاحجام : الصخور الحمراء والزرقاء ، والخضراء حملتها الانهار والبراكين ، وهي غالبا قريبة من الشواطىء . وفي اعماق القاع نجد هياكل الحيوانات والنباتات مختلطة بالرمال .. وفي أعماق الاعماق طين احمر مختلط ببقايا حيوانية ونباتية وقواقع

وفي القاع كميات هائلة من المعادن .. البترول امره معروف الان

المعادن الثمينة كالذهب والفضة والحديد موجودة بوفرة ... تنتظر من يخرجها باقل التكاليف ...

امريكي يدعى صامويل كولينز يستخرج الماس قرب الشاطىء الجنوبي الشرقي لافريقيا : « يشفط » طين القاع ويغسله فيظهر بريق الماس ! ... جنوب افريقيا وروسيا تقومان بنفس العمل ... بل وتؤكدان ان قاع البحر اغنى خمس مرات من اى منجم ارضى !

امريكي اخر – دكتور ميرو – يستخرج المنجنيز بنفس الطريقة ، وهو يؤكد ان في قاع البحر ١٦ مليون ميل مربع من هذا المعدن ، وان معادن البحر تجدد نفسها ، بعكس معادن الارض التي تنفد بسرعة

وفي القاع مواد أولية ، في اعشاب البحر واسماكه واسنان اسماكه المفترسة ، تصلح لكل الاغراض من الصابون الى الدواء

●●●

وفي الاعماق طاقة : حركة المد والجزر والتيارات المائية يمكن ان تولد كهرباء تضىء سطح الكرة الارضية بارخص الاثمان . الفرنسي روبير جيرات يولد الكهرباء من السيطرة على المد قرب مدينة سانت مالو الفرنسية ، وغيره يستخدم اشعة الشمس في تحليل عنصرى الماء ، الايدروجين ، والاوكسجين ، ثم يعيد تركيبهما فتنتج الكهرباء .. وهناك مشروعات ازالة الملوحة من المياه ، لري الاراضي ... والحصول على منجم ضخم من الاملاح !

وفي الاعماق كنوز غارقة : غطاس يوناني وجد سفينة غارقة من ٢٢٠٠ سنة على عمق ٩٠ قدما من قاع البحر الابيض ، وقرب مدينة قرطاج بتونس اكتشف الفرنسي كوستو مدينة غارقة ، وقرب مرسيليا اكتشف سفينة رومانية عمرها ٥٠٠ سنة اخرج منها قدورا لا تزال مملوءة بالنبيذ ... وهناك الوف اخرى من السفن والمدن الغارقة ، بكل اسرارها وكنوزها !

ولقد الفت كتب كثيرة عن الاحياء البحرية ، ولكنها فشلت جميعا في تفسير منشأ الحياة في قاع البحر منذ ٣ بلايين سنة . دكتور ملفين كالفين حدد في سنة ١٩٦٥ كائنات بحرية عمرها ٢٧٠٠ مليون سنة . والحياة في القاع تتآكل : القوى يأكل الضعيف . واهم حياة هي البكتيريا التي تعيش بكميات هائلة ، وتصنع غذاء الاسماك الرئيسي البلانكتون .. وهو الوف من النباتات والحيوانات الحية ! .

واعشاب البحر هي امل البشرية

فى القضاء على ازمة الغذاء • الصينيون القدماء كانوا يستخدمونها فى صناعة الدواء ، واليابانيون المعاصرون ينشئون مزارع لها ، ويطهونها وياكلونها ••• وفدان اعشاب البحر ينتج من ٢٥ الى ٥٠ ضعف محصول فدان واحد من القمح !

وفى القاع حيوان الاسفنج ، والمرجان بالوانه الجميلة هو حديقة القاع ••• والدود الذى يبلغ طول الواحدة منه ٧٥ قدما ، والنجوم والقواقع بانواعها ، والاخطبوط الضخم ••• ويخرج الصيادون من البحر ٩٠ مليون رطل من الاسماك كل عام : اسماك تختلف الوانها واحجامها ، منها ذو المنقار والمخلب ، وذو الاجنحة والاعمى والمبصر ، وذو الفم والانياب والمفترس ••• واللعوب كالدرفيل الذى لا يقل ذكاء عن الانسان !

واسماك البحر منها الملون ومنها المشوه ، ومنها ما يقضى بعض حياته فى المياه العذبه والبعض الآخر فى المياه المالحة •••

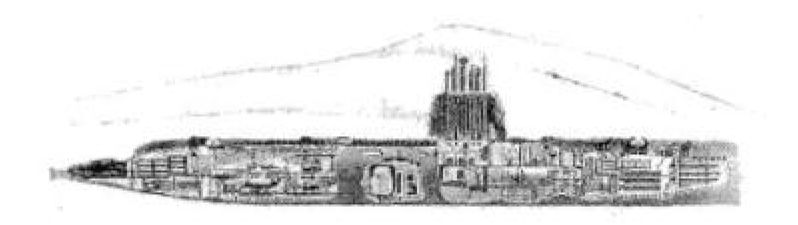
وهناك وحوش البحر : اسماك طولها اكثر من ٨٠ قدما ، لها انياب قاتلة ، وهناك وحوش « صغيرة » ، تستطيع معدتها ان تتمدد لتبتلع انسانا بالغا طوله ضعف او ثلاثة اضعاف حجمها ••• واسماك « مدرعة » واخرى رخوة هلامية تنفلت من اى خطر !

وفى الماء سر الحياة : فيه ظهرت اول اشكال الحياة منذ بلايين السنين ••• وبفضل المياه امكن حفظ الحياة فانها تحتفظ بحرارتها مدة اطول ، فتلطف جو الارض وتجعله صالحا للحياة ••• والماء هو الذى يحفظ هواء الارض نقيا رطبا ••• ولكن لكثرة الماء يأخذه الانسان قضية مسلمة

وكل قطرة ماء مكونة من ذرتين : ذرة من الايدروجين وذرة من الاوكسجين ، فضلا عن العديد من الاملاح الذائبه، ومع ذلك لم يفلح الانسان حتى الآن فى صنع الماء الملح فى المعمل ، ومن المؤكد ان يظل ماء البحر سرا مغلقا لاجيال كثيرة قادمة ••• ولكن الانسان قد يفلح فى فصل الاوكسجين، ويوفر هواء صناعيا يمكنه من البقاء تحت الماء الى ما لانهاية ، فينشىء مدنا ومزارع ومصانع ••• ويعيش دون ان يخشى الغرق !

فى قاع البحر تكمن الآفاق الواسعة لمستقبل الانسان •••

يقول العالم الفرنسى جاك ايف كوستو : « فى يوم ما سوف يرتاد الانسان قاع المحيط سيرا على الاقدام •• او فى سيارة خاصة وهو فى امان تام » ! ••



سعد درويش



مرثية الحب

– ١ –

صغيرتي .. عز عليك الوفاء
كذبت احلامي وخنت الرجاء
الذنب ذنبي يوم صدقت ما
زيفت من اقنعة الكبرياء
وقلت في نفسي : هذي التي
صادقها فكري قبل اللقاء
هذي التي عشنا لها عمرنا
نرقب في الغيب خطاها البطاء
القى لك القلب مقاديره
وقال : يا احباب نجمي اضاء
اليوم عيدي .. باركوا فرحتي
يامن على الارض ..ومن في السماء
رد الصدى مستهزئا : انت ما
احببت الا امرأة كالنساء !

– ٢ –

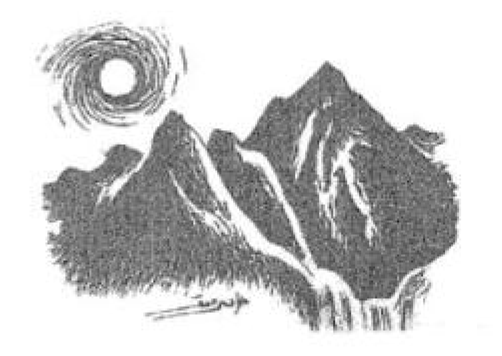
يا قلب .. هل تاسى على غادره
سادرة في غدرها سادره ؟
سارت على جرحك مختالة
تخطر فوق الطعنة الغائره
حتى شعاع الشك ضنت به
عليك في ظلمتك الكافره
تقول : اني حين احببتها
كانت مثال الطفلة الطاهره
اقول : لا .. هذا خداع الهوى
اضفى عليها الصورة الساحره !

— ٣ —

احبيــت غـيرى لا يرى رؤيتى
لســت بعينيــه ســوى دميـة
لست له روحـا .. كما كنت لى ..
تنبض بالنــور وبالرحمــة
لست له .. ما كنت لى .. كـل ما
ناجيت فى حلمى وفى يقظـــتى
هجـرت محـرابى الى وكـره
زائفـة الاحسـاس والخطـوة
ناســـية انك انت الـتى
اغفت لهـا الاعـين من هيبـــة
يا ويلتى .. ما بيـدى انـنى
ارجع ما ضـاع بلا رجعـــة
قد كنت اهـواك فـلا تسرفى
فى بذل ذاك الـكنز يا طفـلتى !

— ٤ —

احببت غيرى ؟ يا ضـياع السنين
يا عمق ذاك الجـرح لو تعلمـين
يا وحشــة الافـق هوت شمسه
فانبعثت تبـكى طيـور الانين
يا غـربة السارى .. بلا غـاية
يمضى .. ولا من مؤنس او معـين
فى ذمـــة الله زمـــان مضى
من بعـد ان عـلم قلبى الحنين
ابكيك ؟ لا .. انى بـكيت الهوى
يكفيك ان كنت من الغـادرين ! !





قصة

■ محمود البدوي ■

الكمنجة



كان المطر يتساقط بغزارة خارج القطار ، والشمس تطلع وتغيب .. وكان المطر يتقطع ، والبرودة في الشارع على أشدها .

وكان « إسماعيل » قد وصل القطار مع شروق الشمس .. جاء في عربة أجرة حملته من الفندق وتساءل من نافذة السيارة بعض أسماء المدينة (١) المبللة التي كان قد شاهدها وهو جالس في عربة القطار ، ورآها بمنازلها البيضاء ، وشوارعها النظيفة ، وأسوارها الواطئة ، ومروجها الخضراء .. أعجب بكل ما فيها من جمال رغم شباب الصباح وبرودة الجو .

وعندما نزل من السيارة وبقي المطر ينهمر بلطف ، ووضع حقيبته في غرفة الأمانات ، وأبقى الكمنجة في يده وانطلق طليقا من كل القيود في المدينة الكبيرة ، فأمامه ساعتان على موعد سفره ويستطيع في خلالهما أن يفطر ويقرأ الصحف ، ويتنزه في الشارع حتى يكف المطر .

وكانت مناظر الطبيعة حول القطار الهادئة تريح الأعصاب وتبعث السكون في النفس .. فالتلال المحيطة يكسوها العشب

(١) أغفل المؤلف اسم المدينة الغربية عن قصد

الاخضر الذى استقام للمطر ، واصبح كبساط الحرير ، والرياح العاتية تحرك فروع الصنوبر ، واشجار الحور واللبلاب وتجعلها تتمايل وتغنى فى ايقاع جميل.

وعلى مدى البصر منازل بيضاء صغيرة ، تناثرت على التلال الزمردية ، وبين المروج والورود من غير زحام، ولا اختناق ، فحركت مشاعره ، واشتاق جدا أن يضمه بيت منها .. فقد عاش شبابه فى قلب الزحام الخانق .

شاهد المنظر فى جملته من وراء الزجاج وهو يصعد السلالم الى المقصف لياكل ، فتمهل ماخوذا من روعة المشهد ونسى الجوع .

وعندما وقف أمام العاملة ، وطلب حاجته متحدثا بالفرنسية وجدها تتحدث بالعربية، وسمع كلمة « صبح » فانشرح قلبه ، واكل فطيرة وشرب القهوة ، ثم رجع الى الصالة وابتاع صحيفة يومية وجلس يقرؤها ويدخن .



وكانت الحركة فى بكرة الصباح خفيفة ، ثم أخذ المسافرون يملأ ون الساحة .

وكانت لوحة المطار المضاءة ... ترتعش كلما حانت ساعة السفر ، فيتحرك رهط من المسافرين ويندفعون الى الصالة الداخلية ، وبأيديهم جوازات السفر وحقائب اليد .

ولمح من بعيد ثلاث مضيفات ينسبن أنسيابا الى داخل المطار ، وهن يرتدين العباءات الصوفية ولم تكن بينهن « ثريا » .

فجلس ينتظرها وقلبه يخفق ، ثم رآها بعد ربع الساعة تتهادى وحدها فى الصالة بزيها الازرق الجميل . واستقبلته فرحة وسالته :

ـ أعجبتك الغرفة ؟.

ـ جميلة للغاية . ولولا فضلك لنمت فى الشارع ..

ـ الفنادق هنا مزدحمة طوال السنة . وندر من يعثر على غرفة وعلى الاخص فى الشتاء ...

ـ وأنت أين نمت ؟

ـ مع زميلة لى فى الشركة ... حدثتها عنك ، وعن الضيق الذى صادفك فى الليل، فشمتتى الى سريرها..

ـ أنت كريمة ... فكيف تتعبين !

ـ شكرا ... أتريد السفر اليوم حقا ؟ .. الغرفة تحت أمرك أن طابت لك الاقامة هنا اياما أخر ...

ـ لقد طوقتنى بفضل لا ينسى . وأنا فى مهمة محددة بالساعة ، فلا بد من السفر ...

ـ اذن ساحجز لك .

ـ أجل ...

ـ والى روما أولا ؟

ـ أجل . الى روما أولا كما اتفقنا .

ـ حاضر ...

وأعطاها جواز السفر والنقود ، ودخلت المكتب ، وعادت بالتذكرة ، فنظر فيها ، وسأل :

ـ الساعة الواحدة؟ كنت أحسبها التاسعة !

فقالت بدلال :



- هذه طيارتي ...
فهل تريد الاخرى ؟

- ابدا ... كم انا غبي !

وضحكا ...

ونظر الى عينيها الخضراوين ، وهي تضحك ، وقد تلونتا بلون البنفسج ، واشتد بريقهما ، وفاض وجهها كله بالسحر .

وعجب لنفسه كيف تطور الحال بينهما بسرعة الى هذه المودة .

وقال لها بلطف :

لقد نزلت في هذه المدينة لأراك ...

- اعرف هذا ...

- وفي السنة الماضية تركتني في المطار حائرا لا اعرف طريقي، اما في هذه السنة فقد نزلت لي عن غرفتك في الفندق . فما اعجب طباع النساء ...

- في السنة الماضية كان معك في نفس الطائرة فوج من الحجاج . وقد شغلت بهم عنك ، لانهم لا يعرفون الفرنسية ، فدونت لهم بطاقات الجوازات كلها ، والا لناموا جياعا في العراء ..

- اعرف قلبك الرحيم ...

- وهل غفرت لي بعد ان عرفت السبب ؟!

- بالطبع ...

- والان انا راجعة الى المدينة لبعض الشئون . وساعود في الحادية عشرة ...

- ولماذا جئت مبكرة اذن ... طائرتك في الساعة الواحدة بعد الظهر ؟...

- جئت لاحجز لك تذكرة ، فانا اعرف الزحام في هذه الايام ...

- شكرا من القلب.
وسلمت ومضت في رشاقة الى خارج المطار .

***

واقلعت الطائرة في جو جميل ... وجلس « اسماعيل » في مكانه بعد ان وضع الكمنجة بعلبتها أمامه ، ثم استلقى وأخذ يدخن مطلقا العنان لافكار الشباب واحلامه ،وكانت عيون الركاب على اللوحة المضاءة التي تسمح بالتدخين ثم تمنعه ، وقد شغل معظمهم نفسه بالمطالعة او التحدث الى جاره..

وكانت « ثريا » تروح وتجيء في حركتها الرتيبة التي تقوم بها في ممشى الطائرة مئات المرات دون أي انفعال غالب .

ولكن في هذه المرة شعرت بالاضطراب ، وبالاضطراب الشديد الذي خلخل ركبتيها وهي تسير لقد خشيت أن يحدث حادث للطائرة وفيها « اسماعيل » ، لاول مرة تشعر بالخوف من حوادث الطائرات ...

لقد انتابها مثل

هذا الاحســـــاس منذ سنوات عندما طارت فى أول عهدها كمضـــيفة خافت وارتعش بدنها ، ولكنها لم تكن تشعر وقتذاك بمثل هـــذا الاحســاس الرهيب المدمــر الذى تحس به الآن ..

ارتعشت وشـــعرت بالخوف يكاد يشــل حركتها وعملها ،فراحت وجــاءت فى ممشى الطائرة لتقـــاومه وداعبت الاطفـــال ، وتحدثت مع النساء ..

ثم اســتقرت واقفه خلف مقعده ، وكأنهـا تطـوقه وتحميه من كل سوء ...

وأخذت تسائل نفسها .. هل يعرف شعورها ... هل يحس ضربات قلبهـا ... لقد التقت بمثله من الشبان العرب فى الطائرة وفى الارض .. ولكن ما من واحد منهم امتلك نفسهـا ، ووجدانها كما فعـــل هو ...

فى السنة الماضـية عندما هبط من الطائرة فى نفس المدينة وكانت وقتها تعمل مضيفة على الارض ، مر سريعـــا كالطيف ... ولــــا فرغت من أمر الحجاج وتلفتت لم تجـده ... واحست بغصــة فى القلب ، ولكنهـا كانت على يقين انها ستلتقى به مرة أخرى ، وحدث هذا بالفعل ، وها هما الآن فى مكان واحـــد بين الســماء والارض يطوقهما حزام واحد ، ولما نهض ليذهـــب الى دورة المياه ، قالت له مداعبة :

ـ لا تتحــرك كثيرا ، والا تحســبك فدائيا ونقبض عليك !

وضحك ... وكانت الكمنجة بعلبتها لاتزال فى يده فقالت ضاحكة:

ـ ستعزف بها لحنا هناك ؟

وضحك وناولهــــا الكمنجـــة ... ولاحظ وهو راجع الى كرسيه وجود شـــخص فى الصـــف الثالث من مؤخرة الطائرة ، تذكر انه رآه من قبل ، فى « لنـــدن » .. وفى « بـــاريس » .. وفى « طنجه » ، فهل هـــذا الرجل يطارده أو هـــو سفر طبيعى للرجل؟ ..؟

وشعر بالضيق لانه فى مهمـــة وطنية ولا يريد ما يعوقها ، وهو مسافر يقظ فى تحركاته منذ عمله الاخيـــر فى برلين ، فكيف يحـــدث هذا ؟ وهل يتبعونه ؟

من هذه اللحظة وهو لا يدرى ؟

وظلت الخـــواطـــر تطارده فى عنف ... ولكنه تمالك أعصابه، وتحرك من مقعـــده مرة أخـــرى ، واتجه فى الممشى الى الامام ليواجه الرجل وهو راجـــع ويقرأ تعابير وجهه .

وعاد وهو يتعمـــد التحديق فى طلعـــة الرجل ، ولعلــه بدافع باطنى كان يتحداه .

***

ورجع « اسماعيل » الى كرســيه وهو يفكر فى الخطر الذى يحدثه الرجل للطائرة بســببه وفيها الكثير من النساء والاطفال ...

وشعر بالعرق يتفصد على جبينـــه .. ودار بخلده أن الرجـــل يســـتطيع أن يفعلها بســـهولة لانه يجلس خلفه ...

اما هو الجالس فى الامام ، فلابد ان يقف ويستدير ، وفى اثناء هذه الحركة يستطيع الرجـــل ان يرديه فى



ثوان قبل ان يطلق هو طلقة واحدة ...

وبحث بعينيه ، وهو ملتهب المشاعر ، عن مقعد خال في الخلف لينتقل اليه . ولكنه وجد ان الحركة ستكون لافتة للنظر ومنبهة للرجل نفسه . ومع كل لم تكن هناك مقاعد خالية في الصفوف الخلفية على الاطلاق .

وجلس محاذرا مهيئا نفسه لكل المفاجآت ... ويده على الكمنجة . وهو يسأل نفسه كيف تسلل هذا الرجل .. الى بلد عربي ايضا ، وظل يطارده من طنجة، حتى ركب معه هذه الطائرة وهو في غفلة عنه .

ولعن الصهيونية وايامها وجرائمها وحروبها ... لقد تحول الجو الآمن في الطائرة الى رحلات قلق وعذاب بسبب وجودهم.

ولماذا لا يفعلها هو في ثوان ويتخلص من الرجل ، ولكنه قد يصيب بريئا ، وقد يسبب كارثة للطائرة بمن فيها .. ومن يدريه ان الرجل وحده؟

ومن يدريه ان الرجل نفسه يطارده ، ربما كان الامر كله مجرد شبهة لا تستند الى دليل ...

ظلت هذه الخواطر تدور ، وتعصف برأسه وحده ، ولم تكن صديقته « ثريا » تعرف حاله وهي رائحة غادية في الطائرة في نشاط ومرح ، وان لاحظت شروده ، وحملت له الشراب الساخن والبارد اكثر من مرة . والابتسامة على شفتيها وعينيها ...

●●●

وتواعدا على اللقاء في مكان عينه لها في « روما » . بعد ساعة من هبوط الطائرة . لانه سيغادر « روما » في الصباح ، ولانها مثله ستقضي فيها هذه الليلة فقط ، وتعود بطائرتها في الصباح المبكر ايضا .

وفي مطار روما كان « اسماعيل » آخر من هبط من سلم الطائرة، و « ثريا » واقفة على الباب تهنئه بسلامة الوصول ! ..

ولم يركب عربة شركة الطيران ، ليبتعد عن الرجل ، ويتيه في قلب المدينة الضخمة .

●●●

وجاءت « ثريا » الى المقصف الذي اختاره « اسماعيل » وكانت ترتدي معطفا بنيا وحذاء من لونه ، ومشت رشيقة كالعروس وحقيبتها في يدها ، الى ركن هادىء في المقصف ...

والشتاء في الخارج شديد البرودة ظاهر السحاب ، وتعشيا ، وجلسا يتحدثان كعاشقين حالمين ويده تلامس يدها ، وأنفاسه تمتزج مع انفاسها حتى نسيا نفسيهما . ومضى جزء كبير من الليل . وابدى رغبته في ان يطوف في جولة بالسيارة في انحاء المدينة وهي تتلألأ في الليل ، فوافقت منشرحة وخرجا الى الطريق ، والساعة تقترب من منتصف الليل والرياح باردة ... وسمع « اسماعيل » وقع خطوات وراءه . ولما تلفت ، رأى نفس الرجل الذي كان قد شاهده في الطائرة ، فضغط على اعصابه وفكر سريعا في هدوء حتى لا يسبب الضرر « لثريا » ... ،

ومرت بجانبهما سيارة أجرة فأوقفها وركبا ، وقال لها انه مضطر أن يعدل عن الجولة وأن يذهب بها الى فندقها في الحال ، ولما سألته عن السبب حدثها عن الرجل الذي يطارده والاخطار التي ستتعرض لها بسبب وجودها معه

فقالت له :

ـ مستحيل أن

اتركك وحدك فى هـذا الليل ...

ـ اننا ندفع ثمـــن أخطاء الآخرين ، فما ذنبك أنت ...

ـ مستحيل أن اتركك وحدك ...

وأصرت على مرافقته الى حيث يذهـــب وأن تظل بجانبه مهما كانت المخاطر ، وفى الصباح سيسافران معا ...

وخضع أخيرا لرأيها ودارت بهما الســيارة دورات ثم حملتهما الى حيث ينزل

***

وخلعت معطفهـــا فى غرفته بالمنزل ، وجلست على الاريكــــة وهى تشعر بالدفء والامان.

وجلس بجانبها يحادثها وهو شـــاعر بأن كل ما فى الدنيا من سعادة قد تجمع فى هذه اللحظة وحـــدثته عن أسرتها العـــربية ، وكيف عاشت ثمانى سنوات فى فرنســا وهى طفلة مع الاسرة ، فلمــــا رجعت الى بلدهـــــا العــــربى وكانت لا تعرف غير الفرنسية، ثم تعلمت العـــــربية كانهـــــا اجنبية ولما تخرجت فى الجامعـــة وجدت ان انســب عمل لها هو المضيفة لانهــا تحب الســفر ومشاهدة العـــالم كله . وقد شاهدت حتى الآن نصفه فقال مبتسما :

ـ وستشاهد النصف الثانى معا ...

ـ حقا ؟!

ـ حقا !..

وفهمت قصده وظهرت الفرحة فى عينيهــــا وخديها .. وقســـمات وجهها الصغير ، كان وجهها الصغير يعبر عن الطفولة والبـــراءة ، وقوامها المشـــوق ، ونضـــارة بشرتها ، وسرعة حركتهـــا فى المشى على الارض وفى قلب الطـــائرة . تدل على انهــا هاوية تنس قبل ان تكون مضيفة .

وكانت كلمــا تكلمت بالفرنسية لانها اسهل على لسانها يستوقفها ضاحكا :

ـ بالعــربى ، لانك عربية .

ـ حاضر ....

وتضـــحك جذلانة طروبا .

وحدثها عن نفســه ... وكيف لعــــن الصهيونية فى كل بلد حل فيه ونشر مخازيها فى المحافل والاندية ، وهو مطارد من عيونها فى كل مكان ، ولكنه لن ينثنى عن رسالته .

***

وظلا فى حديث ممتع خافت أشبه بالمناجــاة والسكون شامل والليل يولى ...



وشعر بأنها فى حاجة الى الراحة فقال لها :

ـ تفضلى لتستريحى فى الفراش . وسأتمدد انا على هذه الكنبة .

ـ كيف آخذ فراشك. أبدا ...

ـ اجعلينى مرة واحدة فى حياتى احس بهذه السعادة ، ولا تحرمينى منها ارجوك ... وتناولت يده لتعبر عن شكرها على عواطفه النبيلة . وكانت عيناها تفيضان بالحب والحنان . وانحنى فقبل يدها ، فطوقته وتلاقت شفاهما فى قبلة طويلة .

وفى هذه اللحظة الجميلة الحالمة التى يحس فيها العشاق بأن العالم كله قد خلا من كل البشر وخلق لهم وحدهم ...

استفاقا معا على خطوات ثقيلة تقترب من باب الغرفة ... ورنين ..

راحت الاقدام الثقيلة وجاءت فى حركة دائمة مفزعة ، فى دائرة الباب .

وظل « اسماعيل » شاخصا ببصره ، وقد ادرك ان هذه الدقات مقصود بها الذعر .

لقد جاء الرجل وراءه ليقول له انه عرف مكانه واستأجر غرفة فى نفس الفندق ... ثم عاد السكون وخيم سكون مطبق ، ومضت دقائق طويله ساكنة سكون الموت ... ذهب الرجل ، فكر اسماعيل فى هدوء ولكنه لم يتبادل مع ثريا كلماته، عاد الصمت ، شبح الرجل فصل بينهما واوجد فراغا مفزعا رهيبا ...

وجلسا جامدين . وامسك بيدها . وضغط ... وهنا عادت الاقدام من جديد تجاه الباب ثقيلة مفزعة . ثم خف صوتها وانقطع ...

وتحرك « اسماعيل » وتناول علبة الكمنجة وفتحها واخرج منها مدفعه الرشاش وثريا تنظر اليه صامته فى ذهول .

ولما اتجه بمدفعه نحو الباب تعلقت به ثرياء واحتضنته طويلا .

***

ولما سمعت صوت الرصاص فى الساحة ، اتجهت بسرعة الى النافذة وقلبها يثب من صدرها ... وبصرت « باسماعيل » يطلق النار ...

وكان قد اصاب الرجل ...

ولكنه ظل يطلق النار .. وعرفت انه يوجد شخص آخر سيظل يشوش سكون الليل وامن الحياة .

وكانت على يقين ان « اسماعيل » لا يزال حيا ...

ثم سمعت خطواته تقترب من الباب فمسحت عبراتها ...

عرض ودراسة

• عدنان الداعوق •

حتى يبقى العشب أخضر

" مجموعة قصص : أديب النحوي "

لقد مرت بلادنا بفترة سياسية لا تمت الى الاستقرار باية صلة ، تركت هذه الايام العصيبة بصماتها على وجدان الفنان الاصيل ، تفاعل معها واختبر حلوها ومرها ، وكان لا بد له من ان يتاثر ، وتاثر الفنان يكون بالعمل والتجربة ٠

وما ان شهرت اعمال عدد من الفنانين الاصلاء ازاء تلك الفترة العصيبة التى انقضت حتى لاقت اعمالهم حتفها ، ودفنت وهى حية ، وادها ساسة تلك الايام الذين كانوا يحكمون بالسيف على الفن ، كما كان السيف وحده هو العدل والنظام لديهم ٠

وعلى سبيل التخصيص عرف القطر العربى السورى حتى اوائل الستينات عددا كبيرا جدا من كتاب

ربما - بل أكاد اجزم - ان الظروف السياسية هى دائما المحرك والدافع لكل عمل فنى مهما ارتفعت قيمته فى نظر النقاد او هوت هذه القيمة •

والفنان (الانسان) - وهو اعلى المراتب صفة وقيمة وحكما - لابد ان يكون ملتزما لفنه ولاعماله الفنية •

وقد تكون الظروف السياسية مقبرة لعدد كبير من الفنون والاعمال الفنية ، ولكن الظروف السياسية التى تعيش على هامش وجدان الشعب لن تلبث ان تزول ، ولو استغرق زوالها عددا من السنين ، الا انها تبقى فى عرف التاريخ فترة هامشية ، ولكن العمل الفنى وحده هو الذى يبقى فى سجل الايام محفورا ومحفوظا •

القصة ، كانوا يشكلون طليعة كتاب القصة فى الوطن العربى ، واستطاع هذا العدد الكبير الذى تجاوز العشرات ان يضيف الى التراث العربى فى فن القصة علامات واضحة ومميزة ، واستطاعت هذه الطليعة ان تتفاعل - بالتالى - مع الفن القصصى العالمى ومن جراء هذا التفاعل والتمازج ، خرج الكتاب السوريون بتجارب جديدة خرقوا فيها جميع الاساليب والطرق الكلاسيكية التى كانت متبعة من قبل •••

بحيث يمكننا أن نقول ، ان كتاب القصة فى تلك الفترة كانت على ايديهم ولادة (القصة الجديدة) •

ولكن هذه الولادة وئدت فى المهد ، لان عددا من كتابها كانوا من انصار (الوحدة) فجاء الانفصال

حتى يبقى العشب أخضر

وحاربهم بكل ماأوتي من قوة وعنف وهمجية .

ولم يشهد كاتب في العالم ما شهده ولاقاه الكاتب الوحدوي على يدي الانفصاليين .. وحصل ما كان متوقعا ، فبعد التعذيب والتشريد الذي الم بالكاتب الوحدوي انطوى على نفسه وحجب اسمه عن الناس ـ وهذا امر طبيعي جدا ـ زد على ذلك ان السبل الى نشر أعماله القصصية كانت كلها مسدودة امامه .

واذا استعرضنا كتاب القصة في سورية حتى اوائل الستينات ، واحصيناهم بعد تلك الحقبة لوجدنا ان عددهم قد تضاءل الى اقل من النصف .

وقد يعترض بعض الادباء في القطر على هذا ، ويوعز الى ان الكاتب الاصيل لا يمكن أن يغيب عن الناس، لكنني أرد على هذا الادعاء ـ المفترض ـ ليس بذكر الاسماء ولكن لمن أراد التدقيق ، فما عليه الا أن يستعرض الاسماء القديمة والاسماء الجديدة التي تحتل الساحة الادبية اليوم ، لنجد ان عددا كبيرا من أولئك قد آثروا العزلة الادبية توجسا وخيفة وقلة احتمال فوق ما احتملوا .

ودليلي اليوم هو الاديب والكاتب القصصي البارع (اديب النحوي) الذي رد اليه بعض الاعتبار الادبي ، فتناول التليفزيون العربي السوري عددا من قصصه وحولها الى تمثيليات وسهرات تليفزيونية ، اقول هذا وانا بعيد كل البعد عن الاعتبار السياسي الذي رد اليه بالعمل الوزاري الجديد الذي تسلمه .

***

و (اديب النحوي) كاتب قصصي اصيل قرأته لاول مرة في قصته الطويلة (متى يعود المطر) فاستبشرت الخير بعمله هذا ، ثم قرأته للمرة الثانية في مجموعته القصصية (حتى يبقى العشب اخضر) ، وتركت هذه المجموعة لدي انطباعا خاصا ، لانها كانت تنفرد بنغمة خاصة كذلك ، وقررت ان اكتب دراسة عن هذه القصص ، وفعلت لكنني صدمت اذ وجدت ان نسخ الكتاب المطروحة بين أيدي الناس قد عادت واختفت باعتبارها كتابات ممنوعة، والمؤلف كاتب وحدوي خطير . لانه يندد بالانفصال وينادي بالوحدة مذهبا ومطلبا وفنا .

وهكذا انطوت الدراسة عن مجموعة قصص (اديب النحوي) ـ حتى يبقى العشب اخضر ـ كل هذه الايام .

لكنني اليوم نبشتها من بين الذكريات ، لاقدم القصص للقراء الذين يجهلون النحوي الاديب ويعرفون النحوي الوزير .

ان التربة الخصبة التي يزرع فيها (اديب النحوي) بذوره ، ابطاله ، نبتاته الصغيرة ، هي نفسها التي

تجعل من كل هؤلاء عمالقة يتحدون كل شيء .

(صالح ابو الشامات - عبد القادر - الحمال - حمدان بن جاسم - احمد مداراتي - حسين عقلتيي -.وغيرهم) كل هؤلاء يتحدون الموت والارهاب في سبيل القضية الاساسية التي عاشت في احلامهم وهم اطفال وهم رجال وهم شيوخ : الوحدة .

اندفع كل ابطال القصص في سباق الى الموت من أجل القضية .. من أجل الحياة الشريفة ، من اجل الغاية النبيلة التي ضحى الآباء بها ويضحى الأبناء.

في قصة (حتى يبقى العشب اخضر) يروى (صالح ابو الشامات) قصته

انه - كان - قبلا ان يصاب بالجنون - رئيس الكناسين في البلدية .. فقير معدم وصل الى الستين واحيل الى التقاعد ، ولانه فقير (لا يستطيع ان يكمل تعليم ابنه) وضعه اجيرا عند بائع زهور في منطقة (العبارة) بحلب ..

عبد القادر عمره عشر سنوات ، يحمل الزهور صباحا الى المحل ، امام العبارة مظاهرة كبيرة ، خرجت لها المدينة ، تنادى بالوحدة ، وتسقط الانفصال .. ينسى الطفل نفسه وينجرف مع المتظاهرين ، وينادى : الوحدة الوحدة ...

يصاب الطفل (عبد القادر) برصاصة ، فيسقط مقتولا برصاص الانفصال .. يحضر الاب فيرى ابنه ميتا ، ويصاب (صالح ابو الشامات) بالجنون ، لقد مات ابنه الوحيد على (السبع بنات) .

ولان الوحدة مطلب الناس ، كل الناس ، فقد انطلق (عبد القادر) ينادى بما ينادى به كل الناس . ولم ينس المؤلف باقة الزهور فوق جسد الطفل الميت المقتول .. فقد حمله اباها بيده ، حتى اذا سقط ، سقطت فوق جسده القض باقات الياسمين لتغطى كل جسده .

ان اللمحة الانسانية ، تضيف الى المعنى الوطنى الشامخ صورة رائعة في هذه القصة .. ويذهب (صالح ابو الشامات) في اول ايام العيد الى زيارة ضريح ابنه الصغير ، ويهذى . وهذيان (ابو الشامات) هذيان ايجابي ، جعله المؤلف يقول كلاما لم يكن احد يتوقعه ، (اليهود والانفصاليون أعدائي) .. اليهود قتلوا ، حسن بركات ، والانفصاليون قتلوا (عبد القادر) .

يجمع (صالح ابو الشامات) اولاد الجبانة ، ويقرأون جميعا سورة ياسين على قبر عبد القادر ، ويوصى الاولاد حين ينقطع المطر في شهور الصيف أن يحمل كل ابريقا من الماء يوم الجمعة ، ليسقى به قبر (عبد القادر) حتى يبقى العشب الذى ينبت حوله اخضر .

ويبلغ التمرد السياسي منتهاه في قصة (شيخ الضيعة) ، وعلى الرغم من أن جذور الانسان هي الارض ..

حتى يبقى العشب أخضر

والارض دوما ، وكل ما يرتبط بها حتى الاسم ، فان اهالى قرية (الرفاعية) من قضاء جبل سمعان ، أبوا ان تظل قريتهم تحمل اسم (الرفاعيـــــة) واستبدلوا باسم القرية أشد الاسماء التصـــاقا بحياتهم ·· وجودهم ·· كيانهم ، وسموا القرية : (الوحدوية)

وعندما حضر الوزير الانفصالى الى القرية ، خرج اليه اهلها وتحدوه ، ورفعوا ـ وعلى رأسهم المختار ـ علم الوحدة ، وقالوا للوزير :

ـ لا نريد ارضا بل نريد الوحدة ·

وكانى بالمؤلف يعلن ـ من وجهة اخرى ـ ان الوحدة هى الارض ،هى الكيان المطلوب لانسان اليوم ·

كذلك يبلغ التمرد ـ على مستوى الفرد ـ حدا كبيرا عندما يهـــرب (حمدان بن جاسم) من الجندية ·

ان الهرب من الجندية جريمة يعاقب عليها ، ومع ذلك فقد ارتضى حمـدان لنفسه الهرب على ان يظل جنديا يخدم حكومة الانفصال ، انه لم يتصور ان بامكانه ان ينزل الى الشارع ويطلق النار على الشباب المتظاهر المطالب للوحدة ·

اذ ما هى الجريمة التى يرتكبهـــا الناس ليطلق عليهم الرصـــاص اذا طالبوا بالوحدة · ؟

ويدخل حمدان السجن ، بعد ان يقدم للمحاكمة ·· وفى المحاكمة يقول كثيرا هو وحده التعبير الصحيح عن امال الناس وتطلعاتهم ·

ويضرب المؤلف مثلا جـــديدا فى (التكنيك) القصصى فى قصته (ليلة الزفاف) ، والاسلوب الذى يتبعه هنا قد يختلف كل الاختلاف عن أسلوبه فى القصص الاخرى ··

ذلك ان القصة تروى من عدة جوانب ·· جوانب ابطالها ، كل يرويها من زاويته وبلغته الخاصة ، حتى اذا ما انتهى الحوار بين الابطال انتهت القصة (كلا متكاملا) ·

وظلت (الوحدة) هى الاصل ، و (الانفصال) هو الســـبب الذى يخطف (العريس) من عروسه حتى فى ليلة الزفاف ، وما هى الجريمة ؟ العريس اشترك فى مظاهرة ضـــد الانفصال ·

(احمـــد مداراتى) يذهب الى الجندية ويقف على الخطوط الامامية مدافعا عن ارضه وامته ، وامه تحسب يوم عودة ابنها على حبات السبحة ، اما ابوه فانه يتذكره بكل الفخـــر والعزة ، ويتذكر ايام صباه يوم كان جنديا فى (الجيش العثمانى) · وفى قصة (الجنود لا يتشابهون) يصور لنا المؤلف معنى جديدا من معـــانى البطولة الوطنية · فالقوات تغير على **المواقع السورية وتحصل معركة كبيرة يذهب بعض الجنود السوريين شـهداء الواجب والارض ، ويعرف كل اهل حى (باب المقام) باستشهاد (احمد) الا والده ، ويحاول اهل الحارة ان يخفوا على الأب الملتاع من المصيبة**

فيقولون له ان ابنه قد وقع اسيرا في يد الاعداء ، ويبرز الرفض عند الاب عنيفا قويا ، فابنه لا يمكن ان يقع اسيرا ، لا بد انه ينوى شيئا من الامر .. ولكن عندما ياتيه الخبر من قيادة الجيش باستشهاد ابنه ، يستبشر كل الخير ، ويقول لاهل الحارة :

ـ الم اقل لكم ان احمد لا يمكن ان يقع اسيرا ؟ .

وهنا ارتضى هذا الاب ـ الانسان الفلاح البسيط ـ الموت الشريف لابنه بديلا من ان يقع اسيرا ، وهو شعور وطنى اصيل يعلو على كل العواطف العائلية .

اما (حسن عنتابى) فانه لم ينس هو الاخر دوره في الحياة ـ وهو في الرابعة عشرة من عمره ـ فخرج مع المتظاهرين يندد ويسقط الانفصال .

ويستعرض المؤلف هنا في قصة (الجدول والتعرفة) قطاعا كبيرا من الناس . من البسطاء والفقراء والمعدمين . الذين تخلت عنهم الحياة ، ولكنهم لم يتخلوا عن الوحدة .

ام (حسن عنتابى) تعمل غسالة في البيوت ، تذهب الى نظارة (باب الفرج) لتتوسط لدى (الافندية ـ اى الشرطة) في اخراج ابنها من السجن لكن الشرطى (اسعد طرابيشى) يرمى الام المسكينة على الارض ، وتسقط . لكنها ترفع يديها الى السماء :

ـ الله يكسر ايدك يا اسعد طرابيشى .

واسعد طرابيشى يدخل الى النظارة ويبدأ حفلة الضرب للمساجين الموقوفين . كل حسب التعرفة والجدول .. الذى يحمل علم الوحدة خمسين عصاة .. والذى يخفى العلم تحت ثيابه اربعين عصاة مع فلق ، وهذا « الجدول والتعرفة » يحدد مقدار ما ينال كل فرد .

ولكن شوهد (اسعد طرابيشى) في اليوم الثانى يحمل ذراعه المكسورة ، واستجاب الله لدعاء الام .. واختلفت الاقاويل عن كيفية كسر ذراع الطرابيشى

●●●

ان (اديب النحوى) في هذه المجموعة القصصية يؤرخ لفترة عصيبة مرت بها سورية بعد الوحدة ، وايام الانفصال البغيض ، انه لم يفلسف الاحداث ، بل صورها على حقيقتها من الشارع ، في المظاهرات ، في القرية ، بين الجنود والفلاحين والعمال .. بين الطبقة العاملة والكادحة التى كانت تحس الوحدة عزة ومناعة ، فجاء الانفصال ليهدم الامال ويحطم كافة التصورات النبيلة التى كانت تشكل احلام الناس .

وعندما قيل (ان الوحدة مطلب شعبى وجماهيرى) فان المؤلف راح

حتى يبقى العشب أخضر

يستعرض نماذج الشعب والجماهير في استفتاء واضح عن الوحدة .

ووجدنا في النهاية ان كل الناس ، كل الشعب يريد الوحدة ، ودفع الشعب ضريبة هذه الارادة ، دما وارواحا واجسادا تكدست في السجون والمعتقلات والمقابر .

والمؤلف بعد هذا ، ابن البيئة الشعبية ، قاسى من مرارة الانفصال وعاش التجربة بكل صور العنف فيها والمهانة ، والصقت به تهم الانتماء للوحدة ، فتشرد من اجل الوحدة ، وناضل في سبيلها اقسى نضال .

واذا كانت التجربة الذاتية هي الاغناء الحقيقي للعمل الفني فان (اديب النحوي) قد مارس هذه التجربة ، وكتب عنها ، ولذا فان كتابته لا تحمل سوى معنى الصدق في التجربة ، بالاضافة الى معنى الولاء الذي كنه للوحدة العربية املا حيا في اعماق الناس .

و (اديب النحوي) ايضا ابن البيئة الحلبية الاصيلة ، وواحد من افراد ذلك المجتمع الذي لا يزال محافظا على التقاليد والعادات ، رغم تقادم الزمن عليها ، ولشدة التصاقه بهذا المجتمع ولشدة تأثره بهذه البيئة ، فقد انطبعت القصص بذات الروح بذات العراقة القديمة في المجتمع الحلبي .. حتى تأثر بها اسلوبا وتعبيرا .

والذي يطالع قصص (حتى يبقى العشب اخضر) يدرك هذا منذ الوهلة الاولى ، حتى أنه يمكننا ان نقول : ان المؤلف هو ابن بيئته ..

وليس في هذا ما يعيب الكاتب في جو الحضارة التي اخذت تطمس كل معالم القدم .. فاديب النحوي ، لا يزال يحن الى حارة (باب المقام والكلاسة وباب جنين وباب الفرج) ، وهو لا يزال يحن الى (المربع الفوقاني – ولقن الغسيل – والمدار) وغير ذلك ... اذن هو لايزال مرتبطا بجذوره القديمة ، لانه ابن هذه الجذور ، على الرغم من انه خرج عن تلك البيئة ، لكنه لم يفكر بها ،بل هو يعتبرهافي جملة تراثه الشعبي الاصيل

واسلوبه في الكتابة والعرض ، اسلوب فريد لم تخطفه المذاهب الجديدة الادبية ، ولم يسع الى التجديد ، كوسيلة عصرية ، بل تناول الاحداث في مكانها ولادتها وعرضها في نفس هذا المكان ، ومن هنا جاءت ميزة الصدق ، كاهم ميزة تتفرد بها هذه القصص ، باضافة معاناة قضية الوحدة والانفصال والخير والشر والجيد والرديء والطيب والخبيث .

ويبقى (العشب اخضر) املا للوحدة ، يتجدد على مر الايام ، بينما يذهب كل شيء هباء ..

● عدنان الداعوق ●
● حمص – سورية ●

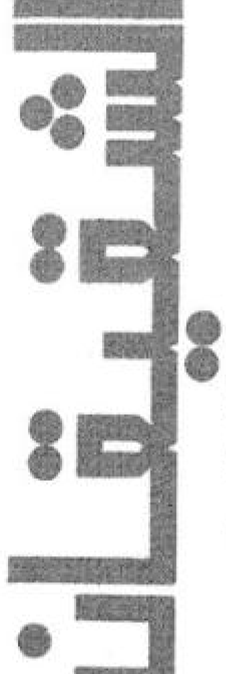
« هانت جميلة يا حبيبتي
« هانت جميلة ..
» .. عيناك حمامتان .. »
« من نشيد الإنشاد »

عينـــاك يا حبيبتي بحيرتان من صـــبا
حمـــامتان هامتـــا على مشـــارف الربى
***
خـــداك يا حبيبتي كـــوردتين في الق
كفـــلقتي رمانة كجذوتين من شـــفق
***
يا كرزتين رفتـــا فرف قـــلبي الظمى
عطشـــان .. ما عليكما لو ذبتما عـــلى فمي
***
يا موجة من الشـــذى على شـــفيف مرمر
جميلة .... جميلة بثغـــرك المنـور
***
بخصـــلتين ثارتا ذؤابتين مـن لهـــب
فـــوارتين من سنى ارجـوحتين من ذهب
***
يا نجمتين ماســـتا على ســـوالف القمر
كم بوحة ســـمعتما لها تنهـــد الزهـــر
***
يا ربوتين شـــبتا على رفيف ســـوسن
هـــل تاذنان للصـــبا المشـــبوب ان يمسني ؟
***
لهفان .. ما عليكمـــا في رحلة معا .. معا ؟!
آوب في ظلالهمـــا جوانحا .. واضـــلعا
***
الـــكرمتان مالتـــا الليل .. قـــد اظلنـــا
ما اجمل المساء .. يا حبيبتي هنا ... هنا
***
عينـــــاك في براءة الســـــماء يا حبيبتي
يمامتـــــان نامتـــا فاســـتيقظت حقيقتي

● عبدالعليم القباني ●

قصـــة

غــبريال وهـبـة



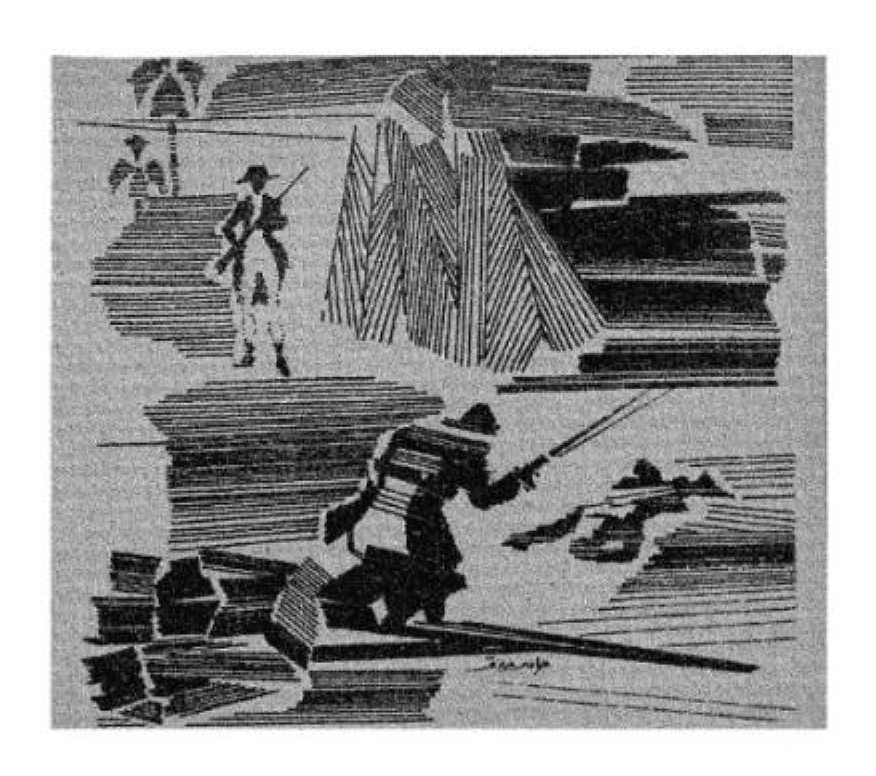
كان ذلك فى عام تسع وتسعين وسبعمائة بعد الألف فى قرية مطوقة باحراج النخيل بالقرب من مدينة قنا، وقد جثم على الكون الليل الرهيب ثقيلا مرهقا بينما يرقد تحت احدى الأشجار طفل فى نحو الثانية عشرة من عمره . وعندما بدا نور الفجر يمد لسانه الدقيق وراء نهر النيل استيقظ الصغير بيطء على اصوات طبول حربية واناشيد آتية من بعيد . ثم رأى النور يمتد طولا . وينبسط عرضا فطفق يحدث نفسه قائلا : « بدا الفجر يشرق نوره ولم يعد أخى .. ماذا أصابه ؟ ! » .

ولم يلبث أن سمع طلقات مدافع متوالية فاستطرد محدثا نفسه: « كلما سمعت طلقات هذه المدافع الفرنسية المشئومة تمثل لى شبح والدى المسكين الذى قتله الفرنسيون .. رحمة الله عليك يا ابتاه .. لقد عشت ومت بطلا .. ولكن ما ذنب أمى المسكينة يحرمونها منه ويدعونها تنثر شعرها، وتمزق ثوبها ، وتخمش وجهها حتى اسالت منه الدم ، وهى تضرب صدرها ضربا عنيفا ، وتذرف دمعا سخينا ، وتنتحب انتحابا يفطر القلوب حتى فقدت بصرها .. ليت مراد بك يقبلنى جنديا فى جيشه الباسل حتى انتقم لوالدى .. » .

ثم نهض من مكمنه وذهب الى ركن داخل الاحراج وكشف عن غطاء احدى الحفر وهو يقول :

ـ استقرى هنا يا ذخيرة العدو .. فلست أهلا لاختراق صدور الابطال ... لقد قضيت خمسة ايام وانا انتزعك فى ظلام الليل من معسكر الفرنسيين .. آه لو علم الجنرال رينيه بأن ذخيرته الآن تحت رحمة طفل صغير هو ابن حسن عبد الحميد البطل المصرى الصميم الذى كان يثب بجواده الاصيل فوق مدافع الفرنسيين .

وسكت مسامعه



دقات طبول فاسرع بتغطية الحفرة وعاد الى مكانه الاول واستأنف الحديث مع نفسه قائلا: « الطبول تدق .. ترى هل هذه دقات طبول الاعداء أم ان جيش مراد بك يقترب ؟ . فلأختبىء لأرى ما سيكون » .

اقتربت دقات الطبول ثم عزفت الموسيقى وسمع الجيش من بعيد ينشد :

الى الامام يا رجال
الى الحروب والنزال
الى الكفاح اننا
عشنا أسودا للنضال
قد جاء نابليون
يبغى وداد ماضينا المجيد
نحن الاسود سوف
نلقى جيشه فى اللحود

رأى الطفل مراد بك وعثمان بك وعمر بك يتجولون بالقرب من مخبئه وسمع مراد بك يقول :

– بارك الله فيكم أيها الرجال الابطال .. لقد لقنتم الفرنسيين درسا : ان مراد بك لا يلين ... كلما ذكرت بسالتكم فى واقعة شبراخيت ... ونضالكم فى موقعة الاهرام ... وبطولتكم هنا فى أرض الصعيد

رفعت رأسى الى اللـــه مبتهلا أن يكلل جهادكم بالنصر المبين

فقال له عثمان بك:
ـ سيدى مراد بك ‎.. ان لك رجـــالا الموت اسمى امانيهم.. «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون»

فتهللت أسارير مراد بك وقال :

ـ اذن تشجعوا أيها الاصـــــدقاء ولا تتقهقروا .. ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز .

فانبرى عمـــــر بك قائلا :

ـ اننا لا نعبـــــأ برصــاص الاعداء ولا بدوى القنـــابل ... فقلوبنا قدت من حديد .. وقد خلقنا للنضال. فاما الى النصر واما الى القبر .

فهز مراد بك رأسـه قائلا :

ـ أجل ... اما ان نحيا كراما واما انتموت اشرافا . يخيــل الى أيها الاخوان ان الجنرال رينيه على علم تــام بجميع خططنا الحربية ... اتذكرون يوم أراد رينيه أن يســـتريح بجنوده فى جرجا وكانت ســـفنه التى تحمـــل ذخائره تسير متأخرة فى النيل فأردت الاستيلاء عليها ففشـــلت خطتى الحربية ؟ . سلوا عثمان بك فعنده الخبر اليقين.

فأجاب عثمان بك :

ـ نعم .. عندمـــا اشـــار على مراد بك بتنفيذ خطته الحكيمة لاستيلاء على هـــذه السفن سرت بفرقتى فى أرض مقفرة ومررت بين اسيوط وجرجا وعملت على اثارة الشـــعب وحمله على محـــاربة الفرنســـيين فهبوا جميعا وقاموا قومة رجل واحـــــد وثاروا ثورة عارمة وانقطع الطـــريق بين السفن والفرنسيين.

فقال مراد بك :



ـ ولكن لشـــد ما عجبت لما حدث ... فالجنـــرال رينيه لم يتحرك للدفاع عن هذه الســـفن ، ولو عاد بجيشه للدفاع عنهـــا لهاجمناهم هجـــوما عنيفا وحصرنا جيشه بين مدافعنا وسيوفنـــا وبين الشـــعب الثائر وجنود عثـــمان بك البواســـل ... ولكنه قد عرف خطتنا ولاريب ... ولا أدرى كيـــف علم بها !

فأجابه عثمـــان بك:
ـ اغلب الظـــــن يا مـــراد بك ان على حسين قد خاننا وأفشى للعدو خطتنا

فقـــال مراد بك فى دهشة :

ـ على يخوننى ... لا أظن ان ابن الشهيد حســـين عبد الحميد ينسى ثار أبيه !

فأمن عمـــر بك على كلام مراد بك قائلا :

ـ اننى اميـــل الى رأى مراد بك ... لقد كان على منذ ان تغلب علينا الفرنســـيون فى المنيا واسيوط وجرجا دائم الكآبة ، دائـــم الحـــزن . ولم أر فى حياتى حزنا كحزن هـــذا المسكين على أبيه ... اننى ما رأيته الا وهو

يكاد يتمزق من الحزن على والده وعلى والدته التى فقدت بصرها حزنا على مقتل زوجها الباسل .

نظر مراد بك الى الافق البعيد وأشار بيده قائلا :

ـ آه .. انظروا .. أرى أحد فرسان المماليك ينهب الارض نهبا نحونا ... لا بد انه رسول ابراهيم بك الينا .

فقال عثمان بك :

ـ لا بد انه يحمل الى مولاه رسالة هامة.
فعقب مراد بك على ذلك قائلا :

ـ أجل ، انظروا ... ها هو ذا قد وصل .

انحنى الرسول محييا ثم قال :

ـ مولاى ... مولاى ... بشرى استحق عليها المكافأة
فسأله مراد بك :

ـ ماذا فى جعبتك من أخبار ؟

فأجابه الرسول :
ـ مولاى ... لقد صدرت أوامر من الباب العالى بتجهيز جيشين عظيمين أحدهما من البحر والآخر من سوريا ، ولقد تقرر أن يسير الجيشان لمهاجمة بونابرت لتجرئه على غزو الشام رغم انقطاع العلاقات بينه وبين فرنسا ، ورغم تدمير اسطوله فى أبى قير وسيطرة الانجليز على طريق البحر .

فقال مراد بك فى حماسة :
ـ ايها الاخوان .. لقد حانت الساعة الفاصلة . وجاءت الفرصة السانحة ... وستمحو بالنصر المقبل جميع آثار الهزائم السالفة .. فالى الامام يا رجال .. الى الامام يا أبطال النيل وحماته ولا تخذلوا قائدكم ، والموت الزؤام لأعدائنا والمجد لأبطالنا الذين يسقطون صرعى فى ساحة الوغى ذودا عن وطنهم .

سار مراد بك ورفاقه مبتعدين وتحرك الجيش من بعيد وهو ينشد :
الى الامام يا رجال
الى الوغى والنضال

خرج مجاهد من مخبئه وهو يهمس لنفسه :
ـ لا ، لا . . . مستحيل ... أخى يخون ؟ على يخون ثأر أبيه ؟ . أيكون ابن الشهيد خائنا ؟ ..
لا . لا أريد أن أصدق !

وهنا ظهر على وفى يده صرة ، وغمرته الدهشة عند رؤيته لأخيه ...
ـ ماذا أرى ! مجاهد ... أخى ! كيف وصلت الى هنا ؟

فأجابه قائلا :

ـ تركت أمى فى اسنا ، وجئت هنا لآثأر لأبى ... نعم . ولقد انتقمت .

ـ انتقمت ؟! بأى سلاح ؟! وهل لنا يا مجاهد سلاح الا تلك الدموع الغزار التى تنهل من عيوننا حزنا على ذكراه ؟!
ـ ان بكائى على والدى لن ينسينى واجبى فى الاخذ بثأره ... وان أردت أن تكون على بينة من ذلك .. فانظر ماذا أصنع .

اصطحب مجاهد اخاه الى الحفرة وفتحها . فقال على مبتهجا :
ـ آه ... ماذا أرى ؟! بارود ... ذخيرة .. آه .. يا لفرحتى ! ..
ـ أجل .. افرح يا على .. لقد انتقمت لأبيك ! .. قضيت

خمسة ايام وانا اتسلل تحت جنح الظلام الى معسكر الفرنسيين زاحفا على بطنى معرضا نفسى لأشد الاخطار . واخذت احمل فى كل مرة ما تيسر لى حمله من مخزن ذخيرتهم حتى احرمهم من السلاح الذى يسددونه الى صدور الابطال ... افرح يا على . افرح ..

فقال على فى ذهول:

ـ اجل لقد اصبحنا اغنياء ... ان الفرنسيين يبحثون عن هذه الاسلحة .. لقد اصبحنا اغنياء .

فسأله مجاهد باندهاش :

ـ أغنياء ؟! كيف ؟!

ـ انظر ...

وفتح له على صرة النقود ...

ـ ويحك ! نقود فرنسية ؟.. خيانة! كنت لا أصدق .. من أين لك هذا المال ؟ كيف فارقت مكانك فى الجيش ؟!

ـ مجاهد . لا تنظر الى هكذا ... تدبر ما أقوله لك . لقد فقدنا ابانا الذى كان يعولنا ويعول أمنا العمياء . اتريد أن نتسول فى الطرقات او ننتظر فتات الخبز الذى يجود به علينا اولئك المماليك المتغطرسون .

ـ ولكن كيف حصلت على هذا المال ؟

ـ كلفنى مراد بك بمهمة ففشلت فيها فقبضوا على . ولما وجدت نفسى تحت رحمة الفرنسيين آثرت أن أبوح لهم بكل خطط جيش مراد بك الحربية فقربنى الجنرال رينيه اليه . واليوم كلفنى بتعقب جيش مراد بك لأعرف مخبأه ، وقد وعدنى نظير ذلك بكيس من النقود . وها هى ذى مائتين أخرى تلمع امامى من خلال هذه الحفرة ... فقد كانوا يتحدثون عن سلاح وذخيرة تسرق من معسكرهم . ورأى سأدلهم على هذا المخبأ ونمضى بالمال الى بلدتنا حيث نصبح من أغنياء البلد . مجاهد ! .. فكر معى قليلا ، أليس ذلك خيرا لنا من هذا العيش المرير، وذلك الفقر المدقع ؟!

ـ كفى ! كفى ايها الشرير ... فماحاجتنا الى المال الذى لا سبيل الى بلوغه الا اذا اجتزنا جسرا من الجريمة والخيانة ؟! خير لنا ان نعيش فى فقر وشرف من ان تحيا فى غنى ودنس .

فقال له على فى ألم:

ـ يحز فى نفسى ان تلصق بى الخيانة يا مجاهد . لست أفرق بين الفرنسيين والمماليك يا اخى ... ماذا استفدنا نحن الفلاحين من المماليك ؟! لقد ظلوا ردحا طويلا من الزمن يسوموننا الخسف والهوان ... المال لهم والفقر لنا .. تنوء سروج خيولهم بالذهب والفضة . ونحن لانلبس غير العرى والذل .

ـ ولكن لاتنس اننا نداقع عن وطننا ... فضلا عن ان يكونوا المماليك يحموننا من ..

ـ فليكفوا عنا شرورهم قبل ان يحمونا من غيرهم ... اونسيت انهم قتلة ابيك ...وان دماءه تنادينا ..! وثاره يدعونا للانتقام.

فقال على متضجرا :

ـ لقد اضعت وقتى واريد ان الحق بالجنرال رينيه لاخبره بمكان مراد بك وعن مخبأ هذه الذخيرة . لتكون المفاجأة مضاعفة!

فامسك به مجاهد ليمنعه قائلا له :

ـ لا ، لا ...يا على ... عد الى ضميرك ... انك اشرف من ان



تضع نفسك حيث ارادوا ان يضعوك !

ـ كفى، دعنى أمضى .. انني أبحث عن مستقبلنا ومستقبل أمنا المسكينة التي فقدت نور عينيها .

ـ لا ... لن تذهب الى الفرنسيين ... ولن تستطيع أن تمر من هنا الا على جثتي !

ـ ماذا !؟ تنح عن طريقى أيها المجنون فقد عيل صبرى .

ـ أخى ... أخشى على ... انني أحبك كما كنت أحب أبى ... ولكن اذا ضاع ثأره على يديك أنت . فهذا فراق بينى وبينك . هذه النقود . وانتزعها مجاهد فجأة من يد اخيه ونثرها وهو يقول :

ـ الى الجحيم ... انها نجسة دنسة . لانها ثمن وطن تبيعه .. وشرف تمرغه ...

فقال له على غاضبا :

ـ لقد جرؤت على مالم تجرؤ عليه من قبل .. دعنى اذهب فقد ضاع الوقت ...

وحاول مجاهد أن يمنعه ولكن على تغلب عليه وطرحه أرضا ... عند ذلك نهض الفتى الصغير واخرج من الحفرة مسدسا أطلقه على اخيه وهو يقول له فى غضب جارف عنيف :

ـ خذ أيها الشقى .. لست اهلا للحياة !

فصرخ على وهو يتأوه ثم خر صريعا يتخبط فى دمه .

ذهل مجاهد ووقع المسدس من يده ، واخذ يجرى بين الأشجار .

ها هو ذا الجنرال ريلنيه يتقدم ومعه الكولونيل روبين وموراند وبعض الضباط والجنود وابتدرهم ريلنيه قائلا :

ـ أيها الاخوان .. لم يعد أمامنا الا المجد أو القبر ...

فقال له روبين :

ـ الا ترى أن مركزنا يا سيدى الجنرال قد أصبح حرجا بعد أن أعلنت تركيا الحرب علينا . نحن الآن أمام الامر الواقع ، وليس لنا مفر من الحرب .. لقد كان زحف نابليون على الشام أمرا لابد منه .

فقال له الجنرال :

ـ نعم نحن الآن أمام الامر الواقع يا روبين . فقد أصبحنا نواجه الحصار فى مصر وانقطعت المواصلات بيننا وبين وطننا العزيز . ولم يعد أمامنا الا النضال حتى آخر قطرة من دمائنا .

فقال موراند متعجبا :

ـ من كان يصدق أن الحرب ستطول هكذا بيننا وبين هؤلاء المماليك المتأكيد ... لقد كنت أظن انهم طغمة ضئيلة من الفرسان الضعاف الذين أعماهم الغرور . فاذا بهم يبدون من ضروب الشجاعة والاقدام ما صار

مضرب الامثال ·
فأجابه رينيه :

ـ وبماذا كانت تنفعهم هذه الشجاعة وحدها بدون هذا الشعب العجيب · الذى يؤازرهم ·· لم أر فى حياتى جنودا يلقون بأنفسهم فى نيران الحرب كهؤلاء الجنود! ·· لقد كانوا فى كل الوقائع لا يأبهون بالرصاص ولا بالقنابل، بل كانوا يندفعون نحو حمم النار التى تلقيها عليهم مدافعنا ··· وحتى الخيول كانت كفرسانها فى البسالة والشجاعة اذ كانت تلقى بنفسها على حراب البنادق دون أن تتقهقر ابدا الى الوراء ، أو تنصرف الى يمين أو شمال · بل تقذف بنفسها علينا فتسحق الرءوس وتهشم الصدور
فقال روبين :

ـ لقد شاهدت بنفسى الجرحى من الجنود فى موقعة الاهرام يزحفون على بطونهم لتمزيق اجساد جنودنا بخناجرهم المسمومة· حتى ان بعض عساكرنا كانوا يظنونهم اشباحا شيطانية أو وحوشا خيالية أو افاعى اسطورية تبث فى قلوبهم الرعب والفزع··
فقال رينيه :
ـ هيا فلنتقدم أيها الاخوان فالعدو لايزال قوى الشكيمة · صعب المراس ··· وستعرف المخابىء التى يكر علينا منها بعد قليل·
فقال موراند محذرا:

ـ اما زلت يا سيدى الجنرال رينيه واثقا من ولاء هذا الفلاح على !؟

فأجابه رينيه :

ـ سنرى · ثم اننا وعدناه بالمزيد من الذهب وهو كما رأينا يخلب لبه مرآه ··

اخذ الجميع يتجولون فى المكان فاذا بموراند يعثر على صرة النقود وقد تناثرت بعض محتوياتها فاندهش الجميع ووقفوا ··· وانبرى موراند قائلا:

ـ سيدى الجنرال·
فرد عليه رينيه قائلا :

ـ ماذا يا موراند؟

ـ نقود ملقاة على الارض ! ·· هذا منديل على انا اعرفه فاسمه منقوش على حوافه ولا بد أن هذه نقوده !

فقال رينيه بأسى:

ـ لقد فشلت الآن خطتى !
فقال روبين :
ـ اكبر الظن ان المماليك كانوا هنا منذ لحظة ·

فتساءل رينيه :
ـ اتظن انهم قتلوه ؟
فقال موراند :

ـ الا ترون هذه الحفرة ؟ ·· يخيل الى



ان التراب قد هيل عليها حديثا ·
فقال رينيه :
ـ اكشفوا الغطاء عنها ·
فأسرع بعض الجنود يزيلون التراب بوساطة الفئوس · واذا بالجميع قد فغروا افواههم وقالوا فى صوت واحد :
ـ ذخيرة !؟
فقال روبين :
ـ ذخيرة !؟ انها ذخيرتنا التى كانت تسرق

من معسكرنا •

قال رينيه متعجبا:

ـ غريب هذا الامر •• لو كان المماليك هم الذين سرقوها لما كان الاجدر بهم ان ياخذوها لهم بدلا من دفنها هكذا في التراب ؟! •

ثم توقف يحملق في اثار اقدام تبدو فوق الارض فصاح مناديا :

ـ جوزيف ! •• تتبع هذه الاثار وعد الينا • من الخطر أيها الاخوان أن نتقدم دون ان نكشف عن هـذا السر الرهيب

فقال روبين مؤمنـا على هذا الكلام :

ـ اجل فنحن الان في ارض العجائب !

واذا بجوزيف يهتف من بعيد :

ـ سيدى الجنرال•• أيها الجنود ••• الى •• الى ••

ثم يقترب قائلا :

ـ تعال أيها الشقى ••• لقد كاد يهرب منى هذا الشيطان الصغير •

فقال له مجاهـد صائحا :

ـ دعنى • دعنى !

فسأله رينيه قائلا :

ـ كيف عثرت عليه؟

فأجابه جوزيف :

ـ وجدته منكفئا فوق جثة شخص مقتول وهو يبكى بكاء مرا •

فتساءل رينيه :

ـ شخص مقتول ؟! أهو على ؟ ما دام هذا منديله ؟

فأجابه روبين :

ـ أجل يا سـيدى الجنرال هو بعينه •

فقال رينيه بأسى:

ـ وارحمتاه للمسكين •• من الذى قتله ؟

فحدس مجاهد أنهم يتساءلون عمن قتلـه فقال بتحد :

ـ أنا الذى قتلته !

فقال رينيه :

ـ انتى لا أفهـم ما يقوله هذا الغلام •

ثم أردف صائحا:

ـ لوماكا •• أسرع وترجم لى ما يقـوله

فأجابه المترجم :

ـ قال انه هو الذى قتله •

فسأله رينيه :

ـ ولم قتلته ؟ !

فأجاب مجاهد بلسان لوماكا :

ـ لانه أخى ؟

فسأله رينيه :

ـ وهل عندكم يقتـل الاخ أخاه ؟!

ـ كل خائن يستحق الموت !

ـ ولم الان تبكيه ؟!

ـ أنا لا أبكى على فقـده ولكن تبكينى خيانته !

ـ ماذا تعـرف عن هـذه الذخائر المسروقة؟

ـ أنا الذى أخذتهـا من معسكركم •

ـ من الذى أغـراك بهذا الفعل الذميم ؟

ـ ليس ذميما هـذا الفعل •

وواصـل رينيه اسـتجواب مجاهد عن طريق المترجم لوماكا •

ـ أقول لك من الذى أغراك ؟

ـ لا أحد •

ـ من حرضـك على سرقة هذه الذخائر ؟

ـ الله القادر على كل شيء •

ـ اذا أخبرتنـا عن مكان مراد بك فلـن يصيبك أذى •

ـ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا •

ـ ألك أهل ؟

ـ لى أب حرمتمونى منه ،وأم فقيرة عمياء•

فقال له الجنـرال مهددا :

ـ اذا أصررت عـلى هذه الاقوال فـسأن رأسك •••

ـ رأسى ها هـو •• اضرب يا سـيدى ••• انى أريد ان الحـق بوالدى •

فقال الجنـرال فى تأثر :

ـ تـأبى نفسى ان تفرق بين هذا الجسـد الصـغير وتلك الروح الكبيرة ••اذهب يا فتى الى أمك العمياء فهى فى حاجة الى من يقودها •

ـ ولى أم بصـيرة سأقودها الى النصر•

ـ ومن هى أمـك البصيرة ؟!

ـ أنها مصر وطنى !!



الحق أحق أن يتبع

بين الدكتورين شريف وسوسة

لقد جذب انتباهي، وأنا أتصفح محتويات عدد مجلة (الهلال) الصادر في شهر تموز (يوليو) الماضي مقال كتبه استاذي الفاضل الدكتور محمد بديع شريف جعل عنوانه «سوسة: كاهن من بابل يعيد كتابة التوراة». فما ان قرأت هذا العنوان، حتى قلت: صدق من قال ان الكتاب يقرأ من عنوانه لان هذا العنوان وحده يعبر عن محتوى المقال بدون شك.. ثم انى لما قرأت المقال صح ما ذهبت اليه لكثرة ما جاء فيه من طعن واتهام.

وقلت في نفسي ايضا، قد يكون الاستاذ على حق، وهو يناقش الدكتور احمد سوسة، ولكن لماذا هذا الاندفاع العاطفي الذي اخرجه ـ حفظه الله ـ عن الهدوء الذي نعرفه عنه. وعن النقد الموضوعي الذي اوصانا باتباعه ؟!

لما كنت قد قرأت كتاب الدكتور أحمد سوسة الموسوم بـ (العرب واليهود في التاريخ)، قراءة امعان وتدبر ، وبت بعد هذه القراءة اعتقد أن هذا الدكتور الفاضل جاء بشيء جديد يدحض فيه كل ادعاءات اسرائيل وعلاقاتها الموهومة بفلسطين العربية ، تجاه كل هذا بت في حيرة من أمرى ، هـــل اقف الى جانب أستاذى وأنا أعرف أن ما جاء به سوسة في الكتاب يخالف ما ذكره ، او اقف الى جـانب الحـق اتبـاعا لنصيحة استاذى التي تقول : الحق ، احق أن يتبع ؟ ! ..

وفي الواقع ان هذه الحيرة سرعان ما تبددت حين قررت مناقشة ما جاء في مقال أستاذى لا دفاعا عن الدكتور سوسة ، بل احقاقا للحق ، وانتصافا للحقيقة ، وعلى هذا أستميح العذر من أستاذى ، ان أنا تطاولت وجعلت من نفسى مناقشا لما جاء في مقاله من وقائع تستحق النقاش ..

ويطيب لي في بداية هذا النقاش ان اثبت العبارة التي وردت في مقدمة كتاب الدكتور سوسة وهي :

« والبحث الذي اقدمه هو حصيلة تحقيق واجتهاد عمر كامل ، قضيت الشطر الاكبر منه في ملاحقة الحقيقة اينما وكيفما كانت ! .. وانى اذ اقدم هذا البحث اترك للقارىء أو الباحث ان يأخذ بما يقتنع به من الاراء التي توصلت اليها أو يرفض ما لا يريد منها ، انمــا المهم هو ان نتجرد من العواطف ، وان نبحث هذا الموضوع الخطيـــر بالطريقة العلمية ونركن الى المنطق والعقــل السليم في الاجتهاد والعمل للتوصــل الى الحقيقة التي ننشدها جميعا ، ومن القول الشريف (للمجتهــد ان أصاب أجران ، وان اخطأ فاجر) ».

بهذه الروح قدم الدكتور سوسة كتـــابه ، وكـم كنت أتمنى لو ان أستاذى الفاضل ناقشه على هــــذا المستوى ، وقرع الحجة بالحجة ، بعيداً عن الطعن والسب ، ولكنه مع كل هذا هل كان ما جاء به سندا له أم عليه ؟ ! هذا ما أود بيانه باختصار وفق ما يلي :

اولا : مصطلح «العبرى والعبرانى»

حين ناقش أستاذى الفاضل هــذا المصطلح وأورد المصادر التي تؤيده في تفسيره لمعنى العبرى ، ختم تعليقه قائلا : « ومن هذه الدراسـة يتبين للقارىء ان الكاهن اخفى الحقيقة ، ولم يطلع على المدونات التاريخيــة والاثرية ! » فهل اخفى الدكتور سوسة هذه الحقيقة ؟ واذا كان لم يخفهـا فماذا قال ؟!

لقد استند في هذا الى المرحـــوم الاســـــتاذ العقاد ناقلا من كتابه « ابراهيم ابو الانبياء » ما اثبته في الصفحة (٢٧٠) وفيه يقول :

« ... والعبرية كانت كلمة عامة تطلق على طائفة كبيرة من القبــائل الرحل في صحراء الشام ، وكان من ابناء هذه القبائل من يعمل كالجنــود المرتزقة . وبهذا المعنى وردت كلمـة « العبرى والابرى والهبيـــــرى » وما قاربها لفظا في المدونات التي عثر عليها في تل العمــــارنة في فلسطين وآسيا الصغرى والعراق . وجاءت بهــذا المعنى في الكتابات السمارية والفرعونية ولم يكن لليهود وجود في ذلك الحين ! » .

هذا ما اثبته في كتابه نقلا عن الاستاذ العقاد فكيف نعتبره قد اخفى هذه الحقيقة ؟ !

ثانيا : « مصطلح اسرائيل » :

وحين ناقش استاذى هذا المصطلح ايضا قال :

« ... يقول الكاهن ان مصطلح اسرائيل المقصـــود به حفيد ابراهيم الخليل وابنائه بنى اسرائيل ، الذين ورد ذكرهم في الاسفار ودورهم محصور



في منطقة حران .. وهنا ايضا يخفي الكاهن الحقائق التاريخية فان الاسفار تذكر حياتهم في غربتهم بأرض كنعان الخ ... ، فهل هذا الاتهام صحيح ؟ !

الواقع ان الدكتور سوسة قد بحث هذا الموضوع ولم يخف عنه شيئا ، وكمثال على ذلك ، ذلك المتوان البارز الذي اثبته في الصفحة (٢٢٩) من كتابه وهذا نصه : « فلسطين أرض غربة بالنسبة الى ابراهيم واسحاق ويعقوب واسرائيل » فما الذي قال تحته ؟! قال ما نصه : « ما هي صلة بني اسرائيل بفلسطين ؟ واين كان موطنهم الاصلي ؟ هل هو فلسطين كما يدعون ؟ ! ولاحتمال ورود هذا السؤال على ذهن القارىء أجيب عن ذلك مستندا كليا الى نصوص التوراة بما يأتي :

أولا : « ان أرض فلسطين ، باعتراف التوراة ذاتها كانت (أرض غربة) بالنسبة الى آل ابراهيم وآل اسحاق وآل يعقوب ، اذ كانوا مغتربين في أرض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الاصليين !! »

فاين هو الاخفاء يا ترى ؟!

ثالثا : معادلة استنتاجية :

وناقش استاذي بعد ذلك سوسة مناقشة حسابية قائلا : « لقد حرف الكهنة السابقون ، التوراة ، لاهداف خاصة كما يقر بها الكاهن الجديد !.. وحرف هو أيضا لحاجة في نفسه ، وتظهر هذه الحاجة في معادلته واشتقاقاته فهو يقول : عبري = ابن الصحراء ، والابري = الهبيري = الخبيرو = العبيرو = العرب = ابراهيم .. وبما ان ابرام جد يعقوب ، ويعقوب = اسرائيل ، فاسرائيل = عرب .

ويرتاح الكاهن بهذا النصر الكاذب ، فيهتف : عالم عربي واحد ، تعايش سلمي ، فاسكتوا ايها العرب على ظلم اسرائيل في اغتصاب بلادكم ! »

ان هذه المعادلة ، غير موجودة في الكتاب ، ولكن استاذي استنتجها من قراءاته ، ومع هذا نسأل هل ان ما جاء فيها صحيح ؟! وهل ان معاني العبري والعبيرو وغيرهما من عنديات الدكتور سوسة ام جاء بها من مصادر اخرى ؟!

لقد ذكرنا قبل حين ، ما جاء في كتاب العقاد حول هذا الموضوع وللايضاح نثبته من جديد ، فقد قال العقاد في الصفحة ٢٠٧ ما نصه : « والعبرية كانت كلمة عامة تطلق على طائفة كبيرة من القبائل الرحل في صحراء الشام وكان من ابناء هذه القبائل من يعمل كالجنود المرتزقة ، وبهذا المعنى وردت كلمة = العبري والابري والهبيري) وما قاربها لفظا في المدونات التي عثر عليها في تل العمارنة في فلسطين وآسيا الصغرى والعراق »

ثم هل دعا الدكتور سوسة الى التعايش السلمي مع اسرائيل حقا ، وهل طالب العرب ان يسكتوا على ظلم اسرائيلا في اغتصاب بلادهم ؟!

لو كان هذا حقيقة واقعة ، فلا ادري كيف تقوم وزارة الاعلام العراقية بطبع هذا الكتاب على نفقتها واصدار ترجمتين له باللغتين الانكليزية والفرنسية !

فاذا كان الامر على خلاف ذلك فماذا قال الدكتور سوسة في كتابه ؟ لقد حاول الدكتور سوسة جهده لدحض ادعاءات اسرائيل وتفنيد اكاذيبها في

مختلف فصول الكتاب ، وكدليل على آرائه الصريحة في هذا الموضوع نقدم للقارىء ما يلي :

١ ـ : اثبت في الصفحة (٣٧٩) من كتابه عنوانا هذا نصه :

« هل فلسطين سلعة بائرة لا أهل لها حتى تمنح بالوعــود لزيد وعمرو ؟ ! »

فماذا قال تحت هذا العنوان ؟ قال : « اما ما أورده مدونو التوراة المحرفة من أن هنالك (وعدا) نسبوه الى الههم (يهوه) بمنح بلاد كنعان (من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهــر الفرات !) لابراهيم ولنسله من بعده، وما اوردوه أيضا ، من أن هناك امرا من الالهالعلى يقضيبابادة سكان كنعان من غير تمييز بين رجل وامرأة وبين شيخ وطفل ، واحراق مدنهم وما بها بالنار ، وحل بنى اسرائيل (قــوم موسى) محلهم ! فمسالة لا يمكن أن تمر دون تعليق او ابداء وجهة نظر في الموضوع : ان عزو مثل هذا الوعد المشروط بالقتل الجماعي والابادة الى الله سبحانه وتعالى هو من غير شك افتراء محض ، كما انه من المستحيل أن يكون قد نزل على نبى من الانبياء أمر بالقتل الجماعى الذى نسب الى الاله العلى ! »

٢ ـ : حين تحدث عن وعد بلفور في الصفحة (٣٨١) قال : « انه نسخة طبق الاصل من (الوعــد) التوراتي المزيف ، مثلته بريطانيا على مسرح شرقنا العربي الحبيب ، وقــد سجل أفجع مأساة من مآسى القرن العشرين »

ومن الواضح ان كلا الوعــدين يرميان الى تحقيق عملية واحدة من حيث الاعداد والتصميم ، هى (طرد سكان فلسطين من مساكنهم وحــل اليهود محلهم) . واذا كان وعــد بلفور لم يشر بصراحة الى الابادة والتقتيل والتشريد ، فان ذلك حصل عمليا عند التنفيذ ، ولنا ان نسأل : من اين جاءت بريطانيا يا ترى بهذا الحق المنطوى على سلب أرض فلسطين ومنحها لليهود ؟ ومن منحها هذا الحق فتظهر بمظهر الكريم الحاتمى ؟ هل ان فلسطين سلعة بائرة لا أهل لها ؟!

ان هذا التجاوز على حقوق اهــل فلسطين لا يمكن ان يدوم لانه عمل عــدائى صريح يخــالف العــدل والانســانية ! ... فكما ازيل فى الماضي كذلك سيزال عاجلا او اجلا !.. والحق لا يموت اذا كان له مطالب سخي فى الصبر والتضحية » .

وبعد كل هذا الكلام الصريح ، هل يحق لأحد أن يتهم الرجل هذا الاتهام الظالم ؟ !

رابعا : المصطلح الموسوى :

وحين ناقش استاذى هذا المصطلح قال : « واما المصطلح الموســوى فيقول عنه سوسة انه يبدأ بعد الدور الذى تداولت فيه اسرائيــل بزهاء ستمائة عام ، وفى هذا تحريف واسع للتاريخ ... وان الكاهن سوسة ينكر كون موسى من بنى اسرائيل ، ويذكر انه قائد مصرى وان يعقوب وعشائره ذابوا فى البيئة المصرية ، وبذلك يمحو من التاريخ الاسباط العشرة الذين سباهم شــلمناصر والسبطين اللذين سباهما نبوخذنصر ، وبالسبيين قضى على دولتى اسرائيل ويهوذا ،



العقاد



ويذكر ان حملة موسى فرعونية ، وان الكهنة اغتالوه وقتل بيد يشوع بن نون ، فلماذا هذا التحريف وماذا يهدف من وراء ذلك ؟ ! ان سوسة يهدف الى طى الفظائع التى قام بها يشوع بن نون فى مدينتى اريحا وعاى ، ويخفى بوق اريحا · لقد امر (يهوه) يشوع ان يحمل سبعة من الكهنة الابواق ويطوفون حول المدينة ينفخون الابواق ، ويهتفون : شعب اسرائيل ، فتسقط المدينة · وتقد يشوع قول (يهوه) وسقطت المدينة فاحرقها وقتل الاطفال والنساء والرجال والشيوخ والغنم والبقر والحمير الخ ·· »

ان فى هذه العبارة مجموعة من الاتهامات توجه الى الدكتور سوسة ، فهل حرف وطوى وسكت عن فظائع يشوع بن نون ؟ ! ووضعا للامور فى نصابها نجد ان سوسة لم يقم بشىء من ذلك بل عمل ما يجب ، واليكم التفصيل :

١ : ـ لم يات الدكتور سوسة بشىء من عندياته ، حين ذكر ان موسى (ع) مصرى وليس من بنى اسرائيل ، بل اقتضاه البحث التاريخى الذى اراد به قطع الصلة بينه وبين بنى اسرائيل ، دحضا لمفتريات مدونى التوراة ، اقول ان هذا البحث هو الذى حمله على الاخذ باراء القائلين بذلك ، فقد قال فى الصفحة (٢٣٢) ما نصه « من الواضح ان اهم ما كان يهدف اليه كتبة التوراة ، عندما اخذوا بتدوينها بعد عهد ابراهيم الخليل باكثر من الف وثلاثمائة عام ، وبعد عهد موسى بسبعمائة عام ، هو ارجاع نسب بقايا الجماعة التى خرجت من مصر بقيادة النبى موسى ، (ومدونو التوراة من بقايا هذه الجماعة !!) الى ابراهيم الخليل بغية ارجاع اصلها المجهول الى اقدس العروق من الاجناس البشرية ، ثم تثبيت عقيدة (الارض الموعودة) الوهمية ، على لسان ابراهيم وموسى وهما بريئان منها ! وانقطاعا وراء تحقيق هذا الهدف، ربط مدونو التوراة صلة هذه الجماعة بابراهيم وحفيده يعقوب لكى ترفع من مكانتهم بين البشر ، وتجعلهم شعب الله المختار ! وذلك من غير ان تتطرق الى الفاصل الذى يفصل بين جماعة موسى فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبين جماعة ابراهيم وحفيده فى التاسع عشر والسابع عشر قبل الميلاد، وهو الفاصل الذى يمتد سبعمائة عام بين عهد ابراهيم الخليل وبين عهد جماعة موسى ! »

فلماذا فى هذا الكلام من ضير ؟ !

٢ : ـ وهل (محا) الدكتور سوسة من التاريخ ، ذكر السبيين الاشورى والبابلى ، اللذين قضيا على دولتى اسرائيل ويهوذا ؟ ! ·

الواقع انه على العكس من ذلك اوضح بالتفصيل اخبار هذين السبيين فى الصفحات (٨٦ ، ٨٧ ، ٩٣) من كتابه !

فقد قال فى الصفحة (٨٦) ما نصه : « ومن الحملات التى شنها (تجلات بلاسر) حملته على مملكة ارام فاستولى على عاصمتها دمشق سنة ٧٣٢ ق · م وسبى اهلها وقتل ملكها (رصين) · ثم توجه الى (اسرائيل) فاستولى على كل ارض اسرائيل وسبى اليهود الى اشور تاركا لهم مدينة السامرة ! وفى عهد

شيلمنصر الخامس جرد هذا الملك حملة على اسرائيل ايضا فحوصرت عاصمتها ثلاث سنوات وفي نهاية عام ٧٢٢ ق ٠ م ٠ تم احتلال المدينة على عهد سرجون الثاني وبذلك تم القضاء على مملكة اسرائيل نهائيا ! »

وقال في الصفحة (٩٣) : « والذي يعنينا هنا من حملات (نبوخذنصر) الحربية ، الحملتان اللتان قام بهما على (مملكة يهوذا) ، والقضاء عليها وسبي اليهود الى بلاد بابل ··· ثم تبعه السبي الثاني سنة ٥٨٦ ق ٠ م ، اذ جاء (نبوخذنصر) هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية واحتل أورشليم، فخربها واحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت الاعيان ! »

فهل يكون الدكتور سوسة ، محا تاريخ هذين السبيين حقا ؟ ! لست أدري !

٣ : ــ وهل اخفى الدكتور سوسة فظائع (يشوع بن نون) في مدينة اريحا وعاي حقا ؟ ! الواقع ان الدكتور لم يخف هذه الفظائع ، فقد قال في الصفحة (٢٩١) من كتابه ما نصه : « وقد انتقلت القيادة الى يشوع بعد وفاة موسى ٠ وتقول التوراة : ان الرب (يهوه) أمره بعبور الاردن الى الجانب الغربي ٠ وقد قضى على (٣١) ملكا من ملوك كنعان وكانت (اريحا) اولى المدن الكنعانية التي احتلها الاسرائيليون (الموسويون) فقتلوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ومن طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ! ومن بين المدن التي استولى عليها يشوع بن نون (بيت ايل) و (عاي) و (لخيش) و (عجلون) و (حبرون) و (دبير) ! »

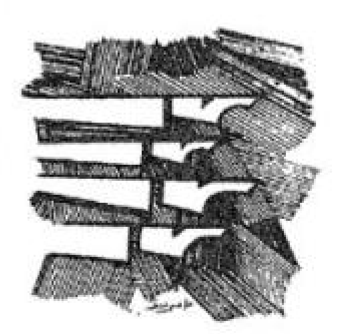
وقال في الصفحة (١٦٥) : « ومن اغرب ما يلاحظه المتتبع لمدونات التوراة ، الامر بقتل الاطفال والنساء والشيوخ وحتى البهائم ·· وفي غزو اسرائيل لمدينة (اريحا) دمر الموسويون المدينة واحرقوها بالنار وقتلوا كل ما فيها من رجل وامرأة ومن طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير ، بامر الههم (يهوه) كما جاء في التوراة ! »

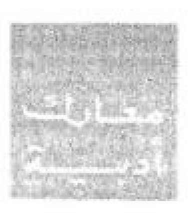
ولم يكتف الدكتور سوسة بذلك بل استنكر هذه الافعال اذ قال في الصفحة (٢٨٠) قائلا : « فقد جاء في القرآن الكريم ما يحذر بني اسرائيل من مغبة مثل هذه (الافعال المنكرة) التي ادخلوها في كتبهم وقالوا هذا من عند الله ، فنزلت الآية الشريفة « من اجل ذلك كتبنا على بني اسرئيل ، انه من قتل نفسا بغير نفس ، او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا »

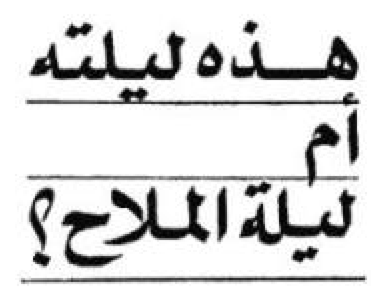
هذا ما وددت عرضه من الحقائق التي اوردها الدكتور احمد سوسة ، وهي في مجموعها كما يرى استاذي الفاضل واضحة لا ادري كيف غابت عنه ؟ ! ٠

واخيرا بقي شيء لا بد من ان اقوله، ذاك هو ان استاذي الفاضل لا يمكن ان يهجم على سوسة هذا الهجوم الظالم ، ما لم يكن لديه (سبب) اجهله ، عسى ان تتسع الايام له او لمؤلف الكتاب ، للكشف عنه ·· والله من وراء القصد !! ··

● عبد الرزاق الهلالي ●
● بغداد ●







هذه ليلته أم ليلة الملاح؟



ام كلثوم : قصيدة شعر

● عندما استمعت الى قصيدة « هذه ليلتى » التى غنتها ام كلثوم منذ بضع سنوات للشاعر اللبنانى جورج جرداق احسست ان هذه الكلمات ليست غريبة على واننى قد سبق ان قرأتها من قبل رغم انى يومئذ لم اكن قد قرأت اية قصيدة للاستاذ جورج جرداق .

وكنت كلما استعدت كلمات القصيدة تأكد لى اننى قرأت هذه الالفاظ بعينها وهذه الكلمات من قبل . وتحول الشك الى يقين عند اعدادى لبحث مطول عن « شعراء الرومانسية فى ادبنا العربى المعاصر » وعند رجوعى لدواوين الملاح التائه « على محمود طه » اكتشفت ان ابيات قصيدة « هذه ليلتى » مستوحاة من شعر الملاح التائه . بل ان بعض ابياتها منقولة حرفيا مع تغيير طفيف فى كلمة او حرف او شطر .

وانا اعلم ان الاستاذ جورج جرداق من اشد المعجبين بالشاعر الملاح ، فهل يبلغ تأثره بالشاعر ان يستوحى افكاره ومعانيه والفاظه دون التنبيه لذلك ؟

وهل ذلك مجرد توارد خواطر ؟ ..

فى هذه السطور سوف اذكر بعض مواضع التطابق بين قصيدة الاستاذ جورج جرداق وابيات الملاح التائه الذى

وحل عنه منذ اكثـــر من عشرين عاما وسأذكر مدى التأثر بأفكار علي محمود طه والفاظه وموسيقاه دون تعليق ·

يقول الملاح التائه فى قصــــــيدته « فلسفة وخيال » يخاطب ملهمته :

اترع الكاس وناولنى ، وهـــات
قبلة تنقذنى من خـــــــلتى

ويقول شاعر « هذه ليلتى » :

الهوى انت كله والامــــــانى
فاملأ الكاس بالغرام وهـــــات

يقول الملاح التائه في قصيدته « بين الحب والحرب » :

التقاك وكاسى فى يديـــــــــا
ونشيدى شارع فى شفتيـــــــا

ويقول شاعر « هذه ليلتى » :

لسؤال عن الهوى وجـــواب
وحديث يدور فى شفتينـــــا

يقول الملاح التائه فى قصيدته « سؤال وجواب » :

وقالت : ما حياتك قلت : حلـــم
من الاشواق اوثر ان اطيلـــــه

ويقول شاعر « هذه ليلتى » :

سهر الشوق فى العيون الجميله
حلم اثر الهوى ان يطيلـــــه

يقول الملاح التائه فى قصيدته « فلسفة وخيال » :

نهزة اهدت الخيال الينـــــا
ودعتنا لموعد فالتقينــــــــا

ويقول شاعر « هذه ليلتى » :

صدفة اهدت الوجود الينـــــا
واتاحت لقاءنا فالتقينـــــــا

وكأنما اثر شاعر « هذه ليلتى » ان يرثى شاعرنا الملاح التائه فى قصيدته وفاء واعترافا بالجميل واعتذارا عن « توارد الخواطر » فكانت لمحة وفاء ان يذكره فى قصيدته بالصفة التى كانت تدور اغلب اشعاره حـــولها وهى انه « ملاح تائه » فى بحار الحب والفــن والفلسفة والجمال ·· يقول شاعر هذه ليلتى » :

فى بحارتلن فيها الريــــــاح
ضاع فيها المجداف والمــلاح

وقد سبق ان قال على محمود طه فى قصيدته «الملاح التائه» يستنجد بمنقذ :

اترك التائه فى بحر الهـــوى
قبل ان يقتله الموج صراعـــا

***

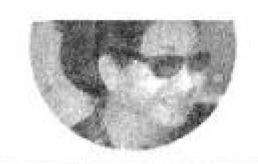
وبعد ، فهذه قضية اوردها بلا تعليق واترك الحكم فيها لنقاد الادب وللقراء مع اعترافى بشاعرية الاستاذ جورج جرداق وقيمته الفنية ·

كما انتظر رد الاســـتاذ جرداق ليجيبنا عن سؤال هام : « هل هذه ليلته أو ليلة الملاح التائه » ؟!

● محمد محمود رضوان ●
● القاهرة ●

***

الهلال : لعل هذه القسوة فى النقد على الشاعر اللبنانى الجهير ·· لا يخفف من اثرها الا اعجاب المستمعين باغنيته الكلثومية ، التى اثارت فى الشاعر السورى « رشـــاد على اديب » من اللـــواعج ما اوحى اليه بهذه الهمزية المرهفة ، التى يهديها الى كوكب الشرق ، ام كلثوم :



إلى كوكب

هذه ليلتي فبثي الغنـاء ... يسكر الارض لحنه والسماء
ويلذ الاسماع في كل آن ... طربا ممتعا يديم الصفاء

ويريح الارواح من كل عبء ... متعب مرهق ويزجي الهناء
وينيل الجوانح الانس والبشـ ... ـر فتسمو مجنحات علاء

هائمات مرنحات سكارى ... تتهادى تخايلا وانتشاء
صوتك العذب ينعش الحس والنفـ ... ـس ويحيي بنا المنى والرجاء

هو للناس لذة وحبور ... يطرد الهم والاسى والعناء
ونعيم ونعمة ابد الدهـ ... ـر بهذي الدنا يزيل الشقاء

يا لصوت ملائكي جلي ... جهوري صاف يجوب الفضاء
رق شدوا وراق لينا وحسنا ... وحنانا ونبرة ونقاء

وحلا نغمة كمزمار داو ... د يهز النفوس والاحشاء
ورنينا كرنة الذهب الابـ ... ـريز شاق الاذان والاجواء

فاق تغريد بلبل وهزار ... وكنار فلا يضاهي زقاء
يفتن العندليب وجدا فيصغي ... لصدى سحره البديع بهاء

كل طير مرنم يتلقى الا ... لحن عنه ويأخذ الاصداء
والزمان المفتون يطرب منه ... حين يعلو وينتشي اصغاء

هو احلى الاصوات في كل عصر ... منذ صاغ الله الوجود ابتداء
لا يحاكيه صوت «بلبل» او «ثريا» ... و «دنانير» رقة واداء

و «عريب» و «عزة» ثم «ذات الـ ... ـخال» او سعدة برعن غناء
هي اصفى صوتا وابرع انشا ... دا واحلى طلاوة وجلاء

وتر في لهاتها ذو فنون ... وفنون ينعم الاحياء
هبة خصها الاله تعالى ... لم يهبها لغيرها استثناء

رجعي واسجعي لنا ام كلثو ... م بشدو يرنح الورقاء
واعيدي الآهات والبث شجوا ... واعيدي الالحان تحلو حداء
واطيلي الهتاف في الليل «ياليـ ... ـل» فيصغي ولا يود انجلاء
انت مثل الملاك شدوا وترتيـ ... ـلا بتسبيحه يرف ارتقاء

تاسرين النهى بترنيمك العـد ب وتسبينها هـوى واطباء
لك تهفو القلوب حبا واعجا با وتحبوك مـدحة وثنـاء
وتدوى منا الاكف بتصفيـ ـق وتزجى نفوسنا الاطـراء
فتزيدينا غنـاء واطـرا با ونزداد منهمـا اغـراء

***

كوكب الشرق والعروبة غنى بتلاحين نحتسيهـا طـلاء
صوتك الحلو خمرة فى كئوس تملا القلب نشـوة وارتواء
فاصـبحى للانام فى كل آن ومكان صدحا يروى الظمـاء
نحن فى غمرة من الهـم والحز ن على القدس اذ تئن اشتكاء
وعلى اربع دهتها بنو صـهـ يون غدرا اخبث بهـم اعـداء
سيزيل العـرب الأباة بـلاء عن حماهم ويكشفون الاذاء
ويفوزون بانتصـار قـريب يدعم الحق والمنى والجـلاء
معلنين الفتح المبين ومعلي ن الى ذروة النجـوم اللواء

***

كوكب الشرق والعـروبة ايد ت نضـالا لقومنـا وابـاء
واقمت الحفلات فى الشرق والغر ب لجمع الاموال منهـا أجتناء
لتعيني مـكافحين ومنكو بين خـلوا اوطانهم تعساء
ان هذا هو الجهـاد المرجى منك يا كوكبـا لنـا وضاء
سوف تروى الأجيالَ عنك دفاعا مثمرا اسـعف الديار وقـاء
هكذا يعمل المنافع عـن او طانه مسـديا اليها الوفاء
قد ضمنت الخلود فى صوتك الصا فى وفى صـنعك العظيم ولاء
فلك الفضل والجميل دوامـا واقبلى الشـكر والثنـاء جزاء

***

يا ابنة النيل والعـروبة غـنى فى مغانى الاوطان واسمى اعتلاء
واتيحى اطرابنـا بتغـارير د لطاف تحـلو لنـا اهـداء
رددى ((الف ليلة)) واعيدى ((هذه ليلتى)) وبثى الغنـاء
واسجعى ثم رجعى ((انت عمرى)) وقصيد ((الاطلال)) تنشى الجواء
وارفعينا على جناح من الشـد و الى الافق نبلغ الجـوزاء

● جبلة ـ سورية ● ● رشاد على اديب ●



شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية



ذرني مع الشعر في صحراء قاحلة
ولا تذرني جديب الفكر في عدن

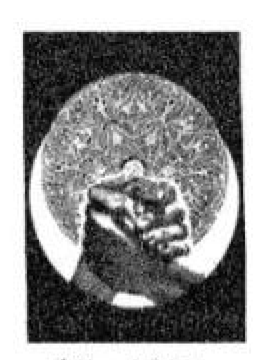
قريحتي بعد ذاك الفيض جامدة
جمود عقلية الرجعي في وطني

وبم التناسي عن الفن الفقيد ؟ أفي
شبابي الغض ، أم في وجهي الحسن ؟

يا دهر ، لم تبق لي شيئاً أسر به
الحمد لله ، لا روحي ولا بدني

رشيد سليم الخوري
« الشاعر القروي »

الغلاف الأول

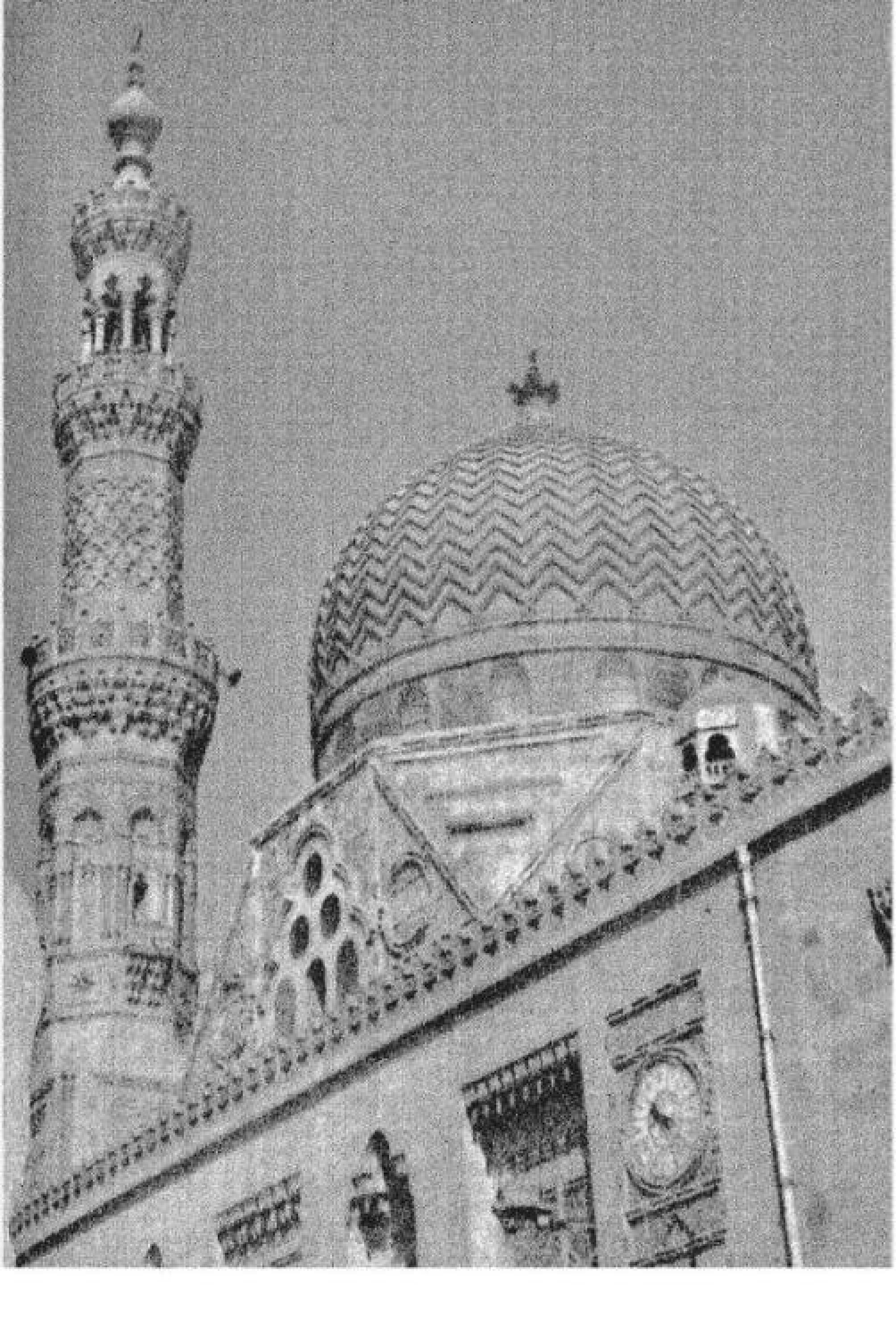


وحدة اسلامية
للفنان : جمال قطب

الغلاف الأخير

مسجد السيدة زينب
عدسة : سعيد عبد الحميد





الهلال



الهلال

نوفمبر ١٩٧٣

مجلة شهرية تصدر
عن دار الهلال ، العدد
الحادى عشر ـ السنة
الحادية والثمانون ـ
اول نوفمبر ١٩٧٣ ـ
٦ شوال ١٣٩٣ ..

الاشتراكات

ثمن العدد ، فى جمهورية مصر العربية ٢٠ مليما ـ من الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا ، فى الاردن ١٥٠ فلسا ـ فى العراق ٢٠٠ فلس ـ فى الكويت ٢٢٥ فلسا ـ فى السعودية ٢٫٥ ريال سعودى .

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٢٠ قرشا صاغا . فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والأسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الأسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

فى هذا العدد

٤ .. كلمة الهلال

٨ .. محمد عبد الغنى حسن : من سيناء واليها « قصيدة »

١٤ .. د. عبده بدوى : اغنية لمصر « قصيدة »

١٨ .. تقى الدين الصلح : المثقفون فى كل امة يعطونها وزنها الحقيقى

٢٢ .. صالح جودت : تحية مصر « قصيدة »

٢٨ .. فوزى عطوى : مطران شاعر الفلسفة والعصر

٣٨ .. لميعة عباس عمارة : تحية بغداد «قصيدة»

٤٢ .. صالح جودت : مطران شاعر الاقطار العربية

٤٨ .. سعيد عقل : تحية لبنان « قصيدة »

٥٢ .. مجالى الطبيعة فى شعر خليل مطران

٦٢ .. من شعر خليل مطران : بدر وبدر «قصيدة»

٦٤ .. رحلة الشهر

٧٤ .. محمد ابو زهرة : العدالة الدولية فى الاسلام « ٢ »

٨٤ .. حسن كامل الصيرفى : ابتهالة « قصيدة »

٨٦ .. د. سامية احمد اسعد : اربعة من عمالقة الادب الفرنسى فى رحلة البحث عن اسلوب

٩٤ .. راضى صدوق : الامل « قصيدة »

٩٦ .. انور الجندى : الحرف العربى فى الادب الجزائرى المعاصر

١٠٤ حسن عبدالمنعم : السيدة والسلطان «قصة»

١١٤ لطف الله قارى : محمد بن اسحاق النديم مؤلف الفهرست

١٢٢ ميشيل تكلا : لا حياة فى الريح

١٢٨ الحبيب شبوب : شعراء تونسيون

١٣٤ رستم كيلانى : عندما تصدق الاحلام «قصة»

١٣٨ محمد الساكت : المعجم العربى بين الماضى والحاضر

١٤٣ معارك ادبية : حول كتاب الزجل العربى

تقى الدين الصلح

حسن عبد المنعم



لميعة عباس



بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة
الهلال

والله ، ما دون الجلاء ويومه
يوم تسميه الكنانة عيدا
« شوقي »

وصاح مؤذن العيد : الله اكبر

وكان اول عيد يقبل علينا منذ سبع سنوات ، ونحن على ارض طور سنين ، التي باركها الذكر الحكيم بالقسم ، والتي كان الله سبحانه وتعالى فيها شهيدا على قوم موسى انهم كذبوا بآلائه وكفروا بنعمائه

عدنا الى هذه الارض المقدسة فى الشهر الحرام ، شهر الصوم المبارك ، شهر النصر الذى جعله الله وعدا للمؤمنين ، والذى نصر فيه محمدا يوم بدر على القوم الكافرين

الله اكبر ، والمجد لمصر

مصر قاهرة الزمن .. قاهرة الهكسوس والفرس والرومان والصليبيين والفرنسيس والانجليز .

مصر .. التى طارد ابنها منفتاح فلول اليهود منها وشردهم فى تيه سيناء اربعين سنة ، هى نفسها مصر التى طاردت احفادهم فى هذا التيه ، فاذا هم بين هارب وقتيل واسير وذليل

مصر .. التى احتملت جراح كبريائها سنة ١٩٦٧ بصبر وايمان ، عاشت سبع سنوات عجافا ، تذكر كل ليلة ان لها على ارض سيناء ثار عشرين الف شهيد من شبابها ، كلهم احياء عند ربهم يرزقون

مصر .. التى لم يغمض لها جفن ، حتى انتقمت لشهدائها ، وطهرت تربتهم من رجس عدو الله وعدوهم ، وارست على شواهد قبورهم اعلام النصر .



قائد مصر : الرئيس أنور السادات
صيحة العبور والنصر والعلم والإيمان

كلمة الهلال

● يا سيناء مصر

انني اجثو على ترابك ، اقبله فرحة به ، واعتزازا بأبطاله ، وصلاة على ارواح شهدائه

● ويا جنود مصر

انني انحني اجلالا لكم ، واقبل كل يد حملت السلاح في سبيل الله والوطن

● ويا قائد مصر

يا صاحب صيحة الصبر والطهر ، والعلم والايمان ، لقد آمنا بزعامتك وسرنا تحت رايتك منذ اللحظة الاولى ، ووقفنا معك في صفوف المناضلين ضد الكاشحين والحاقدين والمكذبين بما جئت من اجله ، وماعاهدت الله والناس عليه .

وهانت ذا تدخل التاريخ من اشرف ابوابه، من الباب الذى خلد بطولات احمس ورمسيس وصلاح الدين ، وتكتب لمصر اعظم انتصار في القرن العشرين .

***

واعود فاقول اننا لم نكسب معركة واحدة ، بل ثلاث معارك :

● معركة سيناء ..

● ومعركة الاعلام المصرى ، الذى نقض آثار باطلنا سنة ١٩٦٧ ، ذلك الباطل الذى فقدنا به الكثير من احترام العالم يومئذ ، واذا بنا اليوم نسترد شرف الكلمة الصادرة عن وجدان مصر ، نقولها فلا يسرى اليها ريب ، ولا ترعشها لمزة شك ، لأنها الحق كل الحق، ولا شيء غير الحق

قبلة على جبين ذلك الرجل الذى قاد معركة الاعلام : محمد عبد القادر حاتم

● ومعركة العروبة .. العروبة التي طالما شكك المترددون في قيمتها ، وقالوا ان الاصفار اذا اجتمعت فانها لا تصنع الا صفرا



د . عبد القادر حاتم ، معركة الاعلام :
شرف الكلمة الصادرة عن وجدان مصر

اليوم يدرك هؤلاء المترددون ان العروبة ليست أصفارا عددية ، وانما هى أسفار من الكرامة والمجد ، وانها اذا اجتمعت كلمتها ـ كما تجتمع اليوم ـ فهى قمينة بان تصنع المعجزات

***

اللهم اننا نتوجه اليك بقلوب خاشعة ، أن تتم نعمتك على هذه الامة ، وتكلل كفاحها بالنصر ، وتتوج هامتها بالعزة بك ، والكرامة فى ظلال سترتك ، والمنعة فى رحاب قدرتك

● صالح جودت ●

محمد عبد الغنى حسن



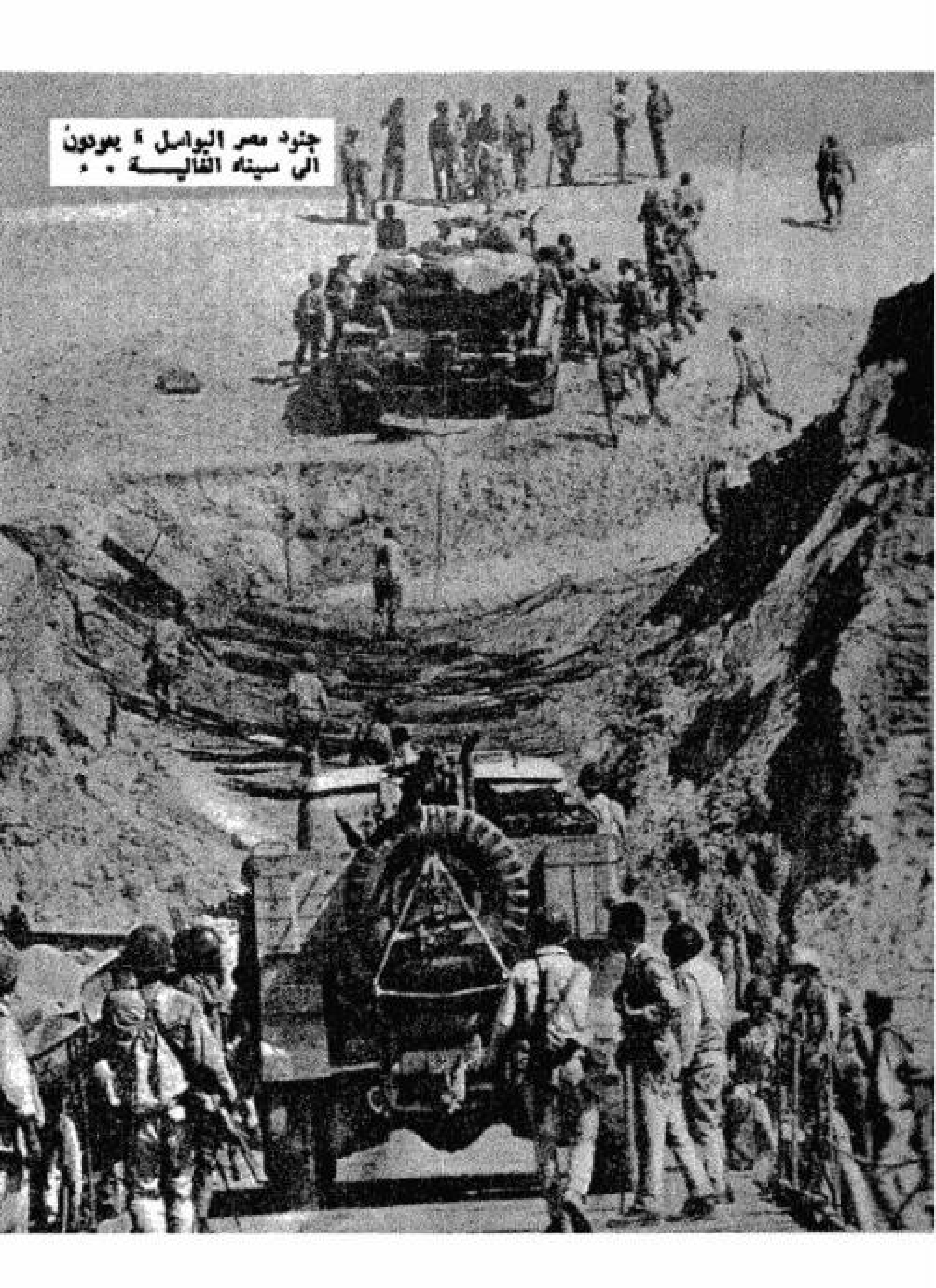
شـــفيت أنفسٌ وقرّت جــوانحٌ
بعــد أن أطبقت علينـــا المذابحٌ

أذِنَ اللهُ أن يَهُـــبَّ مُعـــنّى
نحـــوَ أهــدافه ، وينهضَ رازح

طال بالليث لبثُـــهُ ، فحسِبْـــنا
أنه ليسَ للـــوثوب مُنـــادح

لم يكنْ نائمـــاً على الضّيم ... لكن
كان تَغلى فى بُرديْه المطـــامح ..

فاذا بالقنـــاة ســـار بها الزحـ
ـفُ وسالت مِنْ جانبيْها الأباطح



جنود مصر البواسل ، يعودون
الى سيناء الغالية ..

من سيناء
وإليها

وثبوا فوقها ، خفافاً ، ثقالاً
في مسارٍ من البطولة واضح
خطُّ (بارليف) ماله قد تداعى
كسحته من الأسود كواسح
حسبوه فوق الإصابة والقص
ف ، وفوق المنال من كل طامح
لم تكن ساعة ، وأصبح فيها
كلُّ جنب لجنبه متناوح ...
إن يكن قد بناه جن فساد
فلقد دكه من الجن صالح
عرب كافحوا طويلاً ، فلاقوا
بعد طول الكفاح أجر المكافح

***

نحن لم ننس كل شبر من الأر
ض توالت على ثراها القبائح
أرض سيناء لم يزل في ثراها
كلُّ شبر من الدم الحر ناضح
سنوات ، ولم تزل تتوالى
فوق هاماتنا الخطوب الفوادح

وحملتنا الهزائم النكر ، عاما
بعد عام ، ما بين غادٍ ورائح
لطمة ، إثر صفعة ، فكفانا
صدأ السيف يا أخي والصفائح
يا أخا النصر قد شبعنا ركوداً
فتقدم ، فالشر للشر كابح
***
يوم سيناء يا أخي كان يوماً
فيه من خِسة اليهود ملامح
هو يوم لاحت من الغدر فيه
لليهود المشردين لوائح
حرب سيناء ما انتهت ، فهي رزء
كل يوم على العروبة فادح
لم تزل بعدها نكابد حتى
لاح للثأر والكرامة لائح
عجباً للنسور ! كيف استكانت
يوم سيناء للطيور الجوارح ؟
كان يوماً على النفوس شديداً
لم تطقه من الرجال الجوانح
تتلاقى ، فلا تمتم إلا
بالذى تشتكيه منا الجوارح

من سيناء وإليها

كلنا مشفق على الترب باك
كلنا جازع على الرمل نائح
نحن من يومها ونحن صمود
في ضراء مع العدو الكاشح
بلغ الأمر غاية لم يطقها
صبر مستصبر ، ولا نصح ناصح
وأبول الهول رابض ، وذرا الأهرام
في الجو شامخات سوابح ..
وعلى النيل من أريج الفراديس
عبير ثر ، ومسك فائح
وعلى الرغم من عبوس الليالي
وجه مصر بالخير والبشر طافح ...

***

ماينسنا من النضال ، ولكن
هزنا الشوق للقاء الكاسح
إن يكن طال بالمكافح صبر
ما الذي ضر لو بقينا نكافح ؟
علم النصر فوق سيناء باد
وعلى الضفتين معناه لائح ..



قواتنا البحرية الظافرة في
دور رائع في معركة الشرف

د. عبده بدوى



يا بلادى زانك الله بأفراح السماءِ
فلقد صرت انتصاراً فوقَ أرض الكبرياءِ
فوق أرضٍ من صمودٍ وخلودٍ وإباءِ
أنت فجرٌ قد تهادى فى سموات العروبهْ
أنتِ ليلٌ من بهاءٍ ، وصباحٌ من عذوبهْ



النصر لمصر .. بكل الثقة والاصرار يرتسم على وجه احد جنـــودنا الابطـــال .

أغـنية لمصر

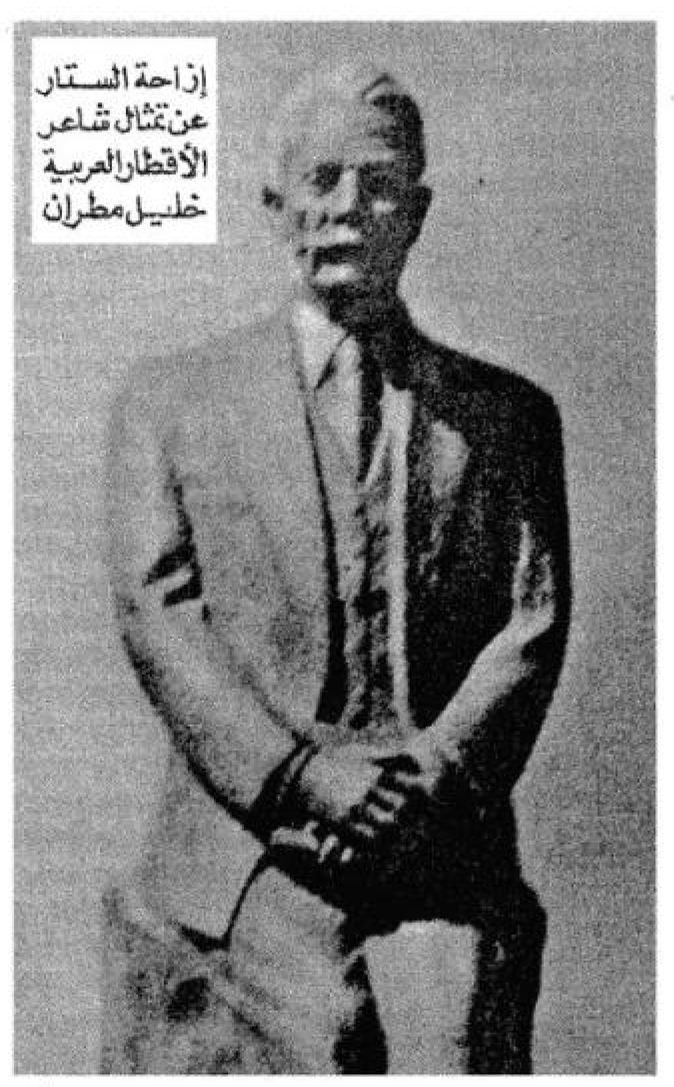
فامْضِ للمجدِ وسيرِى   فى حِمى الله القــديرِ
ولتَعيشى يا بـلادى   شـعْلةَ النّصرِ الكبيرِ

***

يا بـلادى كلُّ مافيـك تَقِىٌ وبرىء
فعَليْك النّصر يخطـو والسّموات تُفىء
والذى كان خيـالاً هاهُـو اليوم يَجىء
أنتِ نجمٌ عبقرىٌ فى سَـماء العربِ
بارَكَ اللهُ خطـاكِ بـكتابٍ ونَبى
أنت نهْرٌ من غنـاءٍ   أنت دنْيـا مُطْمئنَّه
أنتِ للمظلُومِ نَصْرٌ   أنتِ للموْعُود جَنَّه

***

يا بلادى قد غدوْنا ها هنـا اليَوم نشـيدا
نغمرُ الأُفْق حضَـارات ، وعِلْماً ، وبنُودا
ونُحيلُ الأرضَ ناراً واقتحـاماً وجُنـودا
عشتُ فى صبحى أنيناً ، وبليلى عشتِ شعْرا
وأراكِ اليوم نَصْراً حاسـما يتبع نَصْرا
أنت مَجْـدٌ عـربى   هزّةٌ فى الرّوح الصّلاهْ
أنت خـيرٌ أنت بشرى   أنت أشْواقُ الحياهْ



تمثال خليل مطران في بعلبك "للمثال عبد الحميد حمدي"

تقى الدين الصلح
رئيس وزراء لبنان

المثقفون فى كل أمة يعطونها وزنها الحقيقى

هجر موطنه وقد اثقلت ترابه وطأة الاستعمار ، وما عاد اليه ولو بتمثاله الا وقد طهرت ترابه وثبة الاستقلال .

كان خليل مطران ، وهو ابن البيت العريق ، ينعم من ارث هذا البيت بالجاه العريض والمال الوفير ، ولكن كانت فى نفس الخليل جلوة من الالهام اختص بها الخالق العباقرة والاصفياء جعلته يصبو الى الجوهرى والخالد .

لقد أرتبط العبقرى الملهم بواجب نحو الارض التى نبت فيها والناس الذين نشأ بينهم . احس ان لها ولهم حقا عليه مقدسا هو ان يدفع العبودية عن بلاده والظلم عن شعبه ، ويرفع راية الحرية فى كل مكان من وطنه .

لقد كان خليل مطران من تلك الطليعة التى بدات تتململ وتتحرك لتحرير لبنان وسائر البلاد العربية واسترداد سيادتها واستقلالها،



والتى أعطت فيها هذه المدينة الخالدة التضحيات بسخاء فكان من أسرها ومن شبابها أبطال ذهبوا فى القافلة الاولى من الشهداء ، نذكر منهم الشهيدين نخلة المطران ، وصالح حيدر الى غيرهما من ابنائها لحقوا بهما فى قوافل تالية للجهاد ·

ولم يكن البطش ليوهن من ايمانه ، ولم يكن يثنيه عن الاستمرار فى معركة الحرية ، وكل ما استطاع أن يفعله الطغيان هو أن ينقل الشاعر الثائر معركته من لبنان ، وطنه الاول الى مصر وطنه الثانى ، حيث تنسم ريح الحرية ، وحيث انطلق مع جمهرة مجاهدة من أبناء مصر ومن أبناء لبنان ندبوا أنفسهم لتحـــرير بلادهم وتحقيق استقلالها ·

فكان شاعرنا العبقرى جزءاً من النهضة العربية التى حمـل مشعلها اللبنانيون فى الوطن وفى كل مكان نزلوه من العالم · وقد غلت الحرية على الاحرار حتى أصبح وطنها وطنهم اينما كان ·

بين هجرة خليل مطران واخوانه من الشعراء والكتاب والادباء والمفكرين والصحفيين اللبنانيين الى مصر ، وجلاء جيوش الاجنبى عن شرقنا العربى ، ما يقارب نصف قرن ، قضته الشعوب العربية

في جهاد وثورات ضد مستعمر اثر مستعمر حتى حققت النصر عليهم جميعا ، واخرجتهم من ديارها ·

عندما يقرأ المتصفح في كتاب هذه المرحلة تبرز امامه بأحرف من نور قصة الشعر والشعراء الذين كانت قصائدهم الشعلة الملهبة للوطنية والقوة الدافعة للجماهير ··

وسيقرأ الباحث عن هذا التاريخ ان شعراءنا لم يكتفوا بأن تكون اعمالهم الشعرية صورة للوقائع او سجلا للاحداث ، بل كانت هي المحرك والمولد ·

ان قصائد مطران واحمد شوقي وحافظ ابراهيم وغيرهم من شعراء مصر وسوريا والعراق ولبنان وسائر اقطار المشرق العربي والمغرب ، الذين انطبعت بهم الحقبة ، لم تكن اقل فعلا وتأثيرا من مواقف الزعماء الوطنيين وخطب القادة السياسيين ·

ان الثورات العربية لم تكن الا وليدة النهضة الثقافية العربية ·· ورب شاعر انقذ امة ، واطلق شعبا وبدله من شعب مستسلم مستكين الى شعب ثائر ·

ان الحرية امام المستعمر كالحرية امام الحاكم المستبد · ان طعم الاستبداد واحد · وطعم العبودية واحد ، اكان المستعبد اجنبيا ام كان مواطنا · وان طعم الحرية واحد لا يتبدل في وجه الغريب او في وجه القريب · وان الذي يصنع المستبد والمستعمر والمستعبد ليس هو جبروته وقدرته وانما هو تخاذل الشعب امامه، فالشعب هو صانع مستعبده « اكسرى كان ام كان قيصر » ·

كان الاستقلال في ذهن الشعوب المناضلة من اجله هو الجواب عن كل ما تشكو منه · كان هو العزة الوطنية والكرامة القومية ، كان المساواة والعدالة الاجتماعية · كان هو الحرية ، كان هو التقدم ، فاذا هو من كل هذا شيء واحد ، هو زوال السلطان الاجنبي فحسب · واما الحرية ، واما التقدم واما العدالة ، فاشياء مختلفة لها معاملها ولها اكلافها ولها تضحياتها ولها معاركها · وما الاستقلال الا المرحلة الاولى الى كل هذا ، فهو البداية وهي النهاية · وهو الطريق وهي الغاية ، هذه هي مشاغل الشعوب وهي مواضيع معاركها ، بعد استقلالها وتحررها من الحكم الاجنبي ·

واذا كان خليل مطران لا يرى استقلالا ينال الا بسواعد الشعب

ولا استبداداً يزال الا بنضال الشعب ، فأولى بكل شعب ان يدرك انه لا حرية له ولا عدل ولا تقدم الا بكفاحه ..

وكما يصح ان التقدم شرط الحرية ، فالصحيح بالقوة نفسها ، ان الحرية شرط التقدم . كذلك اذا كان الوعي طريق الحرية ، فان الحرية هي طريق الوعي .

انه واجب المثقفين ، بل رسالتهم . ان المثقفين في كل امة هم الذين يعطونها وزنها الحقيقي ، هم الذين يصنعون تاريخها ، ويقودونها حيث يشاءون ، هم الذين يصوغون قيمها وافكارها ، هم الذين يعطونها صورتها ويعينــون منزلتها وهم الذين يجلون روحها ويشحذون قواها ، فهل يدرك المثقفون في لبنان وفي العالم العربي اى دور يدعوهم اليه قدر بلادهم ومصيرها ومستقبلها ؟ هل يدركون حقيقة الدور الذى تنتظره بلادهم منهم ؟

وفي زمن أصبح معه الغزو الثقافي من وسائل الاستيلاء على الشعوب لاذابة شخصيتها أصبح قيام المثقفين بالمحافظة على التراث مهمة اولى الى جانب المشي مع ثورة العصر . انك لا تستطيع ان تمحو شعبا اذا اقتلعته من ارضه ، لكنك تستطيع ان تقضي عليه اذا انتزعته من تراثه

انه لدور صعب بقدر ما هو عظيم . عليهم هم مع الساسة والقادة ، بل قبلهم ، ان يأخذوا شعوبهم من مكان تتبرم منه ، الى مكان ترتاح اليه وتعتز به

ان جيلا قبلهم ، جيل خليل مطران قد انتزع بلاده من ايدى المغتصبين ليضعها في ايدى ابنائها . وعليهم هم ان ينتزعوها من أوضاع الضعف والوهن الى أوضاع المنعة والقوة . ان الشعلة التى حملها جيل خليل مطران تنتظر جيل المثقفين اليوم .

ان لبنان الذى يحتفل اليوم مع مدينة الشمس باقامة هــــذا التمثال تكريما لابن لبنان البار ، شاعر الاقطار العربية ، لحريص ان يعطي هذا التكريم حجما يتعدى حدود الوفاء والتقدير لعبقرية

الشاعر العظيم . انه حريص على ان يعطي هذا الاحتفال معنى التظاهرة الثقافية ، ومعنى التأييد على وعى لبنان الرسمي ، وعلى رأسه فخامة الرئيس سليمان فرنجية الذى تفضل فكلفني تمثيله في هذا الاحتفال ، للشأن الثقافي ولدور المثقفين » .

صالح جودت



●● تحية لذكرى شاعر الاقطار العربية خليل مطران فى مهرجانه الذى اقيم فى الشهر الماضى فى بعلبك بلبنان ●●

بعثَ الله شاعراً فى زَمانِهْ ... لا بإنجيلِهِ ولا قرآنِهْ
جلَّ شأنُ الإله ، ما علّمَ الشعرَ نبياً ، أو بثّه فى لسانه
أرسلَ الأنبياء بالآى والاصحاح كى نهتدى إلى سُلطانه
فاختلفنا طوائفاً ، ومضينا ... كلُّ دين يخوضُ فى أقرانه
فانجلت حكمةُ السماء عن الشعر ، وفَضّ الحجابَ عن برهانه
وأتى الشاعرُ الذى دينُه الحبُّ يضم القلوب فى ديوانه
فإذا نحن عالمٌ وحّدتهُ ... ملكة الشعرِ فى جلالةِ شانه



فاسجدوا للقريض فهو حِمانا ودعوا الدين في حمى دينانه

***

يشفع الأنبياء للمتنبي يوم أن ينتمي إلى رحمانه
ويلينون جانباً للمعري وهو حيران في مدى غفرانه
ويهيمون في هيام النواسي بذكر الاله ، وهو بحانه
ويرون الإيمان في شعر طاغور ، وأمّا انحنى على أوثانه
يورك الشعر معبداً يتدانى فيه أشياخه إلى رهبانه
يقصد المسلمون محرابه الطهر ، يصلون في حمى مطرانه
ويرون الهدى بشعر أبي ماضي ، وروح النبي في جبرانه

والنّصارى يستميلون لشوقي   شاعرِ الكون في عليّ مكانه
ويرون الشُّلاف في قدح الخيّام رمزًا يشفّ عن إيمانه
فاسجدوا للقريض ، فهو إلى الله سبيلُ النجاةِ من نيرانه
واذا طفتمو بمكّةَ والقدْس ، فأنهوا الطوافَ في لبنانه
كعبة الحب ، جمّع الله فيها   سِحرَ أجراسِه ولطف آذانه
مرسم الأخطل الصغير ومجلى   فاتنات الظلالِ من ألوانه
ومحطّ الرحال للألمعي القرويّ الفريدِ في ألحانه
ومهادُ ابن نخلةٍ ، مَن إذا نام ينام الجمالُ في أجفانه
ثم يصحو على ابتسامةِ عينيه ويقضى النهار في أحضانه
سبّحوا الله في منمّقة الأرز ، ففيها أشهَى ثمارِ جِنانه
واشهدوا كيف بورك الحب فيها   وحنت حوره على وِلدانه

***

باكرتنا بيروتُ يوم قدمنا   بصبوح معتّقٍ في دنانه
أبيض كالقلوبِ في صفحة الأرْز ، وكالثلج في ذُرا أفنانه
فشربناه من يدِ ابنة باخوسَ ، وذقنا رُضابها في لبانه
ثم قلنا لها : أبوك أبو الكرْم ، ونحنُ الصحابُ من ندمانه
قد أنسنا بلطفه ونداه   وقرأنا الكتابَ مِن عنوانه

غير أنَّا غداً نودِّع بيروت ، ونرجو السماحَ في استئذانه
نحن ماضونَ نحو بيت إله الشمس والخالدين من رومانه
نحنُ ماضونَ نحوَ معبد « جوبتير » نؤدّي الجميلَ من قربانه
فلنا في ظلاله اليومَ خلٌّ وحبات الخلود أدنى مكانه
ملكٌ في أوانه ، ما تخلتْ عزَّة الملك عنه بعدَ أوانه
عجباً للزمانِ ، ياما شَهِدْنا عجبا من ضرابه وطعانه
نَزَع الصَّولجانَ من يد خوفو ونضا التاج عن أنو شروانه
ومحا المجدَ من كتاب بونابرتَ ، وألقىَ به إلى سجّانه
وجرّى بالقضاء في عاهلِ الترك ، وغالَ الغلاة مِن أعوانه
وطوت كلُّ خطوةٍ من خطاه دولةً إثر دولة في عنانه
كمْ لها بالملوك ، الا مُلوك الشّعر ظلّوا الملوك في ميدانه
يَرِدُون الحياة والموتَ والبعثَ ، ولا يَنزلُون عنْ تيجانه
كم بناءِ الغابرينَ تهاوىَ وتهاوىَ العتاةُ من كهّانه
وقصيدٍ في الجاهليّة ماضٍ لم يزلْ كالربيعِ في ريعانه

***

التحيّاتُ يا بعلبك عطراً لابنكِ البكْر في ضحى مهرجانه
قد نأى عنكِ في الطفولة غُفلاً ما توقعتِ منهُ مقبلَ شانه

تحيــة مصــر

فانظري كيفَ راح يهزج في مصر ويَسبي النُّهَى بسحرِ بيانه
ويهزُّ الأنسام في شــاطيء النيــل وطيرَ الرُّبى على أفنــانه
ويثيرُ الحمَى إلى دعوةِ الحق ، ويَبْنى القوىّ من أركــانه
وانظرِي كيفَ هام في جنّة الحبِّ ، فأشجَى القلوبَ في هيمانه
وتغنّى بقصّــة الزهر والنحــل ، فذابَ الجَمالُ من تحنــانه
ومضَى الشاعرُ الحزين يصلّى طــــول أيّامهِ على كــروانه
وانظرِي كيفَ باتَ في قمّة الفصحى ، وأمسَى البيانُ طوع بنانه
وتلقّى إمارةَ الشعر عن شوقى ، فَصانَ العهُــود في صَوْلجانه
وصَـــحَا يعــربٌ يقلّده جبهـــةَ بغــداده إلى تطــوانه
ثمَّ حَانَ الكَرَى بفسطاطِ مصر وأُهيل الثرى على جثمــــانه
فانظرِي كيفَ عادَهُ الشوقُ للمهدِ فنفضَ التراب عن أكفــانه
وأتى اليوم في الخريفِ بعيـدٍ يستردُّ الربيعَ من نيســـانه
جاءكَ اليوم يا بعلبك شـــوقا وسَراةُ القَريضِ في رُكبــانه
ســـائلاً أين تربُه في ضحى العمْر ، وأين الصفاةُ من خلانه
جاءكَ اليوم شامخاً يتحــدّى الإله المنقوش في جـــــدرانه
فهــوَ أعلى منه مكاناً ، وأقوى بالعنود الشعري من عمــدانه
حسب «جوبتير» في الزمان خلوداً أن يكون الخــليل من جيرانه

اغفروا لي اذا وقفت أغنّى بالعمود الشعرى بعد هوانه
بعد أن غالنا الجديد، وكدنا من أسانا نغيب فى طوفانه
بعد أن هيضت البلابل فى الروض، وطاب الغناء من غربانه
رحم الله للخليل زمانا غير هذا الزمان فى هذيانه
كثر العابثون فى حرم الشعر، وقل الذواد عن أركانه
كثر المازحون فيه، وعاثوا فى تفاعيله وفى أوزانه
وغدا كل شاعر ينهش البحر كنهش الذليل من حيتانه
هل سمعتم به يثقل ويتزرى بالروى الشجى فى إرنانه
هل سمعتم به يتجنب القوافى وهى حول القريض عقد جمانه
هل سمعتم به يندد بالفصحى، ويختال فى ذيول رطانه؟
يا سقى الله يعرباً بالتأسى فهو فى محنتين تفترسانه
من أذى العابثين فى حرم القدس وسينائه وفى جولانه
وأذى العابثين فى حرم الشعر وفى حسنه وفى إحسانه

***

أيها المؤمنون بالشعر، ذودوا عن حماه ونافحوا عن كيانه
يسترح ذلك المخلد فيكم ويقر الصفاء فى وجدانه
رضى الرب عنه فى منزل الخلد، رضاء النبى عن حسانه

■ فوزي عطوي ■

خليل مطران شاعر الفلسفة والمصير

نحن نرى ان مهمة الشاعر ينبغي أن تكون محصورة في الغناء ، بمعناه الشامل ، لا في محاولة كشف الاسرار ، وتعليل الظواهر ، وتبين المصائر ، والا انتفت مهمته كشاعر ، وعدا على مهمة الفلاسفة الذين تناط بهم معرفة الامور الفلسفية عامة . فالشاعر يجيء هذا الكون لكي يغني ، لا لكي يتفلسف ...

وعلى الرغم من أن خليل مطران غنى ، واجاد الغناء ، فهو قد تفلسف ايضا واجاد التفلسف ، ولا سيما في نظرته الشفيفة الى مصير الاشخاص والاشياء . ولكن خليل مطران ، اذا استطاع ان يظهر في شعره بمظهر الشاعر المتفلسف ، فهو لم يكن ذلك الشاعر الفيلسوف ، بأي حال من الاحوال

فكيف تجلت نظرة خليل مطران الفلسفية ، من خلال فكرة المصير (١) التي نستشفها بيسر وسهولة ، من خلال قصائده القصصية والتاريخية والوصفية والوجدانية بشكل عام ؟

ان في دروب الحياة عثرات ، وبعد كل عثرة منعرجات او منعطفات ، ما اجتاز الانسان عقباتها يوما الا وترك الوجود الى اللاوجود ، واشرف من حدود الدنيا على دنيا اللا حدود .

(١) المصير في شعر خليل مطران الرساله ـ العدد ٥ ـ السنة ٣ ـ في الصفحات ٣٩ ـ ٣٤ ـ ٧٨ ـ لكاتب البحث

اذا كانت الفلسفة هي العلم بالوجود ، بمبادئه وعلله، او معرفة الامور الالهية والانسانية، واذا كانت الفلسفة هي التامل في ظواهر الكون ، والسعي لسبر اغوار تلك الظواهر ، ومحاولة ايجاد التفسير الملائم لاسرارها ، والكشف عن مصادرها وعللها ومصيرها ، والبحث في معنى الخير والشر ، والجبر والاختيار ــ فان خليل مطران لم يكن رجل فلسفة .

ولكن متى ذكرنا قول الفيلسوف اليوناني القديم افلاطون : « ان الفلسفة هي العلم بالحقائق المطلقة المستترة وراء ظواهر الاشياء » . ثم متى ذكرنا ان الصفة الاساسية التي تميزت بها الفلسفة اليونانية عن غيرها من الفلسفات ، هي كونها تجمع بين قيم الحق والخير والجمال في وزن واحد من الاتساق ــ ادركنا ان خليل مطران كان شاعرا منغما في الفلسفة ، على وجه عام .

وفي دروب الحياة تلك ، مهما تشابكت المنعطفات وتشعبت ، فان الانسان ، في مسيره ، آيل الى مصير لا يرجى بعده طول في البقاء ، ولا مدى في الخلود :

هل المرء مرجو على كل حاله	لطول بقاء ، والليالي كوافله
فان كان طفلا ، فهو منذ ولاده	رهين المنايا ، والرزايا قوابله
وان كان شيخا فهو قد شد راسه	الى الارض من عجز، وناءت كواهله

بمثل هذه الابيات أوجز خليل مطران مصير الانسان ، مصير الكائن الذى ما وجد الكون الا له ، وما سخرت بقية المخلوقات لسواه ، بل مصير ذاك الجبار الذى يتطلع الى السماء ، آملا ان يفتحها ويسخر عباد الله ليقضوا مناه كأنهم عبيده .. أنظر الى نابليون ، وهو يرقب النجوم فى اخريات أيامه :

قالوا لنابليون ، ذات عشية	اذا كان يرقب في السماء الأنجما
هل بعد فتح الارض من امنية ؟	فاجاب : أنظر كيف افتح السما !

اسمعت جواب هذا الرجل الطموح ،ذى الجبهة الغراء ، والقوام القصير ، الذى تنتفض جوارحه معلنة همتها وجلدها ، واملها الذى لا نهاية له :

عريض الجبهة الغراء ، يبدو	بها شعر كما رق الغمام
تراه العين جبارا عظيما	لهيبته ، وان قصر القوام
اذا تعب الجنود فليس بدعا	بان لا يتعب الملك الهمام !

شاعر الفلسفة والمصير

اسمعت ذاك الانسان الذى قاد النصر، وسير المجد فى ساح الوغى كما طاب له، وذاك الذى دوخ الالمان وارهبهم، فكأنه علم علا أعلام الزعامة والقيادة؟

وكان نابليــــون فى ضرباته   علم على علم الزعامة يـــــاد
المجد رهن اشارة بيمينــــــه   والنصر بين يديه كالمنقــــاد !

اسمعت ذاك السياسى المحنك الذى يعرف كيف يتلاعب بعواطف جنوده الذين يبتسمون للموت، ويبذلون حياتهم فى سبيل وطنهم وقائدهم، وهو لا يقل عنهم شعورا بالموقف، مواساة واغاثة؟

او لم تشهد منظر ذاك الجندى الجريح الذى أمال رأسا فيه جبروت القياصرة حين رأى نابليون، وصاح: «فداك يا ملكى، حياتى!»:

دنا ليفديه، فأمال رأســــــا   له عنت القياصرة العظــــام
اراد أبانة عما تقــــــادت   جوارحه به، فعصى الكــلام
فجمع ما تبقى من قــــــواه   واسعده على النطق الذمــام
فصاح: «فداك يا ملكى حياتى»   ومات، وفى محياه ابتســـام!

بلى. اخالك سمعت، بعد الذى سمعت. ولكن ماذا كان مصير نابليون الم يمت جند نابليون الكرام؟ اثبت لهم اثر فى صفحات التاريخ غير الذى ثبت من قول الرواة بانهم عاشوا ليقضوا مثل رجل كبير، ثم عاجلهم النوم .. يقول خليل مطران:

يسخر ربك الدنيا لفــــــان   وفى الدنيا وفيه له مــــرام
فيلقى من محبته عليــــــه   وتوشك ان توحده الانــــام

ذاك شان نابليون. لقد سخرت له الدنيا، وما ارتوى، ولم يشف غليله .. ومن المؤكد انه لو امكنته الفرصة من توحيد، لا أوربا فحسب، بل والعالم اجمع، لما اكتفى، بل لتطلع الى السماء، ورام افتتاحها، كأنه به يريد من الزمان ما اراده المتنبى اذ قال:

اريد من زمنى ذا ان يبلــــغنى   ما ليس يبلغه من نفسه الزمن!

ولقد تنقل نابليون من فرنسا الى جزيرة البا، ففرنسا، فجزيرة القديسة هيلانه، حيث قضى كما قضى غيره، والتم المصير الذى اتمه جنــــوده من قبله، ذائقا مرارة الخيبة، ولوعة الخذلان!

●●●

والانسان، فى مصيره، رهين هفوة طفيفة، وبادرة صغيرة، تنقلانه من درب السعادة الى سبيل الشقاء. كذلك هو مصير الامم والشعوب، اذا قدر لها رجال عظماء يحكمونها فى رقاب اعدائها، ويجعلونها تسير قدما نحو المجــــد

والمعالي · حتى اذا ما تلا اولئـــك العظماء افراد صعاليك في نفوسهم ، وجبابرة في اجسامهم ، لا يعرفون معنى الحزم ، ولا مغزى للجزم في الامور ، رأيت الدهر يديل انحطاطا من معاليها، ولا يمهل شبيبتها كي يستعيدوا قواهم، ويسترجعوا مجدهم التليد ·

يا دهر ان كنت لم تمهل شبيبتنا — حتى ادلت انحطاط من معالينـــا
فانت خير مرب للالى جهلـــوا — كجهلنا ان ترك الحزم يشقينـــا
فاز القوى علينا في تضاؤلنـــا — والحق اعلى ، ولكن ليس يعنينا
لافخر ان يغلب الاقوى مناضله — بل ان يبين ضعيف مثلما بينـــا

الا تشعر بهذا المصير المتجهم الزاخر بالحسرات والآهات ، يطلقها شـيخ « اثينة » لوعة ورثاء لأثينة التي انحلت على ايدي الرومان ، ودخلت في اعمال دولتهم ؟

ثم ، الا ترى هذا التوجع المؤلم الذي يصدر عن مثل هذا الشيخ الذي نعم بالمجد في ايامه الغراء ، وكأنه يجد في يومه مأساة لأمسه ، ودفنا لمعاقل أمته ، وفقدانا لسفنها الجارية · فاذا صوت الحق ابكم أصم ، كأنه ذنب يقترفه من ينادون به · واذا نور الكرامة يخبو ، فيذل شعب ، وتمتهن حرماته ، وبعد ذلك رفعا له وتعزيزا لمكانته ، بينما هو في الحقيقة سبيل لاستعباده واستثماره !

***

فلئن كان ذاك هو مصير الشعوب اللاهية ، والامم العابثة بما سـتئول اليه من حال ، فما هو مصير الامم التي تباري اعداءها فتريهم، وتصارعهم فتصرعهم ؟

لم يفت مطران ان يصف ذلك ، على لسان شـيخ « اثينة » نفسه ، أن مثل هذا الشعب المنتصر قد الف نار الوغى ، فتحدى الشياطين ، وأردى عساكر اعدائه ، واخلى دساكره ، وهد منائره ، فلم ينج منه غير القلائل ، فمن قدرت لهم الحياة بعد هذا الصرف من القدر المحتم ·

وبالرغم مما ابداه جنود الامة المنحلة ·· من ضروب الشـجاعة والبطولة والشدة ، فان الفلاح لم يعرف اليهم سبيلا ·· ولم تكن بسالتهم الفائقة الا نذير انهزامهم ، كانتفاضة الميت في نزاعه ، وكسطوع نور الشمعة قبل انطفائها · يقول مطران :

نابليون : سخرت له الدنيا وما ارتوى



شاعر الفلسفة والمصير

في فئة من بني الرومان قد القوا — نار الوغى ، فحكوا فيها الشياطينا
ولم يكن جندنا الا قساورة — ابلوا بلاء الصناديد الاشدينا
لكن صرفا من المقدور غالبهم — فما نجا منهم غير الاقلينا

ان في ذلك تصويرا لحالتين : حالة باسمة ، وحالة عابسة ، يردف خليل مطران بعدها ، موجها مصير كل منها :

اليوم روما هي الدنيا وصولتها — تنافس الارض توطيدا وتمكينا ،
وما « اثينة » الا معقل خرب — تجيل اصفادنا فيه مداليننا

وليس ترك الحزم وحده هو من عوامل انحلال الامة ، فان الجهل يكفي ان يزعزع أمة ، ويعبث فيها ذلا وحقارة · وحسبه ان يكون الاساس الاوطد لترك الحزم الذي نعاه شيخ « اثينة » ، والذي حاول مطران ان يتقصى اصوله ، فلا يجده في « اثينة » وحسب ، بل ولدى الفرس أيضا ، حيث يقتل الوزراء والحكماء ، وحيث بات الشعب ، بعد ما كان عريقا في العلا ، وبعد ما كان كبيرا في الحروب ، صاغرا ضئيلا ، يعبد « كسرى » قاتل « بزرجمهر » ويمنحه نفوسه ورقابه وعرضه وأمواله ، وحيث تستقبل نعال هذا الطاغية الباغية بالوجوه ، لانه في نظرهم « تبر » · طالما ان الامثال تضرب بعدله ، اذا قضى مرة بالحق والعدالة ·

اصغ الى الشاعر مطران ، وهو يخاطب هذه الامة ، ويذكرها بمصيرها الذي وصلت اليه :

كنتم كبارا ، في الحروب ، اعزة — واليوم بتم صاغرين ضئالا
عباد كسرى ، ما نحيه نفوسكم — ورقابكم ، والعرض ، والاموالا
تستقبلون نعاله بوجوهكم — وتعفرون اذلة اوكالا
التبر كسرى وحده في فارس — ويعد امة فارس ارذالا
واذا قضى يوما قضاء عادلا — ضرب الانام بعدله الامثالا

اليس طبيعيا ، بعد الذي عرفنا عن هذا الشعب الذي لم يعد فيه سوى « اذلة » اوكال » و « صاغرين ضئال » ان يقتل العظماء فيه ، وان يعبد فيه الطغاة المتحكمون ، وان يعتقد كسرى ، ويعتقد الناس معه ، ان أمره مستمد من المشيئة الالهية ، فلا شك يتعاوره ، ولاجدال يرقى اليه ؟؟

واسمع مطران يقول على لسان احد الملوك :

اني منيت بامة مغضورة — من ذلها ، ولها القناعة مشرب
لا تألم بغضبهم ولو اورى بهم — اتعز شانا امة لا تغضب ؟

أعياني التفكير في أدوائهـــم ... فما عصين ، وحرت كيف أطبب
فلا يبنين لهم جدارا ثابتـــا ... كالارض ، لا يفنى ولا يتخـــرب !

أجل • كم من مليك اراد ان يغضب أمته لتغضب عليه ، علها تشعر بوجودها وكرامتها • ثم من شاعر كمطران بين لهذا الملك ان مثل أمته لا يمكن ان يعلو قدرها او يعز شأنها الا اذا اعتمدت على الفضائل والتجارب • فالناس في مملكته جهلاء قد ارادوا له ان يصول فصال ، وحكموه فاستبد ، وذلك بسبب جهلها لحقائق الامور ، فما يرفـــع الملوك ، ويسود الابطال :

هم حكموه ، فاستبد بحكمهـــم ... وهم ارادوا ان يصول فصـــالا
ويجهل داء قد تقادم عهـــده ... في العالمين ، ولا يزال عضـــالا
لولا الجهالة لم يكونوا كلهـــم ... الا خلائق أخوة أمثـــالا
لكن خفض الاكثرين جناحهـــم ... رفع الملوك وسود الابطـــالا
واذا رأيت الموج يسفل بعضـــه ... ألفيت تاليه طغى وتعـــالى

وبديهي ، في مثل هذه الاحوال ، ان الحصون المعرضة للخراب لا يمكن ان تفيد ، لانها تصبح في منزلة الرسوم الدوارس ، لا تجلب ســـوى حسرة الناظرين ، ولهفة الشاعرين • • وهذا دليل يقدمه خليل مطران على ان الامة لا يمكن ان تمتنع اذا لم تكن محصنة بما ذكرنا من فضائل وتجارب ، في قوله :

لا يعصم الامم الضعيفة فطـــرة ... الا فضائل بالتجارب تكســـب
فتكون حائطها المنيع على العـــدا ... وتكون قوتها التي لا تغلـــب !

***

ولقـــد تحدث مطران عن الآثار والخرائب •• ولا اخاله هنا الا رفيقا « لشاتوبريان » ذاك الاديب الفرنسي الذي وقف امام الكثير من الاطلال • والذي نادى ، فلم يسمع جوابا • ذلك ان الاطلال تفصح بالاشارة ، لا بالعبارة •• وبالتلميح لا بالتصريح • وتروي على سمع الزمان مصير الكائن ، مصير كل شيء ، بعد ان حارت الافكار بمـــا صنعت يد الانسان ، وما اقامت من الاسراء •

هذه بعلبك الماثلة امام الشمس ، والتي لا تزال أرواح الاشباح تأتي وتقدم على مذبحها ضحايا الانســـانية •• وتؤدي فرضا عليها لهذا الكوكب

شاتوبريان : وقف امام الكثير من الاطلال



شاعر الفلسفة والمصير

القديم الذى البس المعبد البعلبكى تفويف الدر والعقيق على رداء من نضار ٠ اليس فيما يصفه مطران ، ما يشبه البحترى فى وصفه لايوان كسرى ؟

يقول مطران فى وصف قلعة بعلبك :

ضرب حارت البرية فيهـا | فتنة السامعين والنظـار
معبد للاسرار قام ، ولـكن | صنعه كان أعظـم الاسرار
شيدوها للشمس دار صـلاة | واتم الرومان حلى الـدار

وواضح ما فى البيت الاخيـر من دلالة على جهد الفينيقيين ، ثم اتما الرومان لهذا العمل الشاق ، ولكنهم مضوا ، ولئن ذكروا ، فعلى هامش المعبد يذكرون ، وتذكر معهم المآسى التى مثلوها على مسرح التاريخ ، حيث كان الشعب ـ وهذا السر الذى كان يخالج نفس مطران ـ قد بناه بايديه ، وقدم دماء فلذات كبده لاقامته فى جولة الجوع والظمأ ، لا شفيع لهم عند الظلم سوى السوط يلهب ظهورهم، ولا مخلص لهم من الالام سوى الموت يذيقهم الراحة الكبرى

***

والخليل مطران يبدع فى تصـوير المصير اكثر ما يبدع ، فى مجال الرثاء واللهفة على الشباب الضائع الذى يمضى تاركا فى قلوب محبيه لوعة وغصة . فاذا بالموت لا يجنى عليه كما يجنى على من عاش بعده من اهله ، ممـا يدعو مطران الى أن يترحم على الاحياء كترحمه على الاموات ، سواء بسواء ٠

اسمعه يرثى شابا قضى فى زهـرة عمره بهذه الابيات الموجعة :

فى زهرة العمر فتى نابـه | احماه سهم للردى طائشـا
اثكل اهلا لا عزاء لهـم | واوسع الرفقة ايحاشـا
ما ان جنى الموت عليه ، كمـا | جنى على من بعده عاشـا !

وما اشك فى ان مصير اهل هـذا الفتى من بعده ، يشبه الى حد بعيد مصير الخطيب الذى سقى خطيبته ، خطأ ، كاس سم ، بدلا من الدواء الناجع ٠٠ واستقى من موتها كاس المنون ، وافيا غير نادم ، رغم ان عمله لم يكن الا هفوة رامها القضاء له ان تكون ، فكانت !

هكذا صور مطران مصيرها المشئوم :

يا عروسا مرت بها اشهر الصفو | سراعا ، فانها حلم حـالم
قد سقاك المحب كاسا ، وما ان | خال فيها سوى الدواء المـلائم
كاس موت سقا لها واستقـاها | من يد الحزن وافيا غير نـادم
هكذا فارق الحبيبـان دارا | هى دار الشقاء ، دار المغـارم
ختما العرس فى غيـابة رمس | وختمنا افراحنا بالمـاتم !

ولا يزال مطران سائرا في ميدان الرثاء ، حين يتذكر مصير الادباء ، وهو احد اركانهم · انه يعلم علم اليقين ان الاديب يستطيب الردى دون الاسى، ويستعذب الموت على ان يقلب تقليبا على مضجعه ·· كذلك كان مطران ، وكذلك كان مصيره ، وهو مصير الشيخ نجيب الحداد ، كما يبنيه شاعرنا ، مخاطبا الحداد :

فارقد،فما احرى الردى، وهو الكرى ... ان يستطاب على الاسى فيطيبـا
القبر افضل للفتى من مضجع ... فيه يقلب موجعا ، تقليبـا
وجلاق الارماس أهون محملا ... من ان يحمل مثلهن كروبا !

***

اما الحب وحكاياته ، فهو يشغل مطران بقدر ما تشغله مظاهر الحب نفسه · ومطران يربأ بالجمال ان يهمل اذا تخيلت المراة ، بعامل الوهم ، انها مريضة (١) وفي رأيه ان محيا المراة يجب ان يزخر بعلائم الرجاء · فالشباب عذب اذا ما توشح بالطهارة والعفاف والاباء · اما ان يؤول الجمال الى تبرج بعد حياء وخفر ، تبرج الانثى تصدت للذكر ، على حد تعبير ابن الرومي ، فهذا ابعد ما يكون عن الحقيقة ·· وعن الطبيعة التي تستسيغها النفس البشرية :

فما الاكليل للحسناء وقـر ... ولا تصفيف وفرتها عنـاء
ولكن يصدع الراس اشتغال ... بما تأبى الملاحة والفتـاء

ولذلك ، فهو ينصحها بالابتعاد عن الهم الذي هو سبب لكل ذبول في ربيع العمر ، ومبعث لكل شحوب في ضياء الحياة واشراقتها :

وشادي الصادبات ، فان اسمى ... بيان للنفوس هو الغنـاء
وحاكي الزهر تسليما ولهـوا ... فما للهم في حسن شـواء

الم اقل ان الحب يبقى جميلا اذا اقترن بالطهارة والعفة ؟ · لكن ماذا ينفع الندم في يوم يعود الانسان عن غيه بعد ان يكون قد جن بهوى فتاته ، ثم انقطعت علاقته فجأة بها ؟ !

---

(١) وهذا اسوة بمريض الوهم المسرحية التي وضعها « موليير » والتي تأثر مطران بها وبمثيلاتها من الادب الفرنسي الكلاسيكي والرومانتيكي ··



موليير : تأثر مطران
بمسرحيته مريض الوهم

الندم فى هذا المجال لا يفيد ، بل هو يشجع على الانتحار • وهكـذا نرى مطران يرسل فى « تشييع جنازة » نداء ممتزجا بالانين ، حين سار وراء نعش المحب المنتحر ، المكسو بالبياض ، والمحلى بالزهر :

قربته فما ارتــــوى ... وجفته ، فما ارعـــوى
غادة من ســعى الى ... غاية عندها غـــوى
جن فيها ، وقبلــــه ... جن قيس من الهـــوى
وقضى خالد الثــوى ... يتداوى من الثـــوى !

***

الجد والهزل عاملان متناقضان ، لا علاقة بينهما الا من حيث الاختلاف مبدأ واساسا • ولكن مطران يجعل من هذين العاملين ارتباطا وثيقا لا يفسره الا المصير المحتم على كل انسان • فكيف نشأ هذا الارتباط بين عاملين مختلفين عند مطران ؟

فى قصيدته « فاجعة فى هزل » التى يمهد لها بقوله « جرت هذه الحادثة فى قرية بلبنان ». وذكرها للشاعر بعض شهودها » يروى مطران قصة شعرية مؤداها ان رهطا من ثمانية شبان ،كانوا يتنادمون فى قرية من قرى لبنان الحالمة فى احضان الطبيعة السمحاء ، فلا يطيب لثلهم الا حـــديث الحسن والحسناء فاذا بهم يسهرون ويطيلون السهر ، حتى اذا ما سمعوا ان بجوارهم نسوة فى حفلة وغناء ، قام فتى جرىء منهم ، جامح الاهواء ، غض الشبيبة ، وعرض عليهم حيلة يحتـــالونها حتى يحظوا بمجالسة النسوة اللاتى بقربهم ، لان فى نظره لا خير فى انس بغيــر نساء » فهو سيتظاهر بانه ميت ، فيهب احدهم وينعاه للضيعة ، فتاتى النساء ،وعندما يفاجئهن بالواقع، فهو قد تصنع الموت ولم يمت » :

كانوا ثمانية من الندمــــــاء ... متآلفين كاحسن الرفقــــاء
فى مجلس حجب الشباب بامرهم ... ابـــوابه ، الا على السراء
متحدثين ، ولا يطيب لمثلهــم ... الا حديث الحسن والحسنــاء
حتى اذا اعتكر الظلام ومزقــت ... احشاؤه ، قدمين بالاضـــواء

وتثاقلت اشباحهم ، وتخففــت ... ارواحهم من نشوة الصهبـــاء
اصغوا لقول فتى جرىء منهــم ... غض الشبيبة ، جامح الاهـواء
يا ايها الاخوان اسمع نســوة ... بجوارنا فى حفلة وغنـــاء
فهلم نحتل حيلة فيجئننـــا ... لا خير فى انس بغير نســاء

قالوا : فما هي ؟ قال : ارقد موهما   اني قضيت معاجلا بقضـــاء
فاذا انتجتم جلتكم ، فبرزت من   كفني ، وفزنا باجتماع صفــاء !

وهكذا كان ما اراد صاحبهم ، وجاءت النسوة ، وقام رفاق هذا الفتى بدورهم خير قيام · ولما ادركت النساء ذلك منهم· قام الجميع ينهرون «الميت الحي» :

فنعاه ناع راعهن ، فجئـــن في   هرج لتوديع الفقيد النـــائي
ويكينه ، حتي اذا ادركن مـــا   كادوا لهن ، وثبن وثب ظبـــاء
يضحكن اشباه الشموس تالقـــت   عقب الحيا ، وضـــاءة اللالاء
وحففن حول سريره ينهـــرنه   لكن احطن بصخرة صـــماء
فرفعن عنه غطاءه ، فوجـــدنه   بالميت اشبه منه بالاحيـــاء
عالجنه جهد العلاج ، ولم يكـــن   شيء ليوقظه من الاغفـــاء
حتى اذا دعى الطبيب فجاءهـــم   راع القلوب بنفي كل رجـــاء
فتبدلت افراحهم في لحظـــة   بمناحة وسرورهم ببكـــاء
وأباتهم هذا المزاح من الـــردى   في شر مـــا يبكي من الارزاء

وهكذا ربط مطـــران بين المزاح والجد : ان امامهما طريقا طويلا، عليهما اجتيازه · فالجد في طرف من الطريق ،والمزاح في الطرف الاخر ، وهكذا يسير الانسان ، والجد فيه يتجه بعكس المزاح ولكنهما أخيرا ينتهيان في نقطة واحدة، حالما يلتقيان ، ويبقى الانسان في كل حالة سائر الى حيث هو سائر ·· ان جدا ، وان مزاحا :

لو عاش صاحبهم ، لعاش رهينة   من بعدها للهجعة الســـوداء
وكذا الحقيقة جدها ومزاحهـــا   سيان في الاشقاء والافنـــاء !

بعد هذا كله ، نتساءل عما اذا كان مطران قد افصح عن فكرته ، عبـــارة وتصريحا ، لا اشارة وتلميحا فقط ، فجسم المصير ، واظهر حقيقته ؟

بلى · لقد قالها واطلقها صريحة واضحة ، بعد ان وجد في « العـالم الصغير، مرآة العالم الكبير » فانشد :

تلك الحياة ، عتيدها ومصيرها   حتى يكون الحب اخر فـــان
وتذوب في لهب الشموس هوائنـــا   وبها الشموس تذوب وهي هواني
ويكون يومئذ شفاء غليلهـــــا   ومتاعها وفنـــاؤها في ان
قالت : أذاك مصيرنا ؟ فاجبتها   السعد اخر شـــقوة الانسان !

***

وبعد · فقد قلت لك ، منذ البدء ، ان خليل مطران لم يكن منقبا عن نظام فلسفي لهذا الكون ، ولكنه كان شاعرا متعمقا ، متسائلا ، باحثا عن الحقيقة والخير والجمال ، ومن هنا قولنا فيه : ان مطران كان شاعرا متفلسفا ، ولم يكن شاعرا فيلسوفا ، وان بينه وبين ابي العلاء المعري كثيرا من التشابه في هذا الصدد وان كان المعري ابعد شاوا، واعمق غورا في اضفاء الرداء الفلسفي على شعره ··

لميعة عباس عمارة

تحية بغداد

لي عرشٌ منكمْ ولي صولجانُ
وهواكمْ ... على الهوى سلْطانُ
أثر الحبِّ والسعادة ما سرت
فآثار كلِّ خطوي جنانُ
سألوا ـ تَسْأل الليالي عن
الفجر ـ لماذا يحبّها لبنانُ ؟
أمس للأخْطل الصغير ، فشوْقي
وأمينٌ ، وبعدهم مطْرانُ
أهو ذنبي اذا أحبّتنيَ الناسُ ؟
وذنبي تخيّرتْني اللجانُ !
أو لبنان من يَجُوز عليْه
زائف النّقْد أو يغرُّ الدهانُ !
انا شِعري ، فان يكنْ مِن حدودٍ
لوجودي : فالدّهر واللامكانُ !
موْجتي تعرفُ الطّريق الى البحْر
فتمْضي وما لها شطآنْ
تشربُ الأرض كلّها وهي نشوا
بُ وثيدا ، بكبريائي تصانُ



مَوْجَتى لا تهيّبى – يأثم الفنّ
فكلُّ المرافىءِ اطمئنــــانُ !
يعــــلمُ اللهُ اننى أكرمُ الورقةَ
البيضاءَ من أنْ يمسّها الهذيانُ
انا قلبى على أدق اختـــــلاجى
رصد ، عفـــو نبْضه ميزانُ
من يَميني عــلى يمينى رقيبٌ
باترِ السّـــيف دائِن لا يدانُ !
ايه لبنان هَبْ لهُم ما يشاءونَ
وهبْ لى ألا يقرُّ الجنـــانُ
ان أطلَّ التى تعــــلقكَ القلبُ
بأضلاعها وهامَ البيـــانُ
كلمّا نمت شابكت حولَ طيفهِ
منك حلوُ أهدابهـا الاجفـــانُ
موجعى اننا نلاقيكَ أحيانا ...
لو العمْرُ هــذه الأحيــانُ
حملتنى بغــدادُ عنه محبّيهــا
وبغــدادُ ريشهــا عنفــوانُ

ان أحبَّت فدَت ، وان أبغَضَت
أرَدت،وان أرعَدَت أنى الطُّوفان!
وانا بنتُهَـا وشـاعِرةُ الحبِّ
لدينهَـا ، وحبُّنـا ألوانُ
خيرهَا اننا نحب شعوبَ الأرضِ
نأسى لبؤسـهِم حيثُ كانوا !
ايه مطرانُ ، عفوَ يومك ان يذ
هلَ فيه عن صمْتِه الوجدانُ
انمـا بعضُ ما اثرت مِن النّيران
بالأمس هـذه النـيرانُ
وقليـلٌ اذا أريدَ الى التبركانِ
سعى ، ان يسـتقلُ الدُّخَانُ
انا بنتُ النِّضال ارضَعنى الجُوعُ
وأوهَى مَفَاصلِى الحرْمَانُ
خُضته غضـة ، ففى كلِّ فجرٍ
من حيـاتى : مجرَى دم وسنانُ
وتلفتُ ؟ يسرق الجُرْح من صدرِى
خَفيا ويدَّعيهِ الجبَـانُ
فهنيئاً للمدَّعين البطُولات ...
لهم مرقص عليهـا وحـانُ !
سامر النيل ، أى مَجْـدٍ عريضٍ
قد تبادلتمَا فعـزُّ البيـانُ !
كنتَ سَمْحًا سماحه وعنيفاً
عنفهُ ، عذر سـدها أسـوانُ

يكبح النيل بالسدود ولم يكبح
جماحاً من شعرك الطغيان
ايه مطران ، انها محض ذكرى
منك ، ان لم أوفها الغفران
أبداً ما تغرب الحرف مهما
تتقاذف أجسادنا البلدان
كل يوم يطرز الأرض من
لبنان نجم مداره الاكوان !

لم تضق بعلبك أمس بمطران
ولكن تجبر السلطان
وأبت كبرياء غسان ان يقبل
ضيماً من جده غسان
فتنأى غير أن غر قوافيه
استطالت منها لها أغصان !

دأبت بعلبك تستدرج التاريخ :
تبنى فيشمخ البنيان
ثم تهديه الدنا ، كلف بالمجد
هذا الولوع والايمان
حضنت طفلة شباب الحضارات
فمن صرحها له عنوان
ههنا كل صخرة أينع المجد
عليها وشاخت الأزمان

● بغداد ● لميعة عباس عمارة ●



مطران

شاعر الأقطار العربية

صالح جودت

سررت في العمر مره ... وكنت أنت المسره
كانت حياتي روضا ... وكنت في الروض نضره
وكان غضا شبابي ... وكنت في الغصن زهره
وكان فكري سماء ... وكان حبك فجره
وكان حسنك يوحي ... إلى يراعي سره
وكان لحظك يهدي ... إلى بياني سحره
وكان لثغرك يملي ... على سماعي دره
وكان طيبك يهدي ... إلى لثاتي نشره
وكنت للروح روحا ... وكنت للعين قرة
قد كان هذا ، ولكن ... مضى وأخلف حسره
لبثت لا شيء إلا ... حالين : ذكرى ، وعبرة!

« كان » * هو عنوان هذه القصيدة التي تسيل رقة وموسيقى وألما وحسرة على حبيبة راحلة .

كان ياما كان ...
كان ذلك في سنة ١٨٩٧
وكان الشاعر خليل مطران ، وهو يومئذ شاب في الخامسة والعشرين من عمره، يروح عن نفسه في أحد متنزهات القاهرة، حين ساق القدر الى طريقه نحلة ، نحلة صغيرة .. بدلت تاريخ حياته ، وجعلت بقية عمره حبا وشعرا ودموعا وذكريات
لقد وقعت النحلة على فتاة كانت تمشي في المتنزة ، فلسعتها، فتلوت الفتاة من ألم اللسعة ، فتأود معها قلب الشاعر الشاب خليل مطران .
وهرع اليها وتحدثا ، وطال الحديث ...
ونظم مطران يومئذ مطلع ملحمته الكبرى « حكاية عاشقين » :

افتدى من لسعتها نحلة تطلب وردا
ظنت الوجنة وردا فأتت ترشف شهدا

ومرت الأيام ، والحب يكبر وينمو ، ومطران يطلع على الناس كل يوم بقصيدة تذوب وجدا ، وهو مع كل هذا جد حريص على أن يكتم عن الناس اسم محبوبته ، فيبتدع لها في كل قصيدة اسما جديدا ، فهي مرة ليلى ، ومرة هند ، ومرة سعاد ... وهي تسائله في ذلك مستريبة متشككة ، فيقول لها :

يا منى القلب ونور العين مذ كنت وكنت
لم أشأ أن يعلم الناس بما صنت وصنت
أن ليلاى وهندى وسعادى من ظننت
تكثر الاسماء لكن المسمى هو انت

ويطرأ على قصتهما القسى ما يطرأ على قصص الحب المسرحية من انفعالات وتطورات وأحداث ... الى أن تنتهى القصة بمرض محبوبته بداء عضال ، وتصعد روحها الى بارئها ، وتترك وراءها شاعرا يقسم بحبها أن لن تكون في حياته امرأة بعدها ...
ويبر الخليل بقسمه ، ويعيش أعزب الى آخر يوم من حياته، لا ينساها ، ولا ينسى ان ينتزع من أعماق قلبه في كل عام قصيدة ينظمها في ذكرى وفاتها .
ومن هذه « الحوليات » قصيدة « كان » التي بدأت بها الحديث عن خليل مطران .

***

من أين جاء هذا الشاعر ؟
كانوا يسمونه شاعر القطرين . أي مصر ولبنان ، وبعد وفاة شوقي وحافظ لقبوه بشاعر الاقطار العربية وفي الحق انه بنسبه خليق بهذا اللقب ، فأسرته تتفرع من الازد الذين كانوا يسكنون في الازمنة البعيدة أرض اليمن ، ثم نزحوا الى الحجاز وهبطوا عند نبع غسان فسموا بالغساسنة .
ثم رحلوا الى بلاد الشام حيث استقروا واعتنقوا المسيحية.
والى هنا ترى أن مطران يمنى حجازى شامي ، والشام يومئذ تشمل سوريا ولبنان قبل أن يبتدع الاستعمار الحدود



مي : زهرة مؤنسة لجميع أهل العلم والادب



د . طه حسين : خطاب عذب الى مطران

بينهما ، فهو على هذا يمنى حجازى سورى لبنانى ·

ثم هو بعد ذلك مصرى ، فقد قضى جل حياته فى مصر ، يشارك فى احداثها ويجاهد مع مجاهديها ويتغنى بنيلها وا٭رامها وامجادها ·

وهكذا اقول انه اصدق شعراء العرب تمثيلا للقومية العربية

***

ولقدومه الى مصر قصة وثيقة الصلة بحكاية القومية العربية ·

فقد ولد الخليل فى ظلال اطلال بعلبك ، وبدأ يهمس بالشعر صغيرا فكان أبوه يعنفه قائلا له :

ـ يا ولدى ، برضانا عليك لا تمارس هذه الصنعة ، لاننا ما وجدنا شاعرا على جلده قميص ·

فيجيبه الخليل بقوله :

ـ ليس الامر بيدى يا أبى ، انما أتيه عفوا وأنا نائم ·

وذهب الخليل الى مدرسة زحلة ، ثم الى الكلية البطريركية فى بيروت ، حيث درس الادب العربى على يد علم من أعلامه ، هو الشيخ ابراهيم اليازجى ، كما تعمق فى الادب الفرنسى ·

وكانت بلاد الشام يومئذ ترزح تحت الحكم العثمانى ·

وسمع الشاعر صيحة تقول : تنبهوا واستفيقوا ايها العرب

وترددت الصيحة فى كل مكان ، فأوحت الى الخليل بقصيدة ثائرة ، سمع الحاكم التركى بامرها ، فتوعد الخليل بالويل والثبور ، ورأى ان ينجو بحياته بالسفر الى باريس ، وهى يومئذ ـ غير ما هى اليوم ـ مهد المبادىء الحرة ، وموئل الهاربين من الظلم فى كل أرض ·

وفى الطريق ·· مر بالاسكندرية ، فاستهواه ماؤها وأهلوها ، فلم ينسها فى باريس ·

وفى باريس ، لم يسكت عنه الاتراك بل وشت به سفارتهم عند المسئولين ، فلم يطق البقاء ، فولى وجهه شطر مصر حيث اقام بقية العمر ·




ابراهيم ناجي : استفاد من مدرسة مطران

احمد شوقي : كان يحفل اول ما يحفل بالموسيقى

كامل الشناوى : تاكيد رواية حب مطران لى

وفى مصر ، اشتغل الخليل بالصحافة .

وبدأت السلطات تطارد الاقلام الحرة ، وتحارب الصحافة بسيف قانون جائر للمطبوعات ، فنظم الخليل ابياتا مخلدة لم تزل تروى فى كل جيل كلما الت بالصحافة محنة من محن الرأى .

قال يخاطب الحاكمين :

شردوا اخيارها برا وبحرا   واقتلوا احرارها حرا فحرا
انما الصالح يبقى صالحا   آخر الدهر ويبقى الشر شرا
كسروا الاقلام، هل تكسيرها   يمنع الايدى ان تنقش صخرا
اقطعوا الايدى هل تقطيعها   يمنع الاعين ان تنظر شزرا؟
اطفئوا الاعين، هل اطفاؤها   يمنع الانفاس ان تصعد زفرى
اخمدوا الانفاس، هذا جهدكم   وبه منجاتنا منكم. فشكرا !

وكان رئيس الوزراء يومئذ مصطفى فهمى ، ربيب الانجليز، فتوعد مطران بالنفى ، فلم يهتز ، وكتب هذه الابيات وعنوانها « مقاطعة » :

انا لا اخـــاف ولا ارجى   فرس مؤهبـــة وسرجى
فاذا نبا بى متن بـــر   فالمطية بطن لـــج
لااقول غير الحـــق لى   قول وهذا النهـــج نهجى
الوعد والابعاد مـــا   كانا لدى طريق فلـــج

كانت مدرسة الخليل فى الشعر غير مدرسة شوقى وحافظ .
صحيح انه بدأ مقلدا

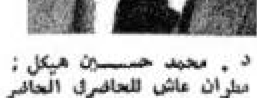
وصحيح انه حاكى شعراء زمانه فى اغراض الشعر الشائعة فى ذلك العصر ، من مديح ورثاء واخوانيات .

ولكنه حينما نضجت شاعريته ، كان قد استقر على مدرسة جديدة يومئذ فى الادب العربى ، هى المدرسة الرومانسية التى القت بها اليه ثقافته الفرنسية .. وبرزت لاول مرة فى جيله وحدة القصيد فى الشعر العربى ، وكان شوقى يحفل أول ما يحفل بالموسيقى ، وحافظ باللفظ الرنان أما مطران



علي محمود طه :
تأثر بشعر مطران





د . محمد حسين هيكل :
مطران عاش للحاضر الحاضر

فبالخيال الجديد ، وان شاعت معه الموسيقى الاخاذة او اللفظة الرنانة .

واثرت مدرسته الجديدة في الكثيرين من شعراء مصر في عصره ، وفي طليعتهم ابراهيم ناجي ، وعلى محمود طه وابو شادي وغيرهم ، كما اثرت في شعراء المهجر جميعا ، وان كان أولئك وهؤلاء قد حرصوا على الافادة من مدرسة مطران ، دون ان يفرطوا في موسيقى الشعر .

***

وهذه بعض الاراء ذات الكيف في شعر مطران . ابدؤها برأيه هو :

« استقلت لي طريقة في كيف ينبغي ان يكون الشعر ، فشرعت انظمه لترضية نفسي حيث اتخلى ، أو لتربية قومي عند وقوع الحوادث الجلى ، متابعاً عرب الجاهلية في مجاراة الضمير على هواه ومراعاة الوجدان على مشتهاه ، موافقا زماني فيما يقتضيه من الجراة على الالفاظ والتراكيب لا اخشى استخدامها أحيانا على غير المألوف من الاستعارات والطروق من الاساليب :

« قال بعض المتعنتين الجامدين ، من المتنطعين الناقفين ، ان هذا شعر عصري وهموا بالابتسام . فيا هؤلاء ، نعم هذا شعر عصري ، وفخري انه عصري ، وله سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر »

وبعد هذا ... أسوق آراء بعض اعلام العصر في شعر مطران ...

قال الدكتور طه حسين موجها خطابه الى مطران :

« انك زعيم الشعر العربي المعاصر ، واستاذ الشعراء العرب المعاصرين ...

انت حميت حافظ من ان يسرف في المحافظة حتى يصبح شعره كحديث النائمين .

وانت حسبت شوقي من ازيسرف في التجديد حتى يصبح شعره كهذيان المحمومين ٠ »

وقال الدكتور محمد حسين هيكل :

« عاش مطران للحاضر في الحاضر ، وجذب جيله ليجعله حاضرا كذلك ٠ فشعره واسلوبه وتفكيره كلها حياة ، جلت فيها الذكرى ، وعظمت فيها الحيوية ٠

« ولهذا تراهم حين يتحدثون عن مطران ، يتحدثون عن الشعر والتجديد فيه »

***

من خصائص حياته انه كان يعشق الجمال ٠

ولا احسب انه احب في حياته غير الحب الذي حدثتكم عنه في مستهل هذا الحـــديث ، وان كان بعض رواة الادب قد اسهبوا في الحديث عن غراميات أخرى له ٠

فمنهم من قال انه احب الكاتبة « مي » ٠

وسألت في ذلك احد معاصريه ، فقال لي :

وهل منا من لم يحب مي ؟ لقد كانت مي زهرة مؤممة لجميع اهل العلم والادب والفضل في عصرها ، يؤمون صالونها ، ويشمون عبيرها من بعيد ، دون أن تدنو منها يد احد منهم ٠

واظن ان في شعر مطران ، الذي قاله في « مي » ما يؤيد هذه الرواية ، ولا سيما قصيدته في رثائها ٠

فليس في رثائه لها اي أثر للحب ، ولا حرقة العاشق حين تموت معشوقته ، وانما فيها حسرة على سجاياها ٠٠ يقول :

ايهذا الثرى ظفرت بحسـن   كان بالطهر والعفاف مصونا

لهف نفسي على حجى عبقري   كان ذخرا فصار كنزا دفينا

واذا كان الاستاذ كامل الشناوي يميل الى تاكيـــد رواية الحب ، فان الدكتور محمد مندور يروي رواية اخرى ، هي ان خليل مطران قد احب كريمة جودت باشا وزير العدل في الدولة العثمانية ، وتدله بها ، وكتب فيها كثيرا من غرامياته ٠

وانا اسوق هذه الرواية امانة للادب ، كما اسوق ان الدكتور جمال الدين الرمادي قد دافع عن عرض هذه الفتاة في رسالته القيمة عن خليل مطران ، قال :

« وهذا القول لا يمكن ان يقوم على اساس ، لان التقاليد في الدولة العثمانية كانت لا تسمح برفع نقاب المرأة المسلمة للرجل المسلم ، فضلا عن الرجل المسيحي » ٠

« فاذا عرفنا ان خليل مطران مسيحي ، وان جودت باشا كان من المسلمين المحافظين ، وقد نشأ نشأة دينية بحتـــة ، واصبح وزيرا للعدل في تركيا ، وكان عالما ومؤرخا لغويا الف في التاريخ وراس لجنة الاحكام العدلية التي سنت قانون الفقه في المعاملات في جميع ارجاء الدولة العثمانية ٠٠ واذا عرفنا ان جودت باشا كان رجلا معمما في اغلب أطوار حياته ، ثم مطربشا في الفترة الاخيرة ، وظل محافظا على تعاليم دينه ٠٠

« اذا عرفنا كل ذلك ، استبعدنا ان يكون الخليل قد راى كريمة جودت باشا اواجتمع بها وأنس اليها او تغزل فيها ٠٠ »

والله اعلم ٠٠٠   من كتاب « بلابل من الشرق »

سعيد عقل

تحية لبنان

ما الموتُ ؟ شَمْخة رأسٍ منك تفتقدُ
واسْلَمْ بباقةِ شعر عطرُها الأبد
مهابةَ الأرزِ ، بنتَ الفارس ، إنّا
نبكيك فلْتتغاوا الستّة العمدُ
ومنْ ترى قال : ليستَ سبعة ؟ أنذا
عيْنى اليك .. الا فليَكملُ العدد
سواك فى الشعْر فلتدمعْ عليه رُبَى
وأنتَ فلتَجرح الغَيْمات والجلَدُ
مليكٌ لك العَصرُ ، ذاك القصر ترصفه
ذكراك . ربة أمس ضجّ فيه غدُ
كأنّنى بكَ يومَ انزحتَ عن جبل
ينزاح ، ردّتك صَوْبَ الخالدين يَد
والخالدُون هم البدّاع ، منْ بَعدوا
حتى اذا لُحقتَ دنيا بهمْ بَعدُوا



عانَيْت ، عانيتَها الجُلى ، كمـــا لعِب
للكسر قد أمثلوها اثلك الولـــــــدُ
وأن رحت تغنيهَـــا سَمَوْت بهـــا
كذا يَمس الخـــريفُ الطـائرُ الغردُ

***

لأنتَ والفِكْر هم الله هشكمَـــــا
والآخِرون بيال الله مـــــا ورَدُوا .
ماذا تركتَ خَلا الأخلاق ؟ لوْ جدث
يحكى لقال : السنى فى حَفرتى بـدذ
ديوانٌ شعْر ، تَراها الحكمة الحبسَت
فى دفتَين كمـــا فى الغيْمَة البردُ ؟
هنـــا المساء ونيرونيّـــة وهنَـــا
فتاته الجيـــل المحْلولكُ الحـــرد
أخت التى بالضتى والآهة اكشـحَت
وأسْبلَت أشــقرا بالرّبيع ينعقـــد

تحية لبنان

لهفي عليها ! قضى من كان يكفلها
يتم الحرائر جرح ليس ينضمد
لا هذه سكتت ، لا تلكم انغمدت
الا اذا من غزوا أقداسها انغمدوا
ومرة ههنا الآباد عاصفة
بالنفس ، قلت بسجن قطع الزود
ومن يعش فوق عيش الصقر وكنته
على الشعافات ، لا تستغوه الملد
القول لا قال . قال الفعل . فاحتزى
ياقامة الرمح ، أنت الطعن لا الميد

***

غاليت ؟ .. ما ريشة في الكف مشجرة ؟
ما جلمد جبتيري السني فرد ؟
أي أداتك ؟ لو خيرت قلت : به
كتبت ، ذاك العمود الصامد الصمد
غططته في مداد أنت عاصره
م الشمس أو م الرياح الهيف تتقد
من كان عوف لو أنت انضنيت ؟ الا
أهب بأنا قدامى الفتح والجدد

وحدثما أنتَ في الآسَاد باكيـة
وبعلبك ... كلا فيكُمَـا أسـد
تأخذا ، شَطَرَ بيتٍ وانهيار عـلى
من باب بَاخس كادت بالردى تفـد
تقـولُ : من يسمُ بي حتى ليرجعني
الى يشهق له مِنْ ضَـوئي الجسد
روح له أنا ذى ، وليشـق فَهـو انا
وبعدُ فليفترقْ عن روحه الجسد
وقبلَ أن أرجعت كانَتْ يَراعتـك
أفتنْتْ تلاعبُ من علّوا ومَن عضدوا
وأعنقت لفظـة حتى لمَـاد لهـا
مـاد وقال : انزلى في النَّهـر نبترد
فان وقعْت على رِشْدى رجعـت أنـا
للحسن أطلبه في حيثمـا أجـد
أكونَ عـدْت هبَـاءات فَيخلقنى
خلقا ، كأنى ممّا لا أنـا أرد
أبهَى من البَـدْءِ رد البدْءِ ملعبة
فالعَبْ بكونٍ .. ودعْهم يفتنهم حسد

تحية لبنان

وعنْدلت قافيـــات منكَ فانتبَهت
حَسْناءُ تقش عـلا فى عنْقهـا الصيدُ
ـ انتِ من ؟ قلْنَ : لا تجاهلى ادكرى
اما لأنك زلفـــاءَ لنـــا سجدُوا ؟

***

خليلُ ، خلْت العَظيم البُعـــد متكىء
فى مقلع العزّ ، من لم يَحنكه أحـــدُ
يقولُ : فوقى فلْتنقش ، فلا حَجَــــر
سواى أخلق بالمجـدِ الذى فقـــدُوا
صَديق آخر عمر ، قد وعـدْتك ، لا
أخلفتُ ، لا يُخلف الأبطالُ انْ وعدُوا
ألمتُ .. فاعذر .. فما الاّ على قلمى
اصطكّت سُيوف ولا الا بى الحشـــدُ
معلمى انتَ فى الحرّيتــين : هَـــوى
العُلا وعصفى بالثوّار انْ يــردُوا
هلْ كذّبوا ؟.. قالَ لبنَـــان أنا .. وأنا
امّا وجدت فبالأحرَار انوجــــدُ

● سعيد عقل ● ● زحلة ●

محمد عبد الغنى حسن



فى شعر خليل مطران

ليس عسيرا ان نبحث عن مجالى الطبيعة فى شعر خليل مطران . فعلى الرغم من احتفاله فى الاجزاء الاربعة من ديوانه الضخم بالمناسبات التى كان خاضعا لها بحكم علاقاته الاجتماعية الكثيرة مع الناس فى العالم العربى كله ، فان الطبيعة كان لها عنده محل لا يدانيه محل ، وكنت ترى ـ حتى فى اشعار المناسبات التى كان مرتبطا بها كل يوم ـ مجالا يفتحه بلباقة للتحدث عن الطبيعة والحديث اليها .

فى قصيدته الرائية التى عنوانها (شروق شمس فى مصر) يتألق احتفال مطران بالطبيعة ، واقراره بانها مصدر كل فن ، وانبهاره بالتنويع الفنى الدائم فى الطبيعة واعترافه بانه هو سر الجمال والابداع فيها . استمع اليه وهو يقول :

كل هذى الايات مبعث وحى ... للنظايم المجاد أو للنثير
كل هذى الايات تؤخذ عنها ... رائعات التمثيل والتصوير
كل هذى الايات يجمع منها ... نغم الحزن ، أو نشيد السرور
معجزات فى كلا أن تراها ... باهرات التنويع والتغيير

ولا يكتفى خليل مطران بهذا الحكم العام الذى يتعارض مع دقة متابعته للافكار والاراء التى يراها ، فينتقل الى عرض مثال مصغر للتنويع الفنى الدائم فى الطبيعة قائلا :

ان تلك التى تراها صباحا ... نبتة كالزمرد الموشور
ستراها وقد تبدت عليها ... هنة شبه نرة فى الهجير
وترى فى الاصيل يا قوتة قا ... نئة اللون آذنت بالظهور
وترى ، كلما رجعت اليها ... عجبا من جديدها المنظور

فالطبيعة ليست فى ثباتها ودوامها على حال واحدة قد تمل النفس ، ولكن فى تغيرها الدائم ، وتطورها المستمر الذى تتفتح العين معه كل حين على مشهد جديد ..

وقد نظر خليل مطران الى « الطبيعة » وكأنها أم بارة تهب الكون كل لحظة بأطيب موهوباتها ، ولا تفرق فى العطاء بين نجد وغور ، لأنها وهوب لا تبخل بعطاء ، ولا تضن بسخاء . ففى قصيدته « جزين » ــ وهو المصيف اللبنانى المشهور بشلالاته المتدفقة ــ يصور الخليل كل مجالى الطبيعة فى هذا المكان الرائع ، ولا يملك الا أن يدعوك معه الى تسريح الطرف حيث لا تقع العين الا على ما فوق البيان :

سرح بحيث تشاء طرفك لا يقع ... الا على ما فوق كل بيــــان
أترى الطبيعة وهى أم البلـــت ... بثديها ، ويها أبر لبـــان ؟
تسقى مدارجها ، وتلقى درها ... عفوا على الأغوار والقيعـــان
فاذا سموت الى الذرا ترنو الى ... ما دونها من مرتقى العقبـــان
أخذتك بالتقوى ، ولست بمتـق ... وعرفت سر صوامع الرهبان ! ..

والطبيعة ــ كما يراها خليل مطران ــ تخطط تخطيط الحكيم المدبر ، وتفعل فعل الصانع المتأنق ، فهى ــ على بساطة الفطرة فيها ــ لا يفوتها تأنق الرجل الصناع ، وكأن لها من فطرتها الهاما يعينها على خلق النماذج الكاملة التى لا تأتى على الخاطر . ولقد أتيح له فى سنة ١٩٢٥ أن يزور « بكفيا » المصطاف اللبنانى الجديد ، فلم يستطع أن يسكت عن شكر الذين كرموه هناك بقوله :

سباك جمال « بكفيا » بحـــق ... وفيه كل ما يهوى الفــــؤاد
تأنقت الطبيعــــة فيه حتى ... ليعدو كل وصف أو يكــــاد
جمال ان أشدت به ففيـــه ... ضروب حلى بذكراها يشـــاد

وقد يفـــوت « الطبيعة » ــ على عبقريتها فى التجميل والتكميل ــ أن تستكمل بعض مظاهر الجمال والحسن ، وأن تستوفى كل نواحى الصورة ، لا لعجز فيها ، ولكن لازدحام فى اللوحات وهنا ترى الصناعة تستكمل ما فات الطبيعة ، ولاعيب فى ذلك ولا نقصان .. فقد زار الشاعر مرة أسوان ، ولم يفته بالطبع أن يقصد الى خزان أسوان ، ليرى فيه احدى قدرات الانسان . وهنا لم يملك الشاعر نفسه أن قال :

انظر الى ذاك الجدار الحاجـــب ... ما السد فيما حدثوا عن (مارب)
هو فى الحديث من البناء غريبة ... زان القديم وجودها بغرائـــب
احدى العجائب فى بلاد لم تـــزل ... من مبدأ الدنيا بلاد عجائـــب
حسن الطبيعة أكملته صـــناعة ... لتنفع فيها بينات مـــآرب
شطر العقيق : ففائض فى جانـــب ... مجرى الحياة ، وغائض فى جانب

***

وسر اهتمام خليل مطران (بالطبيعة) لا يرجع الى أنها ظاهرة مادية محسوسة أمامنا ، ملموسة بأيدينا وحسب ، ولكن (الطبيعة) هى مجلى الشاعر الانسانية ومجتلاها . وما من حادثة فى الطبيعة الا يقابله حادث فى أنفسنا وذواتنا . ومن هنا كان قوله الصادق الى أديب بلغ الستين من عمره :

من فحمات الليل تجلو الضـحى وظلمات الريب تجلو اليقيـن

ومن هنا ـ أيضا ـ كانت مناجاته الجميلة الرقيقة لكل مظهر من مظاهر الطبيعة في مواقف الحب الغامر ، والهوى المتمكن ٠

واذا كان كثير من الشعراء قد اطالوا تقلب وجوههم في السماء ليلا لكي يبثوا الشكوى الى القمر الساهر ، او النجم الساهد ، فان خليل مطران استطاع بحق أن يكون في مسامرته للنجم وفي تشكيه له واحدا من شعراء العشق القلائل الذين عقدوا بينهم وبين آفاق السماء الفة دائمة وما أرق شاعرنا وهو يناجي النجم في قصيدة له عاطفية يقول فيها مخاطبا النجم :

فيالك من صامت ناطـق وياك من معجم معـرب
أنيس على ما به من أسى شجي التبسم مستعذب
مشوق الى الشمس طلابها مجد على شقة المطلب
اذا كل جهدا فاغضى بدت وان هب يرقبها تختبي
وبي مثل ما بك من شاغل ولي مثل ما لك من مأرب
فتاة كصوغ الضياء البها تناهت مني قلبي الموصب
من الحور دان لفؤادي بها ووحدها الحب في مذهبي
فان كنت يا نجم طالعتها وقد سفرت لك في مرقب
فانت اذن في الهوى عاذري ولست لسهدي بمستغرب

فوصف الشاعر هنا للنجم الثاقب في السماء ليس غرضا اصليا ، ولا هو محاولة لتصوير لوحة من لوحات الطبيعة ٠٠ ولكنه في خلال تأملاته ومشاهداته الغرامية رأى في « النجم » ـ وهو ظاهرة طبيعية سماوية ـ مجالا للتعبير عن مواجده في الحب ، ورأى عنصر (المشاركة) قد يكون عونا له على تخفيف مواجعه

والطبيعة عند خليل مطران معرض واسع من معارض الحب والغزل ٠ وفيها مشاركة يحس فيها الانسان أنه يجلس الى شخص آخر يناجيه ويشاكيه ، فتزول عنه الوحدة التي يكابدها ، وتذهب عنه الوحشة التي يعانيها ٠ ففي ملاقاة له مع حبيبة ، يجد في الهواء حنينا وزفيرا ، ويسمع في خرير المياه أنينا تذوب الصخور منه ، ويرى في النسيم حديثا يدور على المروج ، بل يرى للازاهر فكرا يرويه عنها العبير ٠ اسمعه وهو يقول :

لم أنس حين التقينا والروض زاه نضير
اذ العيون نيام والليل راء حسير
نشكو الغرام دعابا ورب شاك شكور
وفي الهواء حنين من الهوى وزفير
وللمياه أنين تذوب منه الصخور
وللنسيم حديث على المروج يدور
وللازاهر فكر يرويه عنها العبير

***

وفي الطبيعة صور وصفات يتمنى الشاعر خليل مطران أن يكون عند الناس مثلها ٠ فشموخ الجبال صفة لو كانت في الانسان لأعلت مكانته ، ورفعت رأسه ٠ وفي الورد عزة ، وفي البنفسج اتضاع حبذا لو تجمل بهما انسان ٠٠ ولم ينس شاعرنا وقد اهدى باقة من الازهار الى احدى السيدات الغربيات اللائي تضوع عطرهن في الشرق ، أن يرفع اليها مع الباقة من الزهر هذه الباقة من الشعر :

هذه تحفة الـرياض الى من فاح في الشرق طيبها وتأرج

هي بين الحسان زهرة أنس حسنها بالحياء منها مسيج
وعجيب جمع المهيمن فيها عزة الورد ، واتضاع البنفسج

وأما ثبات (الأرز) في لبنان وتواشج أعضاده فهي صفة طالما تمنى خليل مطران أن تكون من صفات الانسان .. وقد انتزع الشاعر هذه اللمحة في مناسبة تقتضيها ، حيث أقيم في القاهرة حفل للتأليف بين القلوب ، شهدته الجالية السورية واللبنانية ، فقال الخليل من قصيدة طويلة :

« لبنان » هل للراسيات كأرزه تاج ينضرها على الآباد ؟
ياليت ذاك الأرز كان شعارنا بثباته وتواشج الأعضاد !
بسقت بواسقه على قدر ، فما جهلت ، وما كانت من المراد
لو أمعنت صعدا ، لما خلعت ولا رسخت ، ولا جلدت لرد نآد
ان تدهها حمر الصواعق تبتسم فيها النضارة عن لظى وقاد
وترى الغصون كأن كل مخضل منها تباعث منه ورى زناد

واذا كان الخليل كثير الاشادة في غير موضع من شعره بجمال لبنان وثبات أرزه على أحداث الدهور ، فانه أيضا كثير الاشادة بقمم لبنان ورءوس جباله ، وهو في ذلك ليس بدعا من أي شاعر لبناني كثير التغني بمفاخر بلاده . الا أن مطران – مع طول ما أتيح له من البقاء في مصر والاقامة فيها حتى أدركته منيته – لم ينس أن يردد أصداء الطبيعة اللبنانية وهو مستظل في ذرى الأهرام . ففي قصيدة له يودع فيها مصر في مستهل زورة له الى لبنان ، لا يفوته أن يعرج على قمم لبنان الشم قائلا في تهلل :

هذي رءوس القمم الشماء نواهضا بالقبة الزرقاء
نواصع العمائم البيضاء روائع المناطق الخضراء
يا حسن هذي الرملة الوعساء وهذه الأودية الغناء
وهذه المنازل الحمراء راقية معارج العلاء
وهذه الخطوط في البيداء كأنها أسرة العذراء
وذلك التدبيج في الصحراء من كل رسم باهر للرائي
وهذه المياه في الصفاء آنا ، وفي الازباد والارغاء
تنساب في الروض على التواء خفية ظاهرة اللألاء
ونسم قواتل للداء يشفين كل فاقد الشفاء

وفي قصيدته التي نظمها بمناسبة زيارته لجزين المشهورة بشلالها يقول :

انظر بأيمنه الى الرأس الذي يزهي بروعة تاجه الروماني
تكسو جلالته الصباح ، وقد بدا يزدان بالأنوار والألوان
وانظر بأيسره الى الطود الذي فيه من الابداع فن ثاني
تجد الأصيل مشققا ، ونضاره بين الجذوع يسيل والأغصان

وفي قصيدته الجزلة الرصينة التي نظمها وهو يصطاف في « بحمدون » لا يفوته – وهو ينشد في حفل أقيم للتبرع لمرضى السل – أن يصف الوادي البديع ، متنقلا ما بين السفوح والذرى والقمم الشم ، قائلا :

مدارج من أدنى السفوح الى الذرى يرود حلاها الناظر المتوسم
جيوب بها من كل غال وفاخر نفائس تغزوها اللحاظ فتغنم
الى قمم شم تواهب في العلا يؤخرها حسن ، وحسن يقدم

تفيض على الاغوار من ثديهـــا   فترضع خضراء الـــرياض وترام
اذا ما تغني ماؤها متحـــــدرا   شجاناً ، ولم يفهم لغاه مترجـــم
جبال ترامت في الفضاء خطوطها   يرققها رسامها ، ويضــــــخم

واذا كان بعض شعراء العرب القدامى والمحدثين قد التفتـــوا الى الشمس كظاهرة طبيعية تطلع ثم تغيب كل يوم، كما تحدث اليها بعض شعراء عصرنا مثل شوقى الذى استوقفها لتحـــدثه احاديث القرون الغابرة ، فان الشاعر خليل مطـــران الم بالشمس مشرقة ، وغاربة ، وشبه بها وهى تتألق عقب المطر وضاءة اللألاء ، ووصف ساعات غروبها بأرق ما وصفها به شـــاعر ، ووصف فى معنى رائع بكر لم يسبق اليه كيف انها تهدى المبصرين ، ولكنها نفسها لا تبصر ...

فهو يصف فى قصيدته (فاجعة فى هزل) نسوة يضحكن ملء افواههن وهن اشباه الشمس تألقت غب المطر ، فيقول :

يضحكن اشباه الشموس تألقـــت   عقب الحيا ، وضــــاءة اللألاء

وفى قصيدته (جواب) التى يداعب بها صديقا داعيه يصف فتاة فيشبهها بانها كالشمس تبدو والوقت بعد الغروب فيقول :

اسماء كالشمس تبـــدو   والوقت بعد الغـــــروب
مليكة ذات وجـــــــه   سمح ، وطرف مذيـــــب
بالنور تنزل ايـــــــا   ت حكمها المرهـــــوب

وفى مرثيته الرائعة للشاعر محمود سامى البارودى يتحفنا بهذا البيت الذى ليس له ضريب فى معناه فى ديوان الشعر العربى ، حيث يقول :

على الشمس ان تهـدى المبصرين   وليس على الشـــمس ان تبصرا

فالشاعر خليل مطران متنبه دائماً الى الشمس فى شروقها وغروبها . وفيما بين ذلك من ساعات النهار . وقد بلغ من غرامه بالشمس انه حين دعا المرحوم محمود النصر المحامى جماعة من علماء مصر وادبائها وعظمائها الى حفل فى داره لم يجد خليل مطران غير موضوع شروق الشمس اكثر ملاءمة لمطلع قصيدته الطويلة التى ادارها عليهم فى الحفل .. ولعله بذلك كان يرى فى الشرق العربى مطالع نهضة بازغة تستحق التسجيل . وما اجمل ابياته فى شروق الشمس حيث يقول :

هذه الشمس آذنت بالســــفور   بعد سبق الآيات بالتبشـــــير
فتلقى ظهورها كـــــــل حى   بنشيد التهليل ، والتكبيـــــر
هى بكر الوجود .. لا يتجلـى   مجتلاها الا شهود البكــــور
ارأيت الصباح يكشف عنهـــا   كلة الليل من حبـــال السرير ؟
فتهاوى ستر الدجى ، وتــوارى   ما عليه من لؤلؤ منثـــــور
حيث الكون حين لاحت فاحيـت   كل عود لها جديد نشـــــور
حينما طالعت مقلة خصـــــب   اسفر الترب عن نبات نضـــير
وانجلى لحظها عن الزهر الغض ،   وعذب الجنى ، وطيب العبيــر
وعوالى النخيل خضر الاكاليـــ   ـل ، زواهى المرجان حول النحور



محمود سامى البارودى : قصيدة شعر فى رثائه

مجالى الطبيعة فى شعر خليل مطران

واذا كان خليل مطران مفتونا بشروق الشمس ، وخاصة فى ريف مصر الذى اتيح له أن يكثر التجوال فيه مصبحا وممسيا فان افتتانه بالغروب قد تجلى فى غير قصيدة من شعره · وقد اتاح له عمله فى « الجمعية الزراعية » ، وصلاته الاجتماعية الكثيرة بكثير من الرجال من كل الطبقات أن يتعرف الى ريف مصر ، وأن يألف به ، وأن يحب الفلاح الكاد الطيب القلب · ونجد فى الجزء الثانى من ديوانه قصيدة عنوانها « مغرب شمس فى ريف مصر » يصور فيها الغروب بقوله :

طوينا الحقول سراع السير   على متن متصل كالسبب
نمر بخضراء فتانة   لها من زمردها منتقب
الى مرتمى العين مبسوطة   تموج باشجارها عن حبب
وانهارها تحت نور الزوال   تفيض بطاء بمثل الضرب
وللشمس فى المنتهى مغرب   راينا به اية من عجب
راينا من الغيم طودا رسا   على افقها ، وسما ، واشرأب
بجسم ظلام ، وقمة تبر   وسفح تعاريجه من لهب
كأن الاشعة الثناءه   مغاور فى منجم من ذهب
وراع نواظرنا ايل   مضى قرنه صعدا واتشعب
تلفت يرنو بياقوتتين   وسال دما صلبه والذنب
وكم من جنان ، وكم من قرى   وكم من صروح ، وكم من قبب
تصاوير يصنعها ماهر   من الغيب يبدعها ما احتسب
يظل ينوع اشكالها   دراكا ، ولا يعتريه نصب

والحق أن هذه اللوحة التى رسمها خليل مطران لمغرب الشمس فى ريف مصر هى نقل حسى للطبيعة ، فليس فيها من امتزاج الاحاسيس ووصف الاثر النفسى للمنظر ما نجده فى رائعته « المساء » التى يرسم فيها الغروب بما يحتويه من وصف للطبيعة ووصف لشاعر الانسان · و « الانفصال » بين الشاعر وبين المشهد الطبيعى الذى يصوره هو اشد ما يصاب به فى شعره ·· ونجد هذا الانفصال فى قصيدة (مغرب شمس فى ريف مصر) ، أما قصيدة « المساء » فنجد فيها (الاستغراق) الكامل بين الشاعر وبين الطبيعة ، انه ليس منعزلا عن الوجود ، ولا منسلخا عن الكون ، بل هو مندمج فى الكون كله فى وحدة شاملة كاملة · ومن هنا كانت قصيدة (المساء) من روائع شعر الطبيعة فى الادب العربى كله · استمع الى شاعرنا وهو يقول فى فكرة فلسفية حزينة تناسب أحزان الغروب :

يا للغروب وما به من عبرة   للمستهام ، وعبرة للرائى !
أو ليس نزعا للنهار وصرعة   للشمس بين مآتم الاضواء ؟
أو ليس طمسا لليقين ومبعثا   للشك بين غلائل الظلماء ؟
أو ليس محوا للوجود الى مدى   وابادة لمعالم الاشياء ؟
حتى يكون النور تجديدا لها   ويكون شبه البعث عود ذكاء

ولا يكتفى الخليل من مأسى الغروب بهذه الخواطر الحزينة ، بل يختم قصيدة المساء بمقطع يخاطب فيه الحبيبة قائلا :

ولقد ذكرتك والنهار مودع   والقلب بين مهابة ورجاء

وخواطرى تبدو تجاه نواظـــرى   كلمى كدامية الســـحاب ازائى
والدمع من جفنى يسيل مشعشعا   بسنا الشعاع الغارب المتـــرائى
والشمس في شفق يسيل نضاره   فوق العقيق على ذرى ســوداء
مرت خلال غمامتين تحـــدرا   وتقطرت كالدمعة الحمـــراء
فكان اخر دمعة للكون قـــد   مزجت بآخر ادمعى لرثـــائى
وكاننى آنست يومى زائـــلا   فرايت فى المراة كيف مســائى

***

والحق ان المزج بين مشاهد الطبيعة ومشاعر الانسان واحاسيسه هو سر النجاح الذى يصيب الشاعر حين يصف الطبيعة او حتى حين يلم بها الماما خفيفا . فما قيمة هذه الاوصـــاف والتشبيهات الجامدة فى منظر طبيعى ان لم توجهها انفعالات الاحـــاسيس ، وتفاعلات الشاعر . والا كانت وصـــفا مرصوفا حسيا لا حياة به ، ولا عاطفة فيه .

ولقد وفق الخليل فى هذا (المزج) بما وهبه من رقة الحس ، وبعد الخيال ، وسرعة التأثر . وكل نظراته الى الطبيعة من هذا الدرب الحى المتحرك المتموج بمتدفق الشعور . فقد وصف مرة فتاة تختال فى حديقة الجيزة ، فقال :

فاذا دنت فى سيرها من زهـــرة   همت باخذ ذيولها وبلثمهـــا
او جاورت فرعا رطيبا لينـــا   الوى بمعطفه ، ومال لضمهـــا

ولا شك انك تلمح هنـــا المزج بين الطبيعة والشاعر دون ان تحس جمودا فى الوصف ، وفى قصيدة (النرجسة) تجد هذا المزج قويا حين غرست (امينة) بصحن دارها زهرة نرجس لتكـــون سلوتها الى ان يرجع حبيبها المسافر فى دواعى الجهاد . ولا بد ان تقرأ الابيات كلها لترى قوة هذا المزج وصـــداه الاخير :

غرست بصحن الدار زهرة نرجس   لتكون سلوتها الى ان يرجعـــا
كانت تبالغ فى رعايتها كمـــا   ترعى عيون الام طفلا مرضـــعا
حتى اذا ما جاءها عن بعلهـــا   نبأ اصم المسمعين ، وروعـــا
شقت مرارتها عليه ، واوشكـــت   من هول ذاك الخطب ان تتصـــدعا
وكان ذاك الرزء قبل وقـــوعه   مما شجاها لم يكن متوقعا ...
فتفقدت صبحا اليفتهـــا التى   كانت سلتها حسرة وتوجعـــا
فاذا نضارتها ذوت .. وكانهـــا   عين اسال الحزن منها مدمعـــا

وفى مرثية خليل مطران لفتاة توفيت غريبة عن وطنها فى الثانية عشرة من عمرها ، يبدو هذا المزج بين الطبيعة وبين مشاعر الحزن على الفقيدة فى قوله :

هل كان هذا البين فى الفجـــر   فتلوت كوكبه على الاثـــر ؟
ام فى الضحى فتفحت اخر مـــا   نفحته ذابلة من الزهـــر ؟
ام فى الهجيرة فانحللت كمـــا   شرب الضرام وحيدة القطـــر ؟
ام فى الزوال فمغربان معـــا   للشمس فى الدنيا وفى خـــدر ؟
ام فى الظلام فزاده حلكـــا   سر رقيـــت به الى سر ؟
ام فى تجلى البدر ممتزجـــا   منك النسجى بكآبة البـــدر ؟

ان هذه الابيات من قصيدة فى الرثاء ولكن الشاعر ادمج فيهـــا من مواقف الطبيعة ومشاهدها ما يوائم بين المشهد وبين الاحساس بفجيعة الشباب

وكذلك صنع خليل مطران فى قصيدته : (يا مصر) التى قالها بعد وقوع حوادث مؤسفة فى اثناء ثورة سنة ١٩١٩ .. فقد جلب فيها من طبيعة مصر ما يلائم الحالة التى يصـــورها ، ومزج بين الاثنين مزجا فنيا رائعا حين يقول :

مصر التى ليست مثابتهـــا   خلسا ، وما فى مالها اســـن

مصر التى ابدا حدائقهـــــــا	غناء لا يعرى بها غصـــــــن
مصر التى اخلاق امتهـــــــا	زهر سقاه العارض الهتـــــن
مصر التى اخلاقها حفـــــــل	وبدر منها الشهد واللبــــــن

***

وكثيرا ما كان يتخذ خليل مطـــران« الطبيعة » فى شعره سببا الى بلوغ هدف يحققه ، أو مطلب يريده . ففى قصيدته (فى الغابة) لا يصور فى الحقيقة غابة أمام عينيه ، ولا يمسك القلم ليرسم اشجار غابة عرضت له ، ولكنه يرسم صورة خيالية لشاعر يتنقل فى غابة مرتفعة ، باحثا عن زهرة غير موجودة .. فالطبيعة هنا ـ وهى الغابة ـ هى سلم رمزى لنشدان الكمال المفقود .. وقصيدته (غصن من زهرة المشمش) هى سلم رمزى لتمنيات الشاعر لوالدته العليلة بالشفاء ، حيث يقول :

هو الربيع عـــائدا	بحسنه المزدهـــــر
اجمل ما يرى كبيـــر	الحسن فى مصغـــر
وفوق مابيلغـــــه	تصور المصـــــور
ينقع غلة النفـــــو	س بالــرفيف الخصر
قد ملأ الغرفة بهجـــة	وحسن منظـــــر
وقد نفى بصفوه اللما	ح كل كـــــدر
فاستقبلى الصحة فى	لقائه واســـتبشرى

وقصيدته : (بنفسجة فى عروة) هى ليست فى أصلها وصفا طبيعيا لزهرة « البنفسج » ، ولكنها سلم رمزى للتعبير عن حب مكتوم ...

***

وما ترك الخليل شيئا من مظاهــر الطبيعة الا صوره ومزج فيه بين الحس والوصف .. لقد وصف الليل ، وكوكب الزهرة ، والبدر ، والبحر ، والانهار ، والازهار ، والنبات حتى زهرة القطن ببياضه الناصع . وفى وصفه للبحر قد يجنح الى العاطفة حينا ، والى امجاد التاريخ حينا ، والى اتخاذ البحر مشبها به بعض الحين . فمن وصفه العاطفى الوجدانى للبحر قوله من قصـــيدة المساء :

شاك الى البحر اضطراب خواطرى	فيجيبنى برياحه الهوجـــــاء
ثاو على صخر اصم .. وليت لى	قلبا كهذى الصخرة الصمـــاء
ينتابها موج كموج مكـــارهى	ويفتها كالسقم فى اعضـــائى
والبحر خفاق الجوانب ضــائق	كمدا كصدرى ساعة الامســـاء

أما وصفه للبحر الذى عرج فيه على أمجاد لبنان وتاريخه القديم فيتجلى فى قصيدته التى نظمها لتآليف القلـــوب المتنافرة والقاها فى النـــادى الشرقى بالقاهرة وفيها يقول :

والبحر ما أسناه فى صفو ومــا	ابهاه فى الارغاء والازبـــاد
صالت على الدنيا به « فينيقيا »	قدما ونعم الفخر للاجـــداد
اذ لم يكن فى الناس ملاح ، ولم	يك فوق لج رائح او غـــادى
فتحت به للعلم فتحا باهـــرا	ووقت به الاسواق كل كســاد
واستدنت البلد القصى فلـم تدع	للياس معنى فى مجال بعــاد
يا بحر يا مرآة فخر خــالد	ابقوه فى الابصار والاخـــلاد
هل تعذر الحفداء فيما ضـيعوا	من مفخرات أولئك الاجداد ؟

اما استعمال البحر في مجال التشبيه فيتجلى في مثل قول خليل مطران من قصيدته التي استقبل بها الشاعر احمد شوقي يوم عودته من منفاه بالاندلس

ما زال خلاقا لكل خـــــريدة   تصبي الحليم بروعة وبهـــــاء
كالبحر يهـــــدي كل يوم درة   ازهى سنا من اختها الحســـناء

ولقد وصف الخليل الانهار لا للوصف الطبيعي في ذاته ، ولكن توصلا الى غرض من الاغراض التي غلفها بغلاف الوصف ، ففي قصـــيدته الدالية التي نظمها للتاليف بين القلوب يعرج على دمشق ، كما يعرج على بيروت وصولا الى هدفه من التاليف ، وفي تعريجه على دمشق لا يفوته ان يعرج على نهر بردى وان يصفه بقوله :

بردى ونضر غياضه ورياضـــه   نعم الحياة تجمعـــت في واد
ماذا يريكم من روائع حســـنها   تصويرها ببراعة ومـــــداد
كم في الحزون وفي السهول وراءها   عجب يروع نواظر الاشـــهاد
ايات تدبيج يتم رواؤهـــــا   بتلمع الانهــــار في الأراد
ويكاد بحر الآل في اطرافهـــا   يشجو السماع بموجه الهـــداد

وفي قصيدته : (هل تذكرين) التي نظمها في ابنة عمه ، نجلا صباغ ، التي زارت مصر بعد هجرة طويلة الى نيويورك .. يذكرها شاعرنا بأيام الصبا في زحلة ، وبمعالمها ، وببقاع الجمـــال فيها ، ولا ينسى أن يذكرها . بالنهر هناك قائلا :

والنهر ... هل هو لا يزال كما   كنا لذاك العهد نالفـــــــه
يسقي الغياض زلاله الشبمـــا   ويزيد بهجتها تعطفـــــــه
ينصب مصطخبا على الصخـــر   ويسير معتدلا ، ومنعرجــــا
يطغى حيال السد أو يجــــري   متضايقا أنا ومنفرجــــــا
متقلقلا خفي البســــــاتين   متهللا لتحية الشجــــــــر
متضاحكا ضحك المجــــــانين   للاعب النسمات والزهــــر
واها لذاك النهر خلـــــف لي   عطشا مذيبا بعد مصـــــدره
يا طالما أوردته امـــــــلي   وسقيت وهمي من تصــــوره

وفي قصـــيدته : (من غريب الى عصفورة مغتربة) التي نظمهـــا في جنيف بقرب تمثال جان جاك روسو ، حين رأى على شجرة هناك طائرا يشبه أن يكون مصريا ، يخاطب شاعرنا هذه العصفورة المغتربة قائلا :

بنت الكنانة مـــا رمى   بك بين هــــذي الاربع ؟
فيم اغتربت وكنـــت في   ذاك الامان الامنـــــع ؟
احملت محمل سلعـــــة   جلبا بغير تطـــــوع ؟
افررت من قفص الكفيــل   الى الفضاء الاوســـع ؟

وفي قصـــيدته التي يبكي فيها على مائتي غريق في النيل يخاطب فيهـــا النهر قائلا :

مائتي هالك اصبت رجـــالا   ونساء ، اصبت غنما عظيمـــا
ايها النيل ما جنيت عليهـــم   بل جنى جهلهم ، ولست مليمـــا
طالما ما رسوك سهلا عليهـــم   من حنان ، وداعبوك حليمـــا
واستدروا منك العطاء وفيـــرا   واصابوا منك الوفاء عميمـــا

***

وبعد : فهذا هو الشاعر خليـــل مطران الذي ظل يصور الطبيعة ويناجيها زمانا طويلا فلم ترد عليه . وها نحن اولاء نذكره ونناجيه ونناديه بعد أن نقل جثمانه الى وطنه الاول لبنان ، فهل يرد علينا النداء من عالمه البعيد ؟

رحم الله هذا الشاعر العظيم !

من شعر: خليل مطران

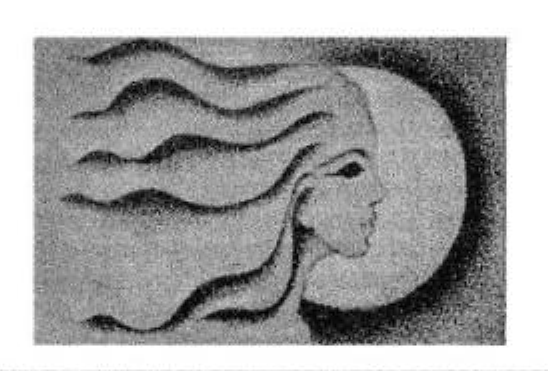
بدر .. وبدر

حسناء لكن نفور ... باد عليها الفتور
إذا رنت غار منها ... في الحي عين وحور
وإن تمس، فإليها ... منى النفوس تطير
لا تكسر الجفن إلا ... وقلب صب كسير
ولا تبسم إلا ... وجفن باك يمور
ولا تلفت إلا ... وجيرة الحي صور (١)
يا قرة لعيوني ... في الصدر منها سعير
كم جئتكم مستزيرا ... وطيفكم لا يزور
إن كان صبري قليلا ... فإن وجدي كثير
ليس المحب صدوقا ... في الحب وهو صبور

***

يا بدر سميت بدرا ... وأين منك البدور ؟
أين الجماد منيرا ... من ذي حياة ينير ؟
أين الصباحة فيه ... وأين منه الشعور ؟
أين السنا وهو شيب ... من الصبا وهو نور ؟

(١) صور : اى مائلة اعناقهم



لم أنسَ حين التقينا ... والروضُ زاهٍ نضير
إذ العيون نيام ... والليل راهٍ حسير
نشكو الغرام دعاباً ... وربٌّ شاكٍ شكور
وفي الهواءِ حنينٌ ... من الهوى ، وزفير
وللمياهِ أنين ... تذوب منهُ الصخورُ
وللنسيم حديث ... على المروج يدور
وللأزاهر فِكر ... يَرويه عنها العبيرُ
والبدرُ في الغيم يَخفَى ... آناً ، وآناً يثورُ
بيضُ الغيوم جوارٍ ... لديه وهو أمير
تدنو إليه فتلقِي ... تحيةً وتسير ! ..

***

مناظرٌ رائعاتٌ ... مرآتهن الغدير
يدأبن مبتدعاتٍ ... ودأبُهُ التصوير
لهفي عليه زماناً ... ولّى فولّى السرور
مضى قصيراً ، ولكن ... للسعد عمر قصير !



شاعر يتحدى الآلهة


الرئيس سليمان فرنجية ...

كانت رحلة الشهر الى مدينة الالهين الرومانيين القابعين بين اطلال بعلبك : جوبيتير اله الشمس ، وباخوس اله الخمر ولقد احسست ان الالهين يتضاءلان امام روعة التمثال النابض الذى اقامه المثال المصرى الموهوب عبد الحميد حمدى ، لشاعر الاقطار العربية خليل مطران

وذهبنا الى هناك ، وفى ضحى يوم الاحد ٣٠ سبتمبر ـ ايلول الماضى ، احتشدت الجموع الزاخرة فى الميدان الذى يحتضن التمثال ـ وقد اطلقوا عليه اسم : ساحة خليل مطران ـ فى حفل رائع تحت رعاية فخامة الرئيس سليمان فرنجية رئيس الجمهورية اللبنانية ، الذى اناب عنه الاستاذ تقى الدين الصلح رئيس الوزراء فى رئاسة الحفلة · وقد القى سيادته خطابا لامعا نشرناه فى هذا العدد

والقى مؤرخ لبنان الكبير يوسف يزبك ، عريف الحفلة ، وأمين لجنة تخليد ذكرى الشاعرين شوقى ومطـــران ، كلمة ضافية عن قصة هذا التمثال من الفها الى يائها ، وما اجتازته من معاناة · ثم اعقبه الاستاذ رياض طه رئيس اللجنة ونقيب الصحفيين اللبنانيين ، ثم الشعراء سعيد عقل (لبنان) وليعة عباس عمارة (العراق) وصالح جودت (مصر) ـ واختتم الحفل بكلمة شكر القاها السيد بيير مطران باسم اسرة الشاعر الخالد

واقام الاستاذ نخلة مطران المحامي ، مادبة كبيرة في فندق بعلبك شهدها الضيوف واعيان المدينة وكبار الشخصيات اللبنانية وكثير من الشعراء والادباء والفنانين

ومما يذكر ان التمثال يعلو ضريحا معدا لاستقبال جثمان مطران ، الراقد الان بمقبرة الروم الكاثوليك بفسطاط القاهرة ، والذى سينقل الى بعلبك تنفيذا لوصية مطران ، الذى تمنى ان يعيش ويموت فى مصر ، ويدفن في مسقط راسه : بعلبك

وسواء بقى مطران معنا او رحل عنا ،فانه باق فى اعماقنا بشعره الخالد وبذكرياته العطرة ، وبانسانيته العالية ، وبمدرسته المزدهرة التى ستظل من أجمل الاضافات الى تاريخ الشعر العربى

حكاية جديدة مع الشعر الجديد

وعقب عودتى من لبنان بيومين اثنين ، نشرت زميلتنا « الانوار » اللبنانية ، هذه الكلمة للكاتب الفنان سمير صايغ ، انقلها بحذافيرها ، لان أحب الاشياء الى قلبى ان اترك للجيل الجديد ـ مهما اختلفت معه فى كثير من القضايا ـ حرية الاعراب عن رأيه على أوسع منبر ، ولا سيما حينما يكون فى هذا الرأى شيء من القسوة علي ، كما صنعت مع الاديب السودانى الاستاذ حسن نجيله من قبل

وهذه هى الكلمة :

● الى الشاعر صالح جودت ●

« فى هجومك المستمر على الشعر الحديث ، ودفاعك عن الشعر القديم ، تعود الى قضية لم تعد هى محور النقاش والصراع الادبي ، فالمشكلة الان كما تبدو ، ليست بين جديد وقديم بل هى بين الجديد والجديد ، لمزيد من الحداثة والشعرية اى ان المشكلة ليست فى الاشكال الشعرية سواء كانت حديثة ام قديمة ، بل المشكلة هى دائما حول الابداع ..

« انت تقف مع القديم لانه استمر على مدى عصور طويلة، أى لانه انتصر على الزمان ، ولانه كان الاثبت واذا كانت هذه الحقيقة قيمة شعرية فانها قيمة حققها القدماء لا المعاصرون الذين يكتبون الشعر على طريقة القدماء . وحركة الشعر الحديث ، ليست ضد هذه الحقيقة أو هى ترفض القديم بحد ذاته ، بل هى تبحث عن ابداعها الخاص بها كما كان ابداع القدماء خاصا بهم ، انها ضد تكرار القديم فتكراره هو الذى يميت هذا الشعر والذين يكتبون على غراره هم فى الحقيقة أعداؤه الحقيقيون .

الثبات لا يعنى الجمود ، ولا هو دليل على الابداع أو الشاعرية، بل وفى معظم الاحيان ، يبدو موت بعض الفنون ، حياة جديدة لها ، وتاريخ الفن شاهد على ذلك .



لندع الشعر القديم فى مكانه ، وليكن تقييمنا للشعر العربى الراهن ، ليس بمقدار قربه او بعده عن الشعر القديم ، بل ليكن تقييمنا له بدءا منه وبمقدار قربه من المستقبل ، لا من الماضى ، ولنحاسب هذا الشعر على اساس منطلقاته وعلى اساس ما استطاع ان يحققه ، لنقراه أولا ، لنصغى اليه أولا ، لندخل اليه بكل حب ولنحاول فهمه ، بعدها يصح ان نرفضه او نقبله

« اما سقوط الكثير من شعراء المدرسة الحديثة ، وتراجع البعض عنه ، وسطحية البعض الاخر ، ليس دليلا ضد الشعر الحديث كما تظن ، بل هو شاهد على صحته وحيويته ، اى هو دليل على انه حركة شعرية ، اثارت اهتمام الكثيرين وهى تشغل هموم الاجيال الجديدة . وككل نمو وككل حركة ، لا بد ان يتعانق الموت مع الحياة ، والسطحية مع العمق ، مع ذلك فالشكلة ليست هنا . هكذا يبدو على الاقل فها هو الجديد يصبح قديما ، وقديمك الذى تدافع عنه ، أصبح قديم القديم .

● سمير الصايغ ●

ـ هذه هى كلمة الكاتب الفنان سمير الصايغ ، الذى أتابع تحركات يراعه المتفتح دائما على صفحات « الانوار » ... والذى اتيح لى ان التقى به فى حفلة مطران ، فكانت لنا جلسة محبة وصفاء ، لا يمكن ان تؤثر فيها هذه الكلمة التى كتبها متأثرا بما قلت عن الشعراء الجدد فى قصيدتى عن مطران المنشورة بهذا العدد . وانا واثق انه كتبها عن ايمان براى يخلص له ، ولكن لا احسب انه يطالبنى بالاخلاص له

قصة بابلو نيرودا

فى غمرة المؤامرة الامريكية الدامية التى دارت رحاها فى جمهورية شيلى ، وانتهت الى مصرع الرئيس الذى اختاره الشعب بكامل ارادته ـ سلفادور الليندى ـ وسقوط نظامه الاشتراكى ... سقط فى الميدان شاعر شيلى الكبير بابلو نيرودا ، الفائز بجائزة نوبل العالمية سنة ١٩٧١

وقيل انه قتل بأيدى الحاكمين الجدد ، لانتمائه للحكم الذاهب ، وقيل انه مات ميتة طبيعية

وسواء صح هذا الراى أو ذاك ، فقد نزلت الستارة على حياة شاعر ، ليبقى شعره ارثا للانسانية

مات نيرودا فى عاصمة بلاده ، سنتياجو ، عن ٦٩ سنة ، يوم ٤ سبتمبر الماضى

ومما يرجح ان وفاته كانت طبيعية ، انه كان مصابا بالسرطان ، وقد اجريت له جراحة خطيرة قبل وفاته بشهرين

كان اهتمام نيرودا بالسياسة لا يقل عن اهتمامه بالشعر ٠

وكان شعره متعدد الالوان ، منه الرمزى المشبب ، ومنه الرومانسى الواضح ، ومنه الغنائى المسلسل ، ومنه الجدلى المغرق ، ومنه الساخر المر ، ومنه الواقعى المفرط ، ومنه السريالى

وفى الادب الانجليزى تعبير طريف ٠٠ اذ يطلقون على اخر عمل فى حياة الشاعر او الاديب او القصاص او الفنان التشكيلى Swan Song اى « اغنية البجعة » ٠٠٠ ذلك انه يقال ان البجعة تغنى دائما قبل ان تلفظ نفسها الاخير

واغنية البجعة فى حياة نيرودا ، قصيدة مريرة قاسية يهاجم فيها المؤامرة التى دبرت فى شيلى ، وانتهت الى مصرع الليندى وانهيار نظامه ٠ ويقال ان نيرودا كتبها بعد مصرع الليندى بأربعة ايام

●



بابلونيرودا

قضى نيرودا جل حياته فى السلك السياسى ، وكان آخر مناصبه ، سفير بلاده فى فرنسا ، وقد قدم استقالته فى فبراير الماضى لانهيار صحته من اثر السرطان

وقد نظم نيرودا من الشعر ما يملأ اكثر من الفى صفحة ، وقد ظل اكثره حبيسا فى بلاده ، وفى قيد من لغة بلاده ، ولم يترجم منه الا القليل الذى نقل الى اللغات الاخرى عقب فوز الشاعر بجائزة نوبل سنة ١٩٧١

كان نيرودا هو الناطق باسم اليسار فى بلاده وكان هو الناطق ، فوق ذلك ، باسم أمريكا اللاتينية كلها ، يتحدث عن آلام شعوبها وآمالها فى الحياة الحرة الكريمة

وكان النقاد العالميون يأخذون عليه هذه الاقليمية ، ولكن الشعوب اللاتينية كانت تزهى به ، لانه أعظم من ينظم باللغة الاسبانية فى هذا العصر

نجح نيرودا فى الانتخابات لمجلس الشيوخ فى بلاده سنة ١٩٤٤ ، على مبدأ الحزب الشيوعى ، ومنذ يومئذ كرس جهوده لمحاربة نفوذ الولايات المتحدة الامريكية فى امريكا اللاتينية ٠ ويقال ان اتجاهه السياسى هذا ، قد أخر ظفره بجائزة نوبل ، التى رشح لها قبل ظفره بها بعدة سنوات

وأول أعماله الشعرية ، ديوان اسمه « الشفق » ٠ ثم اصدر بعد ذلك ديوانا باسم « عشرون قصيدة حب ، وأغنية يأس » وكانت جميعا من الشعر الذى يلتزم الوزن والقافية ، وتتميز برومانسية الشباب

وفى سنة ١٩٣٣ ، نشر نيرودا أعظم دواوينه باسم « مستقر على الارض » واستقبله النقاد استقبالا عظيما ، وقالوا عنه انه من أعظم الاعمال الخالدة فى مجال الشعر السيريالى ، وقد تحدث فيه عن المشاهد الشيلية ، على المستويات الواقعية والخيالية والرمزية

وبابلو نيرودا اسم ادبي خلعه الشاعر على نفسه ، اما اسمه الحقيقي ، فهو « ريكاردو نيفتالي رييز اي بازوالتو » وقد ولد في قرية زراعية صغيرة اسمها بارال ، في جنوب شيلي.



وقد اختار الشاعر لنفسه هذا الاسم الادبي وهو ابن خمسة عشر عاما ، ووقع به أول قصيدة بعث بها الى احدى المجلات يومئذ ، مقتبسا الاسم من اسم جان نيرودا ، احد كتاب القصة في تشيكوسلوفاكيا

وقد التحق الشاعر في صباه بكلية المعلمين بسنتياجو ، وتفوق في عدة مسابقات للشعر ، وكان اكثر شعره في الحب والحياة والموت

وعالج القصة ، والقصيدة النثرية ، منذ سنة ١٩٢٠ ثم عين في السلك القنصلي سنة ١٩٢٧ ، وعمل في بورما وسيلان وجزر الهند الشرقية ، ثم ذهب الى اسبانيا ، حيث اشترك مع فيديريكو جارسيا لوركا وغيره في تحرير مجلة مختصة بالشعر

وفي سنة ١٩٤٤ ، عاد الى بلاده ليلعب دوره السياسي في الحزب الشيوعي ، ومع هذا فقد ذهب الى جسولة كبيرة في جامعات الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٩٦٦ ليتلو على الطلاب قراءات من شعره ضد الولايات المتحدة الامريكية !

بنو معروف .. لا الدروز

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اما بعد فانى كنت سعيدا موفقا بلقائى فى « الملتقى السابع » فى الجزائر باخوانى مشاعل الفكر ومصابيح الرأى ، من العالمين العربى والاسلامى .. وحضرتكم فى الطليعة ، ولكنى كنت أتمنى أن تتاح لى الفرصة لنجلس معا فنتبادل الفكر والحديث فى بعض المسائل التى تعم بها البلوى ، على نحو ما اتاحنى حسن حظى من هذا مع استاذنا الاكبر الشيخ محمد أبو زهرة ، والعلامة الخطيب الفريد الدكتور الشيخ احمد الشرباصى ، صديقنا الغالى الذى القاه عن كثب لاول مرة فى « الملتقى » والمكاتبة بيننا متبادلة منذ سنين .

« واذا كان اللقاء الشخصي بيننا في « الملتقى » لم يزد على طور لقاء الخواني عام ، غير اني من جهتي ، قد كنت حريصا كل الحرص على الاصغاء اليكم في كل كلمة قلتموها في اي موضوع . وقد كانت ابياتكم الشعرية بين اونة واخرى عطورا عبقة الروح ، فواحة بكل منعش للروح ، ولكنها كانت دقائق ، وياليتها كانت ازيد مما كانت .

« انى مضطر بحكم الضرورة الى ان اجعل رسالتى هذه طويلة ، مع علمى بأن وقتكم الثمين فى « الهلال » وغيره موزع على عشرات الجهات والاعمال ، ولذلك ما اجزل شكرى لكم

على الوقت الذين تنفقونه فى الاطلاع على هذه الصـــفحات .. وقد تعذروننى فى النهاية على هذا كله .

« انى لم أطلع بعد على مانشره كرام الاخوان الذين حضروا « الملتقى » ، من انطبـــاعات وتعليقات ، غير ملاحظاتكم فى « المصور » ٧٣/٨/١٠ وهى قيمة وكلها لباب . وشكراً لكم

على هذا المستوى الذى اوجزتم فيه النقاط المهمة ، ولا سيما الفكرة المضيئة للمفكر البناء الدكتور عبد العزيز كامل نائب

رئيس الوزراء ووزير الاوقاف وقد تساءل فيها : هل نستطيع

بهذا ان نصل الى ما يمكن ان نسميه «المجلس الاسلامى العالمى» لتنظيم أمر النشاط الاسلامى الخ ...

« والزاويتان اللتان انبتم فى مقالكم بلبابهما وتجمعان بين امال العروبة والاسلام ، تلتقيان على كل حال فى السبيل والغاية المستوفاة ، مع فكرة « المجلس الاسلامى العالمى » .

واود من صميم القلب ان تاتوا بانطباعاتكم الثيرة على جميع ما ترون من الضرورة العربية والاسلامية لفت نظر الشعراء اليه

.. فمناسبة « الملتقى » تستدعى هذا . واما عدد « الهلال » الذى يصدر فى اول سبتمبر فانى ارتقب وصوله الى بيروت .

« والان أجيز لنفسى ان اتناول فى هذه الرسالة ما يتعلق بى شخصيا ، راجيا من الاخ الكريم ان يوسعنى فى حلمه وصدره الرحب ما يكفى لأعرب له عما عندى من ملاحظة بصراحة مثل

صراحته على قوله عند الاشارات الى العمائم من سنية وشيعية، وبيضاء وسوداء . « وشيوخ مطربشون من مذاهب مختلفة ، اذكر منهم الاستاذ عجاج نويهض ، الدرزى » . فانا فى نظركم

« مطربش » مرددى احد تلك المذاهب المختلفة ، واذا كنت انا فى نظر الاستاذ صالح جودت امثل احد تلك المذاهب ، فما هى

تلك المذاهب الاخرى يا ترى ؟ ياليتكم ذكرتموها .

« وانى بكل اخلاص للاخ الكريم وحسن نيته ، اعترض على نعتى « بالدرزى » فى الملتقى للاسباب التالية :

١ — ان صفتى الاسلامية تستوعبنى من قمة رأسى الى أخمص قدمى ، مع قلبى وايمانى . لى خمسون سنة او اكثر قليلا ، وأنا أعمل جهدى لاكون من التابعين باحسان للذين هم قدوة

وقادة من العاملين فى العالم العربى والاسلامى ، وما سمعت احدا يوما قال لى او نعتنى باننى « درزى » الا الاستاذ صالح جودت فى « المصور » سنة ١٩٧٣

٢ — فما هى الاشياء التى تسابقت الى ذهنكم عنى عندما اردتم ذكرى بكونى انتمى الى تلك المذاهب المختلفة ؟ .. انا



« بنو معروف » الذين يقال لهم في باب الخطأ التاريخي الفظيع « دروز » ، فاني عرقا ودما ، واحد منهم ، ودينى الاسلام ولا «اتمذهب» غير مذهب اهل السنة· الامام على كرم الله وجهه، هو عندى من الخلفاء الراشدين ، رضى الله عنهم ، واعترف بما اختصه الله به من فضائل وشمائل ، ولكن فى المفاضلة بين الخلفاء الراشدين انى آخذ بمذهب بعض السلف : ترتيبهم فى الفضل كترتيبهم فى الخلافة ·

٣ ـ انى قد دعيت الى « الملتقى » بصـــفتى الاسلامية ولله الحمد ، ولبيت الدعوة بهذه الصفة ، ولا يوجد شىء من « الدرزية » فى غير المنتمى التاريخى الى عشائر بنى معروف ، فما هى الموحيات التى جعلتكم تعتبروننى « درزيا »؟ اما منتماى التاريخى الى عشائر بنى معروف فى لبنان فانى معتز به لنقاوته وصفوة تحدره من اصلنا اليمانى ثم العـــراقى ثم اللبنانى منذ سنة ١٤١ للهجرة كما ساوجز هنا قريبا ·

٤ ـ منذ سنة ١٩١٨ بعد تخرجى فى المدارس خرجت من لبنان الى دمشق ثم فى سنة ١٩٢٠ الى فلسطين فعشت قضية فلسطين كلها· وعملت فى المجلس الاسلامى الاعلى فى فلسطين عشر سنوات تحت رياسة مفتى فلسطين الحاج محمد أمين الحسينى الزعيم العربى المسلم المشهور · وحججت ولله الحمد سنة ١٩٢٦ (١٣٤٥ هـ) وحضرت المؤتمر الاسلامى الكبير الذى دعا اليه الملك عبد العزيز رحمه الله · وكنت أصغر الاعضاء سنا ، ولهذا السبب وقع على الاختيار لاكون كاتب الجلسة الافتتاحية المؤقتة للمؤتمر بينما رئيس هذه الجلسة أكبر الاعضاء ســنا وكان من افاضل علماء الهند · وسنة ١٩٥٩ عدت الى لبنان واقمت فى بلدى « رأس المتن » ·

٥ ـ « بنو معروف » ، مجهولو الحقيقة التاريخية فى العالم الاسلامى ·· هم هنا منذ سنة ١٤١ للهجرة اذ وفدت عشائرهم الاولى مع آل ارسلان الذين ارسلهم الخليفة أبو جعفر المنصور لاستئصال شأفة « المردة » وهؤلاء عصــابات كبيرة مسلحة أصلهم من ايران ودينهم النصرانية ولكن نصرانية خفيفة ، نزحوا من ايران الى الاناضــول وأقاموا فى كنف المملكة البيزنطية يعيشون على الزراعة · ولما فتح المسلمون سوريا ، لجأ الروم الى هؤلاء المردة ، يؤلفون منهم العصابات القوية، وربما عليها ضباط بيزنطيون ، ويرسلونها الى ســـوريا الساحلية من انطاكية الى جبل اللكام (جبال العلويين اليوم) فجبال لبنان ففلسطين ·· أما بنو أمية فلم يستأصلوا جذور

هذه العصابات فاضطر معاوية ثم عبد الملك الى ان يؤديا الى ملك الروم مالا مقابل اخراج هذه العصابات من الشام وهذا يذكره الطبرى وغيره · فلما جاء ابو جعفر المنصور وهو في بغداد ، وبغداد ابعد من دمشق عن سواحل الشام ، رأى أن يقضي على المردة ، فأرسل من المعرة عشائر لخم المنذرية الى لبنان لمنازلة المردة ، فأتت هذه العشائر جدود آل ارسلان وقامت بالمهمة ·

هذا هو الاستيطان الاول لبني معروف في لبنان ·

٦ ـ لولا هذا العمل ، لكان لبنان اليوم شيئا آخر من جهة العروبة · بنو معروف احتلوا لبنان الاوسط المحيط ببيروت ، والمارة فيه طريق دمشق التاريخية · وفي لبنان الاوسط هذا « الشوف » و « المتن » و « كسروان » تفاعلت حوادث لبنان التاريخية منذ الفتح العربي · والامارات العربية التي قامت في لبنان الاوسط ثلاث وهي :

١ ـ الامارة اللخمية المنذرية التي عرفت في لبنان بالارسلانية وباقية الى اليوم وآخر عباقرتها الامير شكيب أرسلان ··

٢ ـ الامارة التنوخية وهناك بعض القربى بينها وبين اللخمية الارسلانية · والتنوخية حلت بلبنان بعد قريبتها اللخمية بنحو ١٥٠ ـ ٢٠٠ سنة · وتجاورت الامارتان ، الوقت كله الى انقراض التنوخية في القرن السادس عشر · واقامت التنوخية في مقاطعات « الغرب » الاعلى ومقرها الاكبر قصبة « عبية » المشهورة ، واما اللخمية الارسلانية فاقامت في الغرب الاسفل ومقرها قصبة « الشويفات » آخر السهل الساحلي من أرياض بيروت جنوبا ··

٣ ـ الامارة « المعنية » وفدت عشائرها من جهات وادي التيم زمن الحروب الصليبية وأقامت في المنطقة الواقعة وراء المنطقة التنوخية والفارق جغرافيا بينهما حدود أنهر صغيرة ، والمقر الاكبر للامارة المعنية اول الامر « بعقلين » في « الشوف » ثم « دير القمر » وبعدئذ صيدا وبيروت · فهذه الامارات الثلاث تعاصر بعضها مع بعض ، ولكن كتب البقاء الاطول للامارة الارسلانية كما ترى · وكل هذه الامارات كان همها منازلة المردة ، والروم والصليبيين ··

اما التنوخية فأفل نجمها بأفول نجم دولة المماليك البرجية ولما جاء الفتح التركي العثماني ، طلع نجم الامارة المعنية ، ويقال ان أصلها من « نجد » وبلغت أوج القوة في عصر الامير



د . عبد العزيز
كامل · م · ٨ · م



فخر الدين الثانى فى القرن السادس عشر · وانقرضت فى اخر هذا القرن ··

• ايها الاخ الكريم ···

لست اقصد بهذا كله ان اورد تاريخ بنى معروف السياسى المبدول كله فى سبيل الدعوة الاسلامية والدولة الاسلامية · فهذه الامارات الثلاث كانت ابدا ترسا للدولة سواء كان مقر الحكم بغداد اولا ، أم دمشق والقاهـــــرة بعد ضعف الدولة العباسية ، ولما كانت الدعوات « الاسماعيلية » تتحول الى ما يفت فى عضد الدولة الاسلامية فى الشام وايران على غرار ما فعل حسن بن الصباح ومن اتى بعده ، كانت هذه الامارات فى « سواحل الشام » بالتعبير التاريخى وقتئذ « الارسلانية والتنوخيــــة » والمعنية ، فى خدمة الدولة الاســـــلامية ، لا فى السواحل وحدها بل فى ميادين القتـــال فى ســـوريا الجنوبية ، والداخلية ··

• وعلينا الا نخطىء فى القياس فنتساءل : ولماذا حارب بنو معروف ابراهيم بن محمد على فى سوريا فى القرن الماضى ؟

اما بنو معروف « جبل العرب » فقد حاربوه لانه حاول جمع الاسلحة منهم ، وهذا معناه أن يبقوا بلا سلاح بينما جيرانهم من العشائر البدوية كلها مسلحة · واما بنو معروف لبنـــان فقد قاتلوا مع الدولة العثمانية واعتبروا ابراهيم ثائرا عليها وله مطامعه ··

• واخيرا انى لست من المطربشين فقد هجرت الطربوش منذ عهد بعيد ، واعتضت عنه « بقالباق » أسود ولكنى لا اعتمره الا حيث يكون اعتماره اولى وله دواعيه ·

• فهل للاخ الكريم ان يفهمنى حق الفهم : فانا عرقا ودما انتمى الى العشائر المعروفية التى مضى عليها فى لبنان اكثر من ١٢ قرنا ، وتاريخها فى الجهاد هو ما قدمت ، وانا دينا ومعتقدا مسلم سني وانى مؤتم بالاميــر شكيب ارسلان طيب الله ثراه · فهل لاخى الكريم ان يصـحح على الوجه الذى يختار ؟ ··

● راس المتن ــ لبنان ● ● عجاج نويهض ●

ــ تلقيت هذه الرسالة الكريمة من الكاتب العربى الكبيــــر الاستاذ عجاج نويهض ، الذى لا يجهل احد تاريخه كمجاهد ،

من ذوى العزم فى خدمة العروبة والاسلام وقضاياهما الكبرى وفى طليعتها قضية فلسطين

وانى لاشتم فى رسالته رائحة الغضب ، او على الاقل ، العتاب المتأثر ، لقولى انه درزى • وما كنت ادرى ان الكلمة الدارجة على السنة الناس تغضبه ، بعد ان حببها امير الشعراء الى قلوب العرب جميعا اذ قال :

وما كان الدروز قبيـــــل شر
وان وصفوا بما لم يســـتحقوا
ولكن ذادة وقـــــراة ضيف
كينبوع الصفا خشنوا ورقـــوا

وفى الحق انه قد تم فى السنوات الاخيرة تصحيح للتسمية التاريخية ، فاستبدل اسم « جبل الدروز » فى سورية بجبـــل العرب ، وعادت الى هذا المعشر الكريم نسبته الصحيحة الى بنى معروف

فاذا كنت قد اخطأت غير عامد ، فانى معتذر من القلب لاخى الاستاذ عجاج نويهض ، واثقا من سماحته

واما عما قصدته من اختلاف المذاهب والمشارب فى الملتقى الاسلامى بالجزائر ، فالاستاذ نويهض يعرف انه كان هناك شيوخ من مذاهب الجماعة الاربعة ، وكان هناك شيوخ من الشيعة والاباضيين وغيرهم

ولا احسب ان الاستاذ عجاج نويهض ينكر واقعا اسلاميا لا مجال لانكاره ، هو تعدد المذاهب التى كثيرا ما تختلف وترتطم حول بعض القضايا الاساسية ، وقد لمحنا صورا متعددة لهذا الاختلاف والارتطام فى بعض جلسات الملتقى ، ممـــا اقتضى الوزير الجزائرى الاخ مولود قاسم اكثر من وقفة حازمة صارمة •

وحسبى فى هذا المجال ان اضع امام عناية الاستاذ نويهض ما قالته مجلة « المجاهد » الجزائرية بتاريخ ٢٢ يولية فى هذا الصدد • قالت :

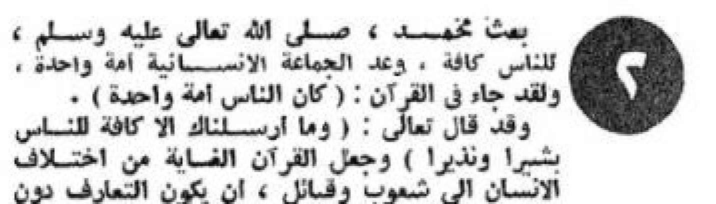
« ان تعدد المشارب والمذاهب لعب دورا ملحوظا فى تسخين النقاش حتى ان الامر وصل حد الغمز واللمز حينا ، وتبادل التهم احيانا •• الامر الذى دفع الوزير الى القول بان ثمة من حضر لتخريب الملتقى من الداخل ولولا حزم الوزير الذى بلغ حد التهديد ، لحدث مالا تحمد عقباه »

● ص • ج ●

محمد أبو زهرة
أستاذ الشريعة وعضو مجمع
البحوث الإسلامية (مصر)

العدالة الدولية في الإسلام

"من بحوث الملتقى الإسلامي بالجزائر"



٢

بعث محمد ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، للناس كافة ، وعد الجماعة الانسانية أمة واحدة ، ولقد جاء فى القرآن : (كان الناس أمة واحدة) .

وقد قال تعالى : (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) وجعل القرآن الغاية من اختلاف الانسان الى شعوب وقبائل ، ان يكون التعارف دون التخالف ، فقال تعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم

من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم)

ولقد قال صلى‌الله تعالى علية وسلم : (كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على اعجمى الا بالتقوى) . وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : (بعثت للاحمر والاسود) .

فنظرة القرآن الكريم الى الناس على انهم تجمعهم وحدة الانسانية ، وان التعاون بين آحاد الانسان وجماعته امر تحتمه الفطرة ، ويؤكدها الاسلام ، وان المعاونة واجبة بين الناس ، ولذا قال عليه السلام : (الله فى عون العبد مادام العبد فى عون اخيه) .

بهذه النظرة المتسامحة المتاخية . نظر الاسلام الى علاقة المسلمين بغيرهم من الاجناس والاديان ، فجميع الناس امام الله تعالى على سواء ، لا تتنافر ولا تتناحر ، واذا كان قد اباح الحرب، فلمنع الفساد فى الارض ولمنع الاعتداء ، فلا يعتدى قوى على ضعيف فكانت الحرب ، لأمرين : أولهما دفع الفساد ، وثانيهما منع الاعتداء ، وليعيش ابن الارض فى سلام مع اخيه الانسان ... والسلام الحق هو الذى يقوم على العدل ودفع الفساد ، ولقد قال تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين) . فكان دفع الظلم فى شريعة الفضيلة باعثا على القتال لمنع الفساد ، وليستقر الحق فى هذا الوجود الانسانى ، أو ليعيش غير مستخذ ولا مستسلم للباطل ، انه من وقت أن حسد قابيل اخاه هابيل ، لانهما قدما قربانا لله فتقبل من احدهما وهو هابيل ، ولم يتقبل من الاخر ، وهو قابيل ، فانفجر غيظا من رد قربانه قائلا : لاقتلنك . قال : انما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ، ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك ، انى أخاف الله رب العالمين ، فسولت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فاصبح من الخاسرين) .

ذلكم ولد آدم ، فجاءت ذريتهما متناحرة متغالبة ، الشر يغالب الخير، وكان على الخير اما أن يستسلم ليتحكم الشر فى الارض ، واما أن يغالبه ، ويكون النصر متداولا بين الحق والباطل ، ولذلك كانت الحرب وكان الانحياز فى الارض ، فصار لكل شعب اقليم ، وكان لا بد أن يكون تنظيم فى العلاقات بين الناس من غير أن يجتث اجتثاثا ، ومن غير أن يستحكم قانون الغابة ، ويكون السلطان للقوى الغالب سواء أكان محقا أم كان مبطلا ، كما نرى الان فى الامم التى أوتيت المال والارض والعلم ، فكان ذلك شرا على الانسانية كلها ، وركب الشيطان رءوس حكامها ، حتى صاروا لا يبالون بفضيلة ولا حق .

ان شريعة القرآن هى شريعة الله تعالى وهى لا تقر الظلم ، ولا تخضع الحق للباطل ، بل يحق الله الحق

العدالة الدولية في الاسلام

بكلماته ، ويبطل الباطل ولو كره المجرمون .

ولذا نظم الاسلام علاقة الدولة الاسلامية بغيرها ، ولعل ما اشتمل القران عليه من علاقات بين المسلمين وغيرهم ، هو اول تنظيم للعلاقات الدولية ، ومن هدى القران واعمال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وسنن الصحابة في الحروب ، والعهود .. تكون اول قانون دولى وجد فى العالم .

ولقد جمع امام من ائمة الفقه الاسلامى، وهو الامام محمد بن الحسن الشيبانى ، ما فعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وما اتبعه فيه اصحابه من بعده ، خاصة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، الذى حارب وعقد العهود ، فى كتاب سماه (السير الكبير) ، واخر سماه (السير الصغير) .

وتدارسهما أهل أوروبا ، واخذ منهما علماء فى هولندا وكتبوا فى القانون الدولى ، ولكن كتب محمد ابن الحسن ومن عاصره كالاوزاعى والقاضى ابى يوسف ، فيها القانون الدولى مستمداً من القرآن ، وقائما على الفضيلة ، والاخلاق الانسانية ، ولم يقم على مجرد العهود التى يمليها القوى ويمليها قانون الغلب ، لا قانون العدل والفضيلة .

***

والعلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم تقوم أولا على أن الاساس فى العلاقات هو السلم ، حتى يكون اعتداء على المسلمين ، اما بالوقوف ضد الدعوة الاسلامية ومصادمتها وفتنة المتدينين بالاسلام ، ثم محاربة الملوك الذين كانوا يحولون بين رعيتهم والاسلام ، انما يحاربونهم لتكون الحرية الدينية بالتبليغ بالحق ، لا لحملهم على الاعتقاد ، فلا اكراه فى الدين ، انما ازالة هؤلاء الملوك ليتبين الرشد من الغى ، وبعد ذلك فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها .

والعلاقة من بعد ذلك تقوم على ثلاث دعائم ، كل يعتمد على الحق والعدل . والفضيلة فى ذاتها اولها المودة التى توجبها المؤاخاة الانسانية العامة ، سواء اكانوا متقاربين أم كانوا متباعدين وسواء اتحد اللون ام اختلف ، وسواء اتحد الدين ام اختلف ، ما دام الاعتداء غير قائم ، ولم يقاتلوا المؤمنين ولم يظاهروا عليهم ، وهذا قوله تعالى : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) .

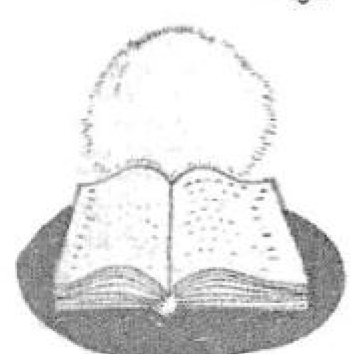
واذا لم تكن المودة متمكنة لاعدائهم اذا كانوا يحادون المؤمنين فى دينهم، يكون القتال كما قال تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله) .

فاذا كانت العداوة المعتدية تكون العدالة هى الفصل الحاكم ، ويكون على دولة الاسلام ان تعدل مع اعدائها، فالعدالة لا تفرق بين عدو وولى فهما على سواء فى استحقاقها : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا . اعدلوا هو اقرب للتقوى) ولذا كان رد الاعتداء بمثله لا يتجاوزه .

وإذا لم يعتدوا بالفعل لم يكن لدولة الاسلام أن تحاربهم الا اذا تبين لها أنهم سيعتدون ، ويعدون العدة للاعتداء ، وللانقضاض على المسلمين، وانه حينئذ لا يسوغ لدولة الاسلام أن تنتظر حتى ينقضوا ، فان الله تعالى يقول في القرآن الكريم : (يأيها الذين امنو خذوا حذركم ، فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً) .

***

والدعامة الثانية ، هي المعاملة بالمثل ، ما لم يكن رذيلة ، فبالسلاح الذي يحاربوننا به نحاربهم ، وبالمعاملة التي يعاملوننا بها نعاملهم الا أن تكون رذيلة ، فاذا كانوا يقتلون الشيوخ والنساء والاطفال لا نحاربهم بذلك ، واذا كانوا ينتهكون حمى الفضيلة لاننتهكها ، واذا كانوا يعتدون على الاعراض لا نعتدى ، لان جيش الاسلام جيش الفضيلة لاينتهكها ولو في ميدان القتال ، واذا كانوا يمثلون بالقتلى ، لا نمثل بقتلاهم ، ولقد مثل المشركون بجثمان حمزة بن عبدالمطلب، عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وأدال منهم ، ولم يمثل بأحد منهم ، لان حرب الاسلام لاقامة العدل والفضيلة ، لا لمجرد المغالبة واظهار القوة ..



وإذا انتهت الحرب لا يقول الاسلام « ويل للمغلوب » كما يقول ساسة اليوم الذين يحكمون الوحشية في سياستهم ، بل يقول : « لا تثريب عليكم ، اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » ، كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للذين أخرجوه من داره ، وفتنوا أصحابه في دينهم ، ومثلوا بعمه وحبيبه حمزة بن عبد المطلب .

***

والدعامة الثالثة في علاقة دولة الاسلام بمخالفيها ــ الوفاء بالعهد ، فان الوفاء بالعهد دعامة العلاقة الدولية الفاضلة ، وهو من العدالة التي لا تستقيم العلاقات الانسانية الا بها . ولقد شدد الاسلام في الامر بالوفاء بالعهد ، فقال تعالى : (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ، انما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ، ولو شاء لجعلكم أمة واحدة ، ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، ولتسألن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها ، وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ، ولكم عذاب عظيم) وان هذا النص الكريم يشير ، بل يؤكد ثلاثة معان :

أولها : أن العهد الذى يوثق باسم الاسلام هو عهد الله ، فمن ينقضه فانما ينقض ميثاق الله سبحانه وتعالى .

ثانيها : أن العهد في ذاته قوة وأمن للمتعاقدين ، والوفاء به يكسبه قوة، ولذلك شبه من ينقضه بالحمقاء التي

تغزل غزلا ، وتفتله وتقويه ، ثم بعد احكامه تنقضه جزءا جزءا ، وفوق نقضـــه ذلك زل للقدم بعد ثبوتها ، والعهد كذلك ، لانه تثبيت للسلم ، والسلم قوة ، ونقضه اضعاف لهذه القوة ، وقد راينا الدول التى تنقض العهود وتسميها اوراقا غيـر ملزمة تزول ، وفى وقت الحاجة لا تجد من يثق بها .

وثالثها : من المعانى التى تدل عليها الايات الكريمات انه لا يصح ان تكون الزيادة فى ارض الدولة ، وقوة السلطان فيها سببا فى نقض العهد، ولذا ذكر من بواعث الغدر الباطلة ان تكون امة هى اربى من امة ، اى ان تكون اكثر عددا ، واوسع ارضـا واقوى سلطانا من امة اخرى .

العدالة الدولية فى الإسلام

وان القوة التى تكون بسبب باطل تؤدى الى الضعف لا محالة ، ولاجل هذا شدد القرآن الكريم فى أن تكـون العلاقات الدولية قائمة على العدالة ، ومنها الوفاء بالعهود .

وانه لا يجـوز نقض العقد ، لاى سبب الا ان يكون السبب شقا من العهد نفسه ، بأن ينقضه العدو ، ولا يستمسك به ، كما نقض المشركون عقد الحديبية وكما نقض يهود المدينة عهودهم مع النبى صلى الله تعالى عليه وسـلم عهدا بعد عهد .

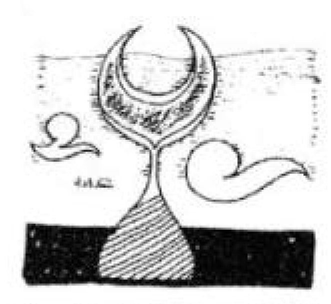
وان القرآن الكريم لا ينتظر الاعداء حتى ينقضوا العهد ، ويخونوا امانات المؤمنين ، بل انه يترقبهم ويحذرهم ، فان قامت امارات تدل على الخيانة ، أو ظهرت بوادرها عليهم ببطلان العهد الذى هموا بأن ينكثوه أو أعدوا العدة لنكثه ، ولذا قال تعـــالى : (واما تخافن من قوم خيانة ، فانبذ اليهـم على سواء) أى سويا بينك وبينهم ، فان العقد لا يوفى من جانب واحد ، بل لا بد من أن يوفى من الجانبين لانه رباط لا يكون الا بين طرفين .

هذه هى الشريعة الاسلامية ، اشرنا فى هذه العجالة الى أساس العلاقات الدولية ، لو نفذت فى هـذه الايام لرفرف السلم فى العالم ، وما كانت الحرب الا بين المفسدين ، وما دخل العادلون الا لمنع الفساد فى الارض .

● الرأى العام الفاضل ●

ذكرنا أن الاسلام يبنى تنظيم المجتمع على الكرامة الانسانية ، اولا ، وعلى العدالة ثانيا . والمجتمع الفاضـــل دعامته هـــذان الامران ، ولا تتكامل فضيلته الا اذا ساده الخلق الطيب . واختفت فيه الرذائل واســـتترت وعاشت فى ظلام ، فان الظلام يقتلها ، وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا الى اخفاء الرذائل فى قوة : فقال « يا معشر الناس من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فاستتر فهو فى ستر الله ، ومن ابدى صفحته اقمنا عليه الحد » ، وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : (ان من ابعد الناس عن الله منازل يوم القيامة المجاهرين ، قيل ومن هم يا رسول الله ؟ قال ذلك الذى يعمل عملا بالليل قد ستره الله تعالى عليه ، فيصبح يقول فعلت كذا وكذا يكشف ستر الله » .

ولذا كان الرأى العام الفاضل النزه الذى دعا الاسلام الى تكوينه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الذى هو خاصة الامة الاسلامية وأساس قوتها



اذا اخذت به ، كما قال تعالى « كنتم خير امة اخــــرجت للناس تامرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله » وترك هذا الفرض الذى حرض عليه القرآن الكريم فى كثير من آياته المحكمة ، لهو الطريق لفناء الامم ، وما ضعفت شوكة المسلمين ، وتفرق جمعهم ، وصاروا نهزة المفترسين الا ان سكتوا عن ذلك وتركوا ذوى القوة والجاه والحكم منهم من غير ناطــق بالحق متقدم للجهاد به ، فصــاروا عبرة المعتبرين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠

وان البناء الاجتماعى الفاضل لا بد ان يســوده الحياء ، بحيث يخفى الشخص رذائله ، ويظهر محاسنه ، لان اظهار الفضــائل دعوة اليها ، واخفاء الرذائل اســتحياء من الله ولذا دعا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحياء ، فقال : الحياء خير كله وقال لكل دين خلق وخــلق الاسلام الحياء ، ويقول من لا حيــاء فيه لا خير فيه ، ويقول ان مما توارثه الناس من كلام النبوة الاولى ، « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » ٠

● الكسب الطيب ●

تكلمنا فيما هو قوام الانســانية ، وما به يتكون المجتمع الفاضــــل ، واخذنا الاحكام من القرآن والسنة مباشرة ٠

والاســـلام لم يكتف بذلك التنظيم الاجتماعى الانسانى العام ، بل تكلم فى اسباب الرزق الحلال ، والكسب الطيب ، فقال الله تعالى : « يايهــا الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل، الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ، ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما ، فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا »

بهذا النهى الحكيم من رب العالمين كان تنظيم المال وعقوده ، واشــار سبحانه الى ان اكل المال بالباطل تقتل به الامة نفسها ، وقد جاء اليهود من هذا الباب ، فيسروا اكل المال بالباطل بين المسلمين ، وقتلوها ، اذ حكموا المادة فيها فماتت وتفرقت ، واستطاعوا ان يسيطروا عليها ٠

والاسلام ككل ، تنظيم اقتصــادى والمتتبع له فى جملته وتفصيله يجده يقسم الكسب الطيب الى ثلاثة انواع : كسب بالزراعة ، وهو حــلال لا ريب فيه ، وقد من الله تعالى على عباده ، فقال : (كلوا من طيبات ماكسبتم ، ومما اخرجنا لكم من الارض) ٠

والثانى الكسب بالتجــارة ، وقد اشار اليه القــرآن الكريم فى الآية (يايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) الآية ٠

وان التجارة حبب فيها الاسلام ، وقد تولاها النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وذلك لان التجارة لكل الاموال من ارض تنتــج انواعا الى ارض لا تنتجها ، فتجعل ابن الارض ينتفع بخيرات الارض فى كل ارض تنتــج خيرا ، ولقد قال عليه السلام : الجالب مرزوق ، والمحتكر خاطىء ، والجلب هو الاستيراد من الاقطار الاخرى ، ويقول بعض الاقتصاديين من المسلمين الاولين ان نقل المتاجر من الاقطار لا يفعله الا ذوى الاخطار من التجار ٠

العدالة الدولية فى الاسلام

وانه فى هذا تتعرض التاجر للمخاطر ، ولا يقوم عليها الا من يريد ان يكسب بالتعرض للربح والخسارة كالغرم بالغنم .

والطريق الثالث هو العمل ، والعمل هو الاصل فى الكسب ، وقد حث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على العمل .. وحبب فيه ، وقال عليه السلام : **خير ما اكل ابن ادم ما كان من عمل يده ، وان نبى الله تعالى داود كان يأكل من عمل يده .**

وكرم الله تعالى عمل اليد لكيلا يحقره أحد ، وتتعاون الامة كلها بالعمل ، وهكذا .

● تهيئة الفرص ●

قرر الشاطبى مستنبطا من فقه الصحابة والتابعين وهدى سيد المرسلين .. أن الاعمال التى تسند لذوى القدرات تكون على حسب الفروض الكفائية ، وتكون التربية لتهيئة الناس على فروض الكفائية ، كل بحسب مقدرته وطاقاته ، فيكون لكل ذى طاقة فكرية وبدنية فرض كفائى يناسبه ، ويقوم به ويؤديه .

وقبل ان نخوض فى بيان ذلك نشير الى معنى الفروض الكفائية ، فنقول ان الفروض كما أوجبها الاسلام فروض عينية يجب على المكلف ان يقوم بها كالصلاة والزكاة والحج لمن استطاع اليه سبيلا أن يقوم به ولا يغنى عن واحد قيام غيره به ، فلا تغنى صلاة واحد عن آخر ، وكذلك صومه ، وكذلك الزكاة لمن وجبت عليه ، والحج لمن استطاع اليه سبيلا .

وهناك فروض لا تجب على الآحاد بل تجب على الجماعة ، وتتضافر على تحقيقها وتتعاون فى ايجاد من يقومون بها ، كالجهاد وكالقضاء وكصلاة الجنازة ، بحيث يغنى عمل بعض الامة عن بعضها .

ويقول الامام الشافعى : الفروض الكفائية واجبة على العموم والخصوص .. فالطب مثلا فرض كفاية ، وهو واجب على العموم ، وعلى الخصوص، فهو واجب على الامة بأن تعد طائفة من بينها للتخصص فى الطب وأن تعين لكل نوع منه طائفة معينة .

ثم بعد تعيين هذه الطائفة المتخصصة يكون الطب واجبا على الخصوص على هذه الطائفة التى خصصتها الامة .

ويكون الوجوب على هؤلاء قريبا من الوجوب العينى ، لانه لايتعين طبيب لكل مريض ،ولكن بلا ريب يكون الوجوب على الاطباء ، هو الافضل فى الوجوب بعد تعيينهم .

وكذلك الهندسة وكذلك القضاء ، **وكذلك الجهاد ، لا بد ان تتضافر الامة على تربية طائفة للقيادة الجندية ، وتدريبهم ، وتمدهم بكل الاسباب ، ويكون الفرض عليهم أولا، ولا يكون الجهاد على الكافة الا اذا دخل العدو أرض الاسلام فى اى جزء من اجزائها القاصى والدانى ، فكل شبر من أرض الاسلام لكل مسلم حصته شائعة فيه ، فعليه ان يرابط لحصته ، وكما قال صلى الله تعالى عليه وسلم « كل مسلم على ثغرة من ثغور الاسلام لا يؤتى الاسلام من جانبه » .**

قرر الشاطبى فى التربية الاسلامية انه يجب ان تبنى التربية على أساس

تهيئة الجميع للفروض الكفائية كل على حسب طاقته ٠

قرر ان يكون التعليم على ثلاث مراحل :

١ ـ المرحلة الاولى ، وتكون عامة لكل الشباب ، يعلمون في هذه المرحلة فروض الدين ، واحكامه واللغة العربية ويحفظون القران الكريم او جزءا منه يعلمون به شئون دينهم كما اوجب الشافعي ويعلمون فيها السباحة والرماية وركوب الخيل للجهاد ، ويعلمون حمل السلاح ، ويدربون على النضال كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي به في تربية شباب الصحابة ، وكما كانوا يفعلون ٠

ومن اجتاز هذه المرحلة بتفوق انتقل الى المرحلة الثانية ، ومن لم يجتزها بتفوق ، يقف عند ذلك الحد ، وهو حينئذ يقف عند فرض كفائي يجب على الامة تحقيقه ، وهو القيام بالاعمال اليدوية من حمل ، ومن عمال يدويين ، ومن جند يحاربون ليس لهم الاقوتهم البدنية بها يدافعون ٠

٢ ـ المرحلة الثانية : وهي المرحلة المتوسطة تكون من المتفوقين في المرحلة الاولى اجتازوها بتفوق ،وبرعوا فيها وفي هذه المرحلة يتجهون نحو التفنن المحدود ، ويعلمون أصول الصناعات، ويدربون على الاعمال الفنية ٠



ومن اجتاز هذه المرحلة بتفوق انتقل الى المرحلة الثالثة ، مرحلة التخصص الكامل او ما يكون طريقا الى الكمال٠

ومن لم يجتزها ، بتفوق وقف عند مرحلة تحتاج اليه الفروض الكفائية التي تحتاج اليها الامة ، فالامة تحتاج الى ممرضين ، ومساعدي صيادلة ومساعدي مهندسين ، وكتبة للديوان وتحتاج الى عمال فنيين مدربين مهرة، وغيرهم ، وهؤلاء يكونون ممن وقفوا عند هذه المرحلة ، فحيث وقفوا كانوا يستطيعون القيام بفروض كفائية، الامة محتاجة الى انواعها ٠

والمرحلة الثالثة او التالية ، هي مرحلة التخصص ، وفيها يتخرج كبار القواد ، والعلماء والفقهاء ، والمهندسون والاطباء ، وهذه المرحلة في حقيقتها مراحل ، ولكن مراحلها تكون بالجهود الذاتية ،فمنهم من يربي نفسه في القيادة حتى يكون كخالد بن الوليد ، ومنهم من يربي نفسه بالفقه، حتى يكون كابي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل ، ومنهم من يربي نفسه في القضاء حتى يكون كعثمان التبتي وعبد الرحمن بن شبرمة وابي يوسف القاضي ، ومنهم من يربي نفسه في الطب ، حتى يصير كابن سينا ٠

ومنهم من يربي نفسه في الهندسة حتى يكن كابي الريحان البيروني ، ومنهم من يربي نفسه في العلوم الرياضية حتى يكون كابي بكر الخوارزمي ومنهم من يربي نفسه في علوم البيان ، حتى يكون كالجاحظ، وابي هلال العسكري والزمخشري وهكذا يتجهون نحو القمة ، حتى يصلوا اليها ٠

وان خلاصة هذا الكلام تنتهي الى ان التربية كما قررها الشاطبي

مستنبطا من عمل النبي والصحابة والتابعين ، كبناء الهرم • وقاعدته أو سعته ، وهي تشمل المرحلة الاولى وهي شباب الامة كلها ، ثم يضيق من بعد القاعدة حتى يصل الى المرحلة الثانية ، ثم يذهب في الارتفاع حتى يصل الى المرحلة الثالثة

والمرحلة الثالثة تضيق وترتفع حتى تصل الى القمة ، وفي القمة يكون العدد قليلا ، وهؤلاء هم العباقرة الذين تبنى عليهم الحضارة الانسانية في كل فروعها ، وأنواعها •

وقد يقول قائل ، ان هذا كلام اقرب الى اصطلاحات العصور الحديثة • فهل كل هذا شرعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ونفذه الصحابة ؟

ونقول في الاجابة عن ذلك ان المراحل ذكرت بعضها تقريبا في كتاب الموافقات للشاطبي ، وواضح انه اقتبس اصلها من كلام الشافعي في الرسالة الاصولية ، فكلام الشاطبي تفصيل لمعنى الخصوص والعموم بالنسبة للتكليفات الكفائية ، وهو توضيح للقديم وليس ذكرا لجديد • والشافعي ، وهو العالم بالقرآن ، وامام السنة وناصرها اخذها مما درس من فقه الصحابة وفقه السنة ، واذا كانت الاسماء لم ترد على ألسنتهم فالحقائق قد ثبتت بأقوالهم وأفعالهم ، وما اتبعوه في سياستهم العلمية ، والحربية ، وتنظيم الدولة •

● الكسب بالزمن ●

لم يعد الاسلام الكسب بالزمن سببا من أسباب الكسب الطيب ،لان الزمن لا ينتج ثمرا ، ولا يولد نقدا ، او يحمل فيه نقد حتى يتمخض ، ولذلك ابطل القرآن الكريم الكسب بالزمن ، وجعله من قبيل اكل اموال الناس بالباطل ، وعده سحتا في الكسب فقال تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه •• فانتهى فله ما سلف وامره الى الله •• ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • يمحق الله الربا ، ويربي الصدقات ، والله لا يحب كل كفار اثيم • ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة واتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) •

نص صريح لا ريب فيه، وعد القرآن الكريم من لم يذر الربا بعد تحريمه انه في حرب لله ورسوله، لانه سيحارب نظام الشريعة في الكسب ، لانه يرتكب اعظم الاثام جرما في بناء المجتمع ، وحد مؤدى التوبة ومغزاها وهو أن يسلم لهم رءوس أموالهم ، ولاياخذ فوق رأس المال شيئا والا فهو الربا •

ولكن تنبأ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بزماننا هذا ، وهو زمان

ربوى فى اكثر طرق الاستغلال ، فقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الامام احمد : (يأتى على الناس زمان يأكلون فيه الربا ، من لم يأكله ناله غباره)

•• وهذا هو زماننا وان ذلك بلا ريب انحراف بالامة عن مقاصـــد دينها ، ونصوص كتاب الله تعالى الذى نزل رحمة للعالمين •

وان العـرب فى مكة كانوا قوما تجارا ، فمنهم من كان يتجر فى ماله• ومنهم من كان يتجر فى مال غيـره على ربح مقوم بينهما ومنهم من كان

ينمى رأس ماله بالقرض على أن يكون لصاحب المال قدر محدود من النقد، وهذا هو الربا، وكان هو ربا الجاهلية الذى شاع مع شيوع التجارة •

وقد اختلف بنو المغيـــرة الذين اقترضوا من بنى ثقيف عندما نزل تحريم الربا ، فقال بنو المغيرة ، ان الربا على ما اخــــذوه فى الماضى

يحتسب من رأس المال ، وقال بنـو ثقيف لا يحتسب ، واحتكموا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليطبق عليهم النص القرآنى ، (ذروا ما بقى من الربا) •

وما كان بنو المغيرة يقترضـــــون لياكلوا ، بل كانوا يقترضون ليزيدوا فى رءوس اموالهم ، فمنهم الوليد بن

المغيرة الذى نزل فيه قوله تعالى : « ذرنى ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا » وان التعبير براس المال فى قوله تعالى :

« وان تبتم فلكم رءوس اموالكم » ان هذا التعبير عن الدين يدل على انه راس مال للاتجار لا للاكل واعـــداد الحاجات •

ومن الكسب ، الكســب بالانتظار والاحتكار ، فانه كسب الزمن اذ تدخر البضائع فى وتحتكرتها الى وقت قلتها

فيزداد ثمنها ، ويكون الكسب بالزمن، وقد حرم بأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « الجالب مرزوق والمحتكر خاطىء » •

ولماذا حرم الاسلام الكسب بالزمن وعده كسبا خبيثا ؟ والجواب عن ذلك ان الكسب الطيب فى الاسلام هو الذى يزيد ثروة الامة او ينمى مالها فى

مجموعه ، اما بالزراعة ، واستخراج ينابيع الارض ، واما بتحويل الاشياء بالصناعة فالتحويل يزيد الثــروة ، فتحويل القطن الى نسيج يزيد ثروة الامة ، ويسد حاجاتها ، وغير ذلك •

والتجارة تحويل البضاعة من مكان فيه وفرها الى مكان اخر ليس فيه وفرها ، بل حاجة ، وذلك ينمى ثروة الامة ويسد حاجاتها •

أما الكسب بالزمن فانه لا يســد حاجة ، ولا ينمى ثروة الامة •

ويقول اولئك الذين انحـرفوا لان المجتمع الربوى جــرفهم ، ان الربا يمكن المستقل من ان يستقل بوفرة ، ونقول انه يرهقه من امره عسرا لانه يعمل مســـــتقلا ثم يجيء الاخـــر ويشاركه فى كسبه، من غير ان يشاركه فى خسارته ان خسر ، وبذلك تتوالد الازمات عندما يكون الكسب غير قائم بسداد الربا الذى هو كالاتاوة ، ولو كان الرابى شريكا ، لتحمل الخسارة ولكنه لا يريد الشركة ، بل يريد الاخذ من غير تحمل لتبعة ، وذلك ظلم مبين مؤدٍ الى فراغ عند المرابين ويسيرون كلا على المجتمع ، لا يفكرون الا فى حساب الفوائد ، وفوائد الفوائد ، وكيف يقتنصـــــون اموال الناس ، ويأكلونها اكلا لما ، ولعل ارسطو قال قوله : الحق عندما قال :

ان الكسب بالفائدة كسب خبيث ، لان النقد لا يلد النقد) •

« للبحث بقية »

حسن كامل الصيرفي



يا رقةً في غلالهْ   ما أنت إلا ابتهالهْ
تصاعدتْ من فؤادٍ   مُبَرَّأٍ عن ضلالهْ .. !
أشعةُ الشمس كانت   تسيجُ هذى الغلالهْ
والنجم وشّى سداها   والبدرُ ألقى ظلالهْ
وقال ربكِ : كوني   لكلِّ فنٍّ مثالهْ
إذا تخيل حسناً   داعبتِ أنتِ خيالهْ
الشعرُ ليلٌ رخيٌّ   لما أطالَ انسدالهْ
والوجهُ مشرق صبحٍ   له من الطهر هالهْ
ومشرعاتُ جفونٍ   وراءَها .. إطلالهْ
من البريق المصفّى   مثلَ البروق الخاله
من كل جفنٍ تراءى   حلْمٌ يزيد اكتحاله
والثغر ينبوعُ سحرٍ   تظمأ القلوبُ حياله
والجيدُ راووقُ عطرٍ   قد رقَّ حتى صفا له
يا رقةً كنسيمٍ   أوحتْ إليه اعتلالهْ
قدسيةٌ أنتِ جاءتْ   على جناحَي رسالهْ
من عالم الطهر تضفي   على الوجود جمالهْ
تمشي على الأرض طلاًّ   تهوى العيونُ اختيالهْ
خطاً .. فقالت سماهُ   للتربِ : قبِّلْ نعالهْ
فما خطتْ لخطايا   ولا أزلّ اتقالهْ

كالرّوحِ ينقل عَنْهُ   سُمُوَّهُ وكماله ...
لا تَفْترقي من مقالي   فما أسأت المقالهْ
أنا الذي عاش يُرْوَى   من النقاء زُلالهْ
أوحَى الجمال إليهِ   أرقّ شعرٍ فقالهْ
أسمو بكل جميلٍ   وما اشتهيتُ ابتذالهْ
وما رميتُ شِباكاً   ولا نصبتُ حِبالهْ
لكنْ عبدتُ إلهي   في كل حُسنٍ بدا لهْ
قدّستُ كلَّ نبيلٍ   تشعُّ منه النبالهْ
نهلتُ منه حياتي   نقيّةً وجلاله ...
كبّرتُ لله مُفنى   هذا السّنا والجلالهْ
لأنتِ ، أنتِ صلاةٌ   قدسيّةٌ لا مَحالهْ
في معبدٍ من نقاءٍ   سمعتُ فيه بِلالهْ
مؤذّناً لخيالٍ   رامَ السحاب فطالهْ



د. ساميه أحمد أسعد

لعل « فولتير » واحد من اشهر أصحاب الاساليب ، لا فى فرنسا فحسب ، بل فى العالم اجمع .. ومما لا شك فيه أن السخرية هى السمة المميزة لاسلوبه . لذا ، نبدأ بالحديث عنها .. فهى شكل مميز لفكر « فولتير » وذوقه .. نراه يقول فى « كانديد » : « للدوق همومه، ولصاحب الجندول همومه ايضـــا .

بالتالى ، علينا أن نظل أعداء ، وفقا لقوانين الطبيعة المقدسة .. انت تأمر بتفتيشنا بالسياط فى الجبال ، لكى تســـتخرج منها نوعا من الارض الصفراء التى لا تصلح لشىء فى حد ذاتها ، وتكاد لا تساوى ثمن بصلة من بصل مصر ، لذا ، عندما نلقاك، ونكون اقوى منك ، نجعلك تحـــرث حقولنا ، او نقطع أنفك واذنيك » ..

الا أن هذه السـخرية اللاذعة المركزة تعرف الراحة بل وتعرف السفر وتتغذى أحيانا من النزوة والجمال . ويكفى أن يرجع القارىء الى «زاديج» حيث حاكى الكاتب « الف ليلة وليلة » لكى يجد امثلة وامثلة دالة على ذلك .

أربعة من عمالقة الأدب الفرنسى

فى رحلة البحث عن "أسلوب"

ومصير صاحب الجندول افضـــل من مصير الدوق ، فى الواقع . لـكنى اعتقد أن الفرق بينهما من التفاهة بحيث لا يستحق أن نبحثه » ..

والسخرية تؤثر الايجاز ، وتجعـل الجدية تقوى نبرة الهجاء العميق . وهكذا تنتهى الى تفكير عبثى تنبثق منه الفكرة قوية ، بسيطة ببساطة لا تقاوم .. يقول « فولتير » فى « سكار منتادو » : « رد عليه الكابتن الزنجى قائلا : انفك طويل ، وانوفنا مفلطحة ، وشعرك ناعم ، وشـعرنا مجعد ..

ولم يجهل « فولتير » الخطابة ، ولم يحتقر الصور ، ونجد الكثير منها فى براهينه ، لان قيمتها فلسفية دائما. هذه احداها : « لم أعرف فاتحا جاء بسيف فى يده ودستور فى اليـد الاخرى »(١) » وعندما يتحمس ، يعقد فولتير المقارنات بطريقة طبيعية .. قال ، على سبيل المثال ، عن الحرب : « هناك أزمنة تلتهم فيها الوحـــوش الضارية الهابطة من الجبال اعمالكم، ثم تعود الى كهوفها » .

ولقد أتقن « فولتير » الاســلوب

النفس فى « بورتريهات » تاريخيـــة عديدة : « كانت الاحزاب كلها تتصادم وتتفاوض ويخون بعضـــها البعض الاخر .. كل شـــخصية هامة ، أو ارادت أن تكون كذلك ، تريد أن تقيم ثروتها على الخراب العام ، وكان المال العام فى فم الجميع ! » .

ومثل هذه المهام تنتهى عادة الى الحكمة . ويمكن أن نجمع الحكم التى ساقها «فولتير» فى مجلد كامل. وهذه احداها : « نحن نلتمس العذر للوزير الذى يفعل الشر عندما تؤثر العواصف على الدفة التى يمسك بها .. لكن ، الا يعد هذا الوزير مسئولا عن كل الخير الذى لا يفعله أيام السلم ؟! »

من « كانديد » ، و « كانديد » اسم البطل ، ومعناه « الساذج » :

« كان كانديد ينصت بانتبـــاه ، ويصدق ما يقال فى براءة ، لانه كان يرى أن مدموازيل كونجوند جميلة للغاية ، وان لم يجرؤ على أن يقول لها ذلك أبدا . وانتهى الى ان أولى درجات السعادة هى أن يولد المرء بارون ثندر – تن – ترونك » ، وثانيها أن يكون مدموازيل كونجوند ، وثالثها أن يراها كل يوم ، ورابعها ان يستمع الى الاستاذ بونجلوس ، أكبـــر فلاسفة المقاطعة ، وفلاســـفة الارض بالتالى .

ذات يوم ، قابلت كونجوند كانديد



شـــاتوبريان مهد للرومانسية

بيكيت : من أصحـــاب الأساليب فى القرن العشرين



فولتير : السخرية سمة مميزة لاسلوبه

وكلمة أخيرة : يحب فولتير السرد الساذج ، والاسلوب المباشر الذى يدع الوقائع تتكلم .. وكل صـــفحة من صفحاته تهدف الى أن تكون تعليمية . وكما يفعل التريبيون ، يرتب هـــذا الفيلسوف العظيم الامثلة والصـــور بوضوح تام . ولا يجعلنا نشعر أنه يفسر لمجرد التفسير ، أو يسعى الى امتاع الحواس ناسيا اهتمام الذهن . ولربما كان هذا سبب تعارضه مع الرومانسيين جذريا .

والان ، اليك أيها القارىء نموذجا

وهى عائدة الى القصر ، فاحمر وجهها خجلا . واحمر وجه كانديد خجلا . وقالت له « صباح الخير » بصوت متهدج .. وحدثها كانديد دون أن يدرى ما الذى يقوله ، وفى اليـــوم التالى ، بعد العشاء ، عندما تخرج الجميـــع من حجرة الطعام وجـــد كانديد وكونجوند نفسيهما وراء ساتر فاسقطت كونجوند منديلها ، والتقطه كانديد . وامسكت كونجوند بيده ببراءة .. وقبل الشاب يد الانسة ببراءة وحرارة ، وشـــغف خاص . والتقى

قاماهما ، واشتعلت عيونهما ، وارتعشت سيقانهما ، وضلت ايديهما .. ومر البارون ثندر - تن - ترونك بجوار الساتر .. وعندما رأى هذا « المسبب » وهذا « المسبب » ، طرد كانديد من القصر بعد أن ركل مؤخرته . واغمى على كونجوند .. وحالما افاقت ، صفعتها البارونة . وانهار كل شىء فى أجمل قصور الدنيا وأحلاها !

***

واذا انتقلنا الى مطلع القرن التاسع عشر ، التقينا بشاتوبريان ، الكاتب الشهير الذى مهد للرومانسية ، وصاحب الاسلوب النثرى المتميز الذى يعرف لاول وهلة ..

يستبعد شاتوبريان الابتذال والقبح من مجال رؤياه ، بمحض ارادته : « لا ينبغى أن نقدم للعالم الا كل



جميل » . ولكى يصور الجمال بكافة أشكاله يخلق نثرا تثير مرونته التشكيلية الدهشة . يميل هذا النثر الى الفخامة والاطالة احيانا ، والى القوة والتركيز احيانا أخرى . ففى « أتالا » ، و « رينيه » ، و « الشهداء » ، يبسط شاتوبريان تعبيره السحرى بفخامة تسترعى الانتباه ، بتأرجح الصور وتلاعب الموسيقى .. ويولد هذا النثر ، بالتالى ، أثرا شاعريا كبيرا ، يقول الكاتب مثلا : « تلتقى نظراتك بنظرات النجوم ، وتختلط بشعاعها » . وعلى عكس ذلك ، يبحث فى كثير من الاحيان ، عن القوة والتركيز .. نراه على المثال ، يعرف سذاجة هوميروس وأناقة راسين فى لمحات سريعة ، وينافس فولتير ومونتيسكيو فى سرعة التعبير والاختصار المذهل ، وذلك فى صفحاته التاريخية والسياسية ، ويحدث أن يسلم اسلوب شاتوبريان نفسه للراحة والاسترخاء .

وفى قصته « رينيه » حيث نرى بطلا يرمز الى الجيل الرومانسى المصاب بما يسمى « داء العصر » - الميل الى الكآبة والحزن ، وحب العزلة ونداء الموت ، الخ .. نجد صفحات عدة مميزة لاسلوب شاتوبريان . فهو لا يكتفى بالتحليل ، بل يولد الاحاسيس فينا ، وترتبط أحلام رينيه عنده بصور تثير الانفعال ، يدعمها ايقاع ايحائى دائما .. وفى السطور التالية ، صور غاية فى البساطة خلت من البريق والالوان المتعددة . ومع ذلك ، تخلق منظرا ساحرا أخاذا غامضا ، ويتوصل الكاتب الى ذلك بفضل اختياره الموفق للصفات .. فبعضها يذكر الخريف ، حيث منحدر الحياة ، والبعض الاخر يوحى بالضعف والاستسلام . أما الايقاع ، فبطىء متواز توازيا حسب حسابه بدقة :

« كنت ، أثناء النهار ، أضل وسط مساحات كبيرة من الزهور البرية تنتهى الى غابات . لكم كانت تحتاج أحلامى الى القليل ! .. ورقة جافة تدفعها الريح أمامى ، كوخ يرتفع دخانه الى قمم الاشجار العارية ، حشائش ترتجف عندما تهب ريح الشمال على ساق شجرة بلوط ، صخرة منعزلة ، بحيرة خالية يهمس فيها العشب . كثيرا ما نظرت الى برج الجرس الوحيد الذى يرتفع بعيدا فى الوادى ، كثيرا ما تابعت بعينى الطيور المهاجرة المحلقة فوق رأسى ، وتخيلت الشطآن المجهولة والاجواء البعيدة الذاهبة اليها وتمنيت أن تحملنى على أجنحتها .. كانت تضنينى غريزة خفية . كنت

أشعر أنني لست سوى مسافر .. لكن خيل الى أن صوتا من السماء يقول لي : « لم يحن وقت هجرتك بعد ، يا رجل .. انتظر هبوب ريح الموت ، عندئذ ، ستبسط طيرانك نحو المناطق المجهولة التي يهفو اليها قلبك » .. « هيى حـــالا ، اينها العواصف المرغوبة ، يا من عليـــك أن تنقلي « رينيه » الى فضاء حياة أخرى .. كنت اقـــول هـــذا وانا أسير بخطا واسعة ، ووجهي مشتعل ، والريح تصفر في شعرى ، لا اشعر بالثلج أو المطر ، مسحور ، معذب ، وكأن شيطان نفسي قد تملكني ! » .

***

ومع الكاتب الروائي الكبيـــــر جوستاف فلوبير مؤلف «مدام بوفاري» نجد انفسنا مضطرين للحـــديث عن منهجه العلمي ، ولنه الموضوعي قبل حديثنا عن أسلوبه ، أو بالاحرى عن تقديسه للشكل ..

أمضى « فلوبير » شبابه في وسط طبي ، حيث كانت ملاحظة الظواهر ملاحظة دقيقة هي القاعـــدة ، وكان الايمان بالحتمية الفيزيولوجية قـــد تأكد بعد . ومن ثم كانت فكرة تطبيق منهج العلوم البيولوجية على الدراسة النفسية . بمعنى تعـــدد الملاحظات الموضوعية من أجل تصوير واقـــع الاشياء ، وربما التوصل الى قوانين الظواهر النفسية وبالتالى ، اصبح جمع المعلومات شرطا لاداء « فلوبير » لمهمته ككاتب .

قام « فلوبير » بتحقيقات واسعة النطاق لان غالبية رواياته تستوحى الاحداث الواقعية ، تاريخية كانت أم معاصرة . وبحث عن أصل شخصياته ، ووراثتها ، وسلوكها ، والاماكن التى عاشت فيها ، وظل قريبا من الواقع بالقدر الذى أتاحه له فنه ككاتب روائى .. وكان اهتمام « فلوبير » بالمعلومات الدقيقة . قد أصبح فكرة متسلطة .. على سبيل المثال ، قبل ان يصـــف انتحار مدام بوفارى بالسم ، أو يصف آثار الجوع على المرتزقة فى « سالامبو » ــ اطلع على عدة بحوث طبية فى هذا الشأن .. وفى « التربية العاطفية » ، خلق من جديد الجو الباريسى فيمـــا بين ١٨٤٠ و ١٨٥١ ــ خاصة الايام الثورية ــ بدقة جعلت بعض المؤرخين يعجبون به . والحالة القصوى ، فى هذا الصـــــدد ، هى حال « بوفار وبيكوشيه » ، الرواية التى لم تكتمل التى اطلع « فلوبير » من أجلها على ١٥٠٠ مجلد !

كان « فلوبير » يقصد ، بجمـــع المعلومات والوثائق ، اكتساب « النظرة الطبية الى الحياة » ، و « النظرة الى الواقع » ، وفيهما يتمثل السبيل الوحيد للوصول الى آثار انفعالية كبرى . لكن ، على الكاتب الروائى أن يجرى عملية اختيار بين الوثائق التى جمعها لكى يبقى فى مجال العموميـــــات المحتملة ، أى لكى يجرد الوقائع من طابعها العرضى ويعطيها قيمة الحقيقة العالمية .

ولا يســـتطيع الكاتب الروائى أن يكون صادقا الا اذا نظر الى النفس البشرية نظرة محايدة كتلك التى تنظر بها الى العلوم الطبيعية، أى دون تدخل للعواطف الشـــخصية .. يقول « فلوبير » : « على الفنان أن يتصرف بحيث يجعل الاجيال القادمة تعتقد أنه لم يعش » . لذا حاول أن يبدو غائبا من مؤلفاته . وركز اهتمامه على ما يؤثر على أفعال الشخصيات ويتسبب فيها . وفى تصويره للحياة النفسية ، احتفظ دائما بالعناصر التى يمكن لمسها موضوعيا .

مما لا شك فيه أن غياب شخصية الكاتب غيابا تاما لا يمكن أن يكون .. لكن ، على الكاتب أن ينقل نفسه الى شخصيته ، لا أن يجذبها اليه . وكان « فلوبير » يتوصل الى ذلك لدرجة أنه كان يمضى أياما كاملة فى عالم الوهم . كان ، لقدرته على الايحاء

الذاتى ، يحس بمذاق الزرنيخ فى فمه وهو يصف انتحار ايما بوفارى .. وكان يراقب نفسه ، ويسيطر عليها ، وقد استخلص من انفعاله الخاص العناصر الرومانسية لكل من « مدام بوفارى » و « سالامبو » .. فى الواقع لم يتوصل « فلوبير » ، بالرغم من كل ما بذله من جهد ، الى كتابة روايات لا شخصية تماما . بل لقد جعلتنا نحدس احيانا مزاجه الخاص ، خاصة عندما سخر من الحماقة البورجوازية .. وتعكس رواياته تشاؤمه الجوهرى اكثر مما تقدم لنا رؤيا محايدة للعالم

ويرى « فلوبير » ، شأنه فى ذلك شأن « شاتوبريان » ، ان الجمال هدف



الفن ، اولا وقبل كل شىء . فى خلق الجمال ، بعيدا عن اى اعتبارات معنوية اجتماعية ، تكمن رسالة الفنان الوحيدة فى نظر « فلوبير » . لكن محاكاة الواقع لا تكفى ، لان الجمال هو الشىء الوحيد الذى يعطى العمل الفنى قيمته الخالدة . ويولد هذا الجمال عن توافق تام بين الشكل والمضمون : « كلما اقترب التعبير من الفكرة ، التصقت الكلمة به ... وكان العمل جميلا » .. ولقد بلغ « فلوبير » بعبادة الشكل حدا جعله يستطرد قائلا : « لا توجد موضوعات جميلة واخرى سيئة . واذا نظرنا الى الامور من وجهة نظر الفن الخالص . سلمنا بأن لا وجود للموضوع ، أيا كان ، لان الاسلوب وحده طريقة مطلقة لرؤية الاشياء ».

عرف « فلوبير » عذاب الاسلوب اكثر مما عرفه غيره من الكتاب . كان يعيد كتابة الفقرة دون كلل أو ملل . على سبيل المثال ، كتب أربع عشرة مرة بعض احداث معركة « ماكار » فى « سالامبو » كان بعد أن يكتب الجملة يسمعها لنفسه بصوت عال ..

ويقول «موباسان» فى هذا الصدد : « كان ينصت الى ايقاع نثره ، ويتوقف ليمسك بصوت هارب ، ويؤلف بين النبرات، ويضع الفواصل بوعى كامل، وكأنها وقفات فى طريق طويل » .. بفضل هذا العمل الجاد ، أصبح « فلوبير » واحدا من اكبر كتاب النثر فى فرنسا . فعباراته دقيقة مناسبة . وايقاعها وانسجامها يجعلان من بعض صفحاته قصائد حقة . لقد قال عن « سالامبو » : « قليلون تعذبوا مثلى من أجل الادب » ... لقد فرض على نفسه البحث عن الوثائق والسعى الذى لا ينى وراء الاسلوب الى حد العذاب، ايمانا منه بفنه ، وبأن الادب وحده يجعل لوجوده معنى .

ومن « مدام بوفارى » اخترنا هذه السطور التى ينقل فيها المؤلف صورة الحياة بتفاصيلها الدقيقة ويتبع خطا بطلته محللا أحاسيسها وحالتها النفسية ، فى الاثناء التى تكتشف فيها اطار حياتها الجديدة (ولقد انتقلت هى وزوجها الى مسكن جديد فى بلدة جديدة) :

« منذ أن وصلت الى البهو ، احست « ايما » ببرودة الجبس تسقط على كتفيها وكأنها رداء مبتل . كانت الحيطان جديدة ، ودرجات السلم الخشبية تطقطق . وفى الغرفة ، فى الدور الاول ، كان ضوء مائل للبياض يدخل من النوافذ التى خلت من الستائر .. كانت قمم الاشجار ترى

من بعيد ، والمرعى ، على مسافة أبعد منها ، يكاد يغرق فى الضباب • وكان الضباب يدخن تحت ضوء القمر ، مع مجرى النهر •• ووسط الشقة، تكدست فى غير نظام ، أدراج ، وزجاجات ، وعصى ذهبية ، ومراتب على الكراسى، وأحواض على الارضية • كان الرجلان اللذان أحضرا الاثاث قد تركا كل شىء هنا ، فى اهمال ••

« كانت هذه رابع مرة تنام فيها فى مكان لا تعرفه ، الاولى يوم أن دخلت الدير ، والثانية يوم وصلت الى « تروست » ، والثالثة فى قصر « لافوبويسار » ، والرابعة هذه المرة •• وكانت كل مرة بمثابة بدء مرحلة جديدة فى حياتها • لم تكن تعتقد أن الاشياء يمكن أن تكون هى هى فى أماكن مختلفة • وما دام الجزء الذى عاشته كان تعسا ، فمما لا شك فيه أن ما تبقى سيكون أفضل » •

وفى القرن العشرين ، نلتقى بكثيرين من أصحاب الاساليب ، أمثال الشاعر « بول كلـــوديل » والكاتب « جان جيرودو » ، ومن بعدهما ، « أوجين يونسكو » و « صمويل بيكيت » ، وغيرهم •• ولقد اختـــرنا الكاتب « ريمون كينو » ــ ولد عام ١٩٠٣ ــ لاهتمامه بالاسلوب أولا وقبل كل شىء •• ولان القارىء العربى لا يعرف عنه، حتى الان ، ــ فى حدود معلوماتنا على الاقل ــ شيئا يذكر •

اختار « كينو » اللغة والرياضيات من ناحية ، والشعر والسخرية ، من ناحية أخرى • ومكنته هذه العناصر من التعبير عن عالم شخصى ، متماسك جديد •

ظل « كينو » يتحسس طريقه ، باحثا عن ذلك الاسلوب الذى أصبح مميزا له فيما بعد ، عاملا على اتقانه بدقة وبطء • وأســـلوب « كينـــو » أسلوب طبيعى ، حى ، يحاكى اللغة التى يتكلمها الفرنســيون كل يوم ويستخدم نفس الالفاظ، ونفس التراكيب ونفس طرق التفكير •• ولا يمكن أن نغفل مشاركة « كينو » فى الحـــركة السيريالية فترة دامت بضع سنوات لكن ، مما لا شك فيه أن تأثره بها كان ضعيفا •• ان ميله الى الفردية والعـــزلة قد منعه ، بالتأكيد ، من الاندماج كلية فى هذه الحركة •

واذا صدقنا ما قاله فى «أوديل»، حيث تحدث باسهاب عن هذه الفترة من حياته ، وجدنا أنه لم يجد عنده أصدقاء يرتبون ردا على الاسئلة التى عنت له ، وكان وحده قادرا على الرد عليها • ودليل ذلك مؤلفاته ذاتها • فالديوان الوحيد الذى يرجع الى تلك الفترة لا يشتمل الا على عدد ضئيل من النصوص السيريالية البحتة • أما بقية النصوص، فلا تمت الى السيريالية بصلة ، بل تعبر عن أسلوب « كينو » الخاص •

والواقـــع ، ان تأثر « كينو » بالسيريالية كان تأثرا سلبيا • لكن ، اذا كانت السيريالية لم تقدم حـــلا للقضايا التى تشغله ، فمن المؤكد انها ساعدت على ايجادها ، وتحديدها وشجعته على مواصلة البحث فيها •• ان السبب الرئيسى لعدم تأثر « كينو » بالسيريالية هو عدم وجود أى شىء مشـــترك بين هدفيهما ، فلقـد سعى « كينـــو » الى خلق عالم حى عن طريق اللغة الحية • ولم يكن هـــذا بالهدف الذى سعى اليه «السيرياليون»

وذات يوم ، قادته قراءاته ، وهداه تفكيـــره الى اكتشاف لغة فرنسية حديثة ، لغة ثالثة تطابق لغة الحديث حقا • ورأى أن هذه الثورة لا بد وأن تنصب على نقاط ثلاثة : الكلمات، وتركيب الجمل ، والاملاء

وفيمـــا يتعلق بالنقطتين الاولى والثانية ، لم يقل الا القليل : يجب اتباع لغة الحديث ، وتجنب العاميـة لانها وقتية زائلة • أما الامـــلاء ، فاقربها الى الصـــوتيات هى التى تفرض نفسها ، فيما يبدو •

أحب « كينـــــو » العلوم بكافة أشكالها · لكنها لم تكن بالنسبة له تكديســــا للمعلومات ، فالمنهج ، وطريقة البحث هما اللذان يهمانه أكثر من النتائج · ولعل هذا هو السبب الذى جعله يتجه الى دوائر المعارف فى حياته المهنية ، ومن بين العلوم ، الى الرياضيات · ولقد انعكس حبه هذا على مؤلفاته وبحوثه فى اللغـة ·· وبالفعل ، ما من شىء أدق من اللغة العلمية · ولنسق ، على سبيل المثال ، تسلط فكرة العودة على ذهن « كينو » : الدائرة التى تغلـــق ، والثعبان الذى يعض ذيله ، وفكرة



اللولب ، مسلما كان أم قوقعة ·· احـدى رواياته تبدأ وتنتهى بنفس الجملة ، ، وتبدأ أخرى وتنتهى بنفس الموقف · ويتم كل هذا عن رغبة فى النظام ·· ويكـــره « كينو » كل ما يتسم بالابهام أو تحيط به الظلال ، واذا كان فى حاجة الى لغة دقيقة ، فلأنه لا يحتمل أن يفهم شيئا آخر غير الذى أراد قوله ·

ويحتاج التعبير الواقعى عن العالم الى لغة عادية يفهمها الجميع · ويقابل هذا التعبير تعبير آخر يصححه الكاتب ·· يحتاج الكاتب اذن ، لكى يقـول كيف يرى العالم – الى لغة خاصة ، شخصية ، فريدة من نوعها ، ولسوف يقدمها له الشعر · والشعر ، فيما يرى « كينو » ، ليس غاية ، بل وسيلة ، أداة يلجأ اليها لكى يصـور العالم الخيالى الذى يلمحه وراء الواقـــع ولا تستطيع أن تعبر عنه اللغة العادية

كما يرى « كينـو » أن اللغة التى نستخدمها كل يوم مملوءة بالعبارات اللامعقولة ، والجمل التى ابتعدت عن معناها الاصلى ، والصـيغ المبتذلة ، والكليشيهات ، الخ ··· لكننا لا نلتفت الى كل هذا لاننا اعتدناه ، ويكفى أن نكتب كل هذا بطريقة مختلفة بعض الشىء ، وأن نفككه ، أو نبلغ به المدى لكى يتضح عبثه للعيان ·

ولا يهتم « كينو » بطـــرق الكلام فحسب ·· وبما أننا نفكر بالكلمات ، فان مهاجمة اللغة تعنى مهاجمـــة الفكرة الكامنة وراء الكلمات ، سواء وجدت أم لا ·· كما تعنى مهاجمة طريقة الحياة · فالسخرية من بعض الشخصيات تتعدى حـدود الكوميديا البسيطة لكى تبلغ الهجاء الكلاسيكى · والتنديد بطريقة الكلام ، والتفكير ، والحياة ، يعنى التنديد بمفهوم معين للحياة ، وفلسفة معينة للحياة ·

لسوف يتساءل القارىء ، وما شأن الاسلوب وكل هذا ؟ ·· الاسلوب هو كل هذا ، كل ما تحدثنا عنه : انبثاق وسائل التعبير والجمع بينها ·· وعلى تنوع الوسائل أن يخلق تنوع الاسلوب ·· وهذا ما نلمسه فعلا عند « كينو » فلغته تتغير ، وتتضح ، وتتشكل من كتاب لاخر بل يرى الكاتب نفسه أنها ازدادت نقاء من كتاب لاخر ···

ويسعى « كينو » دائما الى الملاءمة التامة بين الاسلوب والموضوع ··· ويمكن أن نقسم ذلك الاسلوب عنده الى عنصرين : الرؤيا والكتـــابة · ومما يكسب أسلوبه وحدة وتماسكا هو طابعه البصرى ، التصويرى ··· وقد تحدث البعض ، فى هذا الصدد ، عن

أسلوب « كينو » السـينمائى ٠٠ ولاغرو فى هذا . مادام « كينو » قد أحب السينما طول حياته ٠ فلقد أخذ عنها بعض خواصها ، وأهمها الحركة

وفى روايات « كينو » نرى دائما أناسا يتحركون ، والحركات تصحب الحوار دائما ـ والاختصار ـ نحن لا نجد عنده مشاهد أو نصـــوصا طويلة ـ وحركات الكاميرا : تتحرك الناظر احيانا، وتتبعها العين وتكتشفها شيئا فشيئا ٠

طوع « كينو » كتاباته لهذه الرؤيا، ولم يكن ذلك بالامر السهل دائما ٠ لان الصورة ، فى السينما ، يمكن أن ترينا حدثين فى وقت واحد ، بينما يتحتم على الكلام أن يرويهما لنـــا الواحد تلو الآخر ٠

ولعل « تمرينات على الاسلوب » ـ ١٩٤٧ ـ هى اشهر كتابات « كينو » فى هذا الصدد ٠ يقول الراوى كيف قابل ، فى احد الاوتوبيسات ، شابا طويل العنق ، يلبس قبعة تزينهـــا ضفيرة بدلا من الشريط التقليدى ٠ يتبادل الشاب بضع كلمات حادة مع راكب اخر ٠ ثم يذهب ويجلس فى مكان خال ٠ بعد ذلك بقليل ، يلتقى الراوى بنفس الراكب ، ويراه منهمكا فى الحديث مع صديق ينصحه بنقل الزر العلوى لمعطفـــه الى مكان اعلى ٠٠ يروى «كينو» هذه القصة القصيرة تسعا وتسعين مرة ، بتسع وتسعين طريقة مختلفة ٠ وهاهما ، على سبيل المثال ، روايتان ، احداهما عنوانها « حلم »، والاخرى « تحليل منطقى » :

١ ـ خيل الى ان كل شىء أصبح معتما مصمتا حولى ٠ ومع وجـــود أناس لم اميزهم ، ارتسم بينهم وجه وحيد ، بوضوح كاف ، وجه شـــاب كان عنقه الطويل يعلن ، فيما يبدو ، عن طابعه الجبان المشاكس ٠ كان شريط قبعته قد استبدل بدوبار مجدول ٠٠ ثم تشاجر مع شخص لم أره ، ثم ألقى بنفسه فى ظلمة أحد الممرات ، وكان الخوف قد استولى عليه ٠

أراه فى جزء آخر من الحلم سائرا فى عز الشمس ، أمام محطة ســان لازار ، مع زميل يقـــول له يجب أن تضيف زرا أخر الى معطفك ٠

وعندئذ ، استيقظت ٠ »

٢ ـ « اوتوبيس ٠

موقف ٠

موقف اوتوبيس ٠ هذا هو المكان ٠

الثانية عشرة ظهرا ٠

تقريبا ٠

الثانية عشرة ظهرا تقريبا ٠ هذا هو الزمان ٠

ركاب ٠

شجار ٠

شجار بين الركاب ٠ هذا هو الحدث

رجل ناضج ٠

قبعة ٠ عنق طويل رفيع ٠

شاب يلبس قبعة بشريط مجـدول حولها ، هذه هى الشخصية الرئيسية ٠

فلان ٠

فلان ٠

فلان ٠ هذه هى الشخصية الثانية

أنا ٠

أنا ٠

أنا ٠ هذه هى الشخصية الثالثة

راو ٠

كلمات ٠

كلمات ٠

كلمات ٠ هذا ما قيل ٠

مكان خال ٠

مكان مشغول ٠

مكان خال ثم مشغول ٠ هذه هى النتيجة ٠

محطة سان لازار ٠

بعد ذلك بساعة ٠

صديق ٠

زر ٠

جملة أخرى سمعتها ، هذه هى الخاتمة ٠

خاتمة منطقية ٠

■ راضي صدوق ■

الأمل

ردوا الرماح عن المصاب ضحك المشيب على الشباب
رحل الربيع عن التلال وصوحت خضر الروابي
والعمر يسألني : كبرت ؟ .. كأنه لم يدر ما بي !
أوّاه يا ألق النجوم يذوب في حلك السحاب
لو يورق الغصن الكئيب ويزهر الغد في اهابي
حلم توهج في الضمير وغاض كالنور المذاب
وأنا على درب الحياة حكاية الدم والعذاب
روح يهيم بها الطموح على جناح من رغاب
ماذا وراء الليل غير منى ... وأحلام كذاب !!
ومدامع الذكرى تئن ... تطل من خلف الحجاب

***

يا عمري الذاوي .. ترفق بالجراح .. وبالمصاب ..



قلبي على كفي ينـزف في سـكون واضـطراب
مازال كالأمـل الجـريح تفـل في ألق السَّراب
يطفو على حدق النجوم كشاعر ألِفَ التصابي ...
قتلوه ؟! .. أيُّ هوىً يعيدُ اليه ريعانَ الشباب ؟
هلْ يرجع اللحنَ القديمَ هوىً تمرَّغَ في التراب ؟...

***

يا عمـري الطـاوي على أحـلامه طي الـكتاب ...
يا طفلي الينبـوع لم يكبر على هـول العبـاب
خل الجراح على الجراح .. حذار من غضب الحراب
البلبـل الغـرير لا يقـوى على صلف الغـراب
فأنا وانت مشـردان .. بغير ما ظفـر وناب
نحيا على الدنيـا نشـيدا من ضـياع واغتراب

• جده • • راضي صدوق •

● أنور الجندي ●

الحرف العربي

في الأدب الجزائري المعاصر

لا تزال تتردد بين حين وحين تلك المقولة التي تزعم ان الادب الجزائري لا يتمثل الا في بعض انتاج كتابه الجزائريين بالفرنسية ، امثال محمد ديب ، والمعمري ، وكاتب يس ، والحداد ، حتى لقد شاع في البلاد العربية أن هذا هو الانتاج الوحيد الذي يمثل روح هذه الثورة الفذة التي قدمت مليونا من الشهداء بينما يدحض هذا ويكشف زيفه تلك الصورة الباهرة التي نراها الآن للادب الجزائري بالحرف العربي ، وهي نهضة ذات جذور ممتدة تسبق تاريخ الثورة باكثر من ثلاثين عاما ..

والحق انه عندما صدر «الشهاب» عام ١٩٢٧ في قسنطينة ومع عام ١٩٣٠ في ارض الجزائر كلها ، كان الحرف العربي في الأدب الجزائري قد أكد وجوده في سماء الفكر العربي وثبت ثبوتا لم يتزحزح بعده ، بل ازداد مع الأيام سطوعا وتوهجا



مولود قاسم : من اعلام الفكر بالجزائر



د . احمد طالب الابراهيمي : نهضة الفكر الجزائرية العربية الاسلامية ...

كان منطلق النهضة الجزائرية التي قادتها جمعية العلماء بزعامة عبد الحميد بن باديس ومن حوله كوكبة من العلماء النابهين الذين امتازوا بالتخصص في ميادين مختلفة ـ فتركز في الاساس على انشاء الاصالة مدرسة عربية في مساجد الجزائر ، ولم يمض الا قليل حتى برز عدد كبير من الشباب المثقف ومن الشعراء والكتاب الذين قدموا النتاجهم العربي في مختلف المجالات ، فما أن صدرت « البصائر » في أوائل الخمسينات حتى حفلت بالأسماء العديدة التي زاحمت كتاب العربية في ميدان البيان ، وكان هذا الانتاج كله يتجه نحو بناء الانسان الجزائري العربي المسلم ، داعيا الى الله ، ومجاهدا في سبيل الحرية ، ومؤمنا بالعروبة ..

ويمكن القول أن هذه النهضة التي اتت اكلها في نفس العام الثالث لاحتلال الجزائر كانت قد انطلقت في ميادين ثلاثة :

اولا ــ الشعر : وهو ديوان النهضة ومنطلق الشاعر الى الحرية والقوة .

ثانيا ــ المقالة الادبية وهي ابرز فنون الادب الجزائري عن طريق الصحافة العربية .

ثالثا ــ اعادة كتابة التاريخ الجزائري من جديد في مواجهة التحديات التي حاولت تزييفه .

ومن هنا نجد ان الحرف العربي في الادب الجزائري الحديث ليس جديدا ، ولكنه سابق للثورة الجزائرية بأكثر من ثلاثين عاما ، وان حركة جمعية العلماء التي قادها الامام ابن باديس كانت بمثابة القذيفة الاولى في الثورة الجزائرية ، أو بمثابة البذرة القوية التي أخرجت تلك الشجرة الضخمة .. واذا نظرنا اليوم

فرأينا تلك الالسنة والاقلام الناهضة التي تتصدر نهضة الفكر الجزائرية العربية الاسلامية وفي مقدمتها مولود قاسم ، واحمد طالب الابراهيمي ، ومفدي زكريا ، ومحمد العيد آل خليفة ،

وابو القاسم سعد الله ، وصالح خرفي ، وتركي رابح ، وعبدالله الركيبي ، وعبدالله شريط ، ومحمد علي دبوز ـ ذكرنا على الفور ذلك الرعيل القائد الذي اقام هذه النهضة ودعمها وهم صفوة الاعلام الذين كانوا حول (ابن باديس) :

البشير الابراهيمي ، والطيب العقبي ، ومبارك الميلي ، وتوفيق المدني ..

ولقد أسهم هذا الجيل من شباب ومفكري الجزائر في الفكر والادب العربي الحديث اسهاما فعالا وقدموا آثارا ضخمة هامة في هذه الميادين الثلاثة : الشعر والادب الجزائري ـ الصحافة والمقالة الادبية ـ واعادة كتابة تاريخ الجزائر ..

الحرف العربى

● فى مجال الشعر والادب الجزائرى ●

نجد فى مقدمة البارزين فى هذا الميدان محمد العبدال خليفة ، ومفدى زكريا ، وعمر بن قدور ، ومحمد السعيد الزاهرى ، ورمضان حمود ، واحمد سحنون .

ولقد كان الشعر حداء الأزمة والمحنة والتحدى والثورة جميعا ، وهو الصوت القوى ، ولذلك فقد عنى الادباء بنقد هذا النتاج وتقييمه ، وفى مقدمة من تصدى لذلك الدكتور صالح الخرف ، والاستاذ عبدالله الركيبى ، ولهما عديد من الدراسات فى هذا المجال نشرت فى فصول مختلفة فى مجلات مصر وسوريا وجمع بعضها فى مؤلفاته (١)

اما الدكتور صالح الخرف فقد كانت اطروحته عن الشعر الجزائرى الحديث (من ١٩٣٠ – ١٩٦٠)

وندهش حين نجد أن هذه الفترة وهى فترة الاحتلال حافلة بالنضال الشعرى فى ميادين اربعة : الشعر الدينى ، والشعر الوطنى ، والشعر الثورى ، والشعر العاطفى .. تبرز فيهما الدعوة الى تأكيد الشخصية الجزائرية : عربية اسلامية على النحو الذى افصح عنه الامام ابن باديس فى شعره الذى جرى مجرى الامثال :

شعب الجزائر مسلم
والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن اصله
او قال مات فقد كذب
يا نشء أنت رجاؤنا
وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها
وخض الخطوب ولا تهب
وارفع منار العدل
والاحسان واصدم من غصب
نحن الالى عرف الزمان
قديمنا الجم الحسب
ومعين ذاك المجد
فى نسل العروبة ما نضب
من كان يبغى ودنا
فعلى الكرامة والرحب
او كان يبغى ذلنا
فله المهانة والحرب

فى ضوء هذا الاطار سارت حركة الشعر الجزائرى العربى من خلال تلاميذ جمعية العلماء ، وكانت المناسبات الاسلامية العديدة : المولد ، والحج ، والاعياد ، وبدر ، وغيرها تدفع الشعراء الى الربط بين المناسبة وبين دعوة الحرية ، وتطعم القصيدة الدينية بروح سياسية .

ولقد ربط الشعر الجزائرى الحديث نفسه بالاسلام ومحمد اولا ، كما ربط نفسه بجهاد الامير عبد القادر الجزائرى من ناحية اخرى ، وربط نفسه بالامة العربية كلها من ناحية ثالثة ..

وكما تناول الوعى التاريخى فقد تناول الاصلاح الاجتماعى والتعبئة السياسية واحياء الامجاد البطولية ، ثم جاء شعر الثورة بعد ذلك ليانعا بالبطولات ، **يرتفع فوق الآلام الجسدية وينتعش فى غمرة المأساة – على حد تعبير الدكتور صالح الخرف – ويبتسم فى ذروة المحنة « ولم ينس الشعر ان يعير لفتات الى البطولات الحية النابضة التى ترحف من سفوح وقمم الاطلس او تتفجر فى العواصم والمدن »**

---

(١) للدكتور صالح الخرف كتابه (شعراء من الجزائر) وللاستاذ عبدالله الركيبى عدد من المؤلفات : قضايا عربية فى الشعر الجزائرى ، ودراسات فى الشعر الجزائرى الحديث ، واحاديث فى الادب والثقافة والقصة القصيرة فى الادب الجزائرى .

ولقد كان محمد العيد آل خليفة وهو رائد تاريخ الجزائر الحي منذ مطالع حياته حتى اليوم ، فقد ولد في عين البيضاء عام ١٩٠٤ وقضى حياته معلما حرا في مدارس جمعية العلماء وعاش قصة الاحتلال والثورة .

وقد وجد تقدير النقاد والباحثين من مختلف أنحاء البلاد العربية على السواء حتى ليقول الامير شكيب ارسلان عنه :

« كلما قرأت شعرا لمحمد العيد الجزائري ، أخذتني هزة طرب تمالك على جميع مشاعري واقول : ان كان فى هذا العصر شاعر يصح أن يمثل البهاء زهير في سلاسة نظمه ، وخفة روحه ورقة شعوره ، وجودة سبكه واستحكام قوافيه



مالك بن نبي : اضافات هامة في مجال الحضارة الاسلامية

وان التكلف لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه — يكون محمد العيد الذى اقرأ له القصيدة المرتين والثلاث ولا امل ، ولمضى الأيام وطريتها في فمي .. كان يظن ان القطر الجزائري تأخر عن اخوته سائر الاقطار العربية في ميدان الادب ولا سيما في الشعر ولعله بعد الآن سيعوض الفرق بل يسبق غيره بمحمد العيد (١)

وقد التقى شكيب ارسلان قبل محمد العيد بشاعر آخر هو محمد السعيد الزاهري في كتابه « الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير » عام ١٩٢٢

ولقد تعرض الامام ابن باديس عام ١٩٣٤ في احتفال جمعية العلماء بوفاة شوقي وحافظ الى بعض ملاحظات لشوقي ابان زيارته للجزائر سنة ١٨٩٩. وقال : لو ان فقيدنا رأى في عالم الغيب حفلنا هذا لكان له في الجزائر رأى آخر»

ولعلم ان الامة التى صنعها الاسلام وهو صبغة الله ، وانجبها العرب وهى أمة التاريخ ، وانبتتها الجزائر وهى العاتية على الرومان والوندال — لاتستطيع ان تمسخها الايام او نوائب الدهر »



شكيب ارسلان : عذوبة القصيدة في فمى

ويعد الشاعر مفدى زكريا هو «حافظ» الجزائر اذا وصف محمد العيد بأنه شوقي الجزائر .. وقد تابع مفدى زكريا قضية الجزائر وعايشها بتشيده لحظة بلحظة وكان واحدا من المجاهدين الذين دخلوا السجن مرات ومرات ولم ينثن لهم عنان .

وابرز اعماله ديوان « اللهب المقدس» الذى أصدرته وزارة الثقافة من خلال

---

(١) كتب هذا شكيب ارسلان عام ١٣٥٥ هـ في جنيف (توافق عام ١٩٣٧)

الحرف العربي

النهضة الضخمة التي يقودها المناضل: مولود قاسم في شتى الميادين

ومفدي زكريا الى ذلك هو صاحب نشيد الثورة الجزائرية (قسما بالنازلات) ونشيد جيش التحرير الجزائري ، ونشيد الشهداء الجزائريين وسائر الاناشيد ، ومن آيات شعره قوله :

من يشتري الخلد ان الله بائعه
فاستبشروا واسرعوا فالبيع محدود
ان تبذلوا المال في الجلى يرد لكم
الخير بالخير مزدوج ومحسود
جودوا به قبل أن تكوى الجباه به
المال يفنى ويبقى الفضل والجود

وجملة القول ان الشعر الجزائري استطاع ان يعمل في الميادين المختلفة للشعر العربي ولم يقصر في واحد منها ، وكان أبرز معالمه : التغني بالعروبة ، مقاومة السيطرة الاستعمارية في الجزائر ، التمكين للشخصية الجزائرية ، وقضية فلسطين .

وتكشف الدراسة التي قدمها محمد الهادي الزاهري عام ١٩٢٦ تحت اسم شعراء الجزائر في العصر الحاضر تكشف عن زيف دعوى أن الادب الجزائري كله كان مكتوبا باللغة الفرنسية لا العربية فقد حوى قصائد قيلت في رثاء الشيخ محمد عبده عام ١٩٠٥ منها شعر محمد ابن مصطفى محمد الخوجة، وعبد الحليم ابن سماية ، ويدل طابع الشعر الذي جمعه الزاهري ومنه مالم يمكن يسمح بنشره في الصحف على « صرامة الايمان بالعقيدة والامة والوطن »

كما يدل على ان الشعراء الجزائريين في هذا الوقت الباكر قد استوحوا كل فنون (١) الادب : القصة والشعر والمسرحية الشعرية (ولمحمد العيد مسرحية شعرية بعنوان بلال)

● الصحافة والمقالة الادبية ●

وفي هذا المجال ظهرت صحف كثيرة وكتاب كثيرون : كان في مقدمتها المنتقد والشهاب والبصائر ، وقد احصى الشيخ ابو اليقظان منشىء الصحافة في جنوب الجزائر صدور ٢٣ جريدة ومجلة في الفترة من عام ١٩٠٤ الى عام ١٩٣٤ اصدر من بينها هووحده سبع صحف ،منها وادي ميزاب ، والنبراس ، والامة ، والمغرب والبستان .

وقد كان لهذه الصحف دور حاسم في دعم الحرف العربي في الادب الجزائري وقد تناولت مختلف القضايا في حدود الرقابة التي كانت مفروضة عليها .

وكان لها ايضا دورها في تطوير اللغة العربية وربطها بالنهضة القائمة انذاك في الشرق العربي ..

يقول العلامة عبد القادر المغربي في بحث له بمجلة المجمع العلمي العربي التي تصدر في دمشق عام ١٩٢٦ أنه استكشف ظاهرة هامة هي « وحدة اللغة العربية الفصحى بين معشر المشارقة وأخواننا المغاربة فهم يكتبونها كما نكتبها ويتلوتون بلافتها كما نتلوتها » ، وذلك نتيجة « توحد المنازع والمشارب وتلك مزية القرآن وهو العروة الوثقى التي تضم اليها ما تفرق من اقطار الامة الاسلامية .

ويشير دكتور صالح الخرفي الى شبهة الطابع الفرنسي في الجزائر اولى ادبها فيقول : « لقد كان الطابع الفرنسي الذي يفرض نفسه على الجزائر لا يجد صداه الا عند الذين فرضوه ، فهي عربية مسلمة وان رفرف عليها الف علم فرنسي مثلث الالوان ، وكانت القطيعة المفروضة بين الشعب ومقومات شخصيته تستثير

---

(١) صالح الخرفي : شعراء الجزائر

فيه حفيظة وتحديا صارخا فيزداد تطلعا لاستكمالها وتزويدهـا من شعب عربي عرق تبعده المسافة بقدر ما يقربه الحنين العرقي الذى تركيه السياسة الاستعمارية العنصرية » .

واذا كانت « الشهاب » هي بـادرة النهضة الحقيقية فان « البصائر » هي الصورة القوية لما حققته النهضة ، فقد كانت تمثل ابان فترة صدورها مدى قوة الحرف العربي وصولة الايمان بالجزائر وطنا عربيا اسلاميا .

وكانت البصائر قد صدرت للمـرة الثانية عام ١٩٤٧ بعد أن توقفت عام



كاتب ياسـين . مؤلفاته اثرت الادب الجـزائرى .

١٩٣٩ في اوائل الحرب العالمية وكانت مقالات العلامة محمد البشير الابراهيمي مثلا عاليا للبلاغة العربية .

ولم تلبث الصحافة العربيـة ان استأنفت مسيرتها بعد ثورة الجـزائر الكبرى فصدرت المعرفة (١٩٦٣ – ١٩٦٥) والقبس (١٩٦٦ – ١٩٦٩) والثقافة ١٩٧١ والاصالة في نفس العام . وظهرت على صفحاتها اسماء جديدة لم تلبث أن لمعت في مقدمتها الصغير الاخضرى ، وعمار طالبي ، ورشيد نجار ، والاخضر السائحي والهادى السنوسى ، وباسم النعيمي ، ومحمد بوعروج ، وعبد المجيد مزيان ، ودكتور الطاهر أحمد مكي ، وحنفي بن عيسى ، وعبد القادر لبادية ، وعبدالله شريط ، وزكي رابح ، وبوعمار الشيخ

واولت هذه الصحف اهتمامها الى التعريب واعادة كتابة التاريخ ودراسـة الشعر العربي في الثورة الجـزائرية والشعر الجزائرى في قضايا العـروبة وفلسطين .

● اعادة كتابة تاريخ الجزائر ●

هذا هو المجـال الثالث الذى أولاه الحرف العربي اهتمامه الكبير في ظل التحدى الخطير الذى واجهته الجـزائر نتيجة تزييف تاريخهـا على أيدى المستشرقين في محاولة للغض من مكانتها وانتقاص دورها وبطولتها .

ولقد بدأ هذا العمل العلامة مبارك الملي في ظل الصيحة الاولى لجمعيـة العلماء ، وبعد الشيخ مبارك الملي (توفي سنة ١٩٤٥) اول من ارتاد هـذا الطريق الوعر المليء بالمصاعب وله كتابه الضخم تاريخ الجـزائر في القـديم والحديث ؛ وقد راجع كل ما كتب عن الجزائر في الكتب القديمة والم الماما بكل ما كتب الاجانب عن بلاده ، ولما كان يجهل اللـسان الفرنسي فقد اسـتعان بأصدقائه في تعريب ما احتاج اليه من المواد الاجنبية ، وسار في هذا الطريق ، وقام فيه بدور ضخم العلامة توفيـق المدني حيث حقق كثـيرا من الزائف ودحض عددا من الشبهات التى أثارها المؤرخون الاجانب وفي مقدمتهم « لوى برتران » .

وفي نفس الطريق الى تحقيق تاريخ الجزائر القديم سار الاستاذ محمد علي دبوز فاصدر موسوعته الكبرى (تاريخ المغرب الكبير) في أربعة مجلدات تتناول فيها تاريخ المغرب كله قبل الاسـلام وبعده على نحو مستفيض ، وأبرز دور الاباضيـة وموقفهم من أدوار الحكم المختلفة وقد اصدر ألف صفحة ليصل الى ختام حكم الدولة الرستمية في نهاية القـرن الثالث الهجرى ، ثم تناول بالاضافـة تاريخ النهضة الجزائرية الحديثـة

الحرف العربي

واعلامها وارخ لنهضة الجنوب الجزائري(١)

وفي هذا المجال يبرز اسم الدكتور ابو القاسم سعد الله واطروحته التي أحرز بها درجة الدكتوراه من جامعة مينيسوتا بالولايات المتحدة عن الحركة الوطنية الجزائرية منذ اوائل الحركة عام ١٩٠٠ حتى عام ١٩٣٠ (ظهور جمعية العلماء) وقد حفلت هذه الدراسة العلمية الموثقة بكثير من الاضافات وحققت الكثير من المواقف والوقائع والاحداث .

ويصور الدكتور سعدالله عمله فيقول: « نحن مؤرخي العالم الثالث نواجه عقبة شاقة في كتابة تاريخ بلداننا ، فالعاطفة لا زالت تلعب دورا أساسيا في تقييمنا للاشياء والحكم على الاحداث ، وهذه العاطفة قد تكون خطرا على الموضوعية والبحث المجرد ، ولكننا من جهة اخرى نحس ان علينا مسئولية انسانية نحو بلداننا في هذه المرحلة التاريخية التي تقف فاصلا بين الاستعمار والتحرر ، وبين العبودية والحرية ، وقد حفلت بفكرة البحث منذ انفجار الثورة الجزائرية ، ولم تكد الثورة تنتهي عام ١٩٦٢ حتى كنت قد وضعت المخطط العام للفكرة واوشكت على جمع المراجع وكنت احس من الاعماق انني قد اكتشفت كنزا ثمينا في اكوام من الوحل »

ولقد اولى الباحثون الجزائريون اهتماما كبيرا : قضية الاستشراق وتاريخ الجزائر وكتب فيها كثيرون في مقدمتهم بلقاسم النعيمي : نحن والحضارة الاوربية .

كما اهتمت مجلة الاصالة ببحث قضية : اعادة كتابة تاريخ الجزائر ، واشترك في الدراسة : دكتور عبدالقادر زبادية ، محمود أبو عياد ، عبد المجيد مزيان ، ابو القاسم سعدالله .

ويقول الاستاذ حنفي بن عيسى : « كانت فرنسا تمنعنا من تعلم التاريخ على أيدي الوطنيين ، ولكنها كانت تعنى في نفس الوقت بتشجيع الدراسات التاريخية التي هي من نمط معين وتخدم اغراضا معينة ، ولا بد من الاشارة الى ان فكرة الاستشراق هي محاولة لتأويل الحضارة العربية من زاوية معينة ، ذلك ان الاستشراق هو نمط من التفكير لا يخلو من الاعتبارات السياسية .

والقارىء الواعي يستطيع بسهولة ان يكتشف وراء هذه المحاولة طريقة ترمي الى تشويه الحقائق الناصعة وطمس معالم التاريخ القومي والهدف هو محاولة اقناع العالم بأن الجزائر لا تستطيع ان تحكم نفسها بنفسها من غير مساعدة فرنسا لأن سكانها لايخضعون لأي نظام ونقطة الضعف في احكام المستشرقين هي حديثهم عما يسمونه (طوائف السكان) وذلك ان سكان الجزائر — والمغرب العربي بصورة عامة — لا يؤلفون في نظرهم مجموعة متجانسة من المواطنين الذين تجمع بينهم التقاليد والعادات واللغة والدين والارض ، بل ينتمون الى طوائف بينها فروق عديدة ، وهذه الفروق موضع اهتمامهم »

ويتصدى الدكتور ابو القاسم سعدالله لآراء الاستاذ جوليان (شارل اندري جوليان) في كتابه « تاريخ الجزائر المعاصرة » فيقول :

« لا يمكن للجزائريين في فترة استعادة بناء شخصيتهم الوطنية أن يتقبلوا ذلك التاريخ وأن يمنحوا الثقة الفكرية لوثائق كتبها أمثال : بوجو وبيليسي وراندون وفوينى ولويسكي واضرابهم ، من الذين لم يكتفوا بمحاربة الشعب الجزائري في أرضه بل حاولوا تشويه ارادته وتزوير تاريخه الوطني » .

---

(١) يراجع كتابنا « الفكر والثقافة في شمال افريقيا »

ثم أشار الى محاولات التهميش من رسالة الاسلام في الجزائر فقد وصفوا حامليه بالعدوان واتهموا معتنقيه بالتعصب وحاولوا خلق العنصرية والطائفية للبلبلة الافكار وضعضعة القوى الوطنية » وجوليان لم يسلم من الانحراف في هذا التيار في بعض الاحيان .

وقال : ان الاسلام قد أعطى للشعب الجزائري حضارة كاملة تقوم على العربية كوسيلة تفكير وتعبير ، وعلى الدين كطريقة حياة وسلوك ، والجزائريون لم يتقبلوا هذه الحضارة فقط بل أسهموا اسهاما فعالا في تقويتها وتمكينها ، وكل من يؤرخ للشعب الجزائري دون أن يشير الى دوره الخلاق في التشييد والدفاع عن الحضارة العربية ـ الاسلامية فانه يبخسه حقه »

ولا ننسى في هذا المجال جهد العلامة مالك بن نبي ـ وقد كانت مؤلفاته الاولى باللغة الفرنسية ، غير ان مؤلفاته الاخيرة قد كتبها باللغة العربية فاضاف الى الحرف العربي قطاعا جديدا من الدراسة الاجتماعية وفلسفة الاجتماع .

***

ومن الاعمال التي تؤكد اصالة الحرف العربي دراسة الدكتور تركي رابح للسيد عبد الحميد بن باديس من خلال فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، وهي الاطروحة التي تقدم بها الى كلية التربية في القاهرة ، فقد كشف عن مفهوم التربية عند ابن باديس وفلسفته الاخلاقية التي تقوم على اساس المزج بين النظرية والتطبيق طبقا لمضمون الآية « ان الدين عند الله الاسلام » فالاسلام معناه الايمان بالله مضافا اليه العمل الصالح .

● مولود قاسم والملتقى الاسلامي ●

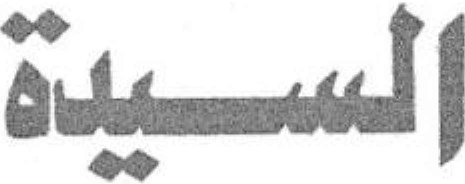
في ضوء هذه الصورة ومن خلال هذه الحركة الدائبة لدعم الحرف العربي نستطيع ان نقدر ذلك العمل الضخم الذي يجري منذ سبع سنوات تحت لواء الملتقى الاسلامي ، ويشرف عليه علم من أعلام اليقظة هو مولود قاسم ، وهو يتمثل بصورة مراجعة عاملة شاملة لمختلف القيم الاساسية للفكر الاسلامي والادب العربي في مواجهة التحدي الخطير المتمثل في التغريب والغزو الثقافي من ناحية وازمة الحضارة الغربية من ناحية اخرى ، وتحدي العصر في مواجهة الاصالة من ناحية ثالثة ..

فاذا نحن ذهبنا نراجع دروس الموضوعات التي طرحت في هذه الملتقيات السبعة والتي شارك في عرضها وتقنينها ووضع الخطط الحاسمة لها رجال الفكر في العالم الاسلامي كله ، وجدنا أننا نمضي على الطريق في دعم قضية الحرف العربي ، وان هذه النهضة بمثابة جولة جديدة على الطريق لا يتوقف اثرها عند الجزائر وحدها أو المغرب العربي فحسب ، ولكنها تتعانق مع جهود المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ومجمع البحوث في مصر ، وجمعية الدعوة الاسلامية في ليبيا ورابطة العالم الاسلامي في مكة ، والحركة الاسلامية في باكستان واندونيسيا وغيرها ..

كما تكشف عن الخطوة الثانية على نفس الطريق الذي رسمه الامام عبد الحميد بن باديس والذي كان هو الضوء الكاشف للثورة الجزائرية في جهادها وتضحياتها خلال المعركة وفي معطيها الاجتماعي والفكري فيما بعد ذلك من خلال الحرف العربي والكلمة العربية .

ولذلك نجد في مختلف كلمات مولود قاسم ذلك التركيز الواضح على الاصالة التي لا تفقد روحها وهي تنفتح على العصر والتي تكشف عن جوهر الشريعة الاسلامية في مختلف علاج قضايا العصر في العالم الاسلامي : التربية ، والاسرة ، والمرأة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، دون ان تتنازل أنملة واحدة عن القيم الاساسية التي بناها القرآن

وهكذا تمضي قضية الحرف العربي في الادب الجزائري والفكر الجزائري الاسلامي الى مرحلة أشد قوة ولكنها ليست الا امتدادا للحلقات التي سبقتها على الطريق منذ رفع اللواء : الامام الشهيد الجليل عبد الحميد بن باديس



١٠٤

قصة

● حسن عبدالمنعم ●



تزوجت « نجاح » ابنة الثمانية عشر ربيعا من اسماعيل عبد الفتاح الخبير الهندسى بوزارة العدل ·

فلم يثر زواج ما اثاره هذا الزواج من الدهشة ترتسم احيانا على

أسارير الوجوه دون ان تفصح ، وتتناقل أحيانا على الشفاه فى عبارات

وتساؤلات ، ثم تنتهى

بهذا الاصطلاح الذى يشيع فى حياة الناس

او على السنة الناس فى هذا البلد « قسمة ونصيب » !

وحين تصبح القسمة والنصيب هى التعليل الاوحد لكل القضايا

المعضلات يتوارى العقل والمنطق من الحياء · ولم يكن العجيب ان تتزوج « نجاح » وفى

هذه السن التى تعتبر مبكرة وقد انهت دراستها الثانوية وحصلت على مجموع

لا يحلم بالحصول عليه الا السعداء ، يؤهلها للالتحاق بكلية الصيدلة

·· ولكنها تزوجت فجاة او الاصح انها قبلت

الزواج مفاجاة حتى

بالنسبة للسيدة التى قالت لها على سبيل

الدعابة وهى تسمع

نبا حصولها التفوق على الثانوية العامة :

ـ عندى لك عريس لقطة ·

ولم تحر « نجاح » جوابا ، وانما اعطت

سمعها للسيدة وهى تسترق النظر الى

خالتها وزوجة أبيها الماثلة بينهما تستمع بدورها ولكنها تقاطع المتحدثة :

ـ هو ده وقته ياهانم ·· وهى محقول وهى

مقبولة فى كلية الصيدلة انها تفكر فى الجواز ؟

ومضت المتحدثة تكمل كلامها رغم مقاطعة الخالة :

ـ مين عارف أهو كلام · ولكن الحقيقة

أنه عريس لقطة · مقطوع

من شجرة وايده سايبه

وعنده شقة وعربية ومش ناقصه غير العروسة ·

قالت الخالة وهى فى

نفس الوقت بمثابة الأم :

ـ العرايس كتيير يا هانم ولكن نجاح لسه صغيرة

وعلى الرغم من ان الحديث لم يكن مشجعا · وعلى الرغم

من أن الحقائق قد وضحت أمام نجاح

بالنسبة لهذا العريس

الذى يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما اى

ضعف سنوات عمرها · والذى قد كان متزوجا من قبل بتركية حسناء الا انها تركته بعد عشرة طيبة لم تتجاوز خمسة اعوام ··· لم تتركه مختارة ولا راضية ، بل ولم يدر بخلدها أنها ستتركه · وانما الذى حدث لهذه الزوجة الحسناء وهى فى ريعان الصبا انها كانت قد اتفقت مع طبيب من أكبر اطباء النساء على أن يجرى لها جراحة ليست من الجراحات ذات الخطر وانما هى من الجراحات المألوفة حتى تتهيأ للانجاب بعد أن مضت عليها خمسة أعوام فى عصمة المهندس اسماعيل دون أن تنجب ·

ولم يكن زوجها قلقا الى الحد الذى يرغمها على اجراء هذه الجراحة · ولكنها رأت أن الامر لم يعد يحتمل أن تنتظر لاكثر من ذلك · ومن ثم فقد رؤيت ذات صباح وهى تغادر شقتها وفى يدها حقيبة صغيرة تضم بعض ملابسها الداخلية وهى متهللة كالصباح المشرق فى طريقها الى مستشفى الطبيب الذى اجرى لها الجراحة المطلوبة بنجاح · ولم ينته النهار حتى كانت تتمدد فى سريرها بالمستشفى تطوف براسها احلام واحلام وتتخيل نفسها وقد عادت الى المستشفى وربما نفس الحجرة بعد عام لتستقبل وليدا او وليدة

وقدروا لها مقاما للشفاء من هذه الجراحة سبعة ايام كحد اقصى للبقاء · وراحت تستقبل الزائرين والزائرات وفى مقدمتهم زوجها المهندس اسماعيل فى الصباح وفى المساء مع القبلات وعلب الحلوى والورود وتمنيات الشفاء ·

وفى صباح اليوم الخامس وزوجها قائم الى جانب السرير يتلقى ابتسامتها اذا بها تصاب بنوبة مفاجئة · ويستقدمون لها الطبيب بل وحفنة من اطباء المستشفى من كل متخصص ··· ولكنها بعد كل المحاولات وعلى الرغم من كل الاسعافات تمضى · بعيدا حيث لا عودة ولا زوج هناك ولا أولاد ···

كيف حدث هذا ؟

يقول علماء الطب ان هذا امر يحدث فى الجراحات مرة كل مائة ألف من الحالات · مرة دون تعليل او تبرير ويقول البعض « قسمة ونصيب » !

ولم يستطع المهندس اسماعيل عبد الفتاح أن يصبر على احزانه الفائقة وعلى شبابه



المدير اكثر من عام ونصف ثم بدا يفكر فى الزواج قبل ان يفوته قطار الزواج .

***

وعندما اطلقت السيدة التى كانت فى زيارة الانسة نجاح هذه الطلقة الطائشة لم يكن يدور بخلدها انها ستصيب وانها ستجد الاستجابة لدى الانسة نجاح على الرغم من كل هذه الحقائق ومن حقيقة اكبر وهى أن الانسة نجاح كانت واضحة الجمال بمقاييس هذا الزمان ، فقد كانت ارشق من غزال ، وكان شعرها المقصوص يتهدج على جبينها كما يتهدج الصوت المستطاب

ووقفت نجاح ذات صباح ... بل هو الصباح الذى كانت ستمضى فى عشيته الى بيت زوجها تتأمل نفسها فى المرآة وراحت تخاطب هذه الماثلة امامها خلف اللوحة المصقولة التى تعكس حلاوتها :

— اليوم سأتحرر من هذا البيت ... سأتحرر من صاحب السعادة والدى قائد لواء الخيالة العظيم . سأتحرر من هذا الفارس المتعالى الذى لا ينزل عن صهوة جواده أبدا حتى يصل الى الفراش بل وحتى يصل الى احضان زوجته السيدة خالتى التى خلفت امى وحلت محلها بعد ان ماتت وتركتنى والغواتى تحت رحمة هذا الأب الذى يتعالى ويتعالى ولا ينسى أن يطلق أوامره فوق رءوسنا . وتصطك ركبنا ولا تكاد تقوى على حملنا ونحن نراه نافشا منتفخ الأوداج .

اليوم سأمضى الى شقتى الجديدة . الى بيتى انا .. الى بيت اسماعيل الذى قبلت زواجه على الرغم من كل شىء . وعلى الرغم من ان صديقاتى ينظرن اليه وهن يخفين ظلالا من الاشفاق . لانه يتقدم نحو الاربعين وانا احبو نحو العشرين .

ولانه اسمر الوجه الى حد تختلط فيه السمرة بالسواد وهذا الفك المستدير الذى يدور بوجهه اشبه بقبضة من النحاس الصدىء ، فاننى فرحة بالانتقال الى بيته والى احضانه والى مسئوليتى عن تشكيل حياتى كما اشاء وكما أهوى .

ولقد حاولت صديقاتى أن يصرفننى عن هذا الزواج وانا على اعتاب الحرية التى تكفلها لى الدراسة بالجامعة بكلية الصيدلة . وزين لى ما فيها من صلات ومن علاقات بل ومن مغامرات . وتحدثن عن الفرص المواتية بين طالبة ومعيد بل ومدرس ولبعض الاحيان استاذ

..ولكن هذه المحاولات لم تفلح فى أن تميل برأسى الذى ورثت صلابته عن أبى اللواء الفارس المغوار ...

اليوم سأطير وسأهجع فى أحضان اسماعيل وسأجعله ينسى البقية الباقية من ذكريات زوجته الراحلة ..

***

واستقبلت نجاح وصحبتها وفى طليعتهم الفارس المغوار والدها وخالتها السيدة «أنوار» واشقاؤها واختها لابيها ابنة السيدة « أنوار » استقبالا طيبا . ولم يكن فى الاستقبال أحد سوى العريس ومن خلفه وقف الاسطى « جمعة » الطاهى .

وكان « جمعة » يلبس

بدلة من بدل سيده المهندس واضحة الجدة ويقف مشرق الوجه مشرئب الرأس فخورا بسيده الذى استطاع أن يحصل للمرة الثانية على عروس بهذا القدر من الجمال . ولعله راح يقارن فى قرارة نفسه بين التى ماتت بعد أن عاشرتهم خمس سنوات وبين هذه التى اقبلت تقفز فى خفة كالغزال . وكان من الواضح لعينيه الذكيتين ان هناك فروقا واضحة بين جمال السيدة التركية التى مضت الى رحمة الله وبين جمال هذه الفتاة التى يتهدج شعرها فوق الجبين تهدج الصوت الجميل . ولعله حسد سيده على حظه الشارب فى النساء . حتى انه حصل فى هذه المرة على عذراء اكثر رونقا وانضر صبا من المرحومة . ولكنه لم يستسلم طويلا لهذه الافكار بل تقدم الضيف والعروس والصحب الى حجرة الاستقبال بالشقة وهو يرحب ويرحب وكأنه صاحب هذا المكان ...

ولاحظت الخالة السيدة انوار بعين الخبيرة قدرة هذا الانسان . هذا الطاهى على ان يفرض لنفسه وجودا ربما يتجاوز ما يجب له واوشكت ان توقفه عند حده ولكنها ارجأت ذلك الى وقت اخر حتى لا تعكر المناسبة . ومضت خلف زوجها اللواء الفارس الى صدر الغرفة فجلست الى جوار العروسين توزع الابتسامات على أولاد زوجها العطوفوعلى ابنتها الوحيدة التى انجبتها عقب زواجها ثم لم تنجب بعدها ، فصبت عليها عواطفها كما تصب الماء من صنبور مفلوت العيار !

وبدأت نجاح حياتها كأسعد ما يكون السعداء . وتجاوزت حفاوة زوجها اسماعيل ما كانت تحلم به من الاغداق والانفاق ومن الحرية والتحرر . وكانت تستيقظ فى الصباح وقد انبر الصباح لانها قضت ليلها ساهرة فى ملهى أو مرقص او سينما او دار عرض او حفل من الحفلات ثم قضت بقيته فى احضان اسماعيل حتى انهدت قواها وخذلتها صبواتها فاستسلمت لنوم عميق . وكانت تمد انامله تبحث عن الجرس الكهربائى فوق حافة السرير لتضغط عليه وسرعان ما يأتيها صوت الاسطى جمعة قريبا من الباب المغلق عليها فتطلب اليه ان يعد لها الافطار وان يوافيها به ريثما تخرج من الحمام .

وتنتهى نجاح من تناول وجبة الافطار التى يتفنن الاسطى جمعة فى اعدادها وفى تنويعها ولكنه لم يكن يسألها عن رغبتها وكانت تحس لهذا احساسا غير مريح ، لو انه سألها لما خرج جوابها عما أعده لها من الاصناف بل لعل جوابها ما كان

ليصل الى هذا الحشد ابتداء من عصـــير الفاكهة الى عجة البيض باللبن والفـول المدمس المصـــور ، ولكنها على الرغـــم من ذلك كانت تعانى هذا الاحســـاس غير المريح لعـــــدم سؤالها · وكم من مرة همت أن تنبهه فلـــم تستطع ···

معهم فى حوار · وكانت تفضـل أن تخرج عقب الافطار تزاول رياضـة المشى والتســـكع فى شوارع الدقى بعضـــها وارف الظل من أشجار الحـدائق التى أحاطت بالبيوت وبعضها الاخر وافر المتعة من واجهات المحلات التى أخـــذت تتكاثر وتتزاحم



ولم تجـــد معنى للدخول فى حـوار مع خادم هو بلاشك لايعدو أن يكون خادما · وهى قد رأت فى بيت أبيهـــا اللواء العديد من الخدم بل ورأت العـــديد من الجنـود الذين يعملون فى بيت أبيها ما يعمله الخدم · ولم يكن يغريها أو يليق بها أن تدخل

وحين تعود قبيـــل الثالثة لتستقبل زوجها اسـماعيل على الغداء كانت تتردد قليـــلا فى اختيـــار الثوب الذى تحب أن تلقاه بـــه من أثوابها التى حرصـــت عند شرائهـــا على أن تكون أثوابا متحررة فى بعضـــــها الى درجة الاباحية لانهـــا كانت

تريد أن تحرر بدنها من عبـودية الأثواب التى كانت تفرض عليهـــا فى بيت أبيها · ولأنهـــا كانت تريد أن تذيـــق زوجها اســـماعيل من عبير هذا التحـــرر ما يسكره وينســـيه غريمتها التركية الحسناء التى كانت تحتل مكانها ولكنها كانت تتردد فى أن تظهر أمام الاسطى جمعة الطاهى بهـــذه الاثواب وهو قائـــم كالديدبان بالخدمة على المائدة يقدم الصحاف التى أعدها ويصر على أن يسأل سيده عقب الانتهاء من كل صنف عن جمال مذاقه وإتقان صنعه ·

وكان السيد اسماعيل لا يبخل عليه بالمديح والتقريظ ويزيد فيؤكد أن ست العرائس نجاح هانم لا تقل عنه اعجابا وتقديرا ، وتوشـــك أن تعارض زوجهـــا وأن تقول له أن يوفر على نفســـه مهمة الكلام

بأسمها لانها لم تعطه توكيلا او تفويضا بذلك . ولكنها تؤثر الا تعارض خاصة وان المعارضة لا تفيد او لاتقيل او انها لاتقوم على اساس مقنع لان الاطعمة التى يقدمها الاسطى جمعة حقيقة من الاتقان ومن جمال المذاق وحسن الاعداد بصورة لا تحتمل الانكار .

ومع ذلك فقد جربت ان تطلب من الاسطى جمعة ان يقدم لهم بعض الالوان من الطعام فكان وسهو عن تقديمها ، فاذا سألته عن السبب افحمها باجوبة لا أول لها ولا آخر فهو لم يقدم المطلوب مرة من المرات لانه يحتاج الى وفرة من عصير الطماطم . والطماطم قد اشتعل ثمنها اشتعالا لم ير هو ان تتحمله ميزانية البيت . وكأنه هو المسئول عن ميزانية البيت . وقبل ان تناقشه أو تقول له ان ميزانية البيت مسئوليتها وانه ليس سوى منفذ لارادتها تسمع زوجها اسماعيل يعقب على كلامه منتصرا لرأيه وهو يضحك فى سعادة أو فى زهو لان خادمه الامين يحرص على ميزانية البيت اكثر من سيدة البيت .

ولم يكن اسماعيل يعنى بذلك تقتيرا أو مصادرة لرأيها وانما هو يعنى ان « جمعة » قد اصبح له من الخبرة ومن الاقدمية فى خدمته ما يجعله اكثر اقتدارا على وزن هذه الامور وتصريفها . بل ولم يكن اسماعيل ليحس مدى ما تعنيه عروسه الحسناء من القهر أو الهزيمة بازاء هذا الخادم الذى يفعل ما يشاء فى هذه الامور المنزلية التى تعتبر من مسئولياتها قبل كل شيء ...

وكانت تتميز غيظا فى بعض الاحيان وتفكر فى معاقبة زوجها اسماعيل على انتصاره لرأى الاسطى جمعة بان تمتنع عليه أى على زوجها فلا تستسلم لعناقه او لاحضانه حتى ينتصر لرأيها ويوقف الاسطى جمعة عند حده ولكنها كانت تراجع نفسها وتعتبر هذا التمنع او الامتناع انتصارا لجمعة عليها لانه بذلك يفرض نفسه على اخص خصائصها .

وراحت ذات مرة تختلس النظر اليه او تستطلع الى وجهه دون ان يلحظ وكأنها تراه لاول مرة فاذا بها تدرك اشياء كانت غائبة عن عينيها فقد ادركت انه يناهز زوجها سنا وعلمت انه بالفعل قد ولد فى

بيت زوجها في القرية التي هو منها من قرى المنيا . وانه تربى مع زوجها ثم قدم معه الى القاهرة منذ بدء دراسته الجامعية واقام معه خادما وطاهيا وملازما ومسامرا حتى انتهى من دراسته ثم التحق بالخدمة في وزارة العدل وظل ينتقل معه من بلد الى بلد حتى استقر معه في القاهرة او في الجيزة على التدقيق . وانه ظل معه بعد زواجه من التركية الحسناء التي عاشت في هذا البيت خمسة اعوام ثم مضت ولكن ذكراها ظلت تتردد على شفتي هذا « الجمعة » مقرونة بالرحمة ، مشفوعة بالحسرة على شبابها الذي قطفه غائل الموت فجاة دون رحمة ودون مغزى يفهمه هو او يقتنع به .

وكان جمعة على درجة من الوسامة تخرجه من زمرة الخدم الى زمرة السادة لوكان للوسامة هذا الحق . وكان زوجها اسماعيل مع الاسف عاطلا من هذه الوسامة .وضحكت في قرارة نفسها لانها لم تكن تقصد الى ان تعقد مقارنة بين الرجلين بين السيد والخادم ولكن هكذا استطردت افكارها . وعندما صرفت نفسها او مخيلتها عن التفكير كما صرفت عينيها عن التأمل او التطلع الى وجه الاسطى جمعه وهو ماض الى نزهته اليومية التي يقضيها خارج المنزل ما بين المغرب والتاسعة مساء حين يعود لاعداد مائدة العشاء للعروسين ولن يكون في زيارتهما من اقارب الزوجة او من الاصدقاء والصديقات .

***

وروضت نفسها على تحمل هذا الوضع . بل واقنعت نفسها ان وجود هذا الرجل امر يمكن تحمله ولا يمكن ان يتحول الى قيد على حريتها او تدخل في سلطتها وحد من سلطانها ، فهي بكل الاسباب صاحبة الامر والنهي في هذا البيت وفي هذا الزوج وفي هذا الطاهي ايضا ، والامر لا يحتاج الى اثبات . ويكفى انها تناديه باعلى صوتها فيلبي وتناديه بالضغط على الجرس من اي موقع في الشقة فيلبي ، وتناديه بايماءة من عينيها حين يكون لديها ضيوف ليقدم لهم الوانا من التحية فيلبي .

وكان في امكانها ان تعيش بهذا الوهم وهي ترى زوجها اسماعيل يكاد يشعل لها اصابعه شموعا على حد قولهم ولا يؤخر لها طلبا بل ويوسعها تدليلا وتقبيلا لولا ما حدث حين اصيب بوعكة يصاب بها كل الناس ولا يابهون ولا يقيمون الدنيا ويقعدونها وهي « الانفلونزا » ، وكانت لا تحتاج في تقديرها اكثر من شيء من الراحة وبعض اقراص من السلفا والاسبيرين وعصير الليمون . وكان على زوجها ان ينزل عند رأيها لولا ان دخل عليه حجرة النوم هذا « الجمعة » مقتحما ومصرا على استدعاء الطبيب ولم يقلع السيد ولم تفلح السيدة في العدول به عن هذا الرأي . ولم ينتظر وانما اسرع باستدعاء الطبيب فلما حضر هذا وانتهى من مهمته واصدر

تعليمـــــاته للمريض وحذره من الاستهواء بالانفلونزا لانها اذا اهملت تحـــولت الى مضاعفات اخرى . هنا تدخل السيد جمعة قائلا:

ـ ارجو ان تحذره من كثرة الاستحمام يا سيدى الدكتور .

وكانه فجر قنبلة فى راس الســيدة بهذه العبارة لانها كانت تعنى الشياه والشياه ، ولانها اثارت ضحك الدكتور وضحك المريض وربما ضحكها ايضا ، ولكن ضــحكها كان مبعثه الغيظ الشديد من هـذه القحة ...

وجاءت خالتهـــا « انوار » تزورها وهى فى قمة الغيظ فلم تملك نفسها ان حدثتهـا بما كان واستطردت فراحت تروى لها هذه الاحداث الصــغيرة التى كانت تصدر عنه والتى كانت تؤكد لها انه هو السيد فى هذا البيت . وانها هى وزوجها اسماعيل يقيمان عنده ، ياكلان ما يقدمه لهما ويعملان باشارته او بمشاورته حتى امتــلات نفس الســـيدة « انوار » بالغيــظ ولم تلبث ان اهتدت الى علاج لهذا الوضع الذى لا يستقيم ولا يتفق مع التضحية الكبـــرى التى اقدمت عليها بنت شقيقتها حين قبلت الزواج من رجـل يبلغ ضعف عمرها سنا ولا يتمتـــع بشىء من الوسامة ، ويحرم هذه الصبية التى حصلت على الثانوية العامة بتفوق ملحوظ من اكمـــال دراستها الجامعية ...

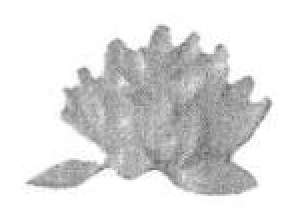
وقررت الســـيدة « انوار » ان تستأذن الوالد المحترم لـــواء الخيالة وان تعود بعد ايام وحين يتســـائل اسماعيل الى الشـــفاء من وعكته لتقيم لديهم اياما تســـتطيع خلالها بما اوتيت من خبـــرة الزمان ان تضع الامور فى نصابها وان تستعيد الصولجان الى صاحبته السيدة نجاح ...

•••

ورحبت السيدة نجاح ورحب المهندس اسماعيل عبد الفتاح بل ورحب الاسطى جمعة بحضـــور الســـيدة « انوار »

وباقامتها معهم بضـــعة ايام وكان لكل منهـم عذره فى هذا الترحيب وطاب المقام للســـيدة « انوار » ولذ لهـــا القيام والنام والطعام . وكان جمعه حريصـــا على راحتهـــا وعلى تلبية طلباتها وفى وجبة العشاء بالذات فقد كان يقف بازائهـــا وهى تتصـــدر المائدة وهو يصب للعروسين اقداح البيرة يرطبان بهـــا حرارة الصيف ويبعثان من خلالها النشوة فى الابدان ويصر على ان تشارك السـيدة انوار العروســـين فى هـذا الشراب فتمتنـــع وتتمنع وتؤكد انهـــا لا تشرب هـذا الشراب لانه من المحرمات ولكنه يؤكد لها انه ليس من المحـــرمات لانه يباع فى الاسواق وعند بائع الفـــازوزة والكوكاكولا ولا يعقـــل ان يكون محرما ويباح هكذا فى الاســواق . ولا يعقل ان يكون محـــرما وان يشربـــه الباشمهندس اسماعيل وعروســـه السيدة نجاح .

وترضخ الســـيدة « انوار » ولا تلبث ان تشـــارك فى الشراب ولا تلبث ان تعلـــو ضحكاتها من نشـــوة الشراب ومن ســـماع النكات التى يطلقهـــا الســـيد جمعه الطاهى وهو رائح وهو غـــاد بين حجرة الطعام وبين



المطبخ يحمل الصحاف أو يقدم الشراب ·

ويدخل العروسان حجرتهما بعد العشاء

وتظل السيدة « انوار » جالسة فى حجرة الطعام

تستمع وتستمتع بأحاديث السيد جمعة حتى ينتهى من أعادة

الامور الى نصابها بل وربما الى منتصف الليل

دون ان تحس الملل او تدركها الرغبة فى النوم ·

وتمضى الايام ولم يتغير الحال بل لقد

ازداد احساس «نجاح» بتسلط السيد جمعة وسلطانه حين اخذت

خالتها « انوار » تردد

ما يقول وتؤمن على ما يرى وتدافع عما

يعتقد ثم تكاد تنحى باللوم على نجاح

وعلى زوجها اسماعيل

اذا ما أبديا رأيا يخالف الرأى الذى يبديه ·

وحين فاتحت خالتها فى الامر على انفراد اقنعتها بأنها انما تفعل

ذلك وتجاريه حتى تكسب ثقته وتفل أسلحته ثم تفاجئه بضربه واحدة

من ضرباتها تجعله يستسلم ويضع مقاليد الامور فى يد السيدة الصغيرة ·

وجاء المساء وجلس الثلاثة حول المائدة وامعنوا فى الاكل واسرفوا فى الشراب

وانطلقت الضحكات والقفشات وقام العروسان · وقامت

« انوار » ولم يلبث أن حل بالبيت الصمت

واطفئت الانوار ولم يعد يتردد فى جنباته سوى الانفاس ·

ويلتمع فى سقف الطرقة ضوء خافت من المصباح السهارى الصغير · وثمة ضوء

احمر ينبعث من غرفة العروسين ·

ومضى وقت قبل أن

تنهض نجاح متسللة من حجرتها متجهة صوب دورة المياه على اطراف

اصابعها حتى لا تزعج احدا ··· ومرت بالحجرة التى تنام فيها خالتها السيدة « انوار »

واوشكت ان تجتازها لولا انها سمعت همسات او ما يشبه الهمس

ينبعث من فرجة الباب· ولم تصدق اذنيها وحسبت ان الشراب قد

اثر على سمعها ولكنها توقفت وكتمت انفاسها وخيل اليها انها تسمع

حوارا يدور بين اثنين فى الحجرة · وتمعنت وبدا لها ان هناك حديثا يدور بالفعل بين

خالتها وبين آخر · ومن يكون هذا الآخر ؟ هل يكون سوى جمعة

الطاهى · واذا كان فلا شك ان خالتها تلقنه الدرس المنتظر

ومدت نجاح رأسها وهى تحاذر · وكان

ثمة شعاع من ضوء يشق طريقه من نافذة

الحجرة المطلة على النور · ورفعت رأسها لتتبين ما هناك ، وكان

الذى رأته الضربة المفاجئة من خالتها السيدة « انوار » الى

السلطان ··· وليتها ما رأت ···

لطف الله قاري

محمد بن إسحق النديم مؤلف الفهرست

هذه بغداد في القرن العاشر الميلادي .. فنحن في مدينة العلم الكبرى في اكثر العصور الاسلامية ازدهارا من الناحية الفكرية . وقد بلغت النهضة الفكرية الاسلامية في هذا القرن اوجها . وهي أوسع حركة او اخصبها وأعمقها في تاريخ المسلمين .

كانت بغداد في ذلك العصر تحت حكم آل بويه انصار العلم ومحبي الحضارة . فكانت تزدهر بعلماء افذاذ كانوا من الكثرة بحيث كان اكثرهم مغمورا ومجهول القدر . وبلغ عدد العلوم التي أهتموا بها اكثر من ثلاثمائة علم . منها علوم لم يهتم بها العالم الا حديثا كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم التدبير المنزلي وعلم الاقتصاد السياسي (١)

كانت المدارس منتشرة في بغداد . وكانت الى جانب ذلك حلقات للمناظرات العلمية والمحاضرات تعقد في المساجد وفي بيوت بعض العلماء والوزراء وأعيان الدولة . وكانت المستشفيات منتشرة ، فحتى ذلك العصر الذي اتكلم عنه أسست عشرة بيمارستانات (٢) وكان لها الاسواق العديدة ولكل طائفة من أرباب الحرف والتجارات سوق . فسوق للبزازين وسوق للصرافين وسوق للوراقين (٣)

---

(١) تاريخ اداب اللغة لجرجي زيدان جـ ٢
(٢) تاريخ البيمارستانات للدكتور احمد عيسى
(٣) تاريخ الحضارة الاسلامية للدكتور جمال الدين سرور ص ٢٣١

● الوراقون فى ذلك العصر ●

وفى سوق الوراقين كان عدد دكاكين الوراقة يبلغ المائة دكان (١) يعمل فيها خطاطون مهرة يقومون بنسخ الكتب وتجليدها وبيعها . وكان هؤلاء الوراقون ذوى ثقافة ممتازة ويقوم الواحد منهم بعمل دار للنشر والطبع : يصحح الكتاب ويصلح أخطاءه . وينسخه ويجلده، ويبيعه ...

وكانت سوق الوراقين هذه منتدى لأهل العلم والادب . حيث أن أهلها أنفسهم كانوا من المثقفين (٢) فكان العالم أو الاديب يجتمع بصاحبه فى هذا المنتدى الذى يخرج لهم ثمرات القريحة ونتاج التجارب وفيض الحكمة فكانت تعقد المناظرات والمناقشات العلمية فى بعض هذه الحوانيت (٣)

وفى سوق الوراقين هذه عاش وراق يدعى أبا الفرج محمد بن اسحاق النديم . عرف بين زملائه بابن أبى يعقوب الوراق (٤) وعرف بين باحثى العصر الحالى بابن النديم وهذا خطأ (٥)

ولد سنة ٣٢٤ هـ حسب تقدير المستشرق الامريكى بايارد دودج (٦) . أو سنة ٣٢٥ حسب تقدير آخرين (٧) أو سنة ٢٩٧ حسبما جاء فى أحد المصادر القديمة .

وقد ولد لأب وراق (حيث لقب أباه بالوراق أكثر من مرة فى كتابه) وتلقى العلم من صغره على أكبر مشايخ زمنه فى العلم والأدب والدين كما سنرى عند البحث عن شيوخه . فكان أن نشأ عالما غزير العلم راجح الفكر ذا مواهب وميول متعددة ، صادق الكثير من مشاهير معاصريه فكان من بين أصدقائه الشاعر المشهور والطبيب الرفيع والاديب الكاتب والفيلسوف الحكيم . والظاهر أنه تعرف الى كل هؤلاء فى حانوته الذى كان يورق فيه ... وكان كثير مما كتبه عن المؤلفين اما وليد خبرته ومعرفته الشخصية بهم كتاجر للكتب مثقف أو روى سيرهم عن معاصريه الذين أدركوهم ان لم يكن أدركهم .

لقد كان النديم وراقا بسيطا كما رأينا . ولكنه كان يواظب على حضور أرقى مجالس العلم ويشترك فى المناقشات العالية ويدخل بيوت العلماء ويجالسهم . فكثير منهم كان من أصدقائه

وكانت له محبة استطلاع عظيمة فكان يقابل أهل الملل المختلفة والاجناس المتعددة يسألهم عن أسرار معتقداتهم وعن أخبار البلاد النائية التى جابوها . والظاهر أنه تعلم لغات أخرى غير العربية حيث يقول فى كتابه : « وسألت رجلا من الروم

---

(١) تاريخ العرب للدكتور فيليب حتى — ص ٥٠٢

(٢) من الوراقين : ياقوت الحموى وأبو حيان التوحيدى ويحيى بن عدى والسراج الوراق . وهم من مشاهير المفكرين كما نرى

(٣) شمس العرب تسطع على الغرب — للمستشرقة زيغريد هونكه ص ٣٩٠

(٤) كما ذكر ذلك بنفسه فى كتابه « الفهرست » مرارا .

(٥) تكلم فى هذه المسألة وأثبت هذا الرأى الدكتور محمد جواد مشكور فى مجلة « الاخاء » الايرانية عدد ٣٣١ — مايو ١٩٧٢

(٦) المصدر السابق

(٧) ذكر ميلاده ووفاته هكذا (٩٣٦ — ٩٩٥ م) فى بعض المصادر الحديثة وهى تعادل (٣٢٥ — ٣٨٥ هـ)



مراطنا بلغتهم » (١) وفسر كلمات فارسية تفسيرا واضحا (٢) فكان ا تجمع من حب الاستطلاع الذى عنده علم غزير سكبه فى موسوعته « الفهرست » فمن يقرأها يجد اى عالم كان النديم ·

وكان النديم يرد الموصل كثيرا بسبب ما يظن بروكلمان أن سبب اسفاره الى الموصل هو ان اباه كان يبعثه فى تجارة الوراقة ·

وقد الف النديم كتابه « الفهرست » سنة ٣٧٧ هـ الموافقة لسنة ٩٨٧ م ولكنه (وهذه ملاحظة هامة تنبه اليها المحققون والباحثون) ترك مواضع كثيرة بيضاء فى كتابه على امل ان يكملها فيما بعد · وسبب ذلك أن مادة الكتاب ضخمة جدا رغم صغر حجم الكتاب وما صغر حجمه الا بسبب الايجاز الذى التزم به مؤلفه فى أسلوب كتابه ·

ونرى ان كتاب « الفهرست » قد ادخل فيه الناسخون اشياء لم يذكرها مؤلفه وان النديم لم يكتب تلك الاشياء وان المنية عاجلته قبل ان يكمل كتابه · على عكس ما توهم بعض المؤرخون فظنوا انه عاش حتى القرن الخامس الهجرى اى الحادى عشر الميلادى · فقد كان المؤلف يضع أماكن بيضاء فى كتابه على امل ان يملأها عندما ترده المعلومات أو على امل ان يملأها من يأتى بعده · ولعل هذا يفسر النقص الذى يوجد فى جميع نسخ كتاب « الفهرست » : المخطوطة منها والمطبوعة التى قوبلت على عدة نسخ مخطوطة ·

وقد قال ابن النجار عن تاريخ وفاة النديم « ومات يوم الاربعاء لعشرين من شعبان سنة ٣٨٥ هـ » وهى توافق سنة ٩٩٥م ·· وقال خليل ابن أيبك الصفدى فى كتابه : « الوافى بالوفيات » بأن النديم توفى سنة ٣٨٠ هـ أى ٩٩٠ م وورد فى مخطوطة « الفهرست » المحفوظة فى مكتبة ليدن عاصمة ايرلندا : « مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب الوراق المعروف بالنديم ، روى عن أبى سعيد السيرافى وأبى الفرج الاصفهانى وابن عبد الله المرزبانى وآخرين ، ولم يرو عنه احد · وتوفى سنة ثمانين وثلاثمائة ببغداد · وقد اتهم بالتشيع عفا الله عنه » ·

اما قول ابن حجر العسقلانى بانه توفى سنة ٤٣٨ هـ فهو خطأ

● اساتذته واصدقاؤه ●

يقول الاستاذ عبد القدوس الانصارى فى مقالة له (٣) : « ذكر انه توجد نسخة خطية من كتاب الفهرست لابن النديم كان يمتلكها الاستاذ جستربيتى ، وهى محفوظة فى مكتبة ايرلندا ، وقد حوت هذه النسخة الخطية ذكر اساتذة ابن النديم (٤) وهم أبو سعيد السيرافى

---

(١) الفهرست ص ٢٩ الطبعة المصرية وراطن الرجل فلانا اى كلمه بلسان غير عربى

(٢) فاستنتج الدكتور مشكور الذى ذكر آنفا ان النديم كان فارسى الاصل ولكن الكلام فى هذه المسألة يحتاج الى براهين اقوى من هذه ·

(٣) قافلة الزيت شوال ١٣٨٦ هـ

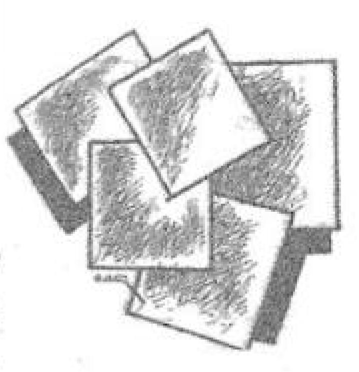
(٤) وهو يشير بهذا الى النص السابق مباشرة ·

وأبو الفرج الاصفهاني وأبو عبد الله المرزباني ، ثم قال الاستاذ الانصاري : « ونضيف اليهم الشيخ ابا سليمان ان لم يكن هذا لقب احد المذكورين » .

وشيوخ النديم هم :

(١) ابو الفرج الأصفهاني : صاحب الاغاني . الاديب المعروف وقد كان شيعي المذهب . يروى عنه النديم في كتابه الصفحة ٢٠٩ .

(٢) أبو سعيد السيرافي : أعظم علماء النحو في عصره . كان



فاضلا من المعتزلة . ذكره النديم في كتابه اكثر من سبع عشرة مرة .

(٣) ابو عبد الله المرزباني : كان مؤرخا اديبا معتزليا . نقلنا كلام النديم عن وفاته فيما سبق .

(٤) ابو سليمان الذى ارجح انه المنطقى : وهذا كان اشهر علماء زمانه بالفلسفة والمنطق .

ومن شيوخ النديم غير ما ذكر الاستاذ الانصارى :

(٥) اسماعيل الصفار : كان عالما بالنحو واللغة والادب وله شعر . ذكر ابن حجر ان النديم روى عنه بالاجازة .

(٦) ابن المنجم على بن هارون بن على بن يحيى بن ابي منصور : قال عنه النديم : « رأيناه وسمعنا منه » (١) وكان اديبا راوية . صديقا للصاحب بن عباد ومنادما للخلفاء .

هؤلاء كانوا شيوخ النديم . ومن المؤرخين من يضم اليهم بعض اصدقائه الاتى ذكرهم ولكن ذلك غير ثابت وكما رأينا ان شيوخ النديم كانوا من مشاهير عصره فاننا نرى ان اصدقاءه كانوا كذلك ايضا فمنهم :

(١) السرى الرفاء : وهو الشاعر المشهور روى له النديم شعرا قال انه انشده اياه وهو هذه الابيات عن الكتاب (١) :

وادهم يسفر عن ضده
كما سفر الليل اذ ودعا
بعثت اليك به اخرسا
يناجى العيون بما استودعا
صموت اذا زر جلبابه
لبيب فان حله امتعا
تخير الواعه جامعا
يروح ويغدولها مجمعا
تلاقى النفوس سرورا به
وتلقى الهموم به مصرعا
فلا تعدلن به نزهة
فقد حاز ماتبتغى اجمعا

(٢) يوسف بن الحسن السيرافي : وهو ابن الشيخ ابى سعيد السيرافى

(١) ص ٢٢ وقد وردت نفس الابيات فى ديوان السرى بزيادة بيت واحد عما فى الفهرست .



الذى ذكر ضمن شيوخ النديم · تصدر مجلس أبيه بعد موته وكان يجيب عن الاسئلة فى حياة أبيه

(٣) السميساطى ابو الحسن على ابن محمد العدوى · اديب مؤرخ له شعر ·، قال عنه النديم : « وقد كنت أعرفه قديما »

(٤) الشيخ المفيد ابو عبد الله المعلم : اليه انتهت رياسة الشيعة فى عهده وله نحو مائتى مصنف قال عنه النديم : « شاهدته فرأيته بارعا »

(٥) ابن طرار : القاضى ابو الفرج المعافى بن زكريا النهروانى : قاض من الادباء الفقهاء وله شعر حسن · قال عنه النديم : « قال لى ان له نيفا وخمسين رسالة »

(٦) ابن الجراح : عيسى بن على ابن عيسى : ابن الوزير المشهور · كان كاتبا عارفا بالفلسفة والطبيعيات وقد ظنت المستشرقة الالمانية زيغريد هونكه فى كتاب « شمس العرب » أنه على بن عيسى الكحال · وهذا لم يرد اسمه فى الفهرست · ولعلها أخطأت فى الاسم لتشابه الاسمين ولكن الكحال كنيته ابو الحسن · أما كنيه ابن الجراح فهى ابو القاسم وهى الكنية التى وردت فى الفهرست · (صفحة ٣٥٦)

(٧) ابن الخمار ابو الخير الحسن ابن سوار : كان طبيبا فيلسوفا مترجما · ذكر النديم أنه اجتمع به وسأله سائل فى مجلس ابن الجراح السابق ذكره (١)

(٨) يحيى بن عدى : فيلسوف حكيم اليه انتهت رياسة المنطق فى عهده · قال القفطى : « وكان ملازما للنسخ بيده ·· عاتبه بعض معارفه على ملازمة النسخ (٢) والذى عاتبه على ذلك هو النديم نفسه

(٩) القس نظيف النفس الرومى : وهو طبيب استخدمه عضد الدولة فى البيمارستان الذى انشأه ببغداد وهو أعظم مستشفى انشىء ببغداد فى عهدها القديم ·· قال عنه النديم : « حدثنى نظيف المتطبب أعزه الله انه رأى المقالة العاشرة ·· الخ » ··

(١٠) ابو بكر البردعى : وردت له ترجمة وجيدة فى موسوعة « الاعلام » · يظن مؤلف هذا السفر انه معتزلى · ولكنه كان كما قال النديم · « يظهر مذهب الاعتزال » وكان خارجيا واحد فقهائهم »

ومن اصدقاء النديم الذين لم أعثر لهم على ترجمة :

(١١) ابو على سوار الكاتب : كان كما قال النديم عنه محبا للعلوم كثير الشغف بها · وقد عمل مكتبة بالبصرة وقفها اى جعلها مكتبة عامة لمن يشاء من الطلاب · قال النديم فى حديثه عن البستى ابى القاسم : بأنه لم ير كتبه ، بل اخبره ابن سوار هذا ان فى خزانته بالبصرة شيئا منها

(١٢) ابو بكر الزهرى : روى عنه النديم شعرا لابن طباطبا ويستفاد من كتاب « الامتاع والمؤانسة » للتوحيدى انه كان من الاعيان : فكان من حاشية الوزير المهلبى وحضر مرة

---

(١) ص ٣٥٦ اى نفس الصفحة السابقة
(٢) اخبار الحكماء ص ٣٦١ طبع ليبزج

مجلسا للمناظرة فى بيت الوزير ابن الفرات .

(١٣) ابو اسبكتكين دستاردار وأبو اسحاق بن شهرام : الظاهر أن كلا منهما كان من رجال الدولة . الاول منهما خرج ليتسلم ما وجد تحت بناء قديم أنهار بالكوفة مبتعثا من قبل عز الدولة بن معز الدولة والثانى سيرد خبر رحلته الى القسطنطينية فيما بعد .

(١٤) وكان له معارف من المشعوذين : فأحدهم يلقب بالخنشليل كان يدعي أنه يحضر الذهب بصناعة الكيمياء وقال النديم : « ولم أر آثار ذلك عليه لانى لا أراه الا فقيرا » وآخر كان يقوم بأعمال الحيل السحرية . قال النديم : « سألته يوما فقلت : يا ابا عمرو انا انزهك عن التعرض لهذا الشأن . فقال : يا سبحان الله لى نيف وثمانون سنة ، لو لم أعلم أن هذا أمر حق لتركته ولكنى لا أشك فى صحته ! فقلت : والله لا افلحت » (صفحة ٤٤٦)

● ثقافة النديم ●

بعد أن ألقينا الضوء على نشأة النديم وشيوخه والبيئة التى كانت تحيط به فما هى المناحى والاتجاهات التى برزت فى ثقافته ؟ .. وما هى المزايا التى ظهرت فى كتاباته لدى معالجته هذه النواحى من الثقافة ؟

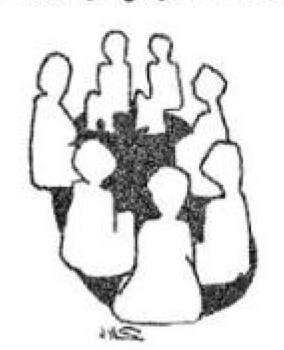
● النديم كاتبا ●

أول ما يصادف المطالع فى كتاب « الفهرست » هو ان مؤلفه صاحب أسلوب موجز يكره اللغو والمقدمات .. ويحب أن يهجم على موضوعه من غير مواربة ولا تمهيد . يقول فى مقدمة كتابه : « النفوس - أطال الله بقاءك - تشرئب الى النتائج دون المقدمات وترتاح الى الغرض المقصود دون التطويل فى العبارات . فلذلك اقتصرنا على هذه الكلمات فى صدر كتابنا هذا ، اذ كانت دالة على ما قصدناه فى تأليفه » ثم يشرح غرض كتابه فى أربعة أسطر . وبهذا الاسلوب الموجز يمضى فى بقية كتابه حتى لا تستطيع أن تحذف جملة لأن معناها مكرر او عباراتها مترادفة .

● النديم راوية ●

كان صاحبنا كما رأينا شغوفا بالاطلاع . يقابل اصحاب الملل المختلفة والاجناس الاخرى ويستقصى الحقائق ما وسعه الجهد فاجتمع له فى كتابه رصيد هائل من المعلومات أوردها جميعا باسنادها الى مصادرها . وكان يتحرى كل صغيرة وكبيرة ويدقق فى جميع المعلومات ويحقق يقول مثلا : « أنا سألت فى البستى هل هو بالسين أو بالشين لان بشت معروفة من أرض سجستان وبست لا نعرفها (صفحة ٢٠٥) . وكانت له ملاحظة قوية : « قال اسحاق الراهب : عرف فلاطن وشهر أمره فى أيام أرطخشاشت المعروف بالطويل اليد .. قال محمد بن اسحاق (يعنى النديم نفسه) : هذا الملك من الفرس ولا معاملة بينه وبين فلاطن - (صفحة ٣٥٨)

ويصعب جدا احصاء عدد الروايات التى فى « الفهرست » لاعتماد مؤلفه على مئات الكتب وعشرات الرواة الذين لا يذكر





اسماءهم دائما فيقول مثلا : « حدثني من اثق به » وهو يتحرى الصدق في كل هذا ويميـز بين ما راى وما لم يره وما سـمع وما لم يسمع · ثم ينقل ذلك الى القـارىء في امانة تستدعي الاعجاب ·

لاحظ ابن حجر العسـقلاني منذ القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ان النديم كان شـيعيا ومعتزليا (١) وكثير من الشـيعة يتفقون في العقيدة مع المعتزلة اذ كان كثير منهم شيعة ومعتـزلة في نفس الوقت (٢)

● النديم وعلم الحديث ●

لقد روى صـاحبنا احـاديث موقوفة (٣) لم تثبت كلها ومنها ان عليا رضي الله عنه ، راى من الناس طيرة عند وفاة النبي (ص) · فاقسم الا يضـع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القـرآن · فهو أول مصحف جمع فيه القرآن -- (صفحة ٤٧)

ولكن الذى يضع النديم في مصاف المهتمين بالحديث هو احـكامه التي اطلقها على رواة الحديث · فقـد لاحظ ابن حجر أنه كذب بعض الثقات كابى اسـحاق الفزارى ، حيث قال عنه « كان كثير الغلط في حديثه » فاذا رجعـنا الى ترجمة هذا العالم وجـدنا المؤرخين يقولون عنه : « مات ابو اسـحاق وما على وجه الارض افضـل منه » وتعتبره بالامام القدوة ·

ومن هذا نستنتج أن النديم الذى برع مؤرخا واديبا وعلامة لم يبرع في الحديث واخفق فيه ·

لماذا ظل النديم مجهولا :

عرفنا اى رجل كان النديم · فهو مؤرخ اديب ناقد وعـلامة مطلع على شتى معـارف زمنه · ومن يطـالع « الفهرسـت » يجد كل هذا واكثر منه · يجده عالما فذا ومفكرا عظيما · وهذا يفضى بنا الى تسـاؤل مؤلم : لماذا اهمل المؤرخون سـيرة النديم فلا ترى له ذكرا في المصـادر سوى نتف ضئيلة لا تشفي غليل الباحث ؟ رغم ان كثيـرين من الذيـن دون مستواه بكثير تملا اخبارهم صـحف المؤرخين ·

لكي نعرف جوابا لهذا التسـاؤل يجـدر بنا ان نطلع على حالة عصر النديم · ففي هذا العصر كان الشعب معظمه من المثقفين · وكان العلمـاء من الكثرة بحيث لا يمكن حصر ربعهم في الكتب ولكن هل كان كل عـالم يقدر حسـب علمه وثقافته ؟ هذا ما لم يكن موجـودا في هذا العصر الذى انقسم الناس فيه الى طائفتين لا ثالثة لهما · احداهما كانت تعيش في بذخ مسرف وترف طائش ، وهي

---

(١) في ترجمته للنديم بكتـابه « لسـان الميزان » ٧٦/٥ ويلاحظ ان جميع اساتذة النديم كانوا من الشيعة والمعتزلة ·

(٢) ظهر الاسـلام لاحمد امين ١١٨/٤

(٣) الحديث الموقوف هو ما روى عن الصحابة ولم يتصل اسـناده بالرسول (ص) ·

طبقة الحكام وحاشـيتهم ومن يتملقهم ·

لقد كان كثير من العلماء يلقون تشـجيعا من الامراء · ولكن هذا التشـجيع لم يكن الا لاغـراض سياسية ، فقد كان الهدف الاول هو التباهي بما لدى الامير من حاشية من العلماء والادباء ·

● كتاب الفهرست ●

هو كتاب اشهر من ان نعرف به · لم يطلع عليه مهتـم بتاريخ الادب والثقـافة والعلوم المختلفة عنـد المسـلمين الا كان هومرجعهـم ومعتمدهم ··

وأود هنا ان اشير الى طبعاته : فنى فلوجل خمسة وعشرين عاما من عمره في البحث عن مخطـوطات « الفهرست » المتناثرة في بقاع شتى من العالم ولكنه توفى سـنة ١٨٧٠ ولم يطبع من الكتاب سـوى ست ورقات ·فطلب ابنه من صديقي والده المستشرقين يوهانس رودجير وأوغست ملر أن يشرفا على طبع الكتـاب النفيس حتى لا تضيع جهود والده سدى ، فقاما بذلك وتم طبع الكتـاب سنة ١٨٧٢ في ليبزج بهولندا ·

وفي سـنة ١٨٨٩ نشرت مجلة المانية تدعى « معرفة البلاد الشرقية » بعض تراجم المعتزلة سـقطت عن النسخة المطبوعة ، فاضاف احمـد تيمور باشا هذه الزيادة الى النسخة التي كان قد اشتراها من المطبوع ·

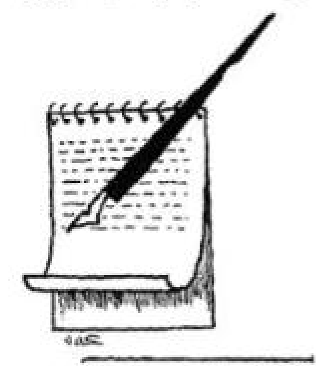
وفي سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٩ م طبع الفهرسـت مرة اخرى في مطبعة الاسـتقامة بمصر ونشرتها المكتبة التجارية الكبرى · وقد اضيف الى هذه الطبعة زيادة المكتبة التيمورية ، ولكنها خلت من الحواشي والفهارس ·

وقد صدرت بمقدمة لم يذكر كاتبها اسمه ، ولكني عرفت بعد ذلك انه المرحوم الدكتور احمد امين (١) ··

وفي سـنة ١٩٧١ تم طبع هذا الكتاب في طهران بتحقيق السـيد رضا تجدد الذي اعتمد على طبعة فلوجل ومخطوطة محفوظة في مكتبة ديلن من كتب جستربيتي ومخطـوطة اخرى من كتب شهيد علي باشـا محفوظة فيمكتبةالسليمانية باستانبول ونسخة من الهند والغريب ان مدينة تجدة لم ار فيها نسخة واحدة من الطبعة الايرانية هذه ·

وقد ذكر بروكلمان انه توجـد نسخة واحدة من هذا الكتاب بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة ولعله يقصد مكتبة عارف حكمت ·

● لطف الله قاري ●
● جده ●



(١) ظهر الاسلام ٢٤٥/١ ··



صورتان لوديان المريخ يبلغ عمق احدهما ..٩٥٠ قدم ..



من المعـــروف انه فى الوقت الذى وصـــلت فيه مركبـة « مارس ٢ » الى المريخ هبت عاصفة رملية حادة حطمت المركبة ، ففشلت أول تجربة للاتحاد السوفيتى فى ذلك الشأن · وفى الوقت ذاته كانت « مارس ٣ » تقترب من المريخ ثم دارت فى مدار حوله وارسلت عدة صور له الى علماء مراكز بحـــوث الفضاء فى الكرة الارضية ·

وبينما كانت المركبات الفضـــائية السوفييتية تلاقى هذا المصير الغامض كانت مركبة « مارينر ٩ » الامريكية تحلق فى أجواء المريخ وتسلط عدساتها التليفزيونية نحو ســـطحه ، فاذا بالعاصـــفة الهوجاء تجتاح سطح الكوكب ، لتفسد كل شىء وتعطل البحوث التى علق عليها علماء الارض امالهم ··

وعندما هدأت العاصفة التى ظلت مستمرة لمدة شهرين كاملين ، نشطت العدسات التليفزيونية الموجهة فى الحال الى العمل ، وشرعت ترسل سيلا من الصور الدقيقة الى العلماء فى مراكز الفضاء الارضية ·

ومنذ شهور قليلة اقتنع علمـــاء الفلك ان المريخ كالقمر كوكب لا حياة فيه · وان سطحه مثل سطح القمر « مزخرف » بالعديد من الفجـــوات الارضية سببتها الشهب التى انهمرت عليه كالمطر منذ ثلاثة مليارات ونصف مليار سنة مضت ··

وبعد ان ظلت الرياح الغربية تطمس

فى اواخر شهر يوليو من هذا العام اطلق الاتحاد السوفييتى مركبتين « مارس ٤ و ٥ » نحو كوكب المريخ ، ليصلا اليه فى شهر فبراير من العام القادم . والهدف الرئيسى من اطلاقهما هو مواصلة الكشف عن طبيعة المريخ والجو المحيط به .. وهو الكشف الذى بداه السوفييت فى عام ١٩٧١ باطلاق محطتين فضائيتين الى المريخ هما « مارس ٢ و ٣ » . و .. اتضح من المعلومات التى جمعتها السفن الفضائية التى اطلقت بعد ذلك انه كوكب جاف ، وان نسبة بخار الماء فيه تساوى ١ : ٥ الاف من بخار الماء فى جو الارض ..

معالم التعرية على السطح « بنات الصور تتغير فجاة بطريقة مثيرة . ففى خلال الاسابيع القليلة الماضية بدا المريخ يظهر كعالم تصطخب فيه البراكين العاتية ، وتلفظ فيضانات من الصخور السائلة ، وفى معظم الامسيات كانت السحب تطفو فوق الجبال ،

وفى بعض الاحيان كانت الرياح ذات السرعات الخيالية تثير كتلا من الزوابع الرملية ، وبنات القوى التى تحرك القارات تحدث فجوة عظيمة تتضاءل امامها فجوة « جراند كانيون » بكولورادو بالولايات المتحدة . وكان من الملاحظات المذهلة ان كوكبا لا تظهر عليه نقطة ماء واحدة فى الوقت الحالى تظهر عليه بوضوح علامات احواض وقيعان لانهار وبحار وفيضانات ...

■ ميشيل تكلا ■

● اربع بقع سوداء ●

قد يكون المريخ احمر اللون ولكنه كوكب لاحياة فيه . وهذه الصورة المتغيرة للمريخ الغامض كشفت عنها الصور التى التقطتها عدسات « مارينر ٩ » ومنذ شهر نوفمبر ١٩٧١ التقط المعمل النفاث بمدينة باسادينا بكاليفورنيا سبعة الاف صورة . ووصلت اخر مجموعة من هذه الصور فى اغسطس ١٩٧٢ ومع ذلك لاتزال عيون العدسات مفتوحة عن اخرها يوجهها العلماء من الارض لالتقاط ما يجرى فى المريخ من احداث !

يقول العالم « برادفورد سميث »

استاذ علم الفلك بجامعة نيومكسيكو ان كوكب المريخ يختلف اختلافا بينا عما فى اذهان العلماء من تخيلات وتصورات عنه · فهو يختلف عن الكوكب الارضى والقمر اختلافا كبيرا

ففى عام ١٩٦٥ وفى عام ١٩٦٩ اقتربت من الكوكب سفن فضاء خاصة وعبرته · وفى كل مرة اوضحت الصور القليلة سطحا به فجوات متعددة لم تختلف عن الصور القديمة التى التقطت له من قبل ، فكشف عن حقيقة غريبة وهى ان شيئا لم يحدث للمريخ منذ مليارات السنين ·

لقد ظل على حاله وصورته لا يتغير ·· وفى شهر نوفمبر عام ١٩٧١ عندما دارت « مارينر ٩ » فى مدار حوله كان راى علماء الفلك انه كوكب به حياة ·· وفى ذلك الوقت غلفت الكوكب زوبعة من الغبار ، كما ذكرنا ، واخفت سطحه عن كاميرات المركبة لعدة اسابيع وحسب العلماء سرعة الرياح التى اثارت الزوبعة الرملية فاذا بها ٢٠٠ ميل فى الساعة وقد اكتسحت الكوكب كله · وفى شهر يناير ١٩٧٢ بدأ الستار الرملى السميك يرتفع رويدا رويدا ويكشف معالم السطح بوضوح ·

ومنذ ذلك التاريخ والعلماء يكتشفون اشياء وراء اشياء · فقد ظهرت موجات بركانية عاتية على جانب واحد من الكوكب الغامض ·· وكانت اولى الاثار التى لمحها العلماء وهم يحملقون فى ستار الغبار ، ظهور اربع بقع سوداء · وعندما استقرت العاصفة الرملية وهدأت تحولت هذه البقع السوداء الى جبال عالية ضخمة تحولت قممها العالية الى ما يشبه الفجوات الارضية ·

ان الاثر الواضح لاى بركان هو



بعد رحلة ٢٤٨ الف ميل وصلت مارينر ٩ الى المريخ



لاحياة فى المريخ

تكوين جبل عن طريق لفظه حمم الصخور المنصهرة فتنهار قمته على هيئة فجوة ·

ولا شك ان الجبال الاربعة الجديدة هى براكين ثارت فجاة فى شهر نوفمبر ١٩٧١ ·

وقد ظهر اضخم بركان من هذه البراكين الاربعة بوضوح عن طريق التلسكوبات الارضية فاطلقوا عليه « نيكس اوليمبيكا » اى ثلوج

الاولمبى » ، ومساحته عند القاعــدة اكثر من ثلاثمائة ميل ، اى ضــعف قطر اعظم بركان أرضى ، وهو ذلك البركان الذى ينهض على ارتفاع ستة اميال من قاع المحيط الباسيفيكى فى جزر هاواى ·· ان قطر فوهة بركان « نيكس اوليمبيكا » تبلغ اربعين ميلا اى اضخم من فوهة بحيرة اوريجون اشهر فوهات الكرة الارضية ·

● المريخ مرجل يغلى ●

ان وجود البراكين فى المريخ وبعض علامات تشقق الحمم ، تؤكد أن هناك تحت السطح تكونت درجات حــرارة عظيمة صهرت الصخور ، وان هذه الحرارة بالمعنى الجيولوجى حــديثة العهد · وتكشف البراكين ان الشهب تصطدم به وتحدث هذه الفورات · وان ذلك لم يحدث الا « حديثا » أى من عشرات الالوف الى عشرات الملايين من السنين ، ولكن بعد أن تكون الكوكب واتخذ هيئته الواضحة لنا بوقت طويل ·· ولما كان أى كوكب حتى لو كان صغيرا كالمريخ ـ الذىيبلغ نصفحجم الارض ـ قد سرت فيه الحرارة فانه لا يبرد بسهولة ··

والغريب ان ثورة البراكين لا تحدث الا فى نصف الكوكب الغــربى ويبدو النصف الاخر ساكنا وقد نقشـــته فجوات الشهب · ويتعجب العلماء من امر هذه البراكين ، وكيف تحدث وتثور على جانب واحد من المريخ · وقد يعنى هذا ان المريخ بدا يغلى · اى انه قد مر عليه اربعة مليـــارات ونصف مليار من السنين وهو يســخن ببطء شديد ، واخيرا بدات درجات الحرارة العالية تتجمع وتدفع الصخور المذابة او السائلة الى السطح · ونتيجـــة لذلك ظهرت البراكين فى الناحيـــة الغربية منه ··

ان احتمال رؤية كوكب ترتفع درجة حرارته فى اطوار حيــاته الاولى قد تتيح اعظم فرصة لعلماء الجيولوجيا ·· فالكوكب الارضى بقلبه المنصــهر يغلى هو الاخــر · واغلب الظن أن التسخين الداخلى قد بخر الغــازات التى تكون الجو والماء الذى يغطى معظم سطحه · وذلك عندما أصبحت الارض شديدة الحرارة ·· اما لماذا أصبحت كذلك فهو لغز جيولوجى · وعليه فدراسة كوكب فى أولى أدوار حياته بالحرارة الشديدة تعد فرصة نادرة للعلماء لكى يدرسوا حقيقــة تاريخ الارض ·

● جزء من الدوامات ●

على بعد مئات من الاميال جنوبى وشرقى منطقة البراكين العظيمة ، تبدأ اهم ظاهرة فى كوكب المريخ · وهذه الظاهرة عبارة عن واد ينحــدر نحو الشرق لمســافة ٢٥٠٠ ميل ، ويغطى خمس الكوكب بعرض ٧٥ ميلا فى بعض الاماكن ويعمق اربعة اميال

اما كيف تكون هذا الوادى الغريب على سطح المريخ فشىء يجهله العلماء، ولا يشبهه فى الارض ـ الى حد ما ـ غير صدع شرق افريقيا ، ذلك الصدع الذى يمتد من موزمبيق شمالا حتى البحر الاحمر · وهذا الصــدع فى اغلب الظن هو نوع من التشققات التى حدثت بسبب تباعد القارات بعضــها عن بعض ·· وحركة القارات هذه هى جزء من الدوامات التى اصطخبت فى قشرة الارض بسبب حرارتها الداخلية ·· وعليه فيمكن ان يقال ان سبب تكوين هذا الوادى العميق فى المريخ هو حـــدوث اول تباعد بين ارض الكوكب الساخن ··

● الماء فى حالة جمد ●

كشفت الصور عن أشياء لم يقــع

لاحياة في المريخ

عليها نظر الانسان من قبل • فالهيئات الطبيعية على المريخ غريبة محيرة ، وسنسرد بعض هذه الهيئات التي تبدو كان الماء قد كونها وسبب وجودها واستقرارها :

اولا : انه من المحال للماء السائل إن يوجد فوق سطح المريخ وذلك لان ثاني اكسيد الكربون في جوه رفيع جداً • وليس هناك ضغط جوى كاف للاحتفاظ بالماء في حالة سيولة • فنقطة من الماء تتبخر في الحال •

ثانيا : هناك كمية ضئيلة من الماء في هيئة بخار ماء يسبح في الجو وقد اوضحت الصور المريخية السحب وهي تتكون في المساء بالقرب من البراكين عند ارتفاعات معينة حيث يستطيع فيها الضغط والحرارة أن يجعلا بخار الماء يكون السحب •

ثالثا : هناك مياه في حالة جامدة كالثلج مثلا في المناطق القطبية وان كانت كميات هذه المياه المتجمدة غير معروفة •

ولكن هل توجد مياه سائلة ؟

لقد كشفت احدى الصور عن واد يجرى على سطح المريخ ويمتد لمائتين وخمسين ميلا ، ومنه تتفرع وديان صغيرة ومنها تتفرع وديان أصغر منها وهكذا • ولو كانت هذه الوديان على سطح الارض لقال علماء الجيولوجيا انها وديان جفت منها المياه واصبحت مجرد اثار لانهار وقنوات كانت تجرى طبقا لنظام رى دقيق • والغريب أنه قد تم اكتشاف عدد كبير من هذه الوديان المتعرجة • وتبدو أرض المريخ في بعض الصور الاخرى قريبة الشبه بأرض « ايسلندا » عندما ثارت البراكين فجأة فاذابت كتل الثلوج الضخمة وسببت فيضانات عاتية لم تعرفها الكرة الارضية من قبل •

ويقول العلماء الدارسون لكوكب المريخ : « ليس غريبا ان يتخيل الانسان ان كميات من الماء قد حبست في المريخ على هيئة ثلوج • وأن **معظمها يختفي تحت الطبقات السميكة المتجمدة لثاني اكسيد الكربون التي** تحيط بالقطب الشمالي • ويحتمل كذلك وجود طبقة سميكة من البرد **تقبع تحت السطح مباشرة • ولكن اذا** سخن هذا الثلج الى درجة انصهاره فان الماء يتبخر في الحال في الضغط المنخفض لجو المريخ •

● اختلاف آراء العلماء ●

وما دام العلماء يعتقدون ان الماء كان يجرى على سطح المريخ في زمن من الازمنة ، فأولى بهم أن يؤمنوا بان المريخ كان له جو كثيف كجو الكرة الارضية ، وان درجات الحرارة على الكوكب كانت مرتفعة في تلك الازمنة عما هي عليه الان •

وفي ذلك يقول عالم الفلك المعروف موراى : « قد تكون معجزة اذا كان ذلك قد حدث فعلا في المريخ •• اما المعجزة الثانية التي نتوقعها فهي ان

يذهب عن الكوكب جـــــوه الدافيء السميك » ..

اما عالم الفلك « كارل ساجان » المعـروف ببحوثه العظيمة عن المريخ فيقول « ان ثاني اكسـيد الكربون المتجمد والموجـود بكثرة وبصـــفة مستمرة عند القطب الشمالي للمريخ حتى خلال فصل الصيف ، فانه يبدو وكأن عمقه كيلومتر كامل » ..

فاذا سخنت هذه الكمية العظيمـــة من ثاني اكسيد الكربون وبخرت فانها .. قد تضيف كميات كافية من غاز ثاني اكسيد الكربون الى الجو لتحريك ضغط الهواء كما هو الحال في جــو الكرة الارضية .

وهنا يبرز سؤال : كيف يمكن للقطب الشمالي ان ترتفع درجات حرارته لكي يبخر ثاني اكسيد الكربون ؟ علما بان الكوكب ليس ســاخنا بالدرجة التي تجعل القطب الشمالي يفور ويتخلص من قمته القطبية والا لما كانت هناك هذه القمة التي تظهر بوضوح ..

يرد العالم « ساجان » على هــذا السؤال بقوله :

منذ وقت مضى اجـــرى العالمان « موراى » و « روبرت ليتون » بعض حسابات حول مدار المريخ والطـريقة التي يتأرجح بها حول محوره اثنــاء دورانه ، فوجدا انه كل خمسين الف سنة ينحرف القطب الشمالي نحــو مركز قريب من الشمس . وكان آخر مرة حدث فيها ذلك منذ ٢٨ الف سنة .. والقطب الشمالي الان في شتائه الطويل أو « بياته الشتوى » ان صح هذا التعبير !

ومعنى هذا من وجهة نظر العالم « ساجان » انه منذ ثلاثين الف سنة تقريبا ـ وهي مدة قد تبدو وكأنها البارحة في علم الجيولوجيات تبخـر ثاني اكسيد الكربون القطبي ودفع من ضغط الهواء ومن حرارة الهواء كذلك، وان الماء الثلجي المختفي انصهر أيضا ليكون انهارا وبحيرات وفيضـــانات صاخبة جبارة .. ثم تحرك الكوكب من مركزه المعروف لنا . فتجمد ثاني اكسيد الكربون مرة أخرى وانخفض الضغط الجوى ، وتبخـــــر الماء أو تجمد ..

ولكن هذا الرأى الذي يؤمن به « كارل ساجان » لا يؤمن به العـالم « موراى » أو « يهضمه » بسهولة . لان المريخ يحتاج الى طاقة خياليــة ليصهر ذلك الجو السميك ثم يتخلص من الحرارة بعد ذلك ..

ويرى العالم « موراى » ان المريخ لا يزال يحتفظ بفجوات شهب ضخمة تكونت عندما كان الكوكب صغيرا ، أى منذ ثلاثة او اربعة مليارات من السنين .. ولا تكشف هذه الفجوات عن وجود أى كميات من المياه ولا أى اثر لها رغم ان كميات عظيمة من الارض قد تحركت من مكانها او ازيحت بطريقة او بأخرى . ولكن حـرارة الكوكب تؤكد ان الماء لا يمكن ان يوجد بحرية تامة عليه . **اما كيف يمكن حل هــذه المشكلة فان ذلك لن يتـأتى الا اذا جلس العلماء لعدة شـــهور متصلة لدراسة المعلومات العديدة التيارسلتها سفن الفضاء الى علماء الارض . فاذا توصل العلماء الى رأى قاطع ، فان عليهم ان ينتظروا حتى تهبط سفن الفضاء على سطح الكوكب ذاته في عام ١٩٧٦ للتأكد من صحة ماوصلوا اليه من نتائج ..**





وللد الشاعر التونسى محمود بورقيبه رحمه الله فى اواســط عام ١٩٠٩ ، ونشأ فى اسرة مغرمة بالعلم والادب ، واشتهر افرادها لاسيما عمه محمد بورقيبه المحامى الشهير والصحفى اللامع بتعشق الفنون الجميلة والمشاركة فى شتى المجالات العامة . وكان املهم الوحيد ان يرزقوا فتى نابغا يساعدونه على تبوىء مقعد ممتاز بين شعراء العصر وفحول القريض ، فتحقق حلمهم .



وما ان انهى محمود بورقيبه تعليمه الابتدائى ، وبدت عليه مخايل النجـابة حتى ادخله والده المعهد الزيتونى ، معينا له على العيش كما يهوى ، ومن حسن حظه ان وجد نخبة تزامله يربطها تعشـــق الادب برباط يزداد وثوقا على مر الايام ، فانضم لزمرتهم وشـاطرهم هواياتهم ، وساعدهم ـ كما ساعدوه ـ على الخروج للجمهور بروائع قرائحهم بعد جهاد شاق وانكباب على المدارسة والمطارحة ، شهدته ربوة الفرســة الصادقية وضاحية (التوفيق) وحديقة

(البلفيدير) بينه وبين رفاقه مصطفى خريف ، والهادى العبيدى ، وجلال الدين النقاش ، ومحمد الدمماني ٠

وطبيعى الا تستقر حيـــاة محمود التعليمية وتضطرب وهو يشاهد هـذه الزمرة تهجر الكلية الزيتونية ملتحقة بميادين أخرى ما كان ابعـدها عن تصورات وأماني أوليائهم ٠ ونعنى بها ميادين العمل الصحفى ، والتمثيل ، ونظم الاغاني ٠٠

ولئن تفرق شمل الخلان،بالتحاق كل واحد منهم بصحيفة يحرر صـفحتها الادبية ويتولى نقد ما يعــرض من روايات (على المسرح الكاملى) فان الشمل التام من جديد بعد سنوات فى مقهى (خالى على) بتحت (السور) للعمل بحزم على انتشال الاغنيـة التونسية من وهدة الاسفاف المتردية فيها . والتقدم بأدبنا خطوات ما كان له أن يحققها لولا همة الجماعة واخلاصهم الصادق ومواهبهم الممتازة ٠

وحينما تأسست الاذاعة وجـدوا المجال فسيحا والفرصة مواتية ليؤدوا الرسالة على الوجه الاكمل ، فنظموا الاغاني المبتكرة ٠٠٠ وكـان لمحمود نصيب الاسد، حيث عرف بقوة العارضة وحضور البديهة ، وسهولة الارتجال٠

ولم يشغله العمل الاذاعــى عن التحرير فى الصحافة ٠٠٠ كمـا انه أسهم اسهاما فعالا ، فى مجـال التمثيل ، اذ ترجم للعربية بمشاركة عميد المسرح التونسى المرحوم الاستاذ البشير المتهنى ـ روايتى (الطاغية) و (حلاق اشبيليه) ، والف روايـات اذاعية قصـيرة نالت الاستحسان والتقدير ، كمـا عملا فى برنامج (جنة الاطفال) حين استهلاله ممثلا ومؤلفا وناظما لاغاني الاطفال ٠

أما محاضراته الاذاعية المتنوعة المشارب فحدث عنها ولاحرج ٠٠ ، وكذلك برنامجه (كعبة القصاد الى لغة الضاد) الذى خدم به لغتنا الفصحى خدمة مشكورة يعز نظيرها ٠

ومما ذكرناه يتراءى أن محمود بورقيبه اديب ممتاز له مشاركـات فى مختلف المجالات ٠٠٠ فهو شاعر وكاتب ، ومؤلف مسرحى ، ومحاضر ممتاز ، وصحافى موهوب ٠٠٠ ولولا أن المنية عاجلته وهو فى منتصف عقده الخامس لكـان لنا منه اليوم شاعر الاغنية العربية دون منازع ، ولكن مشـيئة الله قضت أن يفارق العالم الفاني أثر مرض مفاجىء ففقدنا فيه بلبلا غريدا وشخصـــية لامعة من شخصياتنا التى لا يجود بها الدهر ٠

وبما أن الاغراض التى تناولها فى شعره كثيرة متنوعة فاننـا نستطيع أن نؤكد دون مغالاة أو ارسال الكلام على عواهنه بأن محمود جلى وأجاد فى وصفياته لذكرياته فى أودية الحب ومرد الاجادة فى هذا الغرض يرجع



الى ان محمودا رحمه الله اكتوى بنيران حواء ، وذاق علقمها وشهدها وهو لم يزل غض الاهاب ، والى انه تمرس باعباء الحيـــاة وتحمل مسئولياتها وعرف من اناسيها العقوق والجحود ، فلا عجب والحالة هذه ان يتغنى بذكرياته ويرى فيها جنة احلامه وفردوس قلبه وروح حياته .

وقبل استعراضنا لنماذج من انتاج محمود بورقيبه ينبغي ان نشير الى انه - على كثـــرة مطالعاته - لم يترسم الا خطا شـــاعر واحد هام ببنات افكاره وسار على غراره في طريقة نظمه وديباجته .. هذا الشاعر هو احمد رامي ، مجدد الاغنيـــة الشرقية وحامل لوائها غير مدافع ، ولقد اتخذ هذا التقليد من محمـــود لرامي صورا مختلفة واشكالا متعددة غير متناقضة ، جعلت اصـــدقاءه يطلقون عليه لقب « شاعر الشباب » وهو اللقب الذى ناله رامي لما تبوأ عرش امارة الشعر الغنائي المعاصر . على ان شاعرنا غير ملوم فيما اتبعه اذ كل اديب يقلد الاثير عنده . ولو انه يلام من زاوية جانبية على اضاعته لشخصيته وذوبانه في غيره ، وكان بامكانه الاخذ عنه من بعيد . وبذلك نكسب فيه شاعرا له طابعه الخاص ومميزاته التي لا يشاركه فيها احد .. وهذا ما قام عليه اكثر من دليل . حينما تناول معاني مبتكرة اهتدى اليها بخياله الخصيب . وشاعريته الفياضة كقوله يصف الدلال والتجني ووقوفه في احدى مغامراته العاطفية بين مد الحبيبة اللعوب وجزرها :

توافينني حينا . وتجفين تـــارة
وتسقينني من حلو حبك والمـــر
فيوما بجنات النعيم مرفـــرف
ويوما طريح النار في مضرم الجمـر
فاصرف هذا العمر : في الهجر والرضا
واقضي حياتي بين مدك والجـــزر
اما ان ان ترسى السفين وتنتهي
فاما على وصل واما على هجـر ؟ !

وهذه الابيات تذكرنا باخوات لها انشأها في الحنين لعهد مررنا كلنا به ولم تستطع الايام بتواليها محوه من مخيلاتنا . ونعني عهد الحب الاول وما يكابده العشاق من عنت الرقباء ، ولغو الوشاة ، والمناجيات العذبة تحت الظلال الوارفة والاضـــواء القمرية المائلة .. وفيها يقول :

دائما اذكر ايام صـــبانا
حين عاطانا الهوى حتى انتشينا
حيث - فوق العشب - نشنا مثانا

وعلى اللهب شربنا وارتوينـــــا

●●●

حين ـ كاللصين ـ كنا نلتـــــقى
نسرق الحب وقد نام الرقيـــــب
ويغطينا جناح الغســـــــــق
فاذا الدنيا : حبيب وحبيـــــب
واذا الاشجار تولينا الحنـــــان
فتغطينا باوراق الغصـــــون
فاذا العالم سحر وافتتـــــان
واذا الكون : التذاذ وحنيـــــن
حين كان الجدول الساهي الثمل
حولنا يبعث الحان الخــــرير
فيغطي صوته صوت القبـــــل
ويوارى زفرات كالسعيـــــر

●●●

هكذا كنا لصوصا في الغــــرام
حيث يحلو في هوانا الاختـــلاس
نتلاقى ••• تحت استار الظـــلام
نتوارى في سكون واحتـــــراس

ولئن وقفَ الشعراء في حبهم مواقف متباينة لدوافع معروفة ، فان محمـــود بورقيبه انفرد بينهم بشدة حنينه لماضيه ولو كان حاضره ازهى منه واحفل • وذلك ان دل على شيء فانما يدل على انه يحيا ساعات عمره مرتشفا لاطايبها مقتطفا للذاتها • حتى اذا ما انقضت حن اليها وبكاها بمدرار دمعه • وبالغ أساه في لغة مشرقة وديباجة تسيل رقة وعذوبة :

اين مجالينا وصفو الزمـــــان
واين ذا العطف ؟ اين الحنـــان ؟
واين عهد قد رشـــــفنا به
اطايب الساعات مثل الغــــوان
واين ليلات سمرنا بهـــــا •
حتى تقضى الليل • والفجر بـــان
ونحن نعدو في الهوى والرضـــا
ونحن نغدو بالمنى والامـــان
ونقطف اللذات • باكـــــورة
وهاجة بالسحر والافتتـــــان
واها لذاك العهد • كم فيه قد
تاهت بنا الدنيا وغنى الزمـــان


محمود بورقيبة :

والهى عنه • فلم تبـــــق من
ذكراه الا بعض اخبـــار (كان)

●●●

ومما قدمته يتضـــح ان للذكريات نصيبا موفورا فيما نظمه محمود • اذهى سلواه في البعاد • وحليفه في السهاد والملجأ الاحمى الذى يلوذ به كلما ضاقت به دنياه وجرعته كئوسا مفعمة من اشجانها ولاوائها • فيفزع اليها متخذا منها سميرا يناجيه •



وانيسا يغازله ويناغيه· ويبثه مايجيش بخاطره من امال واحـــــلام طالما عاكسته · وجاءته على غير ما يريد ·· فما اريد لها ولا تجهم · بل تلقاها بالايناس والابتسام · ونثر بين يديها لآلئه الفـــريدة وعقوده الغـــالية وخرائده الحسان :

الى ملجئى الاصفى الى اطيب المأوى
الى قلبك الحساس اهرع بالشكوى
الى ذكريات · كلما ريم طيهـــا
ارانا بجو القلب تنثى اذ تطـوى
اليك ·· اليها ·· انني جئت شاكيا
بعادا طويلا · بات يحرمني الغفوا
تحملته حينا من الدهر حالكـــا
الى ان على هذا الحمل اصبحت لااقوى
واني وان كنت المعذب في الهوى
فان الهوى مازال لي الغاية القصوى
واني ·· وان لم اجن ذنبا ولم اذد
غراما فللجانين استمطر العفــوا
وما زلت احيا ضمن ماض رعيته
ففى مهجتى ينمو· ومن انمحى يروى
فلن يستطيع الهجر نثر عقـــوده
ولن يتلاشى زهـــره الغض اويذوى
ومهما قبرت الذكريات وعهـــدها
فان فؤادى فيه مركـزها الاقـــوى

ومن يتملى آثار (ابى جـــــلال) تأخذه الدهشة من قدرته العجيبة على الارتجال في صياغة (غنائية) فتحت له السبل · ليصبح عضدا لـ (كرباكة) في مدرسته الثورية على القـــوالب الغنائية التليدة وقيمهـــا على تراثه ورشحته ليكون ولى عهــــد وحامل الصولجان بعده ·

واذ وصلنا في الحديث عن محمود بورقيبه الى هذا الحد · فاننا نعتبر مقصرين اذا اغفلنا رائعته الخالدة (الغد المجهول) التى ابان فيها عما تكنه نفسه وتحدثه سريرته ··

ووجه الامتاع في (الغد المجهول) يتراءى بالمقارنة بين مواقف الشعراء منه اذ منهم من تصدى له باللـــوم والحذر مما يخبئه ، ومنهم من وقف منه موقف المناقضة والمعاداة ·· اما شاعر الشباب التونسي فقد تلقـــاه بالحيرة الممزوجة بالتساؤل عن كنهه، هل هو تعويض للأمس الدابر ؟ أم شفع له في الارهاق ومصارعة الكوارث مع شبه أمل في السعادة والتعويض عما فات ·· كل هذا يهزج به محمود في نغمة متأوهة ، وقافية حلوة الرنين ·

دنياى ، ماذا غدا يكسو محياك
اعالم ضاحك ، ام عالم بـــاك ؟
ماذا وراءك يا يومى ، وكيف غدى
اناعم الورد ، ام ايلام الشـــواك ؟

***

وانت يا (غدى المجهول) قد تعبت

فى سبر غورك افـــكارى وادراكى
أانت تعويض امس بـــات يرهقنى
ام انت تضحيف ارهاقى وانهـاكى

***

وانت يا من تاه على مخيـــــرة
وطال شوقى لمراك ومغنـــــاك
هل فى مطاوى الغد المجهول من امل
وهل ارى فى محياه محيـــاك

***

ام قـــدر الله ان ابقى ارهد فى
قيثارة البؤس شعرى القانط الباكى
فاقطع العمر فى ياس بلا امـــل
وادفن الورد فى ارماس اشـــواكى

ولكن هل بسم الحظ لشاعرنا ؟ وهل عوضه امسه عن غده خيرا ؟ كلا ، بل ذهبت احلامه ادراج الرياح وسـد عليه الحرمان كل باب طرقه ، وكيف يتاح له العيش الرغيد ، وهناء البال وهو الاديب المرهف الحس الرقيـــق الوجدان ، وما عرف حملة الاقــلام للراحة طعما ولا للسعادة لونا بل يقطعون اعمارهم سهدا وحرمانا ، وصراعا مريرا ، ولا من راحم او شفيق كما عبر عن ذلك فى قوله :

رحمة للاديب ، ما اصلب الد
هر على لطفه وما اقســـاه
هده بالشـــقاء حتى كأن لم
يترك الدهر شقوة لســـواه
اباسته الحياة فى امد الاسعاد
فى الغض من ربيع صـــباه

ليس بين الاديب والدهر ثار
انما ذنبه رقيق حجـــــاه
تتراءى المنى اليه كبدر التم
فى حسنه وفرط ســـناه
فيمد اليمنى اليه ولكن فى ديا
جى الاسى تخيب منـــــاه
يقطع العمر بين بؤس وياس
يالعيش الاديب ما اشـــقاه

ونستطيع ان نستنتج مما تقـــدم البواعث الدافعة لصمود على الصمود فى ميدان الهوى وجريه وراء من يحب لا تلين قناته ولا يكل متنه ولا تخونه قواه ‥ فمن يطق صبرا على بلواء الدهر يتحمل فى التذاذ سهام كيوبيد) وهى تحز جنبيه وتحرم النوم على عينيهالى ان يبلغ مناه وتركع معبودته بين قدميه مستعطفة باكية بعد صـد اليم ونفور قاتل ، وصـــبر يلين له الحديد ‥

اما الحبيبة الاثيرة عنده ، المتحكمة فى فؤاده — وهو لا يهوى الا المعتدة بشخصيتها المدلة بحسنها اللعـــوب بالالباب — فيناجيها :

احبك مزبدة راغبـــــه
احبك جبارة طاغيـــــه
احبك مضنية شـــــافيه
احبك نائحة باكيـــــه
احبك ضاحكة لاهيـــــه
احبك جارحة اســـــيه
احبك مضنية شــــافية



قصة

رستم كيلاني

تنهد تنهيدة عميقة انسابت من فمه حلقات من دخان لفافته ، واعتدل في جلسته ، وقال :

- انت تعرف قصة حبي مع (فؤادة) ..

- بلا شك اعرفها جيدا ... ماذا حدث ؟ هل جد جديد .. ؟

فنظر الى بهدوء ، وقال :

- ابدا ، ولكن ... من ايام وانا يراودني حلم يتكرر على وتيرة واحدة ثم ما يلبث أن يدعني فزعا ، لذا جئت لأقص عليك قصة هذا الحلم الذي بت اخشى معه النوم ، عسى ان تطمئن خاطري وتزيح عني شبح هذا الحلم المخيف ...

فقاطعته قائلا :

- اما زلت تصدق الاحلام ... ان ما تراه في منامك ما هو الا هواجس . وعلى كل حدثني عن حلمك ...

واستأنف حديثه قائلا:

- كان الحلم هكذا كأنني انتظر (فؤادة) في ذلك المكان الذي اعتدت أن التقي فيه دائما معها ، وكان الوقت ليلا ، وكنت انتظرها على شوق ..

ومضت نصف ساعة بعد الموعد المحدد ،

وكنت أتطلع بلهفة الى ساعتي ، وامسح بنظري ارجاء الشارع رغم ظلام الليل الدامس باحثـا عنها ...

ومرت الدقائق في تتابع مرير مثير ، ورحت أسائل نفسي لماذا لم تأت ؟ وشعرت بانقباض شديد حل بي ، وصداع حاد كاد يحطم رأسي ، ودارت بي الافكار كل مدار ..

وفجأة ، ظهرت من بعيد ، تضع على عينيها نظارة سوداء قاتمة ..

وعندما بلغت مكان اللقاء تلفتت يمينا ويسارا ، وكأنها لم ترني ، وشخصت في كل اتجاه بنظرات سريعة ثم أسرعت في خطوات واسعة مبتعدة عن المكان ...

وعندما حاولت ملاحقتها ، أشارت الى (تاكسي) مر بجانبها ...



وبينما هى تحاول أن تختفى داخله ، فتحت حقيبتها عن آخرهـــا وحينئذ تساقطت منهـــا نقود كثيرة ، تبعثـرت على الارض ، فحاولت أن التقطها بأناملى ... فـامتنعت لاننى وجدت النقـــودَ قد تلوثت من مياه قذرة وانبعثت منها رائحة منفرة ...

واحسست باشمئزاز هز كيـانى ، فتراجعت الى الوراء ...

اما هى فشخصــت الى نقـــودها المبعثرة هنا ، وهناك والحـــالة التى هى عليهـــــا ، وانطلقت بها السيارة فى طريقها المرسوم ، وانا اشيعها بنظرات حائرة ، ثم اســـتيقظت بعدها مذعورا ...

وامسك (محسـن) عن الكلام هنيهة ، ثم قال فى ختـــام حديثه ولهجته فيهـــا مرارة واسف :



- وتكـــررت رؤية هذا الحلم عـدة مرات حتى احســـــست انه حقيقة وليس حلما ...

وقلت متسائلا :

- وبماذا تفسر هذا الحلم ؟

فاجاب فى صـــوت متخافت :

- لا اعلم ... لقد فكرت كثيرا فيه ، انه لغز محير ، ولذا فقد جئت اليك لأستمع الى تفسيرك ...

فقلت على الاثر :

- الليـل الدامس ، وارتداء النظارة القاتمة. يعنى انها تطوى اسرارا خلفها ...

اما حقيبتـــــها التى فتحت ، فهـذا يعنى ان سرها قد انكشف ، أو سينكشف ، فالحقيبـــة تعتبر من أسرار المرأة .

هذا هو تفســـيرى لحلمك يا عزيزى . والله اعلم ، وأرجو أن تجعل

منه مصباحا يضيء لك الطريق قبل أن تتورط في السير فيه ...

***

ومضت شهور طويلة. وفي احدى الامسيات التقيت عرضا بصديقي (محسن) زميل دراستي الاولى ،وانا في الطريق الى مكتبي ...

وسألته عن حاله ، وكيف هو ، كما سألته عن فتاته ...

فقال بعد صمت :

ـ لقد انتهت قصة حبي ...

فقلت مبتسما على الفور : :

ـ بلا شك بالزواج !

ولزم الصمت ، فعرتني دهشة ، وتعجلت قائلا وانا ارنو اليه بعد أن رأيت في عينيه ألما ، ويأسا ، وقنوطا :

ـ لماذا هذا الصمت ... هل حدث لها شيء؟

والتفت الي قائلا وقد تغير صوته :

ـ لقد فتحت حقيبتها عن آخرها ...

وسكت عن الكلام بغتة ، ولما طال صمته تساءلت مدهوشا :

ـ ماذا تعني ؟

واطرق لحظة ، ثم رفع رأسه وقال متهدج الصوت، حسير النفس :

ـ أعني أن سرها قد انكشف ، فالحقيبة تعتبر من أسرار المرأة ، اليس هذا تفسيره لحلمي الذي ظل يراودني فترة ؟ ..

قلت له مجيبا في اقتضاب :

ـ نعم ...

ومضى يقول في صوت لا يسمع :

ـ لقد كنت حذرا في كل ما مر بي ، لم اتهور ولم اتزمت ، ولكن كنت اراقب واترصد واجمع المعلومات ، ولم تطل بي الايام حتى عرفت بطريق المصادفة انها على علاقة بصديق قديم سبقته سمعته انه لايترك فريسته الا حطاما ...

ولما واجهتها بما علمت بعلاقتها بهذا الصديق ، لم تنكر صلتها به ، ولم تحاول أن تبرر علاقتها معه ، بل اكتفت باعترافها ..

وكان صدى هذا الاعتراف صفعة على وجهي ، ولذت بالصمت وانا في شبه ذهول لا اكاد أصدق سمعي .

ووقتئذ استشفت في ما يجول بخاطري ، وفهمت انا ما استقر في دخيلة نفسها ، وسقط القناع الذي طالما أحكمته على وجهها طوال فترة تعرفنا ، والتي استغلت به عواطفي أسوا استغلال ، وماتت الروح ، فضاع الحب ، واختفت عني ولم يعد لها ظلال في حياتي ..

المعجم العربي بين الماضي الحاضر

من امهات المعاجم العربية الكبرى واشهرها في القرن الرابع الهجري: الصحاح للجوهري .. والجمهرة لابن دريد .. وتهذيب اللغة للازهري .. والمحيط للصاحب

وفي القرن الخامس الهجري ظهر المحكم والمخصص لابن سيده

وفي القرن السادس ظهر اساس البلاغة للزمخشري ..

وفي القرن الثامن الهجري ظهر المصباح المنير للفيومي ولسان العرب لابن منظور

وفي القرن التاسع الهجري ظهر القاموس المحيط للفيروز ابادي

وفي القرن الثالث عشر ظهر تاج العروس للزبيدي

ويحدثنا التاريخ القديم عن صدور معجمات لاتينيه ويونانية ، ولكنهما لم تبلغ مبلغ المعجمات العربية

وكثير من اللغات الاوربية الكبرى لم يظهر لها معجمات الا في عهد متأخر ، فعلى سبيل المثال لم تظهر اللغة الانجليزية في المعجم الا لخدمة اللاتينية حتى القرن السادس عشر

وفي القرن السابع عشر صدرت معجمات للغات الاوربية الحديثة متطورة في ترتيب موادها وتحديد مدلول الفاظها ، وفي القرن التاسع عشر وضعت معجمات في التاريخ ، والجغرافيا ، والحيوان ، منها معجم « اكاديمية سان بطرسبورج » في اللغة الروسية ، و « ادلونج » في الالمانية ، و « وبستر » في الانجليزية ، و « لاروس » في الفرنسية

وبالرغم من ان المعجمات العربية القديمة تمتاز بغزارة مادتها وسعة اطلاعها، وقيمتها التاريخية العظيمة وما بذل فيها من جهد

تحققت للغة العربية معاجم كثيرة ، توافر على تاليفها نخبة مختارة من البحاث والمفكرين العرب فى العصور المختلفة . وقد افتتح عصر المعجمات الكبرى فى القرن الثانى الهجرى ، العبقــرى الخليل بن احمـد بوضعه « كتاب العين » . ثم توالى المفكرون من بعده يتنافســون فى تاليف المعاجم : فظهر منها الكثير ، وصدرت فى أحجـام مختلفة وفي تبويب متنوع ...

فى شرح الالفاظ الغريبة ـ الا انهـا تحتوى على بعض العيوب المشتركة منها على سبيل المثال اسرافها فى سرد المترادفات وفى بعض معلوماتها خلط وفى تعريفاتهـا غموض ، وبذلك فان كثيرا من هذه المعاجم القديمة لم يعد يفى بحاجات العصر وما تحقق للحياة من تغير وتطور

وفى اخريات القرن الماضى امكن لبعض



اللغويين ان يتداركوا النقص فى هـذه المعاجم بنقدها او بالمـوازنة بينها ، وبالدعوة الى تاليف معجم حديث سهـل موجز فى عباراته

وهكذا اخرجت المطبعة العربية سنة ١٨٦٩ معجما جديدا هو «محيط المحيط» الذى وضعه المعلم بطرس البستـانى فى جزوين ، وهو اول معجم عربى رتب على اوائل الكلمات

وقد وضع المؤلف مختصرا له تسهيلا لطلاب المدارس واطلق عليه «قطر المحيط»

وفى سنة ١٨٠٩ وضع العلامة الشرتونى معجما اطلق عليه « اقرب الموارد فى فصيح العربية والشوارد » ورتبه حسب اوائل الكلمات .

وفى سنة ١٩٠٨ اخــرج الاب لويس معلوف معجما مدرسيا باسم « المنجد » وهو يعتبر الى اليوم خير معجم مدرسى للعربية فى ترتيبه واخراجه ، واول معجم من نوعه يظهر برسوم منتقاة كثيرة

المعجم العربي

غير ان هذه المحاولات على اختلافها لم تستطع أن تسجل شيئا من لغة القرن العشرين ، وما يتخاطب به الناس اليوم من الفاظ العلم والحضارة، وذلك لتأثر واضعي هذه المعاجم بالمعاجم الغربية الحديثة

ان المعجمات اللغوية التي وضعت في منتصف هذا القرن العشرين للميلاد، على عظم الخدمات التي ادتها العربية وطلابها وما زالت تؤديها حتى الآن ، ظلت في الحقيقة عاجزة عن مسايرة النهضة العربية الحديثة وقاصرة عن متابعة التطور الكبير في مختلف العلوم العصرية، اذا ماقورنت بما تنتجه المجامع العلمية في أوربا من موسوعات ضخمة مثل دائرة المعارف البريطانية التي تصدر لها باستمرار ملاحق خاصة جارية تضم الجديد في كل علم وفن ، وكذلك « لاروس » القرن العشرين و « لاروس العام » و « لاروس الطبي والتجاري والزراعي » وغيرها

وبنظرة فاحصة الى تلك الآثار الثقافية الجبارة ذات التنسيق البديع والطبع الانيق وازار المادة العلمية ، يستولي علينا الذهول والاعجاب لهذا التقدم الهائل في خدمة اللغات وابراز كنوز المعرفة والتطور ..

وعيوب البحث في المعاجم العربية على اختلاف انواعها كثيرة اهمها :

١ ـ اذا اراد الباحث في المعجم البحث عن اية لفظة ، فعليه اولا ان يجردها من جميع حروفها الزائدة، فاذا اراد البحث عن لفظة « سكين » فعليه ان يجردها اولا من حروفها الزائدة فيكشف عنها تحت لفظة « سكن »

٢ ـ اذا كان في اللفظة الف لينة فعليه ان يردها الى ياء او واو بحسب أصلها، ويمكن معرفة الاصل بالرجوع الى المصدر، فمثلا اذا اريد الكشف عن لفظة «سائر» من فعل « سار ـ يسير » فمن المصدر نعلم ان اصل هذه الالف ياء ولذلك فاننا نرجع في القاموس الى مادة « سير » وهكذا يتضح ان من يريد البحث عن اي لفظ في المعجم عليه ان يلم بفن الصرف ومعرفة اصل الكلمات وقد لا يكون ذلك متاحا في كل الاحوال

٣ ـ وفي بعض الالفاظ يجب ان نجرد الكلمة اولا من الزيد ثم نرد الالف اللينة الى اصلها . كما في لفظ « تعالى » فاننا بعد تجريدها نصل الى لفظة « علا » ثم نرد الالف الى اصلها فنصل الى اللفظة التي نكشف عليها في المعجم وهي لفظة « علو » ، وقد يكون ذلك الامر يسيرا كما هو واضح في هذا المثل . ولكن الكشف في اي معجم يصعب على غير المتعودين

٤ ـ ان اللغة تتطور كما يتطور كل كائن حي ، ولذلك كانت اللفظة الواحدة قد يتطور معناها بتطور استعمالها ،ولكن العرب قصروا في العصر الاخير عن اثبات هذا التطور رغم كثرته

٥ ـ ان التنظيم وحسن الاخراج غير موجودين في طبعات المعاجم القديمة ، فنحن لا نجد تنظيما دقيقا بحيث تبدأ كل مادة في سطر جديد كما هو الحال في المعاجم الاوربية التي تسهل على الباحث العثور على ما يريد

ومنذ انشاء مجمع اللغة العربية المصري سنة ١٩٣٤ ، نص مرسوم انشائه على ان من اهم اغراضه : « أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية » ، وقد حمل المجمع عبء العمل على سد هذه الثغرة فبادر في اول دورة له بتشكيل « لجنة المعجم » من كبار العرب والمستعربين ، وقامت اللجنة بتحديد خطة المعجم ، ووضعت الخطوط العريضة لما يجب ان يكون عليه المعجم الحديث في القرن العشرين ..

وكان من بين اعضاء « لجنة المعجم »

العلامة الالماني الشهير « فيشر » الذي كرس كل دراساته وبحوثه للمعاجم العربية منذ اواخر القرن الماضي ، وعندما عين عضوا جديدا بمجمع اللغة العربية ، فكر في تكوين معجم تاريخي مستمد من النصوص القديمة يوضح مختلف المعاني ويعرض باختصار لتاريخها وتطورها ، متأثرا بمعجم « اكسفورد » التاريخي ، ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية اوقف تنفيذ المشروع ، وتوفى « فيشر » سنة ١٩٤٩ قبل ان يظهر معجمه ..

وقد بذل مجمع اللغة العربية وقتا وجهدا كبيرين في دراسة مشروع معجم « فيشر » ، ولما لم تأت هذه الجهود بالثمرة المرجوة ، رأى المجمع ان اللغة العربية في حاجة ماسة الى معجم يسجل القديم الموروث من هذه اللغة التي تعتبر بحق اقدم اللغات الحديثة الحية ، ولا ينقل التطور الذي طرأ على حياتها باختلاف الازمنة والعصود ، شأنها في ذلك شأن كل كائن حي يؤثر في الحياة ويتأثر بها ، فاستأنف المجمع جهوده سنة ١٩٤٦ لاخراج معجمه واطلق عليه « المعجم الكبير »

وفي سنة ١٩٥٦ نجح المجمع في انجاز ونشر جزء من هذا المعجم يقع في ٥٠٠ صفحة ، وقد تضمنت مقدمة هذا الجزء تلخيصا للاسس والمبادىء التي قام عليها « المعجم الكبير » جاء فيه : « لم يقف باللغة عند العصر الذي وقف بها عنده القدماء من اواسط القرن الثاني الهجري :

ولم يهمل حساب هذه القرون التي مضت منذ ذلك العصر ، وحساب الاجيال الكثيرة التي تكلمت اللغة العربية ..

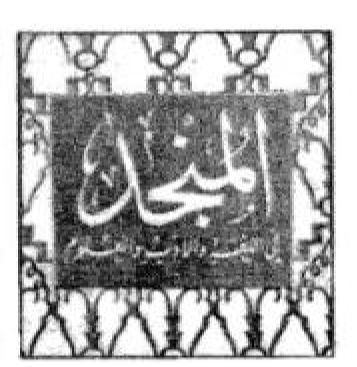
« ولو قد فعل المجمع ما فعل القدماء من اللغويين لقضى على اللغة بانها قد ماتت منذ ذلك العصر ، واصبحت كاللغات القديمة التي ادركها الموت واصبحت تدرس كما تدرس الآثار ، وهذا شيء يأباه المجمع كل الاباء ، ويجب أن يأباه معه كل مخلص للحق والعلم فما دام الناس ينظمون في هذه اللغة شعرهم وينشئون فيها نثرهم ، فهي حية معهم تخضع لكل ما يخضعون له من الوان التطور ، تنبه حين ينبهون وتقوى حين تتاح لهم القوة ، وتضعف حين يقدر لهم الضعف .

« وعلى هذا كله يجب أن يلاحظ حين يوضع معجم جديد للغة العربية فلا يتحرج الذين يعملون فيه من الاستشهاد بالشعر والنثر مهما يكن العصر الذي انشىء فيه ولا يتحرجون من اثبات الفاظ طارئة دعت اليها ضرورات التطور في الحدود التي رسمها المجمع لقبول مثل هذه الالفاظ ... »

وهكذا يجيء المعجم الكبير اجابة عصرية وافية على احتياجات شتى كانت قائمة في نفوس المتطلعين الى معجم عصري دقيق واف يفيد من جهود المعجمات السابقة ، ويتسم بالوضوح والدقة وسهولة الترتيب والتزام الترتيب الحرفي ، وتوضيح النصوص والشواهد ، ويتضمن حصيلة الانجازات التي قام بها المجمع خلال ٢٥ عاما ، تطورت فيها لغة العلم واتسعت مصطلحات الحضارة علميا وفنيا ...

ولم تقف جهود المجمع عند هذا الحد بل تعدته الى اصدار معجم آخر سمي باسم « المعجم الوسيط » اريد به تبسيط مواد اللغة العربية وتقريب منالها وترتيبها على نهج حديث مع ايضاح المعاني والدلالات بالصور والرسوم ، وقد صدر في جزءين كبيرين ويقع في ١٠٨٠ صفحة قسمت المواد فيها الى ثلاثة اعمدة .

وقد بذل المجمع جهدا في صياغته لكثير من مواد المعجم وفق القواعد



المعجم العربي

والقرارات التى اتخذها المجمع فى مجالسه ومؤتمراته العديدة ، وقام بادخال الكثير من مصطلحات العلوم المختلفة ..

وبرغم ما اريد لهذا المعجم من ان يكون لغويا ، لقد أخذ طابعا علميا فى تعريف كثير من المصطلحات واسماء الاعيان ، مما يجعله محاولة لها قيمتها من اجل صنع المعجم الخليق باللغة العربية فى هذا العصر ويعطيه رجحانا على غيره من المعجمات الحديثة التأليف ، غير أن التعريفات التى نقلها هـذا المعجم الوسيط عن المعجمات القديمة ، يغلب عليها البعد من الطابع العلمى الدقيق .

ورغم الجهود المبذولة فى ترتيب مواد المعجم الوسيط والتجديد الذى اتبع فى عرض تلك المواد ، ورغم الحرص الشديد على تسهيل المراجعة فيه ، فقد شابته بعض المآخذ من ناحية فقدان الاصالة من مادة الى مادة أحيانا او نقصها او عدم الدقة فيها أحيانا اخرى

وهنالك نوع اخر من المعجمات عرفته اللغة العربية قديما، ونقصد به المعاجم التى وضعت فى مجالى العلوم والفنون ، نذكر منها على سبيل المثال مفاتيح العلوم للخوارزمى – صدر فى القرن العاشر الميلادى

وفى القرن العشرين ظهرت معجمات اخرى امتازت بالدقة والوضوح والثقة، نذكر منها ذلك المعجم الرائد الذى وضعه الاستاذ محمد شرف سنة ١٩٢٨ ، وهو « معجم انجليزى – عربى فى العلوم الطبية والطبيعية » ، والذى ما زال نموذجا يحتذى فى مجالى الترجمة والتعريب للمصطلحات العلمية ومعها ما يقابلها وتعريفاتها بالعربية .

وهناك معاجم اخرى لا بأس من الاشارة اليها مثل « معجم الحيوان » للمعلوف و « معجم الالفاظ الزراعية » بالفرنسية والعربية للامير مصطفى الشهابى ، و « معجم النبات » لاحمد عيسى .

وقد قام مجمع اللغة العربية المصرى بدور بارز فى مجال التعريب ، اذ خص جانبا كبيرا من نشاطه فى ترجمة المصطلحات العلمية الى اللغة العربية ، وتكونت من اعضائه ومن خبراء متخصصين من خارجه لجان مختلفة لترجمة المصطلحات وتعريفها تعريفا علميا صحيحا ، فهناك لجان لعلوم الاحياء ، والزراعة ، والصيدلة ، والكيمياء ، والرياضيات والطبيعة ، والطب ... الخ . وفى هذا ما ييسر حركة الترجمة العلمية ويكون مادة المعجمات الخاصة فى العلوم والفنون .

يتضح لنا ، من هذه الدراسة السريعة الموجزة ، ان « المعجم العربى » فى العصر الحديث اخذ موقعه بين معاجم الامم الاخرى من حيث مظهره ، ومخبره ومحتواه ... بل أنه ليفوق الكثير من هذه المعاجم ...

ولقد تنادى رجال علماء من اولى العزم والمعرفة لتطوير « المعجم العربى » وتجديده ، وكانت نهضة مباركة جديرة بالتقدير والاعجاب ، تستوجب الفخر والشكر لكل من دعا اليها او عمل فى احد ميادينها – خدمة للغة القرآن ، للعربية : اشرف اللغات ، وتحقيقا لما ينشده المخلصون وصولا « بالمعجم العربى » الى درجات النمو والكمال والتطور ..

● محمد الساكت ●



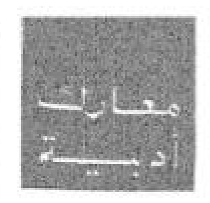
حول كتاب الزجل العربي:

دسيسة بين الأحياء

شغل السيد « رجب محمد رفاعي » صفحتين ثمينتين من صفحات مجلة « الهلال » ، بمقال هاجم فيه كتابي « الزجل العربي ماضيه ، وحاضره ، ومستقبله » · ولعل الكاتب استهواه أن ينشر اسمه في مجلة « الهلال » ·· وما له لا يفعل وهو موقن من أنه اذا سكتنا عن مفترياته خرج منصورا ، واذا الزمناه الحجة خرج مشهورا ·· ولقد كنت في شك من أنه من اقارب حسين مظلوم · ولكني — بعد أن نشر المقال — آمنت بصدقه · وآمنت بأن الاخلاق تورث بين الاسرة الواحدة · كما تورث الملامح والسمات ·

والآن لا بد من أن افند ادعاءات السيد رجب ·

استهل الكاتب حملته بقوله ، انه شعر بمرارة عندما رأى في كتابي خروجا على الرواية التاريخية · الى محاولة لشفاء الغليل والانتقام من رجل اصبح في ذمة الله · وانه شعر



بمرارة أكثر لسوء استغلال صفحات كتاب الشهر الثمينة في أكثر من موضع بأسلوب التفاخر والاعتزاز بالنفس »

ولا شك في ان الكاتب شعر بمرارة، ولكن لاسباب غير التي ذكرها · فهو قد ساءه ان اكشف بالادلة القاطعة ما جاء في كتاب حسين مظلوم من افتراء ، وشعر بمرارة أكثر لانني قلت عن نفسي كلمة حق ، لا للمباهاة ، ولكن للتـــاريخ · حين ذكرت انني حصلت على الجائزة الاولى بين زجالي الاقطار العربية · في مؤتمر الزجل العربي الذى اقيم في لبنان عام ١٩٤٥

·· واعتقـد ان من حقي ، بل من واجبي أن أسجل هذا الحدث التاريخي الذى كان الاول من نوعه بالنسـبة للزجل العربي · ولو فخرت بهــذا العمل الطيب لــا جاوزت حقي ككل انسان يعتز بنجاح أصـــابه لبلده ولنفسه · واذا كان أسلوب التفاخر والاعتزاز بالنفس يثيــر في نفس الكاتب هذه المرارة · فهلا شعر بمثلها وهو يقرأ ٢٠ صفحة في كتاب حسين مظلوم ـــ من صفحة ١٨٩ الى صفحة ٢١٨ ـــ تفيض بالتفاخر والمباهاة والمدح والثناء على نفسه ؟

ويقول السيد رجب دفاعا عن قريبه انني هاجمته بعد موته · وأن مهاجمة الموتى غير جائزة · فهو يرى أن الميت يكسب الميت حصانة تحميه من ان يوجه اليه اى نقد بعد موته ، وهذا معناه أن على المؤرخ أمـــا أن يكتب ويزيف التاريخ حين يكتب عن الموتى · وأما ان يتجاهلهم تجاهلا تاما تحاشيـــا لاتهامه بالهجوم عليهم · وهذا منطق لا يقره العقل ، ولا البحث العلمي ·

ان كتاب الزجل العربي لم يرد فيه اسم حسين مظلوم على الاطلاق · بل وردت فيه حادثة المعركة التي قامت في الثلاثينات بين شيوخ الزجل ، في نادى حماة فن الزجل · فاذا اعتبر السيد رجب مجرد ذكر هذا الحادث هجـــوما على حسين مظلوم ، فهذا اعتراف منه بأن الحادث صحيح · وان قريبه المرحوم حسين مظلوم كان بطل الحادث · وشهود الحادث ما زال بعضهم على قيد الحياة · اذكر منهم الاساتذة عبد الفتاح شلبي «ابو عبده» ومحمد عثمان خليفة « ابن الليل » وعبد الحميد راشد « ابن الشرق » وعبد العزيز سلام « ابو سمية » وانور الملاح وغيرهم ··· بل ان من شهوده احد مؤلفي كتاب تاريخ الادب الشعبي الاستاذ مصطفى الصـــباحي · الذى وقف في هذا الحفل ليقدم الخطباء ، وليهاجم الاغاني الرخيصة التي كان ينظمها بعض شيوخ الزجل في ذلك الوقت · ويستطيع الان ان يكـــذب ما ذكرته اذا شاء ·

والسيد رجب يتهمني بالوقيعة بين الموتى حين قررت أن مظلوما لم يكتب عن بيرم ولا عن بديع خيرى الا بضعة سطور · مع أن هذه حقيقة يشهد بها كتاب مظلوم · فهلا تعد وقيعة بين الاحياء حين يزعم انني هاجمت كتاب الزميل حيرم الغمراوى الذى لم اذكر كتابه على الاطـــلاق لا تصريحا ولا تلميحا ؟ أما ادعاؤه انني ـــ كرئيس لرابطة الزجـــالين ـــ عارضت اقامة

حفل لاحياء ذكرى حسين مظلوم كزجال راحل • فعندى ١٥ شاهدا يشهدون بكذبه • هؤلاء الشهود هم أعضاء مجلس ادارة الرابطة •

ان احياء ذكرى الراحلين من الزجالين مبدأ مقرر فى الرابطة لا يحتاج الى نقاش • ولا يحتاج الا الى تحديد موعد الحفل واعتماد المبلغ المخصص له • فهل لدى الكاتب ما يثبت زعمه •• أو أنه سيكتفى بعبارته التقليدية التى يوردها دائما للايهام والتضليل • وهى قوله « بالدليل القاطع » دون أن يقدم أى دليل ؟ •

ويجترىء السيد رجب فيدعى أننى سرقت أو نقلت صور كتابى عن حسين مظلوم • وهى جراة ما كنت أظن أنه يبلغ منها هذا المدى • لان صور كتاب مظلوم منقولة عن مراجع أخرى من المراجع العديدة التى أخذ عنها ولم يذكر واحدا من أصحابها • فاذا صح أننى نقلت الصور عن كتاب مظلوم فاننى أكون قد سرقتها من رساميها لا من مظلوم • لان مظلوما لم يكن رساما حتى يقال انه صاحب فضل فى ابراز ملامح قدامى الزجالين •

ان مبدأ نقل الصور عن كتب الرسامين السابقين • مبدأ معترف به •• والصور التى تخيلها الرسامون السابقون للغزالى والمتنبى وأبى العلاء وعنترة وأبى زيد • تملأ العديد من الكتب والمجلات • وأنا حين أصدرت كتابى « فكاهات جحا وأبى نواس » نشرت صورتى جحا وأبى نواس كما تخيلهما المرحوم الفنان « رفقى » فى مجلة الفكاهة، ولم يعترض الرسام، ولا اعترضت دار الهلال صاحبة الحق فى الصور •

والكاتب يعتبر دحض ما فى كتاب مظلوم من أكاذيب – دون التعرض لشخصه – هجوما على انسان مات وله حرمته ، ولا يعتبره دفاعا مشروعا عن التاريخ ، وعن انسان حى له كرامته ، فهو يريد أن يفرض على الناس مبدأ خطيرا • مبدأ أن تكون لكذب حرمة لا تمس • وهو المبدأ الدنس الذى تعتنقه اسرائيل ، وتطالب العالم بتطبيقه ، مبدأ تقديس الباطل لانه أصبح أمرا واقعا •

والكاتب يدعو لى بأن ينير الله بصرى وبصيرتى • ومع شكرى له على هذا الدعاء ، أراه أحوج منى الى مثله ، ليلهمه الله أن يجيب بصدق وصراحة عن سؤال واحد يضع حدا لهذه المهاترات ، بماذا يصف كاتبا ينقد كتابا لا وجود له • ويصف ما فيه بالجهل الفاضح قبل أن يكتب منه مؤلفه صفحة واحدة ؟ » •

حسين مظلوم يتحدث عنى فى صفحة ٧٦ من كتابه فيقول ما نصه : « دخل الغرور على نفس صاحبنا حتى اعتقد انه يصلح زعيما حقيقة فوضع كتابا فى أصول الفن دعا الزجالين الى التعلم منه ، وهى جراة تدل على الجهل الفاضح الذى كان دافعا له الى تأسيس رابطة الزجالين •• الخ » •

ان هذا الكتاب لم يصدر حتى اليوم، ولم اكتب منه الا أقل من نصفه • فكيف الهم مظلوم – سامحه الله – علم الغيب فقرأ الكتاب ونقده قبل أن يكتبه مؤلفه ؟

ايها المتحدث عن التاريخ وعن حرمة الموتى وعن الحق ••• أجب • وقل الحق • فان الساكت عن الحق شيطان أخرس •••

● ابو بثينة ●



شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
٢ - وضع المواصفات الشاملة لعمليات التنفيذ .
٣ - تنفيذ المشروع بكامل معداته طبقاً للمواصفات العالمية .
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية



أرأيت صوغ الدر والعقيـــــان
هذا حباب البن فى الفنجـــان
فلك تمثل شمسه ونجـــومه
افلاكنا فى السير والـــدوران
ليلى ، أجيلى الطرف فيه تنظرى
سر الكيان وآية الأزمـــــان
تجدى سموات وسحق عوالــــا
فتانة الابداع والاتقـــــان
منثورة الافراد بل منظـــومة
جمعا بما لا تدرك العينـــان
سيارة بين الجهات حـــوائرا
مرتادة فى البحث كل مكـــان
كل يصبو الى حبيـــب مرتجى
حتى يدانيه فيلتصقـــــان
فيذوب كل منهما فى صنـــوه
وكذاك يحيا بالهوى الصـــنوان
جسمان يفتديان جسما واحـــدا
كتوحد الحبيبين يقترنـــــان
روحان تمتزجان حتى تصبحـــا
شبه الصبا والطيب يمتزجـــان

● خليل مطران ●

الغلاف الأول



الله أكبر والمجد لمصر .. من
الميدان منحة : شوقى مصطفى

الغلاف الأخير

خليل مطران ..
للفنان : جمال قطب




خليل مطران


الهلال

الهلال

ديسمبر ١٩٧٣

مجلة شهرية تصدر
من دار الهلال العدد
الثانى عشر – السنة
الحادية والثمانون –
اول ديسمبر ١٩٧٣ –
٧ ذوالقعدة ١٣٩٢ ..

رئيس مجلس الإدارة
فكرى أباظة

نائب رئيس مجلس الإدارة
صالح جودت

رئيس التحرير
صالح جودت

مدير التحرير
نصرالدين عبداللطيف

المشرف الفنى
جمال قطب

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

الاشتراكات

ثمن العدد ، فى جمهورية مصر العربية ١٢٠ مليما – من الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٥٠ قرشا ، فى الأردن ١٥٠ فلسا – فى العراق ٣٠٠ فلس – فى الكويت ٢٢٥ فلسا – فى السعودية ٢٫٥ ريال سعودى .

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٢٠ قرشا صاغا . فى سائر أنحاء العالم ٦ دولارات أو ٢٫٥ جنيه والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب – القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



في هذا العدد

٤ .. كلمة الهلال

٦ .. د. سيد نوفل : محمد قائدا عسكريا

١٦ . حسن كامل الصيرفي : سبحانك الله « قصيدة »

٢٠ . عبد الحميد جوده السحار : الامام الفارس على بن ابى طالب

٢٨ . عبد المنعم خلاف : خالد بن الوليد سيف الله في معارك الفتح

٣٦ . انوار حنا سعد : بدرالجديدة «قصيدة»

٣٨ . د . احمد الشرباصي : عمرو بن العاص قائد حالفه النصر

٤٦ . د . احمد كمال زكي : قتيباشيداوقائدا

٥٦ . محمود المتريس : حرب السلام«قصيدة»

٥٨ . محمد عبد الغني حسن : بطل من بني ثقيف فاتح السند محمد بن القاسم الثقفي

٦٦ . د . محمد ابو الانوار : حنظلة بن ثعلبة بطل يوم ذي قار

٧٦ . د . محمد احمد خلف الله : ادب النصر

٨٤ . د . عبد الرحمن زكي : قاهرو الصليبيين

٩٦ . د . حسين نصار : « قطز السلطان عين جالوت

١٠٦ رحلة الشهر

١١٤ د . ابراهيم مدكور : طه حسين ومشكلة النحو

١٢٠ عبد العليم القباني : طه حسين شاعرا

١٢٨ على الجمبلاطي : قصيدة لها قصة

١٣٢ محمد محمود رضوان : ليالي شاعر الكرنك

١٣٦ معارك ادبية : كلمة اخيرة الى شاعرتنا الرقيقة

١٤٢ نجيبة العسال : ابنة طيبة « قصة »

د. ابراهيم مدكور



د. سيد نوفل



الشاعر احمد فتحي



بسم الله الرحمن الرحيم





الهلال

جند الله

الله اكبر ..

هكذا كان النداء الاكبر الذى اقتحموا به النار وهدموا الطاغوت وهزموا العدوان

وسمعت منهم وعنهم عشرات القصص..

سمعت قصة ذلك البطل الذى كان اول من عبر القناة ووضع قدميه على الشاطىء الاخر وهو يصيح : الله اكبر

وسمعت قصة ذلك البطل الذى كان اول من ارسى علم مصر على رمال الشاطىء الاخر وهو يصيح : الله اكبر

وسمعت قصة ذلك البطل الذى اوشك مدفع للعدو ان ينطلق صوب زملائه ، فالقى بنفسه على فوهة المدفع ليتحول الى اشلاء تفتدى زملاءه .. وهو يصيح : الله اكبر

وسمعت قصة ذلك البطل الذى حزم خاصرته بحزام ناسف والقى بنفسه تحت دبابة للاعداء مقبلة صوب زملائه ، فنسفها بمن فيها .. وهو يصيح : الله اكبر

وسمعت من فم احد هؤلاء الابطال انه كان وحده فى موقع ، وتعرض موقعه للهجوم ، فاذا هو يرى حوله عشرات من جند الله يحاربون معه ، ويصدون هجوم اعدائه

وحين انجلى الموقف ، وجد نفسه مرة ثانية وحده ، فراح يصيح : الله اكبر

وسمعت من الكثيرين منهم كيف كانوا يسمعون هذه الصيحة « الله اكبر » .. ترددها جبال سيناء ووديانها ، وكيف كانوا يرون غمام السماء يرسم لهم كلمتى : الله اكبر

ذلك ان هؤلاء الرجال خرجوا الى الجهاد مؤمنين بدعوة رجل دعاهم اول ما دعاهم ، الى الايمان



الرئيس محمد انور السادات : جنود الله فى معركة النصر

انه جنـدى من جند الله : محمـد انور السادات : جنـدى من جنـد الله ، حفظ القرآن طفـلا فى قريته « ميت ابو الكوم » فرسب الايمان فى اعماقه طول حياته

وحكم ، فاتقى الله فى وطنه ومواطنيـه واقام القسط ، وجمع كلمة العرب والمسلمين على امر سواء ، وقادهم الى معركة النصر

تحية لك ايها البطل الذى استعان بالله ؛ وتدرع بالصمت والصبر ، واحتمل مـرارة الكاشحين ، وحقق رجاء الآملين وكان حقـا على الله نصر المؤمنين

● صالح جودت ●

د. سيد نوفل



قائداً عسكرياً

" كانت الحروب ، ولا تزال ، هى التى تصنع التاريخ البشرى ، وتوجه حركاته الكبرى ، وتفتح مع الاراضى والبلدان آفاقا جديدة للحضارة والعلم ، وينفسح فى ساحاتها الضمير البشرى فى مسيرته الذاتية نحو الكمال وبهذا تنقل الحروب الامم والشعوب نقلات واسعة المدى ، وتبدل احوالهم تبديلا ، رغم ما يصاحبها من ويلات الفناء والدمار ... وهكذا كانت تضحيات بنى الانسان بانفسهم وما ملكت ايديهم ، من الدعامات لتطور البشرية وتقدم الحياة الانسانية ...

ومن اجل ذلك ، يظل اعلام الحروب هم اعلام التاريخ ، وصانعى حقباته وتحولاته . وتظل اسماء مثل تحتمس الثالث ، واسكندر الاكبر ، ويوليوس قيصر ، وشارل مارتل ، وكرومويل ، وفردريك الاكبر وجورج واشنطون ، ونابليون بونابرت ، وايزنهاور ، ومونتجومرى ــ تظل هذه الاسماء الكبار ، وغيرها من مثلها ، اعلاما نيرة فى مسارات التاريخ ، وحركاته الدائبة المتصلة على الزمان ... "

● قيادة محمد العسكرية ، بما يدعمها من قياداته السياسية والاجتماعية ، والفكرية كانت الدعامة الصلبة لنصر الدعوة الاسلامية واعلاء كلمتها الى يوم الدين ، وما احدثته من تحولات كبرى فى سبيل الانسانية ومناهج الحياة وطرائقها ...

وعلى قيادة محمد العسكرية ، تخرج أبطال الاسلام الذين رفعوا قواعده شامخة ، وصدوا عنه العوادى ، وسجلوا انتصاراته الكبرى ، ودونوا صفحات تاريخه الذهبية ... والتاريخ يذكر ، وسيظل يذكر ، مع البعث الثانى للاسلام وحروب الردة واليرموك ، خالد بن الوليد ... ومع الشام اسامة بن زيد وأبا عبيدة بن الجراح ... ومع القادسية سعد بن ابى وقاص ... ومع العراق المثنى بن حارثة ... ومع مصر عمرو بن العاص... ومع الشمال الافريقى والمغرب والاندلس وفرنسا عبد الله بن الزبير ، وعقبة بن نافع ، وموسى بن نصير ، وطارق بن زياد وعبد الرحمن الداخل ... ومع ما وراء النهر وفارس والشرق الاقصى قتيبة ابن مسلم ... ومع الهند محمود الغزنوى ... ومع حطين خاصة وفلسطين عامة، صلاح الدين الايوبى،

● مواهب القائد المظفر ●

وليس من شك أن المبادىء الحربية يسيرة الفهم نظريا وعمليا، ولكنها صعبة المراس عمليا وتطبيقيا ... ولا تتهيأ مواجهة أى من هذه أو تلك والتغلب عليها الا للقادة العظام ، الذين توفرت لهم مواهب وملكات ممتازة ، قل أن تتوفر لغيرهم من خاصة الزعماء وأولى الرأى والعزم ...

وفى مقدمة مواهب القائد العسكرى الناجح ، الشجاعة والاقدام ، مع الذكاء وبعد النظر ... ولا بد لهذا القائد من فقه الطبيعة البشرية ، ومتانة الخلق التى لا ترضى عن الحزم والقطع بديلا ، وقوة التأثير ونفاذ الشخصية ، والوطنية والتجرد من الحمد والمطامع الشخصية ، وألف الناس وإيلافهم اياه ...

والقائد ، مع الاستعداد الذاتى المتمثل فى هذه السجايا السامية ، لامناص له كذلك من مواهب مكتسبة فى مقدمتها العلم والتجربة ، والمقدرة على التنظيم ، والمعرفة بحسن الادارة .

ولقد بلغ محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، أقصى مبلغ من هذه المواهب والملكات الذاتية والمكتسبة ، واكتملت له صفات القائد العسكرى اتم اكتمال .. فهو على خلق عظيم وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ، واكتسب من الصبر والجلد ما جعله



يحتمل من المتاعب والمحن ما لاطاقة لبشر به ، وكان بحق خير اسوة للصفوة الممتازة في جميع الاقطار والازمان ...

وليس من اليسير الالمام بجوانب العظمة في القيادة العسكرية لمحمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولكننا نشير الى طرف منها ..

● الوسائل السلمية ●

امتدت دعوة الرسول لدين الله ثلاثة وعشرين عاما خالدة في عمر الزمان ، امضى منها ثلاثة عشر عاما حسوما بمكة ، يدعو الى الدين الحنيف بالحسنى ، ويحتمل الوان العذاب والبغي والعدوان ، تنزل به وبصحابته الاولين ، وتتصاعد الى فرض الحصار على المسلمين ، ومقاطعتهم بعد نهب اموالهم وممتلكاتهم .

واذا اشتد عدوان المشركين على المسلمين ، هاجر بعضهم الى الحبشة نجاة بانفسهم وانتصارا لدينهم ... واذا بلغ العدوان اقصى مبلغ ، وحاق المشركون بعزل الرسول توثبا للفتك به — بعد ان اعيتهم وسائل الحجة والبرهان — لم يدفع الرسول العدوان بالقتال قبل اكتمال الاعداد له ، وانما دفعه بعمل سلمي ، مهد السبيل لاعظم فتوحات الاسلام وانتصاراته ، وكانت الهجرة الى يثرب عاصمة الاسلام طوال عهد الرسول ، ومثواه بعد اختياره الرفيق الاعلى .

وظل الرسول بعد هجرته عاما كاملا ياخذ بالوسائل السلمية وحدها لنشر دعوة الاسلام ، حتى كانت الموقعة الاولى ... وكانت الحروب المحمدية على امتداد تسعة اعوام فقط ابتداء من موقعة بدر في السنة الثانية للهجرة النبوية ، الى غزوة تبوك في السنة العاشرة لها ... وكانت جميع تلك الغزوات دفاعية ضد اعمال عدوانية ، وحماية لحرية العقيدة وكرامة الانسان .

وهكذا .. طور الاسلام ورسوله فكرة الحرب في عالم وعصر سادتهما سياسة القوة والطغيان على يد فارس والروم ، وفي بيئة عربية جاهلية استباحت قبائلها الغزو على بعضها البعض للثار والغنيمة ...

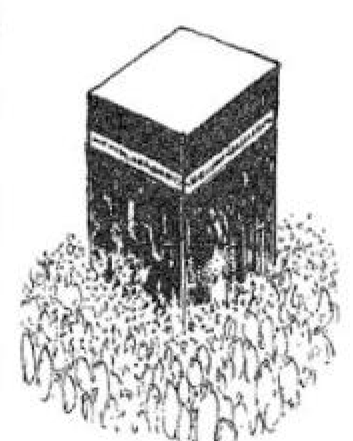
فالدين الاسلامي يدعو الى كفالة حرية العقيدة ، وينهى عن الاكراه في الدين لان سبيل الرشد بين ، وسبيل الغي بين ، ولان العقيدة قوامها الاقناع والحرية ... ولولا تدخل قوى الشرك العدوانية ضد الدعوة الاسلامية لما بقي للشرك اثر في شبه جزيرة العرب بعد السنوات الاولى لرسالة محمد . وذلك تفسير قوله الله سبحانه وتعالى : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .

والاسلام لذلك صريح في النهي عن الحرب العدوانية ، فيقول القرآن

الكريم : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ... »

وهذا المبدأ الاسلامي السامي : القتال للحرية ، والتصدي للعدوان، قد يسر للقيادة المحمدية العسكرية اسباب التفوق والنصر ... فالعدو يحارب عنتا وبغيا ، والمؤمن يحارب حرية وعدلا ... وشتان بين الدافعين : دافع البغي ودافع العدل، وشتان بين القوتين : قوة الحرية وقوة العنت ، ان صح للعنت ان يكون قوة ، وهو في الواقع اسفل مهاوي الضعف .

ولهذا كان أول اعلان للمسلمين بالحرب ، بعد اربعة عشر عاما من التحمل والاعداد ، هو اعلان الحرب الدفاعية عن دين الله وحرية العقيدة والكرامة الانسانية . فقال تعالى مؤكدا النصر لعباده المؤمنين الصابرين المقاومين للبغي والعدوان: « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا . ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ... »



● الوسائل الاقتصادية والسياسية ●

والحديث المعاصر عن ان الحرب ليست الوسائل العسكرية وحدها ، وان المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية متضامنة متكاملة في كسب معاركها ــ هذا الحديث كان لقيادة محمد العسكرية معرفة به ، وحسن استخدام لأدواته جميعا ...

فبعد هجرة الرسول الى المدينة ، واطمئنانه الى الوسائل المهيأة لانشاء جيش قوى من المهاجرين والانصار ، فكر في الحرب الاقتصادية ضد قريش ، والتي ناصبت محمدا واصحابه العداوة والبغضاء ، واصرت على اطفاء نور الله ، جاهلة ان الله متم نوره ولو كره المشركون.

وكانت مكانة قريش الاقتصادية ، وتجارتها المؤمنة مع الشام واليمن صيفا وشتاء ، من أسباب قوتها بين العرب ، وكان الاضرار بها عاملا فعالا في اضعافها ...

لذلك عمل رسول الله على الاضرار بقريش اقتصاديا ، وتعرض لتجارتها المربحة وقوافلها التي تسلك السبيل الى الشام حينذاك جيئة وذهابا ... وقاد محمد صلوات

الله وسلامه عليه ، الهجوم على ثلاث قوافل قريشية .

فكان اول لواء عقده رسول الله للمحاربين المسلمين لواء حمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان في السنة الاولى للهجرة . اذ بعثه في ثلاثين رجلا من المسلمين المهاجرين، يعترض عيرا لقريش جاءت من الشام بقيادة ابي جهل في ثلاثمائة رجل، وكان هذا بمثابة انذار لاقتصاد قريش ، اذ واجه المسلمون المشركين وهددوهم ، وان لم يقتتلوا ...

وفي الشهر التالي بعث الرسول سرية اخرى من ستين مسلما بقيادة الحارث بن عبد المطلب ، حيث لقيت قافلة ابي سفيان ، ودار بينهما اشتباك وتبادلوا الرمي بالسهام وان لم يقتتلوا ...

وفي ذي القعدة من السنة الاولى للهجرة بعث رسول الله سعد بن ابي وقاص في سرية الى اطراف الحجاز لاعتراض عير لقريش . ولكن السرية وصلت الى المكان المحدد لها بعد فوات العير له ... وبهذا لم يتحقق قتال بين المسلمين والمشركين ، وان اهتزت مكانة قريش الاقتصادية بالاخطار القائمة والمتصاعدة امامها

وفي السنة الثانية للهجرة وقبل غزوة بدر الكبرى ، قاد رسول الله نفسه غزوات الابواء وبواط والعشيرة لاعتراض تجارة قريش ، وتهديد سبيلها ... وعاد من كل غزوة بتحالف مع بعض القبائل العربية يقوي الموقف السياسي والعسكري للمسلمين . ويحقق استخدام العامل السياسي الى جانب العامل الاقتصادي في دعم القوة الاسلامية والتمهيد لحرب الاسلام وانتصاراته ...

وفي مجال العمل السياسي ، ظل رسول الله ثمانية اشهر اثر هجرته، يعمل لمعاهدة المشركين والتحالف معهم ، ومع اليهود من اهل المدينة، على قواعد للتعايش السلمي ، تكفل للمسلمين الامن في ديارهم حين يخوضون حربا لا مناص منها ضد المشركين المكيين ، الذين يمثلون القوة العربية الاولى ، والخطر الاكبر على الاسلام والمسلمين .

ويتصل بهذا عمل الرسول الدائب لكسب العرب في جميع ارجاء شبه الجزيرة ، او اتقاء شرهم على الاقل، وارساله البعوث الى القبائل المختلفة ، وملاقاة القريب منها في دياره ، بل ارساله كذلك البعوث الى قادة الشعوب البارزة في ذلك الزمان، مثل الروم والفرس والمصريين والاحباش .

وان غزوة بدر الكبرى ، التي تمثل فاتحة الانتصارات الاسلامية الحاسمة، كانت في اساسها ذات طبيعة اقتصادية سياسية ، قصد بها الاضرار باقتصاد قريش ، وسمعة

محمد

امنها وسيطرتها على التجارة العربية، والاجنبية المارة ببلاد العرب ·

فقد علم الرسـول ، فى السنة الثانية للهجرة ، ان ابا سفيان عدو الاسـلام اللدود يقود فرقة من الفرسان لحماية قافلة تجارية كبرى من الف بعير ، قادمة من الشـام بالوان التجارة ومتجهـة الى مكة ، ودبر محمد وعزم على مهاجمة القافلة عند مرورها بين سلسلتين من جبال البحر الاحمر قرب مكة ···

وخرج الرسول فى ثلاثمائة واربعة عشر مسـلما من المهاجرين والاوس والخزرج ، وليس معهم سوى جوادين وسبعين من الابل يتناوبون ركوبها · وحين علم أبو سفيان بخروج الرسول وصحبه للهجوم على قافلته ، ارسل مسـتنجدا ، فانجدته قريش بحملة كبيرة تضم مائة جواد وسبعمائة من الابل بقيادة ابى جهل ···

واعجبت المشركين كثـرتهم ، وايقنوا انهم غالبون المسـلمين لا ريب ··· وكانت المعجزة والنصر الاكبر للاسـلام ، وتمكين الارادة الاسـلامية ، وتمهيد الطريق لفتح مكة ، وما تلاه من اعـلاء كلمة الاسلام والحرية والعدل فى شبه الجزيرة وارجاء المعمورة لذلك الزمان،

● الايمان دعامة النصر ●

ولقد سبق الاسلام ورسوله العظيم فى العناية بالعـامل النفسى المعنوى للجندى ، واتخاذ الايمان بالهـدف والاقتناع بسـلامة الوسيلة أمضى سلاح فى الحرب ، واقوى العوامل فى النصر ···

ففى العصر الذى سـادته معانى البغى والعدوان ، وكانت الحـرب للغنيمة والاستعلاء ، طور الاسـلام فكرة الحرب ، وسـما بها الى أعلى درجات السمو ، وجعلها لله ولدينه الحق وحـده · ولم يكن بد من أن يكون جنود الدعوة الجديدة الخالدة هم المؤمنون بالله ورسـالته ، الصادقون فى ايمانهم ···

وقد التزم الرسـول القائد بذلك المبدأ فى جميع غزواته · ففى غزوة بدر الكبرى ، أول الانتصـارات الاسـلامية وابعدها اثرا ، حاول جماعة من غير المسلمين ان ينضموا الى البدريين المسـلمين طمعا فى الغنيمة على مألوف الحروب الجاهلية ··· وكانت عوامل الاغراء بقبولهم ظاهرة لقلة عدد المسلمين المجهزين للقتال ، وكثرة عدد المشركين ، وميل بعض المسـلمين الى قبـولهم ، ما دامـت القيادات للمسـلمين ، والقيادة العليا لرسول الله الامين ·

ولكن رسول الله ابى قبولهم الا ان يسـلموا ، مؤكدا ان الحرب فى سـبيل الله لا يسهم فيها الا من امن بالله ورسالته ···

وفى غزوة احد ، ومحمد قائدها ايضـا ، كان المسلمون مسـتماتة يحاربون لاعلاء كلمة الله الحق ، وكان المشركون ثلاثة الاف يتميزون غيظا وحنقا ، وطلبا للثار مما نزل بهم فى بدر ··· وبصر الرسول ، فى طريقه بالقلة المؤمنة للاقاة الكثرة

المشركة ، بكتيبة مستكملة لأدوات القتال لا يعرف هويتها . وسأل الرسول عنها ، فأجيب بأنها من

حلفاء عبد الله بن أبى الزعيم اليهودى فى مكة ، والذى حالفه رسول الله من قبل ذلك مع من

حالف من اليهود والمشركين . وأضافوا أن هذه الكتيبة ترغب فى القتال مع المسلمين ضد القرشيين

... وظهر الميل من بعض القادة المسلمين للاستعانة بهم ، ولكن رسول الله رفض فى قطع وحزم ،

قائلا : « لا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك ما لم يسلموا » .

● تثبيت ارادة القتال ●

ومن شأن الايمان تثبيت ارادة القتال فى الجندى ، واندفاعه فى سبيل التضحية والفداء حتى النصر ،

واستهانته بالموت كى توهب له ولكلمة الله والحق الحياة ... ؟

وهذا التثبيت كان الرسول القائد يحرص كل الحرص على التأكد منه قبل ان يخوض المؤمنون غمار حروبهم .

ففى غزوة بدر اخذ يستوثق مستطلعا آراء أصحاب الرايات . واجابه أصحاب الرايات من

المهاجرين مؤكدين تمام اقبالهم على القتال ، وعزمهم الصادق على تحمل اعبائه وتضحياته .... ولكن القلق

اعترى الرسول حين لم يتحدث احد من الانصار ، فالتفت الى صاحب رايتهم طالبا رأيه ، ومستوثقا من عزم أهله .. فأجابه سعد بن معاذ ،



فى ايمان وارادة صادقين ، قائلا : « لقد امنا بك وصدقناك . وشهدنا ان ما جئت به هو الحق . واعطيناك

لذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض لما أردت فنحن معك . فوالذى بعثك لو استعرضت بنا

البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ... اننا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ،

فسر بنا على بركة الله »

وحينئذ تأكدت ثقة رسول الله فى ايمان الانصار وارادة جميع الجند المؤمنين فى القتال ، فأشرق وجهه

بالمسرة ، وازداد ايمانا بنصر الله للمؤمنين ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : « سيروا وابشروا ، والله

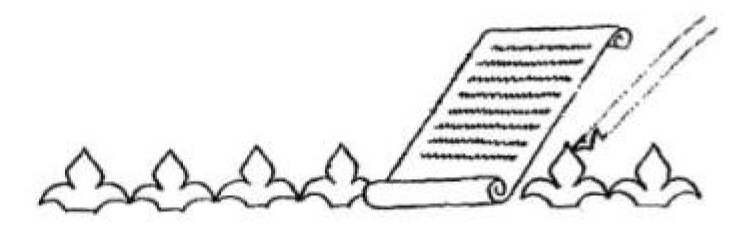
لكأنى الآن انظر الى مصارع القوم »

وفى سبيل التثبيت لارادة القتال ، نزل الكثير من آيات القرآن الكريم ، مؤكدا الجنة وعظيم الثواب

للشهداء ، وان المؤمنين المجاهدين يشترون الباقية بالفانية . فقال تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين

أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »

وقال : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة .



ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ٠ »

وروى عن الرســـول الكثير من الاحاديث في الدعوة الى الجهاد ، واستبعاد القاعدين عنه مع المقــدرة من عداد المؤمنين ٠ ومن ذلك قوله : « جاهــدوا المشركين باموالكـــم وانفسكم ٠ »

وقوله : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق ٠ »

وقوله : « اعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ٠ »

وقوله : « من قتل في سبيل الله فهو شهيد »

وكان رســـول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يبايع أصــحابه في الحرب على الا يفــروا ، بل كان يبايعهم احيــانا على الجهاد حتى الموت أو النصر ٠٠٠

● الممارسة الرائعة للقيادة ●

ومثلما سما رسول الله بفكــرة الحرب ، وجعلها خالصة لله ولدينه الحنيف ، فقد بلغت ممارسته لاعمال القيادة العسكرية أسمى درجات الكمال

ولم يكن عجبــا لذلك أن يكسب المسلمون جميع المواقع الحــربية التي خاضوها على طول السنوات التسع التي توجت عهد الرسالة المحمدية ٠٠ واذا شــابها القليـــل من المواقف الانهزامية ، فانه لم يكن ســـوى امتحان من الله يسدد به خطا المؤمنين حين يبعدون عن الهدف قليلا، فيشغلون مثلا بجمع الغنائم ، او يغفلون عن التنفيذ التام لتعاليم الرســـول ٠ فيمتحنهم الله ببعض التضحيات حتى تنصهر نفوســـهم ، وتتخلص من الشوائب ٠ وحينئذ يجمعون صفوفهم، ويســتعيدون قواهم ، ويمضون في سبيلهم الى النصر الاكبر الذي وعد الله به عباده المؤمنين المجـــاهدين الصابرين ٠٠٠

وكانت ممارسة محمد رسول الله للقيـــادة العسكرية أروع أنواع الممارسة البشرية ، اكمل الله على رسوله مقوماتها ، وأيده بروح من عنده ، وسدد خطاه بارشاده ووحيه

وكانت اول خطوات الممارسة الحشد الفكري الروحي ، تولاه القرآن بمحكم اياته ، والسنة بأسمى احاديثها ٠٠

واتصل بها طول المعاناة والصبر على الشدائد ، واستنفاد جميـــع الوسائل الســلمية مع المشركين في

دعوتهم الى الله ، وفى العمل لكف اذاهم عن المسلمين ، وعدم التصدى لحقوقهم الانسانية الطبيعية فى حرية العقيدة والرأى ...

وحين اكتملت هذه المقومات للفكر والارادة ، أخذ الرسول يعد للحرب عدتها ، ويكتمل خططها من استطلاع أحوال العدو الاجتماعية والسياسية ، وعدته للحرب ، وخداعه عن المعرفة بقوة المسلمين وخططهم ومسالكهم ، وسير المسلمين فى طرق أبعد ما تكون عن فكر العدو ، ودعم وحدة المؤمنين، والسعى لتفريق كلمة المشركين وأعداء الدين ..

وكان من المبادىء الاساسية فى قيادة الرسول الاعظم مداهمة الخطر فى موطنه ، ومحاربة الاعداء فى ديارهم . فمع الحرص على أن تكون مكاسب الدعوة سلمية ، وعدم تحميل المسلمين مشقة حرب يمكن تلافيها ، فان الرسول كان اذا استيقن من التدابير العدوانية لاعداء الدين ، واجهها فى قوة وتصميم ، وهاجمها قبل أن تهاجمه ، ولا يقبل فى ذلك عذرا مهما بعدت الشقة ، أو قست الظروف .

وجميع سرايا الرسول وغزواته تؤكد هذا المبدأ الاساسى فى قيادة الرسول العربى . ولعل غزوة تبوك أوضحها دلالة فى هذا المجال .. فحين ساد الاسلام شبه جزيرة العرب، وعلا صوته خارجه ، وهدد سلطان الروم ، أخذ الروم يجهزون الجيوش لغزو بلاد العرب من الشمال ، طمعا فى أن يحجبوا نور الله عن كشف طغيانهم والقضاء عليه ... وجاءت الانباء الرسول ، واستوثق من صحتها .. وكان الصيف شديد الحرارة ، والقيظ لافحا ، والطريق نائيا من المدينة الى الشام ، وقوة الروم وجيوشهم الجرارة التى غلبت فارس على أمرها تسير بين العرب أحاديثها ...

وتردد الكثيرون من أهل الرأى فى المسلمين . ولكن الرسول القائد أمر على الغزو ، ومداهمة الخطر قبل أن يدهمه ... وأيده الله سبحانه بوحى من عنده ، فقضى على جميع أسباب





التردد .. وقاد الرسول الجيش بنفسه نحـــو بلاد الروم حتى بلغ تبوك ، واستخدم صلوات الله وسلامه عليه فى مسيرته جميع وســـائل الانذار والارهاب للجيوش الزاحفة للعدوان .. حينئذ انسحبت جنود الروم التى وجهت الى غزو الشمال العـــربي ، ونكصت على أعقابها حين استيقظت من هزيمتها .. واعتـــزت الدعوة الاسلامية بمسلمين جدد كثيرين، سعوا الى الاسلام الوفا مؤلفة من نحـــو خمسين قبيلة وبطنا ، حتى خلصت شبه الجزيرة للاسلام ، وارتفعت فى ارجائها جميعا اعلام الدين الحنيف .

وهكذا عرف الرسول قيمة الاسوة الحسنة من القائد للجند ، والمشاركة التامة لهم فى أشد المواقف ، واضيق الازمات .

فكان صلى الله عليه وسلم ، يقود المعارك بنفسه فى بدر واحد وتبوك وغيرها ، بل كان يقود السرايا التى تتعرض لتجارة قريش أو تستطلع أخبار الاعداء ، ويحفر الخندق بيديه مع الحافرين ، ويتعرض لاخطار القتال مع سائر المقاتلين بل أشد منهم .. ويضرب بذلك أحسن الاسوة ، ويزيد المسلمين قوة وعزما .

وكانت المشورة دينه فى الاقدام على القتال ، وفى ترتيب مواقع المعارك ووظائف المقاتلين ، حرصا على أن يشعر كل مقاتل بأنه صـــاحب رأى ومسئولية وواجب .

فاذا انتهت المشورة الى رأى حرص على أن يلتزم هو وكل جندى به أتم الالتزام ، وأن ينفذه فى دقة لا ثغرة ولا تفريط فيها .

وكانت السماحة من السمات البارزة فى قيادة محمد الحربية ، وكانت فى مقدمة العوامل التى اسقطت محاولات الزعماء الجاهليين لاثارة روح البغضاء والنقمة على محمد ودعوته السمحاء .

وهكذا كان الرسول القائد يبغض أشد البغض التمثيل بقتلى الاعداء ، وان مثلوا بقتلى المسلمين . ففى أحد حين جاءت أنبـــاء مختلفة الى قريش بأن محمدا قد مات وظنـــوا بالاسلام الظنون ، هاجت ضـــغائنهم الجاهلية ، وأخـــذوا يمثلون بقتلى المسلمين .. وانطلقت هند بنت عتبة، زوجة أبى سفيان مع نسوة المشركين يجدعن آذان القتـــلى من المسلمين وأنوفهم ويتخذون منها أقراطا وقلائد ... بل بقرت هند بطن حمزة عم النبى وصفيه ، وأخـــرجت كبـده وأخـذت تأكلها .. ورغم ذلك فقد نهى الرسول عن المثلة ، ونزل القرآن مؤيدا نهيه ، والتزم المسلمون سماحة الاسلام ، وسموه دينا للبشرية الصالحة جمعاء الى يوم الدين ...

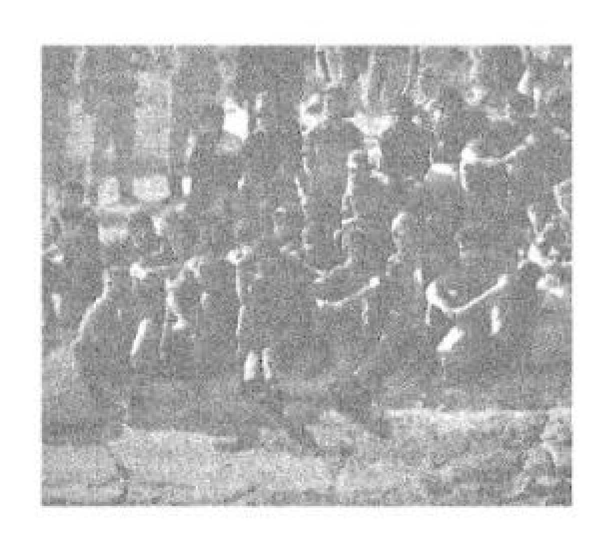
وبالحق والعلم والايمان ، انتصرت قيادة محمد وأصحابه والتـــابعين ، وارتفعت فى الدنيا أعلام الحـــرية والعدل والسلام .

وبالحق والعلم والايمان ، كسبنا الجولة الاولى فى الصراع العـــربى الاسرائيلى الرابع ، وخالص الدعاء أن يؤيدنا الله بروح من عنده وأن يتم علينا أسباب النصر اعلاء لكلمة الحق ، ودعما للسلام الدولى العادل



●● وحي مشهد من مشاهد الاسرى الاسرائيليين وقد نكس بعضهم رءوسهم خزيا بعد صلف وغرور ، وران على بعضهم الآخر سهوم ووجوم ●●

سبحانك اللهُ يا مُعِزُّ
سبحانك اللهُ يا مُذِلُّ
أهؤلاء الذين تاهوا
ببغيهم — حقبةً — ودلّوا
أهؤلاء الذين عاثوا
في أرض سيناءَ واستغلوا
أهؤلاء الذين داسوا
على القداسات واستحلّوا
أهؤلاء الذين غالوا
في ظلمهم، والقصاص عدلُ



هاماتهم تنكَّستْ وتعلو
وجوهَهُم حَيْرةٌ وذُلُّ ؟

***

سبحانك اللهُ يا مُعِزُّ
سبحانك اللهُ يا مُذِلُّ
أهؤلاء الذين كانوا
بدولة الباطل استقلُّوا
وأخرجوا العُرْبَ من ديارٍ
همْ صِحابٌ لها وأهْلُ
وشرَّدُوهمْ ، وجرَّدوهم
من كل شيءٍ لهم يَحِلُّ ؟
وهمْ نفاياتُ كلِّ شعبٍ
وكم أساءُوا ، وكم أضلُّوا

عاشوا جواسيسَ في شعوبٍ
آوتهم .. والجَسيس نَذْلْ

كلُّ الخسَاساتِ ، في هواهم
للمــال ، تَحْلو وتستَحلُّ

البَغْيُ في الأرض حيث حلّوا
وحيث جاســوا فثمَّ ثكلُ

وحيث كانوا فلا ســـلامٌ
وعهدهم باطلٌ وختــــلُ

وشَرْعُ ساساتهم : فسوقٌ
وسَلْبُ جيرانهم ، وقتــلُ

***

سبحانك الله يا معـــزُّ
سبحانك الله يا مــذِلُّ

أهـــؤلاء الذين قالوا :
سيخضعُ الدهـرُ أو يَذِلُّ

خريطــة الأرض في رؤاهم
تقسيمها زائفٌ وبُطــــلُ

ومُلكهم واسعٌ عـــريضٌ
بأبعد الأفــقِ يَستَظِلُّ

تَوَهُّمٌ ساقهُ خَبالٌ ...
وكم يسوقُ الضلالَ خَبْلُ

أهلُ الرِّبا الفاحشِ استناموا
إلى حسابٍ بدا يُخِـــلُّ

أحلامُهم بُدِّدت ، وطاشت
حُلومهم ... والغرورجَهْلُ
فى التِّيهِ أجدادُهم تلاشَوْا
وفيه يَتْلُو الجدودَ نَسْلُ
***
سبحانك الله يا مُعِزُّ
سبحانك الله يا مُذِلُّ
أهؤلاء الذين عَبُّوا
من خمرِ طغيانهم وعَلُّوا
وعَرْبدوا ، وانتشوا،وغنّوا
فى غفلةٍ ــ فترةً ــ وضلّوا
اليومَ صَحْوٌ ، وليس خمرٌ
وفى غدٍ نجمُهم يَزُولُ
البَغْى ليلٌ له انتهاءٌ
والحقُّ سيفٌ لنا يُسَلُّ
وقد صبرنا على الليالى
والنصر من عزمنا يهلُّ
نرد غاشِى الظلام عشا
والصبحُ أضواؤه تَطِلُّ
أهلُ الغرورِ المَقِيتِ هاهم
جارِفهم هادِرٌ وسَيْلُ
***
سبحانك اللهُ يا مُعِزُّ
سبحانك الله يا مُذِلُّ

عبد الحميد جودة السحار

الإمام الفارس

علي ابن أبي طالب

- ١ -

اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وتآمر كفار قريش وجاءوا الى بيت رسول الله (ص) ليقتلوه ، فاتاه جبريل وتلا : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

ثم قال : لا تبت هذه الليلة في فراشك الذي كنت تبيت عليه .

وكان الثلث الاول من الليل فاجتمع كفار قريش واحدقوا ببابه صلى الله عليه وسلم وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم فقال لعلي بن ابي طالب :

ـ نم على فراشي واتشح بردائي الحضرمي ، فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم .

فبات «علي» على فراش ابن عمه هادىء النفس ، ثابت الجنان ، فهو لو خير لاختار ان يفدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ويؤثره بالحياة . وخرج رسول الله عليه صلوات الله وسلامه الى القوم الكافرين وقد أخذ الله على ابصارهم عنه فلم يروه ، وجعلوا يطلعون فيرون عليا نائما على الفراش ، مسجى ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون : والله ان هذا محمدا نائم عليه برده .

وساروا اليه ورفعوا السيوف وازاحوا الغطاء ، وقبل ان يضربوا النائم ضربة رجل واحد رأوا عليا ، فقالوا في غيظ شديد :

ـ اين صاحبك ؟

ـ لا ادري .

ـ هرب بسحره .

كان نوم ابن ابي طالب في فراش ابن عمه اول شعاع يضيء جانبا من جوانب شجاعته ، فلو أن سيفا واحدا من السيوف التي رفعت قد هوى لاودى بحياته ولتركه



كأس الثائر ....

وخرج كفار قريش يبحثون عن رسول الله فلم يعثروا له على أثر . وانطلق رسول الله (ص) الى يثرب ونزل بقباء فلما سمع على بذلك تهلل بالفرح وقام على الأبطح ينادى :

ــ من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليأت نؤدى اليه أمانته .

وصك صوت على آذان كفار قريش فاربدت وجوههم وانقبضت صدورهم ، فذلك الصوت الذى يدوى بين جنبات مكة انما يعلن فيمـــا يعلن هزيمتهم والسخرية منهم والهزء بهم »

وخطر على قلوبهم ان يقوموا الى الشاب الهاشمى الذى لم يبلغ بعد السادسة عشرة من عمره وأن يقتلوه ولكنهم خشوا أن يثور العباس بن عبد المطلب وان يثأر لابن أخيه ، فآثروا أن يتحملوا تحدى الفتى وان يخضعوا غضبهم فى صبر وأن يغلقوا صدورهم على ما فيها من حقد دفين .

ــ ٢ ــ

استقر المسلمون بالمدينة وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان مقبلا فى عير قريش من الشام ، فندب المسلمين اليهم وقال :

ــ هذه عير قريش فيهـــا أموالهم ، فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها »

وجاء رجل الى أبى سفيان بن حرب وكان على رأس القافلة وقال له :

ــ ان محمدا والمسلمين معه قد خرجوا ليهاجموكم .

فأرسل أبو سفيان رجلا الى قريش يخبرهم أن محمدا قد عرض لعيرهم ، فتجهز سادات قريش للخروج وأخذوا بأستار الكعبة وقالوا :

ــ اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين . اللهم لاتمرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق »

ووصل سادات قريش الى ماء بدر وجاءهم من قال لهم ان عيرهم قد نجت ودب شقاق فى معسكر قريش فريق يقول بالرجوع وفريق يطالب بالحرب للقضاء على المسلمين وانتصر الرأى المنادى بالقتال ، فكانت غزوة بدر .

وخرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد حتى فصل من صفوف المشركين ودعا المبارزة ، فخرج اليه فتية من الانصار : ثلاثة اخوة أشقاء ، فقال عتبة :

ــ من أنتم ؟

ــ رهط من الانصار »

ــ ما لنا بكم من حاجة »

ونادى عتبة وشيبة والوليد :

ــ يا محمد اخرج الينا أكفاءنا من قومنا »

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

ــ قوموا يا بنى هاشم فقاتلوا بحقكم الذى بعث به نبيكم ! جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله .

قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة قم يا على .

ومشى عبيدة وكان أسن الثلاثة الى عتبة واتجه حمزة الى شيبة وبارز على الوليد ولم يمهل حمزة أن قتل شيبة فأشرقت وجوه المسلمين بالأمل وبسرت وجوه الكافرين وسرعان ما قتل على الوليد فندت من شفاه المسلمين صيحات فرح بينما غامت وجوه المشركين بالأسى واختلف عبيدة وعتبة بينهمـــا بضربتين كلاهما أثبت صاحبه ، وقعت الضربة فى ركبة عبيدة فأصابت رجله وصار مخ ساقه يسيل ، ثم مال حمزة وعلى على عتبة فقتلاه واحتملا صاحبهما فجراه الى أصحابه .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش الذى بناه له المسلمون الى حيث أصطف المهاجرون والانصـــار

فحرضهم وقال :

ـ والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة .

ودارت المعركة وصار ابو الحكم بن هشام (ابو جهل) هدف المسلمين ، فقال قوم بنو مخزوم :

ـ ابو الحكم لا يخلص اليه .

فاجتمعت بنو مخزوم فاحدقوا به واجمعوا ان يلبسوا لامته رجلا منهم ، فالبسوها عبد الله بن المنذر ، فصمد له على فقتله وهو يراه ابا جهل ومضى عنه وهو يقول :

ـ خذها وانا ابن عبد المطلب .

وراح نوفل بن خويلد الاسدى بن

علی
ابن أبي
طالب

العدوية يصيح بصوت له زجل ، رافعا عقيرته :

ـ يا معشر قريش ، ان هذا اليوم يوم العلاء والرفعة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ اللهم اكفنى نوفل بن العدوية .

ورأى نوفل قتل أصحابه ، فاقبل يصيح وهو مرعوب :

ـ ما حاجتكم الى دمائنا ؟ اما ترون من تقتلون ! أما لكم فى اللبن من حاجة !

كان يرمز الى الفداء ، الى النوق الحلوب ، فاسره جبار بن صخر فهو يسوقه امامه ، فجعل نوفل يقول لجبار ورأى عليا مقبلا نحوه .

ـ يا أخا الانصار ، من هذا واللات والعزى ! انى لارى رجلا ، انه ليريدنى .

ـ هذا ، على بن أبى طالب .

ـ تالله ما رايت كاليوم رجلا اسرع فى قومه .

فصمد له على فضربه فنشب سيف على فى ترسه ساعة ، ثم نزعه فضرب به ساقيه ودرعه مشمرة فقطعهما ثم اجهز عليه فقتله .

واقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث عن القتال فالتقى هو وعلى وقتله على وخرج على فى اثر المشركين فاذا برجل منهم على كثيب رمل يقاتل سعد بن خيثمة ، فقتل المشرك سعد بن خيثمة والمشرك مقنع فى الحديد وكان فارسا ، فاقتحم عن فرسه فنادى :

ـ هلم يابن ابى طالب الى البراز .

فعطف على عليه ، فانحط الرجل اليه مقبلا وكان على رجلا قصيرا فانحط راجعا لكى ينزل اليه ، كره أن يعلوه فقال :

ـ يابن ابى طالب فررت !

ـ قريبا مفر ابن الشتراء .

فلما استقرت قدما على وثبت ، اقبل ابن الشتراء فلما دنا من على ضربه ، فاتقى على الضربة بالدرقة فوقع سيف ابن الشتراء ، فضربه على على عاتقه وهو دارع فارتعش ، ولقد قط سيف على درعه فظن على أن سيفه سيقتله ، فاذا بريق سيف من ورائه فطأطأ على رأسه ويقع السيف فيطيح بقحف رأس ابن الشتراء بالبيضة واذا بصوت يقول :

ـ خذها وانا ابن عبد المطلب .

والتفت على من ورائه فاذا هو عمه حمزة والمقتول طعيمة بن عدى ، فالتفت على الى طعيمة وقال :

ـ والله لاتخاصمنا فى الله بعد اليوم ابدا .

وراح على بن أبى طالب يفعل بقريش الافاعيل ، فما من رهط من بيوت شرف قريش الا وقد قتل منه رئيسا ، انه ترك حنظلة بن أبى سفيان مجندلا بسيفه فاوغر عليه صدور الامويين ، وقتل الوليد بن عتبة بن ربيعة فقلب عليه بنى عبد شمس ، واشترك مع عمه فى القضاء على طعيمة بن

عدي وارك الحارث بن زمعة بن الاسود كأمس الدابر فأصبح هدف أحقاد بني أسد ، وزاد في حقدهم انه قتل نوفل ابن خويلد بن أسد وأضاف الى الاحقاد أحقاد بني تيم لما صرع عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بضربة من حسامه .

وقطع رأس أبي قيس بن الوليد أخي خالد بن الوليد ، فاكتسب عداوة بني المغيرة وبني مخزوم وأضاف اليه مسعود ابن أبي أمية بن المغيرة وحاجز بن السائب المخزومي ، فكانت قلوب بني المغيرة وبني مخزوم كلها عليه .

وقتل من بني سهم خيرة رجالهم : جندل منبه بن الحجاج ونبيه بن الحجاج والعاص بن منبه بن الحجاج وأبا العاص ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ، فكان عليه السلام فتى بدر اطاح برؤوس أبناء الشرف في قريش في سبيل الله ، فبذر الغل في الصدور وراح يقاسي مرارة الاحقاد على مر الايام ، وان جاء الاسلام ، حتى آخر الانفاس !

- ٣ -

انتهت غزوة أحد بقتل حمزة أسد الله وأسد رسوله ، ولم تشف تلك الغزوة قلوب الكافرين فما ان جاء يهود بني النضير الى مكة ودعوا سادات قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قالوا :

ـ انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

ولم يكتف اليهود بذلك بل ذهبوا الى بني غطفان يحضونهم على قتال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه على أن لهم نصف تمر خيبر . وخرجت الاحزاب وكان عددهم عشرة آلاف منهم ثلاثمائة فارس من صناديد قريش وغطفان وبني سليم ويهود بني النضير .

وجاءت الانباء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فراح المسلمون يفكرون في وسيلة للدفاع بها عن المدينة واذا بسلمان الفارسي يتقدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول :

ـ يارسول الله ، انا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا .

وحفر المسلمون خندقا حول المدينة .

واقبلت قريش ومن معها تحدوهم الآمال العريضة ، فلما رأوا الخندق اربدت وجوههم وانقبضت أفئدتهم وانهارت قصور الاماني التي بنوها في الهواء وقالوا في غيظ :

ـ والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها !

وانطلق فرسان قريش الى مكان ضيق أغفله المسلمون واكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق .

وتقدم عمرو بن عبد ود وكان من أشهر فرسان العرب ، أصيب في بدر بجراحات ثم ولى الادبار ولم يشترك في أحد ،

وقد جاء مع الاحزاب ليمحو عار فراره وليعلن للملأ انه لا يزال الفارس الذي لا يشق له غبار ، ثم قال :

ـ من يبارز ؟

فقام علي كرم الله وجهه وقال :

ـ أنا له يانبي الله .

ـ اجلس ، انه عمرو بن عبد ود .

ثم كرر عمرو النداء ، قال :

ـ من يبارز ؟

فلم يقم اليه أحد ، فجعل يوبخ المسلمين ويقول :

ـ أين جنتكم التي تزعمون انه من قتل منكم دخلها ؟! أفلا يبرزن الي رجل ؟!

فقام علي كرم الله وجهه فقال :

ـ أنا له يا رسول الله .

ـ انه عمرو .

ثم نادى عمرو الثالثة :

ـ من يبارز ؟

فقام علي كرم الله وجهه فقال :

ـ أنا له يا رسول الله .

علي ابن أبي طالب

ـ انه عمرو .

ـ وان كان عمرا .

فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه سيفه ذا الفقار والبسه درعه ، وتقدم علي وشخص صلى الله عليه

وسلم ببصره الى السماء وقال في حرارة :

ـ الهي ، أخذت عبيدة مني يوم بدر ، وحمزة يوم أحد ، وهذا علي أخي وابن

عمي ، فلا تذرني فردا وانت خير الوارثين ، اللهم اعنه عليه .

ومشى علي الى عمرو بن عبد ود ، فقال له :

ـ يا عمرو ، انك كنت قد عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا اخذتها منه .

ـ أجل ...

ـ فانا ادعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام .

ـ لا حاجة لي بذلك .

ـ فاني ادعوك الى البراز .

فضحك عمرو وقال :

ـ ان هذه خصلة ما كنت اظن ان احدا من العرب يروعني بها .

وتأهب علي كرم الله وجهه للقتال ، فقال له عمرو :

ـ لم يابن أخي ؟ فوالله ما احب ان اقتلك .

ـ ولكني والله احب ان اقتلك .

فاخذت عمرا الحمية وتقدم على فرسه ، فقال له علي :

ـ كيف اقاتلك وانت على فرسك ؟ انزل معي .

كان عمرو بن عبد ود يكره ان يقتل عليا ، فابو طالب كان صديقا وكان عمرو له نديما ، ولكن عليا كرم الله وجهه اثار حفيظته للغضب ، فاقتحم من فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه ، واقبل على علي ولم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتابع المعركة ببصره فقد اشفق على نفسه من أن يرى مصرع ربيبه وحبيبه واخيه وابن عمه وزوج الزهراء .

واستقبل علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ود بدرقته ، فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، فانخلعت قلوب المسلمين ورسول الله عليه السلام يناشد ربه أن يمن أبا الحسن والحسين على خصمه الذي تمرن على القتال على مر السنين ... وقاتل علي عليه السلام عمرا فضربه على حبل عاتقه ضربة فسقط يتخبط في دمه وكبر المسلمون، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف أن عليا الحبيب قتل عمرا ، فانفرجت مخاوفه وتهللت أساريره وتقدم ليستقبل فارس الاسلام وهو مسرور ، وأقبل علي وهو فرح بنصر الله فقال له عليه السلام :

ـ كيف وجدت نفسك معه يا علي ؟

ـ وجدته لو كان أهل المدينة كلهم في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم .

ـ ٤ ـ

استمر علي بن أبي طالب الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يفتح الله على يديه الحصون ويقطف رقاب أعداء الله واعداء رسوله الى أن لحق النبي بالرفيق الاعلى وصارت الخلافة من بعده الى أبي بكر الصديق ، ثم الى عمر بن الخطاب ، ولما قتل عمر صار عثمان بن عفان الخليفة الثالث ، وقتل عثمان بن عفان وبويع لعلي بن أبي طالب بالخلافة .

كانت عائشة أم المؤمنين قد خرجت للحج ، فلما جاءت الى المدينة وعلمت

بمقتل عثمان قالت :

ــ ردوني ردوني . قتل والله عثمان مظلوما والله لاطلبن بدمه .

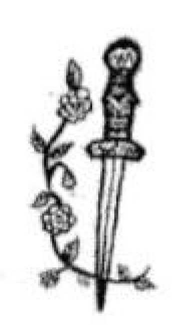
وعادت عائشة الى مكة وقد عزمت على تأليب القوم على امير المؤمنين علي وبلغت باب الحرم وهي لا تقول شيئا . وبلغ القوم عودة ام المؤمنين فاسرعوا الى المسجد ليروا ما الخبر ، فلما ازدحم المسجد بالناس قالت عائشة :

ــ ايها الناس ، ان الغوغاء من اهل الامصار واهل المياه وعبيد اهل المدينة ، سفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام واخذوا المال الحرام واستحلوا الشهر الحرام ، ان عثمان قتل مظلوما وان الامر لا يستقيم ولهذه الغوغاء امر ، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الاسلام .

واشترى الطالبون بدم عثمان جملا شديدا لعائشة وتاهبوا الخروج الى البصرة ونادى المنادى :

ان ام المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون الى البصرة ، فمن كان يريد اعزاز الاسلام والطلب بثار عثمان ولم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز ، فهذا جهازه وهذه نفقته .

وركب الناس الجمال التي قدمت لهم وابتدا الناس في الخروج ، فجرت الدموع وارتفع النحيب والنشيج ، فما من



خارج للقتال الا وقد بكى وما من شاهد للخروج الا ودمعه منهمر ، فانه ليرى خروج المسلمين لقتال المسلمين ، فلم ير يوم كان اكثر باكيا على الاسلام او باكيا له من ذلك اليوم : يوم النحيب

وجاء عليا خبر خروج عائشة وطلحة والزبير ، فخرج وهو يرجو ان يلحق بهم في الطريق ، ليحول بينهم وبين الخروج ولكن بلغه انهم فاتوه ، لعزم على ان يخرج في آثارهم وسار علي حتى نزل بجيشه حيال جيوش عائشة والزبير وطلحه ، وراح بعضهم يخرج الى بعض ولا يتحادثون الا في الصلح ، وخشي قتلة عثمان ان يتفق الطرفان ويتم الصلح ، وان يقع عليهم العقاب فراحوا يفسدون كل محاولات الصلح وخرج رجل من انصار علي على فرسه بين الصفين فقال :

ــ ايها الناس ، ما انصفتم نبيكم حيث ابرزتم عقيلته للسيوف .

فرشقوه بالنبل ، فحرك فرسه وذهب الى علي بن ابي طالب وقال :

ــ ماذا تنتظر يا امير المؤمنين وليس لك عند القوم الا الحرب

وجد الامام علي ان لا مفر من الحرب فقام فقال :

ــ ايها الناس ، اذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح ولا تقتلوا اسيرا ولا تتبعوا موليا ولا تطلبوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل ، ولا تقربوا من اموالهم الا ماتجدونه في عسكرهم من سلاح او عبد او امة . وماسوى ذلك فهو ميراث لورثتهم على كتاب الله

وراح فارس الاسلام يقود جيشه ، فزحف نحو الجمل بنفسه ، في كتيبته الخضراء من المهاجرين والانصار وحوله بنوه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، ودارت رحى معركة رهيبة ، فحمل الامام حملة واحدة فدخل وسط

جيش عائشة وراح يضرب بسيفه والرجال تفر من بين يديه وتجري هنا وهناك حتى خضب الارض بدماء القتلى ، ثم رجع وقد انثنى سيفه فاقامه بركبته .

وحمل رجال علي على الجمل وضربه

رجلٌ بسيفه فسقط ، فاسرع الناس الى الهودج وانزلوه من ظهر البعير وتركوه بين القتلى . وامر الامام محمد بن ابى بكر وكان معه يحارب اخته ، ان يذهب الى عائشة ، ليحملها بعيدا من القتلى

وخرج محمد بن ابى بكر باخته فى سكون الليل الى البصرة وهدأت المعركة ، وقد قتل طلحة وقتل الزبير غدرا ، وامن الامام الناس جميعا ، وجهز عائشة للعودة الى المدينة . وسارت عائشة وخرج على ليشيعها اميالا ، وخرج بنوه معها يوما وفى الطريق قالت :

ـ وددت انى لم اخرج ، انما قيل لى تخرجين لتصلحين بين الناس

ـــ ● ـــ

اجتمع للامام بيعة اهلُ الحرمين واهلُ العراق واهل الحجاز واهل اليمن واهل مصر ، ولم يبق الا اهل الشام فارسل الى معاوية ان يدخل فيما دخل فيه المسلمون والا قاتله حتى لاتتفرق كلمة المسلمين .

كان معاوية يطمع فى الخلافة ، فراى ان يستعين بذوى الراى فى مناواة على ، فارسلَ الى عمرو بن العاص ، فلما جاء اليه طلب منه ان ينضم اليه فى مناواة على ، فطلب عمرو منه ان يجعله واليا على مصر فقبلَ معاوية ذلك ، فانضم عمرو اليه واخذا يعملان على تاليب اهل الشام على امير المؤمنين ونجح معاوية فى اقناع اهل الشام بأن الامام امر بقتل عثمان ، وقد هيج القوم ان معاوية قد البس المنبر قميص عثمان وهو مخضب بالدم

علي
ابن أبي
طالب

وسار الامام فى خمسين ومائة الف مع اهل العراق . وسار معاوية فى نحو من ذلك من اهل الشام وسبق معاوية عليا الى صفين ، فنزل اهل الشام منزلا اختاروه بحيث كان الماء فى ايديهم وقد قر رايهم على ان يمنعوا اهل العراق الماء

وبلغ الامام على صفين ونزل بالقرب من جيوش الشام واراد رجاله ان يشربوا فمنعهم اهل الشام ، فذهبوا الى الامام واخبروه بذلك ، فارسل الامام الى معاوية رسولا يقول له : خل بين الناس وبين الماء

فقام معاوية فى جيشه ، فقال :

ـ يا اهل الشام ، هذا والله اول الظفر ، لا سقانى الله ولا سقى ابا سفيان ، ان شربوا منه حتى يقتلوا باجمعهم عليه .

فقال رجلٌ من انصار الامام له :

ـ يا امير المؤمنين ، ايمنعنا القوم ماء الفرات وانت فينا ومعنا السيوف !

وهجم اهل العراق على اهل الشام ، فازالوهم من الماء واصبح الماء فى ايدى اهل العراق فقالوا :

ـ والله لانسقيهم .

وبلغ ذلك الامام فارسلَ الى رجاله يقول :

ـ خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا الى معسكركم وخلوا بينهم وبين الماء ، فان الله قد نصركم ببغيهم وظلمهم

منع معاوية عليا الماء لما كان الماء فى يده ، ولكن عليا فارس الاسلام ، قد خلى بين اعدائه وبين الماء لما اصبح الماء فى يده ، فما جاء على الى الشام ليقتلَ الناس ، بل جاء ليجمع المسلمين على امام واحد ، حتى لاتتفرق كلمتهم ويدب الضعف فيهم

واشفق الجميع من الحرب ، وخرج قراء اهل العراق وقراء اهل الشام وعسكروا ناحية صفين واستمرت السفارات ثلاثة اشهر ، واستمر الامام

يجادل رسل معاوية ليقنعهم انه لم يغر بقتل عثمان ويدعوهم الى كتاب الله عز وجل ، ولكن رسل معاوية لم يقتنعوا ، وقد خرجوا من عنده وقد عزموا على الحرب .

وتأهب الجيشان للقتال ، ثم اختلط الرجال ونشبت الحرب ، وسقط الرجال قتلى ، ان فارس الاسلام الذى كان شديدا على الكفار يكاد ينفطر قلبه لقتل امثاله من المسلمين فقام الامام بين الصفين ثم نادى :

ـ يامعاوية ! يامعاوية !

فقال معاوية :

ـ اسألوه ماشأنه ...

ـ أحب ان يظهر لى ، فأكلمه كلمة واحدة .

فخرج بين الصفين معاوية ومعه عمرو بن العاص ، فلما قاربا الامام لم يلتفت الى عمرو وقال لمعاوية :

ـ ويحك : علام يقتتل الناس بينى وبينك ويضرب بعضهم بعضا ؟ ابرز الى فأينا قتل صاحبه فالامر له .

فالتفت معاوية الى عمرو بن العاص ، فقال :

ـ ماترى يا أبا عبد الله ! أبارزه ؟!

فقال عمرو فى دهاء :

ـ لقد أنصفك الرجل »

فقال معاوية لعمرو :

ـ ياعمرو بن العاص ، ليس مثلى يخدع عن نفسه ، والله مابارز ابن أبى طالب رجلا قط الا سقى الارض بدمه !

وانصرف معاوية راجعا حتى انتهى الى آخر الصفوف وعمرو معه ، وزحف الناس بعضهم الى بعض ، فارتموا بالنبل والحجارة ، ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت ، ثم مشى الناس بعضهم الى بعض بالسيف وعمد الحديد فلم يسمع السامع الا وقع الحديد بعضه على بعض ، وراح الامام يقود جيشه ويغوص فى صفوف الشام ، يضرب بسيفه ثم يخرج به منحنيا ، وفطن معاوية الى ان جيشا يقوده فارس الاسلام لابد ان ينتصر ، فالتفت الى عمرو بن العاص وقال :

ـ ماترى ؟

ـ ان رجالك لايقومون لرجاله ولست مثله ، هو يقاتل على أمر وأنت تقاتل على غيره ، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء وأهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم ، وأهل الشام لايخافون عليا ان ظفر بهم . ولكن ألق اليهم أمرا ان قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا : ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم

وكان ان رفعت المصاحف ، فقال على :

ـ اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون ، فاحكم بيننا وبينهم ، انك انت الحكيم الحق المبين

ولم يشأ على ان ينخدع بخدعة ابن العاص ولكن جاءه زهاء عشرين الفا من اهل العراق مقنعين فى الحديد ، شاكى السلاح ، سيوفهم على عواتقهم ، فقالوا :

ـ يا على . اجب القوم الى كتاب الله اذا دعيت اليه والا قتلناك كما قتلنا ابن عفان . والله لنفعلنها ان لم تجبهم .

وكان التحكيم وكانت خديعة عمرو لابى موسى الاشعرى . وكان ان خرج الخوارج على على ومعاوية وعمرو بن العاص . وخرج على لقتال الخوارج والتقى بهم عند النهروان . وكان ان انتصر القائد العظيم فارس الاسلام على الخوارج ...

انه لم يهزم فى مبارزة . ولا انكسر له جيش فى موقعة وقد انتصر على كل الشدائد ، ولولا انسحاب أنصاره ودخولهم بيوتهم ماقام له معاوية ولا كان لخديعة ابن العاص أثر . وقتل فارس الاسلام . وبموته انقضى عصر الخلفاء الراشدين ليصير الامر ملكا عضوضا يتوارثه الابناء من الآباء

عبد المنعم خلاف

خالد ابن الوليد

سيف الله

هيا بنا نلتفت الى الماضى عبر اربعة عشر قرنا ... لنشاهد البطل العملاق المهيب ، عاشق الجهاد حتى الموت ، وهو يرى غمرات الموت البطىء مقبلة عليه ، فيتكلم فى حسرة وألم من هذا الختام الرخيص التافه لحياته التى قضاها كلها يبحث عن ميتة الابطال فى اسواق المنايا العظيمة فلا يجدها لنفسه .. وانما يجدها ويشتريها ويهديها لغيره من ابطال العرب والعجم والروم الذين كان لهم شرف منازلته وملاقاته فى « منادمة الحروب » ومعاقرة كئوسها ...

وها هو ذا يرى نفسه توشك ان تخرج من جسده فى جفاف من الدم ، وسلام من الالم العظيم الذى يفتح لها فى التو ابواب المعراج الى الملكوت الاعلى فى جنة عرضها السموات والارض اعدت معجلة للشهداء ... فيقول هذه العبارة العجيبة التى هى خلاصة حكمة مقالات القائلين البلغاء فى الشجاعة والجبن ، وفى توقيت الآجال توقيتا لا تتقدم عنه نفس ولا تتاخر ! ! !

« لقد شهدت كذا وكذا زحفا ... وما فى جسدى موضع الا وفيه ضربة سيف ، او طعنة رمح ، او رمية سهم .. وهاأنذا اموت على فراشى كما يموت البعير ! فلا نامت اعين الجبناء ! »



موقعة اليرموك كما تخيلها الفنان السوري سعيد تحسين

في معارك الفتح

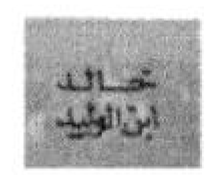
وانها لكلمة فيها حساب لعجز النفس عن صنع الخاتمة التي يشتهيها الاشراف المؤمنون لحياتهم ، كما صنعها هو لغيره من شــهداء (احــد) !

وانها لكلمة ادانة لاذعة ، وحساب ساخر محتقر لمن حرمه الجبن لذة معانقة الموت العظيم في سبيل الله العظيم واهب الحياة وسالبها

وانها لكلمة عرضت فلسفة حياة خالد وجاهليته واسلامه .. وكشفت عن سر شجاعته الفذة وعبقريته الحربية التي لم تهزم في اية معــركة خاضــها ...

بل انها كلمة كشفت عن السرعة الهائلة في اقتحام هذه الامة العربية المسلمة لمعاقل حياة امم الحضارة والثقــافة والديانة والقدرة العسكرية في عصرها ، وعن سر اخضاعها لتلك الامم .. الا وهو سلاح العشق للموت العظيم في سبيل حياة العزة الشامخة بالفناء في الله وحده ، وبالتحرر وبالمساواة والاخوة في ظــلال العبــودية له وحــده !

اجل ... ان ذلك هو سر « المفتاح السري » الذي لم تتخلف قدرته معنا على فتح ما كان مغلقا من ابواب النصر والفتح في جميــع عصــورنا !



● والحسب الآذان لم تسمع ، والعيون لم تقرأ عبارة كتلك العبارة الخالدية التي ما صكت أسماع الجبناء وجبهت وجوههم وأدانت خوفهم وفرارهم من المعارك عبارة مثلها في تصوير حقارة عيشهم وتفاهة موتهم ! ...

وحيا الله أمة العرب عن الانسانية كلها .. فانها حتى في جاهليتها كانت جمهرتها تعشق الموت العظيم للهدف العظيم .. ولولا هذه الصفة فيهم ما جرءوا على أن يواجهوا العالم الفاسد من حولهم بالاسلام ، وعلى أن يقتحموه بالقرآن وهم أمة قليلة فقيرة بعيدة عن سبل الحضارة المادية بالناس من حولهم ..

وقد كان طلب الموت العظيم يوشك أن يكون المطلب الاسمى لدى كل فتى من فتيان العرب وفرسانهم لانه اسرع اداة لبلوغه شرف المقام حيا ومجد الذكر ميتا ..

وكان فخرهم المؤثل يتمثل في مثل قول قائلهم :

تسيل على حد الظباة نفوسنا
وليست على غير الظباة تسيل !

ولست في هذه العجالة بصدد أن أكتب تاريخا لهذا القائد العربي الاسطوري الذي طار ذكره في آفاق العرب والعجم والروم طيران الرياح، واستعلن استعلان الصباح . وكان حضوره ميدان أية معركة يخلع قلوب الاعداء وينذرهم بمصيرهم الحتمي على يديه .. وانما حسبي هنا أن ارسم الملامح التي وضحتها كلمات قالها هو عن نفسه ، أو قالها غيره عنه .. وأن أعلق عليها وأستخرج منها عبرتها التي هي (العنصر الفعال) في تفجير طاقات القدرة به واقتدائنا بشخصيته في هذه الظروف الخطيرة التي تمتحن فيها نفوسنا وديارنا ومواريثنا التي أورثنا اياها (خالد) وأمثاله من قادة الفتوح العربية الاسلامية أشد امتحان !

ولنبدأ بالملمح الاول من شخصيته :

١ ـ صقر الهجوم والكر والانقضاض !

اذا ذكر الاغريق قائدهم (الاسكندر الاكبر) ، وذكر الفرس قائدهم (رستم) أو (هرمز) وذكر الرومان قائدهم (هرقل) أو (ماهان) ، وذكر الفرنسيون قائدهم (نابليون) ، وذكر الانجليز قائدهم الدوق الحديدي (ولنجتون) فان العرب يجمعون لاشك على ذكر قائدهم الاول (خالد) قاهر المتنبئين الكذبة .. والمرتدين الفجرة، وما نعي الزكاة الجحدة ، وهازم أبطال الفرس في حروب فتح العراق ، وماهد الطريق الى استكمال فتح فارس وما وراء النهر الى حدود الهند ، وهازم أبطال الروم في حروب اليرموك وفتح الشام ..

ومن قبل اسلامه كان هو الصقر القرشي الذي قاد أعنة خيل مشركي مكة يوم (أحد) ، وقد لمح ببداهته الحربية الفطرية الثغرة التي رآها النبي محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنور نبوته ولمح خطر اهمال سدها قبل أن تبدأ المعركة ، ونبه اليها ، وسدها بالرماة وحذرهم من تركها مهما كانت ظروف المعركة وتطوراتها من نصر أو هزيمة .. ولكن الرماة تصرفوا في أمر النبي وأولوا تحذيره بعد أن رأوا طلائع نصر المسلمين وحسبوا أن المعركة انتهت .. فتركه أكثرهم تلك الثغرة الخطيرة ، فلمحتها عيون الصقر (خالد) الذي كان من أعظم أسباب انتصاره دائما أن عينيه

كانت حريصة على ان تكشف ميدان المعركة بخوضها ، وتعرف مداخله ومخارجه ومكامن الخطر فيه .. وتتحرك الحركة السريعة الذكية المناسبة لكل بادرة تحدث فى الميدان .. فاذا به يلتف بخيل المشركين لينقض بها من تلك الثغرة متدفعة الى ظهر الجيش الاسلامى المنتصر فى المواجهة ... فيختل نظامه وتضطرب صفوفه وينفرط عقده وتكثر جراحه وينقلب انتصاره الى هزيمة منكرة كانت تودى به الى دمار شامل ، لولا ثبات الرسول ومن حوله من الذين كانوا دائما يصمدون فى الهزائم ويعوضون الفاقد من قواهم بالفيض الدائم من ايمانهم واقبالهم فى حرص شديد على ان ينالوا الموت ، اذ هو عندهم دائما احدى الحسنيين اللتين لا يخرجون لمعركة الا طلبالهما ... وكانت هذه الهزيمة درسا الهيا اجراه القدر على يد (خالد) ليبين للمسلمين ان سنن الله فى وجوب التزام الطاعة العمياء للقائد البصير ، والحذر من المخالفة عن امره ، لا ترحم مخالفيها او مهمليها فى التطبيق ولو كان بين اظهرهم نبى مكرم .. وليبين لهم كذلك ان تلك السنن هى سبيل التعامل الناجح دائما مع الله ومع الحياة ..
وربما كان هذا الدرس أول ما وجه نظر الرسول الى خالد وجعله يرى له عقلا جديرا بان ينتهى به الى الاسلام
وكان اسلام خالد وامثاله من المشركين ذوى الرأى والقوة والشجاعة بعد مقاومتهم وعنادهم للرسول ، من اوضح الدلالات والشواهد على عظمة الرسول ورسالته ، اذ كان يدخل فيها عظماء الناس ومفكروهم وشجعانهم كما دخل فيه من قبل ضعفاؤهم وفقراؤهم ، فليس هو دين العجزة والضعفاء والفقراء والبسطاء وحدهم ، بل هو الى ذلكم دين الاقوياء ذوى الرأى والجاه والحجا .. فبطلت بذلك تلك الشرثرة التى كان يكررها المبطلون على مدى العصور بقولهم لكل رسول يأتيهم : « ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى .. »

٢ـ قائد الانسحاب الماهر المنقذ :

قاد انسحاب جيش (مؤتة) بشجاعته الادبية التى لم تخش تهمة الفرار ، بعد ان رأى قواد الجيش الثلاثة وعددا كبيرا من جنوده يقتلون والقواد هم (زيد بن حارثة) و (جعفر بن ابى طالب) و (عبد الله ابن رواحة) اذ كانوا لم ترعهم كثرة جيش الروم فاقبلوا على الموت ودعوا جنودهم للاقبال عليه صائحين : « ان الذى تخافون هو الذى خرجتم من اجله » ـ اى الاستشهاد .. وحسبوا انهم ما داموا يحاربون طلبا للموت فيقبح بهم الآن ان يفروا وينسحبوا طلبا للنجاة مهما كان فيها من ادخار وانقاذ وصيانة لحياة عزيزة يحتاجها الاسلام فى مواطن كثيرة اخرى .

تولى خالد قيادة الجيش القليل المهزوم الذى قتل قواده وكثيرون من جنوده ، وسيكون مصيره كله الفناء المحقق اذا ما اصر على القتال فى هذه الظروف القاسية .. ولا شك ان هذا لايرضاه النبى عليه الصلاة والسلام لو كان حاضرا، لايمكن ان يرضى بقتال لا رجاء معه فى انتصار .. وانما قصارى امر القائد الشجاع الحريص على حياة جنوده جنود الاسلام وامله فى المستقبل ان ينقذ هذا الجيش وان يقلل من خسائره ما استطاع ، ولذلك رأى خالد ان انسب انتصار لهذا الجيش ان ينقذه بانسحاب منظم مقاتل فقط لايجاد ثغرة يستطيع ان ينسحب منها دون ان يشعر به رقباء الاعداء وقد كان .. ونجا الله ـ بيمن تدبير خالد ودهائه ـ جيش المسلمين .

وكانت هذه النجاة جديرة حقا بان يسميها رسول الله (فتحا) حينما نعى القواد الثلاثة الشهداء فقال وهو يرى من وراء الحجب : « اخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى

قتل شهيدا ، ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، ثم اخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه .. ٠

وكان هذا السيف هو خالد .. ومن هذا اليوم صار (سيف الله) لقب خالد ووصفه المميز ٠ ولولا اتقان خالد لتدبير الانسحاب حتى خفى على فطنة الروم ، ولولا ان شجاعته فى الرأى كشجاعته فى القتال بتحمل مسئولية الانسحاب امام من يصف المنسحبين بانهم فرار هاربون جبنوا من ملاقاة الموت والاستشهاد وقد اتيح لهم من قريب — لولا كل اولئك لفنى هذا الجيش وقائده خالد ، ولحرم المسلمون من اعظم قوادهم الذين فتحوا امصار المعمور المعروف حينذاك ، بما فيها امصار الروم الذين كانوا يلاقون جيش (مؤتة) ٠ ولعله كان من بينهم من لاقى فيما بعد خالدا وجيش المسلمين فى موقعة اليرموك فكان فناؤه على ايديهم ! ٠

٣ — ثم جاء الدور الكبير المرصود فى الواح القدر

دور هذا السيف الذى سله الله على الكفار والمنافقين ووضعه فى يد الخليفة الاول العظيم الصديق ابى بكر الذى عرفنا به جانبا من عظمة رسول الله باصطفائه له صاحبا وصديقا ، وترشيحه اياه خليفة من بعده ليثبت دعائم الاسلام بايمانه الواسع الراسخ وعزمه النافذ الشامخ .. ورأيه المضيء الصارم ، وحسن معرفته بالرجال واستعماله اياهم ٠

خالد
ابن الوليد

ولقد مكن ابوبكر خالدا من ان يؤدى دوره الكبير المفصل القدر على قده وسمته ، والذى رشحه له الرسول حين وصفه بانه سيف سله الله على المشركين والمنافقين ..

وقد قام خالد حقا فى اخماد فتن الردة والمتنبئين الكذبة ومانعى الزكاة مقاما عظيما ، اذ قمع رءوس هذه الفتن التى كانت تعصف بالاسلام وهو لا يزال غضا ناشئا فى مهده الاول ٠ فاخمد فتنة بنى اسد وحلفائهم من غطفان وعبس وذبيان وطيء .. ثم اخمد فتنة بنى عامر وهوازن وسليم وبنى تميم ، وكانت فتنا قريبة من المدينة ومكة .. كما قمع الفتنة الكبرى التى اشعلها مسيلمة الكذاب فى بنى حنيفة وكانت فتنة القبيلة الاقوى والعديد الاكثر بين العرب جميعا ٠

وكان خالد فى اخماد هذه الفتن على قرب وتشاور واتفاق مع الخليفة ابى بكر فحقق حسن ظنه فيه ..

ولا ريب أن ما فعله خالد للاسلام فى هذه المناطق العربية المرتدة او المنتقضة على الدولة شيء ضخم عظيم جدير ان يحل صاحبه المحل الاول بين قواد المسلمين العظام .. وكان جديرا أن يدير رأس خالد ويغريه بالانتقاض والخروج على الخليفة والعمل لنفسه لو انه كان رقيق الايمان او منافق الطاعة ، او طامعا فى ملك او رياسة .. ولكنه هو وغيره ممن غسل الله بيد رسوله قلوبهم من الصغارات والاطماع كرهوا أن يرتدوا اليها بعد طهارتهم منها ٠

وقد خشى الفاروق عمر طغيان هذه الوساوس والاطماع على قلب خالد ، فكان دائما يلاحقه فى اخباره يتتبع هفواته واخطاءه ، لانه كان اعرف الناس بمداخل الشيطان الى قلوب الرجال ، واحرص الناس على حماية الاسلام وحراسته من الاهواء والاطماع .. وعلى ان يفهم الناس ان النصر الذى نالوه بقيادة خالد او غيره

سواء في الجزيرة مع المرتدين والكذبة الدجالين أو في فارس والروم ، انما هو من عند الله ، لا لخالد أو زيد أو غيره من القادة فيه أي فضل الا فضل اجراء الله له على يديه ·

٤ـ المنصور بالرعب ··

لقد كانت شـــهرة خالد البطولية تسبقه الى أسماع أعداء الاسلام من العرب أو العجم أو الروم ، فتمـــلا قلوبهم تهيبا ورعبا من ملاقاته ··

فهذا مسيلمة الكذاب حينما يبلغه قدوم خالد على رأس جيش الخليفة ابى بكر ، يسرع الى اعادة تشكيل جيوشه وتوزيعها ، وتبدو المخاوف والحذر في تصرفه ·

وهذا صاحب (دومة الجندل) يقول لقومه حين سمع بمسيرة خالد اليه « أنا أعلم الناس بخالد ·· لا أحد أيمن طائرا منه ، ولا أحمد في حرب ·· ولا يرى وجه خالد قوم أبدا قلوا أو كثروا الا انهزموا عنه ، فأطيعوني وصالحوا القوم ! »

وهذا قائد من قواد جيش الروم يوم اليرموك يدعى (جورج) أو (جرجه) في تسمية المصادر العربية، سعى الى لقاء خالد في احدى فترات الراحة بين القتال ، ويقـــول له : « يا خالد ·· اصدقني ولا تكذبني فان الحر لا يكذب ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك اياه فلا تسله على قوم الا هزمتهم ؟ ! » قال خالد : لا ···

قال : فيم سميت سيف الله ، قال: ان الله قد بعث فينا رسوله فمنا من صدقه ومنا من كذبه ، وكنت فيمن كذبه حتى أخذ الله قلوبنا للاسلام وهدانا برسوله فبايعناه ·· فدعا لي الرسول وقال لي أنت سيف من سيوف الله ، ودعا لي بالنصر ·· فهكذا سميت · وأنا من أشد المسلمين على المشركين ··

قال جورج : والام تدعون ؟ ، قال خالد : الى توحيد الله والاسلام ·

قال : هل لمن يدخل في الاســلام اليوم مثل ما لكم من الأجر والمثوبة ؟

قال خالد : نعم ، وافضل ·· قال الرجل : كيف وقد سبقتموه ؟ !

قال خالد : لقد عشنا مع رســـول الله صلى الله عليه وسلم ورأينا آياته ومعجزاته ، وحق لمن رأى ما رأينـــا وسمع ما سمعنا أن يسلم في يسر ··

اما انتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ثم آمنتم بالغيب ، فان أجركم أجزل وأكبر اذا صــــدقتم الله سرائركم ونواياكم · »

فصاح القائد الروماني وقد اقترب بجواده من خالد : علمني الاســـلام يا خالد ··

فأسلم وصلى لله ركعتين لم يصل سواهما ، اذ قاتل في جيش المسلمين حتى قتل شهيدا ··

ولقد كان خالد يحسن ادارة الحرب النفسية لتحطيم قلوب أعدائه · وكانت (الكلمة) من أدواته في هذه الحرب ·· ولنقرأ في هذا كتابه الذى استهل به عمله بالعراق وأرسله الى مرازبة الفرس ، وهم عمال كسرى ونوابه وولاته على مدائن العراق والويته :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« من خالد بن الوليد الى مرازبة فارس ··

« سلام على من اتبع الهدى ·

« اما بعد ، فالحمد لله الذى فض خدمكم وسلب ملككم ووهن كيدكم !

« من صلى صلاتنا ، واســـتقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم ، له مالنا وعليه ما علينا ·· اذا جاءكم كتابى فابعثوا الى بالرهن واعتقدوا منى الذمة · والا ، فوالله الذى لا اله غيره ، لابعثن اليكم قوما يحبون الموت كما تحبون الحياة »

وكتب الى قادة الروم المتحصنين في قلاعهم ومعاقلهم بقنسرين :

« لو كنتم في السحاب لحملنا الله اليكم ·· أو لانزلكم الينا ! »

وهكذا كان خالد يرسل على نفوس



الاعداء ما يوهنها ويوئسها ويشل نوازع مقاومتها ويصور لها ذهاب دولتها وكسر شوكتها وفناء وجودها وقرب منالها من قبل ان يحاربها بالسلاح فى ميدان القتال .. كان ما يهددها به قد حدث ووقع فعلا .. ولذلك يتكلم عنه بصيغة الماضى فيقول « (فض) خدمكم و (سلب) ملككم و (وهن) كيدكم » .. ثم يفتح امامهم الباب الوحيد للامل فى النجاة وهو: الدخول فى مدخل المسلمين .

كما يصور لاعدائه القوة التى اودعها الله فى نفوس جنوده المسلمين وذلك بحبهم الموت والاستشهاد وايثارهما على الحياة الدنيا . وتلك صفة لا يعقلها ولا يعرفها هؤلاء الاعداء ذوو الحرص الشديد على الحياة وذوو الخوف الذاهل من الموت.

٥ ـ اللاتي اناة القطاة ، والواثب وثبة الاسد

قال ابو بكر ، حينما بلغه اعداد الروم جيوشا كثيفة تعدادها مائتا الف واربعون الفا ، للاقاة ما جنده ابو بكر لفتح الشام من جيوش صغيرة بلغ مجموعها نحو اربعين الفا ـ : « لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ! » او « لاشفين وساوسهم (الروم) بخالد » .. وذلك بعد اطمئنان ابى بكر على مسيرة انتصارات جيوشه على الفرس فى العراق ، وقد كان لخالد السهم الاوفر فى قيادتها نحو النصر ..

وقد ندب ابو بكر خالدا ووجهه من العراق لتولى قيادة جيوش المسلمين المقبلة على ملاقاة الروم فى الشام ، ثقة واطمئنانا من ابى بكر لقدرة خالد الفائقة على مواجهة الروم ذوى الشهرة العسكرية والقدرة القتالية ، والتماسا بصيرا منه لحشد اكفأ الرجال وانجح الوسائل واقرب الذرائع الى الانتصار فى المركة الفاصلة المتوقعة . وعلما منه بما كان لخالد من « اناة القطاة، ووثبة الاسد ! » كما وصفه (عمرو بن العاص) .

٦ ـ عابر صحراء السماوة فى اشد مسالكها الى الشام وعورة ! ..

وصل خالد من العراق قاطعا عابرا صحراء السماوة فى اشق طرقها الى الشام وابعدها عن العيون والارصاد قطعها فى ثمانية عشر يوما فقط كان يطوى فيها مسافة اليومين فى يوم واحد ، ومعه جيش من عشرة الاف جندى اختارهم لهذه النجدة الخطيرة .. وقمع بهم كل مقاومة لقيها من المسالح والحصون وراء تلك الصحراء الخاوية من الناس .

وحين وصل خالد وجد الجيوش متساندة ليست لها قيادة واحدة ولما ساله القواد رايه قال « ان الذى انتم فيه اشد على المسلمين مما قد غشيهم وانفع للمشركين من امدادهم .. وقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم فالله الله! ان تامير بعضكم لا ينقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله .. هلموا ! فان هؤلاء قد تهيأوا وهذا يوم له ما بعده ... ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم . وان هزمونا لم نفلح بعدها . فهلموا فلنتعاور (نتناوب) الامارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والاخر غدا ، والاخر بعد غد حتى يتامر كلكم ودعونى اليكم اليوم » .

فاسندوا اليه قيادتهم يومها، وكان توحيد القيادة اول سداد فى الطريق

الى ذلك النصر العظيم فى معركة اليرموك التى كان جيش الروم فيها على نظام وتعبئة رومانية معروفة .. وقد عبأ خالد قواده وجنوده على الوضع الذى رآه ملائما للتعبئة الرومانية .

ومع أنه وحد القيادة فقد ترك لكل قائد أن يتصرف التصرف المناسب فيما لم يؤمر فيه بتصرف معين . فقال للقواد « فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون انه الرأى » .

وهكذا نرى عبقرية خالد الحربية ترتفع الى مستوى القدرة العسكرية الرومانية فى التنظيم والتعبئة . ثم تفوقها بالنصر الحاسم المعجز الذى انتهت اليه معركة اليرموك . وانتهت به عهد الامبراطورية الرومانية فى الشام حين أردت ثمانين الفا من جنودها فى هوة (الواقوصة) أو (وادى الرقاد) وكان المتردون فى تلك الهوة اكثر من قتلى الروم فى حومة الوغى ! .

وقد شفى خالد بمعركته هذه وساوس الشيطان فى صدور الرومان كما أراد وتوقع أبو بكر .

٧ ــ الدرس الكبير من أبى عبيدة ثم من خالد .

درس كبير نستخلصه من امتثال (أبى عبيدة) لامر أبى بكر فى بدء التحضير لمعركة اليرموك . بتولى خالد قيادة الجيوش العربية . بديلا منه وهو (أمين الامة) والمرشح للخلافة برأى عمر لو كان أبو عبيدة حيا عندما توفى عمر ..

ونستخلصه كذلك من فهم أبى عبيدة لمنطق الخليفة فى انه لم يول عليه خالدا فى قيادة الجيوش لانه خير منه .. ومنطق أبى بكر فى هذه المناسبة كان مطردا مع منطقه فى مناسبة توليه الخلافة بعد النبى عليه السلام بقوله فى خطبته بعد بيعته بالخلافة « انى قد وليت عليكم ولست بخيركم » ! .

اذن فتولى بعض المسلمين الامرة على بعضهم ينبغى الا يكون مفهوما منه انهم خير الناس ، وانما هى النظرة الصادقة الواجبة فى وضع الرجل الصحيح فى المكان الصحيح حسب مقتضيات الظروف .

كما نستخلص هذا الدرس الكبير فى ختام هذه المعركة نفسها من امتثال خالد وطاعته لامر (عمر) بعزله عن قيادة الجيش وردها الى أبى عبيدة بعد تحقق الانتصار على يد خالد .

ويبلغ خالدا كتاب (عمر) اليه بوفاة أبى بكر وتوليه هو ، وبعزله عن قيادة الجيش ، فيبلغه الى أبى عبيدة فى تجرد وامتثال واخلاص وتكتم شديد لهذه الاخبار عن الجيوش وهى لا تزال فى خواتيم المعركة وذيولها .

ويخضع خالد لامر عمر ، وهو موقن ان عمر لم يعزله عن شقيقة قبيلة أو حسد خفى ، وانما لامر يعلم عمر ان فيه المصلحة للمسلمين

وقد تكشف سر هذا العزل فيما بعد بأمر عمر فى رسالته التى أرسلها الى ولاة الامصار ان يعلنوا باسمه قوله « انى لم اعزل خالدا عن سخطة او خيانة .. ولكن الناس فتنوا به ، فخشيت ان يوكلوا اليه ويبتلوا . والا يكونوا بعرض فتنة ! »

ها نحن نرى ان هذا الدرس الكبير ذو شقين يستمدان من معين خلقى واحد استقى منه الرعيل الاول من أصحاب مولانا الرسول الذين لم تر الدنيا لهم نظراء فى انكارهم لذواتهم وفى ارتفاعهم الى مستوى الاحداث التاريخية الكبرى والمسئوليات العظمى التى اجراها القدر على ايديهم أو ناطها بهم ليطهر مجرى التاريخ من تراكم الصغائرات والتفاهات التى كانت تشغل نفوس القادة والحكام فى تلك العصور .. ولا تزال لها ظلال سوداء على مجرى التاريخ الحديث حتى تجلى للناس سيرة خالد وأبى عبيدة ورفاقهما فى مدرسة محمد ! .

● إدوار حنا سعد ●

"بدر" الجديدة

أهلاً عليك بعد العسر يسرُ
وعادت في هدى رمضان بَدْرُ
تعيدُ الروح بعد سنين يأسٍ
وتمحُو ما يسوءُ بما يَسُرُّ
بمعجزةٍ لها الايمانُ شطرٌ
وصدق عزيمة الأحرار شطرٌ
لها من عين جالوت سمات
وفيها من رُبَى حِطّين زَهْرُ
فدائيون من دمهم حياة
ومن أجسادهم للنصر جسر
عواصف عزّةٍ وأسودُ غابٍ
صدى خطواتهم في الزحف ذُعْرُ



فلولُ البغْيِ في سيناء ضلّتْ
دهاها من دوّار القهرِ سكْر
حديثُ ضلالكم فيها معادٌ
تطاولَ بينَ ذاك وذاك دهْر
كفرتم عندها بحديثِ موسى
وباقٍ فيكمْ بالخيرِ كفْر
عصا المصرى تلقفُ ما أفكتم
ومن ضرَباتها ينشقّ بحر
أفاعيكم لدَى فرعون ماتت
وجدّد بعدها في النيل سحْر
أحالَ المنّ والسلوى لهيباً
يُراوحكم به ليثٌ ونسر
وردّ عجافنا غراً سماناً
وفيكم بالرؤى خبَر وخبْر
أنبئكم به للقدس عودٌ
وعندَ مشارفِ اليرموك ثأر
لألويةِ الكرامة وهْيَ شمٌ
وأقطار العروبةِ وهي قطر

● الإسكندرية ● ● ادوار حنا سعد ●



د. أحمد الشرباصي

قائد حالفه النصر

عمرو بن العاص



لا يعلم الا الله وحده ما كانت تصير اليـــه مصر الغالية ، لو لم يهم عمرو بن العاص بها حبا ، بعد ان زارها ورأى عظمتهـــا وخيرها وعطاءها ، ولم يعش سنوات يحلم بفتحها على اسم الله واسم الاسلام ، ويرى ان تحقيقه ذلك هو اكبر امنية له في حياته .

ولا عجب فهو الذي وضعها للخليفة عمر بن الخطاب فكان مما قاله : ((يخط وسطها نيل مبارك الغدوات ، ميمون الروحات ، تجرى فيـه الزيادة والنقصـــان كجرى الشمس والقمر ، له أوان ، يدر حلابه ، ويكثر فيه ذبابه ، تمده عيون الأرض وينابيعها))

وكان مما قاله ايضا : ((فبينما مصر يا امير المؤمنين لؤلؤة بيضاء ، اذا هي غبرة سوداء ، فاذا هي زمردة خضراء ، فاذا هي ديباجة رقشاء ، فتبارك الله الخالق لما يشاء ، الذي يصلح هذه البـــلاد وينميها ، ويقر قاطنيها فيها ..))

وستتقلب على مصر الامور ، خـــلال العصـــور والدهور ، ولا يستطيع كر الزمان ان يمحو من ذهن الانسان ان هذه البلاد العظيمة الكريمة قد ادخلهـا ربها بحبوحة الاسلام بفضله وعنايته ، ثم بهمة هـذا القائد الفاتح الكبير : ابى عبد الله عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمى الصحابى فاتح مصر



● عمرو بن العاص شخصية طال اختلاف حولها فى الماضى ويطول فى الحاضر ، وسيطول فى المستقبل القريب والبعيد ، وطالت فيه اقوال من مالوا اليه ، كما طالت فيه اقوال من حملوا عليه ، ولكن اهل الانصاف يتفقون على انه كان قائدا كبيرا ، وصاحب عبقرية .. ودهاء فى الرأى والسياسة ، وفى القيادة والحرب .

وهو ايضا شخصية متعبة للدارس لها والباحث فيها ، ولقد حاولت أن ارسم له صورة تتعجل تقديم الملامح العامة له ، فكانت هذه الصورة : انه بطل داهية، واسع العقل ، عميق التفكير ، بارع الحيلة ، فيه فطنة وكياسة وسياسة ، وفيه خبرة بوسائل جذب القلوب وكسب النفوس ، وفيه اعتداد بذاته ، ومعرفة لتبعات وظيفته وعمله ، لا يجامل فى هذا المجال ولا يفرط ، بل يحرص ويستمسك ، وهو جرىء مقدام ، يجازف ويخاطر ، وفيه حب للامارة وشغف بالزعامة ، وهو لا يكتفى بالتمنى فى بلوغ ما يريده ، بل يناضل ويدافع ، حتى يكسب تقديرا من اعدائه فوق تقدير أصدقائه ، وحسبك أن (أرطبون الروم) ـ وهو قائد جيشهم ـ قال فى عمرو : « انه أدهى الخلق » ، وردد قوم عمرو كلمتهم عنه « ان أرطبون العرب قد غلب أرطبون الروم » ! .

وكان فى عمرو صبر على المحاولة، وثبات على المنهج ، واستمرار على الطريقة ، ودوام على الرأى ، ولو كلفه ذلك الوانا من الجهد والمشقة، وكان يكره التردد والتأرجح ، ويمقت التغير عما اعتاد مما لا يوائم مكارم الاخلاق ، وهو الذى يخبرنا بأنه لن يمل أحدا يقوم له ، حتى دابته لا يملها مهما شابت ، ما دامت تحمله، وهو القائل : « ان الملل من كوائن الاخلاق » .

وعمرو فيه ذكاء نادر ، واى ذكاء كذكائه حينما حرض الخليفة عمر الفاروق على أن يأذن له فى فتح مصر، واجاب الخليفة بعد تردد ومراجعة، واقتبل عمرو الفرصة ، فسارع بجيشه نحو مصر ليفتحها ، ولكن الخليفة تعاوده الخشية والخيفة ، فيرسل خلف عمرو بكتاب له يأمره بالعودة ، اذا كان لم يطأ أرض مصر ، وعند « رفح » يلتقى حامل الكتاب بعمرو ، ويخبره بأنه يحمل اليه رسالة من الخليفة ، ويدرك عمرو بذكائه الخارق مضمون الرسالة ، فيأخذ فى شغل الرسول بالحديث فى أمور مختلفة ، والركب يغذ السير نحو أرض مصر حتى دخلها من أطرافها .

وهنا تناول عمرو الكتاب من الرسول وفتحه ، فاذا فيه قول الخليفة : « ان أدركك كتابى هذا قبل أن تدخل مصر فارجع الى موضعك ، وان كنت قد دخلت فامض لوجهك ، واعلم انى ممدك » .

ويتجاهل عمرو المكان ، ويسأل من



عمرو بن العاص

حوله : اين نحن الآن ؟ .

ويأتيه الجواب : نحن فى ارض مصر .

ويطمئن عمرو ، ويتلو كتاب الخليفة على النـــاس ، ثم يأمرهم بمواصلة المسير .

ويمضى نحو تحقيق أمله الأكبر : فتح مصر تحت لواء الاسلام .

●●●

ان صورة عاجلة كهذه تعطينـــا الملامح الأساسية لشخصية هذا القائد الداهية الكبير .

وحين نقف امام هـــذه الشخصية متأملين دارسين ندرك أننا امام رجل قد توافرت له عوامل كثيرة ، جعلته قائداً ناجحا ، ومحاربا منتصرا ، فقد كان يحارب عن ايمان وعقيدة بعد ان شرح الله صدره للاسلام ، ونطله عن اقتناع ويقين ، وكان يثق بنفسه ، ويحسن النهوض بتبعاته فى قوة ومثابرة ، ويعطى القدوة من ذاته لغيره ، ويتعمق فى تفكيره ، ويستقصى فى نظره وتدبيره ، ثم يقدم فى عزم وحزم وكفاءة ، مع دهاء وبراعة مكر وحسن احتيال .

وكأنما قد خلق الله عز وجل هذا الرجل وفى دمه أو طبعه نزعة القيادة والامارة ، ولذلك ذكر ابن حجر فى كتابه « الاصابة » أن عمر بن الخطاب نظر الى عمرو وهو يمشى فقال : « ما ينبغى لأبى عبد الله أن يمشى على الأرض الا أميرا » !

كما يرى الشعبى ان دهاة العـرب فى الاسلام اربعة ، وعد منهم عمرو ابن العاص قائلا عنه : « أما عمرو فللمعضلات » !

ولقد يؤخذ على عمـــرو أنه قد تأخر به الدخول فى الاسلام ، حيث لم يسلم الا سنة سبع أو ثمان بعد الهجرة ، ولكنه حاول تعويض ذلك بما بذل من جهود وجهاد بعد ذلك فى خدمة الاسلام والمسلمين ، حتى تألق نجمه أكثر من اخيار ســـبقوه فى الاستجابة وزادوا عليه فى العبادة والتقوى .

واذا كان القطر يدل على الغيث ، وكانت صغار الامور تدل على كبارها، فان بوادر التوفيق والنصر التى جرت على يد عمرو فى أول اسلامه قد دلت على ما يقبل منها فى روعة واتساع .

بعد اسلام عمرو بقليل ، وعقب فتح مكة ، ارسله النبى عليه الصـــلاة والسلام ، الى صنم « سواع » على بعد ثلاثة أميـــال من مكة ليحطمه ويعفى على آثاره ، وكانت قبيلة هذيل تعبد هذا الصنم فى جاهليتها وتتهالك عليه ، حتى ضرب بهم المثل فى ذلك، فقال رجل من العرب :

تراهم حول قيلهم عكـــوفا
كما عكفت هذيل على ســـواع

فخرج عمرو فى رمضـــان ومعه جماعة قليلة من رفاقه ، وحينما بلغ عمرو الصنم قال له خادم الصنم : ما تريد ؟

فأجاب عمرو : امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه .

فحذره الخادم قائلا : لا تقدر !

فسأل عمرو : ولم ؟ ..

فأجابه الخادم : تمنع !

فرد عمرو ساخرا : حتى الآن أنت على الباطل ؟ ويحك ، وهل يسمع أو يبصر حتى يمتنع ؟ !

وأقدم عمرو فحطم الصنم تحطيما، غير عابىء بخرافات الامس وأباطيل الماضى ، وغير مبـــال بالتهديد أو الوعيد ، وطلب من رفاقه أن يهدموا

بيت خزانة الصنم ، ففعلوا ولم يجدوا فيها شيئا .

وهنا قال عمرو للخادم موبخا : كيف رأيت ؟ .

فلم يملك الخادم نفسه امام سطوع الحق الا ان يقول مبهورا : أسلمت لله رب العالمين .

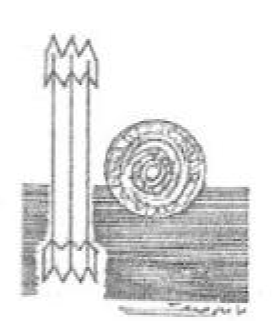
وتوالت الانتصارات والفتوح بعد ذلك على يدى عمرو بن العاص .

جاءت سرية « ذات السلاسل » فى مكان بينه وبين المدينة عشرة أيام ، وكانت فى جمادى الاخرة من السنة الثامنة ، ووقع اختيار الرسول عليه الصلاة والسلام على عمرو ليكون اميرا لها ، وفيها نحو ثلاثمائة من خيار المهاجرين والانصار ، وقال له النبى عند تأميره : « يا عمرو ، انى أريد أن ابعثك على جيش ، فيغنمك الله ويسلمك » .

فقال عمرو : يا رسول الله ، انى لم اسلم رغبة فى المال .

فوجهه الرسول قائلا : « ياعمرو ، نعم المال الصالح للرجل الصالح » !

وعقد له الرسول لواء أبيض وراية سوداء .



ومضى عمرو فى طريقه مجاهدا ، ثم طلب من الرسول مددا حينما رأى ضخامة جيش الاعداء ، كيلا يغرر برفاقه ، أو يعرضهم للخطر ، فأمده الرسول بنحو مائتين فيهم أمثال أبى بكر وعمر وأبى عبيدة رضوان الله على الجميع .

وبدأت المعركة ، وفيها أظهر عمرو عبقريته وبطولته ، وتحقق نصر الله تعالى له ولرفاقه بعد قليل . ونوه النبى صلوات الله وسلامه عليه بفوز عمرو حتى روى أنه قال له : « استعد يا عمرو لفتح جديد » ! .

***

ثم اقبلت حروب الردة القاسية الشرسة فى بداية عهد الصديق أبى بكر ، فكان لعمرو فيها نصيب ملحوظ فقضى عمرو على فتنة الردة فى « قضاعة » ، وقضى بينها زمنا يجاهد فيها كلمة الحق ودعوة الصدق .

ورأى الخليفة أن يوجه الامة المجاهدة المؤمنة الى فتح الشام فأرسل الى عمرو يقول له : « أردت يا أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك فى حياتك ومعادك ، الا أن يكون الذى أنت فيه أحب اليك » .

وجاءه جواب عمرو ، فكان جواب المطبوع على الحرب والقتال . قال له : « انى سهم من سهام الاسلام ، وانت بعد الله الرامى بها ، والجامع لها، فانظر اشدها وأخشاها وأفضلها، فارم به شيئا ان جاءك من ناحية من النواحى » .

واخذت جيوش الفتح تسير وجهتها، وكان عمرو قائدا للجيش الذاهب منها الى فلسطين ـ ردها الله على العرب والمسلمين ـ وهذا هو الجيش الثانى من جيوش المسلمين ، وكانت مهمته أن يفتح فلسطين ، وأن يكون مددا للجيوش التى تحتاج الى المدد

من حوله ·

ووجه ابو بكر الى عمرو وصية دقيقة عميقة بقيت على الزمن وشغلت المؤرخين · قال له فيها :

« قد وليتك هذا الجيش فانصرف الى اهل فلسطين ، وكاتب ابا عبيدة اذا اراك ، ولا تقطع امرا الا بمشورته ·· اتق الله في سرك وعلانيتك ، واستحيه في خلواتك ، فانه يراك في عملك · وقد رايت تقدمتي لك على من هم اقدم منك سابقة واقدم حرمة ، فكن من عمال الآخرة ، وارد بعملك وجه الله ·

« واسلك طريق ايلياء حتى تنتهي الى ارض فلسطين ، واياك ان تكون دانيا عما ندبتك له ، واياك والوهن ، واياك ان تقول : جعلني ابن ابي قحافة في نحر العدو ، ولا قوة لي به ·

« واعلم يا عمرو انك معك المهاجرين والانصار من اهل بدر ، فاكرمهم ، واعرف حقهم ، ولا تتطاول عليهم بسلطانك ، ولا تداخلك نخوة الشيطان فتقول : انما ولاني ابو بكر لاني خيرهم · واياك وخداع النفس ، وكن كاحدهم ، وشاورهم فيما تريد من امرك · والصلاة الصلاة ، اذن بها اذا دخل وقتها ·

« واحذر من عدوك ، وامر اصحابك بالحرس ، ولتكن انت بعد ذلك مطلعا عليهم ، واطل الجلوس بالليل مع اصحابك ، واقم بينهم ، واجلس معهم، واتق الله اذا لاقيت العدو ، وقدم قبلك طلائعك فيكونوا امامك · واذا وعظت فاوجز ، واصلح نفسك تصلح لك رعيتك ، واذا رايت عدوك فاصبر ولا تتاخر ، فيكون في ذلك فخر منك ، والزم اصحابك قراءة القرآن ، وانههم عن ذكر الجاهلية وما كان منها ، فان ذلك يورث العداوة بينهم

« واعرض عن زهرة الدنيا ، حتى تلتقي بمن مضى من سلفك، وكن مع الائمة الممدوحين في القرآن الكريم، اذ يقول الله تعالى : « وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا ، واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » · امض بارك الله فيك وفيهم » ·

❋❋❋

واقبل عمرو بلا خوف على معركة مع الروم انزل بها في قلوبهم الرهبة والرعب ، وجمع الروم فلولهم وعادوا يحاولون النيل من المسلمين ، فتصدى لهم عمرو مع جنوده ، وقتلوا من الاعداء خمسة عشر الف فارس ، ولم يقتل من المسلمين سوى مائة وثلاثين مجاهدا ·

وكان عمرو يحرص دائما على تجميع الجنود وتوحيد القيادة، ويرى ان ذلك هو مفتاح النصر ، ولذلك رايناه في معركة اليرموك ينصح زملاءه بقوله : « ان الرأى الاجتماع، وذلك ان مثلنا اذا اجتمع لم يغلب من قلة ، فاما ان تفرقنا لم تقم كل فرقة لمن استقبلها لكثرة عدونا ·

ومع انه لم يكن القائد العام في معركة اليرموك ، فقد كانوا يرجعون الى رايه وياخذون بمشورته · وتوج عمرو نصر المسلمين في اليرموك بان انتزع اللواء من يد قائد الاعداء ، فانهار الجيش الباغي من ورائه ·

وكذلك كان عمرو من القادة البارزين في فتح دمشق الذي تم في اوائل عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، كما تالق نجمه في فتح « فحل »

و « بيسان » و « غزة » من فتوح الشام .

وتطلع عقب ذلك الى فتح «اجنادين» من أرض فلسطين ، وكان عمرو داهية لا يخاف كما عرفنا ، فأراد أن يطلع بنفسه على خبايا قائد الاعداء من الروم ، وكان يسمى « أرطبون » ، فجازف عمرو وذهب بنفسه متنكرا للقاء الارطبون، على أنه رسول لعمرو ابن العاص ، وهناك أفهم أرطبون أن كل مسلم يحمل روحه على يده ليقدمها رخيصة فى سبيل الله ، واحس الارطبون فى نهاية الحديث أن هذا المحاور له لا بد أن يكون عمرو بن العاص ، أو أحد قواده العظام ، فأوحى الارطبون الى جنوده بقتله فى الطريق ، بعد أن أهدى اليه هدية .

واحس عمرو بالشر ينتظره على الطريق ، واحسن الاحتيال ، بأن عاد الى الارطبون ، وتظاهر بأنه يريد رد الهدية ، لان له عشرة من اخوته وبنى عمومته ، وكل منهم فارس وقائد ، ولا يستطيع ان ينفرد دونهم بالهدية ، فان رأى الارطبون ان يهدى اليهم جميعا كان ذلك خير .

وفرح الارطبون ، وحسب الموقف فخا يستطيع به أن يصيد عشرة لا واحدا ، فاتفق مع عمرو على احضاره الباقين ، ونهى الارطبون جنوده عن الاعتداء على عمرو ، وبهذا خلص عمرو من المأزق الضيق الخطير

وهكذا تحقق رأى عمرو فى نفسه ، فقد ذكر عن نفسه انه يعرف أين يضع قدمه ، وانه ما دخل فى شىء الا وخرج منه ؛ بل وصدقت فيه كلمة عمر بن الخطاب حينما وجهه لقتال الروم ، قال : « قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فانظروا عما تنفرج » .

ولقد انفرجت التجربة فعلا . انفرجت بتغلب عمرو أرطبون العرب على أرطبون الروم . وحق لقائد الروم أن يقول عقب ذلك : « خدعنى الرجل ، انه أدهى الخلق جميعا » . وردد الخليفة عمر قوله : « غلبه عمرو ، لله عمرو » ! .

***

ثم جاء فتح مصر فى أواخر السنة الثامنة عشرة .

وفى هذا الفتح تألق نجم عمرو أوسع تألق ...

وكانت مصر حينئذ تحت طغيان الروم المحتلين واضطهادهم وتعذيبهم، وكانت مصر تتطلع الى من ينقذها من الاضطهاد والعذاب ... وأراد الله جلت قدرته أن يكون المنقذ عمرو ابن العاص .

وتحدث القائد الفاتح ـ كما عرفنا ـ الى الخليفة الفاروق ، محاولا اقناعه بوجوب فتح مصر التى فر اليها أرطبون الروم وتحصن بها مع جيشه بعد هزائمه فى فلسطين والشام .

وتردد الخليفة فى الاذن لعمرو ، ولكن الداهية لم ييأس ، فعاود الحديث بعد الحديث ، وساق الاسباب وراء الاسباب ، حتى اقتنع الخليفة بفكرة الفتح ، وسارع القائد بالتحرك ورأينا كيف احتال عند « رفح » حتى لا يعيده كتاب الخليفة الذى عرفنا أمره من قبل .

ودارت معارك فى « الفرما » و « بلبيس » و « أم دنين » و «الفيوم» و « عين شمس » واخيرا : « حصن بابليون » . وتجلت عبقرية عمرو فى المعارك ، بضم القوى ، وتوحيد القيادة ، وتجميع المعلومات واستخدام المفاجأة ، والتعجيل بالهجوم ، وخفة الحركة ، واثارة الروح المعنوية ، مع الحرص على سلامة الجنود قدر الطاقة .

وانتصر القائد الفاتح ، وشق للاسلام فى مصر طريقا جعلها تعتز فيما بعد بالاسلام ، وتدافع عنه خلال عصور التاريخ الطويلة الذى .

وأراد عمرو أن يكون فاتحا فى

عمرو بن العاص

البناء والتعمير ، كما فتح فى ميدان القتال ، فبنى مدينة الفسطاط سنة احدى وعشرين ، وهى المدينة التى صارت نقطة الارتكاز فى قيام المجتمع الاسلامى فى مصر العظيمة ، وكانت عاصمة مصر المسلمة : مصر القرآن. وبنى عمرو كذلك مسجده الشهير ، وهو أول مسجد يقام فى هذه الديار ، وحفر عمرو خليجا سمى « خليج أمير المؤمنين » . وضرب عمرو كذلك مثلا فى النزعة الانسانية الرحيمة التى تجعل القائد المحارب اليف الطعان والجراح ، يرفق بيمامة ضعيفة ، فقد رووا انه حينما اراد عمرو أن يرحل الى الاسكندرية متابعا فتوحه وانتصاراته وأمر بتقويض فسطاطه ، وجد فيه يمامة قد باضت فى أعلاه ، فأمر بترك الفسطاط على حالته وقال « قد تحرمت اليمامة بفسطاطنا وفى جوارنا ، أقروا الفسطاط حتى تطير فراخ اليمامة » !

وتنقل عمرو بين مواطن الانتصارات ففتح الاسكندرية ، وفتح برقة بعد أن وجه اليها حملة مظفرة بقيادة البطل الفاتح عقبة بن نافع ، واقبل عمرو بعد فوز الحملة فصالح أهل برقة ، ثم تقدم عمرو عقب ذلك الى طرابلس فافتتحها، كما افتتح بلادا أخرى كثيرة واستمر فى هذه الفتوح حتى السنة الثالثة والعشرين .

والعجيب فى امر عمرو انه كان يثق فى النصر الى حد يثير الدهشة ، ولقد تحاور ذات يوم مع قرة بن هبيرة فسأله قرة خلال الحوار : أأنت واثق من النصر يا عمرو ؟ .

فكان الجواب : انى أراه كما أراك أمامى يا قرة ! .

ولعل السر فى هذه الثقة العميقة هو انه كان يعرف عوامل النصر ويحرص عليها ، فقد توافرت فى عمرو قوة الشخصية والشجاعة والدهاء والكتمان والحذر واليقظة والمفاجأة وسرعة الحركة والمحافظة على روح الايمان .

كما كان يرعى مبادىء الحرب واسسها : من الاعداد وجمع المعلومات والاستكشاف والمحاصرة والمباداة ، ورفع القوة المعنوية للجنود على الدوام .

كان عمرو يحرص على جمع المعلومات بوساطة عيونه ورسله، وكان يرسل اكثر من عين، ويدقق فى اختيار هؤلاء العيون ، وكان يجازف احيانا فيجمع هذه المعلومات بنفسه ، كما رأينا فى زيارته متنكرا أرطبون الروم

وكان عمرو يعنى بحشد القوى الى غاية الوسع والطاقة ، والقوى هنا تشمل الافراد والسلاح والذخيرة والتموين ، فهو يجمع اكبر عدد ممكن من الجنود ، وهو يوحديينها ويؤلف قلوبها، وهو لا يجازف بالعدد الصغير يلقى به العدد الكبير من الاعداء ، وهو يطلب المدد حينما يحتاج اليه ولا يتكبر فى ذلك أو يكابر ، وهو لا يتردد فى تأجيل المعركة حتى يستوفى لها حاجتها من القوى والجنود .

وكان عمرو يحسن المباغتة أو مفاجأة العدو بما لم يعد له حسابا ، أو لم يهيىء له اسبابا ، وبذلك يجنى ثمرتين : الاولى أن يربك عدوه ويقلب نظامه ويأخذه على غرة ، والاخرى أن توجد أمامه فرصة سابقة لنيل النصر فى أول الطريق .

وكان عمرو يؤمن بأن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع ، وقد دأب عمرو على اتخاذ « الهجوم المبكر » مفتاحا لانتصاراته المتلاحقة ، حتى يمكن القول بأن هذا البطل كان المهاجم لعدوه دائما ، ولم يدع لعدوه فرصة كي يبدأه بالهجوم ٠

وكان عمرو يدرك جيدا أن القوى البشرية في المعارك لها المكانة الاولى ، ولذلك تجب صيانتها والمحافظة عليها ، للانتفاع بها في كسب المعارك وتحقيق النصر ٠ ولذلك كان ينهى أحيانا عن متابعة المهزومين أمامه خشية أن تفاجأ جنوده بكمين يسيء الى هذه القوى البشرية الغالية ، ولقد حدث في معركة « ذات السلاسل » أن هزم عمرو أعداءه فأراد جنوده بحماستهم أن يلاحقوا المنسحبين ، فمنعهم عمرو ، فشكوا ذلك الى النبي ، فدافع عمرو عن فكرته وقال : يا رسول الله ، لقد كنا نحاربهم في بلادهم ، وقد خفت أن يكون لهم مدد فينقض على المسلمين اذا تبعوهم وبعدوا عن مواقعهم !

وكان عمرو يعرف جيدا أن كل الاسلحة لا تغني عن الروح المعنوية أو القوة النفسية للجنود ، ولذلك كان يستنفر جنوده ويعبئهم دينيا ومعنويا ، ويصلهم بأسباب الايمان واليقين ، ويقول لهم تقدموا فيكم نصر الله ٠

وكان دائما يسمعهم آيات القرآن الكريم ، ويذكرهم بأنهم جند الله ، وانهم مؤيدون بعون الله وانهم يجاهدون في سبيل الله ، وانهم موعودون باحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة ٠٠ وكان في أشد المراحل يقول في ثقة ويقين : « بقيت سيوف ستغمد في قلوب المرتدين والكافرين »

***

واذا كنا قد سلطنا الاضواء في مجالنا هذا على الجوانب المشرقة المضيئة في بطولة عمرو الحربية ٠ فليس معنى هذا أننا ننزهه عن الخطأ أو نحول بينه وبين المراجعة والنقد في هذا الجانب أو ذاك ، فمن الطبيعي أن توجد في الحياة العريضة الواسعة لبطل كعمرو ، مآخذ لمن يطلبها ، ومراجعات لمن يتعقبها ، وهذه الجوانب التي طال حولها الخلاف والنقاش ، قد تكفلت بتفصيلها مراجع ومراجع ، فحسبنا هذا الاقتصار على ما قدمنا ، لعل فيه عظة وبلاغا لقوم يعقلون

ولقد ظل عمرو بن العاص سنوات بعد سنوات ، وهو موصول الاواصر بالحرب والنصر ، وقد يبعد عن الميدان ، وقد يدنو منه ، ولكنه لم ينقطع عنه ، حتى زاد عمره على السبعين ، حيث توفي يوم الفطر سنة ثلاث واربعين ، ودفن في سفح المقطم ٠

وحينما حضرته الوفاة أخذ يقول مناجياً ربه :

« اللهم أمرتني فلم أأتمر ، ونهيتني فلم أنزجر ، ولست قويا فانتصر ، ولا بريئا فاعتذر ، ولا مستكبرا ، بل مستغفرا ، لا اله الا انت » ٠

فلم يزل يردد هذه الكلمات حتى مات ٠

عليه رحمة الله ٠٠٠

د. أحمد كمال زكي



● الحق أن شروط القيادة على تنوعها – وأن تكن تنحصر دائما فى القدرة على فهم قوة الطرفين المتجاذبين – ترتد دائما الى أصول عرقية وبيئية معقدة ·

وبعضها يرجع الى مكونات الشخصية أو الى وقائع سلوكية يمكن أن يبدو لها وزن فى تلازم الكائن البشرى أو نشوزه ، وبعضها يرجع الى مجرد عمليات الادراك والتذكر والتعلم والتمييز والتنبؤ بمجال معين من الوقائع الانسانية ، وبعضها يرجع الى الحافز فى ضوء التاريخ والعوامل المعاصرة ، على حين يرى جماعة أن القائد نابغة أو عبقرى وربما لا تؤثر فيه خبرات النمو والتدرج بقدر ما يؤثر فيه الحدس والالهام ·

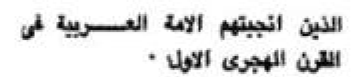
وكل هذا اذا اخذنا به قائدنا تستقيم شخصيته على نحو من الانحاء ، غير انه يكون اشبه بالتعليل الناقص لموهبة وضعت صاحبها فى مصاف القادة المعدودين

القيادة تخطيط للنجاح وسيادة للبقاء ، وقلما يكون قائد الا بهاتين الصفتين .. هنا بيننـــا وهناك بينهم ، وعلى مدى التاريخ ، وفي الاساطير والحكايات التي تحفظها المأثورات العالمية .

ويبدو ان ارتباط عملية التخطيـــط برغبة السيادة ـ وهذه تنبع من ايديولوجية محددة ـ تحتاج دائما الى الدهاء ، او على الاقل الى الرؤية الثاقبة . يروى عن قائدنا الذي نترجم له هنا انه تعرض لثورة في خراسان فجزع ـ وقلما كان يجزع ـ فقيل له : مايهمك منهم ؟ وجه اليهم وكيع بن ابي مسعود ، فانه يكفيكهم؛ قال : لا ، ان وكيعا رجل به كبر يحتقر اعداءه ، ومن كان هكذا قلت مبالاته بعدوه فلم يحترس منه ،فيجد عدوه منه غرة !

وهذه الواقعة تكشف عن ملكة القيادة فيـه بالقدر الذي تكشف عن ملكة السيادة في امته ، وهي امة العرب التي مكنت له ان يســهم في سياستها .. سياسة النجاح من اجل البقاء .





الذين انجبتهم الامة العـــربية في القرن الهجري الاول .

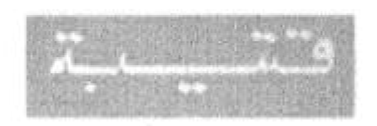
***

ان قتيبة بن مسلم صـاحب هذه الترجمـــة وربيب الامويين ـ وهم عرب ينحدرون من أصلاب قوية ـ لقن فنون الحـــرب ، ووقع على ما ينبغي للجمـــاعات العربية أن تعتمده من معاونة الشعوب المغلوبة بشتى وسائل اهمها اكتساب ثقتهم .

ولم يغفل قط عن حيطة واجبة ولا حيلة نافعة ، ورأى أن الضرورة تقتضى منه أن يوحد ما بين العرب ويثير همتهم وفى الوقت نفسه يضرب من تحدثه نفسه بشق عصا الطاعة ٠

***

من المؤكد ـ بحيث لا مجـــال لاستنتاج او للتردد فى فهم ـ أن قتيبة قد نشأ فى البصرة بين الحضر والمدر مستجيب الطبع لما تتكلفه حياة متقلبة تشرق فيها بوارق الامل بمقدار ما تتلبد فى سمائها غيوم اليأس ٠ الا انه



استطاع ان يعبر الطريق ومن ورائه ـ بعد ابيه ـ ام باهلية قيـــل فى وصفها انها كانت شـــديدة الحزم والعزم ٠ واما اخوته فقد ســــكت التاريخ عنهم حتى امر اخوهم قتيبة، وهم محمد وصالح ويسار ومســـلم وعبد الرحمن وعبد الكريم وعبد الله وقد جاهدوا معه وقادوا له الجيوش التى استعاد بها للامويين طخارستان الدنيـــــا ، وفتح بخارى ، وثبت السيادة العربية فى ولايات سيحون وحوض جيحـــــون ، واغلبهم صرع عندما ثارت القبائل العربية عليه ٠

وقد امر قتيبة بن مسلم وله رصيد هائل من صفات الزعامة ٠ فاذا قومنا طبيعة قيادته رأينا ـ فى هذا الاطار من الحزم والعزم ـ انه قائد من طراز فريد ، فى صراحة بادية ولى تأهب لا تنتقصه نقيصة ، ثم لننظر ما يلى :

حكى انه كان اذا رجع من غزوة كل سنة اشترى اثنى عشر حصـــانا واثنى عشر هجينا ، فيعدها ، واذا تأهب للغزو الجديد ضمرها وحمـــل عليها الطلائع ٠ وكان يجعل الطلائع الرس الفرسان واشرفهم ، ويضم اليهم من العجم من يستنصحه ، واذا بعث طليعة امر بلوح فنقش ثم شقه نصفين اخذا شقا ومعطيا نصفه للطليعة ، ويأمرهم ان يدفنوه فى موضع بعينه بدقة ، ثم يبعث بعـــد الطليعة من يستخرجه ليعلم اصدقت الطليعة ام لم تصدق !

كما حكى بعد أن صالح خوارزم شاه أن أتاه المجشر بن مزاحم السلمى يقول له هامسا : ان أردت الصغد فهم الان امنون من أن تأتيهم عامك هذا ، وانمـــــا بينك وبينهم عشرة أيام ! فسأله : هل اشار عليك بهذا أحد ؟ قال : لا ! فعاد يسأله : أترى سمعه منك أحد ؟ قال : لا ! قال : والله لئن تكلم به غيرك لأضربن عنقك ٠

فالتأهب واستغلال الطـــلائع مع كتمان الامر ـ كضرورة ملحة للمباغتة التى أولع بها ـ عمليات اساسية فى قيادته الجيوش ٠ بل لعله كان يعتمد السرية فى المحل الاول ، باعتبار أن جنده أساسا من خيرة الجنود ٠ فى



أحد الايام استدعى أخاه عبد الرحمن وجعله على الفرسان والرماة ، فلما سار يومه كتب اليه « اذا اصبحت وجه الاثقال الى مرو ، وسر بالفرسان والرماة نحو الصغد ، واكتم الاخبار فانى فى الاثر » .

ها هنا السرية ، ورغبته فى أن تكون المفاجأة به هو نفسه شيئا فاصلا !

وفى مستوى المباغتة اعداد الكمائن .. وكان قتيبة من اكبر قواد العرب استغلالا لها .. لجأ اليها فى بخارى واعتمدها فى فتوحاته على حدود الصين .

ويروى أن أخاه صالحا نصب كمينين على فرسخين من مواقعه ، فلما جن الليل زحف أعداؤه اليه ، فأطبق الكمينان عليهم ، واذا كمين ثالث يدخل المعركة ولم يكن أحد يدرى به فى صفوف المسلمين « انا لنقاتلهم اذ رأيت تحت الليل قتيبة وقد جاء سرا ، فضربت ضربة أعجبتنى فصحت فيه : كيف ترى بأبى وأمى ؟ فقال : أسكت فض الله فاك ! » .

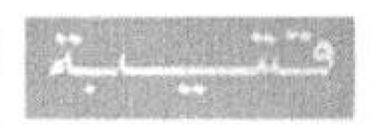
وفى بعض المعارك كان لا يرى للكمائن موضعا ، فيستغل عناصر الشجاعة والبطولة والاقدام فى جنده، ويروح يحركهم فى كل اتجاه وذلك بغية تشتيت قوى خصمه ، وكان فى ذلك حاضر البديهة سريع الملاحظة جهير الصوت قوى التأثير ، غير انه كان يعدل عن هذا وذاك بشيئين : بالحصار ما كان يراه اجدى فى الحرب من تمزيق الجيوش – فيجعله من هنا مناطه حتى كأنه لا سبيل الا اليه – وبالمصالحة ما دام يغتنم من ورائها الطاعة والاسلاب .

وبصدد الحصار نلقانا معه أمام بخارى حيث دارت أعنف المعارك عبر فيها نهرا عظيما للاقاة الصغد وأهل كش – شهرى سبز اليوم – قرب سمرقند ، وانتهى الى بخارى بعد معركة استمرت يومين وليلتين دون أن يكتب له النصر . فرجع الى مرو ، ولكن الحجاج لما علم بإخفاقه بعث اليه يقرعه ويقول « تب الى الله مهما كان منك وائت بخارى من كل مكان واياك والتحويط ودعنى من ثنيات الطريق » .

كان ذلك عام تسعين ، فلم يجد قتيبة بدا من أن يحاصر بخارى ،

حتى اذا جاءه المدد اقتحم المدينة ..
فتحصن الترك على لغز تحيط به مياه
نهر عظيم ، ومرة اخرى حاصر الغز
الى ان احس ان الامر يوشك ان يكون
له ، فصرخ فى بنى تميم ليخرج اليه
مريم بن ابى طحمة — وكان على
الخيل — وتبعه ابو مطرف وكيـــع
بالمشاة .

وسرعان ما اقيم جسر على النهر
ووكيع يقول : من وطن نفسه على
الموت فليعبر والا فليثبت مكانه !



وتلاقت الخيول الى ناحية الترك
المحاصرين حتى خالطتهم ، فوجـــد
المشاة فرصتهم ليحدروهم من التل
صرعى .

وفى سنة احدى وتسعين كان ينزل
— احد الملوك العظام بآسيا — قــد
غدر به بالطالقان — احــدى مدن
طخارستان بين بلخ ومرو روذ —
ثم هرب الى موضع يقال له الكرز ، وهو
صعب لا تطيقه الدواب ، ولا مسلك
له الا من وجه واحد ، فحصره قتيبة
شهرين . وحدث فى هذه الاثناء ان

طرد ملك شومان عامل قتيبة واعلن
العصيان بعد ان تحصن فى قلعته
وهو يقول : انا امنع الملوك حصنا !
فوجد قتيبة ان الحصار سبيله الى
النيل من هذا الملك المتبجح .

وقصارى ما يقال فى هذه الخطة
ان قتيبة غنم بها الكثير ، فاذا عدنا
الى المصالحة — وهى اسلوب برع
فى تنفيذه هذا القائد — نجد انه كان
يلجأ اليه عندما يرى ان كل شىء فى
المعركة يتوقف عليه . ومن ثم فهو
حينما يصل الى الصغانيان سنة
خمس وثمانين يقابله ملكها برغبة
الصلح ويصله بالهدايا ومفاتيح
الذهب ! ثم سار الى اخرون وشومان
— وهما من طخارستان — فقبل ان
يصالحه ملكها على فدية اداها اليه .

وفى سنة سبع وثمانين غزا مدينة
بيكند — وهى ادنى مدن بخارى الى
النهر — فلعب جواسيسه دورا
كبيرا ، فى الاجهاز على المقاومة .
ولما انهزم جيش المدينة تحصنت
فلوله وراء اسوارها ، فامر قتيبة
الفعلة بهدم الاسوار . وهنا يسال
الصلح فيوافق ، ويقر على المدينة
احد عماله ويرحل . غير انه لم يكد
يبتعد حتى نقض اهل بيكند صلحهم ،
وقتلوا عامل قتيبة ومن معه ، فرجع
اليهم ونقب الاسوار فعادوا يسالون
الصلح ، الا انه ابى واقتحم المدينة
وقتل كل من كان بها من المقاتلة .

انه كان ينفذ الخطة بمقدار
الحاجة اليها ، فكان يحارب وكان
يهادن ، وكان يصالح ، ثم اذا

عبث عـدوه بالعهود والمواثيق ضربه بقسوة لا تعرف حدا ٠

حدث انه كان يغزو نومشكث ـ وقد استخلف على مرو أخاه يسار ابن مسلم ـ فتلقاه أهلها فصالحهم ، ثم سار الى رامثنة فصالحه أهلها أيضا ٠ غير أنه لم يكد يستقر حتى زحف اليه الترك والصـغد وأهل فرغانة فى مائتى الف بقيادة الملك كوريغـانون ـ وهو ابن أخت ملك الصين ـ وانتهوا الى الفرقة التى كان يقودها عبد الرحمن أخو قتيبة وبينه وبين أوائل العسكر بقيادة قتيبة نحو ميل ٠ فتحول قتيبة اليهم فى الوقت الذى كان أخوه يوشك على الاستسلام ، ولما رأى المسلمون قائدهم الكبير بينهم طابت نفوسهم واشتعلوا حماسة وتصايحوا يكبرون، ثم اندفعـوا يمزقون أعداءهم شر ممزق ٠

وهـذه الواقعة تقفنا على مكانة قتيبة فى قلوب جنده ، وكأنه كان يجعل مجرد ظهوره سـلاحا من أسلحة المعركة ٠ وتلك سمة القائد الناجح الذى يستغل كل شيء ، ابتداء من السيف والسهم الى قوة الايمان وهمة الامل ، ناهيـك عن اثارة الحمـاسة والدعوة الى المناقرة أو المواجهة على ما رأينا فى واقعـة عبور النهـر بقيادة هريم ووكيع التميميين ٠

فاذا اضفنا الى ذلك أنه كان دائم الذكر للحجاج بن يوسف الثقفى ـ وهو الذى تعهده وجعله أميرا على ما يلى البصرة من شرقها ـ وكان الحجاج احدى الشـخصيات التى تأسر المحـاربين بجرأتها وغرابة تصرفاتها ، أحسسنا على الفور كيف كان قتيبة يرسـل بفيالقه لا مارك وفى رءوسهم أفكار هائلة عن الحرب وحقيقتها ، ومشـاعر رائعة عن الانتصار وفاقا للترتيب الذى يضعه قائد عظيم هو قتيبة وأمير خطير هو الحجاج !

⁂

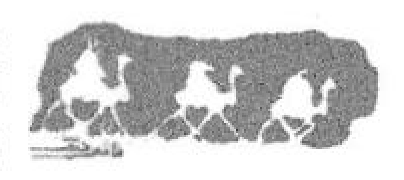
اترانا عرفنا كل شيء عن قتيبة ؟

اننا من غير شك قد انتهينا الى انه كان نمطا فريدا بين قواد التاريخ والا فلنقرأ التالى بسرعة :

فى سنة خمس وسـبعين يخرج الحجـاج من الكوفة الى البصرة ليخطب فيهـا ويتوعد من أهلها من يقعد عن نصرة المهلب بن ابى صفرة فى حربه الخوارج ٠ وكان آل المهلب يزاحمون الباهليين على السيادة ، فرأى قتيبة بثاقب فكره أن مهادنة الامير الغليظ ضرورة لمعاش أسرته ، فوفد عليه بجماعة كبيرة من باهلة فولاه الحجاج ميمنة جيشه ٠ ولما كان من امارته خراسان ، وسجستان فقد تهيأت الفرصـة لقتيبة أن يجوس فيهما طوال حرب المهلبيين - من قبل الحجاج ـ للازارقة الخوارج،

بينما كان الحجاج نفسه مشغولا بحرب شبيب الخارجي وزوجه غزالة الحرورية ومصاد أخيه ، ومن بعدهم مطرف بن المغيرة بن شعبة ·

وفي سنة ثمانين بدا كما لو أن نور المهلب وابنيه يزيد والمغيرة أخذ في الاتساع ، وذلك بوصولهما الى ما وراء النهر في وسط آسيا · ولكن تعثرهما أكد لقتيبة أنهم — على شجاعتهم — انما يحاربون بالقريحة الملهمة ، والحرب في تلك الاصقاع تحتاج الى التدبير والتأمل · وبموت



المغيرة ومصالحة المهلب أهل كش ثم موته في سنة اثنين وثمانين ، وجد قتيبة سبيله الى هذه البقاع ، وذلك ابان ثورة ابن الاشعث · وعلى الرغم من أن الحجاج ظفر بهذا الثائر فان عمر بن ابي الصلت حمل رايته ، وهنا لم يجد الحجاج اكفأ من قتيبة لمغالبة هذا الثائر الجديد · فقصده قتيبة واقتحم عليه الرى وتولاها ، ثم كتب الى الحجاج بخبر انهزام عدوه الى طبرستان ، وكان الحجاج في تلك الاونة يكتب بعزل يزيد بن المهلب ·

كان ذلك سنة ثلاث وثمانين ، وسرعان ما ارتفع نجم الباهليين في سماء البصرة ·

ولم تجيء سنة خمس وثمانين حتى كان قتيبة اميرا على خراسان كلها — وقيل سنة ست وثمانين — فعرض الجند وحثهم على الجهاد ، وبدا في عيون الناس قائدا يدخره الامير الثقفي للقيادة والجهاد في أصعب اصقاع العالم وأوحشها ، وفي ظل خليفة حازم لبيب خطيب هو عبد الملك بن مروان ·

على انه في العام التالي ، وقد مات الخليفة ، بمرو غازيا ، فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلخ يسيرون معه ، فقطع بهم النهر منصورا ، ثم استولى في معركة خاطفة على اخرون وشومان ·

وفي سنة سبع وثمانين كتب الى نيزك طرخان صاحب باذغيس في اطلاق الاسرى المسلمين الذين اخذهم من جند المهلب ، ثم وثب بسرعة الى بيكند ببخارى ·

وفي العام التالي هاجم نومشكث، ثم اخضع كل بخارى واذل اهل كش· ولم يرجع الى عاصمة امارته الا ومعه الملوك مصفدين ، ومن هؤلاء الملوك نيزك الذى ارهقه بفراره واعلانه خلعه مستعديا عليه اصبهبذا بلخ وباذان ملك مرو روذ وكابل شاه وملوك الطالقان والفرياب وجوزجان وطخارستان ·

على أن قتيبة يستطيع فى سنة احدى وتسعين أن يضرب على ايدى كل الثائرين ، وتصل اليه الهدايا وهو فى خراسان ، ثم لا يأتى العام التالى الا وأقاليم النهر وما وراء النهر تدين له سوى خام جرد بقيادة خوارزم شاه ، فقضى عليه وجرد جيشا قويا لاخضاع سمرقند . وفى هذه المعركة استغل قتيبة كل طاقاته القتالية والقيادية ، ونجح بالتخطيط السليم وبالحيلة والسرية أن يحرز النصر الذى تغنى به الشعراء ، قال الكميت :

كانت سمرقند احقابا يمانية
فاليوم تنسبها قيسية مضر

وقال غيره :

وما كان مذ كنا ولا كان قبله
ولا هو فيما بعدنا كابن مسلم

اعلم لاهل الشرك قتلا بسيفه
واكثر فينا مقسما بعد مقسم

ثم رجع الى مرو ليسمع أهل خراسان يقولون : ان قتيبة غدر بأهل سمرقند ، لانه أمر والمعركة محتدمة بسرير ، فلما جىء به قعد عليه وهو محتب لا يحل حبوته ويعد الدهاقين بالعفو ، حتى اذا استسلموا قتلهم وهو يقرأ قوله تعالى « وانه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى » .

وفى السنة نفسها – على ما يقول ابن الاثير – قطع النهر وفرض على أهل بخارى وكش ونسف وخوارزم أن يجندوا له عشرين ألف مقاتل بعثهم الى الشاش ، وتوجه هو الى فرغانة ثم الى كاشان ، وانتظر حتى رجع الجنود الذين وجههم الى الشاش وقد فتحوها .

وفى سنة خمس وتسعين أتاه – وهو فى الذروة ونشوة الانتصار – موت الحجاج وقد كان عرب خراسان يحسون مدى مساندته له فلا يجدون السبيل الى مخاصمته ، فرجع فورا الى مرو وهناك تسلم كتابا من الوليد ابن عبد الملك يقول فيه « قد عرفت أمير المؤمنين بلاءك وجدك فى جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذى يجب لك ، فأتم مغازيك وانتظر ثواب ربك ، ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك حتى كأنى أنظر الى بلائك والثغر الذى أنت فيه »

وكانت تلك شهادة بعظمته وكفاءته ، وكأنه أراد أن يكون عند حسن ظن الخليفة فغزا كاشغر سنة ست وتسعين .. وغنم وسبى سبيا وختم أعناق الاسرى وأوغل حتى طرق أبواب الصين بجيش أول خيله عند ملكها وآخرها فى منابت الزيتون !

ثم يأتيه نبأ بخلافة سليمان بن عبد الملك – وقد كان كارها له – فيعلم أن تلك نهايته . غير انه لا يبالى بشىء ، بل انه ليذهب الى أبعد من

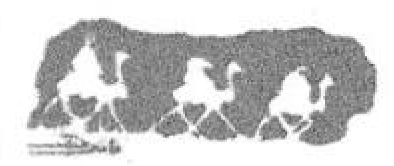
ذلك ويبعـــث بتهـــديد له وكان قد ســـمع ان الخليفة يريد ان يؤمر يزيد بن المهلب مكانه ٠٠ لقد اقسم ان الخليفة اذا استعمل هذا القـائد فلن يجد بدا من خلعه ٠٠٠

وتلك سقطة البطل !

انه ليعلم ان القدر يتربص به ، ويدرك تماما ان الخليفةالجديد لا يمكن ان يخضع له ، ولكنه يمضي في تحديه

٠٠ واذا تلك نفحة قتيبة من نفحـات العبقرية ٠

ايكون مجنونا ؟



من المؤكد لا ، الا ان كبرياءه او مكابرته ـ ولا نقول غفلته ـ دفعته الى المواجهة القاتلة وقد فقد ظهيره

الحجاج ، واضاع في الطريق ـ بقسوته ـ جانبا من حب الناس له ٠ ٠ ناهيك عن العصبية ، والحاف يزيد بن المهلب ٠٠ وضغينة الموتورين، وانتهاء الغاية التي يمكن ان يصل اليها العرب في الفتح ، واحساس الدولة نفســــها بالخوف من جبروته ٠

وهكذا سقط ٠٠٠

***

وقيل في سقوطه أو مقتله ســـنة ٧١٥/٩٦ انه جاهر بنزع الطاعة ، فاختلف عليه قادة جيشه ، وقتله وكيع

ابن حسان التميمي بفرغانة ٠ وينقل ابن الاثير عن الطبري ـ ويثبت النقل

ابن خلدون ـ أن الوليد بن عبد الملك أراد أن ينزع أخاه سليمان من ولاية العهد ويستبدل به ابنه عبد العزيز ، فوافق كل من الحجاج وقتيبة ولم يوافق الاخرون ٠ فلما مات الوليد

وولي سليمان ، رأى ان لا بد من ان يتحرك ، فبعث له يهدده ، ثم شفع تهديده بالخلع بعد ان استشار اخويه عبد الرحمن وعبد الله ٠

قال ابن الاثير « دعا الناس الى خلعه ، وذكر أثره فيهم ، فلم يجب أحد ، فغضب وقال : لا أعز الله من

نصرتم ٠ وسب قبائل العرب ، ثم خاطب اهل خراسان قائلا « حتى متى

يتبطح اهل الشام بأفنيتكم ؟ انسبوني تجدوني عراقي الام والمولد والرأي والهوى والدين ، وقد اصبحتم فيمـا

ترون من الامن والعافية قد فتح الله لكم البلاد » ٠

ثم نزل والناس في هياج ، وفيهم من الازد من يصرخ بخلعه « ان هذا

قد دعا الى خلع الخليفة وفيه فساد الدين والدنيا ، وقد شتمنا » وأتى الناس الى وكيع وسألوه ان يلي امرهم فوافق ٠ ولما علم قتيبة بذلك جمع اليه اهل بيته وخواص اصحابه وثقاته،

الا ان خصومه عاجلوه بالهجوم ٠ وانبرى لهم صالح بن مسلم فرماه رجل من ضبة ، فحمل الى قتيبة ورأسه مائل

٠٠ فبكاه ساعة ٠ ولما خرج وجـد الثوار يفتكون بأخيـــه عبد الرحمن

ويضرمون النار في حظائره .

على أنه لم ييأس ، وفي الوقت نفسه . لم يكن يريد أن يهلك الناس معه .. رأى باهليا يقاتل عنه بضراوة فقال له : انج بنفسك ! فقال الباهلي : بئس ما جزيتك اذن وقد أطعمتني الجردق وألبستني النرمق !

ودهم الثوار فسطاطه فقطعوا أطنابه وتمكنوا منه فجرحوه وهو يقول « تقتلون الحق وايم الله » .. وأجهزوا عليه وعلى أحد عشر من أهل بيته ، وقيل لم ينج سوى أخيه عمر بن مسلم أنقذه أخواله من قيس .

وبمصرعه صعد وكيع المنبر وخطب في الناس يعلن ولاءه للخليفة بدمشق ، وطلب رأس قتيبة وخاتمه ، وباهى بنفسه وهمته .



وتسامع الخراسانيون بالكارثة فقال واحد منهم : يا معشر العرب قتلتم قتيبة ، والله لو كان منا فمات لجعلناه في تابوت فكنا نستسقي به ، ونستفتح به اذا غزونا ، وما صنع أحد بخراسان قط ما صنع قتيبة .

وقال الاصبهبذ : قتلتم قتيبة ويزيد ابن المهلب وهما سيدا العرب ! فقيل له : أيهما كان أعظم عندكم وأهيب ؟ قال : لو كان قتيبة بأقصى جحر في الغرب مكبلا ويزيد معنا في بلادنا أمير علينا ، لكان قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد !

ورثاه الاصم بن الحجاج بن يوسف الثقفي ذاكرا وقوفه مع أبيه وقيادته جيوشه :

ألم يأن للاحياء أن يعرفوا لنا
بلى نحن أولى الناس بالمجد والفخر
ولو لم تعجلنا المنايا لجاوزت
بنا ردم ذي القرنين ذا الصخر والقطر
ولكن آجالا قضين ومدة
تناهى اليها الطيبون بني عمرو

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية « وقد كان قتيبة بن مسلم ابن عمرو الباهلي من سادات الامراء وخيارهم ، وكان من القادة النجباء الكبراء ، والشجعان ذوي الحرب والفتوحات السعيدة والآراء الحميدة » .

وقال غيره وغيره ، وكل ما قيل يضع أمامنا صورة باهرة لرجل عظيم ، هو قتيبة بن مسلم الذي كان سيد القواد ...

محمود العتريس

السلام

نزّاعةٌ للشّوى ينزو بها الشّررُ
كأنّها في احتدامات اللظى سقَرَ

وقودُها البغي في أعتى كتائبه
تأتي عليه فلا تبقي ولا تذَرَ

الحقِ يذكو بها في كل ملحمة
ويذكر الدّهرُ مرآها فيعتذر

جهنّمٌ قبل يوم البعثِ سعّرها
في جنّة الأرضِ قومٌ بأسهم قدَرَ

همُ الرجالُ وهمْ رسل السّلام وهمْ
جحافلُ النار يومَ الهولِ تستعِر

قومٌ غلاظٌ شدادٌ لا تلينُ لهمْ
في الرّوعِ أفئدةٌ أو يلتوي بصَر

ويُعرفون بسيماهم فكلُّ فتىً
منهمْ به من تباريح الفدا أثر

يا عصبةَ الشر أوهامٌ منازلكم
لا يولدُ الشر إلا يوم يحتضَر

ما خابَ قومٌ أظلّ الحقُّ رايتَهم
وباركَ العدلُ ماشادوا وماعمَروا

لن تخدَعوا الأرضَ ماأرضُ السلام لكم
بموطن يُجتنى من نبته الثمر

ما دبّ (صهيون) يوماً في مسالكها
الا ذليلُ الخطا يشقى ويأتمر

لا تستهينوا بصبرٍ في معاقلنا
فانه عاصفٌ بالثأر يختمر

غداً يطيحُ بكم خلف الزمان لقىً
وما غدٌ ببعيد الصبح ، فانتظروا

***

نحن الضياءُ وليل الدهر يعرفنا
والنجم في سربه والشمسُ والقمر

شمُّ الجباهِ وان مالَ النهارُ بنا
حيناً فكم حطمتْ في ليلنا الغِيَر

كتائب لا يطيق البغيُ صولتها
وتحت أعلامها يستعذب الخطر

وقائدٌ من ضميرِ الحقِّ حكمته
ومن فؤاد الحجا آلاؤهُ الغُرَرُ

***

الله أكبرُ ... مازالَ السلام بنا
تحدو مواكبه الأسيافُ والسُوَرُ

والمجدُ للشعبِ قد شقَّ الظلام ضحىً
فهتّكت عن ضلالاتِ الرؤى السُتُر

محمد عبد الغنى حسن

بطل من بنى ثقيف

فاتح السند

محمد بن القاسم الثقفى



نحن الان امام بطل عربى فاتح لم يسد بنسبه واسرته ، كما ساد بعمله ، ولم يمنعه الشباب الباكر من ان يدخل التاريخ من اوسع ابوابه ، على الرغم من ان سنه لم تزد على بضعة عشر عاما

وبطلنا اليوم شاب من بنى ثقيف ، حمل لواء القيادة فى فتح العرب للسند وهو فى سن تغرى باللهو ، وتدفع الى الفراغ ، وتسوق الى المراح ، وتستجيب لكل دعوة من دعوات الحياة الهينة اللينة ، ولكنه اطرح ذلك كله جانبا ، ووطد العزم على ان يوجه همه الى الجهاد فى سبيل الله ، معليا كلمته ، رافعا رايته . فراح يتخفف من كل ما تمليه النفس من رغبات المتاع فى الحياة بل راح يجرد نفسه من كل غاية ، الا غاية نشر كلمة الله فى الآفاق ..

ذلك البطل الشاب ، والقائد المعقودة له الوية النصر دائما هو محمد بن القاسم الثقفى ، احد ابناء ثقيف الذين اعتز بهم ((الطائف)) ـ وهو ربض من ارباض مكة ـ واعتز بهم العرب فى صراعهم ضد غير العرب ، واعتز بهم الاسلام وهو يسجل الاعمال الخالدة للقواد الخالدين .

اشتهرت « الطائف » التي انجبت هذا القائد الزاحف المنصور ، فوق تنوع رياضها .. وغنى بساتينها ، بدباغة الجلود والاهب الطائفية المعروكة ـ كما يذكر جغرافينا الهمداني صاحب « صفة جزيرة العرب » في وصفها ، وكان الاقدار واءمت بين أهب شباب الطائف وجلودهم ، وبين الاهب والادم الشديدة التي امتازوا بصناعتها ... ففيهم من الجلد والصبر والاحتمال والثبات في المواقف والعناد في المعارك ما يذكر دائما بمتانة الاهب التي تصنع بايديهم والتي جرت لها في شبه الجزيرة العربية شهرة طائلة ، كما اشتهرت « الهند » بالسيوف ، و « الخط » بالرماح ...

وفي بني ثقيف اعتداد بالنفس واعتزاز بالذات الى حد انهم كانوا يتمنون ، حين اختص الله محمدا عليه السلام بالوحي ، وآثره بالرسالة، وشرفه بالقرآن ، لو ان القرآن انزل على « عروة بن مسعود الثقفي » احد سادتهم .. والى هذا يشير القرآن الكريم بقوله : (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم !) (١)

وتلمع في تاريخ بني ثقيف ـ قبل الاسلام وبعده ـ أسماء عرفت بالعقل او الجاه او السيادة او غيرها من مظاهر التفوق والعلو

فقد كان منهم « عروة بن مسعود » : عظيم القريتين ، الذي تمنت ثقيف بل تمنت معها قريش لو ان القرآن انزل على رجل مثله ، بدلا من نزوله على محمد بن عبد الله .

وليس عجيبا ان يجيء بطلنا محمد ابن القاسم في هذه السلسلة من الرجال ، يحلي عقدها ، ويزين جيدها، حتى يكون بحق فرعا من اصل كريم ويبدو أن بني ثقيف كانوا على تمام اليقين بان السيادة لا يحول دونها صغر السن ، وقصر العمر ، ولم يكونوا يقيسون المرء منهم بعمره قدر ما يقيسونه بعمله وآثاره . ومن هنا غلب على سادتهم الظهور وهم في اسنان صغيرة، وأعمار مبتدئة . وكان الواحد منهم لا ينتظر زمنا حتى تسوده سنه ، بل تراه يسعى الى السيادة وهو غض الاهاب ، طري الشباب .

والحجاج بن يوسف الثقفي نفسه ـ ابن عم بطلنا ـ مثال لهذه الظاهرة، فقد ساد وهو على ابواب الخامسة والعشرين أو فوقها بقليل ، وصارت اليه ولاية الحجاز وهو في الثالثة والثلاثين ، وانتهت اليه ولاية العراق وهو حول الخامسة والثلاثين . ولقد مر بدورة الزمان معلما للصبيان في الطائف ، وشرطيا في شرطة عبد الملك ابن مروان ، ثم لا يلبث أن تكشف التجربة عن رجولته وكفايته ، فاذا هو رئيس مقدم عند الخليفة الاموي الذي كان له فراسة صادقة في الرجال

الا ان بطلنا محمد بن القاسم الثقفي زاد على ابن عمه : الحجاج في هذا المجال، بل زاد على كثير من الابطال الذين عرفهم التاريخ في القديم والحديث . فقد كتب الله له أن يكون قائدا على الجيش العربي الذاهب لفتح بلاد السند وسنه سبعة عشر عاما لا تزيد ، بل قد تنقص عددا من الشهور ..

والحق أن اختياره لقيادة هذا الجيش ، وانعقاد النصر له في كل موقعة شهدها بالسند ، والقاء العدو له بالسلام والتسليم قبل اللقاء في المعارك كان حدثا لم يفلت من زمام اللاحظين والمراقبين ، وكان ظاهرة

(١) سورة الزخرف ـ الاية رقم ٣١



بطل من بني ثقيف

استغلها الشعراء، وتمسكوا بأهدابها في مقام الرثاء له ، والبكاء عليه حين أزفت ساعته ، وحانت منيته ، فهذا الشاعر « حمزة بن بيض الحنفي » (١) الذي كان منقطعا الى المهلب بن أبي صفرة وولده ، الذي كان سائر الشعر ، مجيد القول ، يقول في رثائه من قصيدة لم تصل الينا كاملة :

ان المروءة والسماحة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرة حجة
يا قرب ذلك سؤددا من مولد

وهذا الشاعر الاموي الاخر المجهول الاسم يقول في رثائه شعرا منه هذا البيت الذي يرويه المؤرخون والاخباريون دائما :

ساس الرجال لسبع عشرة حجة
ولداته عن ذاك في اشغال

والحق أن لدات محمد بن القاسم الثقفي واترابه في هذه السن الباكرة كانوا في شغل عن القتال والنزال ، بدواعي الهوى والشباب

مولده

لا يعرف شيء على سبيل اليقين عن تاريخ مولد محمد بن القاسم الثقفي، فان التاريخ حتى في الشذرات المنتثرة عن حياته يضن بذكر مولده ، ولكنا تخالف ما ذكره صاحب (الاعلام) من أنه ولد سنة ٦٢ هـ ، ونرجح أنه ولد بعد ذلك بعشر سنين ·

ولعل اجماع مادحيه وراثيه على أنه ساس الجيوش وسنه سبعة عشر عاما يؤكد لنا ما استظهرناه من أنه ولد سنة ٧٢ هـ · فان سياسته للجيوش لا يقصد بها الا قيادته لجيش المسلمين الذاهب الى السند ، وكان ذلك في السنة التاسعة والثمانين من الهجرة على ما تذكره كتب التاريخ العربي وكتب الفتوح ·

ولا أدري المصدر الذي عول عليه صاحب « الاعلام » في ذكر سنة ٦٢ هـ تاريخاً لمولده ؟ والحق أن تاريخ هذا الرجل به ثغرات كثيرة تحتاج الى من يسدها · وليست الاخبار الوجيزة واللقطات السريعة التي جاءت عنه في « فتوح البلدان » للبلاذري ، و « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم ، و « معجم الشعراء » للمرزباني و « الفتوحات الاسلامية » لاحمد زيني دحلان الا نتفا يسيرة جدا ، لا تشفي نفس الراغب في معرفة تاريخ محمد بن القاسم الثقفي الذي لم ينصفه التاريخ العربي الاسلامي كما أنصف غيره من أضرابه القواد الفاتحين ، ولم يعطه حقه الكامل من التعريف به ، والترجمة له ، وذكر أخباره مفصلة كاملة ·

ولد محمد بن القاسم في دار جده محمد بن الحكم الثقفي بالطائف · وكان أبوه القاسم قلقا ليلة مولده على زوجه ، نائلة ، حين جاءها المخاض وهي على حال من الصحة لا تطيق معها الام الولادة · واذن الله للوليد الجديد أن يستقبل الحياة في بيت تجلله الفرحة لقدمه · ونشأ

---

(١) حمزة بن بيض : شاعر أموي مجيد سائر القول · من أهل الكوفة ، انقطع الى المهلب بن أبي صفرة ، وله أخبار مع عبد الملك بن مروان – توفي سنة ١١٦ هـ

الرضيع كما ينشأ الرضع من أبناء ثقيف ، ولكن ميلاده ورضاعه لم تصحبهما من الخوارق ما ينسب عادة الى كبار الرجال ، وعظماء الابطال ·

بل ان حظه من الهالات حول مولده كان كحظه فى حياته كلها ، بداية ونهاية ، فلم يظفر من المؤرخين بذلك الذكر العظيم ، وتلك الحكايات النادرة التى ظفر بها غيره من الفاتحين ·

وهذا فى رأينا من أغرب الحظوظ التى يلقاها قائد فاتح مثل محمد بن القاسم فان رجلا يفتح الله على يديه للعرب والمسلمين شبه القارة الهندية ، تحد من تعس الحظوظ أن يلقى مثل هذا الاهمال والاغفال ، مع أن فتحه العظيم لا يقل عن فتوحات خالد بن الوليد ، وسعد بن أبى وقاص ، وقتيبة بن مسلم ، وطارق بن زياد ، وموسى بن نصير وأضرابهم ··

ولو سارت الحظوظ على سواء ما قل نصيب محمد بن القاسم الثقفى من الشهرة والاهتمام عن نصيب زميله ومعاصره القائد البطل قتيبة بن مسلم، فقد أبلى قتيبة فى حرب خراسان وتركستان مثل ما أبلى محمد بن القاسم فى السند والهند ، ولكن حظ كل منهما يختلف عن حظ صاحبه ، فقتيبة تردد كتب التاريخ والفتوح اسمه ، وتكثر الحديث عنه ، وتطيل فى سيرته وأخباره ، على حين لا يحظى محمد بن القاسم من ذلك الا بأضال نصيب ، فأخباره نزرة مبعثرة غير ملمومة ولا متضامنة ، وسيرته مبتورة ناقصة ، حتى مدائح الشعراء ومراثيهم له لم يخلص منها لنا الا البيت أو البيتان ·

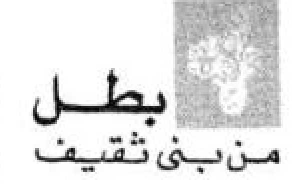
***

لقد بلغ محمد بن القاسم من العمر بضع سنوات حينما بنى الحجاج بن يوسف مدينة « واسط » ، بعد أن تنكر له أهل البصرة والكوفة من العراقيين ·· وكان قصده من بنائها أن تكون منزلا لجند الشام الذين كان يعتمد عليهم ، ويثق فيهم ثقة كاملة ·

ووجد محمد بن القاسم فى «واسط» شيئا جديدا غير ما وجده فى البصرة ·· وجد فيها ــ وهو على أبواب الحادية عشرة من عمره ــ قوما يرددون أخبار الفتوح · وهنا تفتحت أذنه لسماع هذه الأخبار التى كان يطرب لها ، ويسر بها · سمع مثلا أن يزيد بن المهلب قد فتح قلعة « نيزك » وكانت من أحسن قلاع (باذغيس) وأمنعها · وسمع بعد قليل ان عبد الله بن عبد الملك غزا بلاد الروم وفتح « المصيصة » وبنى فيها حصنا يأمن به غارات الروم ·

وبدا محمد بن القاسم يتحرق الى دخول المعارك وخوض غمارها · فلم يكتف بلذة الاستماع الى أخبار القتال ، ولكنه أراد أن يتم اللذة بالمشاركة الفعلية · وطالما الح على ابن عمه الحجاج بن يوسف أن يرسله جنديا مشاركا فى حملات العرب والمسلمين · فاشترك فى فرقة أرسلها الحجاج بن يوسف لمقاتلة عدوه عبد الرحمن بن الاشعث ، كما اشترك بعد قليل فى جيش الحجاج نفسه الذى خرج به لقتال عبد الرحمن فى وقعة « دير الجماجم » ·

ومن عجائب الامور أن هذه المعارك التى اشترك فيها محمد بن القاسم لم تكن ضد أعداء العرب والاسلام ، ولكنها كانت ضد العرب بعضهم بعضا ·· ولعله سمع عن شجاعة الخوارج مثلا ما حبب الاستشهاد اليه · ولعل قربه من أحداث « قطرى بن الفجاءة » ، و « عمران بن حطان » ، و « شبيب » قد هون الحياة وأصغرها فى عينيه ولعله سئم من قتال المسلمين بعضهم



بطل من بني ثقيف

لبعض ، وبأسهم الشديد بينهم · وكان كثير من الناس قد سئموا هذه الثرات والغارات التي لم تضع أوزارها بين العرب والمسلمين · وماذا ينفع المسلمين أن يقتتلوا فيما بينهم ، ويقتل منهم – بأيديهم – رجال من أمثال « ابن الاشعث » ، و « محمد بن موسى بن طلحة » ، و « عبد ربه الكبير » ، و « بجير بن ورقاء » وغيرهم من عشرات الرجال ؟

لقد عز على محمد بن القاسم أن يتقاتل العرب والمسلمون فيما بينهم ، وداخل حدود أرضهم ، على حين هناك بقاع رحيبة من الارض لا تزال يخيم عليها الشرك ، ويعبد فيها غير الله · فالام تبقى هذه البقاع حائرة بلا دليل ؟

وهنا خطرت على باله فكرة الاتجاه الى بلاد السند · ولم يكن اسمها جديداً عليه ولا غريباً · فكثيراً ما سمع أخباراً عنها وهو ناشيء في البصرة أو في واسط · ولا شك أنه سمع – بعد أن شب عن الطوق – بما حدث سنة ٧٥ هـ · فقد اتخذ عبد الملك ابن مروان عاملا له على ثغر السند اسمه « سعيد بن أسلم بن زرعة » · ولم يكن سعيد هذا مخشي السطوة فخرج عليه أخوان ثائران طامحان من ولد « الحارث » وقتلاه ، وغلبا على البلاد · فبعث الحجاج الى ذلك الثغر القلق برجل محب للغزو والمجاهدة في سبيل الله ، اسمه (مجاعة بن سعر التميمي) (١) ، ولكن الموت كان راصداً له فاختطفه بمدينة (مكران) السندية وهو يجاهد ويفتح في هذه البلاد ·

ولا شك أن محمد بن القاسم سمع أيضاً بأنباء النسوة المسلمات في « جزيرة الياقوت » ، اللائي أهداهن ملك الجزيرة السندي المشرك الى الحجاج ، تقرباً اليه وتودداً ، وفيما هن في السفينة التي تحملهن الى الحجاج بالبصرة اذا بجماعة من قراصنة « الديبل » – يخرجون في قوارب خفيفة لهم ، فيأخذون السفينة غصباً بما فيها من النساء المسلمات والمتاع ·

وهنا يرتفع صوت واحدة منهن مستصرخة تقول : يا حجاج ! كما استصرخت – بعد ذلك في العصر العباسي – امرأة عربية مستغيثة بالخليفة المعتصم ، قائلة : وامعتصماه !

ولعله سمع أيضاً بمقتل القائد العربي « ابن نبهان » الذي أرسله ابن عمه الحجاج الى مدينة « الديبل » – مهد القراصنة ولصوص البحر – ليؤدب فيها هؤلاء اللصوص ، ولكنه قتل بأيديهم ·

ولعله سمع أيضاً بالمصير الذي لقيه الجندي الشجاع « بديل » العماني الذي لقي القراصنة في شجاعة نادرة ، حيث نفر به فرسه نفاراً لم يستطع له كبحاً ، فأحاط به القراصنة من أهل السند وقتلوه ···

وهنا كان الامر يتطلب من الحجاج ابن يوسف أن يحسمه بحزم قبل أن يستفحل ويستشري ، فصمم على ارسال جيش كبير الى بلاد السند ، يؤدب به العصاة ، ويفتح للعرب

---

(١) مجاعة : بتشديد الجيم من أشداء القواد المسلمين ، لم يمهله الموت فمات سنة ٧٦ هـ

ارضا جديدة ، ويعلى راية الاسلام ٠

وهنا تشاء الاقدار ان يكون قائد هذا الجيش محمد بن القاسم الذى الح على الحجاج ان يبعثه غازيا وفاتحا ٠

ولقد خشى الحجاج ان يقول الناس عنه انه يؤثر اقاربه بالمناصب ، وانه يحابى اهله ، فتحرج من تنصيب ابن عمه محمد بن القاسم قائدا على جيش الفتح ، ولكن بطلنا يفحم الحجــاج قائلا :

« اننى يا امير العراق لااطلبمنصبا ٠٠ ولا اطالبك برزق ٠ وانما اطلب منك ان تعيننى على موتة فى سبيل الله » !

ووافق الحجاج بعد الحاح من ابن القاسم ٠ ولم يتركه يستقل وحــده بتدبير امر الجيش الفاتح الجديد ، ولكنه اخذ يجهزه بكل صغيرة وكبيرة مما يحتاج اليه فى ساحة القتال، بعيدا عن مراكز التموين وقواعد الامداد ٠٠

لقد أمده حتى بالخيوط ، والابر ، والمسال ، مما يحتاج اليه فى رفو الثياب ، ورتق الحياب ٠ وأمده حتى (بالخل) الذى يحب العرب الائتدام به والاصطباغ ٠ ولما كان الخل ثقيل الحمل على متون الدواب ، فقد أمر بالقطن المحلوج ، فنقع فى الخل، ثم جفف فى الظل حتى لا تبخره الشمس، ووضعه خفيف الحمل مع ما وضــع من الذخيرة وميرة القتال ٠٠

واندفع محمد بن القاسم بجنوده نحو أرض السند ، فكان النصر حليفه من بلد الى بلد ، ومن مدينة الى مدينة ، سار الى « مكران » فاقام بها بضعة ايام ، ثم اتى مدينة « قنزبور » ففتحها بلا عناء ، وتوجه الى مدينة « ارمائيل » فلم تنفع مقاومة أهلهــا فى التغلب على شجاعة العرب ، فسلمت ٠٠

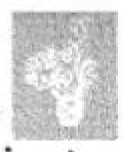
***

وكان فتحه لهذه المدن تمهيدا لفتح مدينة « الديبل » (١) ، التى دخلها يوم جمعة ، ووافته هناك الى اليوم نفسه قطع الاسطول العربى التى جاءت عن طريق البحر ٠ والتقى الجمعان من جيش البر ، وجند البحر فى مدينة الديبل ٠ وبدأت المعركة ٠

ونصب ابن القاسم منجنيقا ضخما يقال له « العروس » ، وكان يديره خمسمائة رجل فى ســاعة الرمى ، واقيم المنجنيق فى مواجهة صنم هائل يعظمه أهل السند ويقربون له القرابين ٠٠ وضيق بطلنا ورجاله الخناق على اصحاب الصنم وسدنته وعبادهفخرجوا مندفعين من داخل المدينة كالســيل



(١) يميل بعض الباحثين اليوم الى ان ثغر الديبل هو مدينة كراتشى اليوم



بطل من بنى ثقيف

الجارف ، فردهم المسلمون الى داخل الصنم محصورين ، لا يستطيعون خروجا الى الموت الذى ينتظرهم فى الخارج ...

وسقط الصنم ، والمعبد ، والسارية، العظيمة التى كانت تعلوه ، والراية الكبيرة التى كانت ترفرف فوقه ، بل سقطت مدينة « الديبل » كلها • وكان ذلك سنة ٨٩ هجرية • وسرعان ما اختط البطل الفاتح فى المدينة المغلوبة خططا جديدة وأحياء للعرب المنتصرين

•• وأقام بها مسجدا ترتفع من أروق مئذنته أصوات المؤذنين ، بالتسبيح لله العلى الكبير ، بعد أن سكتت أصوات الطواغيت ...

وترك ابن القاسم حاميته القوية فى « الديبل » ، وسار متجها نحو « البيرون » ، فاستقبله أهلها بالترحيب لانهم كانوا قد كتبوا الى الحجاج فى العراق مصالحين •• ومن هنا دخلها بلا قتال ولا نزال •

ووجد بعض أهل المدن السندية أن لا جدوى من قتال نهايته النصر للعرب ففضلوا المصالحة على الوقوف فى معركة خاسرة

وكأن الملك « ذاهر » ملك السند كان فى غفلة عما يجرى ببلاده من انتصارات رائعة للعرب ، فكان مشغولا بملذاته ، وجواريه ، الى أن صحا على صوت الجيوش العربية والخيل العربية تطارده وراء نهر مهران ، وكان الملك على فيله المطعم كأحسن ما تطعم الجياد ، وحوله الجنود بأفيالهم يحيطون به احاطة السوار بالمعصم ، لخشية أن يناله المسلمون • ودارت المعركة ، واشتدت ، ورأى الملك المغلوب أن ظهر الارض أثبت من الفيل ظهرا ، فترجل ، ودروع رجاله تقيه ضربات المسلمين ، الى أن سقط اعياء ، فأدركته ضربة سيف من يد « القاسم ابن ثعلبة الطائى » فأردته صريعا • والقاسم هذا شاعر لم يفته أن يسجل هذا المشهد بقوله :

الخيل تشهد يوم « ذاهر » والقنا
ومحمد بن القاسم بن محمد
انى فرجت الجمع غير معرد
حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجندلا
متعفر الخدين ، غير موسد

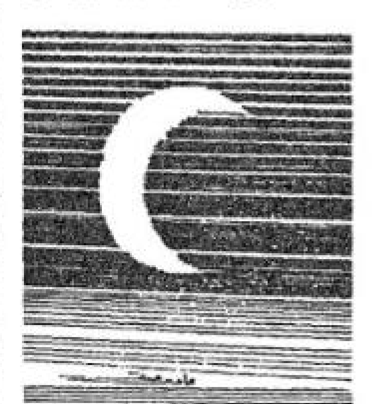
ولم يكن مقتل ذاهر ملك السند نهاية للقتال ، فقد استمر محمد بن القاسم فى فتوحه ، وكانت مدينة « الملتان » أحد الاهداف الكبار التى يرمى اليها من وراء غارته على السند، فهى مدينة عظيمة ، مقدسة • وفيها الصنم الكبير الذى تهدى اليه الاموال، ويأتى اليه الناس من كل فج عميق • واستطاع محمد بن القاسم وجيشه أن يحاصر مدينة « الملتان » • وأن يقطع عليها الماء الذى كان يدخلها من مكان مخبوء ، فانقطع الماء عن المحاصرين، واضطروا الى التسليم ورفع راية الاستسلام ...

ودخل الفاتحون العرب غرف المعبد فى الصنم الكبير ، فاذا هى مكدسة بالذهب الذى يحمله الزوار •• ومن هنا سميت « الملتان » ثغر بيت الذهب، وفى صباح يوم من الايام القريبة من الفتح كانت هناك سفينة من سفن

المسلمين تضرب في مياه بحر الهند ، والخليج العربي ، لتلقى باحمالها في ثغر البصرة ، حيث ينتهي بها المطاف الى دار أمير العراق الحجاج بن يوسف .. ونظر الحجاج فيما حمل اليه من ثغر « الملتان » على يد محمد بن القاسم ، فكان مائة وعشرين الف درهم .. ونظر في النفقة على فتح ذلك الثغر فكان مجموعه ستين الفا ... فقال : ربحنا ستين الفا ، وادركنا ثارنا ، وراس « ذاهر » !

***

واستمر محمد بن القاسم في فتوحه وانتصاراته الى أن جاءه نعي ابن عمه الحجاج سنة ٩٥ هـ فحزنوا وحزن مع جنوده للنبأ الاليم ، ولكنهم صمموا على البقاء في السند ومتابعة فتوحاتهم .. وجاء عام ٩٦ هـ ينعى الخليفة الوليد بن عبد الملك وتعيين أخيه سليمان بعده ـ وكان سليمان شديد الكراهية للحجاج ولبني ثقيف كلهم لان الحجاج كان من رأى الوليد حين



رأى أن يعزل أخاه سليمان من ولاية العهد ، ويجعلها لابنه عبد العزيز بن الوليد . وحل الموت هذه المشكلة بأن مات عبد العزيز ، وصار سليمان خليفة ، فتجلت كراهته للحجاج الذي لقي ربه قبل ذلك بعام ، في كراهته لابن عمه محمد بن القاسم الذي لم يكن له في قضية ولاية العهد ناقة او جمل ...

ومن هنا كانت مخاوف محمد بن القاسم حين مات الوليد وتولى بعده سليمان . فكان أول ما صنعه الخليفة الاموي الجديد أن أصدر أمرا بعزل محمد بن القاسم عن امارة السند ، وتولية « يزيد بن أبي كبشة » مكانه.

ويقال ان التهم أخذت تلفق ضد القائد الفاتح المعزول ، فحمل من السند مقيدا الى « واسط » ، ولقي من ضروب العذاب والارهاق والتنكيل في محابس القيد ما لا يطيقه بشر .

وانتهت محنة التعذيب الى النهاية التي كانت متوقعة منذ بداية العزل ، حيث قتل في ظروف اختلف فيها المؤرخون ولم يبتّ فيها التحقيق الى رأي قاطع ، حتى لقد ذكر المؤرخ ابن حزم في كتابه «جمهرة انساب العرب» انه (قتل نفسه في عذاب يزيد بن المهلب) . وسواء كان مقتل ذلك القائد الشجاع المنصور دائما ، على يد صالح بن عبد الرحمن ـ كما نميل نحن ـ أو على يد يزيد بن المهلب، أو على يد معاوية بن يزيد بن المهلب، او على يد نفسه هو منتحرا كما ذهب ابن حزم ، فان هذا الفاتح العظيم جوزي الجزاء الذي لا يستحقه ، لقاء ما حققه للاسلام في شبه القارة الهندية من انتصارات وفتوحات كان نتيجتها أن حظيت الجماعة الاسلامية بباكستان المسلمة ...

فرق بين بطولة الطبع الخالدة ، وبطولة الموقف الطارىء التي تجود بها ظروف شاذة ـ لا يسهل الحصول عليها ـ والتي تهيىء نصرا رخيصا أو غلبة عارضة ، ينخدع بها بعض الناس ، فيخلعون البطولة على من صادفهم بريق الحظ ، لا عناء الجد .

ومهما تكن اللابسات فان مثل هذه السمات العارضة لا تدل على اصالة الطبع ، وعظمة الجوهر ، وجدارة الاستحقاق ، ذلك ان اصحاب الطبائع العالية والمعادن النقية هم الذين يواجهون الشدائد مهما عظمت ، وينحتون الاسباب مهما بعدت ، ويقهرون الظروف مهما استعصت . وينتزعون النصر وهو عزيز كالمستحيل أو أشد ..

بطل يوم ذي قار

حنظلة بن ثعلبة

■ محمد أبو الأنوار ■

كان الحق ولا يزال عبر التاريخ يأخذ مكانه نحو الظفر والعلو والخلود بقدر ما يمنحه اصحابه من التضحيات الغالية والعزائم الواثقة ، والثبات العنيد . والحق قائم دائما فى ضمائر اصحابه ونفوسهم ، لانه خلاصة وجودهم ، وجوهر حياتهم ، وهم وحدهم القادرون على الانتصار له والتضحية فى سبيله ...

والانتصار للحق منذ كانت الحياة والى نهايتها يصنعه رجال فى مقدمتهم دائما رجل واحد هو خلاصة ارادتهم، ومضاء عزمهم ، ورمز أشواقهم ، وهم ـ بوحدة الهدف فيما بينهم ، ووحدة



الارادة ، ووحدة الاشواق — كيان واحد فى قمة جهازه العصبى، ومزاجه النفسى ، ورؤيته الفكرية ، رجل هو خلاصة وجودهم ، وذوب خسائرهم ، وحادى مسيرتهم ، ويبقى هذا الرجل فى التاريخ يحمل وجود امته فى اسمه وسيرته • هكذا كان فى التاريخ عمالقة ، وهكذا القائد المؤمن المظفر « محمد أنور السادات » •

● البغى لايستحى ●

كان لملوك العجم — كما يقول صاحب الاغانى — صفات معينة للنساء الحسناوات مكتوبة عندهم ، يبعثون بها الى مختلف البقاع فاذا وجدت من تتسم بهذه الصفات حملت الى ديوان الملك، وكان من كتاب كسرى رجل بينه وبين النعمان بن المنذر ثأر قديم هو زيد بن عدى ، فدخل هذا الكاتب على كسرى ، وقال له : « انى رأيت الملك قد كتب فى نسوة يطلبن له ، وقرأت الصفة ، وانى لاعرف آل المنذر ، ولدى النعمان من بناته واخواته ، وبنات عمه وأهله اكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ••

والنعمان بن المنذر انذاك هو عامل كسرى على الحيرة، فقال كسرى لكاتبه زيد بن عدى : اكتب الى النعمان فى ارسالهن • فقال ذلك الكاتب الموتور بثأره : ان شر شيء فى العرب ، وفى النعمان انهم يترفعون على العجم ، وانى لاخشى ان يغيبهن عن رسولك الذى ترسله ، ولذا فابعثنى ومعى رجل من ثقاتك يفهم العربية حتى ابلغ ما تحبه ، فأرسله كسرى ومعه رجل آخر •

وعندما وصل زيد بن عدى الى النعمان قال له : « ان الملك قد احتاج الى نساء لنفسه ، ولولده ، واهل بيته واراد كرامتك بصهره فبعث اليك » • فقال النعمان : ما هؤلاء النسوة ؟ فقدم له رسول كسرى كتابا مطولا بوصفهن ، فشق الامر على النعمان ، وقال لزيد والرسول الذى معه : « أما فى مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟ » •

ثم كتب النعمان الى كسرى بقوله : « ان الذى طلب الملك ليس عندى » وعندما رجع الرسل الى كسرى احفظوه، واثاروه على رفض النعمان، وذكر زيد بن عدى كسرى بما سبق ان ذكره له عن انفة العرب من قبول مثل ذلك الصنيع ، فاشتد غضب كسرى ». لماذا ؟ لان البغى لا يستحى !

● بين الحكمة والشجاعة ●

بعد شهور من طلب كسرى ، وامتناع النعمان عن التفريط فى نساء من أهله تحت شعار المصاهرة التى لا

حنظلة بن ثعلبة

تفترق عن الاسترقاق والمخادنة ، وصل خطاب كسرى الى النعمان : « ان أقبل فان للملك حاجة اليك » .

هنا أدرك النعمان الخطر الزاحف عليه ، فحمل الرجل سلاحه وكل ما قوى على حمله ، وتوجه الى « طيىء » وكان له فيهم مصاهرة ، وطلب اليهم أن يدخلوه بين جبلين بأرضهم ويمنعوه من كسرى ، ولكنهم قالوا لا طاقة لنا بمعاداة كسرى فضلا عن حربه .

وانتهى الامر بالنعمان أن ذهب الى « ذى قار » ولقى « هانىء بن مسعود » سرا ، واستودعه ماله ، وأهله ، وولده ، وسلاحه . وقال له هانىء بن مسعود : « قد لزمنى ذمامك ، وأنا مانعك مما أمنع نفسى وأهلى وولدى منه ما بقى من عشيرتى الأدنين رجل ، وان ذلك غير نافعك ، لانه مهلكى ومهلكك ، وعندى رأى لك لست أشير به عليك لادفعك عما تريده من مجاورتى ، ولكنه الصواب . فقال النعمان : هاته . فقال هانىء : ان كل أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه الا أن يكون بعد الملك سوقه والموت نازل بكل أحد ، وان تموت كريما خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك ، هذا ان بقيت ، فامض الى صاحبك (يعنى كسرى) واحمل اليه هدايا وأموالا ، والق بنفسك بين يديه فاما أن صفح عنك فعدت ملكا عزيزا ، واما أن أصابك فالموت خير من أن يتلعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها ، وتعيش فقيرا . أو تقتل مقهورا .

فقال النعمان : كيف بحرمى ؟ قال هانىء : هن فى ذمتى لا يخلص اليهن حتى يخلص الى بناتى فقال النعمان : هذا وأبيك الرأى الصحيح ولن أجاوزه .

ومضى النعمان يحمل الهدايا الى كسرى ، وما أن وصل بابه حتى بعث اليه كسرى فقيده ورمى به فى السجن الى أن مات . وهكذا ضحى النعمان بنفسه بعد أن حفظ أولياءه وأصدقاءه من خطر الحرب والتعرض لعداوة كسرى ، ولكنه فى الوقت ذاته أودع ماله وأهله عند سيد من سادات العرب أخذ على نفسه العهد الا يفرط فى حرمتهن حتى يفنى آخر رجل من عشيرته ، ولن يصل اليهن عدو الا اذا وصل الى بناته هو ، ذلك الرجل هو « هانىء بن مسعود » .

● الظلم ظلمات ●

ليس فى وسع الظالم المفتون بطغيانه أن يرى طريق الرشد ، لانه يغرق فى ظلمات يغشى بها البغى على البصيرة الواعية المهتدية بنور الحق . ان كسرى لم يكتف بأنه قتل النعمان ظلما — والنعمان لم يفعل أكثر من أنه ضن بعرضه وشرفه فى لغة مهذبة حيث قال : ان الذى طلب الملك من الجميلات ليس عندى — بل زاد أن بعث عامله الجديد على الحيرة وهو « اياس بن قبيصة الى هانىء بن

مسعود يأمره بأن يرسل له ما استودعه النعمان عنده ، ويهدده اياس قائلا على لسان كسرى : « لا تكلفني أن أبعث اليك ولا الى قومك بالجنود تقتـــل المقاتلة ، وتسبى الذرية »

فبعث اليه هانيء يقول : « ان الذى بلغك باطل ، وما عندى قليلا ولا كثيرا ، وان يكن الامر كما قيل فانا احـــد رجلين : اما رجل استودع امانة فهو حقيق ان يردها على من أودعه اياها ، ولن يسلم الحر امانة ، او رجـــل مكذوب عليه فليس ينبغى أن تأخذه بقول عدو او حاسد »

وهذه الحكمة البارعة ، وتلك الحنكة الرشيدة التى واجه بها هانيء الموقف لم تلق قبولا لدى كسرى لان اعماقه رانت عليها ظلمات البغي وعميت عن ادراك القيم الانسانية الرشيدة التى ادلى بها هانيء بين يدى رســـول كسرى ، وانها لقيم جديرة باعـذار هانيء بل باكباره لو كان كسرى انذاك من ذوى النفوس الكبيرة ، لانه لا يعرف الفضل من الناس الا ذووه .

● جيش كسرى يخرج للعرب ●

غضب كسرى من هانيء بن مسعود لانه لم يرسل اليه ودائع النعمان من الاموال والاعراض ، ثم حدث أن بكر بن وائل ـ بعد موت النعمان قتيلا فى بلاط كسرى ـ أخذت تغير على الســـواد من أرض فارس كفرانا باستبداد كسرى وجبروته ، فاستقر الرأى لدى كسرى على تجريد جيش لتأديب العرب ، وثقة منه في النصر أرسل معهم : اللطيمة ، وهى عير كانت تخـــرج من العـــراق فيها البز والعطر والالطاف ، تسلم الى عامله « باذام » باليمن ، وقال لقواده : « اذا فرغتم من عدوكم فسيروا بها الى اليمن »

وأمر كسرى جنده بأنهم اذا شارفوا مواطن بكر بن وائل فعليهم أن يبعثوا لها برسول يطلب اليها أن تأتى بمـا عندها من الودائع التى طلبها من قبل ، واكثر من هذا أن ترسل من ابنائها مائة غلام رهينة حتى لا تعود الى عصيانه ، ومخالفة أمره فى مسألة من المسائل ، وأمر كسرى بأنه عند المخالفة يكون قتالهم ...

وهـذا الانذار الظالم يعكس يقين كسرى بالظفر بكل ما يريد ، لانه من قبل كان قد أوقع ببنى تميم فى يوم يقال له يوم « الصفقة » حيث خـدعهم بتجارة أرسلها لهم بعد عام جـدب ومجاعة ، وأنزلت التجارة فى حصن قديم يقال له المشقر ، فخرج الناس فى طلب أقواتهم ، فســمحوا لهم بالدخول رجلا رجلا من باب الحصن ، فكان الرجل يدخل فلا يخـرج حيث يقتلونه منفردا بعد تجريده من سلاحه ، وكان لهذه الوحشية التى راح ضحيتها خلق كثيـــر من بنى تميم أثرها فى نفوس العرب .

وعرفت حرقة بنت النعمان بن المنذر وكانت فى بنى سنان ، خبر الغدر الذى بيته كسرى لبنى بكر بن وائل فأنشدت تقول منذرة ومحذرة :

الا أبلغ بنى بكر رســـــولا
فقد جد النفير بعنقفيــــر (١)
فليت الجيش كلهم فداكـــم
ونفسى والسرير وذا السريــر
كأنى حين جد بهم اليكـــم
معلقة الذوائب بالعبـــور (٢)
فلو انى اطقت لذاك دفعـــا
اذا لدفعته بدمى وزيـــرى (٣)

وهكذا دوى صوتها بأمنيات الفداء لقومها وعشيرتها فبلغ بكر بن وائل الخبر، وكانت الخطة التى استقر عليها رأى كسرى ومستشاريه أن ينتظر جيشه حتى يشتد الحر ببنى بكر بن وائل فانهم اذا قاظوا تهافتوا على ماء ذى قار تهافت الجراد على النار ، وعندئذ يسهل أخذهم كما أخذت بنو تميم يوم الصفقة .

حنظلة بن ثعلبة

● الرجال تصنعهم الشدائد ●

عندما أطبق الهلاك على بنى بكر ابن وائل وأشياعهم لم يكن أمامهم الا التسليم بمطالب كسرى ، أو قبول المخاطرة بحرية وأنى لهم بمحاربة ملك الفرس آنذاك .

ولكنا نجد أن هانىء بن مسعود ما أن بلغه خبر الجيش الكسروى حتى خرج الى « ذى قار » ونزل هناك يترقب الحوادث ويواجهها ، وبالفعل وصل اليه رسول كسرى ، ونصح لهم بالاستجابة لمطالب كسرى قائلا :

« ... ان فى الشر خيارا ، ولأن يفتدى بعضكم بعضا خير من أن تصطلموا فانظروا هذه الحلقة (٤) فادفعوها ، وادفعوا رهنا من أبنائكم اليه بما أحدث سفهاؤكم » ولم يجبه القوم بل ركبوا سفينة الحيلة حتى لا يؤخذوا قبل الاستعداد التام للمعركة ، فقالوا له ننظر فى أمرنا ، وبعثوا الى البطون المختلفة من بنى بكر بن وائل .

ومن اطرف ما يلفت النظر فى استخدام العقلية السياسية ، والدهاء الحربى ، وعدم الوقوع فريسة الجعجعة الجوفاء والاندفاع الأحمق، أنهم حين أرسلوا الى من حولهم أخذت البطون تتوافد عليهم فكانوا كلما

---

(١) العنقفير : الداهيــة . (٢) العبور : نجم فى السماء يلى الجوزاء .. (٣) الزير : ما استحكم فتله من الاوتار ، وتريد هنا عروقها ، وفى رواية وريرى . والرير : مخ العظام الذى سال . (٤) الحلقة : السلاح عامة أو الدرع خاصة . والمقصود هنا كما يدل السياق انه يعنى الامانة التى تركها عندهم النعمان وأخفوها عن كسرى .

حضرت جماعة منهم الى بطحاء ذى قار حيث يتجمعون كانوا يقولون سيدنا وزعيمنا فى هذه الجماعة ،

ثم يسالون من السيد فيها فيقال فلان فيجيبون : لا · ليس هو المقصود ، كل هذا ورسول الجيش الكسروى

ينتظر مقدم السيد والزعيم حتى يعرف ما استقر عليه رايهم من الاستجابة او الرفض ، وظل الامر كذلك الى أن توافدوا عن آخرهم ، ووصل الجمع الاكبر منهم فى الفوج الاخير فاذا

بسيدهم وقائد معركتهم الظافرة يظهر فى الوقت المناسب لاتخاذ القرار فى ميقاته الصحيح ، ولو انه ظهر من

قبل لكان مطالبا باصدار القرار قبل تجمع الجموع ، وفى هذا خطر

ومحظور تحمل المسئولية قبل تمام اسبابها ، حيث يملك عدوهم من الوقت والاستعداد قبل تجمعهم

ما يضيع عليهم فرصة النصر ، بل يهلكهم أشد الهلاك لهم وايسره على عدوهم ·

● حنظلة بن ثعلبة ●

رجل أصلع الرأس عظيم البطن مشرب بحمرة ، تجتمع له من سمات الزعامة والقيادة : علو الهمة ، وثبات



الجاش ، والاستهانة بالحياة فى سبيل الحق، وتعظيم حرمات الوطن والعرض ثم البصر بفنون الحرب وحيل القتال

وما أن جاء القائد الحكيم حتى تجمعت الجموع من حوله هاتفة : « قد طال انتظارنا وقد كرهنا أن نقطع أمرا دونك » فسأل ماذا قال لكم

رسول كسرى ؟ · فقالوا انه يقول : ان اللحى أهون من الوهى – أى أن عطاء المال أهون من الحمق المؤدى

للسقوط فى الهلاك – ولان يفتدى بعضكم بعضا خير أن تصطلموا جميعا – أى تهلكوا » ·

ثم سكتوا ، وانتظروا كلمة حنظلة والامم جميعا صغرت أو كبرت تبدت أو تمدينت تعلق آمالها ووجودها فى

ساعات الشدائد على كلمة قائدها الذى هو قلبها النابض وعقلها المفكر وحسها المستوفز وصدى الرجع الحق لوجودها وآمالها ··

وأجاب حنظلة والجموع تترقب قوله : « قبح الله هذا رأيا » وهكذا

صدر قرار القائد برفض الهزيمة ، ثم أصدر قرارا مليئا بالاصرار ومليئا باشعال النار فى صدور رجاله حيث

أردف قائلا : « لا تجر أحرار فارس غرلها ببطحاء ذى قار وأنا أسمع الصوت »

● دور الكلمة فى المعركة ●

فى هذه الكلمات القلائل دروس كثيرة ، أولها رفض الهزيمة ، لان رجال الاعداء لن يسمح لهم أن

يجروا أرجلهم بأرض ذى قار حيث حمى الاهل والعشيرة ، والحق أن كلمة « غرل » هنا لا تعنى الارجل بل تعنى أمرا قبيحا ، انها تسمية

لجزء من عورة الرجل ، فلماذا اختار القائد هذا السفور فى كلمته التى كان معناها مشهورا ومفهوما انذاك ؟ انه أراد أن يقطع على قومه وجنده أدنى تفكير فى مهادنة العدو ، لانهم ان تهاونوا فقد فرطوا فى أقدس حرماتهم فى أعراضهم التى ستستباح على أرذل نحو وأبشع صورة ، وليس كقداسة العرض ما يهون الحياة بأسرها دون الابقاء على لحظة واحدة منها

وتدرك خطر هذه العبارة اكثر واكثر عندما تعرف أن القوم قد خرجوا لهذه الحرب ومعهم زوجاتهم،

حنظلة بن ثعلبة

ومعنى ذلك ان القائد رفض الهزيمة ، واضاف الى الرفض اقوى الحيثيات والدها تحريضا على القتال واستهانة بالموت ، ومن هنا ندرك خطر الكلمة التى تملؤها فكرة وتحركها قيمة ويخطبها اسباب قوية وملابسات مقنعة

•• ولذا فان السيف والكلمة صنوان منذ كانت معارك الحياة • ثم يضيف : ـ لن يسمح للعدو أن يجر أرجله فى ارضنا ـ ، وانا اسمع الصوت » اى ما دمت حيا ، اذن فهو لا يقبل الحياة الا عزيزا كريما منتصرا ، والبديل الوحيد لذلك هو الموت لا غير ، وهكذا يهجم القائد على الموت قبل رفاقه فى هذا القران ، وانى لهم بالحياة بعده ، انهم بغير شك يفقدونه ، لانه يمثل القيمة الكبرى فى حياتهم التى لا قيمة لوجودهم بدونها ، وفداؤه بغير نزاع هو فداء لحياتهم الكريمة ووجودهم الاسمى •

ولم يكتف القائد بالكلمة المفعمة بجحيم الفكرة ذلك الجحيم الذى يشعل نيران الحمية بنفوس اصحابه ، بل انه يجسد الكلمة فى فعل خطير يدل عليها فى جسارة رهيبة ووحشية قاتلة فى اعماق كل رجل يحمل السلاح بحيث يقاتل مستخفا بالموت مستهينا بالحياة، ذلك أن حنظلة قام قبل نشوب المعركة الى وضين راحلة امرأته فقطعه ـ اى انه قطع الحزام الذى يشد رحلها ويثبته على البعير الذى تركبه ـ بحيث اذا خاف البعير واضطرب فان الرحل ومن عليه وما عليه سيقع لا محالة، أى أن زوجته سوف تتعرض لمخاطر عدة تبدأ بالوقوع عن رحلها وبانكشاف ثيابها ، وقد ينتهى الامر بأسرها ، وهو الاخش من قتلها •

وحنظلة فى هذا يتحدى نفسه ليرى بالانتصار فقط بل بتوفير الامن للبعير الذى يحمل زوجته حتى لا يتعرض لجرد الخوف عند هياج المعركة ، ومعنى ذلك ان مقدمة الجيش لا بد أن تظل ثابتة بل أن تتقدم زاحفة حتى يتم له هذا القصد الرفيع من حماية زوجته ، فعل ذلك برحل زوجته ثم أخذ فى تقطيع جميع الاحزمة فى رحال الزوجات اللاتى بلغ عددهن سبعمائة ، ثم صاح فى رجاله قائلا : « فليقاتل كل رجل منكم عن حليلته »

● الحرب وقوانين النصر ●

فى فطرة الانسان منذ كان بسيطا الاهتداء الى قواعد الفوز والغلب فى

كل عراك ، فالمفاجأة ، والخدعة ، والثبات ، والاستهانة بالموت ، والقتال بضراوة وشدة ، وزيادة الطاقة على الصبر أكثر من الخصم ، هذه الحقائق هي صانعة الغلب والنصر في كل معركة منذ كانت هناك معارك ·

وأجدادنا العرب كانوا بفطرتهم وتجربتهم الذكية على علم بهذه الحقائق مما يدل على انها حقائق مودعة في فطرة الانسان زوده بها الخالق ليسلك الى الحق سبيله غير معثور في التأخر او التقاعس ·

وقد استطاع حنظلة والمستشارون من حوله أن يتفقوا على خطة حربية تعتمد على عنصرين هامين هما : ذكاء التخطيط ودقة التنفيذ، واعتمدوا أيضا على براعة التعبئة المعنوية ، ونستطيع ان نتبين ذلك كله على النحو التالي :

لقد بدأ حنظلة بن ثعلبة وحدد « غرفة العمليات » ، حيث أمر بقبته فضربت بوادي ذي قار ، ونزل الناس من حوله يحيطون به ، ونادى حنظلة، هانيء بن مسعود الذي استودعه النعمان ودائعه التي طمع فيها كسرى، وقال حنظلة لهانيء : يا أبا أمامة ان ذمتكم ذمتنا فأخرج الامانات التي عندك وفرقها بين قومك فان نظفر ونتتصر فسترد عليك ، وان نهلك فالامانة حينئذ أهون مفقود اذ لا قيمة للمال ، ولا وجود للوطن بعد ضياع الاهل والجند ·

وبهذا القرار اضاع القائد على العدو طريق الظفر بهذه الامانة المودعة لدى هانيء ، لانه على فرض انتصار العدو فانه لن يحظى بها لان في تفريقها تبديد لها وتفويت للانتفاع بها

** وفي تفريقها من جهة أخرى تأمين لها بتحميس النفوس القائمة على حمايتها · كان ذلك على مرأى ومسمع من رسول كسرى ، ثم التفت حنظلة الى ذلك الرسول وقال : « لولا انك رسول لما رجعت الى قومك سالما »

وهكذا رجع رسول كسرى الى معسكر جنده ، ونقل لهم الصرامة والشدة والاصرار والتحدي في موقف العرب من القتال ···

ثم رأى مجلس القيادة العربي أن العدو يتسلح بالنشاب (وهو النبل) وهو بالنسبة له سلاح قوي لا يخيب، وطبقا لهذه الملاحظة قال رجل من أركان حرب حنظلة : الرأي عندي أن تتفرق في كراديس (أي جماعات) تختبيء في المواقع المناسبة للجيش العربي ثم تفاجيء قوات الاعداء ، وبذلك تأخذها المفاجأة من جهة ، وتخطيء طبيعة توزيع الجيش العربي من جهة أخرى ، وتقع الحرب مواجهة بالسيف حيث كانت الفروسية هي السلاح الظافر للعربي الذي يتمتع ببناء نفسي وجسدي يمكنه من فرض النصر ·

واقر حنظلة فكرة الكراديس ، واضاف انه لا بد لنجاح هذه الخطة وتأمين الجيش من خطر النشاب أن يسارع الجيش العربي بالهجوم ، ولا يصبح أن ينتظر لانه بالاضافة الى القيمة العسكرية العليا للبدء بالهجوم فان ذلك سيفوت على العدو الانتفاع بسلاحه المتفوق ، وفي هذا الصدد يقول حنظلة لجنوده : « يا معشر بكر بن وائل ، ان النشاب الذي مع الاعاجم يعرفكم ، فاذا أرسلوه لم

حنظلة بن ثعلبة

يخطئكم ، فعاجلوهم باللقـــــاء ، وابدءوهم بالشدة » .

ورائع أن ينبه القائد جنوده الى البدء بالشدة فان ذلك العنصر هو الذى يعطى للبدء بالهجوم قيمتـــه وثقله ، وهو الذى يربك صفوف العدو بايقاع الفزع والذعر فيها .

ولم يهمل حنظلة ورجاله العناية بالتعبئة المعنوية العالية ، ولهم فى ذلك افكار وكلمات يعتز بها تاريخ الانسان العربى فى البطولة والفداء ، لقد ركز حنظلة كما مر القول على وضع النساء خلف جيشه حتى يحس المحارب انه يقاتل عن عرضه وان أدنى تقصير فى صنع النصر سيكون البديل له اهدار عرض المقاتل وعلى الفور ... ومن ثم قـــال حنظلة لهـــم « ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته » ومع احكامه لهذه الخاطرة يوضح مكانه هو شخصيا منهم حيث يقول :

ان المنايا ليس منهـــا بد
لمن فداكم وابى والجـد

ويقول ولده يزيد بن حنظلة :

من فر منكم فر عن حـــــريمه
وجاره ، وفر عن نديمـــــه

وانه لانسانى ورائع حقا أن يعتبر العربى أن الفرار عن الجار والنديم عار كالفرار عن العرض والحريم .

ويقول هانىء بن مسعود هـــذه الكلمات الخالدات : « يا قوم مهلك معذور خير من نجاء مغرور ، وان الحذر لا يدفع القدر ، وان الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية ، واستقبال الموت خير من استدباره ، والطعن فى الثغر خير وأكرم من الطعن فى الدبر ، يا قوم جدوا فما من الموت بد » .

كل هذا الحمـــــاس وذلك الاصرار والثبات بين يدى المعركة ، وقـوى العدو تتكون من خمسة الاف مقاتل كما تدل على ذلك الروايات الصريحة ، بينما قوة العرب كانت دون ذلك ، وهى ربما لا تتجاوز الالفين ، اذا وضعنا فى الحسبان أن وشن النساء كانت سبعمائة ، ولو قابلنـــا كل امرأة بزوج ، وأخ ، وأب أو ولـد لكان الجيش فى حدود الالفين لا غير .

● النصر واغانيه ●

هجم العرب على العجم واقتتلوا صدر النهار أشد القتال ، ثم تبين العرب أن كثيرا من جنودهم وقوادهم قد قتلوا عددا كبيرا من قواد العدو ، فوجهوا عنايتهم لقتل القادة والتنكيل بهم ليتم لهم القضاء على بقيـة القوات بعد ضياع قيادتها ، وبالفعل ظفر العرب بما أرادوا ودخلوا وراء العدو الى السواد من أرض فارس ولم يفلت من الفرس الا القليل .

واقبلت بكر بن وائل على الغنائم



ومنها التجارة التى وجهها كسرى مع جيشه الى اليمن ، واقتسموها ، ووزعوا على النســاء ما بها من اللطائم (واللطيمة وعاء المسك) وقال فى ذلك شاعرهم :

ان كنت ساقية يوما على كــرم
فاسقى فوارس من ذهل بن شيبانا
واسقى فوارس حاموا عن ديارهم
واعلى مفارقهم مسكا وريحـــانا

وســجل الشاعر العربى ابطال الجيش العربى لفعل النشاب الفارسى ، وغلبة السيف العربى حيث يقول :

لما اَمالوا الى النشــاب ايديهم
ملنا ببيض فظل الهام يقتطــف

ويقول آخر :

ان الفوارس من عجل هم انفوا
من ايخلوا لكسرى عرصة الـدار

● العرب امة واحدة ●

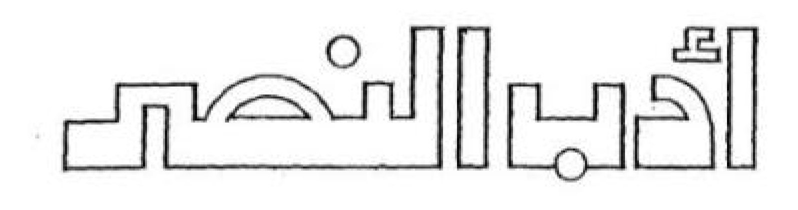
بينما كان العرب على مشـــارف الجزيرة العربية شمالا يخوضـــون حربهم ضد كسرى ، كان النبى محمد عليه الصلاة والسلام قد انتهى من غزوة بدر بشهور قليلة ، وجاء اليه الخبر ان العرب يحاربون حول ماء ذى قار على مشارف الجزيرة العربية ضد كسرى ، ويقوم بعبء هذه الحرب بنو ربيعة ، فطلب عليه السلام ان تمثل له المعركة بالمدينة ، ولما وقف عليهـا رفع يديه ودعا لهم بالنصر قائلا : « اللهم انصر بنى ربيعة » .

ولم يزل يدعو لهم حتى جاءه خبر النصر ، فلما بلغه ذلك قال عليــه الصلاة والسلام ـ على رواية صاحب الاغانى ـ « هذا يوم انتصف فيــه العرب على العجم وبى نصروا » وقد كان بنو ربيعة بعد دخـــولهم فى الاسلام اذا دخلوا معركة من المعارك يتبركـــون بدعاء النبى لهم ، وبه ينادون ويضرعون قائلين : « يا رسول الله وعدك » وكانوا اذا دعوا بذلك نصروا .

***

وبعد ، فان هذه الصفحة المجيدة الكريمة تقوم على اعتزاز اصحابها بحقهم وكرامتهم وتسجل لهم صفحة مجيدة من البطولة والفداء ، واذا كان من حقنا ان نعتز بها وان نكشف عنها دلالتها على اصالة امتنا العربية فى صلابتها فى الدفاع عن حقـــا وحفظ كرامتها ، وقدرتها على التنكيل بعدوها ... اذا صح ان نفتخر بكل صفحات البطولة المجيدة فى تاريخنا الطويل ، فانه لمن دواعى الاعتزاز والفخار ان تســجل امتنا وشعبنا انتصــارات اروع واعمق على ارض سيناء والجولان هى اخـــر كلمة فى تاريخ البطولة والفــداء والمجد فى تاريخ الانسان العربى المعاصر الذى انتزع بها مكانه فى الصـــدارة من اعمال البطولات العسكرية قديمـــا وحديثا .

د. محمد أحمد خلف الله



تعتز كل أمة من الامم ـ مهما يكن وضعها الحضارى وتركيبها الثقافي والاجتماعي ـ بما حققته من امجاد ، وترى فيها الصورة الصادقة للانتصارات العديدة التي حققتها في شتى المجـالات اثناء مسيرتها التاريخية .

واعز ما تفخر به الامم من امجاد هي الامجـاد التى تاتى عن طريق النصر فى ساحات الوغى وفى ميادين القتـال ، من حيث انه النصر العزيز الغالى الذى يكلف الامة العديد من التضحيات.

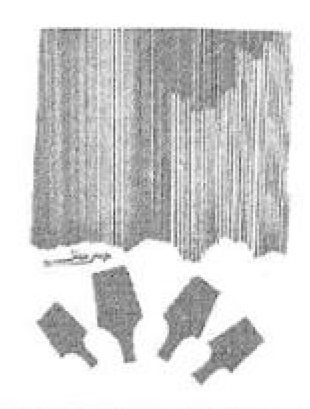
والامة العربية لها أمجادها التى حققتها عن طريق النصر ، ولها أدبها العزيز الذى يعتبر ديوانا لها ، وسجلا لهـــذه الامجاد .

وأدب هذه الامة من الضخامة بحيث يفوق الحصر ، وهو من الروعة والجلال بحيث يعتبر الترجمة الفنية الدقيقة من وجدان هذه الامة .

وأدب النصر جزء ضخم من هذا الادب الضخم ، وينتشر فى العديد من الكتب والمؤلفات ـ وبخاصة كتب الادب والتاريخ الادبى ، وكتب السير والمغـازى ، وكتب التاريخ السياسى ، وكتب المعاجم والتراجم

وكان من عناية أبناء هذه الامة بأدب النصر ان صنفوا مجموعات شعرية ضخمة سموها بالحماسـات من مثل حماسة أبى تمام ، وحماسة البحترى ، وحماسـة الخالديين ، وما أشبه .

وكان الى جانب هذا الادب الرسمى أدب شعبى يتمثل فى قصص ضخمة هى : القصة



ابي زيد الهلالي ، وقصة سيف بن ذي يزن وقصة الاميرة ذات الهمة ، وقصة الظاهر بيبرس ، وقصة عنترة بن شداد .

والقارىء لهذا التراث الضخم من أدب الشعب يقع على بعض الظواهر التي تبين في وضوح وجلاء لماذا اهتم أبناء هـذه الامة بالنصر ، وبأدب النصر .

والظاهرة الاولى من هذه الظواهر هي ظاهرة الموت .

ونظرة الانسان العربي الى الموت هي التي دفعت به الى الاستبسال في المعارك، والاصرار على تحقيق النصر .

والموت عند الانسان العربي من الامور الحتمية التي لا يمكن تفاديها او الفرار منها ، فهو آت لا محالة ، ويدرك الانسان ولو في بروج مشيدة .

وأين ومتى يأتي هذا الموت ؟ .. سؤال ليس له من جواب . ومن هنا ذهب الانسان العربي الى ان الموت قد لا يأتيه في ميدان القتال ، وليس من الحتم ابدا ان يأتيه في ميدان القتال .

واذا كان الامر كذلك فلماذا يجبن الانسان عن القتال بحجة انه يأتي بالموت؟

لا مجال للجبن أبدا ، وعلى الانسان ان يحتكم الى السيف من غير أن يخشى أن يكون الموت حتما في حد السيف .

وهذا بدوره دفع الانسان العربي الى الايمان بأن الميتة الشريفة هي التي تكون في ميدان القتال من حيث انها ميتة البطل . اما الميتة في الفراش فهي العار الذي ليس بعده عار من حيث انها ميتة الجبناء او ميتة الحيوانات .

وهذه هي المقطوعات الشعرية التي تعبر عن موقفهم من ظاهرة الموت . وموقفهم من الذين يخوفونهم من الموت .

يقول احدهم :

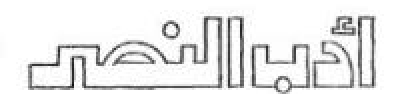
وما مات منا سيد حتف انفه
ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباة نفوسنا
وليست على غير الظباة تسيل

ويقول ثان :

احـاذر ان اموت على فراشي
وارجو الموت تحت ذرى العوالي

ويقول ثالث :

ما رغبة النفس في الحياة وان
عاشت قليـلا فالموت لاحقها
وايقنت انها تعـود كما
كان براها بالامس خالقهـا



يوشك من فر من منيته
في بعض غراته يوافقهـــا
من لم يمت عبطة يمت هرما
والموت كاس والمرء ذائقهـــا

ويروى عن خالد بن الوليد انه كان يخشى الموت على فراشه ، وانه قال حين حضرته الوفاة : لقد لقيت الزحوف ، وما في جسمي موضع شبر الا فيه ضربة او طعنة او رمية ، ثم هاأنذا اموت حتف انفي كما يموت البعير ، فلا نامت اعين الجبناء .

●●●

كان الانسان العربي يحرص في الجاهلية على أن يموت ميتة الابطال – أي في ساحات الوغى وفي ميادين القتال – وحين جاء الاسلام كان الانسان المسلم يتمنى ميتة الشهداء – أي في ميدان القتال جهادا في سبيل الله بالنفس وبالمال .

وهذا الحرص من الجاهلي ، وهذا التمني من المسلم ، هو الذي يدفع بالانسان العربي الى ميدان القتال مستبسلا من أجل احراز النصر . ومن هنا كان هذا الانسان رافضا كل الرفض لنصيحة من يخوفه من الحرب والقتال .

يقول عنترة بن شداد معاتبا حبيبته :
بكرت تخوفني الحتوف كأنني
اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فاجبتها : ان المنية منهل
لابد ان اسقى بكاس المنهل
فاقني حياءك لا ابالك واعلمي
اني امرؤ سأموت ان لم اقتل

ويقول قطري بن الفجاءة :
الى كم تعاريني السيوف ولا ارى
معاراتها تدعو الى حماميـــا
اقارع عن دار الخلود ولا ارى
بقاء على حال لمن ليس باقيا
ولو قرب الموت القراع لقد انى
لموتي ان يدنو لطول قراعيا

لقد كان الانسان العربي يطلب الموت ، وكانت توهب له الحياة .

●●●

والظاهرة الثانية من هذه الظواهر نظرته الى النصر نفسه .

لقد كان الانسان العربي ينظر الى النصر على أنه وسيلة الى ما بعده ، الى هدف او غاية كبرى نذكرها في الفقرة التالية .

اننا هنا انما ندلل على انه لا يرى النصر مجدا الا اذا كان نصرا على الاقران ، على الاقوياء الاشداء الذين يملكون العدة والعتاد ، الذين يحرزون السلاح ولديهم الاعداد الضخمة من الفرسان .

ان هذا هو النصر الذي يعتبر مجدا .

اما حين يكون النصر نصرا على الضعفاء ، وعلى العزل من السلاح الذين ليس لديهم المال والرجال فانه النصر الذي يجلب العار ويستحث على الهزء والسخرية .

لعمرو بن كلثوم يفخر بأنه من قبيلة تنتصر على الابطال من القبيلة المعادية في قوله من معلقته :

نطاعن ما تراخى الناس عنا
ونضرب بالسيوف اذا غشينا
بسمر من قنا الخطي لدن
ذوابل او ببيض يعتلينـــا

كأن جماجم الأبطال فيهـــا
وســوق بالأماعز يرتمينــا
نشق بها رؤوس القوم شـــقا
ونختليهـــا الرقاب فتختلينا
ورثنا المجـــد قد علمت معد
نطاعن دونه حتى يبينــــا

***

وعنترة بن شداد يرفع من قدر خصمه، ويجعله من كرام الناس حين يقول :
فشككت بالرمح الطويل ثيابه
ليس الكريم على القنا بمحرم

والمفضل النكرى يصف موقعة يكاد الخصمان فيها يتعادلان فيقول :
كأن هزيزنا يوم التقينـــا
هزيز اباءة فيهـــا حريق
وكم من ســـيد منا ومنهم
بذى الطرفاء منطقه شـــهيق
فاشـــبعنا السباع واشبعوها
فراحت كلها تئق يفـــوق
فابكينا نســـاءهم وابكوا
نســـاء ما يسوغ لهن ريق

***

والظاهرة الثالثة تدور حول الغـايات

الكبرى التي يتقدمها ويصنع من أجلهـــا النصر .

والدرس لأدب النصر يكاد يحصر هذه الغايات الكبرى في ثلاث :

الأول : تتصل بالعصر الجاهلي ، وتقف عند حدود العصبية القبلية ، والولاء القبلي .

والثانية : تتصل بالعقيدة الجديدة ، وبالأمة الاسلامية .

والثالثة : تتصل بالنظرية القومية ، وبالأمة العربية .

كانت غاية الجاهلي من النصر الحرص على شرف القبيلة ومكانتها ، وكانت الحروب

في ذلك الوقت تقع فيما بين العرب بعضهم وبعض ، وتقع أحيانا لأتفه الأسباب .

وفي ذلك يقول شاعرهم .
الشيء يبدؤه في الأصل أصغره
وليس يصلى بكل الحرب جانيها
والحرب يلحق فيها الكارهون كما
تدنو الصحاح الى الجربى فتعديها

***

والحروب التي خاضتها هذه القبـائل من الكثرة بحيث عجز المؤرخون ورواة أدب النصر عن حصرها .

وأشهر هذه الحروب : حرب البسوس، وحرب داحس والغبراء .

وكان للمرأة دورها في هذه الحروب

فقد كانت مع الزحوف تهيج مكامن الحماسة وتثير دفائن الأحقاد في صدور الرجال .

ويلعب الفرسان الدور الأول والأصيل في الحروب الجاهلية ، ويضعون التقاليد لنظام الفروسية .

والقارئ لأدب النصر يقف على نوعين من

الفرسان ، نوع يمكن تسميته بالفرسان السادة ، وآخر بالفرسان الصعاليك .

والاولون يعملون لحساب القبيلة فى اطار من المبادىء العامة والمثل العليا .

والاخرون يعملون لحساب انفسهم فى اطار من القيم التى تواضعوا هم عليها .

والنوع الاول من الفروسية يبعث فى نفوس أصحابه شيئا من التسامي والاحساس بالمروءة الكاملة ، والكثير من الخصال الحميدة .

ومن أشهر الفرسان الجاهليين عنترة بن شداد ، وله من معلقته أبيات تكشف عن خصائص الفارس من غير الصعاليك .

يقول مخاطبا ابنة عمه ومحبوبته فى ذلك الوقت :

اثنى على بما علمت فاننى
سمح مخالقتى اذا لم اظلم

فاذا ظلمت فان ظلمى باسل
مر مذاقته كطعم العلقم

واذا شربت فاننى مستهلك
مالى ، وعرضى وافر لم يكلم

واذا صحوت فما اقصر عن ندى
وكما علمت شمائلى وتكرمى

الى أن يقول :
يخبرك من شهد الوقائع اننى
اغشى الوغى واعف عند المغنم

***

اما حين جاء الاسلام فقد تغير الهدف او تغيرت الغاية .

اصبح الولاء للعقيدة الجديدة لا للقبيلة



واصبح النصر دفاعا عن النظام الجديد لا عن مصلحة القبيلة

ومضى الحال على ذلك مدة محمد عليه السلام والخليفتين أبى بكر وعمر ، فاذا ما جاء عثمان وبرز دور بنى أمية فى الحكم ، وحدثت الفتنة فقد تغير الموقف تماما . فبدلا من أن تكون الحروب بين المسلمين من جانب والمشركين واليهود من الجانب الاخر اصبحت الحرب بين مسلمين ومسلمين . بين أتباع على وأتباع معاوية . بين الخوارج والشيعة والزبديين وما الى ذلك من أحزاب دينية ظهرت وبرز دورها طوال العصر الاموى .

ونحن هنا نقف فقط عند حروب محمد عليه الصلاة والسلام ، وعند الفتوح فى زمن عمر ، فقد مثلت هذه الحروب النصر الحقيقى . أما الحروب بين المسلمين بعضهم والبعض الاخر فليست تمثل نصرا وانما تمثل فرقة وانقساما وتطاحنا كنا نود الا يكون .

والحروب فى زمن محمد عليه السلام تعرف باسم الغزوات ، وقد سجلها القرآن الكريم وتحدث عن معانى النصر فيها .

لم يكن النصر نصرا على الاعداء يقصد منه القهر والاذلال ، وانما كان دفاعا عن النظام الجديد ودعوة للناس الى الدخول فيه .

ومن يدخل فيه يامن على نفسه، وعلى امواله ، ولا يصيبه الضرر ..

والغزوة التى نقف عندها هنا هى تلك التى سجلها القرآن الكريم فى سورة الحشر ــ وقد كان طرفاها المسلمين وبنى اسرائيل .

وتكشف سورة الحشر عن اخلاقيات بنى اسرائيل القتالية ، وهى اخلاقيات لا تزال

فيهم حتى اليوم .

لقد كانوا أحرص الناس على حياة ، ولم يكونوا مثل العـــرب يطلبون الموت لترهب لهم الحياة .

ولقد دفعهم حرصهم هذا الى اتخـــاذ الحصون ظنا منهم أنها تحميهم من الموت. ومن هنا لم يتخذوها على مستوى الدولة أو المدينة وانما اتخذوها على مســـتوى القرية . وعلى مستوى المسكن الواحد .

وحرصهم على الحياة هذا لا يدفعهم الى الثبات في ميدان القتال بقدر ما يدفعهم الى الفرار أو الاستسلام .

وهم حين يفرون يخربون بيوتهم بأيديهم

وهذه هي الآيات التي تكشف عن هذه الاخلاقيات القديمـــة والماثلة فيهم حتى اليوم .

يقول الله تعالى :

« الم تر الى الذين نافقوا يقـــولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب :

لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا .

ولئن قوتلتم لننصرنكم .

والله يشهد انهم لكاذبون .

لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الادبار ـ ثم لا ينصرون .

لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله . ذلك بأنهم قوم لا يفقهون .

لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة، أو من وراء جدر » .

كما يقول :

« هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر .

ما ظننتم ان يخرجوا ، وظنوا انهـــم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهـــم الرعب يخـــربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين .

فاعتبروا يا اولى الابصار » .

***

والحرب التي نقف عندها بعد وفـــاة النبي عليه السلام هي الحرب المعروفـــة بواقعة القادسية ، وحدث ذلك بعد فراغ المسلمين من حروب الردة .

كانت الدائرة على الفرس ،وقتل الملك،

وفر القائد . وفي ذلك النصر نروى هذه المقطوعات :

يقول أحدهم :

قتلنا رســـــتما وبنيه قسرا
تثير الخيل فوقهم الهيـــالا

وفر الهرمزان ولم يحـــامى
وكان على كتيبتــــه وبالا

ويقول ثان :

تذكر هداك الله وقع سيوفنا
بباب قديس والمكر عسير

عشــية ود القوم لو ان بعضهم
يعـــار جناحي طائر فيطير

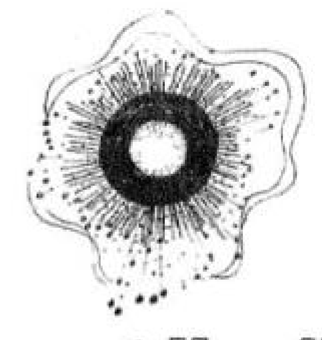
إذا ما فرغنا من قراع كتيبـة
دلفنا لأخرى كالجبال تسير

ترى القوم فيها واجمين كأنهم
جمـــال باحمال لهن زفير

ويقول ثالث :

جلبت الخيل من صنعاء تردى
بكل مدجج كالليث ســـامى

الى واد القـــرى فديار بكر
الى اليرموك فالبلد الشـــامى



أدب النصر

وجئن القادسية بعد شهر
مسومة ، دوابرها دوامي

فناهضنا هنالك جمع كسرى
وابناء المرازبة الكرام

فلما ان رأيت الخيل جالت
قصدت لموقف الملك الهمام

فاضرب رأسه فهوى سريعا
بسيف لا افلّ ولا كهام

وقد ابلى الاله هناك خيرا
وفعل الخير عند الله نامي

***

والظاهرة الادبية الجديرة بالملاحظة عن هذا العصر الاسلامي والاموي أن الشعراء الفحول فيه قد اتجهوا بعيدين عن أدب النصر . اتجه بعضهم الى الهجاء كجرير والفرزدق والاخطل ، واتجه بعض اخر الى الغزل كعمر بن أبي ربيعة ، وكثير عزة ، والمجنون ، وابن قيس الرقيات ، واتجه فريق ثالث الى الشعر السياسي كشعراء الشيعة والخوارج والزبيريين ومن اليهم .

ان الذين اتجهوا نحو النصر وتغنوا فيه شعرا هم الذين شاركوا في الفتوح من الفرسان الشعراء . والسمة البارزة في شعرهم أنه شعر اللمحات الخاطفة التي يعبر فيها الشاعر عن وجدانه بدون تكلف. انه شعر تبدو فيه البساطة وعدم التكلف، وانى لهذا الفارس الذي يشغله الجهاد في سبيل الله أن يجد الوقت الذي يصفي فيه شعره وينقيه . انه عجل الى المعركة ، وتكفيه المقطوعة الصغيرة التي يعبر بها عن فرحته بالنصر على الاعداء .

أما حين نصل الى العصر العباسي ، ونرقب هذه العداوة بين المسلمين والروم او البيزنطيين منذ زمن المأمون ، ونسجل النصر الذي تم على أيدي المسلمين أيام المعتصم والمتوكل ، وأيام سيف الدولة وصلاح الدين فاننا نرى الشعراء الفحول من أمثال أبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي فراس يصولون في هذا الميدان ويجولون. ولاتكاد تقع واقعة الا ويكون المدح للخليفة أو القائد ، والتهنئات للمسلمين ، بهذه الانتصارات .

وقصيدة ابي تمام في فتح عمورية اشهر من أن يشاد اليها وروميات البحتري ذائعة الصيت .

وقصائد المتنبي في سيف الدولة قد ملأت طباق الارض وبنت للمتنبي مجدا في الشعر العربي .

ولعب أبو فراس دوره في تمجيد الحمدانيين لموقفهم الشجاع من أعداء الاسلام واعدائهم .

والشيء الذي يؤسف له في هذا المقام ان ذلك الدور الذي لعبه البطل صلاح الدين لم يجد من الشعراء الفحول من يحسن التعبير عنه . ولعله من هنا كان تلافي هذا النقص عن طريق الافلام التصويرية التي استمدت مضمونها من كتب التاريخ .

ونشير هنا في ايجاز الى موقف حماسي عبر عنه أبو فراس فأحسن التعبير .

يقول أبو فراس في واقعة حال معينة هي أن ملك الروم قد بعث الى سيف الدولة برسول يطلب الهدنة ، وأن سيف الدولة أمر الجند أن تركب بسلاحها لاستقبال هذا الرسول حتى يرى بنفسه عدة الحـــرب وعديدها :

علونا جوشنا بأشـــد منه
والبث عند مشـــتجر الرماح
بجيش جاش بالفرســـان حتى
ظننت البر بحرا من ســـلاح
والســـنة من الطبات حمـــر
تخاطبنـــــــا بأفواه الرياح
واروع جيشـــه ليل بهيـــم
وغرته عمود للصـــــــباح
صفوح عنـــد قدرته كـــريم
قليـــل الصفح ما يكن الصفاح
وكان ثباته للقلب قلبـــــا
وهيبته جناحا للجنـــــاح

●●●

ونجمل القول عن شعر النصر في أدب العرب بهذه الفقرة .

بدا هذا الشعر في جاهليته بســـيطا سهلا كحياة قائليه فقد كانت هذه الحياة منبسطة فسيحة وعلى نمط واحد من السلوك فجاء الشعر كذلك . انه أنشودة في الفخر والحماسة وتصوير للفروسية والبطولة، وتعبير عن قيم الكرم والمروءة والتفاني في حماية العرض والجار .

وجاء الشعر في العصر الاموى على هذا المنوال . والذى حدث هو ادخال التعبيرات الاسلامية ، والقيم الاسلامية ، وبخاصـــة الاستشهاد في سبيل الله ، والتضحيـــة بالنفس وبالمال .

أما في العصر العباسي فقد حدث شيء من دقة المعنى وروعة الخيال . كما حدثت تطورات كثيرة في الصناعة البديعية .

أما فيما بعد ، وبخاصة بعد الحروب الصليبية فقد أدرك الشعر الضعف على الرغم من وفرة الاسباب الداعية الى قول الشعر .

لقد كان شعراء العرب في ذلك الوقت يمرون في دور من صناعة متكلفة في فن القول ، وركاكة في الاسلوب . وظل الحال على هذا المنوال حتى كانت النهضة الحديثة ووجد البارودى رب السيف والقلم .

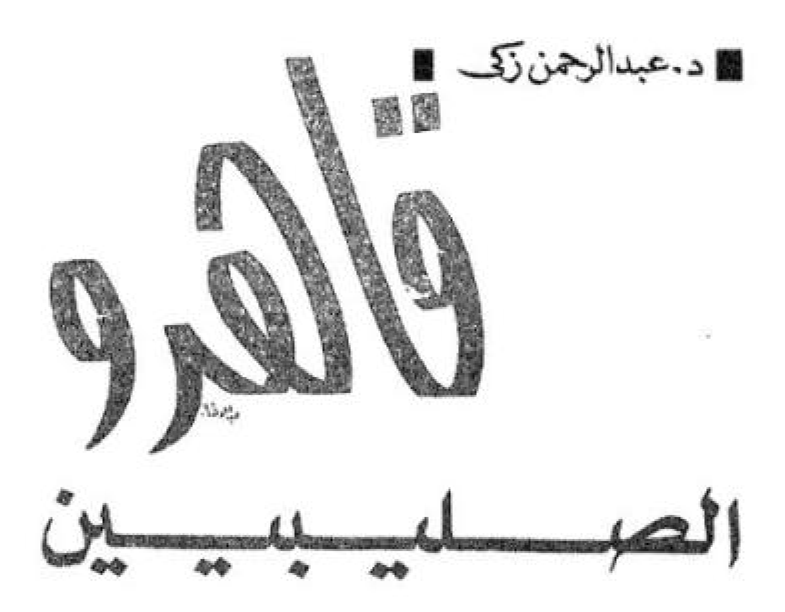
لم يكن موقف البارودى موقف المنتصر بقدر ما كان موقف المدافع عن نفسه .

ومن هنا آثرنا أن نختم هذا المقال ، بمقطوعة من شعر بشار .

لقد كان بشار مكفوف البصر ولكنه اسهم في شعر النصر وقال في وصف الجيش قولا قد يعجز عن الاتيان بمثله المبصرون .

قال :

انا الملك الجبار صعر خـــده
مشينا اليه بالسيوف نعاتبـــه
وكنا اذا دب العدو لســـخطنا
وراقبنا في ظاهر لا نراقبـــه
ركبنـــا له جهرا بكلّ مثقف
وأبيض تستسقى الدماء مضاربه
وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى
وبالشوك والخطا حمر ثعالبه
غدونا له والشمس في خدر امها
تطالعنا والطلّ لم يجر ذائبه
بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه
وتدرك من نجى الفرار مثالبه
كأن مثار النقع فوق رءوسنا
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه
بعثنا لهم موت الفجاءة اننـــا
بنو الملك خفاق علينا سباسبه



شنت اوربا عل الشرق العربي حروبا متعاقبة هوجاء اشعلتها بعض الطوائف المسيحية المتعصبة فى الفترة الواقعة بين عامى ١٠٩٦ و ١٢٩١ اى قرابة قرنين ، وذلك فى ست حملات عسكرية كبيرة . وكانت جبهات تلك الحرب الضروس فى قلب الشرق العربي : الشام بمفهومه الاصيل ، وهو ما يتالف منه اليوم : سورية ولبنان وفلسطين والاردن وقلب العروبة اى مصر ..

وقد لعب البحر المتوسط وجزره فى حوضه الشرقى دورا استراتيجيا هاما فى الصراع ومواصلة القتال البحرى والبرى .

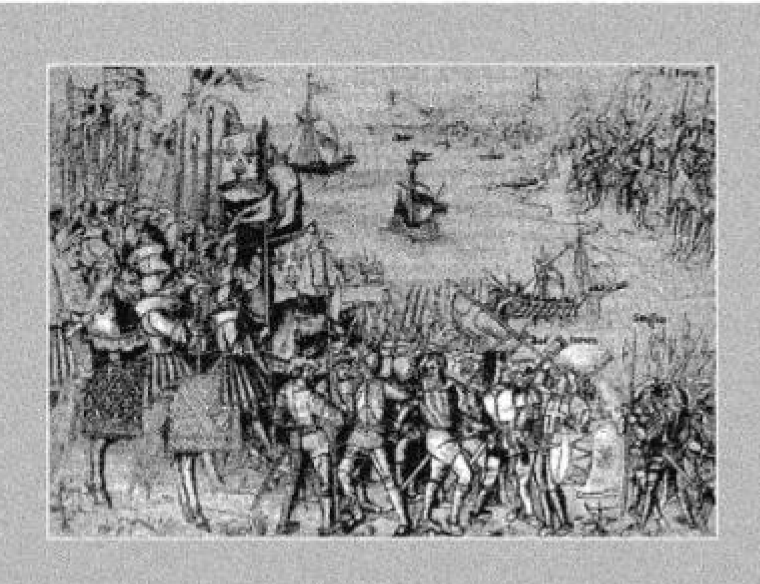
وسنبدا بتقديم موجز عن كل حملة من تلك الحملات الست وما فيها من احداث المعارك والحصار التى نهض بها ابطالنا المجاهدون نور الدين محمود بن زنكى ، وصلاح الدين يوسف الايوبى ، والظاهر بيبرس والسلطان المنصور قلاوون ، وابنه الاشرف خليل ..

● الحملة الصليبية الاولى ●
(١٠٩٧ـ ١٠٩٩ م)

تزعم هــذه الحملة بعض الامراء والاشراف وأهمهم : جــوده فرى دو بويون دوق اللورين الســفلى ، وريموند دوق طولوز (ج فرنســا) وبوهيمند النورمندى ملك جنوب ايتاليا واتفقوا على ان يجتمعوا فى القسطنطينية سنة ١٠٩٧ وقد بلغــوا مائة الف فارس وستمائة الف من المشاة بالاضافة الى النساء والاطفال .

عبروا مضيق البوسفور وتقدموا فى الاناضول فاســتولوا على نيقية ، راسكى شهر ، ثم الرها (ادسا) حيث اقاموا فيها أول امارة لاتينية . ثم اتجهت بعض جموعهم فاستولوا على انطاكية بعد مقاومة عنيفة ، وهنــا انتخبوا «بوهيمند» أميراً عليها . وبعد فترة اتجهوا الى هدفهم الاساس بيت المقدس ، ففتحوه عقب صراع عنيف ســالت فيه الدماء عام ١٠٩٩ م ، وانتخبوا جودفرى ملكاً عليها . ثم فتحوا عكا وطرابلس وصور ، وأقاموا امارة طرابلس واختاروا ريموند دوق طولوز أميراً عليها .

ومن اهم نتائج تلك الحملة الاولى ان تكونت أربع أمارات لاتينية ، وهى مملكة بيت المقدس وطرابلس وانطاكيا والرها ، وما لزم تلك الامارات من المنافذ الساحلية لتكون همزات الوصل بين الامارات والبلدان التى اتوا منها .. اما المدن التى فى الداخل ، كدمشق



الصليبيون فى حصار دمياط

وحلب فقد ظلت في يد المسلمين ·

والجدير بالذكر أن فلسطين حينئذ كانت خاضعة اسميا للفاطميين وكانت بقية البلاد الشامية في حالة تعيسة من الفوضى وليس فيها من استطاع قيادة القوات المتحاربة الضعيفة ·

● الحملة الصليبية الثانية ●

(١١٤٧ ـ ١١٤٩)

بعد انقسام دولة سلاجقة الشام ، وحرمان المسلمين من الزعيم الذى يوحد الكلمة ويجمع القوات تحت رايته لمقاومة الصليبيين ـ ظهر في سنة ١١٢٧م عماد الدين زنكى كبير الامراء السلاجقة واتابك (أمير) الموصل والعراق ، وكان أول أهدافه ، العمل على توحيد كلمة المسلمين ، والسعى لقتال الصليبيين وطردهم · وقد سنحت له الفرصة حين استنجدت به بعض مدن الشام : حلب وحمصاء ودمشق ، ودعته الى انقاذها ، فقصد الشام واحتل حلب وغيرها · ثم افلح في فتح مدينة الرها (١١٤٤ م) لكنه لم يعمر طويلا ، فقد مات (وقيل قتل) وخلفه ابنه « سيف الدين » في حكم الموصل وابنه نور الدين محمود في حكم الشام ، واتخذ حلب مقرا له واتبع سياسة والده في مكافحة الصليبيين ·

قام الارمن سنة ١١٤٧ بفتنة في مدينة الرها فدمرها نور الدين ، فأثار هذا الحادث الاحساس الدينى في أوربا ·· واشتعلت الحرب الصليبية الثانية· وكان زعيمها الراهب الفرنسي « سان برنار » فضم الى صفوفه بعض الملوك والامراء ومنهم لويس السابع ملك فرنسا ، وكونراد الثالث ملك ألمانيا · وقبل وصول الحملة الى الشام فقدت ثلاثة ارباع القوة ، فلم يحرزوا أى نجاح ، وعاد الملوك والامراء فاشلين !

عول نور الدين على أن يعمل على منع الصليبيين من تقوية نفوذهم في مصر الفاطمية بحذر وحرص ، لأن الخلافة الفاطمية شيعية تناهض المذهب السنى الذى ينتمى اليه ، بيد أن تطور الاحداث دفع نور الدين الى سبق الصليبيين في السيطرة على مصر ·

وقد ارسل نور الدين قواته لحماية الفاطميين الضعفاء ، اذ كانت خلافتهم في القاهرة تسير بخطا سريعة الى الانحلال ، واستبد الوزراء بالسلطان لتنافس كل من السلاجقة (نور الدين) والصليبيين في الاستيلاء على مصر · ففى عام ١١٦٧ م تنازع الوزيران شاور وضرغام على حكم مصر ، فاستنجد شاور بنور الدين ، وسرعان ما ارسل هذا حملة بقيادة القائد اسد الدين شيركوه هزمت ضرغام وحلفاءه الصليبيين · ثم قتل ضرغام وانفرد شاور بالوزارة ، ولكنه لم يف لنور الدين بالعهود المتفق عليها بل انه اتفق سرا مع الصليبيين فلم يجد نور الدين بدا من غزو مصر ، ونجحت جيوشه في الاستيلاء عليها سنة ١١٦٩ م بعد ثلاث حملات اوفدها تحت قيادة الامير شيركوه الذى كان قد صحب معه ابن شقيقه صلاح الدين في احدى الحملات
أصبح شيركوه وزيرا للخليفة العاضد الفاطمى ، ثم يشاء القدر أن ينتقل الى رحمة الله ، فيخلفه في الوزارة صلاح الدين ، ثم يموت

الخليفة بدوره ، فينفرد صلاح الدين بشئون البلاد …

ولم يلبث صلاح الدين أن بدأ بتحقيق هدفه الكبير : توحيد مصر والشام وأعالي العراق تحت حكمه ، ونادى بنفسه سلطانا سنة ١١٨٣ وارثا لدولة نور الدين بعد وفاته (١١٧٤ م) .

وبمجرد ان انتهى من توحيد الكلمة أعلن أن هدفه الاسمى : تحرير بيت المقدس ومواصلة الجهاد لطرد الصليبيين . واستطاع أن يحقق شطرا كبيرا من برنامجه فقد استرجع القدس الشريف للمسلمين ، وانتصر على الصليبيين في معركة حطين سنة ١١٨٧ .

● الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩ ـ ١١٩٢ م)

جاءت هذه الحملة تحت زعامة ريتشارد الاول ملك انجلترا الى فلسطين سنة ١١٩٢ لاسترجاع مملكة بيت المقدس ، ولكنها أخفقت ، واعترف الملك بأن خير وسيلة لاسترداد القدس هي أن يبدأ الصليبيون بمهاجمة مصر قلب العروبة وكان هؤلاء يطلقون عليها « رأس الافعى » ! .

جاءت من بعدها الحملة الرابعة (١٢٠٢ ـ ١٢٠٤) التي قامت من فرنسا ، ولكن زعيمها انريكو داندالو البندقي حولها عن اغراضها لخدمة مصالح البندقية .

● الحملة الصليبية الرابعة (١٢١٧ ـ ١٢٢١ م)

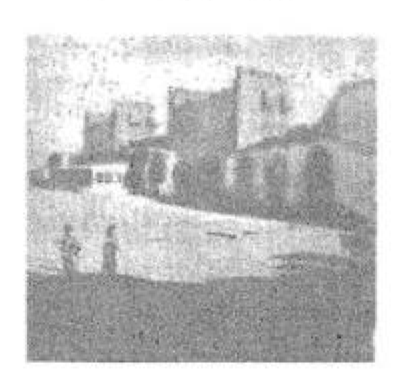
أشعل نارها البابا « انوسنت الثالث » فأمدها بجميع ما احتاجت اليه من حرارة الايمان والعتاد الحربي ووجهها الى مصر ، التي كانت تعاني من الفرقة والحروب الاهلية التي نشبت بين أبناء صلاح الدين، بالاضافة الى انخفاض فيضان النيل سبع سنوات متعاقبة ، جرت الى البلاد القحط والوباء والفقر .

وبالرغم من تلك الاسباب المؤاتية ، فقد انحرفت الحملة عن هدفها «مصر»، واغارت على أراضي امبراطورية بيزنطة وفشلت الحملة …

● الحملة الصليبية الخامسة (١٢٢٨ ـ ١٢٢٩ م)

تولى قيادتها الامبراطور فردريك ، فتفاهم مع المسلمين وعقد عام ١٢٢٩ معاهدة مع الملك الكامل سلطان مصر، كان من شروطها التخلي عن الناصرة وبيت لحم، والقدس للصليبيين ومنحهم ممرا بين القدس والساحل يسلكه الحجاج النصارى ، على أنه لم تلبث أن تجددت الاصطدامات من حين لآخر بين الخصمين ، وادت الهزيمة التي

قلعة دمشق من الخارج ومن الداخل



احتلها المماليك بالصليبيين فى غزوة عام ١٢٤٤ الى قيام الحملة الصليبية السادسة .

● الحملة الصليبية السادسة ●
(١٢٤٨ ـ ١٢٥١ م)

تولى قيادتها لويس التاسع ملك فرنسا الورع وتمكن من الاستيلاء على دمياط ، فارتد أهلها وحاميتها الى موقع المنصورة حيث حاصرهم لويس وفى هذه الاثناء توفى الملك الصالح نجم الدين الايوبى فقامت بالدفاع عن البلاد شجرة الدر . وقد هزمت الحملة فى معارك برية ونهرية متتابعة ، كانت اهمها معركة المنصورة (١٢٥٠) واسر الملك وجماعة من الامراء ، ولم يطلق سراح الملك الا لقاء فدية كبيرة .

وفى اثناء تلك المعارك برزت طائفة كبيرة من القادة المماليك كان لهم شأن كبير فى تاريخ مصر الحربى ، من هؤلاء المعز ايبك ، والظاهر ، والملك قطز ، والقاهر بيبرس ..

تلك هى حكاية الصراع الطويل بين اوربا المسيحية والعالم الإسلامى . تلك الصراع الذى ترك فى نفوس الاوربيين والمسلمين ذكرى مؤلمة سنين طويلة ..

● نور الدين زنكى ●

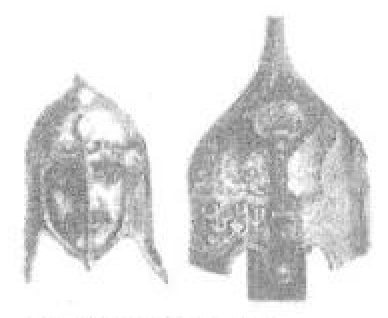
هو السلطان نور الدين ابو القاسم محمود بن عماد الدين زنكى . ولد على الارجح عام ١١١٨م، وقضى حياته يجاهد لطرد الصليبيين من الشام .. أسس أبوه عماد الدين زنكى دولة قوية فى الموصل شملت أعالى الفرات العـــربى وحلب ووقف فى طليعة المجاهدين العاملين المحاربين ضـــد الغزاة ، فانتزع منهم فى الشـــمال « الرها » (١١٤٤ م) ومات عماد الدين اثناء حصـــاره قلعة جعبر . فاقتسم ولداه المملكة : سيف الدين غازى الذى تولى حكم الموصل وجزيرة الفرات ، ونور الدين محمـــود وقد استولى على حلب .

وكان الصليبيون قد استولوا على الرها بعد وفاة عماد الدين فزحف المجاهد نور الدين على مدينة الرها (١١٤٦) . وكان لاستيلاء المسلمين على الرها وقع شديد فى أوروبا ، مما دعا البابا يوجين الثالث الى حملة صليبية ثانية كان من اشد دعاتها القديس برنارد ، فاستجاب للدعوة ملكان هما لويس السابع ملك فرنسا وكونراد الثالث ملك المانيا .

قدم الاثنان على راس حملتهمـــا المنكودة وحاصرا دمشق (١١٤٨ م) فاستنجد صـــاحبها مجير الدين أبق بنور الدين ، وفشـــل الملكان فى الاستيلاء عليها ، ومن ثم اتجها الى حلب وحاصراها ، فهزمهما نور الدين محمود . وفى سنة ١١٥٤ استولى على دمشق وساعده موقعه المجـــاور لممتلكات الصليبيين على انزال الهزائم بهم ، فاستولى على قاعدتهم الهامة « حارم » وهى قلعة حصـــينة بين حلب والانطاكية .

كانت مصر حينئـــــذ مسرحـــــا للاضطرابات لضعف الخلفاء الفاطميين واستحواذ وزرائهم على السلطة وتفرق كلمة الزعماء ، ولذلك كانت هـــدفا





نماذج متنوعة للخوذات المملوكية

هاما للصليبيين مما دفع نور الدين الى التطلع الى ضم مصر · وجاءت الفرصة حينما استنجد به شاور وزير الخليفة الفاطمى ، وسرعان ما لبى الطلب وأوفد حملة تحت قيادة أسد الدين شيركوه الذى تقلد عام ١١٦٩ منصب الوزارة للخليفة العاضد بالله آخر خلفاء الفاطميين ·

ويشاء القدر فيتوفاه الله بعد شهرين من وزارته (١١٦٩) ، فخلفه فى الوزارة ابن شقيقه صلاح الدين يوسف بن أيوب الذى سطع نجمه فى سماء الشرق الاسلامى الوسيط · وفى عام ١١٧١ تمكن من الاستيلاء على حكم مصر عقب وفاة الخليفة العاضد وعادت البلاد الى أحضان الخلافة العباسية ·

وبعد سنوات قليلة أخذ نور الدين يشك فى اخلاص صلاح الدين ودب الجفاء بين الرجلين وكاد يتأزم الوضع بينهما ، بيد أن نور الدين انتقل الى جوار ربه يوم الاربعاء الحادى عشر من شوال سنة ٥٦٩ هـ ــ ١٥ مايو ١١٧٤ ودفن جثمانه الطاهر فى قلعة دمشق ·

● أسلوب نور الدين الحربى ●

رباه والده عماد الدين تربية دينية حربية فتجمعت لنور الدين خبرة العسكرى الخبير · وأوتى فى القيادة ورسم الخطط ونظام المعارك وأساليب الحصار مواهب جعلته أعظم القادة فى زمانه ، ومكنت له وهو امير حلب فقط ، من أن يجعل جيشه الصغير أرقى القوى الحربية فى الشرق الاوسط

وكان نور الدين يتبع فى خططه العسكرية أساليب العرب التقليدية فى ترتيب الجيش ميمنة وميسرة وقلبا ، ووضع الكمائن فى مواضع يختارها لتكر على جناحى جيش العدو حينما يريد ·· وأضاف الى الاسلوب الحربى العربى ما استحسنه من أساليب الترك مثل وضع الجناحين متقدمين عن القلب قليلا بحيث تبدو هيئة الجيش كالهلال ، فاذا دفع العدو على القلب تراجع قليلا ، ثم يسرع الجناحان بالانضمام على قلب جيش العدو فيحصر حصرا شديدا ·

والمعروف أن هذا التكتيك التقليدى ظل عند الاتراك حتى أيام السلطان سليم حينما أجاد الاتراك استخدام المدافع والاسلحة النارية فى جبهات القتال ··

وأضاف نور الدين الى الجيش فرقا من مهرة رماة الفرسان ، يقفون خلف الجناحين وخلف الصفوف الامامية من القلب ، فيمطرون العدو بالسهام غطاء للفرسان أو المشاة المتقدمين كما تفعل الطائرات أو ستائر الدخان اليوم !

وأعظم قادة نور الدين جميعا أسد الدين شيركوه وهو صاحب فضل كبير فى استقراره فى حلب اول الامر ، ثم كان له الفضل بعد ذلك فى ضم دمشق وفتح مصر والتغلب على حملات الصليبيين المتعاقبة عليها ، عابرا صحراء سيناء شرقا وغربا فى طليعة رجاله ·

ويليه مجد الدين بن الداية، صاحب الفضل فى رد الصليبيين عن دمشق ، ثم سيف الدين بن سوار قائد الحملات ضد أرمينية والنطاكية ، كما اعتمد نور الدين ايضا على شقيقه الاصغر نصرة الدين الملقب « بامير اميران » ٠ ويجيء بعد هذه الطبقة من القادة المخضرمين صلاح الدين بن نجم الدين ايوب فقد توسم فيه النجابة وولاه منصب حاكم دمشق الادارى ثم اصحبه عمه شيركوه فى حملاته على مصر (١)

● الناصر صلاح الدين الايوبى ●

مات نور الدين وقد ترك مملكته لصبى فى الحادية عشرة من سنى حياته هو الملك الصالح ، وأعلن عدد كبير من الامراء الذين كانوا يتولون الامر باسم نور الدين ثم من بعده باسم ابنه ٠ أنهم حماة الصبى ، وتبدى فى ذياك الوقت صراع عنيف بينهم بلا هدف حقيقى الا الوصول الى السلطة ٠

الا أن صلاح الدين وثروة مصر الخصبة الثرية تشد من أزره ــ كان من البداية أقوى هؤلاء الامراء وأوطدهم قدما دون منازع ٠٠ ففى عام ١١٧٤ قصد دمشق واحتلها ثم أعلن نفسه حاميا للصبى الذى يلى عرش نور الدين ٠ ثم أراد الذهاب الى حلب (يناير ١١٧٥) ، ولم يجد أميرها بدا من أن يستعين بالفرنج بل وأن يستعين بطائفة الاسماعيلية ، ولكن الحلفاء لم يلبثوا أن هزموا فى حماة عام ١١٧٥م ٠٠ وكان قد استولى على حمص (١١٧٥) ٠ وهنا خلع صلاح الدين النقاب وكشف عن نواياه ، وطوح بالصبى عن العرش وأعلن صراحة أنه

(١) د ٠ حسين مؤنس . نور الدين محمود ، العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٩ ص ٣٨٨ ــ ٣٩٠



ميدان المعارك الصليبية فى الدلتا



نصب نفسه سلطانا على الامارات الاسلامية التى تقع غرب أملاك الخليفة العباسى ٠

وكانت حرب صلاح الدين ضد الصليبيين فى عامى ١١٧٥ و ١١٧٦ هى فى الواقع جزء من الحرب العامة التى أثارها على امير حلب وحلفائه الذين ناصروه ٠ وفى ختام عام ١١٧٦ كان قد وضع يده على جميع سورية عدا مدينة حلب وعدا الاراضى التى تعيش فيها طائفة الاسماعيلية المخربة واحس انذاك انه يستطيع أن يرتد الى مصر ليضع خطة لمهاجمة الامارات اللاتينية التى قامت فى سورية ٠

وبالرغم من ان الحرب ضد الصليبيين قد استغرقت الفترة من عام ١١٧٧ الى ختام حياته ، فانه لم يغفل قط عما بقى فى سورية خارجا عن سلطانه ٠ ففى عام ١١٨٢ تسنى له ان ينتهى من أمر حلب ، وفى العام نفسه نهض بحملة لبلاد النهرين ليصفى حسابه مع أمير الموصل ٠

وما نظن أن شرقيا شغل المؤرخين الغربيين فى كتاباتهم بعد النبى الكريم (صلعم) كما شغلهم السلطان المجاهد صلاح الدين ، اذ كانت حروبه تشبه الى حد كبير فتوحات العرب الاولى ، لولا انها مقصورة على سورية ، وكان العالم الاسلامى العربى فى عصره فى أشد الحاجة لرجل من طرازه النادر ٠٠

● القتال ضد الصليبيين ●

وقد يكون من المجهد تفصيل حملات صلاح الدين ضد مملكة بيت المقدس وهى أهم المملكات المسيحية فى سورية ، على انه ينبغى أن نذكر بأن الموقف الداخلى فى هذه المملكة كان يتطلب التدخل فى صورة ما بعد أن دانت لصلاح الدين ـ الاراضى الاسلامية الداخلية ـ وأن يعمل للاستيلاء على الساحل الذى خضع أكثره للصليبيين ٠ ويذكر القارىء الكريم أننا لمسنا المرحلة الاولى من جهاد صلاح الدين السياسى والحربى أثناء تناولنا حوادث الحملة الصليبية الثانية ٠ وما كان لتلك الحوادث من آثار وأسباب لقيام الحملة الصليبية الثالثة ٠

والان لم يبق امامنا سوى أن نقدم ثبتا موجزا لمعارك صلاح الدين الظافرة :

١ ـ استيلاؤه على ثغر أيلة السيطرة على لخليج العقبة : ٥٦٦ هـ /١١٧٠ م

٢ ـ استيلاؤه على حمص : ٥٧٠ هـ /١١٧٤ ـ ١١٧٥

٣ ـ استيلاؤه على حلب : ٥٧٠ هـ /١١٧٥ م

٤ ـ استيلاؤه على حصن بزاغة شوال ١١٧٦/٥٧١

٥ ـ استيلاؤه على منبج : شوال ١١٧٦/٥٧١

٦ ـ استيلاؤه على عزاز : ذو الحجة ٥٧١/يوليو ١١٧٦

٧ ـ معركة تل السلطان : ٥٧٣ هـ / ابريل ١١٧٧

٨ ـ معركة الرملة بفلسطين : ٥٧٣هـ /١١٧٧

٩ ـ معركة مرج عيون بفلسطين : محرم ٥٧٥ هـ /١١٧٩

١٠ ـ معارك المجاهد البحرى حسام الدين لؤلؤ فى البحر الاحمر وهزيمة الامير الصليبى أرناط برا وبحرا : ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م

١١ ـ صلاح الدين فى حران : ٥٧٨ هـ / مارس ١١٨٣
١٢ ـ استيلاؤه على تل خالد وعين تاب : ٥٧٩ هـ / ١١٨٣

١٣ ـ خضوع الموصل نهائيا لصلاح الدين : ٥٨١ هـ / ١١٨٦
١٤ ـ استيلاؤه على حصن تبنين : ٥٨٢ هـ / ١١٨٧
١٥ ـ معركة حطين الحاسمة : ٢٥ ربيع الاخر ٥٨٣ / ٤ يولية ١١٨٧

١٦ ـ الاستيلاء على طبرية : ٢٥ ربيع الاخر ٥٨٣ هـ / ٥ يولية ١١٨٧

والاستيلاء على عكا : ٩ يولية ١١٨٧

١٧ ـ معركة تحرير بيت المقدس (١) ٥٨٣ هـ / ٢ اكتوبر ١١٨٧
١٨ ـ انطرسوس على البحر المتوسط : ٥٨٤ هـ / ١١٨٨

١٩ ـ جبلة على البحر المتوسط : ٥٨٤ هـ / ١١٨٨
٢٠ ـ اللاذقية على البحر المتوسط : ٥٨٤ هـ / ٢٣ يوليو ١١٨٨

٢١ ـ حصن صهيون : ٥٨٤ هـ / ٢٣ يوليو ١١٨٨
٢٢ ـ قلعتا الشغر وبكاس بالقرب من انطاكية : ٥٨٤ هـ / اغسطس ١١٨٨
٢٣ ـ بغراس وحصن درباك : ٥٨٤ هـ / اغسطس ١١٨٨
٢٤ ـ حصار حصن الاكراد : ٥٨٤ هـ / اغسطس ١١٨٨
٢٥ ـ حصار حصن الشوبك شرق الاردن : ٥٨٤ هـ / اغسطس ١١٨٨
٢٦ ـ قلعه صفد بفلسطين : ٥٨٤/ ١١٨٨

٢٧ ـ قلعة كوكب : ٥٨٤ / ١١٨٩

٢٨ ـ يافا (٢) : يوليو ١١٩٢

لقد استطاع صلاح الدين فى المدة بين عامى ١١٨٧ و ١١٩٠ أن يحقق عملا حربيا جبارا · ففى مستهل سنة ١١٩٠ لم يبق للصليبيين من مملكة بيت المقدس سوى مدينة صور ، ومن امارة طرابلس فى الشمال سوى عاصمتها طرابلس وبعض المراكز الثانوية ، ومن امارة انطاكية سوى عاصمتها وثغر السويدية وحصن المرقب ···

وهكذا بدأ الصرح الكبير الذى شيده الصليبيون ينهار تحت مطارق صلاح الدين الثقيلة · وكان على خلفائه أن يتمموا الهدف بالقضاء على أحلام الصليبيين الباقية ·

قصد صلاح الدين دمشق ينشد الراحة لكى يمارس نشاطه العادى

---

(١) قبل تحرير بيت المقدس (٢ اكتوبر ١١٨٧) سقطت عدة موانىء فى يد القوات الايوبية (سبتمبر ١١٨٧) وهى بيروت ويافا وعسقلان وصيدا وجبيل (بيبلوس الفينيقية) ·
(٢) ظلت ثغور غزة ودير البلح (الداروم) فى قبضة الصليبيين ثم استعادها المماليك · وقد تم فى ٢ سبتمبر عقد صلح الرملة بعد معارك شتى بين السلطان صلاح الدين والملك ريتشارد (قلب الاسد) الانجليزى ·

•• لكنه احس بالمرض ثم خارت قوته واستشعر الاطباء نهايته •

وفي ليلة الاربعاء ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ (٤ مارس ١١٩٣) – وهي الليلة الثانية عشرة من مرضه – اشتد به المرض ، وغاب ذهنه ، وساءت حالته ولم يفق من غيبوبته الا نادرا •

وبعد صلاة الصبح يوم السابع والعشرين انتقلت روحه الى رضوان الله ، وهو في السابعة والخمسين من عمره ، فعلا البكاء واشتد الحزن بين الناس •• ثم غسل وكفن واخرج بعد صلاة الظهر ، ثم اعيد الى الدار التي تمرض فيها داخل قلعة دمشق ودفن بالقرب منها • وبعد ثلاث سنوات اعد له ولده الافضل قبرا شمال الجامع الاموى (١) في مكان كان دارا لرجل صالح اشتراها منه ، ونقل رفاته اليه بمحفل مهيب •

● الظاهر بيبرس ●

انشغل سلاطين المماليك فى أوائل



الملك لويس ، والقيد في يديه . وبجانبه احد اخويه وحولهما جند نوبيون « عن صورة منقوشة على الخشب » •••

أيامهم بسياسة يغلب عليها الطابع السلمي تجاه الصليبيين بالشام بالرغم عن بداية ضعفهم ، ومرجع ذلك انصرافهم لمعالجة الحركات الثورية فى الداخل وعداء الايوبيين وخطر المغول المحدق بالشام • لذلك بدأ المماليك

حكمهم بالتزام جانب الحيطة فى علاقاتهم مع الصليبيين حتى لايضطروا الى القتال في اكثر من جبهة فى وقت واحد • ولكن اخذ الموقف يتبدل على عهد السلطان بيبرس •

بدأت مناوأة بيبرس للامارات اللاتينية باغارة بعض أمرائه على بلاد امارة انطاكية وانتصارهم على الفرنج سنة ١٢٦٠ م • وانتهت تلك الغارات بقدوم رسل الفرنج وطلبهم الصلح فاجابهم بيبرس الى طلبهم •

وهذا ثبت موجز لمعارك بيبرس الظافرة :

- **حصار عكا يرا والاستيلاء عليها ٦٦١ هـ (١٢٦٣)**
- **معركة الاستيلاء على قيسارية : ٦٦٣ هـ (٢٧ فبراير ١٢٦٥)**
- سقوط ارسوف : ١١ رجب ٦٦٣ هـ (٢٩ ابريل ١٢٦٥)
- معركة الاستيلاء على صفد وقلعتها : ٦٦٤ هـ – ٢٣ يونيو ١٢٦٦
- **معركة سيس وانتصار بيبرس على الأرمن : ٦٦٤ هـ – ١٢٦٦**
- **استيلاء بيبرس على قلعة الشقيف : ٦٦٦ هـ – ١٥ أبريل ١٢٦٨**
- **استيلاء الظاهر على انطاكية •**

---

(١) قرب المدرسة العزيزية التى بناها العزيز عثمان بن صلاح الدين

رمضان ٦٦٦ هـ ـ أوائل مايو ١٢٦٨

● الاستيلاء على قلعة بغراس : ٦٦٦ هـ ـ ١٢٦٨

● الاستيلاء على حصن الاكراد : شعبان ٦٦٩ هـ ـ ١٥ مارس ـ ٨ ابريل ١٢٧١

● الاستيلاء على حصن عكار (ش طرابلس) : رمضان ٦٦٩ هـ ـ ٢٩ ابريل ١٢٧١

● الاستيلاء على حصن القرين : ٦٦٩ هـ ـ ١٢ يونيو ١٢٧١

● معركة أبلستين بآسيا الصغرى : ٦٧٥ هـ ـ ١٨ ابريل ١٢٧٧



وأخيرا كانت وفاة الظاهر بيبرس فى يوم الخميس ٢٨ المحرم سنة ٦٧٦هـ ـ ٣٠ يونيو ١٢٧٧ م ، فى دمشق بعد أن جاوز الخمسين من عمره ، وحكم سبع عشرة سنة وشهرين واثنى عشر يوما ، وكانت وفاته فى دمشق بقبر مؤقت حتى شيد ابنه السلطان الملك السعيد محمد بركة ضريحا بدمشق يعرف اليوم بالمدرسة الظاهرية ..

● المنصور قلاوون وابنه الاشرف خليل ●

اعتلى السلطان المنصور قلاوون عرش مصر عام ١٢٧٩ م فاستهل الحرب بعنف مترسما خطا سلفه الظاهر الذى ترك الامر فى حاجة الى من يستكمله .. وكان أول نصر عظيم حصل عليه هو انتصاره عام ١٢٨٠ على الجيش الذى بعث به التتار الى سورية للغزو، فكان نصيبه أن هزمه المصريون فى معركة حمص ...

ثم التفت الى الصليبيين فهاجمهم فى حصن المرقب (١) سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥) رغم المعاهدة التى كان عقدها معهم لمدة عشر سنين لاعتراضهم قافلة لبعض التجار المسلمين . حاصره ثمانية وثلاثين يوما حتى رضى الفريقان بعقد معاهدة التسليم .

● معركة طرابلس ●

(٦٨٨ هـ ـ ٢٩ ابريل ١٢٨٩)

احتشدت جنود المنصور قلاوون داخل مدينة طرابلس ، وما لبثت أن سقطت فى ٢٩ ابريل ١٢٨٩ بعد حصار تسعة وثلاثين يوما ، ثم تلا ذلك نشوب معركة كبيرة قتل فيها سبعة الاف من اهالى طرابلس ، وأقلع فريق كبير منهم بالسفن الى قبرص ، وأبقى السلطان للاميرة اخت الامير بوهيمند السابع المتوفى وصاحبة طرابلس من بعده قريتين من قراها . أصبحت المدن اللاتينية القليلة تحت رحمة قلاوون وصار أملها ان تلبى أوربا نداء البابا فى العمل لمصلحتهم. غير ان هذا الامل ضاع سدى . بيد ان البابا نقولا الرابع بذل عدة جهود فى سبيل الدعوة للحجاج المسيحيين ولكن بعض هؤلاء انتهكوا حرمة المسلمين الذين كانوا يعيشون

---

(١) حصن المرقب من الحصون المشهورة بالمنعة والضخامة شيده المسلمون سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م) ولم يفتحه السلطان صلاح الدين لما فتح ، وقد أبقاه المنصور قلاوون ورمم شعثه واستتاب فيه بعض أمرائه ولا يزال قائما حتى اليوم

فى أمان بالقـــرب من عكا وقتلوا جماعة من تجارهم (أغسطس ١٢٩٠م)، فاتخذ قلاوون من ذلك ذريعة لاعلان الحرب على هذه المدينة والاستيلاء عليهـــا فشرع فى اعـداد المعدات لحصار عكا آخر معاقل الفــرنج ، لكنه ما لبث أن توفى (ذو القعـدة ٦٨٩ هـ ـ نوفمبر ١٢٩٠) ٠

وخلفـــه ابنه الاشرف خليل الذى عول على اتمام مشروع أبيه وأخذ فى الاستعداد للحرب بنشاط ٠ فأرسل الى ولاته فى الشام طالبا منهم تجهيز وسائل النقل لحمل الذخائر والعتـاد الى أسوار عكا ، ونودى فى الجامع الاموى بدمشـــق بالاستعداد لغزو عكا ٠ وأعد الامير حسام الدين لاجين نائب الشام جيشه ثم غادر دمشـق قاصدا عكا ٠ كما زحف كل من الملك المظفر صاحب حماه برجاله وسيف الدين بلبان الطباخى نائب طرابلس والحصون الساحلية بعساكره ٠

● معركة تحرير عكا ●
(٦٩٠ ـ ١٨ مايو ١٢٩١)

بدأت قوات السلطان خليل بقذف حصون عكا بالمجانيق ضربا متواصلا لمدة عشرة أيام قبل أن تشن هجومها العام ودون وصـــول امدادات الى الصـــليبيين وقد حاول هنرى الثانى ملك قبرص فتح باب المفاوضات مع السلطان خليل عله يتمكن من انقاذ عكا ، فلما فشلت مساعيه صمم على الدفاع عن المدينة حتى النهاية ٠٠٠ لكنه فقد الامل فى انقاذها فى الوقت الذى أحــكمت الجيوش المملوكــية حصارها ، ولذلك قرر هنرى الثانى العود الى جـــزيرته ومعه قواته وفرسانه ٠ فلم تلبث أن سقطت عكا فى أيدى جيوش الســلطان ، وظلت المدينة عشرة أيام مسرحا للقتـــــل والتدمير ٠

وفى الشهور التالية أتمت القـوات المصرية الاستيلاء على بقية المدن الساحلية التى كانت فى قبضـــة الصــليبيين ، فهـدمت جميعها عـدا بيروت التى أختارت التسليم ٠٠٠ وهـــكذا انتهت مملكة وامـــارات الصليبيين وتم توحيد الشام بأسرها تحت حكم المماليك ٠

واحتفلت العاصــمتان : القاهرة ودمشق بهذا الفتـح الاشرفى العظيم واقيمت الاحتفـــالات الشائقة نتيجة لتطهير البلاد من الغزاة الظالمين ٠ ويشاء الحظ العاثر أن يتفق طائفة من امراء المماليك على تدبير المكايد ضد الاشرف ٠ بزعامة الامير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة ، فتحين له الفرصة عندما نزل الســلطان (سنة ٦٩٣ هـ ـ ١٢٩٤) بمكان يقال له الحمــامات على مقربة من أبى المطامير بمحافظة البحيرة للصيد ٠ فهجم الامراء المتآمرون عليه وضربوه بالسيوف حتى مات ، وتركوا جثته حتى واراها قروى فى التراب (١) ٠ أما مماليك السلطان فتتبعت بيدرا وقتلوه قبل أن يصل الى قلعة القاهرة ويعلن نفسه سلطانا ٠ وكما قيل عنه ٠٠٠ وقد أراد بيدرا السلطنة لنفسه ولكن المقادير قهرته والدنيا الغـرور غدرته ٠٠٠

حكم الاشرف خليل قاهر الصليبيين ثلاث سنين وشهرين وفيه يقول ابن اياس : كان الاشرف بطـلا لا يكل من الحـــروب ليلا ونهارا ، وكان مسعودا فى حركاته ولا يعرف فى أبناء الملوك من كان يناظره فى العزم والشــجاعة والاقدام ٠٠٠ وكان سـفاكا للدماء قتل خلقا كثيرا من الامراء وغيرهم ٠٠٠ ولله فى خلقه شئون !

---

(١) نقل اتباع السلطان الجثة فيما بعد الى « ضريحه » بالقاهرة ٠

■ د. حسين نصار ■

سلطان عين جالوت قطز

موقعة عين جالوت من اشهر المواقع التى اشترك فيهـا الجيش المصرى فى تاريخه الطويل نالت مانالت من مكانة خالدة ، وصيت ذائع ، عن جدارة وافية ، فقد ادى القتال فيها الى نتيجة حاسمة ، انتصار رائع ، افقد المغول قلوبهم، وخلع عنهم هيبتهم ، التى اشاعت الرعب فى الناس ، ونابت عنهم فى اكتساب النصر والحاق الهزيمـة بالخصم ، حتى قبل ابتداء القتال . ولم تجدهم بعدها الانتصارات المحلية التى احرزوها ، واضطروا اخيرا الى مبارحة الشام ، والاقلاع عن غزو بقيـة العالم العربى .. فانقذت هذه الموقعة العالم المتحضر من القـوة الوحشية ، والرعب الرهيب ، والدمار الشامل .

أغرت هذه الموقعة الكتاب ، فتناولوها ، وأفاضوا فى الحديث عن أسبابها وأحداثها .. غير اننى اود أن أقف عند دلالاتها، فاننى أجد لها من الخطر ما لا يقل عما للموقعة واحداثها .

أقف عند دلالاتها المتصلة بالفرد ، والجماعة ، بالفرد حاكما وقائدا و عالما ... الخ ، وبالجماعة جيشا وشعبا . فكل هؤلاء كان لهم صنيعهم الرائع فى الموقعة .

أقف عند سلطان مصر فى تلك الحقبة : الملك المظفر ، سيف الدين ، قطز بن عبد الله التركمانى .

فاذا فعلت ونظرت اليه رأيته شابا،

اشقر ، كبير اللحية ، لا فرق بينه وبين أمثاله من المماليك البحرية الذين أكثر الايوبيون المتأخرون من اقتنائهم فسلبوهم دولتهم .

واذا امعنت النظر في سيرته ، وكررته فيما دونه المؤرخون عنه ، وجدتهم يتفقون على انه كان بطلا ، شجاعا ، همقاما ، مقداما ، شديد البأس ، ذا سطوة وبطش وجـرأة واقدام في اموره ، حازما ، حسن التدبير ، يرجع الى دين وخيـر ، لا يوصف بكرم ولا بخـل بل كان متوسطا . فلا فرق بينه وبين اكثر زملائه في صفة جسدية او خلقية ، فهو ابن التربية العسكرية الدينية التي اخذ السـلاطين بها مماليكهم منذ حداثتهم الى شبابهم .

ولا يشذ عن هذا الوصف غير ابن اياس الذي نعته بأنه كان صعب الخلق .. ولكنني لم أجد في حياته ما يؤيد هذا النعت او يفـرده عن المماليك بالجدارة به .

واذا تتبعنا أحداث حياته المعروفة وقع بصرنا عليه أول مرة صبيا مملوكا لابن الزعيم ، من تجار دمشق الذين يعملون في القصاعين (سوق مدحت باشا الآن) .

ثم نراه مملـوكا لركن الدين الهيجاوي ، من امراء المماليك في مصر في عهد الملك الكامل (٦١٥ ـ ٦٣٥ هـ)

ثم نلقاه بين مماليك الملك المعز ، عز الدين ، أيبك بن عبد الله التركماني (٦٤٨ ـ ٦٥٥ هـ) ، يواصل العمل والبروز الى ان يشغل مركز الضرغام فلا يغيب عن الانظار الى أن يغيب عن الحياة .



قطز

فقد كان أحد ثلاثة عهد اليهم المعز اغتيال خصمه العتيد الامير فارس الدين أقطاي بن عبد الله الجمدار . لقد كان أقطاي رأس المماليك البحرية أيام الملك الصالح . فلما اضطرت الملكة شجرة الدر الى أن تقعد رجلا على كرسي السلطنة اختارت أيبك وتزوجت منه . ولكن أقطاي أبى ذلك، وجمع حوله المماليك البحرية ، وتمرد على أيبك ، معلنا أن الحكم من حق الايوبيين وحدهم ، واتجاه الى أن يعين الصغير الملك الاشرف مظفر الدين موسى بن يوسف سلطانا ، وأن يقنع هو بالوصاية عليه .

ولم يستمر الهدوء بينهما طويلا . فقد شرع أقطاي يكثر من شراء المماليك حتى صار له منهم جيش كبير ، اتخذ منه موكبا في ركوبه ، وسلاحا في قتاله ، وأداة تصل به الى مبتغاه . وأخذ يغتصب من أيبك حقوقه واحدا بعد آخر حتى استولى على الامور كلها .

وأيقن أيبك أن لا بقاء له ان لم يعاجل أقطاي . فانتهز فرصة سخط المصريين عليه ، لان مماليكه عاثوا فسادا ، وارتكبوا المعاصي من الاغتصاب والسرقة والمصادرة . واعتمد على اطمئنان أقطاي اليه ، استهتارا به لما رأى من سكينته وخنوعه ، وبعث اليه يستدعيه للمشورة . فركب أقطاي الى القلعة دون أن يخامره شك ، وخاصة أن الوقت كان ظهرا . فلما دخل من باب القلعة حيل بينه وبين من كان معه ، وهم قلة ، وما ان دخل الى « قاعة العواميد » حتى برز له قطز ، وسيف الدين بهادر المعزي ، وعلم الدين سنجر الغتمي فقطعوه بسيوفهم .

ووصل الخبر الى بقية مماليك أقطاي ، فركبوا في الحال ، وأحاطوا بالقلعة ، وعلى رأسهم جماعة من امرائهم أشهرهم بيبرس ، وفي خلدهم أنهم يستطيعون أن ينقذوا أميرهم . فلم يشعروا الا برأس أقطاي يرمى اليهم . فبهتوا ، ولم يملكوا الا أن يتفرقوا ، ويهربوا من القاهرة ، وتفرقوا في بلاد الشام . ولم يلبث أيبك أن عزل الملك الاشرف ، واعتقله في القلعة ، وانتهى بذلك حكم الدولة الايوبية في مصر في سنة ٦٥٢ ـ ١٢٥٤ .

وارتفعت مكانة قطز عند أيبك حتى صار أخص مماليكه ، وأقربهم اليه ، وأوثقهم عنده ، وعينه نائبا له في السلطنة .

ولم يحدد المؤرخون موقف قطز من مقتل أيبك في سنة ٦٥٥ ـ ١٢٥٧ ، غير أن مجرى الأحداث التي تلت قد يدل على أنه لم يضطلع بدور أساسي .. فبعد أن اغتالت شجرة الدر أيبك اتصلت بالامير عز الدين أيبك الحلبي الكبير ليقوم مقامه فأبى ، واختل

أمر شجرة الدر ·

وثار مماليك أيبك ، ونصبوا فى موضعه ابنه الملك المنصور نور الدين عليا ، البالغ من العمر خمس عشرة سنة ، فى ٢٥ ربيع الاول ٦٥٥ ـ ١٢ ابريل ١٢٥٧ · وأقاموا الامير علم الدين سنجر الحلبى أتابكا للعسكر ·

ولم يرض هذا قطز · فسكت قليلا ثم جمع أصدقاءه من أمثال سنجر الغتمى وبهادر ، واشاعوا أن سنجر يسعى للسلطنة · وما لبثوا أن ثاروا عليه واعتقلوه ، كما اعتقلوا شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى الوزير وصادروا أمواله · وأقاموا قطز نائبا للملك المنصور ، وفارس الدين اقطاى المستعرب الصالحى اتابكا للعسكر ، والقاضى بدر الدين يوسف بن الحسن السنجارى وزيرا · ولم يسع أصدقاء سنجر الا أن يفروا الى الشام ، ويلحقوا بمن سبقهم ·

ولما تجمع الناقمون على قطز فى الشام التفوا حول ركن الدين بيبرس، واخذوا يوغرون صدور أمراء الايوبيين من أمثال الملك الناصر فى دمشق ، والملك المغيث فى الكرك ، على قطز . ويكيدون له ، ويحرضون على محاربته فاستجابوا لهم · وخرج الملك المغيث معهم فى جيش دخل مصر الى أن وصل الى الصالحية (فى محافظة الشرقية الآن) فالتقى بهم الجيش المصرى تحت امرة قطز وبهادر ، فهزمهم هزيمة منكرة، وغنم منهم غنيمة كبيرة ، وأسر جماعة منهم ، وأمر قطز بضرب اعناقهم ، وتعليق رءوسهم على باب زويلة · وقع ذلك كله فى سنة ٦٥٦ ـ ١٢٥٨ المشئومة ، التى سقطت فيها بغداد فى يد التتار ·

وفى السنة التالية اجتاحت الجحافل الهمجية مدن الشام ، باسطة الدمار ، ناشرة الرعب ، فاستولت على سورية كلها ، وتوغلت فى فلسطين ، وتطلعت الى مصر · فبعثت اليها الرسل تحث على الاستسلام ، وتلت فى العضد ان أرادت مقاومة ·

بعث هولاكو الى قطز اربعة رسل يحملون رسالة منه ، قال فيها :

« من ملك الملوك شرقا وغربا ، القان الاعظم

«الى الملك المظفر قطز ـ الذى هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هذا الاقليم ، يتنعمون بانعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك

« وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الارض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد · فعليكم بالهرب ، وعلينا بالطلب · فأى أرض تأويكم ؟ وأى طريق تنجيكم ؟ وأى بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص · فخيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال · فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يسمع

«فان انتم لشرطنا ولامرنا اطعتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا · وان خالفتم هلكتم ، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم · فقد حذر من انذر · فلا

تطيلوا الخطاب ، واسرعوا برد الجواب ، قبل ان تضرم الحرب نارها، وترمى نحوكم شرارها • فلا تجدون منا جاها ولا عزاء ولا كافيا ولا حرزاء وتدهون منا باعظم داهية ، وتصبح بلادكم منكم خالية • فقد انصفناكم اذ راسلناكم ، وايقظناكم اذ حذرناكم فما بقى لنا مقصد سواكم •

« والسلام علينا وعليكم ، وعلى من اطاع الهدى ، وخشى عواقب الردى، واطاع الملك الاعلى •

وفطن قطز الى مقصد هولاكو من رسالته ، والى اثرها الرهيب فى رجاله • فأراد أن يمحو هذا الاثر ، ويبدله بأثر أشد ترويعا فى رجال هولاكو نفسه• فاعتقل الرسل الاربعة، وأمر بقطع اجسادهم من الوسط بالسيوف فوسطوا واحدا يسوق الخيل تحت قلعة الجبل ، واخر بظاهر باب زويلة ، والثالث بظاهر باب النصر ، والرابع بالريدانية (من العباسية الآن) • ثم علقوا رءوسهم على باب زويلة • وأبقى قطز على صبى كان مع الرسل ، وضمه الى مماليكه •

ولم تكن العلاقة بين قطز والمنصور بالمستقرة، بل كثيرا ما اعتراها الفتور بل الخصومة ، وهم كل منهما بالاخر لولا خوفه من أنصاره • ولم تدع مطامع قطز لتقف عند نيابة السلطنة لصبى ، فانتهز فرصة تهديد التتار لمصر ، واشاع بين الناس أن البلاد فى حاجة الى سلطان كبير منفرد بالسلطة ، يستطيع أن يواجه الخطر القائم دون خوف أو ريبة •

وسنحت له الفرصة يوم السبت ١٧ ذى القعدة ٦٥٧ ـ ٦ نوفمبر ١٢٥٨ •• عندما خرج صديقاه القديمان وحاميا المنصور : علم الدين سنجر وسيف الدين بهادر ، للصيد ، فعزله واعتقله هو واخاه وامه فى القلعة • فلما عاد الامراء انكروا ما كان منه ، فاعتذر اليهم قائلا :

« انى ما قصدت الا ان نجتمع على قتال التتر ، ولا يتأتى ذلك بغير ملك فاذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالامر لكم : اقيموا فى السلطنة من شئتم » فتفرقوا • فاخذ يسترضى من طمع فيه، واعتقل من خاف منه مثل سنجر وبهادر •

واجتمع فى مصر الهاربون من العراق والشام من الامراء والعلماء **والجند وابناء الشعب • قدم اليها** الملك المنصور صاحب حماة ، واخوه الملك الافضل ، والملك السعيد علاء الدين على بن لؤلؤ ، من الامراء •

وعاد اليها من الامراء الذين كانوا بها من امثال شمس الدين الوش



البرلى العزيزى ، وركن الدين بيبرس، بعد أن اتصلا بقطز وأملنـــــاه على نفسيهما بل بلغ من ترحيبه ببيبرس أن أنزله بدار الوزارة ، وأقطعــــه قليوب وما حولها .

ومن أشهر العلماء الذين وفـدوا اليها عز الدين بن عبد السلام .

وكان لهؤلاء القادمين دورهم الكبير فى تعبئة المشاعر المصرية ، واعـداد الناس للقتال ، واحراز النصر فى المعركة . فقد كان الخوف والفـزع من المغول ملء القلوب والاسماع .

وصف المقريزى الامر فقال : « فشرع قطز فى تحليف من تخيره من الامراء (على الصدق فى القتال) . وتقدم لسائر الولاة بازعاج الاجنـــاد فى الخروج للسفر . ومن وجد منهم قد اختفى يضرب بالمقارع . وسار حتى نزل بالصالحية وتكامل عنده العسكر .. فطلب الامراء وتكلم معهـم فى الرحيل . فأبوا كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل . فقال لهم : يا امراء .. لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون . وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصـــحبنى . ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته . فان الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين .

فتكلم الامراء الذين تخيرهم وحلفهم فى موافقته على المسـير ، فلم يسع البقية الا الموافقة . وانفض الجمع . فلما كان فى الليل ركب السلطان ، وحرك طبوله وقال : أنا ألقى التتار بنفسى .. فلما رأى الامراء مســـير السلطان ساروا على كره » .

وخـــرج الجيش المصرى فى يوم الاثنين ١٥ شعبان / ٥ اغسطس ومعه من أنضم اليه من عساكر الشـــام والعرب والتركمان وغيرهم الى أن وصل عكا . فاخـــرج له الصليبيون وفدا يستطلع امره . فرغبهم ورهبهم، اذ خلع عليهم الخلع ، واستحلفهم أن يكونوا لا له ولا عليه ، واقسم انهم متى تبعه فارس أو راجل منهم يريد اذى عسكر المسلمين رجع وقاتلهم قبل أن يلقى التتار .

وفى تلك الاثناء اضطر هولاكو الى مغادرة الشـــام عندما وصلت اليه اخبار وفاة أخيـــه منكوخان الخان الاعظم ، وتولى أخيه قوبيلاى . فأناب عنه أكبر قواده كتبغا . فجمــــع جيوشه وانحدر من حلب الى فلسطين لملاقاة الجيش المصرى .

وقدم قطز ركن الدين بيبرس طليعة لعسكر المسلمين ، فالتقى بطليعـــة التتار وعليها بيدرا ، فهزمها . فكان ذلك بشـيرا بالنصر الاكبـر . وداوم بيبرس بقية جيش التتار ، فأخـــذ

قطز

يستدرجهم تارة بالاقبال عليهم ، وتارة بالاحجام عنهم ، وهم يتتبعونه حتى أتى بهم عين جالوت – بين بيسان ونابلس – حيث كان جيش قطز ٠ واصطفت الجيوش فى غورها

وفى يوم الجمعة ٢٥ رمضان / ١٤ سبتمبر نشبت المعركة الرهيبة ٠ فتقاتل الفريقان قتالا شديدا حتى قتل منهما جماعة كبيرة ٠ وانكسرت ميسرة المسلمين كسرة شنيعة ٠ فالقى قطز خوذته عن راسه ، وصرخ باعلى صوته : « واسلاماه ! » ثلاث مرات ثم صاح : « يا الله ، انصر عبدك قطز على التتار ! » وحمل بنفسه ويمن معه حملة صادقة جبرت الصدع ٠٠ ثم واصل تشجيع اصحابه ، والكر بهم مرة اخرى حتى نصر الله الإسلام ٠ فنزل قطز عن فرسه ، ومرغ وجهه على الارض ، وقبلها ، وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ثم ركب ٠

ولجات جماعة من التتار الى جبل قريب فاحاط بهم المسلمون واستاصلوهم فلم يبقوا منهم غير الصغار والمراهقين ، أسروهم واتخذوا منهم مماليك لهم ٠ وامر قطز بيبرس ان يتتبع بقية الناجين من التتار ، ويطهر الشام منهم ففعل ٠ ودخل قطز دمشق فى موكب رائع ، وفرحة غامرة ٠

وكان مصير كتبغا القتل فى المعركة وابنه الاسر ، والخائنين والمتعاونين مع المغول كبارا وصغارا الاعدام والعار ٠ فانزل قطز العقاب بكل من استحقه ، لم يستثن فيه احدا حتى امراء الايوبيين ٠ فقد قتل الملك السعيد الذى حارب الى جانب التتار ولم يقبل منه عذرا ٠ والعجيب ان من لم يقتله قطز من المسلمين المتعاونين مع المغول قتلهم المغول انفسهم ٠ فقد لحق الملك الناصر واخوه الظاهر بهولاكو فاكرمهما وابقاهما عنده ٠ فلما وصلت انباء الهزيمة اليه قتلهما انتقاما من المسلمين ٠

وكما كان قطز عنيفا فى عقابه كان كريما فى مكافاته ٠ فاعاد كل امير اشترك معه فى القتال الى امارته ، بل زاد بعضهم ٠ فرد الملك المنصور الى حماة وزاده المعرة ٠ واعطى الملك السعيد على بن لؤلؤ حلب ، وشمس الدين اقوش البرلى الذى قتل كتبغا الساحل الشمالى ٠ وعفا عن الملك الاشرف الذى كان قد مالا المغول غير انه عاد الى صوابه حينما اتصل به قطز ، وخدع المغول فى اثناء القتال ٠ ثم رده الى حمص ٠ وجعل علم الدين سنجر الحلبى نائبا عنه فى دمشق ٠

ولم يبق غير ركن الدين بيبرس بدون عقاب ولا ثواب ٠ كان قطز قد وعده ان يمنحه حلب ثم اضطر الى

اعطائها الى الملك السعيد اتبــاعا لسياسته فى تولية ابناء الشام على مدنه ، وخوفا من بيبرس الذى حمل له العداء منذ زمن بعيد • فقد كان بيبرس من انصار اقطاى وقطز من انصار أيبك ، واتصل بيبرس بالامراء العادين لقطز بعد فراره من مصر •

وحاول قطز أن يطيب خاطر بيبرس، ويجدد وعودا أخرى له • ولكن هذا كان قد صمم على اغتياله ، وعلى الا يقنع بغير مصر امارة له • وأعد عدته مع انصاره •

وفى طريق قطز الى مصر ، انحرف عن الدرب للصيد ، عندما خرج من الغرابى وقارب الصالحية • فلمــا فرغ من الصيد اراد العودة الى الطريق فطلب منه بيبرس أن يهبه امرأة من سبى التتار ، فأنعم بها عليه • فأمسك بيبرس بيد قطز متظاهرا بالرغبة فى تقبيلها شكرا له ، وكانت تلك هى الاشارة بينه وبين انصاره • فعاجله بدر الدين بكتوت بالسيف وضرب به عاتقه ، واختطفه انس والقاه عن فرسه ، ورماه بهادر المعزى بسهم أتى عليه ، فى يوم السبت ١٥ ذى القعدة ٣ نوفمبر ودفنوه بالقصير •



ولما رأى بيبرس الناس يتبركون بقبره ، ويزورونه فيزدحمون عليه ، ويترحمون ويدعون ، هدمه ونبشه ثم نقله الى مقبرة مجهولة فى القاهرة •

وكانت تلك هى النهاية الاليمة لبطل عين جالوت ، ذلك البطل الذى كان مملوكا عاديا طوال حياته ، لا يميزه عن نظرائه شىء ، شــاركهم مآثرهم ومعايبهم ، طمع وتآمر وقتل • وكان القدر اعطاه صورته هذه لتبرز دلالتها البروز التام • فعندما واجه هــذا الرجل ـ هذا المملوك النمطى ـ الازمة التى وجد أنها تهدد دينه وبلاده ، كان المسلم الحق، المسلم الذى لا يحس فى القتال بغير الاسلام، يجاهد فى درء كل خطر عنه •

وتلك هى العقيدة الحقة • يؤمن بها الرجل العادى ، تتكمن فى أغواره ، وقد يأتى من الاعمال ما يناقضها ، لان أطماعه الدنيوية تشغله عنها ، فاذا ما تجلت له فى ازمة البقاء تجلى جوهر عقيدته ، وكأنما صار رجلا جديدا مغايرا لما كانكل المغايرة •

ولقد تعمقت موقعة عين جالوت فى أغوار المسلمين ، وأثارت وجدانهم والهبت خيالهم • فأضافوا الى بهائها بهاء عاطفيا ، والى ما كسبه أبطالها من مجد مجدا وجدانيا ، لا تستطيع أن تدرك فى كثير من الاحيان اين طرفاه طرفا الواقع والخيال •

فكانت عين جالوت عندهم دعوة أصحاب الديانات السماوية لقيت الاستجابة الربانية .

أما قطز فربطت القصص بينه وبين جلال الدين منكبرتي بن محمد خوارزم شاه ، فقد كان قطز أول من اجترأ على التتر بعده وكسرهم . قال شمس الدين بن الجزري في تاريخه : « كان قطز في رق ابن الزعيم بدمشق في القصاعين . فضربه أستاذه (مالكه) فبكى ولم يأكل يومه شيئا . ثم ركب أستاذه وأمر الفراش يترضاه ويطعمه .. فحدثني الحاج على الفراش قال : جئته فقلت له : ما هذا البكاء من ضربة ؟ فقال : انما بكائي من لعنة أبي وجدي ، وهما خير منه . فقلت : ومن أبوك : واحد كافر ؟ فقال : والله ما أنا الا مسلم ابن مسلم . أنا محمود ابن مودود ، ابن أخت خوارزم شاه . من أولاد الملوك . فترضيته . ولما ملك أحسن الى الفراش ، وأعطاه خمسمائة دينار ، وعمل له راتبا » .

ولا تكتفي القصص بهذا الربط ، وهذا النسب ، بل تتجاوزه الى أن الأقدار كانت تعد الرجل لملاقاة المغول ، وان الرجل كان يستشعر انه الذي يهزمهم . قال ابن الجزري أيضا :

قطـز

« حدثني أبو بكر بن الدريهم الاسعردي والزكي ابراهيم الجبلي أستاذ الفارس اقطاى قالا : كنا عند سيف الدين قطز لما تسلطن أستاذه المعز أيبك التركماني . فأمرنا قطز بالقعود . ثم أمر المنجم فضرب الرمل .. ثم قال له قطز : اضرب لمن يملك بعد أستاذي الملك المعز أيبك ، ومن يكسر التتار . فضرب وبقي زمانا يحسب ، فقال : يطلع معي خمسة حروف بلا نقط . فقال له قطز : لم لا تقول محمود بن مودود . فقال : ياخوند (مولاي) لا يقع غير هذا الاسم . فقال : انا هو ، أنا محمود بن مودود ، وأنا اكسر التتار ، وآخذ بثار خالي خوارزم شاه . فتعجبنا من كلامه ، وقلنا : ان شاء الله يكون هذا ياخوند . فقال : اكتموا ذلك . وأعطى المنجم ثلاثمائة درهم » .

وأود أن أقف عند بقية حكام المسلمين . فقد أطلت سنة ٦٥٧ على هذه البقعة التي نعيش عليها فرأتها كرقعة الشطرنج ، تنقسم الى عدة مربعات ، يشغل كلا منها شاغل ، يطمع في الاجهاز على غيره .

ونستطيع أن نمثل لذلك بالشام الذي تقاسمه الامراء الايوبيون ، فكانت دمشق وحلب وبعلبك من نصيب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد ، أعظم أمراء الشام نفوذا . وكانت الصلت تحت نفوذ أخيه الملك الظاهر غازي ، وحمص تحت حكم

الملك الاشرف مظفر الدين موسى بن ابراهيم ، وحماة تحت يد الملك المنصور سيف الدين محمد بن محمود ، والكرك تحت سلطان الملك المغيث فخر الدين عمر بن أبى بكر .

أضف الى هؤلاء الامراء أميرين آخرين أناخ عليهما الدهر ، وربما كان أحسنهما حالا الملك الناصر أبو المظفر داود بن عيسى ، الذى كان أميرا للكرك ثم اغتصبت منه واعتقل فى حمص مدة ثم عاش مشردا بين مدن العراق والشام ، لا يقر له قرار ، الى أن مات سنة ٦٥٦ قبيل هجوم المغول . وأسوؤهما حظا الملك السعيد حسن ابن عثمان ، الذى كان أميرا لبانياس والصبيبة ثم آل أمره الى الاعتقال فى البيرة . وبقى فى معتقله الى أن أفرج المغول عنه ، فناصرهم فى حربهم ، فاستحق القتل من قطز ، والازدراء من التاريخ .

ولا يقف الامر عند ما رأينا من شر .. بل يتعداه الى أن ينيب بعض الامراء الكبار نوابا عنهم على المدن الكبيرة ، مثل الناصر الذى أناب عنه ابنه الملك المعظم أبا المفاخر تورانشاه على حلب . وجارى هؤلاء النواب امراءهم ، فخاصم بعضهم بعضا ، بل خرج بعضهم على طاعة من ينوبون عنه ، واستقلوا بولاياتهم أو حاولوا

واذا انتقلنا ببصرنا من الشام الى الجزيرة وما جاورها لم تتغير الصورة فالموصل تحت حكم الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ ثم ابنه ركن الدين اسماعيل .. وميافارقين وسنجار تحت حكم الملك الكامل ناصر الدين محمد بن غازى ، وحصن كيفا تحت حكم الملك الموحد تقى الدين عبد الله بن تورانشاه .. الخ ..

ولم يضعف هذا التقسيم ولا هدأت هذه الخصومات أمام خطر المغول الشامل . بل أراد بعض الامراء استغلاله فى قضاء مآربه . فاستولى الملك الظاهر على غزة ، وأراد الملك الناصر أن يستولى على الكرك . وعندما خرج الى التتار لقتالهم تآمر عليه مماليكه للاستيلاء على دمشق فاضطر أن يعود اليها ويعدل عن قتال المغول .

والغريب ما فى الامر أن يقع هذا كله من أبناء الاسرة الايوبية التى قضى رأسها صلاح الدين الايوبى معظم حياته مجاهدا فى سبيل جمع شمل المسلمين فى دولة موحدة ، تستطيع أن تواجه الخطر الصليبى وتتغلب عليه .. فلا عجب أن يكتسح المغول مدن الشام ، وأن تحدثهم نفوسهم بغزو مصر . ولولا وحدة مصر ، والتفاف أبنائها حول جيشها ، واستجابة جيشها لقائده ، وتضامن المخلصين من أبناء الشام ، سواء من فر منهم الى مصر أو من بقى فى الشام ، وتضحية الجميع بالنفيس من الارواح والاموال .. لولا هذا التضامن ما صارت عين جالوت الى ما صارت اليه : أغنية تتردد على أفواه المسلمين، وحقها أن تكون أغنية للبشرية جمعاء .



قصة المجد الراحلة الخالدة

قصة عميدنا الراحل طه حسين ، هى قصة مجد ، لعبت وسوف تظل تلعب دورها فى حياة كل مصرى ، وكل عربى ، وكل انسان ، على مدى التاريخ ·

قد تختلف حول الرجل نفسه ·· او حول افكاره ودعواته ·· وقد يجد مؤرخو الادب فى بعض مواقفه من الهنات السياسية او العقائدية ما يأخذونه عليه ·

ولكن القصة تبقى دائما قصة مجد ·· وأى مجد !

مجد ذلك الطفل المصرى الفقير الذى شب فى قرية صامتة من أعماق الصعيد ، كفيفا ضعيفا لا حول له ولا قوة ، فاذا هو يصبح يوما ما منارة فكرية على المستوى العالمى ، تتسابق اليه المناصب والقاب الشرف وجوائز الدولة فى كل عهد ، وتترجم كتبه الى اكثر لغات العالم الحية وغير الحية ، ويدرس أدبه فى اكثر من خمسين جامعة من جامعات العالم ، وتنزل الستارة على حياته والامم المتحدة ـ التى تمثل ضمير العالم ـ تنحنى أمام جلاله ، وتبسط له جائزة الانسانية ·

لقد عرفنا فى تاريخ الفكر كثيرا ممن حرموا نعمة البصر ، وقد فصلنا حديث بعضهم فى عدد « الهلال » عن « أصحاب البصيرة » ·· ومن اشهرهم فى مصر الشاعر الزين ، والناقد المرصفى ، رحمهما الله وفى الادب العربى الفيلسوف المعرى ، وفى الادب الانجليزى الشاعر « ملتون » ··· الخ ·


د. طه حسين

ولكننى أحسب ـ وأرجو الا أكون مخطئا ـ أن أحداً من هؤلاء جميعا لم يصعد الى سماء طه حسين ، الذى تعددت نواحى فكره على صورة غير مشهودة من قبل .

● لقد استحدث أعظم انقلاب فى حياة المرأة المصرية يوم كافح كفاحا بطوليا ليفتح لها أبواب الجامعة .

● واستحدث أكبر حدث حضارى فى تاريخ مصر يوم نادى بمجانية التعليم قائلا انه حلال للناس جميعا كالماء والهواء .

● وبدأ رحلته من الشك الى اليقين ، من كتاب « الشعر الجاهلى » الى كتاب « على هامش السيرة » .. فقاد جحافل الشباب وراءه فى رحلة العقلانية والتأمل والبحث ، الى ذروة الايمان بالله جل جلاله .

● وبنفس الاسلوب ، علم دارسى الادب أن الادب ليس مجرد موهبة أو سجية ـ وان كان لا بد منهما ـ ولكنه الى جانب ذلك جهد ودراسة ونقد ومقارنة وتمحيص وتحصيل وتصفية .

● والجامعة ... التى عاصرها ورعاها وهى طفلة فى المهد ، لم يترك حبلها على غاربها ، وانما أرسى لها من التقاليد الجامعية ما جعلها ذات كرامة على جامعات العالم من بداية الامر ، وهيأ لها أجواء الحرية المصونة من عبث اختلاف العهود .. لانه أدرك أن بالحرية وحدها يزدهر الفكر .

● وتنوع انتاجه على نحو غير مسبوق . فقد بدأ حياته بنظم الشعر . ولكن كان فى أعماقه من الشجاعة ما أقنعه بأنه لم يولد ليكون شاعرا ، فاعتزل الشعر ، ووجه همه الى رسالات أخرى فى الحياة .

أدى رسالة الجامعة .. وأرسى تقاليدها العتيدة .. وأطلق العلم للشعب .

ثم أحيا تراث الفكر اللاتينى وزاوجه بالتراث العربى ليصطنع منهما أساسا حضاريا عربيا وعالميا فى وقت معا .

ثم أحب الله ورسوله ، فتقرب اليهما بأكثر من نتاج منه « على هامش السيرة » و « الوعد الحق »

وعالج فن القصة علاجا انسانيا عاليا ، فى مثل روايته « دعاء الكروان » .

وكان كاتبا سياسيا من كتاب القمة فى بعض أيامه ، على وجه جريدة « السياسة » طورا وجريدة « الوادى » تارة .

وكان ناقدا صاحب مدرسة جديدة فريدة ، وحسبنا أن نقرأ كتابه « مع المتنبى » بجزءيه ، لنعرف مدرسة طه حسين النقدية التى قد تصبح هى مدرسة المستقبل فى النقد .

على أن أعظم ما تأثرت به من طه حسين ، هو أسلوبه السهل الممتنع ، الذى غير لغة الادب فى هذا العصر ، وأثرى الادباء والمتأدبين بلغة فصحى بعيدة عن الحوشية والاغراب . وهكذا تلألأ صوته بجمال الفصحى وكأنها موسيقى تنساب من لهاته ، وتعد أكبر انتصار على أسطورة الدارجة .

رحم الله طه حسين ، وأجزل له من عطاء الآخرة بمثل ما أحسن هو الى لغة الكتاب والى أهل الكتاب .

شاعر ينظم بدمه



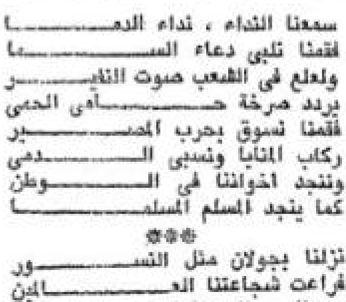
د. مفدى زكريا

صديقنا الشاعر الظريف المطبوع مفدى زكريا ، تونسى جزائرى مغربى .

يعرفه الناس بشاعر الثورة الجزائرية ، لانه جزائرى المولد ، ولانه نظم ملحمة الثورة الجزائرية فى نحو الف بيت .
ولكن مقامه الاساسى بالمغرب ، وعاطفته موزعة بين الدول المغربية الثلاث ، التى لا يفتأ يتنقل بينها حيثما يطيب له الرزق الحسن .

آخر ما تلقيت من أنبائه ، رسالة طواها على نشيد نظمه تحية لمعركة النصر ، وكتب حروفه بدمه .

وهذه ـ فيما أعلم ـ أول منظومة يكتبها شاعر بدمه .
يقول النشيد ، مشيداً بوقفة المغرب فى المعركة :



سمعنا النداء ، نداء الدمـــــــا
فقمنا نلبى دعاء الســـــــما
ولعلع فى الشعب صوت النفيـــــر
يردد صرخة حـــــــامى الحمى
فقمنا نسوق بحرب المصـــــير
ركاب المنايا ونسبى الـــــدمى
ونتجد اخواننا فى الـــــوطن
كما ينجد المسلم المسلمـــــا

***

نزلنا بجولان مثل النســـــور
فراعت شجاعتنا العـــــالمين
ورحنا بسينا ندك الغـــــرور
ونعصف بالظلم والظـــــالمين
ونزرع بالمهجات الجســـــور
فنلقى بها الرعب فى الغـــاصبين
وبالفلذات نفدى الـــــوطن
ونغسل بالدم عار الســـــنين

ماساة شاعر الكرنك



كانت قصة الشاعر أحمد فتحى مأساة فى الحياة والموت وما بعد الموت .

مات وحيداً فى غرفة بفندق ، وهو يتلوى من الالم ، ولا يجد الى جوار مخدعه من يغيثه بطبيب ، أو يروى غلته بجرعة ماء ، أو يقرأ على روحه الفاتحة عندما أسلم الروح .. حتى وجدوه فى اليوم التالى مسجى باكى القسمات .

وبعد وفاته ، جهدت فى جمع شعره ثلاث سنوات كاملات ، حتى اذا اكتمل ، بعثت به الى كبرى مؤسساتنا للنشر ـ كان ذلك قبل ثورة التصحيح ـ لتنشره على الناس تكريما لذكراه ،


احمد فتحي

فردته المؤسسة الي ، مع خطاب تقـــول فيه رئيسة المؤسسة « ان هذا الشعر لا يرقى الى مستوى النشر » !

أما في حياته ، فحسبك ايها القارىء ان أضع أمام عينيك لقطة من رسالة بعث بها أحمد فتحى الى أحد أصدقائه يوما ما، وكان لا يزال في الثلاثين ، لتحس معي مدى عمق المأساة التى عاشها أحمد فتحى من مولده الى يوم رحيله ٠٠ وهى التى أرويها لك كاملة في « كتاب الهلال » الذى يصدر هذا الشهر .

يقول في تلك الرسالة :

« اننى سعيت الى الشهرة سعى المجد ، وطلبت المجد طلب الملحاح ، وبذلت في سبيل ذلك ما بذلت من نضرة شـــبابى ونور عينى

« فلما بدا نجمى يتألق في سماء المجتمـــع ، وأقبلت على الشهرة اقبال المشوق ، كان ما تبقى من نفسى نماء لا يكاد يتمتع بالحياة في جملتها وتفصيلها

« فقدت نصف قلبى منذ ثلاثة أعوام ، وفقدت نصفه الباقي منذ أيام

« ولقد فزعت الى الشراب من مواجعي وعذاب دنياى ، فما زادني الا ضعفا عن احتمال الحياة ومواجهة متاعبها ، وعادت علة الجسد تزيدني من يقظة جراح قلبي ، واصبحت حياتي كلها مقاساة ونكرا

« وتلفت حولي ٠٠٠ فاذا لا ناصر ولا معين ٠٠٠ واذا مثلى كمثل الكسرة من الخبز العفن ، ملقاة في عرض الطريق ، ان وجدت تقيا يرفعها الى جانب الحائط ، فانها لن تجـــد من ياكلها باى حال »

عـــمق الأصـــالـــة في شــعبنـــا

تلقيت رسالة بتوقيع « وطنى مخلص »

اشهد اننى راجعت دموع التأثر بصدق كلمات هذه الرسالة بعد أن انتهيت من قراءتها ، لانها تدل على عمق الاصالة في هذا الشعب .

الرسالة ٠٠٠ عتاب مهذب على المؤرخ المغربى الاســـتاذ عثمان الكعاك ، الذى نشرنا بحثه عن الحركات التبشيرية ، الذى القاه في الملتقى الاسلامى بالجزائر ، في عدد أكتوبر الماضى .

وصاحب الرسالة يرى أن في هذا البحث مساسا بعواطف شركاء لنا في هذا الوطن ، الذى اختلطت دماء أبنائه ، مسلمين

وغير مسلمين ، أروع اختلاط فى ساحة المعركة متسابقة الى الجهاد والاستشهاد ، وفى الوقت الذى نسعى فيه جميعا الى بناء هذا الوطن بغيرا مرارات ولا أحقاد ٠

ورغم أجمل تقديرى لعاطفة صاحب هذه الرسالة ، ولأدبه فى الخطاب ، أحب أن أؤكد له أن الابحاث التى ألقيت فى ملتقى الجزائر لم تكن صادرة عن تحد لعقيدة من العقائد ، ولا للمساس بدين من أديان السماء ، وانبياؤها أنبياؤنا جميعا ٠٠ وانما كان الهدف الوحيد ، تصوير استعانة الاستعمار بالمبشرين لاذلال الشعوب وقهرها ، وفى أكثر من حالة ، اتضح ان هؤلاء المبشرين كانوا من دهاقنة اليهود الذين يعملون لحساب الصهيونية ٠

اما المساس باخواننا فى الوطن وشركائنا فى الجهاد والاستشهاد والنصر ، فهذا ما لم يخطر ببال ، وما لا مكان له على صفحات « الهلال » ٠

مسرحيات محمود غنيم

مضى عام على وفاة الشاعر الكبير محمود غنيم رحمه الله ولم يذكر النقاد شيئا من أعماله فى المسرح الشعرى ٠ ولقد ترك الشاعر من ورائه العديد من الدواوين الشعرية ، ومسرحيتين من الشعر هما « غرام يزيد » و « النصر لمصر » ٠

وقد نام النقاد عن تقييم هذا الشاعر الكبير ولم تذكر مسرحياته بشيء من النقد أو الاشارة مع أنهم يقيمون الدنيا ويقعدونها اذا كتب أحد شعراء الشعر الحديث مسرحية شعرية فما بالهم يتغافلون عن هذه الروائع ؟

وأولى المسرحيتين بعنوان « غرام يزيد » تدور أحداثها حول غرام يزيد بن معاوية بزوجة ابن سلام أحد الولاة ٠ وكانت تدعى أرينب ولنستمع الى هذا الحوار وما فيه من تصريح ليزيد بهذا الغرام :

يزيد :

هويت وماذا على اذا ما
هويت وكم للهوى من شهيد

الا لا تلوما على الحب قلبى
على الحب شيد صرح الوجود

« أرينب » للقلب روح وراح
ونفح نسيم ودار خلود

سارة (جارية) :

ولكنها زوجة ابن سلام
فماذا بربك منها تريد ؟


محمود غنيم

يزيد :
وكم ذات بعل غدا وصلهـــــــا
قريب المنـــــــال كحبل الوريد

ويتألم معاوية لعذاب ابنه العاشـــق فيدبر حيلة ذكية لكى يطلق المرأة من زوجها لتصبح خالية فيتزوجها ابنه يزيد · وتدور الاحداث من عقدة الى عقدة فى أسلوب شعرى حالم · يحافظ الشاعر فيه على ديباجة الشعر المشرقة الرصينة · وحوار يتعانق بعضه مع بعضه فى موسيقى سيالة تنبثق من خلال احرفه الهفهافة ·

وتتألم الزوجة الوفية أرينب من طمع يزيد فيها فتعتـــذر قائلة :

ارينب :
لى الله ماذا عساى اقـــــــول ؟
يزيد له نظرات حـــــــــداد
رانى بخدرى على غـــــــرة
وثوبى شفيف وصدرى بـــــــاد
فارسل من صدره آهـــــــة
تكاد تفتت قلب الجمـــــــاد

وتتمثل الخطة فى أن يقوم يزيد باستضافة ابن سلام (زوج ارينب) فى قصر الخليفة ليقع فى غرام رملة بنت معاوية · ويطلب الزواج منها فيشترط عليه تطليق زوجته أولا · ويقع المسكين فى الشرك · ويحدث أن تعشق رملة ابن سلام حقيقة وقد كان من المفروض أن تمثل عليه دور المحبة ·

رملة : (فى ترح. بعد أن يفتنها شباب ابن سلام وتعشقه)
أواه من وجدى وطول هيـــــامى
جنبت جفنى النوم يا ابن ســـــلام
اشكو غرامك أن خلوت وطالمـــــا
شكت القلوب الخاليات غـــــرامى
وابث اشـــــجانى الى نفسى اذا
غلت العيون مخافة اللـــــــوام
ما كنت اعلم انه فى سمتـــــه
وبهاء طلعته فتى احـــــــلامى

تعبير دافىء ورقيق عن مشاعر فتاة أحبت برغمها ، بعد أن استجاب قلبها لنداء الشباب وتعرف أن هذا الحب مصـــيره الفشل فتستطرد قائلة :

صوبت جفنى نحوه لاصـــــيبه
فى القلب فارتدت الى ســـــهامى
رمت المهاة تصيب ضرغـــام الشرى
فاذا المهاة فريسة الضرغــــــام

وينفرد ابن سلام بنفسه يناجيها ويعبر عن لواعجه وحبه الوليد لرملة ابنة الخلافة الاموية ·

ابن سلام :

رحماك رملة قد ملكت زمـــــامى
وسلبت من عينى طيب منــــامى
وسكبت سحرك فى فؤادى كلــــه
وملأت من خمر الصبابة جــــامى

ويطلق ابن سلام زوجته اريثب طلاقا ثلاثا فتصبح بذلك مطلقة فيتقدم اليها يزيد خاطبا · وتحدث المفاجأة فى أن رملة لا ترحب بزواج ابن سلام منها لانه رجـــل خـــائن · طلق زوجته المسكينة بلا ذنب سابق · ويقع ابن سلام فى المأزق · يفقد زوجته الحبيبة ويفشل ايضا فى الوصول الى سلم الحسب والنسب والتعلق بأسباب المجد الرفيع ويفشى امنية عمره فى الزواج من رملة بنت الخليفة ·

وتتنوع المسرحية بالوان كثيرة فى دروس اخلاقية متعـددة بأسلوب رفيع · رحمة الله على الشاعر الكبير محمود غنيم الذى اسهم فى اثراء المسرح الشعرى بمثل هذه الروائع ···

● القاهرة ● محمد حسن داود ●

ـ شكرا للاستاذ محمد حسن داود على التعريف بمسرحيات شاعرنا الراحل ، ولعل رجال المسرح القومى ـ وعلى رأسه الان الاستاذ انور احمد ـ يهتمون بهذا التراث الجليل ···

حول قاسم أمين


قاسم امين

● والقارىء العراقى ، السيد « محمد حسين النجم ـ قضاء الفاور بالبصرة » مغضب من كلمتى عن قاسم أمين فى عدد « الهلال » عن البطولات النسوية ، وهو يعتقد ان دعوة قاسم امين الى تحرير المرأة هى التى افسدت المجتمع العـربى وانتهت به الى هزيمة سنة ١٩٦٧

واظن أن هذا اسراف فى التجنى على هذه الدعوة ، التى نادت بمجرد السفور ـ اى خلع النقاب وحده · لا خلع اكثر الثيابْ كما تفعل المرأة الان ، كما نادت بتعليم المرأة لاخراجها من ظلمات الجهل حتى تحسن رعاية البيت والولد وتشـــارك فى بناء البلد ، وهو ما نراه منها فى معركة اليوم ، وما سنرى اكثر منه فى معركة غد ··· معركة التعمير ·

حكاية الشيزوفرانيا

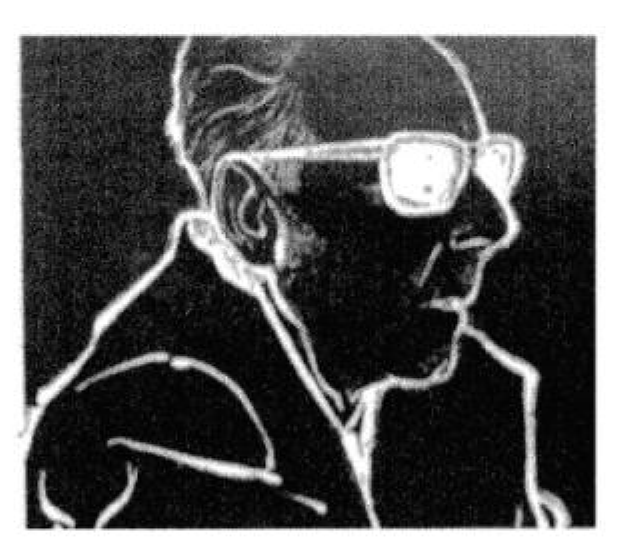
● رسالة من المهندس الاديب صلاح والى ـ السكاكرة ، هبيا ؛ ... يتعرض فيها لمقال الدكتور صلاح عدس عن الشيزوفرانيا والادباء الشبان ، الذى نشر بالزهور ويقول ان هذا الانفصام المشهود هو بداية النهاية لمرحلة بدأت بالغموض فى انتاج الشبان ، اذ اصبح لهم فى غموضهم هذا لغة يتفاهمون بها · وهذه قمة الرفض ، فقد حطموا كل ما هو قديم ... حتى اللغة ، وحتى التكنيك ، وكل شيء ... حتى انفسهم ... بحثا عما هو جديد » ·

ويسوق صاحب الرسالة بعض الشواهد على قوله ، من نتاج القصصيين الشبان ، ثم يعزو كل ذلك الى ما يلقاه هؤلاء الشبان من عنت اجهزة النشر معهم واغلاق الابواب فى وجوههم ·

وانا اختلف مع هذا الراى كل الاختلاف ، فلا شك ان العمل اللامع ـ سواء أكان من شاب أم شيخ ـ هو الذى يفرض نفسه على الصحيفة والاذاعة والكتاب وكل جهاز من اجهزة النشر ، بدليل أن الشاعر التونسى الراحل ابا القاسم الشابى ، عندما أرسل قصيدته « صلوات فى هيكل الحب » الى مجلة «أبوللو» وكانت أول اتصال له بالشرق ، نشرت فى مكان خفى ، وسرعان ما تناقلتها الصحف فى جميع انحاء العالم العربى ، وحفظها الكثيرون وحاكوها وقلدوها وعارضوها وجعلوها مدرسة فى الشعر الحديث ـ الحديث بمعناه الاصيل لا بالمعنى السائر فى أيامنا هذه ـ وأصبح أبو القاسم علما من الاعلام فى غمضة عين ، وكان يومئذ لا يتجاوز العشرين الا بقليل ·

ونحن ـ على صفحات « الزهور » ـ لا ننشر الا نتاج الشباب ·· ولا نشترط ان يكون فى مستوى شعر الشابى ، ولكننا نرحب بكل انتاج متى جاوز درجة « متوسط » مما يشير الى ان صاحبه مأمول للمستقبل ...

● ص· ج ●



طه حسين ومشكلة النحو

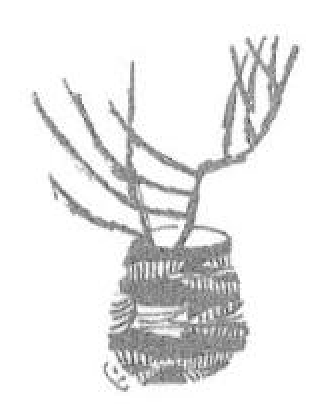
أخذ طه حسين نفسه بضروب من الاصلاح والتجديد في ميادين الادب واللغة، والتربية والتعليم ، وانجز منها ما انجز ، وعز عليه ما عز • وقد عاش مع النحو العربي منذ شبابه الباكر ، درسه مع أقرانه في الازهر تلك الدراسة الطويلة المتصلة ، وشغل به كثيرا ، وان كان درس المرصفي في الادب أحب الى نفسه • ثم أوفد الى باريس ، وكان لا بد له أن يدرس اللغة الفرنسية ، وان يتعمق في درسها ، واضاف اليها شيئا من اللاتينية واليونانية • وأتاح له هذا أن يقارن بين نحو العربية وأجرومية بعض اللغات الاخرى ، وبخاصة أجرومية اللغة الفرنسية • وبعد أن عاد من بعثته الى مصر استوقفته الخصومة الثائرة بين أنصار العامية ورجال الفصحى ، وأدرك ما للنحو من شأن في ذلك ، وأحس بالضرورة الماسة الى اصلاحه وتيسيره •

د. إبراهيم مدكور

ولا شك في أن النحو العربي حظي بعناية لم يحظ بها نحو في لغة أخرى، نشأ في أخريات القرن الاول الهجري، ونما وتكون في القرنين الثاني والثالث .. واستمر يبسط ويفصل في القرون الخمسة التالية . تعددت مدارسه، وتعاصرت أو تلاحقت، تآلفت تارة أو تعارضت تارة أخرى . تأثرت دون نزاع بما حولها من دراسات في الفقه والكلام، والمنطق والفلسفة ووضعت في النحو كتب شتى : بين منظوم ومنثور، بين متن وشرح، وسما بعضها الى مرتبة الامهات كـ « الكتاب » لسيبويه، و « الالفية » لابن مالك، و « المغنى » لابن هشام . أولع به خاصة الخاصة، فوقفوا عليه حياتهم، وتفننوا فيه ما وسعهم . وامتد النحو الى الدراسات الاسلامية الاخرى من فقه وكلام، وأدب وبلاغة، فاختلط بها وامتزج فيها . ونستطيع أن نقرر أن الدراسات النحوية كانت تستوعب النشاط الفكري والثقافي في المعاهد العلمية العربية الكبرى طوال القرون الستة الاخيرة .

وقد غلا النحاة في فلسفة النحو كثيرا، أو ما سمي ميتافزيقا النحو، أولعوا بنظرية العلية وهي نظرية فلسفية في أساسها، وأسرفوا في ذكر العلل وأنواعها، واستخدموا العلة الواحدة في اثبات الشيء وضده . ووقفوا طويلا عند نظرية العامل، وهو ضرب من العلة . وتوسعوا في « التوجيهات والالغاز » النحوية، وعقدوا بعض القواعد التي يصعب استيعابها . ويقال ان الكسائي، وهو شيخ الكوفيين، مات وهو لا يحسن « نعم وبئس »، وأن تلميذه الفراء فارق الدنيا وفي نفسه شيء من « حتى » اللهم الا ان كان هذا من تحامل البصريين ! على أنا لا نزال نشكو وحتى اليوم من العدد وتمييزه، ولا النافية للجنس أو للوحدة، ومن بابي التنازع والاشتغال .

ولم تسلم هذه الفلسفة وهذا التعقيد من النقد قديما، فلاحظ ابن حزم أن علل النحو فاسدة »، ودعا



ابن مضاء الاندلسى الى الغاء نظرية العـــامل ، ونشر كتابه « الرد على النحاة » عام ١٩٤٧ ، وحرص طه حسين على أن يلقى عنه كلمة فى الدورة الثالثة عشرة لمجمع اللغـــة العربية ، معلنا أن فيه ما يؤيد وجهة نظره من ضرورة اصلاح النحـــو وتجديده . وسبق لابن تيميه أن خطأ سيبويه فى عشرات المسائل ، وخالف ابن قيم الجوزية فى كتابه « بدائع الفوائد» علماء النحو والصرف مخالفة صريحة .

ولم يكن بد لطه حسين أن ينكر هذه الفلسفة لانها لا تلائم العصر ، ولا تتفق مع سياسة «التعليم للجميع» ودعا الى اصلاح النحو وتيسيره على شباب المتعلمين . وشاءت الاقدار أن يقوم الدكتور بهى الدين بركات على أمر وزارة المعارف عام ١٩٣٠ ، وكان يلمس ما يكتنف تعليم اللغة العربية من صعاب ، فأمر بتكوين لجنة كان طه حسين أحد أعضائها لتيسير النحو واقتراح قواعد جديدة ، على ألا يمس أصل من أصول اللغة . ومضت اللجنة فى عملها ، وانتهت الى طائفة من المقترحـــات التى تخلص النحو من فلسفته ، وتقدمه الى النشء فى صورة سهلة ميسرة . والاصل فى الاجرومية أن تكون ذات طابع عملى تعليمى ، بعيد عن الفلسفة والتعمق ، والغموض والتعقيد . واستطاعت اللجنـــة أن تحذف التفاصيل التى لا داعى اليها ، وان تقتصد فى المصطلحات وما أكثرها .. وصوبت الى صميم القـــواعد النحوية من تكوين الجملة واجزائها ، وهونت من أمر الاعراب ، وهو عقدة العقد . وصدرت فى كل ما ذهبت اليه عن قواعد مقررة وآراء سابقة ، فلم تخرج ـ كما طلب اليها ـ على أصل من أصول اللغة ، ولم تغير فيما اتفق عليه النحاة الا بمقدار ، وتخيرت من مذاهب القدماء أقربها الى الفكر الحديث ، وأيسرها على الناشئين . وبدا النحو الذى اقترحته أشـــبه ما يكون بأجرومية بعض اللغات الحية كالفرنسية أو الانجليزية . ومع هذا

أبى التغيير الوزارى الا أن تهمل مقترحاتها ، وأن تبقى مطوية فى وزارة المعارف عشر سنوات أو يزيد .

ولم تنقض الا يوم أن احيلت على مجمع اللغة العربية ليدلى فيها برأيه، وقد عكف على درسها طويلا ، فتفرغت لها لجنة الاصول زمنا ، ووقف عليها مؤتمر الدورة الحادية عشرة ثمانى جلسات . ودافع عنها طه حسين فى صدق وايمان ، وأراد أن يسلك بها مسلك التنفيذ . فدعا الى تكوين لجنة لتأليف كتاب تطبيقى لهذه المقترحات، واظهر استعداده للاشتراك فى هذه اللجنة ، بل ما كان يرفض أن يضطلع بالعبء وحده . ولكن وزارة المعارف لم تحرك ساكنا ، برغم توجيه نظرها مرة ثانية الى قرارات التيسير فى مؤتمر الدورة الخامسة عشرة ، وبقى الموضوع فى طى النسيان نحو عشر سنوات أخرى .

وفى جلسة علنية من جلسات المجمع شاء طه حسين أن يعرض مشكلة النحو على جمهور المثقفين ، وقد دعت الى ذلك وزارة المعارف من قبل . فالقى عام ١٩٥٥ بدار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع محاضرة عنوانها « مشكلة الاعراب » ، وشهدها جمع من كبار العلماء والادباء وأساتذة الجامعات .

ودعا فيها الى تيسير الكتابة وتيسير النحو معا ، وقال : « ان علم النحو من أحب العلوم العربية الى نفسى ، لأنى أجد لذة فى قراءة الكتب النحوية المعقدة ــ على ما فيها من فلسفة وتعقيد ــ مثلما أجد عند قراءتى لشعر رائع لجرير أو لبشار » .

ولكن « اذا كان هذا النحو مستحبا الى الاخصائيين والى الذين يفرغون لمثل هذه الدراسات ، فمن الحمق كل الحمق أن يفرض على الشباب فى القرن العشرين ، أقول من الحمق ومن الخطأ أن نأخذ عقول الشباب بتعلم هذا النحو والخضوع لمشكلاته وعسره والتوائه ، لأن ذلك لا يلائم الحياة الحديثة ولا التفكير الحديث . ولا بد من تيسير النحو تيسيرا يتيح للشباب أن يتعلم العربية فى يسر وفى غير عنف » .

ولم يفته أن يشير الى أن المشروع الذى أقره مجمع اللغة العربية يفى بهذا الغرض ، « وهو نائم فى وزارة المعارف منذ أعوام ، ولا يزال نائما الى الآن فى وزارة التربية والتعليم ينتظر من يوقظه » .

والواقع أن فى هذا المشروع تيسيرا ملحوظا ، فانه يرى الاستغناء عن الاعراب التقديرى والمحلى ، وعن التفرقة بين علامات الاعراب الاصلية

والفرعية، وعدها كلها علامات اعراب
•• وصرف النظر عن الضمائر
المستترة وجوبا وجوازا ، وعد
الضمائر البارزة المتصلة حروفا دالة
على نوع المسند اليه أو عدده ، ولم
ير ضرورة للنص على عائد الموصول•
واعتبر التعجب ، والتحذير والاغراء،
ونحوها ، تراكيب تشرح على انها
أساليب ، دون وقوف عند تفاصيل
اعرابها • واكتفى من الصرف بتصريف
الفعل وصوغ مشتقاته ، وفى الاسم
بالتثنية والجمع •

ولاحظ طه حسين بحق أنه ليس
فى هذا ما يغضب الله ورسوله ،
ولا ما يضير لغة القرآن فى شئ •
وعندما أنزل القرآن لم يكن النحو
موجودا ، وقد تلاه المسلمون قبل أن
يعرفوه ، ولا يزالون يتلونه اليوم دون
تفكير فى القواعد النحوية ، ويعدونه
فوق النحو والصرف معا ، والنحاة
بصفتهم هم الذين حاولوا أن يطبقوا
قواعدهم على ألفاظ القرآن وجمله ،
وربما عز عليهم ذلك أحيانا • ومشروع
التيسير فى حقيقته لا يلغى علم النحو
القديم ، وانما يكل أمره الى
الاخصائيين والمتفرغين ، ولهم أن
يكتبوا فيه ما شاءوا ، وأن يبحثوا
ويتعمقوا • أما النشء فرفقا به ،
وحرصا على وقته وجهده ينبغى أن
يعلم العربية من أيسر سبيل ، ونحن
نريد له أن يتعلمها فى الحقل والمصنع،
فى القرية والمدينة على السواء •

وحاولت فعلا وزارة التربية
والتعليم عام ١٩٦١ أن تضع مشروع
تيسير النحو موضع التنفيذ ، ومضت
فى ذلك نحو عامين • فوضعت فى
النحو كتب جديدة على أساسه ، ولم
تعرض على المجمع كما كان متفقا
عليه ، ولم يشترك فى وضعها أحد
من أعضائه • وبدا التلاميذ يتعلمون
النحو الميسر ، لا فى مصر وحدها ،
بل فى سوريا أيضا ، وكم كان طه
حسين معنيا بهذه المحاولة ، تابعها
عن قرب ، تمنى لها التوفيق ، وود لو
لو استطاع أن يعززها ، ودفع زميل
الشباب أحمد حسن الزيات الى أن
يساندها • ولأمر ما عدل عنها ،
وأغلب الظن أن فريقا من المعلمين لم
يتهيأ لتدريس النحو الميسر تهيؤ
التلاميذ لتعلمه ، ونشهد اليوم شيئا
شبيها بذلك فيما يتعلق بتدريس
الرياضة الحديثة • واذا كان فى
الكتب التى وضعت عيوب، ففى الامكان
تلافيها ، والمهم هو الايمان بفكرة
التيسير والعمل على مقتضاها •

والزمن يسير ، ولا بد من متابعة
سيره • ونحن لا نزعم مطلقا أن النحو
وحده هو السبيل لتعلم اللغة ، وجل

ما يراد منه أن يقوم الألسنة ويعصمها من الزلل· وأهم منه أن يتعلم الشباب اللغة نفسها ، يتعلمونها في البيت والمدرسة ، في لغة الخطاب والقراءة، كما هو الشأن في اللغات الحيــة الأخرى · يتعلمـونها لا في دروس النحو والبـــلاغة فحسب ، بل في دروسهم جميعـا · وواجب علينا أن نوفر لهم وسائل القراءة السهلة الممتعة في أوقات فراغهم ، فنعد لهم من الكتب ما يتلاءم مع مراحل سنهم المختلفة ·

وفي كثير من المدارس الأجنبية مكتبة خاصة لكل فصل ، فيها ما يتناسب مع سن تلاميذه ، وهي موضوعة تحت تصرفهم يقرءون فيها أو يستعيرون منها ما يشاءون · وتلك قراءة مبعثها الرغبة لا الرهبة ، وهي من أقــوى المؤثرات في اتقان اللغة واحسان العلم بها والتصرف فيها ·

وفي صراحة ينبغي أن نجاهر بأن شبابنا بدءوا يستثقلون الفصحى ، ويبعدون عنها عاما بعد عام ، وعلينا أن نحببهم فيها ، وأن نقربها اليهم ، فنزيل منها الصعاب المتوهمة ، فضلاً عن الحقيقية ، والا فقدنا الجـولة وانقطع بهم الطريق · ولا نزاع في أن النحو لغير المتخصصين ليس علمـا يقصد لذاته ، وانما هو وسيلة من وسائل تقويم اللسان والقلم ، وجدير بنا أن نقف بهذه الوسيلة عند أضيق الحدود الممكنة · فندع جانبا ـ في تعليم النشء ـ الألغـاز النحـوية ، والآراء المتشعبة ، والاســتثناءات الكثيرة · ونقدم للتلاميذ قواعـــد مســتقيمة لا لبس فيها ولا تأويل ، نقتصر على ضبط الحـــركات ، ولا نتعرض لما لا تتغير صوره · وقد قطعنا في هذه السبيل شوطا ، وينبغي أن نتمه ، ولم تضق العربية ذرعا قط بأي تجديد أو اصلاح · ورحم الله أبا العلاء الذي قال ، وهو الغواص على دقائق اللغة ، « لا يسخط عليك الله ولا المكان ، اذا كنت لا تدرى لماذا ضممت تاء المتكلم ، وفتحت تاء المخاطب » ···



طه حسين شاعرًا

عبد العليم القباني

فى الثامن والعشرين من اكتوبر الماضى ، احتسب الادب العربي عميده ،وطوى الموت به شخصية فذة ،ربما كانت اعمق شخصياتنا الثقافية أثرا فى جيلنا هذا واحسب ان اثرها سيظل باقيا لعدة اجيال تلك هى شخصية الاستاذ الدكتور طه حسين



من أعماق القرية المصرية ، خرج طه حسين ، ليعلن للعالم كله مدى ما فى أرضنا المباركة من خصوبة تستجيب للمعرفة ، وتأتى أكلها منهــا ، بحيث تتحطم العوائق فى سبيل الوصول الى ذلك الهدف النبيل، فلا يقعد بها النقص الجسدى ، ولا العجز المادى ولا يقف أمامها سور من أسوار الجهل ، ولا حائط من حوائط الاستبداد ..

سنحاول هنا أن نعرض جانبا من جوانب نشــاطه الادبى ، ربما كان أكثرها خفاء . أو لعل « طه حسين » نفسه، هو الذى ساعد على هذا الخفاء

ونعنى به الجانب الشــعرى فى انتاجه ، ولا نقصــد هنا شــاعرية الاسلوب فيما يبدع أو يؤلف ـ كما قد يتبادر الى الذهن ـ فان لذلك مجالا آخر ، وانما نقصد الحديث عن شعره الموزون المقفى ، الذى يقع فى دائرة ما وضع « الخليل بن أحمد » من مسميات لهذا الفن .

وهو فن مشى فيه « طه حسين » شوطا لا بأس به ثم شغلته الاحداث عنه ، عندما احتواه الصراع الكبير من اجل ارساء قواعد الحرية فى البحث العلمى ، ومجابهة النــاقمين عليه ، والثائرين ضده ..

وهى معركة ، بل معارك ، استنفدت من جهده ووقته الكثير ، حتى ليمكن أن يقال ، أن الشعر اصــبح فيها « ترفا » لا مكان له .

***

ولقد يقال أن شعر « طه حسين » لم يصعد الى المستوى الذى يرضيه كفنان يعرف قدر نفسه ، وكناقد من كبار النقاد ، وقد كان يرى : « .. أن ما يقدم الى المطبعة من الآثار المكتوبة أشبه شىء بما كان يقدمه الوثنيون القدماء الى آلهتهم من الضــحية والقربان وبما يتقدم به الآن المؤمنون الى الههم من الصلاة والدعاء ، فمن الحق أن تصطفى الضحية وان يتخير القربان وأن تكون الصــلاة ، قطعة من النفس ، وان يكون الدعاء صورة للقلب والعقل جميعا .. » (الفصلة الاولى من قصته ، أديب) وانه كان لا يرى فيما كتبه من شعر ضحية تصطفى ولا قربانا يختار ...

لكنى ارى غير ذلك ، فقــد نشر « طه حسين » شعره ، فى صحف ذلك العهد ، الذى كان ينظم فيه الشعر ، مشاركا به فيما يشغل المجتمــع من أحداث حينا، ومتحدثا عما يشغل نفسه حينا آخر .. وهو شعر يرتفع مستواه الى المستوى الذى كان ســائدا عند المجيدين من الشعراء وقتئذ ، حتى قال عنه الاديب أحمد حسن الزيات ـ فى ذلك الوقت ـ « أشهد أن بداية فتانا فى الشعر ، خير من نهاية أكثــر شعرائنا المعاصرين » .

أورد هذا القول ، وان كنت أرى أنه لم يصل الى القمة التى وصــل

اليها بعض الافذاذ ، ولعله كان يمكنه الوصول اليها لو هادنته الاحداث ، ومنحته الفرصة التى يمكنه بها أن يصر على اجتياز الطريق .

***

كان « طه حسين » فى العشرين من عمره يوم أن خرج الشيخ « عبد العزيز جاويش » من سجنه للمرة الاولى .

وكان « الشيخ جاويش » قد كتب مقالا فى جريدة اللواء يوم ٢٨ يونيو ١٩٠٩ بمناسبة ذكرى مأساة دنشواى،ندد فيه بقضاة ذلك اليوم المشئوم ، واعتبرت الحكومة ذلك المقال ماسابكرامة « بطرس غالى » و « أحمد فتحى زغلول » وبعض المحامين ،وقدمته للمحكمة التى حكمت عليه بالسجن ثلاثة أشهر قضاها الشيخ وخرج فاحتفل الاحرار بيوم خروجه ، ونظم الشعراء القصائد الرنانة فى تكريمه ، وكان من بينهم « الشاعر » طه حسين الذى نظم قصيدة فى المناسبة ، وجه فيها الخطاب الى جاويش ، وندد فيها بالانجليز ونشرهابجريدة « مصر الفتاة » ، وقد جاء فيها قوله :

الآن حق لك الثناء فلتحى ، ولبحى اللـواء
ولتحى مصر وأهلها شاء العدا ، أو لم يشاءوا
تدعو بهـا حتى يصم الكارهين لها الدعاء
هم يحرقون وتستفزهمو الضغينة والعداء
فلتاكل البغضاء قلبهم فذاك لنا شفـاء
ان كان ذكرك للجلاء يسوء ، فليكن الجلاء
او كان صوت الشعب عندهمو هو الداء العياء
فليعل صوت الشعب حتى يرجعوا من حيث جاءوا
قد علمونا أن شدتنا لشـدتهم دواء
ما ان أصابتك الاساءة ، بل لأنفسهم اساءوا

وفى أكتوبر سنة ١٩٠٩ تقدمت شركة « قناة السويس » التى كان يسيطر عليها الفرنسيون بمشروع بمد امتيازها أربعين عاما من سنة ١٩٦٨ حتى ٢٠٠٨ فى مقابل ٤ ملايين جنيه كانت الحكومة وقتذاك فى حاجة اليها وقد ذكر « سـعد زغلول » فى مذكراته (العدد ٢٣٢٤ من روزاليوسف)

ان مليونين منها ، كانا سيذهبان الى السودان للانفاق على مصالح الانجليز هناك ، وان الاخرين سيذهبان فى بناء ثكنات لجيش الاحتلال أو لمقاولات خادعة ..

لكن اللجنة البرلمانية التى عرض عليها هذا المشروع قالت فى تقريرها ان البلاد ستخسر من جراء تنفيذه حوالى ٢٤١ مليونا من الجنيهات، ولذلك

انطلقت المعارضة ضـــده من الوطنيين بكل ما يملكون من قوة ، حتى انتهى الامر بوأد هذا المشروع ، نظـــرا للصلابة التامة التى ابدتها الامة .

وكان « طه حسين » واحدا ممن القوا بانفسهم فى هذا الصراع فنظم قصيدة ، نعى فيها على المتخـــاذلين وهاجم المستعمرين اذ يقـــول فى مطلعها :

تيمموا غير وادى النيل وانتجعــــــــوا
فليس فى مصر للاطماع متســــــــــع
كفوا مطامعكم عنا ، أليس لكـــــــــم
مما جنيتم ، وما تجنونه شـــــــــبع ؟

ثم يأسى على وطنه وما ناله من جور وظلم فيقول :

يا للكنانة من منكود طالعهـــــــــــا
وما يجر عليها اللوم والطمـــــــــع
من مثل ابنائها فى مـــــــــوه صفقتهم
منها .. اذا ما اجتنوا من غرسهم وزعــــوا
همو الذين ابتنوا بالأمس واحتفــــــروا
فما لهم ان ارادوا حقهم دفعــــــوا ؟ !
أكلما جاع غربى تيممنـــــــــــا
حتى اذا اكتظ افراه بنا الجشـــــــع ؟ !

ويستبد به الغضب الى الحد الذى يتهم فيه قومه بالاستكانة التى مكنت الاجنبى من التحكم فى مصائرهم ، محاولا بذلك اثارة النخوة فيهم :

الذنب ذنب بنى مصر فانهمــــــــــو
همو الذين اذا ما استخضعوا خضــــــعوا
همو الذين استبدت فى حقوقهمـــــــو
يد الدخيــــــل فما ذادوا ولا منعـــــوا
همو الذين يقول الناس انهمــــــــو
ان صادفوا ملهيا عن جوعهم قنعــــــوا

ثم يعود فيحيى اولئك الذين ثاروا ضد هذا المشروع الجائر محـــاولا انصافهم :

لا اكذب الله ، كم فينا ذوو شـــــــمم
اذا اريبت بهم مكروهة فزعــــــــــوا
لا اكذب الله ، قد قاموا ، وقد جهــــروا
بالحق لو أن صوت الحق يستمــــــــع

ونحن نعرف ان « طه حسين » من أوائل الذين التحقوا بالجامعة المصرية الاهلية عند انشائها ، بعد أن ضاق بالازهر أو ضاق الازهر به ، ولكم كانت فرحته عظيمة حين عمل العاملون من مثقفى الامة على اقامتها ، وكانت الاميرة « فاطمة اسماعيل » قد تبرعت بمساحة واسعة من الارض لاقامة الجامعة عليها وبمبلغ من المال اسهاما منها فى بنائها ٠

استمع اليه وهو يرتجـل أبياتا تنبض كلماتها بالتقدير لهذا الصنيع اذ يخاطب الاميرة فيقول :

عشت للشرق فان الشرق محتـــــاج اليك
رفع الله منار العلم فيه ٠٠ بيـــــديك
وهب الجامعة السعد فنالت تعمتيـــك
فهى فى أمن من الدهر بما فازت لديـــك
ثما الحمد وحسن الذكر موقوف عليـــك

***

ولقد كانت مصر فى تلك الاونة نهبا مقسما بين عدوين لدودين ، احدهما الاحتلال البريطانى وما له من هيل وهيلمان ، والثانى عدد من الحكومات المتعاقبة الضعيفة الهينة امام هـذا الاستعمار ، القوية الجائرة على أبناء الوطن ٠٠٠

وكان « طه حسين » مصريا ثائر الاحاسيس ، شاعرا تنبض كلماته بما ينبض به وجدان مصر ، فنظم العديد من القصائد التى تعبر عن مشاعره ، أذكر منها قصيدتين بعنوان واحد :هو ، « حديث مع النيل » وقف فيها الشاعر أمام النيل يناجيه ويحـاوره ويبثه اشجان أمته ، تقع الاولى فى ٥٩ بيتا ومطلعها :

وقفة فى الصباح أو فى الاصـــيل
يتجلى فيها جمال النيـــــل

طـــه
حسـين



د. طه حسين

وتقع الثـــانية فى ٦٨ بيتا ..
ومطلعها :

عم مساء فقد اتاك السعيـــــر
لا يرو عك الظلام المقيـــــر

وقد يعجب الناس ان يستمعوا اليه فى هذه القصـــيدة وهو يدعو الى التمسك بالكتاب والسنة ويطلب من الدولة أن تحكم بما فيهما من قانون آلهى ومن قوله فى هذه القصيدة :

ظلم القائمون بالأمر فى الناس واغواهمو ضـــلال وزور
زعموا انَّ شرعهم يكفل الخير ولله سنة قد تجـــــور
ايها الناس اين علمكمو القاصر من عالم عداه القصـــور ؟
نسيت مصر دينها فعداها كل خير وجللتهـــا الشرور ...

كما نظم عدة قصــائد فى مطالع الاعوام الهجرية ، يتحدث فيها عن الدين والســـياسة ، وما نال مصر والشرق خلال الاعوام الفـــائتة ، وتمنياته بالنسبة للســـنوات المقبلة مقتديا فى ذلك بطائفة من شـــعراء عصره ، كان على رأسهم « حافظ ابراهيم » .

***

ولقد آن لنا ان نستعرض معا « طه حسين » فى أحاسيسه الخاصة ، التى فاض بها وجدانه بغير مؤثر جماعى يمكنُ أن يتطرق الشك الى بواعثه . ومنّ هذا الاتجاه نختار ابياتا من قصيدته على القاهرة، وقد كان يومئذ حديث عهد بالاستقرار فيها .. ذلك اذ يقول :

علم الله انّ حظى فى البؤس كبير لكننى غير عـــــــان
كل حظى من السعادة انى رضت نفسى على خطوب الزمان
لا ابالى اذا استبنت طلوع النجم بالسعد أم بنحس دهانى
لا ابالى اذا عرفت صديقا اشفقه مودتى أم قــــــلانى
لا احب الهوى اذا اعترضته شائبات الصدود والهجــــران
فاذا ما بلوته منْ خليلٍ لم اسئه الويت عنه عنــــانى
ايها العاشق الذى ضاق ذرعا بشئونَ الغرام فاستفتـــانى

طـه حسـين

قد هوينا كما هويت وقد تعلم أن الهوى من اسم الهـــوان
غير انى ارى شفاءك فيما قد تلمست طبه فشـــفانى
كنت اهوى ، وما اخالك الا ذاكرا ما لقيته من فـــلان
شفنى حبه كما شفه حبى فلم يعد ان اذل مكـــانى
مال بالود حيث مالـت رياح فكفى نفسه الهوى وكفـــانى
مثل هذا الحبيب ، خير وابقى لك اسلامه الى النســيان

***

ومن قصيدته « زلة فى الحياة » التى تبين تمسكه بالجد من الامور ، وبعده عن مغريات الحياة الرخيصة نستمع الى المقطوعتين الثانية والثالثة اذ يقول :

ايها المســـتقبل المظلم ماذا كنت تخفى ؟
نظرة فى الحق ابدت لى مستقبـــل امرى
انا ان قصرت منذ الامس عن لهـــوى وقصفى
دونك اللهو فزينه اذا شئت لغيـــرى

***

يا ابنة الكرم وداعا لك من قبل اللقـــاء
لم اذقها غير انى طالما ملت اليهـــا
قد دعانى للهدى عقلى فلبيت الدعــاء
فلثمت لذات نفسى غير ماسوف عليهـــا

وليست هذه هى القصيدة الوحيدة التى تلاعب فى قوافيها ، فان له عددا غيرها من القصائد ، كالتى عنوانها « ليت للحب قضاة » ، وقد جاء فيها قوله :

يا رعى الله عهودا للهوى منذ ســـــنين
حين كنا فى أمان من عيون الرقبـــــــــاء

نجتلى اللذات لا نخشى اذاة الكاشـــــحين
انما العذال للحب وللاحبـــــــــاب داء

اه ما احلى الامانى ليت ايامى تعـــــود
انا ما امضيت من عمرى عشرين ربيعـــــــا

غير انى قد بلوت اللين والجهد الجهيـــــد
بين بؤس ونعيم يذهب العمر سريعـــــــا

بل انه كان أكثر تلاعبا بالقوافى فى قصيدته «آه لو عدل» التى اعتقد انه نظمها للغناء فقد كان يعشق الغناء القديم ، ولعلّ هذه القصـــيدة ذات الاسماط التسعة ان تكون اقرب الى الموشحات التى كان يتعشقها ، ويقول «طه حسين» فى السمط الاول من هذه القصيدة :

شادن عطف ... عطفة الحبيب
بعدما صدف ...... صدفة الملول
....
كم سبا العقول
قوله الخلوب .....
يملك القلوب .....
ثم لا يقيل

***

ولقد كان «طه حسين» وفيـــــا لاصدقائه ما داموا اوفياء له ، فاذا فجع فى احدهم رثاه بذوب قلبه ،كهذا الذى نظمه فى رثائه لمحـــمد عبد الغفار اذ يقول من قصـــيدة طويلة :

لعمرى لقد ذابت قلوب وفطـرت ... مرائر واستعصى على اهلك الصبر
وود صحاب مخلصون فجعتهم ... بفقدك لو واراهمو قبلك القبـر

وانى لاختتم بهـذين البيتين من شعره حـــديثى عن «طه حسين» الشاعر ، فانهما يعبران عن احساس الكثيرين من احبائه وتلاميذه ، يوم نعى الناعى اليهم ، اديب العـــربية الاكبر ...

مراجع هذا الشـــهر وتاريخه من ١٩٠٩ ـ ١٩١٣ : مجلة «مصر الفتاة» فى الاغلب و «اللواء» وكتاب «طه حسين» لمحمد سيد كيلانى ..

علي الجبلاوي



قصيدة لها قصة

لِمجدكَ في الأخلادِ فرحته الكبرى
فتفاخر بهِ الدنيا وشرّف به مِصْرا

علا بك حتى لا نرى غير ما نرى
خيالاً بعيد الغورِ يستبق الفِكْرا

وما نِلته عفواً ، ولو كان لم أكن
بهذا الذي يُغرى بزائفه الشعرا

ولكن بأحداثٍ شِدادٍ ، وفتنةٍ
طعمتَ بها البلوى ، وذقتَ بها المُرّا

كان ذلك قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو الخالدة . . .

تعاونت السراى مع عملاء الاستعمار والاقطاع لوقف تيار الثورة الاصلاحيه التى ينهض بها امام الادباء الدكتور طه حسين . وباشت الثروة عام ١٩٥٢ حين صمم الدكتور العميد على ان تندفع الثورة بعد مجانية التعليم الى افتتاح جامعة فى كل عاصمة . . . وهنا اشتدت الحرب بينه وبين هؤلاء المتآمرين على الامة فآثر أن يستقيل من « وزارة المعارف » ليكون طليقا يجاهد حيث يريد .

فنظمت هذه القصيدة تهنئة لرواده وعشاقه حين قرر أن يعود الى روضة الادب العالى والفكر الرفيع .

واليوم تنشر لاول مرة :

وقاسيتَ منها ما يُقاسيه طامحٌ
يعدُّ لها الإيمانَ ، والعزمَ والصبرا

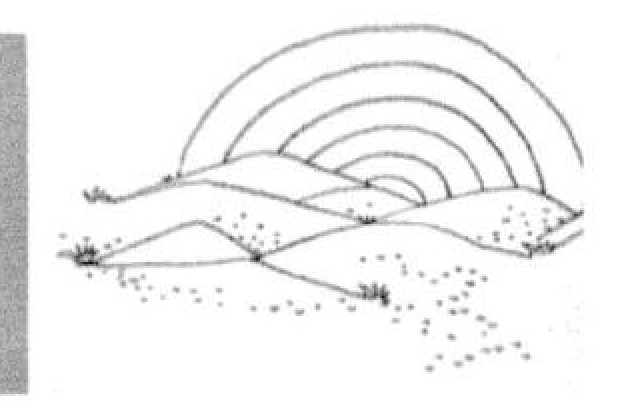
تذكرْ لعلَّ الذِكرَ يُنسيكَ هَولَها
وقد يجلبُ النسيانَ خاطرةُ الذكرى

تذكّرْ على الأيام بَغْيَ الذى بغى
وغَيْظَ الذى عادى وضَعْفَ الذى غرّا

تذكرْ نفاقَ الخادعين ، وقدْ رأوا
على شفتيكَ الحبَّ يستجمعُ الشعرا

ويَبْسِمُ في ليلِ الرَّجاءِ ابتسامةً
تريه جمالَ الحزنِ في الغايةِ الكبرى
أبا الأدبِ العالي «سلامٌ» بعثتُه
من القلبِ لا أبغي على بعثِه شكرا
صدى الحبِّ في روحي ، وظلُّ مشاعرٍ
بثثتَ بها من روضِكَ النسمَ والزهرا
وفجّرتَ فيها للحياةِ ، وللهوى
وللشوقِ نبعاً مسَّ أغصانَها الخضرا
سَيسقي أملاً في حبّةِ القلب ذاوياً
ونفجّر حباً في متالعِه قفرا
وعلّمني أن الخلودَ حقيقةٌ
ولم آلُه من قبلُ شكاً ولا فكرا
وأن الذي يبقى هو الخيرُ وحدَه
فنبذلُه حتى لمن يبذلُ الشرا
«سلامٌ» ولو أني استطعتُ جمعتُه
أزاهيرَ من روضِ الخيالِ زهتْ عطرا





وتهنئــــةٌ والصّـــدق يزْجي حروفَهــا
نزفٌ إلى روّادك البِشــر والبُشــرى

فيا بلبـلَ الأجيـالِ عُـدْ لرياضِـها
وداعبْ بهـا الأنسـامَ والفنَّ النّضرا

وخُذْ من حواشي ضَحْوةِ الصّبح قطرةً
من الطَّـلِّ أو شرخاً من الظّلِّ أو نَثْرا

وأنشِـدْه للدُّنيـا غِنـاءً مُحبَّبا
تذيع به شــوقاً وتُلقي به ســرّا

وتوسِـعها صَـفواً به ومحبَّـةً
وتملؤُها حُسْـناً وتُفعمها سِـحْرا

ودَعْ لهُم يمَّ السّيـاسةِ غادراً
وإن كنتَ لا أخشى عليكَ بِهِ الغَدرا

دفعتَ علَيـه بالسّـفينِ مُحـاذراً
وجنّبتهـا فى لُجّـهِ المأزقَ الوعْـرا

ومِلتَ بهـا عنْـها أرادوا وبَيّتـوا
إلى المَثـلِ الأعلى فَطـابَ لها المسْرى

ولوْ فَطِنُـوا ماذا تُريدُ لحطّمـوا
شراعكَ والشُـطآنَ ، والريحَ ، والبحـرا

فمصـرُ التي تَبْني ستذكُرُ دائمـاً
بأنّكَ هاديهـا إلى الضّفّةِ الأُخـرى

وأنتَ بمـا أعنى من القـول عارفٌ
وأنتَ بمـا أعـنيتَ من كَلِمٍ أدرى

وحَسْـبُكَ عِـزّاً أنهـا لكَ عِـزّةٌ
وحَسْـبُكَ فخراً أنْ غدَوْتَ لها فَخرا

● محمد محمود رضوان ●

كان شاعر الكرنك : أحمد فتحي من أرق شعرائنا الرومانسيين .. عاش كالطائر الجريح قلقا حزينا حائرا دون أن يجد للاستقرار سبيلا أو للراحة معنى .. ومن هنا كانت مأساة شاعر الكرنك ...

ولد احمد فتحى ابراهيم سليمان فى قرية كفر الحمام بمحافظة الشرقية فى الثانى من اغسطس عام ١٩١٢ لأسرة متوسطة الحال وكان أبوه - الشيخ ابراهيم سليمان - شيخا من علماء الأزهر ورعا مثقفا وشاعرا أيضا . يقرأ مختلف ألوان الأدب وينظم الشعر . وبعد مولد أحمد فتحى انتقلت الأسرة الى الاسكندرية بحى الجمرك . حيث كان أبوه يعمل مدرسا بالمعهد الدينى بالاسكندرية .

وحفظ أحمد فتحى القرآن أولا فى الكتاب ثم ألحقه والده بالمدرسة

فى الخامس من هذا الشهر ، يصدر عن « كتاب الهلال » « شاعر الكرنك » . ونقدم هنا لمحات من حياة هذا الشاعر الذى قضى لياليه مع الجراح والمصباح والاقداح .



الابتدائية بالاسكندرية ثم التحق بالمدرسة الثانوية بالقاهرة ـ حيث انتقل أبوه لها بحكم عمله ـ ولم يستطع الحصول على شهادة الكفاءة لانغماسه فى ذلك الحين بين شيطان الشعر وشيطان الحياة • فالتحق بمدرسة الفنون والصنائع وخلال تلك الحقبة بدأ يكتب قصائد وجدانية يبث فيها أحلام قلبه ونجوى روحه مستلهما اياها من وحى تجاربه الوجدانية ومغامراته العاطفية واتسمت تلك القصائد بالرقة والعذوبة والطلاوة •

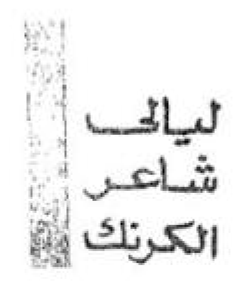
ليالى



وتخرج أحمد فتحى فى مدرسة الفنون والصنائع عام ١٩٢٠ وعين موظفا بجمرك الاسكندرية وشهدت له مغانى الاسكندرية صولات وجولات سجلها فى قصائد رقيقة عذبة ، ولم يستمر طويلا فى هذا العمل فانتقل للتعليم الفنى فعمل مدرسا بمدرسة الصناعات بالسويس حوالى عام ١٩٣٢ ، وفى السويس كانت له أيضا تجارب ومغامرات عاطفية •

ومن السويس بدأ يراسل مجلة « أبوللو » ونشرت له عدة قصائد رقيقة غلب عليها الطابع الرومانسى الحالم الذى يغلف احلامه بأحزان روحية حادة ، وغلبت على قصائده فى تلك الحقبة الروح الشاكى الحزين وأصبحت قصائده عن نفسية قلقة معذبة ، فقد كان طموحه اكبر من امكانياته ، وآماله اكبر من واقعه •• ولعل مفتاح شخصيته فى تلك الحقبة والذى ظل ملازما له طيلة حياته ، يتلخص فى احساسه « بالاغتراب الروحى » الذى كان يضنيه ويعذبه • وبعد عمله بمدينة السويس انتقل الى الأقصر مدينة التاريخ العريق ، ليعمل مدرسا بمدرستها الصناعية وفى هذه المدينة الصامتة الهادئة التى يخيم عليها جلال التاريخ التليد وصمته وهيبته ، احس بفراغ موحش وملل قاتل وهو الشاعر الطروب المرح الذى تعود أن يقضى ايامه ولياليه بين مجالس الانس والطرب واطايب الجمال هربا من عذابه الروحى الممض وشعوره القاتل بالاغتراب الروحى •

وكان يقضى وقته ـ فى الليل ـ بين معابد الأقصر الخالدة ، وكان يحلو له ذلك أثناء الليالى المقمرة ، وذات ليلة من تلك الليالى الشاعرية الحالمة استوحى من تلك المعابد أروع قصائده الوصفية التصويرية أنشودة الكرنك التى يغنيها عبد الوهاب والتى يقول فى مطلعها :



ليالي شاعر الكرنك

حلم لاح لعين الساهر
وتهادى في خيال عابر
وهفا بين سكون الخاطر
يصل الماضي بيمن الحاضر

وبالمناسبة لم يتقاض عن هذه الانشودة الناجحة الا ثلاثة جنيهات من الاذاعة المصرية حينئذ ! ..

واخذ يسعى لينقل الى القاهرة .. وأخيرا أفلح في أن ينقل الى الفيوم عام ١٩٤١ مدرسا بمدرستها الصناعية وعاش بين جمال طبيعتها وسحرها

واستوحى قصيدته « من وحي الصحراء » التي تفصح عن نفسية قلقة حزينة مفتاحها : الاغتراب الروحي وتتسم برقة اللفظ وجمال المعنى :

ظمئت ، على قربي ، من النهل والعل
فهل عاف عذب الورد ظمآن من قبلي
وضقت بليلي ، ساهدا ، ولو انني
تعزيت لم أشك السهد في ليلي
وغشت حياتي وحشة ليس ينتهي
مداها ، ودوني سائر الصحب والاهل

● الاغتراب الروحي ●

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة جديدة وفريدة في حياة شاعرنا ..

كان شاعرنا قلقا دائما حزينا لا يستقر على حال ، يعذبه شعوره « بالاغتراب الروحي » ، فهو دائما يشعر بغربة روحية ، لم يجد الاستقرار والامان في المرأة او الكأس او الشهرة او المال او التنقل والسفر .

وكانت الحرب العالمية الثانية قائمة في تلك الحقبة ، فانضم لقوات الحلفاء واخذ يندد بقوات المحور . ويصبح شاعرنا ضابطا بقوات الحلفاء في الصحراء الغربية المصرية .. ولكن كيف حدث هذا ؟ ..

ان شاعرنا يلقي بنفسه الاضواء على هذه الحقبة من حياته في رسالة ادبية ممتعة .

(وبالمناسبة فان هناك رسائل ادبية نفيسة تعد قطعة من الادب الرفيع تبادلها شاعرنا مع الاستاذ الاديب الفنان انور احمد صور فيها شاعرنا خلجات نفسه وهمسات روحه نرجو ان تنشر كاملة خدمة للأدب والتاريخ . وقد اورد بعضها الاستاذ صالح جودت في كتابه الممتع « شاعر الكرنك » الذي يصدر هذا الشهر عن « كتاب الهلال »)

ورسالة أحمد فتحي التي بعث بها من ميدان الحرب في الصحراء الغربية عام ١٩٤٢ وهو حينئذ في الثلاثين من عمره تفصح عن نفسية حزينة قلقة تحاول أن تجد في ميدان الحرب ملاذا ومهربا من الشعور بالغربة الروحية ومدى احساسه بالقلق وعدم الاستقرار يقول :

« انت تدرى أنني رجل لا سبيل للمال الى استمالته ولكن حدث أنني سعيت الى الشهرة سعي المجد، وطلبت المجد، طلب الملحاح ، وبذلت في سبيل ذلك من نضرة شبابي ونور عيني

« فلما بدأ نجمي يتألق في سماء المجتمع ، واقبلت على الشهرة اقبال المشرق ، كان ما تبقى في النفس ذماء لا يكاد ينتفع بالحياة في جملتها ولا في تفصيلها » .

***

بعد هذه المرحلة ـ وبفضل مساعي صاحبه المرحوم سعيد لطفي عين مذيعا ومترجما بالاذاعة البريطانية



صالح جودت : كتاب جديد عن شاعر الكرنك

بلندن ، وسط أزيز الطائرات ودوى القنابل فى عنفوان الحرب العالمية الثانية حوالى عام ١٩٤٤ .. ووسط ظلام لندن الحالك فى تلك الحقبة المظلمة وجوها الرهيب القاتم حاول أن يدفن أحزان روحه وآلام نفسه فى الكاس والمرأة ، فاثر ذلك فى عمله

ويروى الاستاذ صالح جودت صفحة مجهولة فى حياة احمد فتحى فى تلك الحقبة فيقول :

« على أن لندن قد حملته ذكرى ظل يدمع لها بقية حياته .. لقد احب هناك .. أحب شابة انجليزية اسمها « كارول » وهى من بنات الطبقة المتوسطة ، وكانت تشتغل كاتبة على الالة الكاتبة ، وتزوجها ، ورزق منها طفلة سماها « عائشة » .. وكان قد تعود ان يفرط فى الشراب ، فلا يفيق منه، وهكذا لم يستطع ان ينهض بتكاليف الحياة الزوجية . وجاءه النذير حينما رفضت السلطات الانجليزية أن تجدد اقامته هناك ، فكان عليه ان يرحل ، ويترك زوجته وابنته خلف ظهره ، ويبحث عن اى مصير »

كانت هذه مأساة المأسى فى حياة احمد فتحى ولم ير ابنته بعد ذلك الا مرة واحدة وهى فى مطالع صباها قبيل وفاته ببضع سنوات ثم انقطعت اخبارها عنه حتى توفى دون أن يراها مرة أخرى .

وعمل بالاذاعة السعودية فى بداية الخمسينات ، استقدمه الامير عبد الله الفيصل صاحب ديوان وحى الحرمان ، ثم لم يلبث أن عاد الى القاهرة فى أواسط الخمسينات وظل يحــرر فى بعض المجلات والصحف ينشر فيهما مقالات وقصصا مترجمة قصيرة وبضع قصائد حتى وفاته ..

● ليالى الطائر الجريح ●

كانت فى حياة أحمد فتحى قصة حب كبير .. الهمه أجمل قصائد الحب وأعذبها فى سنواته العشر الاخيرة كان حبا تحوطه الاشواك من كل جانب ، فقد أحب امرأة متزوجة .. وكان حبا عنيفا عاصفا دام بين مد وجزر عشر سنوات كاملة ضاربين عرض الحائط بكل العقبات والاشواك التى تعترض حبهما العاصف وأخيرا تغلب منطق العقل على صوت القلب والعاطفة ، فطلبت منه محبوبته الافتراق، وافترقا وملء قلبيهما اللوعة والاسى ...

وعكف بعد هذه التجربة العاصفة فى حجرته بالفندق يسترجع ذكريات هذا الغرام الجميل ويحاول أن يدفن أحزانه فى الكاس ساهرا الليــل لا رفيق له الا الكاس والمصباح والذكريات التى تؤرقه وتضــنيه .. واستلهم قصيدته الوجدانية الرائعة « قصة الامس » التى تنبض بالحرارة والصدق وحرقة الوجد من وحى هذه التجربة التى صهرته بالعذاب والتى يقول فى مطلعها :

أنا لن أعود اليك مهمـــا استرحمت دقـــات قلبى

أنت الذي بدأ الملالة
والصدود وخان حبي
فاذا دعوت اليوم قلبي
للتصافي لن يلبي

ثم يسهر شاعرنا واللوعة ملء جوانحه مع جراحه وشجونه وحيدا ، لا يجد أنيسا له إلا المصباح والأقداح والذكريات :

يسهر المصباح والأقداح
والذكرى معي
وعيون الليل يخبو
نورها في أدمعي

وتمر لياليه طويلة محشة مفعمة بالجراح والأحزان :

قصة الأمس أناجيها وأحلام غدي
وأماني حسان رقصت في معبدي
وجراح مشعلات ظفارها في مرقدي
وسحابات خيال هائم كالأبد

وظل أحمد فتحي ، شاعر الجراح والمصباح والأقداح ، يحمل لهذا الحب أجمل الذكريات وأعذبها حتى آخر نسمة في حياته

***

وكانت مأساة أحمد فتحي أنه لم يستطع أن يقيم توازنا بين أحلام قلبه وواقعه ... وكان دائما لديه احساس حاد بالاغتراب الروحي ، فعاش قلقا حزينا مشردا في الأرض ، لا زوجة له ولا ولد ، ولا مال ولا صديق وفي ، لاترى حوله أن شقى أو مرض أحدا من ذويه ، ولا صاحب إلا الكأس ، يرشفها في نشوة ، وتصرعه في قسوة على حد تعبير طريف للأستاذ صالح جودت .

من هنا كانت مأساة أحمد فتحي ... هرب الى المرأة والكأس والسفر يحاول أن يجد فيها ملاذا من أحزان روحه وآلام روحه فتحطم .. وكانت مأساة شاعر الكرنك ..

وكما عاش أحمد فتحي وحيدا ، مات وحيدا ... في الغرفة التي قضى بها أعوامه الأخيرة بفندق كارلتون بالقاهرة ودفن بمقابر الامام الشافعي .. رحل شاعرنا في الثالث من يوليو سنة ١٩٦٠ وملء قلبه الحسرة والمرارة والأسى ...

● شاعر الرقة العاطفية ●

كتب العقاد في مقدمة كتاب الأستاذ صالح جودت النفيس « ناجي، حياته وشعره » يصف أسلوب ابراهيم ناجي بأنه ينتمي الى مدرسة الرقة العاطفية

وبهذا المقياس نقول ان أحمد فتحي كان شاعر الرقة العاطفية وخير مصداق على هذا قصائده الرقيقة الهامسة التي تذوب رقة وعذوبة وموسيقية. يقول في قصيدته «فجر» :

أيها الساقي بما شئت اسقنا ثم اسقنا
كل شيء راقص البهجة حولي ما هنا
واملأ الدنيا غناء ، وبهاء ، وسنا
نسيتنا ، لم لا ننسى الأغاريد المنى ؟
علنا أن تعرف النوم هنا أعيننا

وفي أسلوب أحمد فتحي نرى الاشراق والتوقد والشاعرية والعذوبة والرقة . وكل ذلك في حسن نسق وجمال ايقاع وموسيقا هامسة رقيقة .. وفي شعره موسيقا معبرة قوية

أنور أحمد — علي محمود طه



تطبع شعره كله بجرس موسيقي هامس وايقاع رقيق هادىء . يقول مثلا في قصيدته الرقيقة « ظنون » :

الفاك مفتون الخيال معـــــذبا
ما بين شك حائر ويقــــــين
اشكو اليك من الظنون وربمـــا
سبقت اليك هواجسي ، تشكوني
وأرى السنا والطهر فيك فتنطوي
على خيالاتي ووهم ظنـــوني

ويرى الناقد الكبير « روبرت لند » ان الاسلوب هو توافـــق الكلمات وانسجامها وحسن صـــياغتها حتى تؤدي المعنى المطلوب .

هذه مقاطع من شعره تصور حسن توافق الكلمات وانسجامها وحســن صياغتها في قصائده .

ويقول في قصيدته « صـــــوت السفين » :

يا خيالي هذه الدنيا لنـــا
ليس الا انت ، فيها ، وانـــا
نقهر الدهر ، ونطوي الزمنـــا
ونرى في كل واد سكنـــا

ويقول في قصيدته « فجر » :

رد كاسي عن فمي يايها الساقي ودعني
وافق من نشوة الراح ومن حلم التغني
كل ما مر بنا وهم خيـــال وتمني
حسبنا وهما ، وخيالا ، حسبنـــا
اقبل الصبح فهل تدري بماذا جاءنا ؟

كما ان لاحمد فتحي قدرة بارعة في التصوير بالضوء والظل والصوت ، فهو من الشعراء التصويريين الذين يجيدون التلوين في شعرهم مما يكسبه قوة وعمقا وصدقا وجمالا ، في قصيدته التصويرية الوصفية « الكرنك » يبلغ اقصى غايات التصوير بالضوء والظل ، فهو في أبيات القصيدة الاولى يرسم لوحة يبزغ فيها الشعاع الجميـــــل الساحر :

طاف بالدنيا شعاع من خيـــالي
حائر يسال عن سر الليـــالي
ياله من سرها البـــاقي ويالي
لوعة الشادي ، ووهم الشـــاعر

***

كيف لا يدري الى اين الشـــعاع
وأماسيه لقــــــــاء ووداع
وخطاه في السبيلين متــــاع
راحة المضني وهدى الحـــائر

كما يتردد « الصوت » في شعره فهو يصور منظر الدنيا حين صحت على ضوء الصبح « الرطيب » ، وكيف صفق المعبد للحن الخلود :

صحت الدنيا على صبح رطيب
وصفق المعبد للحن القـــريب
مرهفا ينساب من نبع الغيـــوب
ويناديه بلحن الســــــاحر

ويبلغ ذروة تصويره بالضوء والظل والصوت في هذا المقطع الرائع :

حين القى الليل للنور وشاحه
وشكا الظل الى الرمل جراحـــه
يا ترى هل سمع الفجر نواحـــه
بين الداء النسيم العاطـــر

وبعد هذا التصــــوير الشاعري بالضوء والظلّ : بالابيض والاسود لليل والفجر وبعد تصوير صـــوت النواح يصور باللون الاحمر جراح الطائر ولكنه يضفي جوا من البهجة ويرسم لوحة شاعرية يسودها الضوء المتالق الانوار، فرغم جراح الطائرفهو يرسل النغم حلوا رائعا رقيقا وكأني به صوت الشاعر نفسه الذي تصدر قيثاره أعذب الانغام وأرق المعـــاني رغم جراح روحه وآلام نفسه :

ذلك الطائر مخضوب الجنـــاح
يسعد الليل بآيات الصـــباح
ويغني في غـــــدو ورواح
بين أغصــــــان وورد ناضر

***

وبعد ، فأسلوب أحمـــد فتحي في مجموعه صورة من نفسه اللهمة وطبعه الرقيق ، وان ملامحه الروحية والنفسية والوجدانية ممثلة في شعره أصـــدق تمثيل واعمقه ولذا جاء شعره انعكاسا صادقا لانفعالاته واحاسيسه ويصدق عليه قول « بافون » ان الاسلوب هو الرجل نفسه .

● أين ديوان شاعر الكرنك ؟ ●

رويت لكم مأساة أحمد فتحى فى حياته ، ولكن هناك مأساة أخرى أغرب وقعت بعد وفاته .. هل تصدقون أن ديوان « شاعر الكرنك » الخالد قد رفض لانه « لا يستحق النشر » ؟ !!!

ان وراء ذلك مأساة عجيبة سأوردها هنا للادب والتاريخ .

لم ينشر أحمد فتحى فى حياته سوى ديوان واحد هو « قال الشاعر » عام ١٩٤٩ يضم بعضا من شعره حتى تلك الفترة ونشر قصة قصيرة بعنوان « الله والشيطان » عام ١٩٣٩ فى مطالع شبابه هى أشبه بأدب الاعتراف منها بالقصة .

وترك آثارا قيمة فى الشعر والقصة والاغنية والمقالة متناثرة على صفحات الجرائد والمجلات . ولم يتصد شاعر أو ناقد لجمع هذا التراث النفيس لشاعرنا الراحل المظلوم . ومن قبيل الوفاء عكف شاعر كبير وصديق وفى لشاعرنا هو الاستاذ الشاعر الكبير صالح جودت على جمع شعره بعد وفاته لينشر فى ديوان كامل كما أنجز دراسة ممتعة عنه بعنوان « شاعر الكرنك ، حياته وشعره » ، واستغرق هذا العمل الدائب من الاستاذ صالح جودت اكثر من ثلاث سنوات كاملة وتقدم به لينشر فى مؤسسة عامة للنشر فى أواسط الستينات خدمة للادب والتاريخ . ولكن المراجعين من دعاة الشعر الحديث رفضوا الديوان بحجة انه « لا يصلح للنشر » كما رفضوا الدراسة بحجة أنها صريحة فى تناول سيرة الشاعر ! . وكانت مأساة !!

رفض المراجعون ديوان أحمد فتحى ... رفضوا أن يعترفوا بأن أحمد فتحى شاعر يستحق أن يطبع ديوانه وينشر على الناس ..

وكتب يومها الاستاذ صالح جودت يقول : (١)

« ان رفض ديوان أحمد فتحى لا يجرحنى شخصيا ، لانه ليس ديوانى والشعر ليس شعرى ، واننى لم أكلف نفسى مشقة جمع شعر أحمد فتحى من مختلف مصادره المتناثرة ثلاث سنوات كاملة من أجل كسب أدبى أو مادى أحققه لنفسى ، بل لقد قمت بهذا العمل من قبيل الوفاء للادب ، وللشاعر الذى رحل عن الدنيا دون أن يأخذ نصيبه الحق ، لا فى الحياة ولا فى الموت ، فقد عاش أكثر حياته شريدا ، ومات فى النهاية مجحود الفضل » .

كانت هذه معركة عنيفة خاضها الاستاذ صالح من أجل شاعرنا الراحل المظلوم ولكن هل آن للديوان الحبيس أن يرى النور ؟

***

وفى الخامس من هذا الشهر يصدر « كتاب الهلال » للاستاذ صالح جودت ويضم دراسته الممتعة عن « شاعر الكرنك ، حياته وشعره » ، وهى دراسة تناولت سيرة أحمد فتحى وشعره بطريقة مستحدثة فى أدب التراجم اعتمد فيها المؤلف على المنهج النفسى .. وقد واجه الاستاذ صالح جودت بعض الجامدين لجرأته فى تناول سيرة الشاعر وتفصيل مختلف مراحل حياته ويعلق على ذلك بقوله :

« اعترف باننى كتبت هذه السيرة على الطريقة المستحدثة فى الادب الغربى ، التى تعتمد على الرسائل الشخصية ، والحياة الخاصة ، والتفاصيل النزوية التى يراها النقاد المحدثون كفيلة بالقاء الضوء على انفعالات الشاعر وتصرفاته ونزواته ومن ثم على ما يكتب » ...

هذه بعض ملامح من حياة « شاعر الجراح والمصباح والاقداح » نرجو أن نتبعها بدراسات مستفيضة خدمة للادب والتاريخ ...

---

(١) مجلة الكواكب ــ ٢٦ مارس ١٩٦٨

كلمة أخيرة إلى شاعرتنا الرقيقة

في عدد اغسطس ١٩٧٣ من مجلة « الهلال » كتبت الشاعرة العراقية السيدة نازك الملائكة مقالا بعنوان « انا والشعر الحر » رصدته كله تقريبا لدفع ما سمته (شائعة) ذاعت عنها فالما تقول بتراجعها عن الشعر الحر ... وكنت انا الوحيد الذي عينته بالاسم في مقالها ، وصبت عليه غضبها ...

فبعد أن امتعتنا شاعرتنا المجددة الرقيقة بدفاعها عن الشعر الحر وكلفها به ، وضنها في ذات الوقت بالشعر الموروث او ما تسميه بشعر الشطرين . نراها تكتب « وخير مثال للاسلوب الذي يكتب به طائفة من هؤلاء الكتاب ، هذا المقال الذي نشرته مجلة الزهور « ملحق الهلال » في عددها السادس يونية (حزيران) ١٩٧٣ بقلم السيد مصطفى الجرف فقد قال هذا الكاتب ـ سامحه الله ـ « فتلك هي الشاعرة نازك الملائكة تقول في مقدمة ديوانها « شجرة القمر » الذي صدر ١٩٦٨ « وانني لعلى يقين من أن تيار الشعر الحر سيتوقف في يوم غير بعيد وسيعود الشعراء الى الاوزان الشطرية بعد أن خاضوا في الخروج عليها والاستهانة بها » .

وبعد سطور تستطرد في ضيق مؤثر فالكاتب « ولكن ماذا سيقول القارىء عن هـذا الكاتب ان انا اكملت له عبارتي كما جاءت في تلك المقدمة واذا ماشرحت له السياق الذي وردت فيه؟ » لقد قلت بعدها مباشرة من دون اي فاصل « وليس معنى هذا ان الشعر الحر سيموت وانما سيبقى قائمـا يستعمله الشاعر لبعض اغراضه ومقاصده دون أن يتعصب له ويترك الاوزان العربية الجميلة . والواضح انني بهذا الموقف هنا كنت ارد ـ الكلام لا يزال لنازك ـ في غيظ ظاهر على المتطرفين من انصار الشعر الحر الذين باتوا يتخذون من احتقار الشطرين مذهبا يتباهون به منادين بالقضاء على شعرنا ذلك قضاء مبرما » .

لم تفضلت شاعرتنا الرقيقة فصرحت بانها كانت ستشكرني لو انني لزمت الامانة الادبية فاتممت عبارتها التي نسختها مبتورة ـ كما قالت ـ وساقت مثالا طريفا لكنه الزعني »



فقد شبهت مناقشتي لرأيها مع عدم ايراد المقولة كاملة كمن يستشهد على عدم وجود الله سبحانه وتعالى بالكلمات « واشهد ان لا اله » حاذفا بقيتها « الا الله ! » ولكن لله الحمد ، أن التهمة الموجهة الي لا تتصل بالالهيات بل انني كمؤمن مائة في المائة اهمس في سمع شاعرتنا الكبيرة انه حتى لو قال احدهم « اشهد ان لا اله » وصمت ، فهذا غير منكر لوجود الله ، لان حذف ما يعلم جائز في عرف النحاة وقد درس الازهريون جيلا بعد جيل قول الشاعر :

« ازف الترحل غير ان ركابنا
لما تزل برحالنا وكان قد » (١)

ومع يقيني بحق كل اديب في التصدي للدفاع عن اسمه ورأيه واحترامي لاختلاف وجهات النظر خاصة في الادب حيث لا تقديس الا للحرية والمنطق والذوق الشخصي ، فانني اضع أمام القارىء الحقائق والاستنباطات التالية :

أولا : كتبت السيدة الكريمة في العدد الاول من مجلة (الشعر) الفصلية القاهرية عام ١٩٧٢ خطابا لها موجها للمجلة جاء فيه : ومعذرة اذا لم انقل الخطاب كله فهذا مستحيل ..

« .. ومن عادتي الا اقبل الطغيان سواء في الادب أم في الحياة ، فعندما كان شعر الشطرين طاغيا جارفا خرجت سنة ١٩٤٩ بمقدمة (شظايا ورماد) داعية في عنف وحدة الى الشعر الحر الذي كنت بدأت أنادي به منذ عام ١٩٤٧ فلقي الرفض والاعراض في دوائر الخليليين ، وعندما طغى الشعر الحر رفعت صوتي عام ١٩٦٢ في « قضايا الشعر المعاصر » داعية الى الاعتدال حتى قيل بالنص انني تراجعت عن الشعر الحر وآرائي فيه .. » انتهى كلامها ..

واذا رجعنا الى مقالنا المنشور في عدد (الزهور) المشار اليه نجد بالنص « .. ولذلك فلن يثير اهتمامي كما لا احب ان اثير اهتمام احد عمن سبق الاخر اهو بدر شاكر السياب ام هي نازك الملائكة » ثم الحت بهامش لهذا الكلام قلت فيه « تراجعت نازك عن رأيها هذا في مقدمة ديوانها شجرة القمر الصادر في ١٩٦٨ كما سيجيء » .

ومن هذا جميعا يتبين لنا ان ما سمته السيدة نازك - شائعة غريبة - كان استنباطا منطقيا من كلامها فبينما هي متعصبة اشد التعصب للدعوة الى الشعر الحر منذ عام ١٩٤٧ حين بدأت تجاربها الشعرية فيه ثم الى عام ١٩٤٩ حين طلعت على القراء بمقدمتها المعروفة لديوانها

---

(١) الترحل : الرحيل ، والركاب : الابل ، والرحال : الامتعة .

« شظايا ورماد » والذي كانت فيه عنيفة وحادة في الدعوة المذكورة ـ والعنف والحدة هما من الفاظها بالذات ـ نجدها تعود فجأة في خط معاكس تماما للاول منادية ولكن في اعتدال ـ ولاحظ انه نفس تعبيرها ـ الى اتباع الشعر الحر · فاذا لم تكن شاعرتنا الرقيقة تسمي هذا تراجعا مع قرائها من المحيط الى الخليج ـ كما لاحظت هي ذلك ـ فان اللغة العربية الفصحى تسميه كذلك وفي لفظ اخر تسميه نكوصا · وهذه واحدة !

ثانيا : انني لم انسب ابدا اليها قولا مفاده ان ما يسمى الشعر الحر سيموت ولكني نقلت عنها قولها « بانها على يقين من ان تياره سيتوقف في يوم غير بعيد » ·

وحسبي وحسب النقاد والقراء جميعا ان نفهم دلالة لفظ « سيتوقف » ثالثا : اذا كانت السيدة الفاضلة نازك الملائكة قد لاحظت ان (الجميع) رددوا انها تراجعت عن الشعر الحر وانا واحد منهم : فلا بد ان لهذا الاجماع في الرأي والاستنباط سندا من واقع لمسوه وانهم لذلك على حق فلا يعقل ان نكون بصدد مؤامرة رهيبة يتداعى فيها النقاد الى رأي كهذا يؤذي احساس شاعرة عزيزة علينا نحب لها ما تحبه هي لنفسها ، كما لا يسوغ في منطق ما ان نصم كل او جميع الكاتبين بافتقارهم الى الامانة والموضوعية ·

والغريب اننا نلاحظ ان الشاعرة بينما تقول في حسم في مقالها المنشور في الهلال ص ١٦٣ « ولم تمر على فترة تركت فيها نظم الشعر الحر مطلقا » تنسى انها قالت ص ١٦١ من نفس المقال بالحرف الواحد « ·· انني مررت بفترة من الصمت والقحط الشعري طولها ثلاث سنوات لم انظم خلالها لا بيتا ولا شطرا ولا عبارة موزونة · وانما انصرفت انصرافا كاملا الى كتابة بحوث النقد » !

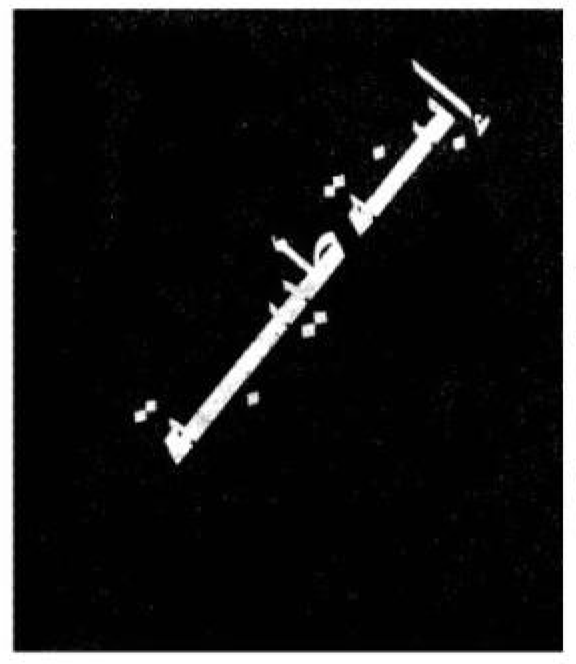
وهذان نصان مكتوبان يحتضنهما غلاف واحد ، ولذلك فسوف يسامحني الله ـ كما قالت ـ اذ انني لم اتزحزح قيد شعرة عن الامانة الادبية والموضوعية في نسخي لمقولاتها !

وكلمة اخيرة اسوقها الى السيدة الفاضلة ، ان الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم يخلق ولن ! لانه القرآن الكريم وحده ·· وهو قديم · ولكن لنتذكر كلمة فقيه السنة العظيم الامام الشافعي : « ما ناظرت احدا الا على النصيحة » ··· وياسبحان الله لقد كان شاعرا فذا ايضا !

● السيد مصطفى الجرف ●

● طنطا ●





■ نجيب العسال ■

كلما سمع صوتا يزأر في بلاده داعيا الى المعركة ابتسم وزغرد وهلل وكبر .. هو وحده

دفع الى ساحة الفداء بأربعة .. اربعة رجال من ابنائه .. رغم ان

هؤلاء الاربعة هم كل ابنائه : صلاح ، وجلال ، ونبيل ، وحمدى الصغير

حمدى في عامه الثالث والعشرين ، ومع ذلك

لا يقل شجاعة عن صلاح الاكبر المشرف على عامه

الثامن والعشرين ، وهو لماذا لم يذهب معهم ؟ ..

هل كونه بلغ الخمسين من عمره يعني انه قد

بات لا يقدر على القتال .. هو الذى قاتل في

صفوف الفدائيين سنة ٤٨ بل كان هو احد الذين قاموا بتخريب

اغلب المنشآت داخل تل أبيب يوم كان كل

اسرائيلي يصرخ بسبب اعمال التخريب التي

يفاجأون بها دون ان يتوصلوا الى معرفة أي

فدائي من الذين يقومون بها ؟ ! ..

وتنهد الاوسطى حسن وذكريات شبابه تعصف

بخياله .. سنة ٤٨ كان

واحدا من (الرديف)،

جندى انتهى من اداء الخدمة العسكرية ، بيد

انه عاد الى الصفوف فدائيا متطوعا لاعمال

غير معروفة لكنها تصيب العدو في منشآته واستحكاماته .. لماذا لم

يذهب مع اولاده ؟ ... هل لانه كان سعيدا بذهابهم جميعا الى هناك

دفعة واحدة لم يفكر في الذهاب في اعقابهم ؟ . لقد أدى من قبل دوره..

وفتيته من صلبه يسلكون اليوم نفس الطريق ... ولكنه كان يصرخ ويرقص

طربا مع كل صوت يزأر ويرعد ..

لقد جاء جلال منذ أيام ، جاء صامتا ولكن عينيه تلمعان بلهيب لم يره ابدا من قبل ولم يناقشه الحساب بل اكتفى باللهيب الذى لا ينطفىء فى عينيه واظنه لن ينطفىء دون أن يزأر ويرعد من جديد

أما صلاح فهو لم يصمت .. انه يقهقه ، انه يعصف بكل ما أمامه ساخرا ، هادرا ، واللهب فى عينيه يشع ويترهج وكان شعلاته ترتفع الى السماء ..

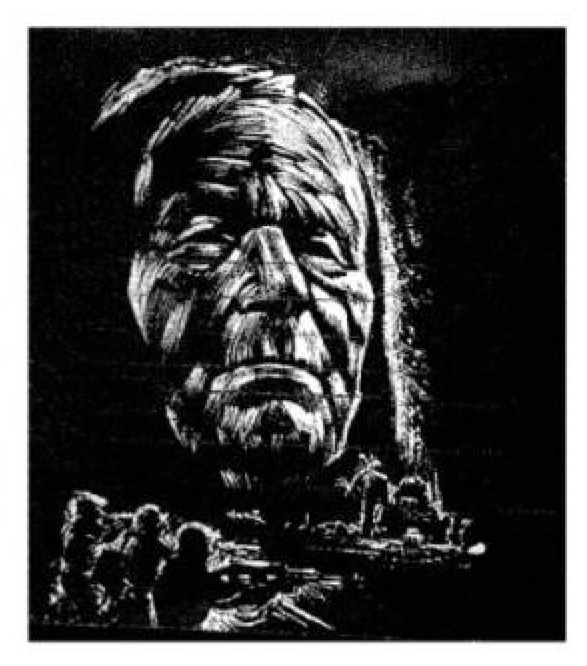
ونبيل .. لقد عاد هو الاخر ، عاد هادئا ساكنا يضم جفنيه على اكثر من وهج يعبر عن البركان المتأجج فى أعماقه ..

وبدا الاوسطى حسن يكلم نفسه ..

لم يعد حمدى الاصغر .. لم يعد .. وكنت اعرف انه لن يعود .. حمدى كان ينتظر هذه اللحظة من زمن طويل ، طويل .. وكم كان يستحلفنى دائما ان اقص عليه قصة سميه ، قصة حمدى صديق طفولتى ورفيق صباى ، حمدى ابن عمى الذى سميت ابنى الاصغر باسمه تعبيرا عن حبى وصداقتى له .. وتخليدا لبطولته

التحقت وحمدى بورشة صغيرة لتصليح السيارات ونحن صبيان صغيران وكان حمدى منذ صغره صموتا ، غير شغوف بالثرثرة ، شاحب الوجه والابتسامة . لكنه طيب القلب صافى النفس وان كان من هؤلاء الذين لا يستطيع المرء ان يوكل اليهم بأى عمل له اهمية ملموسة ..

ولذلك كان صاحب العمل يضن عليه بتعلم بعض الفنون الدقيقة للميكانيكا مما كان يجعله دائما هدفا لسخرية كل الزملاء ولهذا كنت دائما ناصرا وملازما ومحبا له ، وكان حمدى شغوفا جدا بتعلم قيادة السيارات وحرم عليه صاحب العمل ذلك ولكنه كان يلجأ لطريقة عجيبة جدا .. كان ينتهز فرصة خلو الورشة من صاحبها فيحاول تعلم القيادة فى الشارع الواسع الممتد



امام الورشة ، ولفرط خوفه كان يدير المحرك ويجعل السيارة تنساب مسافة طويلة دون ان يصدر عنها اى صوت ·· فقط يثبت يديه جيدا على عجلة القيادة ويوجه السيارة بعناية وكانت طريقته تلك فى القيادةهدفا اخر لسخرية زملاء الورشة ··

ثم بلغنا سن التجنيد والتحقنا بالجيش لقضاء سنوات الخدمة العسكرية

ابنة طيبة

وبعدها فى سنة ٤٨ تطوعت وحمدى فى صفوف الفدائيين ، وكان لتلك الطريقة العجيبة فى القيادة ·· الطريقة الصامتة التى اتقنها حمدى تماما الفضل الاكبر فى وصول عدد كبير من الفدائيين الى الطرق المتوغلة داخل اسرائيل .

وبعد أن انتهت هذه الحرب باعلان الهدنة عدنا أنا وحمدى لنحيا الحياة العادية ، بعد حياة الجيش وحياة الفدائيين وكان كل منا يتحرق شوقا لحياة الجهاد ·· وجاءت سنة ٥٦ وكان حمدى أول الذاهبين الى بورسعيد وهرعت فى اثره ·· كان حمدى رغم خشونة الجندية ورغم قسوة الاعمال الفدائية ،

ما زال هو حمدى الانسان الطيب الشاحب الصامت وما زال أيضا يتقن فن القيادةالصامتة وصارت كل مهمته فى بور سعيد هى أن ينقل الفدائيين الى مسافات بعيدة تحت جنح الظلام دون احداث أى ضوضاء فالمحرك لا يعلو هديره الا على فترات متباعدة لا يستطيع العدو أن يتبينها الا عندما يفاجأ

باستحكاماته وهى تخرب فى الظلام وتنفجر واحدة تلو الاخرى ·· حتى كانت ليلة استشهاده ··

كنا عشرة منالفدائيين يقلنا حمدى فى سيارته، محملين جميعا بالذخيرة وفى اللحظة التى تركنا فيها السيارة واتجهنا الى مراكز العدو ·· فى هذه اللحظة بالذات سطعت الانوار الكاشفة تحدد أماكننا ، ولم ينتظر حمدى ثانيةواحدة انه يعلم تماما ان سيارته محملة بشحنة أخرى من الذخيرة ، وانطلق باقصى سرعة الى مراكز العدو ليصطدم بمستودع ذخيرتهم ، لتتطاير استحكاماتهم بكل مافيها ومعها بطارية الانوار الكاشفة فى انفجار مروع ·· ودوى الشاحب الصامت ·· دوى حمدى الطيب الذى لا يتكلم الا قليلا ·· انه تكلم أخيرا ودفعة واحدة ·· دوى وبداه ممسكتان جيدا بعجلة القيادة ··

كان ابنى حمدى فى الثانية عشرة من عمره عندما حدثت تلك الواقعة التى انتشر نبأ بطولتها،

وبعدها ·· منذ سنة ٥٦ ظل حمدى ابنى وهو يطلب منى بين آن وآخر أن أقص عليه من جديد قصة الشهيد حمدى ·· لكنى لم أوصه وهو يذهب أخيرا ان يلجأ الى طريقة حمدى فى القيادة ·· لكنه لم يعد ·· انه ·· انه هناك لا بد قد لجأ أخيرا الى هذه القيادة، القيادة الصامتة المدوية ، فقد كانت تستهويه من قصة الآخر طريقته تلك ·· انه هناك وانا اعلم جيدا انه هناك ·· هو وآخرون و ·· وتعالت الاصوات تزأر من جديد ·· راعدة مزمجرة تصرخ مدوية·· انها أصوات حمدى ·· حمدى الكبير وحمدى الصغير وكل حمدى فى هذا الوطن تصرخ الآن بالدم ·· بالحق ···· بالانتقام برأس حمدى وكل حمدى فخضبت بدمه أرض الاجداد ··

خرج جلال الى والده وكان متأهبا للعودة الى هناك ونظر الاوسطى حسن الى عينى ولده جلال ·· وكان اللهب الذى لم ير مثله من قبل ما زال يلمع فى عينيه وقال الاب :

– الى اين يا جلال ؟

وقال جلال ورأسه الى الامام ··

– الى مكانى ·· الى هناك ، الى حيث يتحتم أن أكون ·· هناك كل فدائى فى موقعه ··

وتلاه صلاح فى صمت بدون أن يتفوه بكلمة !

وعاد الاب يسأل من جديد :

– الى اين ياصلاح ؟

وقال صلاح مقهقها عاصفا :

– وهل يسأل الفدائى ·· الى اين انت ذاهب ؟

أما نبيل فقد كان يقف صامتا لم يفعل اكثر من رفع جفنيه المضمومتين على الوهج المشع ··· ولم يتكلم الاب ولكنه اشار الى الام حيث تقف وهى ترقب أبناءها وزوجها يكسوه الجمود وان كان رأسها ما زال مرفوعا ·· وقال الاب :

– انا ذاهب معكم أيضا فدورى لم ينته بعد !!

ونظروا جميعا بقلق الى الام ·· فانطلقت بعد صمت لم يدم طويلا لتقول :

– اذهبوا جميعا وعودوا وهو معكم ··

والتقت نظراتهم ·· انهم يعرفون ما الذى تعنيه امهم بكلماتها· انها تطالبهم بالعودة ومعهم حمدى وان لم يعد حمدى فهم يعلمون جيدا ماذا تعنى ·· ان امهم من اقصى بلاد الوجه القبلى، من الارض التى لا تترك دمها يهدر أبدا ، وقد اصبح لها الآن دم ·· دم هناك فى الصحراء ·· دم يزأر مناديا بالثأر وأبدا لن يهدأ حتى يعودوا ومعهم الانتصار ·· ثمنا عادلا لدم وليدها ·· ولتعرف الراحة طريقها الى قلب ·· ابنة طيبة ··



شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية
شركة الإسكندرية للمنتجات المعدنية

من ذكريات عميد الأدب

كتب الدكتور طه حسين الشعر في مقتبل حياته ، وهو ما زال طالبا بالازهر ، وقبل ان يسافر الى باريس ، ويلمع نجمه ويصبح من ابرز نقاد ومفكري العصر الحديث · وفي هذه المقطوعة التي نظمها في تلك الفترة من شبابه الباكر ، يعبر عن حنينه للاوقات الجميلة في عهد الصبا فيقول :

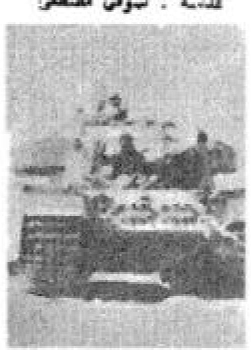
يا رعى الله عهـــودا   للهوى منذ ســـنين
حين كنـــا في امان   من عيون الرقبــــاء
نجتني اللذات لا نخشى   اذاة الكاشـــحين
انما العـــذال للحب   وللاحبــــاب داء
آه ما احــلى الاماني   ليت أيامي تعـــود

انا من امضيت من عمري عشرين ربيعا
غير اني قد بلوت العيش والجهد الجهيد
بين بؤس ونعيم يذهب العمر سريعــا

الغلاف الأول

جنـــد الله
للفنان : جمال قطب


النصر لنا .. من الميدان
عدسة : شوقي مصطفى



الغلاف الأخير

